

تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

للإمام محيي السنة

أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى ٥١٦ هـ)

طبعة جديدة منقحة ومرتبطة
ميزت فيها الآيات المتعلقة بالتفسير بلوت أحمر
منصبطة برسم المصحف

دار ابن خزيمة

تفسير البغوي

(معالم التنزيل)

للإمام محيي السلف

أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى ٥١٦ هـ)

طبعة جديدة منقحة ومرتبطة
ميزت فيها الآيات المتعلقة بالتفسير بلونت أحمر
منصبطة برسم المصحف

دار ابن حزم

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرب: ١٤/٦٣٦٦ - هاتفون: ٧٠١٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسين بن مسعود أبي محمد البغوي

هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر من أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية. نسبته إلى «بغا» من قرى خراسان، بين هراة ومرو، والفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها.

وهو من أئمة السلف الصالح الذين التزموا بالكتاب والسنة في مفهوم الاعتقاد وخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

وكان عالماً، ديناً، عاملاً على طريقة السلف، وكان ثبناً حجة صحيح العقيدة في الدين.

ومن ثناء العلماء عليه تلقيبه بلقب «محيي السنة» وغير ذلك من الألقاب والصفات التي أثبتتها له كل من ترجم له.

نشأ على المذهب الشافعي ولقب إمام هذا المذهب، إلا أنه لم يتعصب لمذهبه وكان ينظر في أقوال العلماء وأدلتهم.

فقال عنه ابن كثير: كان ديناً ورعاً، علامة زمانه، عابداً، زاهداً، صالحاً.

وقال السيوطي: كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك، وقناعة باليسير. وسماه في طبقات الحفاظ الحسين بن محمد ابن مسعود.

وقال الإمام الذهبي: كان يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان إماماً زاهداً، سيداً، قانعاً باليسير.

سمع من عدد كثير من العلماء، في الحديث والتفسير والفقہ نذكر منهم:

- ٢ - أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، الفقيه والمعروف بشيخ الحجاز.
 ٣ - عبدالواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي، الهروي، روى الصحيح عن النعمي.
 ٤ - حسان بن سعيد المنيعي، أبو علي، - والمنيعي نسبة إلى منيع جد - .
 ولقد أقبل عليه الكثير من طلاب العلم، لسعة معرفته بعلوم كثيرة نذكر البعض منهم:

- ١ - أبو المكارم فضل الله ابن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، وهو آخر من روى عنه بالإجازة.
 ٢ - الحسن بن مسعود أبو علي البغوي أخو الإمام الحسين البغوي.
 ٣ - أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني، الواعظ المحدث.
 ولقد ترك الإمام - رحمه الله - علوماً في الحديث والتفسير والفقه كان لها الأثر النافع نذكر منها:

- التهذيب: وهو في فقه الشافعية وهو مشهور.
 - شرح السنة: وهو في الحديث، وفوائد الأخبار المروية عن النبي ﷺ.
 - لباب التأويل في معالم التنزيل: وهو في التفسير.
 - مصابيح السنة: وهو مجموعة من الأحاديث اعتمد على نقل الأئمة لها.
 - والجمع بين الصحيحين وغير ذلك.
- توفي الإمام - رحمه الله - بمرور الروذ وهي مدينة من مدن خراسان، سنة ست عشرة وخمسائة للهجرة.
- وفي وفيات الأعيان ١/١٤٥ وفيه رواية أخرى في وفاته سنة ٥١٦هـ. وفي تهذيب ابن عساكر ٤/٣٤٥ ووفاته فيه سنة ٥١٦هـ.



سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾

الفاتحة

التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة، واختلفوا في اشتقاقه، قال المبرد في البصريين: هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته، وقال ثعلب في الكوفيين: هو مشتق من اليوسم والسمة وهي العلامة وكانه علامة لمعناه وعلامة للمسمى، والأول أصح لأنه يُصغر على سمي، ولو كان من السميت لكان يُصغَّر على الوسيم كما يُقال في الوعد وعيد، ويُقال في تصريفه: سميت، ولو كان من الوسيم لقليل: وسمت.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله تعالى لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو.

وقال جماعة: هو مشتق. ثم اختلفوا في اشتقاقه فقليل: من آله

الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله أو قل: بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها، وطولت الباء. قال القتيبي: ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف مُعظم.

كان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول لكتابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيماً لكتاب الله تعالى.

وقيل: لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف

على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] رُدَّت الباء إلى صيغتها، ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء. والاسم هو المسمى وعينه وذاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُبَيِّنُكَ لِبَنِيكَ أَهْلِكَ بِحَبْرٍ﴾ [مريم: ٧]، أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَبْيِئِحُّ خُذِ الْكِتَابَ﴾ [مريم: ١٢]، وقال: ﴿مَا كَتَبُوا مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَيِّئَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٠] وأراد [بالأسماء] الأشخاص المعبودة، لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، و﴿تَبَرَّكْ أَسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨] ثم يُقال للتسمية أيضاً اسم، فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى، فإن قيل: ما معنى

سورة فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، سُميت فاتحة الكتاب لأن الله تعالى بها افتتح القرآن، وسُميت أم القرآن وأم الكتاب: لأنها أصل القرآن، منها بَدِءَ القرآن، وأم الشيء: أصله، ويُقال لمكة: أم القرى، لأنها أصل البلاد، ذُحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة، والسبع المثاني: لأنها سبع آيات باتفاق العلماء، وسُميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة.

وقال مجاهد: سُميت مثاني لأن الله تعالى استثنى لها هذه الأمة فدخرها لهم، وهي مكية على قول الأكثرين. وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة، ولذلك سُميت مثاني، والأول أصح أنها مكية لأن الله تعالى من على الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾ [الحجر: ٨٧]، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحجر مكية، فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها.

سورة الفاتحة

١ قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء أداة تخفض ما بعدها، مثل مِنْ وَعَنْ، والمتعلق به الباء محذوف لدلالة

إلاهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويذكر وإلاهتك» [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَتَاهُ كُلُّ الْإِنَّمِ يَمَّا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال المبرد: هو قول العرب: ألهمت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألهمت إليها والحوادث جمة
فكان الخلق يسكنون إليه
ويطمثون بذكره، يقال: ألهمت إليه
أي: فزعت إليه، وقال الشاعر:

ألهمت إليها والركائب وُقِفَ
وقيل: أصل الإله «ولاه»، فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولهُون إليه، أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

① قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا فيهما، منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم، ومعناها ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر (تطميعاً) لقلوب الراغبين، وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال: للرحمن معنى العموم، والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا، وهو على العموم لكافة الخلق.

والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص.

ولذلك قيل في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى غير الله رحمن، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة (فعل).

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها [ليست] من الفاتحة وليست من سائر السور، وإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي، لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْكَفْرَ﴾ وابتداء الآية الأخيرة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾، ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداءها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وابتداء الآية

الآخيرة ﴿عَبْدَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن، وما أخبرنا [أبو الحسن] عبدالوهاب بن محمد الكسائي، أنا أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، وأنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبدالمجيد عن ابن جريج قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جبير قال:

﴿وَلَقَدْ مَاتَتْكَ سَبْعًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ [الحجر: ٨٧].

هي أم القرآن قال أبي: وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْكَفْرَ الْكَفْرَ الْكَفْرَ﴾

الآية السابعة، قال سعيد: قرأها علي ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْكَفْرَ الْكَفْرَ﴾

الآية السابعة، قال ابن عباس: فادخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم.

ومن لم يجعلها من الفاتحة، احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «قمت وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كلهم كان لا يقرأ ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْكَفْرَ الْكَفْرَ﴾ إذا افتتح الصلاة»، قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم.

وعن ابن مسعود قال: كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال الشعبي: كان رسول الله ﷺ يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزلت ﴿وَقَالَ آتِكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَمِيدًا﴾ [هود: ٤١]، فكتب باسم الله حتى نزلت ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت آية ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئَيْنِ وَرَبُّهُ يُسَمِّيهِمَا الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ [النمل: ٣٠] فكتب مثلها.

قوله ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لفظه خير كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقليده قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة. يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إلي من النعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال شكرت فلاناً على علمه، فكل حامد شاكِر وليس كل شاكِر حامداً وقيل: الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَاكُمُ الْإِسْرَاءَ﴾ [١١١]، وقال: ﴿اعْمَلُوا مَالاً ذَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، يعني: اعملوا الأعمال لأجل الشكر، فشكراً مفعولاً له وانتصب باعملوا.

قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ السلام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد.

قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ﴾

الرَّحِيمِ، فالرب يكون بمعنى المالك كما يُقال لمالك الدار: رب الدار، ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: رب فلاناً الصنعة يربها إذا أتمها وأصلحها، فهو رب مثل طب وير، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم، ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفة، إنما يقال: رب كذا مضافاً، لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل، و«العالمين»: جمع عالم [والعالم جمع] لا واحد له من لفظه، واختلفوا في العالمين.

قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: ﴿يَكُونُ لِلْمَلَكِوتِ نَزِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال قتادة ومجاهد والحسن: هم جميع المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رِعْرَعُونَ وَمَا رَبُّ الْمَلَكِوتِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤]، واشتقاقه من العلم والعلامة، سُمُوا به لظهور أثر الصنعة فيهم، قال أبو عبيدة: هم أربع أمم الملائكة والإنس والجن والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم: عالم لأنها لا تعقل.

واختلفوا في مبلغهم، قال سعيد بن المسيب: لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالم، أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر، وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. وقال كعب الأحبار: ولا

يحصي عدد العالمين أحد إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَظُنُّ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿مَلِكِ﴾ وقرأ الآخرون «ملك» قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفرهين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الرب، [كما] يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحد غير الله.

قال أبو عبيدة: «مالك» أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبيد والطيور والدواب، ولا يقال ملك هذه الأشياء، ولأنه لا يكون مالك لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه.

وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك، وليس كل ملك ملكاً، ولأنه أوفق لسائر القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿تَتَذَكَّرُ اللَّهُ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤] و﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ [الحشر: ٢٣] قال مجاهد: الدين الحساب، قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْزَمَ الْقَلْبَ﴾ [التوبة: ٣٦] أي الحساب المستقيم، و﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢٧] قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين، قاضي يوم الحساب وقال قتادة: الدين الجزاء. ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً، كما يقال: كما تدين تدان.

قال محمد بن كعب القرظي: مالك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن رباب: الدين القهر، يُقال

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود: هو القرآن. وروي عن علي مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله».

وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبدالله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبدالله المزني: طريق رسول الله ﷺ. وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحبه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم. وقال عبدالرحمن: هم النبي ﷺ ومن معه. وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل بيته، وقال شهر بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ [وأهل بيته].

قرأ حمزة: «عليهم ولديهم وإليهم» بضم الهاء، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنيةً وجمعاً إلا قوله: ﴿بَيْنَ الْيَدَيْنِ وَأَرْجُلَيْهِ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقرأ الآخرون بكسرها، فمن ضم الهاء ردها إلى

إياك أعني وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً فيقال: ما عنيت إلا بإياك.

قوله: ﴿نَعْبُدُكَ﴾ أي: نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي: مُذلل، ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

فإن قيل: لِمَ قَدَّمَ ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة؟ فلهذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل، ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير، ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة أولاً، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، الهدنا: أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا، كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

﴿الصِّرَاطَ﴾: «وسراط» قرئ بالسين رواه أؤيس عن يعقوب وهو الأصل، سمي سراطاً لأنه يسرط السابلة، ويُقرأ بالزاي، وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

دنته فدان، أي: قهرته فذل. وقيل: الذين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكاً لأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يُؤَمِّدُ الْحَقَّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقرأ أبو عمرو: «الرحيم ملك» بإدغام الميم في الميم، وكذلك يُدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن في غير المثلين فإنه لا يدغمهما وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير، وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله ﴿بَيْنَ طَائِفَةٍ﴾ [النساء: ٨١] ﴿وَالْقَائِلَاتِ صَمًّا﴾ ﴿فَالَّذِينَ نَزَّحُوا﴾ [الصفافات: ٣٠١] و﴿وَالَّذِينَ رَبَّيْتُ دَرَجًا﴾ [الذاريات: ١]، وأدغم التاء فيما بعدها من الحروف. وافقه الكسائي وحمزة في إدغام الصغير، وهو إدغام الساكن في المتحرك برواية جابر وخلف إلا في الرء عند اللام والبدال عند الجيم، وكذلك لا يدغم حمزة - برواية خلاء وخلف - البدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة.

قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، «إيّا» كلمة ضمير خُصِّتْ بالإضافة إلى المضمَر، ويستعمل مقدماً على الفعل، فيقال:

الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن كسرهما فلاجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة، وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع ضمّاً مشبهاً في الوصل إذا لم يلقها ساكن، فإن لقيها ساكن فلا يُشبع، ونافع يخير، ويضم ورش عند ألف القطع، وإذا لفته ألف وصل - وقبل الهاء كسرة أو ياء ساكنة - ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرهما أبو عمرو، وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله، والآخرين [يقروون] بضم الميم وكسر الهاء لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم، والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و «غير» ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، ولذلك جاز العطف [عليها]، كما يُقال: فلان غير محسن ولا مجمل، فإذا كان غير بمعنى سوى، فلا يجوز العطف عليها بلا، ولا يجوز في الكلام: عندي سوى عبد الله ولا رضي الله عنه: «غير المغضوب عليهم» وقيل: عليهم وغير الضالين»، وقيل: المغضوب عليهم: هم اليهود. والضالون: هم النصارى لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب،

فقال: ﴿مَنْ لَمَنَهُ اللَّهُ وَعَظِيَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال سهل بن عبدالله: غير المغضوب عليهم بالبدعة، ولا الضالين عن السنة. والسنة للقرآء أن يقول بعيد فراغه من قراءة الفاتحة: «آمين»، مفصلاً عن الفاتحة بسكته، وهو مخفف ويجوز عند النحويين ممدوداً ومقصوراً، ومعناه اللهم اسمع واستجب، وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون، وقال مجاهد: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقيل: هو طابع الدعاء، وقيل: هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم، كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي، وأبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي قالوا: أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فقولوا: آمين، فإن الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمینه تأمّن الملائكة عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» صحيح.

فصل في

فضائل فاتحة الكتاب

أنا أبو الحسن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد الكيالي أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي، أنا أبو عثمان عمرو بن عبدالله البصري ثنا محمد بن عبد الوهاب، ثنا خالد بن مخلد القطناني حدثني محمد بن جعفر بن أبي كثير هو أخو إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

«مرّ رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو قائم يُصلي فصاح به فقال: «تعال يا أباي» ففعل أبي في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ما منعك يا أباي أن تجيبي إذ دعوتك؟ ليس الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:

٢٤] قال أباي: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصلياً، قال: «تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» فقال أباي: نعم يا رسول الله فقال: «لا تخرج من باب المسجد حتى تتعلّمها»، والنبي ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أباي: السورة يا رسول الله، فوقف فقال: «نعم! كيف تقرأ في صلاتك؟» فقرأ أباي أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبي ما سألت. صحيح. [وأخرجه مسلم عن قتبية عن مالك].



سورة البقرة

[سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ ﴿الْم﴾ قال الشعبي

وجماعة: الَمْ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، فنحن نؤمن بظاها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها.

قال أبو بكر الصديق [رضي الله عنه]: في كل كتاب سرٌّ وسرٌّ الله في القرآن أوائل السور.

وقال علي [رضي الله عنه]: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف (التهجى).

قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً وإن سرّ القرآن فواتح السور فدغها، وسلّ عما سوى ذلك.

وقال جماعة: هي معلومة المعاني، ف قيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿كَتَبَ صَفْوَةً﴾ [مريم: ١]، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من

مسلم عن الحسن بن ربيع عن أبي الأحوص].

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن: أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ:

«من صلى صلاة لم يقرأ

فيها بأم القرآن فهي [خداج، هي خداج] خداج غير تمام»، قال: فقلت: يا أبا هريرة إنني أحياناً أكون

وراء الإمام؟ فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

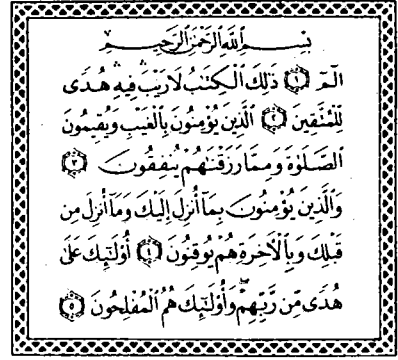
«قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما

سأل»، قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني

عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنت علي عبدي، يقول العبد: مالك يوم

الدين، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إيتاك نعبد وإيتاك نستعين، يقول الله عز وجل: هذه

الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط



وانها لهي السبع المثاني التي آتاني الله عز وجل»، هذا حديث حسن صحيح.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي، أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار بن رزيق، عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: «أبشُرْ بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته»، صحيح. [أخرجه

عليم والصاد من صادق. وقيل في ﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف: ١] أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في المص: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد.

وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: معنى المص: أنا الله أعلم، ومعنى المص: أنا الله أعلم وأفضل، ومعنى المص: أنا الله أرى، ومعنى المص: أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقولهم:

قلت لها قفي فقالت قاف أي: وقت.

وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى «مقطعة» لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول الممر وحم، ون، فتكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء «السورة»، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأت المص عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مبادئ كتبه المنزلة بمبادئ أسمائه الحسنى.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: هذا الكتاب وهو

القرآن، وقيل: هذا فيه مضمرة أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال: هذا (ذلك) الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل، وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا (للتقريب وذلك) للتباعد.

وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال: ذلك الكتاب يعني ما تقدم (سورة) البقرة من السور، لا شك فيه. والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق، وهذا الدرهم ضرب فلان، أي: مضروبه، وأصل الكتاب الضم والجمع، ويقال للجنود كتبية، لاجتماعها وسمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى أحرف.

قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه لقوله تعالى: ﴿فَلَا رَيْبَ وَلَا شُكَّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير فيه بالإشباع في الوصل، وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلماً ما لم يلحقها ساكن، ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء، وإن كان غيرها يشبعها بالضم وواو، وواقفه حفص في قوله: ﴿فِيهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [الفرقان: ٦٩] (فيشبعه).

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي، زاد حمزة والكسائي عند الياء، وزاد حمزة عند الواو، والآخرون لا يدغمونها، ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هادياً تقديره لا ريب فيه في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان، للمتقين، أي: للمؤمنين قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده.

وفي الحديث: كُتِبَ إِذَا اخْمَرُ الْبَأْسِ اتَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أي: إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، [فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب]، قال عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] لكعب الأحبار: حدثنا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وشمرت، قال كعب: ذلك التقوى، وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وقال عمر بن عبدالعزيز: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير، وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وفي الحديث: «جماع التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾» [النحل: ٩٠] الآية وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع الذين خفض، نعتاً للمتقين (يؤمنون) يصدقون، ويترك همزة أبو عمرو وورش، والآخرون يهمزونه، وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل [نحو] يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا.

وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيماناً لوجه من المناسبات لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآئِمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وذلك لأن الرجل قد يكون [مسلماً] في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

وقد اختلف [في] جواب النبي ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام، وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن بويه الزُّرَّاد البخاري، أنا أبو

القاسم على بن أحمد الخراعي، ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو أحمد عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كهَمَس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر. يعني بالبصرة. معبدالجهني، [قال] خرجت أنا وحמיד بن عبدالرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء، فلقينا عبدالله بن عمر فاكتفته أنا وصاحبي. اكتنفوا أي: أحاطوا. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قَبَلْنَا أناس يَتَقَفَّرُونَ هذا العلم ويطلبونه، يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني منهم بريء وأنهم مني بُرَاءة، والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قَبِلَ الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: حدثنا عمر بن الخطاب، قال:

بيننا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجلٌ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ وركبته تمس ركبته، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»،

فقال: صدقت، فتعجبنا من سؤاله وتصديقه، ثم قال: فما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره»، فقال: صدقت، ثم قال: فما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: صدقت، ثم قال: فأخبرني عن الساعة، فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العُمرأة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر»، قال: صدقت، ثم انطلق، فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر هل تدري من الرجل؟» قال: قلت لله ورسوله أعلم قال: «ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه».

فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لِمَا ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لِمَا بطن من الاعتقاد، وذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم». والدليل على أن [الأعمال من] الإيمان، ما أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحني أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاه، ثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، ثنا

يشر بن موسى ثنا خالد بن الوليد عن جرير الرازي، عن سهيل بن أبي صالح عن عبدالله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضغ وسعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان».

وقيل الإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه.

قوله تعالى: ﴿بِالْيَقِينِ﴾، والغيب: مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم، فقيل للغائب: غيب، كما قيل للعادل: عدل، وللزائر: زور، والغيب ما كان مغيباً عن العيون.

قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان.

وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن. وقال الحسن: الآخرة. وقال زر بن حبيش وابن جريج: الوحي، نظيره: ﴿أَعْدِمُ عَلَيْكَ الْغَيْبَ﴾ [النجم: ٣٥]، وقال ابن كيسان: بالقدر، وقال عبدالرحمن بن يزيد: كنا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقوا به فقال عبدالله: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمانٍ بغيره، ثم قرأ: ﴿الرَّحْمَٰنُ الَّذِي كَتَبَ﴾، إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش:

﴿يُؤْمِنُونَ﴾، بترك الهمزة، وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة إلا في ﴿أَنبِئْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾ [المائدة: ١٤]، و﴿نَبِّئْنَا﴾ [يوسف: ٣٦]، ويترك أبو عمرو كلها إلا أن يكون علامة للجزم نحو ﴿وَنَبِّئْتَهُمْ﴾ [القمر: ٢٨]، و﴿أَنبِئْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿سَنَبِّئْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، و﴿إِنْ شَاءَ﴾ [الشعراء: ٤]، و﴿نَسَأَهَا﴾، ونحوها أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو: ﴿مُؤَصَّلَةٌ﴾، و﴿وَرِيَّةٌ﴾، ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل، إلا ﴿وَقَوِيٌّ﴾ و﴿تَوْبِيهِ﴾، ولا يترك من عين الفعل إلا: ﴿أَرْزَيْتَا﴾، وبابه إلا ما كان على وزن فعلٍ مثل: ذئب.

قوله تعالى: ﴿وَيُصِونُ الصَّلَاةَ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطيئ حقوقه، والمراد بها الصلوات الخمس، ذكر بلفظ «الواحد»؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَتَّ اللَّهُ النَّبِيَّاتِ مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، يعني: الكتب.

والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء، وقيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة، ومن

الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين: الدعاء.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، «أي»: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما يُنتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿يُفْقُونَ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق، لأنه يُخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه: نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾، يعني: القرآن. ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالوا [وأبو عمرو] وأهل البصرة ويعقوب كل مدة تقع بين كلمتين، والآخرون يمدونها، وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُمِّيت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة، وسُمِّيت الآخرة: آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا. ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان: وهو العلم.

وقيل: الإيقان واليقين: علمٌ عن استدلال، ولذلك لا يُسمى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذ ليس علمه عن استدلال.

﴿أُولَئِكَ﴾، قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾، أي: أهل هذه الصفة، وأولاء كلمة

لا تلي إلا الفعل، لأن الجزم يختص بالأفعال. ﴿نُذِرْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذه الآية نزلت في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

﴿حَتَمَ اللَّهُ﴾، طبع الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فلا تعي خيراً ولا تفهمه. وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يتفكرون به، وأراد على أسماعهم كما قال ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ بالإمالة وكذلك كل ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يُميلانها، ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه. زاد الكسائي إمالة جبارين، والجوار، والجار وبارئكم ومن أنصاري، ونسارع وبابه، وكذلك يميل هؤلاء كل ألف هي بمنزلة لام الفعل أو كان علماً للتأنيث إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: الكبرى، والأخرى، ولام الفعل مثل: ترى، وافترى، يكسرون الراء منها.

والكافر يستر الحق بجحوده.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود هو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس لعنه الله وكفر اليهود. قال الله تعالى:

﴿لَسَانَهُمْ وَلَا يَدِيْنُ بِهِ كَكُفْرِ أَبِي تَالِبٍ حَيْثُ يَقُولُ:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أدیان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له. قوله:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متساو لديهم ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خوفتهم وحذرتهم، والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير، وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً، وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾، وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة، والآخرون يلينون الثانية، ﴿أَمْ﴾ حرف عطف على الاستفهام، ﴿تَمْ﴾ حرف جزم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُوا بِالْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ أَشْقَاهَا ءَلَا إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بِمَعْمُورٍ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجَعَتِ غَيْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣﴾

معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب، كما في حرف ذلك ﴿عَلَى هُدًى﴾، أي: زُشد وبيان وبصيرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي: الباقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزُّراع: فلاحاً، لأنه يشق الأرض، وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح [أي: يشق]، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود، وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سُمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمي الزُّراع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب،

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى، والعذاب: كل ما يعمي الإنسان ويشق عليه، قال الخليل بن أحمد: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه: الماء العذب لأنه يمنع العطش.

﴿٨﴾ قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم، حيث أظهروا كلمة الإسلام لیسلموا من النبي ﷺ وأصحابه، واعتقدوا خلافها، وأكثرهم من اليهود، والناس: جمع إنسان، سمي به لأنه عهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى اللَّهِ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]، وقيل: لظهوره من قولهم آنتست، أي: أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به، ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: يوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ * ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع، فالمخادع يظهر خلاف ما يضمّر، والخداع من الله في قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهِرُ لَهُمْ وَيُعْجِلُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ فِي الدُّنْيَا خِلافَ مَا يَغِيبُ عَنْهُمْ مِنَ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وقيل: أصل الخداع: الفساد. معناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمرُوا من الكفر. وقوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، أي: يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ نَعِيمَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فإن قيل: ما

معنى قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، والمفاعلة للمشاركة وقد جلَّ الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلاناً وطارقت النعل.

وقال الحسن: معناه يُخَادِعُونَ رسول الله ﷺ؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، أي: أولياء الله، وقيل: ذكر الله ههنا تحسین، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا، كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم أمنا وهم غير مؤمنين، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ما يخادعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد. وقرأ الباقون. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ على الأصل: ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم.

﴿١١﴾ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، وسُمي الشك في الدين مرضاً لأنه يُضعف الدين كالمرض يُضعف البدن، ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، لأن الآيات كانت تنزل ترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً،

وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [الشورى: ١٢٥]، قرأ ابن عامر وحمزة ﴿فَرَادَهُمْ﴾، بالإمالة، وزاد حمزة إمالة (زاد) حيث وقع، وزاغ، وخاب، وخاف، وطاب، وحق، وضاق، والآخرين لا يميلونها، وجعته إلى قلوبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر، وقرأ الكوفيون] يكذبون بالتخفيف، أي: يكذبهم إذ قالوا: أمنا وهم غير مؤمنين، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قرأ الكسائي (قيل، وغيض، وجيء، وحيل، وسيق، وسيئت) بزوم أوائلهن الضم، - ووافق ابن عامر في (سيق، وحيل، سبيء، وسيئت) - ووافق أهل المدينة في (سبيء، وسيئت): لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو، مثل قُتِلَ، وكذلك في أخواته، فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة، وقرأ الباقون بكسر أوائلهن، استقلوا الحركة على الواو، فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني للمنافقين، وقيل لليهود، أي قال لهم المؤمنون، ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في السدين، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُبْلِغُونَ﴾: يقولون هذا القول كذباً كقولهم أمنا وهم كاذبون.

﴿الآ١٢﴾: كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان، ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين، وقيل: لليهود، ﴿ءَايُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ عبدالله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ أَشْقَاهُ﴾ أي: الجاهل، فإن قيل كيف يصح النفاق مع «المجاهرة» بقولهم: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ أَشْقَاهُ﴾؟ قيل أنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال: ﴿الآ١٣﴾ إِنَّهُمْ هُمُ أَشْقَاهُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ، أنهم كذلك، فالسفيه خفيف العقل رقيق اللحم، من قولهم: ثوب سفیه أي: رقيق، وقيل: السفيه الكذاب الذي يتعمد (الكذب) بخلاف ما يعلم.

قرأ أهل الكوفة والشام ﴿أَشْقَاهُ﴾ آ١٣ بتخفيف الهمزتين، وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا، والآخرون يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفة، فإن كانتا متفقتين مثل: (هؤلاء، وأولياء، وأولئك، وجاء أمر ربك)، قرأ أبو عمرو والبرقي عن ابن كثير بهمزة واحدة، وقرأ أبو جعفر وورش والنواس ويعقوب بتحقيق

الأولى وتلين الثانية، وقرأ قالون [بتخفيف الثانية] لأن ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار، ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا كَيْمَانَكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا حَلَّوْا﴾ رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة، ﴿وَاللَّيْلِ﴾، بمعنى: الباء، أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] أي: مع أموالكم. ﴿شَيْطَانِيَوْمٍ﴾، أي: رؤسائهم وكهنتيهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبدالدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السوداء بالشام، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له. والشيطان المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البعد، يقال: بثر شطون، أي: بعيدة العمق، سمي الشيطان شيطاناً لامتناده في الشر وبعده من الخير.

وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نُظهِر من الإسلام. قرأ أبو جعفر: (مستهزون، ويستهزون، وقل استهزوا، وليطفوا، وليواطوا، ويستنبونك، وخاطين، وخاطون، ومتكن ومتكون فمالون، والمنشون) بترك الهمزة فيهن.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾، أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، سمي الجزء باسمه لأنه في مقابله؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَحْزَنُوا سَيِّئَةً يَنْتَلَهُمْ﴾ [الشورى: ٤٠]، قال ابن عباس: هو أن يُفْتَح لهم باب من الجنة فإذا انتهوا إليه سُد عنهم ورُدوا إلى النار. وقيل: هو أن يُضْرَب للمؤمنين نورٌ يمشون به على الصراط فإذا وصل المنافقون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَصَرَبَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْحَدِيدَ﴾ [١٣] الآية. وقال الحسن: معناه أن الله يظهر المؤمنين على نفاقهم. ﴿وَسَيُؤْمِنُ﴾: يتركهم ويمهلهم، والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد أكثر ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير؛ قال الله تعالى في المد: ﴿وَسَيُؤْمِنُ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وقال في الإمداد: ﴿وَأَمَّا دَعْوَتُكُمْ﴾ [الإسراء: ٦] ﴿وَأَمَّا دَعْوَتُهُمْ﴾ [الطور: ٢٢]. ﴿فِي طَائِفَتِيَوْمٍ﴾، أي: في ضلالتهم، وأصله: مجاوزة الحد، ومنه: طغى الماء. ﴿يَعْمَهُونَ﴾، أي: يترددون في الضلالة متحيرين.

﴿أَوَّلِيكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَضَلَّالَةً يَأْتِيهِمْ﴾: أي استبدلوا الكفر بالإيمان، ﴿فَمَا زَبَحَتْ بِحَدِيثِهِمْ﴾، أي: ما ربحوا في تجارتهم، أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب: ربح يبيعك وخسرت صفقتك. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَبِرِينَ﴾: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

﴿مَتَلَّهْمُ﴾: شَبَّهْمُ، وقيل:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّرَهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ
 بِكُمْ عَمِّي فَهَمَّ لِتَرْجِعُونَ ﴿١٩﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَسْمِعُهُمْ فِي مَا دَأَبُوهُمْ مِنَ الصُّورِ
 حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ بَكَدَ الرَّقُّ حَظْفًا
 أَنْصَرَهُمْ لَمَّا أَضَاءَتْ لَهُمْ مَنُورًا فِيهِ وَإِذَا أظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 كُلِّ شَيْءٍ فَعَدِيمٌ ﴿٢١﴾ يَتَأْتِي النَّاسَ عُبْدُهُ وَإِزْجَاهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
 النَّارَ الَّتِي هِيَ أَوْفَىٰ النَّاسِ وَالْحِجَابَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

٤

إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة.

وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، ثم وصفهم الله فقال:

﴿١٨﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّرَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يَبْصُرُونَ . قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدي: نزلت في المنافقين . يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفِيت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمثروا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنون ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف .

صفتهم، والمثل: قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا﴾ يعني الذين بدلوا سياق الآية، ونظيره ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿اسْتَوْفَدُوا نَارًا﴾: أوقد ناراً، ﴿لَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُمْ﴾، أي: حول المستوقد، وأضاء لازم ومتعد، يقال: أضاء الشيء بنفسه وأضاهه غيره، وهو: هنا متعد، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّرَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدي: نزلت في المنافقين . يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفا ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفِيت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمثروا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنون ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف .

وقيل: ذهاب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا أنظرونا نقتبس من نوركم، وقيل: ذهاب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ، فضرِبَ النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبّر بإذهاب النور عنه، لأن النار نورٌ وحرارةٌ فيذهب نورهم وتبقى الحرارةٌ عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار

وجمعاً. ﴿يَدُّ﴾، أي: في الصيب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب، ولذلك ذكَّره، وقيل: السماء تُذَكَّرُ وتؤنث، قال الله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ يَدُّ﴾ [المزمل: ١٨]، وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿ظَلُمَتِ﴾: جمع ظلمة ﴿وَرَعْدٌ﴾: وهو الصوت الذي يُسْمَعُ من السحاب، ﴿وَرِقٌّ﴾: وهو النار التي تخرج منه . قال عليّ وابن عباس وأكثر المفسرين: الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والبرق لمعانٌ سوط من نور، يزجرُ به الملكُ السحاب، وقيل: الصوت زجر السحاب، وقيل: تسبيح الملك، وقيل: الرعد نطق الملك والبرق ضحكه، وقال مجاهد: الرعد اسم الملك، ويقال لصوته أيضاً رعد، والبرق: مَصْعُ ملك يسوق السحاب، وقال شهْرُ بن

أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكانهم لم ينطقوا بالحق، ﴿عَمِّي﴾، أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق .

﴿١٩﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَسْمِعُهُمْ فِي مَا دَأَبُوهُمْ مِنَ الصُّورِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . قال أصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى آخر: إن شئت مثلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيب، وقيل: أو بمعنى الواو يريد، وكصيب؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ رِيْدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، بمعنى: ويزيدون، والصيب: المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فيعمل، من صاب يصوب، أي: نزل ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ﴾، أي: من السحاب .

قيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً

خَوْشِب: الرعد ملك يزرع السحاب فإذا تبددتْ ضمَّها فإذا اشتدَّ غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل: الرعد انحراف الريح بين السحاب، والأول أصح. ﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعَكُمْ فِيءَءَذَابِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يُغشى عليه، ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء.

رُوي عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللَّهُمَّ لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، أي: مخافة الهلاك، «وَاللَّهُ حَيِّطٌ بِالْكَافِرِينَ»، أي: عالم بهم وقيل جامعهم وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَاطُوكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: أي تهلكوا جميعاً. ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل نصب والخفص، ولا يُميلان: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ يَدْعَى﴾ [البقرة: ٤١].

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، أي: يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل، ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يختلسها، والخطف استلاب بسرعة، ﴿كُلَّمَا﴾: كل حرف جملة، ضم إلى ما الجزاء فصار أداة للتكرار، ومعناها متى ما، «أَنْزَأَهُ لَهُمْ مَسَواً فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا»، أي: وقفوا متحيزين، فالله تعالى شبيهم في كفرهم ونفاقهم

يقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن الساري (لا يُمكنه) المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توفده، فهذا مثلٌ ضربه الله للقرآن، وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خَوْفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والسَّوعِد وذكر الجنة والكافرون يسُدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: القرآن يبهر قلوبهم، وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر الإسلام، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من السَّوعِد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد والوعيد.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعَكُمْ فِيءَءَذَابِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاءً وشدةً هَرَبُوا حَذراً من الهلاك، «وَاللَّهُ حَيِّطٌ بِالْكَافِرِينَ» جامعهم، يعني: لا ينفعهم هَرَبُهُمْ لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، يعني: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة. ﴿كُلَّمَا أَنْزَأَهُ لَهُمْ مَسَواً فِيهِ﴾،

يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلما نالوا غيمَةً وراحةً في الإسلام قَبِتُوا وقالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، «وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ»، يعني: رأوا شدةً وبلاءً ﴿قَامُوا﴾ [أي تأخروا] ووقفوا [أو قعدوا]؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِدُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَرْبًا﴾ [الحج: ١١].

﴿وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾، أي: بأسماعهم كما ذهب بأسماعهم الظاهرة، وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العيز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر، قرأ ابن عامر وحمزة: «شاء»، وجاء، حيث كان بالإماله.

﴿قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾. قال ابن عباس ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو ههنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين.

﴿أَقْبُدُوا﴾: وخذوا. قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد.

﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق، «وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ»، أي: وخلق الذين من قبلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلكم تنجون من العذاب، وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء؛ كما قال:

لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة [تدخل] الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها».

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى المرزوي، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا [أبو] عبدالرحمن بن أبي شريح أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حنجر، أنا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملات ما بينهما ريحاً، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»، صحيح [أخرجه محمد بن عبدالله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد].

عبدالله الصفار، أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا ييزقون، يُلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون النفس، طعامهم الجشاء ورشحهم المسك».

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾: في الجنات ﴿أَزْوَاجٌ﴾: نساء وجوار، يعني: من الحور العين، ﴿مَطَهَّرَةٌ﴾: من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط، والمنى، والولد، وكل قدر، قال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد، وقال الحسن: هن عجائزكم الغمص العُمش طهرن من قدرات الدنيا، وقيل: مطهرة عن مساوىء الأخلاق، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

أنا أبو عمرو عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الثعيمي، أنا محمد بن يوسف الفربري، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة،

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾، أي: من تحت أشجارها ومساكنها ﴿الْأَنْهَارُ﴾، أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم؛ لقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَهَذَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ [الزخرف: ٥١]، أي: بأمرى، والأنهار جمع نهر، سُمِّيَ به لسعته وضياته، ومنه النهار. وفي الحديث: «أنهار الجنة في غير أخدود».

﴿كُلَّمَا﴾: متى ما، ﴿رُزِقُوا﴾: أطمعوا ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، ﴿بَيْنَ ثَمَرَةٍ﴾ أي: ثمرة، وبين: صلة، ﴿رِزْقًا﴾: طعاماً، ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، وقيل: رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَيَوْمَ يُعَدُّ﴾ [الروم: ٤]، قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رُزِقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، ﴿وَأَنزَأُ يَدَهُ﴾ بالرزق، ﴿مُتَشَابِهًا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان مختلفاً في الطعم، وقال الحسن وقتادة: متشابهاً أي يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيّب، وقيل: متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسمي.

أنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبدالله محمد ابن

أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبد الله [بن محمد] بن مسلم أبو بكر الجوريزي أنا أحمد بن الفرغ الحمصي، أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كُريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول:

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا هَلْ مِنْ مُشْمَرٍ لِلجَنَّةِ، وَإِنَّ الجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا وَهِيَ وَرَبُّ الكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهْرٌ مَطْرَدٌ، وَثَمَرَةٌ نُضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ وَمَقَامٌ أَبَدٌ فِي دَارِ سَلِيمَةٍ وَفَاكِهِةٍ خَضْرَاءَ وَحَبْرَةٍ، وَنِعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بِهَيْمَةٍ»، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال: «قولوا: إِنْ شَاءَ اللهُ»، قال القوم: إِنْ شَاءَ اللهُ.

وزوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ جَرْدٌ مُرْدٌ كَحَلِّ لَا يَفْنَى شَبَابَهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابَهُمْ».

وأنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى، أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعيد عن علي قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي الجَنَّةِ لَسَوْقًا لَيْسَ فِيهَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ إِلَّا الصُّورُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةَ دَخَلَ فِيهَا، وَإِنْ فِيهَا لِمَجْتَمَعِ حُورِ الْعَيْنِ يَنَادِينَ،

بصوت لم يسمع الخلاق بمثله نحن الخالدات فلا نبيد أبداً ونحن الناعمات لا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له».

ورواه أبو عيسى عن هناد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري، أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك:

أنا رسول الله ﷺ قال: «إِنْ فِي الجَنَّةِ لَسَوْقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جَمْعَةٍ فَتَهَبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتُحْشَوُ فِي وَجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حَسَنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ زَادُوا حَسَنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ زَادْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ زِدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوَّهَا﴾.

سبب نزول هذه الآية: أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ الذَّلِيلَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿مَثَلُ الذَّلِيلِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الصَّنَابِقِ اتَّخَذَتِ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]،

قالت اليهود: ماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟.

وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلهاً يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، أي: لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ يذكر شيئاً، ﴿مَّا بَعُوضَةٌ﴾، ما: صلة، أي: مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق، سُميت بعوضة كأنها بعض البق، ﴿فَمَا قَوَّهَا﴾، يعني: الذباب والعنكبوت.

وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يُقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. ﴿فَمَا الذَّلِيلُ يَتَمَثَّلُونَ﴾: بمحمد والقرآن، ﴿يَتَمَثَّلُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: المثل هو ﴿الْحَقُّ﴾: الصدق ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الذَّلِيلُ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا؟﴾ أي: بهذا المثل، فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم أجابهم فقال: ﴿يُضِلُّ بِؤْسٍ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من الكفار، وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً، ﴿وَيَهْدِي بِؤْسٍ﴾، أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِؤْسٍ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، قال الله تعالى: ﴿فَسَقَّ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: خرج، ثم وصفهم فقال:

كان قبل الهاء: واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون ﴿أَنْ يُبَيِّنَ هُوَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: وقال ربك، وإذ زائدة وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وإذا حرفا توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا

للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضياً؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَكَبَّرُ بِكَ الَّذِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، يريد وإذ مكر، وإذا جاء [إذا] مع الماضي كانت معناه مستقبلاً؛ كقوله: ﴿إِذَا جَاءَ الظَّالِمُ﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿إِذَا جَاءَ فَصُرَّ﴾ [النصر: ١]، أي: يجيء. ﴿لِلْمَلَكِكَةِ﴾ [والملائكة] جمع ملك، وأصله مالك من المألكة والألوكه والألوك: وهي الرسالة، فقلبت فقيل: ملاك، ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام: فقيل: «ملك» وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض.

﴿٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء، وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء، وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء، ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو، وهي بسكون الهاء إذا

أراد به الأرحام، ﴿وَتَنفِثُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وتعيق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَافِرُونَ﴾: المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:

﴿٣١﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ؟﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين، ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾، نطفاً في أصلاب آبائكم، ﴿فَأَنْخَسِكُمْ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ﴾ عند انقضاء

أجالكم، ﴿ثُمَّ يُصِيبُكُمْ﴾: للبعث، ﴿ثُمَّ إِنَّهُ رُجُومٌ﴾، أي: تُردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم، قرأ يعقوب ﴿رُجُومٌ﴾ [في] كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

﴿٣٢﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء، وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء، وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء، ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو، وهي بسكون الهاء إذا

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَمْسُحُ بِسُوحُوتِكُمْ وَقَدْ سَبَّكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٤﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِكَةِ اسْجُدْوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٩﴾

﴿٣٧﴾ ﴿الَّذِينَ يَنْفُسُونَ﴾: يخالفون ويرتكبون، وأصل النقص الكسر ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿أَسْتَسْتَبْرِيكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويؤمنوا نعته، ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد، ﴿وَيَقَطُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ﴾، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: ﴿تَوَمَّنْ يُبَيِّنْ وَتَكْفُرْ بِبَعْضٍ﴾ وقال المؤمنون: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقيل:

إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال [ويعلون الأودية] وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخرانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب، فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا المُلْك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، فقال الله تعالى له ولجنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: بدلاً منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة، والمراد بالخليفة ههنا آدم سمّاه خليفة لأنه خلف الجن، أي: جاء بعدهم.

وقيل: لأنه يخلفه غيره، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُقْسِدُ فِيهَا﴾: بالمعاصي، ﴿وَسَوْفَكُمُ الرِّمَاءُ﴾ بغير حق، أي: كما فعل بنو الجان فقاوسوا الشاهد على الغائب، وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق [وصلاة البهائم وغيرهما سوى آدميين] وعليها يرزقون.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا حبان بن هلال، أنا وهيب أنا سعيد الجزي عن أبي عبد الله الجسزي عن عبادة بن الصامت عن أبي ذر أن

رسول الله ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وقيل: نحن نصلّي بأمرك، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة، ﴿وَتَقْدِسُ لَكَ﴾، أي: نشني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونظهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: ونزهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم، قرأ أهل الحجاز والبصرة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ بفتح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبلها ألف مفتوحة إلا في مواضع معدودة، ويفتحون في بعض مواضع عند الألف المضمومة والمكسورة، وعند غير الألف، وبين القراء في تفصيله اختلاف.

﴿٣١﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: سُمِّيَ آدَمُ لِأَنَّهُ خَلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ آدَمَ اللَّوْنِ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْبَشْرِ، فَلَمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ.

وذلك أن الملائكة قالوا لما

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة [والجماعة].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علّمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء، قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلسنة فترفقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلسنة، ثم عرّفهم على الملكيّة، إنما قال: ﴿عَرَفْتَهُمْ﴾، ولم يقل عرضها، لأن المسميات إذا جمعت من يعقل وما لا يعقل يكتنى عنها بلفظ من يعقل، كما يكتنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخوص، ولذلك قال ﴿عَرَفْتَهُمْ﴾، ﴿فَقَالَ أَنبِيُّنِي﴾ أخبروني بأسماء هؤلاء، أي الموجودات، وإن كنتم صدّيقين، [في] أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل وأعلم منه، ﴿قَالُوا﴾ فقالت الملائكة إقراراً بالعجز:

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تخبّرها لسك، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْتَنَا، معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ﴾ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل، ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج، فلما ظهر عجزهم:

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَكَادُمْ أَنْبَهُمْ بِأَتْمَارِهِمْ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء [باسمه] وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ يَا مَلَائِكَتِي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما كان منهما وما يكون، لأنه قد قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقر: ٣٠].

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾، قال الحسن وقادة: يعني قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أن إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف، ثم قال للملائكة الذين معه: أرايتم إن قُضِلَ هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته ولئن سلط علي

لأعصيته، فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يعني: ما تُبديه الملائكة من الطاعة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني إبليس من المعصية.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ بضم الشاء على جوار ألف اسجدوا، وكذلك قرأ ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمَرَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، بضم الباء، وضعفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه، واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي من الملائكة، فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه مع جميع الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَمُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، وقوله: ﴿اسْجُدُوا﴾، فيه قولان:

الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل: ﴿وَحَرُّوا لِمُ سَجْدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض إنما كان انحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل معنى قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل، ﴿فَسَجَدُوا﴾ يعني: الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث، فلما

عصى غير اسمه وصورته، فقيل: إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي: يش.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنسان، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة.

وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال قوم: من الملائكة الذين [كانوا] يصوغون جلي أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنأ لاستارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَبَّأً﴾ [الصفات: ١٥٨]، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية. قوله: ﴿أَن﴾ أي: امتنع فلم يسجد، ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾، أي: تكبر عن السجود لآدم، ﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار ﴿وَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله أنه من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاة.

أنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل

وقاسمهما بالله أنه لهما لمن
الناصحين فاغترآ، وما ظنا أن أحداً
يحلف بالله كاذباً فبادرت حواء إلى
أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكل
[منها].

وكان سعيد بن المسيب يحلف
بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو
يعقل ولكن حواء سقت الخمر حتى
[إذا] سكر قادته إليها فأكل، قال
إبراهيم بن ادهم: أورتنا تلك الأكلة
خزناً طويلاً، قال ابن عباس وقناة:
قال الله عز وجل لآدم: ألم يكن
فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن
الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك،
ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك
كاذباً، قال: فبعزتي لأهبطنك إلى
الأرض ثم لا تنال العيش إلا كذاً.
فأهبطا من الجنة، وكانا يأكلان منها
رغداً فعلم صنعة الحديد وأمر
بالحرث فحرث فيها وزرع ثم سقى
حتى إذا بلغ حصد، ثم داسه ثم ذراه
ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله،
فلم يبلغه حتى بلغ ما شاء الله.

قال سعيد بن جببير عن ابن
عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة
التي نهي عنها قال الله عز وجل:
يا آدم ما حملك على ما صنعت؟
قال: يا رب زينته لي حواء، قال:
فإني أعقبته أن لا تحمل إلا كرهاً
ولا تضع إلا كرهاً ودميتها في الشهر
مرتين، فرنت حواء عند ذلك فقيل:
عليك الرنة وعلى بناتك، فلما أكلا
تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما
وأخرجتا من الجنة؛ فذلك قوله
تعالى: ﴿وَلَمَّا أَهبطُوا﴾ أي: انزلوا إلى
الأرض، يعني: آدم وحواء وإبليس

شيء، وقال علي: شجرة الكافور،
﴿فَكُونُوا﴾: فتصيرا ﴿وَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾،
أي: الضارين بأنفسكما بالمعصية،
وأصل الظلم: وضع الشيء في غير
موضعه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، [أي]: استزل
﴿الشَّيْطَانُ﴾ آدم وحواء، أي: دعاهما
إلى الزلة، وقرأ حمزة «فأزالهما»،
أي: نحاها «الشَّيْطَانُ»: فَيَعَالُ من
شطن، أي: بعد، سُمي به لبعده عن
الخير وعن الرحمة، ﴿عَنَّا﴾ عن
الجنة ﴿فَأَنزَلْنَاهَا وَمَا كَانَا فِيهَا﴾: من
النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن
يدخل الجنة لِيُوسِسَ إلى آدم وحواء
فمنعته الخزنة فأتى الحية وكانت
صديقة لإبليس وكانت من أحسن
الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير
وكانت من خزان الجنة، فسألها
إبليس أن تُدخله في فمها فأدخلته
ومرت به على الخزنة وهم لا
يعلمون، فأدخلته الجنة.

وقال الحسن: إنما رآهما على
باب الجنة، لأنهما كانا يخرجان منها
وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى
ما فيها من النعيم قال: لو أن خلدًا،
فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه
الشيطان من قِبَلِ الخُلْدِ، فلما دخل
الجنة وقف بين يدي آدم وحواء
وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح،
نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح،
فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي
عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه
من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما
فاغتما، ومضى إبليس ثم أتاهما بعد
ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على
شجرة الخُلْدِ، فأبى أن يقبل منه

محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو
يزيد محمد بن يحيى بن خالد، أنا
إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير
ووكيع وأبو معاوية، عن الأعمش
عن أبي صالح عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن
آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان
يمكي ويقول: يا ويله أمر ابن آدم
بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت
بالسجود فعصيت فلي النار».

﴿وَلَمَّا يَتَذَكَّرُ﴾
﴿أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةُ﴾، وذلك أن
آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه
فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من
قُصْبِ أَيْ من شقه الأيسر، وسميت
حواء لأنها خلقت من حي،
خلقها الله عز وجل من غير أن
يحس به آدم ولا وجد له ألمًا، ولو
وجد ألمًا لما عطف رجل على امرأة
قط، فلما هب من نومه رآها جالسة
عند رأسه كأحسن ما في خلق الله،
فقال لها: من أنت؟ قالت: زوجتك
خلقني الله لك تسكن إليّ وأسكن
إليك ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾: واسعاً
كثيراً، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: كيف شئتما
ومتى شئتما وأين شئتما، ﴿وَلَا تَقْرَأُ﴾
هَذِهِ الشَّجَرَةَ، يعني: للأكل، قال
بعض العلماء: وقع النهي على جنس
من الشجر.

وقال آخرون: على شجرة
مخصوصة، واختلفوا في تلك
الشجرة، فقال ابن عباس ومحمد بن
كعب ومقاتل: هي السنبل، وقال
ابن مسعود: هي شجرة العنب،
وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال
قتادة: شجرة العلم، وفيها من كل

تلقاه نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي. وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء، قال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة.

وروي المسعودي عن يونس بن خباب وعلمة بن مرثد قالوا: لو أن دموع [جميع] أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة، ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة.

قال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياة من الله تعالى، قوله: ﴿قَتَابَ عَائِي﴾: فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَأْب﴾: يقبل توبة عباده، ﴿الرَّحِيمُ﴾: بخلقه.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا﴾، يعني هؤلاء الأربعة، وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الآخر من السماء الدنيا إلى الأرض، ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، أي: فإن يأتيكم يا ذرية آدم ﴿فَبِي هُدًى﴾، أي: رُشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قرأ يعقوب: «فلا خوف» بالفتح [في] كل القرآن، والآخرون بالصنم والتنوين «فلا خَوْفَ عَلَيْهِمْ» فيما يستقبلونهم «وَلَا

سالمناهن منذ حازتانهن». وروي «أنه نهى عن ذوات البيوت».

وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان».

قوله تعالى: ﴿وَلَكِّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفِرًّا﴾: موضع قرار ﴿وَتَبَّحَّ﴾ بلسغة ومُستمتع ﴿إِلَّا حِينٌ﴾: إلى انقضاء أجالكم.

﴿٣٧﴾ ﴿فَلَمَّا تَلَقْنَا، والتلقي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم، ﴿فَادَمُّ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء، قرأ ابن كثير (آدم) بالنصب (كلمات) برفع التاء، يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته، واختلفوا في تلك الكلمات، فقال سعيد بن جبيرة ومجاهد والحسن: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية.

وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هي قوله لا إله إلا أنت سبحانك ويحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت التواب الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك ويحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال: يا رب أرأيت ما أتيت، أشياء ابتدعته من

فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ بِيَدِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا سَأَلْتُمُونِي أَنِ أَزِيدَ مُمْسِكًا قَالُوا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ لِلْكَافِرِينَ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكُتِبُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَادْكُمُوا مَعَ الرَّكِيِّينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْوُنَ الْكِتَابَ فَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْئَلُ عِبَادِيَ الصَّابِرِينَ وَالصَّابِرُونَ وَالصَّالِحُونَ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَنَّهُمْ يَلْفُوفُونَ رِجْمَهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ بِيَدِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٧﴾

والحية، فهبط آدم بسرديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة، وإبليس بالأيلة، والحية بأصفهان، ﴿بِعَضِّكَ لِيَمِضَ عَدُوٌّ﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ظِهْرِيٌّ﴾ [الأعراف: ٢٢].

أنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد بن الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث:

«أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال: من تركهن خشيةً أو مخافةً نائر فليس مثا»، وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: «ما

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم [في الدنيا]، ولا هم يحزنون في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالقرآن ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

﴿٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُ إِسْرَائِيلُ﴾ يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبدالله، وإيل: وقيل: صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: (إسرائيل) بغير همزة، ﴿أَذْكُرُوا﴾: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكراً وفي الكفر نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿يَسْئَلُ﴾، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا﴾: كقولهم: ﴿أَنْ تَشْكُرُوا﴾، أي: على أجدادكم وأسلافكم.

قال قتادة: هي النعم التي خُصت بها بنو إسرائيل: من فلق البحر، وإنجائهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المَنَّ والسُلوى، وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى.

وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾: أي: بامتثال أمري ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾: بالقبول والشواب، قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة [في قوله]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا فِيهِمْ أَخَاهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٢] إلى أن قال: ﴿لَأُكْفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا قوله: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾، وقال الحسن: هو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل: هو قوله [تعالى]: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الكلبي: عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني إسماعيل نبياً أميناً من اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي معه غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، يعني: أمر محمد ﷺ. ﴿وَأَتَيْنَا فَارُوقَ﴾: فخافوني في نقض العهد، وأثبت يعقوب البيات المحذوفة في الخط مثل (فارهبوني، فاتقوني، واخشوني)، والآخرون يحذفونها في الخط.

﴿٤١﴾ ﴿وَمَا آتَيْنَا بِمَا أَنْزَلْنَا﴾ يعني القرآن، ﴿مُضِدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾، أي: موافقاً لما معكم يعني التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِدِينِهِ﴾، أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود

بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فيتابعكم اليهود على ذلك فتبوا بآثامكم وآثامهم، ﴿وَلَا تَشْفُرُوا﴾، أي: ولا تستبدلوا ﴿بِآيَاتِنَا﴾: ببيان صفة محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ نَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: أي: عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم وبقودهم، فخافوا أنهم إن يتبوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل، فغيروا ثغته وكتبوا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ﴿وَأَتَيْنَا فَارُوقَ﴾: فاخشوني.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، أي: لا تخلطوا، يقال: لَبَسَ الثوبَ يَلْبَسُ لَبْساً، وَلَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ يَلْبَسُ لَبْساً، أي: خَلَطَ، يقال: لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير [صفة محمد ﷺ]، والآخرون على أنه أراد لا تَلْبَسُوا الإسلام باليهودية والنصرانية، قال مقاتل: إن اليهود أقرروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليُصدقوا في ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ الذي تقرون به ﴿بِالْبَاطِلِ﴾، يعني: بما تكتبونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، أي: لا تكتموا، يعني: نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ قَاعُونَ﴾: أنه نبي مرسل.

﴿٤٣﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها

أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سُمِّي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى «على» أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ١٣٢]، ﴿زَيْتًا﴾، ولم يقل وإنهما، رَدَ الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما، كما قال: ﴿كُنَّا لَبَنَاتَيْنِ ۖ مَا أَتَتْ أَكْلَهُمَا﴾ [الكهف: ٣٣]، أي: كل واحدة منهما، وقيل: معناه ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ [وإنه لكبير، وبالصلاة] وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً.

وقال المورج: رَدَ الكناية إلى الصلاة لأنها أعم؛ كقوله تعالى: ﴿وَالذِّبْرُ يَكْبُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُنَّهَا﴾ [التوبة: ٣٤] رَدَ الكناية إلى الفضة لأنها أعم، وقيل: رَدَ الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ولم يقل يرضوهما، لأن رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل.

وقال الحسين بن الفضل: رَدَ الكناية إلى الاستعانة، ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾، أي: لشقيلة ﴿إِلَّا عَلَى النَّفْسَيْنِ﴾، يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَمْشَارُ لِالْزَّجَنِينِ﴾ [طه: ١٠٨]، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله حفيد العباس بن حمزة، أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد، عن أنس بن مالك:

أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبدالله أنا سفيان عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قال أسامة بن زيد:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه أي تنقطع أمعاؤه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا أتبه وأنهاكم عن المنكر وأتبه».

وقال شعبة عن الأعمش: «فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه».

﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد الصبر على

وحدودها، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر، وقيل: من تزكى، أي: تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة لأن فيها تطهيراً وتنمية للمال، ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾، أي صلوا مع المصلين: محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأنه ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، فكانه قال: صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: إعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لهذا أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حث على إقامة الصلاة جماعةً كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالإيمان.

﴿٤٤﴾ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقربيه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ، ﴿وَتَسْوُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: تقرؤون التوراة فيها نعت وصفته، ﴿أَنْتُمْ تَقُولُونَ﴾: أنه حق فتتبعونه، والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يُشد به ركة البعير فيمنعه عن الشرود، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي

بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل أفنديح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وموسى في السنة التي يذبحون فيها، ﴿وَقَدْ ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، قيل: البلاء الميخنة، أي: في سؤمهم إياكم سوء العذاب ميخنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة، أي: في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، وقال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا لِلشَّرِّ وَالْفَخْرِ قَسَمَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾، قيل: معناه فرقنا لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسُمِّيَ البحر ببحراً لاتساعه، ومنه قيل للمفرس: بحر إذا اتسع في جريه.

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط، حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا،

طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً.

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف، فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يُخرجوه معهم فلذلك انسَدَ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أتشدُّ الله كلُّ من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام إلا أخبرني به، ومن لم يعلم به فضمت أذناه عن قلبي، وكان يمر بين الرجلين ينادي [فلا] يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي، فأمره الله تعالى بإيثارها سؤالها، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوف الماء في النيل، فادع الله تعالى حتى [يحسر عنه] الماء،

فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مَرْمَرٍ وحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقتهم وهرون على مقدمتهم، ونذر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من ذم الخيل سوى سائر الشيات.

وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات، وكان فرعون يكون في الدهم، وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة

فنظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نضع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلنا غرقنا؟ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿الشعراء: ٦١ - ٦٢﴾ فأوحى الله إليه ﴿أَنْ أَخْبِرْ بِصَاحِبِ الْبَحْرِ﴾ [الشعراء: ٦٣]،

فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كُتِبَ، فضربه وقال: انفلت يا أبا خالد بإذن الله تعالى، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار [البحر] يبساً فحاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء. أن تشكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلاماً بعض، حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْبِئَكُمْ﴾: من آل فرعون والغرق.

﴿وَأَفْرَقْنَا نَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه متفلقاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبغوا، ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه، وقيل: قالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على خصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق، فتقدمهم وخاض البحر، فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يزونه، ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل، واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم [يشحذهم و]

يسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر [وخرج ميكائيل من البحر] وهم أولهم بالخروج، فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم [عليهم] وأغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو [بحر القلزم طرف من بحر فارس]، قال قتادة: [هو] بحر من وراء مصر يقال له: إساف، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ نَظَرُونَ﴾ إلى مصارعهم، وقيل: إلى هلاكهم.

﴿وَلَوْ وَدَّعْنَا﴾، هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله وعاقبت اللص وطارت النعل، وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر يلفظ المواعدة، وقرأ أهل البصرة «وإذ وعدنا» من الوعد، ﴿مُوسَى﴾: اسم عبري عَرَبٌ و«مو» بالعبرانية الماء «وشى» الشجر، سُمِّيَ به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العبرية، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، أي: انقضاهما ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن [التاريخ] بالليل دون النهار لأن شهور العرب وُضعت على سير القمر، [والهلال إنما يهل بالليل].

وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل النهار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ آيَلٌ فَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يسس: ٣٧]، وذلك أن بني إسرائيل لما آمنوا من

عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، فقال موسى لقومه: إنني ذاهب لميقات ربي آتكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس، يقال له: فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمي واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن مظفر.

وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة - وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر - فلما رأى جبريل على ذلك الفرس، ورأى مواضع قدم الفرس تحضر في الحال قال: إن لهذا شأن، فأخذ قبضة من تربة جازر فرس جبريل عليه السلام، قال عكرمة: ألقي في روعه أنه إذا ألقي في شيء غيروه - وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر فعلة عرس لهم، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السطعري لبني إسرائيل: إن الحلي التي استعتموها من قوم فرعون غثيمة لا تحل لكم فاحرقوها حفرة

فادفنها فيها حتى يرجع موسى، فيرى فيها رأيه.

وقال السدي: إن هارون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفرة، حتى يرجع موسى ففعلوا، فلما اجتمعت الجلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل عليه السلام، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، وخار خورة، وقال السدي: كان يخور ويمشي فقال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَبْلِي﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه ههنا وخرج يطلبه.

وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنهم في تلك العشرة، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل وسمعوا قول السامري: عكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه، وقيل: كلهم عبده إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح.

وقال الحسن: كلهم عبده إلا هارون وحده، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، أي: إلهاً من عبدي، أظهر ابن كثير وحفص الذال من (أخذت، واتخذت)، والآخرين يُدغمونها، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ﴾: محونا

ذنوبكم، ﴿وَبَيْنَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: من بعد عبادتكم العجل، ﴿لَقَلَّمُ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا عفو عنكم وصنعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية، قال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

قال الفضيل: [شكر كل نعمة أن لا يُعصى الله بعد تلك النعمة]، وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. حكى أن موسى عليه السلام قال: إلهي أنعمت عليّ النعم السوابغ وأمرتني بالشكر، وإنما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني، وقال داود: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾، قال مجاهد: هو التوراة أيضاً ذكرها باسمين، وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة، يعني: الكتاب المرفق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن زباب: أراد بالفرقان انفراق البحر؛ كما قال [تعالى]: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾، ﴿لَقَلَّمُ تَشْكُرُونَ﴾، بالتوراة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: الذين عبدوا العجل، ﴿يَقُولُوا إِنَّكُمْ كَلَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: ضررتم بأنفسكم، ﴿وَأَخَذْنَاكُمْ بِالْعِجْلِ﴾: إلهاً.

قالوا: بأي شيء نصنع؟ قال: ﴿فَقُتِبُوا﴾: فارجعوا [إلى باريكم]: خالفكم، قالوا: كيف تنوب؟ قال: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: القتل، ﴿خَبَّرَ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية مُحْتَبِينَ، وقيل لهم: من مدّ حبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعنا؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضباباً وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالوا: يا رب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فتكشفت عن الوف من القتلى، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: القابل للتوبة [منكم] [الرحيم] بخلقه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا

يَتُوسَّئُ كَنْ تُوَسَّئَ لَكَ حَتَّى زَرَى اللَّهُ جَهَنَّمَ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار [موسى] سبعين رجلاً من قومه من خيارهم فقال لهم: صُومُوا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فقال لهم: أفعال فلما ذنا موسى إلى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام، وقال للقوم: اذنوا فذنا حتى دخلوا في الغمام وخرُّوا سجداً، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه، وأسمعهم الله إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا له: لن نُؤْمِنَ لك حتى نرى الله جهرة معاينة، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال: جهرة ليُعلم أن المراد منه العيان، ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الْعَقِوبَةَ﴾، أي: الموت.

وقيل: ناز جاءت من السماء فأحرقتهم، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، أي: ينظر بعضكم [إلى] بعض حين أخذكم الموت، وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع

ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكك خيارهم؟ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأْسِ أَنْتَ بِمَا فَعَلَ الشُّقْقَاءُ بِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل، بعدما ماتوا يوماً وليلة وينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى:

﴿يَوْمَ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث، ﴿يَوْمَ بَعَدَ تَوَكُّفَكُمْ﴾، قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بأجالهم لم يُبعثوا إلى يوم القيامة.

﴿لَتَلَكَّنَّ مِنْكُمْ فِئَةٌ يُسَبِّحُونَ﴾: في التيه تقيم حرّ الشمس والغمام من الغم، وأصله: التغطية والستر، سُمِّي السحاب غماماً لأنه يُغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيّب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يُضيء لهم الليل إذ لم يكن لهم قمر، ﴿وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَةَ﴾، أي: في السبي، والأكثرون: عن أن المَنَّ هو الترنجيبين.

وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقيل وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: * المَنَّ ما يمن الله به من غير تعب. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو نعيم أنا سفيان، عن عبد الملك هو ابن عمير، عن عمرو بن حُرَيْث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال:

قال النبي ﷺ: «الكفأة من المَنَّ وماؤها شفاء للعين».

قالوا: فكان هذا المَنَّ يقع كل ليلة على أشجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المَنَّ بحلاوته، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم، فأنزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني، وقيل: هو السماني بعينه، بعثه الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض والسلوى: العسل فكان الله ينزل عليهم المَنَّ والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين، لأنه لم يكن ينزل يوم السبت. ﴿كُلُوا﴾، أي: وقلنا لهم كلوا: ﴿يَوْمَ لَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾: [من] حلالا، ﴿مَا زُفِّقَكُمْ﴾، ولا تدخروا لغد، ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم، ودود وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: ومسا يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».

٥٨ قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا قَنَا أَنْتَلُوا مَذُو الْقَرْيَةِ﴾، سُميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقرة للحوض لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة، ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: يلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر.

وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام، ﴿فَكَلَّمُوا مِنْهَا حَيْثُ شَقَّتُمْ رَعْدًا﴾: موسعاً عليكم، ﴿وَأَتَلُوا أَبَابَ﴾، يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب ﴿سُجَّدًا﴾، أي: رُكعاً خضعاً منحنين.

وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرياً لله تعالى، ﴿وَوَلُّوا حِطَّةً﴾، قال قتادة: حطّ عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحطّ الذنوب، ورفعها على تقدير: قولوا مسألتنا حطة، ﴿فَنَزَّلْنَا نَارًا

حَطَّيْنَاكُمْ﴾: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة ونافع بالياء وضمها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالثاء وضمها [وفتح الفاء]، وفي الأعراف قرأ جميعاً ويعقوب بالثاء وضمها، وقرأ الآخرون فيهما: بنصب النون وكسر الفاء، ﴿وَسَيَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ثواباً من فضلنا.

٥٩ ﴿مَدَّلْ﴾: فغَيَّرَ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم، وقالوا: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحطة فقالوا بلسانهم: حطانا سقماتاً، أي: حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى.

وقال مجاهد: طَوَّطِءَ لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم فأبو أن يدخلوها سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة في الفعل، كما بدلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر، أنا عبدالرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا حبة في شعرة»، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ﴿هَيْمًا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى..

٦٠ ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: طلب السقيا ﴿بِقَوْمِيهِ﴾، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى [الله] إليه كما قال: ﴿فَقُلْنَا أَتَعْرِيبُ يَعَصَاكَ﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً، واسمها علق، حملها آدم عليه السلام من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاه موسى عليه السلام، قال مقاتل: اسم العصا بنعته، قوله تعالى: ﴿الْحَجَرُ﴾، اختلفوا فيه، قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يستقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بديل أنه عرفه بالألف واللام، وقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل، وكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين، وقيل: كان الحجر رخاماً، وقيل: كان من الكدّان، فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف.

وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل

الهمزة فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة، وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون (النبیین) على الأصل، ﴿يَغْيِرِ الْمَوْتَى﴾، أي: يلا جرم، فإن قيل: فلم قال بغير الحق، وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل: ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق، وهو مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمَرَ بِأَلْوَانٍ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه [تعالى] ينقسم إلى الجور والحق، ويؤرى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار، وقامت (سوق بقتلهم) في آخر النهار، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود سُموا به لقولهم ﴿إِنَّا هُنَا آيَاتُكَ﴾، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، سُموا به لقول الحواريين: ﴿عَنْ أَنْصَارِ اللَّهِ﴾، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها: ناصرة، وقيل لاعتنائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ قرأ أهل المدينة والصبايين والصبايون بترك الهمزة،

والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبأ فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبأ ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سُموا به لخروجهم من دين إلى دين.

قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، قال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم [بين] اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ويجيون مذاكيرهم، وقال قتادة: هم قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة ويقرون بالله تعالى أخذوا من كل دين شيئاً، قال عبدالعزيز بن يحيى: انقرضوا. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على التحقيق.

ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين، مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء السني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ويحيى الراهب ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وبايعه، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من

الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان الاسمان لزمهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالإسلام لأمة محمد ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ استقامة أمرهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمرأ، أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال: بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك.

وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالاستتاهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، إنما ذكر بلفظ الجمع لأن ﴿مَنْ﴾ يصلح للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم يا معشر اليهود، ﴿وَوَقَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾، وهو الجبل

يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا. ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ: أعرضتم ﴿وَبَدَّ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ما قبلتم التوراة، ﴿فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾، يعني: بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم، ﴿لَكُنْتُمْ لَصَرْتُمْ﴾: **وَيَوْمَ الْقَيْٰمِ**: من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل: من المعذبين في الحال كأنه روحهم بالإمهال.

﴿١٥﴾ قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾، أي: جاوزوا الحد، وأصل السبت القطع، قيل: سُمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال.

والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها، حتى لا يُرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يُرى شيء منها، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سُبْحَتِهِمْ شَرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبُوتُ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

ثم إن الشيطان وسوس إليهم

بالسريانية في قول بعضهم، وهو قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن، وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة العرب؛ لقوله تعالى: ﴿قَوْلًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وإنما هذا وأشباهه وقع وفاقاً بين اللغتين.

وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام، فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها للأصار والأثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قِبَل وجوههم وأتاهم البحر المالح من خلفهم، ﴿خُذُوا﴾، أي: قلنا لهم خذوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾: أعطيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجِدِّ واجتهاد ومواظبة، ﴿وَإِذْ كُرُوا﴾: وادرسوا ﴿مَا يَدِي﴾، وقيل: احفظوا واعملوا به ﴿لَمَلِكُمْ تَنْقُورٌ﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في القبي، فإن قبلتم وإلا رخصتكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصار سنة في اليهود لا

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغِينَ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا صُلْحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَمَلِكٌ لَّكُمْ تَنْقُورٌ ﴿١٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا بَدَّ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَوَّامِينَ ﴿١٧﴾ فَمَلَأْنَا كَلْبًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلدِّينِ مَا نَدَّبُوا بِغَيْرِهِ قَالُوا أَتَدْعُونَا هَهُنَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَذِئْتَنَا لِنَارِكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَعْرٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرَعُونَ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَذِئْتَنَا لِنَارِكَ بَيْنَ لَنَا مَا تَوْهَمْنَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَعْرٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْ تَخِفُّونَهَا فَهُنَّ النَّظِيرُونَ ﴿٢٢﴾

وقال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال حفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيثان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسرقون الحيطان إلى الحياض يوم السبت [ولا يأخذونها]، ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون الحياتل والشخوص يوم الجمعة، ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة، فتجروا على الذنب وقالوا: ما نرى السبت إلا وقد أجل لنا، فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلاثة أصناف:

صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسما القرية بجدار عبروا بذلك سنتين فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاونن.

قال قتادة: صار الشبان قردة والشيخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾: أمر تحويل وتكوين، ﴿خَوِيعِينَ﴾: مُبْعِدِينَ مطرودين، قيل: فيه تقديم وتأخير، أي كونوا خاسئين قردة، ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ: الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعد، يقال: خسأته خسأً فخسأ خسوأً، مثل رجعت رجعتاً فرجع رجوعاً.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾، أي: جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿تَكَلَّأً﴾، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين: وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه يكون أنكلاً.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال قتادة: أراد بما بين يديها، يعني: ما سبقت من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة

جزاءً لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيم عن أخذ الصيد، ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾: ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يَسْتَتُوا بسنتهم، ﴿وَمَا﴾ الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبت عبرةً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾ وما يحدث من القرى بعد ليتعظوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: فجعلناها وما خلفها، أي: ما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالاً وجزاءً لما بين يديها، أي: لما تقدم من ذنوبهم باعتبارهم في السبت، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا قَالَ مَوْتِي لِقَوْمِي إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾: البقرة هي الأنثى من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سُميت به لأنها تبقر الأرض، أي: تشقها للحرثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائها، ثم أصبح يطلب ناره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجدحوا فاشتبه أمر القتل على موسى.

قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله لبيبين لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم

موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، ﴿قَالُوا أَنْتِظْنَا هَزْؤًا﴾، أي: تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه.

قرأ حمزة «هزواً وكفواً» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتثقل، وبترك الهمزة حفص. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾، أي: ممن المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكانت تحته حكمة.

وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم اني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عواناً، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك وزئك عجلة أستودعها الله في غيضة كذا انطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل

تَشَبَّهَ عَلَيْنَا، ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر؛ كقوله تعالى: ﴿أَعْبَادٌ تَحَلَّى تُفَعَّرُ﴾ [القمر: ٢٠]، وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه، ﴿وَأِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَكَاهِنُونَ﴾: إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وايُّم الله لو لم يستنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد».

﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ: مذكلة بالعمل، يقال: رجل ذلول بين الذل ودابة ذلول بينة الذل، ﴿تَبْرَأُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ﴿وَلَا تَسْقِي لَحْرَتَ﴾، أي: ليست بساقية، ﴿سَلْمَةَ﴾: بريئة من العيوب، ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾: لا لون فيها سوى لون جميع جلدها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿قَالُوا أَلَكِنَّ يَجْتَنِّي بِالْحَقِّ﴾، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، ﴿فَدَبَّجُوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: من غلاء ثمنها، وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل: وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

﴿٧٢﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَادَ قُلُوبَهُمْ نَسْأًا﴾: هذا أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة، واسم القتييل عاميل، ﴿فَادْرَبَهُمْ فِيهَا﴾، أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف مثل قوله: ﴿أَنَّا قَاتَلْتُمُ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال ابن

عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي: يحيل بعضكم على بعض، من الدرء: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه، ﴿وَأَلَّهَ تُخْرِجُ﴾، أي: مظهر: ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فإن القاتل كان يكتم القتل.

﴿٧٣﴾ ﴿فَقُلْنَا أَمْزُؤُهُ﴾، يعني: القتييل، ﴿بِغَضَبٍ﴾، أي: ببعض البقرة، واختلفوا في ذلك البعض، فقال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: بَعْجَبِ الذنْبِ لَأَنَّهُ أَوْلُ مَا يُخْلَقُ وَأَخْرَمَا يَبْلَى، وَبُرْكَبِ عَلَيْهِ الْخَلْقِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: بِلِسَانِهَا، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: هَذَا أَدَلُّ بِهَا لِأَنَّهُ آلَةُ الْكَلَامِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَعِكْرَمَةُ: بِفَخْذِهَا الْأَيْمَنِ، وَقِيلَ: بَعْضُو مِنْهَا لَا بَعِيْنَهُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فقام القتييل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجه - أي: عروق العنق - تشخب دماً، وقال: قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: «وما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»، وفيه إضمار تقديره فضرب فحبي، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْفُتُوْرَ﴾: كما أحيا عاميل، ﴿وَوَرِيْعَكُمْ أَيَّتِيْمَةً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قيل: تمنعون أنفسكم من المعاصي، أما حكم هذه المسألة في الإسلام إذا وجد قتييل في موضع ولا يعرف قاتله، فإن كان ثم لوث على إنسان، واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا

عن قتييل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وُجد قتييل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه، فادعى الولي على بعضهم، يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تُورِّع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعي عليه إن ادعوا قتل خطأ، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قوَدَ على قول الأكثرين، وذهب بعضهم إلى وجوب القوَد وهو قول عمر بن عبدالعزيز، وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعي عليه لوث، فالقول قول المدعي عليه مع يمينه، ثم هل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان: أحدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى، والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا حكم للوث، ولا يبدأ بيمين المدعي، وقال: «إذا وُجد قتييل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها، والدليل على أن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما أخبرنا به عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن يحيى بن سعيد عن سُئير بن يسار عن سهل بن أبي حنيفة:

أن عبدالله بن سهل ومُحِيصَة بن مسعود: خرجا إلى خيبر فتفرقا لحاجتهما، فقتل عبدالله بن سهل، فانطلق هو وعبدالرحمن أخو المقتول وخويصة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فذكروا له قتل عبدالله بن سهل، فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يميناً وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم»، فقالوا: يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله ﷺ: «فتبرئكم يهود بخمسين يميناً»، فقالوا: يا رسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فعزم النبي ﷺ عقله من عنده. [وفي لفظ آخر: فزعم أن النبي ﷺ عقله من عنده]. قال بُشير بن يسار: قال سهل: لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مَرْد لَنَا؛ وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مرید لنا أخرجه مسلم عن محمد بن المثني عن عبدالوهاب.

وجه الدليل من الخبر: أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين ليقوي جانبهم باللوث، وهو أن عبدالله بن سهل وجد قتيلاً في خيبر، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل خيبر، فكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبداً تكون حجة لمن يقوى جانبه، وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته، وكان القول قوله مع يمينه.

٧٤ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي: يبست وجفت،

جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿ثُمَّ بَدَأَ ذَلِكَ﴾: من بعد ظهور الدلالات، قال الكلبي: قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلباً، ولا أشد تكديباً لئيبهم منهم عند ذلك، ﴿فَنَهَى﴾: في الغلظة والشدة: ﴿كَلِمَاتٍ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾، قيل: أو بمعنى بل وقيل: أو بمعنى الواو؛ كقوله: ﴿يَأْتِيهِ آيٌ أَوْ يُزِيدُوكَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، أي: بل يزيدون أو ويزيدون، وإنما لم يشهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لأن لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، قيل: أراد به جميع الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للاسباط، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَتَّقَّى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾: أراد به عيوناً دون الأنهار، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿وَمِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علم في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء علماً لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية؛ كما قال جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَعْوَةٍ إِذْ يَسْجُدُ لِلْحَمْدِ﴾ [الإسراء: ٤٤]،

وقال: ﴿وَالطَّيْرُ صَدَقَتْ كُلُّ قَدِيمٍ صَلَاتُهُ وَسَبِيحُهُ﴾ [التور: ٤١]، وقال: ﴿الرَّزَّازَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْحَمَرُ﴾ [الحج: ١٨] الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

ويروى أن النبي ﷺ كان على ثبير، والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فإنني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل جزاء: إلي يا رسول الله.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالوهاب النيسابوري، أنا محمد بن إسماعيل الصائغ، أنا يحيى بن أبي بكر، أنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، وإنني لأعرفه الآن»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر.

وصح عن أنس.

أن رسول الله ﷺ: طلع على أحد، فقال: «هذا جبل يُحِبُّنا ونُحِبُّه». وروي [عن أبي هريرة: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ أعْيِي فركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا لحراثة الأرض، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟ فقال

رسول الله ﷺ: «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر» وما هُما ثم، وقال: «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستقدها، فقال الذئب: فمن له يوم السبع، أي: يوم القيامة يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! فقال: أومن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هُما ثم».

وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حراء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبي ﷺ: «اهدأ. أي: اسكن. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، صحيح أخرجه مسلم.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع، أنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن هشام الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس البجلي الرازي، أنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

«كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فمررنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع، أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع

جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول:

«كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك المسارية، وحثت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت».

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا آمن خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَا خَشْيَةً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قوله عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِتَنَزِّلٍ﴾: بساء ﴿عَمَّا تَتَمَوَّنَ﴾: وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالباء.

﴿٧٥﴾ قوله عز وجل: ﴿أَتَقَطُّونَ﴾: أفترجون؟ يريد محمداً وأصحابه، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: يصدقكم اليهود بما تخبرونهم به؟ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْتَمِعُونَ كَأَنَّهُمْ لَمَسُوا﴾: يعني: التوراة، ﴿ثُمَّ يَحْزَنُونَ﴾: يغيثون ما فيها من الأحكام، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾: علموه [كما] غيروا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾: أنهم كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا بعدما سمعوا كلام الله إلى

قومهم رجع الناس إلى قولهم، وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق.

﴿٧٦﴾ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني: ابن مفاقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿قَالُوا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: كإيمانكم، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وهوب بن يهودا، أو غيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهم على ذلك، ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما قص الله عليكم في كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق، والفتاح: القاضي.

وقال الكسائي: بما بيّنه الله لكم من العلم بصفة النبي ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم، ونظيره ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، أي: أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما من الله عليكم وأعطاكم، ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾: ليخاصموكم، يعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟ وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ آمنوا به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم، يعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة،

وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله، وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي ﷺ يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿٧٧﴾ قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ﴾: يخفون، ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾: يبسدون، يعني اليهود.

﴿٧٨﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ الْيَهُودُ﴾، أي: من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع: أمي، منسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة.

أوروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ﴾، قرأ أبو جعفر: «أمانتي»، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفاً، وقراءة العامة بالتشديد، وهو جمع: أمية وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَكْتُبُهَا إِنَّا كَاتِبُونَ﴾، ﴿أَلَمْ نَكْتُبْهَا فِي الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الحج: ٥٢]، أي: في قراءته، قال أبو عبيدة: إلا تلاوته وقراءته عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة، لا

يعرفون معناه، قال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقناة: إلا كذباً وباطلاً، قال الفراء: الأمانى: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت، أي: ما كذبت وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم، ثم أضافها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره، وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمتي وهي

أمانتهم الباطلة التي تمثونها على الله عز وجل، مثل قولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿لَنْ نَسْمَاَ الْكَاثِرَ إِلَّا أَيْكَا مَا تَقْدُرُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿مَنْ أَنْبَأَنَا اللَّهُ وَأَحْسَبُكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]، فعلى هذا تكون إلا بمعنى «لكن»، أي: لا يعلمون الكتاب لكن يشنون أشباهه، لا تحصل لهم، ﴿وَلَنْ هُمْ﴾، وما هم ﴿إِلَّا يَطَّوُّونَ﴾، يعني: وما لهم إلا يظنون ظناً وتوهماً لا يقيناً، قاله قناة والربيع، قال مجاهد: يكذبون.

﴿٧٩﴾ قوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال الزجاج: «ويل» كلمة تقولها العرب لكل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والشبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه،

﴿٧٧﴾ وَأَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِلَّا يَطَّوُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْمًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَسْمَاَ الْكَاثِرَ إِلَّا أَيْكَا مَا تَقْدُرُونَ فَلَا تَأْخُذْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ إِنْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ مِنْ كَسْبٍ سَافِهَةٍ وَأَحْطَلَتْ بِهِ حَظِيظَتُهُ فَأَوْتَيْتُكَ أَصْحَابَ الْكَاثِرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِيَّايَ تَعْبُدُونَ إِحْسَانًا وَرَبِّيَ الْأَقْرَبَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

جبال الدنيا لا يماعث ولذابت من شدة حره.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخليل، أنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الجارث أنه حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قرعه، والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»، ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْمًا قَلِيلًا﴾، وذلك أن

أخبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفة في التوراة، وكانت صفة فيها: حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربة [القامة]، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفة قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه [ويتركرونه]، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ يَأْتِيهِمْ﴾، يعني: [ما] كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعت محمد ﷺ، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من المآكل، ويقال: من المعاصي.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: اليهود ﴿أَنْ مَسَّنا نَكَارٌ﴾: لن تصيبنا النار، ﴿إِلَّا أَنْبَاءاً مَّسْدُودَةً﴾: قدراً مقدراً ثم يزول عنا العذاب [ويعقبه النعيم]، واختلفوا في هذه الآية، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما تعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكذباً لهم، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿أَتَعَذَّبْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ألف استفهام دخلة على ألف الوصل ﴿عَهْدًا﴾ مؤثفاً أن لا يعذبكم إلا هذه المرة، ﴿فَلَنْ يَجْلِبَ اللَّهُ

عَهْدَهُ﴾، وعده، قال ابن مسعود: عهداً بالتوحيد، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، يعني: قوله لا إله إلا الله، ﴿أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَقُولُونَ؟﴾ ثم قال:

﴿بَلَى﴾، وبلى وبلى: حرفاً استدراك، ومعناها نفى الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل. ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئًا﴾، يعني: الشرك ﴿وَأَخْلَطَ بِهِ حَبِيلَتُهُ﴾، وقرأ أهل المدينة «خطيئاته» بالجمع، والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هو الشرك يموت عليه، وقيل: السينة الكبيرة والإحاطة به أن يصرَّ عليها فيموت غير تائب، قاله عكرمة والربيع بن خيشم.

وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما أذنب ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب، وهي الرين، قال الكلبي: أوبقته ذنوبه، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: تهلكوا، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَأُولَئِكَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَأَذِّنْ لِلْبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، بالياء، وقرأ والآخرون بالتاء؛ لقوله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْبًا﴾، معناه أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) صار الفعل مرفوعاً وقرأ أبي بن كعب: «لا تعبدوا إلا الله»، على النهي، ﴿وَيَأْتِيهِمُ الْبُشْرَى﴾، أي: ووصيئناهم بالوالدين، ﴿إِحْسَانًا﴾ بزاً بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالفه أمر الله تعالى، ﴿وَيَذَى الْقُرْآنِ﴾، أي: وبذي القرابة، والقريبى مصدر كالحسنى، ﴿وَأَلْيَتَنِينَ﴾، جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له، ﴿وَالسَّكِينِ﴾، يعني: الفقراء، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْبًا﴾: صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيّنوا صفة ولا تكتموا أمره، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهموم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «حَسَنًا» بفتح الحاء والسين، أي: قولاً حسناً، ﴿وَأَيُّسُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ﴾، وذلك أن قوماً منهم آمنوا، ﴿وَأَسْرَفْتُمْ مَالَكُمْ كِعْرَاضِ آبَائِكُمْ﴾.

﴿وَأَذِّنْ لِلْبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾، أي: لا تريقون، ﴿وَمَاءَ كُمْ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكانكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾، [أي]: لا

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٥﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ فَظَاهِرُونَ عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِ وَالْفُجُورِ
 وَإِن يَأْتِيَكُمُ اسْتِزْنَى فَتَدَّوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجَهُمْ أَفْتَوِيْتُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزَاءُ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَعْدُ الْمُنِظِمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ اللَّهُ الْمَكَّابِ وَلَا يُمْسِرُونَ ﴿٨٧﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ
 بَدْوِهِ بِالنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 أَنْتُمْ كَذِبْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْوِيْتُهُمْ ﴿٨٨﴾

وكانوا يقتتلون في حرب
 سنين، فيقاتل بنو قريظة
 وحلفاؤهم وبنو النضير
 وحلفاؤهم وإذا غلبوا
 خربوا ديارهم وأخرجوهم
 منها، وإذا أسر رجل من
 الفريقين جمعوا له حتى
 يفدوه وإن كان الأسير من
 عدوهم، فتعيرهم العرب
 وتقول: كيف تقاتلونهم
 وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا
 أن نفديهم، فيقولون: فلم
 تقاتلوهم؟ قالوا: إنا
 نستحي أن يستذل
 حلفاؤنا، فعييرهم الله
 تعالى بذلك، فقال: ﴿ثُمَّ

يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دَارِهِ،
 وَقِيلَ: لَا تَسِيثُوا جِوَارَ مِنْ جِوَارِكُمْ
 فَتَلْجِئُوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ بِسُوءِ
 جِوَارِكُمْ، ﴿ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ﴾: بهذا العهد
 أنه حق وقيلتم، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾:
 اليوم على ذلك يا معشر اليهود
 وتقرون بالقبول.

﴿٨٥﴾ قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ
 هَؤُلَاءِ﴾، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء
 للنتيجه، ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي:
 يقتل بعضكم بعضاً، ﴿وَتَخْرُجُونَ
 فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ
 عَلَيْهِمْ﴾، بتشديد الظاء، أي:
 تتظاهرون، أدغمت التاء في الظاء،
 وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
 بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل
 وأبقوا تاء الخطاب؛ كقوله تعالى:
 ﴿وَلَا تَأْوُوا﴾ [المائدة: ٢]،
 ومعناها جميعاً تعاونون، والظهير:
 العيون، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْفُجُورِ﴾:
 بالمعصية والظلم، ﴿وَإِن يَأْتِيَكُمُ
 اسْتِزْنَى﴾، [أو] قرأ حمزة «أسرى»،
 وهما جمع: أسير، ومعناها واحد،
 ﴿تَقْدُّوهُمْ﴾: بالمال وتنقدوهم،
 [أو] قرأ أهل المدينة وعاصم
 والكسائي ويعقوب ﴿تَقْدُّوهُمْ﴾،
 أي: تبادلوهم، أراد مفادة الأسير
 بالأسير، وقيل: معنى القراءتين
 واحد، ومعنى الآية، قال السدي:
 إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل
 في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً
 ولا يُخْرِجُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ،
 وإيما عبد أو أمة وجدتموه من بني
 إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه
 وأعتقوه، فكانت قريظة حلفاء
 الأوس والنضير حلفاء الخزرج،

الْيَمِينَةَ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ، وهو
 عذاب النار، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو
 بكر بالياء، والباقون بالياء.

﴿٨٦﴾ قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ
 الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾: استبدلوا ﴿الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ﴾، يسهون
 ﴿عَنْهُمْ الْمَكَّابِ وَلَا يُمْسِرُونَ﴾، لا
 يُمنعون من عذاب الله عز وجل.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
 آتَيْنَا﴾: أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾:
 التوراة جملة واحدة، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾:
 وأتبعنا، ﴿مِنْ بَدْوِهِ بِالنَّبِيِّ﴾:
 رسولاً بعد رسول، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ
 ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ﴾: السدلات
 الواضحات، وهي ما ذكر الله في
 سورة آل عمران والمائدة، وقيل:
 أراد الإنجيل، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: تويناه
 ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، قرأ ابن كثير
 «القدس» بسكون الدال، والآخرون

تعالى بذلك، وفي
 الآية تقديم وتأخير، ونظمها:
 وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم
 تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان،
 وهو محرم عليكم إخراجهم، وإن
 يأتوكم أسارى فتادوهم، فكان الله
 تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك
 القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة
 عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم،
 فأعرضوا عن الكل إلا الفداء.

قال الله تعالى: ﴿أَفْتَوِيْتُمْ
 بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾،
 قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد
 غيرك فديته. وأنت تقتله بيدك، ﴿فَمَا
 جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾: يا
 معشر اليهود، ﴿إِلَّا جِزَاءُ﴾: عذاب
 وهوان، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فكان
 خزري قريظة القتل والسبي، وخزري
 النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى
 أذرعات وأريحاء من الشام، ﴿وَوَعْدُ

الذي عليه غشاء، معناه: عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥]، وقرأ ابن عباس: «غُلف» بضم اللام، وهي قراءة الأعرج، وهي جمع غلاف، أي: قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك، قاله ابن عباس وعطاء، وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثاً إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه، ولو كان فيه خير لوعته وفهمته، قال الله عز وجل: ﴿كَلِمَاتٌ لَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُبْرِئِينَ مِنْهُمُ إِذِ ابْتِغُوا دِينَ اللَّهِ وَهُوَ لَهُمْ عَرَضٌ﴾ [التوبة: ١٧]، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليل، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي: قليلاً يؤمنون، ونصب (قليلاً) على الحال، وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: قليل يؤمنون [ونصب (قليلاً) بنزع الخافض، و(ما) صلة على قولهما، وقال الواقدي: معناه لا يؤمنون] قليلاً ولا كثيراً؛ كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا، أي: لا تفعله أصلاً.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾: موافق ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: التوراة، ﴿كَانُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، [أي]: من قبل مبعث محمد ﷺ، ﴿سَيِّئُونَ﴾: يستنصرون، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبهام أمرٌ أ

رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله إلى السماء، وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحاً للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يُحيي الموتى، ويُري الناس [به] العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل

له روحاً كما جعل القرآن روحاً لمحمد ﷺ، لأنه سبب لحياة القلوب، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام، قالوا: يا محمد لا مثل عيسى - كما تزعم - عملت، ولا كما يُقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتينا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تُهْوَىٰ أَفْسَاكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم وتعظمت عن الإيمان، ﴿فَقَرِيفًا﴾: طائفة ﴿كُذِّبْتُمْ﴾: مثل عيسى ومحمد ﷺ، ﴿وَقَرِيفًا تَقْتُلُونَ﴾، أي: قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا، وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، جمع أغلف وهو

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَقْنَهُنَّ اللَّهُ عَلَىٰ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٨﴾ بِسْمَا أَشْرُوا بِهِ فَأَسْهَمُ الْكٰفِرِينَ فِي أَسْهُمِهِمْ إِنَّهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ يَبْتَلُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهَا آيَاتٌ وَمَوْعِظَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾

بضمها، وهما لغتان مثل: الرُغب والرُغب، واختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد بالروح [الروح] الذي نفخ فيه، [و] القدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً، نحو: بيت الله، وناقاة الله، كما قال: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ٢٠]، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة، يعني: الروح الطاهرة، سمي روحه قدساً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام، قيل: وصف جبريل [عليه السلام] بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم يقترف ذنباً، قال الحسن: القدس هو الله، وروحه جبريل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ

دهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، يعني: محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتة وصفته، ﴿كَفَرُوا يَدِي﴾: بغياً وحسداً، ﴿فَلَمَسَهُ اللَّهُ عَلَيَّ الْكُفْرِينَ﴾.

﴿بِسْمَا أَشْتَرَا بِوَدِّهِمْ﴾، بس ونعم فعلان ماضيان وضعاً للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بسن الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، وقيل: الاشتراء ههنا بمعنى البيع، والمعنى: بسن ما باعوا به حظ أنفسهم، أي [حين] اختاروا الكفر وبدلوا أنفسهم للنار، ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿بَغِيًّا﴾، أي: حسداً، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه، ﴿أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي: النبوة والكتاب، ﴿عَلَّ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي﴾: محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة «ينزل» بالتخفيف، إلا في «سبحان» في موضعين: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ [الإسراء: ٨٢] و﴿وَحَقَّقْنَا نَزَّلْنَا عَلَيْنَا كِتَابًا مَقْرُونًا﴾ [الإسراء: ٩٣] فإن ابن كثير يشدهما، وشدد

البصريون في الأنعام ﴿عَلَّ أَنْ يُزِيلَ آيَةً﴾ [الأنعام: ٣٧]، زاد يعقوب تشديد ﴿بِمَا يَزُكُّ﴾ في النحل، وافق حمزة والكسائي في تخفيف ﴿وَنَزَّلْنَا الْقَائِلَ﴾ [لقمان: ٣٤] في سورة لقمان وحم عسق، والآخرون يشددون الكل ولم يخلعوا في تشديد ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾ [الحجر: ٢١] في الحجر، ﴿بِقَاءِ وَبَغْيٍ﴾: رجعوا بغضب ﴿عَلَّ عَصَبِي﴾، أي: مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني: بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعمسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ﴾: الجاحدين بنسبة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: مخزٍ يهانون فيه.

﴿٩١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾، يعني: التوراة، يكفيها ذلك، ﴿وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾، أي: بما سواه من الكتب، كقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعِيَ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧]، أي: سواه، وقال أبو عبيدة: بما وراءه أي بما سواه من الكتب، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾، يعني: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا﴾، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾: من التوراة، ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿مَنْ قَتَلَكُمْ﴾، أي: قتلتم، ﴿فَلْيَبْئَسْ اللَّهُ

مِنْ قَبْلِ﴾، و﴿لَمْ﴾ أصله لَمَّا، فحذفت الألف فرقاً بين المخبر والاستفهام، كقولهم فِيمَ وَسِمٍ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بالتوراة، وقد نهيت فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

﴿٩٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، ﴿فَمَنْ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ تَتَابُعِهِ وَأَنْتُمْ كَاللَّاشِرِكِ﴾.

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَوَفَّقْنَا لُوقَكُمْ فِي الطُّورِ حُدُودًا مَّا أَتَيْتُكُمْ بِقُرُونٍ وَاسْمِعُوا﴾، أي: استجبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعاً على المجاورة، لأنها سبب للطاعة والإجابة، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أنزك، وقيل: سمعنا بالأذان، وعصينا بالقلوب، قال أهل الحناني: إنهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان نُسِبَ خَلْقُكَ إِلَى الْقَوْلِ أَتْسَاعًا.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرُونَ﴾، أي: حب العجل، معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخلطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة، يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالصبر، ثم يفرغ في التنهر وأمرهم بالشرب منه، فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحابة الذهب على شاربته، قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ يُعْتَبِرْكُمْ﴾: أن تعبدوا العجل مثل

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾
 وَإِنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا أَيْمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
 وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ يُؤْتِعُهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُمْ بِمُرْسَخِينَ فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْتَمِرُوا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
 مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَاتِ الْبُرْجَانِ بِيَدِهِ وَهَدَىٰ إِلَىٰ سُبُلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾
 مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾
 وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
 أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَاهِدًا نَبَذُوا فَرِيقًا مِنْهُمْ بَلْ كَرِهْتَ لَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴿١٠٠﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

مواه حن إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت، أي: ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

رُوي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات».

﴿٩٥﴾ قال الله تعالى:

﴿وَأَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾، لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون، وأراد ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ بما قدموه من الأعمال، وأضافها إلى اليد [دون سائر الأعضاء] لأن أكثر جنائيات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن لليد فيها عمل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾، السلام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، قيل: هو متصل بالاول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله: ﴿عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، وأراد بالذين أشركوا المجوس، قاله أبو العالية والربيع، سُموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يريد ويتمنى،

﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، يعني: تعبير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم، يقولون: عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك، ﴿وَمَا هُمْ بِمُرْسَخِينَ﴾: بمُباعده، ﴿وَمَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَاتِ الْبُرْجَانِ بِيَدِهِ وَهَدَىٰ إِلَىٰ سُبُلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، [أي]: من النار ﴿أَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾، أي: طول عمره لا ينقذه زحزحه وتزحزح من العذاب (وزحزح) لازم ومتعد، يقال: زحزحته، فتزحزح، وزحزحته: فتزحزح، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حيرا من أحبار اليهود، يقال له عبدالله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: «جبريل»، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لأمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مرارا، كان أشد ذلك علينا أن الله تعالى أنزل على نبينا: أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقته، فانطلق حتى لقيه بباب غلاما مسكينا فأخذه ليقته، فدفع عنه جبريل، وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس، فلماذا نتخذه عدوا، فانزل الله هذه الآية.

وقال مقاتل: قالت اليهود إن

دون الله، أي: بشس إيمان بامرهم بعبادة العجل، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله عز وجل.

﴿٩٨﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم: ﴿لَنْ نَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَصَابًا مَقْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿عَنْ أَتَيْنَا اللَّهَ وَاجْتَوَيْنَا﴾ [المائدة: ١٨]، فكذبهم الله عز وجل والزهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، يعني: الجنة، ﴿خَالِصَةً﴾، أي: خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، أي: فأريده أو اسألوه، لأن من علم أن الجنة

جبريل عدونا لأنه امر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا.

وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرها على مدارس اليهود، فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم كلاماً فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمزون بنا فيؤذونا وأنت لا تؤذينا وإنما لنطمع فيك، فقال عمر: والله ما أتاكم لحبكم ولا أسألكم لأنني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ، وأرى آثاره في كتابكم [وأنتم تكتمونها]، فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل، فقالوا: ذاك عدونا يُطلع محمداً على أسرارنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والمغنم، فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً؟ قالوا: نعم، قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل، قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، قال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لميكائيل فإنه عدو لجبريل، ومن كان عدواً لهما كان الله عدواً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ، فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات، فقال: «لقد وافقك ربك يا عمر»، فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أضلج من الحجر.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ كَانٍ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل، ﴿رَزَاكَةً﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، ﴿عَلَّ قَلْبِكَ﴾: يا محمد ﴿بِآيَاتِنَا﴾، بأمير الله ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما قبله من الكتب، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿٩٨﴾ قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾: خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: ﴿وَرَسُولِهِ﴾، تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَّهُهُ وَغَلَ رِيحَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، [للتفضيل]، والواو فيهما بمعنى «أو»، يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء [فإنه عدوٌ لكل]، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿فَأَنَّكَ اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، قال عكرمة: جبر وميك وإسراف هي العبد بالسريانية، قال وإيل هو الله تعالى، ومعناها: عبدالله وعبدالرحمن، وقرأ ابن كثير «جبريل» بفتح الجيم غير مهموز، بوزن فعليل، قال حسان:

وجبريل رسول الله فينا
ودرج القدس ليس له كفاء
وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة
والإشباع وزن (سلسبيل)، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ أبو عمر ويعقوب وحفص «ميكال» بغير همز، قال جرير:
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد
وبجبرائيل وكذبوا ميكائلا

[وقال آخر]:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر جبريل وميكال
وقرأ نافع وأهل المدينة: بالهمز والاختلاس، بوزن ميفاعل، وقرأ الآخرون: بالهمز والإشباع بوزن ميكائيل، قال ابن صوريا: ما جئنا يا محمد بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات منفصلات بالحلال والتحريم والحدود والأحكام، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن أمر الله عز وجل.

﴿١٠٠﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْكَلْنَا﴾، واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، ﴿عَهْدُوا عَهْدًا﴾، يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنن به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم [آمن الميثاق] وعهد إليهم في محمد ﷺ أن يؤمنوا به، قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا عهد في محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي «أو كلما عاهدوا» فجعلهم مفعولين، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والتضفير، دليله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦]، ﴿بَدَّؤُا﴾: طرحه وتقصه ﴿فَرَّقُوا﴾:

ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف، تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كثر لا تأكلونه أبداً، قالوا: نعم، فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسية فحفروا فأقام ناحية فقالوا له: ادن، قال: لا أحضره، فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، فقال الشيطان لعنه الله: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطيور بهذا، ثم طار الشيطان عنهم، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب واستعملوها، فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: ﴿وَمَا كَفَرَ شَيْئَيْنِ﴾: بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً بالسحر ويعمل به، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمزة (ولكن)، خفيفة النون، (والشياطين)، رفع، وقرأ الآخرون (ولكن)، مشددة النون (والشياطين) نصب، وكذلك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلْبَهُمْ﴾ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَزَقَهُ﴾ [الأنفال: ١٧]، ومعنى ﴿وَلَكِنَّ﴾: نفى الخبر الماضي وإثبات المستقبل. ﴿يُؤْمِنُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، قيل: معنى السحر: العلم والحدق بالشيء، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند

شَيْئَيْنِ، أي: في ملكه وعهده. وقصة الآية: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه، ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات استخرجوها وقالوا: للناس إنما ملكهم سليمان بها فتعلموها، فأما علماء بني إسرائيل وصلحاوهم فقالوا: معاذ الله أن يكون

هذا من علم الله، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة [على] سليمان، فلم يزل هذا حالهم [وفعلهم] حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي، وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها، فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجِن تَعَلَّمُ الغيب، فبعث سليمان في الناس، وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسية، وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِأَقْبَالِ هُتُوتٍ وَمُرُوتٍ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ ذُنُوبٌ فَلَا تَكْفُرُ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقَرُوا لَمَثُوبِيَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَتَّىٰ تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ حَقًّا لَمَا كَانُوا يَجْرِمُونَ ﴿١٠٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِيْعًا وَتُقُولُوا نُظْرًا وَاسْمَعُوا وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابُ آيَةٍ ﴿١٠٣﴾ مَا يَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشِّرْكَاءِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٤﴾

طوائف ﴿بَيْنَهُمْ﴾، من اليهود، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِحَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال الشعبي: كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباج وحلوا بالذهب والفضة ولم يعملوا بها، فذلك نبيهم لها.

﴿١٠٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾، يعني اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدث وتكلم به، ﴿عَلَىٰ مُلْكِ﴾

أهل السنة وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يُخيل ويُمرض وقد يقتل، حتى أوجب التقصاص على من قتل به، فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره، وقيل: إنه يُؤثر في قلب الأعيان فيجعل الأدمي على صورة الحمار، ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل، قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُ لِيَّ مِنْ سِحْرِهِم مَّا أَتَى﴾ [طه: ٦٦]، لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيخمي ويغضب، وربما يُحم منه، وقد مات قوم بكلام سمعوه، فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تُؤثر في الأبدان.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾، أي: ويعملون الذي أنزل على الملكين، أي: إلهاماً وعلماً، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم وقيل: أتبعوا ما أنزل على الملكين، وقرأ ابن عباس والحسن: «الملكين» بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: علجان، لأن الملائكة لا يعلمون السحر، وبابل هي بابل العراق، سُميت بابل لتبديل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود، أي: تفرقتها، قال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة، وقيل: جبل دماوند، والقراءة المعروفة: ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾

بالفتح، فإن قيل: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان، أحدهما: أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر، ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم: بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتها ويتعلم السحر من صنعتها، والتأويل الثاني وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمن شقي يتعلم السحر منهما [ويأخذه عنهما ويعمل به] فيكفر به، ومن سعد يتركه، فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً فيه ابتلاء للمعلم والمتعلم، والله أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم.

قوله عز وجل: ﴿هَارُوتَ وَمُرُوتَ﴾ هما اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين إلا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما، وكانت قصتهما على ما ذكره ابن عباس والمفسرون: أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام، فعَيَّرَهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم، فهم يعصونك بأنواع المعاصي، فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض ورَكِبْتُ فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاخترنا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فاخترنا هاروت وماروت وكانا من أصلح

الملائكة وأعبدهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اخترنا ثلاثة فاخترنا عزا وهو هاروت وعزاي وهو ماروت، غُيِّرَ اسمهما لما قارفا الذنب [وعزائيل]، فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن الشرك والمقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله، فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد مطأطأ رأسه حياة من الله تعالى، وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومئذ، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، قال قتادة: فما مرَّ عليهما شهر حتى افتتنا، قالوا جميعاً، وذلك أنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلما رأياها أخذت بقلوبهما، فراودها عن نفسها فأبى وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فأبى، وقالت: لا إلا أن تعيدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم، وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء، فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قلدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراودها عن نفسها فعرضت عليهما

وبين الماء إلا أربع أصابع، وهما يعدّبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قال له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قالوا: من أي أمة [أنت]؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قالوا: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: الحمد لله وأظهرها الاستبشار، فقال الرجل: وبمّ استبشاركما؟ قال: إنه نبيّ الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحداً و... ﴿صَلَاةٍ﴾، أي: ينصحاه أولاً، ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا أَهْمُنَا مَوْتُنَا﴾، ابتلاءً ومحنة، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾، أي: فلا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختيار والامتحان، من قولهم: فتنن الذهب والفضة، إذا أذبتهما بالنار ليمتيز الجيد من الرديء، وإنما وُحِدَ الفتنة وهما اثنان لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تشي ولا تجمع، وقيل: إنهما يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات، قال عطاء والسدي: فإن أبي إلا التعلم قال له: انت هذا الرماد وأقبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء، فذلك نور المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه، وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافه واحدة.

﴿فَيَتَلَمَّظُونَ مِنْهُمَا مَا يَكْفُرُونَ بِهِ﴾، أي: يتلذذون به وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه، قال الله تعالى:

إلى أنها هي الزهرة بعينها، وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها، فقال: ﴿فَلَا أَيْمُ بِالْحَقِّ﴾ ﴿الْحَوَارِ الْأَكْثَرِ﴾ [التكوير: ١٥]، والتي فتنت هاروت وماروت إنما هي امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها، فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنوب هماً بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حلّ بهما من الغضب فقصدا إدريس النبيّ عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ، وقال له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعدّبان.

واختلفوا في كيفية عذابهما، فقال عبدالله بن مسعود: هما معلّقان بشعورهما إلى قيام الساعة.

وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما منصوبة تحت أجنحتهما، وقال قتادة: كُيِّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقال مجاهد: جعلوا في جب ملئت ناراً.

وقال عمر بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلّقين بأرجلهم مزرقة أعينهما مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما

ما قالت بالأمس، فقالوا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم، وأمون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رأهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس: وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكباً. وقال بعضهم: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها، فقال أحدهما للآخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي من حبّ هذه؟ قال: نعم، فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة، فسألاها نفسها فقالت: لا إلا أن تقضيا لي على زوجي، فقضيا لها ثم سألاها نفسها، فقالت: لا إلا أن لي صنماً أعبيده إن أنتما صليتما معي له فعلت، فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول، قال صاحبه مثله، فصليا معها فمسيحت شهاباً. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: إنها قالت لهما [حين سألاها نفسها]: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا باسم الله الأعظم، قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علمها، فقال: إني أخاف الله [رب العالمين]، قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلمها ذلك، فتكلّمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم

يقع بوزهم لأنه جاء تضليلهم وعيب آلهتهم، [فنزلت الآية فيه].

﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمر بخلاف ما يقوله، إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، كما أخبر الله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ قَالُوا لَوْلَا إِنَّمَا آتَ مُفْتَرٍ﴾ وأنزل ﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [النحل: ١٠١]، فبين وجه الحكمة من النسخ بهذه الآية.

والنسخ في اللغة شيثان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نسخت الشمس الظل، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو المراد من الآية، وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط ونسخ الحكم، مثل آية الوصية للأقارب، وآية عدة الوفاة بالحوال، وآية التخفيف في القتال، وآية الممتحنة، ونحوها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ثبت خطها وبُذِلَ حكمها ومنها: أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها، مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلاً عن المصحف وعن القلوب، كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن

حنيف أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم، قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فغعدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك سورة رُفعت تلاوتها وأحكامها»، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوةً وحكماً، ثم من نسخ الحكم ما يُرفع ويُقام غيره مقامه، كما أن القبلتة نُسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نُسخت بالميراث، وعدة الوفاة سُخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومُصابرة الواحد العشر في القتال، نسخت بمصابرة الاثنتين، ومنها ما يُرفع ولا يُقام غيره مقامه كامتحان النساء، والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار.

أما الآية فقوله: ﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾، قراءة العامة بفتح النون والسين، من النسخ، أي: نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين، من الإنساخت وله وجهان، أحدهما: أن نجعله كالمنسوخ، والثاني: أن نجعله نسخة له، يقال: نسختُ الكتاب، أي: كتبته، وأنسخته غيري: إذا جعلته نسخة له، أو «نُسِيتُها»، أي: نسيتها عن قلبك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى: ﴿سُورًا اللَّهُ فَنَنْسِيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: تركوه فتركهم، وقيل: «نُسِيتُها»، أي: نامر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه،

فيكون النسخ الأول من رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، والإنشاء يكون ناسخاً من غير إقامة غيره مقامه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «أو نُنسأها» بفتح النون الأولى والسين مهموزاً، أي: نوخرها فلا نبذلها، يقال: نسأ الله في أجله ونسأ الله أجله. وفي معناه قولان: أحدهما نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن، جعلناه من النسخة «أو نُنسأها» أي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزل. «نَأَتِ بِحَيْرٍ مَتْنًا»، أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، «أو نُنسأها»: في المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر. «أَلَمْ تَقْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَنَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: من النسخ والتبديل، لفظه استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿أَلَمْ تَقْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَكُمْ مَثَلُ السَّكَوَاتِ وَالْأَرْزِينِ وَمَا لَكُمْ﴾: يا معشر الكفار عند نزول العذاب، ﴿بِئْسَ دُونِ اللَّهِ﴾: مما سوى الله ﴿بِئْسَ وَلِيٌّ﴾: قريب وصديق، وقيل: من وال، وهو القِيم بالأمور، ﴿وَلَا تُصَيِّرْ﴾: ناصر يمتنعكم من العذاب. قوله: ﴿أَلَمْ تُرِيدُوا أَن﴾

تَسْقُوا رَسُولَكُمْ»، نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد اثنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، فقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم: محمداً ﷺ، ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾، سأله قومه [فقالوا]: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ [التنساء: ١٥٣]، وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرأيتنا لله جهنة، فيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين. ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قُضِيَ السَّبِيلُ.

﴿١١٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية.

نزلت في نفر من اليهود، قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت، فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا، وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله تعالى رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلتة وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال

رسول الله ﷺ: ﴿قد أصبتما الخير وأفلحتما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي: تمتى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَمَا نَزَّلْنَا حُكْمًا﴾، نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: يحسدونكم حسداً، ﴿مِن بَعْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾، أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ﴾، في التوراة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق، ﴿فَاعْتَبُوا﴾: فاتركوا ﴿وَأَصْحَابُهَا﴾، وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَدْ صَوَّرَكُمُ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم، حكم لبعضهم بالإسلام وبعضهم بالقتل والسبي والجزية، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١١٣﴾ ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، ﴿وَمَا تَقْوَمُ﴾: تسلفوا ﴿لِأَشْيِكُمْ﴾: ينحرفوا، ﴿مِن حَيْرٍ﴾: طاعة وعمل صالح ﴿تَجِدُونَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [تجدوا ثوابه عند الله]، وقيل: أراد بالخير المال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأراد: من زكاة أو صدقة ﴿تَجِدُونَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حتى

الثمرة واللحمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿١١٤﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾، أي: يهودياً، قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش اليهود: جمع هائد، مثل غافد وعود وحائسل وحول، ﴿أَوْ نَصْرَانًا﴾، وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين [دين] اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية، وقيل: نزلت في وفد تجران وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فكذب بعضهم بعضاً، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، أي: شهواتهم الباطلة التي تمسوها على الله بغير الحق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هَاتُوا﴾، أضلته: أتوا، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: حججكم على ما زعمتم، ﴿إِنْ كُفِّرْتُمْ سَكُونُ﴾، ثم قال رداً عليهم:

﴿١١٥﴾ ﴿بَلْ مَن آتَمَّ وَجْهَهُ﴾، أي: ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لِلَّهِ﴾، [أي: اختلص دينه لله]، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يسخل بسائره جوارحه، ﴿وَمَنْ حَسَنٌ﴾: في عمله، لو قيل: مؤمن، وقيل: مخلص، ﴿فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا حَوْثٌ مِّنْهُم وَلَا هُمْ يُعْرَضُونَ﴾.

[وَأَعْتَى] ﴿مَنْ مَنَّ مَنَعٌ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾،
يعني: بيت المقدس ومحاربه ﴿أَنْ
يَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى﴾ عمل ﴿فِي
حَرَابِهَا أَوْلِيَّتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا
إِلَّا خَائِفِينَ﴾، وذلك أن بيت
المقدس موضع حج النصارى ومحل
زيارتهم، قال ابن عباس رضي الله
عنهما: لم يدخلها، يعني بيت
المقدس، بعد عمارتها رومي إلا
خائفاً لو علم به قتل، وقال قتادة
ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد
من النصارى إلا متنكراً لو قدر عليه
لعُوقب، قال السدي: أخيفوا
بالجزية. وقيل: هذا خير بمعنى
الأمر، أي: أجهضوهم بالجهاد حتى
لا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً من
القتل أو السبي، أي: ما ينبغي،
﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَرْزٌ﴾: عذاب
وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي
والجزية للذمي، قال مقاتل والكلبي:
يفتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية
ورومية وعمورية، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وهو النار، وقال
عطاء وعبدالرحمن بن زيد: نزلت
في مشركي مكة، وأراد بالمساجد
المسجد الحرام منعوا
لرسول الله ﷺ وأصحابه من حجه
والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا
لرسول الله ﷺ من أن يعمره بذكر
فقد سعوا في خرابه، ﴿أَوْلِيَّتِكَ مَا
كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾،
يعني: أهل مكة، يقول أفتحها
عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى
بها منهم، ففتحها عليهم. و أمر
النبي ﷺ منادياً ينادي: «ألا لا
يحجج بعد هذا العام مشرك»، فهذا

مجاهد: يعني عوام
النصارى، وقال مقاتل:
يعني مشركي العرب،
كذلك قالوا في نبيهم
محمد ﷺ وأصحابه:
أنهم ليسوا على شيء من
الدين، وقال عطاء: أمم
كانت قبل اليهود
والنصارى، مثل قوم نوح
وهود وصالح ولسوط
وشعيب عليهم السلام،
قالوا لنبيهم: إنه ليس على
شيء، ﴿فَأَلَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يقضي بين
المحق والمبطل، ﴿وَمَا
كَأُفَا فِيهِ يَحْتَلِفُونَ﴾: من الدين.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مَن مَنَّ مَنَعٌ
مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ﴾، الآية نزلت في
طيطوس بن إسبيسانوس الرومي
وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني
إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا
ذرائعهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت
المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا
فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه
المسلمون في أيام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، وقال قتادة والسدي:
هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود
وخرّبوا بيت المقدس، وأعانهم على
ذلك النصارى طيطوس الرومي
وأصحابه من أهل الروم، قال
السدي: من أجل أنهم قتلوا
يحيى بن زكريا، وقال قتادة:
حملهم بغض اليهود على معاونة
بختنصر البابلي المجوسي، فانزل الله
تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أي: أكفر

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مَن مَنَّ مَنَعٌ مَسْجِدَ
اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي حَرَابِهَا أَوْلِيَّتِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَرْزٌ
وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الشَّرِيفُ الْغَرِيبُ
فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عِلْمُهُ
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قَدِينٌ ﴿١١٥﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدِيبًا آتَيْنَا لِقَوْمِهِمْ قُورَيْشٌ ﴿١١٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تَسْتَكْبِرُ عَنْ هَٰذَا عَنْ أَصْحَابِ الْحَجَرِ ﴿١١٨﴾

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ
النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾، نزلت في يهود
المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك
أن وفد نجران لما قدموا على
النبي ﷺ أتاهم أبحار اليهود فتناظروا
حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت لهم
اليهود: ما أنتم على شيء من
الدين، وكفروا بعمسى والإنجيل،
وقالت لهم النصارى: ما أنتم على
شيء من الدين، وكفروا بموسى
والتوراة، فانزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ
النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، وكلا الفريقين
يقروون الكتاب، وقيل: معناه ليس
في كتبهم هذا الاختلاف، فدل
تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه
على كونهم على الباطل، ﴿كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: آباءهم
الذين مضوا، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، قال

خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

﴿١١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الشُّرُكُ وَاللَّعْنَةُ فَأَيُّ تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحزوا القبلة وصلوا، فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا، وأنهم مخطئون في تحزبهم، فلما قدموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية.

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحته.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحته في السفر حيث ما توجهت به.

وقال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة، قال أبو العالية: لما صرفت القبلة إلى الكعبة وعيرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مجاهد والحسن: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[غافر: ٦٠]، قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الشُّرُكُ وَاللَّعْنَةُ﴾ [البقرة: ١١٥]، ملكاً وخلقاً ﴿فَأَيُّ تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾، يعني: أينما تحولوا وجوهكم ﴿فَمَنْ﴾، أي: هناك وجه الله، قال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أي: إلا هو، وقال الحسن ومجاهد وقاتة ومقاتل بن حبان: فثم قبلة الله، والوجه والوجهة والجهة: القبلة، وقيل: رضا الله تعالى: ﴿اللَّهُ رَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: غني يعطي من السعة، قال الفراء: [الواسع]: الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع المغفرة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتهم حيث ما صلوا ودعوا.

﴿١١٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، قرأ ابن عامر قالوا اتخذ الله بغير واو، وقرأ الآخرون بالسواو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَكَ﴾، بزة وعظم نفسه.

أخبرنا عبدالواحد الخليلي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن عبدالرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«قال الله تعالى: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً، قوله تعالى: ﴿بَلْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عبداً وملكاً، ﴿كُلُّ لَكُمْ قَيْنُونَ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون، وقال عكرمة ومقاتل: مُقَرَّوْنَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام.

قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت».

واختلفوا في حكم الآية، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزيز المسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق، لأن لفظ كل يقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء، ثم سلكوا في الكفار طريقتين، فقال مجاهد: يسجد ظلالم لله على كره منهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّامٌ لِّمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقال السدي: هذا يوم القيامة، دليله: ﴿وَعَسَى الْوَجُوهُ لِلَّهِ الْقِيُومِ﴾ [طه: ١١١]، وقيل: ﴿قَيْنُونَ﴾: هذلولون مسخرون لما خلقوا له.

﴿١١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿بِإِيجِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: مبدعهما ومنشئهما من غير مثال سبق، ﴿وَرِزًّا﴾ قَصَّ آمراً، أي: قسده، وقيل:

إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١١٨﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله عز وجل: ﴿بَشِيرًا﴾، أي: مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالشواب الكريم، ﴿وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب: ﴿وَلَا تَسْأَلُ﴾: على النهي.

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبوي»، فنزلت هذه الآية، وقيل: هو على معنى قولهم: لا تسأل عن [شراً] فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون «ولا تسأل» بالرفع، على النفي بمعنى: ولست بمسؤول عنهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَمَكَانُكَ الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْمَجِيزِ﴾، والجحيم معظم النار.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِيَدِهِمْ قُلُوبَهُمْ﴾، وذلك أنهم [كانوا] يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعون في أنه إن أمهلهم أتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرضون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلي إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى

مخالفة كان كالموجود، فصح الخطاب:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِيَدِهِمْ قُلُوبَهُمْ﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿لَوْ لَا﴾: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عياناً بأنك رسوله، وكل ما في القرآن ﴿لَوْ لَا﴾ فهو بمعنى هلا إلا واحداً وهو قوله: ﴿لَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣]، معناه فلم لم يكن، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾:

دلالة وعلامة على صدقك [في ادعائك النبوة]، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كفار الأمم الخالية، ﴿بِمَثَلِ قَوْلِهِمْ فَشَكَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال، ﴿فَقَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالصدق؛ كقوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، أي: صدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن دليله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥]، وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، دليله: قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثاً إنما أرسلناك بالحق، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِيَدِهِمْ قُلُوبَهُمْ هَذِهِ آيَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَكِنْ اتَّخَذَتْهُمُ آيَةُ اللَّهِ جَاءَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ وَأُولَئِكَ يُوْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَافِرُونَ ﴿١٢٠﴾ بَيِّنَاتٍ لِيُنذِرَ بِلِذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَاتَّبِعُوا مَقَامَ مَا قَالُوا وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكُمْ فَأَتَمَّهُمْ قَالُوا إِنَّا جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالُوا وَمِنْ رَبِّنَا قَالَ لَا يُنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتِنَا مِثَابًا لِلنَّاسِ وَأَنَا وَآخِذٌ بِمِثَابِ الْمُنَافِقِينَ فَصَلِّ رُحْمَةً وَأَنَا إِلَى إِلَهِ رَبِّهِمْ وَاسْتَسْمِعِمْ أَنْ طَهَّرَ آيَاتِي لِلظَّالِمِينَ وَالْمُكذِّبِينَ وَالرَّكَّعِ الشُّجُورِ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّهُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً وَأَنْزِلْ فِيهِ أَهْلًا مِمَّنْ تَرْضَى مَنْ آمَنَ بِرَبِّهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ قَالُوا وَمَنْ كَفَرَ فَأَتَيْنَاهُ فَيَلَا تُمْ أَنْظِرُهُ وَإِنَّ عَذَابَ النَّارِ يُرْسَلُ لِلنَّاصِرِ ﴿١٢٥﴾

أحكمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات، قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديراً أو تدبيراً، ﴿إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون في جميع المواضع إلا في آل عمران ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠]، وفي سورة الأنعام: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ قوله ﴿الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً وقرأ الآخرون بالرفع على معنى: فهو يكون، فإن قيل: كيف قال: ﴿إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ والمعدوم لا يُخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: فإنما يقول له، أي: لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو إن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا

﴿فَأَنذَرْتَهُمْ﴾ قال قتادة: أذاهن، وقال الضحاك: قام بهن، وقال نعمان: عمل بهن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاءْتُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: يُقْتَدَى بِكَ، فِي الْخَيْرِ ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾، أَي: وَمَنْ أَوْلَادِي أَيْضًا فَاجْعَلْ مِنْهُمْ أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، [قَالَ] اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّالُ﴾: لَا يَصِيبُ ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قَرَأَ حَمْزَةً وَحَفْصٌ بِإِسْكَانِ الْيَاءِ وَالْباقُونَ بِفَتْحِهَا، أَي: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ظَالِمًا لَا يَصِيبُهُ، قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ: عَهْدِي رَحْمَتِي، وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَبِيِّتِي، وَقِيلَ: الْإِمَامَةُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَيْسَ لظالم أَنْ يُطَاعَ فِي ظُلْمِهِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا يَنَالُ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا مِنْ وَلَدِكَ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْعَهْدِ الْأَمَانَ مِنَ النَّارِ، وَبِالظَّالِمِ الْمُشْرِكِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَآلَهُمْ بِرِئَاسَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿١٢٥﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْآيَةَ﴾، يَعْنِي: الْكَعْبَةَ، ﴿لِلنَّاسِ﴾: مُرْجِعًا لَهُمْ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَحْتَجُّونَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَعَاذًا وَمَلْجَأً، وَقَالَ قَتَادَةُ وَعُكْرُمَةُ: مُجْمَعًا، ﴿وَأَيُّهَا﴾، أَي: مَأْمَنًا يَأْمَنُونَ فِيهِ مِنْ إِيْذَاءِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَيَقُولُونَ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ حَوْلَهُ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَيْثُ مَا رَأَيْنَا وَمَنْ يَخْتَفِئُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا

أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبدالله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه»، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، ﴿مِنْ مَقَارِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، قال ابن يمان: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجله بيناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم، ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى عن حميد، عن أنس قال:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت الله في ثلاث، أو وافقتني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِنْ مَقَارِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البئر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن فقلت لهن: إن انتهيتن أو لبيدتهن لله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ أَرْزَاقًا خَيْرًا مِمَّا مَنَّكَ﴾ [التحریم: ٥] الآية،

ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عوف أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِنْ مَقَارِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وأما بدء قصة المقام.

فقد روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر وضعهما بمكة، وأنت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة و[قد] ماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم مكة وقد ماتت هاجر

فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب للصيد، وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة وسألها عن عيشهم، فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فاقترنيه [مني] السلام وقولي له: فليغتر عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ربح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال أقرني زوجك [مني] السلام وقولي له فليغتر عتبة بابه، قال: ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج منهم بأخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وهو يسجيء الآن إن شاء الله، فأنزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم فقالت: نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز وبر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برأ أو شعيراً أو تمرأ، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعتة عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه

الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر، فبقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فاقترنيه [مني] السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل وجد ربح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ كبير أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه، فقتل ذلك إبراهيم [النبي أبي]، وأنت العتية أمرني أن أمسكك.

وروي عن سعيد بن جبيرة أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم لبثت عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحت دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعاً كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تعيني عليه، قال: أعينك عليه، قال: إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا ما مسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب».

قوله عز وجل: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾، أي: أمرناهما وأوحينا إليهما، قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولد، ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رُزق الولد سمّاه به. ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَكَ﴾، يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً، أي: ابنائه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبيرة وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور، وقيل: بخره وخلقه، قرأ أهل المدينة وحفص ﴿بَيْتِكَ﴾ يفتح الباء ههنا وفي سورة الحج [٢٦]، وزاد حفص في سورة نوح [٢٨]، ﴿الطَّاهِرِينَ﴾: السائرين حولها، ﴿وَالْمُكْرِمِينَ﴾: المقيمين المجاورين، ﴿وَالْأَشْجَعِ﴾، جمع راعع، ﴿الشُّجُورِ﴾: جمع ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: (الطائفين): هم الغرياء والعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد عكرمة: الطواف للغرياء أفضل، والصلاة لأهل مكة أفضل.

﴿وَلَا تَأَلَّوْا بِهِ﴾ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾، يعني: مكة، وقيل: الحرم، ﴿بَلَدًا آيَاتًا﴾، أي: ذا أسن يأمن فيه أهله، ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ أَرْضِكَ﴾، إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص: أن الطائفت كانت من بلاد الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قلغها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه فمئها أكثر ثمرات مسكنة، ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾: دعاء للمؤمنين خاصة،

وُلد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يُذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يُبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت، وهي ریح حجوج لها رأسان شبه الحية، فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة، فتطوّت السكينة على موضع البيت، كتطوى الحجفة. هذا قول علي والحسن، وقال ابن عباس: بعث الله سحابة على قدير الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة، ووقفت على موضع البيت، فنودي منها إبراهيم أن ابن علي قدير ظلها لا تزد ولا تنقص، وقيل: أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، فكان إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، يعني أسسه، واحدهتا: قاعدة، وقال الكسائي: جُدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل طورسيناء وطورزيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة، وبنيا قواعده من جراء وهو جبل بمكة، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود، قال لإسماعيل: اثنتي بحجر حسن يكون للناس حكماً فاتاه بحجر، فقال: اثنتي بأحسن من هذا، فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود

قال الرواة: إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فلدحت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش، فكشا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوته، من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول

عرشي وتصلني عنده كما يصلني عند عرشي، وأنزل الحجر وكان أبيض فاسود من لمس الحيفض في الجاهلية، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقبض الله له ملكاً يده على البيت، فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: بُرَّ حُجُك يا آدم، لقد حججتنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال ابن عباس رضي الله عنه: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه، فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبا الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما

وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ مِنْ دُونِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَتُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ رَعَى عَنْ مَلَأُ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ امْطَقْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّلَاحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُمْ شُهَدَاءُ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ النَّوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَنْهَا فَكُونُوا الصَّادِقِينَ ﴿١٣٤﴾

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَتَمَّعَهُ﴾، قرأ ابن عامر ﴿فَأَتَمَّعَهُ﴾ خفيفاً بضم الهمزة، والباقون مُشَدِّدًا، ومعناها واحد، ﴿قِيلًا﴾، أي: سأرزق الكافر أيضاً قليلاً إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيّد بالقلة لأن متاع الدنيا قليل، ﴿ثُمَّ امْطَرْنَاهُ﴾، أي: السجته في الآخرة: ﴿إِلَّا عَذَابَ النَّارِ وَيُؤَسِّرُ﴾، أي: المرجع يصير إليه، قال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أنا الله ذو بركة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر وحزمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حتفاء، يأتيتها رزقها من ثلاثة سبل، مُبارك لها في اللحم والماء.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾،

فوضعه مكانه، وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور، وُسِّمَ الضراح، وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل: أول من بنى الكعبة آدم، واندرس زمن الطوفان، ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه، ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا﴾، فيه إضمار، أي: وقولان: ربنا تقبل منا بناءنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾، لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾: بياتنا.

﴿١٢٨﴾ ﴿رَبَّنَا وَأَعْمَلْنَا شُرُكًا لِّكَ: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿وَمِن دُرِّيَّتَيْنَا﴾، أي: أولادنا ﴿أُمَّة﴾: جماعة، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿سُئِلَ لَكَ﴾: خاضعة لك، ﴿وَأَرْوَاهُ﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء، وأبو عمرو بالاختلاس، والباقون بكسرهما، ووافق ابن عامر وأبو بكر في الإسكان في حم السجدة، وأصله: أرثنا، فحذفت الهمزة طلباً للخفة، ونقلت حركته إلى الراء، ومن سكنها قال: ذهب الهمزة فذهبت حركتها، ﴿مَنَائِكَا﴾: شرائع ديننا وأعلام حجنا، وقيل: مواضع حجنا، وقال مجاهد: مذابحنا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأرهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسُمِّيَ الوقت عرفة والموضع عرفات. ﴿وَبُئِيَ طَائِفًا﴾، تجاوز عثنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٢٩﴾ ﴿رَبَّنَا وَأَبْتَّ فِيهِمْ﴾، أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿رَسُولًا مِنِّيهِمْ﴾، أي: مرسلًا منهم، أراد به محمداً ﷺ.

حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس البلخي، أنا الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أنا محمد بن المكي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا ابن أخي ابن وهب أنا عمي أنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية:

عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طيبته، وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام».

وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولا منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. ﴿يَتْلُوا﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾، كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه، وقيل هي جماعة حروف، يقال خرج القوم بأيتهم، أي: بجماعتهم، ﴿وَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ﴾،

يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواظ القرآن وما فيه من الأحكام. وقال ابن قتيبة: هي العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي [الأحكام أو] القضاء، وقيل: الحكمة الفقه، قال أبو بكر بن يزيد: كل كلمة وعظمتك أو دعنتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، ﴿وَرَفَعَهُمْ﴾، أي: يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال ابن عباس: العزيز: الذي لا يوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم، بيانه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء، وقيل: القوي، والعزة القوة، قال الله تعالى: ﴿عَزَّزْنَا بِنَاوِي﴾ [يس: ١٤]، أي: قوينا، وقيل: الغالب، قال الله تعالى إخباراً: ﴿وَعَزَّزْنَا فِي الْخَطَابِ﴾ [ص: ٢٣]، أي: غلبني، ويقال في المثل: من عزَّزَ، أي: من غَلَبَ سَلَبَ.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِّي﴾، وذلك أن عبداً بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عز وجل قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن

لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يُسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْضَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء إذا أراه، ورغب عنه إذا تركه، وقوله ﴿وَمَنْ﴾: لفظة استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ، يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضلَّ من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكل سفيه جاهل، وذلك أن مَنْ عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه، وفي الأخبار: أن الله تعالى أوحى إلى داود: اعرف نفسك واعرفني، فقال: يا رب كيف أعرف نفسي وكيف أعرفك؟ فأوحى الله إليه: اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء. وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، و﴿نَفْسَهُ﴾ على هذا القول: نصب بنزع حرف الصفة، وقال الفراء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهت نفسه، فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه، كما يقال: ضقت به ذرعاً أو ضاق ذرعني به، ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي آدْنِيًّا﴾: اخترناه في الدنيا، ﴿وَرِئِيَّةُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾، يعني: مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن

الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي آدْنِيًّا﴾ والآخرة وأنه لمن الصالحين.

﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِمْ، أي: استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلماً، قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه، ﴿قَالَ أَتَمَلَّكُ رِبِّيَ الْمَلَكِينَ﴾، أي: فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار.

﴿١٣٢﴾ وَوَعَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ، قرأ أهل المدينة والشام: «أوصى» بالألف، وكذلك [هو] في مصاحفهم، وقرأ الباقون ﴿وَوَعَىٰ﴾ مشدداً، وهما لغتان مثل أنزل ونزل معناه: ووصى إبراهيم [بنيه] ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت زددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية، أي: وصى إبراهيم بنيه الثمانية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنظورا بنت يقطن الكنعانية، تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة، ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوب على أثره أخذاً بعقبه، قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه، يعني ووصى

أيضاً يعقوب بنيه الاثني عشر ﴿يَعْقُوبَ﴾، معناه أن يا بني: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ﴾: اختار ﴿لَكُمْ الَّذِينَ﴾، أي: دين الإسلام، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، مؤمنون، وقيل: مخلصون، وقيل: مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: أنه قال ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي: محسنون بربكم الظن.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال:

سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل».

﴿١٣٣﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾، يعني: أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألس تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود.

وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران،

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِنَّ ءَأَمَنُوا بِمِلَّةِ مَا ءَأَمَنَ بِهِ فَعَدَّاهُمْ وَأُولَئِكَ أَتَيْنَاهُمُ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَإِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٤٠﴾ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤١﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَثْرَةِ شَهَادَتِهِ عِنْدَ رَبِّكَ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشْعَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾

فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِيُنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟﴾ قال عطاء: إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الحياة والموت، فلما خير يعقوب قال: يا رب أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل [الله] ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من؟ ﴿قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَاتَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، وكان إسماعيل عمأ لهم، والعرب تسمي العم أباً كما تسمي الخالة أمأ. قال النبي ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه».

وقال في عمه العباس: «ردوا عليّ أبي فإنني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»، وذلك أنهم قتلوه. ﴿إِلَٰهَا وَحِيدًا﴾، نصب على البدل من قوله: ﴿إِلَٰهَكَ﴾، وقيل: نعبد إلهاً واحداً، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من العمل، ﴿وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [من القول والعمل] ﴿وَلَا تُشْعَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يعني: يستل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾، قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل

فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى نبينا [عيسى] أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا

ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، بل تتبع ملة إبراهيم، وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء كأنه يقول: أتبعوا ملة إبراهيم، وقيل: معناه بل تكون على ملة إبراهيم، فحذف على فصار منصوباً، ﴿حَنِيفًا﴾، نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة نصب على القطع، أراد به ملة إبراهيم الحنيف، فلما أسقطت الألف واللام لم يتبع المعرفة النكرة فانقطع منه، فَنَصِبَ.

قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلا دين الإسلام، وأصله من الحنفت وهو ميل وعوج يكون في القدم، وقال سعيد بن جبير: الحنيف هو الحاج المختن، وقال الضحاك: إذا

كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الحنيفة الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والسخالات وإقامة المناسك، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثم علم المؤمنين طريق الإيمان، فقال جل ذكره:

﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو عشر صحف، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطاً: واحد هم: سبط، ستموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما: سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من

العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء. ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ﴾، يعني: التوراة، ﴿وَعِيسَىٰ﴾، يعني: الإنجيل، ﴿وَمَا أَوْقَىٰ﴾: أعطي ﴿الْبَيْتُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَعْمَلٍ مِنْهُمْ﴾، أي: نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿وَتَحْنُ لَمْ تُسَلِّمُون﴾، وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر، أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَأَمَّكَ بِاللَّهِ﴾» الآية.

﴿١٣٧﴾ ﴿فَإِنْ ءَأَمَّنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ﴾، أي: بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، و (المثل) صلة؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به، أي: أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتحديدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم، والباء زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَزَبَ إِلَيْكَ يَجْعَلُ آلَتَهُ﴾ [سريم: ٢٥]، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم:

﴿فَتَدَّ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أي: في خلاف ومنازعة، قاله ابن عباس وعطاء، يقال: شاق مشاقفة إذا خالف، كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ [هود: ٨٩]، أي: خلافي، وقيل: في عداوة، دليله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَوْا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣]، أي عادوا الله ﴿سَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: يا محمد، أي يكفيك شر اليهود والنصارى، وقد كفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿وَهُوَ السَّيِّئُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْمَكِيدُ﴾ بأحوالهم.

﴿١٣٨﴾ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقناة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال ابن عباس: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له: المعمودية، وصبغوه به ليظهوره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء، يعني: الزموا دين الله، قال الأخفش: هي

بدل من قوله ﴿بَلَدًا إِذْ يَبْرَهُ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ديناً، وقيل: تطهيراً، ﴿وَتَحْنُ لَمْ يَعْبُدُون﴾: مطيعون.

﴿١٣٩﴾ ﴿قُلْ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿أَتَمَّاجُونَنَا فِي اللَّهِ﴾، أي: في دين الله، والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم، فقال الله: ﴿قُلْ أَتَمَّاجُونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم، ﴿وَلَقَدْ أَفْغَلْنَا وَلَكُمْ أَفْغَلِكُمْ﴾، أي: لكل واحد جزء عمله، فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿وَتَحْنُ لَمْ تَخْلُصُون﴾، وأنتم به مشركون، قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرثي بعمله، قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: أمر لقولون، يعني: أتقولون [صيفته] صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَمَّاجُونَنَا فِي اللَّهِ﴾، وقال بعده: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَقْلَمُ أَرِ اللَّهِ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، يعني: يقول اليهود والنصارى: ﴿إِنَّ إِذْ يَبْرَهُ وَاسْتَجِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَسْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ﴾: يا محمد ﴿ءَأَنْتُمْ أَقْلَمُ﴾ بدنيهم ﴿أَرِ اللَّهِ﴾؟ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن

يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾: أخفى ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ تعالى، وهي علمهم بأن إبراهيم وبنه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَتَبَتْ وَلَكُمْ مَا كُتِبَتْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، كزره تأكيداً.

﴿١٤١﴾ قوله تعالى: ﴿سَقُولُ الشُّهَاءَ﴾: الجهاد ﴿بِالنَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ﴾، أي شيء صرفهم وحولهم ﴿عَنْ قَلْبِهِمْ أَلَّى كَانُوا عَلَيْهَا﴾، يعني: بيت المقدس، والقبيلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملك له والخلق عبيده، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿١٤٢﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبيلتنا إلا حسداً وإن قبيلتنا قبيلة الأنبياء، ولقد علم محمد أن عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه، وهي مردودة على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْطَقْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠]، أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته

واصطفيناهم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق، أنا أبو عبدالله محمد بن زكريا بن

يحيى، أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر، فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك، حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة وهي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى».

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾:

سورة البقرة

سورة البقرة

﴿سَقُولُ الشُّهَاءَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قَلْبِهِمْ أَلَّى كَانُوا عَلَيْهَا﴾ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤١﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَبِيعُ الرَّسُولَ وَعَنْ نَفْسِهِ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَبٌّ وَقِيحٌ ﴿١٤٢﴾ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِلَى الَّذِينَ أَوْرُوا إِلَيْكَ يَكْتُبُ لِكَيْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾ وَإِلَى الَّذِينَ أَوْرُوا إِلَيْكَ يَكْتُبُ بِكُلِّ مِائَةٍ مِمَّا تَدْعُوا إِلَيْكَ وَمَا أَنْتَ بِتَبِيعٍ قَلْبِهِمْ وَمَا بِضَهُمْ يَتَّبِعُ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ لِيُكُونَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا لَعْنَةً ﴿١٤٤﴾

١٤١

محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: مُعَدَّلاً مذكياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيٌّ﴾ [الملك: ٨] فينكرون ويقولون: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا نَبِيٍّ﴾، فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البيعة - وهو أعلم بهم - أما إقامة للحجة. فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا إنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت عليه كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيزيكهم ويشهد بصدقهم.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله

النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة حدثنا الأعمش: أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيسأل أمته هل بلغتم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: مَنْ شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فقال رسول الله ﷺ: فيجاء بكم فتشهدون»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا»، أي: تحويلها، يعني عن بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل: معناه التي أنت عليها وهي الكعبة؛ كقوله تعالى: «كُنتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ» [آل عمران: ١١٠]، أي: أنتم، «إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ»، فإن قيل: ما معنى قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: «إِلَّا لِنَعْلَمَ»، أي: لنرى ونُمَيِّز من يتبع الرسول في القبلة [التي أرادها

فسي أزلنا]، «مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَيْتِي»، فيرتد، وفي الحديث: «أن القبلة لما حُوِّلَتْ ارتدَّتْ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى [دين] اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه»، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلِّمنا مَنْ يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي؛ كما قال الله تعالى: «فَلِمَ تَقَالُتُ أَتِيَاءَ اللَّهِ» [البقرة: ٩١]، أي: فلم قتلتموهم؟ «وإِنْ كَانَتْ»، أي: وقد كانت، أي تولية الكعبة، وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة، قال الزجاج: وإن كانت التحويلة «لِكِبْرَةٍ»: ثقيلة شديدة، «إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ»، أي: هداهم الله، قال سيبويه: «وإن» تأكيد شبيهة باليمين، ولذلك دخلت اللام في جوابها.

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ».

وذلك أن حُيَيِّ بن أخطب وأصحابه من اليهود، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى، فقد تحوّلتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها؟ ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟

وكان قد مات قبل أن تحوّل إلى الكعبة من المسلمين أسعد بن زرارة، من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ورجال آخرون، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد صرفك [الله] إلى قبلة إبراهيم، فكيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، «إِنَّ اللَّهَ بِالْكَائِبِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ» قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص «الرؤوف» مشبهاً على وزن فعول، لأن أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل، كالغفور والشكور [والرحيم والكريم] وغيرها، وأبو جعفر يلين الهمزة، وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل، قال جرير:

للمسلمين عليك حقاً

كفعل الوالد الرؤوف الرحيم
والرأفة: أشد الرحمة.

﴿قَدْ رَأَى نَقْلُهَا وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾، هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلّي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في

التوراة، فصلّى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحب أن يُوجّه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام. وقال مجاهد: كان يُحب ذلك من أجل اليهود لأنهم كانوا يقولون: يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا، فقال لجبريل عليه السلام: «وَوَدِدْتُ لَوْ حَوَّلَنِي اللَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَإِنَّهَا قِبْلَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فإنك عند الله عزّ وجلّ بإمكان، فرجع جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يُدِيم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾، فلنحوّلنك إلى قبلة ﴿رَضِينَهَا﴾، أي: تحبّها وتهاواها، ﴿قَوْلٌ﴾، أي: حوّل ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرّم، ﴿وَمَيْتٌ مَّا كُنْتُمْ﴾، من بئر [أو بحر] شرق أو غرب: ﴿قَوْلًا وَجْهَكُمْ شَطْرًا﴾، عند الصلاة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في

نواحيه كلّها ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبَل الكعبة وقال: «هذه القبلة».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد، أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق، عن البراء:

أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلّى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلّى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممن صلّى معه، فمّر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مَكَّة، فداروا كما هم قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَل بيت المقدس، لأنه قبلة أهل الكتاب، فلما ولّى وَجْهَهُ قِبَل الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذلك، وقال البراء في حديثه هذا: إنه مات على القبلة قِبَل أن تُحوّل رجالاً وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ لَكُمْ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين. قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سَلَمَةَ، وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحوّل الرجال

مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسُمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين. وقيل: كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قباء وصلّ إليهم الخبر في صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي السامري، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، عن مالك بن أنس عن عبدالله بن دينار أن عبدالله بن عمر قال:

بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

فلما تحوّلت القبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلا شيء يتبدعه من تلقاء نفسك فتارة تُصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة، ولو ثبت على قبلتنا لكتنا نرجو أن نكون صاحبنا الذي ننتظره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَتْلُوهُنَّ أَنَّهُمْ، يعني: أمر الكعبة، ﴿الَّذِينَ مِن رَّبِّهِمْ﴾، ثم هدّهم فقال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِمُغْلِبٍ عَمَّا يَمْلِكُونَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقون بالياء، يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة.

سورة البقرة

البقرة

الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَرَفُونَ كَمَا يَرَفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ
 قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ مَوْجُوهٌ
 فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا
 إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلٍ
 وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
 اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
 شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ عَلَىٰكُمْ وَأَنَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ
 يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي
 أَذْكُرْكُمْ وَاتَّكِرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

٢٢

﴿١٤٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِيْن آتَيْتَ
 الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود
 والنصارى، قالوا: اتنا بآية على ما
 تقول، قال الله تعالى: ﴿وَلِيْن آتَيْتَ
 الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ يَكْفِي آيَةً﴾:
 معجزة، ﴿مَّا تَعْمَلُ قَلْبُكَ﴾، يعني:
 الكعبة، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَلْبَهُمْ وَمَا
 بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾، لأن
 اليهود تستقبل بيت المقدس وهو
 المغرب، والنصارى تستقبل
 المشرق، وقبلة المسلمين الكعبة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن
 إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد
 عبد الجبار بن محمد الجراحي،
 أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد
 المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن
 عيسى الترمذي، أخبرنا الحسن بن
 بكر المروزي أخبرنا المعلّى بن
 منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر
 المخزومي، عن عثمان الأحمسي عن

سعيد المقبري عن أبي
 هريرة:

عن النبي ﷺ قال:
 «القبلة ما بين المشرق
 والمغرب».

وأراد به في حق أهل
 المشرق وأراد بالمشرق:
 مشرق الشتاء في أقصر
 يوم من السنة،
 وبالمغرب: مغرب
 الصيف في أطول يوم من
 السنة، فمن جعل مغرب
 الصيف في هذا الوقت
 على يمينه ومشرق الشتاء
 على يساره كان وجهه إلى
 القبلة. ﴿وَلِيْن آتَيْتَ

أَهْوَاءَهُمْ﴾: مرادهم، الخطاب مع
 النبي ﷺ، والمراد به الأمة، ﴿وَيُنَا
 بَمَدٍّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، من
 الحق في القبلة، ﴿إِنَّكَ إِذَا لِينَ
 الظُّلُمَاتِ﴾.

﴿١٤٦﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ
 الْكِتَابَ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب
 عبدالله بن سلام وأصحابه،
 ﴿يَرَفُونَ﴾، يعني: يعرفون
 محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَرَفُونَ آبَاءَهُمْ﴾:

من بين الصبيان، قال عمر بن
 الخطاب لعبدالله بن سلام: إن الله
 قد أنزل على نبيه ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ
 الْكِتَابَ يَرَفُونَ كَمَا يَرَفُونَ آبَاءَهُمْ﴾
 فكيف هذه المعرفة؟ قال عبدالله: يا
 عمر لقد عرفته حين رأته كما أعرف
 ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من
 معرفتي بابني، فقال عمر: وكيف
 ذلك؟ فقال: أشهد أنه رسول حق
 من الله تعالى، وقد نعته الله في

كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء،
 فقال عمر: وفلك الله يا ابن سلام
 فقد صدقت، ﴿وَلَا قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
 الْحَقَّ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ
 وأمر الكعبة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٤٧﴾ ثم قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾،
 أي: هذا الحق، خبر مبتدأ مضمّر،
 وقيل: رُفِعَ بإضمار فعل، أي: جاء
 الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكْفُرْ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾: الشاكين.

﴿١٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ﴾،
 أي: لأهل كل ملة قبله، والوجهة:
 اسم للمتوجه إليه، ﴿هُوَ مَوْجُوهٌ﴾،
 أي: مستقبلها، ومقبل عليها، يقال:
 وليت، ووليت إليه إذا قبلت عليه،
 ووليت عنه إذا أدبرت عنه، قال

مجاهد: هو موليتها ووجهه، وقال
 الأخفش: هو كناية عن الله عز
 وجل، يعني [الله تعالى]: مولي
 الأمم إلى قبلتهم، وقرأ ابن عامر:
 «هو مولاها»، أي: المستقبل
 مصروف إليها، ﴿فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾،
 أي: إلى الخيرات، يريد بادروا
 بالطاعات، والمراد: المبادرة إلى
 القبول، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾: أنتم وأهل
 الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾:
 يوم القيامة فيجزئكم بأعمالكم [إن
 خيراً فخير وإن شراً فشر]، ﴿إِنَّ اللَّهَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ
 حَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
 اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو
 عمرو بالياء، و[قرأ] الباقون بالتاء.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

قَوْلًا وَبُرْهَانًا سَطْرًا، وإنما كرر لتأييد النسخ، ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: ﴿إِلَّا﴾ فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها، فيقولون: ليست لكم قبلة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [منهم] وهم قريش واليهود، فأما قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آباءه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود، فتقول: لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، يعني: اليهود، وكانت حجته على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهم مشركو مكة، وحجبتهم أنهم قالوا لما صرفت القبلة إلى الكعبة: إن محمداً قد تحجر في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني: لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش فإنهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم، والاحتجاج بالباطل يسمى: حجة؛ كما قال الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦].

وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ خفض كأنه قال: إلا [سرى] الذين ظلموا، قاله الكسائي، وقال الفراء: نُصِبَ بالاستثناء، قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾، يعني: من الناس، قيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا آيَاتُ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، يعني: لكن يتبعون الظن، فهو كقول الرجل: ما لك عندي حق إلا أن تظلم، قال أبو روق: ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾، يعني: اليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة [قبلة] لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها، فحواله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجبتهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني: إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق، وقال أبو عبيدة: قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ليس باستثناء، ولكن ﴿إِلَّا﴾ في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة، كما قال الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه

لعممر أبيك إلا الفرقدان
معناه: والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية: فتوجهوا إلى الكعبة ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾ يعني لليهود، عليكم حجة يقولوا: لم تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جدّه

وتحول عنها إلى قبلة اليهود؟ ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، ﴿وَإِخْوَانِي وَلِأَيِّمِي﴾ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، عطف على قوله: ﴿وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ولكي أتيم إبراهيم، فتتم به لكم الملة الحنيفية، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تمام التعمة الموت على الإسلام، قال سعيد بن جبير: لا يتم [نعمة] على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا من الضلالة، و﴿لعل وعسى﴾ من الله واجب.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، هذه الكاف للتشبيه، تحتاج إلى شيء ترجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين إحداهما، قال: ﴿رَبَّنَا وَأَعْمَلْنَا سُلَيمِينَ لَكَ مِن دُرِّيْنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، والثانية قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْهُمْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فبعث الله الرسول، وهو محمد ﷺ، ووعد إجابة الدعوة الثانية أن يجعل من ذريته أمة مسلمة، يعني: كما أجبت دعوته بعث الرسول، كذلك أجبت دعوته بأن أهديك لدينه وأجعلكم مسلمين، وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها

منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً وإن مشيت إلي هرولت إليك، وإن هرولت إلي سَعَيْتُ إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن عبدالله أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء عن أبي هريرة قال:

قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا إسماعيل بن عياش، أخبرنا عمرو بن قيس السكوني، عن عبدالله بن بسر قال:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رَطْبٌ من ذكر الله تعالى».

قوله تعالى: «وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا»، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروا بالمعصية، فإن من أطاع الله، فقد شكره ومن عصاه فقد كفره.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا بِالنَّيِّبِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: بالعون والنصرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾، نزلت في قتلى

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمر بن حفص، أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال:

قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه، وإن

تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي، وثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبدالملك الدمشقي، أخبرنا سليمان بن عبدالرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية، عن الحسن عن أنس [بن مالك] قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أناملني هذه العشر:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملا ذكرتك في ملا خير

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ بَقِيَّةَ رَجُولٍ وَنَفْسٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالصَّرِيحِ وَبَشِيرِ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ عَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهَيَّبَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ فِي الْكِبَرِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ النَّاسُ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَأَنَا الْقَوَابِ الرَّحِيمِ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ مُكْرِمٌ ذِي إِحْسَانٍ ﴿١٦٣﴾

وهو قوله: «فَأَذْكُرُوا لِي أَذْكُرْكُمْ»، معناه: كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿رَسُولًا يَتْلُوَكُمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ، ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواظب القرآن، ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، من الأحكام وشرائع الإسلام.

﴿فَأَذْكُرُوا لِي أَذْكُرْكُمْ﴾، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي، وقال سعيد بن جبیر: اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء، بيانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِيهِ إِنْ يَوْمَ يُعْرَضُونَ ﴿١٥٤﴾، الصافات: [١٤٣، ١٤٤]

بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ [أي هم أموات]، ﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾؛ كما قال في شهداء أحد: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشبة، فيصل إليهم الوجع.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ﴾، أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام: لجواب القسم [المحذوف]، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء [من الله] لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالمأ به، ﴿يَتَّبِعُونَ مِنَ الْكُفُورِ﴾، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿وَالْجُوعِ﴾، يعني: القحط، ﴿وَتَقِصَّ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: بالخسران والهلاك، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾، يعني: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب، ﴿وَالشَّرَّاتِ﴾، يعني: بالجوائح في الثمار، وحكي عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمار موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاک [بن عبدالرحمن بن عزرب] عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد».

﴿وَيَسِّرِ الْصَّالِحِينَ﴾: على البلبايا والرزايا، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيداً وملكاً، ﴿وَلْيَأْتِكُم مِّنَ اللَّهِ رِجْحُونٌ﴾: في الآخرة.

أخبرنا عبدالواحد بن [أحمد] المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محاضر بن المورع أخبرنا سعد بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تُصيب عبداً فيقول: إنا لله

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة، يعني: الاسترجاع، ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ يَوْسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿أُولَئِكَ﴾: أهل هذه الصفة: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، صلوات: أي: رحمة، فإن الصلاة من الله رحمة، و «رحمة» ذكرها الله تأكيداً، وجميع الصلوات، أي رحمة بعد رحمة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب. قال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ العَدْلان ونعمت العلاوة فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلامة الهداية، وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين، منها ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة أنه

قال: سمعت أبا الحُباب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه».

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا [أحمد] بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبدالله بن محمد، أخبرنا عبدالملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حَلْحَلَة، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «ما يُصِيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذىٍ ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشَاكها، إلا كفر اللُّهُ بها من خطاياها».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

جاءت امرأة بها لَمَمٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يشفيني، قال: «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حسابَ عليك»، قالت: بل أصبر ولا حسابَ عليّ.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبدالرحمن بن أبي نزار، أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي، أخبرنا أحمد بن نجدة

أخبرنا يحيى بن عبدالحميد الجُماني، أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي التَّجود، عن مصعب بن سعد عن سعد، قال:

سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أشدِّ الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأُمثَلُ فالأُمثَلُ، يتلى الله الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلَباً ابْتُلِيَ على قدر ذلك، وإن كان في دينه رِقَةٌ هُوِّنَ عليه، فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وما له ذنب».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبدالله بن صالح قال: حدَّثني الليث حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك:

عن النبي ﷺ، أنه قال: «إِنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، فإنَّ الله إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط».

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالح، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح، أخبرنا أبو الحسين علي بن

محمد بن عبدالله بن بشران، أخبرنا أبو [علي] إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُفِيئُهُ، ولا يزال المؤمن يُصِيبُه البلاء، ومثَلُ المنافق كمثل شجرة الأُزَّة لا تهتز حتى تُسْتَحْصَد».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح، أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن العتَّار بن حُرَيْث عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «عَجِباً للمؤمن إن أصابه خير حمدَ الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمدَ الله وصبر، فالمؤمن يُؤجر في كل أمره حتى يُؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيِّ امرأته».

﴿١٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعْيِ اللَّهِ﴾، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، يقال صفاة وصفى، مثل: حصاةٌ وحصيٌّ ونواةٌ ونوىٌّ، والمَرْوَةُ: الحجر الرخو، وجمعها: مَرْوَات، وجمع الكثير: مرو، مثل: تمرّة وتمرّات وتمر، وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام

دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدها شعيرة، وكل ما كان مُتعلماً لقربان يُتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة، فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر لله ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر ههنا: المناسك التي جعلها الله إعلماً لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعاً، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾، فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين: قصد زيارة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، أي: لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي: مال عن القصد، ﴿أَنْ يَطُوقَ بِهِمَا﴾، أي: يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء. وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتخرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله، واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة، وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه تطوع، وهو قول ابن عباس، وبه قال ابن سيرين ومجاهد، وإليه ذهب سفيان الثوري

وأصحاب الرأي، وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تزكته دم، واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكسائي الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبدالله بن مؤمل العائذي عن عمرو بن عبدالرحمن بن محيصن، عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي تجرة اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبدالدار. قالت:

دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين فنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة، فرأيتُه يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي، حتى لأقول: إني لأرى ركبتيه، وسمعتُه يقول: «اسْعُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال:

قلت لعائشة زوج النبي ﷺ: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوقَ بِهِمَا﴾، فما أرى على أحد شيئاً إلا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول، كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لِمَنَاةَ وكانت مناة جذو قديد، وكانوا

يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال عاصم: قلت لأنس بن مالك: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر بن عبدالله أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول: «نَبِّدَا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ»، فبدأ بالصفا، وقال: كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، يصنع ذلك ثلاث مرات، ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك، وقال: كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه.

قال مجاهد رحمه الله: حج موسى عليه السلام على جبل أحر وعليه عباءتان قطوانيتان قطاف بالبيت، ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى المسعى وهو يلبي فيقول: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، فقال الله تعالى: لَبَّيْكَ عِبْدِي، أنا معك، فخر موسى

توبتهم، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: الرجاء بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي، ﴿الرَّحِيمُ﴾: بهم بعد إقبالهم علي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾، أي: لعنة الملائكة ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، قال أبو العالية: هذا يوم

القيامة يوقف الكافر فليعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس، فإن قيل: فقد قال ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾

[العنكبوت: ٢٥]، وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللغة وقيل في النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يُؤجلون، وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِعْزَتَهُمْ﴾ [المرسلات: ٣٦].

﴿قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ﴾﴾، سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص، والواحد: الطي لا نظير له ولا شريك له.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر

فوق ما يستحق، يشكر اليسر ويعطي الكثير.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُكَيَّدَاتِ بَيْنَكَ لِنَّاسٍ فِي الْكُتُبِ﴾﴾،

نزلت في علماء اليهود [حين] كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من [سائر]

الأحكام التي كانت في التوراة، ﴿أُولَئِكَ يَمْلِكُهُمُ اللَّهُ﴾، وأصل اللعن الطرد والبعد، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾، أي: يسألون

الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء:

الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله، وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنين من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى

الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته، وقال مجاهد: اللاعنون: البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة

وأمسك المطر، وقالت: هذا من شؤم ذنوب بني آدم، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: ممن الكفر، ﴿وَأَسْلَمُوا﴾: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم، ﴿وَيَبْتَغُوا﴾: ما كتموا، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أتجاوز عنهم [جميع سيئاتهم] وأقبل

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَفْعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبِتِيبِهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٠﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ أُتُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ لَنَّا كَرِهْنَا لَأَن كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ لَوْ كُنَّا نَرَى أُمَّةً كَذَّابًا يُرِيدُ اللَّهُ آغْصَانَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٣﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالنُّسُوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾

عليه السلام ساجداً. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، [وكذلك الثانية: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تَصُومُوا﴾] [البقرة: ١٨٤]، بمعنى: يتطوع، ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الباكون بالياء، وفتح العين في الماضي، وقال مجاهد: معناه ومن تطوع بالطواف بالوصف والمروة، وقال مقاتل والكلبي «فمن تطوع»، أي: زاد في الطواف بعد الواجب، وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحج الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾، مجاز لعبده بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده

الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا مكي بن إبراهيم وأبو عاصم، عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم: ﴿وَاللَّهُمَّ اكْفِنا بِرَحْمَتِكَ عَن غِيْبِنا﴾، و﴿اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْبُقْعَةِ﴾» [البقرة: ٢٥٥].

قال أبو الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول: إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات: سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر والنبات. قوله تعالى: ﴿وَإِخْتَلَفَ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾، أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر [خلفه]، أي: بعده، نظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ جَلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة

والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآئِدَةً لَهُمْ أَيْلٌ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَاللَّيْلُ الَّتِي جُئِيَ فِيهَا﴾، يعني: السفن واحده وجمعه سواء، فإذا أريد به الجمع يؤنث، وفي الواحد يُذكر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: ﴿إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْمُتَشَوِّشُ﴾ [الصفافات: ١٤٠]، وقال في الجمع والتأنيث:

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ رِيحٌ مَّيْبُتَةٌ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَالْفُلُكِ الَّتِي جُئِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ الآية فهي الفلك: تسخيرها وجريانها على وجه الماء، وهي موقرة لا ترسب تحت الماء، ﴿بِمَا يَفْعُ النَّاسُ﴾، يعني: ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب، ﴿وَمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾، يعني: المطر، قيل: أراد بالسما السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل، وقيل: أراد به السماء المعروفة، يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض، ﴿فَأَتَمَّ بِهَا﴾، أي: بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي: بعد يسها وجدوتها، ﴿وَرَبَّ فِيهَا﴾، أي: فرق فيها ﴿مِنَ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿الرِّيْحِ﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف، وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام، اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات:

﴿الرِّيْحِ الْعَقِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١]، اتفقوا على توحيدها، وفي الحرف الأول من سورة الروم: ﴿الرِّيْحِ مُمَيَّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر ساثرها على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح تذكر وتؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال، والقُبول والذُبُور والنكباء، وقيل: تصريفها أنها تارة تكون لينا، وتارة تكون عاصفاً، وتارة تكون حاراً، وتارة بارداً، قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء، وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس، قال شريح القاضي: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح، والبشارة في ثلاث من الرياح: في الصبا والشمال والجنوب، أما الذُبُور فهي الريح العقيم، لا بشارة فيها، وقيل: الرياح ثمانية، أربعة للرحمة، وأربعة للعذاب، فأما التي للرحمة: فالمبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات، وأما التي للعذاب: فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾، أي: الغيم المنذَّل، سُمِّي سحاباً لأنه ينسحب، أي: يسير في سرعة كأنه يُسحب أي يُجْرَى، ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً، قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يُدرى من أين تجيء، الرعد والبرق والسحاب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، أي: أصناماً يعبدونها. ﴿يُحْمِلُهُمُ كَسْبُهُمْ﴾

اللَّهُ»، أي يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كحُبِّ
المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون
الأصنام كما يحبون الله لأنهم
أشركوها مع الله، فسووا بين الله
وبين أوثانهم في المحبة، ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي: أثبت
وأدوم على حُبِّه لأنهم لا يختارون
على الله ما سواه، والمشركون إذا
اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه،
طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال
قتادة: إن الكافر يُعرض عن معبوده
في وقت البلاء ويُقبل على الله
تعالى، كما أخبر الله عزَّ وجلَّ عنهم
فقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ لَدَى اللَّهِ
مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]،
والمؤمن لا يُعرض عن الله في
السراء والضراء والشدة والرخاء، قال
سعيد بن جبیر: إن الله عزَّ وجلَّ
يأمر يوم القيامة من أحرقت نفسه في
الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا
جهنم مع أصنامهم، فلا يدخلون
لعلمهم أن عذاب جهنم على
الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين
أيدي الكفار: إن كنتم أحبائي
فادخلوا جهنم، فيقتحمون فيها
فينادي منادٍ من تحت العرش:
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وقيل:
إنما قال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا
لِلَّهِ﴾، لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم
أحبه، ومن شهد له المعبود بالمحبة
كانت محبته أتم، قال الله تعالى:
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾،
قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ﴿ولو
ترى﴾ بالثاء وقرأ الآخرون بالياء
وجواب ﴿وَلَوْ﴾ ههنا محذوف،

ومثله كثير في القرآن؛ كقوله تعالى:
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ
قُطِعَتْ بِهِ﴾ [الرعد: ٣١] الآية،
يعني: لكان هذا القرآن، فمن قرأ
بالتاء معناه: ولو ترى يا محمد الذين
ظلموا أنفسهم في شدة العذاب،
لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه: قل
يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين
ظلموا، أي: أشركوا في شدة
العقاب، لرأيت أمراً فظيماً، ومن قرأ
بالياء معناه: ولو يرى الذين ظلموا
أنفسهم عند رؤية العذاب، أي: ولو
رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين
يرون العذاب، لعرفوا مضرة الكفر،
وأن ما اتخذوا من الأصنام لا
ينفعهم، قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرُونَ﴾،
قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون
بفتحها، ﴿الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
وَأَنَّ اللَّهَ سَدِيدٌ الْعَذَابِ﴾، أي: بأن
القوة لله جميعاً معناه: لرأوا وأيقنوا
أن القوة لله جميعاً، وقرأ أبو جعفر
ويعقوب ﴿إن القوة﴾ و﴿إن الله﴾
بكسر الألف على الاستئناف،
والكلام تام عند قوله: ﴿إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ﴾، مع إضمار الجواب.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُؤْتُوا مِن
الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾، هذا
في يوم القيامة حين يجمع الله القادة
والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض،
هذا قول أكثر المفسرين، وقال
السدي: هم الشياطين يتبرأون من
الإنس، ﴿وَنَقَطَعتْ بِهِمْ﴾، أي:
عنهم ﴿الْأَسْتَبَابَ﴾، أي: الوصلات
التي كانت بينهم في الدنيا، من
القربابات والصدقات، وصارت
مُخَالَتَهُمْ عداوة، وقال ابن جريج:

الأرحام؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا
أَسْبَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون:
١٠١]، وقال السدي: يعني الأعمال
التي كانوا يعملونها في الدنيا؛ كما
قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا
مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْهَةً نُنْزِلُهَا﴾
[الفرقان: ٢٣]، وأصل السبب ما
يُوصل به إلى الشيء من ذريعة أو
قرباة أو مودة وبيعة، يقال للحبل:
سبب، وللطريق: سبب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، يعني:
الأتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، أي:
رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَّبِعُكُمُ﴾،
أي: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبْرَهُمُ
يَوْمًا﴾: اليوم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما
أراهم العذاب، كذلك ﴿يُرِيهِمْ
اللَّهُ﴾، وقيل: كَتَبَرِيءٍ بعضهم من
بعض، يُرِيهِمُ الله: ﴿أَعْتَابَهُمْ
حَسْرَتٍ﴾: ندامات ﴿عَلَيْهِمْ﴾، جمع
حسرة، قيل: يُرِيهِمُ [الله] ما ارتكبوا
من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا،
وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات،
فيندمون على تضييعها، وقال ابن
كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان
رجاء أن تقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ،
فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه
تحسروا وندموا، قال السدي: تُرْفَعُ
لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم
[وقصورهم] فيها لو أطاعوا الله فيقال
لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله،
ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين
يندمون ويتحسرون ﴿وَمَا هُمْ بِيَحْزِينَ
مِنَ النَّارِ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾،
نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن

وإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْسَحَ لَنَا رَبُّنَا
 وَإِنَّا بِمَا نَتَّبِعُ لَنَشْكُرُ ﴿١٦٩﴾ وَأَنبَأَتْ آثَمُ مَا أَنبَأَتْ سَابِقَةً
 لَهَا مِنَ الْيَهُودِ قَالَتْ إِنَّهُنَّ أَهْلُ الْكِتَابِ يَتَّبِعُونَ مَا كَتَبَ
 عَلَيْهِمْ رَبُّهُنَّ وَإِنَّا لَنَظُنُّنَّ أَنَّهم قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ
 قِيلَ لِمَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ أَتَى عَلَى الْيَهُودِ وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ كَافِرٌ
 بِهِمْ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَأَوِّدْ لَّهُمْ إِنَّهُنَّ آيَاتٌ لِّمَنْ يَعْقِلُ ﴿١٧١﴾

مستأنفة، والهاء والميم في ﴿هَمُّ﴾ كناية عن غير مذكور.

وروي عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألقينا عليه آباءنا.

أي: ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش، والهاء

صعصعة، وبني مدليج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، والحلال ما أحله الشرع طيباً، قيل: ما يُسْتَطَاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام، وقيل: الطيب [الطاهر]، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُلُوفَ الشَّجَرِ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء، والباقون بسكونها، و﴿خُلُوفَ الشَّجَرِ﴾ آثاره وزلاته، وقيل: هي النذور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب، وقال الزجاج: طُرْقُه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بين العداوة [وقيل: مظهر العداوة] وقد أظهر عداوته بلبائنه السجود لآدم وغروره إياه، حتى أخرجه من الجنة، و (أبان) يكون لازماً ومتعدياً، ثم ذكر عداوته فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالشُّبُهَاتِ﴾، أي: بالإثم، وأصل السوء ما يسوء صاحبه، وهو مصدر ساء يسوء سواً ومساءةً، أي: أحزنه، وسوأته فساه أي: حزنته فحزن، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: المعاصي وما قُبِح من القول والفعل، وهو مصدر كالسراء والضراء، روى بإذان عن ابن عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد، والسوء من الذنوب ما لا حد فيه، وقال السدي: هي الزنا، وقيل: هي البخل، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من تحريم الحرث والأنعام.

﴿وإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، قيل: هذه قصة

سَيِّئًا؟ السواو فسي ﴿أَوَّلُوا﴾ واو العطف، ويُقال لها: واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون [شيئاً، لفظه] عام ومعناه الخصوص، أي: لا يعقلون شيئاً من أمور الدين، لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، [الاتباع محمد لعدم عقلهم]، ثم ضرب لهم مثلاً فقال جل ذكره:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّوِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾، والسنعيق والنعق: ضوت الراعي بالغنم، معناه: مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل [كمثل الراعي الذي ينطق بالغنم]، وقيل: مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعي ينطق بالغنم وهي لا تسمع، ﴿إِلَّا دَعْوَةَ﴾

والميم عائدة إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَلْبِغُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْذَاكَ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَحَرْنَا﴾، أي: ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ آيَاتُهُنَّ﴾ من عبادة الأصنام، وقيل: معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهاء والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُوا النَّاسَ كُلَّوَا﴾ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ﴾، قرأ الكسائي ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ بإدغام اللام في النون، وكذلك يدغم لام هل ويل في التاء والثاء والزاي والسين والصاد والطاء والظاء، ووافق حمزة في التاء الثاء والسين، ﴿مَّا آفَحَرْنَا﴾ ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ آيَاتُهُنَّ﴾ من التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿أَوَّلُوا كَاتِبًا وَآبَاءَهُمْ﴾، أي: كيف يتبعون آباءهم، وآبأهم ﴿لَا يَتَّبِعُونَ﴾

صوتاً ﴿وَنَذَلَهُ﴾، فأضاف المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَمَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، معناه: كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت، فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناقع، وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك و يقبلون الكلام لاتضح المعنى عندهم، يقولون: فلان يخافك خوف الأسد، أي: كخوفه الأسد، وقال تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَقَائِمَهُ لَشَتَوُا بِالْمُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، وإنما العصبية تنوء بالمفاتيح، وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناقع بالغنم، فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمثل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتاً يقال له الصدى لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية: كمثل الذي ينقو بما لا يسمع منه الناقع إلا دعاء ونداء. ﴿سَمَّ﴾، تقول العرب لمن [لا يسمع، ولا يعقل] كأنه أصم،

﴿بِكُمْ﴾، عن الخير لا يقولونه، ﴿عُنَى﴾، عن الهدى لا يبصرونه، ﴿فَهُمْ لَا يَمَعُونَ﴾.

﴿١٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو محمد و عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجيب لذلك».

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على نعمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءِيَّاهُ تَشْكُرُونَ﴾، ثم بين المحرمات فقال:

﴿١٧٣﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿الْمَيْتَةَ﴾ في كل القرآن بالتحديد، والباقون يشددون البعض، والميئة: كل ما لم تدرك ذكاته مما يُذبح، ﴿وَالدَّم﴾، أراد به الدم الجاري، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، واستثنى الشرع من الميئة السمك

والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلها.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أحللت لنا ميتتان ودمان، الميتتان: الحوت والجراد، والدمان: أحسبه قال: الكبد والطحال».

﴿وَلَكُمْ ءَلْيُسْرَىٰ﴾، أراد به جميع أجزائه، فعبّر عن ذلك باللحم لأنه معظمه، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، ولأن المشركين كانوا إذا ذبحوا لآلهتهم [شيئاً] يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهْلٌ، وقال الربيع بن أنس وغيره: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، قال: ما ذكر عليه اسم غير الله، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾، بكسر النون وأخواته، عاصم وحمزة، ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل: ﴿قُلْ آدَعُوا اللَّهَ أَوْ آدَعُوا الرِّجْمَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ويعقوب إلا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمن كسر قال لأن الجزم يُحرَك إلى الكسر، ومن ضم فلهضمه أول الفعل، نقل حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إلى أكل الميتة، أي:

أحوج وألجئ إليه، ﴿عَتَرَ﴾، نُصِبَ على الحال، وقيل: على الاستثناء، وإذا رأيت (غير) يصلح في موضعها «لا» فهي حال، وإذا صلح في موضعها «إلا» فهي استثناء، ﴿عَتَرَ بَيْعًا وَلَا عَاوًا﴾، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغياً إذا تراسى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم والمجازاة الحد، يقال: عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم، واختلفوا في معنى قوله: ﴿عَتَرَ بَيْعًا وَلَا عَاوًا﴾، فقال بعضهم: ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾، أي: غير خارج على السلطان، ﴿وَلَا عَاوًا﴾، [أي: ولا] متعد عاص بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو الفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن [في إباحته] له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، فقال الحسن وقتادة: ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾ [لا يأكله] من غير اضطرار ﴿وَلَا عَاوًا﴾، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾، أي: غير طالبها وهو يجد غيرها، ﴿وَلَا عَاوًا﴾، أي: غير متعد ما حُدَّ له، [فما يأكل] حتى يشبع، ولكن يأكل منها قوتاً مقداراً ما يسد به رَمَقَهُ، وقال مقاتل بن حيان ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾، أي: مستحل لها، ﴿وَلَا عَاوًا﴾، أي: متزود منها، وقيل: ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾، أي: غير مجاوز للقدر

الذي أُجِلَّ له، ﴿وَلَا عَاوًا﴾، أي: لا يُقَصَّر فيما أبيع له فيدعه، قال مسروق: من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار، واختلف العلماء في مقدار ما يَجُلُّ للمضطر أكله من الميتة، فقال بعضهم: مقدار ما يسد رَمَقَهُ، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه، والقول الآخر: يجوز أن يأكل حتى يشبع، وبه قال مالك رحمه الله تعالى، وقال سهل بن عبدالله: ﴿عَتَرَ بَيْعًا﴾ مفارق للجماعة، ﴿وَلَا عَاوًا﴾ مبتدع مخالف للسنة، ولم يُرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فلا حرج عليه في أكلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، لمن أكل في حال الاضطرار، ﴿رَحِيمٌ﴾، حيث رخص للعباد في ذلك.

﴿١٧٦﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يُصَيِّبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، ولما بُعث محمد ﷺ من غيرهم، خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغيّر وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ ونبوته، ﴿وَشَرُّوهُ بِمَدِينَةٍ﴾، أي: بالمكثوم

﴿مَتَّانًا قَلِيلًا﴾، أي: عوضاً يسيراً، يعني: المآكل التي يُصَيِّبونها من سفلتهم، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، يعني: إلا ما يؤذيهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه يصير ناراً في بطونهم، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسزّمهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان، ﴿وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾، أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب [والخطايا]، ﴿وَأَلَّهْمُ عَذَابَ أَلِيمٌ﴾.

﴿١٧٧﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْمَسْئَلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْكَذَابَ بِالْقَفْصِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، قال عطاء والسدي: هو ما الاستفهام معناه: ما الذي صبرهم على النار؟ وأي شيء يصبرهم على النار حتى تركوا الحق وآتبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجراهم على العمل الذي يُقرِّبهم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على [عمل] أهل النار، أي: ما أدمهم عليه.

﴿١٧٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، يعني: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾، أي: لأن الله نزل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل:

عبدالواحد، ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة، أخبرنا أبو هريرة قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان».

وقيل: هي عائدة إلى الله عز وجل، أي: على حب الله تعالى، ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾: أهل القرابة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين، عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر، يبلغ به النبي ﷺ قال:

«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة».

قوله تعالى: ﴿وَالسَّبِيلِ وَالْمَسْكِينِ﴾: قال مجاهد: يعني المسافرين المنقطع عن أهله يمر عليك، ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

﴿وَالسَّابِقِينَ﴾، يعني: الطالبين. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب

عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن أبي بُجيد الأنصاري، وهو عبدالرحمن بن بُجيد، عن جدته وهي أم بجيد:

أن رسول الله ﷺ قال: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظُلْفٍ مَحْرُوقٍ»، وفي رواية: قال لها رسول الله ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِي شَيْئاً إِلَّا ظُلْفاً مَحْرُوقاً فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ».

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق التَّسْمَةِ وفك الرقبة، وقيل: فداء الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: وأعطى الزكاة ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ﴾:

فيما بينهم وبين الله عز وجل، وفيما بينهم وبين الناس، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، [وإذا عاهدوا أوفوا]، وإذا قالوا صدقوا وإذا اتَّخَمُوا أذوا، واختلفوا في رفع قوله:

﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾، قيل: هو عطف على خير، ومعناه: ولكن ذا البسر: المؤمنون والموفون بعهدهم، وقيل:

تقديره وهم الموفون [بعهدهم] كأنه عدَّ أصنافاً، ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل: رفع على الابتداء والخير، يعني: وهم الموفون، ثم قال: ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾، وفي نصيبها أربعة أوجه، قال أبو عبيدة: نصيبها على تطاول الكلام، ومن شأن العرب أن تغيّر الإعراب إذا طال الكلام والنسق، ومثله في سورة النساء:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وفي سورة المائدة: ﴿وَالصَّابِرُونَ وَالْمُؤْتُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وقيل:

معناه: أعني الصابرين، وقيل: نصبه نسقاً على قوله ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾، أي: وآتي الصابرين، وقال الخليل: نصب على المدح، والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون أفراد الممدوح والمذموم، فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه، فالمدح كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ١٦٢]، والذم كقوله تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا﴾ [الأحزاب: ٦١]، قوله تعالى: ﴿فِي الْأَنْسَاءِ﴾، أي: الشدة والفقر، ﴿وَالْقُرْبَى﴾: المرض والزمانة، ﴿وَيَحِينَ الْأَيْمَى﴾، أي: القتال والحرب.

أخبرنا المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضَرَّب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال:

كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القوم القوم اتقىنا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، يعني: إذا اشتدَّ الحرب ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفِّبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، قال الشعبي والكلبي وقناة: نزلت هذه الآية في حيتين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكانت

بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض، حتى جاء الإسلام، قال مقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بين الأوس والخزرج، قالوا جميعاً: وكان لأحد الحَيَّين على الآخر طَوْلٌ في الكثرة والشرف، وكانوا يتكحون نساءهم بغير مهور، فأقسموا لقتلن بالعبد مثا الحُرِّ منهم، وبالمراة مثا الرجل منهم، وبالرجل مثا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضِعْفِي جراحات أولئك، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالمساواة [بينهم]، فرضوا وأسلموا، قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، أي: فُرض عليكم القصاص، ﴿فِي الْقَتْلِ﴾، والقصاص المُساواة والمُماثلة في الجراحات والديّات، وأصله من قص الأثر إذا أتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْمَبْدُ بِالْمَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾، وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان في الأحرار المسلمين، أو العبيد من المعاهدين أو العبيد منهم، قُتل من كل صنف منهم الذكر إذا قُتل بالذكر والأنثى، وتُقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يُقتل مؤمن بكافر ولا حرٌّ بعبد، ولا والدٌ بولد ولا مسلمٌ بذمّي، ويُقتل الذمّي بالمسلم والعبد بالحرّ والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد

الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مُطَرِّف عن الشعبي عن أبي جُحَيْفَةَ قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي شيء سوى القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ الثَّسْمَةِ، إلا أن يُؤتي الله عبداً فِعْماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: [العقل] فكأك الأسير، ولا يُقتل مؤمناً بكافر».

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقام الحدودُ في المساجد ولا يُقاد بالولد الوالد».

وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يُقتل بالذمي، وإلى أن الحُرَّ يُقتل بالعبد، والحديث حجة لمن لم يُوجب القصاص على المسلم يقتل الذمي، وتُقتل الجماعة بالواحد، رُوي عن سعيد بن المسيّب: أن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال: لو تَمَّالاً عليه أهل صنعاء لقتلنهم به جميعاً، ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس، إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يُقتل بالمرضى والزَّيْمين، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاءً أو ناقصةً بإصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرتين، ولا يجري بين الذكر والأنثى، ولا بين العبيد،

ولا بين الحُرِّ والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مَقْيَسٌ على النفس.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبدالله بن منير أنه سمع عبدالله بن بكر السهمي، أخبرنا حميد عن أنس ابن النضر [بن مالك]:

أن الرُّبَيْعَ عمته كسرت ثنيةً جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأرش فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ، فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية النضر، لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَكُمْ مِنْ أَخِيهِ﴾، أي: تَرَكَ له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالذية، هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل العمد، وقوله: ﴿مَنْ أَخِيهِ﴾، أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنياتان في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ و﴿مِنْ أَخِيهِ﴾، ترجعان إلى ﴿مَنْ﴾ وهو القاتل، و[في] قوله ﴿مَنْ﴾ دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود لأن شيئاً من الدم قد بَطُل. قوله تعالى: ﴿قَاتِلِيحَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: على الطالب للدية

أن يتبع بالمعروف فلا يُطالب بأكثر من حقه، ﴿وَأَذَانَهُ لِيَدْعُوا بِالْحَسَنِ﴾، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مُماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه، ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين: أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية، فله أخذ الدية، وإن لم يرض به القاتل، وقال قوم: لا دية له إلا برضى القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزیز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي:

أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل، وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم [فيها] القصاص، فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفاً منه ورحمة، ﴿فَمَنْ

أَشْتَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية، ﴿فَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل؛ لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، وقال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

﴿١٧٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، أي: بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل يُقتل، يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم بقتله، [وقيل في المثل: القتل أنفى للقتل]، وقيل معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتص منه في الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة، ﴿يَتَأُولُوا آلَ أَيْبٍ لِّمَلَكْتُمْ تَتَشَوُّنَ﴾، أي: تنتهون عن القتل مخافة القود.

﴿١٨٠﴾ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: فرض عليكم، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أي: جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أي: مالا، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا تَتَّبِعُوا مِن خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢ و ٢٧٣]، ﴿الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نُسخت بآية الميراث.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد، أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن عثم عن عمرو بن خارجة قال:

كنت أخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».

فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون، وبقي وجوبها في حق [الأقارب] الذين [لا] يرثون من عباس والوالدين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن، قال طاوس: من أوصى لقوم سماهم وترك ذوي قرابته محتاجين، انتزعت منهم ورثت إلى ذوي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حق الكافة، وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد، أخبرنا [أبو] إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن نافع عن ابن عمر:

أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيِّت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه». قوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، يريد: يوصي بالمعروف فلا يزيد على الثلث، ولا يوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِيٍّ أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَنْكُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هَدَى لِلنَّاسِ الْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٥﴾

أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالكم؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، وإن هذا شيء يسير فاتركه لعيالك. وقال علي رضي الله عنه: لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: يُوصى بالسدس أو

الخمس أو الربع. وقال الشعبي: إنما كانوا يُوصون بالخمس أو الربع. قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ: عَلَى الْمَفْعُولِ، أَي: جَعَلَ الْوَصِيَّةَ حَقًّا، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ. ﴿فَمَنْ يَدَّكُ﴾، أَي: غَيَّرَ الْوَصِيَّةَ فِي الْأَوْصِيَاءِ أَوْ الْأَوْلِيَاءِ أَوْ الشُّهُودِ، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾، أَي: بَعْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَ الْمَوْصِي، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْكِنَايَةَ مَعَ كَوْنِ الْوَصِيَّةِ مَوْثِقَةً، قِيلَ: الْكِنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْإِيصَاءِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْظِعَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْوَعظِ، ﴿فَأَمَّا إِثْمُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، وَالْمِثْلُ بَرِيءٌ مِنْهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْبِرُ﴾، لِمَا أَوْصَى بِهِ الْمَوْصِي، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِتَبْدِيلِ الْمُبَدِّلِ أَوْ سَمِيعٌ لَوْصِيَّتِهِ عَلِيمٌ بِنِيَّتِهِ. ﴿فَمَنْ خَافَ﴾،

أي: علم؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَّكُمْ خُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي: علمتم، ﴿مِنْ مَوْصِيٍّ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد؛ كقوله تعالى: ﴿مَا وَصَّيَ بِهِ نُوْحًا﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد؛ كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَدَّبَّ وَوَصَّيْتُ يُوْصِي بِهَا أَوْ دِينٌ﴾ [النساء: ١١، ١٢]، ﴿جَنَفًا﴾، أَي: جَوْرًا وَعَدُولًا عَنِ الْحَقِّ، وَالْجَنَفُ: الْمَيْلُ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، أَي: ظُلْمًا، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَعِكْرَمَةُ وَالرَّبِيعُ: الْجَنَفُ: الْخَطَأُ، وَالْإِثْمُ: الْعَمْدُ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، ﴿فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَضَرَ مَرِيضًا وَهُوَ يُوصِي فَرَأَى يَمِيلُ إِمَابْتِغَايَةَ أَوْ إِسْرَافٍ أَوْ وَضَعَ الْوَصِيَّةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْعَدْلِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْجَنَفِ، فَيَنْظُرُ [لِلْمَوْصِي] وَالْوَرْتَةَ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ الْمِثْلَ فِي وَصِيَّتِهِ أَوْ جَارَ مَتَعَمِّدًا فَلَا حَرَجَ عَلَى وَلِيِّهِ أَوْ وَصِيِّهِ أَوْ وَالِيِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصْلِحَ بَعْدَ مَوْتِهِ بَيْنَ وَرَثَتِهِ وَبَيْنَ الْمَوْصِي لَهُمْ، وَيَرُدُّ الْوَصِيَّةَ إِلَى الْعَدْلِ وَالْحَقِّ لَهُمْ، ﴿فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾، أَي: لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ طَاوُوسٌ: جَنَفُهُ تَوَلِيْجُهُ، وَهُوَ أَنْ يُوصِي لِبَنِي بَنِيهِ، يُرِيدُ ابْنَهُ أَوْ لَوْلَدَ ابْنَتِهِ وَلِزَوْجِ ابْنَتِهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ ابْنَتَهُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ الْأَوْلِيَاءُ

لأخْلَ فِالْأَخْلَ، أَي: الْأَحْوَجُ فِالْأَحْوَجِ.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري، عن سعد [بن إبراهيم عن عامر بن سعيد] عن سعد بن مالك قال:

جاءني النبي ﷺ يعودني فقلت: يا رسول الله أوصي بمالي كله، قال: «لا» قلت: فالشطر، قال: «لا» قلت: فالثلث، قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم غالة يتكفون الناس بأيديهم».

وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إنني أريد أن

والأوصياء يُمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَكُمْ بَدْلًا سَيِّئًا﴾ [البقرة: ١٨١] الآية، وإن استغرق المال كله، ولم يبق للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين والأقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الوصي أن يوصلح، فانتزع الله تعالى ذلك منهم، ففرض الفرائض.

زوي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيصاران في الوصية فتجب لهما النار»، ثم قرأ أبو هريرة ﴿وَبِئْسَ بَدْوٌ وَصِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ [النساء: ١١ و ١٢].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَيْبٌ عَلَيْكُمْ الْصِيَامُ﴾، أي: فُرض وأوجب [و] الصوم والصيام في اللغة: الإمساك، يُقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهر، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سوية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، أي: صمتاً، لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة: الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه، قال سعيد بن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء

الإسلام، وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى، كما فُرض علينا، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا، فصار أربعين [يوماً]، ثم إن ملكاً لهم اشتكى فمه، فجعل الله عليه إن هو بريء من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فيريء، فزاد فيه أسبوعاً، ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزادوا فيه عشرًا قبل وعشرًا بعد، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يُشك فيهِ، فيقال من شعبان، ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض الله عليهم شهر رمضان فصاموا [قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً]، ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ تحذرون [عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع].

﴿إِنَّمَا مَقَدَرَةٌ﴾، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نُسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نُسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد بن إسحاق: كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة.

حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

كان يوم عاشوراء يوماً تصومهُ قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فُرض رمضان كان هو القريضة، وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وقيل: المراد من قوله: ﴿إِنَّمَا مَقَدَرَةٌ﴾: شهر رمضان، وهي غير منسوخة، ونصب ﴿إِنَّمَا﴾ على الظرف، أي: في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خير ما لم يستم فاعله، ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾، أي: فأفطر فعدة ﴿وَمِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي: فعليه عدة [من أيام أخرا]، والعدد والعدة واحد من أيام أخرا، أي: غير أيام مرضه وسفره،

فهو خير له، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فمن ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل: هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم، وإن شق عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدي، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان إلا لثلاثة، أحدهم: يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني: عليه القضاء دون الكفارة، والثالث: عليه الكفارة دون القضاء، أما الذي عليه القضاء والكفارة: فالحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفتران وتقضيان، وعليهما مع القضاء الفدية وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم: لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم التخعي والزهري، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة: فالمريض والمسافر والحائض والنفساء، وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه، ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي: كُتِبَ عَلَيْكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَسُمِّيَ الشَّهْرَ شَهْرًا لِشَهْرَتِهِ، وَأَمَّا رَمَضَانَ [فَقَدْ] قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، يُقَالُ: شَهْرُ رَمَضَانَ كَمَا يُقَالُ شَهْرُ اللَّهِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ اسْمٌ لِلشَّهْرِ سُمِّيَ بِهِ

مرضه، فهم يُكَلِّفُونَ الصَّوْمَ وَلَا يُطِيقُونَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَفْطُرُوا وَيُطْعَمُوا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَجَعَلَ الْآيَةَ مُحْكَمَةً.

قوله تعالى: ﴿وَذِيَّةً طَعَامًا مَسْكِينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: ﴿كَذَرَّةً طَعَامًا مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين؛ كقوله تعالى: ﴿وَحَبَّ لَمُوسَى﴾ [ق: ٩]، وقولهم: المسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون: «فدية، وكفارة» منونة، و﴿طَعَامًا﴾ رفع، وقرأ ﴿مَسْكِينٍ﴾ بالجمع هنا، أهل المدينة والشام، والآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون، ومن وحده خفض النون ونونها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مئداً من الطعام بمئذ النبي ﷺ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من القمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يُعْطَى كُلُّ مَسْكِينٍ عِشَاءً وَسُحُورَةً، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾، أي: زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مئذ

﴿أَخْرَجَ﴾ في موضع خفض، لكنها لا تنصرف، فلذلك نُصِبَ، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخْتَارِينَ بَيْنَ أَنْ يَصُومُوا وَبَيْنَ أَنْ يَفْطُرُوا وَيَفْدُوا، خَيْرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِثَلَاثِ شَيْئٍ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَمْ يَتَعَوَّدُوا الصَّوْمَ، ثُمَّ نُسِخَ التَّخْيِيرُ وَنَزَلَتِ الْعَزِيمَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَنَّهُ شَهْرٌ فَلْيَصُومْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم، ولكن يشق عليه، رُخِّصَ لَهُ فِي أَنْ يَفْطُرَ وَيَفْدِيَ، ثُمَّ نُسِخَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هَذَا فِي الْمَرِيضِ الَّذِي بِهِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَرَضِ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ لِلصَّوْمِ، خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَصُومَ وَبَيْنَ أَنْ يَفْطُرَ وَيَفْدِيَ، ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَنَّهُ شَهْرٌ فَلْيَصُومْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وثبتت الرخصة للذنين [لا] يُطِيقُونَ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَمَعْنَاهُ: وَعَلَى الَّذِينَ كَانُوا يُطِيقُونَهُ فِي حَالِ الشَّبَابِ فَعَجَزُوا عَنْهُ فِي حَالِ الْكِبَرِ فَعَلَيْهِمُ الْفِدْيَةُ بَدَلَ الصَّوْمِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الطَّاءِ وَتَخْفِيفِهَا وَفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِهَا، أَي: يُكَلِّفُونَ الصَّوْمَ، وَتَأْوِيلُهُ: عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ، وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَا يُرْجَى زَوَالُ

من الرمضاء، وهي الحجارة المحماة، لأنهم كانوا يصومونه في الحر الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ﴾، سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القرء: الجمع، وقد يحذف الهمز فيقال: قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير «القرآن» بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالنوراة والإنجيل، وروي عن مقسم عن ابن عباس أنه سئل عن قوله عز وجل: ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الدخان: ٣]، وقد نزل في سائر الشهور، وقال عز وجل: ﴿وَرَوْنَاهَا قُرْآنًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؟ فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أَمْسِرُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ١٧٥]، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكن جبريل كان يجارض

محمدًا ﷺ في رمضان ما أنزل الله إليه، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء.

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضين من [شهر] رمضان»، ويروي «فتي أول ليلة من رمضان»، «وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من [شهر] رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الزبور على داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها».

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: من الضلالة، و﴿هُدًى﴾ في محل التصب على القطع، لأن القرآن معرفة «وهدي» نكرة، و﴿وَيَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾، أي: دلائل وأضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، و﴿الْقُرْآنِ﴾، أي: المفروق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر [فليصمه]، اختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: [لا] يجوز له أن يفطر، وبه قال عبيدة السلماني؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: الشهر كله، وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له الفطر، ومعنى الآية: فمن شهد

منكم الشهر كله فليصمه، أي: الشهر كله، ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه، والدليل عليه: ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه، وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، [و] أعاد هذا الكلام ليُعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر، وهو قول ابن سيرين، قال طريف بن تمام العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال: إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي: هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعداً، وذهب الأكثرون إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهده الصوم أفطر، وإن لم يجهده فهو كالصحيح، وأما السفر فالفطر فيه مباح، والصوم جائز عند عاقبة أهل العلم إلا ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير

وعلي بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم في السفر، ومن صام فعليه القضاء.

واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر».

وذلك عند الآخرين في حق من يُجهد الصوم، فالأولى له أن يفطر، والدليل عليه ما:

أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم، أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت محمد بن عمرو بن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله قال:

«كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه، فقال: «ما هذا؟» قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصوم في السفر».

والدليل على جواز الصوم: ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو نعيم الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبيد الله القواريري، أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجزييري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:

«كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم».

واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، روي ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب

والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل، وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس، وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جببر، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرهما عليه؛ لقوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»، وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبدالعزيز.

ومن أصبح مقيماً صائماً ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أما المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبدالعزيز بن محمد عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس معه فقبل له: يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام، فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس، وصام بعض، فبلغه أن أناساً صاموا فقال: «أولئك العصاة».

واختلفوا في السفر الذي يُبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ»، بإباحة الفطر في المرض والسفر، «وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»، قرأ أبو جعفر «العسر واليسر» ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون، وقال الشعبي: ما خيّر رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل، «وَرُكِّعُوا الْعِدَّةَ»، قرأ أبو بكر بتشديد الميم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: «أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَحْمَكُمْ»، [المائدة: ٣]، والواو في قوله تعالى: «وَرُكِّعُوا» واو التُسُقِي واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي: لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتُم في مرضكم وسفركم، وقال [عطاء]: «وَرُكِّعُوا الْعِدَّةَ»، أي: عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر:

«أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن عمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا الشهرَ بصوم يوم ولا يومين، إلا أن يُوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صُوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أعْمي عليكم فعدّوا ثلاثين ثم أفطروا».

﴿رَأَيْتُمْ كَيْدَ اللَّهِ﴾: ولتعظّموا الله، ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُمْ﴾: أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخضّكم به دون سائر أهل الملل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبّرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً فذكّره التلبية، ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه [التي خضّكم بها]، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبدالعزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان صُفدت الشياطينُ وفُتحت أبوابُ الجنة وغُلقت أبوابُ النار».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراح، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد

المجوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء، أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطينُ ومَرَدَةُ الجنِّ وغُلقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبوابُ الجنة فلم يُغلق منها باب، ويُنادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة».

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد الثّنجيني المصري بها المعروف بأبي النحاس قيل له: أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العنزي البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أخبرنا سفيان بن عُيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي نزار، حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن أسد الصفار، أخبرنا أبو جعفر

أحمد بن محمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي، أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال:

خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيّها الناس إنه أظلمكم شهر عظيم». [وفي رواية: «قد أظلمكم»، بالطاء: أظلم: أشرف]، شهر مبارك، شهرٌ فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهرٌ جعل الله صيامه وقيامه ليلاً تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة [أي المساهمة] وشهرٌ يُزاد فيه الرزق، من فطر فيه صائماً كان له مغفرةٌ لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يُفطر به الصائم؟ قال رسول الله ﷺ: «يُعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مَدَقَّة لَبَنٍ أو تمرّة أو شربةً من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله عزّ وجلّ من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة». وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين تُرضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكنّ عنهما، أمّا الخصلتان اللتان تُرضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله

وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكير الكوفي، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضاعف له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يَدْعُ الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوفُ فِيهِ أَطيبُ عند الله من ریح المسك، الصَّوْمُ جُنَّةٌ الصَّوْمِ جَنَّةٌ».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف، حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد:

عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، منها باب يُسَمَّى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله

الخلال أخبرنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد عن حُجَيِّ بن عبدالله عن أبي عبدالرحمن الحُبلي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ [أنه] قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رب إنني منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب إنني منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غَلِظَ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وفيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم [يا محمد] إنني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء، كما قال: ﴿وَمَنْ أَوْزُبْ إِلَيْهِ مِنْ جَلِّ الْأَرْضِ﴾ [ق: ١٦].

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل [أخبرنا موسى بن إسماعيل]، أخبرنا عبدالواحد عن عاصم عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري قال:

لما غَزَا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على وإذ فرغوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنْكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ».

قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾، قرأ أهل المدينة غير قالون وأبي عمرو بإثبات الياء فيهما في الرصل، والباقون يحذفونها وصلاً ووقفاً، وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة، وثبت يعقوب جميعها وصلاً ووقفاً، واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط وصلاً ووقفاً، ﴿لَيْسْتَ جِيبًا﴾، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا لي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى: العطاء، ومن العبد: الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي، أي: ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني، ﴿وَلْيُؤْمَرُوا بِمَا لَمْ يُؤْمَرُوا﴾، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، وقوله: ﴿أَنْتُمْ جِيبٌ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد ندعو كثيراً فلا يُجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: أجيب دعوة الداعي إن شئت؛ كما قال:

﴿فَكَيْفَ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، أو أجييب دعوة الداعي إن وافق القضاء، أو أجييبه إن كانت الإجابة خيراً له، أو أجييبه إن لم يسأل محالاً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور [محمد بن محمد] بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح أن ربيعة بن زيد حدثه عن أبي إدريس، عن أبي هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «يستجيب الله لأحدكم ما لم يدعْ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، فيدعُ الدعاء».

وقيل: هو عام، ومعنى قوله: ﴿أُجِيبُ﴾، أي: أسمع، ويقال: ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يُعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل: معنى الآية أنه لا يخيب دعاءه فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يُقدَّر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كَفَّ عنه به سواء [في الدنيا]، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو

جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا ابن ثوبان وهو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم:

أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو كفَّ عنه من سوء مثلها ما لم يدعْ بإثم أو قطيعة رحم».

وقيل: إن الله تعالى

يُجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويؤخر إعطاء [من يحب] مراده ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يخفض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء، فلا يستحق الإجابة.

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ أَرْفَتْ إِنْ سَأَلْتُمْ﴾، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكني، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث، فإنما عنى به الجماع، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء، قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حلَّ له الطعام والشراب

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ أَرْفَتْ إِنْ سَأَلْتُمْ مِنْ لَيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَهُنَّ عِلْمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَانْتَشِرُوا وَهُمْ وَأَتَوْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَوْا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ أَلْخِطَ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى الْوَيْلِ وَلَا تَنْبِشُوا فِيهِمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي السُّجُودِ تَبَاكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْكُفَّارِ لِكُلُّوا أَوْ يَفْقَهُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنْ الْأَهْلِ فَلَنْ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالصَّحْبُ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَنْفَرُ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتُلِكُوا وَلَا تَسَدَّدُوا إِلَيْهِمْ اللَّهُ لِيَُحِبَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾

إلى أن يصلّي العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرّم عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعدما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ بيكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، إنني رجعت إلى أهلي بعدما صلّيت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجامعتُ أهلي، فهل تجدلني من رخصة؟ فقال النبي ﷺ: «ما كنتُ جديراً بذلك يا عمر»، فقام رجال فاعترفوا بمثله، فنزل في عمر وأصحابه: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ﴾ أي: أبيع لكم ليلة الصيام: ﴿أَرْفَتْ إِنْ سَأَلْتُمْ مِنْ لَيْسَ لَكُمْ﴾ أي: سكن لكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَهُنَّ﴾ أي:

سكن لهن، دليله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجزدهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش لكم، وأنتم لحاف لهن، وقال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يوارى الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه».

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ أُنفُسَكُمْ﴾، أي: تخونونها وتظلمونها بالمجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء [رمضان] كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ أُنفُسَكُمْ﴾، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مسح ذنوبكم، ﴿فَاتَّقِنَ بُيُوتَهُنَّ﴾: جامعوهن حلالاً، سميَت المجماعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة

التي كتب الله لكم، بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقال معاذ بن جبل ابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر، قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَيْسُ مِنَ الْأَمْرِ﴾، نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صرمة بن قيس بن صرمة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صرمة، وقال الكلبي: أبو قيس صرمة بن أنس بن صرمة.

وذلك أنه ظلَّ نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قديمي الطعام، فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخياً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء من صلي العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه إذ هي به قد نام، وكان قد أعيا وكل [من العمل]، فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً»، فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، يعني في ليالي الصوم ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَيْسُ مِنَ الْأَمْرِ﴾، يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمياً خطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا

سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف، ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال:

أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَيْسُ مِنَ الْأَمْرِ﴾، ولم ينزل قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فعملوا إنما يعني بهما: الليل والنهار.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبدالرحمن، عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال:

لما نزلت ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَيْسُ مِنَ الْأَمْرِ﴾ عمدت إلى عقاب أسود وإلى عقاب أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل لا يستبين لي، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن بلاياً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، قال: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى

لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت.

واعلم أن الفجر فجران: كاذب وصادق، فالكاذب: يطلع أولاً مستطيلاً كذب السرحان ويصعد إلى السماء، فبطووعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطووعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا هناد ويوسف بن عيسى، قالوا: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سودة بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعكم من سحوركم آذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَيْنَا النَّبِيَّ بِالْأَيْلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، فإذا غربت حصل الفطر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن

الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم». قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَغُوا مِنْهُ وَآتَاكُمْ عَنْكَمْ فِي التَّسْجِدِ﴾ [وقد نويتم الاعتكاف في المساجد وليس المراد عن مباشرتهن في المساجد لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف]، والعكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع: هو الإقامة في المسجد على عبادة الله [تعالى]، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا الليث عن عقييل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ:

أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد، فثهوا عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف، ويفسد به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه، ولا يفسد به الاعتكاف عند

أكثر أهل العلم، وهو أظهر قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة: يبطل بها اعتكافه، وهو قول مالك، وقيل: إن أنزل يبطل اعتكافه، وإن لم ينزل فلا، كالصوم. وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف، لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله أي: ما منع الله عنها، قال السيدي: شروط الله، وقال شهر بن حوشب: فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يقال للبيوت: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، فلا تأتوها ﴿كَذَلِكَ﴾، هكذا ﴿يَبْتَغِي اللَّهُ إِلَيْهِمُ الْبَاطِلَ﴾، لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾، قيل:

نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عايش الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً [أنه غلبني عليها] فقال النبي ﷺ للحضرمي:

«ألك بيّنة؟» قال: لا، قال: «فلك يمينه»، فانطلق ليحلف، فقال رسول الله ﷺ: «[أما إن حلف على ماله] ليأكله ظلماً ليلقي الله وهو عنه معرض»، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، أي: من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل: الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع: قد يكون بطريق الغصب والنهب، وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة، ﴿وَتَدُلُّوْا بِهَآ إِلَى الْحُكْمِ﴾، [أي: تُلْقُوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام]، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يُقال: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلاه يدلوه إذا أخرجه، قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بيّنة فيجحد المال، ويخاصم فيه إلى الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور، وقوله ﴿وَتَدُلُّوْا﴾ في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل: معناه لا تأكلوا بالباطل وتنسونه إلى الحكام، قال قتادة: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم، فإن قضاءه لا يُحل حراماً، وكان شريح القاضي يقول: إني لأقضي لك واني لأظنك ظالماً، ولكن [لا يسعني إلا أن أقضي] بما يحضرني من البيّنة،

وإن قضائي لا يُحل لك حراماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار».

قوله تعالى: ﴿لَتَأْكُلُوا مِنْهَا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بالظلم، وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقطع بها مال أخيه، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عتبة الأنصاريين قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلئ نوراً، ثم يعود دقيقاً كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾، وهي جمع هلال، مثل رداء وأردية، سُمِّي هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته، من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يُولد، وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿فَلَمْ يَمْوَأِقْبُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة

والصوم والإفطار وآجال الديون وعُدد النساء وغيرها، فذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد منه [ويهبط]، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يُجَلَّ من إحرامه، ويرون ذلك برأ إلا أن يكون من الخمس، وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو حضر بن معاوية، سُموا حمساً لتشددهم في دينهم، والحماسة الشدة والصلابة، فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار يُقال له: رفاعة بن التابوت على أثره من الباب، وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟» فقال: رأيتك دخلت [منه] فدخلت على أترك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمس»، فقال الرجل: إن كنت أحمسياً فإني أحمسي رضيئتُ بهديك وسميتك ودينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يُجَلَّ بينهم وبين السماء شيء، فكان

بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَقَالَ
الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: [هَذِهِ أَوْلَى
آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ
أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ
كَافَّةً، قَاتِلُوا أَوْ لَمْ يقاتلُوا
بِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
[التوبة: ٥]، فَصَارَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ مَنْسُوخَةً بِهَا، وَقِيلَ:
نَسَخَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
الْمُشْرِكِينَ قَرِيبٌ مِنْ
سَبْعِينَ آيَةً. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا
تَقْتُلُوا﴾، أَي: لَا
تَبْدُوهُمْ بِالْقِتَالِ، وَقِيلَ:
هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ
مَنْسُوخَةٍ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ
بِقِتَالِ الْمُقَاتِلِينَ، وَمَعْنَى

الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له
الحاجة بعدما يخرج من بيته، فيرجع
ولا يدخل من باب الحجر من أجل
سقف الباب أن يحول بينه وبين
السماء، فيفتح الجدار من ورائه ثم
يقوم في حجرته فيأمر بحاجته، حتى
بلغنا أن رسول الله ﷺ أهل زمن
الحديبية بالعمرة فدخل حجره فدخل
رجل على أثره من الأنصار من بني
سلمة، فقال النبي ﷺ: «لِمَ فَعَلْتَ
ذَلِكَ؟» قال: «لَأَنِّي رَأَيْتُكَ دَخَلْتَ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَحْمَسُ»،
فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: «وَأَنَا أَحْمَسُ»،
يَقُولُ: «وَأَنَا عَلَى دِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة
والكسائي وأبو بكر «البيوت»،
والغيبوب، والجيبوب، والعيون،
وشيوخا» بكسر أوائلهن، لمكان
البياء، وقرأ الباقر بالضم على
الأصل، وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي «جيبوبهن» بكسر الجيم،
وقرأ أبو بكر وحمزة «الغيبوب» بكسر
الغين، «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آخِرِهَا»،
أي: البرُّ بِرٌّ مِنْ آخِرِهَا «وَأَتُوا الْبُيُوتَ
مِنْ آخِرِهَا»، [أي]: فِي حَالِ
الْإِحْرَامِ، «وَاتَّقُوا اللَّهَ لِكَلِمَاتِهِ
تُفْلِحُونَ».

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾،
أي: فِي طَاعَةِ اللَّهِ، «الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكَ»، كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ
أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْكَفِّ
عَنِ الْقِتَالِ بِالْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرَ
إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُ مِنْهُمْ

الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ
خرج مع أصحابه للعمرة، وكانوا ألفاً
وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا
الحديبية فصدّهم المشركون عن البيت
الحرام، فصالحهم على أن يرجع
عامه ذلك، على أن يخلوا له مكة عام
قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت، فلما
كان العام المقبل تجهّز
رسول الله ﷺ وأصحابه للعمرة
القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بما
قالوا، وأن يصدّوهم عن البيت
الحرام، وكره أصحاب
رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر
الحرام وفي الحرم، فأنزل الله تعالى:
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يَعْنِي
مُحْرَمِينَ، «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ»، يَعْنِي:
قَرِيباً «وَلَا تَقْتُلُوا﴾، فَتَبَدُّوا
بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ [وَأَنْتُمْ] مُحْرَمِينَ،
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُكْفِرِينَ﴾.
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾،

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾، أَي: لَا
تَقْتُلُوا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ
وَالرَّهْبَانَ، وَلَا مِنْ أَلْقَى إِلَيْكَ
السَّلَامَ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَمُجَاهِدٍ.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي
أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو
بكر بن سهل القهستاني المعروف
بأبي تراب، أخبرنا محمد بن عيسى
الطرسوسي، أنا يحيى بن بكير أنا
الليث بن سعد عن جرير بن حازم
عن شعبة، عن علقمة بن يزيد عن
سليمان بن بريدة عن أبيه قال:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ جَيْشاً قَالَ:
«اغزوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا
امْرَأَةً وَلَا وَلِيداً وَلَا شَيْخاً كَبِيراً».

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس: نزلت هذه الآية في صلح

قيل: نُسخَت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة: الجِدْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتَهُمْ﴾، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْقَتْلِ﴾، يعني: شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ حَيْثُ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنَّ قَتْلَكُمْ فَانْتَلَوْهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم»، بغير ألف فيهن من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يجزى بدائتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُونَ يَنْتَهِى﴾ [البقرة: ١٩٣]، هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان: قوله ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يُفْتَنُوكُمْ﴾، أي: حيث أدركتموهم في الجبل والحرم، وصارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ﴾، ثم نسختها آية السيف في «براءة»، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَنْ آتَى الْكُفْرَ﴾، عن القتال والكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أي: غفورٌ لِمَا سَلَفَ رَحِيمٌ بالعباد.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، يعني: المشركين، ﴿حَيْثُ لَا تَكُونُونَ يَنْتَهِى﴾، أي: شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قُتل، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، فلا يُعبد شيءٌ دونه، قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير، فقال: ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل [في قوله]: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، فقال: يا ابن أخي لأن أغير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أغير بالآية التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]... قال: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُونَ يَنْتَهِى﴾؟ قال: [قد] فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرجل يُفتن في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. وعن سعيد بن جبيرة قال: قال رجل لابن عمر: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس [لكم] غنى عن الملك، ﴿فَإِنْ آتَيْتُمُوهُ﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَلَا عُدُونَ﴾، فلا سبيل ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قاله ابن عباس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾

[القصص: ٢٨]، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلا على الظالمين الذين بقوا على الشرك، [وما يفعل بأهل الشرك] من هذه الأشياء لا يكون ظلاماً، وسماه عدواناً على طريق المجازاة والمقابلة، كما قال: ﴿مَنْ آتَىكَ عَلَيْهِمْ فَأَتَدْنَا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وسُمي الكافر ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَرَمِ وَالْحُرْمِ﴾، نزلت هذه الآية في عُمرَةَ القضاء، وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصدّه المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة.

فذلك معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيت فيه عمرتكم سنة سبع [من الهجرة]، ب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: ذا القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والقصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه: إن بدوكم بالقتال

في الشهر الحرام فقاتلوه فيه، فإنه
قصاص بما فعلوا فيه، ﴿فَمَنْ آمَنَكَ
عَلَيْكُمْ فَأَعِدُّوا عَلَيْهِ﴾، وقاتلوه ﴿بِمِثْلِ
مَا آعَدْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾، سُمِّيَ الجزء باسم
الابتداء على ازدواج الكلام؛ كقوله
تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَنَةٌ سَنًا مِّثْلَهَا﴾
[الشورى: ٤٠]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿١٩٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾، أراد به الجهاد وكل خير هو
في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف
إلى الجهاد، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْبَاءِ﴾، قيل: الباء في قوله تعالى:
﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ زائدة، يُريد: ولا تلقوا
أيديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة
عبر بالأيدي عن الأنفس؛ كقوله
تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾
[الشورى: ٣٠]، أي: بما كسبتم،
وقيل: الباء في موضعها، وفيه
حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم
بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك،
وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته
إلى الهلاك، أي: فلا تأخذوا في
ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن
الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن
الاحتراز عنه، والعرب لا تقول
للإنسان: ألقى بيده إلا في الشرك،
واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال
بعضهم: هذا في البخل وترك
الإنفاق، يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْبَاءِ﴾ بترك الإنفاق في سبيل الله،
وهو قول حذيفة والحسن وقاتدة
وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في
هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم
يكن لك إلا سهم أو مشقص ولا
يقولن أحدكم إنني لا أجد شيئاً وقال

السدي فيها: أنفق في سبيل الله،
ولو عقلاً ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
الْبَاءِ﴾، ولا تقل: ليس عندي
شيء، وقال سعيد بن المسيب
ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى
بالإنفاق قال رجل: أمرنا بالنفقة في
سبيل الله [تعالى]، ولو أنفقنا أموالنا
بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية،
وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم نفقة
في حق خيفة العيلة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله
الصالح، أخبرنا أحمد بن الحسن
الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن
علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا
أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا
أبو غسان، أخبرنا خالد بن عبد الله
الواسطي، أخبرنا واصل مولى أبي
عبيدة عن بشار بن أبي سيف، عن
الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن
غضيف قال: أتينا أبا عبيدة نعوذه
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَبِعْمائة، وَمَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً
عَلَى أَهْلِهِ فَالْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَثْمَالِهَا».

وقال زيد بن أسلم: كان رجال
يخرجون في البعث بغير نفقة، فإذا
أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً،
فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على
أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن
عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير
نفقة ولا قوت فيلقي بيده إلى
التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من
الجوع والعطش أو من المشي،
وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد

قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت
فيما معشر الأنصار، وذلك أن الله
تعالى لما أمر [دينه] ونصر رسوله،
قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا
وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله
نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا
فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها،
فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْبَاءِ﴾.

والتهلكة الإقامة في الأهل والمال
وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب
يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر
غزوة بقسطنطينية في زمن معاوية،
فتوفي هناك وذفن في أصل سور
القسطنطينية، وهم يستسقون به.

وروي عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه بالغز مات على
شعبة من النفاق».

وقال محمد بن سيرين وعبيدة
السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو
القنوط من رحمة الله، قال أبو
قلاية: هو الرجل يصيب الذنب
فيقول قد هلكت ليس لي توبة،
فيأس من رحمة الله وينهمك في
المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن
ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا
يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾
[يوسف: ٨٧]، قوله تعالى:
﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أي أحسنوا أعمالكم
وأخلاقكم وتفضلوا على الفقراء ﴿إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا
وَأَلْمَزُوا فِيهِ﴾، قرأ غلقة وإبراهيم

النخعي: «وأقيموا الحج والعمرة لله»، واختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يُتِمَّهَما بمناسكهما وحُدودهما وسُننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير، وللحج تحللان، وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الزيارة، والحلق، فإذا وجد شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستبيح جميع محظورات الإحرام إلا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق. قال سعيد بن جبيرة وطاوس: تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما [مُفْرَدَيْنِ مُسْتَأْفَنَيْنِ] من ديرة أهلك، [وسئلت علي بن أبي طالب عن قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، قال: أن تحرم بهما من ديرة أهلك]، ومثله عن ابن مسعود، وقال قتادة: تمام العمرة أن تُعْمَلَ في غير أشهر الحج، فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي متعة، وعليه فيها الهدي إن وجدته أو الصيام [إن لم يجد الهدي]، وتمام الحج أن يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عامله دم بسبب قرآن ولا متعة، وقال الضحَّاك: إتمامها أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه،

وقال سفيان الثوري: [إتمامها] أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة. قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاج قليل. واتفقت الأمة على وجوب الحج [على] من استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العمرة، فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، [قال الله تعالى]: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة، وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه، وذهب قوم إلى أنها سنة، وهو قول جابر وبه قال الشافعي، وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، على معنى أتوهما إذا دخلتم فيهما، أما ابتداء الشروع فيها فتطوع، واحتج من لم يوجبهما بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: «لا، وأن تعتمروا خير لكم».

والقول الأول أصح، ومعنى قوله: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، أي: ابتدؤوهما فإذا دخلتم فيهما فاتمموهما فهو أمر بالابتداء والإتمام، أي: أقيموهما؛ كقوله تعالى: ﴿فَرَّ أَيَّتُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: ابتدؤوه وأتموه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن

زنجويه، أخبرنا ابن أبي شيبة، أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم، عن شقيق عن عبدالله قال:

قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة».

وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه: الأفراد والتمتع والقرآن، فصورة الأفراد أن يُفْرَدَ الحج، ثم بعد الفراغ منه يعتمر، وصورة التمتع: أن يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يُحْرَمَ بالحج من مكة، فيحج في هذا العام، وصورة القرآن أن يُحْرَمَ بالحج والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف، فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه فذهب جماعة إلى أن الأفراد أفضل ثم التمتع ثم القرآن وهو قول مالك والشافعي، لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام

حَجَّةُ الْوُدَاعِ فَمَتَا مِنْ أَهْلِ بَعْمَرَةَ، وَمَتَا مِنْ أَهْلِ بَحْجٍ وَعُمَرَةَ، وَمَتَا مِنْ أَهْلِ بِالْحَجِّ، وَأَهْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَجِّ، فَمَتَا مِنْ أَهْلِ بِالْعُمَرَةَ فَحَلَّ وَالْحَجِّ وَالْعُمَرَةَ، فَلَمْ يَجَلَّ حَتَّى كَانَ يَوْمَ النَّحْرِ.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا ننوي إلا الحج، ولا نعرف غيره ولا نعرف العُمرة.

وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ أفرد الحج.

وذهب قوم إلى أن القران أفضل، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما:

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا محمد بن هشام بن ملاحس النميري أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد [قال]: قال أنس بن مالك:

أهل رسول الله ﷺ فقال: «ليكن بحجة وعُمرة»، وذهب قوم إلى أن التمتع أفضل، وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، واحتجوا بما أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف

أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن عُقَيْلِ بْنِ أَبِي شَهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ:

تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ، [وَأَهْدَى] فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْخُلَيْفَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَهْلَ بِالْعُمَرَةَ ثُمَّ أَهْلَ بِالْحَجِّ، [فَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْعُمَرَةَ إِلَى الْحَجِّ]، فَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ أَهْدَى فَسَاقَ الْهَدْيَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ قَالَ لِلنَّاسِ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى فَإِنَّهُ لَا يَجَلُّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمٍ مِنْهُ، حَتَّى يَقْضِيَ حَجَّتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَهْدَى فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَيَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَلْيَقْضِرْ وَلْيَحْلِلْ، ثُمَّ لِيَهْلُ بِالْحَجِّ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ»، فَطَافَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ حَبَّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى أَرْبَعًا فَرَكِعَ حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَانصَرَفَ فَاتَى الصَّفَا فَطَافَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةَ سَبْعَةَ أَطْوَافٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْ شَيْءٍ حَرُمٍ مِنْهُ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ وَنَحَرَ هَدْيَهُ يَوْمَ النَّحْرِ وَأَفَاضَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرُمٍ مِنْهُ، وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَهْدَى وَسَاقَ الْهَدْيَ مِنَ النَّاسِ.

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن

عمر عن رسول الله ﷺ.

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد اختلفت الرواية في إحرام النبي ﷺ، كما ذكرناه وذكر الشافعي في كتاب «اختلاف الحديث» كلاماً موجزاً أن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والتمتع، وكلُّ كان يأخذ منه [ﷺ] أمر تُسَكِّه ويصدر عن تعليمه، فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها، ويجوز في لغة العرب إضافة الشيء إلى الأمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له، كما يقال: بئى فلان داراً وأريد أنه أمر بينائها، وكما روي أن النبي ﷺ رجم ماعزاً.

وإنما أمر برجمه، واختار الشافعي الأفراد، لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر للنبي ﷺ، وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها، ولفضل حفظ عائشة رضي الله عنها، وقرب ابن عمر من النبي ﷺ، ومال الشافعي في «اختلاف الحديث» إلى التمتع، وقال: ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا، وإن كان الغلط فيه قبيحاً من جهة أنه مباح، لأن الكتاب ثم السنة ثم ما لا أعلم فيه خلافاً يدل على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقران واسع كله، وقال من قال إنه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على ما [لا] يعرف من أهل العلم الذين أدرَكُوا دَوْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَحَدًا لَا يَكُونُ مَقِيمًا عَلَى الْحَجِّ إِلَّا وَقَدْ ابْتَدَأَ إِحْرَامَهُ بِالْحَجِّ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ

رحمه الله: ومما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد:

روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج.

وقال ابن شهاب عن عروة: إن عائشة أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر.

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «هذه عمرة استمتعنا بها».

وقال سعد بن أبي وقاص [في المتعة]: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

قال الشيخ الإمام: وما زوي عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلا الحج لا ينافي التمتع، لأن خروجهم كان لقصده الحج، ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾، اختلف العلماء في الإحصار الذي يُبيح للمحرم التحلل من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو إضلال راحلة يُبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، [و] قالوا:

لأن الإحصار في كلام العرب هو: حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة، يقال: منه أحصر فهو مُحصرٌ، وما كان من حبس عدو أو سجن يُقال: حُصر فهو مُحْصُورٌ [و] إنما جعل ههنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما:

زوي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كُسِرَ أو عَجِرَ فقد حل [و] عليه الحج من قابل»، قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا: صدق.

وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وزوي معناه عن ابن عمر وعبدالله بن الزبير، وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: الحصر والإحصار بمعنى واحد، وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته، فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية [و] كان ذلك حبساً من جهة العدو، ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾، والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه

إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام، كما: زوي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة، فقال لها النبي ﷺ: «حُجِّي واشترطي وقولي: اللهم مجلي حيث حبستني».

ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، ومحل ذبحة حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديدية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه، ويبعث بهديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق، واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً، ففي قول: لا بدل له فيتحلل والهدي في ذمته إلى أن يجد، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول: عليه صوم التمتع، وفي قول: تقوم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدق به، فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مُدٍّ من الطعام يوماً. كما في فدية الطيب واللبس، فإن المحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحر أو برد أو لبس قميص أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب، فعلى عليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة، فإن لم يجد يقوم الشاة بدراهم، والدراهم يشتري بها طعاماً فيتصدق به، فإن عجز صام عن كل مُدٍّ [من الطعام] يوماً، ثم المحصر إن كان إحرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته،

وإن كان بحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه، وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، أي: فعلية ما تيسر من الهدى، ومحل رفع، وقيل: ﴿مَا﴾ في محل نصب، أي: فاهد ما استيسر، والهدى جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تقرباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه في الموضع الذي أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى ﴿مَحَلَّهُ﴾ حيث يحل ذبحه فيه [وأكله].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالله بن محمد أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر، أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديدية، قال:

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث

مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أنتحب ذلك! [قال: نعم، قالت] فاخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُذْنَكَ وتدعوا حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك [و]: نحر بُذْنَةَ ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا [أي: ازدحاماً].

وقال بعضهم: محل هدي المحصر: الحرم، فإن كان حاجباً فمحلّه يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحلّه يوم يبلغ هديه الحرم، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾، معناه: لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقة لمرض أو لأذى في الرأس من هوانٍ أو صداع ﴿فَيَذِيئُهُ﴾، فيه إضمار، أي: فحلق فعليه فدية، نزلت في كعب بن عُجرة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف، أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر وزقاة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدثني عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة:

أن رسول الله ﷺ رآه وقمّله يسقط على وجهه، فقال: «أيؤذيك هوائك؟» قال: نعم، فأمّره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو

بالحديدية، ولم يبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة. فأنزل الله الفدية، فأمّره رسول الله ﷺ أن يطعم فرقاً بين ستة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿فَيَذِيئُهُ مِمَّنْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾، أي: ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، ﴿أَوْ شُكْرًا﴾، واجدتها نسكية، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيها شاة ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم، إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، أما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مَرْضَكُمْ﴾، أي: من خوفكم وبرأتكم من مرضكم، ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْمَعْرِ إِلَىٰ لَحْحِ فَآسَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبدالله بن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة خرج من إحرامه بعمل عُمره واستمتع بإحلاله ذلك، بتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقابك بعضهم: معناه فإذا أمنتكم وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عمرة وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتزتم في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتكم

بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق [من] الآفاق في أشهر الحج، ففضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج، ولوجوب دم التمتع أربع شرائط: أحدها أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، والثالث أن يُحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، والرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدى، وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر، فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنائيات، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الأضحية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَيَسَامَ كَنَنْتَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾، أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يوماً قبل التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاث في أيام التشريق، يُروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد

وإسحاق، قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوا إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، أي: صوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿بَلَّغْ عَشْرَةَ كَامِلَةً﴾: ذكرها على وجه التأكيد، وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى، وقيل: كاملة بشروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبرٌ ومعناه أمرٌ، أي: فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: هذا الحكم، ﴿لِيَنْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم، وبه قال طاووس، وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان [ونخلتان]، وقال الشافعي: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودم القِرآن كدم التمتع، والمكي إذا قرآن أو تمتع فلا هدي عليه.

قال عكرمة: سُئِلَ ابن عباس عن متعة الحج، فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع، وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا إهلالكم بالحج عُمرَةً إِلَّا مَنْ قَلَدَ الْهَدْيَ»، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نُهَلَّ بالحج، فإذا فرغنا فقد تمَّ حُجَّتَنَا وعلينا الهدى. فجمعوا بين نسكين في عام، بين الحج والعمرة، فإن الله أنزل في كتابه وسنة نبيه، وأباحه للناس من غير أهل مكة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ومن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة، حتى يطلع الفجر يوم النحر فإنه يتحلل بعمل العمرة، وعليه القضاء من قابل، والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقِرآن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع، عن سليمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كذا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت، واسعوا بين الصفا والمروة، وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا أو قصروا، ثم ارجعوا فإذا كان عام قابل فحجوا وأهدوا، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

وَالْتَلِيَّةِ، وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر، وبه قال عطاء وطاووس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وقال: ينعقد إحرامه بالعمرة، لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علق الصلوات بالمواقيت، ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول

وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض، [وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج]، وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وأما العمرة فجميع أيام السنة لها وقت إلا أن يكون متلبساً بالحج، روي عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حتم رأسه خرج فاعتمر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْعَ وَلَا سُؤْفَىٰ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فَلَا رَفْعَ وَلَا سُؤْفَىٰ﴾ بالرفع والتنوين [فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين]، واختلفوا في الرفث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي،

﴿وَأَتَمُّوا اللَّهَ﴾: في أداء الأوامر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، على ارتكاب المناهي.

﴿١٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمن قال: عشر عبّر به عن الليالي، ومن قال تسع عبّر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال: ﴿أَشْهُرٌ﴾ بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت، والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فتقول: أتيتك يوم الخميس، وإنما أثناء في ساعة منه، وتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، وقيل: الاثنان فما فوقهما جماعة، لأن معنى الجمع ضم الشيء إلى الشيء فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة، جاز أن يُسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة، وقد ذكر الله تعالى الاثنتين بلفظ الجمع، فقال: ﴿فَقَدَّ صَفَّتَ قُلُوبِكُمْ﴾ [التحريم: ٤]، أي: قَلْبَاكُمَا، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذو القعدة وذو الحجة كلاً، لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿فَمَنْ رَمَسَ فِيهَا﴾، أي: فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام

سورة البقرة

الجزء الثاني

القرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهي عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السباب.

بدليل قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وقال الضحاك: هو التنابز بالألقاب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْسُ الْأَيْمَنُ الْفُسُوقُ بَدَأَ الْإِيمَنُ﴾ [الحجرات: ١١].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيار أبو الحكم، قال:

سمعت أبا حازم يقول سمعت أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدل أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحج اليوم ويقول بعضهم: الحج غدًا، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم.

وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج

عمرة إلا من قلد الهدى»، قالوا: كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم.

وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة: كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يتجادلون فيه. وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة، فكل يقول: ما فعلته هو الصواب، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، أي: استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ، فلا اختلاف فيه من بعد.

وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة، فأبطل النسيء. قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها: نهي، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٢]، أي: لا ترتابوا، ﴿وَمَا تَقْلَعُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ أَرْزَادِ النَّقْوَى﴾، نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألو الناس، وربما يُفضي بهم

الحال إلى النهب والغصب، فقال الله جل ذكره: ﴿وَكَزَّوْدُوا﴾، أي: ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿فَأِنَّ خَيْرَ أَرْزَادِ النَّقْوَى﴾ من السؤال والنهب، ﴿وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَيْبِ﴾: يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾،

أخبرنا عبدالواحد بن المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبدالله، أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كانت عُكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا.

وروي عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري في هذا الوجه، يعني: إلى مكة، فيزعمون أن لا حج لنا؟ فقال: أستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قلت: بلى، قال: أنت حاج، جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، أي: حرج أن

تَبَتَّعُوا فَضَلًا [رَزَقْنَا] وَمِنْ رَزِيْقِكُمْ، يعني: بالتجارة في مواسم الحج، ﴿كَأَيَّ أَفْضَلَةٍ﴾: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماء، أي: صبّه، ﴿مِنْ عَرَكَتِي﴾، هي جمع عرفة، جمع بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله سُمي الموقف عرفات، واليوم عرفة، فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يُري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول: أعرفت؟ فيقول: عرفتُ، فسُمي ذلك المكان عرفات، واليوم عرفة، وقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أُهبط [من الجنة] إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا، فسُمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي: لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية، وأناه من أناه أمره الله [تعالى] أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج فلما بلغ الجمره عند العقبة استقبله الشيطان ليرده، فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار، فوقع على الجمره الثانية، فرماه وكبر فطار، فوقع على الجمره الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيقه ذهب، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز، فسُمي ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعنت، فسُمي الوقت عرفة

والموضع عرفات، حتى إذا أمسى ازدلف، [أي: قرب] إلى جمع، فسُمي المزدلفة. وزوي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه، فلما أصبح روى يومه أجمع، أي: فكَرَّ آمِنَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الرَّوْيَا؟ أم من الشيطان؟ فسُمي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى، فسُمي اليوم يوم عرفة. وقيل: سُمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل: سُمي بذلك من العرف، وهو الطيب، وسُمي منى لأنه يُمنى فيه الدم، أي: يُصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيباً، وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة.

قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالدعاء والتلبية، ﴿عِنْدَ الْمَشْرِقِ أَلْحَرَّاءِ﴾، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة إلى المحسّر، وليس المازمان ولا المحسّر من المشعر الحرام، وسُمي مشعراً من الشعار، وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من المنع، فهو ممنوع [من] أن يفعل فيه ما لم يُؤذن فيه، وسُمي المزدلفة جمعاً لأنه يُجمع فيه بين صلاتي المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر، قال طاووس: كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس، ومن مزدلفة بعد أن

تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير كيما تفيبر، فأخبر الله هذه، وقدم هذه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبدالله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول:

دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب، نزل فبال ثم توضع فلم يسبح الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله، قال: فقال: «الصلاة أمامك»، فركب فلما جاء المزدلفة، نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلّى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيه في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً.

وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يُسبح بينهما شيئاً ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلّى الفجر حين تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب [ناقته] القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعاه وكبره وهلله ووحدته، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، ودفع قبل أن تطلع الشمس.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير، أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن

عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة بن زيد كان ردّف رسول الله ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قالا: لم يزل النبي ﷺ يُلَبِّي حتى رمى جمرَةَ العقبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾، أي: واذكروهم بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم لدينه ومناسك حجّه، ﴿وَرَأَى كُتُبًا مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الْكُفَّاءِ﴾، أي: وقد كنتم [قبل]، [أي]: وما كنتم من قبله إلا من الضالين؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى نَظْمًا لَمَنِ الْكُفَّاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي: وما نظمتك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ راجعة إلى الهدى، وقيل: إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِّن حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسُ﴾، قال أهل التفسير: كانت قريش وحلفاؤها ومَن دَانَ بدينها وهم الحُمس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقُطان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظّمون أن يقفوا مع [سائر العرب] بعرفات، [وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات]، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه ستّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم: خاطب به جميع المسلمين، وقوله تعالى: قال ﴿مِن

حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسُ﴾ من جمع، أي: ثم أفيضوا من جمع إلى منى، وقالوا: لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فكيف يسوغ أن يقول: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير، وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: فمن فرض فيهن الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، وقيل: ثم بمعنى الواو، أي: وأفيضوا؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧]، وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحُمس، وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس ههنا إبراهيم عليه السلام وحده؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]، وأراد محمداً ﷺ وحده، ويقال هذا الذي يُقْتَدَى به ويكون لسان قومه، وقال الزهري: الناس ههنا آدم عليه السلام وحده، دليله قراءة سعيد بن جبيرة: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِّن حَيْثُ أَفْكَسَ النَّاسِي﴾، بالياء، وقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان [يسير] رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين

دفع؟ قال: كان يسير العتق، فإذا وجد فجوة نصّ.

قال هشام: والنص فوق العتق.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد، حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال: أخبرني سعيد بن جبيرة مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً لليل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البرّ ليس بالإيضاع»، ﴿وَأَسْتَفْرِئُوا اللَّهَ رَجَاً﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾، أي: فرغتم من حجكم وذبحتم نَسَائِكُمْ، أي: ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكاً إذا ذبح نسكته، وذلك بعد رمي جمرَةَ العقبة والاستقرار بمنى، ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير والتحميد والثناء عليه، ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آباؤها، فأمرهم الله بذكره، وقال: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾ [البقرة: ١٥٢]، فإني الذي فعلت ذلك بكم وآبائكم وأحسنتم إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلّم يلهج بذكر أبيه لا بذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي

أباه، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وسئل ابن عباس عن قوله ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، يعني: بل أشد، أي: أكثر ذكراً، ﴿فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾، أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإيلاً وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، قال قتادة: هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾: من حظ ونصيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، يعني: المؤمنيين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلد أنا الحارث بن [أبي] أسامة أنا أبو عبدالرحمن المقري، أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالوا: أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبدالرحمن الحُبَلِي يحدث عن عبدالله بن

عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

وقال الحسن: ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ العلم والعبادة ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ الجنة. وقال السدي وابن حبان: ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ المغفرة الثواب.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني غبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة:

عن النبي ﷺ قال: «اغْبَطُ أَوْلِيَانِي عِنْدِي مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظِّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنُ عِبَادَةِ رَبِّهِ فَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يَشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كِفَافاً فَصَبِرَ عَلَى ذَلِكَ» ثم نفص بيده فقال: «هكذا عجلت منيته، قلت بواكيه، قل تراثه».

وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، وقال عوف في هذه الآية: من آناه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكركاني الطوسي

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، أخبرنا محمد بن عبدالله الأنصاري، أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ، فقال: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟» فقال: يا رسول الله كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: «سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه، هلاً قلت: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي إسحاق الحجاجي، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبدالرحمن الدغولي، أخبرنا محمد بن مشكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه [عن]

من يوم عرفة ويختم بعد العصر من آخر أيام التشريق، يُروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال مكحول وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه [وهو المرجح عند الشافعي]، وذهب قوم إلى أنه يتبدى التكبير عقب صلاة الصبح من يوم عرفة، ويختم بعد العصر من يوم النحر، يُروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال قوم: يتبدى التكبير عقب صلاة الظهر من يوم النحر ويختم بعد [صلاة] الصبح من آخر أيام التشريق، يُروى ذلك عن ابن عباس، وبه قال مالك والشافعي، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج، وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية، ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبير والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً، وهو قول أهل المدينة وإليه ذهب الشافعي، وقال: وما زاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبر اثنين، يُروى ذلك عن ابن مسعود.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أراد أن من تفرّج الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة سبع حصيات، ورخص في ترك البيتوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج، ثم

وبغيرها من الأوقات، ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام رمي الجمار، سميت معدودات لقلتهن؛ كقوله: ﴿ذَرَهُمْ مَعْدُودَةً﴾ [يوسف: ٢٠]، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، وزوي عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر

وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس: المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق. وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق.

وزوي عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله».

ومن الذكر في أيام التشريق التكبير، واختلفوا فيه فروى عن عمرو وعبدالله بن عمر أنهما كانا يكبران بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجالس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق، ويكبر الناس بتكبيرهما، ويتأولان هذه الآية، والتكبير أدبار الصلوات مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء، واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يتبدى التكبير عقب صلاة الصبح

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهِي تُحْشَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢١﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُنْكَادِ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهَآ إِلَّا اللَّهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَأْتِكُمْ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٦﴾

عبدالله بن السائب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود: ﴿رَمَكَا مَا نَسَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَىٰ عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: حظ ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾: من الخير والدعاء بالشواب والجزاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وغي صدر ولا إلى رُوِيَّة ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر. وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، يعني: التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبر مع كل حصاة

كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر ويدع البيوتة الليلة الثالثة، ورمى يومها فذلك له واسع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، [وقوله تعالى] ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، يعني: لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تأخره، وقيل معناه: فمن تعجل فقد ترخص ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالترخص، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [في ذلك] بترك الترخص، وقيل معناه: رجع مغفوراً له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر.

كما روينا: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

وهذا قول علي وابن مسعود. قوله تعالى: ﴿لِيَنْ أْتَقَى﴾، أي: لمن اتقى أن يصيب في حجة شيئاً نهاه الله عنه، كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق»، قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: ﴿لِيَنْ أْتَقَى﴾ الصيد، لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلص أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب إثم إن اتقى فيما بقي من عمره، [وَأْتَقَى اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُشْتَرُونَ]: تُجمعون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾،

قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أبي، وسُمي الأحنس لأنه [كان] حنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ وكان رجلاً حلوا الكلام حلوا المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويُظهر الإسلام [عنده]، ويقول [له]: إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يذني مجلسه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: تستحسنه ويعظم في قلبك.

ويقال في الاستحسان أعجبنى كذا، وفي الكراهية والإنكار: عجبث من كذا، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾، يعني: قول الأحنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي: شديد الخصومة، يقال: لددت يا هذا وأنت تلد لداً ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلدّه لداً، يقال: رجل ألد وامرأة لداة، وقوم لُد، قال الله تعالى: ﴿وَيُذِرْ بِهِ قَوْلًا لُدًّا﴾ [مریم: ٩٧]، قال الزجاج: اشتقاقه من لذيدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله: أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال، في أبواب الخصومة غلب، والخصام: مصدر خاصمه خصاماً ومخاصمة، قاله أبو عبيدة، وقال الزجاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم، مثل: بحر وبحار ويحور، قال الحسن: ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي:

كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها:

عن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَلَدَّ الْخِصْمَ».

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾، أي: أدبر وأعرض عنك، ﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، ﴿لِيُثَبِّدَ فِيهَا﴾، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، ﴿وَأَهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، وذلك أن الأحنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبقيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالا له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً، والنسل: نسل كل دابة، والناس منهم: وقال الضحاك: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾، أي: ملك الأمر وصار والياً ﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم، فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾، أي: لا يرضى بالفساد، وقال سعيد بن المسيب: قطع الدراهم من الفساد في الأرض. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ﴾

اللَّهِ»، أي: خَفِيَ اللهُ، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾^{٢٠٧} بِالْإِثْمِ»، أي: حملته العزة، وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم، أي: بالظلم والعزة والتكبر والمنعة، وقيل معناه: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام، قوله: ﴿فَحَسِبُ جَهَنَّمَ﴾، أي: كافيته، ﴿وَكَيْفَ الْيَهُودَ﴾، أي: الفرائس، قال عبدالله بن مسعود: إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد: اتقِ الله فيقول: عليك بنفسك، ورُوي أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتقِ الله فوضع خده على الأرض تواضعاً لله عز وجل.

﴿٢٠٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَاتٍ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: لطلب رضا الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

رُوي عن ابن عباس والضحاك أن هذه الآية نزلت في سرية الرجيع، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة إنا قد أسلمنا، فابعث إلينا نفرًا من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكرًا منهم، فبعث رسول الله ﷺ حُيَيبَ بنَ عدي الأنصاري ومزند بن أبي مزند العنوي وخالد بن بكير، وعبدالله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدُّبَيْتَةَ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري.

قال أبو هريرة: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فقتلوا بطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا

النار، وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدُّبَيْرَ منعته: عجباً لحفظ الله العبدالمؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته، وأسر المشركون حُبيب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدُّبَيْتَةَ فذهبوا بهما إلى مكة، فأما حُبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأيهم، وكان حُبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فلبث حُبيب عندهم أسيراً، حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحذ بها فأعارته، فدرج بُني لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا حُبيب قد اجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة، فقال حُبيب أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة بعد: والله ما رأيت أسيراً خيراً من حُبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قُطُفًا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة إن كان إلا رزقاً رزقه الله حُبيباً، ثم إنهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الجبل وأرادوا أن يصلبوه، فقال لهم حُبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه، فكان حُبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن يحسبوا أن ما بي

[وطرحوا النوى] فمَرَّتْ عَجُوزٌ فابصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يشرب، من أصحاب محمد ﷺ، فركب سبعون رجلاً منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم، وقال أبو هريرة رضي الله عنه ذكروا [ذلك لحي] من هُذيل يقال لهم: بنو لحيان [فنفروا لهم] بقریب من مائة رجل رام، فاقفوا آثارهم حتى وجدوا مآكلهم التمر في منزل نزله فقالوا: تمر يشرب فاتبعوا آثارهم [فلحقوهم] فلما أحسن بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدند فأحاط بهم القوم فقتلوا مَزْنَدًا وخالدًا وعبدالله بن طارق فشر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال: اللهم إني قد حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار، ثم أحاط [به] المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا جز رأسه لبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربين في قحفه الخمر، فأرسل الله رجلاً من الدُّبَيْرِ وهي الزنابير فحمت عاصماً فلم يقدروا عليه، فسُمِّيَ حميُّ الدُّبَيْرِ فقالوا: دعوه حتى نمسي فتذهب عنه [الدبر] فناخذه، فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطراً كالغزالي فبعث الله الوادي غديراً فاحتمل عاصماً فذهب به إلى الجنة، وحمل خمسين من المشركين إلى

جزع لزدت، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً ولا تُبق منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلستُ أبالي حين أُقتل مسلماً
على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلُو مُمَزَعٍ
فصلبوه حياً فقال: اللهم إنك
تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ

سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم
قام أبو سروعة عقبة بن الحارث
فقتله، ويقال: كان رجل من
المشركين، يقال له سلامان أبو

ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي
خُبيب فقال له خبيب: أتق الله فما
زاده ذلك إلا عتواً فأنفذه [من

ظهره]، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا
قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ﴾، يعني: سلامان، وأما

زيد بن الدُّثينة فابنتاه صفوان بن أمية
ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فبعته مع
مولي له يسمى نسطاس إلى التنعيم

ليقتله بأبيه، واجتمع معه رهط من
قريش فيهم أبو سفيان بن حرب،
فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل:

أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً
عندنا الآن بمكانك تضرب عنقه،
وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما

أحب أن محمداً ﷺ الآن في مكانه
الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا
جالس في أهلي، فقال أبو سفيان:

ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً
كحُبِّ أصحاب محمّد محمداً، ثم
قتله النسطاس، فلما بلغ النبي ﷺ
هذا الخبر قال لأصحابه: «أيكم ينزل

خُبيباً عن خشبته وله الجنة»، فقال

الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي
المقداد بن الأسود، فخرجا يمشيان
بالليل ويكمنان بالنهار، حتى أتيا

التنعيم ليلاً وإذا حول الخشبة أربعون
رجلاً من المشركين نيام نشاوى،
فأنزلاه فإذا هو رطب ينثني لم يتغير

منه شيء بعد أربعين يوماً ويده على
جراحته وهي تبض دماً اللون لون
الدم والريح ريح المسك، فحمله

الزبير على فرسه وسارا، فانتبه الكفار
وقد فقدوا خُبيباً فأخبروا قريشاً
فركب منهم سبعون فلما لحقوهما

قذف الزبير خُبيباً فابتلعتة الأرض،
فسمي ببيع الأرض، فقال الزبير: ما
جراكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع

العمامة عن رأسه فقال: أنا الزبير بن
العوام وأمي صفية بنت عبدالمطلب،
وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان

رابضان يدفعان عن شبليهما، فإن
شتمت ناضلتكم وإن شتمت نازلتكم،
وإن شتمت انصرفتم، فانصرفوا إلى

مكة وقدما على رسول الله ﷺ
وجبريل عنده، فقال: يا محمد إن
الملائكة لتباهي بهذين [الرجلين] من

أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن
الأسود: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي
نَفْسَهُ أَتَيْكَ مَهْمَا كَاتَبَكِ﴾، حين
شريا أنفسهما بإنزال خُبيب عن

خشبته.
وقال أكثر المفسرين: نزلت في
صهيب بن سنان الرومي، حين أخذه
المشركون في رهط من المؤمنين،

فعدَّبوهم فقال لهم صهيب: إني
شيخ كبير لا يضركم أميتم كنت أم
من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا

مالي وتذروني وديني ففعلوا، وكان

شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة
ما شاء الله، ثم خرج إلى المدينة
فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال

له أبو بكر: ربح بيعك يا أبا يحيى،
فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسر،
قال صهيب: ما ذاك؟ فقال:

أنزل الله فيك، وقرأ عليه هذه الآية.
وقال سعيد بن المسيب وعطاء:

أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ،
فاتبعه نفرٌ من مشركي قريش، فنزل
عن راحلته ونثل ما في كنانته، ثم

قال: يا معشر قريش لقد علمتم إني
لنؤن أرماكم رجلاً، والله لا أضع
سهماً مما في كنانتي إلا في قلب

رجل منكم، وأيم الله لا تصلون إليّ
حتى أرمي بكل سهم من كنانتي
[رجلاً منكم] ثم أضرب بسيفي ما

بقي في يدي، ثم افعلوا ما شئتم
[بني]، وإن شئتم دللتكم على مالي
بمكة وخليتم سبيلي، قالوا: نعم،

ففعل ذلك، فأنزل الله [فيه] هذه
الآية.

وقال الحسن: أتدرون فيم نزلت
هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي
الكافر، فيقول له: قل لا إله إلا الله،

فيأبى أن يقولها، فقال المسلم: والله
لاشرين نفسي، الله، فتقدم فقاتل وخذ
حتى قُتل.

وقيل: نزلت الآية في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، قال
ابن عباس: أرى من يشري نفسه

ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا
بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة
بالإثم، قال: [هذا] وأنا أشري نفسي
لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك،
وكان عليّ إذا قرأ هذه الآية يقول:

اقتلا وربّ الكعبة، وسمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْكَاتِ اللَّهِ﴾، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا عبدالرحمن بن [أبي] شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة:

أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر».

﴿٢٠٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنذَلُوا فِي الْبَيْتِ كَأَنَّهُمْ قَرَأَ أَهْلَ الْحِجَازِ وَالْكِسَاءِ﴾ «الْبَيْتِ» ههنا بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرهما، وفي سورة الأنفال [وَأَن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ] بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر، حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلَنَقُصِّمْ بِهَا فِي صَلَاتِنَا بِاللَّيْلِ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنذَلُوا فِي الْبَيْتِ كَأَنَّهُمْ﴾، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة

أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم.

قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم، فعدّ الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له، ﴿وَلَا تَسْتَمُؤُوا خُطُوبَاتِ﴾، أي: آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذْرٌ مُّبِينٌ﴾،

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش، أخبرنا علي بن عبدالعزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله:

عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون أنتم كما تهوكب اليهود والنصارى؟ لقد جنتكم بها بيبضاء نقيّة، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي».

﴿٢٠٨﴾ ﴿فَإِن رَّكِبْتُمْ﴾، أي ضللتهم، وقيل: ملنتم، يقال: زلت قدمه نزل زلاً وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس، فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم، ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبُرْهَانُ﴾، أي: السدالات

الواضحات، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في نعمته، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أمره، فالعزیز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

﴿٢٠٩﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمتمسعون خطوات الشيطان، يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى لم يكن إلا بمعنى الرؤية، ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾، جمع ظلة، ﴿وَمِنَ السَّحَابِ﴾، وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمّي غماماً لأنه يغم، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام، فلا ينظر إليه أهل الأرض، ﴿وَاللَّيْلِ كَعُنَّةٍ﴾، قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: مع أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ الباقون بالرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظواهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزّه عن سمات الحدوث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة، قال الكلبي: هذا هو [العلم] المكتوم الذي لا يُفسر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكُمْ ءَاتِيَهُمْ مِنْ ءَايَمٍ يَسُنُّوْنَ وَمَنْ يَبْدِلْ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١١﴾ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَسَخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُتَّبِعِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَقَّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا ائْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ائْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ لِيُنْهَى عَنْهُمْ فِعْدَى اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ ءَامِنًا لِمَا ائْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِمَا صَرَفَ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ ءَلَيْسَ اللَّهُ بِذَكِيرٍ أَلَمْ يَأْتِ الْرُّسُلَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١١٤﴾ سَتَلْقَاكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا آفَقْتُ مِنَ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالرَّيْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

٢٢

قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين، ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وإذا أهل الجد محبوبون إلا من كان منهم من أهل النار، فقد أمر به إلى النار».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشرف الناس: هذا والله حري إن خطب أن يُنكح، وإن شفّع أن يشفّع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل [آخر فقال له رسول الله ﷺ]: «ما رأيك

نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، ﴿وَسَخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه وكانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من

ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ﴿وَسَخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لفقرهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبيري أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال:

سعد وأحمد وإسحاق، يقولون فيها وفي أمثاله: أقروها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينة: كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره: قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وَقِيصَ الْأَمْوَالِ﴾، أي: وجب العذاب وفُرخ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿وَلِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِيحُ الْأَمْوَالِ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكُمْ﴾، أي: سل يا محمد يهود المدينة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾: أعطينا آباءهم وأسلافهم، ﴿مِنْ ءَايَمٍ يَسُنُّوْنَ﴾، دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها، وقيل: معناها الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ، ﴿وَمَنْ يَبْدِلْ﴾، يعني: يُغَيِّرُ ﴿رِزْقَ اللَّهِ﴾: كتاب الله، وقيل: عهد الله، وقيل: من يُنْكَرُ الدلالة على نبوة محمد ﷺ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾، الأكثرون على أن المرزئين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمنابر العجيبة، فنظر الخلق [لها] بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل:

في هذا؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يُسمع لقلوبه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».

﴿وَاللَّهُ يَرِزُّ مَنْ يُشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، [قال ابن عباس]: يعني كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء، ولا يعطي كل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه، فلا يُعترض عليه ولا يُحاسب فيما يرزق، ولا يُقال: لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا، ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك، [لا يسأل عما يفعل]، وقيل: معناه لا يخاف نفاذ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون لمن يخاف من نفاذ خزائنه، [والله تعالى خزائنه لا تنقص بكثرة الإنفاق].

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على ديسن واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، [قال]: سُمِّي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا، وكانوا مسلمين إلى أن قتل [قابيل] هابيل فاختلفوا، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾، قال

الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملّة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بعث بعده النبيين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورؤي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم، فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيرّه عمرو بن لحي، ورؤي عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عُرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقرّوا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً، ﴿مُنذِرِينَ﴾: بالثواب من آمن وأطاع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: محذرين بالعقاب من كفر وعصى، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب، تقديره: [وأنزل مع كل واحد منهم] الكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصدق،

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْبَنَاتِ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سعة الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطَوُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقيل: معناه ليحكم كل نبي بكتابه، ﴿فِيمَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ فِيهِ﴾، أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: أعطوا الكتاب، ﴿فَإِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولاخلافهم معنيان: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: ﴿رَبُّهُمُ لَوْ تَوَيْبُونَ﴾، ﴿فَوَيْبٌ يَبْعَثُ وَيَكْفُرُ وَيَبْعَثُ﴾ [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله، قال الله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿فَإِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، صفة محمد ﷺ في كتبهم، [ما] ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ وظلماً وحسداً ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ﴾، أي: لما اختلفوا فيه، ﴿فَإِنَّ الْحَقَّ يَأْتِيهِمْ﴾، يعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلّي إلى المشرق ومنهم من يصلّي إلى المغرب، ومنهم من يصلّي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت،

وَالزَّمَانَةَ، ﴿وَزُرُّوهُ﴾،
 أي: حركوا بأنواع البلايا
 والرزايا وخوفوا، ﴿حَتَّى
 يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾، ما
 زال البلاء بهم حتى
 استبطؤوا النصر، قال الله
 تعالى: ﴿آلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ
 قَرِيبٌ﴾، قرأ نافع ﴿حَتَّى
 يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ بالرفع،
 معناه: حتى قال الرسول،
 وإذا كان الفعل الذي يلي
 حتى في معنى الماضي،
 ولفظه لفظ المستقبل،
 فَلَمْ فِيهِ وَجْهَانِ: الرفع
 والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام
 لأن ﴿حَتَّى﴾ تنصب الفعل المستقبل،
 والرفع لأن معناه الماضي، و﴿حَتَّى﴾
 لا تعمل في الماضي.

وَالنصارى الأحد، فهدانا الله
 للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه
 السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً،
 وقالت النصرارى: كان نصرانياً،
 فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا
 في عيسى فجعلته اليهود لفريضة،
 وجعلته النصرارى إلهاً، فهدانا الله
 للحق فيه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿٢١٦﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
 تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، قال قتادة
 والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة
 الخندق حين أصاب المسلمين ما
 أصابهم من الجهد وشدة الخوف
 والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى؛
 كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَبْتِ
 الْقُلُوبَ الْحَاسِرَةَ﴾ [الأحزاب:
 ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أحد،
 وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ
 وأصحابه المدينة، اشتد عليهم الضر
 لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم
 وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا
 رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود
 العداوة لرسول الله ﷺ، وأسز قوم
 النفاق، فأنزل الله تعالى تطيبياً
 لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، معناه:
 أحسبتم والميم صلة قاله الفراء،
 وقال الزجاج: بل حسبتم، ومعنى
 الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن
 تدخلوا الجنة، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾، أي:
 ولم يأتكم و﴿مَا﴾ صلة ﴿مَثَلِ الَّذِينَ
 خَلَوْا﴾، شبه الذين مضوا، ﴿مِنْ
 قَبْلِكُمْ﴾: من النبيين والمؤمنين،
 ﴿مَسَّهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾: الفقر والشدة
 والبلاء، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾: المرض

يُجازيكم به، قال أهل التفسير: كان
 هذا قبل فرض الزكاة فنسخت
 بالزكاة.

﴿٢١٧﴾ قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ
 الْقِتَالُ﴾، أي: فرض عليكم
 الجهاد، واختلف العلماء في حكم
 هذه الآية، فقال عطاء: الجهاد
 تطوع، والمراد من الآية أصحاب
 رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه
 ذهب الثوري، واحتج من ذهب إلى
 هذا بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا
 وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْتَفِينَ﴾ [النساء: ٩٥]، ولو
 كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن يعده
 الحسنى، وجرى بعضهم على ظاهر
 الآية، وقال: الجهاد فرض على كافة
 المسلمين إلى قيام الساعة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم
 الشريحي الخوارزمي، أخبرنا أبو
 إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم

﴿٢١٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
 يُنْفِقُونَ﴾، نزلت في عمرو بن
 الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال،
 فقال: يا رسول الله بماذا تنصدق
 وعلى من ننفق؟ فأنزل الله تعالى:
 ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾.

وفي قوله ﴿مَاذَا﴾ وجهان من
 الإعراب، أحدهما: أن يكون محله
 نصباً لقوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾، تقديره:
 أي شيء ينفقون، والآخر: أن يكون
 رفعاً بـ ﴿مَا﴾ ومعناه: ما الذي
 ينفقون؟ ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾،
 أي: من مال، ﴿مَلِكُوتَ الَّذِينَ وَالَّافْرَاقِينَ
 وَالنَّجَافَةَ وَالسَّكِينَةَ وَالنَّجَافَةَ وَمَا تَفَعَّلُوا
 مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾،

الثعلبي، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي، [أخبرنا أبو الهيثم بن كليب]، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا سعيد بن عثمان السعدي عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سُمَيِّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يُحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق».

وقال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، مثل صلاة الجنابة، ورَدَّ السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غَزَوْا أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت، ومن قعد فهو عدَّةٌ إن استُعِين به أغان وإن استُفِرَّ نَفْرٌ، وإن استُغْنِي عنه قعد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَرَّةٌ لَكُمْ﴾، أي: شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة: نسخها قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، يعني: أنهم كرهوه ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لأن فسي الغزو إحدى الحُسنيين إِمَّا الظفر والغنيمة وإِمَّا الشهادة والجنَّة، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾، يعنني: القعود عن الغزو، ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾: لما فيه من فوات الغنيمة والأجر، ﴿وَاللَّهُ يَسِّرُ لَكُمْ وَيَسِّرُ لَكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّلُونَكَ عَنِّي النَّهْرَ الْكَرَّارَ قِتَالٍ فِيهِ﴾؟ سبب نزول هذه الآية:

أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمَّة النبي ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مُقَدِّمِهِ إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، سعد بن أبي وقاص الزهري وعُكَّاشَةُ بن محصن الأسدي وعتبة بن غَزْوَانَ السُّلَمِي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسُهَيْل بن بيضاء وعامر بن ربيعة ووَاقِد بن عبد الله وخالد بن بكير، وكتب لأمرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال له: «سر على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت فافتح الكتاب، واقراه على أصحابك، ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحداً من أصحابك على السير معك»، فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن [نخلة] فترصد بها عَيْرٌ قريش لعلك تأتينا منه بخبر، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فليطلق، ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحدٌ حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بُحْرَان، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما يتعقبانه فتخلفا في طلبه،

ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك إذ مرَّت عَيْرٌ لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد دُعِرُوا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم، فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم، فقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب، فتشاور القوم وقالوا: [لئن] تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي فقتله، فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة، وأدى النبي ﷺ ذِيَةَ ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش، قال مجاهد وغيره: لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنتين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ [فيه] الحرائب، وعير بذلك أهل مكة من

كان فيها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ [ذلك] رسول الله ﷺ، فقال لابن جحش وأصحابه: «ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام»، ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم، قالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم، فقال: بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قدما فآذاهما، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً، وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً، فقتله الله [تعالى] فطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال رسول الله ﷺ: «خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية»، فهذا سبب نزول هذه الآية.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾؟ يعني: رجباً، سمي بذلك لتحريم القتال فيه، قوله

تعالى: ﴿وَقَالَ فِيهِ﴾، أي: عن قتال فيه، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿وَقَالَ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم، تم الكلام ههنا ثم ابتداء، فقال: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: وصدكم المسلمين عن الإسلام ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾، أي: كفركم بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، [أي: بالمسجد الحرام، وقيل: وصدكم عن المسجد الحرام]، ﴿وَلِإِخْرَاجِ أَهْلِيهِ﴾، أي: إخراج أهل المسجد ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةِ﴾، أي: الشرك الذي أنتم عليه، ﴿أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ﴾، أي: أعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن أنيس إلى مؤمني مكة: إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعبروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى، ﴿يَقْتُلُونَكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين، ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾: يصرفوكم، ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنِ انْسَلَخْتُمْ وَأَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ﴾، جزم بالنسق، ﴿وَهُوَ كَارٌ فَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ﴾: بطلت ﴿أَقْمَلُهُمْ﴾: حسنتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قال أصحاب السرية: يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾

الذَّيْبِ ؕ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَازَرُوا﴾، فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم، ﴿وَجَاهِدُوا﴾، المشركين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، [أي] طاعة الله فجعلها جهاداً، ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾، أخبر أنهم على رجاء الرحمة، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، الآية

نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ونفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل منسوبة للمال، فأنزل الله هذه الآية.

وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون: إن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة، وهي: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثم نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله تقدم في تحريم الخمر»، فتركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وشربها أقوام لقوله: ﴿وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾، إلى أن صنع عبدالرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب، فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا إلى آخر السورة بحذف لا،

فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فحُرِّمَ السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيضحوا إذا جاء وقت الظهر، واتخذ عتيان بن مالك صنيعاً ودعا رجالاته من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للأنصار، وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لَحَى البعير فضرب به رأس سعد فشجّه موضحة فانطلق به سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري، فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١]، وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام، فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب.

قال أنس: حُرِّمَت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية في سورة

المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحباب إلى الطريق فصبنا ما فيها فمنا من كسر صبه، ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاقحت منها ريحها.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يعقوب بن إبراهيم أخبرنا ابن علية، أخبرنا عبدالعزيز بن صهيب قال: قال لي أنس بن مالك:

ما كان لنا خمر غير فضيخكم، وإنني لقاتم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: حُرِّمَت الخمر، فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

وعن أنس رضي الله عنه: سَمِّيت الخمر خمرًا لأنهم كانوا يَدْعُونَهَا فِي الدنان حتى تختمر وتتغير، وعن ابن المسيب: لأنها تَرَكَّت حتى صفا صفوها ورسب كدرها.

واختلف الفقهاء في ماهية الخمر، فقال قوم: هي عصير العنب أو الرطَّب الذي اشتدَّ وغلا من غير عمل النار فيه، واتفقت الأئمة على أن هذه الخمر نجس يُحَدَّ شاربها وَيُفْسَق، وَيَكْفُر مُسْتَحَلِّهَا، وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا، ولا يحرم ما يتخذ من غيرها كالمُتَّخَذ من الحنطة والشعير والذرة والعسل

والفانيد، إلا أن يسكر منه فيحرم، وقالوا: إذا طبخ عصير العنب والرطَّب حتى ذهب نصفه فهو حلال، ولكنه يُكْرَهُ، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا: هو حلال مباح شربه، إلا أن السكر منه حرام، ويحتججون بما رُوِيَ أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله [و] إن أزرقت المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث، وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالاً وهو قول إسماعيل بن علية، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يُحَدَّ شاربه، واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي حدثنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت:

سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبَيْعِ، فَقَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي الفرات، عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني أبا عبدالغفار بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها [و] لم يتب لم يشربها في الآخرة».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى عن أبي حيان التيمي، عن الشعبي عن ابن عمر قال:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: من العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر: ما خامر العقل.

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمرًا، وإن من التمر خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وإن من البُرِّ خمرًا، وإن من الشعير خمرًا». فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد أنه أخبره:

أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال: إني وجدت من فلان ربح خمر أو شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب! فإن كان يُسكر جلدته، فجلده عمر الحد تامًا.

وما زوي عن عمر وأبي عبيدة ومُعَاذ في الطلاء فهو فيما طُبِخ حتى خرج عن أن يكون مُسكراً، سئل ابن عباس عن الباذق، فقال: سبق محمد الباذق، فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾، يعني: القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يُخاطر الرجل على أهله وماله فأَيُّهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والميسر: مفعول من قولهم: يسر لي الشيء إذا وجب يسر يسراً وميسراً، ثم قيل للقمار: ميسر، وللمقامر: ياسر ويُسِر، وكان أصل الميسر في الجزور، وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يُسهمون عليها بعشرة أقداح يقال لها الأزلام والأقلام السبعة، منها أنصاء وهي الفذ، وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أسهم، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلّى وله سبعة، وثلاثة منها لا أنصاء لها وهي: المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الرّبابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض، ثم يجيلها ويخرج قدحاً منها باسم رجل منهم،

فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما خرج، فإن خرج له واحد من هذه الثلاثة التي لا أنصاء لها كان لا يأخذ شيئاً، ويغرم ثمن الجزور كله، وقال بعضهم: كان لا يأخذ شيئاً ولا يُغرم، ويكون ذلك القدح لغواً ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمّون من لم يفعل ذلك، ويسمّونه البرم، وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب، والمراد من الآية أنواع القمار كلّها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجزور والكعباب، وروي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج أنهما من الميسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهَا إِتْمٌ كَثِيرٌ﴾: وزر عظيم من المخاصمة والمشامة وقول الفحش، قرأ حمزة والكسائي ﴿إِتْمٌ كَثِيرٌ﴾، بالشاء المثناة وقرأ الباقون بالباء، فالإتم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿وَمَنْعُ النَّاسِ﴾، فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام، وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر: إصابة المال من غير كد ولا تعب، وإزئاف الفقراء به، والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساء ذلك فعادى صاحبه فقصده بالسوء، ﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَكْثَرٌ مِنْ نَقَمْتُمْ﴾، قال الضحّاك وغيره:



محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الساجر، أنا إبراهيم بن عبدالله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول.»

وقال عمرو بن دينار:

الوسط من غير إسراف

ولا إقتار، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال طاووس: ما يسر، والعفو اليسر من كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْغَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، أي: الميسور من أخلاق الناس.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي، أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله عندي دينار، قال ﷺ: «أنفقه على نفسك»، قال: عندي آخر، قال ﷺ: «أنفقه على ولدك»، قال: عندي آخر، قال ﷺ: «أنفقه على أهلِكَ»، قال: عندي آخر،

قال ﷺ: «أنفقه على خادمك»، قال: عندي آخر، قال ﷺ: «أنت أعلم.»

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يبينُ الله لَكُمْ الآيَاتِ﴾، قال الزجاج: إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها القبيل، كأنه قال: كذلك أيها القبيل، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، لأن خطابه يشتمل على خطاب الأمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقَتِ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَنفَكُّونَ﴾، وفي الدنيا والآخرة، قيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا، وتتفنون الباقي فيما ينفعكم في الغنى، وقال أكثر المفسرين معناها: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فترزقوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها.

قوله تعالى: ﴿وَبَسَّطْنَاكَ عَلَى السَّيْلِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية، تحرَّج المسلمون من أموال اليتامى تحرجاً شديداً حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، حتى كان يُصنع لليتيم طعام [فيفضل] فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا رسول الله ﷺ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ

إمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، [وقيل: إنهما أكبر من نفعهما قبل التحريم]، هو ما يحصل به من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: ﴿وَبَسَّطْنَاكَ مَاذَا يُفْنِقُونَ؟﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفق؟ فقال: ﴿قُلِ الْغَنَّةُ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿الْمَغْنَى﴾ بالرفع، معناه: الذي يُنفقون هو العفو، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى، قل: أنفقوا العفو، واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضَّلَ عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية الزكاة وقال مجاهد معناه التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن

تعالى: ﴿وَلَا تَمُنُّ بِمُؤْمِنَةٍ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَوَلَوْ أَعْبَبْتُمْ﴾: بجمعالها وماليها، نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: يا خنساء قد ذكرت في الملا الأعلى على سوادك ودمامتك فأعتقها وتزوجها.

وقال السدي: نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها، ثم فرغ فأتى النبي ﷺ فأخبره بذلك، فقال له ﷺ: «وما هي يا عبدالله؟» فقال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلّي، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مؤمنة»، قال عبدالله: فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقها ولأنزوجتها، ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أنتكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، هذا إجماع: لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك، ﴿وَلَقَبِدْ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَوَلَوْ أَعْبَبْتُمْ أَوْلِيَّكُمْ﴾، يعني: المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ﴾، أي: بقضائه وقبده وإرادته، ﴿وَيَسِّرُنَا لِنُؤْمِنَهُ﴾، أي: أوامرّه ونواهيّه، ﴿لَكُمْ مِمَّنْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظرون.

قوله تعالى: ﴿وَسَمِعْنَاكَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، أخبرنا أبو طاهر عمر بن

سمعت به امرأة مشركة يُقال لها عناق، وكانت خليلته في الجاهلية فأتته وقالت: يا أبا مزند ألا تخلو؟ فقال لها: ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، فقالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال: نعم ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فاستأمره، فقالت: أبي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً ثم خلّوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها، فقال: يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾.

وقيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

فإن قيل: كيف أطلقت اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن بن فارس: لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان تزوج نائلة بنت فرافصة وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية. [فكتب إليه عمر رضي الله عنه: خلّ سبيلها، فكتب إليه: أتزعم أنها حرام؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكنني أخاف أن تتعاطوا المومسات منهن]. قوله

إِصْلَاحٌ لِّمَنْ حَيْرٌ، أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجره ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجراً [لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم]، قال مجاهد: يُوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم. ﴿وَلَنْ تَخَاطَبُوهُمُ﴾، هذه إباحة المخالطة، أي: إن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوايبكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم، ﴿فَلَا تَخُونُوا﴾، أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾: لأموالهم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: لها، يعني: الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وإفساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ﴾، أي: لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موقفاً لكم، وأصل العنت: الشدة والمشقة، ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: العزيز الذي يأمر بعبادة، سَهَّلَ عَلَى الْعِبَادِ أَوْسَقٌ عَلَيْهِمْ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعانات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾، سبب نزول هذه الآية أن أبا مزند الغنوي بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها

عبدالعزیز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، أنا موسى بن إسماعيل أنا حماد ابن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن اليهود كانت إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فسئل رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَسْتَلُواكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ مِمَّا كَفَرْنَا لَكُمْ فِيهِ فَأَعْتَرُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فقالت اليهود: وما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه، فجاه أسيد بن حضير وعباد بن بشير إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا ننكحهن في المحيض فتمتد وجه رسول الله ﷺ [حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ]، فبعث في آثارهما فسقاها معرفنا أنه لم يجد عليهما.

قوله تعالى: ﴿وَسْتَلُواكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾، أي: عن الحيض، وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً، كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ﴾، أي: قدر، والأذى كل ما يكره من كل شيء، ﴿فَأَعْتَرُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، أراد بالاعتزال ترك الوطء [لهن]، ﴿وَلَا

تَقْرُبُوهُنَّ﴾، أي: لا تجامعوهن، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائز.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة، أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد، كِلَانَا جَنْبٌ، وكان يأمرني أن أتزر فيباشرني وأنا حائض، وكان يُخرج رأسه إلي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعد بن حفص، أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته: أن أم سلمة قالت: حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الخيملة فانسَلَّتْ فخرجت منها فأخذت ثياب حيصتي فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست؟» قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الخيملة.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنيفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم، أنا أبو الموجه محمد بن عمرو، أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدم بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض فأناولهُ للنبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فتي وأنعرق والعرق فيتناوله فيضع فاه في موضع فتي.

فوطء الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعززه الإمام إن علم منه ذلك، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه، فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه، وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه، منهم قتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق، إما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد، أنا أبو جعفر الرازي عن عبدالكريم بن أبي المخارق عن يقسم عن ابن عباس:

أن النبي ﷺ سئل في رجل جامع امرأته وهي حائض، فقال: «إن كان الدم عيباً فليصدق بدينار، وإن كان صفرة فينصف دينار»، ويروى هذا موقوفاً على ابن عباس.

ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها، ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه، حتى إذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب [عليها] قضاء الصلاة، وكذلك النساء.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجوبي، أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيدة بن معتب الضبي عن إبراهيم التخعي عن الأسود عن عائشة قالت: كننا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نظر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة.

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا مسّ المصحف ولا قراءة القرآن، ولا يجوز للزوج غشيانها.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي، أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبدالواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال: حدثني جِسْرَة بنت وِجاجة قالت: سمعت عائشة تقول:

جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد، فقال: «وَجِّهُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ عَنِ الْمَسْجِدِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جَنْبٍ».

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، يعني: يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففاً، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض ولينقطع دمهن، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعني: اغتسلن، ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾، أي: فجامعهوهن، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمْرِكُمْ اللَّهُ﴾، أي: من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة، وقال ابن عباس: طَوَّوهنَّ في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، أي: اتَّقوا الأدبار، وقيل: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ بمعنى في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج؛ كقوله عز وجل: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، أي: في يوم الجمعة، وقيل: فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله أن تؤتوهن [فيه]

وهو الطهر، وقال ابن الحنفية: من قَبِلَ الحلال دون الفجور، وقيل: لا تأتوهن صائحات ولا معتكفات ولا محرمات، وأتوهن وغشيانهن لكم حلال، واعلم أنه لا يرتفع تحريم شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيّم عند عدم الماء إلا تحريم الصوم، فإن الحائض إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فوق غسلها بالنهار صحّ صومها، والطلاق في حال الحيض يكون بدعيّاً وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيّاً، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل، وقال مجاهد وطاووس: إذا غسلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل. وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيّم عند عدم الماء؛ لأن الله تعالى علّق جواز وطئها بشرطين: بانقطاع الدم والغسل، ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾، يعني: من الحيض، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعني: اغتسلن فأتوهن، ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد من [ذلك] الغسل؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ [المائدة: ٦]، أي: اغتسلوا، فدلّ على أن قبل الغسل لا يحلّ الوطء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يجب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين

بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يجب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبيرة: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد: التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِذُنُوبِكُمْ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتِمَكُمْ﴾،

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن حامد الأصهباني، أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس، أنا يعقوب القمي عن جعفر بن [أبي] المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس:

جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حولت رحلي البارحة فلم يرّد عليه شيئاً، فأرحى الله إليه: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتِمَكُمْ﴾، يقول: «أذير وأقبل واتقِ الذُّبُرَ والْحَيْضَةَ».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحيم بن منيب، أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبدالله يقول:

كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها أن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتِمَكُمْ﴾.

وروي مجاهد عن ابن عباس قال: كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرت عليه وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ﴾ الآية، يعني: موضع الولد، ﴿فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْ يَشْهَبُنَّ﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات. ﴿وَأَنَّ﴾ حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة ﴿أَنَّ شَيْئَكُمْ﴾: إنما هو الفرج، ومثله [عن الحسن، وقيل: حرث] لكم، أي: مزرع لكم ومنبت للولد بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر، وقال سعيد بن المسيب: هذا في العزل، يعني: إن شئتم، فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا، وسئل ابن عباس عن العزل فقال: حرثك إن شئت فأعطش وإن شئت فأرو، وروي عنه أنه قال: تُستأمر [الحرمة في العزل ولا تستأمر] الجارية، وبه قال أحمد وكره جماعة العزل، وقالوا: هو الواد الخفي.

وروي عن مالك عن نافع قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ﴾، فقال: أتدري فيم نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه، فنزلت هذه الآية، ويحكي عن مالك إباحة ذلك، وأنكر ذلك أصحابه، وروي عن عبدالله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبدالله فقال له: يا أبا عمر ما حدثت بحديث نافع عن عبدالله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن؟ فقال: كذب العبد وأخطأ إنما قال عبدالله: يُؤْتُونَ في فروجهن من أدبارهن. والدليل على تحريم الأدبار ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد بن الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع، أخبرنا عبدالله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة الجلاح، عن خزيمة بن ثابت:

أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن، فقال النبي ﷺ: «في أي الخمرتين، أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أم من دبرها في قبيلها فنعم، أم من دبرها في دبرها فلا، فإن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الحافظ أنا

عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي أنا عبدالله بن عمر بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأة في دبرها».

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، قال عطاء: التسمية عند الجماع، قال مجاهد: وقدموا لأنفسكم يعني: إذا أتى أهله فليذع.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي [أنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً».

وقيل: قدموا أنفسكم، يعني: طلب الولد.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع

به أو ولد صالح يدعو له» .
وقيل: هو التزويج بالعفائف ليكون الولد صالحاً .

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف [أنا محمد بن إسماعيل] أنا مسدد أنا يحيى عن عبيد الله حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» .

وقيل: لمعنى الآية تقديم الأقران .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب بن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

أن رسول الله ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» .

وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم، يعني: الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكَلَّفُونَ»: صائرون إليه فيجزئكم بأعمالكم، «وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْشَكُمْ لِأَبْنِيكُمْ»، نزلت في عبدالله بن رواحة كان بينه وبين حنتبه على أخيه بشير بن النعمان الأنصاري شيء، فحلف عبدالله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه، قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي

إلا أن تبر يميني، فأنزل الله هذه الآية، وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك، والعرضة أصلها الشدة والقوة، ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر: عرضة لقوتها عليه، ثم قيل لكل ما يصلح لشيء: هو عرضة له، حتى قالوا للمرأة: هي عرضة النكاح إذا صلحت له، والعرضة كل ما يعرض فيمنع عن الشيء، ومعنى الآية: لا

تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم عن البر والتقوى، يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر، فيقول: حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر، «أَنْ تَبْرُوا»، معناه: أن لا تبروا؛ كقوله تعالى: «يَبِينَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا» [النساء: ١٧٦]، أي: لئلا تضلوا، «وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»، أخبرنا أبو الحسن السرخسي زاهر بن أحمد [أنا] أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب بن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بيمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير» .

قوله تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ»، اللغو كل مطرَح من الكلام لا يعتد به، واختلف أهل

سورة البقرة

سورة البقرة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٠٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رِيسٌ أَرْبَعَةٌ أَمْشَرُونَ فَأَمْشَرُوا وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو رِيسَةٍ ﴿٢٠٦﴾ وَلَنْ عُرْشُوا الْفَلَاقِقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٧﴾ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْصَنَ أَنْفُسَهُنَّ تَلَفَةً فَرُوءٌ وَلَا يُحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ إِنَّ كُنَّ يَؤُمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنْنَ بِمَا حَقَّقَ اللَّهُ فِي ذَلِكِ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلهنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّذِينَ طَلَّقُوا نِسَائَهُنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِنَّ فَمَسَاكِينٌ يَعْرُوفُونَ وَأَنْتُمْ سَمِيعُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَالطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكِنٌ يَعْرُوفُ وَأَنْتُمْ سَمِيعُونَ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَوْتٍ أُنْتِمُوهُنَّ سَيِّئًا إِلَّا أَنْ يُخَافَ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنِ فِيمَا فَعَدْتُمْ بِهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فَمَا بَعْدُ حُدُودَ اللَّهِ فَالْوَالِيَةُ هِيَ الْمُطَلَّاقَاتُ الْفَوَاحِشُ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِلَّ لهنَّ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنِ مَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢١٠﴾

٢١٠

العلم في اللغو [في] اليمين المذكورة في الآية، فقال قوم: هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقد وقصد، كقول القائل: لا والله وبلى والله وكلاً والله .

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الكسائي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام عن عروة، عن أبيه عن عائشة: أتتها قالت: لغو اليمين قول الإنسان: لا والله وبلى والله .

ورفعه بعنهم . وإلى هذا ذهب الشعبي وعكرمة، وبه قال الشافعي .

ويروى عن عائشة إيمان اللغو: ما كانت في الهزل والمراء والخصومة، والحديث الذي لا يقعد عليه القلب، وقال قوم: هو أن تحلف على شيء ترى أنه صادق، ثم يتبين له خلاف ذلك، وهو قول الحسن والزهرى

وإبراهيم النخعي وقتادة ومكحول،
وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه،
وقالوا: لا كفارة فيه ولا إثم عليه،
وقال علي: [هو اليمين على]
الغضب، وبه قال طاووس وقال
سعيد بن جبير: هو اليمين في
المعصية لا يؤاخذ الله بالجنث فيها،
بل يَحْنُثُ وَيُكْفِّرُ، وقال مسروق:
ليس عليه كفارة، أَنْكَفَرُ خَطَوَاتِ
الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل
يحلف على المعصية: كفارتها أن
يتوب منها، وكل يمين لا يَجِلُّ لك
أن تفي بها فليس فيها كفارة، ولو
أمرته بالكفارة لأمرته أن يُتَمَّ على
قوله، وقال زيد بن أسلم: هو دعاء
الرجل على نفسه، كقول الإنسان:
أعني الله بصري إن [لم] أفل كذا،
[أخرجني الله من مالي إن لم أتك
غداً ويقول هو إن فعل كذا]، فهذا
كله لغو لا يؤاخذ الله به، ولو
أخذهم به لعجل لهم العقوبة، ﴿وَلَوْ
يُعْرَفُ أَنَّ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَمْتَعْتَهُمْ
بِالْحَبْرِ لَفَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ [يونس:
١١]، وقال: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالنَّارِ
دُعَاءَهُ بِالْقُرَى﴾ [الإسراء: ١١]، قوله
تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ
فُؤُوسُكُمْ﴾، أي: عزمتم وقصدتم إلى
اليمين، وكسب القلب: العقد
والنية، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

واعلم أن اليمين لا تتعد إلا بالله
أو باسم من أسمائه أو بصفة من
صفاته، فاليمين بالله أن يقول:
والذي أعبدته والذي أصلي له والذي
نفسى بيده، ونحو ذلك، واليمين
بأسمائه؛ كقوله: والله والرحمن
[والرحيم] ونحوه، واليمين بصفاته

كقوله: [وكبيراء الله] وعزّة الله
وعظمة الله وجلال الله وقدرة الله
ونحوهما، فإذا حلف بشيء منها
على أمر في المستقبل، فَحَيْثُ تَجِبُ
عليه الكفارة، وإذا حلف على أمر
ماض أنه كان ولم يكن، أو على أنه
لم يكن وقد كان إن كان عالماً به
حالة ما حلف [به]، فهو اليمين
العموم وهو من الكبائر، وتجب فيه
الكفارة عند بعض أهل العلم عالماً
كان أو جاهلاً، وبه قال الشافعي.

ولا يجب عند بعضهم وهو قول
أصحاب الرأي، وقالوا: إن كان
عالماً فهو كبيرة ولا كفارة لها كما
في سائر الكبائر، وإن كان جاهلاً
فهو اليمين اللغو عندهم، ومن حلف
بغير الله [تعالى] مثلاً، مثل أن قال:
والكعبة وبيت الله ونبي الله، أو
حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون
يميناً ولا تجب به الكفارة إذا حلف
وهو يمين مكروهة، قال الشافعي:
وأخشى أن يكون معصية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد [أنا] أبو إسحاق
الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك
عن نافع عن عبدالله بن عمر أن
رسول الله ﷺ أدرك عمر بن
الخطاب وهو يسير في ركب وهو
يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ:
«إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم،
فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو
ليصم».

قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ
بَنِيكُمْ تَرْغَبُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، يؤلون
أي: يحلفون، والآية: اليمين،
والمراد من الآية اليمين على ترك

وطء المرأة، قال قتادة: كان الإيلاء
طلاقاً لأهل الجاهلية، وقال
سعيد بن المسيب: كان ذلك من
ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا
يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها
غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً
فتركها لا أيماً ولا ذات بعل، كانوا
عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله
له أجلاً في الإسلام، واختلف أهل
العلم فيه، فذهب أكثرهم إلى أنه إن
حلف أن لا يقرب زوجته أبداً أو
سُمِّي مدة أكثر من أربعة أشهر يكون
مولياً، فلا يتعرض [له] قبل مضي
أربعة أشهر وبعد مضيها يوقف ويؤمر
بالفء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة،
والفء: هو الرجوع عما قاله بالوطء
إن قدر عليه، وإن لم يقدر فالبقول،
فإن لم يف ولم يُطَلَّقْ طلق عليه
السلطان واحدة، وذهب إلى الوقوف
بعد مضي المدة: عمر وعثمان وعلي
وأبو الدرداء وابن عمر، قال
سليمان بن يسار: أدركت بضعة
عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم
يقولون بوقف المولي، وإليه ذهب
سعيد بن جبير وسليمان بن يسار
ومجاهد، وبه قال مالك والشافعي
وأحمد وإسحاق، وقال بعض أهل
العلم: إذا مضت أربعة أشهر تقع
عليها طلقة بائنة، وهو قول ابن
عباس وابن مسعود، وبه قال سفيان
الثوري وأصحاب الرأي. وقال
سعيد بن المسيب والزهري: تقع
طلقة رجعية، ولو حلف أن لا يطأها
أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى بل
هو حالف، فإذا وطئها قبل مضي
تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين،

ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون مؤلياً عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة، [لأن بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق، وقد مضت المدة، وعند من لا يقول بالوقف يكون مؤلياً ويقع الطلاق بمضي المدة]، ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي رحمه الله، لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع، وهو قلة صبر المرأة عن الزوج، فيستوي فيه الحر والعبد. وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تنصف مدة العتة بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنصف برق المرأة، وعند مالك برق الزوج، كما قال في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿تَرْتَبِعُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، أي: انتظار أربعة أشهر، والترتبع: التثبت والتوقف، ﴿إِن كَانَ قَائِمًا﴾: رجعوا عن اليمين بالوطء، ﴿إِن كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وإذا وطئ وإذا خرج عن الإيلاء، وتجب عليه [كفارة اليمين] عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة، فقال: ﴿إِن كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وذلك عند الأكثرين في إسقاط العقوبة لا في الكفارة، ولو قال لزوجته: إن قربتك فعبدي حر أو صرت طالقاً، أو لله علي عتق رقبة أو صوم أو صلاة، فهو مؤلي لأن المولي من يلزمه أمر بالوطء ويوقف بعد مضي المدة، فإن فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به، وإن التزم في الذمة يلزمه كفارة اليمين في

قول، وفي قول: يلزمه ما التزم في ذمته من الإعتاق أو الصلاة أو الصوم.

﴿وَإِن مَرَرْتُمَا الطَّلَاقَ﴾، أي: حققوه بالإيقاع، ﴿وَإِن كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾: لقولهم، ﴿كَلِمَةً﴾: بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿وَإِن كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا كَلِمَةً﴾، فدل على أنه يقتضي مسموعاً، والقول هو الذي يسمع.

﴿وَالطَّلَاقُ﴾، قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ﴾، أي: المخليات من حبال أزواجهن، ﴿يَتَرْتَبِعُونَ﴾: ينتظرون، ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، فلا يتزوجن، والقراءة: جمع قرء مثل فرع، وجمعه القليل: أقرؤ، والجمع الكثير: أقرء، واختلف أهل العلم في القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة: «دعي الصلاة أيام أقرائك». وإنما تدع المرأة الصلاة أيام حيضها، وذهب جماعة إلى أنها الأطهار، وهو قول زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي.

واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض، قال النبي ﷺ لعمر: «مرّة فليراجعها حتى تطهر، ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمسن، فتلك العدة

التي أمر الله أن يطلق لها النساء». فأخبر أن زمان العدة هو الطهر. ومن جهة اللغة قول الشاعر:

ففي كل عام أنت جاشم غزوة
تشد لأقصاها عزم عزائك
مورثة مالاً وفي الحي رفة
لما ضاع فيها من قروء نسائك
وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقرأهن، وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر، لا زمان الحيضة، وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبريء منها، ومن ذهب إلى أن الأقرء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة، وهذا الاختلاف من حيث إن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعاً، يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت إذا طهرت فهي مقرءة، واختلفوا في أصله، فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه، يقال: رجع فلان لقرئه ولقارته، أي: لوقته الذي يرجع فيه، وهذا قارئ الرياح، أي: وقت هبوبها، قال مالك بن الحارث الهذلي:

كرهت العقر عقر بني شليل
إذا هبت لقارثها الرياح
أي: لوقتها، والقرء يصلح للوجهين لأن الحيض يأتي لوقت،

والطهر مثله، وقيل: هو من القراء، وهو الحبس والجمع، تقول العرب: ما قرأت الناقة سلاً قط، أي: لم تضم رحمها على ولد، ومنه قريت الماء في المقرة وهي الحوض، أي: جمعته بترك همزها، فالقراء ههنا احتباس الدم واجتماعه، فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر، لأنه يحبس الدم ويجمعه، والحيض يُرخيه ويُرسله، وجملة الحكم في العدد أن المرأة إذا كانت حاملاً فعَدَّتْها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فإن لم تكن حاملاً نُظِرَ إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج، فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشراً، سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده وسواء كانت المرأة ممن تحيض أو لا تحيض؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْكُمْ وَيُذِرُونَ أَزْوَاجًا بِرِيصَةٍ بِأُنْفُسِهِنَّ رَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وإن وقعت الفرقة بينهما بالطلاق في الحياة نُظِرَ [فإن كان] قبل الدخول بها فلا عدة عليها؛ لقول الله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحَتِ الْمُؤْمِنَاتُ نُرَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وإن كان بعد الدخول [بها] نُظِرَ إن كانت المرأة لم تحض قط أو بلغت في الكبر سن الآيسات فعَدَّتْها ثلاثة أشهر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَلْفِي بِسَنٍ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَنْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ

[الطلاق: ٤]، وإن كانت ممن تحيض فعَدَّتْها ثلاثة أقراء؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَرِيصَتُكُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، وقوله: ﴿يَرِيصَتُكُ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ لفظه خبر ومعناه أمر، وعدة الأمة إن كانت حاملاً بوضع الحمل كالحرّة، وإن كانت حائلاً ففي الوفاة عدتها شهران وخمس وأيام، وفي الطلاق إن كانت [ممن] تحيض فعَدَّتْها قرءان، وإن كانت ممن لا تحيض فشهراً ونصف، وقيل: شهران كالقراء في حق من تحيض، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينكح العبد اثنتين ويُطلق طلقتين، وتعتد الأمة بحيضتين فإن لم تكن تحيض فشهريين أو شهراً ونصفاً، قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِيهِنَّ مِنْ أَرْحَامِهِنَّ﴾، قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها، فتقول: قد حضت الثالثة، وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية: لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، معناه: أن هذا من فعل المؤمنات، وإن كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء؛ كما تقول: أذ حقي إن كنت مؤمناً، يعني: أداء الحقوق من فعل المؤمنين، ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾، يعني: أزواجهن جمع بعل، كالفحول جمع فحل، سُمي الزوج بعلًا لقيامه بأمور زوجته، وأصل البعل السيد والمالك، ﴿أَمْحَى بَرِيذَهُنَّ﴾: أولى

برجعتهن إليهم، ﴿فِي ذَلِكَ﴾، أي: في حال العدة، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾، أي: إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الإضرار، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية [كان] الرجل يطلق امرأته، فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدة ثم طلقها، يقصد بذلك تطويل العدة عليها، ﴿وَلهنَّ﴾، أي: للنساء على الأزواج ﴿وَمِثْلَ الَّذِي عَلَيْنَ﴾ للأزواج ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس في معناه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلهنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة، أنا أبو داود السجستاني أنا موسى بن إسماعيل، أنا حماد أنا أبو قزعة سويد بن حجر الباهلي، عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال:

قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني، أخبرنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا حاتم بن إسماعيل المدني، حدثنا

جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ، فسرد لي قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة، قال: «فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا بعده كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد [اللهم اشهد] ثلاث مرات».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن يحيى، أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم».

قوله تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِصْفِهِ﴾، قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهد، وقيل: بالعقل، وقيل: بالشهادة، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالطلاق، لأن الطلاق بيد الرجال، وقيل: بالرجعة، وقال سفيان

وزيد بن أسلم: بالإمارة، وقال القتيبي: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِصْفِهِ﴾، معناه: فضيلة في الحق، ﴿رَأَاهُ عَزِيْرٌ حَكِيْمٌ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، أنا [أبو] حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان:

أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي ﷺ فيها، ثم رجع فرأى رجالاً يسجد بعضهم لبعض، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله تعالى: ﴿أَطْلَقَ مَرَّتَانٍ﴾، روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في [ابتداء الإسلام] يطلقون من غير حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها كذلك ثم راجعها، يقصد [بذلك] مضارتها، فنزلت هذه الآية: ﴿أَطْلَقَ مَرَّتَانٍ﴾، يعني: الطلاق الذي يملك الرجعة عقبيه مرتان، فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا يعد نكاح زوج آخر، قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَرْوِيٍّ﴾، قيل: أراد بالإمسك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه الإمساك بعد الرجعة، يعني: إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح

وحسن الصحبة، ﴿أَوْ تَصْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها، وقيل: الطلقة الثالثة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَصْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وصرح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وعند أبي حنيفة: الصريح هو لفظ الطلاق فحسب، وجملة الحكم فيه: أن الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له أن يراجعها بغير رضاها ما دامت في العدة، فإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها، أو خالها، فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها وإذن وليها، فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، [وأما العبد إذا كانت تحته امرأة فطلقها طلقتين فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر]، واختلف أهل العلم فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث تطليقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الطلاق بالرجال، والعدة بالنساء، يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل، وفي قدر العدة حال المرأة، وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق،

فيملك العبد على زوجته الحرّة ثلاث تطليقات، ولا يملك الحرّ على زوجته الأمة إلا تطليقتين، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ عَطِيئَتَهُنَّ مِنْ الْمَهْرِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ اسْتَنْتَى الْخَلْعَ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى، ويقال: في حبيبة بنت سهل، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه وهو يحبّها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت إليه زوجها، وقالت [له]: إنه يسيء إليّ ويضربني، فقال [لها]: ارجعي إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها، قال: فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب، فقال: ارجعي إلى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه، وقالت: يا رسول الله لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس فقال: «ما لك ولأهلك؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحبّ إليّ منها غيرك، فقال لها: «ما تقولين؟» فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ حين سألها، فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني، فأخرجني منه، وقالت: يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً يُنزل الله عليك خلافة فهو من أكرم الناس حباً لزوجته، ولكنني أبغضه،

فلا أنا ولا هو، قال ثابت: يا رسول الله [إني] قد أعطيتها حديقة فقل لها فلتردها عليّ وأخلي سبيلها، فقال لها: «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟» قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابت خذ منها ما أعطيتها، واخلّ سبيلها»، ففعل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا زاهر بن جميل، أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أعتبّ عليه في خلق ولا دين ولكنني أكره الكفر بعد الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾، أي: يعلما ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب ﴿إِلَّا أَنْ يُخَافَا﴾ بضم الياء، أي: يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والولي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فإن خافا، وقرأ الآخرون ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء، أي: يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يُقيما حدود الله، تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهي الله الرجل أن يأخذ امرأته شيئاً مما آتاها

إلا أن يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِي مَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ﴾، أي: فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله ﴿عَلَيْمَا﴾ الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما؛ كقوله تعالى: ﴿سَيَا سَرَاتِهَا﴾ [الكهف: ٦١]، وإنما الناسي فتى موسى دون موسى، وقيل: أراد أنه لا جناح عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر ممّا أعطها، وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطها من المهر، وقال سعيد بن المسيّب: لا يأخذ منها جميع ما أعطها بل يترك [لها] شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز، غير أنه يُكره لِمَا فيه من قطع الوصلة بلا سبب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، أنا عبد الله بن محمد بن [أبي] شيبة، أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن إسحاق بن شاذان بن أحمد بن عيسى بن يونس أنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن مُحارب بن دثار، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مَنْ أَبْغَضَ الْحَلَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقَ».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه، أنا ابن أبي شيبة محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنا أبي أنا [أبو] أسامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب، عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ».

وقال طاووس: الخلع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية، والآية خرجت على وفق العادة في أن الخلع لا يكون إلا في حال خوف النشوز غالباً، وإذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال قبلت وقعت البينة، وانتقص به العدد. واختلف أهل العلم في الخلع، فذهب أكثرهم إلى أنه تطبيقه بانتهى ينقص بها عدد الطلاق، وهو قول عمر وعثمان وعلي و ابن مسعود، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي، وإليه ذهب مالك والشوري والأوزاعي وأصحاب الرأي، وهو أظهر قول الشافعي، وذهب قوم إلى أنه فسَّخَ لا ينتقص به عدد الطلاق، وهو قول عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وبه قال عكرمة وطاوس، وإليه ذهب أحمد وإسحاق، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين، ثم ذكر بعده الخلع، ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال: «إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِجْلَ لَهَا مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْبًا».

غيره [البقرة: ٢٣٠]، ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً، ومن قال بالقول الأول جعل الطلقة الثالثة: «أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَنِ». قوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»، أي: هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه، «فَلَا تَمْتَدُّوا»، فلا تجاوزوها، «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

قوله تعالى: «إِنْ طَلَّقَهَا»، يعني: الطلقة الثالثة، «فَلَا حِجْلَ لَهَا مِنْ بَعْدُ»، أي: من بعد الطلقة الثالثة، «حَتَّى تَنْكِحَ زَوْبًا غَيْرَ»، أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً، نزلت في تميمة، وقيل: في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي، كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً،

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول:

جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبت طلاقاً وتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ قالت: نعم، قال: «لا»، حتى يذوق عُسَيْلَتِكَ وتذوقني عسيلته».

وروي أنها لبثت ما شاء الله، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني، فقال لها النبي ﷺ: «كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر»، فلبثت حتى قبض النبي ﷺ، فأتت أبا بكر رضي الله عنه، فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني، فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتته وقال لك ما قال، فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه أتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: لا ترجعي إليه لئن رجعت إليه لأرجمك.

قوله تعالى: «إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَرَاجَعَا»، يعني: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما جامعها فلا جناح عليهما، يعني: على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، يعني: بنكاح جديد، «إِنْ طَلَّقَا»، أي: علماً، وقيل: رجوا، لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل، «أَنْ يَبَيِّمَا حُدُودَ اللَّهِ»، أي: يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير دلسة، وأراد بالدلسة: التحليل، وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق، قالوا: إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجاً آخر ليحللها للزوج الأول فإن النكاح فاسد، وذهب جماعة إلى أنه إذا لم يُشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها،

وَأِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّلْعَدْوِ وَأُوْمِنَّ بِعَمَلِ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِرْكُم بِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ فِي عِلْمِهِ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ أَرْوَاحَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْنَ بِنَهْمٍ بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكُرُ لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْوَالِدِ لِمَنْ رَزَقَهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْفُلْ نَفْسٌ إِلَّا رُسْمًا إِلَّا نَضَاءً وَوَلَدَةً يُؤَدُّهَا وَأَلَا مَوْلُوهُمُ يُولَدُوهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرْضَائِهِمَا وَنَسَاءً وَإِفْلَاحًا عَلَيْهِمَا وَإِن أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأَوْلِدِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَاتَعُونَ صَبِيرًا ﴿٢٣٣﴾

٢٧

فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل، ولها صداق مثلها غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحراني، أنا عبيد الله عن عبدالكريم هو الجزري، عن أبي واصل عن ابن مسعود رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله المحلل والمحلل له».

وقال نافع: أتى رجل ابن عمر فقال له: إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فانطلق أخ له من غير مؤامرة، فتزوجها ليحلها للأول، فقال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقال

رسول الله ﷺ لعن الله المحلل والمحلل له، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: يعلمون ما أمرهم الله تعالى به.

﴿٢٣١﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ﴾، الآية نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا قارب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: أشرفن على أن تبين بانقضاء العدة،

ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا: ﴿فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، حقيقة انقضاء العدة، والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغ المدينة إذا قرب منها [و] إذا دخلها، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، أي: راجعوهن، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، قيل: المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء، أو ﴿سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: اتركوهن حتى تنقض عدهن فيكن أملك لأنفسهن، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّلْعَدْوِ﴾، أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة [لهن] بتطويل الحبس. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، أي: أضرب نفسه بمخالفة أمر الله تعالى، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ

هُزُوًا﴾، قال الكلبي: يعني قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحًا بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً، وقال أبو الدرداء: هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول كنت لأعباً، ويعتق ويقول مثل ذلك، وينكح ويقول مثل ذلك.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمرو الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن أبي حبيب بن أردك عن عطاء بن أبي رباح عن ابن ماهد عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة».

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإيمان، ﴿وَمَا أَزَلَّ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾، يعني: السنة، وقيل: مواعظ القرآن، ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ﴾، يعني: يعلمون ما أمرهم الله تعالى به، ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْ أَجَلَهُنَّ﴾، نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان، فطلقها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن أبي عمرو: حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن قال: حدثني معقل بن يسار قال:

معقل بن يسار قال:

زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمك فطلقتها! ثم جئت تخطبها؟ ألا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْسُوهنَّ أَنْ يَكِينَنَّ أزْوَجهنَّ﴾، فقلت: الآن أفعَل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَجْلهنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَقْسُوهنَّ أَنْ يَكِينَنَّ أزْوَجهنَّ﴾، أي: لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة: إذا نشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج، والداء العضال الذي لا يُطاق علاجه، وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح، إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل، ولا لنهي الولي عن العضل معني، وقيل: الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم، والأول أصح، ﴿إِذَا رَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾، بعقد حلال ومهر جائز، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: [ذلك] الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ بَيْنَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، وإنما قال ذلك موحداً والخطاب للآولياء، لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم، ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليس بكاف خطاب، فقالوا ذلك، فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في

الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر، قيل: هو خطاب للنبي ﷺ، فلذلك وُحِدَ ثم رجع إلى خطاب المؤمنين، فقال: ﴿ذَلِكَ أَذْكَ لَكُمْ﴾، أي: خير لكم، ﴿وَأَطْهَرُ﴾: لقلوبكم من الريبة وذلك أنه كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم.

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادهنَّ﴾، أي: والمطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن ﴿يُرْضِعْنَ﴾ خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد؛ لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْضَعْنَ أجورهنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها، ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، أي: ستين، وذكر الكمال للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿بِئِنَّكَ عَزِيزٌ كَامِلٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقيل: إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً، كما قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وإنما هي شهران وبعض الثالث، وقال: ﴿فَمَنْ مَعَجَلٌ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال: أقام فلان بموضع كذا

حولين، وإنما أقام به حولاً وبعض آخر، فيبين الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهراً، واختلف أهل العلم في هذا الحد، فمنهم من قال: هو حد لبعض المولودين، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها إذا وضعت لسته أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، وإن وضعته لسبعة أشهر فإنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً، وإن وضعت لتسعة أشهر فإنها ترضعه لعشرة أشهر فإنها ترضعه عشرين شهراً كل ذلك تمام ثلاثين شهراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شهراً﴾ [الأحاف: ١٥]، وقال قوم: هو [حد] لكل مولود بأي وقت وُلد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين، فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ آرَادَا فِصَالًا عَنْ رَبْوَةٍ وَمَا نُكَّرُوا﴾ وهذا قول ابن جريج والشوري، ورواية الوالسي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المراد من الآية بيان أن الرضاع الذي يثبت [به] الحرمة ما يكون في الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين، قال قتادة: فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين، ثم أنزل التخفيف فقال: ﴿لِمَنْ آرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾، أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حدٌ محدود [لهما]، وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به. ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ لِمَ﴾، يعنسي: الأب، ﴿وَرِضْفَانٌ﴾:

له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل: هو الباقي من والدي المولود، بعد وفاة الآخر عليه، مثل الذي كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة، وقيل: ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي والزهري، **﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾**، يعني: الوالدين، **﴿فِيصَالًا﴾**، [أي]: فطاماً، قيل: الحولين **﴿عَنْ تَرَاضٍ فِيهِمَا﴾**، أي: اتفاق [من] الوالدين، **﴿وَتَشَاوَرًا﴾**، أي: يشاورون أهل العلم به حتى يُخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**، أي: لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين، **﴿وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾**، أي: لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم، أو تعذر لعله بهن أو انقضاء لبن أو أردن النكاح، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾**، إلى أمهاتهم، **﴿مَّا آتَيْتُمْ﴾**، ما سئتم لهن من أجره الرضاع [أو] بقدر ما أرضعن، وقيل: إذا سلمتم أجور المراضع إليهن، **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾**، [أي]: قرأ ابن كثير **﴿مَّا آتَيْتُمْ﴾** [وفي الروم: **﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَيْبًا﴾** [الروم: ٣٩]] بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم يقال آتيت شيئاً إذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة، يعني: إذا سلمتم لأمره وانقذتم لحكمه، وقيل: إذا سلمتم للاسترضاع عن

راجعاً إلى الصبي، أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا تُرضعه الأم حتى يموت، أو لا يُنفق الأب، أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا يكون الباء زائدة، ومعناه: لا تضار والدته ولدها، ولا أب ولده، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين. قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الْوَارِثِ يَتْلُ ذَلِكَ﴾**، اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه الذي كان على أبيه في حال حياته، ثم اختلفوا في أي وارث هو من ورثته، فقال بعضهم: هم عصبه الصبي من الرجال، مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء، وهو مذهب سفيان، قالوا: إذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه، وقيل: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء، وهو قول قتادة وابن أبي ليلى، ومذهب أحمد وإسحاق، وقالوا: يُجبر على نفقته كل وارث قدر ميراثه، عصبه كانوا أو غيرهم، وقال بعضهم: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى، فغير مراد بالآية، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، تكون أجرة رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن

طعامهن، **﴿وَيَكُونَنَّ﴾**: لباسهن، **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾**، أي: على قدر الميسرة، **﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَّعَتْ﴾**، أي: طاقتها، **﴿لَا تُضَاكَّرُ وَوَلَدًا يُولَدُهَا﴾**، قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء، نسقاً على قوله: **﴿لَا تُكَلِّفُ﴾** وأصله تضار، فأدغمت الراء في الراء، وقرأ الآخرون **﴿تُضَاكَّرُ﴾**، بنصب الراء، وقالوا: لما أدغمت الراء في الراء حركت إلى أخف الحركات وهو النصب، ومعنى الآية: لا تضار والدته بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه، **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُمْ يُولَدُونَ﴾**، أي: لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفتها تضارته بذلك، وقيل: معناه لا **﴿تُضَاكَّرُ وَوَلَدًا يُولَدُهَا﴾** فكرهه على إرضاعه إذا كرهت هي إرضاعه، وقيل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُمْ يُولَدُونَ﴾**، فيحتمل أن يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع الولد من غيرها، فعلى هذين القولين أصل الكلمة: لا تضار، بفتح الراء الأولى على الفعل المجهول، والوالدة والمولود [له] مفعولان، ويُحتمل أن يكون الفعل لهما يكون تضار بمعنى: تضارر بكسر [الراء] الأولى على تسمية الفاعل، والمعنى: **﴿لَا تُضَاكَّرُ وَوَلَدًا يُولَدُهَا﴾** فتأبى أن ترضع ولدها ليشق على أبيه، **﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُمْ﴾**، أي: لا يضار الأب أم الصبي فينزع منها ويمنعها من إرضاعه، وعلى هذه الأقوال يرجع الضرار إلى الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرار

تراض وإنفاق دون الضرار، ﴿وَأَلْقُوا
اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ
مِنْكُمْ﴾، أي: يموتون وتتوفى
أجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى
واحد، ومعنى التوفى: أخذ الشيء
وافياً، ﴿وَيَذُرُونَ آذَانَهُمْ﴾: يتركون
أزواجاً، ﴿يَذَرْنَهُنَّ﴾: ينتظرن،
﴿بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، أي:
يعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة
على فراق أزواجهن هذه المدة، إلا
أن يكن حوامل فعدتهن بوضع
الحمل، وكانت عدة الوفاء في
الابتداء حولاً كاملاً؛ لقوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ
أَزْوَاجًا مَوْتِيَةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَمًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]،

ثم نسخت بأربعة أشهر وعشراً،
وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد:
كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر
وعشراً واجبة عند أهل زوجها،
فأنزل الله تعالى: ﴿مَتْنَمًا إِلَى
الْحَوْلِ﴾، فجعل لها تمام السنة سبعة
أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت
سكنت في وصيتها وإن شاءت
خرجت وهو معنى قول الله عز
وجل: ﴿فَإِنْ حَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا قَلْنَ﴾ [البقرة:
٢٤٠]، فالعدة كما هي واجبة عليها،
وقال عطاء: قال ابن عباس
رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية
عدتها عند أهلها، وسكنت في
وصيتها، وإن شاء خرجت، قال
عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ
السكنى، فتعدت حيث شاءت ولا
سكنى لها، ويجب عليها الإحداد في

عدة الوفاة، وهي أن تمتنع
من الزينة والطيب، فلا
يجوز لها تدهين رأسها
بأي دهن سواء كان فيه
طيب أو لم يكن، ولها
تدهين جسدها بدهن لا
طيب فيه، فإن كان فيه
طيب فلا يجوز، ولا
يجوز لها أن تكتحل
بكحل فيه طيب أو فيه
زينة كالكحل الأسود، ولا
بأس بالكحل الفارسي
الذي لا زينة فيه، فإن
اضطرت إلى كحل فيه
زينة فقد رخص فيه كثير
من أهل العلم ومنهم

سالم بن عبدالله وسليمان بن يسار،
وعطاء والنخعي وبه قال مالك
وأصحاب الرأي، وقال الشافعي
رحمه الله: تكتحل به ليلاً وتمسحه
بالنهار.

قالت أم سلمة: دخل علي
رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة
وقد جعلت على وجهي صبراً فقال:
«إِنَّهُ يَشُبُّ وَجْهَهُ، فَلَا تَجْعَلِيهِ إِلَّا
بِاللَّيْلِ وَتَنْزِعِيهِ بِالنَّهَارِ».

ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس
الوشي والديباج والحلي، ويجوز لها
لبس البيض من الثياب ولبس
الصوف والوبر، ولا تلبس الثوب
المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر
الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ
لغير زينة كالسواد والكحلي، وقال
سفيان:

لا تلبس المصبوغ، بحال.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا قَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَ شَرَفٍ فِي أَنفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَكُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَوْ لَا مَعْرُوفًا
وَلَا تَزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاعْلَمُوا رُؤُوسَهُمْ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى اللَّوْبِ
قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْرُورِ قَدْرَهُ مَتْنَمًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْعَفُوا
الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّكَاحِ وَأَنْ تَمْسُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق
الهاشمي، أنا أبو مضعب عن مالك
عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن
عمر [بن] حزم، عن حميد بن نافع
عن زينب بنت أبي سلمة أنها أخبرته
بهذه الأحاديث الثلاثة، قالت زينب:

دخلت على أم حبيبة زوج
النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو
سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة
بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره
فدهنت به جارية ثم مسّت به بطنها
ثم قالت: والله ما لي بالطيب من
حاجة غير أني سمعت
رسول الله ﷺ يقول على المنبر:
«لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَتُومَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ» أَنْ تَجِدَ عَلَى مِيتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ
لَيْسَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا. وقالت زينب: ثم دخلت
على زينب بنت جحش لزواج
النبي ﷺ حين توفي أخوها عبدالله

فدعت طيب فمست به، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تجد على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً». قالت زينب: وسمعت أمي أم سلمة تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»، قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شرّ ثيابها، ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى يمرّ بها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به، فقلماً تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بكرة فترمي بها، ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره.

وقال مالك: تفتض، أي: تمسح جلدها، وقال سعيد بن المسيب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد، ويقال: إن الولد يرتكض، أي: يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريباً من نصف مدة الحمل، وإنما قال «عشراً» بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي، لأن العرب إذا أبهمت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي، فيقولون: صننا

عشراً، والصوم لا يكون إلا بالنهار، وقال المبرد: إنما أنت العشر لأنه أراد المدد، أي: عشر مدد، كل مدة يومٍ وليلة، وإذا كان المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، روي عن عليّ وابن عباس رضي الله عنهما: أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أنزلت سورة النساء الفُضْرَى بعد الطُولَى، وأراد بالقصرى سورة الطلاق ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، نزلت بعد قوله تعالى: ﴿يَرْزُقْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، [وبالطُولَى] في سورة البقرة فحمله على النسخ، وعمامة الفقهاء خصّوا الآية بحديث سُبَيْعة وهو ما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مضعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخزومة:

أن سُبَيْعة نَفَسَتْ بعد وفاة زوجها بليال فجاءت إلى رسول الله ﷺ فاستأذنته أن تُنكح، فأذن لها، فنكحت.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، خطاب للأولياء، ﴿وَمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾، أي: من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل: فيما فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع،

﴿وَالْمَعْرُوفُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾، والإحداذ واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق فيها نظر، فإن كانت رجعية لا إحداذ عليها في العدة، لأن لها أن [تصنع] ما يُشوق قلب الزوج إليها ليراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلاق الثلاثة قولان، أحدهما: [عليها] الإحداذ كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداذ عليها، وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، أي: النساء المُعْتَدَات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراداً من غير تصريح، والتعريض بالخطبة مباح في العدة، وهو أن يقول: رُبُّ رَاغِبٌ فَيْك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك عليّ لكريمة، وإني فيك لراغب، وإنّ من غرضي أن أتزوج، وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتُك لأحسنن إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني، والمرأة تجيبه بمثله إن رغبت فيه، وقال إبراهيم: لا بأس أن يهدي إليها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت [من شأنه].

روي أن سكينه بنت حنظلة بانث من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال: يا بنت حنظلة أنا مَنْ قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ

وحنن جدي عليّ وقدمي في الإسلام! فقالت سكينه: أتخطبني وأنا في العدة وأنت [ممن] يؤخذ العلم عنك! فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة، فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدته تحامله على يده، والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة يُنظر إن كانت ممن لا يحل بانث [منه] نكاحها، كالمطلقة ثلاثاً، والمُبانة باللعان والرضاع، فإنه يجوز خطبتها تعريضاً، [وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها، يجوز لزوجها خطبتها تعريضاً وتصريحاً]، وهل يجوز للغير تعريضاً؟ فيه قولان، أحدهما: يجوز كالمطلقة ثلاثاً، والثاني: لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضاً بالخطبة، [أو] قوله تعالى: ﴿وَيَنْ خُطِبَ إِلَيْهَا﴾، [الخطبة] التماس النكاح وهي مصدر خُطِبَ الرجل المرأة يَخُطِبُ خُطْبَةً، وقال الأَخْفَشُ: الخُطْبَةُ الذِّكْرُ والخُطْبَةُ التَّشْهَدُ، فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿أَوْ أَكْتَنَنْتُمْ﴾: أضمرت، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، من نكاحهن، يقال: أَكْتَنَنْتُ الشَّيْءَ وَكَنْتُهُ لَغْتَانًا، وقال ثعلب: أَكْتَنَنْتُ الشَّيْءَ [أي: أخفيته في نفسي]، وَكَنْتُهُ سَتَرْتُهُ، قال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي

إن شاء ولا يتكلم بشيء ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَنَذُرْنَهُنَّ﴾: بقلوبكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ بِيْرًا﴾، اختلفوا في السر المنهي عنه، فقال قوم: هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح، ويقول لها: دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء، ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال زيد بن أسلم: أي لا ينكحها سراً فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك، وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي: لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة، قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، فيقول: أتيتك الأربعة والخمسة، وأشباه ذلك، ويُذكر السر ويُرَادُ به الجماع، قال امرؤ القيس: أَلَا زَعَمْتَ بِسِبَاسَةِ الْقَوْمِ أَنْنِي كَبِرْتُ وَأَلَا يُحْسِنُ السَّرَّ امْثَالِي وَإِنَّمَا قِيلَ لِلزَّنَا وَالْجَمَاعِ: سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة. [أو] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْرُؤُوا عُقْدَةَ الْيَكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾، أي: لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى تنقضي العدة، وسماها الله: كتاباً، لأنها فرض من الله؛ كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ

عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ١٨٣]، أي: فُرض عليكم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾، أي: فخافوا الله، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَافُوهُ خَلِيبٌ﴾، لا يعجل بالعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ولم تمسوهن ولم تفرضوا.

نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يُسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسها، فنزلت هذه الآية، فقال له رسول الله ﷺ: «متعها ولو بقلنسوتك».

قرأ حمزة والكسائي «ما لم تماسوهن»، بالألف ههنا وفي الأحزاب على المفاعلة، لأن بَدَنَ كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَسَّأَ﴾ [المجادلة: ٤]، وقرأ الباقون ﴿تَمَسَّوْهُنَّ﴾ بالألف، لأن الغشيان يكون من فعل الرجال، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَمَسُّنِي بِئْرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أو تفرضوا لهن فريضة، أي: توجبوا لهن صداقاً، فإن قيل: فما الوجه في نفي الجُنَاحِ عن المطلق؟ قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة. وجاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق».

فنفي الجُنَاحِ عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن

من قبل الميسيس، والفرض بصداق ولا نفقة، وقيل: لا جُناح عليكم في تطليقهن قبل الميسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سِنَّة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها، بخلاف المدخول بها، فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض، ﴿وَتَيَمُّوْنَ﴾، أي: أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع: ما يُتَبَلَّغ به من الزاد، ﴿عَلَى الْوَيْسِ﴾، أي: على الغنى، ﴿قَدَرٌ وَعَلَى الْفَقْرِ﴾، أي: الفقير، ﴿قَدَرٌ﴾، أي: إمكانيه وطاقته، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿قدره﴾ بفتح الدال فيهما، وقرأ الآخرون بسكونهما، وهما لغتان، وقيل: القدر بسكون الدال: المصدر، وبالفتح: الاسم، ﴿مَتَعًا﴾ نصب على المصدر، أي: متعهن، ﴿مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: بما أمركم الله به من غير ظلم، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، وبيان حكم الآية: أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً، ثم طلقها قبل الميسيس يجب عليه المتعة بالاتفاق، وإن طلقها بعد الفرض قبل الميسيس فلا متعة لها، على قول الأكثرين، ولها نصف المهر المفروض.

واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنها لا متعة لها، لأنها تستحق المهر، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، وهو قول عبدالله بن عمر،

وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي، لأن استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلف عليها من منفعة البضع، فلها المتعة على وحشة الفراق، فعلى القول الأول لا متعة إلا لواحدة، وهي المطلقة قبل الفرض والميسيس، وعلى القول الثاني: لكل مطلقة متعة إلا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل الميسيس، قال عبدالله بن عمر: لكل مطلقة متعة إلا التي فُرض لها ولم يمسه زوجها، فحسبها نصف المهر، قال الزهري: متعتان يقضي بإحدهما السلطان ولا يقضي بالأخرى، بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى، فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والميسيس، وهو قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، والتي تلزمه فيما بينه وبين الله [تعالى] فلا يقضي بها السلطان، فهي المطلقة بعد الميسيس، وهو قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، وذهب الحسن وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والميسيس أو بعد الفرض قبل الميسيس؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿فَتَيَمُّوْنَ وَيَرْجُوْنَ سَرَكَأً جِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وقالوا: معنى قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوهُنَّ لَهِنَّ فَرِيضَةٌ﴾، أي: أو لم تفرضوا

لهن فريضة، وقال بعضهم: المتعة غير واجبة والأمر بها أمر نذوب واستحباب.

رُوي أن رجلاً طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شريح في المتعة، فقال شريح: لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين، ولم يجبره على ذلك، واختلفوا في قدر المتعة، فُروي عن ابن عباس: أعلاها خادم، وأوسطها ثلاثة أثواب: دِرْعٌ وَخِمَارٌ وإزار، ودون ذلك وقاية، أو شيء من الورق، وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي، قال: أعلاها على الموسع: خادم، وأوسطها: ثوب، وأقلها: [أقل] ما له ثمن وحسن ثلاثون درهماً، وطلق عبدالرحمن بن عوف امرأته وحممتها جارية سوداء، أي: متعها، ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، وقال أبو حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز. والآية تدل على أنه يُعتبر حال الزوج في العسر واليسر، ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح، وللمرأة مطالبته بأن يفرض لها صداقاً، فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهرٌ مثلها، وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة، وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول، فاختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا؟ فذهب جماعة

إلى أنه لا مهر لها، وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس، كما لو طلقها قبل الفرض والدخول، وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى، فكذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود: لها صداق نساءها ولا وَكَسَ ولا شَطَطَ، وعليها العدة ولها الميراث، فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بَرُوع بنت واشق امرأة متاً مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الشافعي رحمه الله: فإن ثبت حديث بَرُوع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي ﷺ، وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث، وكان علي يقول في حديث بَرُوع: لا يقبل قول أعرابي من أشجع على [كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرْصُفٌ مِمَّا فَرَضْتُمْ﴾، هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، فلها نصف المفروض وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع.

واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فذهب جماعة إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق ولا عِدَّة عليها، لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود، وبه قال الشافعي رحمه الله، وقال قوم: يجب لها كمال المهر وعليها العدة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أرخيت الستورُ فقد وجب الصداق، ومثله عن زيد بن ثابت، وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلّمت نفسها، لا على تقدير الصداق.

وقيل: هذه الآية ناسخة للآية التي في سورة الأحزاب: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَيْتٍ تَعْتَدُونَهَا فَيَعْبَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فُنُسِخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض، ولا متاع لها. وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ستمتم لهن مهراً ﴿فَرِيضَةً مِمَّا فَرَضْتُمْ﴾، أي: لها نصف المهر المُسَمَّى، ﴿إِلَّا أَنْ يَمُوتَ﴾، يعني: النساء، أي: إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، قوله تعالى: ﴿أَوْ يَمُوتُوا الَّذِي يَكُونُهُ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، اختلفوا فيه فذهب بعضهم: إلى أن الذي بيده عَقْدَةُ النِّكَاحِ هو الولي، وبه قال ابن

عباس رضي الله عنه، معناه: إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو أو يعفو وليها، فيتترك نصيبها إن كانت المرأة بكرًا، أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها، وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعه، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرًا، فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عَقْدَةُ النِّكَاحِ هو الزوج، وهو قول علي، وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة والشعبي وشريح ومجاهد وقتادة، وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرًا كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، كما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية [إلا أن] تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية الذي بيده عَقْدَةُ النِّكَاحِ نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده، ﴿وَأَنْ تَمُوتُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾، [موضعه رفع بالابتداء، أي: فالعفو أقرب للتقوى]، أي إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء، جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا، كانت الغلبة للمذكر، معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى، ﴿وَلَا تَسِيؤُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أي: إفضال بعضهم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حتّهما جميعاً

هريرة وعائشة رضوان الله عليهم، وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أنه قال:

أمرتني عائشة أن أكتب لها مُصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فَأَدْنِي **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ﴾**، فلما بلغت أذنتها فأملت علي **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ﴾** - صلاة العصر - **﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾**، قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله ﷺ، وعن حفصة مثل ذلك.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة: سَلْ عَلِيًّا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى، فسأله، قال: كتأ نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، صلاة الله أجوافهم وقبورهم ناراً».

ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ، أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا

وبالقنوت، ولأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلوات، فقال الله تعالى: **﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مُمُودًا﴾** [الإسراء: 78]، يعني: يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع، وهي لا تُقصر ولا تُجمع إلى غيرها، وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر، وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري

وأسامة بن زيد، لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلوات النهار في الطول.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود، أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر، أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبير قال: يحدث عن عروة بن الزبير، عن زيد بن ثابت قال:

كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ﷺ منها، فنزلت: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ﴾**.

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر، رواه جماعة عن رسول الله ﷺ، وهو قول علي وعبدالله بن مسعود وأبي أيوب وأبي

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَمَا لَا أَوْزَكِبْنَا فَاذًا أَمْسِمُ فَأَذَكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَابًا وَبَيْتَةً لَا زَوْجَهُمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَالْجَنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَلْتُمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمَطَّلَقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْرَأْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَفَتَلَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَاقًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

على الإحسان، **﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**.

﴿٢٣٨﴾ قوله تعالى: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ﴾**، أي: واضربوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها، وإتمام [شروطها] وأركانها، ثم خص [الله تعالى] من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيره وأعدله، واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى، فقال قوم: هي صلاة الفجر، وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر، وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد، وإليه ذهب مالك والشافعي؛ لأن الله تعالى قال: **﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾**، والقنوت: طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام

محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم، أنا هشام [أنا] يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال:

كنا مع بُريدة في غزوة في يوم ذي غيم، فقال: بَكْرُوا بِصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر [فقد] حبط عمله».

وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا بأكثرها، ولم يُنقل عن أحد من السلف وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا يعينها أبهما الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها. قوله تعالى: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾، أي: مطيعين، قال الشعبي وعتاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس: والقنوت: الطاعة، قال الله تعالى: ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي: مُطِيعاً، وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين، فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين، وقيل: القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي أنا

أحمد بن منيع، أنا هشيم أنا إسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن سُبَيْل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم، قال:

كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يُكَلِّمُ الرجلُ مَنَّا صاحبه إلى جنبه، حتى نزلت ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع، وغضُّ البصر، والركودُ وخفضُ الجناح كان العلماء إذا كان أحدهم يُصَلِّي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يُحدِّث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً، وقيل: المراد من القنوت طول القيام.

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المجبوبي أنا أبو عيسى الترمذي، أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عُيينة عن أبي الزبير، عن جابر قال: قيل للنبي ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت».

وقيل: قانتين، أي: داعين، دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً يدعو على أحياء من بني سليم على رِعلٍ وذُكرانٍ وعُصية.

وقيل: معناه مصلتين؛ كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيئٌ مَأْتَاةً أَلِيْلٌ﴾ [الزمر: ٩]، أي: مصل.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، فرجالاً أي: رجالة، يقال: راجل ورجال، مثل

صاحب وصحاب، وقائم وقيام، ونائم ونيام، أو رُكباناً على دوابهم، وهو جمع راكب، معناه: إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف، فصلوا مشاةً على أرجلكم أو رُكباناً على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسابقة يصلى حيث كان وجهه، راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة، وغير مستقبلها، ويومئىء بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سَخَّ أو غشيته سبيل يخاف منه على نفسه فعَدَا أَمَامَهُ مُصَلِّياً بالإيماء يجوز، والصلاة في حال الخوف على أقسام، فهذه صلاة شدة الخوف، وسائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة النساء إن شاء الله تعالى، ولا يُتقص عددُ الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم.

وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة: أنه يُصلي في حال شدة الخوف ركعة، وقال سعيد بن جبير: إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً قتل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، واذكر الله، [فإذا ذكرت الله] فتلك صلاتك. ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، أي: فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْكُمْ﴾: يا معشر الرجال، ﴿وَيَذَرُونَ﴾، أي: يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾، أي: زوجات، ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب على معنى: فليُوصوا وصيةً، وقرأ الباقر بالرفع، أي: كُتِبَ عَلَيْكُمْ الوصية، ﴿ثُمَّ نَمَّا إِلَى الْحَوْلِ﴾، متاعاً بنصب على المصدر، أي: متعوهن متاعاً، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعاً، والمتاع: نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنينها وما تحتاج إليه، ﴿عَبْرَ إِخْرَاجٍ﴾، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وقيل: بنزع حرف على الصفة، أي: من غير إخراج.

نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامراته، فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي ﷺ والديه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركه زوجها حولاً كاملاً وكانت عِدَّة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً كاملاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنائها واجبةً في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها، فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن، ونسخ عِدَّة الحول بأربعة أشهر

وعشراً. قوله تعالى: ﴿فَإِنِ خَرَجْتَ﴾، يعني: من قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ الْحَوْلِ [من غير إخراج الورثة]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَقْرُوبٍ﴾، يعني: التزین للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان، أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم إذا خرجن قبل انقضاء الحول، والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج، لأن مقامها في بيت زوجها حولاً غير واجب عليها، خيّرنا الله تعالى بين أن تُقِيمَ حولاً ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى، إلى أن نَسَخَهُ اللهُ تعالى بأربعة أشهر وعشراً، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ﴿حَقًّا عَلَى الْمُؤْتِرِ﴾، إنما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَيَتِيمُونَ عَلَى الْكُوفِيِّ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ﴾ إلى قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّحِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ﴾، جعل المتعة لهن بلام التملك، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُؤْتِرِ﴾، يعني: المؤمنين المتقين الشرك.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾

الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها دَاوْرُذَانُ قِبَلِ وَاسِطٍ، وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونَ فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية، وسلم الذين خرجوا [منها]، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون [عليهم] من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفتيح، فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أَنْ مُوتُوا فماتوا جميعاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب حدثنا مالك عن ابن شهاب، عن عبدالله بن عامر بن ربيعة:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»، فرجع عمر من سرغ.

قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فرّوا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم: إن الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع

منها الوياء، فأرسل الله عليهم الموت [في مكانهم]، فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فلما رأى الملك ذلك قال: اللَّهُمَّ رَبِّ يَعْقُوبَ وَإِلَهَ مُوسَى وَهَارُونَ قَدْ تَرَى مَعْصِيَةَ عِبَادِكَ فَأَرْهَمَ آيَةَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْفِرَارَ مِنْكَ، فَلَمَّا خَرَجُوا لِيَتَّقُوا الْهَلَاكَ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مُوتُوا﴾ عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد، فما أتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأزوّحت أجسادهم، فخرج إليهم الناس فمعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها، واختلّفوا في مبلغ عددهم، قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال وهب: أربعة آلاف، وقال مقاتل الكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو زؤاق: عشرة آلاف، وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً، وقال عطاء بن أبي رباح: سبعون ألفاً، وأولى الأقاويل قول من قال: كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن الله تعالى قال: ﴿وَهُمُ الْوُفُؤُا﴾ والألوف جمع الكثير، وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لِمَا دُونَ عَشْرَةِ آلَافٍ أَلُوفٌ، قالوا: فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم، فمَرَّ عَلَيْهِمْ نَبِيٌّ يُقَالُ لَهُ: حَزَقِيلُ بْنُ يُوْدَى، ثَالِثُ خَلْفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقِيَمَ بِأَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ ثُمَّ كَالْبُ بْنُ يُوْقِنَا ثُمَّ حَزَقِيلُ، كَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَجْجُوزِ لِأَنَّ أُمَّهُ

كانت عجوزاً فسألت الله [تعالى] الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، قال الحسن ومقاتل: هو ذو الكفل، وسُمي حزقيل ذا الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فلما مَرَّ حَزَقِيلُ عَلَى أَوْلَادِكَ الْمَوْتَى، وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِمْ مُتَعَجِّباً، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ تَرِيدُ أَنْ أَرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ [تعالى]، وقيل: دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم، وقال مقاتل الكلبي: هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم، فوجدهم موتى فبكى وقال: يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه إني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيل: اخبوا بإذن الله، فعاشوا. قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا سبحانه اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرأ طويلاً وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد دنساً مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنما لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح، قال قتادة: مَقْتَنُهُمُ اللَّهُ عَلَى فِرَارِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ فَأَمَاتَهُمْ عَقُوبَةً لَهُمْ، ثُمَّ بَعُثُوا لِيَسْتَوْفُوا بَقِيَةَ آجَالِهِمْ، وَلَوْ مَاتُوا بِأَجَالِهِمْ مَا بَعُثُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا لَكَ الْوُفُؤَ﴾ أي: ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب، وقال

أهل المعاني: هو تعجيب، يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان، وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعانیه النبي ﷺ فهذا وجهه، ﴿أَلَمْ تَرَ لِمَا آذَيْنَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾، جمع ألف، وقيل: مؤتلفة قلوبهم جمع ألف، مثل قاعد وقعود، والصحيح: أن المراد منه العدد، ﴿حَدَّرَ الْمَوْتَى﴾، أي: خوف الموت، ﴿قَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، أمر تحويل؛ كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمَ آلِ عَبْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بعد موتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، قيل: هو على العموم في حق الكافة [في الدنيا]، وقيل: على الخصوص في حق المؤمنين، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة [الله] أعداء الله، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا، أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازي عليه، فسَمَى اللَّهُ تَعَالَى عَمَلُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ عَلَى رَجَاءٍ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ قَرْضًا، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَهُ لَطَلَبِ

وقيل: هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويسبط بعضها فيقدم لنفسه خيراً.

كما جاء في الحديث: «القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبلها الله كيف يشاء» الحديث.

﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾، أي إلى الله تعودون فيجزئكم بأعمالكم، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب، كناية عن غير مذكور، أي: من التراب خلقهم وإليه يعودون.

﴿الَّذِي تَرَى إِلَى﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى﴾، والملا من القوم: وجوههم وأشرفهم، وأصل الملا: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيل والمجن، وجمعه أملاء، ﴿مِنْ بَدَىٰ مُوسَىٰ﴾، أي: من بعد موت موسى، ﴿إِذْ قَالَ لِيِّنِّي لَهْمُ﴾، واختلفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقال السدي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعائها فولدت غلاماً فسمته شمعون، تقول: سمع الله تعالى دعائي، والسين تصير شيئاً بالعبرانية، وهو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لأوى بن يعقوب، وقال سائر المفسرين: هو إشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون، وقال مجاهد: هو أشمويل،

أي: ينفق في طاعة الله قرضاً حسناً، قال الحسين بن علي الواقدي يعني: محتسباً طيبة بها نفسه، [و] قال ابن المبارك: من مالٍ حلالٍ، وقيل: لا يمن به ولا يؤذي ﴿فَيَضْعُوقُهُ لَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب «فيضغفه» وبابه بالتشديد، ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب، وقرأ الآخرون ﴿فَيَضْعُوقُهُ﴾ بالالف مخففاً، وهما لغتان، ودليل التشديد قوله:

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، لأن التشديد للتكثير، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل: بإضمار أن، وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقاً على قوله يقرض ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، قال السدي: وهذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل: سبعائة ضعف، ﴿وَاللَّهُ يَقِيضُ وَيَضْعُقُ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة ﴿يسبط﴾ هنا، ونسي الأعراف: ﴿بَضْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، بالسين كتنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد، وقيل: يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير، ويسبط بالتوسيع، وقيل: يقبض بقبول التوبة والصدقة، ويسبط بالخلف والثواب، وقيل: هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له،

﴿الَّذِي تَرَى إِلَى﴾
الَّذِي تَرَى إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدَىٰ مُوسَىٰ إِذْ قَالَ لِيِّنِّي لَهْمُ أَمْتٌ لَنَا مَلِكًا أَقْتَبِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ الْآفَاقِيًّا أَنْ تَقُولُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقْتَبِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِينِنَا وَآبَائِنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ قَالُوا لَا قِبَالَ إِلَهِمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْقَلْبِ لَيِّنِي لَهْمُ رَبِّيهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَدَأَ لَكُمْ طَاوُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي أَوْلَادِهِ وَالْجِسْمَ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ لَهْمُ رَبِّيهِمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ إِذْ آتَاكُمْ التَّابُوتَ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَمَا آلُ هَارُونَ حَمَلَةَ الْمَلَكِيَّةَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾

ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سييء، وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض لأنه يقطع من ماله شيئاً يُعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصاراً مجازة: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، [الأحزاب: ٥٧]، أي: يؤذون عباد الله، كما جاء في الحديث الصحيح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعَمَكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَطْعَمْتُكَ عِبْدِي فَلَنْ تَطْعَمَهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟» وقوله عز وجل: ﴿يُقْرِضُ اللَّهُ﴾،

وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة، وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: كان سبب مسألتهم إياه ذلك أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيه كالب كذلك حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس نبياً فدعاهم إلى الله تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد إلياس اليسع، فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله، ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت [فيهم] الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشاشا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل [بقوتهم] وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم ولقي بنوا إسرائيل منهم بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النبوّة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسّمته إشمويل،

تقول: سمع الله تعالى دعائي، فكَبَّرَ الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه ذلك الشيخ، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ، وكان لا يأت من عليه أحداً فدعاه جبريل بلحن الشيخ: يا أشمويل، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه دعوتني، فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام، وقال: يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فنام، ثم دعاه الثانية، فقال الغلام: يا أبت دعوتني، فقال: ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فرجع الغلام فنام، فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل، فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم تنلك، وقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربه، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى أشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لأشمويل: ﴿إِمْتَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك: ﴿فَقَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾، استفهام شك، يقول: لعنكم، قرأ نافع ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بكسر

السين، كل القرآن، وقرأ الهاقون بالفتح، وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: فُرِضَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ، مع ذلك الملك، ﴿الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، أن لا تَفُؤا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فإن قيل: فما وجه دخول أن في هذا الموضع، والعرب لا تقول ما لك أن لا تفعل، وإنما يقال: ما لك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان، فالإثبات كقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّيِّئِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، والحذف كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨]، وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل، فحذف في، وقال الفراء: أي: وما يمنعا أن [لا] نقاتل في سبيل الله؛ كقوله تعالى: ﴿مَا تَمَكَّنَ أَلَّا تَسْبُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال الأخفش: أن ههنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿وَقَدْ أُرْسِنَاكَ مِنْ يَدِينَا وَأَيْتَانَا﴾ أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية: أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فنتطبع ربنا في الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا، قال الله

تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَثَبَ عَلَيْهِمُ أَلْقَيْنَا تَوَلَّوْهُ ﴾: عرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾، وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾، وذلك أن أشمويل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن فيه دهن القدس، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا، وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو مَلِكٌ بني إسرائيل، فآدهن به رأسه وملكه عليهم، وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب، سمي طالوت لطوله، وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبیه، وكان رجلاً دَبَّاحاً يعمل الأديم، قاله وهب، وقال السدي: كان رجلاً سقاءً يسقي على حمار له من النيل، فضل حماره فخرج في طلبه [وقيل: كان خريندجاً]، وقال وهب: بل ضلّتْ حُمُرُ لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمراً ببني أشمويل عليه السلام، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا لكان حسناً، فدخلنا عليه فبينما هما عنده يذكران له [شأن دابتهما]، إذ نش الدهن الذي في القرن، فقام أشمويل عليه السلام فقام طالوت بالعصا فكانت طوله، فقال لطالوت:

الكلبي: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل [في وقته] وأعلمهم، ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُوتَ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، قيل: الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل: العالم بما كان، والعليم بما يكون، فقالوا له: فما آية ملكه فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت.

﴿ فَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴾: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾، وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات، ثم [بعد ذلك] عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده، ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى، فكان موسى يضع فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إشمويل، وكان فيه ما ذكره الله تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنَ رَبِّكُمْ ﴾، اختلفوا في السكينة ما هي؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ريح خجوج هفافة لها رأسان، ووجه كوجه الإنسان، وعن مجاهد: شيء يُشبه الهرة له

قرّب رأسك فقرّبه فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: أنت مَلِكٌ بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم، فقال طالوت أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ قال: بلى، قال: فبأي آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمُرَه، فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت مَلِكًا، ﴿ قَالُوا أَلَيْسَ لَكَ الْمَلِكُ عَلَيْنَا ﴾، أي: من أين يكون له الملك علينا؟ ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ ﴾: أولى ﴿ بِالْمَلِكِ مِنْهُ ﴾؟ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط نبوة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب، ومنه كان موسى وهارون [عليهما السلام]، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب، ومنه كان داود وسليمان [عليهما السلام]، ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب، وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً، فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم، وكانوا يسمون سبط الإثم، فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك قالوا: هو فقير، ﴿ وَكَمْ يُؤْتَى سَمَكَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ ﴾: اختاره ﴿ عَلَيْهِمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾: فضيلة وسعة ﴿ فِي السُّلَيْمِ وَالْجِسْرِ ﴾، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وقيل: إنه أتاه الوحي حين أوتي الملك، وقال

رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان، وقيل: له عينان لهما شعاع وجناحان من زُمردٍ وَزَبْرَجِدٍ فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم، فإذا سار ساروا، وإذا وقف وقفوا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي طستٌ من ذهب من الجنة، كان يُغسل فيه قلوبُ الأنبياء [عليهم السلام]، وعن وهب بن منبه قال: هي روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يُريدون، وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال قتادة الكلبي: السكينة فعيلة من السكون أي: طمانينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا، ﴿وَيَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾، يعني: موسى وهارون أنفسهما، كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه، وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سلب الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت، وكان السبب في ذلك أنه كان لعلي العالم الذي ربي إسمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم، فأحدث ابنه في القربان

شيئاً لم يكن فيه، وذلك أنه كان لعلي منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلايين، فما أخرجوا كان للكاهن الذي ينوطه فجعل ابنه كلاليب، وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبهن بهن، فأوحى الله تعالى إلى إسمويل عليه السلام انطلق إلى عيلى فقل له: منعك حب الولد من أن تزجر ابنك عن أن يُحدثا في قرباني وقديسي شيئاً، وأن يعصيانى فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك وإياهما، فأخبر إسمويل عيلى بذلك ففزع فزعاً شديداً، فسار إليهم عدو ممن حولهم فأمر ابنه أن يخرج بالناس فيقاتلا ذلك العدو، فخرجوا وأخرجوا معهما التابوت فلما تهَيَّؤوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا، فجاءه رجل وهو جالس على كرسيه وأخبره أن الناس قد انهزموا وإن ابنك قد قُتلا، قال: فما فعل التابوت؟ قال: ذهب به العدو فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات، فخرج أمر بني إسرائيل وتفزعوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً، فسألوا البيئة فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتاكم التابوت، وكانت قصة التابوت أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود، وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسَمَّروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطع يد الصنم ورجلاه، وأصبح ملقى تحت التابوت، وأصبحت أصنامهم منكسة

فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم، فقال بعضهم لبعض: اليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه إلى قرية كذا، فبعث الله على أهل تلك القرية قاراً فكانت الفأرة تبيت مع الرجل منهم فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه، فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في مخرة لهم، فكان كل من تبرز [بها] أخذه الباسور والقولنج فتحثروا [في أمرهم وفي الأماكن يضعوا التابوت]، فقالت امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم، فأتوا بعجلية، بإشارة تلك المرأة، وحملوا عليها التابوت، ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما، فأقبل الثوران يسيران، وكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، فأقبلتا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا يبرئيهما وقطعا حبالهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما، فلم يبرح بني إسرائيل إلا بالتابوت، فكبروا وحمدوا الله، فذلك قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أي: تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي

كانوا أربعة آلاف، وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال:

كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن وهم بضعة عشر وثلاثمائة.

وزوي: ثلاثمائة وثلاثة عشر، فلما وصلوا إلى النهر وقد التقى عليهم العطش، فشرّب منه الكل إلا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوري قلبه وصحّ إيمانه، وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودّت شفاههم وغلبيهم العطش، فلم يُرووا ويقوا على شط النهر وجئوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح، وقيل: كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال إلا [القليل] الذين لم يشربوا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزُوا﴾، يعني: النهر ﴿هُوَ﴾، يعني: طلوت، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، يعني: القليل، ﴿قَالُوا﴾، يعني: الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يستيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا

التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طلوت: لا حاجة لي في كل ما أرى [من القوم]، لا يخرج معي رجل يبني بناء لم يفرغ منه، ولا صاحب تجارة يشتغل بها، ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبين بها، ولا أبتغي إلا الشاب النشط الفارخ، فاجتمع له ثمانون ألفاً ممن شرطه، وكان في حرّ شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوّهم، فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادعُ الله أن يجري لنا نهرًا، ﴿قَالَ﴾ طلوت: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ مُّبْتَلِكُمْ بِنَهْرٍ﴾: مختبركم لئيرى طاعتكم وهو أعلم، ﴿بِنَهْرٍ﴾، قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة: نهر بين الأردن وفلسطين عذب، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: ليس من أهل ديني وطاعتي، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يشربه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «غرفة» بفتح الغين، وقرأ الآخرون بالضم وهما لغتان، قال الكسائي: الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة بالفتح: الاغتراف، فالضم اسم والفتح مصدر، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، نصب على الاستثناء، واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا [من النهر]، فقال السدي:

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِكُمْ
بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْكُمْ مِنْ فَتَنَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَرُوا لِمَا أُوتُوا وَجُودِهِمْ قَالُوا رَبُّنَا أَخْرَجَ
عَلَيْنَا ناصِرًا وَسَيِّئًا أَقْدَمَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَرَّجَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهُ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
تَنْوِيهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٤١

طلوت الملك حملته الملائكة ووضعه بينهم وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك، فحملته الملائكة حتى وضعه في دار طلوت فأقروا بملكه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة، ﴿لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت وعصى موسى في بحيرة طبرية، وإنهما يخرجان [منها] قبل يوم القيامة.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، أي: خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني: قطع مستقره شاخصاً إلى غيره، فخرج طلوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبيّر لهريمه أو مريض لمرضه، أو معذور لعذره، وذلك أنهم لما رأوا

الله، وهم الذين ثبتوا مع طالوت، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ جَمَاعَةٌ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَجَمْعُهُ فِئَاتٌ وَفُؤُونٌ فِي الرَّفْعِ، وَفُئِينَ فِي الْخَفْضِ وَالنَّصَبِ، ﴿قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ﴾: بقضائه وقدره وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: بالنصر والمعونة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾، يعني: طالوت وجنوده، يعني: المؤمنين، ﴿لِجَالُوتَ وَيَجُودِيَّةَ﴾ المشركين، ومعنى برزوا: صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آفِرِجْ عَلَيْنَا﴾: أنزل واصب ﴿صَبْرًا وَكَوَيْتَ آفَادَانَا﴾: قو قلوبنا، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَرَمُوهُمْ يَأْذَنُ اللَّهُ﴾، [أي: بعلم الله تعالى]، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾، وصفة قتله: قال أهل التفسير: عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة، فقال لأبيه يوماً: يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته، فقال له: أبشر يا بني فإن الله [عز وجل] جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجنني، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريدك الله بك، ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه إنني لأمشي بين الجبال فأستبح فما يبقى جبل إلا سبّح معي، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله تعالى، فأرسل جالوت

إليها فوجده يحمل [شاتين] يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه طالوت يفعل ذلك قال: هذا هو لا شك فيه. هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم، فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض، فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي؟ قال: نعم، قال: وهل آنتست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح لحيته عنها وأضرقتها إلى قفاه فرده، فمرّ داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر: يا داود احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي ماء كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة، انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس الدرع وركب الفرس فسار قريباً [من جالوت] ثم انصرف إلى الملك فقال من حوله: جئنا الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال له داود: إن الله إن لم ينصرنني لم يغن عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل جالوت كما أريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد

إلى طالوت أن ابرز لي أو ابرز لي من يقاتلني، فإن قتلتني فلكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد، فسأل طالوت نبيهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله في ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ويكون على رأسه كهيشة الإكيل، ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجزبهم فلم يوافقهم منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم أن في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت إيشا، فقال: اعرض عليّ بنيك، فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السوارى، فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً، فقال لإيشا: هل بقي لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال النبي: يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال: كذب، فقال النبي: إن ربي كذبك، فقال: صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود، استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلاً قصيراً مسقاماً مصفاراً أزرق أضر، فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح

الرجال وأقوامهم وكان يهزم الجيوش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد، فلما نظر إلى داود ألقى الله في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم، وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام، فقال: أتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم أنت شر من الكلب، قال: لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء، فقال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر، وقال: باسم إله إسحاق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً بأمر الله، ودور داود عليه السلام المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من ففاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلاً فأخذ يجزه حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، والناس يذكرون داود بخير، فجاء داود طالوت وقال: أنجز لي ما وعدتني، فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق، فقال داود: ما شرطت علي صداقاً وليس لي شيء، فقال: لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غُلف فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوّجتك ابنتي، فاتاهم [داود] فجعل كلما قتل واحداً

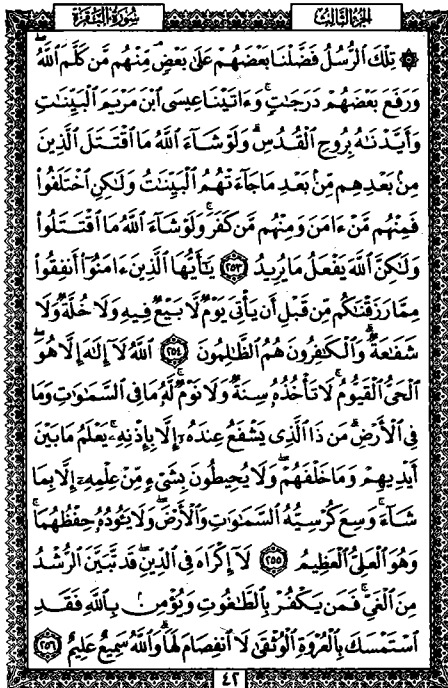
منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت وألقاها إليه، وقال: ادفع إلي امرأتي فزوجه إياها وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه، وأكثروا ذكروه فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له: ذو العينين، فقالت ابنة طالوت لداود: إنك مقتول في هذه الليلة، قال: ومن يقتلني؟ قالت: أبي، قال: فهل أجرت جرماً [أستحق به القتل]؟ قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك، قال: لئن كان الله أراد ذلك ما أستطيع خروجاً ولكن اثنتي بزرق خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير، فدخل طالوت نصف الليل، فقال لها: أين بعلك؟ قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر، فلما وجد ريح الخمر قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج [من عندها]، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً، فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره، فاشتد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجة وفتح له الأبواب، فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عن رجله [وسهماً عن يمينه] وسهماً عن شماله، ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرفها، فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني

ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت [الليلة] القابلة أتاه ثانية وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب، فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية، فقال: اليوم أقتله فركض على أثره فاشتد داود وكان إذا فرغ لم يُدرك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فتسجت عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت، فقال: لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلا قتله وأغرى بقتل العلماء، فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطبق قتله إلا قتله حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها، فرحمها الخباز وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها فوق في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها فلما أكثر

عليهم ناداه مناد من القبور: يا طالوت أما ترضى أن قتلنا حتى تؤذينا أمواتاً، فإزداد بكاءً وحزناً، فرحمه الخباز فقال: ما لك أيها الملك؟ قال: هل تعلم في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة؟ فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فطير منه، فقال: لا تركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُذليج، فقالوا له: وهل تركت ديكاً يسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فإزداد حزناً وبكاءً فلما رأى الخباز ذلك قال له: أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله، قال: لا، فتوثق عليه الخباز [بالإيمان] فأخبره أن المرأة العالمة عنده، قال: انطلق بي إليها [حتى] أسألها هل لي من توبة، وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم، فإذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم، فلما بلغ طالوت الباب، قال الخباز: إنها إذا رأتك فرزت، فخلفه خلفه ثم دخله فقال لها: ألسنت أعظم الناس مئة عليك أنجيتك من القتل وأريتك؟ قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة، هذا طالوت يسأل هل له من توبة، فثنى عليها من الفرق، فقال لها حين أفاقت: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بهما إلى قبر إسمويل فصلت ودعت ثم نادى: يا صاحب القبر، فخرج إسمويل من القبر

ينفض رأسه من التراب، فلما نظر إليهم ثلاثهم قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة، قال إسمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا أتيته وجئت لأطلب التوبة، قال له: كم لك من الولد؟ قال: عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى عن ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك، ثم تقابل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع إسمويل إلى القبر وسقط وخر ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبةً أن لا يتابعه ولده، وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه، فدخل على أولاده فقال لهم: أرايتم لو دُفعت إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: بلى نفديك بما قدرنا عليه، قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم، قالوا: فاعرض علينا ما ينجيك منها، فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول؟ قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز بماله وولده فتقدم وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم للقتال حتى قُتل، فجاء قاتله إلى داود ليشهره، وقال: قتلت عدوك، فقال داود: وما أنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه، فكان ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم. قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد

قتل طالوت سبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَىٰ أَثَمَكَ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكِيمُ﴾، يعني: النبوة، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة، ولم يكن من قبل [بل] كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، [وهو] قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ مَكَّا يَكْفًا﴾، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، فكان يصنعها ويبيعها، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل: منطلق الطير وكلام الجبل والنمل. وقيل: هو الزبور، وقيل: الصوت الطيب والألحان، فلم يُعطِ الله أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح، وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديره مفضلة بالجواهر مدرسة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدثٌ إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث، ولا يمستها ذر عاهة إلا برىء وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت، فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مَدَّ يده إلى السلسلة فتناولها، ومن كان كاذباً لم ينلها، فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر



مني السلسلة، فمذ يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة من بين أظهرهم. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، قسراً أهل المدينة ويعقوب «دفاع الله» بالالف ههنا وفي سورة الحج، وقرأ الآخرون بغير الالف، لأن الله تعالى لا يغالبه أحد، وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالالف قال: قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب:

والخديعة فرفعت، وقيل: رفعت السلسلة في زمن داود حين أوحى الله إليه ما كان من مكرهم، فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً جوهره ثمينه فلما استردّها أنكر فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهره إلى عكاز فنقرها وضمنها الجوهره واعتمد عليها حتى حضر [عند] السلسلة، فقال صاحب الجوهره: ردّ عليّ الوديعه، فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعه، قال: فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده، فقبل للمنكر: قم أنت فتناولها، فقال لصاحب الجوهره: خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده، ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها، فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعه التي يدعيها عليّ قد وصلت إليه فقرب

وجلّ ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»، ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُتْلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُتْلِينَ﴾، أي: كلمه الله تعالى، يعني: موسى عليه السلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ﴾، يعني: محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام: رحمة الله عليه ما أوتي نبي آية إلا أوتي نبئنا مثل تلك الآية، وفضل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقتها، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

أحسن الله عنك الدفاع، قال [ابن عباس]: لولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخزّبوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين الأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله بن زنجويه أنا أبو بكر بن خريجة، أنا عبدالله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي، أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن سليمان، عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبدالرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار، أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويُبعث إلى الناس عامة».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقني أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بسِّت، أوتيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرُّعب، وأحلت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وحُتِم بي النِّبؤ». «

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد الرسل، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ ائْتَمَرُوا فِئْتَهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾، ثبت على

إيمانه بفضل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، بخذلانه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، يُوفِّق مَنْ يَشَاءُ فَضْلاً وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلاً. سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: هو طريق مظلم فلا تسلكه، فأعاد السؤال، فقال: بحر عميق فلا تلجّه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه.

﴿٢٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنَّا رِزْقًا﴾، قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾، أي: لا فداء فيه، سُمِّيه ببيعاً لأن الفداء شراء نفسه، ﴿وَلَا حُلَّةٌ﴾، ولا صداقة ﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾، إلا بإذن الله، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة كلها بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم: ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وفي سورة الطور: ﴿لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيرٌ﴾ [الطور: ٢٣]، وقرأ الباقر كلها بالرفع والتنوين، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

﴿٢٥٥﴾ قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي، أنا حميد بن زنجويه أنا ابن

أبي شيبة، أنا عبدالأعلى عن الجريري عن أبي السليل، عن عبدالله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أبا ذر أي آية من كتاب الله أعظم؟ قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ [يا أبا المنذر]»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تُقدِّس المَلِكُ عند ساق العرش».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي [أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل قال: عثمان بن الهيثم أبو عمرو، نا عوف، عن محمد بن سيرين] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلت سبيله فأصحت، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخلت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذه، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج ولي عيال ولا أعود، فرحمته

فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله شكّا حاجة وعيلاً فرحمته وخلّيت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حتى تختم الآية فإنك لن يزال من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، [فخلّيت سبيله فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: «وما هي؟» [قال: [قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: «ذاك شيطان».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرّئاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن عبدالرحمن بن أبي بكر

هو المُلَيْكي، عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول ﴿حَمِّمْ﴾ ﴿تَزِيلُ الْكَرْبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١ - ٢]، حفظ في يومه ذلك حتى يُمسي ومن قرأها حين يُمسي حفظ في ليلته تلك حتى يُصبح».

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ﴾، رفع بالابتداء وخبره في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى ﴿الْقَيُّومُ﴾ وقرأ عمر وابن مسعود «القيام»، وقرأ علقمة «القيم»، وكلها لغات بمعنى واحد، قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل بالأمر، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السّنة النعاس، وهو النوم الخفيف، والوسنات بين النائم واليقظان، يقال منه: وَبَسَّ يَبْسُ وَبَسًا وَبَسْنَةً، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل، وقال المفضل الضبي: السّنة في الرأس، والنوم: في القلب، فالسنة أول النوم وهو النعاس، وقيل: السنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب، فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات، ولأنه تغير ولا يجوز عليه التغير.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم

الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش، عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال:

قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفض القسط و [يرفعه] يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُه التورُّ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة، وقال: «حجابُه النار»، ﴿لَمْ يَأْمُرْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكاً وخلقاً، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، بأمره، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم الدنيا لأنهم يخلّفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل [بن سليمان]: ما بين أيديهم ما كان قبل [خلق] الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، أي:

من علم الله، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أن يُطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: ملأ وأحاط به، واختلفوا في الكرسي، فقال الحسن: هو العرش نفسه، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي: موضوع أمام العرش، ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: سعته مثل سعة السموات والأرض.

وفي الأخبار: «أن السموات والأرض في جنب الكرسي، كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش، كحلقة في فلاة».

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، وقال علي ومقاتل: كل قائمة من [قوائم] الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام. ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور، وهو يسأل

للأنعام الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل، وملك على صورة سيد السباع، وهو الأسد يسأل [الله] الرزق [للسباع من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الطير، وهو النسر يسأل [الله] الرزق للطير من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار: أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاً من ظلمة وسبعين حجاً من نور، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي علمه، وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم: كراسة، وقيل: كرسية ملكه وسلطانه، والعرب تسمي الملك القديم: كرسياً. ﴿وَلَا يَتَّوَمُّوهُ﴾، أي: لا يُثقله ولا يُشقى عليه، يقال: أدنى الشيء أي أثقلني، ﴿حَقْلُهُمَا﴾، أي: حفظ السموات والأرض، ﴿رَعُو الْعَلَمَ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلوي بالملك والسلطنة، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

﴿٢٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة - والمقلاة من النساء التي لا يعيش لها ولد، وكانت تنذر لثن عاش لها ولد لتهودته إن عاش ولدها جعلته في اليهود، فجاء

الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناؤنا وإخواننا، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «خياروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم».

وقال مجاهد: كان ناسٌ مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فممنعهم أهلهم، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان فتنصراً قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قديماً المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فخلى سبيلهما، وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يُقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرهاً أنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يُقرّوا بالجزية، فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام.

وقيل: كان هذا في الابتداء قبل أن يُؤمر بالقتال، فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود

يجدون في كتبهم من نعته، فلما بُعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، وقالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه: إخراج، كما يقول الرجل لأبيه: أخرجتني من مالك، ولم يكن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن قط في ملتهم، ﴿أَوْلَيْتُكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿١٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو نمردود، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، أي: لأن آتاه الله الملك فطغى، أي: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: فسلیمان وذو القرنين، وأما الكافران: فنمرود وبختنصر، واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمردود، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ فقال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُيَسِّرُ﴾، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قُحطوا على عهد نمردود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من

الَّذِينَ آمَنُوا: ناصرهم ومعينهم، وقيل: مُحِبِّهِمْ، وقيل: متولِّي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام: ﴿تَجَعَّلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ [الأنعام: ١]، فالمراد منه: الليل والنهار، سُمِّي الكفر:

ظلمة لالتباس طريقه، وسُمِّي الإسلام نوراً لوضوح طريقته. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ﴾، قال مقاتل: يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً، فقال تعالى في المذكر والواحد: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبْحَثُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ وَوَدَّ أُمَرَاؤُا أَن يُكْفَرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال في المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَن يَبْسُطُوا﴾ [الزمر: ١٧]، وقال في الجمع: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، فإن قيل: كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث لِمَا

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُيَسِّرُ قَالَ أَنَا أُخِي وَأُيُسِّرُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْعِينَ مِنَ الْمُشْرِقِ فَأْتِي بِهِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَأُبْهَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُغْنِي عَنْهُ اللَّهُ بِعَدْمِ إِيَّاهُ فَآمَنَتْهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَا قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمْرِكَ وَاجْعَلْكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لِحْمًا فَالْمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾

رضي الله عنه: ﴿فَدَّ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ النَّوَى﴾، أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظُّلُمَاتِ﴾، يعني: بالشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: كل ما يُظني الإنسان، فاعول، من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدلة من هاء التانيث، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تانيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يُوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿لَا أَنْفِيسَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: [قيل: سميع] لدعائك إياهم إلى الإسلام، ﴿عَلِيمٌ﴾: بحرصك على إيمانهم.

﴿١٦٧﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَالَّذِينَ

ربك فإن قال أنت، باع منه الطعام، فاتاه إبراهيم فيمن أتاه، فقال له نمردو: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَمِرُ مِنِّي وَيُبَيِّتُ﴾، فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئاً، فرجع إبراهيم فمر على كئيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه فإذ هو أجود طعام ما رآه أحد فأخذته فصنعت له منه فقرّبته [إليه]، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به، فعرف أن الله رزقه فحمد الله.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَمِرُ مِنِّي وَيُبَيِّتُ﴾، وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره: قال له من ربك؟ قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَمِرُ مِنِّي وَيُبَيِّتُ﴾، قرأ حمزة: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَمِرُ مِنِّي وَيُبَيِّتُ﴾ بإسكان الياء وكذلك ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، و﴿عَن مَّآئِنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧]، و﴿قُلْ لِيُعَادِيَ الَّذِينَ﴾ [إبراهيم: ٣١]، و﴿مَاتَنِيَّ الْكِنْتَبَ﴾ [مريم: ٣٠]، و﴿مَسَّيَ الضَّرِّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، و﴿عِبَادِيَ الَّذِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، و﴿عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]، و﴿مَسَّيَ الشَّيْطَانِ﴾ [ص: ٤١]، و﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، و﴿إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨]، أسكن الياء فيهن حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في ﴿لِيُعَادِيَ الَّذِينَ مَاتَنُوا﴾ [إبراهيم: ٣١]، وابن عامر [في] ﴿مَاتَنِيَّ الَّذِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وفتحها الآخرون ﴿قَالَ﴾

نمردو [لإبراهيم] ﴿أَنَا أَنِّي وَأُيَيْتُ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿أَنَا﴾ بإثبات الألف والمد في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة، والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسرين: دعا نمردو برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لاعجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأحيي من أمت إن كنت صادقاً، فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَنَّكَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا السَّمْسُ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرُ﴾، أي: تحير وذهش وانقطعت حجته، فإن قيل: كيف بُهِت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم، فيقول له: سأل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب، قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأله ذلك، دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾، وهذه الآية مسوقة على الآية الأولى، تقديره: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، [والذي الذي] مر على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه؟ وهل رأيت الذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المار. فقال قتادة وعكرمة والضحاك:

هو عزيز بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية، فقال وهب وعكرمة وقاتدة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابور أباد، وقال السدي: سلماباد، وقيل: دير هرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العناب وهي على فرسخين من بيت المقدس، ﴿وَهُوَ حَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصوراً إذا سقط، وخوى البيت بالفتح خواء ممدوداً إذا خلا، ﴿عَلَى عُرُوشِهِمَا﴾: سقوفها، واحداها عرش، وقيل: وكل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها، ﴿قَالَ إِنَّ يَمِينِي هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِيهَا؟﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق بن منبه: أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل ليسدده في ملك، ويأتيه بالخبر من الله عز وجل، فغظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى أرمياء أن ذكر قومك نعيي وصرّفهم أحداثهم [وركوبهم معصيتي] وأدعهم إلي، فقال أرمياء: إني ضعيف إن لم تتوني، عاجز إن لم تبلغني، مخدول إن لم تنصرنني، فقال الله عز وجل: أنا الهلك [ما تقول]، فقام أرمياء

فيهم ولم يدري ما يقول، فألهمه الله في الوقت خطبةً بليغةً طويلةً بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني أحلف بعزتي لأقيضنَّ لهم فتنةً يتحير فيها الحليم ولأسلطننَّ عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عددٌ مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله تعالى إلى أرمياء: إني مهلك بني إسرائيل [ببافت]، وبافت من أهل بابل، وهم من ولد يافت بن نوح عليه السلام، فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، فلما سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك [من إهلاكهم]؟ قال: نعم يا رب، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به، فقال الله تعالى: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح، فقال: إن يُعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة، وإن عفا عنا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدوا إلا معصيةً وتمادياً في الشر، وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي، ودعاهم الملك إلى التوبة [فتمادوا في غيرهم]، فسأط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملك الخبير

فقال لأرمياء: أين ما زعمت أن الله أوحى إليك، فقال أرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد، وأنا به واثق، فلما قَرَّب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكاً قد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسناً ولا يزيدهم إكراماً إياهم إلا إسخاطاً لي، فأفتني فيهم، فقال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير، فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل، فقعد بين يديه، فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له أرمياء: أما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ فقال: يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رجمه إلا قَدَمَتها إليهم وأفضل [من ذلك]، فقال له النبي أرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم واسأل الله الذي يُصلح عباده الصالحين أن يُصلحهم [لك]، فانصرف الملك، فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففرغ منهم بنو إسرائيل، فقال ملكهم لأرمياء: يا نبي الله أين ما وعدك الله؟ قال: إني برتي واثق، ثم أقبل الملك إلى أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه، فقال له أرمياء: من أنت؟ فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يأن لهم أن

يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يُرضي الله، فقال النبي: على أي عمل رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله، فغضبتُ الله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً إلا ما دعوت الله عليهم ليُهلكهم، فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقيهم، وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من في أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان [ناراً] وحُسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني به، فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك، فاستيقن [أرمياء] عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول ربه، فطار أرمياء حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس، فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين

كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وقرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلاثاً قتلهم وثلاثاً سباهم وثلاثاً أقرهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم فلما ولّى عنهم بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشي إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿أَنْتَ يُحْيِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وقال الذي قال: إن الماز كان عزيزاً وإن بختنصر لما خرّب بيت المقدس وقدم بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيزٌ ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود، فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شطّ دجلة، فطاف في القرية فلم يرَ فيها أحداً وعمامة شجرها حامل، فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿أَنْتَ يُحْيِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، قالها تعجباً لا شكاً في البعث. رجعنا إلى حديث وهب. قال: ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام، وأمات حماره، وعصيره وتينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحكٍ ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك

من ملوك فارس يقال له: نوشك، فقال [له]: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمار ما كان، فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل أحد [منهم]، وردّهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه [قبل]، فلما مضت المائة أحيأ الله مئة عَيْتِيُو وسائر جسده ميت ثم أحيأ جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيضٌ تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض، ثم نُودي: أن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً فكانت كذلك، ثم نُودي أن الله يأمرك أن تحيا فقام بإذن الله ونهق، وعمر اللّه أرمياء فهو الذي يرى في الفلوات، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ بِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَاهُ﴾، أي: أحيأه، ﴿فَقَالَ كَمْ كُنْتُمْ﴾، أي: كم مكثت؟ يقال: لَمَّا أحيأه الله بعث إليه ملكاً فسأله: كم لبثت ﴿فَقَالَ كُنْتُ يَوْمًا﴾، وذلك أن الله تعالى أماته ضحكٍ في أول النهار وأحيأه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾،

بل بعض يوم ﴿فَقَالَ﴾ له الملك: ﴿بَلْ كُنْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ طَمَؤِكَ﴾، يعنني: التين، ﴿وَشَرَابِكَ﴾، يعني: العصير، ﴿لَمْ يَكُنْ تِينٌ﴾، أي: لم يتغير، فكان التين كأنه قُطف من ساعته، [والعصير كأنه عُصر من ساعته]، قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ بحذف الهاء في الوصل، وكذلك ﴿فَيَهْدِيهِمْ أَقْبَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفًا، فمن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلةً زائدة، وقال: أصله يتسنى، فحذف الياء في الجزم وأبدل منه هاء في الوقف، وقال أبو عمرو: وهو من التسنن، بنونين، وهو التغير؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ حَمَلُ تَسْتَوِيرٌ﴾ [الحجر: ٢٦ ٢٨ ٣٣]، أي: متغير، فعوضت من أحد النونين ياء؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ يَتَتَكَّرُ﴾ [القيامة: ٣٣]، أي: يتمطط، وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا﴾ [الشمس: ١٠]، وأصله: دسّنها، ومن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لأم الفعل، وهذا على قول من جعل أصل السنة السنهة، وتصغيرها شنيهة، والفعل من المسانهة، وإنما قال: ﴿لَمْ يَكُنْ تِينٌ﴾ ولم يثنه مع [غيره مع] أنه أخبر عن شيئين رداً للمتغير إلى أقرب اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين، لأنه في معنى الآخر، ﴿وَأَنْظُرُ إِلَيْكَ حِمَارِكَ﴾، فنظر [إليه] فإذا هو عظام

بيض، فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر، ﴿وَلَنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، قيل: الواو زائدة مقحمة، وقال الفراء: أدخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه: ولنجعلك آية [أي] عبرة ودلالة على البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قرينه شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس واللحية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْوُطَّارِ كَيْفَ تُنْشِرُهُمَا﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: ﴿ننشرها﴾ بالراء، معناه: نحياها، يقال: أنشر الله الميت إنشاراً ونشره نشوراً، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّا نَنفُثُ فِيهِ رُوحَنَا﴾ [عبس: ٢٢]، وقال في اللازم: ﴿وَأَلَيْهِ أَلْتَفِتُونَ﴾ [الملك: ١٥]، وقال الآخرون بالنزاي، أي نرفعها من الأرض [ونردها إلى مكانها من الجسد]، ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه وإزاعاجه، أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أنه أراد به عظام حماره، وقال السدي: إن الله تعالى أحيا عزيراً، ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، فبعث الله تعالى ريحاً فجاءت بعظام الحمارة من كل سهل وجبل، وقد ذهبت بها الطير والسباع، فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر [فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم، ﴿ثُمَّ نَكُونُهَا لَحْمًا﴾، ثم

كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادع الله أن يرده علي بصري حتى أراك، فإن كنت عزيزاً عرفتك، فدعا ربّه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها، وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحةً فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت إلى بني إسرائيل، وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة، وبنو بنه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لي ربّه فردّ علي بصري وأطلق رجلي، وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، [قال] فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزيز [والشامة بين كتفيه]، وقال السدي والكلبي: لما رجع عزيز إلى قومه، وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزيز على التوراة، فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة، وبعثه نبياً فقال: أنا عزيز فلم يصدقوه، فقال: إني عزيز قد بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم، قالوا: أمليها علينا فأملأها عليهم من ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعدما ذهبت إلا أنه ابنه، فقالوا: عزيز ابن الله، وستأتي القصة

كسى العظام لحماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمارة فنفخ فيه، فقام الحمارة ونهق بإذن الله، وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يمت حماره بل أماته هو، فأحيا الله عينيه ورأسه، وسائر جسده ميت، ثم قال له: انظر إلى حمارك فترى حماره قائماً واقفاً كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرُمة في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾، وانظر إلى عظامك كيف ننشزها، في الآية تقديم وتأخير وتقديرهما: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ولنجعلك آية للناس، وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أحيا الله تعالى عزيراً بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس [وأنكر هو الناس] وأنكر منزله، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته، فقال لها عزيز: يا هذه هذا منزل عزيز؟ قالت: نعم هذا منزل عزيز وبكت، وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً، فقال لها: فلاني أنا عزيز، قالت: سبحان الله فإن عزيزاً قد فقدناه منذ مائة سنة لم نسمع له بذكر، قال: فلاني أنا عزيز إن الله تعالى أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيزاً

وَلَاذَقَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ آدَعْهُنَّ وَإِنَّكَ سَعِيمٌ مُّاعِلٌ ﴿٢٥٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي
إِسْمًا كَمَا جَعَلْتَ لِي الْمَوْلَىٰ وَاجْعَلْ لِي مَوْلًى كَمَا جَعَلْتَ لِي
الْمَوْلَىٰ إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي
إِسْمًا كَمَا جَعَلْتَ لِي الْمَوْلَىٰ وَاجْعَلْ لِي مَوْلًى كَمَا جَعَلْتَ لِي
الْمَوْلَىٰ إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي
إِسْمًا كَمَا جَعَلْتَ لِي الْمَوْلَىٰ وَاجْعَلْ لِي مَوْلًى كَمَا جَعَلْتَ لِي
الْمَوْلَىٰ إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعينة، وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمروذ فقال [له]: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال نمروذ: أنا أحيي وأميت، فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر، [وزعم أن هذا إحياء وإماتة]، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمروذ: أنت عاينته فلم يقدر أن يقول

[بتمامها] في سورة براءة إن شاء الله تعالى.

وله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكَ﴾ ذلك عياناً، ﴿فَقَالَ أَعْلَمُ﴾، قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون ﴿أَعْلَمُ﴾ بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: اعلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مرّ على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: بحيرة طبرية، قالوا: فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر، فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها، فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جَزَرَ البحرُ ورجع جاءت السباع فأكلت منها فما سقط منها يصير تراباً، فإذا ذهب السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال: ربّ قد علمتُ أنك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر، فأرني كيف تُحييها لأعين فازدادَ يقيناً فعاتبه الله تعالى، ﴿فَقَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ﴾، يا ربّ علِمْتُ وأمنت، ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعينة والمشاهدة، أراد أن يصير له

أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أنسك اتخذتني خليلاً وتجبني إذا دعوتك.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وسعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبشت في السجن

نعم، فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يُريه إحياء الموتى، ﴿فَقَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بقوة حجتي، فإذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته.

وقال سعيد بن جبير: لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً، سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشّر إبراهيم بذلك، فأذن له، فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره، وكان إبراهيم عليه السلام أغير الناس، إذا خرج أغلق بابيه، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه ليأخذه وقال له: من أذن لك أن تدخل داري؟ فقال: أذن لي ربّ هذه الدار، فقال إبراهيم: صدقت، وعرف أنه ملك، فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، جئتُ أبشركُ بأنَّ الله تعالى قد اتخذك خليلاً، فحمد الله عزّ وجلّ، وقال: فما علامة ذلك؟ قال:

طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الإسناد مثله، وقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾».

حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنما شكنا في أنه هل يجيبهما إلى ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما بقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبث في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا! فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه.

قوله: ﴿أَوَلَمْ تَوْنُوا؟﴾ معناه: قد آمنتم فلم تسأل [إحيائي الموتى]؟

شهد له بالإيمان؛ كقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح
يعني: أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين. ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾، قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاوساً وديكاً وحمامةً وغراباً، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة، وقال عطاء الخراساني: أوحى [الله] إلى إبراهيم] أن خذ بطء خضراء وغراباً أسود وحمامةً بيضاء وديكاً أحمر، ﴿فَصَرَّهْنِ إِيَّاكَ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة ﴿فصهرن إليك﴾ بكسر الصاد، أي: قطعهن ومزقهن، يقال: صار بصير صيراً، إذا قطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع، قال الفراء: هو مقلوب من صرّيت أضري صرياً، إذا قطعت، وقرأ الآخرون ﴿فَصَرَّهْنِ﴾ بضم الصاد، ومعناه: أملهن إليك ووجههن يقال: صرت الشيء أضوره، إذا أملهته، ورجلٌ أضور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء معناه: اجمعهن وأضمهن إليك، يقال: صار بصور صوراً إذا اجتمع، ومنه قيل لجماعة النحل: صور، [أو] من فسره بالإمالة والضم قال: فيه إضمار معناه: فصهرن إليك ثم قطعهن، فحذفه اكتفاء بقوله: ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً لأنه يدل عليه، وقال أبو عبيدة: فصهرن معناه قطعهن أيضاً، والصور: القطع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿جُزْءًا﴾ مثقلاً مهموزاً،

والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشدداً الزاي بلا همز، وأراد به بعض الجبال، قال بعض المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء، ويجعلها على أربعة أجبل، على كل جبل رُبعاً من كل طائر، وقيل: جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على جانب الشمال وجبل على جانب الجنوب، وقال ابن جريج والسدي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن، ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يصير إلى العظم الآخر وكل بضعة [لحم] تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير رأس، ثم أقبلن إلى رؤوسهن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه، فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَا بَنِيكَ سَعِيًّا﴾، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد به المشي دون الطيران؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَسْعَوْا إِلَيْ دَرِكِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، أي: فامضوا،

والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد عن الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، وأن أرجلها غير سليمة [لم تحلها الحياة] والله أعلم، وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١٦١﴾ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿كَمَثَلِ﴾، زارع ﴿حَبْرَةٍ﴾، وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿أَنْبَتَتْ﴾: أخرجت، ﴿سَبَّحَ سَكَابِلَ﴾، جمع: سنبلة، ﴿فِي كُلِّ سُكْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾، فإن قيل: فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به، وإن لم يوجد معناه ﴿فِي كُلِّ سُكْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾، إن جعل الله فيها ذلك، وقيل: هو موجود في الدخن، وقيل: معناها أنها إن بُذِرَتْ أَنْبَتَتْ مِائَةَ حَبَّةٍ، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً إليها، وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبلة أنبتت مائة حبة. ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قيل: معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء، ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، غني يعطي عن سعة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق ماله.

﴿١٦٢﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبدالرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربّي، فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله فيما أمسكت لك، وفيما أعطيت»، وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية.

وقال عبدالرحمن بن سمره: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبتها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يدخل فيها يده ويقبلها ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعة الله، ﴿ثُمَّ لَا يُنْفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾، وهو أن يمن عليه بعطائه، فيقول: أعطيتك كذا، ويعدّ نعمه عليه فيكدرها ﴿وَلَا أَدَى﴾، [الأدى]: وهو أن يعيره، فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني [بسؤالك لي]؟ وقيل: من الأذى: أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحبّ وقوفه عليه، وقال سفيان: ﴿مَنًّا وَلَا أَدَى﴾، هو: أن يقول: قد أعطيتك [وأعطيت] فما شكرت. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: كان

أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك ينقل عليه فكفّ سلامك عنه، فحظّر الله على عباده المنّ بالصنيعة، واختصّ به صفة لنفسه، لأنه من العباد تعبير وتكدير، ومن الله إفضال وتذكير، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، أي: ثوابهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿١٦٣﴾ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: كلام حسن وردّ على السائل جميل، وقيل: عدة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه [به] يظهر الغيب، وقال الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين، ﴿وَمَعْرُوفَةٌ﴾، أي: تستر عليه خلته ولا تهتك عليه سيّره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده، ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ﴾ يدفعها إليه، ﴿يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾، أي: منّ وتعبير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أي: مستغن عن صدقة العباد، ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة على من يمنّ ويؤذي بالصدقة.

﴿١٦٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾، أي: أجور صدقاتكم ﴿بِالْمَنِّ﴾، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمنّ على الله تعالى، ﴿وَالْأَذَى﴾، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿كَأَذَى يُنْفِقُ مَالَهُ﴾، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿رَبَّةَ النَّاسِ﴾، أي: مرآة وسمعة ليروا نفقته وليقولوا: إنه كريم سخّي، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني، أن عقبه بن مسلم حدثه أن سُفْيَ الأصبحي حدثه، أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قال: أبو هريرة، فدنوتُ منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك الله بحق لَمَّا حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعوه رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقاريء: ألم أعلمك ما أنزلت علي رسولي؟ فقال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آتاء الليل وآتاء النهار، فيقول الله له كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان قاريء فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: بماذا قُلت؟ فيقول: يا رب أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قُلت،

لم يكن لله [تعالى]، كما أذهب الوايل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً، ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾، أي: على الشواب عن شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمر الجهرى، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني

أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد:

أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أخبرنا عبدالله بن المبارك، عن

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعْتَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَتُمَلِّيًا بِرِزْوَانِ مَا بَدَأَ وَإِلَ قَاتَتْ أَكْثَرَهَا ضَعْفَتِ فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٤﴾ أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٦٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ طَبَعَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْثُ مِنْهُ تُبْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاجِدُونَ إِلَّا أَنْ تُحْضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ حَيْثُ الشَّيْطَانِ يَبْدَأُ الْفَقْرَ وَأَمْرَكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَبْدَأُ مَقْرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٦﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٧﴾

الأجر، يريد أن الرياء يُبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرائي، ﴿فَمَثَلُهُ﴾، أي: مثل هذا المرائي، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾، وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فواحد صفوانة، ومن جعله واحداً فجمعه [صفاوا] صفي، ﴿عَلَيْهِ﴾، أي: على الصفوان، ﴿تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿فَتَرَكَهُ مَكْدَأً﴾، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدفته ويؤذي، ويُري الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يري التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كلّه واضمحَل لأنه

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك»، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلقٍ تُسْعَرُ بهم النار يوم القيامة».

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿وَتَوَيْبَاتٍ مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكليبي: تصديقاً من أنفسهم، أي: يُخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالشواب [من الله]، وتصديق بوعد الله، ويعلمون أن ما أخرجوا خيرٌ لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم، وقال عطاء ومجاهد: يتشبثون أين يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت، فإن كان الله أمضى، وإن خالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون الشبث بمعنى التثبث؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَنَّا لَهُ تَبْيِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، أي: تبتلاً، ﴿كَمَثَلِ جَنَّتٍ﴾، أي: بستان، قال المبرد والفراء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ و﴿إِلَّا رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] في سورة المؤمنين بفتح الراء، وقرأ الآخرون بضمها، وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء [ولا يعلو عن الماء]، وإنما جعلها برية لأن النبات عليها أحسن

وأزكى، ﴿أَسَابِكًا وَأَيْلًا﴾ مطر شديد كثير، ﴿فَتَأْتَتْ أَكْشَاهَا﴾: ثمرها، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالثقل، وزاد نافع وابن كثير تخفيف «أكله» و«الأكل» وخفف أبو عمرو «رسلنا، ورسلكم، ورسلمهم، وسبلنا» ﴿ضِعْفَتَيْنِ﴾، أي: أضعت في الحمل، قال عطاء: حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿فَإِن لَّمْ يُبَيِّنْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، أي: فطش وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائماً، قال السدي: هو الندى. وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تُربع في كل حال ولا تُخلف سواء قل المطر أو كثر، كذلك يُضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي [بها] سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَن تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، [هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُونَ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، قوله: أيود يعني: أيحب أحدكم «أَن تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ»، أي: بستان، ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿لَوْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَغَفَاءٌ﴾، أو لاد صغار ضعاف عجزة، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾،

وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير، ﴿فِيَوْمَ تَأْتِي سَائِرًا فَاحْتَرَّتْ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي، يقول: عمله في حسنه كحسنة الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً محتارين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يُبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيب لهما ولا توبة ولا إقالة.

قال عبيد بن عمير: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن تزون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَن تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: [يا] ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر رضي الله عنه: أي عمل؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل المرائي، قال عمر رضي الله عنه: لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله،

﴿كَذَلِكَ يَبِيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿٢٦٧﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، بالتجارة والصناعة، وفيه دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخيث.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، أخبرنا أبو جعفر الرِّثاني، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرِّثاني، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبدالله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكره، أنه حدثه:

عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، فكان داود لا يأكل إلا من عمل يده».

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني، أخبرنا جناح بن نذير يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا

أحمد بن حازم أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا أبان بن إسحاق عن الصَّبَّاح بن محمد عن مرة الهمداني، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا يكتسب عبد مالاً حراماً فيتصدق منه فيقبلُ الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السييء بالسييء، ولكن يمحو السييء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

[فصل]. والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوم العرض فيُخرج من قيمتها رُبع العُشر إذا كان قيمتها عشرين ديناراً أو مائتي درهم.

قال سَمْرَةَ بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع.

وعن أبي عمرو بن جِماس أن أباه قال: مررتُ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقي أدمة أحملها، فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك يا جِماس؟ فقلت: ما لي غير هذا، وأهب في القرظ، فقال: ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فأخذ منها الزكاة.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا أَرْجَبَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ﴾، قيل: هذا أمرٌ بإخراج العُشور من الثمار والحبوب، وأتفق أهل العلم على إيجاب العُشر في النخيل والكروم، وفيما يُقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير

مؤنة، وإن كان مسقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العُشر.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبدالله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله عن أبيه:

عن النبي ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثْرِيّاً: العُشر، وفيما سقي بالضح نصف العُشر».

أخبرنا عبدالوَهَّاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبدالله بن نافع، عن محمد بن صالح التَّمَّار عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيَّب عن عَتَّاب بن أسيد:

أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم: «يخرص كما يُخرص النخل ثم تؤدي زكاته زبيياً كما يؤدي زكاة النخل تمرأ».

واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يُقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عُشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه، وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يجب العُشر في جميع البقول والخضروات والثمار إلا

حقه وتركه، قال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد. وزوي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟ هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي﴾ عن صدقاتكم، ﴿حَكِيمٌ﴾، محمود في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَبْدَأُ الْفَقْرَ﴾، أي: يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، ويُقَالُ: وَعَدْتَهُ خيراً ووعدهت شراً، قال الله تعالى في الخير: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ﴾ [الفتح: ٢٠]، وقال في الشر: ﴿الْأَثَرُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الْآزِيتَ كَفَرًا﴾ [الحج: ٧٢]، فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير: وعدته وفي الشر أوعدهت، والفقير سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفِقَار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، ﴿وَاللَّهُ يَبْدَأُ مَقَرَّةَ يَتِّمُّهُ﴾، أي: لذنوبكم و﴿فَمَثَلًا﴾ ورزقاً وخلفاً، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ غَنِيٌّ عَلِيمٌ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزينادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا

مالك رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرَسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ [بِهِ] صَدَقَةٌ».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾، قرأ ابن كثير برواية البيهقي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها، وهي واحد وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاء ان أسقطت إحداهما، فردّ هو الساقطة وأدغم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ومعناه: لا تقصدوا، ﴿الْحَيْثُ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، زوي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج - إذا كان جذاذ النخل - أقناء من التمر والبشر فيعلقونه على حبل بين الأسطواناتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنّو الحشَف وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثُ﴾، أي: الحشَف والرديء.

وقال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشار ثمارهم وردالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثُ﴾ الرديء منه تنفقون، ﴿وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ﴾، يعني: الخبيث، ﴿إِلَّا أَنْ تَقْرَبُوا فِيهِ﴾، الإغماض: غَضُّ البصر، وأراد ههنا: التجويز والمساهلة، معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن

الحشيش والحطب، وكل ثمرة أوجبت فيها الزكاة فإنما يجب بيدو الصلاح، ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبت فيه العشر، فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج مَنْ شرط النصاب بما: أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة المازني، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الزورق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة».

وروي يحيى بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق».

وقال قوم: الآية في صدقات التطوع.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس بن

الحسن، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: الورع في دين الله، ﴿فَقَدْ أُوتِيَ حَيْرًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾﴾، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: فيما فرض الله عليكم، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾، أي: ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به، ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ يَمْلِكُ﴾، ويحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال ﴿يَمْلِكُ﴾ ولم يقل يعلمها، لأنه رده إلى الآخر منهما؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتَسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيٍّ﴾ [النساء: ١١٢]، وإن شئت حملته على «ما»؛ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَظُنُّكُمْ بِئِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ولم يقل بهما، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدقون من الحرام، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾، من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف وأشرف.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾﴾، أي: تُظهِروها، ﴿فَبَرِيًّا﴾، أي: نعمت الخصلة هي، و«ما» في محل الرفع، و«هي» في محل النصب، كما تقول: نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت فقلت: نعم الرجل زيد، وأصله نعم ما فوصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر ﴿فَبَرِيًّا﴾ بكسر النون وسكون العين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع

أن رسول الله ﷺ قال لها: «أنفقي ولا تحصي، فيحصى الله عليك، ولا تُوعى فيوعي الله عليك».

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات

ناسخة ومنسوخة، وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن، ولا يكونوا كأهل نهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة، وإنما أنزلت في أهل الكتاب، جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال، وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل لم يختلف في شيء منه، وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيج عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾، ﴿مَنْ﴾ في محل الرفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، و﴿الْحِكْمَةَ﴾ خبره، وقرأ يعقوب يؤت الحكمة بكسر التاء، أي: من يؤتبه الله الحكمة، دليله قراءة الأعمش «ومن يؤته الله» حُكي عن

﴿سورة البقرة﴾
﴿سورة البقرة﴾
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَالظَّالِمُونَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٦٩﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَسْمَعُ لِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٢٧٠﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْسِبُكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْسَبُوا أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ لَا يَسْتَلِيمُونَ ضَرْبًا مِنَ الْأَنْزِلِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءً مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْهَكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٣﴾

أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: ابن آدم أنفق أنفق عليك»، وقال: قال رسول الله ﷺ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تُغْيِضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِيهِ يَمِينُهُ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَبِيدُ الْأُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفُضُ».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبيد الله بن سعيد أخبرنا عبدالله بن نمير، أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء.

برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما، وكلها لغات صحيحة، وكذلك في سورة النساء. ﴿وَلَيْنَ تُنْفِقُوا﴾، تُسْرُوها، ﴿وَتُؤْتُواهَا الْفَقْرَةَ﴾، [أي: تُؤْتوها الفقراء] في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل.

وفي الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلمهم الله في ظلمه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرا على عهد

رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن. قوله تعالى: ﴿وَنُكْفِرُ عَنْكُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِالنُّونِ وَرَفَعُ الرَّاءِ، أَي: «ونحن نُكْفِرُ»، وقرأ ابن عامر حفص بالياء ورفع الراء، أي: «ويكفر الله»، وقرأ أهل المدينة وحمة والكسائي بالنون والجزم نسقا على الفاء التي في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأن موضعها جزم الجزاء، وقوله: ﴿وَيُنْزِلُ سَكَنًا لَّكُمْ﴾، قيل: ﴿وَيُنْزِلُ﴾، تقديره: نُكْفِرُ عَنْكُمْ سِنَاتِكُمْ، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نُكْفِرُ [عنكم] الصغائر من الذنوب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مُدْبَهْرٌ﴾، قال الكلبي: سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود، وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم، وأرادهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام، فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مُدْبَهْرٌ﴾، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ﴿وَلَعَنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وأراد به هداية التوفيق، أما هدي البيان والدعوة كان على عهد رسول الله ﷺ، فأعطوهم بعد نزول الآية، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ

خَيْرٍ﴾، أي: مال، ﴿ذُلًّا لَّسِيكُمُ﴾، أي: تعملونه لأنفسكم، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وما جحد لفظه نفي ومعناه نهى، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، شـرط كالأول، ولذلك حذف النون منهما، ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أي: يُوفَّر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك أدخل فيه «إلا»، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظُنُّونَ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين، وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُقْسِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هو مردود على موضع اللام من قوله: ﴿ذُلًّا لَّسِيكُمُ﴾، كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم. وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، [وقيل: خبر محذوف تقديره]: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب، وهم فقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم

الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، ﴿الَّذِينَ أَحْمِسُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْكَ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقال سعيد بن جبير: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمْتَى أَحْصَرَهُم المرضُ والزَّمانَةُ عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقال ابن زيد: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً عليهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يَسْخَرُهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿يَسْخَرُهُمْ﴾ وبابه يفتح السين، وقرأ الآخرون بالكسر، ﴿الْكَاهِلُ﴾ بحالهم، ﴿أَغْنِيكَ مِنْ التَّعْفُفِ﴾، أي: من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء والتعفف الفعل من العفة وهي الترك، [يقال: عَفَّ عن الشيء إذا كَفَّ عنه وتعَفَّفَ إذا تكَلَّفَ في الإمساك]، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيئَتِهِمْ﴾، والسيما والسيما والسيما والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها ههنا، فقال مجاهد: هو التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع

والضَّرْ، وقيل: رثانة ثيابهم، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه: لا يسألون الناس أصلاً؛ لأنه قال: ﴿مِنْ التَّعْفُفِ﴾، والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة من حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف: الإلحاح واللجاج.

أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة، عن أبيه عن الزبير [بن العوام رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن يأخذ أحدكم حَبْلَةً فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكفُّ بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه:

«أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطَّوَّافِ الذي يطوف على الناس ترذُّه اللقمة واللقمتان والتمرَّة والتمرتان»، قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنىً فيغنيه ولا يُفطن له

فيتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

وَرُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا بن عذافر، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن هارون بن رباب، عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق، قال:

إني تحمَّلت بحمالة في قومي فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني تحمَّلت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها، قال: «بل نتحمَّلها عنك يا قبيصة ونؤديها إليهم من الصدقة»، ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة حُرِّمَتْ إلا في إحدَى ثلاث: رجل أصابته جائحة فاجتاح ماله فيسأل حتى يصيب قِوَاماً من عيشه ثم يُمسك، و[في] رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحجى من قومه أن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القِوَام من العيش ثم يُمسك، و[في] رجل يتحمَّل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سحَّت يأكله صاحبه سحْتاً».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّنْ رَبِّهِ فَمَأْتَاهُمُ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
 فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٤﴾ يَمْعُرُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيَرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذُرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّبَا إِنَّ كُنتُمْ مُمِينِينَ ﴿٢٧٧﴾ وَإِن لَّمْ تَعْمَلُوا
فَأُولَئِكَ يَحْرَبُونَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَكُنتُمْ مِمَّنْ
آمَنَّا لَكُم لَظَنَائِمُونَ وَلَا ظَنَائِمُونَ ﴿٢٧٨﴾ وَإِن كَانَتْ
ذُؤُورٌ قَنَظَرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَاتَّقُوا أَيَّامًا تَجْعَلُونَ فِيهَا
اللَّهُ تَمُوتُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

الذين يرتبطون الخيل
للجهاد فإنها تُعتلف ليلاً
ونهاراً سرّاً وعلانية.

أخبرنا عبدالواحد بن
أحمد المليحي، أخبرنا
أحمد بن عبدالله النعمي،
أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن
إسماعيل، أخبرنا علي بن
حفص أخبرنا ابن المبارك
أخبرنا طلحة بن أبي سعيد
قال: سمعت سعيد
المقبري يحدث أنه سمع
أبا هريرة رضي الله عنه
يقول: قال النبي ﷺ:

«من احتبس فرساً في

سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده
فإن شيبته وريته وزوته ويوله في ميزانه
يوم القيامة».

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال الأخفش: جعل
جواب الخبر بالفاء، لأن ﴿الَّذِينَ﴾
بمعنى «من»، وجواب من بالفاء في
الجزاء ومعنى الآية من أنفق كذا فله
أجره عند ربه، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، أي: الذين يعاملون
به، وإنما خص الأكل لأنه معظم
المقصود من المال ﴿لَا يَقُومُونَ﴾،
يعني: يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا
كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾، أي:
يصرعه ﴿الشَّيْطَانُ﴾، أصل الخبط:
الضرب والوطء وهو ضرب على غير
استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ
الناس وتضرب الأرض بقوائمها،

محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا
قتيبة أخبرنا شريك عن حكيم بن
جبير، عن محمد بن عبدالرحمن بن
يزيد، عن أبيه عن عبدالله بن مسعود
رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ:

«من سأل الناس وله ما يغنيه جاء
يوم القيامة ومسألته في وجهه
خُمُوش أو خُدُوش أو كدوح»،
قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال:
«خمسون درهماً أو قيمتها ذهباً».

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِن
خَيْرٍ﴾، من مال، ﴿فَارَكَّ اللَّهُ يَوْمَ
عَلِيمٌ﴾ وعليه مجازي.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِإِيْلٍ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، زوي
عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال: نزلت هذه الآية في
علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
كانت عنده أربعة دراهم لا يملك
غيرها، فنصدق بدرهم ليلاً وبدرهم
نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية.
وعن الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنه قال: لما نزلت
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْسَرُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بعث عبدالرحمن بن
عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب
الصفة [نهاراً]، وبعث علي بن أبي
طالب رضي الله عنه في جوف الليل
بوسق من تمر، فأنزل الله تعالى
فيهما: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِإِيْلٍ وَالتَّهَارِ﴾ الآية، عنى بالنهار:
علانية صدقة عبدالرحمن بن عوف،
وبالليل: سر صدقة علي رضي الله
عنه، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء
ومكحول والأوزاعي: نزلت في

﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾، أي: الجنون، يقال:
مُسَّ الرجلُ فهو ممسوس إذا كان
مجنوناً، ومعناه: أن أكل الربا يُبعث
يوم القيامة كمثل المصروع.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم
السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق
الشعبي، أخبرنا عبدالله بن حامد
أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف،
أخبرنا عبدالله بن يحيى، أخبرنا
يعقوب بن سفيان أخبرنا
إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن
عباد، عن أبي هارون العبيدي عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،
عن رسول الله ﷺ في قصة
الإسراء، قال:

«فانطلق بي جبريل عليه السلام
إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه
مثل البيت الضخم منضدين على
سابلة آل فرعون، وآل فرعون
يُعرضون على النار عُذواً وعشياً،

واختلفوا في ذلك الوصف، فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلة الوزن، وهو قول أصحاب الرأي، مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها، وأما الأشياء الأربعة [المطعومة] فذهب قوم إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الكيل، وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والثورة ونحوهما، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيها الربا بوصف الطعم، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفاواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة، إما:

رُوي عن معمر بن عبدالله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل».

فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً، والربا نوعان ربا الفضل وriba النسيء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النقيدين بجنسه، أو باع مطعوماً بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلاً نوعي الربا، حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير

مخصوص بيته رسول الله ﷺ فيما: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب، عن أيوب بن أبي تيممة عن محمد بن سيرين، عن مسلم بن يسار ورجل آخر، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البُرّ بالبُرّ، ولا الشعير بالشعير، ولا التمر بالتمر، ولا الملح بالملح، إلا سواء بسواء عيناً بعين يداً بيد، ولكن يبيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب، والبُرّ بالشعير، والشعير بالبُرّ، والتمر بالملح، والملح بالتمر، يداً بيد كيف شئتم». ونقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما. «من زاد أو استزاد فقد أَرَى».

وروي هذا الحديث [من] طرق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبدالله بن عتيق عن عبادة، فالنبي ﷺ نصّ على ستة أشياء، وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع، وأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف، وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر،

قال: فيقبلون مثل الإبل المنهوكه يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيُصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مُقبِلين ومُدْبِرِينَ فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة، قال: وآل فرعون يقولون: اللَّهُمَّ لا تقم الساعة أبداً، قال: [و] يوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، أي: ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه فطالبه [به]، فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، واعلم أن الربا في اللغة الزيادة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾، أي: ليكثر ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال

يشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير يَبَعُ بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الرِّبَا بغير جنسه نُظِرَ إن باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل: إن باع مطعوماً بأحد النقيدين فلا ربا فيه، كما لو باع بغير مال الرِّبَا، وإن باعه بما يوافق في الوصف مثل: إن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جزافاً وثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب»، إلى أن قال: «إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله: «عيناً بعين» فيه تحريم النساء، وقوله: «يبدأ بيد كيف شئتم»، فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبيعة. ومن أقرض شيئاً بشرط أن يردَّ عليه أفضل [منه]، فهو قرض منفعة، وكل قرض جزئ منفعة فهو ربا. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل رداً إلى الوعظ، ﴿فَأَنْتَهُنَّ﴾، عن أكل الرِّبَا، ﴿فَلَمْ يَأْتِ سَلَفًا﴾، أي: ما مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له، ﴿وَأَمْرُهُ﴾: إكراه الله، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أمرة إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له

ويحرّم عليه، وليس إليه من أمر نفسه شيء، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾، بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن المثنى، حدثني غندر أخبرنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال:

«إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمر الكلب، وكسب البغي، ولعن أكل الربا ومؤكله، والواشمة والمستوشمة، والمصور».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا [عبد] الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ أكل الرِّبَا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي أنا أبو حامد بن الشريقي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا يحيى هو ابن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الرِّبَا سبعون باباً أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه».

﴿قوله تعالى﴾: ﴿يَمَتِّعُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، أي: ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَمَتِّعُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة، ﴿وَيُرِي الصِّدْقَاتِ﴾، أي: يُشْمِرُهَا ويبارك فيها في الدنيا ويضعف بها الأجر والثواب في العقبى، ﴿وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾، بتحريم الرِّبَا، ﴿أَتِمُّوا﴾، فاجر بأكله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾، قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتم أخذتما حَقَّكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي، فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرأ النصف وأضعف لكما ففعلا، فلما حلَّ الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعاً وأطاعاً وأخذنا زُؤوسَ أموالهما.

قال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يُسْلِفَانِ في الرِّبَا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، ففجأ الإسلام ولهما أموال عظيمة في الرِّبَا، فأنزل تعالى هذه الآية، فقال

النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة:

«ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبدالمطلب، فإنها موضوعة كلها».

وقال مقاتل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف [وهم]: مسعود وعبدليال وحبيب وربيعة، وهم بنو عمرو بن عميرة بن عوف الثقفي، كانوا يُدانيون بني المغيرة بن عبد الله بن عميرة بن مخزوم، وكانوا يُربون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الأخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاخصموا إلى عتاب بن أسيد، وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة، فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين، وكان ذلك مالا عظيماً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٢٧٩﴾ ﴿إِن لَّمْ تَمْتَلُوا﴾، أي: إذا لم تذروا ما بقي من الربا، ﴿فَأَذِنُوا يَحْرِبَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر ﴿فأذنا﴾ فالمد، على وزن آمنوا، أي: فاعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن، [أي: أوقعوا في الأذن]، وقرأ الآخرون ﴿فأذنوا﴾ مقصوراً بفتح

الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لأكل الربا يوم القيامة: حُذَّ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله النار، وحرب رسول الله السيف، ﴿وَإِن تَبَيَّنْتُمْ﴾، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، ﴿فَلَئِكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْلِبُوهَا﴾، بطلب الزيادة ﴿وَلَا تَطْلُبُوهَا﴾، بالنقصان عن رأس المال، فلما نزلت [هذه] الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله، فرفضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة، وقالوا: أخرونا إلى أن تُدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا، فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾، يعني: وإن كان الذين عليه الذين مُعْسَرًا، رُفِعَ الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر، وذلك جائز في النكرة تقول: إن كان رجلٌ صالحٌ فأكرمه، وقيل: «كان» بمعنى وقع، وحينئذ لا تحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر «عُسرة» بضم السين، ﴿فَقَطْرَةٌ﴾ أمرٌ في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة، ﴿إِن مِّسْرَةً﴾، قرأ نافع «ميسرة» بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد «ميسرة» بضم السين مضافاً، ومعناها: اليسار والسعة، ﴿وَأَن مَّصَدَّقُوا﴾، أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المُعسر، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قرأ عاصم

«تصدقوا» بتحفيف الصاد، [وقرأ] الآخرون بتشديدها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكنالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير عن حازم، عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه:

أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبأ منه، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فأعطاه إياه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر مُعْسراً أو وَضَعَ له أنجاه الله من كَرْبِ يوم القيامة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنهما قال:

قال النبي ﷺ: «إن الملائكة لتَلتق روح رجل كان قبلكم فقالوا له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، قالوا: تذكُر؟ قال: لا إلا أنني رجل كنت أدين الناس فكنت أمر فتياي أن يُنظروا الموسر ويتجاوزوا عن المُعسر، قال الله تبارك وتعالى: تجاوزوا عنه».

بِقَاتِلِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ أَجَلٌ مُسَكَّنٌ
فَأَكْتَبُوا لَهُمْ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْمَكْدَلِ وَلَا يَأْب
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِكِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ
أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ فَلْيَمْلِكْ وَابْتِغَاءَ الْبَدَلِ وَأَسْتَشْهِدُوا مِمَّنْ بَدَيْنَ
مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ ذَلِكُمْ أَسْفَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بَيْعًا كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَلَئِنَّ حُكُومَكُمْ وَأَنْتُمْ قَوَامٌ
اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه».

أخبرنا أبو الحسن السرحسي أخبرنا زاهر بن

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبدالله أخبرنا زائدة عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي عن أبي اليسر، قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «من أنظر مغسراً أو وضع عنه أظله الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله».

فصل

«في الدين وحسن قضائه وتشديد أمره»

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة أخبرنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا سلمة بمنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ، فأغظ له، فهم به أصحابه، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا، واشتروا له بغيراً فأعطوه إياه»، قالوا: لا نجد إلا أفضل من بيته، قال: «اشتروه فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع».

وفتح الجبم، أي: تُردون إلى الله تعالى، «ثُمَّ تَوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، فقال له جبريل عليه السلام: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً وعشرين يوماً، وقال ابن جريج: تسع ليال، وقال سعيد بن جبير: سبع ليال، ومات يوم الاثنين ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة.

قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الزبا.

قوله تعالى: ﴿بِقَاتِلِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ أَجَلٌ مُسَكَّنٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله

أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبدالله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه أنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرايت إن قتل في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدْبِرٍ يُكْفِرُ اللَّهُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فلما أدبر ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به، فتؤدي فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليه قوله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم إلا الدين، كذلك قال جبريل».

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء

عنهما: لما حرم الله الربا أباح السلم، وقال: أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾، أي: تعاملتم بالدين، يقال: دايئته إذا عاملته بالدين، وإنما قال ﴿بِدِينٍ﴾ بعد قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾؛ لأن المُدَايَنَةَ قد تكون مجازاة، وقد تكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل ذكره تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنَّ يَدُ الرَّجُلِ يُغْنِيهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، الأجل: مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل مجله، وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيبعاً كان أو سلفاً أو قرضاً، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب، فإن ترك فلا بأس؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال بعضهم: كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله: ﴿إِن آتَيْنَا بِكُمْ بَعْضًا مِّمَّا الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وهو قول الشعبي، ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ﴾، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب

﴿كَتَابًا بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾، أي: لا يمتنع، ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طُوب، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُعَاذُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، ﴿كَفَا عِلْمُ اللَّهِ﴾، أي: كما شرعه الله وأمره، ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، يعني: المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن، فالإملاء ههنا، والإملاء قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُكَلِّمُكَ عَلَيْهِ بِكُفْرَةٍ وَأَمْسِلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، يعني: المملي، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾، أي: لا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئاً، ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾، أي: جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي: السفه المبذر المفسد لماله أو في دينه، قوله: ﴿أَوْ صَهِيفًا﴾، أي: شيئاً كبيراً، وقيل: هو ضعيف العقل لعته أو جنون، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَأَ مِنْهُ﴾، لخرس أو عي أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب أو جهل بما له وعليه،

﴿فَلْيَسْتَلِمْ﴾، أي: قَيْمُهُ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني: إن عجز من عليه الحق من الإملاء فَيُمْلَأُ وَلِيُّ الْحَقِّ وصاحب الدين بالعدل لأنه أعلم بحقه، ﴿وَأَسْتَهْدُوا﴾، أي: وأشهدوا ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، أي: شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان [والكفار]، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد، ﴿لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ﴾، أي: لم يكن الشاهدان رجلين، ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾، أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين.

واختلفوا في غير الأموال، فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين، وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثبوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

قوله تعالى: ﴿مِمَّن رَضَوْنَ مِنْ أَلْشَّهَادَةِ﴾، يعني: من كان مرضياً في ديانه وأمانته. وشرائط قبول الشهادة

واحد، وهما متعديان، من الذكر الذي هو ضد النسيان، وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال: هو من الذكر أي: تجعل إحداهما الأخرى ذكراً، أي: تصير شهادتهما كشهادة ذكر، والأول أصح لأنه معطوف على النسيان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا﴾، قيل: أراد به إذا ما دُعوا لِتَحْمَلِ الشَّهَادَةَ، سَمَّاهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَهُوَ أَمْرٌ يُجِبُّ الإِجَابَةَ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ، فَإِنْ وُجِدَ غَيْرُهُ فَهَمَّ مَخْتِيرُونَ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ أَمْرٌ نَدَبٌ وَهُوَ مَخْتِيرٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا﴾ لِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ الَّتِي تَحْمَلُهَا، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَعُكْرَمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: الشَّاهِدُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يُشْهَدْ، وَقَالَ الْحَسَنُ: الْآيَةُ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً فِي التَّحْمَلِ وَالْإِقَامَةِ إِذَا كَانَ فِائِزاً ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾، أَي: وَلَا تَمَلُّوا ﴿أَنْ تَكْتُمُوهُ﴾، الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْحَقِّ، ﴿صَبِيرًا﴾، كَانَ الْحَقُّ، ﴿أَرْكَبِيرًا﴾، قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً، ﴿إِنَّ أَكْبَرَهُ﴾، إِلَى مَحَلِّ الْحَقِّ، ﴿ذَلِكُمْ﴾، أَي: الْكِتَابَ، ﴿أَقْسَطُ﴾: أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، لِأَنَّهُ أَمْرٌ بِهِ، وَاتِّبَاعُ أَمْرِهِ أَعْدَلُ مِنْ تَرْكِهِ، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾، لِأَنَّ الْكِتَابَةَ تُذَكِّرُ الشُّهُودَ، ﴿وَأَذِّنْ﴾: وَأَحْرِى وَأَقْرَبَ إِلَى، ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: تَشَكُّوْا فِي الشَّهَادَةِ، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَبَجْرَةً﴾

ضراً كالمشهود عليه يشهد بجرح من شهد عليه لتمكّن التهمة في شهادته.

أخبرنا أبو عبدالله بن الحسين المرزوي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراح الطحان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، أخبرنا علي بن عبدالعزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا مروان الفزاري، عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ترفعه:

«لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غمر على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة، ولا القانع مع أهل البيت».

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا﴾، قرأ حمزة ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الألف، ﴿تَضَلَّكَ﴾ برفع الراء، ومعناه الجزاء والابتداء وموضع ﴿تَضِلَّ﴾ جزم بالجزاء، إلا أنه لا نسق بالتضعيف ﴿تَضَلَّكَ﴾ برفع، لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ، وقراءة العامة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الأول، و﴿تَضِلَّ﴾ محلّه نصب بأن ﴿تَضَلَّكَ﴾ منسوق عليه، ومعنى الآية: فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾، ومعنى «تضل» تنسى، يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها تذكرها الأخرى، فتقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا؟ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿تَضَلَّكَ﴾ مخففاً، وقرأ الباقون مشدداً «وذكر» و «اذكر» بمعنى

سبعة: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والعدالة، والمروءة، وانتفاء التهمة، فشهادة الكافر مردودة، لأن المعروفين بالكذب على الناس لا تجوز شهادتهم، فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة، وجوز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض، ولا تقبل شهادة العبيد، وأجازها شريح وابن سيرين، وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة، ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: لا يجوز لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ رَضِيَ مِنَ الشُّهَادَةِ﴾، والعدالة شرط، وهي أن يكون الشاهد مجتنباً للكبائر غير مُصْرِّ على الصغائر، والمروءة شرط، وهي ما يتصل بأداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة والسيرة والمُشْرَةُ والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيئاً مما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته، وتردّ شهادته، وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو، وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متهم في حق عدوه، ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما، ولا تقبل شهادة من يجزّ إلى نفسه بشهادته نفعاً، كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه، أو يدفع عن نفسه بشهادته

تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فَرِهْنَ» بضم الهاء والراء، وقرأ الباقون «فَرِهْنَ» وهو جمع: رَهْن، مثل: بغل وبغال وجبل وجبال، والرُهْن: جمع الرهان: جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيدة وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل: سقف وسُقف، وقال أبو عمرو: وإنما قرأنا «فرهن» ليكون فرقاً بينها وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة: «رُهْن» بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيب في الرهن لغتان، مثل: كَتَبْتُ وَكُتِبْتُ وَرَسَلْتُ وَرُسِلْتُ، ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا آلات الكتابة فارتهنوا ممن تداينونهم زهوناً لتكون وثيقة بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله: فرهان مقبوضة، أي: ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم، فإذا سلم لزم من جهة الراهن، حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحَضْرِ الرهن مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين: خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط.

والدليل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي، ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب.

﴿فَإِنْ أَيْنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا﴾، وفي [حرف أبي] «فَإِنْ أَتَمَّتْ»، يعني:

تعالى: ﴿فَإِنْ أَيْنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية، وقال الآخرون: هو أمر نذب. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّكَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. هذا نهى للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: أصله يضار بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه: ولا يضار الكاتب فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحزف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاوس والحسن وقتادة. وقال قوم: أصله يضار بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان: نحن على شغل فاطلب غيرنا، فيقول الداعي: إن الله أمركما أن تُجيبا ويلح عليهما فيشغلها عن حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما، ﴿وَإِنْ تَقَعُوا فِي السَّفَرِ مِنْ الضَّرَارِ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكْفِيكُمْ﴾، أي: معصية وخروج عن الأمر، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ يَكْفُلُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾، قرأهما عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة أو المبايعه تجارة، وقرأ الباقون بالرفع، وله وجهان، أحدهما: أن يجعل الكون بمعنى الوقوع، معناه: إلا أن تقع تجارة، والثاني: أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل، وهو قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾، تقديره: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلا أن تكون تجارة حاضرة يبدأ بيد تدِيرُونَهَا بينكم ليس فيها أجل، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوا﴾، يعني: التجارة، ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ﴾، قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره وتقيده ونسيه، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة؛ كقوله

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً﴾، ﴿فَإِنْ أَيْنَ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٨٣﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٨٤﴾ ﴿أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّوا مِنْ أَحَدِهِمْ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٨٥﴾ ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا سَمِعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِلْنَا مَا لَاطَاقَةٌ لَنَا بِهِ وَعَاقِبْنَا وَعَاقِبْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾

﴿٤٩﴾

فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتعن منه شيئاً لحسن ظنه به، ﴿كَلَيْتَوُ الَّذِي أَوْتَيْنَ أَمْنَتَهُ﴾، أي: فليقضه على الأمانة، ﴿وَلَيْتَى اللَّهُ رَبُّهُ﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب اليهود فقال: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْشَّهَادَةِ﴾، إذا دُعيتم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ فِي آيَاتٍ﴾، أي: فاجر قلبه، قيل: ما وعد على شيء كإياعاده على كتمان الشهادة، قال: ﴿فَإِنَّهُ فِي آيَاتٍ قَلْبُهُ﴾ وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها، ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿لَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكاً وأهلها [له عبيدٌ وهو مالِكُهُمْ]، ﴿وَلَمَّا تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِهِمْ أَوْ تُخْفَوُ يُحَاسِبُهُمْ بِاللهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة، معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلموا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسرّوه يحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل، كما ذكر في سورة آل عمران: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُكْفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] إلى أن

قال: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَمَكِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها، فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها.

والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أخبرنا عبدالغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المنهال الضرير وأميه بن بسطام العيشي واللفظ له، قال: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

لَمَّا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ﴿لَمَّا أَنزَلَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَنَبِّدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُ يُحَاسِبُكُمْ بِاللهِ﴾ الآية، قال: اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ، فاتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: . أي: لرسول الله ﷺ. كلفنا من الأعمال ما نطق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابيين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك

نسخها الله فانزل الله: ﴿لَا يَكْفُرُ اللهُ قَسًا إِلَّا وَسَمِعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا بِأَوْحَاشِنَا أَوْ أَخْلَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ربنا ولا تحمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، قال: نعم، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: نعم.

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه، وقال في كل ذلك: «قد فعلت» بدل قوله «نعم»، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر [رضي الله عنهم]، وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني أخبرنا أبو القاسم بن الحكم العرني أخبرنا مسعر بن كدام، عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ الله عز وجل تجاوز عن أمّتي ما وسّست به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به».

وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِاللهِ﴾ خبر لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً

فقال: ﴿يَا كَسَبَتْ قُلُوبِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، فليس لله عبدٌ أسرَّ عملاً أو أعلنه من حركة في جوارحه أو همّة في قلبه إلا يجزه الله به ويُحاسبه عليه، ثم يغفر بما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولٍ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال الآخرون: معنى الآية: إن الله عزّ وجلّ يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها.

وهذا قول عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال:

«يا عائشة هذه معاتبه الله العبد بما يُصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة [يشاكها] والبضاعة يضعها في كفه فيفقدتها فيروع لها، حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج الثبر الأحمر من الكير».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرّياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر

أمسك عليه بذنبه حتى يُوافيه به يوم القيامة».

وقال بعضهم: ﴿وإِن تُبَدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله، فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا [عليه] فإن ذلك مما ﴿لَا يَكْتُمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْتِنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، قال عبدالله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ الله العبد بالهمّة؟ قال: إذا كان عزماً أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تُبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يُحاسبكم به الله ويُخبركم به ويُعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويُعذب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحّاك، ويُروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدلّ عليه أنّه قال: يُحاسبكم به الله، ولم يقل: يُؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخظة، والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرّاد أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أناعيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت أخذاً بيد عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل

فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النّجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يُدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يُستره من الناس فيقول: أي عبدي! أتعرّف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي ربّ، ثم يقول: أي عبدي أتعرّف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي ربّ حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يُعطي كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

قوله تعالى: ﴿فَيَعْرِفُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، رفع الراء والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب، وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويُعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، والله على كل شيء قدير.

﴿يَا مَنَ الرّسُولُ﴾، أي: صدق ﴿يَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ، يعني: كل واحد منهم، ولذلك وحّد الفعل، ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «وكتابه» على الواحد، يعني: القرآن، وقيل معناه: [الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد]؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وَمُؤْمِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴿البقرة: ٢١٣﴾، وقرأ الآخرون: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكِكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، فيه إضمارٌ تقديره: يقولون لا نُفَرِّقُ، وقرأ يعقوب: ﴿لا يفرق﴾ بالياء، فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه: لا يُفَرِّقُ [بين] الكل، وإنما قال ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَتَدٍ عَنْهُ حَجْرِينِ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾، قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، روي عن حكيم بن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسل تعط، فسال بتلقيين الله تعالى فقال: ﴿غُفْرَانُكَ﴾ وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرائك، [أو على المفعول به]، أي: نسالك غفرائك، ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ظاهر الآية قضاء الحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، فأجاب: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان، ولا يضييق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله: ﴿وَلَنْ تُبَدُّوا مَا فِي

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون؛ كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قال: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة.

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، أي: للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشرِّ وعليها وزره ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾، أي: لا تعاقبنا ﴿إِنْ كُنَّيْنَا﴾، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عُجِلت لهم العقوبة فحُزِمَ عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك؛ كقوله [تعالى]: ﴿سَأَلْنَا اللَّهَ فَتَنَّبَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا

يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكلثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فقير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه.

قال النبي ﷺ: ﴿رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه، ﴿كَمَا كَفَّيْنَاكَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذبتهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]، أي: عهدي، وقيل معناه: لا تشدد ولا تُغْلظ الأمر علينا كما شدت على من قبلنا من اليهود، وذلك: أن الله فرض عليهم خمسين صلاةً وأمرهم بأداء رُبع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها، ومن أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً على بابه، ونحوها من الأثقال والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَضِعْ مَهْنَهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَخْلَالَ أَلْفِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقيل: الإصرُ ذنبٌ لا توبة له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، أي: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيعه، وقيل: هو حديث النفس

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا يونس وأحمد بن شيان قالا: ثنا سفيان بن عُيينة عن منصور عن إبراهيم عن عبدالرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ:

«الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ بهما في ليلة كفتاه»، [أي عن قيام الليل].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا حماد بن سلمة أخبرنا الأشعث بن عبدالرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تقرأن في دار ثلاث ليالٍ فيقرّبها شيطان».

سورة آل عمران مدنية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى:

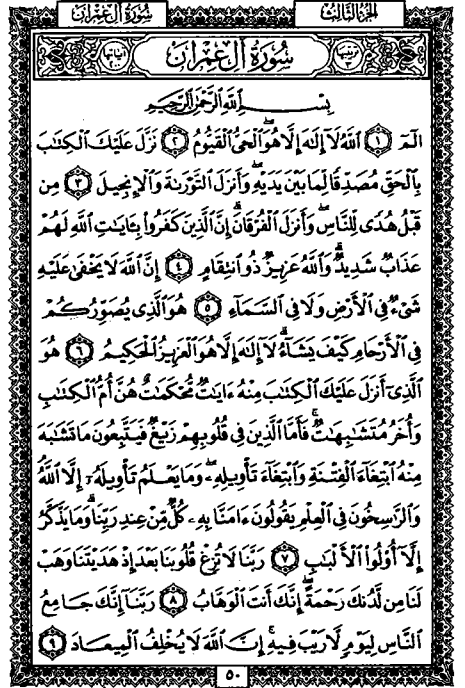
﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّكَ﴾ قال الكلبي: والربيع بن أنس وغيرهما: نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستمين راكباً قدموا على

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: «لا أوأخذكم»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾ قال: «لا أحمل عليكم إصراً»، ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «لا أحملكم»، ﴿وَاعْتَصْنَا﴾ إلى آخرها، قال: «عفوئ عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين».

وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة، قال: آمين.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أسامة حدثني مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مُصْرَف عن مُرَّة عن عبدالله قال:

«لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبض به فوقها فيقبض منها قال: ﴿إِذْ يَقْنُتُ الشَّيْطَانُ مَا يَشْتَرِي﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمس، وأعطني خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المقحّمات» كباثر الذنوب.



والوسوسة، حُكي عن مكحول أنه قال: هو الغلظة، [قيل: الغلظة شدة الشهوة]، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبدالوهاب قال: [هو] العشق، وقال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصْنَا﴾ أي: تجاوز وأمخ عتاً ذنوبنا، ﴿وَاعْتَصْنَا﴾ استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَاصْحَا﴾ فإننا لنال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا وولينا، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، قال الله تعالى: «قد غفرت لكم»، وفي

رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم، العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبدالمسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وخبرهم، دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية في جمال رجال بلحارث بن كعب يقول: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» فصلوا إلى المشرق، فسلم السيد والعاقب، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما»، قال: قد أسلمنا قبلك، قال كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير، قال: إن لم يكن عيسى ولداً لله فمن يكن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهم النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟» قالوا: لا، قال: «ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم؟» قالوا: لا، قال: «فإن ربنا صور

عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا ليس بذئ صورة وليس له مثل وربنا لا يأكل ولا يشرب»، قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذي كما يُغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟» قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» فسكتوا، فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها، فقال عز من قائل: ﴿آلَتِ اللَّهُ الْمِيمِ﴾ مفتوح الميم موصول عند العامة، وإنما فتح الميم لالتقاء الساكنين، حُرِّكَ إلى أخف الحركات، وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الأعمش عن أبي بكر ﴿آلَتِ اللَّهُ﴾ مقطوعاً سكن الميم على نية الوقف، ثم قطع الهزمة للابتداء وأجراه على لغة من يقطع ألف الوصل.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ﴾،

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ ابتداء وما بعده خبره، و﴿الْعَلِيمُ﴾ نعت له.

﴿وَرَزَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أي:

القرآن، ﴿وَالْحَقُّ﴾: بالصدق، ﴿مَصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾، وإنما قال:

﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن: ﴿رَزَّ﴾ لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل: للتكثير، والتوراة، قال البصريون: أصلها وَوَرِيَّةٌ على وزن:

فَوْعَلَةٌ مثل دوحلة وحَوْقَلَةٌ فحوَلَتْ الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفاً فصارت تورا، ثم كتبت ياء على أصل الكلمة، وقال الكوفيون: أصلها تفعللة مثل توصية وتوفية، فقلبت [الياء] ألفاً على لغة طيء، فإنهم يقولون للجارية جارة، وللتوصية توصاة، وأصلها من قولهم: ورى الزند إذا خرجت ناره وأوربته أنا، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَتَّكَرَّ أَلَيْ تُوْرُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]، فسُمِّي التوراة لأنها نور وضياء، قال الله تعالى: ﴿وَضِيَاءٌ وَذَكَرَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقيل: [هي] من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره، وكان أكثر التوراة معارض من غير تصريح، والإنجيل: إفعيل من النجل وهو الخروج، ومنه سُمِّي الولد نجلاً لخروجه، فسُمِّي الإنجيل به لأن الله تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً [قيل]: هو من النجل وهو سعة العين، سُمِّي به لأنه أنزل توسعة لهم ونوراً، وقيل: التوراة بالعبرانية تور تور، [و] معناه: الشريعة، والإنجيل بالسريانية: إنقليون، ومعناه: الإكليل. قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾، هادياً لمن تبعه، ولم يشته لأنه مصدر، ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾، [اليفرق] بين الحق والباطل، وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدىً للناس، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَّعَنُ عَلَيْهِ قَوْمٌ فِي﴾

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٦﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُمَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْكَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، [من الصور المختلفة] ذكراً أو أنثى أبيض أو أسود حسناً أو قبيحاً تاماً أو ناقصاً، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْكَافِرُ﴾، وهذا ردٌ على وفد نجران من النصراري حيث قالوا: عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولداً وقد صوره الله تعالى في الرحم؟

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول:

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن خلق أحدمكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك أو قال: يبعث إليك الملك بأربع كلمات، فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، قال: وإن أحدمكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدمكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع [فيسبق عليه الكتاب] فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر

الجرجاني أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد:

يبلغ به النبي ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتب ذلك فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف، فلا يزال فيها [و] لا يُنقص».

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، مَبِينَاتٌ مَفْضَلَاتٌ سُمِّيَتْ مُحْكَمَاتٍ مِنَ الْإِحْكَامِ، كَأَنَّهُ أَحْكَمُهَا فَمَنْعَ الْخَلْقِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لظهورها ووضوح معناها، ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصله الذي يعول عليه في الأحكام، وإنما قال: ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾، ولم يقل: أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالأية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقيل معناه: كل آية منه من أم الكتاب، كما قال: ﴿وَحَمَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَرَأَيْنَاهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، أي: كل واحدة منهما آية، ﴿وَأَقْرَبُ﴾، جمع أخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عمر ورفر، ﴿مُتَشَبِهَاتٌ﴾، فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المحكم والمُتَشَبِه وقد جعل الله كل القرآن

محكماً في مواضع أخر، فقال: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [هود: ١]، وجعل كله متشابهاً في موضع آخر [قال: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ لِلْكَوْبِثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؟ قيل: حيث جعل الكل محكماً أراد أن الكل حق ليس فيه عيب ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل بعضه ههنا محكماً وبعضه متشابهاً.

واختلف العلماء فيهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ تَمَالَوْا أَتَلَّ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفَّ عَيْنَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿وَقَفَّيْ رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنَاءَهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآيات. وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحق ويصدق بعضه بعضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰتٰرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّيحَ عَلَى الْأَشْيَافِ لَا يَعْطِفُونَ﴾ [يونس: ١٠]، وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به

والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به. وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه. والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة، من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا. قال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما احتمل أوجهاً. وقيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا تشبهه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية بآذان: المتشابه حروف التهجي في أوائل السور، وذلك أن رهطاً من اليهود منهم حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا إلى النبي ﷺ فقال له حبي: بلغنا أنه أنزل عليك ﴿التر﴾ ننشدك الله أنزلت عليك؟ قال: «نعم»، قال: فإن كان ذلك حقاً فإني أعلم مذة ملك أمك هي إحدى وسبعون سنة، فهل أنزل غيرها؟ قال: «نعم». ﴿التمص﴾ [الأعراف: ١]، قال: فهذه أكثر، هي إحدى وستون ومائة سنة، قال: فهل غيرها؟ قال: «نعم»، ﴿التر﴾

[هود: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، [قال]: فهل غيرها؟ قال: «نعم» ﴿التر﴾ [الرعد: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، ولقد غلظت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن ممن لا يؤمن بهذا، فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا فَتَنَّهُمْ مِنْهُ﴾.

واختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران الذين خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجها بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله الثعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن مسلمة أنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم».

قوله تعالى: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: طلب الشرك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللئس ليضلوا بها جهالهم، ﴿وآيَاتُ تَأْوِيلِهِ﴾: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: ﴿سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، أي: عاقبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكَمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، اختلف العلماء في نظم هذه الآية، فقال قوم: الواو في قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً معناه: والراسخون في العلم قائلين آمناً به، هذا كقوله تعالى: ﴿مَّا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى الْحَشْرُ: [٧]، ثم قال: ﴿وَالْفَقْرَةَ الْمُهَيَّجِينَ الَّذِينَ أُهْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا آدَارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَدْيِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا عطف على ما

سبق، ثم قال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر: ١٠]، يعني: هم مع استحقاقهم للفيء يقولون: ربنا اغفر لنا، أي: قائلين على الحال، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية: أنا من الراسخين في العلم، وقال مجاهد: أنا ممن يعلم تأويله، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله ﴿وَأَلْرَاسِيُونَ﴾ وواو الاستئناف، وتم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم، ورواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وأكثر التابعين، واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يُطْلغ عليه أحداً من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها. والخلق مُتَعَبِدُونَ في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله «إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ»، وفي حرف أبي: «ويقول الراسخون في العلم آمنا به»، وقال عمر بن عبدالعزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنا به كل من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبهه بظاهر الآية.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْرَاسِيُونَ فِي أَلْيَمِرِ﴾، [أي: الداخولون في العلم] هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء [في الشيء] وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسخاً ورُسوخاً، وقيل: الراسخون في العلم علماء مؤمني أهل الكتاب، مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: ﴿لَنْ يَكُنَ الرَّاسِيُونَ فِي أَلْيَمِرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٢]، يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالمُ العايلُ بما عَلِمَ المتَّبِعُ له. وقيل: الراسخ في العلم مَنْ وَجِدَ في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنا به سَمَاهُمُ اللهُ تَعَالَى رَاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَرَسُوخُهُمْ فِي الْعِلْمِ قَوْلُهُمْ آمَنَّا بِهِ، أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿وَمَا يَسْأَلُ يَدْرُؤُ﴾: و ما يتعظ بما في القرآن، ﴿إِلَّا أَوْلَا الْأَلْبَابِ﴾: ذَوُو الْعُقُولِ.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا﴾، أي: ويقول الراسخون [في العلم]: ربنا لا تزغ قلوبنا، أي: لا تملأها عن الحق والهدى كما أزعجت قلوب الذين في قلوبهم زيغ فضلوا وأضلوا، ﴿مَدَّ إِذْ هَمَّيْنَا﴾، وقفتنا

لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾: أعطنا من عندك، ﴿رَحْمَةً﴾، توفيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى. وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْفَاؤُ﴾.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، أنا أبو بكر عبدالرحمن بن القاسم القرشي، يُعرف بابن الرواس الكبير بدمشق، أنا أبو مسهر عبدالأعلى بن مسهر الغساني أنا صدقة، أنا عبدالرحمن بن زيد بن جابر حدثني بشر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النواس بن سمعان الكلابي قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه»، [قال]: وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ. والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري [أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن إياس الجريدي عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْقَلْبِ

كريشة بأرضٍ فلاةٍ تَقْلِبُهَا الرِّيحُ ظَهراً
لبطن.^٩

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ
جَاعِلُ النَّاسِ يَوْمٍ﴾، أي: لقضاء
يوم، وقيل: اللام بمعنى: في، أي
في يوم، ﴿لَا رَبَّ يَوْمٍ﴾، أي: لا
شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿إِنَّكَ
اللَّهُ لَا يُخْلِقُ إِلِيمَاةً﴾، وهو مفعال،
من الوَعْد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ﴾: لن تنفع ولن
تدفع، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ
اللَّهِ﴾، قال الكلبي: من عذاب
النار، وقال أبو عبيدة: من بمعنى
عند، أي: عند الله ﴿شَيْئاً وَأُولَئِكَ
هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَذَّابٍ بَالٍ فِرْعَوْنَ﴾، قال
ابن عباس رضي الله عنهما وكرمة
ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم
مع نبئهم في الكفر والتكذيب به وبما
جاء، وقال عطاء والقسائي وأبو
عبيدة: كسئته آل فرعون. وقال
الأخفش: كأمر آل فرعون وشأنهم.
وقال التضمر بن شمیل: كعادة آل
فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في
تكذيب الرسول وجود الحق كعادة
آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:
كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود
وغيرهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ﴾، فعاقبهم الله، ﴿يُدْنُوهُمْ﴾،
وقيل: نظم الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا
أَوْلَادَهُمْ﴾ عند حلول التهمة والعقوبة
[بهم]، مثل آل فرعون وكفار الأمم
الخالية، أخذناهم فلن تُعني عنهم
أموالهم ولا أولادهم، [من

عذاب الله شيئاً]، ﴿وَاللَّهُ
شَدِيدٌ أَعْقَابٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَآ جَهَنَّمَ﴾، قرأ
حمزة والقسائي بالياء
فيهما، أي: أنهم يُغلبون
ويحشرون، وقرأ الآخرون
بالتاء فيهما على الخطاب،
أي: قل لهم يا محمد إنكم
ستُغلبون وتُحشرون إلى
جهنم.

وقال مقاتل: أراد مشركي
مكة، معناه: قل لكفار
مكة سَتُغلبون يوم بدرٍ
وتُحشرون إلى جهنم في

الآخرة، فلما نزلت هذه الآية قال
لهم النبي ﷺ يوم بدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ
غَالِبُكُمْ وَحَاشْرُكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾.
وقال بعضهم: المراد بهذه الآية
اليهود.

وقال الكلبي: عن أبي صالح عن
ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود
أهل المدينة قالوا لما هزم
رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر:
هذا والله النبي الذي بشرنا به
[موسى]، لا تُرد له راية، وأرادوا
اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا
تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة [له]
أخرى، فلما كان يوم أحد ونكب
أصحاب رسول الله ﷺ، شكوا،
فغلب عليهم الشقاء، فلم يُسلموا،
وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ
عهدٌ إلى مدة فنقضوا ذلك العهد،
وانطلق كعب بن الأشرف في ستين
راكباً إلى مكة ليستفزهم، فأجمعوا

سورة العنكبوت
سورة البقرة
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٩﴾ كَذَّابٍ بَالٍ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
وَاللَّهُ شَدِيدٌ أَعْقَابٌ ﴿١٠﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَآ جَهَنَّمَ وَيُكْسَرُ وَيُقَسَّ إِلَيْهَا هَذَا ﴿١١﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ مِآةٌ فِي قُلُوبِنَا لَوْلَا أَنَّا نَنفِخُ فِي سَفِيرِ اللَّهِ
وَأَخْرَجْنَا كِفَاةً يَسْرُونَ مِنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ زَاعَةَ الْكُفْرِ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بَصُرَةَ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلأُولَى
الْأَبْصَارِ ﴿١٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنُ الشَّهِدَتْ بِرَبِّكَ الْكِبَرِ
وَالسَّنِينَ وَالقَنْطَرِ الْمَقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصْحَةَ
وَالخَيْلَ الْمَسْمُومَةَ وَالأَمْكُرَ وَالخَرْبَ ذَلِكَ يَتَكَبَّرُ
الْحَبْرَةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَآبِ ﴿١٣﴾ قُلْ
أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنَ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقُوا عِدَّتِيَوْمَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلِّينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرُضُوفٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُعْصِبُ بِالْأَعْيُنِ ﴿١٤﴾

أمرهم على قتال رسول الله ﷺ،
فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.
وقال محمد بن إسحاق عن
رجاله، ورواه سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً:
أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً
ببدر ورجع إلى المدينة، جمع اليهود
في سوق بني قينقاع، وقال:
«يا معشر اليهود، احذروا من الله
مثل ما نزل بقريش يوم بدر،
وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما
نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي
مرسل، تجدون ذلك في كتابكم»،
فقالوا: يا محمد، لا يغررك أنك
لقيت قوماً أغماراً لا علمَ لهم
بالحرب فأصبتَ فيهم فرصة، وإنا
والله لو قاتلناك لعرفت أننا نحن
الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، . يعني اليهود.
﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: تُهْزَمون في الدنيا في

قتالكم محمداً ﴿وَيُخَوِّرُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْيَمَادُ﴾: الفراش، أي: بثس ما مهد لهم، يعني: النار.

﴿١٣﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، ولم يقل قد كانت، والآية مؤنثة لأنه رذها إلى البيان، أي: قد كان [لكم] بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، أي: عبرة ودلالة على صدق ما أقوال لأنكم ستغلبون، ﴿فِي يَمِينِي﴾: فرقتين، وأصلها فيء: الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض، ﴿التَّقَاتُ﴾، يوم بدر، ﴿فَنَفَقَةٌ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد، وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وأكثرهم رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف. قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾، أي: فرقة أخرى كافرة، هم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول

مشهد شهده رسول الله ﷺ، ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني: ترون يا معشر اليهود وأهل مكة مثلي عدد المسلمين، وذلك أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على مَنْ تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين، فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل: كيف قال ﴿مِّنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ وهم كانوا ثلاث أمثالهم؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثليه سواء، فيكون ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني هو الأصح: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى، حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم [يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم] يزيدون [علينا] رجلاً واحداً، ثم قللهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال أراهم مائة. وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين، يعني: يرى

المشركون المسلمين مثليهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجتري المشركون عليهم، ولا ينصرفوا [عنهم]، فلما أخذوا في القتال كثروهم [الله] في أعين المشركين، ليخبنوا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجتروا [عليهم]، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّيْتُمُوهُمْ فِي آيَاتِكُمْ قَلِيلًا مُّكْتَفٍ فِي آيَاتِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. قوله تعالى: ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾، أي: في رأي العين، نُصِبَ بِنزاع حرف الصنعة، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ فِي ذَلِكَ﴾، [أي: في] الذي ذكرته، ﴿لَوْ بَرَهُ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، لذوي العقول، وقيل: لمن أبصر الجَمِيعِينَ.

﴿١٤﴾ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِنَاسٍ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾، جمع شهوة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿مِرْكُ الْإِنْسَانِ﴾، بدأ بهن لأنهن حبات الشيطان، ﴿وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: ألف ومائتا مثقال، وعنهما رواية أخرى: اثنا عشر ألف درهم وألف دينار، دية أحدكم. وعن الحسن قال: القنطار دية أحدكم، وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة: هو مائة ألف ومائة من مائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم، ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا. وقال سعيد بن المسيب

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا اللَّهُمَّ الْقِسْمَةَ الَّتِي كُنْتَ تَقْسِمُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٧﴾

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا اللَّهُمَّ الْقِسْمَةَ الَّتِي كُنْتَ تَقْسِمُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٧﴾

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا اللَّهُمَّ الْقِسْمَةَ الَّتِي كُنْتَ تَقْسِمُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٧﴾

يفنى، ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْكِتَابِ ﴾، أي: المرجع، وفيه إشارة إلى التزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوْحِيْتُ ﴾، أي: أخبركم ﴿ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ ﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِزْقٌ مِّنَ اللَّهِ، قرأ العامة بكسر الراء، وروى أبو بكر عن عاصم بضم الراء، وهما لغتان كالعدوان والعدوان.

وقتادة: ثمانون ألفاً. وقال مجاهد: سبعون ألفاً. وعن السدي قال: أربعة آلاف مثقال، وقال الحكم: القنطار ما بين السماء والأرض من مال، وقال أبو نضرة: ملء منسك ثوب ذهباً أو فضة. وسُمي قنطاراً من الإحكام، يقال: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سُميت القنطرة. قوله تعالى: ﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾، قال الضحاك: الْمُحْصَنَةُ الْمُحْكَمَةُ، وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض. وقال يمان [بن رساب]: هي المدفونة. وقال السدي: المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير. وقال الفراء: المضغفة. فالقناطر ثلاثة، والمقنطرة تسعة، ﴿ مِرَّةً أَلْهَبٌ وَأَوْفَىٰ ﴾، قيل: سُمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة فضة لأنها تنفض، أي: تتفرق، ﴿ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾: الخيل جمع لا واحد له من لفظه، وأحدها فرس، كالقروم والنساء ونحوهما، ﴿ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال مجاهد: هي المظهمة الحسان. وقال عكرمة: تسويمها حسنها، وقال سعيد بن جبير: هي الراعية، يقال: أسام الخيل وسَوَّمها، وقال الحسن وأبو عبيدة: هي المعلمة من السيماء [وهي] العلامة، ثم منهم من قال: سيماءها الشبه واللون، وهو قول قتادة، وقيل: الكمي، ﴿ وَاللَّامِتِ ﴾، جمع التعم، وهي الإبل والبقر والغنم، جمع لا واحد له من لفظه، ﴿ وَالْحَرِيِّ ﴾، يعسني: الزرع، ﴿ ذَلِكَ ﴾، الذي ذكرنا، ﴿ مَتَكُنَّ الْحَيَّوَةُ الَّتِي ﴾، يشير إلى أنها متاع

﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ، إن شئت جعلت محل ﴿ الَّذِينَ ﴾ خفصاً رداً على قوله: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، وإن شئت جعلته رفعاً على الابتداء، ويُحتمل أن يكون نصباً تقديره: أعني الذين يقولون ﴿ رَبَّنَا آتِنَا اللَّهُمَّ صَدَقْنَا ﴾، ﴿ قَافِرُونَ لَنَا ذُؤَبُورًا ﴾، [أي]: استرنا علينا وتجاوزنا، ﴿ وَقَوْلًا عَذَابَ النَّارِ ﴾.

﴿١٧﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ، إن شئت نصبتها على المدح، وإن شئت خفصتها على النعت، يعني: الصابرين في أداء الأوامر، وعن ارتكاب النهي، وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم صدقت نيأتهم واستقامت قلوبهم والسثهم فصدقوا في السر والعلانية، ﴿ وَالْقَانِتِينَ ﴾: المطيعين المصلين، ﴿ وَالسَّائِغِينَ ﴾ أموالهم في طاعة الله،

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن سليمان جَدَّثني ابن وهب جَدَّثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك يا ربنا وسعديك والخير في يدك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أجل لكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بَعِيرٌ بِالرِّجَالِ ﴾.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْأَسْمَارِ ﴿، قال مجاهد وقتادة والكلبي: يعني المصلين بالأسحار، وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يَصَلُّون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسحر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا، وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يُحيي الليل، ثم يقول: يا نافع أنت حزين؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، [قعد وأخذ] يستغفر الله ويدعو حتى يُصبح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدني حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أنا قتيبة أنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «يُنزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ، فيقول: أنا الملك أنا الملك مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ».

وحكي عن الحسن: أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من هذا الذئب يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران.

قال الكلبي: قدم خبران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصرا

المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه [ورأياه] عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالوا له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالوا له: فإننا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال: أسألا، قالوا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان.

قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، أي: بين الله، لأن الشهادة تبيين، وقال مجاهد: حَكَمَ اللهُ، وقيل: عَلِمَ اللهُ، وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه [لنفسه] قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بحر ولا بحر، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله: ﴿وَاللَّاتِيكُتَّةُ﴾، أي: وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين: الإقرار، ﴿وَأُولُوا الْأَلْبُورِ﴾، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه. وقال السدي والكلبي: [يعني] جميع علماء المؤمنين. ﴿قَائِمًا بِالْوَسْطِ﴾، أي: بالعدل، ونظم الآية: شهد الله

قائماً [بالوسط]، نصب على الحال، وقيل: نصب على القطع، ومعنى قوله: ﴿قَائِمًا بِالْوَسْطِ﴾، أي: قائماً بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم بأمر فلان، أي: مديراً له ومتعهده لأسبابه، وقائم بحق فلان أي: مجازٍ له، فالله جل جلاله مديراً ورازقاً ومجازاً بالأعمال، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ بِالدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفتح الكسائي الألف من ﴿أن الدين﴾ رداً على أن الأولى، تقديره: شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء، والإسلام: هو الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم، واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ بِالدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ لَكُمُ الْإِسْلَامُ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسوله ودل عليه أوليائه، فلا يقبل غيره، ولا يُجزى إلا به.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا أبو عمرو الفراتي أنا أبو موسى عمران بن موسى، أنا الحسن بن سفيان أنا عمار بن عمر بن المختار، حدثني

أبي عن غالب القطان، قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش، وكنت أختلف إليه، فلما كنت ذات ليلة أردت أن أتحدّر إلى البصرة، فإذا الأعمش قائم من الليل يتهجّد فمرّ بهذه الآية، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْعَلِيُّ﴾، ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة، ﴿إِنَّ الْكُفْرَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، قالها مراراً. قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فصليت معه وودعته، ثم: قلت: إني سمعتك تقرأ آية تردّها، فما بلغك فيها؟ [قال لي: أوما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ سنتين لم تحدّثني]، قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فمكثت على بابه ذلك اليوم، وأقمّت سنة فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة، فقال: حدّثني أبو وائل عن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحقّ من وفّي بالعهد، أَدْخِلُوا عِبْدِي الْجَنَّةَ».

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الْأَرَبُ أَوْثُقًا إِلَّا كَتَبَ﴾، قال الكلبي: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أي: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ، ﴿إِلَّا مِمَّا بَدَا مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾، يعني: بيان نعته في كتبهم، وقال الربيع بن أنس: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين

رجلاً من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم، يعني: بيان ما في التوراة، ﴿بَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾، أي: طلباً للملك والرياسة فسلب الله عليهم الجبايرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت [هذه الآية] في نصارى نجران ومعناها: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، يعني: الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام، وفرّقوا القول فيه، إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد، وأن عيسى عبده ورسوله ﴿بَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾، أي: للمعاداة والمخالفة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ حَاجِرَةَ﴾، أي: خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: لسنا [على] ما سمعنا به يا محمد وإنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه فقال الله تعالى: ﴿فَقَدْ أَنبَأْتُ رَجِيمًا﴾، أي: انقذت الله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خصّ الوجه لأنه أكرم الجوارح من الإنسان، وفيه بهاؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه. وقال الفراء: معناه: أخلصت عملي لله، ﴿وَمَنْ آتَبَعْنِي﴾، أي: ومن أتبعني فأسلم كما

أسلمت، وأتبت نافع وأبو عمرو إلياء في قوله تعالى: «أتبعني» على الأصل وحذفه الآخرون على الخط لأنها في المصحف بغير ياء، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾، يعني: العرب ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾، لفظة استفهام ومعناه أمر، أي: وأسلموا، كما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، أي: انتهوا، ﴿إِنَّ أَنْتُمْ لَأَقْرَبَ وَجْهًا وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ﴾، فسلباً رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: أتشهدون أن عزيراً عبده ورسوله؟ فقالوا: معاذ الله أن يكون عزير عليه السلام عبداً، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ﴾، أي: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية، ﴿وَاللَّهُ بِصِرَاتِكُمْ خَبِيرٌ﴾، عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يجحدون بآيات الله، يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَخْبِرُونَهُمْ بِالْحَقِّ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة «ويقاتلون الذين يأمرون» بالف، قال ابن جريج: كان الوحي يأتي على أنبياء بني إسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون، فيقوم رجال ممن أتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضاً فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: «على ملة إبراهيم»، فقالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال رسول الله ﷺ: «فهلتموا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبى عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا، وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم، فرفعوا أمرهما إلى رسول الله ﷺ ورجوا أن يكون عنده رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقال له النعمان بن أوفى ويحري بن عمرو: جُزت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «بيني وبينكم التوراة»، فقالوا قد أنصفتنا، قال: «فمن أعلمكم بالتوراة؟» قالوا: رجل أعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا، فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أنت ابن صوريا»، قال: نعم، قال: «أنت أعلم اليهود؟» قال: كذلك يزعمون، قال: فدعا رسول الله ﷺ بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب، فقال له: «اقرأ»، فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن

في أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، فقتلوهم جميعاً في آخر النهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم.

﴿فَنَبِّئْهُمْ﴾: أخبرهم
﴿بِمَكَادِ السَّيْرِ﴾، وجميع،
وإنما أدخل الفاء على خبر
﴿إِنَّ﴾، وتقديره: الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم، لأنه لا يقال: إن زيدا

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ حَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ﴾، ويطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل، وفي الآخرة أن لا يجازى عليه.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آتَىٰكَ اللَّهُ﴾: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آتَىٰكَ اللَّهُ﴾، أي: اليهود، ﴿يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دُعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه. وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية:

إن الله تعالى جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحكم القرآن على اليهود والنصارى: أنهم على غير الهدى، فأعرضوا عنه، وقال آخرون: هو التوراة. وروى سعيد بن جبيرة وعكرمة

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آتَىٰكَ اللَّهُ﴾: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آتَىٰكَ اللَّهُ﴾، أي: اليهود، ﴿يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دُعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه. وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية:

إسحاق الشلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد [بن] فنجويه الديبوري، أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندي، أنا أحمد بن يحيى بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيان أنا محمد بن جعفر أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال:

قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَ﴿يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة قلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً

سلام: يا رسول الله قد جاوزها، فقام فرفع كفه عنها، ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة زوجاً، وإن كانت المرأة حُبلى ترتبص حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَبِيًّا مِنْ آلِ كَثِبٍ يَأْتُونَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُكْمِ الْمُنِيرِ﴾، ﴿يَعْلَمُ بَيْنَهُمْ تَمَّتْ بِيَتْلُوَ فَرِيقٌ وَيَنْهَى عَنْهُمْ مَعْصِيَتَهُمْ﴾.

﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَكْبَابًا مَمْدُودَةً وَكَرَّمُوا فِي دِينِهِمْ، الغرور: هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء، ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، الافتراء: اختلاق الكذب.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿يُؤَيِّرُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾، وهو يوم القيامة ﴿وَوَقَّيْتِ﴾، وفُتِرَتْ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، أي: جزاء ما كَسَبَتْ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُطْلُقُونَ﴾، أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾:

قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل مُلك فارس والروم في أمته فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه: لما فتح رسول الله ﷺ مكة وَعَدَّ أمته

مُلك فارس والروم. قال المناقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ﷺ مُلك فارس والروم؟ وهم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في مُلك فارس والروم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ قيل: معناه يا الله، فلما حُذِف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناه: يا الله أيتها بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم: هَلُمَّ إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خففوا أيضاً فقالوا لا هم، قوله: ﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾، [يعني: يا مالك الملك]، أي: مالك العباد وما ملَكُوا، وقيل: يا مالك السموات والأرض، وقال الله تعالى في بعض الكتب: [أنا الله مَلِكُ الْمَلِكِ]، وَمَالِكُ الْمَلِكِ وَقُلُوبُ الْمَلِكِ ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسبب الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم.

قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جببير: يعني مُلك النبوة، وقال الكلبي: تُؤْتِي المَلِكُ من تشاء: محمداً وأصحابه، ﴿وَتَنْزِجُ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، أي: جعل وأصحابه، وقيل: تُؤْتِي المَلِكُ من تشاء: العرب، وتنزع المَلِكُ مَن تَشَاءُ: فارس والروم، وقال السدي:

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، أتسى الله الأنبياء عليهم السلام المَلِكُ وأمر العباد بطاعتهم، ﴿وَتَنْزِجُ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، نزعه من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: آدم وولده، ﴿وَتَنْزِجُ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿وَتُؤْتِي مَن تَشَاءُ وَتُؤْذِلُ مَن تَشَاءُ﴾، قال عطاء: ﴿وَتُؤْتِي مَن تَشَاءُ﴾: المهاجرين والأنصار، ﴿وَتُؤْذِلُ مَن تَشَاءُ﴾: فارس والروم، وقيل: ﴿وَتُؤْتِي مَن تَشَاءُ﴾ محمداً ﷺ وأصحابه، حين دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها قهراً على أهلها، ﴿وَتُؤْذِلُ مَن تَشَاءُ﴾: أبا جهل وأصحابه، حتى جُزِئ رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل: ﴿وَتُؤْتِي مَن تَشَاءُ﴾: بالإيمان والهداية [ودخول الجنة]، ﴿وَتُؤْذِلُ مَن تَشَاءُ﴾: بالكفر والضلالة [ودخول النار]، [وقيل: تُعَزِّزُ من تشاء بالطاعة، وتُؤْذِلُ من تشاء بالمعصية]، وقيل: تُعَزِّزُ من تشاء بالنصر، وتُؤْذِلُ من تشاء بالقهر، وقيل: تُعَزِّزُ من تشاء بالفقر، وقيل: تُعَزِّزُ من تشاء بالقناعة والزُرى، وتُؤْذِلُ من تشاء بالحرص والطمع، ﴿يَبْدُوكَ الْعَيْزُ﴾، أي: بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما. قال تعالى: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي: الحر والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما. ﴿إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ مَن قَبِيحٌ﴾.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾، أي: تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة

لا يفتنوكم عن دينكم ويخرجوكم عن طاعة الله ورسوله، فأبى أولئك النفر إلا مباظنتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مقاتل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا يُظهرون المودة لكفار مكة.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المنافقين: عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، أي: موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عزة المسلمين، ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: ليس من دين الله في شيء، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا بِمَا كَفَرْتُمْ﴾، يعني: إلا أن تخافوا منهم مخافة، قرأ مجاهد ويعقوب: «تقية» على وزن بقية لأنهم كتبوها بالياء، ولم يكتبوها بالألف: مثل حصاة ونواة، وهي مصدر يقال: تقيت تقاة وتقى تقيه وتقوى، فإذا قلت: اتقيت كان المصدر الاتقاء، وإنما قال تقوا من الاتقاء، ثم قال: تقاة ولم يقل: اتقاء لأن معنى اللفظين إذا كان واحداً يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَبْتَلُ فِيهِ الْمُزْمَلِ﴾ [المزمل: ٨]، ومعنى الآية: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومدازمتهم ومباظنتهم، إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين [على المؤمنين]، أو

محمد الحنفي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أنا محمد بن الأزهر أنا الحارث بن عمير، أنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْآيَاتِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْذَّبْنَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِئْسَ حِسَابٌ﴾ مَشْفَعَاتٍ مَعْلَقَاتٍ بِالْعَرْشِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ، قُلْنَ: يَا رَبِّ تُهْبَطُنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مِنْ يَعْصِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِي حَلَفْتُ لَا يَقْرُوكُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي ذُبَّرَ كُلُّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مِثْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَأَسْكَنْتَهُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، وَلَنْظَرْتُ إِلَيْهِ بَعِينِي الْمَكْنُونَةَ، [كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً] وَلَقَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَأَعَدُّتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ، وَنَصَرْتُهُ مِنْهُمْ». [رواه الحارث بن عمير وهو ضعيف].

﴿٢٨﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَبْخُدُ الْمُؤْمِنُونَ أَلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ الْحِجَابُ بَيْنَ عَمْرٍو وَابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ [يُظَنُّونَ بِنَفَرٍ] مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَفْتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَبْرِ وَسَعِيدُ بْنُ خَيْشَمَةَ وَأَوْلَاكَ الْفَر: اجْتَنَبُوا هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ

والليل تسع ساعات، ﴿وَتُولِيحُ النَّهَارِ فِي آيَاتٍ﴾، حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، النهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر، ﴿وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ النَّهَارَ مِنَ النَّهَارِ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿أَلَيْسَ﴾ بتشديد الياء ههنا وفي الأنعام ويونس والروم، وفي الأعراف: ﴿لِيَكْفُرَ يَتَيْنِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وفي فاطر: ﴿إِنَّ بَلَدَكُمْ مِثْنٌ﴾ [فاطر: ٩]، زاد نافع: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، و﴿لَحْمَ أَخِيهِ مِثْنًا﴾ [الحجرات: ١٢] و﴿الْأَرْضِ أَلَيْسَ أَحْيِيهَا﴾ [يس: ٢٣] فيشدها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب ﴿وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ﴾ و﴿لَحْمَ أَخِيهِ مِثْنًا﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن مسعود وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة: معنى الآية: يُخْرِجُ الْحَيَوَانَ مِنَ النَّطْفَةِ وَهِيَ مِيتَةٌ، وَيُخْرِجُ النَّطْفَةَ مِنَ الْحَيَوَانَ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ وَالْكَلْبِيُّ: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمِيتِ، أَي: الْفَرْخَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَيُخْرِجُ الْبَيْضَةَ مِنَ الطَّيْرِ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءُ: يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ وَيُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَالْمُؤْمِنُ حَيٌّ الْفُؤَادُ وَالْكَافِرُ مِثٌّ الْفُؤَادِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ الزَّجَاجُ: يُخْرِجُ النَّبَاتَ الْعَضُّ الطَّرِيَّ مِنَ الْحَبِّ الْيَابِسِ، وَيُخْرِجُ الْحَبَّ الْيَابِسَ مِنَ النَّبَاتِ الطَّرِيِّ النَّاسِمِيِّ. ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِسِتْرِ حِسَابٍ﴾، مِنْ غَيْرِ تَضْيِيقٍ وَلَا تَقْتِيرٍ.

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن

يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيديريهم ويدهانهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه مضارتهم ما أمكن، من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: **إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قُتل فله أجرٌ عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم، قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جذة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، [فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام]، فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم، وقال يحيى البكاء: قلت لسعيد بن جبيرة في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم: التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال سعيد: ليس في الإسلام تقية، وإنما التقية في أهل الحرب، **وَيُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ نَفْسًا**، أي: [و] يُخَوِّفُكُمْ اللَّهُ عَقُوبَتَهُ عَلَى مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَارْتِكَابِ الْمُنْهِيِّ وَمُخَالَفَةِ الْأُمُورِ، **قَوْلًا لِلَّهِ الْعَمِيِّدِ**.

٣١ **قُلْ إِنْ تَحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ**، قلوبكم من مودة الكفارة، **أَوْ بُدُونِهِمْ** من موالاتهم، قولاً وفعلاً، **يَسَلِّمُوا إِلَيْهِ**، قال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تظهروه بحريه وقاتله، **يَعْلَمُهُ اللَّهُ** ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به في الدنيا بالأسر والقتل بنصره عليكم وفي الآخرة بالعذاب الشديد، ثم قال: **وَمَعَكُمْ** رفع على

الاستئناف **مَا فِي الصُّدُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**، يعني: إذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض؟ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ **وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**.

٣٢ قوله تعالى: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا نَسَبَ يَوْمَئِذٍ نَسَبَهَا**، بنزع حرف الصفة، أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس، **مَا فِي الصُّدُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْتَسِرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ فِي اللَّهِ نَفْسُهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْإِبْرَاءِ **٣٢** **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **٣٣** **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** **٣٤** **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** **٣٥** **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** **٣٦** **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم** **٣٧** **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْأُنثَىٰ وَلِيٍّ سَخِيبًا مريمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** **٣٨** **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ لَنْصَرِمَنَّ أَنْ دَلَّنَا هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُنِي مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ حِسَابٍ**

٣١ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ** فاتبعوني **يُحِبِّكُمْ اللَّهُ**، نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشثوف وهم يسجدون لها، فقال: «والله يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل»، فقالت له قريش: إنما نعبدها حباً لله ليقرّبونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى: قل لهم يا محمد إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأصنام ليقرّبوكم إليه [زلفى]، فاتبعوني **يُحِبِّكُمْ اللَّهُ**، فأنار رسول الله إليكم وحثّ عليكم، [أي: اتبعوا شريعتي وستتي **يُحِبِّكُمْ اللَّهُ**، حب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته،

لم يبخس منه شيء؛ كما قال الله تعالى: **«وَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا»** [الكهف: ٤٩]، **«وَمَا عَمِلْتُمْ مِنْ شَيْءٍ** جعل بعضهم خيراً في موضع النصب، أي تجد محضراً ما عملت من الخير والشر، فتسرّ بما عملت من الخير، وجعله بعضهم خيراً مستأنفاً، دليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما: «وما عملت من سوء وذن لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً»، قوله تعالى: **«تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا»**، أي: بين النفس **«وَبَيْنَهُمَا»**، يعني: وبين السوء **«أَمَدًا بَعِيدًا»**، قال السدي: مكاناً بعيداً، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب، والأمد: الأجل، والغاية التي ينتهي إليها، قال الحسن: يسر أحدهم أن لا يلقي عمله أبداً، وقيل: يؤد أنه لم يعمل **«وَيُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ نَفْسًا وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْإِبْرَاءِ»**.

وابتغاء مرضاته؛ وحبُّ الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ لَكَ ذُوئِكَرُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ..

﴿٣٦﴾ وقيل: لما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبّه كما أحببت النصارى عيسى ابن مريم، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، [أي]: أعرضوا عن طاعتهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾، أي: لا يرضى فعلهم ولا يغير لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن يأتي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن عبادة أنا يزيد أنا سليم بن حيان وأثنى عليه، أنا سعيد بن ميناء قال: حدثنا أو سمعت جابر بن عبدالله يقول:

جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، [فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً]، فقالوا: مثله

كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ويعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجِبِ الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقالوا: فالدار: الجنة، والداعي: محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمداً ﷺ فزق بين الناس.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام. ﴿وَاصْطَفَىٰ﴾: اختار، افتعل من الصفة، وهي الخالص من كل شيء، ﴿آدَمَ﴾ أبو البشر، ﴿وَنُوحًا وَآلَ إِبْرٰهِيْمَ وَآلَ عِمْرٰنَ﴾، قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَبِيْلَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلَ مُوسَىٰ وَآلَ هٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران بن بصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، والد موسى وهارون، وقال الحسن وهب: هو عمران بن أشهم بن أمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، ومآله: مريم

وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم، ﴿عَلَىٰ التَّكْوِيْنِ﴾ [أي عالمي زمانهم].

﴿٣٨﴾ ﴿ذُرِّيَّةً﴾، اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأبناء ذرية، لأنه ذراهم، والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم، قال الله تعالى: ﴿رِوَايَةٌ مِّنْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم﴾ [يس: ٤١]، أي: آباءهم، ﴿ذُرِّيَّةً﴾ نُصِبَ على معنى: اصطفى ذرية ﴿بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: بعضها من ولي بعض، وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، وهي حنة بنت قافوذ أم مريم، وعمران: هو ابن ماثان، وليس [هو] بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألف وثمانون سنة، [وقيل: كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفاً سنة]، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: جعلت الذي في بطني محرراً نذراً مني لك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّيْ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ والنذر: ما يؤجبه الإنسان على نفسه ﴿مُحَرَّرًا﴾، أي: عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكتيبة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما

أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب».

قوله: ﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾، أي: تقبل الله مريم من حنة، مكان المحرز، وتقبل بمعنى: قبل ورضي، والقَبُول: مصدر قَبِلَ يَقْبَلُ قَبُولًا، مثل الولوع والوزوع، ولم يأت غير هذه الثلاثة، وقيل: معنى التقبيل: التكفل في التربية والقيام بشأنها، ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، معناه: وأنبتها نباتاً حسناً، وقيل: هذا مصدر على غير اللفظ، وكذلك قوله: ﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾، ومثله شائع؛ كقوله: تكلمت كلاماً، وقال جويبر عن

الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾، أي: سلك بها طريق السعداء، وأنبتها نباتاً حسناً، يعني: سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت

المولود في العام، ﴿وَوَكَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾، قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها، فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يملون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها

الأخبار [أيهم يأخذها]، لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي

[ما في بطنها]، ولذلك أنت، ﴿قَالَتْ﴾ حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً، ﴿وَرَبِّيَ إِلَيَّ وَمَعْتَبًا أَنْتَ﴾، اعتذاراً إلى الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ أَغْنَىٰ بِمَا وَصَّيْتُ﴾، بحزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل، وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب ﴿وَصَّيْتُ﴾ برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم، ﴿وَلَكِنَّ الْأَذْرَ كَالْأَنْثَىٰ﴾، في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ليلتها وضعفها وما يعترها من الحيض والنفاس، ﴿وَلِإِيَّائِي سَتَيْتَهَا مَرِيْرًا﴾، وهي بلغتهم العبادة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن، ﴿وَلِإِيَّائِي أُبِيْدُهَا﴾ أمنعها وأجيرها، ﴿بِإِيَّائِي وَدُرَيْتَهَا﴾ أولادها، ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، والشيطان الطريد للعين والرجيم المرعى بالشهب.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم من مولود إلا يمسسه الشيطان حين يولد، فيسهل الصبي صارخاً من [مس] الشيطان، غير مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿وَلِإِيَّائِي أُبِيْدُهَا بِإِيَّائِي وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾،

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن

أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا اعتقته وخلصته من الرق، قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما: كان المحرز إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها يكنسها ويخدمها ولا يرح مقيماً عليها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير إن أحب أقام فيه وإن أحب ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرز لبيت المقدس، ولم يكن محرزاً إلا الغلمان ولا تصلح له الجارية، لما يصيبها من الحيض والأذى، فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا اختين، وكانتا أشياخ بنت قافودا أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت قافودا أم مريم عند عمران، وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت بذلك نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سديته وخدمه، فحملت بمريم فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت؟ أرايت إن كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك؟ فوقعاً جميعاً في هم من ذلك، فهلك عمران وحنة حامل بمريم.

﴿فَلَمَّا وَصَّيْتَهَا﴾، أي: ولدتها، إذا هي جارية، والهاء في قوله: ﴿وَصَّيْتَهَا﴾ راجعة إلى النذير لا إلى

هَذَا لِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبِّهِ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٧﴾ فَدَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مَهْمَدًا فَابْكَلِمَتُونَ اللَّهُ وَسَيِّدًا أَحْسَبُوا وَتَيَّسًا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغُنِي الْحُكْمُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ يَا زَكَرِيَّا إِنَّكَ لَمَنَّانٌ فَاتَّخَذَ إِلَهًا لِلَّذِينَ لَا تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَلَهًا كَثِيرًا وَسَخَّرَ بَالَمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَتَمْتُمْ بِهِمْ يَمْزُجُ مَرْمِمْ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ مِنْهُ اسْمُهُ الطَّيِّبُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٤﴾

٥٥

أقلامهم مع جرية الماء [فذهب بها الماء]، فسهمهم وقرعهم زكريا، وكان رأس الأحبار ونبيتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، قرأ حمزة وعاصم والكسائي «كفلها» بتشديد الفاء، فيكون زكريا في محل النصب أي: ضمنها الله وزكريا وضما إليه بالقرعة، وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع، أي: ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو

زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصوراً، والآخرون ممدوداً، فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها [مرضعه]، وقال محمد بن إسحاق: ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء، بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم، ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾، [وآراد بالمحراب] الغرفة [التي بناها]، والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضاً: محراب، وقال المبرد: لا يكون المحراب إلا

خالئها، فقال له الأحبار: لا تفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس بها لترك لأمها التي ولدتها، لكننا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلاً إلى نهر جار، قال السدي: هو نهر الأردن، فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، وقيل: كان على كل قلم اسم واحد منهم، وقيل: كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتز قلم زكريا، فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر، قاله محمد بن إسحاق وجماعة، وقيل: جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء، قال السدي وجماعة: بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين، وجرت

أن يُرتقى [عليه بدرج]، قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يُعلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها غرفتها، ﴿وَبَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، أي: فاكهة في غير حينها [فيرى] فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿قَالَ يَمْزُجُ آفًا لَدَىٰ هَذَا﴾، قال أبو عبيدة معناه: من أين لك هذا، وأنكر بعضهم عليه وقال: معناه من أي جهة لك هذا لأن ﴿آفًا﴾ للسؤال عن الجهة و «أين» للسؤال عن المكان، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: من قطف الجنة، وقال الحسن: إن مريم من حين ولدت لم تلّم ثدياً قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول لها زكريا ﴿آفًا لَدَىٰ هَذَا﴾؟ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، تكلمت وهي صغيرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُرِزُّكَ مِنْ يَشَأُ بِعَمِيرٍ حَسَابٍ﴾، قال محمد بن إسحاق: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها، فخرج على بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرث ستي وضعفت عن حمل مريم بنت عمران، فأيتكم يكفلها بعدي؟ فقالوا: والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بئد فتقارعوا عليها بالأقلام، فخرج السهم على رجل نجار من بني إسرائيل، يقال له: يوسف بن يعقوب، وكان ابن عم مريم، فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه، فقالت له: يا يوسف أحسن بالله الظن

فإن الله سيرزقنا، فجعل يوسف يُرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف، فيقول: ﴿يَتَذَكَّرُ أَنَّ لَكَ هَذَا؟﴾ ﴿فَأَلَّتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ زَرُّقٌ مَنْ يَشَاءُ يَغْتَرِ حِسَابًا﴾، قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولداً في غير حينه على الكبير، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

﴿٣٨﴾ قال الله تعالى: ﴿هَذَاكَ﴾، أي: عند ذلك ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، فدخل المحراب وغلقت الأبواب وناجى ربه، ﴿قَالَ رَبِّ، أَي: يا رب، هَبْ لِي أَعْطِنِي بِنًى لَدُنْكَ﴾، أي: من عندك، ﴿ذَرِيَّةً طَيِّبَةً﴾، أي: ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضيعاً، والذرية تكون واحداً وجمعاً ذكراً وأنثى، وهو ههنا واحد بدليل قوله عز وجل: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: سامعه، وقيل: مُجِيبٌ؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْعَبْ﴾ [يس: ٢٥]، أي: فأجيبي.

﴿٣٩﴾ ﴿فَدَاةُ الْمَلَائِكَةِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «فناداه» بالياء، والآخرين بالياء [فمن قرأ بالياء] فالتأنيث لفظ

الملائكة، وللجمع مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيهم أحسن؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَلَّتْ الْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤]، وعن إبراهيم قال: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: يذكر الملائكة في القرآن، قال أبو عبيدة: وإنما نرى عبدالله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم: الملائكة بنات الله تعالى، وروى الشعبي: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء، وذكروا القرآن، وأراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده؛ كقوله تعالى في سورة النحل: ﴿يُرْسِلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [النحل: ٢]، يعني: جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يعني: نعيم بن مسعود، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيساً يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقل ما يبعث إلا ومعه جمع، فجري على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾، أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يُقَرَّبُ القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم بالدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني: في المسجد عند

المذبح يصلي والناس ينتظرون. أن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففرع منه، فناده وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿إِنَّ اللَّهَ بَشَّرَكَ﴾، [قرأ ابن عامر وحمزة ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الألف على إضمار القول، تقديره: فنادته الملائكة فقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَشَّرَكَ﴾، وقرأ الآخرون بالفتح بليقاع النداء عليه كأنه قال: فنادته الملائكة بأن الله يبشرك، وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله: ﴿يَسْمِعُ تِلْمِذِينَ﴾ [الحجر: ٥٤]، فإنهم اتفقوا على تشديدها، ووافقه الكسائي ههنا في الموضعين وفي «سبحان» و «الكهف» و «عسق»، ووافق ابن كثير وأبو عمرو في «عسق»، والباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر بشيراً، وهو أعرب اللغات وأفصحها، دليل التشديد قوله تعالى: ﴿بَشِّرْ عَبْدًا﴾ [الزمر: ١٧]، و﴿بَشِّرْتَهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، قالوا: ﴿بَشَّرْتَكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٥٥]، وغيرها من الآيات، ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تُهامة، وقرأه ابن مسعود رضي الله عنه، ﴿يَحْيَى﴾ هو اسم لا يجز لمعرفته، وللزائد في أوله، مثل: يزيد ويعمر، وجمعه يحيون مثل موسون وعيسون، واختلفوا في أنه لم سمي يحيى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، [و] قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه استشهد، والشهداء

أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحياء بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعصية، ﴿مَمْدِقًا﴾ نصب على الحال، ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، سُمِّيَ عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة [لأنه بها كان]، وقيل: سُمِّيَ كلمة لأنه يُهتدى به كما يُهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبياً بلا أب، فسمّاه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدّقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستّة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قُتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام [إلى السماء]، وقال أبو عبيدة ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾، أي: بكتاب من الله وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي: قصيدته.

قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ هو فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، قال المفضل: أراد سيّداً في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسنُ الخلق، قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عزّ وجلّ، وقال سعيد بن المسيّب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحلّيم الذي لا

يغضبه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقى [قاله الضحاك]، وقال سفيان والثوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق [أقرانه] وقومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي.

قال رسول الله ﷺ: «من سيّدكم يا بني سلمة؟» قالوا: جدّ بن قيس على أنا نبخله، قال: «وأي داء أدوأ من البخل، لكن سيّدكم عمرو بن الجموح».

قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الْأَنْكَلِيِّينَ﴾، والحصور: أصله من الحصر وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن: الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول، فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقيل هو الفقير الذي لا مال له، فيكون الحصور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيّب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغضّ لبصره، وفيه قول آخر: أن الحصور [هو] الممنوع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين، أحدهما: لأن الكلام خرج مخرج الشناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني: أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي﴾، أي: يا سيدي، قال لجبريل عليه السلام، هذا قول الكلبي وجماعة:

وقيل: قاله الله عزّ وجلّ ﴿أَنْ يَكُونَ﴾، يعني: أين يكون، ﴿لِيَعْلَمَ﴾، أي: ابن ﴿رَقَدَ بَلَدِي﴾ الكبري، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل: معناه: وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا قَاطِرًا﴾، أي: عقيم لا تلد، يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرأ وعقارة، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، فإن قيل: لم قال: زكريا بعدما وعده الله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمًا﴾، أكان شاكاً في وعد الله وفي قدرته، قيل: إن زكريا لما سمع [نداء] الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي [سمعت] ليس من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يُوحى إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قاله عكرمة والسدي، وجواب آخر: وهو أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كفيّته، أي: كيف ذلك أتجعلني وامرأتي شائين، أم ترزقنا ولدأ على الكبر مثأ أم ترزقني من امرأة أخرى؟ قاله مستفهماً لا شاكاً، هذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَعْجَلَ

تَبَّ هَاتِكَ، أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكراً لك، ﴿قَالَ هَاتِكَ أَلَّا تُكْفَرَ النَّاسَ﴾، أي: تكف عن الكلام، ﴿فَلَنُنَزِّلَنَّ آيَاتِنَا﴾، وتقبل بكليتك على عبادتي لا أنه يحبس لسانه عن الكلام، ولكنه نهى عن الكلام، وهو صحيح سوي كما قال في سورة مريم: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ فَلَنَكَلِّمَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لِّسَانًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّجَ بِالْقَوْلِ وَالْإِنكِارِ﴾، فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، قال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية، بعد مُشافهة الملائكة إياه، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾، أي: إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليد، وكانت إشارته بالأصبع المصبحة، قال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يُبين، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً، ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَخَّجَ بِالْقَوْلِ وَالْإِنكِارِ﴾، قيل: المراد بالتسبيح: الصلاة، والعشي ما بين زوال الشمس إلى [غروبها]، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والإبكار، ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَالَتْ أَلَّهِ كَعَةً﴾، يعني: جبريل، ﴿يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ اسْتَطَفَكَ﴾: اختارك،

﴿وَلَهْرَكَ﴾، قيل: من مسيس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب، ﴿اسْتَطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَاسْتَطَفَكَ عَلَى نِسَاءِ الْكَلْبِ﴾، قيل: على [نساء] عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء، وقيل: بالتحريم في المسجد ولم [يحرر فيه أحد من النساء إلا هي].

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن [أبي] رجاء، أخبرنا النضر عن هشام أخبرني أبي قال: سمعت عبدالله بن جعفر قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول:

سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة رضي الله عنهما».

ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة، وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرًا، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَأَسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إسحاق الديري أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما:

أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وأسية امرأة فرعون».

﴿٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصُّوا أُنْتَبِهِي رَبِّكَ﴾، قالت لها الملائكة شفاهاً، أي: أطيعي ربك، قال مجاهد: أطيعي القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى [تورمت] قدمها وسالت دماً وقيحاً ﴿وَأَسْتَجِبِي وَأُذَكِّي﴾، قيل: إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، يجوز أن يقول الرجل: رأيت زيدا وعمراً وإن كان قد رأى عمراً قبل زيد، ﴿مَعَ الرُّكُوعِ﴾، ولم يقل مع الركعات ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، يقول لمحمد ﷺ: ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى، [على نبينا وعليهم السلام، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ

وكهلاً: نبياً بشرها بنبوّة عيسى عليه السلام، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلاً أي: حليماً، والعرب تمدح الكهولة، لأنها الحالة الوسطى في احتكاك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، ﴿وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾، أي: هو من العباد الصالحين.

﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ يا سيدي، تقوله لجبريل، وقيل: تقول لله عز وجل، ﴿ذَلِكَ يَكُونُ لِي وَكَذَلِكَ يَمَسُّنِي بَشَرٌ﴾ ولم يصبني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، ﴿هَذَا كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أراد كون الشيء، ﴿وَلَمَّا يَقُولُ لَكُم يَكُونُ﴾، كما يريد.

﴿قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، وقيل: رده على قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ﴾ ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾، وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾، أي: الكتابة والخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: العلم والفقه، ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ علمه الله التوراة والإنجيل.

﴿رَسُولًا﴾، أي: ونجعل له رسولاً ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قيل: كان رسولاً في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولاً بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وأخبرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿أَيُّ﴾، قال الكسائي:

القدم لا أخصص له، وسمي الدجال مسيحاً [لأنه ممسوح إحدى العينين]، وقال بعضهم: هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سُمِّيَ [عيسى عليه السلام] مسيحاً لأنه ما مسح ذا غاهة إلا برأ، وقيل: سُمِّيَ بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقسم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون

المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سُمِّيَ الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿وَجِيهًا﴾، أي: شريفاً رفيعاً ذا جاهٍ وقدر، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، عند الله.

﴿يُرِيكُمْ آتَاءَ فِي الْمَهْدِ﴾ صغيراً قبل أو ان الكلام، كما ذكره في سورة مريم: ﴿هَذَا إِلَيَّ عَبْدٌ اللَّهِ فَأَنْتَ الْكِتَابُ﴾ [مريم: ٣٠] الآية، حكي عن مجاهد قال: قالت مريم كنت إذا خلوتُ أنا وعيسى حدثني وحدثته، فإذا شغلني عنه إنسان سبَّح في بطني وأنا أسمع قوله، ﴿وَكِهلاً﴾، قال مقاتل: يعني إذا [اجتمعت قوته] قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلاً: بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها [الله] أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل:

﴿يُرِيكُمْ آتَاءَ فِي الْمَهْدِ وَكِهلاً وَمِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكَذَلِكَ يَمَسُّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَلَمَّا يَقُولُ لَكُم يَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَةَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَكْفُرُونَ وَمَا تَدْعُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم لِكَثِيرٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَصَدَّقًا لِّمَا بَيَّنَّتَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذْ أَصَابَهُمُ الْمُصِيبَةُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ وَعَدَاؤُهُمْ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَحْسَنَ عَيْسَىٰ إِلَهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ يُحِبُّونَ مَنْ أَنْصَارَ اللَّهِ مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾

الغيب، ﴿أي﴾: من أخبار الغيب ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿وَمَا كُنْتُ يَا مُحَمَّد، لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمْتُمْ﴾، سهامهم في الماء لاقتراع، ﴿أَلَيْسَ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يحضنها ويربِّيها، ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، في كفالته.

﴿قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، إنما قال اسمه، ورد الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم يسمي مسيحاً، فمنهم من قال: هو فعيل بمعنى المفعول يعني: أنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح

إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأنني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾، علامة، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، تصدق قولي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل [من ذلك الآيات] دلّ على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما هي؟ قال: ﴿آيَةٌ﴾، قرأ نافع بكسر الألف على الاستثنا، وقرأ الباقون بالفتح على معنى بآتي ﴿أَتْلُوهُ﴾، أي: أصوّر وأقدر، ﴿لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، قرأ أبو جعفر «كهية» الطير، ههنا وفي المائدة، والهيئة الصورة الهيئة من قولهم: هيئة الشيء إذا قدرته وأصلحته، ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾، أي: في الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا يَلْذَنُ لِلَّهِ﴾، قراءة الأكثرين بالجمع، [لأنه خلق طيراً كثيراً]، وقرأ أهل المدينة ويعقوب «فيكون طائراً» على الواحد ههنا وفي سورة المائدة، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خصّ الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً لأن لها ثدياً وأسناناً، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليمتيز فعل الخلق من فعل الخالق [تعالى]، وليعلم أن الكمال لله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ وَالْأَنْبِيَاءَ﴾، أي: أشفيهما وأصححهما، واختلفوا في الأكمة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال

عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ﴿وَالْأَنْبِيَاءَ﴾ هو الذي به وضح، وإنما خصّ هذين لأنهما داءان عياءان وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، [فأراهم الله المعجزة] من جنس ذلك، قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق مشى إليه عيسى، وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا آتُونَا بِذُنُوبِكُمْ﴾، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره [فدعا الله تعالى فقام عازر وودّكه يقطر فخرج من قبره] وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مرّ به ميتاً على عيسى عليه السلام على سريره يحمل، فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل على أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلاً يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس فدعا الله عزّ وجلّ [بإسمه الأعظم] فأحياها الله تعالى، وبقيت بعد ذلك زمناً وولد لها، وأما سام بن نوح عليه السلام،

فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة، [وقيل: خوفاً من خروج روحه ثانياً فيحصل له ما حصل أولاً من سكرات الموت]، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال [عيسى]: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مت، قال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْكُمْ﴾ أخبركم، ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾، مما لم أعينته، ﴿وَمَا تَنْتَضِرُونَ﴾، ترفعونه، ﴿فِي يَوْمِكُمْ﴾، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما اذخره للعشاء.

وقال السدي: كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا، فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى عليه السلام، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا، فقال: فما في هذا البيت قالوا خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوها عنهم فإذا هم خنازير، ففشا ذلك في بني إسرائيل فهتّت به بنو إسرائيل، فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة عنهم إلى أهل مصر، وقال قتادة: إنما كان هذا

في المائدة، وكانت خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى، وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبتوا للغد فخانوا وخبؤوا، فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما اذخروا منها، فمسخهم الله خنازير. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَمَرَيْنَا﴾ عطف على قوله ﴿وَرَسُولًا﴾، ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ يَدِي مِنَ التَّوْرَةِ وَإِذْ لَعَنَّا بَعْضَ الَّذِينَ حَرَمَ عَلَيْكُمْ﴾، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حرم عليكم، وقد ذكر البعض ويراد به الكل؛ كقول لبيد:

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا
أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَمَامَهَا
يعني: كل النفوس.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْتَكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿٥١﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾، أي: وجد، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي: كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة فنفثه بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو

وأمه يسبحان في الأرض، فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك المدينة جبار متعد فجاء ذلك الرجل يوماً مغتماً حزناً فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً، قالت: لا تسأليني، قالت: أخبريني لعل الله يفرج كربته، قالت: إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا يوماً أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة، قالت: فقولي له لا تهتم فإنني أمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك، فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك، فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شر، قالت: فلا تبال فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، قال عيسى عليه السلام: فقولي له إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني، ففعل ذلك، فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحوّل ماء القدور مرقاً ولحماً وماء الخوابي خمراً لم يزر الناس مثله قط، فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال: من أين هذا الخمر؟ قال: من أرض كذا، قال الملك فإن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى، فلما خلط على الملك واشتد عليه، قال: فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وأنه دعا الله فجعل الماء خمراً، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحب الخلق إليه، فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمراً ليجاء

به إليّ حتى يُحيي ابني، فدعا عيسى فكلمه في ذلك، فقال عيسى: لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر، قال الملك: لا أبالي أليس أراه حياً؟ فقال عيسى: إن أحبيته تتركوني وأمي نذهب حيث نشاء؟ قال: نعم، فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته فدعا عاش تبادروا إلى السلاح، وقالوا: أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه، فياكلنا كما أكل أبوه، فافتتلوا وذهب عيسى وأمّه فمزم بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نصطاد السمك، قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: ومن أنت؟ قال: عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله، ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، فأمنوا به وانطلقوا معه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى، تقول العرب: الذود إلى الذود إبل، أي: مع الذود؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَى﴾، بمعنى في، أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله وسبيله، وقيل: ﴿إِلَى﴾ في موضعه معناه: من يضم نصرته إلى نصرة الله لي، واختلّفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سُمّوا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين، وقال الحسن: كانوا قصارين، سُمّوا بذلك لأنهم كانوا يُحوّرون الثياب، أي:

رَبَّنَا ءَاثِمًا كَمَا أَزَلْتُمْ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَمَا كُنْتُمْ مَعَهُ
 أَكْثَرِيذِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
 السَّكِينِينَ ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَارْفُكُ
 إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
 قَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَتْرًا إِنَّ مَرْجِعَهُمْ
 فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا اختلفْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
 كَفَرُوا فَأَعْدَيْتَهُمْ عَذَابًا مُّشْتَدًّا فِي الَّذِينَ كَفَرُوا الْأَخْيَارَ وَمَا
 لَهُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَلِمَاتُ
 الْأَصْلِحِينَ فَبُيُوعُهُمْ أَجْرُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُعْطِي الضَّالِّينَ ﴿٦٠﴾
 ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦١﴾ إِنَّ
 مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّي
 رَبِّي كُنْ نَبِيًّا فَكُنَ ﴿٦٢﴾ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرُ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴿٦٣﴾
 فَمَنْ جَاءَكَ فَبِعَلِّمْهُ مِنْ بَدَمَ مَآءٍ ءَاةٍ مِنَ الْغُلَامِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَتْلُوكَ
 آيَاتِنَا نَا وَآيَاتِنَا كُرْ وَنَسَاءَنَا وَأَنْتَ سَاءُكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ
 تُرْتَابُنَّ هَلْ فَتَجْعَلُ لِنُفْسِنَا اللَّهُ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦٤﴾

وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلاً، قال روح بن القاسم: سألت قتادة عن الحواريين، قال: هم الذين تصلح لهم الخلافة، وعنه أيضاً أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا

أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، يقول:

ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً، وحوارتي الزبير».

قال سفيان: الحواري: الناصر.

وقال معمر: قال قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزمة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين، «قال الحواريون نحن

يبيضونها، وقال عطاء: أسلمت مريم عيسى عليه السلام إلى أعمال شتى، فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قضايرين وصباغين، فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب كثيرة، لتصبغ على ألوان شتى، وعرض له سفر فقال لعيسى: إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام، وهذه ثياب مختلفة الألوان وقد علمت كل واحد بخيط على اللون الذي يصبغ به، فيجب أن تكون فارغاً منها وقت قدومي، وخرج فطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد وأدخل جميع الثياب فيه، وقال: كوني بإذن الله على ما أريد منك، فقدم الحواري والثياب كلها في الجب، فقال: ما فعلت؟ فقال: فرغت منها، قال: أين هي؟ قال: في الجب، قال: كلها؟ قال: نعم، قال: لقد أفسدت تلك الثياب، قال: قم فانظر، فأخرج عيسى ثوباً أحمر وثوباً أصفر وثوباً أخضر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها [ذلك الحواري]، فجعل الحواري يتعجب فعلم أن ذلك من الله [تعالى]، فقال للناس: تعالوا فانظروا، فأمن به هو وأصحابه، فهم الحواريون، وقال الضحاك: سُموا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال ابن المبارك: سُموا إما عليهم من أثر العبادة وثورها، وأصل الحور عند العرب: شدة البياض، [يقال: رجل أحور وامرأة حوراء، أي: شديدة بياض العين]، وقال الكلبي وعكرمة: الحواريون هم الأصفياء،

أَصْحَارُ اللَّهِ ﴿٥٦﴾، أعوان دين الله ورسوله، «آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ»، يا عيسى، «بِأَنَّا سُلِّمْتُكُمْ».

﴿٥٦﴾ رَبَّنَا ءَاثِمًا كَمَا أَزَلْتُمْ، من كتابك، «وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ»، عيسى، «فَمَا كُنْتُمْ مَعَهُ أَكْثَرِيذِينَ»، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وقال عطاء: مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ.

﴿٥٧﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُؤًا﴾، يعني: كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر، دبوا في قتل عيسى عليه السلام، [وذلك أن عيسى] بعد إخراج قومه [إياه] وأمته [من بينهم] عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله

وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكَرِينَ ﴾، فالمكر من المخلوقين الخبث والخبديعة والحيلة، ومن الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال: ﴿ سَتَجِدُنَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال الزجاج: مكر الله عز وجل مجازاته على مكرهم، فسُمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته؛ كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قُتل، قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم، ولعنهم فمسخهم الله خنازير، فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وأميرهم، فزع لذلك وخاف دعوته، فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام، [فثاروا إليه] ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له: ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل غرفته لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يُقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه

السلام، فلما خرج [عليهم] ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه، قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا [له] خشبة ليصلبوه [عليها]، فأظلمت الأرض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحذكم قبل أن يصبح الديك ويبيعني بدرهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه، ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى، فرفع عيسى، وأخذ الذي دلهم عليه، فقال: أنا الذي دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى، فلما صُلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما: علام تبكيان إن الله قد رفعني ولم يصنبي إلا خيراً، وإن هذا شيء شبه لهم، فلما كان بعد سبعة أيام [من فعلهم]، قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية - اسم موضع في جبلها - فإنه لم يبك [عليك] أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، ثم ليجتمع لك الحواريون فيثبهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجمعت له الحواريون فيثبهم في

﴿ ٥٥ ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ عَلَيْكَ وَرَأْفِكَ إِنَّكَ مِنْ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٥﴾، اختلفوا في معنى التوفى ههنا، قال الحسن

والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك من الدنيا إليّ من غير موت، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ تَوْفِيقِي﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصّروا بعد رفعه [إلى السماء] لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إليّ وأفياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت وكذا واستوفيته إذا أخذته تاماً، والآخر: إني متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلّمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكل ذي عين نائم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه إني منومك ورافعك إليّ؛ كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أي: يُنمِّكُم بِاللَّيْلِ، وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى عن علي بن [أبي] طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ معناه: إني مميتك يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب [بن منبه]: توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعهم إليه، والآخر: ما قاله الضحاك وجماعة: أنّ في هذه الآية تقدماً وتأخيراً معناه: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ [أنه] قال: «والذي نفس محمد بيده لئوشككن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد».

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «يهلك [الله] في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلّي عليه المسلمون».

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال: نعم، قوله: ﴿كَلِمَاتٍ﴾ وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه «وكهلاء» بعد نزوله من السماء؟ قوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: مُخْرَجَكُم مِّنْ بَيْنِهِمْ وَمُنْجِيَكُم مِّنْهُمْ، ﴿وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه [في التوحيد من أمة محمد ﷺ]، فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة، وقال الضحاك: يعني

الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل هم الروم، وقيل: أراد بهم النصارى، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع [في الآية] بمعنى الإذعاء والمحبة، لا اتباع الدين، ﴿سَأَلْنَا رَبَّنَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْآخِرَةِ﴾، ﴿فَاتَّخَذْنَا مِنْكُمْ بَيْنَكُمْ وَمِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَحَلُفُونَ﴾، من أمر الدين وأمر عيسى. ﴿عَلَّمَهَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْتَدِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي والجزية والذلة، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، أي: في الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ مِّن تَعْمِيرٍ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، قرأ الحسن وحفص بالياء، والباقون بالنون، أي: نوفي أجور أعمالهم، ﴿وَأَنَّ لَهُمْ لَآ يُعْطَى الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يرحم الكافرين ولا يشني عليهم بالجميل.

﴿ذَلِكَ﴾، أي: هذا الذي ذكرت من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿تَتَلَوْنَهُ عَلَيْكَ﴾، يعني: نخبرك به وبتلاوة جبريل عليك، ﴿مِنَ آيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، يعني: القرآن [و] الذكر ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي: المحكم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات، أي: من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارىء

كتاب [الله] أو من يُوحى إليه وأنت أُمِّي لا تقرأ.

﴿٥٩﴾ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ** الآية

نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: «وما أقول؟» قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ أنزل الله تعالى هذه الآية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾، فسي كونه خلقه من غير أب وأم، ﴿خَلَقُهُ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ﴾، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿خَلَقُهُ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً، أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس: هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

﴿٦٠﴾ قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، [أي: هو الحق]، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته.

﴿٦١﴾ قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ

فِيهِ﴾، أي: جادلَكَ في أمر عيسى أو في الحق، ﴿مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾، بأن عيسى عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ مَا تَوَلَّوْا﴾، وأصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، قال الفراء: بمعنى تعال كأنه يقول: ارتفع، ﴿وَتَنَجَّ﴾، جزم على جواب الأمر، وعلامة الجزم سقوط الواو، ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُرَيْشٍ وَأَبْنَاءَ نِسَاءِكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: أبناءنا أراد الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعلياً رضي الله عنه، والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، يُريد إخوانكم، وقيل: هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ثُمَّ نَبَّهَلْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي نتضرع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن، والابتهاال: الألتعان، يقال عليه بهلة الله، أي: لعنته، ﴿فَتَمَكَّمَلْتُ لَكُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، مثا ومثكم في أمر عيسى.

فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فخلا بعضهم ببعض فقالوا: للعاقب وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل والله ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم ذلك لتهلكن

[عن آخركم]، فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا رسول الله ﷺ محتضناً للحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها، وهو يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمثروا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنني لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبهتلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض منكم نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونثبت على ديننا، فقال رسول الله ﷺ: «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم»، فأبوا فقال: «فإني أنابذكم [بالحرب]»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا [على] أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألفاً في صفر وألفاً في رجب، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال: «والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولا يضطرم عليهم الوادي ناراً ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

﴿٦٢﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْفَبُصُ الْحَقِّ﴾: النبا الحق، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾، [و] ﴿وَمِنْ﴾ صلة تقديره:

وَمَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَرَبُّكَ اللَّهُ لَهُ
الْعَرْشُ الْعَظِيمُ﴾.
﴿٦٣﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، عرضوا عن
الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْرِدِينَ﴾،
الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس
إلى عبادة غير الله.
﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ يَتَّهَلُّوا أَلْحَنِيبَ تَمَّالُوا إِلَىٰ
كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةَ،
قال المفسرون: قدم وفد نجران
المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا
في إبراهيم عليه السلام فزعمت
النصارى أنه كان نصرانياً وهم على
دينه، وأولى الناس به، وزعمت
اليهود: أنه كان يهودياً وهم على دينه
وأولى الناس به، فقال لهم
رسول الله ﷺ: «كَيْلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ
مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، بَلْ كَانَ [إِبْرَاهِيمَ]
حَنِيفاً مُسْلِماً وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ وَأَوْلَىٰ
النَّاسِ بِهِ، فَاتَّبِعُوا دِينَهُ دِينَ الْإِسْلَامِ،
[فَقَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ مَا تَرِيدُ إِلَّا
أَنْ تَتَّخِذَ رِيأً كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى
عِيسَى رِيأً؟] وَقَالَتِ النَّصَارَى: يَا
مُحَمَّدُ مَا تَرِيدُ إِلَّا أَنْ نَقُولَ فَيْكَ مَا
قَالَتِ الْيَهُودُ فِي عَزِيرٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّهَلُّوا أَلْحَنِيبَ تَمَّالُوا إِلَىٰ
كَلِمَةٍ﴾.
والعربُ تُسَمِّي كُلَّ قِصَّةٍ لَهَا شَرْحٌ
﴿كَلِمَةٍ﴾ ومنه سَمِيَتِ الْقِصِيدَةُ
كَلِمَةً ﴿سَوَّامٍ﴾ عدل بيننا وبينكم
مستوية أي أمر مُسْتَوٍ، يقال دعا فلان
إلى السواء، أي إلى الصِّفَةِ، وسواء
كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى:
﴿فَرَأَيْتُمْ فِي سَوَّاهِ الْجَبَابِرِ﴾ [الصافات:
٥٥]، وإنما قيل: للخصم سواء لأن
أعدل الأمور وأفضلها أوسطها،
سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر،

والمصادر لاتثنى ولا
تجمع ولا توثق، فإذا
فُتحت السين مددت، وإذا
كُسرت أو ضُمَّت
قُصرت؛ كقوله تعالى:
﴿مَكَانًا سَوِيًّا﴾ [طه: ٥٨]،
ثم فسر الكلمة فقال:
﴿أَلَّا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾،
ومحل ﴿أَلَّا﴾ رفع على
إضمار هي، وقال
الزجاج: رفع بالابتداء،
وقيل: محله نصب بنزع
حرف الصلة، معناه بأن لا
نعبد إلا الله، وقيل: محله
خفض بدلاً من الكلمة؛
أي: تعالوا إلى أن لا

نعبد الله، ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾، كما فعلت اليهود والنصارى،
قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ
رُؤُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
[التوبة: ٣١]، وقال عكرمة: هو
سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد
لغير الله، وقيل: معناه لا نطيع أحداً
في معصية الله، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا﴾، أي: فقولوا أنتم [يا أمة
محمد ﷺ] لهم: اشهدوا ﴿يَا أَيُّهَا
مُسْلِمُونَ﴾ مُخْلِصُونَ بِالتَّوْحِيدِ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله
التميمي أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا
أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا
شعيب عن الزهري أخبرنا
محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن
عتبة بن مسعود أن عبدالله بن

عباس رضي الله عنهما أخبره:

أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن
هرقل أرسل إليه في ركب من قرش،
وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان
رسول الله ﷺ عاهد فيها أبا سفيان
وكفار قرش فأتوه وهو بإيليا فدعاهم
في مجلسه، وحوله عظمة الروم ثم
دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي يعث
به دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم
بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل
عظيم الروم سلامٌ على من أتبع الهدى
أما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام
أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين
فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسين
﴿قُلْ يَتَّهَلُّوا أَلْحَنِيبَ تَمَّالُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ
سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةَ﴾ وَلَا
تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

أَنْبِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ .

﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلِ
الْحَكِيمُ لِمَ تَعَاوَنْتَ فِي إِدْرَاهِيمَ﴾
تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما
دينكم اليهودية والنصرانية وقد
حدثت اليهودية بعد نزول التوراة،
والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِهَا﴾، أي: وإنما أنزلت التوراة
والإنجيل بعد إبراهيم بزمان طويل
وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة
وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿هَكَانُمْ﴾ بتلين
الهمزة، حيث كان مدني، وأبو
عمرو والباقون بالهمزة واختلفوا في
أصله، فقال بعضهم: أصله أنتم،
وهاء تنبيه، وقال الأخفش: أصله
أنتم، فقلبت الهمزة الأولى هاء
كقولهم: هزقت الماء وأزقت،
﴿هَكَانُمْ﴾ أصله أولاء دخلت عليه
هاء التنبيه، وهو في موضع النداء
يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿حَاجِجْتُمْ﴾
[جادلتم] ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾،
يعني: في أمر موسى وعيسى،
وإذ عيتم أنكم على دينهما، وقد
أنزلت التوراة والإنجيل عليكم ﴿فَلِمَ
تُعَاوَنُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾،
وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو
نصرانياً، وقيل: حاججتم فيما لكم
به علم، يعني: في أمر محمد ﷺ،
لأنهم وجدوا نعتة في كتابهم،
فجادلوا فيه بالباطل، فلم تُحاججون
في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا

عِلْمٌ لَكُمْ بِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَنْشُرَ لَا
تَعْقِلُونَ﴾، ثم برأ الله تعالى إبراهيم
بما قالوا، فقال:

﴿٦٧﴾ ﴿مَا كَانَ إِدْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا
نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والحنيف المائل
عن الأديان [كلها] إلى الدين
المستقيم، وقيل: الحنيف الذي
يُؤَخِّدُ وَيُحْجُ وَيُضْحِي وَيُخْتَنُّ
ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان
وأحبها إلى الله عز وجل.

﴿٦٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لَكُلِّبْنَا نَعْبُوهُ﴾، أي: من أتبعه
في زمانه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، يعني:
محمد ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾،
يعني: من هذه الأمة، ﴿وَاللَّهُ وَكَوَّ
الْمُؤْمِنِينَ﴾.

روى الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس، ورواه محمد بن إسحاق
عن ابن شهاب بإسناد حديث هجرة
الحيشة: لما هاجر جعفر بن أبي
طالب رضي الله عنه وأناس من
أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحيشة
واستقرت بهم الدار وهاجر النبي ﷺ
إلى المدينة، وكان من أمر بدر ما
كان، اجتمعت قريش في دار الندوة،
وقالوا: إن لنا في الذين هم عند
النجاشي من أصحاب محمد ﷺ ثأراً
ممن قتل منكم ببدر، فاجمعوا مالاً
واهدهوا إلى النجاشي لعله يدفع
إليكم من عنده من قومكم، ولينتدب
ذلك رجلان من ذوي رأيكم، فبعثوا
عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد
مع الهدايا الأدم وغيره، فركبا البحر

وأتيا الحيشة، فلما دخلا على
النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا
له: إن قومنا لك ناصحون شاكرون
ولصالحك محبتون، وإنهم بعثونا
إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا
عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج
فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه
أحد منا إلا السفهاء وإنما كنا قد
ضيقنا عليهم الأمر والجأناهم إلى
شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد
ولا يخرج منهم أحد [قد قتلهم]
الجوع والعطش، فلما اشتد عليهم
الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد
عليك دينك وملكك ورعيتك،
فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيهم،
وقالوا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا
عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك
بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة
عن دينك وستتلك، قال: فدعاهم
النجاشي، فلما حضروا صاح جعفر
بالباب يستأذن عليك حزب الله،
فقال النجاشي: مُرُوا هَذَا الصَّاحِ
فليُعِدَّ كلامه، ففعل جعفر، فقال
النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله
وذمته، فنظر عمرو بن العاص إلى
صاحبه وقال: ألا تسمع كيف
يُرْطُونُ بحزب الله، وما أجابهم به
النجاشي، فساءهما ذلك، ثم دخلوا
عليهم فلم يسجدوا له، فقال
عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم
يستكبرون أن يسجدوا لك، فقال
لهم النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا
إليّ وتحينوني بالتحية التي يُحييني بها
من أتاني من الآفاق؟ قالوا:
نسجد لله الذي خلقك وملأكك،

وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبدا الأوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام، تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل، قال: أيكم الهاتف ليستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: فتكلم، قال: إنك ملكٌ من ملوك أهل الأرض، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أُجيب عن أصحابي، فمُرْ هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر، فتسمع محاورتنا، فقال عمرو لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار، فإن كنا عبيداً أبقتنا من أربابنا فازدنا إليهم، فقال النجاشي: أعبيد هم أم أحرار؟ فقال عمرو: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية، ثم قال جعفر: سلهما هل أهرقتا دماً بغير حق فيقتص منا؟ قال النجاشي: إن كان قنطاراً فعليّ قضاؤه، فقال عمرو: لا ولا قيراطاً، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد، على دين آبائنا فتركوا ذلك وابتغوا غيره، فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه [وتركتموه] والدين الذي اتبعتموه اصدقني؟ فقال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله

ونعبدا الحجارة، وأما [الدين] الذي تحولنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى ابن مريم، موافقاً له، فقال النجاشي: يا جعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك، ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده، قال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبياً مرسلأ، فقالوا: اللهم نعم قد بشرنا به عيسى، وقال: من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي، فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟ قال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم، ويرّ اليتيم، ويأمرنا بأن نعبدا الله وحده لا شريك له، فقال: اقرأ عليّ [شيئاً] مما يقرأ عليكم، فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع، وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليهم سورة الكهف، فأراد عمرو أن يُغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ جعفر عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفسه من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون مثل هذا، ثم

أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - يقول: آمنون - من سيكم أو أذاكم غُزِم، ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا دهُورَة اليوم على حزب إبراهيم، قال عمرو: [يا نجاشي] ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن تبعهم، فأنكر ذلك المشركون وادّعوا [في] دين إبراهيم، ثم ردّ النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه، وقال: إنما هديتكم إليّ رشوة فاقبضوها، فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة، قال جعفر: فانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار، وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصوصتهم في إبراهيم، وهو بالمدينة ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَوَعَدْنَا النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَكَوْنُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ﴾، أي: تمت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿لَوْ يُبْلِغُكَ﴾ [يستزليونكم] عن دينكم ويردونكم إلى الكفر، ﴿وَمَا يُبْلِغُكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٧٠﴾ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾، أن نعته في التوراة والإنجيل مذكور.

يَتَّاهِلَ الْكُتَيْبَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ ءَايَاتُ
الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى الذِّكْرِ ءَأَمَّنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
لَعْنَتِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ وَيَتَكَلَّمُونَ
أَلْفَهُنَّ هُدًى اللَّهُ أَنْ يُؤَيِّدَ أَحَدًا بِشَيْءٍ مَّا أَوْتَيْتُمْ وَأَنْتُمْ تَحْكُمُونَ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْأَعْلَى ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكُتَيْبِ مَنَ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَطَارِ
يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَيَنْهَرُهُ مَنَ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا
مَادَمَتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُوتِ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذُوبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلْ مِنْ أَوْفٍ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَا نَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْكُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيَّمَّنْتُمْ ثَمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا
خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

٥٩

فعلتم ذلك شك أصحابه
في دينهم واتهموه. وقالوا
إنهم أهل كتاب وهم أعلم
به مئاً؛ فيرجعون عن
دينهم.

وقال مجاهد ومقاتل
والكلبي: هذا في شأن
القبلة لما صُرفت إلى
الكعبة شق ذلك على
اليهود، فقال كعب بن
الأسرف لأصحابه: آمنوا
بالذي أنزل على محمد
من أمر الكعبة وصلوا إليها
أول النهار، ثم اكفروا
وارجعوا إلى قبلتكم آخر
النهار لعلهم يقولون:

هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم،
فيرجعون إلى قبلتنا، فأطلع الله تعالى
رسوله على سزهم، وأنزل: ﴿رَبِّ
طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ ءَايَاتُ
عَلَى الذِّكْرِ ءَأَمَّنُوا وَجِهَ النَّهَارِ﴾، أوله
سُمِّيَ وجهاً لأنه أحسنه وأول ما
يواجه الناظر فيراه، ﴿الذِّكْرُ ءَأَمَّنُوا﴾،
[عند غروب الشمس]، ﴿لَعْنَتُهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾، فيشكرون ويرجعون عن
دينهم.

﴿٧١﴾ ﴿وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ
وَيَتَكَلَّمُونَ﴾، هذا متصل بالأول من قول
اليهود بعضهم لبعض، ولا تؤمنوا،
أي: ولا تصدقوا إلا لمن تبع
دينكم، أي: وافق ملتكم، واللام
في ﴿لِمَنْ﴾ صلة، أي: لا تصدقوا
إلا من تبع دينكم اليهودية؛ كقوله
تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدُّكُمْ
[النمل: ٧٢]، أي: ردفكم. قُلْ إِنَّ
أَلْفَهُنَّ هُدًى اللَّهُ﴾، هذا خبر من الله

تعالى أن البيان بيانه، ثم اختلفوا فيه
فمنهم من قال: هذا كلام معترض
بين كلامين وما بعده متصل بالكلام
الأول إخبار عن قول اليهود بعضهم
لبعض، ومعناه: ولا تؤمنوا إلا لمن
تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى
أحدكم مثل ما أوتيتم من العلم
والكتاب والحكمة والآيات من المن
والسلوى وخلق البحر وغيرها من
الكرامات، ولا تؤمنوا أن يحاجوكم
عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم،
وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن
اليهود قالت لسفلتهم: ولا تؤمنوا إلا
لمن تبع دينكم، ﴿أَنْ يُؤَيِّدَ أَحَدًا بِشَيْءٍ
مَّا أَوْتَيْتُمْ﴾ من العلم، أي: لئلا
يؤتى أحد، و «لا» فيه مضمرة؛
كقوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٌ لِّكُم أَنْ
تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: لئلا
تضلوا، يقول: لا تصدقوهم لئلا
يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم
الفضل عليهم في العلم، ولئلا
يحاجوكم عند ربكم فيقولوا: عرفتم
أن ديننا حق، وهذا معنى قول ابن
جريج، وقرأ الحسن والأعمش «إن
يؤتى» بكسر الألف، فيكون قول
اليهود تائماً عند قوله: إلا لمن تبع
دينكم، وما بعده من قول الله
تعالى، يقول: قل يا محمد ﴿إِنَّ
أَلْفَهُنَّ هُدًى اللَّهُ أَنْ يُؤَيِّدَ﴾ إن بمعنى:
البحر، أي: ما يؤتى أحد مثل ما
أوتيتم يا أمة محمد ﷺ، ﴿أَوْ يَحَاجِبُكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، يعني: إلا أن يجادلكم
اليهود بالباطل فيقولوا: نحن أفضل
منكم، فقوله عز وجل: ﴿عِنْدَ
رَبِّكُمْ﴾، أي: عند فعل ربكم بكم
ذلك، وهذا معنى قول سعيد بن

﴿٧١﴾ ﴿يَتَّاهِلَ الْكُتَيْبَ لِمَ تَلْبِسُونَ
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ تُخَلِطُونَ الإسلام
باليهودية والنصرانية، وقيل: لم
تخلطون الإيمان بعيسى عليه السلام
وهو الحق، بالكفر بمحمد ﷺ،
وهو الباطل؟ وقيل: لِمَ تَخَلِطُونَ
التوراة التي أنزلت على موسى
بالباطل الذي حرقتموه وكتبتموه
بأيديكم، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَكْتُمُونَ﴾ أن محمداً ﷺ ودينه حق.

﴿٧٢﴾ ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكُتَيْبِ ءَايَاتُ﴾ الآية، قال الحسن
وقتادة والسدي: تواطأ اثنا عشر خيراً
من يهود خيبر وقرى عيينة، وقال
بعضهم لبعض: ادخلوا في دين
محمد ﷺ أول النهار باللسان دون
الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار،
وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمد ﷺ ليس هو
بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه، فإذا

جبير والحسن والكلبي ومقاتل . وقال الفراء: ويجوز أن يكون ﴿أَزْرَ﴾ بمعنى حتى؛ كما يُقال: تعلق به أو يُعطيك حَقك، ومعنى الآية: ما أعطي أحدٌ مثل ما أعطيتُم يا أمة محمد من الدين والحجّة حتى يحاجوكم عند ربكم! وقرأ ابن كثير ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ بالمدّ على الاستفهام، وحيثُذ يكون فيه اختصار تقديره: أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع، قالوا: هذا من قول الله تعالى، يقول: قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً حسدتموه وكفرتم به، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قوله: ﴿أَزْرَ﴾ على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون ﴿أَزْرَ﴾ بمعنى «أن»، لأنهما حرفاً شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر، أي: وإن يُحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم يا معشر المؤمنين حسدوكم، فقل: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾، وإن حاجوكم، فقل: ﴿إِنَّ الْهَيْدَى هُدَى اللَّهِ﴾، ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله: ﴿لَمَلَهُمْ يَتِيمُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في

دينهم، يقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم من الدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك، فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يُؤْتيه من يشاء والله واسع عليم، فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبس اليهود لئلا يرتابوا.

﴿٧٤﴾ قوله: ﴿يَعْتَصِرَ بِرَحْمَتِي﴾، أي: بنسبته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَارِ يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقتار عبارة عن المال القليل، يقول منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَارِ يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾، هم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَدِينَارٍ لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾، يعني: كفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جوبير عن الضحاک عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَارِ يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾، يعني: عبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأذاها إليه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَدِينَارٍ لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾، يعني: فنحاص بن عازر وراه، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانته ولم يؤده إليه،

قوله: ﴿يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة ﴿يُؤْذِيهِ﴾، و﴿لَا يُؤْذِيهِ﴾ و﴿وَنُصَلِّهِ﴾، و﴿نُؤْتِيهِ﴾ ﴿نُؤْلُهُ﴾ ساكنة الهاء، وقرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاف كسراً، والباقون بالإشباع كسراً، فمن سكن الهاء قال لأنها وضعت في موضع الجزم وهو الياء الذاهية، ومن اختلس فافتنى بالكسرة عن الياء، ومن أشبع فعلى الأصل، لأن الأصل في الهاء الإشباع، ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، قال ابن عباس مُلِحَاءً يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاک: مواظباً أي تواظب عليه بالاعتناء، وقيل: أراد [إن] أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رذة إليك، فإن فارقه وأخرته أنكروه ولم يؤدوه، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ﴾، أي: في مال العرب إثم وخرج؛ كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغضبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم، وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادعوا

أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبهم الله عز وجل، وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذُوبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال ردّاً عليهم:

﴿بَلَى﴾، أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتداء فقال: ﴿مَنْ أَوْقَى﴾ أي: ولكن من أوفى، ﴿بِعَهْدِهِ﴾، أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفى ﴿وَأَتَقَى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن عمر.

أن النبي ﷺ قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلةٌ منهنّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ بِمَهْدِ يَمِّهِ اللَّهِ وَأَيِّمَنُوا بِمَهْدِ اللَّهِ﴾﴾، قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المآكل والرّشا التي كانت لهم من أتباعهم.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبدالله قال:

قال رسول الله ﷺ: «من حلف علي يمينٍ صَبْرٍ يقطع بها مالَ امرئٍ مسلمٍ لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَأَيِّمَنُوا بِمَهْدِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، فدخل الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ فقالوا: كذا وكذا، فقال: في أنزلت كانت لي بثر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فحدثته، فقال: «بينتك أو يمينه»، قلت: إذا يحلف عليها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين صَبْرٍ وهو فيها فاجرٌ يقطع بها مالَ امرئٍ مسلمٍ لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر، عن أبيه قال:

جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ، فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرضٍ لي كانت لأبي،

فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال النبي ﷺ للحضرمي: «ألك بينة؟» قال: لا، قال: «فلك يمينه»، قال: يا رسول الله إن الرجل فاجرٌ لا يبالي على ما يحلف عليه، قال: «ليس لك منه إلا ذلك»، فانطلق ليحلف، فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: «أما لئن حلفَ على ماله لياكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه مُعْرِضٌ».

ورواه عبدالملك بن عمير عن علقمة، وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عُبدان، وروى [أنه] لما هم أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف. وأقر لخصمه بحقه ودفعه إليه.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي (أبو إسحاق الهاشمي)، أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبدالرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبدالله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة:

أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار»، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك»، قالها ثلاث مرات.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِحَسْبِهِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا نَسُوا الْكِتَابَ
 وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ
 وَالنَّاسِيَةَ أَوْلِيَاءَ أُولَئِكَ يَكْفُرُ بِعِدَائِكُمْ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
 وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابِ
 وَحْيِكُمْ ثَمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ فِيمَا عَصَيْتُمْ لِيُؤْتِنَا
 بِهِ. وَتَضَمَّرْتُمْ قَالُوهُ أَقْرَبُ رَبًّا وَأَعَدْتُمْ لَهُنَّ ذَلِكُمْ إِسْرِي
 قَالُوا أَقْرَبُنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا بِأَنَّا مُّسْلِمُونَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
 فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾
 أَفَعَدَّ رَبِّي لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْوَعْدِ وَأَنَّهُمْ سَوَاءٌ
 فِي السَّعَاتِ ﴿٨٣﴾ وَالْأَرْضُ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِذْ يُرْجَمُونَ ﴿٨٤﴾

مدرات، فقال أبو ذر:
 خابوا وخسروا من هم
 يا رسول الله؟ قال:
 «المُسْبِل والمَتَّان والمنفق
 سلعته بالحلِف الكاذب»،
 في رواية: «المسبِل
 إزاره».

أخبرنا الإمام أبو علي
 الحسين بن محمد القاضي
 أنا أسيد أبو الحسن
 محمد بن الحسين
 العلوي، أنا أبو نصر
 محمد بن حمدويه
 المروزي أنا سفيان بن
 عيينة عن عمرو بن دينار
 عن أبي صالح عن أبي
 هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا
 يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر
 إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم،
 رجل حلف يمينا على مال مسلم
 فاقتطعه، ورجل حلف على يمين
 كاذبة بعد صلاة العصر أنه أعطي
 بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب،
 ورجل منع فضل ماله، فإن الله
 [سبحانه] وتعالى يقول: اليوم أمنعك
 فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل
 يدك».

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِحَسْبِهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: من أهل الكتاب
 ﴿لَفَرِيقًا﴾، أي: طائفة، وهم
 كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف
 وحي بن أخطب وأبو ياسر
 وشعبة بن عمرو الشاعر، ﴿يَلُونُ
 أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾، أي: يعطفون
 ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما

محمد أنا هشيم بن محمد أنا
 العوام بن حوشب عن إبراهيم بن
 عبدالرحمن عن عبدالله بن أبي
 أوفى:

أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سَلْعَةً وَهُوَ فِي
 السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مَا
 لَمْ يَعْطُ، لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ، فَزَلَّتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
 بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾،
 أي: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أراد
 الأمانة، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ الكاذبة ﴿ثَمَنًا
 قَلِيلًا﴾، أي: شيئاً قليلاً من حطام
 الدنيا، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾، لا
 نصيب لهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ونعيمها،
 ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾، كلاماً ينفعهم
 ويُسرهم، وقيل: هو بمعنى
 الغضب، كما يقول الرجل: إني لا
 أكلم فلاناً إذا كان غضب عليه، ﴿وَلَا
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: لا
 يرحمهم ولا يُحسن إليهم ولا يُبليهم
 خيراً، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا
 يُثني عليهم بالجميل ولا يُطهرهم من
 الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا
 عبدالغفار بن محمد الفارسي، أنا
 محمد بن عيسى الجلودي أنا
 إبراهيم بن محمد أنا سفيان أنا
 مسلم بن الحجاج محمد بن جعفر
 عن شعبة عن علي بن مذك عن أبي
 زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر
 رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا
 يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر
 إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم»،
 قال: قرأها رسول الله ﷺ ثلاث

غيروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم
 وغير ذلك، يُقال: لَوَى لسانه عن
 كذا، إذا غيرته، ﴿يُحَسِّنُونَ﴾، أي:
 لتظنوا ما حرفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾،
 [أي]: الذي أنزله الله تعالى [على
 أنبيائه]، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
 وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾،
 عمداً، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كاذبون
 وأنهم هم المغيرون له من عند
 أنفسهم، وقال الضحاك عن ابن
 عباس: إن الآية نزلت في اليهود
 والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا
 التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله
 ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا نَسُوا الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن
 نصارى نجران كانوا يقولون: إن

عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾، يعني: عيسى ﴿أَنْ يُؤَيِّنَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾، أي: الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾، يعني: محمداً ﷺ ﴿أَنْ يُؤَيِّنَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾، أي: القرآن.

وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالا: يا محمد تريد أن نعبدك وتتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله، ما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾، أي: ما ينبغي لبشر؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَّكُمَ بِئَذًا﴾ [النور: ١٦]، أي: ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، يوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَنْ يُؤَيِّنَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْعَمَمَ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عز وجل، ﴿وَالشُّبُوهَ﴾، المنزلة الرفيعة بالأنبياء، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾، أي: ولكن يقولوا كُونُوا، ﴿رَبِّكُمْ﴾، واختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء علماء، وقال سعيد بن جبیر: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: فقهاء مُعَلِّمِينَ، وقيل: الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: حكماء علماء نُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالماً

يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنبياء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأخبار، والأخبار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس، قال المؤرج: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوية، كان في الأصل ربي، فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال المبرد: هم أرباب العلم سُموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربه يُربه، وأخذها: ربان كما قالوا: ربان وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضُمَّت إليه ياء النسبة، كما يقال: لحياني ورباني، وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو الذي يَرْبُ علمه بعلمه، قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة، ﴿يَمَا كُنْتُمْ﴾، أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْهَدَىٰ صَيِّئًا﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هوفي المهدي، ﴿تَمْلُؤُونَ الْكِتَابَ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي ﴿تَمْلُؤُونَ﴾ بالتشديد من التعليم، وقرأ الآخرون «تعلّمون» بالتخفيف من العلم؛ كقوله: ﴿وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، أي: تقرأون.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾، قرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: ثم يقول، فيكون مردوداً على البشر، أي: ولا

يأمر ذلك البشر، وقيل: على إضمار «أن»، أي: ولا أن يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقر بالرفع على الاستثناف، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ آذِينَ﴾، كفعل قريش والصابئين حيث قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعُزير ما قالوا، ﴿أَيُّكُمْ بِالْكَفَرِ بَدَأَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قاله على طريق التعجب والإنكار، يعني: ولا يقول هذا.

﴿وَلَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِي وَحِكْمَتِي﴾، قرأ حمزة ﴿لَمَّا﴾ بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الموصولة، ومعناه: إن الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخير، وقيل: بمعنى الجزاء، أي: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء، قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾.

قوله: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ قرأ نافع وأهل المدينة «آتيتكم» على التعظيم؛ كما قال: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، و﴿وَأَيَّتَهُ الْمَكَمَّ صَيِّئًا﴾ [مريم: ١٢]، وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾، واختلفوا في المعنى بهذه الآية: فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن

يُلْعَنُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَأَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَنْصُرَهُ إِنْ أَدْرَكَهُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِكْهُ أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِنَصْرَتِهِ إِنْ أَدْرَكَوهُ، فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّمَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أُرْسِلَ مِنْهُمْ النَّبِيُّينَ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، وَإِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَبْعُوثًا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ النَّبِيِّينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي بَنْدَةَ كَعَبٍ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فَارَادَ: أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَأْخُذُوا الْمِيثَاقَ إِلَى أُمَّمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، إِنْ أَدْرَكَوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَأُمَّمِهِمْ جَمِيعًا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَانْتَفَى بِذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ مَعَ الْمَتَّبِعِ عَهْدُ عَلَى الْإِتْبَاعِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا أَدَمَ فَمِنْ بَعْدِهِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ لِيُؤْمِنَ بِهِ، وَلِئِنْ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءَ لِيَنْصُرْتَهُ،

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ حِينَ اسْتَخْرَجَ الذَّرِيَّةَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ كَالْمَصَابِيحِ وَالشُّرُجِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿مَأْتِرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾، أَي: قَبِلْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ عَهْدِي، وَالْإِصْرُ: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، ﴿قَالُوا أَتَرْتُنَا قَالٌ﴾، اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أَي: فَاشْهَدُوا أَنْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعَلَىٰ أَتْبَاعِكُمْ، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاشْهَدُوا، أَي: فَاعْلَمُوا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ كِتَابَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ.

﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، الْإِقْرَارُ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الْعَاصُونَ الْخَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿أَفَقَرَّ دِينٌ﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَقَرَّ دِينٌ اللَّهُ يَبْتُغُونَ﴾، وَذَٰلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا فَادَّعَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاخْتَصَمُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءًا» مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَا نَرْضَىٰ بِقَضَائِكَ وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَقَرَّ دِينٌ اللَّهُ يَبْتُغُونَ﴾، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَحَفْصُ عَنْ عَاصِمٍ ﴿يَبْتُغُونَ﴾ بِالْبَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾، ﴿وَلَهُمْ أَسْمَاءٌ﴾: خَضَعُ

وَانْقَادَ، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فَالطَّوْعُ: الْإِنْتِقَادُ وَالْإِتْبَاعُ بِسَهُولَةٍ، وَالكَرْهُ: مَا كَانَ بِمَشَقَّةٍ وَإِبَاءٍ مِنَ النَّفْسِ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَسْلَمَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ طَوْعًا وَأَسْلَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ طَوْعًا وَبَعْضُهُمْ كَرْهًا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ وَالسَّبِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: طَوْعًا الْمُؤْمِنُ، وَكَرْهًا ذَٰلِكَ الْكَافِرُ، بِدَلِيلِ: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيَطْلَعُ لَهُمُ الْيَوْمَ وَالْآخِرَ﴾ [الرعد: ١٥]، وَقِيلَ: هَذَا يَوْمَ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قَالَ بَعْضُهُمْ: طَوْعًا، وَبَعْضُهُمْ: كَرْهًا، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمُؤْمِنُ أَسْلَمَ طَوْعًا فَنَفَعَهُ الْإِسْلَامُ، وَالْكَافِرُ أَسْلَمَ كَرْهًا فِي وَقْتِ الْبَاسِ فَلَمْ يَنْفَعَهُ الْإِسْلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ اسْتَعَاذْتَهُمْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَّارِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَكِبُوا فِي السَّمَاءِ دَعَا اللَّهُ الْمُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: طَوْعًا الَّذِي وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَرْهًا الَّذِينَ أُجْبِرُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مِمَّنْ يُسَبِّى مِنْهُمْ فَيَجَاءُ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ، ﴿وَأَلَيْسَ رُجُومٌ﴾، قَرَأَ بِالْبَاءِ حَفْصُ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبُ كَمَا قَرَأَ ﴿يَبْتُغُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا إِلَّا أَبَا عَمْرٍو فَإِنَّهُ قَرَأَ ﴿يَبْتُغُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَ﴿تُرْتَمُونَ﴾ بِالتَّاءِ، قَالَ: لِأَنَّ الْأَوَّلَ خَاصٌّ وَالثَّانِي عَامٌّ، لِأَنَّ مَرْجِعَ جَمِيعِ

قُلْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَكْرُحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ آلِ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ أَقْنَدْتُمْ يَدَهُ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

الخلق إلى الله عز وجل.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: ﴿أَمَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية.

﴿٨٥﴾ قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فنزلت فيهم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا

كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، لفظة استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة [ويعطيهم] الثواب [فيها]، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وذلك أن

الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه [بالمدينة]، أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فانزل الله تعالى:

﴿٨٩﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، لما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة فأسلم وحسن إسلامه.

﴿٩٠﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا ببعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأبيانهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو

العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، يعني: ذنوباً في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ كلما نزلت آية كفروا بها، فأزادوا كفراً، وقيل: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بقولهم: نترتبص بمحمد ريب المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا: نقيم على الكفر ما بدأ لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمخ دخل منهم في الإسلام قُبِلت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافراً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا﴾ [البقرة: ١٦١].

فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمَكْرُحُونَ﴾، قيل: لن تُقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعايعة، كما قال: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُيْتُتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨]، وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نترتبص بمحمد [ريب المنون]، فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، ﴿لَنْ

إسرائيل، فإنه كان قد قال: إن عافاني الله [تعالى] لا أكلمه ولا يأكله ولذلي ولم يكن محرماً عليهم في التوراة، وقال الكلبي: لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَيُظَاهِرُ مِن الذِّبِّ هَادُوا حَرَمًا عَلَىٰ كَيْبَتِهِمُ اجْتَلَتْ لَهُمْ [النساء: ١٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الذِّبِّ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفٍ﴾، إلى أن قال: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادُوا أُصَابُوا بِذُنُوبِهِمْ حَرَمًا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَعَامًا طَيِّبًا أَوْ صَبَّ عَلَيْهِمْ رِجْسًا وَهُوَ الْمَوْتُ، وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمه الله في التوراة، وإنما حرموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله [تعالى]، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ فَأَتُوا بِالْآيَاتِ فَاتْلُوهَا﴾، حتى يتبين أنه كما قلتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فلم يأتوا، فقال الله عز وجل:

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ في جميع ما جاء به.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا

وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرِيدُ﴾ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، قال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه [الله تعالى] قبل الأرض بالفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته، هذا قول عبدالله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي، وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، روي عن علي بن الحسين: أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنيوا في الأرض بيتاً على مثاله وقدره، فبنوه واسمه الضراح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وروي: أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام، وكانوا يحجونه، فلما حججه آدم قالت الملائكة: برحمتك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وضع هدًى للناس [يروى ذلك عن علي بن أبي طالب]. وقال الضحاك:

إن أول بيت وضع فيه البركة، وقيل: أول بيت وضع للناس يُعبد الله فيه ويحج إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قبلة للناس، وقال الحسن والكلبي: أول مسجد ومُتَعَبَدٍ وُضِعَ للناس يُعبد الله فيه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَهُ﴾ [النور: ٣٦]، يعني: المساجد.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي [أنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا [موسى بن إسماعيل أخبرنا] عبدالواحد أنا الأعمش أخبرنا إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: سمعت أبا ذر يقول:

«قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وُضِعَ في الأرض أولاً؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، ثم قال: «أينما أدرتُكَ الصلاة بعدُ فصل فإن الفضل فيه».

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال جماعة: هي مكة نفسها، وهو قول الضحاك، والعرب تعاقب بين الباء والميم، فتقول: سبد رأسه وسمده، وضرورة لازمة ولازم، وقال الآخرون: بكة موضع البيت، ومكة: اسم للبلد كله، وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سُميت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزحفون إليك بعضهم بعضاً ويصلي بعضهم بين يدي بعض، ويمر بعضهم بين يدي بعض، وقال عبدالله بن الزبير: سُميت بكة لأنها تبك أعناق الجابرة، أي تدقها فلم

يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله، وأما مكة فإنها سميت بذلك لقلعة ماثها، من قول العرب: مَثَكَ الفصيل ضَرَعَ أمه وأمتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن، وتدعى أم رحم لأن الرحمة تنزل بها، ﴿مَبَارَكًا﴾ نصب على الحال، أي: ذا بركة ﴿وَهْدَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنه قبلة للمؤمنين ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ قرأ ابن عباس «آية بينة» على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير حوله فلا تعلق فوقه، وأن الجارحة إذا قصدت صيداً فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه [ولم تجرحه فيه]، وإنه بلد صدر إليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والأبرار، وإن الطاعة والصدقة فيها تُضاعف بمائة ألف.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن أبي يزيد بن رباح وعبيد الله بن أبي عبدالله، عن أبي عبدالله الأغر عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة

فيما سواه، إلا المسجد الحرام».

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ من أن يحاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم آمين من القتل والغارة، وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر المفسرين، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقيل: المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً؛ كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقيل: هو خير بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأمنوه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَيْفَ وَلَا سُوءَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن من وجب عليه القتل قصاصاً أو حداً فالتجأ إلى الحرم فلا يُستوفى منه فيه، ولكنه لا يُطعم ولا يُبايع ولا يُشارى، حتى يخرج منه، فيقتل، قاله ابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يُستوفى فيه، أما إذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفى فيه عقوبته بالاتفاق، وقيل: معناه: من دخله معظماً له متقرباً إلى الله عز وجل كان آمناً يوم القيامة من العذاب، قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، غير أنه لو تكلف

سبيلًا، أي: والله فرض واجب على الناس حج البيت، قرأ أبو جعفر وحزمة والكسائي وحفص «حج البيت»، بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة، وقرأ الآخرون بفتح الحاء، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد، والحج أحد أركان الإسلام.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال:

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

قال أهل العلم: ولوجوب الحج خمس شرائط الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، ولا يجب على الكافر ولا على المجنون، ولو حجاً بأنفسهما لا يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد، ولو حج صبي يعقل، أو عبد يصح حجتهما تطوعاً ولكن لا يسقط به فرض الإسلام عنهما فلو بلغ الصبي، أو أعتق العبد بعدما حج واجتمع في حقه شرائط وجوب الحج، عليه أن يحج ثانياً ولا يجب على غير المستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، غير أنه لو تكلف

فحج يسقط عنه فرض الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادراً مستطيعاً بنفسه، والآخر: أن يكون مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فإن يكون قادراً بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة.

أخبرنا عبدالواحد بن محمد الكسائي الخطيب ثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن إبراهيم بن يزيد عن محمد [بن] عباد بن جعفر قال: قعدنا إلى عبدالله بن عمر فسمعتة يقول:

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاج؟ قال: «الشعث الثفل»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله، أي الحج أفضل؟ قال: «العج والشح»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «زاد وراحلة».

وتفصيله: أن يجد راحلة تصلح لمثله، ووجد الزاد للذهاب والرجوع، فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن ذئب يكون عليه، ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج [في ذلك الوقت]، ويشترط أن يكون الطريق آمناً فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب شيئاً

لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل [المأهولة] معمورة يجد الزاد والماء، فإن كان زماناً جدوية تفرق أهلها أو غارت مياهها، فلا يلزمه الحج، ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحب لو فعل، وعند مالك يلزمه، وأما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زميماً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر [به من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر]، أو لم يكن له مال لكن بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، ويقال في العرف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، وإنما يفعله بماله وأعوانه، وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المغضوب في المال، وحجة من أوجه ما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عباس أنه قال:

كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج،

أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم».

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْمُكَلِّبِيْنَ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد: من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الشلبي، أخبرنا أبو الحسن الكلماتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو، أخبرنا سهل بن عمار أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شريك بن ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال: «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَاللّٰهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَكْمُلُوْنَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾، أي: لم تصرفون عن دين الله، ﴿مَنْ مَّأْمَرٌ يَّبْعُوْهَا﴾، تطلبونها، ﴿عِوَجًا﴾، زيغاً وميلاً، يعني: لم تصدّون عن سبيل الله باغين لها عوجاً؟ قال أبو عبيدة العوج: بالكسر. في الدين والقول والعمل، والعوج: بالفتح. في الجدار، وكل شخص قائم

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَالُ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَمِدْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَنْ تَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَدِيعِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ آيَاتِنَا فُلُوقًا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آيِسْتُمْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بِعَدِّ إِيمَانِكُمْ كَفِيرِينَ ﴿١٠١﴾ قال جابر: فما رأيت قط يوماً أقبح، أولاً أحسن آخراً من ذلك اليوم. ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، يعني: ولم تكفروا؟ ﴿وَأَنْتُمْ تُنَالُ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، [أي]: القرآن، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، محمد ﷺ، قال قتادة: في هذه الآية عَلِمَانَ بَيْنَانَ: كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فأبقاه بين أظهركم رحمةً من الله ونعمةً.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبدالوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان عن يزيد بن حيان قال: سمعت زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإنني تارك فيكم الثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله تعالى وخذوا به»، فحث [عليه] ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَمِدْ بِاللَّهِ﴾، أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه

من الأشعار، وكان بُعات يوماً اقتلت فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس وجابر بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شتتم والله رددتها الآن جذعة،

وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة، وهي الحرة. فخرجوا جميعاً إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعوهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال ﷺ:

«يا معشر المسلمين أبدو عوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، الله الله!! فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فالتقوا السلاح من أيديهم ويكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾، [أن في التوراة مكتوباً نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾، قال زيد بن أسلم: مرّ شاس بن قيس اليهودي. وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين. على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من الفتهم وصلح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بُعات وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه

وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله المتدي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تُحبون في الفرقة، وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن.

وزوي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن هو حبلُ اللهِ العتيق، وهو النورُ المبين، والشفاءُ النافع، وعصمةٌ لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن تبعه».

وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، «ولا تُفَرِّقُوا»، كما افترقت اليهود والنصارى.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً [ويسخط لكم ثلاثاً]، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تُنصحووا من ولى الله أمركم، [ويسخط لكم] قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا لَكُمْ عَلَيْنِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ».

قال محمد بن إسحاق بن يسار وغيره من أهل الأخبار: كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوعدت بينهما عداوة بسبب قتل قتل بينهم، فتطاولت تلك العداوة

وأبناؤكم. وعن أنس أنه قال: لا يتقي الله عبدٌ حقَّ تقاته حتى يُخزن لسانه، قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا، فأنزل الله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦]، فتسخت هذه الآية، وقال مقاتل: ليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذه الآية «وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»، أي: مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوضون أموركم إلى الله عز وجل، وقال الفضل: مُحسنون الظن بالله [تعالى].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد أخبرنا سليمان بن سيف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حقَّ تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمزت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره؟».

قوله عز وجل: «وَأَقْبِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً»، الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلاً لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف [من النار]، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة،

وطاعته، «فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، طريق واضح، وقال ابن جريج: «وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصم له.

قوله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ».

قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان: ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج، فقال الأوسي: منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، ومنا حنظلة غسيل الملائكة، ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حميئ الدبر، ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة، وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم، فجرى الحديث بينهما فغضباً وأنشدا الأشعار وتفاحزاً، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فأتاهم النبي ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ».

وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس: هو أن يُطاع فلا يُعصى، وقال مجاهد: أن تُجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا الله بالقسط ولو على أنفسكم وأبناؤكم

والحرب بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالإسلام، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ، وكان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أبا بني عمرو بن عوف وكان شريفاً يسميه قومه الكامل لجلبه ونسبه قدم مكة حاجباً أو معتمراً، وكان رسول الله ﷺ قد بعث وأمر بالدعوة، فتصدى له [رسول الله ﷺ] حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال له سويد: فعلل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» فقال: مجلة لقمان، يعني: حكمته، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها عليّ»، فعرضها، فقال: «إن هذا الكلام حسن، ومعني أفضل من هذا، قرآن أنزل الله عليّ نوراً وهدى»، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُدْ منه ولم ينفز وسرّ بذلك، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل يوم بُعث، فإن قومه ليقولون: إنه قد قتل وهو مسلم، ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع، ومعه فئة من بني الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الجلف من قريش على قوم من الخزرج؛ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أتاهم فجلس إليهم، وقال: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئاً، وأنزل الله عليّ الكتاب»، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن،

فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قوم هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال: دغنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ويُعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، وهم ستة نفر: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبدالله [بن رثاب]، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنتم؟» قالوا: نفر من الخزرج؟ قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قالوا: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم كانوا أهل أوثان وشرك، وكانوا إذا كان منهم شيء قالوا: إن نبياً الآن مبعوث قد أطل زمانه، نثبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإزم، فلما كلم رسول الله ﷺ

أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يستبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه وأسلموا، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا به ﷺ [وصدقوه]، فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم يبق دأ من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل، أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا عفراء، ورافع بن مالك [بن العجلان]، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عبادة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وهؤلاء خزرجيون، وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا، إلى آخر الآية، «فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحذة في الدنيا فهو كفارة له، وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم»، قال:

وذلك قبل أن يُفرض عليهم الحرب، قال: فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبيد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويُعلمهم الإسلام ويُفقههم في الدين، وكان مُصعب يُسمى بالمدينة المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة، ثم إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر، فجلسا في الحائط فاجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حُضير: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي [معهم]، ولولا ذلك لكفيتك، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير سيدي قومه من بني عبد الأشهل وهما مشركان، فأخذ أسيد بن حُضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا والله سيد قومه قد جاءك، فاصدق اللة فيه، قال مصعب: إن يجلسُ أكلمهُ، قال: فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لَعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وجهه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا

وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال له: تغتسل وتطهرُ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن أتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، [و] سأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب [به] من عندكم، فلما وقف على النادي قال: قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمتُ الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما، فقالا: فافعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك فقام سعد مغضباً مبادراً للذي ذكره له من بني حارثة، فأخذ الحرية، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً فلما رأهما مطمئنين عرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمت هذا مني تغشاناً في دارنا بما نكره، قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه، وإن أتبعك لم يخالفك منهم أحد، فقال [له] مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحرية فجلس،

مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبه من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية، قال كعب بن مالك: وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج، وكانت تلك الليلة التي واعدنا فيها رسول الله ﷺ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخيرناه وكنا نكنتم عمن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطياً للنار غدأ، ودعواناه إلى الإسلام فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نسلل مستخفين نسلل القطاء، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع إحدى نساء بني سلمة، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا معشر الخزرج، وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار خزرجها وأوسها، أن محمداً ﷺ منا

حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم وللحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت، قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم»، قال: فأخذ البراء بن مغرور بيده [ﷺ] ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع منه أوزنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس جبلاً يعني العهود، وإنا قاطعوها فهل عسيّت إن فعلنا نحن ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسّم رسول الله ﷺ، ثم قال: «الدمّ الدمّ والهدمّ الهدمّ، أنتم مني وأنا منكم، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم»، وقال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً كفلاء على قومهم بما فيهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن

مريم»، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. قال عاصم بن عمر بن قتادة: إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً وأشرفاكم قتلن أسلمتموه، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على تهلكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة، قالوا: فلأنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، قالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وقينا؟ قال: «الجنة»، قال: أبسط يذك فبسط يده فبايعوه، وأول من ضرب على يده [ﷺ] البراء بن مغرور، ثم تابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت، صوتاً ما سمعته قط: يا أهل الجباب، هل لكم في مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا عدو الله هذا أذب العقبة، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم»، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدأ على أهل منى بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤمر بذلك

ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدث علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما حيي من العرب أبغض إلينا أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وصدقوا ولم يعلموا وبعضنا ينظر إلى بعض، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت له كلمة كاني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي فقال: والله لتتعلتكما، قال: يقول أبو جابر رضي الله عنه: مه والله لقد أحفظت الفتى فاردد إليه نعله، قال: لا. أردهما، [فأل والله صالح] والله لئن صدق القائل لأسلبنه، قال: ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد، فلما قدموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فأذوا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها»، وأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار، فأول من هاجر إلى المدينة

أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي، ثم عامر بن ربيعة ثم عبدالله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً إلى المدينة فجمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيته محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لَمَن تَمَتَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأنصار ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَقْدَاءَ﴾ قبل الإسلام ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾، أي: فصرتم، ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ برحمته وبدينه الإسلام، ﴿وَإِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية بينكم، ﴿وَوَكَّمْتُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، أي: على طرف مثل شفا البئر [أي: طرفها]، معناه: وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنقَضْتُمُ﴾ الله ﴿مِيثَاقَهُ﴾ بالإيمان، ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَلَتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ﴾، أي: كونوا أمة، ﴿مِنَ﴾ صلة ليست للتبعية؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّيسَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ [الحج: ٣٠]، لم يُرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد اجتنبوا [جميع] الأوثان، واللام في قوله: ﴿وَلَتَكُنَّ﴾ لام الأمر، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾: إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَهْتَدُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر قال: أنا عبدالغافر بن محمد قال: أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان

ثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قال أبو سعيد رضي الله عنهما:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكِرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعف الإيمان».

أخبرنا أبو عبدالله بن الفضل الخرقى قال: أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني أخبرنا علي بن حُجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبي عمرو عن عبدالله بن عبدالرحمن الأشهلي عن حذيفة:

أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعته فلا يستجاب لكم».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدروردي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبدالعزيز بن مسلم القسَملي أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال:

سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فإني

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعتمهم الله تعالى بعقابه».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول:

قال النبي ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخَافَتُوا مِنْ بَدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة.

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: هم الحرورية بالشام. قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام، فقال: هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَخَافَتُوا مِنْ بَدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

إن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يسكن بحبوة الجنة فعليه بالجماعة، فإن الشيطان مع الفرد، وهو من الاثنين أبعد».

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ عَدَاؤُكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة رُفع لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ عَدَاؤُكُمْ﴾ [النساء: ١١٥]، فإذا انتهوا إليه حزنوا وتسود وجوههم من الحزن، ويبقى أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئاً مما رُفع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعاً مؤمناً ويبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون

السجود، ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤوسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنوا حزناً شديداً فاسودت وجوههم، فيقولون: ربنا ما لنا مسودة وجوهنا، فوالله ما كنا مشركين؟ فيقول الله للملائكة: ﴿إِنظُرُوا كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَيَّ أَقْسِمُ﴾ [الأنعام: ٢٤]، قال أهل المعاني: ابيضاض الوجوه إشراقها واشتباؤها وسرورها بعملها وبثواب الله [تعالى]، واسودادها حزنها وكتابتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله، يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَا لَمْ يَرْجُوا وَلَا يَرْهَقُونَ وُجُوهَهُمْ قَهْرًا وَلَا ذُلًّا﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذُلًّا﴾ [يونس: ٢٧]، وقال: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَخِيهِ نَاصِرًا ﴿١٠٦﴾ وَإِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٠٧﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَخِيهِ ﴿١٠٨﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٤] وقال: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَخِيهِ ﴿١٠٩﴾ حَاصِرَةٌ ﴿١١٠﴾ تَشْتَبِهَةٌ ﴿١١١﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَخِيهِ ﴿١١٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٠]، «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، [فَقَدُّوْا أَلْمَدَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ]، فإن قيل: كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم؟ وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: حُكي عن أبي بن كعب أنه: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم ربهم: ألسن بريكم؟ قالوا: بلى، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بالستهم، وأنكروا بقلوبهم،

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٧﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُوُيُؤُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُواكُمْ يُولُواكُمْ أَوْ يُبَادِلُواكُمْ لَكُمْ لَنْ يَضُرُّوكُمْ شَيْئًا وَاللَّهُ وَحْدَهُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُ الْإِنْسَانَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ يُضِلُّوكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا وَلَا تَهْتَبُنَّ بِهِنَّ الْمِطَالِبَ وَلَا تَكْنُتُنَّ فِيهِنَّ حَتَّى تَخْرُجُنَّ مِنْ حُلِيِّهِنَّ وَإِذَا خَرَبْتُمْ عَنْهُنَّ مُطَالِبًا فَاسْتَأْذِنُوا بَلْ يُسْأَلُ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَاصْبِرْ إِنَّ هَيْبَةَ الْبَيْتِ مُبْتَلَاةٌ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾

أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، ويصبح كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

﴿١٠٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آيَسَّتْ جُوهُهُمْ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿فَبِئْسَ فِئَةً﴾، ففي جنة الله، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ بِرِيءٍ ظَلْمًا لِلْمَلَائِكَةِ﴾.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالوا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورؤي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جوبير عن الضحّاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة، الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم. ورؤي [عن] عمر بن الخطاب قال: كنتم خير أمة أخرجت للناس تكون

وعن عكرمة: إنهم أهل الكتاب أمثوا بأبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، فلما بُعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر، قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناسٌ دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ فوالله ما برحوا يرجعون على أعقابهم».

وقال الحارث الأعور: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة، وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية، ثم نادى: هم الذي كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشي هني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة:

لاولنا ولا تكون لأخرنا.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبي حمزة قال: سمعت زهدم بن المضرب عن عمران بن حصين رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وقال: «إن بعدكم قوموا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يؤفون، ويظهر فيهم السمن».

وبهذا الإسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد:

عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن

أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله ﴿كُنتُمْ﴾ أي: أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَبِيلاً﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ صلة قوله ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، أي: أنتم خير الناس للناس.

قال أبو هريرة معناه: كنتم خير الناس، تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام، قال قتادة: هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي قبله بالقتال، فهم يقاتلون الكفار فتدخلونهم في دينهم، فهم خير أمة للناس، وقيل: «لِلنَّاسِ» صلة قوله أخرجت أي: ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقري أنا علي بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبدالرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه:

أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «إنكم تسمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن

محمد الفيركي أخبرنا أبو عبدالله محمد بن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري:

عن النبي ﷺ قال: «ألا وإن هذه الأمة تُوفي سبعين أمة هي أخيرها وأكرمها على الله عز وجل».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضل أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال عبدالرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأبح أنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي أخبرنا أحمد بن عيسى التنيسي أخبرنا عمرو بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبدالله عن زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرِّمت على الأمم كلهم حتى تدخلها أمتي».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال: أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد أخبرنا أبو

القاسم عمر بن محمد بن عبدالله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدي لامي محمد بن عبدالله بن مرزوق أنا عفان بن مسلم أنا عبدالعزیز بن مسلم أخبرنا أبو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة».

قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُوَّاءَ مَنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾، أي: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى سَمًّا﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه، فأذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: لا يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان وعيداً وطعنأ، وقيل: كلمة كفر تتأذون بها ﴿وإن يفتنوكم يولوكم الأديان منزهين، ثم لا يُضُرُّوكم﴾، بل يكون لكم النصر عليهم.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الرِّبَا أَيْنَ مَا قُفُّوا﴾، حيث ما وجدوا ﴿إلا بحبل من الله﴾، يعني: أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون إلا بحبل: عهد من الله تعالى بأن يُسلموا، ﴿وَحَبْلِ بَيْنَ النَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني من الله: إلا أن يعتصموا بحبل الله فيأمنوا [على أنفسهم وأموالهم].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بَعْضُ مَنِ اللَّهُ﴾، رجعوا به، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ يَأتَهُمْ كَأَوْ يَكْفُرُونَ﴾ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شراؤنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها، فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ وهو وقف، لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَنْهَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْبَرَهُمُ الْكُفْرُونَ﴾، ثم قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، يعني: المؤمنين والفاستقين، ثم وصف الفاستقين، فقال: ﴿لَن يُضَرُّوكُمْ إِلَّا آذًى﴾، ووصف المؤمنين بقوله: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، وقيل: قوله ﴿مِنِ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ابتداءً لكلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواء، ثم ابتدأ فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله

لم يضيغوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحدوده. وقيل: قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذو أمة، أي: ذو طريقة مستقيمة. ﴿يَقُولُونَ ءَأَنْتَ اللَّهُ﴾، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿ءَانَّةَ الْيَوْمِ﴾: ساعاته، واحدها: إنسي وأناة، مثل نخي وأنحاء، وإنسي وأناة مثل: يعنى وأمعاء، وأنى مثل منا وأمناء، ﴿وَهُمْ

يَسْجُدُونَ﴾، أي: يصلون، لأن التلاوة لا تكون في السجود، واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود: هي صلاة العتمة يصلونها ولا يصلها من سواهم من أهل الكتاب، وقال عطاء: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ الآية، يريد: أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً ﷺ، وكان من الأنصار منهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ، منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس، كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي ﷺ فصدقوه ونصروه.

سورة آل عمران

١١٣

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ آمَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ مَثَلُ مَا يُبْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٤﴾ تَبَايَأَ الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُوكُمْ خَبَالاً وَدُوَامَ عَيْتِكُمْ فَذَبَدَّتْ بَعْضُهُم مِّنْ أَوْرَاهِمَ وَمَا تَحْصِي سُدُّهُمْ أَكْبَرَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٥﴾ هَٰؤُلَاءِ أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَإِذَا التَّقْوَىٰ قَالُوا أَمَّا نِسَاءُ الْآثِمِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِن تَسْسِمُوكُمْ حِسَّةً فَسُوِّءُ مَا كُنْتُمْ تَصِفُونَ أُولَٰئِكَ لَمَّا كَفَرُوا وَإِن تَصِيحُوا وَتَتَّقُوا لَآ يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ عَدُوَّتْ مِّنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُوا الْمُؤْمِنِينَ مَفْعِدَةً لِلْبَغْيِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾

١١٥

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُحْسِنُوا إِلَى الْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَهُمْ غَيْرُ الْمُبْتَدِعِينَ﴾.

﴿وَمَا يَقُولُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرْ بِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالياء فيهما؛ لقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، وأبو عمرو يَرَى القراءتين جميعاً، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تُعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجزلون عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، بالمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ آمَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصصهما بالذكر لأن الإنسان يلبغ عن نفسه

تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالآلاد. ﴿ وَأَوْلَاتِكَ أَحَصَّ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾، وإنما جعلهم من أصحابهم لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

﴿ مَثَلٌ مَّا يُفْفُونَ فِي هَذِهِ الصِّيُورِ الدُّنْيَا ﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بدير وأحد على عداوة رسول الله ﷺ وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار [في الدنيا] وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرثي الذي لا يتغني به وجه الله تعالى، ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾، حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السُّموم الحارة التي تقتل، وقيل: فيها صِرٌّ أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿ أَصَابَتْ حَرَّتْ قَوْمٍ زَرْعَ قَوْمٍ ﴾، ﴿ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿ فَأَمَلَكْتَهُمْ ﴾، فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾، [بل ذلك]، ﴿ وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾، بالكفر والمعصية.

﴿ يَتَكَلَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا بِطَانَةِ مَن دُونِكُمْ ﴾، الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار

والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصفون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿ يَتَكَلَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ ﴾، أي: أولياء أصفاء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مبايعتهم، فقال جل ذكره: ﴿ لَا يَأُولُوكُمْ خَبَالًا ﴾، أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يؤرثكم الشرُّ والفساد، [والخبال: الشرُّ والفساد]، ونصب ﴿ خَبَالًا ﴾ على المفعول الثاني، لأن «يألو» يتعدى إلى مفعولين، وقيل: بترج الخافض، أي بالخبال، كما يقال: أوجعته ضرباً، ﴿ وَدُوا مَا عَيْنُكُمْ ﴾، أي: يؤدون ما يشق عليكم من الضَّرِّ والشرِّ والهلاك، والعنت: المشقة، ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ ﴾، أي: البغض، معناه ظهرت أماراة العداوة، ﴿ مَن أَقْوَاهُمْ ﴾، بالشتيمة والوقية في المسلمين، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين، ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ﴾، من العداوة والغيط، ﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم، ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ هَاتِئُنَّ مَا تَنبِيهِ وَأَنتم كناية للمخاطبين من الذكور، ﴿ أَوْلَاكُمُ ﴾ اسم للمشار إليه، يريد: أنتم أيها المؤمنون، ﴿ تُحِبُّونَهُمْ ﴾، أي: تحبون هؤلاء اليهود الذين

نهيتمكم عن مبايعتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿ وَلَا يُؤْمِنُوكُمْ ﴾، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل: هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾، يعني: بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم، ﴿ وَإِذَا لَقَوُكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا ﴾، وكان بعضهم مع بعض ﴿ عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآيَاتِ ﴾، يعني: أطراف الأصابع واحدها أنملة بضم الميم وفتحها، ﴿ مَن آتَيْنَاهُمُ الْبَيْتَاتِ ﴾، لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، [وعص الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال]، وإن لم يكن ثم عص، ﴿ قُلْ مَوْتُوا بِعَيْتِكُمْ ﴾، أي: ابقوا إلى الممات بغيظكم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾، أي: بما في القلوب من خير وشر.

﴿ وَقوله تعالى: ﴿ إِن تَمَسَّكُمُ ﴾، أي: تُصَبِّحُكُمْ أيها المؤمنون ﴿ حَسَنَةً ﴾ بظهوركم على عدوكم وغنيمة تالونها منهم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وخصب في معاشكم ﴿ تَسْوَفْتُمْ ﴾، تُحزنهم، ﴿ وَإِن تُصِبْتُمْ سَيْئَةً ﴾، مساءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف يكون بينكم أو جذب أو نكبة تصيبكم، ﴿ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَبَرُوا ﴾ على أذاهم ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ تخافوا ربكم ﴿ لَا يَفْرَقْكُمْ ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿ كِيدَهُمْ شَيْئًا ﴾، قرأ ابن كثير ونافع

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَقَدْ صَرَّفَ اللَّهُ يَدَهُ وَأَنْتُمْ أَدِلَّةٌ قَاتِلُوا اللَّهَ لَمَّا كُنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٢٣﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَتَّبِعْكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَّةٍ الْآلِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا لِبَشَرٍ لَكُمْ وَلِطَمَّيْنِ قُلُوبِكُمْ وَمَا أَقْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٥﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمِبُمْ فَتَخِلُّوا بِهِمْ سَبِيلًا ﴿١٢٦﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٧﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مَتَاعًا وَمَتَاعًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةً قَبْلُ هُوَ أَتَقْوَىٰ وَتَقْوَىٰ اللَّهِ أَكْبَرُ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ ﴿١٢٩﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٠﴾

فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق، وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي، وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب، لا يرون أنا جئنا عنهم وضعفنا، وقال رسول الله ﷺ: «إنني رأيت في منامي بقرًا تدبح فأولئها خيرا، ورأيت في ذباب سفي ثلما فأولئها هزيمة، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولئها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة»، وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا في الأزقة، فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله ﷺ من جبههم للقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبس لأمته فلما رآه قد لبس السلاح ندموا، وقالوا: بنس ما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، فقاموا واعتدوا إليه وقالوا: اصنع ما رأيت، فقال ﷺ: «لا ينبغي لني أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل»، وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعدما

وأهل البصرة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير ضيراً، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضَرَّ يَضِرُّ ضراً، مثل ردَّ يردُّ رداً وفي رفعه وجهان، أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم أدغمت الراء في الراء، وثقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمّت الثانية اتباعاً، والثاني: أن يكون لا بمعنى ليس ويضم فيه الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْعَوْنَ يَجِيطُ﴾، أي: عالم.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ﴾﴾ قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أحد، لأن ما بعده إلى قريب من آخر السورة في حرب أحد، وقال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة رضي الله عنها يمشي على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح.

قال محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما:

إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبدالله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره، فقال عبدالله بن أبي وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه،

صلى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج إليهم، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، فكان من [أمر] حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي واذكر إذ غدوت من أهلك ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزل المؤمنين ﴿مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ﴾، أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوأت القوم إذا وطنتهم، وتبوؤا هم إذا تواطنوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنَازِلَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]، وقال: ﴿إِنَّ تَبَوُّؤَ لِقَوْمِكُمْ إِيَّكُمْ﴾ [يونس: ٨٧]، وقيل: تتخذ معسكراً، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾، أي: تجبنا وتضعفنا

وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبدالله بن أبي بلثث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فنبعهم أبو جابر السلمي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبدالله بن أبي: لو نعلم قتالاً لا تبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبدالله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، ناصرهما وحافظهما [عن الانصراف من القتال]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن [عمرو] عن جابر قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بنو سلمة وبنو حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفَكُمُ اللَّهُ يَدْرِي﴾، ويدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع، وعليه الأكثرون، وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل: كانت بدر بئراً لرجل يقال له

بدر، قاله الشعبي، وأنكر الآخرون عليه، يذكر الله تعالى في هذه الآية مَبْتُئَةً عليهم بالنصرة يوم بدر، ﴿أَنْتُمْ أَوْلَىٰ لَهُ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فنصرهم الله مع قلة عَدِيدِهِمْ وَعُدُدِهِمْ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَيْبَكُمْ﴾، اختلفوا في هذه الآية، فقال قتادة: كان [هذا] يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة؛ كما قال: ﴿فَأَنْتَجَابَ لَكُمْ أَوَىٰ مُبَدِّلُكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكره هنا، ﴿بِئِنَّتِيءَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾.

﴿يَوْمَ لَنْ نَبْدِيَنَّ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف [من الملائكة] كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف ردة المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكونون عدداً ومدداً.

قال محمد بن إسحاق: لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي، وفتى شابٌ يتنبل له فلما فني النبل أتاه به فنشره، فقال: ارم أبا إسحاق مرتين، فلما انجلت المعركة ستل عن ذلك الرجل فلم يُعرف.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال:

رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتها قبل ولا بعد.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: أخبرنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتها قبل ولا بعد، يعني: جبريل وميكائيل.

وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر: أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع فلم يأتيهم ولم يمدّهم، فلم يمدّهم الله أيضاً بالخمسة آلاف، وكانوا قد أمدوا بألف.

وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدّهم أيضاً في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدّهم الله حتى حاصروا قريظة والنضير.

قال عبدالله بن أبي أوفى: كتنا

محاصري قريظة والنضير ما شاء الله فلم يُفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله ﷺ بغنم فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام، فقال: وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها؟ فدعا رسول الله ﷺ بخرقه فلف بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذ أمنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة، ففتح لنا فتحاً يسيراً.

وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا به.

قوله تعالى: ﴿إِن يُبَدِّكُم رِبِّكُمْ﴾، الإمداد: إعانة الجيش بالجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمده إمداداً، وما كان على جهة الزيادة، ويقال فيه: مده مداً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُمُ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقيل: المدد في الشر، والإمداد في الخير، يدل عليه قوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمْ فِي طَائِفَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَتَدُلُّكُمْ عَلَى الْغِيَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وقال في الخير: ﴿إِنِّي مُبَدِّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال: ﴿وَأَمَّا تَدْعُوكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ وَمِنْكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٦]، قوله تعالى: ﴿يَتَلَوُّهُ الْكَلْبُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ﴾ قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على الكثير؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا جُودًا لِرَبِّهِمْ﴾

تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، ثم قال: ﴿إِنِّي مُبَدِّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾ [يعني المشركين] ﴿وَمِنْ قَوْمِهِمْ هَذَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، ﴿لَتُبَدِّدَنَّكُمْ رِبِّكُمْ بِحَسْرَةٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾، لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله: ﴿سَوِّمِينَ﴾، أي: معلمين، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر الواو أراد أنهم سَوِّمُوا خيلهم، ومن فتحها أراد به أنفسهم، والتسويم: الإعلام من السومة وهي العلامة، واختلفوا في تلك العلامة، فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صُفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: [كانت عليهم] عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنانها، ورؤي أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في فلانسهم ومغافرهم».

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ يعني هذا الوعد والمدد، ﴿إِلَّا بَشْرًا لَّكُمْ﴾، أي: بشارة لتستبشروا به

﴿وَلِيُطَمِّئَنَّ﴾، ولتسكن ﴿فَلَوْ كُنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَلِيظِ الْحَكِيمِ﴾، يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجنود، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، فإن العز والحكم له. ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقول لقد نصركم الله [ببدر] ليقطع طرفاً، أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون، ومن حمل الآية على حرب أحد، فقد قُتِلَ منهم يومئذ ستة عشر وكان النصر للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلب عليهم، ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْغَيْثَ﴾ قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل: [أصله] يكبدهم، أي: يصيب الحزن والغيث أكبادهم، والتاء والبدال يتعاقبان كما يقال: سبت رأسه وسبده إذا حلقه، وقيل: يكتبهم بالخيبة، ﴿يَسْقَلُوا حَافِيِينَ﴾، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجونه من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿يَسْ لَكَ مِنَ الْآمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية.

فقال قوم: نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر

ما أصابهم من جدد الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أدانا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثله لم يمثلاها أحد من العرب بأحد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، [وقيل: أراد النبي ﷺ أن يدعو عليهم بالاستئصال، فنزلت هذه الآية]،

وذلك لعلمه فيهم بأن كثيراً منهم يسلمون. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي: ليس إليك، اللام بمعنى «إلى»؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، أي: إلى الإيمان، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم، أو: إلا أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرْفًا﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [اعتراض بين نظم الكلام، ونظم الآية: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله].

﴿١٢٩﴾ ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١٣٠﴾ ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول أجل الدين من زيادة المال على الدين وتأخير الطلب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿لَسَّكُمْ تُقْلِحُونَ﴾.

﴿١٣١﴾ ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا

﴿اللَّهُمَّ العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

وقال قوم: نزلت يوم أحد.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ كُسرَت رُبَاعِيته يوم أحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلكُ الدَّمُ عنه ويقول: «كَيْفَ يَفْلُحُ قَوْمٌ شَجُوا نَبِيَّهُمْ وكَسَرُوا رُبَاعِيته، وهو يدَعُوهم إلى الله عز وجل؟» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللَّهُمَّ العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فأسلموا وحسن إسلامهم.

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن إسحاق: لَمَّا رَأَى رسول الله ﷺ والمسلمون يوم أحد

﴿١٢٩﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغِيرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَدَ عَرَضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٩﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي النِّسَاءِ وَالضَّرَائِ وَالْكُظُمِ الْفَظِيَّةِ وَالْمَافِيَةِ عَنِ النَّبَاسِ وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَن يَكُنِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَن غَفَرْنَا مِن رَّبُّهُمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُمْ أَجْرًا أَلْمِجَلِينَ ﴿١٣٢﴾ فَذَلَّتْ مِن قَلْبِكُمْ سُنَنٌ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١٣٣﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَا تَهْتَفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٥﴾ إِن يَمَسُّكُمْ فَوْجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَوْجٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ ثُدَّوْا لَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ مَّهْدًى وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٦﴾

معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليُعلموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، وفنت شهراً في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا معمر عن الزهري قال: حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول:

أَتَارَ الْوَيْحِ أُجِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا.

﴿وَسَارِعُوا﴾ قرأ هل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الباقون بالسواو ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [أي] بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي تُوجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، ورُوي عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل:

إلى الأعمال الصالحة. ورُوي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنَّةٍ ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، كما قال في سورة الحديد: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] أي: سعتها، وإنما ذكر العرض

على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكبر من عرضه، يقول: هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: وإنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله [تعالى] وهذا على التمثيل لا أنها كالسماوات

والأرض لا غير معناه: كعرض السماوات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، كقوله تعالى:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] يعني: عند ظنكم وإلا فهما زائلتان، وروي عن طارق بن شهاب: أن ناساً من اليهود سألو عمر بن الخطاب وعنده

أصحابه رضي الله عنهم، قالوا: أرايتم قوله ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ فقال: عمر: أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار فأين يكون الليل؟ فقالوا: إنه لمثلها في التوراة، ومعناه أنه حيث يشاء الله، فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وَرَوَى السَّمَاءَ وَرَفَعَهَا وَمَا تُرَوِّدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وأراد بالذي وعدنا: الجنة فإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السماوات والأرض قيل إن باب الجنة في السماء وعرضها السماوات والأرض، كما أخبر، وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: أي السماء [هي] أم في الأرض؟ فقال: [و] أي أرض وسماء تسع الجنة؟ فقيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش [و] قال قتادة: كانوا يرون [أن] الجنة فوق السماوات السبع، وأن جهنم تحت الأرضين السبع. ﴿أُجِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْعُسْرَاءِ﴾، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وقد جاء في الحديث.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عمر الفراتي أخبرنا أبو العباس أحمد بن إسماعيل العنبري، أخبرنا أبو عبدالله بن حازم البغوي بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيى بن سعيد عن

الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والسخييل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل».

﴿وَالْكٰظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلى غيظاً فيردّه في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَكَ الْخَافِرِ كٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الإسفراييني أخبرنا أبو عبدالله بن محمد بن زكريا الغلابي أخبرنا روح بن عبدالمؤمن أخبرنا أبو عبدالرحمن المُقَرِّي أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يَخْتِيَرَهُ مِنْ أُمَّةٍ الْخَيْرِ شَاءَ».

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال الكلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأسأء إليهم. ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

له: **أَسْمِعْتَ** من أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ:

«ما أصْرَ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة».

قال ابن عباس **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**، والحسن ومقاتل والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله [تعالى] يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسين بن الفضل: أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غُفِرَ لهم.

﴿أَوَلَيْكَ جِرَاؤُهُمْ مَّفْعَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجِئْتُ بِكَ بِمَنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَقَمُّ أَجْرُ الْمَلْجَلِينَ﴾، ثواب المطيعين.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا عفان بن مسلم أنا أبو عروانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: إني كنت رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقت وإذا حلف لي صدقته، وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه: سمع رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطَّهْرَةَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي ثُمَّ

عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك، فأتيا النبي ﷺ فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾**.

يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا، **﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبله أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر. وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً، **﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾** أي: ذكروا وعيد الله، أن الله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، **﴿فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْمُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله، **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾** أي: لم يُقيموا ولم يشبوا عليه، ولكن تابوا وأتابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العيد ذنباً عمداً إصراراً حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نصيرة قال: لقيت مولى لأبي بكر رضي الله عنه فقلتُ

﴿قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ الْآيَةَ﴾.

قال ابن مسعود: قال المؤمنون: يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله متاً، كان أحدهم إذا أذنب [أصبحت] كفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بابيه، اجدغ أنفك أو أذنك، افعل كذا وكذا، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال عطاء: نزلت في نبهان التمار وكنيته أبو معبد آتته امرأة حسناء، تبتاع منه تمراً فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجود منه، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: اتق الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ، وذكر ذلك، فنزلت هذه الآية.

وقال مقاتل والكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفي في غزاة واستخلف الأنصاري على أهله فاشتري لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثرها وقبّل يدها، ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقيفي [من الغزاة] لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله، فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله ووصفت له الحال، والأنصاري يسيح في الجبال تائباً مستغفراً، فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً وقال الأنصاري: هلكتُ، وذكر القصة، فقال أبو بكر: ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، ثم أتيا

يستغفرُ اللهَ إلا غَفَرَ اللهُ له»، ورواه أبو عيسى عن قتبية عن أبي عوانة وزاد: ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [لك عمران: ١٣٥] الآية.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبد الملك أخبرنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: كان قاضٍ بالمدينة يقال له: عبدالرحمن بن أبي عمرة فسمعتة يقول:

سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ عَبْدًا أَذنبَ ذنبًا فقال: أَيُّ رَبِّ أَذنبْتُ ذنبًا فاغفرهُ لي، قال: فقال ربُّه عزَّ وجلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أَذنبَ ذنبًا آخر فقال: رَبِّ أَذنبْتُ ذنبًا فاغفرهُ لي، فقال ربه عزَّ وجلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فليفعل ما شاء».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن مغدي كرب، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى [قال]:

«قال الله: يا ابنَ آدمَ إِنَّكَ ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك، ابنَ آدمَ إِنَّكَ إِذْ تَلْقَانِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لِقَيْتِكَ بِقُرَابِهَا

مغفرة بعد أن لا تُشركُ بي شيئاً، ابنَ آدمَ إِنَّكَ إِذْ تَذُنِبُ حَتَّى تَبْلُغَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَكَ».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسني أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:

«قال الله تعالى: مَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو فَذْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا».

قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ إلى آخرها.

﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، قال عطاء: شرائع، وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا تبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سننٌ بالهلاك فيمن كذب قبلكم، وقيل: سننٌ أي: أممٌ، والسنة: الأمة، قال الشاعر:

ما عاينَ النَّاسَ مِنْ فَضْلِ كَفْضِلكُمْ
ولا رأوا مثلكم في سالفِ السَّنَنِ
وقيل معناه: أهل السنن، والسنة [هي]: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سنٌ فلانٌ سنةً حسنةً، وسنةً سيئةً إذا عمل عملاً اقتدي به فيه من خيرٍ وشرٍ، ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سننٌ فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة،

بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإذالة أنبيائي عليهم. ﴿فَيُورُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾، أي: آخر أمر المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿مَذًا﴾ أي: هذا القرآن، ﴿يَبِئَاتُ لِلنَّاسِ﴾، عامة، ﴿وَهُمْ كَذِبٌ﴾ من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ خاصة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتَفُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾﴾، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجراح يوم أحد، يقول الله تعالى: ولا تهتفوا أي: لا تضعفوا ولا تجبئوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قُتل يومئذٍ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبدالمطلب ومُصعب بن عمير، وقُتل من الأنصار سبعون رجلاً، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ فإنكم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَخْلَاقُونَ﴾ بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إذ كنتم مؤمنين [علي سنتي] أي: لأنكم مؤمنون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا

الغنيمة، فلما اتوهم صُرفت وجوهمهم فأقبلوا منهزمين. فذلك قوله ﴿وَأَكْمُرُوكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فِي آخِرِنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا مئتا سبعين. وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيئوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن أصحابه، فقال: أأما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمرُ نفسه، فقال:

كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هُبُلُ أعل هُبُلُ، فقال النبي ﷺ: «ألا تُجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا لله أعلى وأجل»، قال إن لنا العُزى ولا عُزى لكم، فقال النبي ﷺ: «ألا تُجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا لله مولانا ولا مولى لكم».

وروي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان: يومٌ بيوم وإن الأيام دُول والحرب سجال، فقال عمر رضي الله عنه: لا سَواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

قال الزجاج: الدولة تكون

من أحد مع الكأبة والحزن، يقول الله تعالى: ﴿إِن يَمَسُّكُمْ فِي يَوْمٍ أَحَدٌ، فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَتَحٌ يَوْمَ بَدْرٍ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فيومٌ لهم ويومٌ عليهم، أدبيل المسلمون على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدبيل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منه سبعين وقتلوا خمساً وسبعين.

أخبرنا عبدالواحد بن

أحمد الميلحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يحدث قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جُبَيْر، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تَبْرَحُوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم فلا تَبْرَحُوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فإننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبدالله بن جُبَيْر: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جُبَيْر: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنا تائب الناس فلنصيب من

وَيُخَصَّصُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَمَوَّقَ الْكُفْرَةَ ﴿١٤٠﴾ أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلْتُمْ بِكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ ﴿١٤١﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوَهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٢﴾ وَمَا عَمَدُ إِلَّا رُسُولٌ فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَأَبْرَأْتُمْ أَن يُقْبَلَ أَنْفَابُكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يُقْلَبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنَّا مُؤْتَمِرِينَ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَنَتَّبِعْ أَمْرَآئِنَا وَأُضْرِنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾ فَجَاءَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٧﴾

٦٨

يعلون علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك»، وثاب نفرٌ من المسلمين رماةً فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾.

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الجراح، فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿١٤٠﴾ ﴿إِن يَمَسُّكُمْ فِي يَوْمٍ أَحَدٌ قَرَأَ حِمزة والكسائي وأبو بكر ﴿فَرِحَ﴾ بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجد، وقال الفراء: [القرح] بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا

للمسلمين على الكفار، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جُنْدًا لَّهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ. قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: إنما كانت هذه المُدَاوَلَةُ ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، يَكْرُمُ أقواماً بالشهادة، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلْيَتَّخِذْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يُطَهِّرْكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿وَيَتَّخِذْ الْكٰفِرِينَ﴾، يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محققهم واستئصالهم.

﴿إِنَّكُمْ حَسِبْتُمْ﴾ أي: أحسبتم؟ ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَكِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ [أي: ولم يعلم الله]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْقَادِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُتُوهُ﴾، وذلك أن قوماً من المسلمين تمثوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله: ﴿تَمَتُّونَ الْمَوْتَ﴾ أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تَلْفُتُوهُ، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ يعني: أسبابه، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، بعد قوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: معناه: وأنتم تنظرون إلى رسول الله ﷺ.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، قال أصحاب المغازي:

خرج رسول الله ﷺ حتى نزل بالشعب من أحد في سبعائة رجل، وجعل عبدالله بن جبير [وهو أخو خوات بن جبير] على الرجال، وكانوا خمسين رجلاً، وقال: أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عثا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وأنا لن نزال غاليين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله ﷺ سيفاً فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يُشخن، فأخذه أبو دجاجة سماك بن خرشة الأنصاري، فلما أخذه اعتَمَ بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله ﷺ: «إنها لَمْشِيَةٌ يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع»، ففلق به هام المشركين، وحمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم.

وروينا عن البراء بن عازب قال: فأننا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلائلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة والله لنا تَيْنَ الناس فلنُصِيبَنَّ مِنَ الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم.

قال الزبير بن العوام: فرأيت هنداً وصواحباتها هاربات مصعدات في

الجبل، باديات خدامهن ما دون أخذهن شيء، فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم يتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب، فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم فهزموهم وقتلوهم، ورمى عبدالله بن قميصة رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه، ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها، وكان قد ظاهر بين درعين، فلم يستطع أن ينهض إليها فجلس تحته طلحة [فنهض] حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْجَسَبَ طَلْحَةُ» ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد، وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد حمزة فلاكنها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها، وأقبل عبدالله بن قميصة يريد قتل النبي ﷺ فذُذِبَ عنه مصعب بن عمير - وهو صاحب راية رسول الله ﷺ - عن رسول الله ﷺ فقتله ابن قميصة، وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع إلى المشركين وقال: إني قتلت محمداً وصاح صارخ ألا إن محمداً قد قُتِلَ، ويقال: إن ذلك الصارخ كان إبليس لعنة الله عليه، فانكفاً الناس، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ»، فاجتمع إليه

ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سيئة قوسه، ونثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال له: «ارم فذاك أبي وأمي»، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزاع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، وكان إذا رمى اشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبله، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقى بها رسول الله ﷺ، وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ مكانها، فعادت كأحسن ما كانت، فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي، وهو يقول: لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يا رسول الله لا يعطف عليه رجل مثا؟ فقال ﷺ: دعوه حتى إذا ذنى منه، وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ فيقول له: عندي رمكة أعلفها كل يوم فزق ذوة أقتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه، فخدشه خدشة فتهدأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فأخذه أصحابه وقالوا: ليس عليك بأس، فقال: بلى لو كانت هذه الطعنة بريعة ومُضِر لقتلتهم، أليس قال لي: أقتلك؟ فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث إلا يوماً

حتى مات بموضع يقال له سرف.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي [حدثنا محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن علي أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتد غضب الله على من قتله نبي واشتد غضب الله على من ذمى وجه رسول الله ﷺ.

قالوا: وفشا في الناس أن محمداً قد قُتل فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا وألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان [محمد] قد قتل فإن رب محمد لم يُقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ وموتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شد بسفيه فقاتل حتى قُتل، ثم إن رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس، فأول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، فقال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهرا فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي أن

اسكت، فانحازت إليه طائفة من أصحابه، فلما هم النبي ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبي الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قد قُتلت، فزُعت قلوبنا فولينا مديرين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده
ببرهانه والله أعلى وأمجذ
وشق له من اسمه ليُجله
فدو العرش محموداً وهذا محمد
قوله تعالى: ﴿أَفَأَينَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتكم
إلى دينكم الأول، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ
عَقْبَيْهِ﴾، فيرتد عن دينه، ﴿لَن يَصُرَ
اللهُ شَيْئاً﴾، بارتداده وإنما يضُر
نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن
تَمُوتَ﴾، قال الأخفش: اللام في ﴿لِنَفْسٍ﴾ منقولة [من تموت] تقديره: وما كانت نفس لتموت، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾، بقضائه الله وقدره، [وقيل: بعلمه]، وقيل: بأمره، ﴿كُنُوبًا مُّوجِبَةً﴾ أي: كتب لكل نفس أجلاً لا يقدر أحد على تغييره وتأخيرها، ونصب ﴿كُنُوبًا﴾ على المصدر، أي: كتب كتاباً، ﴿وَمَن يَرُؤْ تَوَابَ الدُّنْيَا فَوَؤُهُ مِنهَا﴾

يعني: من يُرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نُؤْتَهُ منها ما يكون جزاءً لعمله، يريد نُؤْتَهُ منها ما يشاء مما قدرناه له، كما قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فَوَاقِبَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِمْ مِنْهَا﴾، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله بن جبير حتى قُتِلُوا، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، أي: المؤمنين المطيعين.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم عبدالصمد الهاشمي أنا أبو يحيى محمد بن عبدالله بن يزيد بن عبدالرحمن المقرئ أنا أبي الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راضمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله له».

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن توبة الزرّاز أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس بن محمد الجرحاني وأبو أحمد محمد بن أحمد المعلم الهروي قالوا: أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي أخبرنا

حيان بن موسى وعبدالله ابن أسماء ابن أخي جويرية بن أسماء قال: أخبرنا عبدالله بن المبارك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

﴿وَكَايُن مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرًا﴾، قرأ ابن كثير «وكائن» بالمد والهمزة على وزن فاعل، وبتلبيين الهمزة أبو جعفر، وقرأ الآخرون ﴿وَكَايُن﴾ بالهمزة والتشديد على وزن كَعَيْن، ومعناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضُمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، ويقف بعض القراء على ﴿وَكَايُن﴾ بلا نون، والآخرون على الوقف بالنون، قوله: ﴿قَتَلَ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون ﴿قَتَلَ﴾ فمن قرأ ﴿قَتَلَ﴾ فلقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قُتِلُوا، لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبياً قُتِلَ في القتال، ولأن ﴿قاتل﴾ أعم، قال أبو عبيدة: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلاً فيه، وإذا حمد من قُتِلَ لم يدخل فيه غيرهم، فكان ﴿قَتَلَ﴾ أعم، ومن قرأ «قُتِلَ» فله

ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون القتل راجعاً إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه، والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربييين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ راجعاً إلى الباقيين، والوجه الثالث: أن يكون القتل للربييين لا غير، وقوله: ﴿رِيثُونَ كَثِيرًا﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقناة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الربيون الأثوف، وقال الكلبي: الرئيثة الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحّاك: الرية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والربانيون الولاة والربييون الرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أي: فما جَبَسُوا، ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقُتِلَ الأصحاب. ﴿وَمَا اسْتَكَاوُوا﴾، قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، وقال عطاء وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُصْتَبِينَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾، نصب على خبر كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما

رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم: «احموا ظهورنا فإن رأيتونا قد غَنِمْنَا فلا تُشْرِكُونَا وإن رأيتونا نقتل فلا تُنْصِرُونَا». وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف، حتى ولّوا هارين.

فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإَذْنِهِ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله، قال أبو عبيدة: الجس: الاستئصال بالقتل، ﴿حَتَّى إِذَا قُتِلْتُمْ﴾ أي: إن جبنتم، وقيل: معناه فلما فشلتم، ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾، والواو زائدة في ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ يعني: [حتى] إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فقتلتم.

ومعنى التنازع الاختلاف، وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون، فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ، وثبت عبدالله بن جبير في نفر يسير دون العشرة، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبدالله بن جبير وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبوراً بعد ما كانت صيباً، وانتفضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش، ونادى

مَوْلَانِي، ناصركم وحافظكم على دينكم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

﴿١٥١﴾ ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بشس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما

هملوا به فذلك قوله تعالى سلقني في قلوب الذين كفروا الرعب، الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب ﴿الرُّعْبَ﴾ بضم العين، وقرأ الآخرون بسكونها، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا حُجَّةً وَبُرْهَانًا، وَمَا وَهُمْ أَلْتَارٌ وَيُقْسَ مَتَوَى الظَّالِمِينَ﴾، مقام الكافرين.

﴿١٥٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد [و] قد أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ﴾ بالنصر والظفر، وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء، ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإَذْنِهِ﴾، وذلك أن

يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِغُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَهُمْ أَلْتَارٌ وَيُقْسَ مَتَوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا قُتِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غَيْبَتَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُ عَمَاءَ بَنِي كَيْلَانَ تَحْزِنُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يُرِيدُ مَا تَحْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: الصغائر، ﴿وَأَسْرِفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾، أي: الكبائر، ﴿وَكَيْتَ أَفْدَامَنَا﴾، كي لا تـزول، ﴿وَأَضْرَبْنَا عَلَى الْقُبُورِ الْكَافِرِينَ﴾، يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد ﷺ.

﴿١٤٨﴾ فَاتَلَّهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا، النصر والغنيمة، ﴿وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، أي: الأجر والجنة، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِغُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه، يعني: المنافقين في قولهم: للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم، ﴿يُرْذِلُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يرجعوكم إلى أول أمركم [من] الشرك بالله، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، مغبونين.

﴿١٥٠﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلِ اللَّهُ

إبليس لعنه الله إن محمداً قد قتل، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَصَبَّحْتُمُ﴾ يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره، ﴿وَبَدَّ مَا آرَأَيْتُمْ مَا تَحْبُوتُونَ﴾ [الله ﷻ تَحْبُوتُونَ] يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، يعني: الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير حتى قتلوا، قال عبدالله بن مسعود: وما شعرت أحداً أن من أصحاب النبي ﷺ يُريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿لَمْ يَرْكَبْكُمْ عَنْهُمْ﴾، أي: رذكهم عنهم بالهزيمة، ﴿وَيَتَلَبَّسُوا﴾، ليمتحنكم، وقيل: ليُنزل عليكم البلاء ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾، فلم يستاصلكم بعد المعصية والمخالفة [منكم لأمر نبيكم] ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذْ تُصَوِّتُونَ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تُصَوِّتُونَ هارين، وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي والحسن وقاتدة «تصعدون» بفتح التاء والعين، والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين، والإصعاد: السير في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذ أبعد في الذهاب، وكلنا القراءتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مُصعداً وصاعداً، وقال المنفصل: صعد وأصعد صعد بمعنى واحد، ﴿لَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تعرجون ولا تقيمون على أحد، لا

يلتفت بعضهم إلى بعض، ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ﴾ أي: في آخركم ومن ورائكم إليّ عباد الله فأنا رسول الله من يكرهه الجنة، ﴿فَاتَّبَعْتُمْ﴾، فجازاكم، جعل الإثابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الشواب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] جعل البشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿عَمَّا يَخْتَوُونَ﴾، وقيل: الباء بمعنى على، أي:

غماً على غم، وقيل: غماً متصلاً بغم، فالغم الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالهم من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: ما سمعوا أن محمداً ﷺ قد قُتل فأنساهم الغم الأول، وقيل: الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان.

وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رآه وضع رجل سهماً في قوسه وأراد أن يرميه، فقال: «أنا رسول الله»، ففرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ [وفرح النبي ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمنع به، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم

ثم أنزل عليكم من بعد الفجر آمنة مأسا يتسكن لها بقية ربكم وما أبقية قد آهنتهم أنفسهم يطؤون بالهعد الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قبلنا ههنا ما قل لو كنتم في بيوتكم لرد الذين كتب عليهم القتال إلى مصابيحهم ولجنت على الله ما في صدوركم ولستم أحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور [١٥٣] إن الذين تولوا منكم يوم التقي الكعبان إنما آسرتهم الشيطان يعرض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله عفو رحيم [١٥٤] يتأخرون الذين آمنوا لا تذكروا كالذين كفروا وقالوا لا يخرونهم إذا صرروا في الأرض أو كانوا عجزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما فتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير [١٥٥] ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون [١٥٦]

منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله ﷺ: «ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاية لا تُعبد في الأرض»، ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أنزلوهم، وقيل: إنهم عموا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الفتح والغنيمة، ﴿لَا مَا آصَبَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَمْ يَرْكَبْكُمْ عَنْهُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿وَبَدَّ مَا آرَأَيْتُمْ مَا تَحْبُوتُونَ﴾

أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في ﴿الله﴾ وقرأ الآخرون بالنصب على البدل، وقيل: على النعت، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْذُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾، وذلك أن المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يُقتل رؤساؤنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قُتِلنا ههنا، قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، يعني: التكذيب بالقدر، وهو قولهم: ﴿لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَدَّ الْأَيْدِيَ كَذِبًا، قُضِي، عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَّا مَضَاهِمَهُمْ، مَصَارِعَهُمْ، ﴿رَبِّتَنِي اللَّهُ﴾، وليمتحن الله، ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ وَرَبِّتَنِي﴾، يخرج ويظهر ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

قال عبدالله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام قال لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا الخوف، أرسل الله علينا النوم، والله اني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمع إلا كالعلم، يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ههنا.

فذلك قوله تعالى: ﴿يَقْتَنُونَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني: المنافقين: قيل: أراد الله به تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع التعاس على المؤمنين حتى أمثوا، ولم يُوقع على المنافقين، فيقروا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهَم يُقال: أمرهمهم ﴿يَطْفَرُونَ﴾ والله غَيْرَ الْحَقِّ، أي: لا ينصر محمداً، وقيل: ظنوا أن محمداً ﷺ قد قُتل، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾، أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿يَقُولُونَ هَلْ نُنَا﴾، ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: حُجِد، ﴿وَمِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، قرأ

وَلَكِنْ مَتَّمْ أَوْ قَاتِلْتُمْ لِمَ لِي اللَّهُ تُحْمَرُونَ ﴿١٥٥﴾ فِيمَا حَمَرْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ تَفْظًا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٦﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْفُرَ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ آمَنَ أَسْمَعُ رَضْوَانَ اللَّهُ كُنْ بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّجَهُمْ وَرَيْسَ الْمَصِيرِ ﴿١٥٩﴾ هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ نَبِيِّ ضَلَّكُمُ شَيْبَانٌ ﴿١٦١﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبِيهٌ قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلَهَا فَلَمْ يَأْتِ هَذَا قُلُوبًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٢﴾

يعني: آمناً، والامنُ الأمانةُ بمعنى واحد، وقيل: الامنُ يكون مع زوال سبب الخوف، والامنةُ مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف ههنا قائماً، ﴿مُتَّاسًا﴾، بدل من الأمانة ﴿يَقْتَنُونَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿تَغَشَى﴾ بالتاء ردأ إلى الأمنة، وقرأ الآخرون بالياء ردأ إلى التعاس، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمنهم يومئذ بئعاس يغشاهم، وإنما يتعس من يأمن، والخائف لا ينام.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسماعيل أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عبدالرحمن أنا حسين بن محمد أخبرنا شيبان عن قتادة أخبرنا أنس. أن أبا طلحة قال:

عَشِينَ النَّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أَحَدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي فَأَخَذَهُ وَيَسْقُطُ وَأَخَذَهُ. وَقَالَ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أَحَدٍ فَجَعَلْتُ مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا وَهُوَ يَمِيلُ تَحْتَ جُحْفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ. قَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ عَنْ أَبِيهِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الْخَوْفُ، أَرْسَلَ اللَّهُ

عَلَيْنَا النَّوْمَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلَ مَعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ وَالنَّعَاسِ يَغْشَانِي مَا أَسْمَعُ إِلَّا كَالْعِلْمِ، يَقُولُ: لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهْنَا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقْتَنُونَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني: المنافقين: قيل: أراد الله به تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع التعاس على المؤمنين حتى أمثوا، ولم يُوقع على المنافقين، فيقروا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهَم يُقال: أمرهمهم ﴿يَطْفَرُونَ﴾ والله غَيْرَ الْحَقِّ، أي: لا ينصر محمداً، وقيل: ظنوا أن محمداً ﷺ قد قُتل، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾، أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿يَقُولُونَ هَلْ نُنَا﴾، ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: حُجِد، ﴿وَمِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، قرأ

وَلَكِنْ مَتَّمْ أَوْ قَاتِلْتُمْ لِمَ لِي اللَّهُ تُحْمَرُونَ ﴿١٥٥﴾ فِيمَا حَمَرْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ تَفْظًا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٦﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْفُرَ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ آمَنَ أَسْمَعُ رَضْوَانَ اللَّهُ كُنْ بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّجَهُمْ وَرَيْسَ الْمَصِيرِ ﴿١٥٩﴾ هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ نَبِيِّ ضَلَّكُمُ شَيْبَانٌ ﴿١٦١﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبِيهٌ قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلَهَا فَلَمْ يَأْتِ هَذَا قُلُوبًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٢﴾

٧١

وهي الخطيئة، وقيل: أزل واستزل بمعنى واحد، ﴿بِتَوْبِهِ مَا كَسَبُوا﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿وَقَالُوا لَاخُونَهُمْ﴾، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ أي: غزاة جمع غار فقتلوا، ﴿كَلُوا كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَالُوا وَمَا قَاتَلُوا لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعني: قولهم ووطنهم، ﴿حَمْرَةَ﴾ (غنا) ﴿فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَخْتِمْ وَأَلَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ بَصِيرَةٌ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «يعملون» بالياء، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿وَلَكِنْ قَاتَلْتُمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾، قرأ نافع وحمزة والكسائي ﴿مِتُّمْ﴾ بكسر الميم، وقرأ الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت، كقولك: من قال يقول قلت، بضم القاف، ومن كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف يخاف خفت، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾، في العاقبة، ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، من الغنائم، قراءة العامة «تجمعون» بالياء، لقوله ﴿وَلَكِنْ قَاتَلْتُمُ﴾ وقرأ حفص عن عاصم ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالياء، يعني: خير مما يجمع الناس.

﴿وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قَاتَلْتُمُ لِإِلَى اللَّهِ

تَحْتَوُونَ﴾، في العاقبة.

﴿١٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَمَّا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فبرحمة من الله، و﴿مَا﴾ صلة، كقوله ﴿يَمَّا نَقَضْتُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿نَقَضْتُ لَمْ﴾ أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تُسرغ إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد، ﴿وَكَلُوا كُنْتُ فَظًّا﴾ يعني: جافياً سيء الخلق قليل الاحتمال، ﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾، قال الكلبي: فظاً في القول غليظ القلب في الفعل، ﴿لَا تَقْعُوبُوا مِنْ حَرْبٍ﴾، أي: لنفروا وتفرقوا عنك، يقال: فضضتهم فانفضوا، أي: فرقتهم تفرقوا ﴿نَاقَضْتُ عَنْهُمْ﴾، تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد ﴿وَأَسْتَقْفِرُ لَكُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم، ﴿وَسَأَلُونَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، من قول العرب: سُرْتُ الدابة، وسُورتها، إذا استخرجت جريها، وسُرت العسل وأسرته إذا أخذته من موضعه، واستخرجته، واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله [تعالى] نبيه ﷺ بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه، ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا، فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد، وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكابد الحرب عند الغزو، وقال مقاتل وقتادة: أمر الله تعالى بمشاورتهم تطبيقاً لقلوبهم، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، فإن سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر

شق ذلك عليهم، وقال الحسن: قد علم الله عز وجل أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده.

أخبرنا أبو ظاهر المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي: أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم [بن علي] الصالحاني أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن ماهان أخبرني أبي أخبرنا طلحة بن زيد عن حُقبيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ.

﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ لا على مشاورتهم، أي: فم بأمر الله وثق به واستعنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿١٦٠﴾ ﴿إِنْ يَصْرِمَكُمْ اللَّهُ﴾، يعنيكم الله ويمنعكم من عدوكم، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، مثل يوم بدر، ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ يترككم فلم ينصركم كما كان بأحد، والخذلان: القعود عن النصرة، والإسلام للهلكة، ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرِمُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من بعد خذلانه، ﴿وَظَلَّ اللَّهُ قَلْبُوكَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، قيل: التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: أن لا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع البزاز ببغداد

أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري أخبرنا محمد بن أبي العوام أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يَسْتَرْفُونَ ولا يتطَيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» ثم قام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة قال أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبدالله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن حياة بن شريح حدثني بكر بن عمرو عن عبدالله بن هبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِيَبِيَّ أَنْ يَقُولَ﴾ الآية.

روى عكرمة ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فُقدت

يوم بدر، فقال بعض الناس أخذها رسول الله ﷺ.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم، فقال النبي ﷺ:

«لم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري؟» قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال النبي ﷺ: «بل ظننتم أننا نثُل ولا نُقسم لكم»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال قتادة: دُكر لنا أنها نزلت في طائفة غَلَّت من أصحابه، وقيل: إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَبِيَّ أَنْ يَقُولَ﴾ فإعطي قوماً ومنع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية، وقال محمد بن إسحاق ابن يسار: هذا في الوحي، يقول: ما كان لنيبي أن يكتم شيئاً من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَبِيَّ أَنْ يَقُولَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم **يَقُولُ** ففتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة، وقيل: اللام فيه منقولة، معناه: ما كان النبي ليُغْل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن يكون من الغلول أيضاً، أي: ما كان لنيبي أن يُخان، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من

الإغلال، معناه: ما كان لنيبي أن يخون، أي ينسب إلى الخيانة، ﴿وَمَنْ يَقُولُ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: أنزل فخذهُ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار، ثم يُكلف أن ينزل إليه، فيخرجه فيفعل ذلك به.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، قال فوجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مدغم، قال: فخرجنا حتى إذا كنا بوادي القرى فبينما مدغم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذ جاء سهم عائر فأصابه فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم تشتعل عليه ناراً»، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بِشَرَاكٍ أو شِراكين إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «شراك من نار أو شراك من نار».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا

زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة الأنصاري عن زيد بن خالد الجهني أنه قال:

ثوفي رجل يوم خيبر فذكر لرسول الله ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم» فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحبكم قد غل في سبيل الله» قال: ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز اليهود ما تساوي درهمين.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب المروزي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير. عن أبي حميد الساعدي قال:

استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فلما قديم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: «ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، فهلاً جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بعييراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت».

وروى قيس بن أبي حازم عن

معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لا تصيبين شيئاً [بغير إذني] فإنه غلول، ومن يغل يات بما غل يوم القيامة».

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه».

وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمرأ حرقوا متاع الغال وضربوه».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ قَوْمٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿١٦٦﴾ ﴿أَمِنَ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، فترك الغلول، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، فغل «وَمَا وَرَثَهُ جَهَنَّمَ وَرِثَ الصَّيْرِ».

﴿١٦٧﴾ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عما: يعني من اتبع رضوان الله ومن بآء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوان الله الشواب العظيم، ولمن بآء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ يَمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٦٨﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حي من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بني ثعلبة، دليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وقال آخرون:

أراد به جميع المؤمنين، ومعنى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بالإيمان والشفقة لا بالنسب، دليله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيهِمْ وَرِزْقِهِمْ وَيُؤْتِيهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مَن قَبْلِهِمْ﴾، أي: من قبل مبعثه ﴿لَوْ سَأَلُوا مِنْ نَبِيِّ﴾.

﴿١٦٩﴾ ﴿أَوْ لَمَّا﴾ [أي: حين] ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾، بأحد، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَيْهَا﴾، يوم بدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين سبعين يوم أحد وقتل المسلمون منهم بدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا هَذَا﴾، من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

روى عبدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تختيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس فقالوا: يا رسول الله عشائرتنا وإخواننا، لا بل تأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون من أسارى أهل بدر.

فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي: بأخذكم

سَبِيلِ اللَّهِ آمُونًَا بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 يُرْزَوْنَ ﴿١٦٦﴾ الآية، قال: أما إنا قد
 سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم
 كطير خضر» وروى في جوف
 طير خضر - لها قناديل معلقة
 بالعرش تسرح في الجنة في أيها
 شاءت ثم تأتي إلى قناديل معلقة
 بالعرش، فينما هم كذلك، إذ أطلع
 عليهم ربك اطلاعه، فقال: سلوني
 ما شئتم، فقالوا: يا رب كيف
 نسالك ونحن نسرح في الجنة في
 أيها شئنا، فلما رأوا أن لا يتركوا
 عن محمد ﷺ وقعدوا في
 بيوتهم ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌ﴾، لهم
 يا محمد، ﴿قَادِرُونَ﴾،
 فادفعوا، ﴿عَنِ اللَّهِ كُفُّكُمْ
 الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 هذا تركوا».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو
 إسحاق الثعلبي أن عبد الله بن حامد
 أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان أنا
 جيعوية أنا صالح بن محمد أنا
 سليمان بن عمرو عن إسماعيل بن
 أمية عن عطاء بن أبي رباح. عن ابن
 عباس رضي الله عنهما قال:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ:
 «إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ
 جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي
 أَجْوَابِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ
 تَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَتَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
 حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ
 ذَهَبٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمَّا رَأَوْا طَيْرَ
 مَقِيلِهِمْ وَمَطْعَمَهُمْ وَمَشْرِبَهُمْ وَرَأَوْا مَا
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ، قَالُوا:
 يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
 التَّعِيمِ وَمَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِنَا كَيْ يَرْغَبُوا
 فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَتَكَلَّمُوا عَنْهُ،

أَي: إِلَى الْإِيمَانِ،
 ﴿يَقُولُونَ﴾ بِأَفْوَاهِهِمْ،
 يَعْنِي: كَلِمَةَ الْإِيمَانِ ﴿مَا
 لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 يَكْتُمُونَ﴾.

﴿١٦٧﴾ ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا
 لِإِخْوَانِهِمْ﴾، فِي التَّسْبِ لَا
 فِي الدِّينِ وَهَمْ شُهَدَاءُ أَحَدٍ
 ﴿وَقَعَدُوا﴾ يَعْنِي: [لَوْ] قَعَدَ
 هُوَ أَلَى الْقَائِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ
 ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾، وَانصَرَفُوا
 عَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَعَدُوا فِي
 بَيْتِهِمْ ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌ﴾، لَهُمْ
 يَا مُحَمَّدَ، ﴿قَادِرُونَ﴾،
 فَادْفَعُوا، ﴿عَنِ اللَّهِ كُفُّكُمْ
 الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

أَنْ الْحَذَرَ لَا يُعْنِي عَنِ الْقَدْرِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ آمُونًَا﴾ الآية، قيل:
 نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة
 عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة
 من المهاجرين، وقال آخرون: نزلت
 في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً
 أربعة من المهاجرين حمزة بن
 عبدالمطلب ومصعب بن عمير
 وعثمان بن شماس وعبدالله بن
 جحش وسائرهم من الأنصار.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالح
 أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن
 الحيري أنا حاجب بن أحمد
 الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو
 معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن
 مرة عن مسروق قال: سألنا عبدالله
 بن مسعود رضي الله عنه عن هذه
 الآية:

﴿١٦٨﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٦٦﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْعُوا قَالُوا لَوْ تَقَاتَلْنَا لَأَتَيْنَنَّكُمْ هَمَّ الْكُفْرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَاتَلُوا لِإِخْوَانِهِمْ
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلٌ قَادِرَةٌ وَعَنِ اللَّهِ كُفُّكُمْ
 الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ آمُونًَا بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَوْنَ ﴿١٦٩﴾ فَوَجِدَ
 بِمَا أَتَيْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَسَتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 يَوْمَئِذٍ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
 يَسْتَشِيرُونَ بِعَمَلٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرٌ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرِضْوَانُ الْوَكِيلِ ﴿١٧٢﴾

الفداء واختياركم القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٦٦﴾ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
 الْجَمْعَانِ﴾، بِأَحَدٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرْحِ
 وَالْهَزِيمَةِ، ﴿فَيَا ذُنَّ اللَّهُ﴾، أَي:
 بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَةِ، ﴿وَيَعْلَمَ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾، أَي: لِيُمَيِّزَ، وَقِيلَ:
 لِيَرَى.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقُوا وَقِيلَ لَهُمْ
 تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أَي: لِأَجْلِ
 دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، ﴿أَوْ ادْعُوا﴾، عَنِ
 أَهْلِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ، وَقَالَ السُّدِّي:
 أَي: كَثُرُوا سِوَا الْمُسْلِمِينَ رَابِطُوا إِنْ
 لَمْ تُقَاتَلُوا يَكُونُ ذَلِكَ دَفْعًا وَقَمْعًا
 لِلْعَدُوِّ، ﴿قَالُوا لَوْ تَقَاتَلْنَا لَأَتَيْنَنَّكُمْ
 هَمَّ الْكُفْرِ﴾، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
 وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ انصَرَفُوا عَنْ أَحَدٍ
 وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ﴾ أَي: إِلَى
 الْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ ﴿مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾

فقال الله عز وجل أنا مخبرٌ عنكم ومبلغٌ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وسمعتُ عبدالواحد بن أحمد المليحي قال: سمعتُ الحسن بن أحمد القتيبي قال: سمعتُ محمد بن عبدالله بن يوسف قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البكري قال: سمعتُ يحيى بن حبيب بن عربي قال: سمعتُ موسى بن إبراهيم قال: سمعتُ طلحة بن خراش قال: سمعتُ جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول:

لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيلاً ودينياً، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً، قال: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك، قال يا ربّ أحيني فأقتل فيك الثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق متي أنهم لا يرجعون، فأنزلت فيهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا حميد عن

أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يموت له عند الله خيرٌ يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لِمَا يَزِي من فضل الشهادة، فإنه يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرةً أخرى».

وقال قوم: نزلت هذه الآية في شهداء بئر معونة.

وكان سبب ذلك على ما روى محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك وغيرهم من أهل العلم قال: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مَلَاغِبَ الأَسْتَةِ - وكان سيد بني عامر بن صعصعة، على رسول الله ﷺ المدينة وأهدى إليه هدية، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: «لا أقبل هدية مشرك»، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك؟ ثم عرض عليه الإسلام، وأخبره بما له فيه وما أعند الله للمؤمنين، وقرأ عليه القرآن فلم يُسلم، ولم يبعد وقال: يا محمد إن الذي تدعو إليه حسنٌ جميل فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فيدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد»، فقال أبو البراء: أنا لهم جارٍ فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمر وأخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار

المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحره بني سليم فلما نزلوها، قال بعضهم لبعض أينكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال حرام بن ملحان: أنا. فخرج بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله ﷺ، فقال حرام بن ملحان: يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأبىوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر أباً براء قد عقد لهم عقداً وجواراً ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصىة ورغلاً وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتكبت بين القتلى، فضلوه

فيهم فعاشر حتى قُتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينههما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر! فقالوا: والله إن لهذا الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره، فقال الأنصاري الله أكبر لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجزأ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً»، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفاً عامر إتياءه، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: من الرجل منهم لما قتل رأيت رُفَع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة، ثم بعد ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل قطعته على فرسه فقتله.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا

أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالأعلى بن حماد أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك:

أن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدولهم فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا يبثر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقتنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب: على رِغَلٍ وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس رضي الله عنه: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رُفِع: بلَغُوا عَنَا قَوْمَنَا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخت فرجع بعدما قرأناه زماناً وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ الآية.

وقيل: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء، وقالوا: نحن في النعمة وأباؤنا وأبنائنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ ولا تظننَّ ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن عامر «قتلوا» بالتشديد، والآخرين بالتخفيف ﴿أَمْواتًا﴾ [أي] كأموات من لم يُقتل في سبيل الله ﴿بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم﴾، قيل أحياء في الدين، وقيل: في الذكر، وقيل: لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى

يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلى في القبر، ولا تأكله الأرض.

وقال عُبَيْد بن عمير: مرَّ رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ ﴿يَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ﴾ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴿[الأحزاب: ٢٣]﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأثوهم وزوروهم وسلّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يُسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه».

﴿بِرِزْوَانٍ﴾، من ثمار الجنة وتُحفها.

﴿١٧٠﴾ ﴿فَرِحِينَ﴾ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، ﴿رِزْقِهِ﴾ وثوابه، ﴿وَرَسَاتِيهِمْ﴾، ويفرحون، ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد لعلمهم أنهم إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فهم لذلك مستبشرون، ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿١٧١﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بِبِعَمَلٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ أَي: وبأن الله، وقرأ الكسائي بكسر الألف على الاستئناف، ﴿لَا يُعْجِبُ أَكْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد الخلال حدثنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال:

«تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ».

وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْغُبُ دَمًا لَلْوُ لَوُؤُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمَسْكَ».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسن الداريجردي أنا عبدالله بن يزيد المقرئ أنا سعيد حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ».

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية.

وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يُرهب العدو، ويُريهم من نفسه وأصحابه قوة فتدب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابةً منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذي

أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله ﷺ: «الْأَلَا لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَضْرَةِ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ، فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي كَانَ قَدْ خَلَفَنِي عَلَى أَخَوَاتِ لِي سَبْعَ، وَقَالَ لِي: يَا بَنِي إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَكَ أَنْ تَتْرَكَ هَؤُلَاءِ النَّسْوَةَ لَا رَجُلٌ فِيهِنَّ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُوتِرْتُكَ عَلَى نَفْسِي فِي الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَخَلَّفَ عَلَى أَخَوَاتِكَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَ، فَأَذَنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُرْهَبًا لِلْعَدُوِّ، وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلِبِهِمْ فَيُظَنُّوا أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهَنِهِمْ فَيَنْصَرِفُوا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَحَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانَ وَأَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجِرَاحِ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا حِمْرَاءَ الْأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ».

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعبدالله بن الزبير: يا ابن أختي أما والله إن أباك وجدك تعني أبا بكر، والزبير لمن الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَيْنِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، فمر برسول الله ﷺ معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبةً نصح رسول الله ﷺ بتهمته، صفقتهم معه لا يُخفون عنه شيئاً كان به وكان معبد يومئذ مشركاً فقال: يا محمد والله لقد عز علينا ما

أصابك في أصحابك، ولويدنا أن الله - تعالى - كان [قد] أعفأك منهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ، حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أصبنا جلة أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم، فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال له: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج مع أصحابه يطلبكم في جمع لم أَرُ مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وتلدّموا على صنيعهم، وفيهم من الحقن عليكم شيء لم أَرُ مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعتنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال: فإني والله أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه آياتاً:

كادت تهذب من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل فذكر آياتاً فرد ذلك أبا سفيان

ومن معه، ومرّ به ركب من عبدالقيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلغون محمداً عني رسالةً وأحمل لكم إيلكم هذه زيبياً بعكاظ غداً إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعتنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، وانصرف أبو سفيان إلى مكة، ومرّ الركب برسول الله ﷺ وهم بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قاله أبو

سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الثالث. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله» فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مَر الظهران، ثم ألقى الله الرعب في قلبه فبداه الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان: يا نعيم واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وإن هذه عام جذب ولا يُصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة فطبطهم وأعلمهم أنني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها، قال: فجاء سهيل فقال له نعيم: يا أبا يزيد، أضمن لي هذه القلائص من أبي سفيان وأنطلق إلى محمد وأنبطه؟ قال: نعم، فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال: أين

تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى [أن نقتل بها]، فقال: بشئ [الرأي رأيتم] أنوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد، أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل»، فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافوا بدرأ الصغرى، فجمعوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يُرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى بلغوا بدرأ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام، فأقام رسول الله ﷺ يندر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان [وأصحابه] من مجنة إلى مكة، فلم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحداً من المشركين، ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي أجابوا، ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض على صفة المؤمنين تقديره: إن الله لا يُضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول، ﴿وَمِنْ بَدَمًا أَصَابَهُمُ الْقَرْعُ﴾، أي: [نالتهم

الجراح]، تم الكلام ههنا، ثم ابتداء فقال: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو، ﴿وَأَنْتُمْ﴾، معصيته ﴿أَكْبَرُ عَظِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالَهُمْ كَاتِبُونَ﴾ ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض أيضاً مردوداً على [قوله] الذين الأول وأراد بالناس: نعيم بن مسعود، في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ يَتَخَسَّبُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] يعني: محمداً ﷺ وحده، وقال محمد بن إسحاق وجماعة: أراد بالناس الركب من عبد القيس، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَأَخَسَوْهُمْ﴾، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَرَادَهُمْ لِيَمِينًا﴾ تصديقاً [وقوة] وبقينا وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، أي: الموكل

إليه الأمور، ففعل بمعنى مفعول. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخَسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ لِيَمِينًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

﴿فَأَنْتُمْ لِيَمِينًا﴾، فانصرفوا،

﴿يَنْعَمُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ بعافية لم يلقوا عدواً ﴿فَقَبِلُوا﴾ تجارة وريح وهو ما أصابوا في السوق ﴿لَمْ يَسْتَسْئِمُوا سَوْءًا﴾ لم يصبهم أذى ولا مكروه، ﴿وَأَسْبَغُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿١٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذُكِرَ الْقِتْلَانِ﴾ يعني: الذي قال لكم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ جَبَمُوا لَكُمْ فَأَخَذْتَهُمْ﴾، من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهيبهم وتجبثوا عنهم، ﴿يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود «بخوفكم أولياءه»، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾، في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بوعدني لأنني متكفل لكم بالنصر والظفر.

﴿١٧٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ التَّرَجُّبُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: [هم] المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾،

بمسارعتهم في الكفر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾، نصيباً في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر، ﴿وَلَمْ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾.

﴿١٧٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا﴾، استبدلوا ﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، [بمسارعتهم في الكفر] وإنما يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة هذا

والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء فـ ﴿الَّذِينَ﴾ في محل الرفع على الفاعل تقديره: ولا يحسبن الكفار إملأنا لهم خيراً، ومن قرأ بالتاء يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿أَنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشت طويلاً حميداً وتمليت حيناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْجِي مَلِيكًا﴾ [مريم: ٤٦] أي: حيناً طويلاً، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ﴾، نمهلهم ﴿لِيَزِدَّادُوا إِسْمًا وَلَمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء في قريظة والنضير.

أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البرزنجردي أنا أبو أحمد

فَأَقْبَلُوا بِعَمَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلَ لَمْ يَسْتَسْئِمُوا سَوْءًا وَكَسَبُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا ذُكِرَ الْقِتْلَانِ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُمْ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا تُلَىٰ لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِسْمًا وَلَمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٩﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَكُمْ عَلَىٰ الْقَتْلِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْتَسِبُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَكَاذِبُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَيْبُوا فَتَوَيْبُوا وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَعْسَبَ الَّذِينَ يَسْخَرُونَ بِمَا أُنزِلَتْ بِهِمْ قَوْلًا مَّا يَجْلِبُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ وَرِثَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧٩﴾

بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة عن علي بن زيد عن عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال:

سئل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: فأبي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله».

﴿١٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، اختلفوا فيها، فقال الكلبي: قالت قريش: يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان، وأن من أتبعك على دينك فهو في الجنة، والله عنه راضٍ، فأخبرنا بمن يؤمن بك ويمن لا يؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال السدي: قال رسول الله ﷺ:

«عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي فِي صُورِهَا فِي الطَّيْنِ كَمَا عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ، وَأَعْلَمْتُ مِنْ يَوْمِنِ بِي وَمَنْ يَكْفُرُ بِي»، فبلغ ذلك المنافقين، فقالوا استهزاء: زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد، ونحن معه وما يعرفنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأكم به»، فقام عبدالله بن حذافة السهمي، فقال: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال حذافة، فقام عمر فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا وَبِكَ نَبِيًّا فَاعْفُ عَنَّا عَفَا اللَّهُ عَنكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ؟» ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمَنْبَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

واختلفوا في حكم [هذه] الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني: «مَا كَانَ اللَّهُ يُدْزِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق «حَتَّى يَبِيرَ اللَّحْيَتَيْنِ مِنَ اللَّحْيَتَيْنِ»، وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: وما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب، «حَتَّى يَبِيرَ اللَّحْيَتَيْنِ مِنَ اللَّحْيَتَيْنِ»، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء

وتشديدها وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالتخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه ميزاً وميزه تمييزاً إذا فرقه وامتاز، وإنما هو بنفسه، قال أبو معاذ: إذا فرقت بين شيئين، قلت: مزت ميزاً فإذا كانت أشياء، قلت: ميزتها تمييزاً، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فرقت بالتخفيف، ومنه فرق الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقته تفريقاً، ومعنى الآية: حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد، وقال الضحاك: «مَا كَانَ اللَّهُ يُدْزِرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: «حَتَّى يَبِيرَ اللَّحْيَتَيْنِ» وهو المذنب «مِنَ اللَّحْيَتَيْنِ» وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، «وَمَا كَانَ اللَّهُ يُطْلِكُكُمْ عَلَى اللَّحْيَتَيْنِ»، لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله، «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» فيطلع على بعض علم الغيب، نظيره قوله تعالى: «عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُلِهِ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباه، «فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ

تَوَمَّنُوا وَتَوَمَّنُوا فَلَكُمْ أَسْرٌ عَظِيمٌ».

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، أي: ولا يحسبن الباخلون البخل خيراً لهم، «بَلْ هُوَ»، يعني: البخل، «سَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ»، أي: سوف يطوقون، «مَا يَبْخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وأبي وائل والشعبي والسدي.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبدالله المدني أنا هاشم بن القاسم أخبرنا عبدالرحمن [بن عبدالله] بن دينار [عن أبيه] عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يُطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه، يعني شذقيه، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

انتهيت إليه يعني النبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده أو والذي لا إله

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يظْلَمُ لِعِبَادٍ شَيْئاً ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُائِنَا آلَا نُوْمِنُ لِرُسُولِي حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَشْرًا
مِّنْ سَمَاءٍ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَلِنَمَّا نُوَفِّيَنَّكُمْ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ
عَنِ الشَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا بِالْكِتَابِ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْعَىٰ كَثِيرًا
وَلَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

٧٤

إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء، وذكر الحسن: أن قائل هذه المقالة حيي بن أخطب.

وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: كتب النبي ﷺ

مع أبي بكر [الصديق] رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناساً كثيراً

غيره أو كما حلف، ما من رجل يكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمنه، تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أحرها زدت عليه أولها حتى يُقضى بين الناس.

قال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقاً من النار، قال مجاهد: يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحرار اليهود الذين كتبوا صفة محمد ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧] ومعنى قوله: ﴿سَيَطُورُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. ﴿وَاللَّهُ يَبْرِئُ الشُّكْرَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قرأ أهل البصرة ومكة [يعلمون] بالياء، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿١٨١﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قال الحسن ومجاهد: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود:

يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير وهم أغنياء، فغضبت لله فضربت وجهه، فجدد ذلك فنحاص فانزل الله تعالى رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

﴿سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا﴾، من الإفك والفرية على الله فنجازهم به، وقال مقاتل: سيحفظ عليهم، وقال الواقدي: سأم الحفظة بالكتابة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلِنَا لَهُمْ كِتَابٌ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قرأ حمزة

من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم، ومعه حبر آخر يقال له: أشيع فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فأمروا بصدق وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، وبضاعف لك الثواب، فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني؟ فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء، وأنه ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك

﴿سَيَكْتَبُ﴾ بضم الياء، ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ برفع اللام ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء، و﴿ذَوُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النار، وهو بمعنى المحرق، كما يقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، أي: مؤلم.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْمَعِينِ﴾، فيعذب بغير ذنب.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدُ لَإِنِّيآ﴾، الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفتحاص بن عازوراء وحيبي بن أخطب أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا وأن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿أَلَا تُوۡرِثُونَ رِسۡوٰلِیۡ﴾، يزعم أنه من عند الله، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَٰنَا بِقُرۡبَانَ تَأْكُلُهُ الْكَآرُ﴾، فإن جئتنا به صدقناك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ أي: سمع الله قول الذين قالوا، ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ خفض رداً على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول، ﴿إِنَّ اللَّهَ عٰهَدُ لَإِنِّيآ﴾ أي: أمرنا وأرسانا في كتبه ﴿أَلَا تُوۡرِثُونَ رِسۡوٰلِیۡ﴾، أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فيكون دليلاً على صدقه، والقربان: كل ما يُتَقَرَّبُ به العبد إلى الله تعالى من نسِيكَةٍ وصدقة وعمل صالح، وهو فعْلان من القرية، وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا قربوا قرباناً أو غنموا غنيمة جاءت

نارٌ بيضاء من السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف، فتأكله وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول، وإذا لم يُقبل بقيت على حالها.

وقال السدي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتكم بقربان تأكله النار حتى يأتكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان، قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾، يا معشر اليهود، ﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّذِي قُلْتُمْ﴾، من القربان ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾؟ يعني: زكريا ويحيى [عليهم السلام] وسائر من قتلوا من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿إِن كُنْتُمْ صٰدِقِیۡنَ﴾، معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك، كقتل آبائهم الأنبياء، مع الإتيان بالقربان والمعجزات، ثم قال معزياً لنبیه ﷺ.

﴿إِنَّ كَذَّبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، قرأ ابن عامر «وبالزبير» أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحداها [زبور] مثل: رسول ورسول، ﴿وَالْكِتٰبِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح المضيء.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ [منفوسة] ﴿ذٰلِقَةً لِّلۡوَتِّ﴾.

وفي الحديث: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ اشْتَكَّتِ الْأَرْضُ إِلَى رَبِّهَا لَمَّا أَخَذَ مِنْهَا، فَوَعَدَهَا أَنْ يَرِدَ فِيهَا مَا

أَخَذَ مِنْهَا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَدْفِنُ فِي التُّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا».

﴿وَإِنَّمَا تُوۡفِقُونَ أَجۡرَڪُمۡ﴾، توفون جزاء أعمالكم، ﴿يَوۡرِثُ الْيَتِيۡمَ﴾، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، ﴿فَمَن ذُحِّجَ﴾، نُحِي وَأُزِيلُ، ﴿عَنِ الشَّكَارِ وَأُدۡخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدَ قَآرُۙ﴾ [بالنجاة] ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْفُجُوۡرِ﴾، يعني منفعة ومتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم يزول ولا يبقى، وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له، قال قتادة: هي متاع متروكه يُوشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم، والغرور الباطل.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصّٰلِحِيۡنَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اِقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة: ١٧]، وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقروا إن شئتم: ﴿وَيٰظِلِّ تَمۡدُوۡرِ﴾

[الواقعة: ٣٠] ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها، واقروا إن شئتم ﴿فَمَن ذُحِّجَ عَنِ الشَّكَارِ وَأُدۡخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدَ قَآرُۙ وَمَا

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعَ الْفُتُورِ».

﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ
وَأَنْتُمْ كُفْرًا﴾ الآية.

قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج: نزلت الآية في أبي بكر وفتحاص بن عازوراء، وذلك أن النبي ﷺ بعث أبا بكر إلى فتحاص بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمده، وكتب إليه كتاباً وقال لأبي بكر رضي الله عنه: «لا تفتأتن عليّ بشيء حتى ترجع»، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربك إلى أن نمده، فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لا تفتأتن عليّ بشيء حتى ترجع»، فكف، فنزلت هذه الآية.

وقال الزهري: نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ ويسب المسلمين، ويحرض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه، في شعره ويسب نساء المسلمين، فقال النبي ﷺ: «من لي بآبن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله؟» فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «فافعل إن قدرت على ذلك»، فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، وقال له: «لِمَ تركت الطعام والشراب؟» قال: يا رسول الله قلت قولاً ولا أدري هل أفي به أم لا، فقال: «إنما عليك الجهد»، فقال: يا رسول الله إنه لا

بد لنا من أن نقول فيك، قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك، فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسيلكان بن سلام أبو نائلة، وكان أخا كعب من الرضاة، وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عيسى بن جببير، فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم، وقال: «انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم»، ثم رجع رسول الله ﷺ، وذلك في ليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إنني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فآكثم عليّ، قال: أفعال، قال: كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء، عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة، فانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا، فقال أبو نائلة: إن معي أصحاباً أردنا أن تبيعنا طعامك وثرهتك ونوثق لك وتحسن في ذلك، قال: أترهونوني أبناءكم، قال: إنا نستحي أن يُعيرَ أبناءنا فيقال هذا رهينة وستق، وهذا رهينة وسقين، قال: ترهونوني نساءكم، قالوا: كيف نرهئك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك، وأية امرأة تمتنع منك لجمالك، ولكننا نرهتك الحلقة، يعني: السلاح، وقد علمت حاجتنا إلى السلاح، قال: نعم، وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا

رآه فوعده أن يأتيه فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم خبره، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ليلاً، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته فقالت امرأته: أسمع صوتاً يقطر منه الدم، وإتاك رجل محارب، وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن، فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة وإن هؤلاء لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، وإن الكريم إذا دعي إلى طعنة بليل أجاب، فنزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا: يا ابن الأشرف هل لك إلى أن تتماشى إلى شعب العجوز نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم؟ فخرجوا يتماشون، وكان أبو نائلة قال: لأصحابه إنني فاتل شعره فأشتمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدوتكم فاضربوه، ثم إنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده، فقال: ما رأيت كالدليلة طيب عروس قط، قال: إنه طيب أم فلان يعني امرأته، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم أخذ بقود تغن شيئاً، قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حَوْلْنَا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار، قال فوضعت في ثنودته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض

القول، ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَأَهُ ظُهُورِهِمْ﴾، أي: طرحوه وضيّعوه وتركوا العمل به، ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ مِنَّا قَلِيلًا﴾، يعني: المآكل والرّشاش، ﴿فَبَشَّرْتَنَا بِشَرِّكَ﴾، قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن عَلِمَ شيئاً فليُعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة.

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل بن إسماعيل الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البزتي أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من سُئِلَ عن علم يعلمه فكتمه ألجِمَ يومَ القيامةِ بلجامٍ من نارٍ».

وقال الحسن بن عمارة: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابيه، فقلت: إن رأيت أن تحدثني؟ فقال: أما علمت أني قد تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على

من أمرني بقتله لضربت عنقك، قال: لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب؟! فأسلم حويصة، وأنزل الله تعالى في شأن كعب: ﴿تُجَلِّدُونَ﴾ لتخبرن، واللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم ﴿فِي أَمْرِكُمْ﴾ بالجوائح والعاهات والخسران ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، وقال عطاء:

هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم من أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿وَأَلَّسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿أَذَى كَثِيراً وَإِن تَصَرُّوْا عَلَىٰ آذَاهُمْ﴾ ﴿وَتَقْتُلُوا﴾، الله، ﴿وَإِن ذَٰلِكَ مِن عَذَابِ الْأُمُورِ﴾، [أي] من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالبلاء فيهما، لقوله تعالى: ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَأَهُ ظُهُورِهِمْ﴾، وقرأ الآخرون بالثاء فيها على إضمار

وَأِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَبَدُّوهُ وَرَأَهُ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ مِنَّا قَلِيلًا فَبَشَّرْنَا بِشَرِّكَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاوَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَاللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآبِتٌ لِّأُولَى الْأَلْتَبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَنَّكَرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطِيْلًا سُبْحَانَكَ قَبْلَنَا عَذَابُ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَالْمَالِلِطْلِيلِينَ وَمَن أَنْصَارِ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعُنَا مَنَادًا يَأْتِي دَاوَى الْإِيمَانِ أَنْ مَا يُؤْمَرُ بِرَبِّكُمْ فَمَا مَنَّ رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآءِزْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخَيِّرْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْعِيَادَ ﴿١٩٤﴾

آسيافا، قال: فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم، ثم وقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل كعب وجئنا برأسه إليه، وتفل على جرح صاحبنا، فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود وقعتنا بعدو الله، فقال رسول الله ﷺ: «من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه»، فوثب محيصة بن مسعود على سنية رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله، جعل حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله قتله أما والله لرُبُّ شحم في بطنك من ماله، قال محيصة: والله لو أمرني بقتلك

أهل العلم أن يُعلموا، قال: فحدثني أربعين حديثاً.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية، قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء، أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالياء «لا يحسبن» الفارحون فرحهم مُنجياً لهم من العذاب، «فلا يحسبنهم» وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الياء خيراً عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء، أي: فلا تحسبنهم يا محمد، وأعاد قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ تأكيداً، وفي حرف عبدالله بن مسعود «ولا يحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا بمفاضة من العذاب» من غير تكرار، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم أنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري:

أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فنزل ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية.

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لعذبين أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استُحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما آتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

قال عكرمة: نزلت في فئحة وأشيع وغيرهما من الأحرار يفرحون بإضلالهم الناس بنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل علم، وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبيرة: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك.

وقال قتادة ومقاتل: أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ قالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنما على رأيك ونحن لك رده، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفنا وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم هكذا

فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية،

وقال: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الفراء بما فعلوا، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، أي: فعلت، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ﴾ أي: بمنجاة، ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ ولهم عذابٌ أليمٌ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يصرها كيف يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَيْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا أحمد بن عبدالجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبدالرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس [عن أبيه: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما]:

أنه رَقَدَ عند رسول الله ﷺ فرآه استيقظ فتسوّك ثم توضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى ختم السور، ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك، ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول:

«اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي لساني نوراً واجعل خلقي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوقني نوراً ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً».

ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً» قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَكُمْ سُبُوحًا غَالِبَةً يُعْبَدُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا خِزْيَانًا خَرَابًا﴾. ذي العقول ثم وصفهم، فقال:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَكُنُوزَهُمْ﴾، قال علي بن أبي طالب وابن عباس والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة يصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحجوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أنا هناد أنا وكيع عن إبراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبدالله بن بريدة عن عمران بن حصين قال:

سألت رسول الله ﷺ عن صلاة المريض، فقال: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب».

وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قل ما يخلو من إحدى

هذه الحالات الثلاث، نظيره في سورة النساء ﴿إِذَا قَضَيْتُمْ صَلَاتَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ قَلْبًا وَقَوْلًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَتَتَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما لِيَذْكُرَهُمْ ذلك على قدرة الله ويعرفون أن لها صناعاً قادراً مدبراً حكيماً، قال ابن عون: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جلّيت القلوب بمثل الأحران، ولا استنارت بمثل الفكرة، ﴿رَبَّنَا﴾ أي: ويقولون ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ زده إلى الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿بِطِلَافٍ﴾، أي: عبثاً وهزلاً بل خلقته لأمر عظيم، وانصب ﴿بِطِلَافٍ﴾ بنزع الخافض، أي: بالباطل، ﴿سُبْحَانَكَ قَبِيحًا عَبْدًا نَارًا﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾، أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرَجُونَ فِي صَبِيحٍ﴾ [هود: ٧٨] فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْرَجُ اللَّهُ الْكَاذِبِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾، فكيف الجمع؟ قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلده في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها.

فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخُلُ قَوْمًا النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا».

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعني: محمداً ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين، وقال القرظي: يعني القرآن، فليس كل أحد يلقي النبي ﷺ، ﴿بِنَادِيٍّ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، ﴿أَن آتَيْنَا بِرَبِّكُمْ قَائِمًا رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّأْ مَعَ الْآبَرَارِ﴾، أي: في جملة الأبرار.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، أي: على السنة رسلك، ﴿وَلَا تُخزِنَا﴾، ولا تُعذِّبْنَا ولا تفضحنا ولا تهلكنا، ولا تُهِنَّا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْفِ الْأَعْيَادَ﴾، فإن قيل: ما وجه قولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، وقد علموا أن الله لا يُخلف الميعاد؟ قيل: لفظه دعاء ومعناه الخبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك، تقديره: ﴿فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ ﴿وَلَا تُخزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة، وقيل: معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاتهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، قالوا: قد عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تَخْلِفُ وَعْدَكَ مِنَ النَّصْرِ، ولكن لا صَبَرَ لَنَا عَلَى حَلْمِكَ فَعَجَّلْ خَزِيمَهُم وانصرتنا عليهم.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ أي: بأنني: ﴿لَا أُضِيعُ﴾،

لا أحبط، ﴿عَمَلٌ عَمِلَ بَيْنَكُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾.

قال مجاهد: قالت أم سلمة يا رسول الله إنني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

قال الكلبي: في الدين والنصرة والمال، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاك: رجالكم شكل نساءكم ونساءكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَشَرٌ مِثْلُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾.

قرأ ابن عامر وابن كثير «قتلوا» بالتشديد، قال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ يريد أنهم قاتلوا العدو ثم إنهم قتلوا، وقرأ حمزة والكسائي «قتلوا وقاتلوا» وله وجهان، أحدهما: معناه وقاتل من بقي منهم، ومعنى قوله «وقُتِلُوا» أي: قُتِلَ بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر «وقُتِلُوا» وقد قاتلوا، ﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَافًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لأثيبنهم

ثواباً، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

﴿١٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتعمنون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾، وضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وأنواع المكاسب، الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه غيره.

﴿١٩٧﴾ ﴿مَتَّعَ قَلِيلًا﴾، أي: هو متاع قليل، بُلُغَةٌ فانية ومُتَعَةٌ زائلة، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ﴾، مصيرهم، ﴿جَهَنَّمَ وَيَتَسَاءَلُونَ الْجِبَاهَةَ﴾، الفِراش.

﴿١٩٨﴾ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ وَلَدًا﴾، أي: من متاع الدنيا.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

جئت فإذا رسول الله في مشربة وإنه لعلى حضير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوراً

وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحضير في جنبه، فبكيته فقال: «ما يُبكيك؟» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟ فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»

﴿١٩٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾. الآية.

قال ابن عباس وجابر وأنس وقناة: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية، وذلك أنه لما مات نعه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، النجاشي» فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على عُلج حبشي نصراني لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: نزلت في أربعين رجلاً من بني حارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فأمنوا بالنبي ﷺ، وقال ابن جريج: نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه، وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ خَاضِعِينَ﴾

تَبَدَّلُوا ۖ، أي: لا تستبدلوا، ﴿الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ﴾، أي: مألهم الذي هو حرام عليكم، بالحلال من أموالكم، واختلفوا في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي: كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء، فرتما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم، فثبوا عن ذلك، وقيل: كان أهل الجاهلية لا يؤرثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، فنصيبه من الميراث طيب، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خبيث، وقال مجاهد: لا تتعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾، أي: مع أموالكم، كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَسْرَفَ إِلَىٰ آلِهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي: مع الله، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَوْبًا كَبِيرًا﴾، أي: إنمًا عظيمًا.

﴿٢﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَكَلْتُمْ وَرَبِّعَ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال بعضهم: معناها إن خفتم يا أولياء اليتامى أن تعدلوا فيهم إذا نكحتموهن فانكِحوهن غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع.

بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَوتُوا﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾، قراءة العامة بالنصب، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزة بالخفض، أي: به وبالأرحام كما يقال: سألتك بالله والأرحام، والقراءة الأولى أفصح لأن العرب لا تكاد تنسق بظاهر على مكثى إلا بعد أن تعيد الخافض فتقول: مررت به ويزيد، إلا أنه جائز مع قلته، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، أي: حافظًا.

﴿٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾.

قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أظننا الله وأظننا الرسول نعود بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله فقال النبي ﷺ: «من يوق شح نفسه ويظن ربه هكذا فإنه يحل داره».

يعني: جنته، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «ثبت الأجر وبقي الوزر» فقالوا: كيف بقي الوزر؟ فقال: «ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده».

وقوله ﴿وَأَتُوا﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى: جمع يتيم، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد، وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى ههنا على معنى أنهم كانوا يتامى، ﴿وَلَا

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال: كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها [عن قوله]: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساها، فثبوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة رضي الله عنها: ثم استفتى الناس رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَسَتَفْرُوكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُتَيَّمُكُم فِيهِمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَرَبِّعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧].

فبين الله تعالى في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال أو مال، رَغِبُوا في نكاحها ولم يلقحوها بستنتها بإكمال الصداق، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يُقسطوا لها الأوفى من الصداق ويُعطوها حقها.

قال الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية يكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريباً فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة: كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدماً من مؤن نسائه مال إلى مال يتيمة الذي في حجره فأفقهه، فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بعضهم: كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاؤوا ورُبما عدلوا وربما لم يعدلوا، فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ أنزل هذه الآية ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ إِلَّا أَنْ نَفِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، يقول كما خفتهم أن لا تُقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يُمكنكم

القيام بحقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي، ثم رُخص في نكاح أربع فقال: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَىٰ وَكُنْتُمْ وَرِثَٰةً فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا نَدِيًّا فَوَاحِدَةً﴾، وقال مجاهد: معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً فكذلك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً، وكانوا يتزوجون ما شاؤوا من غير عدد، فنزل قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: مَنْ طَابَ كقوله تعالى: ﴿وَالنِّسَاءُ وَمَا بَنَيْنَا﴾ [الشمس: ٥] أي ومن بناها، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] والعرب تضع «من» و«ما» كل واحدة موضع الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَتَنَّم مَن يَتَّبِعِ عَلَىٰ بَطْنِهِ وَيَتَّبِع مَن يَتَّبِعِ عَلَىٰ يَتَّبِعِينَ﴾ [النور: ٤٥]، وطاب أي: حل لكم من النساء مثني وثلاث ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يصرفن، والواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا لِلَّهِ مَتَىٰ وَفَرَدَيْنَا﴾ [سبأ: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَجْعَلْ مَتَىٰ وَكُنْتُمْ وَرِثَٰةً﴾ [فاطر: ١] وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة، وكانت الزيادة من خصائص النبي ﷺ لا مشاركة معه لأحد من الأمة فيها.

وزوي أن قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت هذه الآية قال له رسول الله ﷺ: «طلق أربعاً

وأمسك أربعاً» قال فجعلت أقول للمرأة التي لم تلد [مني] يا فلانة أوبري وللتي قد ولدت يا فلانة أقبلي.

وزوي أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي ﷺ: «أمسك أربعاً وفارق سائرهن».

وإذا جمع الحر بين أربع نسوة حرائر فإنه يجوز، فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم لما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عبدالرحمن مولى أبي طلحة عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ينكح العبد امرأتين، ويطلق تطليقتين وتعد الأمة بحيفتين، فإن لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف. وقال ربيعة: يجوز للعبد أن ينكح أربع نسوة كالحر. ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، خشيتهم، وقيل: علمتم، ﴿إِلَّا نَدِيًّا﴾، بين الأزواج الأربع، ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر ﴿فَوَاحِدَةً﴾ بالرفع، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسّم لهن ولا وقف في عدهن، وذكر الأيمان بياناً تقديره:

أو ما ملكتم، وقال بعض أهل المعاني: أو ما ملكت أيمانكم، أي: ما ينفذ فيه إقسامكم، جعله من يمين

الحلف، لا يمين الجارحة، ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾، أقرب، ﴿أَلَّا تَمْلِكُوا﴾ أي: لا تجوزوا ولا تميلوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائز مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: أن لا تضلوا، وقال الفراء: أن لا تجاوزوا، ما فرض الله عليكم، وأصل العول: المجاوزة، ومنه عؤل الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: أن لا تكثر عيالكُم، وما قاله أحد، إنما يقال: [من كثرة العيال] أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرف «أن لا تعيلا» وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتٍ مِّمَّا﴾، قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كان زوجها غريباً حملوها إليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك، فنهاهم عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله قال الحضرمي: وكان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته، ولا مهر بينهما، فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العقد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

«نهى عن الشغار»، والشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، وليس بينهما صداق.

وقال آخرون: الخطاب للأزواج أمروا بليثاء نساءهم الصداق، وهذا أصح، لأن الخطاب فيما قبل مع الناكحين، والصدقات: المهور، واحداً صدقة، (نحلة) قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماء، قال أبو عبيد: ولا تكون النحلة إلا مسماء معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس، وقال الزجاج: تديناً.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالله بن يوسف أخبرنا الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسُّ الشروط أن تُوفوا به ما استحللتم به الفروج».

﴿إِن طَلَبَ لَكُمْ عَن سِتْرٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرة، فلذلك وحّد النفس، كما قال الله تعالى: ﴿وَصَاقَ يَوْمَ ذَرْبًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] ﴿وَقَرَىٰ عَيْنًا﴾ وقيل: لفظها واحد ومعناها جمع، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾، سائغاً طيباً، يقال: [هنا في] الطعام يهنئ بهفتح التنوين في الماضي وكسرهما في الباقي، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء،

والمريء: المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر، قرأ أبو جعفر «هنياً مرياً» بتشديد الياء فيهما من غير همزة، وكذلك «بري» و«بريون» و«بريسا» و«كهيبة» والآخرون يهمزونها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجاً أو بنات أو أمهات، وقال آخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفية وابنتك السفية، وقال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفية مفسدة وأن ولده سفية مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفق عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ لأنهم قوامها ومدبروها، والسفية الذي لا يجوز

لوليه أن يؤتية ماله هو المستحق الجحيز عليه، وهو أن يكون مبدراً في ماله أو مفسداً في دينه، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: الجهال بموضع الحق أموالكم التي جعل الله لكم قياماً، قرأ نافع وابن عامر «قيماً» بلا ألف، وقرأ الآخرون «يئماً» وأصله: قواماً، فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهو ملك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البرّ وبه فكك الرقاب من النار. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم، ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال ﴿فِيهَا﴾ ولم يقل: منها، لأنه أراد اجعلوا لهم فيها رزقاً فإن الرزق من الله العطية من غير حدّ، ومن العباد أجرٌ موقتٌ محدود. ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرغوبًا﴾ عدة جميلة، وقال عطاء: [يقول] إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت جعلت لك حظاً، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته، فقل له: عافانا الله وإياك بارك الله فيك، وقيل: قولاً لينا تطيب به نفوسهم.

① قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الْيَتِيمَ﴾، الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير، فجاء عمه إلى النبي ﷺ وقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا الْيَتِيمَ﴾ أي: اختبروهم في عقولهم

وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿فَإِنِ آسَأْتُمْ﴾، أبصرتهم، ﴿يَتِيمَ ذُنْدًا﴾، قال المفسرون يعني: عقلاً وصلاًحاً في الدين وحفظاً للمال وعلماً بما يصلحه. قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عييده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها، فإذا رأى حسن تدبيره، وتصرفه في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه. واعلم أن الله تعالى علّق زوال الخجّر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة: اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان مختصان بالنساء فما يشترك فيه الرجال والنساء أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاماً كان أو جارية، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

وقال النبي ﷺ لمعاذ في الجزية حين بعثه إلى اليمن: «خذ من كل حالم ديناراً» وأما الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول الفرج، فهو بلوغ في أولاد المشركين، إما روي عن عطية القرظي قال: كنت من سبي قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت.

وهل يكون ذلك بلوغاً في أولاد المسلمين؟ فيه قولان، أحدهما: يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار، والثاني: لا يكون بلوغاً لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آباءهم، وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم، ولا يقبل قول

آبائهم فيه لكفرهم، فجعل الإنبات الذي هو أمانة البلوغ بلوغاً في حقهم، وأما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يُحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل، وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله، والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبدراً، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمداً دنوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يُحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله، دام الحجر عليه، ولا يدفع إليه ماله ولا ينفذ تصرفه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه وإن كان مفسداً في دينه، وإن كان مفسداً لماله قال: لا يدفع إليه المال حتى يبلغ خمساً وعشرين سنة، غير أن تصرفه يكون نافذاً قبله، والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه، لأن الله تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإناس الرشد، والفاستق لا يكون رشيداً ويعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإنفاق غير رشيد، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن، وإذا بلغ وأونس منه الرشد زال الحجر عنه،

ودفع إليه المال رجلاً كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج، وعند مالك رحمه الله تعالى: إن كانت امرأة لا يدفع المال إليها ما لم تتزوج، فإذا تزوجت دفع إليها، ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج، ما لم تكبر وتُجرب، وإذا بلغ الصبي رشيداً وزال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً نُظر فإن عاد مبدراً لماله حُجر عليه، وإن عاد مفسداً في دينه فعلى وجهين، أحدهما: يُعاد الحِجْرُ عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة، والثاني: لا يُعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا حجر على الحرِّ العاقل البالغ بحال، والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم، ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبدالله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة بستين ألف درهم، فقال علي: لأتبن عثمان فلاحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك [فقال الزبير: أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان وقال: احجر على هذا] فقال الزبير: أنا شريكه، فقال عثمان: كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير، فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾، يا معشر الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾، بغير حق، ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرة، ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ و﴿أَنْ﴾ في محل نصب، يعني: لا تبادروا كِبْرَهُمْ ورُشْدَهُمْ حذراً من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما

يحل لهم ومن مألهم فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَوْفَّ﴾، أي: ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزوه قليلاً ولا كثيراً، والعفة الامتناع مما لا يحل، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده، ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السجزي أخبرنا الإمام أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة التمار أخبرنا أبو داود السجستاني أخبرنا حميد بن مسعدة أن خالد بن الحارث حدثهم أخبرنا حسين يعني المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم:

أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني فقير وليس لي شيء ولي يتييم، فقال: «كُلْ من مال يتييمك غير مسرفٍ ولا مبدّرٍ ولا متائلٍ».

واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء، فذهب قوم إلى أن يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، والمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا أيسر قضاء، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم: إن استغنيت استعففنت وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت. وقال الشعبي: لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة، وقال قوم: لا قضاء عليه، ثم اختلفوا في

تبغي ضالة إبله وتهنأ جزئها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضرب بنسب ولا ناهك في الحلب.

وقال بعضهم: والمعروف أن يأخذ ماله بقدر قيامه وأجرة عمله، ولا قضاء عليه، وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾، هذا أمر إرشاد، وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة، ﴿وَكُنْ بِاللهِ حَيِيًّا﴾ محاسباً ومجازياً وشاهداً.

قوله تعالى: ﴿لِرِجَالِ تَيْبِيٍّ مِمَّا تَرَكُوا الْأَوْلَادَانَ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية.

نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كُجَّة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيته، سويد وعُزْفجة، فأخذ ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، وكانوا في الجاهلية لا يؤرثون النساء ولا الصغير، وإن كان الصغير ذكراً، وإنما كانوا يؤرثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة، فجاءت أم كُجَّة فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وأنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسناً،

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعني: قسمة الموارث، ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾، الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾، أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كانت

لِرِجَالِ تَيْبِيٍّ مِمَّا تَرَكُوا الْأَوْلَادَانَ وَالْأَقْرَبُونَ وَالنِّسَاءَ تَيْبِيٍّ مِمَّا تَرَكُوا الْأَوْلَادَانَ وَالْأَقْرَبُونَ وَمَا قَلَّ مِنْهُ وَأَكْثَرَ تَيْبِيًّا مَقْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَيَحْشِ الْيَتِيمَ لَوْ تَرَكَ مِنْ خَلْفِهِمْ ذَرْبَةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى إِتْمَانًا كَأَنَّهَا كَلْبٌ فِي بَطْنِهِمْ تَارًا وَسَصِيلَةً سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُؤْصِيكَ اللهُ فِي أَوْلَادِكَ كَمَا لِلَّذِي كَرِهْتَ حِطُّ الْأَنْشِينَ فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُؤْصِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلثَلَاثِ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأَخِيَةِ الشُّدُسُ مِنْ بَدْوٍ وَصِيَّةٍ يُؤْصِي بِهَا أَوْلَادُهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَا تَدْخُلُونَ فِيهِمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧٨

كيفية هذا الأكل بالمعروف، فقال عطاء وعكرمة: يأكل بأطراف أصابعه، ولا يسرف ولا يكتسي منه، [وقال]: لا يلبس الكتان ولا الخلل، ولكن ما سد الجوعه ووازي العورة، وقال الحسن وجماعة: يأكل من تمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه، فأما الذهب والفضة فلا؛ فإن أخذ شيئاً منه فعليه رده [عليه]، وقال الكلبي: المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لي يتيماً وإن له إبلاً فأشرب من لبن إبله؟ فقال: إن كنت

هذه قبل آية الميراث فلما نزلت آية الميراث جعلت الموارث لأهلها، ونسخت هذه الآية. وقال آخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم، وقال الحسن: كانوا يعطون الثابت والأواني ورث الشياح والمتاع والشيء الذي يستحيا من قسمته، وإن كان بعض الورثة طفلاً فقد اختلفوا فيه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: إن كانت الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانت صغاراً اعتذروا إليهم، فيقول الولي والوصي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار، ولو كان لي منه شيء لأعطيتهكم، وإن يكبروا فسيعرفون حقوقك، هذا هو القول بالمعروف، وقال بعضهم ذلك حق واجب في أموال الصغار والكبار، فإن كانوا كباراً تولوا إعطاءهم، وإن كانوا صغاراً أعطى وليهم. روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاماً لأجل هذه الآية، وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من مالي. وقال قتادة عن يحيى بن يعمر: ثلاث آيات محكمات مديت تركهن الناس، هذه الآية وآية الاستئذان: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَأْذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور: ٥٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، وقال بعضهم: وهو أولى الأقاويل: إن

هذا على الندب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

⑩ قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَزَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذَرْبَةً ضَمَلاً﴾، أولاد صغاراً، ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾، الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته: انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً، قدّم لنفسك اعتق وتصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا، حتى يأتي على عامة ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يُجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القائل هو الموصي يسره أن يحته من بحضرته على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاء اليتامى يقول: من كان [منهم] في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يحب أن يفعل بذريته من بعده، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته.

⑪ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾، قال مقاتل بن حيان: نزلت في رجل من بني غطفان، يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله، فأنزل الله تعالى فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ أي: حراماً بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أخبر عن ماله، أي

عاقبته تكون كذلك، ﴿وَسَبْمَاتٍ سَوِيرًا﴾، قراءة العامة بفتح الباء، أي: يدخلونها، يقال: صَلَّى النار يصلها صلأ وصلأة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَنِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الباء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُضَلِّهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠] ﴿سَأْتِيهِمْ سَرًّا﴾ [المنثر: ٢٦] وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «رأيت ليلة أُسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل، إحداهما قالصة على منخربه والأخرى على بطنه، وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً».

⑫ قوله تعالى: ﴿يُؤَسِّرُكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية، أعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يُورثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿لِلرِّجَالِ نِصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نِصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية ابتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتِ آيَاتُكُمْ فَتَاوَهُمْ نِصِيبًا﴾ [النساء: ٣٣] ثم صارت الوراثة بالهجرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرِكِهِمْ﴾ [الأنفال: ٧٢] فنسخ [الله] ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة: بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعني بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض، لقوله

الإسلام مع الكفر، أما الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه إثبات التوارث بين أهل ملتين شتى، والرقيق لا يرث أحداً ولا يرثه أحد لأنه لا ملك له ولا فرق فيه بين اليقن والمدبر والمكاتب وأم الولد، والقتل يمنع الميراث عمداً كان أو خطأ لهما:

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «القاتل لا يرث».

ونعني بعمى الموت أن المتوارثين إذا عمى موتهما بأن غرقا في ماء أو انهدم عليهما بناء فلم يدرك أيهما سبق موته فلا يورث أحدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حياته يقيناً بعد موته من ورثته. والسهام المحدودة في الفرائض ستة: النصف والربع والثمن والثلاثان والثلث والسدس، فالنصف فرض ثلاثة: فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو لبنت الابن عند عدم ولد الصلب، وفرض الأخت الواحدة للأب والأم أو للأب إذا لم يكن ولد لأب وأم، والربع فرض [اثنتين: فرض] الزوج إذا كان للميت ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد، والثمن: فرض الزوجة إذا كان للميت ولد، والثلاثان فرض البننتين للصلب فصاعداً ولبنتي الابن فصاعداً عند عدم ولد الصلب، وفرض الأختين لأب وأم أو للأب فصاعداً، والثلث فرض ثلاثة: فرض الأم إذا لم يكن للميت ولد، والاثنتان من الأخوة والأخوات، إلا في مسألتين:

للأب وإن سفل والعم للأب والأم أو للأب وأبناؤهما وإن سفلوا، والزوج ومولى العتاق، ومن النساء البنت وبنت الابن وإن سفلت [والأم]، والجدة أم الأم أم الأب، والأخت سواء كانت لأب وأم أو لأب أو أم، والزوجة ومولاة العتاق، وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير: الأبوان والولدان، والزوجان، لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة، والأسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة: اختلاف الدين والرق والقتل وعمى الموت، ونعني باختلاف الدين أن الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الشافعي أنا ابن عيينة عن الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم».

أما الكفار يرث بعضهم من بعض مع اختلاف مللهم، لأن الكفر كله ملة واحدة، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِصُفَّتِهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وذهب [بعض أهل العلم] إلى أن اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي النصراني ولا النصراني المجوسي، وإليه ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحاق: لقول النبي ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»، وتأوله الآخرون على

تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، والمعني بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالولاء: أن الْمُعْتَقَ وَعَصْبَانَهُ يرثون الْمُعْتَقَ، فنذكر بعون الله تعالى فصلاً وجيزاً في بيان من يرث من الأقارب. وكيفية تورث الورثة فنقول: إذا مات ميتٌ وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بإنفاذ وصاياه فما قُضِلَ يُقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام منهم، من يرث بالفرض من يرث بالتعصيب، ومنهم من يرث بهما جميعاً، فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض، ومن يرث بالولاء لا يرث إلا بالتعصيب، أما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والأخوات والأمهات والجيدات، وأولاد الأم، ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والإخوة وبني [الإخوة و] الأعمام وبنيتهم، منهم من يرث بهما كالأب يرث بالتعصيب إذا لم يكن للميت ولد، وإن كان للميت ابن يرث الأب بالفرض السدس، وإن كان للميت بنت يرث الأب السدس بالفرض ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب، وكذلك الجد، وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض، وجملة الورثة سبعة عشر: عشرة من الرجال وسبع من النساء، فمن الرجال الابن وابن الابن وإن سفل والأب والجد أبو الأب وإن علا، والأخ سواء كان لأب وأم أو لأب أو أم، وابن الأخ لأم أو

إحداهما زوج وأبوان، والثانية: زوجة وأبوان، فإن للأب فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج والزوجة، وفرض الاثنين فصاعداً من أولاد الأم، ذكراً ومثلاً وأنشاهم فيه سواء، وفرض الجد مع الإخوة إذ لم يكن في المسألة صاحب فرض، وكان الثلث خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة. وأما السدس ففرض سبعة: فرض الأب إذا كان للميت ولد، وفرض الأم إذا كان للميت ولد، أو اثنان من الإخوة والأخوات، وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الإخوة والأخوات إذا كان في المسألة صاحب فرض، وكان السدس خيراً للجد من المقاسمة مع الإخوة، وفرض السجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكراً كان أو أنثى، وفرض بنات الابن إذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلثين، وفرض الأخوات للأب إذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة للثلثين.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».

وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض، والحجب نوعان: حجب نقصان وحجب حرمان، فأما حجب النقصان فهو أن

الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع والزوجة من الربع إلى الثمن، والأم من الثلث إلى السدس، وكذلك الاثنان من الإخوة [والأخوات فصاعداً] يحجبون الأم من الثلث إلى السدس. وحجب الحرمان هو أن الأم تُسقط الجدات كلهن وأولاد الأم وهم الأخوة للأب والأخوات يسقطون بأربعة: بالأب والجد وإن علا، وبالولد وولد الابن وإن سفل، وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا، ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم، وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله. وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم، وذهب قوم إلى أن الإخوة جميعاً يسقطون بالجد كما يسقطون بالأب، وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم، وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة رحمهم الله، وأقرب العصباء يسقط الأبعد من العصبية، وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب ثم الجد أبو الأب وإن علا، فإن كان مع الجد أحد من الإخوة والأخوات للأب والأم أو للأب يشتركان في الميراث، فإن لم يكن جد فالأخ للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الإخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب، فإن استويا في الدرجة

فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم للأب والأم ثم العم للأب ثم بنوهم على ترتيب بني الإخوة، ثم عم الأب ثم عم الجدة على هذا الترتيب، فإن لم يكن أحد من عصباء النسب وعلى الميت ولأه فالميراث للمعتق، فإن لم يكن حياً فلعصباء المعتق. وأربعة من الذكور يعصبون الإناث، الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب حتى لو مات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لأب وأم أو لأب فإنه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، ولا يفرض للبنت والأخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الإناث، ومن فوقه إذا لم تأخذ من الثلث شيئاً حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فلبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن، فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين، والأخت للأب والأم أو للأب تكون عصبية مع البنت حتى لو مات عن بنت وأخت كان النصف للبنت والباقي للأخت، فلو مات عن بنتين وأخت فلبنتين الثلثان والباقي للأخت، والدليل عليه ما.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة أنا أبو قيس قال: سمعت هزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنة وبنت ابن وأخت فقال: للبنت النصف وللأخت النصف، واثبت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود وأخبر

بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتمدين أقضى فيها بما قضى به رسول الله ﷺ: للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم.

رجعنا إلى تفسير الآية. واختلفوا في سبب نزولها.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال:

سمعت [جابرأ يقول جاء] رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت، فقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلاله؟ فنزلت آية الفرائض.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في أم كحبة امرأة أوس بن ثابت وبناته.

وقال عطاء: استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبتين وأخاً، فأخذ الأخ المال فأتت امرأة سعد إلى رسول الله ﷺ بابنتي سعد فقالت: يا رسول الله إن هاتين ابنتا سعد وإن سعداً قتل يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ: «ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك»، فنزل «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكُمْ» إلى آخرها، فدعا رسول الله ﷺ عمهما فقال له: «أعطي ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن

وما بقي فهو لك»، فهو أول ميراث قُسم في الإسلام.

قوله عز وجل: «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكُمْ» أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم، أي: في أمر أولادكم إذا ماتم، للذكر مثل حظ الأنثيين. «فَإِنْ كُنَّ» يعني: المتروكات من الأولاد، «نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ»، أي: اثنتين فصاعداً «فَوْقَ» صلة، كقوله تعالى: «فَأَخْرُجُوا فَوَقَّ الْأَفْئَاتِ» [الأنفال: ١٢]، «فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ» يعني: البنت، «وَاحِدَةً»، قراءة العامة [بالنصب] على خبر كان، رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة، «فَلَهَا الْبُيُوتُ» وَلَا بُيُوتَهُ، يعني لأبوي الميت كناية عن غير المذكور، «لِكُلِّ وَجِدٍ بَيْنَهُمَا الشُّدُوسُ وَمَا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَلَّةٌ»، أراد أن الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكَلَّةٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ»، قرأ حمزة والكسائي «فلأمه» بكسر الهمزة استثقلاً للضمة بعد الكسرة، وقرأ الآخرون بالضم على الأصل «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ»، اثنان أو أكثر ذكوراً أو إناثاً «فَلِأُمِّهِ الشُّدُوسُ»، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال: «فَإِنْ كَانَ

لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُوسُ»، ولا يقال للابنتين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنتين كما قال الله تعالى: «نَقَدَ صَفَتْ قُلُوبُكُنَّ» [التحریم: ٤] ذكر القلب بلفظ الجمع، وأضافه إلى اثنتين، قوله تعالى: «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْسُفَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ»، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر «يوسى» بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله، وكذلك الثانية وافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر الميت من قبل، بدليل قوله تعالى: «يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ» و«تُؤْتُونَكَ».

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية.

وهذا إجماع أن الدين مُقَدَّم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً، معناه من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان، والإرث مؤخر عن كل واحد منهما. «أَبَاؤُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ»، يعني: الذين يرثونكم [أبائكم وأمهاتكم]، «لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا»، أي: لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبرت أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أطوعكم الله

أهل المدينة وابن عامر «ندخله جنات»، و«ندخله ناراً»، وفي سورة الفتح «ندخله» و«نعذبه» [الفتح: ١٧] وفي سورة التغابن «نكفر» و«ندخله» [التغابن: ٩] وفي سورة الطلاق «ندخله» [الطلاق: ١١] بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَى يَأْتِيكِ الْفَدْحَسَةَ﴾، يعني: الزنا، ﴿وَمِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، [فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود] ﴿إِنْ شَهِدُوا فَمُسْكِرُونَ﴾، فاحبسوهن، ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ سَيِّلًا﴾، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، فكانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الشيب بالجلد والرجم.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي رضي الله عنه أخبرنا عبدالوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي: قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والشيب بالشيب جلد مائة والرجم».

﴿١٤﴾ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ، فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثلث ذكرهم وأنتاهم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد والأم، والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء في الإخوة والأخوات من

الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.

﴿١٣﴾ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ، أي: غير مُدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية، قال: الحسن هو أن يوصي بدين ليس عليه، ﴿وَصِيَّتِي مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، قال قتادة: كره الله الضرارَ في الحياة وعند الموت، ونهى عنه وقدم فيه.

﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ، يعني: ما ذكر من الفروض المحدودة، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿١١﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، قرأ

وَأَلْقَى يَأْتِيكِ الْفَدْحَسَةَ مِنْ نِسَائِكَ مِمَّا نَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَكِنَّ التَّوْبَةَ يُلْذِرُ يَوْمَ يَمْلَكُونَ الْأَسْبَابَ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتِّتُ الْفَنِّ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا تُرَىٰ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَتَضَلَّوهُنَّ لِيَنْدَهُبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتِيَتِهِنَّ وَإِنِ الْبُيُوتُ بِفَدْحَسَةٍ مَّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِيءٌ أَن تَكَرَّهُوا سِيئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

بقضية يقضي فيها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ [القرآن].

فقوله: «الأ تكفيك آية الصيف»؟ أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلاله آيتين إحداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والأخرى في الصيف، وهي التي في آخرها، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء، فلذلك أحاله عليها، قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَّجِدٍ مِّنْهُمَا أَسَدٌ﴾ أراد به الأخ والأخت من الأم بالاتفاق وقرأ سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أم» ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمرأة من قبل، على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكانا في الحكم سواء، ربما أضافت إلى أحدهما، وربما أضافت إليهما، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا بِالْمِثْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥]،

قال الشافعي رضي الله عنه: وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة حطان الرقاشي، فلا أدري أدخله عبد الوهاب بينهما فنزل عن كتابي أم لا. قال شيخنا الإمام: الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله عن عبادة [بن الصامت]، ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند أكثر أهل العلم، وذهب طائفة إلى أنه يجمع بينهما. زوي عن علي رضي الله عنه: أنه جَلَدَ شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة ثم رجمها يوم الجمعة، وقال: جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: التغريب أيضاً منسوخ في حق البكر. وأكثر أهل العلم على أنه ثابت.

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ضَرَبَ وَغَرَبَ، وأن أبا بكر رضي الله عنه ضَرَبَ وَغَرَبَ، وأن عمر رضي الله عنه ضَرَبَ وَغَرَبَ.

واختلفوا في أن الإمساك في البيت كان حداً فنسخ أم كان حبساً ليظهر الحد، على قولين.

﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾، يعني الرجل والمرأة، والهاء راجعة إلى الفاحشة، قرأ ابن كثير (اللذان، واللذين، وهاتان،

وهذان) مشددة النون للتأكيد، ووافقه أهل البصرة في (فذانك) و[قرأ] الآخرون بالتخفيف. قال أبو عبيدة: خصَّ أبو عمرو (فذانك) بالتشديد لقلة الحروف في الاسم ﴿فَتَاذُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة: فيقرههما باللسان: **أَمَا خُفَّتِ اللَّهُ؟** أما استحييت من الله حيث زنيته؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سُبُوهُمَا واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يُؤدَّى بالتعيير وضرب النعال، فإن قيل: ذَكَرَ الْحَبَسَ فِي آيَةِ الْإِيذَاءِ، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الثيب وهذه في البكر، ﴿فَرَأَتْ نَائِبًا﴾، من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾، العمل فيما بعد، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾، فلا تُؤذُوهُمَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ قَوَّامًا رَجِيمًا﴾، وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فُنسخت بالجلد والرجم، والجلد في القرآن قال الله تعالى: ﴿الرَّأْيَةَ وَالرَّأِي فَالْجِلْدُ كُلٌّ رَجِيمٌ مِنْهَا بِأَنَّ جِلْدَهُ﴾ والرجم في السنة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما أخبراه:

أن رجلين اختصما إلى

رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، واثذن لي أن أتكلم، فقال: «تكلم»، قال: إن ابني كان عسيماً [أي: أجيراً] على هذا، فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فاقنتيت منه بمائة شاة ويجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غَنَمُكَ وجاريتُكَ فردُّ عليك، وجلد ابنه مائة وغربه عاماً وأمر أنيساً الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت رجمها» فاعترفت، فرجمها.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه:

إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل واللَّهُ ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه، والرجم في كتاب الله تعالى حق على

من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

وجملة حدّ الزنا: أن الزاني إذا كان محصناً وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح، فحدّه الرجم مسلماً كان أو ذمياً وهو المراد من الشيب المذكور في الحديث، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان، ولا يرحم الذمي.

وقد صح، عن رسول الله ﷺ أنه رجم يهوديين زنياً، وكانا قد أحصنا. وإن كان الزاني غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً فلا حدّ عليه، وإن كان حراً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يحصن بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام، وإن كان عبداً فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان، إن قلنا يغرب فيه قولان، أصحابهما نصف سنة كما يجلد خمسين على [النصف من] الحرّ.

﴿وَيَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأِذَا مَا تَأْتِيهَا أَكْثَرُ مُحَلًّا﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: [يعني التوبة التي يقبلها]، فيكون - على - بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿لِذَلِكَ يَسْأَلُونَ التَّوْبَةَ بِمَهَلَّةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عصى به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهد أنه ذنب ولكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى

الجهالة: اختيازهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ثُمَّ يُتُوبُونَ﴾ قيل: معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان وهو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغزغر».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبا منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبدالجبار اليرباني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الأسود أنا ابن لهيعة عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزيتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ﴾

يَسْأَلُونَ التَّوْبَةَ﴾، يعني: المعاصي ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، ووقع في النزاع، ﴿قَالَ إِنِّي بُتُّ أَكْفَرًا﴾، وهي حال السؤق حيث تساق روحه، لا يقبل من كافر إيماناً ولا من عاص توبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَفْمَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿وَلَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾، أي: هيأنا وأعدنا، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأِذَا مَا تَأْتِيهَا أَكْثَرُ مُحَلًّا﴾

نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خباثها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أسدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية، فقام ابن له من غيرها يقال له حصن - وقال مقاتل بن حيان: اسمه قيس بن أبي قيس - فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها، ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي

وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا،
﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾،
قال الحسن: راجع إلى أول
الكلام، يعني: ﴿وَعَايِرُوا﴾
النساء صدق قلوبهم غيلة ﴿النساء: ٤﴾
﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، والمعاشرة
بالمعروف: هو الإجمال
في القول والمبيت والنفقة،
وقيل: هو أن يتصنع لها
كما تتصنع له، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾، قيل: هو ولد
صالح، أو يعطفه الله
عليها.

منه، فأتت كبيشة رسول الله ﷺ
فقلت: يا رسول الله إن أبا قيس
توفي وورث نكاحي ابنه فلا [هو]
ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي
سبيلي، فقال: «أقعدي في بيتك
حتى يأتي فيك أمر الله»، فأنزل الله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾.

قرأ حمزة والكسائي [كرها] بضم
[الكاف ههنا وفي سورة التوبة وقرأ
الباقون بالفتح قال الكسائي هما] لغتان
وقال الفراء: الكره بالفتح ما أكره
عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من
المشقة، ﴿وَلَا تَصُولُوهُنَّ لِيَبْغُوا بَعْضٌ مِمَّا آتَيْنَهُنَّ﴾، أي: لا تمنعهن من
الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض
مالهن، قيل: هذا خطاب لأولياء
الميت، والصحيح أنه خطاب
للأزواج، قال ابن عباس رضي الله
عنهما: هذا في الرجل تكون له المرأة
وهو كاره لصحتها ولها عليه مهر
فيضازها لفتدي وترد إليه ما ساق إليها
من المهر، فهي الله تعالى عن ذلك،
ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾
فحينئذ يحل لكم إضرارهن
ليفتدين منكم، واختلفوا في الفاحشة،
فقال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز،
وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي
الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو
زنت حل للزوج أن يسألها الخلع،
وقال عطاء: كان الرجل إذا أصابت
امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها
وأخرجها [فمنسوخ الله تعالى ذلك
بالحدود] وقرأ ابن كثير وأبو بكر
(مبينة)، و(مبينات) بفتح الياء، وافق
أهل المدينة والبصرة في (مبينات)

﴿وَلِإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَاعُوا زَوْجًا مَكَانَ زَوْجٍ﴾، أراد بالزوج الزوجة
إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا
فاحشة، ﴿وَعَايِرْتُمْ إِخْتِطُّوهُنَّ قِنطَارًا﴾، وهو المال الكثير صدقًا،
﴿فَلَا تَأْخُذُوا بِنَتِّهِنَّ﴾، أي: من
القنطار، ﴿شَيْئًا أَتَّخَذُونَهُنَّ مِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِهْنٌ مَبِينَةٌ﴾، استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿مِهْنَتُنَّ﴾
وإنما مهنين، انتصابهما من
وجهين: أحدهما بنزع الخافض،
والثاني: بالإضمار تقديره: تصيبون
في أخذه بهتانًا وإنما ثم قال:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُنَّ﴾، على
طريق الاستعظام، ﴿وَقَدْ أَفْضِنَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أراد به
المجامة، ولكن الله حيي يُكني،
وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء
من غير واسطة، ﴿وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ بُيُوتًا عَظِيمًا﴾، قال
الحسن وابن سيرين والضحاك

وقتادة: هو قول الولي عند العقد:
زوجتكها على ما أخذ الله للنساء
على الرجال من إمساك بمعروف أو
تسريح بإحسان.

وقال الشعبي وعكرمة: هو ما
رؤي عن النبي ﷺ أنه قال:
«اتقوا الله في النساء فإنكم
أخذتموهن بأمانة الله تعالى
واستحللتم فروجهن بكلمة الله
تعالى».

﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ﴾، كان
أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم.
قال أشعث بن سوار: توفي أبو
قيس وكان من صالحى الأنصار
فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت:
إني اتخذتك ولدًا وأنت من صالحى
قومك، ولكنى أتى رسول الله ﷺ
استأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله
تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

زاهر بن أحمد بن أبو إسحاق الهاشمي قال: أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها أخبرتها:

أن رسول الله ﷺ كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، فقالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال رسول الله ﷺ: أراه فلاناً - لعم حفصة من الرضاعة - فقلت: يا رسول الله لو كان فلان حياً - لعمها من الرضاعة - أيدخل علي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم إن الرضاعة تُحرّم ما يحرم من الولادة». وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين، لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وروي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم».

وإنما يكون هذا في حال الصغر، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه مدة الرضاع ثلاثون شهراً، لقوله تعالى: ﴿رَحْمَهُمْ وَفَضْلَهُمْ تَلْتَمِذُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وهو عند الأكثرين

لأقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، والشرط الثاني أن يوجد

وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وإن علون من قبل الأم أو من قبل الأب، ﴿وَبَنَاتِكُمْ﴾، [وهي] جمع: البنات، فيدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن، ﴿وَأَخَوَاتِكُمْ﴾، جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ﴿وَعَمَّاتِكُمْ﴾ جمع العمّة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علون، ﴿وَعَمَلَاتِكُمْ﴾ جمع خالة، ويدخل فيهن أخوات أمهاتك وجداتك، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِّ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾، فيدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وإن سفلن، وجملته:

أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول بعده، وأول فصل من كل أصل بعده، والأمهات والجدات، والفصول البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هن الأخوات وبنات الإخوة والأخوات، وأول فصل من كل أصل بعده هن العمات والخالات وإن علون، وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى: ﴿أَرْضَعْتُمْ وَأَخْرَجْتُم مِّنَ الرَّضَعِ﴾، وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد [الخلال] أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ:

أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا

أَبَاكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ، قيل: بعد ما سلف، وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: إنسه فاحشة، ﴿وَكَانَ﴾ فيه صلة، و﴿الْفَحِشَةُ﴾ أقبح المعاصي، ﴿وَمَقْتًا﴾ أي: يُورث مقت الله، والمقت: أشد البُغض، ﴿وَسَاءَ سَكِينًا﴾، وبش ذلك طريقاً وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه: مقيت وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر السجزي أنا الإمام أبو سليمان الخطابي أنا أحمد بن هشام الحضرمي أنا أحمد بن عبدالجبار الطاردي عن حفص بن غياث عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: مرّ بي خالي ومعه لواء فقلت: أين تذهب؟ قال: بعثني النبي ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه برأسه.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرْمَتٌ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [إلى آخر] الآية، بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة، وجملته المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة: سبع بالنسب، وسبع بالسبب، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات، وهن ذوات الأزواج، وأما السبع بالنسب فقوله تعالى: ﴿حُرْمَتٌ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾

خمس رضعات متفرقات، يُروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال عبدالله بن الزبير وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب سفيان الثوري، ومالك والأوزاعي وعبدالله بن المبارك وأصحاب الرأي، واحتج من ذهب إلى أن القليل لا يحرم بما:

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصّة من الرضاع والمصتان».

هكذا روى بعضهم هذا الحديث. ورواه عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وهو الصحيح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن.

وأما المحرمات بالصهرية فقوله: «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ»، وجملته أن

كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على النكاح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد، «وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ»، الرئائب جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، سُميت ربيبة لتربيته إياها، وقوله: «فِي حُجُورِكُمْ» أي: في تربيتم، يقال: فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته، «دَخَلْتُم بِهِنَّ» أي: جامعتموهن، ويحرم عليه أيضاً بنات المنكوحة وبنات أولادها، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جاز له أن ينكح ابنتها، ولا يجوز له أن ينكح أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الرئائب، «فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ»، يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو مِتْن.

وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة، «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أُمَّهَاتِكُمْ»، يعنسي: أزواج أبنائكم، وأحدثها: حليلة، والذكر حليل، سُميا بذلك لأن كل واحد منهما حليل لمنها حلال لصاحبه، وقيل: سُميا بذلك لأن كل واحد منهما يحلّ حيث يحلّ صاحبه من الحلول وهو النزول، وقيل: لأن كل واحد منهما يحلّ إزار صاحبه من الحّل وهو ضدّ العقل، وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من الرضاع والنسب بنفس

العقد، وإنما قال: «مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ» ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ، والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب والجد وإن علا، فيحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ» [النساء: ٢٢]، وقد سبق ذكره، وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين، والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أب الواطئ وعلى ابنه.

ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهب جماعة إلى أنه لا تحرم على الزاني أم المزني بها وابنتها، وتحرم الزانية على أب الزاني وابنه، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة [بن الزبير] والزهري، وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى، وذهب قوم إلى التحريم، يُروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما، وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي. ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها فهل يُجعل ذلك كالدخول في إثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة فهل يُجعل كالوطء في

المشركين، فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية.

وقال عطاء: أراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أن تكون أمتة في نكاح عبده يجوز أن ينزعها منه وقال ابن مسعود: أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرة بينها وبين زوجها، ويكون بيعها طلاقاً فيحل للمشتري وطؤها، وقيل: أراد بالمحصنات الحرائر ومعناه: أن ما فوق الأربع منهن حرام إلا ما ملكت أيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجوارى. قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم [كتاب الله] وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا

[كتاب الله عليكم] أي: فرض الله عليكم ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاةَ ذَلِكُمْ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص ﴿وَأَحَلَّ﴾ بضم الأول وكسر الحاء، لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ وقرأ الآخرون بالنصب، أي: أحل الله لكم ما وراء ذلكم، ما سوى ذلكم الذي ذكرتم من المحرمات، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾، تطلبوا ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾، أن تنكحوا بصدقات أو تشتروا بشمن، ﴿مُحْصِنِينَ﴾، أي: متزوجين [أو] متعافين، ﴿غَيْرِ مَسْفُوحِينَ﴾، أي: غير زانين، مأخوذة من سفح الماء وصبه وهو المنى، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، اختلفوا في معناه، قال الحسن ومجاهد: أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، ﴿فَكَأْتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾، أي: مهورهن، وقال آخرون: هو نكاح المتعة وهو أن

عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه جمع بين لينا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب.

قال أبو سعيد الخدري: نزلت في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين، ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لِمَالِكِهِنَّ وطوهن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينهما وبين زوجها.

قال أبو سعيد الخدري: بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاةَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مَسْفُوحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَكَأْتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ بِرِيبَةٍ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَرَسِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكَحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَمَا تَوْهَنُ بِأَجْرَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْفُوحَاتٍ وَلَا مَسْخُوفَاتٍ أَخَذَا فِئْدًا أَحْوَسًا فَإِنَّ أَيْتَانَ بِفَحْشَةٍ فَهَلَيْنَ نَصَفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ نَصْرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

تحريم الربيبة؟ فيه قولان أصحهما وهو قول أكثر أهل العلم أنه تثبت به الحرمة، والثاني: لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بالشهوة. قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بانثاء جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحداهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها [لما]:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد

تنكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانث منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحاً في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبدالله بن نمير أنا أبي أنا عبدالعزيز بن عمر حدثني الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني كُنْتُ أُؤنِّثُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإنَّ الله تعالى قد حَرَّمَ ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليُخِلْ سبيلَهُ ولا تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً»

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبدالله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ نهى عن مِتْعَةِ النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمير الإنسية.

وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة.

رَوَى عن أبي نصرَةَ قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة، فقال: «أما تقرأ في سورة

النساء: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؟ قلت: لا أقرأها هكذا قال ابن عباس: هكذا أنزل الله، ثلاث مرات. وقيل: إنَّ ابن عباس رضي الله عنهما رجعا عن ذلك.

ورَوَى سالم عن عبدالله بن عمرو أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، لا أجد رجلاً نكحها إلا رجمته بالحجارة، وقال: هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث.

قال الربيع بن سليمان: سمعتُ الشافعي رضي الله عنه يقول: لا أعلم في الإسلام شيئاً أحل ثم حُرِّم ثم أحل ثم حُرِّم غير المتعة. قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُوهُنَّ أَجْرُهُنَّ﴾ أي: مهورهن، ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة أراد أنهما إذا عَقِدَا إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ فَإِذَا تَمَّ الْأَجَلُ فَإِنْ شَاءَتِ الْمَرْأَةُ زَادَتْ فِي الْأَجَلِ وَزَادَ الرَّجُلُ فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَا فَارْقَاهَا، وَمِنْ حَمَلِ الْآيَةِ عَلَى اسْتِمْتَاعِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ. قال المراد بقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾ من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[فصل في قدر الصداق

وفيما يستحب منه]

أعلم أنه لا تقدر لأكثر المصداق لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُكُمْ بِحَدِيثٍ

يَنْظُرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ والمستحب أن لا يُغالي فيه

قال عمر بن الخطاب: ألا لا تغالوا في صدقة النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبيُّ الله ﷺ ما علمتُ رسولَ الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هارون بن إسحاق أنا يحيى بن محمد البحارشي أنا عبدالعزيز بن محمد عن يزيد بن عبدالله بن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة قال:

سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي ﷺ لأزواجه؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونض، قالت: أتدري ما النض؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم، هذا صداق النبي ﷺ لأزواجه.

أما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه، فذهب جماعة إلى أنه لا تقدر لأقله بل ما جاز أن يكون مبيعاً أو ثمناً جاز أن يكون صلماً، وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق، قال عمرو بن الخطاب: ثلاث قبضات زبيب مهر، وقال سعيد بن المسيب: لو أصدقها سوطاً جاز، وقال قوم: يتقدر بنصاب السرقه، وهو قول مالك وأبي حنيفة، غير أن نصاب السرقه عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم، والدليل على أنه لا يتقدر ما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال: أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني [قد] وهبت نفسي لك، فقامت [قياماً] طويلاً فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك من شيء تصدقها؟» قال: ما عندي إلا إزاري هذا فقال رسول الله ﷺ: «إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً»، فقال: ما أجده، فقال: «فالتمس ولو خاتماً من حديد»، فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا وسورة كذا [لسورة سماها]، فقال النبي ﷺ: «قد زوجتكها بما معك من القرآن».

وفيه دليل على أن لا تقدير لأقل الصداق، لأنه قال: «التمس شيئاً» وهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال، ولأنه قال: «ولو خاتماً من حديد»، ولا قيمة لخاتم الحديد إلا القليل الثافه، وفي الحديث دليل على أنه يجوز تعليم القرآن صداقاً وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز وهو قول أصحاب الرأي، وكل عمل جاز الاستئجار عليه مثل البناء والخياطة وغير ذلك من

الأعمال جاز أن يجعل صداقاً، ولم يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقاً، والحديث حجة لمن جوزه بعدما أخبر الله تعالى عن شعيب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل، فقال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَيْثُ جِئْتُ﴾ [القصص: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾، أي: فضلاً وسعة، ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، قرأ الكسائي ﴿وَالْمُحْصَنَاتِ﴾ بكسر الصاد حيث كان إلا قوله في هذه السورة ﴿وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقرأ الآخرون بفتح جميعها، ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأُمَّةِ إِلَى بَشْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يَجِدَ مَهْرَ حَرَّةٍ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْعَنْتِ، وَهُوَ الزَّانَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ﴾، وهو قول جابر رضي الله عنه، وبه قال طاوس وعمرو بن دينار، وإليه ذهب مالك والشافعي وجوز أصحاب الرأي للحر نكاح الأمة إلا أن تكون في نكاحه حرة [و] أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان في نكاحه حرة أو أمة، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يجوز إذا كانت تحته حرة، كما يقول

في الحر، وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال: ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نِكَاحِ الْأُمَّةِ بِشْرًا أَوْ تَكُونُ مُؤْمِنَةً، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَطَلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلًّا لَكُمْ وَأَطَعْتُمْ حِلًّا لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] أي: الحرائر جوز نكاح الكتابية، بشرط أن تكون حرة، وجوز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبال اتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ﴾، أي: لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، قيل: بعضهم واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾، يعني: الإماء، ﴿بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، أي: مواليهن، ﴿وَمَا أَوْلَاهُنَّ أَجْرُهُنَّ﴾، مهورهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مظل وضرار، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾، عفاف بالنكاح، ﴿غَيْرِ مُسْتَفْحِحاتٍ﴾، أي: غير زانيات، ﴿وَلَا مُنْجَذَبَاتٍ أَخْدَانٍ﴾، أي: أحباب تزنون بهن في السر، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته، وذات الخدن: أن تختص بواحد لا تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز الثانية، ﴿فَإِذَا أَحْبَبْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن، وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون: ﴿أَحْبَبْتُمْ﴾ بضم الألف وكسر الصاد، أي:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُورَ أَنْ تُبَيِّنُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ لِأَنَّ تَكْوِينَكُمْ يُحْكِمُ اللَّهُ عَلَى قُرْبَانِ بَيْنَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيُ عَلَيْكَ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٩﴾ إِنْ جَحَدْتُمْ عَلَىٰ آبَائِكُمْ أَوْ أَبْنَاءِكُمْ أَوْ إِخْوَانِكُمْ أَوْ عَمَلِكُمْ أَوْ نِسَائِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ قَوْلَكُمْ كَرِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا مَضَىٰ لِلَّهِ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ زَاجِرٌ وَالرِّجَالُ نَسِيبٌ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَيِّنُوا لِلنِّسَاءِ نَسِيبًا مِمَّا أَكْتَبَ اللَّهُ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ نَسِيبِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣١﴾ وَلِكُلِّ جَمَلْتُمْ مَوَالٍ وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ مِمَّا قَاتَلْتُمْ نَسِيبًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٢﴾

حدثني الليث عن سعيد يعني المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبغها ولو بحبل من شعر».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾، يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول، ﴿لِمَنْ حَشِيَ﴾، يعني: الزنا، يريد المشقة بغلبة الشهوة، ﴿وَأَنْ تُصَيِّرُوا﴾، عن نكاح الإماء متعفين، ﴿حَشِيَ لَكُمْ﴾، لثلا يُخلق الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ عَفُودٌ رَحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾، أي: أن يبين لكم، كقوله تعالى: ﴿وَأُرِيدُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، أي: أن أعدل، وقوله: ﴿وَأُرِيدُنَا لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال في موضع آخر ﴿وَأُرِيدُ أَنْ أُسَلِّمَ﴾ [غافر: ٦٦]، ومعنى الآية: يريد الله أن يبين لكم، أي: يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم، قال عطاء: يبين لكم ما يقرّبكم منه، قال الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم، ﴿وَيَهْدِيكُمْ﴾، يرشدكم، ﴿سُنَّ﴾، شرائع، ﴿الَّذِينَ﴾ من قبلكم، في تحريم الأمهات والبنات والأخوات، فإنها كانت

تزوجهن، ﴿فَإِنَّ آتِيكَ بِحَسَنَةٍ﴾، يعني: الزنا، ﴿فَمَلِكَيْنِ يَصُفُّ مَا عَلَى الْمُتَعَسِّكَيْنِ﴾، أي: ما على الحرائر الأبكار إذا زنين، ﴿مِنْ الْعَدَابِ﴾، يعني: الحد فيجلد الرقيق إذا زنى خمسين جلدة، وهل يُغزب؟ فيه قولان، فإن قلنا يُغزب فيغرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبد. روي عن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة قال: أمرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتية من قريش فجلدنا ولائد [من ولائد] الإمارة خمسين في الزنا.

ولا فرق في حد المملوك بين من تزوج أو لم يتزوج عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أنه لا حد على من لم يتزوج من الممالك إذا زنى، لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا أَحْوَسَ فَإِنَّ آتِيكَ بِحَسَنَةٍ فَمَلِكَيْنِ يَصُفُّ مَا عَلَى الْمُتَعَسِّكَيْنِ مِنَ الْعَدَابِ﴾، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال طاوس، ومعنى الإحصان عند الآخرين الإسلام، وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه، بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصناً بالتزويج فلا رجم عليه، إنما حدّه الجلد بخلاف الحرّ، فحدّ الأمة ثابت بهذه الآية، وبيان [أنه بالجلد في الخبر] هو ما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله

محرمة على من قبلكم، وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَيُتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، ويشجّاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، وقيل: يوفقكم التوبة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عبادته في أمر دينهم ودنياهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما فبر من أمورهم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، إن وقع منكم تقصير في أمر دينكم ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُورَ أَنْ يُبَيِّنُوا﴾، عن الحق، ﴿مِثْلًا عَظِيمًا﴾، بإتيانكم ما حرم عليكم.

واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات، فقال السدي: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم المجوس لأنهم يُحلّون نكاح

الأخوات وبنات الأخ والأخت، وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم جميع أهل الباطل.

﴿وَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُحْفَدَ عَنْكُمْ﴾، يسهل عليكم أحكام الشرع، وقد سهل كما قال حل ذكره: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال النبي ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة».

﴿وَوَلِّقَ الْإِنْسَانَ ضَوْفِيًّا﴾، قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان: ﴿وَوَلِّقَ الْإِنْسَانَ ضَوْفِيًّا﴾ يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ صَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤].

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ يَأْكُلِ﴾ يعني بالحرام، بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا تِجَارَةً﴾، [قرأ أهل الكوفة] ﴿تِجَارَةً﴾ نصب على خبر كان، أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة، ﴿عَنْ تَرَاوِحٍ بَيْنَكُمْ﴾، أي: بطيب نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر:

أن رسول الله ﷺ قال: «المتبايعان كل واحد منهما بالخيار علي صاحبه، ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال أبو عبيدة: لا تهلكوها، كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقيل: لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه، أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك:

أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة».

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ بن عبدالرحمن المزني أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال سمعت الحسن: أخبرنا جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «خرج رجل فيمن كان قبلكم أراب فجزع منه فأخرج سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله عز وجل: يادرنى عبدي بنفسه فحزمت عليه الجنة».

وقال الحسن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، أخبرنا عبدالواحد

المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا شعبة عن علي بن مدرك قال: سمعت أبا زرعة بن عمرو بن جرير عن جده قال:

قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، يعني: ما سبق ذكره من المحرمات، ﴿عَدُوًّا وَكَاظِمًا﴾، فالعدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ﴾، ندخله في الآخرة، ﴿نَارًا﴾، يُصلى فيها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، هيناً.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبِيرًا مَا تَهْوَىٰ عَنْهُ﴾، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغائر، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن مقاتل أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال: سمعت الشعبي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشرāk بالله عز وجل وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس».

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي [محمد بن يوسف] أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا بشر بن المفضل أنا

الجريري عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» [ثلاثاً] قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله عز وجل، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور، وواصل الأحمد بن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبدالله رضي الله عنهما قال:

قلت يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تعالى [تصديق قول النبي ﷺ] «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ» [الفرقان: ٦٨] الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثني سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث أنا أبو هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا

رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الزنا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت حميد بن عبدالرحمن يحدث عن عبدالله بن عمرو وقال:

قال رسول الله ﷺ: «من [أكبر] الكبائر أن يسب الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب آياه [ويسب أمه].

وعن سعيد بن جبير: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هي إلى السبعمئة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عصى الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر. وقال عبدالله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله: «إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ»، فهو

كبيرة قال علي بن أبي طلحة: [عن ابن عباس] هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وقال الضحاك: ما أوعده الله عليه حداً في الدنيا وعذاباً في الآخرة. وقال الحسين بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى: «اللَّهُ كَانَ فِي سَبْطِكُمْ كَبِيرًا» [النساء: ٢]، «إِنَّ قَلْبَهُ كَانَ حَقًّا كَبِيرًا» [الإسراء: ٣١]، «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]، «إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ» [يوسف: ٢٨]، «سُبْحَانَكَ مَا كُنَّا بِمُتَنَبِّئِينَ عَظِيمًا» [السنور: ١٦]، «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» [الأحزاب: ٥٣]، قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو، واحتج بما أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبدالله بن علي الكرمانى أنا أبو طاهر محمد [بن محمد] بن محمش الزيادي أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد أنا الحسين بن داود البليخي أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ينادي من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات، تهاهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي».

وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة، وقيل: الكبائر ذنوب العمدة والسيئات الخطأ والنسيان وما

أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة، وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام، وقال السدي: الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدّماتها وتوابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاستق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهاها.

قال النبي ﷺ: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»، وقيل: الكبائر ما يستحقه العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواعته، كما أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا [أبو] الوليد أنا مهدي عن غيلان عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات.

وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك فهو من السيئات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: من الصلاة إلى الصلاة ومن رمضان إلى رمضان.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني هارون بن سعيد

الأيلي أنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرُ».

قوله تعالى: ﴿وَلَذَلِكُمْ مُدْحَلَا كَرِيمًا﴾، أي: حسناً وهو الجنة، قرأ أهل المدينة ﴿مُدْحَلَا﴾ بفتح الميم ههنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

﴿٣٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية. قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا. فنزلت هذه الآية.

وقيل: لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء: نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال، لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقال قتادة والسدي: لما أنزل الله قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ [النساء: ١١] قال الرجال إنا لنرجو أن نُفْضَلَ عَلَى النِّسَاءِ بِحَسَنَاتِنَا فِي الْآخِرَةِ فَيَكُونُ أَجْرُنَا عَلَى الضَّعْفِ مِنْ أَجْرِ النِّسَاءِ كَمَا

فُضِّلْنَا عَلَيْهِنَ فِي الْمِيرَاثِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ من الأجر ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾ معناه: أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء، وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد فللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج. يعني: إن كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة الأزواج وحفظ الفروج قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي (وسلوا)، وسل، فسل، إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز، ونقل حركة الهمزة إلى السين، والباقون بسكون السين مهموزاً. فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه [سواء تمنأها لنفسه أم لا]، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز. قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن. وقوله: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس: وأسألوا الله من فضله أي: من رزقه، قال سعيد بن جبيرة: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، وقال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿إِنَّ اللَّهَ

الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِيثِ قَيْدِنَا حَفِظْتُمْ لِلنِّسَاءِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَحْفَونَ شُؤْرَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿١٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيهَا فَإِذَا نَفَعْتُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَحَكَمْنَا مِنْ أَهْلِهِمْ أَنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ لِنَهْمِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَأَعِدُّوا لِلَّذِينَ لَا تُنْفِرُوا فِيهِمْ شِقَاقَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٩﴾

لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال رسول الله ﷺ في خطبته يوم فتح مكة: «لا تحدثوا جلفاً في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا فيه فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار قديموا

المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون الرحم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّي جَمَلْنَا مَوَالِي﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، الآية

نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير - قاله مقاتل، وقال الكلبي: امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة - وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمةتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «لنقتصص

كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْنَا».

﴿١٦﴾ ﴿وَلِكُلِّي جَمَلْنَا مَوَالِي﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي، أي: عصبية يُعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ والوالدان والأقربون هم المورثون، وقيل: معناه ولكل جعلنا موالي أي: ورثة ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ أي: من الذين تركهم يكون (ما) بمعنى من، ثم فسّر الموالي فقال: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي: هم الوالدان والأقربون، [فعلى هذا القول: الوالدان والأقربون] هم الوارثون، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿عقدت﴾ بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكم وقرأ الآخرون: ﴿عاقدت أيمانكم﴾، والمعاقدة: المحالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين، من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد. ومخالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك [وهدمي هدمك] وثأري ثأرك وحرابي حربك ويسلمني سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتغفل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك [ثابتاً] في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّوَّهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث

من زوجها، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاه جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء»، فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خيراً، ورفع القصاص».

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ أي: مسلطون على تأديبهن، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني: فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْا رَاجِلِينَ فَرَجُلٌ وَآمْرَانُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقيل: بالجهد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا

يحل للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالنبوة.

﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: إعطاء المهر والنفقة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْفُرُوا﴾، أي: طميعات ﴿حَفِظْتُمْ لِلنَّبِيِّ﴾، أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرههم ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي: بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحقهن وأمرهم بأداء المهر والنفقة. وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الشعلبي أنا أبو عبد الله [محمد] بن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن إسحاق المسوحي أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن

أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها»، ثم تلا: ﴿الرِّجَالُ قَوَّاتٌ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية.

﴿وَاللِّي تَحَافُونَ نَشُورَهُمْ﴾، عصيانهن، وأصل النشور: التكبر والارتفاع، ومنه النشز: [وهو الموضع]، ﴿فَيَقْظَهُنَّ﴾، بالخوف من الله والوعظ بالقول، ﴿وَأَفْجُرُونَهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن ﴿فِي الْمَصَاجِعِ﴾، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿وَأَضْرِبُونَهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولا سائت، قال عطاء: ضرباً بالسواك.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقبح ولا تهجر إلا في البيت».

﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عيينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ عَلَيْكُمْ كَبِيرٌ﴾، متعالياً من أن يكلف العباد ما لا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر منها النشور جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله ﴿وَاللِّي تَحَافُونَ نَشُورَهُمْ﴾، على العلم كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جُنَاحاً﴾

[البقرة: ١٨٢] أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: ﴿وَأِنَّمَا تَحَافُونَ مِنْ قَوِيٍّ خِيفَةً﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، يعني: خلافاً بين الزوجين، والخوف بمعنى اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظننتم شقاق بينهما، وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلح، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمْ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾، يعني: الحكامين، ﴿يُوقِفُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني: بين الزوجين، وقيل: بين الحكامين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكساتي أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقفني عن

أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في هذه الآية ﴿وَإِنْ حَفَّتْ شِبَابُكُ مِنْ أَهْلَيْهِمْ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلَيْهَا﴾، قال: جاء رجل وامرأة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فثام من الناس، فأمرهم علي رضي الله عنه فبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين: تدریان ما عليكما؟ إن رأيتما أن تجمعما جمعتما وإن رأيتما أن تفرقما فرقتما، قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي، فقال الرجل: أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه: كذبت والله حتى تُقَرَّ بمثل الذي أقرت به.

واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين والأصح القولين أنه لا يجوز إلا برضاهما، وليس لحكم الزوج أن يُطَلَّق دون رضاه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إلا بإذنها، وهو قول أصحاب الرأي لأن علياً رضي الله عنه، حين قال الرجل: أما الفرقة فلا، قال: كذبت حتى تُقَرَّ بمثل الذي أقرت به. فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على إقراره ورضاه والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاها، فيجوز لحكم الزوج أن يُطَلَّق دون رضاه ولحكم المرأة أن يخلع دون رضاها، إذا رآيا الصلاح كالحاكم بحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك، ومن قال بهذا قال: ليس المراد من قول علي رضي الله عنه، للرجل: حتى تُقَرَّ أن رضاه شرط بل معناه: أن المرأة لَمَّا

رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل: أما الفرقة فلا، يعني: ليست الفرقة في كتاب الله، فقال علي: كذبت، حيث أنكرت أن الفرقة في كتاب الله، بل هي في كتاب الله [الله] فإن قوله تعالى: ﴿يُوفِّي اللَّهُ يَتِيمًا﴾ يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بإصلاح حالهما في الوصلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن بشران أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر بن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

كنت رديف النبي ﷺ فقال: «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟» قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يُشْرِكُوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟» [قال] قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم»، قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «دعهم يعملون».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَنَّا﴾ برأ بهما وعطفاً عليهما، ﴿وَيَذَى الْقُرْبَى﴾ أي: أحسنوا بذوي القربى، ﴿وَالْيَتِيمِ وَالسَّكِينِ﴾

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن زرارة أنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً».

أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «من مسح رأس يتييم لم يمسحه إلا الله كان له بكل شجرة تمرٌ عليها يدهُ حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتييم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه».

قوله تعالى: ﴿وَالْمَجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: ذي القرابة، ﴿وَالْمَجَارِ الْجُنُبِ﴾، أي: اليتيم الذي ليس بينك وبينه قرابة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعت طلحة قال:

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً».

أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يزيد بن سنان أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا أبو عامر الخزاز عن أبي عمران الجوني عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ، وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها واغرف لجيرانك منها».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن منهل أنا يزيد بن زريع أنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيؤزُّه».

قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد، وقال عليّ وعبدالله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نَفْعِكَ، ﴿وَأَنْتِ السَّبِيلُ﴾، قيل: هو المسافر لأنه ملازم السبيل، والأكثرون: على أنه الضيف، أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة

يعقوب بن إسحاق أنا شعيب [بن] عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جُبَيْر عن أبي شُرَيْح الخزاعي:

أن النبي ﷺ قال: «من كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا [أبو] مصعب عن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شُرَيْح الكعبي:

أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يومٌ وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلُّ أن يثوي [أي: أن يقيم] عنده حتى يُخْرِجه».

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: المماليك أحسنوا إليهم.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش أنا علي بن عبدالعزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا يزيد عن همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة رضي الله عنها:

عن النبي ﷺ أنه كان يقول في مرضه: «الصلاة وما مَلَكَتْ

أيمانكم»، فجعل يتكلم ولا يفيض بها لسانه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي ذر الأعمش عن المعرور عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

رأيت أبا ذرٍ وعليه بُرْدٌ وعلي غلامه بُرْدٌ، فقلتُ: لو أخذت هذا فلبسته كانت حُلَّةً وأعطيته ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فبُئِنْتُ منها فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: «أسأبت فلاناً؟» قلتُ: نعم، قال: «أفبُئِنْتُ [من] أمه؟» قلتُ: نعم، قال: «إنك امرؤٌ فيك جاهلية» قلتُ على ساعتِي: هذه من كبر السن، قال: «نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا سهل بن عمار أنا يزيد بن هارون أخبرنا صدقة بن موسى عن فرقد السبخي عن مرة الطيب عن أبي بكر رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة سيءُ المَلَكَةِ».

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾، المختال: المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُمْ رِيقَ سَاسَةٍ
قَرِينًا ﴿٣٧﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
شَيْئًا قَلِيلًا ذَرَّةً وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَتُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْتَنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٠﴾ يَوْمَ نَبْذُرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَيْثُ بَيَّنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُودًا لِيُحَارَبِ
سَبِيلَ اللَّهِ حَتَّى تَمْتَلِئُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْمُونًا عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَتْ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً
فَتَيَسَّمُوا سَعِيدًا طَيِّبًا فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَوَفًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٢﴾

٨٥

واحد من هذه الأشياء ذرة، والمراد أنه لا يظلم لا قليلاً ولا كثيراً، ونظمه: وماذ عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم أي: لا يبخص ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة، واللذرة: هي النملة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذر أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قال في آية أخرى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤].

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبدالله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا همام أنا قتادة عن أنس رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ [المؤمن حسنةً يثاب عليها

كانوا يأتون رجالاً من الأنصار يخالطونهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: المال، وقيل: يبخلون بالصدقة ﴿وَءَاعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ محل «الذين نصب عطفاً على الذين يبخلون، وقيل: خفض عطف على قوله: ﴿وَءَاعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ نزلت في اليهود، وقال السدي: في المنافقين، وقيل: [في] مشركي مكة المتفقين على عداوة الرسول ﷺ. ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُمُ قَرِينًا﴾، صاحباً وخليلاً ﴿مَسَاءً قَرِينًا﴾، أي فيس الشيطان قريناً وهو نصب على التفسير، وقيل: على القطع بالغاء الألف واللام كما تقول: نعم رجلاً عبداً، وكما قال تعالى: ﴿يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿مَسَاءً مَثَلًا﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما الذي عليهم وأي شيء عليهم؟ ﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا قَلِيلًا ذَرَّةً﴾، [أدخل ابن عباس يده في التراب ثم نفخ فيها، وقال: كل

غير الحق تكبراً، ذكر هذا بعدما ذكر من الحقوق، لأن المتكبر يمنع الحق تكبراً. أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في بُردين وقد أعجمته نفسه خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مُصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في بُردين وقد أعجمته نفسه خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مُصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا».

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿بِالْبُخْلِ﴾ بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكتبوها وقال سعيد بن جببر هذا في كتمان العلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد: نزلت في كردم بن زيد وحيبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو

أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا».

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿بِالْبُخْلِ﴾ بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكتبوها وقال سعيد بن جببر هذا في كتمان العلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد: نزلت في كردم بن زيد وحيبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن عمرو

البرزق] في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، قال: «وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُعطى بها خيراً».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن أحمد بن حاتم البزاز الطوسي أنا أحمد بن محمد بن الحسن أن محمد بن يحيى حدثهم، أخبرنا عبدالرزاق وأخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبيري أنا عبدالرزاق أنا معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِتُوا فَمَا مَجَادِلَةٌ أَحَدُكُمْ لِمُصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدِّ مَجَادِلَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرُبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أَدْخَلُوا النَّارَ قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبُّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُضَوِّمُونَ مَعَنَا وَيُحْجُونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَخْرَجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُورِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُورَهُمْ فَمَنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبِيهِ فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا قَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ أَمْرَتِنَا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزُنُّ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزُنُّ نِصْفِ دِينَارٍ، حَتَّى

يقول: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَكُنْ حَسَنَةً يُصَلِّعَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبُّنَا [قَدْ] أَخْرَجْنَا مِنْ أَمْرَتِنَا فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعْتَ الْمَلَائِكَةَ، شَفَعْتَ الْأَنْبِيَاءَ، وَشَفَعْتَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، أَوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ [نَاسًا] لَمْ يَعْمَلُوا اللَّهُ خَيْرًا قَطُّ قَدْ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَصَبُ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَتُونَ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ أَجْسَادُهُمْ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْخَاتِمِ [مَكْتُوبٍ فِيهِ: هُوَءَاءُ] عَتَقَاءُ اللَّهِ [مِنَ النَّارِ] فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ، قَالَ فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَيَقُولُ فَإِنْ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْهُ، فَيَقُولُونَ: رَبُّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: «رَضَايَ عَنْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله بن الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن المعافري ثم الجيلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: أَنْتَ كَرَمٌ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَقَلَّكَ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَبَيَّتَ الرَّجُلُ، قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءًا».

وقال قومٌ: هذا في الخصوم. وروى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذها، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه، فيأخذ منه وإن كان صغيراً، ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ويؤتى بالعبد فينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيأخذها، ويقال: أت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب من أين

وقد ذهب الدنيا، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فإن بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة: يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة، فيقول: ضعفوها لعبيدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة. ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا وَيُقَالُ ذَرَّةٌ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾، وإن كان عبداً شقيماً قالت الملائكة: إلهنا فنيت حسناته وبقي طالبون؟ فيقول الله عز وجل: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صُكِّوا له صكاً إلى النار.

فمعنى الآية على هذا التأويل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يشبه عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز ﴿حَسَنَةً﴾ بالرفع، أي: وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك زنة الذرة حسنة يُضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِي مَن لَّذَنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا يَجْتَنِبُنَّ مِنَ كُلِّ أَثْمَرَ شَجَرٍ﴾، أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جنتا من كل أمة بشهيد، يعني: نبيا يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ يَوْمٍ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، أي: جعلنا لكل يوم أجرًا عظيمًا. ﴿وَيُؤْتِي مَن لَّذَنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، أي: يجعلنا لكل يوم أجرًا عظيمًا. ﴿وَيُؤْتِي مَن لَّذَنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، أي: يجعلنا لكل يوم أجرًا عظيمًا.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل [أنا] محمد بن يوسف أنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك عليك أنزل؟ [قال]: نعم، فقرأت سورة النساء حتى إذا أتيت [علي] هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا يَجْتَنِبُنَّ مِنَ كُلِّ أَثْمَرَ شَجَرٍ﴾، قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تدرقان.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [أي: يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا لَمْ نَكُنْ فِي السَّمَاءِ وَتَشْدِيدِ السَّيْنِ عَلَى مَعْنَى تَتَسَوَّى، فَادْعَمَتِ النَّارُ الشَّانِيَةَ فِي السَّيْنِ، وَقَرَأَ حَمَزَةً وَالْكَسَائِيَّ بِفَتْحِ النَّاءِ وَتَخْفِيفِ السَّيْنِ عَلَى حَذْفِ تَاءِ التَّغْفِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَكْفُرْ لِمَن لَّا يَأْتِيهِ﴾ [هود: ١٠٥]، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول، أي: [لو] سويت بهم الأرض فصاروا هم والأرض شيئاً واحداً. قال قتادة وأبو عبيدة: يعني لو تحقرت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها ثم تسوى بهم، أي: عليهم الأرض، وقيل: ودُّوا لو أنهم لم يُبعثوا لأنهم إنما نقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية عليهم، وقال الكلبي:

يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع: كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان تراباً كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتُّ تَرَابٍ﴾ [النبا: ٤٠]. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال عطاء: ودُّوا لو تسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد ﷺ ولا نعتة. وقال الآخرون: بل هو كلام مستأنف، يعني: ولا يكتُمون الله حديثاً لأن ما عملوه لا يخفى على الله ولا يقدر على كتمانهم. وقال الكلبي وجماعة: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال سعيد بن جبيرة: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: هات ما اختلف عليك، قال: ﴿فَلَا أَسْأَلُ بِمَنِّيهِمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَمِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلِ بِضَمِّ عَلَى بَعْضِ يَسْتَمِعُونَ﴾ [الصفافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَوْمًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا، وقال: ﴿أَرَأَيْتُمَا يَتَّبِعُهُمَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠]، وذكر خلق السماء قبل [خلق] الأرض، ثم قال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾، أي: خلق الأرض في يومئذ، إلى قوله: ﴿طَائِفِينَ﴾ [فضلت: ٩-١١] فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ عَادًا رَبِّهَا﴾ [الفتح: ١٤] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ عَادًا رَبِّهَا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨ و١٦٥] فكأنه كان ثم مضى؟ فقال ابن عباس:

رضي الله عنهما: فلا أنساب [بينهم] في النفخة الأولى قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَنزَلَ بِضُفْرِ عَقْلِ بَعْضِ بَيْسَلَةَ لَوْنٍ﴾، وأما قوله ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حُدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون تعالوا نثقل لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتف حديشاً، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَوَّأُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَخَشَعُوا الْأَرْضِينَ﴾ [فصلت: ٩] ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين [ثم دحى الأرض] ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والأكام وما بينهما في يومين آخرين فقال: خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلق السموات في يومين، ﴿وَكَاكَرَاتَ اللَّهُ عَرْشُورًا رَجِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] والنساء: [١٠٠]، أي: لم يزل كذلك، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله. وقال الحسن: إنها موطن، ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همساً، وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون [والله ربنا] ما كنا مشركين وما كنا نعمل في سوء، وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ وفي موطن لا يتساءلون، وفي موطن يسألون

الرجعة، وأخز تلك المواطن أن يُختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حُدِيثًا﴾. ﴿٣٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ الآية، والمراد من السكر: السكر من الخمر عند الأكثرين.

وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلاً ليصلي بهم فقرأ ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [الكافرون: ١] أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر.

وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به سكر النوم، نهى عن الصلاة عند غلبة النوم.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس أنا هارون بن إسحاق الهمداني أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ يَنْعَسُ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَعْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ».

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَقُولُوا مَا نَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾، نصب على الحال،

يعني: ولا تقرّبوا الصلاة وأنتم جنبٌ يقال: رجلٌ جنبٌ وامرأةٌ جنبٌ، ورجالٌ جنبٌ ونساءٌ جنبٌ، وأصل الجنابة: النُجْد، وسُمي جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناس ويُعيده منهم، حتى يغتسل. قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَقْتُلُوا﴾ اختلفوا في معناه فقال بعضهم: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيّموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيّم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم، وقال آخرون: بل المراد من الصلاة موضع الصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَبِجْعٍ وَمَلَاوَتْ﴾ [الحج: ٤٠] ومعناه: لا تقرّبوا المسجد وأنتم جنبٌ إلا مجتازين فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه جنابة والماء في المسجد أو يكون طريقه عليه، فيمرّ به ولا يقيم وهذا قول عبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوماً من الأنصار كانت أباؤهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممرٌ لهم إلا في المسجد، فرخص لهم في العبور، واختلف أهل العلم فيه فأباح بعضهم المرور فيه على الإطلاق، وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله، ومنع بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي، وقال بعضهم: يتيّم للمرور فيه، أما الممكث فلا

يجوز عند أكثر أهل العلم.

لِما روينا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «وَجُهِوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أُجِلُّ المسجدَ لحائضٍ ولا جنبٍ».

وجوزَ أحمد المكنة فيه وضعف الحديث لأن رواه مجهول، وبه قال المزني، ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلاة ولا يجوز له قراءة القرآن.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة أخبرني عمرو بن مرة قال سمعت عبدالله بن سلمة يقول: دخلتُ على علي رضي الله عنه فقال:

كان رسول الله ﷺ يقضي الحاجة ويأكلُ معنا اللحم ويقرأ القرآن وكان لا يَحْجُبُهُ أو يحجزه عن [قراءة] القرآن شيء إلا الجنابة.

وغسل الجنابة يجب بأحد أمرين إما بنزول المني أو بالتقاء الختانين وهو تغيب الحشفة في الفرج وإن لم ينزل، وكان الحكم في الابتداء أن من جامع امرأته فأكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخاً.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى الأشعري سأل عائشة رضي الله عنها عن التقاء الختانين فقالت عائشة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى الختانان، أو مسَّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل».

قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرِيضًا، أَوْ مَرِيضًا، وَأَرَادَ بِهِ مَرَضًا يَضُرُّهُ، إِسْمَاسُ الْمَاءِ مِثْلَ الْجَدْرِيِّ وَنَحْوِهِ، أَوْ كَانَ عَلَى مَوْضِعِ الطَّهَارَةِ جِرَاحَةً يَخَافُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِيهَا التَّلَفَ أَوْ زِيَادَةَ الْوَجَعِ، فَإِنَّهُ يَصَلِّي بِالتَّيْمِمِ وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ مَوْجُودًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَعْضَاءِ طَهَارَتِهِ صَاحِبًا وَالبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم للجريح، لِمَا أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاشَانِيُّ أَنَا أَبُو عَمْرِ الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ الْهَاشِمِيِّ أَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو اللَّوْلُؤِيُّ أَنَا أَبُو دَاوُدَ سَلِيمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِي أَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْطَاكِيِّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ عَنِ الزَّيْبِرِ بْنِ خَرِيقٍ عَنِ [عطاء عن] جابر بن عبدالله قال:

خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منّا حجرٌ فشجّه في رأسه، فاحتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك قال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده».

ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل، وقالوا: إن كان أكثر أعضائه صحيحاً غسل الصحيح

ولا يتيمم عليه، وإن كان الأكثر جريحاً اقتصر على التيمم. والحديث حجة لمن أوجب الجمع بينهما. قوله تعالى: «أَوْ عَلَى سَفَرٍ»، أراد أنه إذا كان في سفر طويلاً كان أو قصيراً، وعدم الماء فإنه يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه، لما روي عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «إن الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشرَ سنين» فإذا وجد الماء فليمسّه بَشْرَهُ [فإن ذلك خير]، أما إذا لم يكن الرجل مريضاً ولا في سفر ولكنه غُدم الماء في موضع لا يُعَدُّ فيه الماء غالباً بأن كان في قرية انقطع ماؤها فإنه يصلي بالتيمم ثم يُعيد إذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والأوزاعي لا إعادة عليه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يؤخر الصلاة حتى يجد الماء. قوله تعالى: «أَوْ جَسَدًا أَحَدًا مِنكُمْ مَيِّتًا»، أراد به إذا أحدث، والغائط إسم للمطمئن من الأرض، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكُتِيَ عن الحدث بالغائط، «أَوْ لَمَسْتُمُ الْإِنْسَاءَ»، قرأ حمزة والكسائي «لَمَسْتُمُ» ههنا وفي المائدة، وقرأ الباقون «لَمَسْتُمُ الْإِنْسَاءَ» واختلفوا في معنى اللَّمسِ والمُلاَمَسَةِ، فنقال قوم: هو المجامعة، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكُتِيَ باللَّمسِ عن الجماع لأن الجماع لا يحصل إلا باللَّمسِ، وقال قوم: هما التقاء البشريتين سواء كان بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي،

واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة - ولا حائل بينهما - ينتقض وضوءهما، وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهيري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق: وإن كان اللبس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن و الثوري، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار، واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنتُ أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضتُ رجلي وإذا قام بسطتهما، قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي:

أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ [قالت: كنتُ نائمةً إلى جنب رسول الله ﷺ] ففقدته من

الليل فلمسته بيدي فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول: «أعوذُ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عُقوبتك وأعوذُ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

واختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيما لو لمس امرأة من محارمه كالأم والبنت والأخت أو لمس أجنبية صغيرة، أصح القولين أنه لا ينتقض الوضوء لأنها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلاً، واختلف قوله في انتقاض وضوء الملموس [على قولين]، أحدهما: ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع، والثاني: لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد، ولو لمس شعر امرأة أو مئتها أو ظفرها لا ينتقض وضوءه عنده، وأعلم أن المُحدِّث لا تصح صلاته ما لم يتوضأ إذا وجد الماء أو يتيمم إذا لم يجد الماء أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لا تُقبل [الله] صلاةُ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

والحدِّث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عَيْنًا كان أو أثرًا، أو الغلبة على العقل بجنون أو إغماء على أي حال كان، وأما النوم

فمذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعدًا متمكنًا فلا وضوء عليه، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبدالعزيز الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال:

كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون العِشاءَ فينأمون، أحسبه قال قعوداً حتى تخفق رؤوسهم ثم يُصلون ولا يتوضؤون.

وذهب قوم إلى أن النوم يُوجب الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، وبه قال الحسن وإسحاق والمُزني، وذهب قوم إلى أنه لو نام قائماً أو قاعدًا أو ساجداً فلا وضوء عليه حتى ينام مضطجماً وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي.

واختلفوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة إلى أنه يُوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنها، وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وأحمد وإسحاق، وكذلك المرأة تَمَسُّ فرجها، غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول: لا ينتقض إلا أن يمس ببطن الكف أو بطون الأصابع، واحتجوا بما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر [بن] محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع عروة بن الزبير يقول: دخلتُ على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء، فقال مروان: من مس الذكر الوضوء، فقال عروة: ما علمتُ ذلك، فقال مروان:

أخبرتني بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ».

وذهب جماعة إلى أنه لا يُوجب الوضوء، روي ذلك عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي، واحتجوا بما روي عن طلق بن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الرجل مس ذكره، فقال: «هل هو إلا بضعة منك؟» [ويروى: «هل هو إلا بضعة أو مضغعة منه»].

ومن أوجب الوضوء منه قال: هذا منسوخ بحديث بسرة لأن أبا هريرة يروي أيضاً: الوضوء من مس الذكر، وهو متأخر الإسلام، وكان قدوم طلق بن علي عملي رسول الله ﷺ أول زمن الهجرة حين كان بيني المسجد.

واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة وغيرهما من القيء ونحوه، فذهب جماعة إلى أنه لا يُوجب الوضوء، روي ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي وذهبت

جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقيء والرعاف والفصد والحجامة: منهم سفیان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لا يُوجب الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيرة لأوجب قليله كالفرج.

«فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً فَتَيَّمُوا»، اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة، روي حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صَفْرُونَا كَصُفْرِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تَرْتِبُهَا لَنَا طَهْرًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»، وكان يده التيمم ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت:

خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات النخيل انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: أحبست

رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبتني أبو بكر رضي الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم «فَتَيَّمُوا» فقال أسيد بن حضير وهو أحد القباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت عائشة رضي الله عنها: فيعتنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد بن إسماعيل أنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه:

عن عائشة رضي الله عنها: أنها استعارت من أسماء قلاة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم. فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة.

«فَتَيَّمُوا»، أي: أقصّدوا، «صَعِيدًا طَيِّبًا»، أي: تراباً طاهراً نظيفاً قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصعيد هو التراب.

واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار،

لأن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهْرًا»، وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنينخ والخص والنبوة وغيرها من طبقات الأرض، حتى قالوا: لو ضرب يده على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صحَّ تيمُّمه، وقالوا: الصعيد وجه الأرض.

لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا».

وهذا مجمل، وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل، وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات، ونحوهما وقال: إن الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض، والقصد إلى التراب، شرط لصحة التيمم، لأن الله تعالى قال: «فَتَتِمُّوا»، والتيمم: [هو] القصد، حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح. قوله تعالى: «فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا»، اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم.

واختلفوا في كفيته فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسخ الوجه واليدين مع المرفقين، بضريرتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور، ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين، لما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أن عبدالعزیز بن

أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن أبي الخويرث عن الأعرج عن أبي الصمة قال:

مررت على النبي ﷺ وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام إلى جدار فحته بعضاً كانت معه، ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي.

ففيه دليل على وجوب مسح اليدين إلى المرفقين كما يجب غسلهما في الوضوء إلى المرفقين، ودليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق باليد غبار التراب، لأن النبي ﷺ حثَّ الجدارَ بالعصا، ولو كان مجرد الضرب كافياً لما كان حثُّه، وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين، لما روي عن عمار أنه قال: تَيَّمَّنَا إِلَى الْمَنَابِكِ. وذلك حكاية فعله ولم ينقله عن النبي ﷺ.

كما روي أنه قال: أجنبْتُ فتمسكت في التراب، فلما سأل النبي ﷺ [و] أمره بالوجه والكفين [انتهى إليه]

وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق، واحتجوا بما:

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة أخبرنا الحكم عن دُرِّ عن سعيد بن

عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه قال:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني أجنبْتُ فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمسكت فصليت فذكرت للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا يَكْفِيكَ هَكَذَا، فَضْرِبِ النَّبِيَّ ﷺ بِكَفَيْهِ الْأَرْضَ وَنَفِّخْ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحْ وَجْهَهُ وَكَفَيْهِ»

وقال محمد بن إسماعيل أنا محمد بن كثير عن شعبة بإسناده وقال: عمار لعمر رضي الله عنه: تمسكت فأتيت النبي ﷺ فقال: «يكفيك الوجه والكفان».

وفي الحديث دليل على أن الجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم، وكذا الحائض والنفساء إذا طهرتا وعدمتا الماء. وذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما إلى أن الجنب لا يصلي بالتيمم بل يؤخر الصلاة إلى أن يجد الماء فيغتسل، وحملوا قوله تعالى: «أَوْ لَمَسْتُمُ الْأَرْضَ» على اللمس باليد دون الجماع، وحديث عمار رضي الله عنه حجة، وكان عمر نسي ما ذكره له عمار فلم يقنع بقوله. وروي أن ابن مسعود رضي الله عنه رجح عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه أيضاً ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزیز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عباد بن منصور عن أبي

﴿لَقَدْ تَجَدَّوْا مَاءَ قَتِيمَتَوَا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، ظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء أو التيمم إذا لم يجد الماء عند كل صلاة، إلا أن الدليل قد قام في الوضوء فإن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد.

فبقي التيمم على ظاهره، وهذا قول علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد

رجاء العطاردي عن عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أمر رجلاً كان جنباً أن يتيمم ثم يصلي فإذا وجد الماء اغتسل.

وأخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عمرو بن بجدان عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر ابدأ فيها فبدوت إلى الربذة فكانت تصيبني الجنبابة فأمكت الخمس والست، فأتيت رسول الله ﷺ فقال: [أبا ذر، فسكت، فقال: «تكلتك أمك يا أبا ذر لأمك الويل»، فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فستررتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكانني الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير».

ومسح الوجه واليدين في التيمم، تارة يكون بدلاً عن غسل جميع البدن في حق الجنب والحائض والنفساء والميت وتارة عن غسل الأعضاء الأربعة في حق المحدث وتارة يكون بدلاً عن غسل بعض أعضاء الطهارة بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه أن يتيمم بدلاً عن غسله، ولا يصح التيمم لصلاة الوقت إلا بعد دخول الوقت، ولا يجوز أن يجمع بين فريضتين يتيمم واحد لأن الله تعالى قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] إلى أن قال:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(٤٤)
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَخَرَفُوا عَلَى كَلِمَاتٍ مَوَاضِعَهُ وَيَقُولُونَ نَحْمَدُكُمْ وَعَصَيْبْنَا وَآمَنَ بِهِمْ جَبْرَائِيلُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَا يَلْقَاوْنَ
 وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلُوا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا
 لَكُنَّا عِزًّا لَهُمْ وَأَقْرَبَ لَعْنَتِهِمْ اللَّهُ يَكْفُرُ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا^(٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكُتُبَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَهَا
 عَالِيًا دُونَهَا أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ وَكَانَ لَعْنُ
 اللَّهِ مُقْفُولًا^(٤٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ رَبُّونَا فَهُمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ
 وَلَا يُظَلِّمُونَ شَيْئًا﴾^(٤٧) أَنْظِرْ كَيْفَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبَ
 وَكَفَىٰ بِهِمْ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطِيعُوا وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَذِهِ لَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(٤٨)

٨٦

فإن رأي الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبغ يمنعه من الذهاب إليه أو كان الماء في البئر وليس معه آلة الاستقاء، فهو كالمعدوم يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه.

﴿٤٤﴾ قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لوتوا بالاستسقاء وعاباه فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿يَسْتَبَدِلُونَ﴾، يستبدلون، ﴿الضَّلَالَةَ﴾، يعني: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْبِلُوا السَّبِيلَ﴾، أي: عن السبيل يا معشر المؤمنين.

﴿٤٥﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، منكم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

وإسحاق، وذهب جماعة إلى أن التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة، ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي، واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها، وأن يقرأ القرآن إن كان جنباً، وإن كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو أن يطلبه في رحله ومن رفقائه، وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظره ينظر نحو آليته، وإن كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار عدل عنه لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ تَجَدَّوْا مَاءَ قَتِيمَتَوَا﴾، ولا يُقال: لم يجد إلا لمن طلب، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط

نصيراً، [قال الزجاج: معناه اكتفوا بالله ولياً واكتفوا بالله نصيراً].

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: هي متصلة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَفْسًا مِّنَ الْكُفِّينَ﴾، وقيل: هي مستأنفة، معناه: من الذين هادوا من يحرّفون، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لَمْ يُقَامْ مَقَامٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: مَنْ له مقام معلوم يُريدُ: فريق، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ، يُغَيِّرُونَ الْكَلِمَ﴾، عن مؤايد، يعني: صفة محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر فيُخبرهم فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا انصرفوا من عنده حرّفوا كلامه.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَعَصَيْنَا، أَمْرَكَ، وَاتَّبَعْنَا عَيْرَ مُسَمِّحٍ، أَي: اسمح منا ولا نسبح منك، عَيْرَ مُسَمِّحٍ، أَي: غير مقبول منك.

وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمح ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿وَرَاعِنَا، أَي: ويقولون راعنا يُريدون به النسبة إلى الرعونة، ﴿لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، تحريفاً، ﴿وَأَطَعْنَا، قَدْحاً﴾ في الذين، لأن قولهم: راعنا من الرعاعة، وهم يُحرّفونه، يُريدون به الرعونة، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَالْأَطْرَ، أَي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿لَكَانَ عَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ، أَي: أعدل وأصوب، ﴿وَلَكِن لَمَنَّهُمُ اللَّهُ يُكْفِّرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا نفرًا قليلاً منهم وهو عبدالله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَنفَكُوا مِنَ الْمَالِ﴾، يُخاطب اليهود، ﴿يَأْتُوا بِمَا تَزَكَّى، [يعني: القرآن]، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ، يعني: التوراة.

وذلك أن النبي ﷺ كلم أحبار اليهود عبدالله بن سوريا وكعب بن الأشرف، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جنتكم به الحق، قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا على الكفر، فنزلت هذه الآية، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ تَطْوَيسَ وَجُوهًا﴾.

قال ابن عباس: نجعلها كخف البعير، وقال قتادة والضحاك: نُعْمِيهَا، والمراد بالوجه العين، ﴿فَرَدَّهَا عَلَيَّ أَذْبَارِهَا، أَي: نظمس الوجوه فنردها على القفا، وقيل: نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة، لأن منابت شعور الآدميين في أذبارهم دون وجوههم، وقيل: معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالأقفاء، وقيل: نجعل عينيه على القفا فيمشي القهقري.

روي أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يأتي أهله ويده على وجهه، وأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفائي.

وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه، فقال: يا رب آمنْتُ، يا رب أسلمتُ مخافة أن يصيبه ويُعبد هذه الآية.

فإن قيل: قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟ قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسح في اليهود قبل قيام الساعة، وقيل: هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقين، وقيل: أراد به في القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: ﴿تَطْوَيسَ وَجُوهًا﴾، أي: نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب، والرّد عن بصائر الهدى على أذبارها في الكفر والضلالة، وأصل الطمس: المحو والإنساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم بها فنردها على أذبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك وتأول في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحا من [أرض] الشام ﴿أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، فنجعلهم قردة وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يُعتق فلم يُوف له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أننا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمتنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، الآيات وقد دعونا مع الله إليها آخر

كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومثا ثلاثون فنلزم أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدنا على قتال محمد ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقاً، نحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجاج الكوماء ونسقيهم الماء ونفري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم. ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا﴾ يعني: كعباً وأصحابه الصنمين ﴿وَيَقُولُونَ لَئِنْ كَفَرُوا﴾: أبي سفيان وأصحابه ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ﴿سَيِّئًا﴾ ديناً.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا﴾

ومكحول: الجبث: الكاهن، والطاغوت: الساحر. وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: الجبث: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت: الكاهن. وزوي عن عكرمة: الجبث بلسان الحبشة: شيطان. وقال الضحاك: الجبث: حبي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف. دليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠].

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبدالرزاق أنا معمر بن عوف العدي عن حيان عن قطن بن قيصة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «العيافة والطزوق والطيرة من الجبث».

وقيل: الجبث كل ما حزم الله، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان. ﴿وَيَقُولُونَ لَئِنْ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾

قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب

سُورَةُ النِّسَاءِ

الْبَّيِّنَاتِ

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٠﴾

أَمْ لَمْ نُنصِبْ لِلنَّاسِ قَانِطًا فَاذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥١﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٢﴾

فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِرَبِّهِمْ وَمَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ ذُرًا كَمَا نُصَلِّبُ الْجُودِ هُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا عَرًّا يَلْدُوهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَرِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٤﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَوَدَّعَاهُمْ ظِلًّا لَدِيمًا ﴿٥٥﴾

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَعْلَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَبَأُ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٦﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٧﴾

٨٧

﴿٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿انظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ يَقْرءُونَ عَلَى اللَّهِ﴾، يخلتقون على الله، ﴿الكلب﴾، في تغييرهم كتابه، ﴿وكني بيه﴾ أي بالكذب ﴿وإنما شيننا﴾.

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغِيْبُوا﴾، اختلفوا فيما فقال عكرمة: هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله [عز وجل]، وقال أبو عبيدة: هما كل معبود يُعبد من دون الله [عز وجل] قال الله تعالى ﴿أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، قال عمر: الجبث: السحر، والطاغوت: الشيطان. وهو قول الشعبي ومجاهد. وقيل: الجبث: الأوثان، والطاغوت: شياطين الأوثان لكل صنم شيطان، يُعبّر عنه، فيغتر به الناس. وقال محمد بن سيرين

من الملك شيء، ﴿فَأَذًا لَا يُؤْتُونَ﴾
النَّاسَ تَقْوِيرًا، لحسدهم ويخلهم
والنقيير: النقطة التي تكون في ظهر
الثوامة ومنها تنبت النخلة، وقال أبو
العالية: هو نقر الرجل الشيء بطرف
أصبعه كما يقر الدرهم.

﴿٥٤﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ، يعني:
اليهود، يحسدون الناس، قال قتادة:
المراد بالناس العرب حسدهم اليهود
على الثبوة، وما أكرمهم الله تعالى
بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمداً ﷺ
وأصحابه، وقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وجماعة: المراد بالناس
رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على
ما أحل الله له من النساء، وقالوا: ما
له هم إلا النكاح، وهو المراد من
قولته: ﴿عَلَىٰ مَا آتَيْنَاهُمُ اللَّهُ مِن
فَضْلِهِ﴾، وقيل: حسدوه على الثبوة
وهو المراد من الفضل المذكور في
الآية، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ﴾، أراد بآل إبراهيم: داود
وسليمان، وبالكتاب: ما أنزل الله
عليهم وبالْحِكْمَةَ الثبوة ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
عَظِيمًا﴾ فمن فسّر الفضل بكثرة النساء
فسّر الملْك العظيم في حق داود
وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء،
فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة
حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة
امرأة، ولم يكن يومئذ
لرسول الله ﷺ تسع نسوة، فلما قال
لهم ذلك سكتوا.

﴿٥٥﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيئْتُهُمْ مِّنْ
ءَامَنٍ يَدِي﴾، يعني: بمحمد ﷺ،
وهم عبد الله بن سلام وأصحابه،
﴿وَمِئْتُهُمْ مِّنْ صَدِّ عَنِّي﴾، أعرض عنه
ولم يؤمن به، ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَوِيرًا﴾،

وقوداً، وقيل: الملْك العظيم: ملْك
سليمان، وقال السدي: الهاء في
قولته ﴿مِّنْ ءَامَنٍ يَدِي وَمِئْتُهُمْ مِّنْ صَدِّ
عَنِّي﴾ راجعة إلى إبراهيم، وذلك أن
إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناسُ
فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم
عليه السلام، فاحتاج إليه الناس
فكان يقول: من آمن بي أعطيته،
فمن آمن منهم أعطاه، ومن لم يؤمن
به منعه.

﴿٥٦﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَكَايِبُنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ قَارًا﴾، ندخلهم
ناراً، ﴿كَلِمًا نُّفِثَتْ﴾، احترقت،
﴿جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، غير
الجلود المحترقة، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: يُبدلون جلوداً بيضاً
كأمثال القراطيس.

وَرَوَىٰ إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ قُرِئَتْ عِنْدَ
عمر رضي الله عنه، فقال عمر
رضي الله عنه للقاريء: أعددها
فأعادها، وكان عنده معاذ بن جبل،
فقال معاذ: عندي تفسيرها ﴿تُبَدَّلُ فِي
كُلِّ سَاعَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ﴾، فقال عمر
رضي الله عنه: هكذا سمعت
رسول الله ﷺ؟ قال الحسن: تأكلهم
النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما
أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما
كانوا.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي
أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا معاذ بن أسيد أنا
الفضل بن موسى أنا الفضيل عن أبي
حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال: ما بين منكبَي الكافر مسيرة

ثلاثة أيام للراكب المسرع.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا
عبدالغافر بن محمد بن عيسى
الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن
سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا
شريح بن يونس أنا حميد بن
عبدالرحمن عن الحسن بن صالح
عن هارون بن سعد عن أبي حازم
عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال:
قال رسول الله ﷺ: «ضُرْسُ
الكافر أو ناب الكافر مثل أحد،
وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام».

فإن قيل: كيف تُعذب جلود لم
تكن في الدنيا ولم تعصه؟ قيل يُعاد
الجلد الأول في كل كربة. وإنما
قال: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبدل صفتها،
كما تقول صنعتُ من خاتمي خاتماً
غيره، فالخاتم الثاني هو الأول إلا
أن الصنعة والصفة تبدلت، وكمن
يترك أخاه صحيحاً ثم بعد مرة يراه
مريضاً ذليلاً فيقول: أنا غير الذي
عهدت، وهو عين الأول، إلا أن
صفته تغيرت. وقال السدي: يُبدل
الجلد جلدًا غيره من لحم الكافر ثم
يعيد الجلد لحماً ثم يخرج من اللحم
جلدًا آخر. وقيل: يُعذب الشخص
في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال:
﴿يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾. ولم يقل: لتذوق
وقال عبدالعزيز بن يحيى: إن الله
عز وجل يُلبس أهل النار جلوداً لا
تألم، فتكون زيادة عذاب عليهم،
كلما احترق جلدٌ بجلدٍ غيره،
كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطَرَانٍ﴾
[إبراهيم: ٥٠]. فالسرابيل تؤلمهم
وهي لا تألم. قوله تعالى: ﴿يَذُوقُوا
الْعَذَابَ إِنَّكُم لَأنتُمْ أَكْبَرُ حَكِيمًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا آدَاجٌ مُتَّهَرَةً وَنَدَّجِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾، كنيئاً لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حرٌّ ولا بردٌ.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾،

نزلت في عثمان بن طلحة الحنفي من بني عبدالدار، وكان ساداً الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أضع المفتاح فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله ﷺ أن يرده المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وكان المفتاح معه فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة.

وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات.

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني وأبو أحمد بن محمد بن أحمد المعلم الهروي قال: أنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني أنا الحسن بن سفيان النسوي أنا شيبان بن أبي شيبة أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ قال: «ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَتُمْ بُيُوتَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، أي: بالقسط، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْتَئِنُ﴾ أي نعم الشيء الذي ﴿يَبْتَظُرُ بِهِ إِذْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الزيات أنا حميد بن زنجويه أنا ابن عباد [أنا] بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابرٍ من نورٍ على يمين الرحمن، وكلنا يديه يمين، هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا [أبو] القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مزروق عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسُ إِمَامٍ عَادِلٍ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ».

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، اختلفوا في ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾، قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا

محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثني نافع عن عبدالله رضي الله عنهم.

عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرهه، ما لم يُؤمَرْ بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن [بن] محمد الدراوردي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرنا عبادة بن الوليد بن عبادة أن أباه أخبره عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا تَنَازَعُ الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

أخبرنا أبو عبدالله [عبدالرحمن] بن عبيد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا [أبو] أحمد بكر بن محمد بن حمدان [الصيرفي] أنا محمد بن يوسف الكديمي قال أخبرنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي التياح: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي فر: «اسمع وأطع ولو لعبيد حبشي كان رأسه زينة».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد

عبدالجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن أحمد المجوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا موسى بن عبدالرحمن الكندي أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حَجَّةِ الْوُدَّاعِ فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ».

وقيل: المراد أمراء السرايا، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا حجاج بن محمد [ابن جريح] عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: نزلت في عبدالله بن خذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

وقال عكرمة: أراد بلولي الأمر أنا بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأظربلسي أنا عمرو بن أبي غرزة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال: رسول الله ﷺ: «إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقْتُلُوا بِاللَّيْنِ

من بعدي أبي بكر وعمر»، رضي الله عنهما،

وقال عطاء: هم المهاجرون والأَنْصَارُ والتابعون لهم بإحسان [بدليل قوله تعالى ﴿وَالشَّاهِدُونَ الْأَوْلُونَ مِنْ الْمُتَّحِقِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾] [التوبة: ١٠٠] الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي قال: أخبرنا عبدالله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن إسماعيل المكي عن الحسن بن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يَضْلَحُ الطعامُ إلا بالملح» [قال: قال الحسن: قد ذهب ملْحُنًا فكيف نصلح.

قوله عز وجل: ﴿إِن نَزَعْتُمْ، أي: اختلفتم، في شيء من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعان يتجادبان ويتمانعان، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وُجد فيهما، فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد. وقيل: الرد [إلى] الله تعالى والرسول] أن يقول لِمَا لا يعلم: الله، ورسوله أعلم. ﴿إِنَّ كُفْرًا تَقْتُمُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ الْأَمْرُ لِلَّهِ﴾، أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿مَنْ وَرَّعَ وَأَحْسَنَ تَأْوِيلًا﴾، أي: أحسن ما لا وعاقبة.

حلفاء الأوس أشرف وأكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فلما جاء الله بالإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فاختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا، ودينتكم ستون وسقاً ودينتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقال الخزرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقيلنا فقهرتمونا، ونحن وأنتم اليوم إخوة ودينتنا ودينتكم واحد فلا فضل لكم علينا، فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون من الفريقين: لا بل إلى النبي ﷺ فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة، يعني: الحظ، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا بل مائة وسق ديتي، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى آية القصص، وهذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ وَلَا يُخْلَفُوا وَبِذَلِكَ يُلْغَوْنَ إِلَيْكَ وَاللَّهُ يَكْفِيكَ غَلْبَهُمْ وَإِن يَكْفُرُوا يَكْفُرْ لَكَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

يهدوي خصومة فقال اليهودي: ننتقل إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله الطاغوت، فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: انطلق بنا إلى عمر رضي الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك، فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، قال لهما رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله. فنزلت هذه الآية. وقال جبريل: إن عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا وناق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قتل به أو أخذ ديتة مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة لم يقتل به وأعطى ديتة ستين وسقاً، وكانت النضير وهم

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا أَي: يُعْرَضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكَلًا بَعِيدًا﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِخَلُوفٍ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الآية

قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلهم أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت هذه الآية.

قال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها واحد في جهينة وواحد في أسلم، وفي كل حي كاهن، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين

مُصِيبَةً ﴿٦٣﴾، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿يَسْمَا قَدَمَتَّ آيَاتِهِمْ﴾، يعني: عقوبة صدودهم، وقيل: هي كل مصيبة تُصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة، وتم الكلام ههنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يُخبر عن فعلهم فقال: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾، يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ أي: يحيونك ويحلفون [لك]، وقيل: أراد بالمصيبة قتل عمر رضي الله عنه المنافق، ثم جاؤا يطلبون دينه، ﴿يَحْتَلُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا بالعدول عنه في المحاكمة أو بالتراجع إلى عمر، ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾، وقال الكلبي: إلا إحساناً في القول، وتوفيقاً: صواباً، وقال ابن كيسان: حقاً وعدلاً، نظيره: ﴿وَلَيَحْلُلَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، وقيل: هو إحسان بعضهم بعض، وقيل: هو تقرب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التأييد والجمع بين الخصمين.

﴿٦٤﴾ ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من الشفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، أي: عن عقوبتهم وقيل: فأعرض عن قول عذرهم وعظهم باللسان وقل لهم قولاً بليغاً. وقيل: هو التخويف بالله ﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾، وقيل: أن يُوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق

قتلتم لأنه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ﴾ في الملا ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ في السر والخلاء، وقيل هذا منسوخ بآية القتال.

﴿٦٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: إلا ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَهُمْ فَاسْتَقْرَأُوا اللهُ وَأَسْتَفْتَرُوا لَهُمُ الرَّسُولَ فَوَجَدُوا اللهُ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، الآية.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير:

أن الزبير رضي الله عنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدمراً إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك»، فغضب الأنصاري، ثم قال: يا رسول الله أن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق ثم احبس الماء

حتى يبلغ الجدر»، فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ [قبل ذلك] أشار على الزبير برأي، أراد [به] سعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم. قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

وروي أن الأنصاري الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة فلما خرجاً مر على المقداد فقال: لمن كان القضاء، فقال الأنصاري: قضى لابن عمته ولوى شذقه ففطن له يهودي كان مع المقداد، فقال: قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم، وإثم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى عليه السلام فدعا موسى إلى التوبة منه، فقال: اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلتنا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا، فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت، فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، [الآية].

وقال مجاهد والشعبي: نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى عمر رضي الله عنه. قوله تعالى ﴿فَلَا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف القسم

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿٦٦﴾ الآية، نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال [له] رسول الله ﷺ: «ما غير لونك؟» فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنني إن لم أركب استوحشت وحشة شديدة حتى ألقى، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك تُرفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فنزلت هذه الآية.

وقال قتادة: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فكيف نراك؟ فنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في أداء الفرائض، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ، والصديق المبالغ في الصدق، ﴿وَالشَّهَدَاءَ﴾، قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال عكرمة: النبيون ههنا محمد ﷺ، والصديقون أبو بكر، والشهداء: عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، سائر الصحابة رضي الله عنهم، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعل، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله.

قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك

النبي ﷺ فقال: «إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي»،

قرأ ابن عامر وأهل الشام ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنصب على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلاً منهم، وقرأ الآخرون (قليل) بالرفع على ضمير الفاعل في قوله ﴿فَعَلُوا﴾ تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾، تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم.

﴿وَإِذَا لَأْتَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثواباً وإفراً.

﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي: إلى الصراط المستقيم.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا لَئِيلًا فِيهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا وَعُظُوا بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا لَأْتَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٩﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا ﴿٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا أَثَابٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ سَأَلْتُمْ لَنْ يُطِيعَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مَوْضِعَهُ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تُصِيبُوا مَوْضِعَهُمْ فَانْفِرُوا كَأَنْ أَصَابَكُمْ الْقُرْآنُ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتل أَوْ يُغْلَبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ويجوز أن تكون (لا) في قوله ﴿فَلَا﴾ صلة، كما في قوله ﴿فَلَا أَقِيمُوا﴾ [الواقعة: ١٧٥]، ﴿حَتَّى يُحْكُمُواكُمُ﴾. أي يجعلوك حكماً، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: اختلف واختلط من أمورهم والنيس عليهم حكمه، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، قال مجاهد: شكاً، وقال غيره: ضيقاً ﴿مِمَّا قَضَيْتُمْ﴾، وقال الضحاك: إثماً، أي: يائسون بإنكارهم ما قضيت، ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ أي: يتقادوا لأمرك انقياداً.

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل ﴿أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، ﴿مَا فَعَلُوا﴾، معناه: ما كتبنا عليهم إلا

موضع الجمع، كقوله تعالى: ﴿مَنْ تَحْرِيمِكُمْ لِغُلَامًا﴾ [النسج: ٥] أي: أطفالاً ﴿وَيَوْلُونَ الذُّبَابَ﴾ [القمر: ٤٥] أي: الأدبار.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس:

أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي وأبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن النسوي قالوا: أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو العباس السراج أنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزي أنا سفيان بن عُيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها» [فلم يذكر كثير أمر]؟ قال: «إلا أنه يحب الله ورسوله»، قال: «فأنت مع من أحببت».

﴿ذَلِكَ الْفَقْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ أي: بشوَاب الآخرة، وقيل: بمن أطاع رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن

عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدُّوا وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ جُودًا وَعَدْوًا﴾، من عدوكم، أي: عدتكم والتمكم من السلاح، والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل والشبه والشبه، ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ اخْرُجُوا ﴿ثَبَاتٍ﴾ أي: سرايا متفرقين سرية بعد سرية، والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة، ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين كلكم مع النبي ﷺ.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَنْفَرَنَّ مِنْكُمْ﴾، نزلت في المنافقين، وإنما قال ﴿مِنْكُمْ﴾ لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب وإظهار الإسلام، إلا في حقيقة الإيمان، ﴿لِيَنْفَرَنَّ﴾ أي: ليتأخرن، وليتناقلن عن الجهاد، وهو عبدالله بن أبي المنافق، واللام في ﴿لِيَنْفَرَنَّ﴾ لام القسم، والتنتظة: التأخر عن الأمر، يُقال: ما أبطأ بك؟ أي: ما أخرك عتاً؟ ويقال: أبطأ إبطاءً وبطاً يبطاءً تنظتة. ﴿فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مِصِيْبَةٌ﴾ أي: قتل وهزيمة، ﴿قَالَ قَدْ أَنَّمَّ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالعود، ﴿إِذْ لَوْ أَكُنَّ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾، أي: حاضرًا في تلك الغزاة فيصيني ما أصابهم.

﴿وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾، فتح وغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق، وفيه تقديم وتأخير، وقوله ﴿كَأَنَّ لَمْ تَكُنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ متصل بقوله ﴿فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مِصِيْبَةٌ﴾

تقديره: فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً، ﴿كَأَنَّ لَمْ تَكُنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ أي: معرفة، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب ﴿تَكُنَّ﴾ بالياء، والباقون بالياء، أي: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن: ﴿وَلَيَكُنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ في تلك الغزاة، ﴿فَأَقْوَرُ قَوْراً عَظِيماً﴾، أي: أخذ نصيباً وافرًا من الغنيمة، وقوله ﴿فَأَقْوَرُ﴾ نصب على جواب التمني بالفاء، كما تقول: وددت أن أقوم فيتبعني الناس.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيَقْتُلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾، قيل: نزلت في المنافقين، ومعنى يشرون أي: يشترون، يعني الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه: آمنوا ثم قاتلوا، وقيل: نزلت في المؤمنين المخلصين، معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة ﴿وَمَنْ يُقْتَلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقْتَلَنَّ﴾، يعني يستشهد، ﴿أَوْ يُقْتَلَنَّ﴾، بظفر، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في كلا الوجهين ﴿أَجْرًا عَظِيماً﴾، ويدغم أبو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث كان أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «تقتل الله لمن جاهد في سبيل الله لا

والمناققين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه. فقال الله تعالى: ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ أي خصب ورخص في السعر، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، لنا، ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً﴾ يعني: الجذب وغلاء الأسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيسة القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسيسة كلها من عند الله، ثم عيرهم بالجهل فقال: ﴿قَالَ هَذِهِ الْقَوِيُّ﴾ يعني: المنافقين واليهود، ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَبِينًا﴾ أي: لا يفقهون قولاً، وقيل: الحديث ههنا هو القرآن أي: لا يفقهون معاني القرآن. قوله: ﴿قَالَ هَذِهِ﴾ قال الفراء: كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأتبعها حرف واحد، ففصلوا اللام مما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.

قوله عز وجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنَ حَسَنَةٍ﴾، خير ونعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بليّة أو أمر تكرهه، ﴿فَإِنَّ نَفْسِكَ﴾، أي: بذنوبك، الخطاب للذنب ﷺ والمراد غيره،

نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيَاتِكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله تعالى السيسة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فِئ نَفْسِكَ﴾، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منه ما يصيبهم من النعم واليحن، وذلك أنه ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في النعم: أصابني، بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً، فهو كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنَّا عُصِيَةٌ مِنْ رَبِّنَا وَمَنْ تُعَاقِبْهُ آيَاتُنَا نَعْلَمِ الْغَابُورُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، لما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال ﴿مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ فَعَلَّمَ حَشْرًا مِثْلَهَا وَمَنْ جَاءَهُ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقيل: معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله، أي: من فضل الله، وما أصابك من سيسة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: يعني [فبذنوب أصحابك، أي بذنوب نفسك، وهو مخالفتهم لك]، فإن قيل: كيف وجّه الجمع بين قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وبين قوله ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً﴾؟ قيل: قوله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة

لا اعتقاداً ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَتَّعَ اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾ أي وثواب الآخر خير وأفضل، ﴿لَيْسَ الْفُلِّيُّ﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا الظُّلْمُونَ قَبِيلاً﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون بالياء

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن معاوية الصيدلاني، أخبرنا الأصم، أنا عبد الله بن محمد بن شاكرا، أنا محمد بن بشر العبدى، أنا مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم حدثني المستورد بن شداد قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليظفر به يرجع».

قوله عز وجل: ﴿أَتَيْنَا تَكْوِينًا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ينزل بك الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَتَيْنَا تَكْوِينًا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة وقال قتادة: معناه في قصور محصنة، وقال عكرمة: مُجَصَّصَةٌ، والشيد: الجص، ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ حَسَنَةً﴾، نزلت في اليهود

قوله عز وجل: ﴿قَالَ هَذِهِ﴾ قال الفراء: كثرت في الكلام هذه الكلمة حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأتبعها حرف واحد، ففصلوا اللام مما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والاتصال القراءة، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.

قوله عز وجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنَ حَسَنَةٍ﴾، خير ونعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بليّة أو أمر تكرهه، ﴿فَإِنَّ نَفْسِكَ﴾، أي: بذنوبك، الخطاب للذنب ﷺ والمراد غيره،

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَتَوَلَّوْا طَاعَةً فَإِنَّا سَرُورًا مِنْ عِنْدِكَ بَيِّنَاتٌ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَالَّذِي يَكْتُمُ مَا بِيَسْئُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ لَكَ إِفْلَاقًا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨١﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَآتَبَعْتُمُ الْعِبْلَانَ إِلَّا لَاقِيلًا ﴿٨٢﴾ فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَىٰ بِأَمْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهَا فَوَيْبٌ يَنْهَاهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهَا كَدْحَلٌ يَنْهَاهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عَاقِبًا ﴿٨٤﴾ وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَجْوَىٰ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَا أَتَيْتُمْ مِنْهَا إِنْ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٥﴾

٨٠ قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم رباً، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾، عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ حَفِظًا﴾، أي: حافظاً ورقياً بل كل أمورهم إليه تعالى، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

٨١ ﴿وَيَتَوَلَّوْا طَاعَةً﴾، يعني: المنافقين يقول باللسان للرسول ﷺ: إنا آمننا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾، خرجوا، ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيِّنَاتٌ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، قال قتادة والكلبي: بيئت أي: غير ويدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ، ويكون التبييت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتيبي: معناه قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهراً وكل ما قدر ليل فهو تبييت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للشيء إذا قُدِّرَ: بَيِّتَ،

يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ﴾، أي: يُسْتَبْ وَيحفظ، ﴿مَا يُبَيِّنُونَ﴾، ما يُسُزِرُونَ وَيُغَيِّرُونَ ويُقدرون، وقال الضحاك، عن ابن عباس: يعني ما يُسُزِرُونَ من النفاق، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تحبز بأسمائهم، مُنِعَ الرسول ﷺ من الأخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ لِلَّهِ وَكِيلًا﴾، أي: اتخذه وكيلاً فكفى بالله وكيلاً وناصراً.

٨٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَرُورًا﴾، يعني: أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، أي تفاوتاً وتناقضاً كثيراً، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافاً كثيراً، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر [به] أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

٨٣ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشونه ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، يعني: المنافقين ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾ أي: الفتح والغنيمه أو الخوف والقتل والهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أشاعوه وأفشوه، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ

كلها من عند الله، وقوله: ﴿وَيَنْ نَفْسِكَ﴾، أي: وما أصابك من سيئة من الله بذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] يدل عليها ما روى مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ «وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبها عليك». وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمحل تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسْرَةٍ مِّنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَخِرَةٍ مِّنْ نَّفْسِكَ﴾، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَى النَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾، على إرسالك وصدقك، وقيل: كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما، وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يُدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ وأعدأبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم، فأنزل الله عز وجل ﴿فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصره وعاتبهم على ترك القتال، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَتِلْ﴾ جواب عن قوله ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَمُوتْ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤] فقاتل، ﴿وَحَرِّضَ الَّذِينَ﴾، على القتال أي حضهم على الجهاد ورغبهم في الشواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكباً فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أي: لعل الله، ﴿أَنْ يَكْفَى بِأَمْسِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: قتال المشركين و﴿عَسَى﴾ من الله واجب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطاناً، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقوبة.

﴿٨٥﴾ قوله عز وجل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ عِنْدَ اللَّهِ فَكَفَىٰ لَهُمْ شَفْعًا حَسَنًا يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ عِنْدَ اللَّهِ فَكَفَىٰ لَهُمْ شَفْعًا سَيِّئًا يَكُنْ لَهُ كِزَابٌ

أَرْسُولٌ﴾ إلى رأيه ولم يحدثوا به حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به، ﴿وَأُولَئِكَ أُولُو الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ﴾، أي: ذوي السراي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُمْ﴾، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يُكتم وما ينبغي أن يُغشى، والاستنباط: الاستخراج، يقال: استنبط الماء إذا استخرجه، وقال عكرمة: يستنبطونه أي: يحرصون عليه ويسألون عنه، وقال الضحاك: يتبعونه، يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين ولو رده إلى الرسول ﷺ وإلى ذوي الرأي والعلم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، أي: يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، ﴿وَأُولَئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لِاتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، كلكم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتباع الكل الشيطان؟ قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلاً لم يفشه، وعني بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لأن علم السر إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإداعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ثم قوله: ﴿وَأُولَئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لِاتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ كلام تام، وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً فهم قوم اهدتوا قبل مجيئ الرسول ﷺ ونزول

مِنْهَا﴾، أي: نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي: حُسن القول في الناس ينال به الشواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر، قوله ﴿كَذَلِكُمْ يَنْهَى﴾ أي: من وزرها، وقال مجاهد: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض، يُؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يُشفع.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا [أحمد بن عبدالله النعيمي]، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا سفيان الثوري، عن أبي بردة أخبرني جدي أبو بردة، عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال:

كان النبي ﷺ [جالساً] إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه، فقال: «اشفَعُوا فلتؤجروا وليقض الله [على لسان نبيه ما شاء»، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدراً أو مجازياً قال الشاعر:

وذِي ضَغِينٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ
عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ مُقْتَدِرًا
وقال مجاهد: شاهداً: وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مقتياً أي: يوصل القوت إليه. وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت ويقيئ».

﴿٨٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمُوا بِرَجِيٍّ فَحَيُّوا بِحَسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّوا إِلَيْهَا﴾

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُؤَالُو كُفْرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَسْخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَسْخِذُوا مِنْهُمْ لِيَأْسَ وَلَا تَصْبِرُوا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبْثُوحٌ أَوْ جَاءَتْكُمْ حَبْرَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا أَوْ قَبِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَبَلْتُمُوهُمْ فَلَمَّ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُواكُمْ وَالْفَوَالِقَ الَّتِي نَسَمْتُمْ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ مَا خَرِبُونَ أَنْ يَأْمُرُوكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدَّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوا كُفْرًا لَقَبِلُوا إِلَٰكُمُ الْمَسَلَمِينَ وَكُفَرُوا بِرَبِّهِمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأُولَٰئِكَ جَمَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَأَلْنَا سُبْحَانَ ﴿٩١﴾

ورحمة الله، فردّ عليه فجلس، فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه فجلس، فقال: «ثلاثون».

واعلم أنّ السلام سنة ورّدّ السلام فريضة، وهو فرض على الكفاية [وكذلك السلام سنة على الكفاية] فإذا سلّم واحد من جماعة كان كافياً في السنة، إذا سلّم واحد على جماعة وردّ واحد منهم سقط الغرض عن جميعهم.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أنا إبراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكير الكوفي، أنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة، أنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبدالله بن عمر [و]

أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

ومعنى قوله: أيّ الإسلام خير، يريد أيّ خصال الإسلام خير، وقيل: «فحسبوا بأحسن منها»، معناه أي إذا كان الذي سلّم مسلماً، «أو ردّها» بمثلها إذا لم يكن مسلماً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «[إن اليهود] إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول: السّلم عليكم، فقل: عليكم».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: على كل شيء من ردّ السلام بمثلها أو بأحسن منه، حسيباً أي: محاسباً مجازياً، وقال مجاهد: حفيظاً، وقال أبو عبيدة: كافياً، يقال: حسيب هذا أي كفاني.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام، لام القسم تقديره: واللّه ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وسميت القيامة قيامة لأنّ الناس يقومون من قبورهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْرُؤُونَ مِنَ الْأَجْدَاكِ يَرَكًا﴾ [المعارج: ٤٣] وقيل: لقيامهم إلى الحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْكَايِنِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً ووعداً، قرأ حمزة

التحية: [هي] دعاء الحياة، والمراد بالتحية ههنا السلام، يقول: إذا سلّم عليكم مسلّم فأجيبوا بأحسن مما سلم أو ردّها [أي ردوا] كما سلّم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ مثله، روي أنّ رجلاً سلّم على ابن عباس رضي الله عنهما، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد شيئاً، فقال ابن عباس: إنّ السلام يتهي إلى البركة.

وروي عن عمران بن الحصين: أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردّ عليه، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «عشْر» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم

والكسائي ﴿أَمَدُقُ﴾، وكلُّ صَادٍ ساكنة بعدها دالٌ بإشمام الزاي.

﴿٨٨﴾ ﴿مَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾
اختلفوا في سبب نُزولها فقال قوم:
نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من
المنافقين، فلما رجعوا قال بعضُ
الصحابة رضي الله عنهم
لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم
منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم
فإنهم تكلموا بالإسلام.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا
أحمد بن عبدالله النعميني، أنا
محمد بن يوسف، أنا محمد بن
إسماعيل، أنا أبو الوليد، أنا شعبة،
عن عدي بن ثابت قال: [سمعت
عبدالله بن يزيد يحدث، عن زيد بن
ثابت قال]:

لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع
ناسٌ ممن خرج معه كان أصحاب
النبي ﷺ فرقتين فرقة تقول نقاتلهم
وفرقة تقول لا نقاتلهم، فنزلت:
﴿مَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ
أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾، وقال: «إنها
طبيعة تنفي الذنوب كما تنفي النارِ
حَبَّتِ الْفِضَّة».

وقال مجاهد: [هم] قوم خرجوا
إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا
وأستأذنوا رسول الله ﷺ إلى مكة
ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها
فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف
المسلمون فيهم، فقاتل يقول هم
منافقون، وقائل يقول هم مؤمنون
وقال بعضهم: نزلت في ناسٍ من
قريش قَدِمُوا المدينة وأسلموا ثم
نَدِمُوا على ذلك فخرجوا كهيئة
المتنزهين حتى بعدوا من المدينة

فكُتِبُوا إلى رسول الله ﷺ: إنا على
الذي فارقتك عليه من الإيمان ولكننا
اجتَوَيْنَا المدينة واشتقنا إلى أرضنا،
ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو
الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال
بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ
ما معهم لأنهم رَغِبُوا عن ديننا،
وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على
دينكم إن لم يَذُرُوا دِيَارَهُمْ، وكان
هذا بعين النبي ﷺ وهو ساكِنٌ لا
ينهى واحداً من الفريقين، فنزلت
هذه الآية.

وقال بعضهم: هم قوم أسلموا
بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظهرون
المشركين، فنزلت ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا
معشر المؤمنين ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾
أي: صرتم فيهم فئتين، أي:
فرفقتين، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ أي:
نَكَسَهُمْ ورَدَّهُم إلى الكفر، ﴿بِمَا
كَسَبُوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية
﴿أَنْزِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾، أي: أن
ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، وقيل:
معناه أتقولون أن هؤلاء مهتدون وقد
أضلهم الله، ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ﴾ أي:
[ومن] يضلُّ الله عن الهدى، ﴿فَلَنْ
نَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى
الحق.

﴿٨٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَرُؤَا﴾، تمثوا،
يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين
تمثوا ﴿أَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ
سَوَاءً﴾، في الكفر، وقوله ﴿فَتَكُونُونَ﴾
لم يَرُدْ به جواب التمني لأن جواب
التمني بالفاء منصوب، إنما أراد
النسق، أي: وُدُّوا لو تكفروا وودُّوا
لو تكونون سواءً، مثل قوله: ﴿وَرُؤَا
أَوْ تَهْنُ فَيَهْرُونَ﴾ [القلم: ٩] أي:

وُدُّوا لو تَهْنُ وودُّوا لو تَهْدُون،
﴿فَلَا تَنَحَّضُوا مِنْهُمْ أُولِيَّةٌ﴾، منع
من موالاتهم، ﴿حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾، معكم، قال عكرمة: هي
هجرة أخرى، والهجرة على ثلاثة
أوجه هجرة المؤمنين في أول
الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] وقوله:
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وِرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، ونحوهما
من الآيات، وهجرة المنافقين. وهي
الخروج في سبيل الله مع
رسول الله ﷺ صابراً محتسباً، كما
حكى ههنا، وفي هذه الآية مَنَعَ
المؤمنين من موالات المنافقين حتى
يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر
المؤمنين ما نهى الله عنه. وهي ما
قال النبي ﷺ: «المهاجر من هَجَرَ ما
نهى الله عنه».

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾،
أعرضوا عن التوحيد والهجرة،
﴿فَقُدُّوهُمْ﴾، أي: خذوهم أسارى،
ومنه يقال للأسير: أخِذْ، ﴿وَأَقْسُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الجبل والحرم،
﴿وَلَا تَنَحَّضُوا مِنْهُمْ وَلَا يَصِيرًا﴾،
ثم استثنى طائفةً منهم فقال:

﴿٩٠﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾
وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل، لا
إلى الموالاة، لأن موالات الكفار
والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى
﴿يَصِلُونَ﴾ أي: ينتسبون إليهم
ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالجلف
والجسوار، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: يريد يلجأون إلى
قَوْمٍ، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْنٌ﴾ أي:
عهد، وهم الأسلميون، وذلك أن

جهل بن هشام وهما أخواه لأمه. لا والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتوني به، فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشاً وهو في الأطم، قال له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك، وقد حلفت ألا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهما مائة جلدة، ثم قدموا به على أمه فلما أتتها قالت: والله لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت به، ثم تركوه موثقاً مطروحاً في الشمس ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد فقال: يا عياش أهدأ الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدي لقد تركت الهدى، ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها، فغضب عياش من مقالته، وقال: والله لا ألقاك خالياً أبداً إلا قتلتك، ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر إلى رسول الله ﷺ وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر بإسلامه فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله، فقال الناس: ويحك أي شيء قد صنعت؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت، وإنني لم

أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا الْمُؤْمِنَ إِيَّاهُ حَتْفًا﴾.

وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا الْمُؤْمِنَ إِيَّاهُ حَتْفًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ أي: فعلية إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾، كاملة، ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ أي: إلى أهل القاتل الذين يرثونه، ﴿إِلَّا أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنِينَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقرابته في دار الحرب حرب للمسلمين فيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَبْلٌ مِّنْ نَّسَبٍ أَوْ حَبْلٌ مِّنْ عَهْدٍ أَوْ حَبْلٌ مِّنْ مَّوَدَّةٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فتجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في

مال القاتل، ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ﴾، والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين أو نسي النية ونوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين، وإن أفطر يوماً بعذر مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع؟ اختلف أهل العلم فيه، فمنهم من قال: ينقطع وعليه استئناف الشهرين، وهو قول النخعي وأظهر قول للشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً، ومنهم من قال: لا ينقطع وعليه أن يبني، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي، ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع، فإذا طهرت بنتت على ما صامت، لأنه أمر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه، فإن عجز عن الصوم فهل يخرج عنه بإطعام ستين مسكيناً، فيه قولان، أحدهما: يخرج كما في كفارة الظهار، والثاني لا يخرج لأن الشرع لم يذكر له بدلاً فقال: ﴿فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ﴾.

﴿تُوبَةُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: جعل الله ذلك توبة القاتل الخطأ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بمن قتل خطأ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم به عليكم، أما الكلام في بيان الدية فأعلم أن القتل على ثلاث أنواع: عمد محض وشبه عمد وخطأ

محض، أما العمد المحض فهو: أن يقصد قتل إنسان بما يقصد به القتل غالباً فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافؤ، أو دية مغلظة في مال القاتل حالة، وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من ذلك الضرب غالباً، بأن ضربه بعضاً خفيفة، أو حجر صغير ضربة أو ضربتين، فمات فلا قصاص فيه، بل تجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين، والخطأ المحض هو: أن لا يقصد قتله بل قصد شيئاً آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه، بل تجب [فيه] دية مخفضة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وتجب الكفارة في ماله في الأنواع كلها، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر.

وَدِيَّةُ الْحَرِّ الْمُسْلِمِ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ فَإِذَا عُدِمَتِ الْإِبِلُ وَجِبَتْ قِيمَتُهَا مِنَ الدَّرَاهِمِ أَوْ الدَّنَانِيرِ فِي قَوْلِ، وَفِي قَوْلِ يَجِبُ بِدَلِّ مَقْدَرِهَا وَهُوَ أَلْفُ دِينَارٍ، أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، لِمَا رَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَضَ الدِّيَةَ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرَقِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ. وَذَهَبُ قَوْمٍ إِلَى أَنْ الْوَأَجِبَ فِي الدِّيَةِ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ أَوْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ. وَهُوَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ. وَذَهَبُ قَوْمٍ إِلَى أَنَّهَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ، أَوْ عَشْرَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، وَهُوَ قَوْلُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَدِيَةُ الْمَرْأَةِ نِصْفُ

دِيَةِ الرَّجُلِ، وَدِيَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْعَهْدِ ثَلَاثُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ إِنْ كَانَ كِتَابِيًّا وَإِنْ كَانَ مَجُوسِيًّا فَخُمْسُ الدِّيَةِ، رَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دِيَةُ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَرْبَعَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، وَدِيَةُ الْمَجُوسِيِّ ثَمَانِمِائَةُ دَرَاهِمٍ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ وَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ دِيَةَ الذَّمِيِّ وَالْمُعَاهَدِ مِثْلُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ، رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ قَوْلُ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَقَالَ قَوْمٌ: دِيَةُ الذَّمِيِّ نِصْفُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَالدِّيَةُ فِي الْعَمْدِ الْمَحْضِ وَشِبْهِ الْعَمْدِ مَغْلَظَةٌ بِالسُّنَنِ فَيَجِبُ ثَلَاثُونَ حُقَّةً وَثَلَاثُونَ جَذَعَةً وَأَرْبَعُونَ خَلْفَةً فِي بَطُونِهَا أَوْلَادِهَا، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِمَا أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطَّابِيُّ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَحْمَدَ الْخَلَّالَ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ أَنَا الرَّبِيعُ أَنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا ابْنُ عِيْنَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنَّ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ الْخَطَأِ بِالسُّوْطِ أَوْ الْعَصَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مُغْلَظَةٌ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلْفَةً فِي بَطُونِهَا أَوْلَادِهَا».

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الدِّيَةَ الْمَغْلَظَةَ أَرْبَاعٌ: خُمْسٌ وَعَشْرُونَ بِنْتِ

مَخَاضٍ، وَخُمْسٌ وَعَشْرُونَ بِنْتِ لَبُونٍ، وَخُمْسٌ وَعَشْرُونَ حُقَّةً، وَخُمْسٌ وَعَشْرُونَ جَذَعَةً، وَهُوَ قَوْلُ الزَّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ، وَأَمَّا دِيَةُ الْخَطَأِ فَمُخَفَّفَةٌ، وَهِيَ أَخْمَاسٌ بِالْإِتْفَاقِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي تَقْسِيمِهَا، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا عَشْرُونَ بِنْتِ مَخَاضٍ، وَعَشْرُونَ بِنْتِ لَبُونٍ، وَعَشْرُونَ حُقَّةً، وَعَشْرُونَ جَذَعَةً، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَلِيمَانَ بْنِ يَسَّارٍ وَالزَّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَأَبْدَلَ قَوْمٌ بِنِي اللَّبُونِ بِنَاتِ الْمَخَاضِ، يُرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ وَدِيَةُ الْأَطْرَافِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَدِيَةُ الْمَرْأَةِ فِيهَا عَلَى النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الرَّجُلِ وَالدِّيَةُ فِي قَتْلِ الْخَطَأِ وَشِبْهِ الْعَمْدِ عَلَى الْعَاقِلَةِ وَهِيَ عَصَبَاتُ الْقَاتِلِ مِنَ الذُّكُورِ وَلَا يَجِبُ عَلَى الْجَانِي مِنْهَا شَيْءٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْجَبَهَا عَلَى الْعَاقِلَةِ.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية، نزلت في مقيس بن صبابة الكندي، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشام قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهري

ذلك فقالوا: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نُؤدي دية فاعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فأبى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه، ثم ركب بعيراً وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزل فيه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾.

﴿فَجَزَاءُ رُوُوفِهِمْ جَهَنَّمُ حَبْلًا فِيهَا﴾، بكفره وارتداده وهو الذي استنشاه النبي ﷺ يوم فتح مكة، [عَمَّنْ أُمَّةٌ] فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، قوله تعالى: ﴿وَعَصِيبٌ لِّأَعْيُنِهِمْ لَوْنُهُمْ﴾ أي: طرده عن الرحمة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، اختلفوا في حكم هذه الآية، فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قاتل المؤمن عمداً لا توبة له، فقيل له: ليس قد قال الله في سورة الفرقان: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى أن قال ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن كَانَتِ الدِّينَارُ حُرْمًا فَغَنَمٌ﴾ فقال: كانت هذه [الآية] في الجاهلية وذلك أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا ورزئوا فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفره، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ [الفرقان: ٦٧ - ٧٠]،

فهذه لأولئك وأما التي في النساء فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل مسلماً متعمداً فجزاؤه جهنم، وقال زيد بن ثابت: لما نزلت التي في الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، عجبنا من لينها فلبينا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة، وأراد بالغليظة [هذه] الآية، وباللينة آية الفرقان، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تلك آية مكية وهذه مدنية ولم ينسخها شيء، والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، [١١٦]، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: إن لم يقتل يقال له لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة. ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر، لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر، وهو مقيس بن صباية، وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه، ومن استحله قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار، وقيل: قوله تعالى ﴿فَجَزَاءُ رُوُوفِهِمْ جَهَنَّمُ حَبْلًا فِيهَا﴾ معناه هي جزاؤه إن جازاه، ولكنه إن شاء عذبه [بذنبه] وإن شاء غفر له بكرمه، فإنه

وَعَدَ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ، حكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ رُوُوفِهِمْ جَهَنَّمُ حَبْلًا فِيهَا﴾ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذمماً وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذمماً وأنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي ومُنَجَّرُ مواعيدي
والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روي أن النبي ﷺ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبدالله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة وقال:

إن رسول الله ﷺ قال وحوله
عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرفوا ولا تزئوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروفٍ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَائِبِينَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ دَرَجَاتٍ مَعَهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَآلِهِ رِيعَةً فَهَارُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِمْلَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٨﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَمَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَسُؤْلِهِ ثُمَّ يَذَرِكِ الْتَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُرُودًا يُصِيبُكَ ﴿١٠٠﴾

يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر، قال رسول الله ﷺ: «أقتلتموه إرادة ما معه؟» ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد، فقال: يا رسول الله استغفر لي فقال: «وكيف بلا إله إلا الله؟!» قالها رسول الله ﷺ ثلاث مرزات، قال أسامة: فما زال رسول الله ﷺ يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم إن رسول الله ﷺ استغفر لي بعد ثلاث مرزات، وقال: «اعتق رقبة».

وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا؟» وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعود منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وقال الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فدك [وكان] مسلماً لم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بسريرة لرسول الله ﷺ تريدهم، وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي، فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين، فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي ﷺ فأنجأ غنمه إلى عاقول من الجبل، وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي ﷺ فكبر ونزل وهو

يعني إذا سافرتهم في سبيل الله، يعني: الجهاد، ﴿وَيَأْتِيهَا﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والشاء من التثنية، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر، وقرأ الآخرون بالياء والنون من التثنية، يقال: تينث الأمر إذا تأملته، (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم) هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة أي: المعادة وهو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقرأ الآخرون ﴿السلم﴾ وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم، وقيل: السلم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنًا قَبْتَئُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: تقبلون الغنم والغنمة، و﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ منافعها ومتاعها، ﴿فَوَنَدَ اللَّهُ مَكَانَهُ﴾، أي غنائم، ﴿كَثِيرَةً﴾، وقيل: ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، قال سعيد بن جبير: كذلك كنتم تكفون إيمانكم من المشركين ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، بإظهار الإسلام، وقال قتادة: كنتم ضللاً من قبل فمن الله عليكم بالهداية، وقيل معناه: كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة، ﴿وَيَأْتِيهَا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، ﴿إِنْ كَانَتْ يَمًا تَمَلُوكَ حَبِيرًا﴾، قلت: إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية

عاقبه، فبايعناه على ذلك.

﴿٩٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبْتِيئًا﴾ الآية

قال الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك، وكان من أهل فدك [وكان] مسلماً لم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بسريرة لرسول الله ﷺ تريدهم، وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي، فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين، فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي ﷺ فأنجأ غنمه إلى عاقول من الجبل، وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي ﷺ فكبر ونزل وهو

شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عصام عن أبيه

أن النبي ﷺ كان إذا بعث سرية قال: «إذا رأيتم مسلحاً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً».

٩٥ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا عبدالعزيز بن عبدالله ثنا إبراهيم بن سعد عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت رضي الله عنه أخبره

أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿لَلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال: فجاهه ابن أم مكتوم وهو يُمليها عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى [على رسوله] وفخذُه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترصّ فخذي،

ثم سُري عنه فأنزل الله ﴿عَدُّ أُولَى الْقَصْرِ﴾.

فهذه الآية في فضل الجهاد والحث عليه، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿عَدُّ أُولَى الْقَصْرِ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء، أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت ﴿الْقَائِدِينَ﴾ يُرِيدُ: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: غير أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر، ﴿وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَدُّ أُولَى الْقَصْرِ﴾ فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقدمهم.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبدالرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك، فذنا من المدينة فقال: «إن في المدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من وإد إلا كانوا معكم فيه»، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «نعم وهم بالمدينة حسبهم العذر».

وروى مقسم عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر، قوله تعالى: ﴿فَقَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً﴾، أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعدین ههنا أولي الضرر، فضل الله المجاهدين

عليهم درجةً لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿وَقَلَّ﴾ يعني المجاهد والقاعد ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يعني الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَقَلَّ﴾ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، يعني: على القاعدین من غير عذر.

٩٦ ﴿وَرَجَعْتُمْ يَتَهُ وَمَثْوَىٰ رِجْمَةٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، قال ابن محيرز في الآية: هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر، سبعين خريفاً، وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبدالله [بن محمد] بن مسلم أبو بكر الجوريزي أنا يونس بن عبدالأعلى أنا ابن وهب حدثني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبدالرحمن الجبلي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» قال فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدوا عليّ يا رسول الله، [ففعل قال رسول الله ﷺ]: «وأخزى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في

سبيل الله الجهاد في سبيل الله.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي الشاه أنا أبي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن صالح المطرُز أنا محمد بن يحيى أنا شريح بن النعمان أنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَتْ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قالوا: يا رسول الله أفلا تُنذر الناس بذلك؟ قال: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ [كُلِّ دَرَجَتَيْنِ] كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، ففرض العين أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حراً كان أو عبداً غنياً كان أو فقيراً، دفعاً عن أنفسهم وعن جيرانهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية، فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا

فرض على الأبعدين إلا على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين في بلادهم، فعلى الإمام أن لا يخلي سنة عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلاً، والاختيار للمطيع الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره: [أن لا يقعد عن الجهاد]. ولكن لا يفترض لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: «وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ»، فلو كان فرضاً على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» الآية، نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، منهم: قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما، فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ»، أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ» [السجدة: ١١]، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع «ظَالِيهِمْ أَنْفُسُهُمْ»، بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم، قيل: أي المقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة.

ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»، وهؤلاء قُتلوا يوم بدر وضربت

الملائكة وجوههم وأدبارهم، [وقالوا لهم: فِيمَ كُنْتُمْ؟ فذلك قوله تعالى]: «قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ أَي: فِي مَاذَا كُنْتُمْ أَوْ فِي أَيِ الْفَرِيقَيْنِ كُنْتُمْ؟ أَمِي الْمُسْلِمِينَ؟ أَمْ فِي الْمَشْرِكِينَ؟ سَوَالٌ تَوْبِيخٌ وَتَعْبِيرٌ فَاعْتَدُوا بِالضَّعْفِ عَنِ مَقَاوِمَةِ أَهْلِ الشَّرْكِ، «قَالُوا كُنَّا مُتَضَمِّمِينَ»، عاجزين، «فِي الْأَرْضِ»، يعني أرض مكة، «قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَتَى الْمَدِينَةَ وَتَخْرُجُوا مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشَّرْكِ؟ فَكَاذِبُهُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَمْنَا بِكَذِبِهِمْ، فَقَالَ: «فَأَوَلَيْكَ مَا وَدَّعْتُمْ»، منزلهم «جَهَنَّمَ وَسَوَّيْتُمْ مَصِيرًا»، أي: بثس المصير إلى جهنم، ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال:

﴿١٨﴾ «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا وَأَتَيْنَاهُم بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْيَوْمَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة للخروج منها، «وَلَا يَسْتَدِينُونَ سَبِيلًا»، أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

﴿١٩﴾ «فَأَوَلَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَ عَنْهُمْ» يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً أوصله إليه، «وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن فضالة أنا هشام عن يحيى هو ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قال:

«سمع الله لمن حمده في الركعة الآخرة من صلاة العشاء: [قنت] اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ [بن الوليد] اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلْمَةَ بْنَ هِشَامِ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سَنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ».

﴿١٠٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَرْغَمًا﴾ أي: مُتَحَوِّلاً يتحول إليه، وقال مجاهد: متزحزحاً عما يكره، وقال أبو عبيدة: المَرَاغِمُ: المهاجر، يُقال: راغمت قومي وهاجرتهم، وهو الْمُضْطَرَبُ والمُنْهَبُ.

وروي: أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يُقال له جندب بن ضمرة، فقال: والله لا أبيت الليلة بمكة، أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت، فصَفَّقَ يمينه على شماله ثم قال: اللَّهُمَّ هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما يابِعك عليه رسولك، فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وُاقَى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك المشركون وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، فانزل الله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ

مِنَ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْآزَكُ﴾. أي: قبل بلوغه إلى مهاجره، ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، بإيجابه على نفسه فضلاً منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرت، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، يعني من أربع ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في الصلاة ونظيره قوله تعالى: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، أي: يقتلهم. ﴿إِنَّ الْكَاذِبِينَ كَانُوا كَذِبًا عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: ظاهر العداوة.

اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، واختلفوا في جواز الإتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي، لِمَا رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.

وذهب قوم إلى جواز الإتمام، رُوِيَ ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، وبه قال الشافعي رضي الله عنه، إن شاء أتم وإن شاء قصر، والقصر أفضل.

أخبرنا الإمام عبد الوهَّاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم بن الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريح أخبرني عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار عن عبدالله بن باباه عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّما قال الله تعالى ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقد أمن الناس، فقال عمر رضي الله عنه: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته».

أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر الصلاة وأتم.

وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، ولفظ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتماً، فظاهر الآية يُوجب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو، والقصر جائز في السفر في حال الأمن عند عامة أهل العلم، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهَّاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريح أخبرني عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار عن عبدالله بن باباه عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّما قال الله تعالى ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقد أمن الناس، فقال عمر رضي الله عنه: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته».

كذلك بذات الرقاع، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

أنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجأ العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً فأتوا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصعقوا وجأ العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم.

قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف، وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى، عن شعبة، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بهذا.

وذهب قوم إلى أن الإمام إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الأخيرة ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وجاه العدو، وتعود الطائفة الأولى فتتم صلاتها، ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها، وهذه رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ [صلى] كذلك. وهو قول أصحاب الرأي.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب أنا يزيد بن زريع أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه:

أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم، فقام هؤلاء فقصوا ركعتهم [وقام هؤلاء فقصوا ركعتهم].

وكلتا الروایتين صحيحة وذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح، وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى حديث سهل بن أبي حثمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيَّتِكُمْ﴾ أي: إذا صلوا، ثم قال: ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهذا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وقال: ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكُمْ﴾، ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة، فظاهره يدل [على] أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلاة، والاحتياط لأمر الصلاة من حيث أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء، والاحتياط لأمر الحرب من حيث إنهم إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والهرب إن احتاجوا إليه، ولو صلى الإمام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسين الأسفرائيني أنا أبو عروبة يعقوب بن إسحاق الحافظ قال أنا الصنعاني أنا عفان بن مسلم، ثنا أبان العطار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبدالله قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: «لا». قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك»، قال فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فأغمد السيف وعلقه فتودي بالصلاة، قال فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان.

أخبرنا عبدالوهاب بن [محمد] الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي أخبرني الثقة [أنبائي] بن علي أو غيره، عن يونس، عن الحسن، عن جابر رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل، فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم، ثم جاءت طائفة

أخرى صلى بهم ركعتين ثم سلم .
وروي عن حذيفة رضي الله عنه
عن النبي ﷺ في صلاة الخوف أنه
صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم
يقضوا .

ورواه زيد بن ثابت وقال : كانت
للقوم ركعة واحدة وللنبي ﷺ
ركعتان . وتأوله قوم على صلاة شدة
الخوف ، وقالوا : الفرض في هذه
الحالة ركعة واحدة ، وأكثر أهل
العلم على أن الخوف لا ينقص عدد
الركعات فإن كان العدو في ناحية
القبلة في مستوى إن حملوا عليهم
رأوهم صلى بهم الإمام جميعاً
وحرصوا في السجود ، كما :

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي أنا أبو نعيم
الإسفرائيني ، أنا أبو عوانة الحافظ أنا
عمار ، أنا يزيد بن هارون أخبرنا
عبد الملك بن أبي سليمان ، عن
عطاء ، عن جابر رضي الله عنهما
قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة
الخوف فصففتنا خلفه صفين ، والعدو
بيننا وبين القبلة فكبر النبي ﷺ
وكبرنا جميعاً ثم ركع وركعنا جميعاً
ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا
جميعاً ، ثم انحدر بالسجود والصف
الذي يليه وقام الصف المؤخر في
نحر العدو فلما قضى رسول الله ﷺ
السجود وقام الصف الذي يليه انحدر
الصف المؤخر بالسجود ، ثم قاموا
ثم تقدم الصف المؤخر ، وتأخر
المقدم ثم ركع النبي ﷺ وركعنا
جميعاً ، ثم رفع رأسه من الركوع
ورفعنا جميعاً ، ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً

في الركعة الأولى ، وقام الصف
المؤخر في نحر العدو ، فلما قضى
رسول الله ﷺ السجود والصف
الذي يليه انحدر الصف المؤخر
بالسجود فسجدوا ، ثم سلم
النبي ﷺ وسلمنا جميعاً قال جابر
رضي الله عنه : كما يصنع حرسكم
هؤلاء بأمرائهم .

واعلم أن صلاة الخوف جائزة
بعد الرسول ﷺ عند عامة أهل
العلم . ويحكى عن بعضهم عدم
الجواز ولا وجه له ، وقال الإمام
أحمد بن حنبل رحمة الله عليه : كل
حديث روي في أبواب صلاة الخوف
فالعامل به جائز ، روي فيها ستة أوجه
أو سبعة أوجه .

وقال مجاهد في سبب نزول هذه
الآية ، عن ابن عياش الزرقني قال :
كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان وعلى
المشركين خالد بن الوليد فصلينا
الظهر ، فقال المشركون : لقد أصبنا
غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة
فنزلت الآية بين الظهر والعصر .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ﴾
أي : شهيداً معهم فأقمت لهم الصلاة ،
﴿ فَلَقِمْتُمْ طَلَاقَةً مِنْهُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أي :
فلتقف ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْظَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا ﴾ [البقرة : ٢٠] أي : وقفوا ،
﴿ وَلِيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ ﴾ ، واختلفوا في
الذين يأخذون أسلحتهم ، فقال
بعضهم : أراد هؤلاء الذين وقفوا مع
الإمام يصلون ويأخذون الأسلحة في
الصلاة ، فعلى هذا إنما يأخذه إذا كان
لا يشغله عن الصلاة ، فلا يؤذي من
بجنبه [فإذا شغلته حركته وثقلته عن

الصلاة كالجعبة والترس الكبير أو كان
يؤدي من جنبه] ، كالرمح فلا يأخذه ،
وقيل : وليأخذوا أسلحتهم أي :
الباقون الذين قاموا في وجه العدو ،
﴿ فَإِذَا سَجَدُوا ﴾ ، أي : صلوا ،
﴿ فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّابِكُمْ ﴾ ، يريد مكان
الذين هم وجبة العدو ، ﴿ وَكَلَّاتِ
طَلَاقَةً أَخْرَجَتْ لَدَىٰ بُسُلُوهُمْ ﴾ ، وهم
الذين كانوا في وجه العدو ، ﴿ فَلْيَصَلُّوا
مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا بِحَدْرِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ ﴾ ،
قيل : هؤلاء الذين أتوا ، وقيل : هم
الذين صلوا ، ﴿ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ،
يتمى الكفار ، ﴿ لَوْ تَفَقَّلُونَ ﴾ أي : لو
وجدوكم غافلين ، ﴿ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ
وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمْ عَلَيْهِمْ مِثْلَهُ وَجَدَهُ ﴾ ،
فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة
واحدة ، ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ
بِكُمْ آذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾ ، رخص في وضع
السلاح في حال المطر والمرض ، لأن
السلاح يشقل حمله في هاتين
الحالتين ، ﴿ وَخُذُوا حُدْرَتَكُمْ ﴾ ، أي :
رأقبوا العدو كيلا يتغفلوكم ، والحذر
ما يتقي به من العدو .

وقال الكلبي ، عن أبي صالح ،
عن ابن عباس رضي الله عنهما :
نزلت في رسول الله ﷺ ، وذلك أنه
غزا محارباً وبنى أنماراً فنزلوا ولا
يرون من العدو أحداً فوضع الناس
أسلحتهم ، وخرج رسول الله ﷺ
لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع
الوادي والسماء ترش ، فحال الوادي
بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه
فجلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة

عباد بن حنيف عن نافع بن جبير بن مطعم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلّى وصلّى بي المغرب حين أظطر الصائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلّى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلّى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، وصلّى بي المغرب حين أظطر الصائم، وصلّى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل الأول، وصلّى بي الفجر فأسفر، ثم التفت إليّ وقال: يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين»

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر [أحمد] بن الحسن الحيري أنا وكيع أنا حاجب بن أحمد ثنا عبد الله بن هشام ثنا وكيع ثنا بدر بن عثمان ثنا أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أن سائلاً أتاه فسأله عن مواقيت الصلاة، قال: فلم يرده عليه شيئاً ثم أمر بلالاً فأذن ثم أمره فأقام الصلاة حين انشق الفجر فصلّى، ثم أمره فأقام الظهر، والقاتل يقول: قد زالت الشمس أو لم تزل، وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ثم أمره فأقام المغرب حين وقعت الشمس ثم أمره فأقام العشاء حين سقط الشفق، قال: وصلّى الفجر من

مُهَيْمًا، يهانون فيه [والجَنَاح: الإثم، من جنحت إذا عدلت عن القصد].

﴿فَإِذَا قَمَعْتُمْ الصَّلَاةَ﴾، يعني: صلاة الخوف، أي: فرغتم منها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي صلّوا لله ﴿وَتَنَا﴾ في حال الصحة، ﴿وَقُوتُوا﴾، في حال المرض، ﴿وَعَلَّ جُودِيَكُمْ﴾، عند الجرح والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسييح والتحميد والتهليل والتمجيد، على كل حال.

أخبرنا عمرو بن عبد العزيز القاشاني أنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أنا داود السجستاني أنا محمد بن العلاء أنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن خالد بن سلمة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

﴿فَإِذَا أَطَعْتُمْ﴾ أي: سكنتم وأمنتم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ أي: أتمروها أربعاً بأركانها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، قيل: واجباً مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضاً مؤقتاً وقته الله عليهم، وقد جاء بيان أوقات الصلوات في الحديث.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا أبو بكر عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع أنا سفيان، عن عبدالرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة الزرقى، عن حكيم بن حكيم بن

فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال: قتلني الله إن لم أقتله، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله ﷺ إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سلّه من غنديه فقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، ثم قال: اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت، ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ﷺ ليضربه فأكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه، وندر سيفه فقام رسول الله ﷺ فأخذه ثم قال: يا غورث من يمنك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك؟ قال: لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال غورث: والله لأنت خير مني، فقال النبي ﷺ: أجل أنا أحق بذلك منك، فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا: ويلك ما منعك منه. قال: لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي، وذكر حاله قال: وسكن الوادي فقطع رسول الله ﷺ الوادي [إلى] أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطْلَبٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُدُّوا حُدُودَكُمْ﴾ أي: من عدوكم، قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية: كان عبدالرحمن بن عوف جريحاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خباها عند رجل من اليهود، يقال له زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة حلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي.

ويروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى: أن طعمة سرق الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على بابيه، وحمل الدرع إلى بيته، فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي ﷺ، فهم النبي ﷺ أن يقطع يد زيد اليهودي.

وقال مقاتل: إن زيدا السمين أودع درعاً عند طعمة فجددها طعمة فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بالأمر والنهي والفصل، ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ يَأْتِيكَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بما علمك الله وأوحى إليك، ﴿وَلَا تَكُنَ لِلظَّالِمِينَ﴾ [روى] طعمة، ﴿خَصِيمًا﴾، معيناً مدافعاً عنه.

﴿فَاتَّهَمَهُ بِالْكُفُورِ﴾، أي: يتوحدعون، يعني الكفار، ﴿كَمَا تَأْتِيهِمْ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، وقال بعض المفسرين: المراد بالرجاء الخوف، لأن كل راج خائف أن لا يدرك مأموله، ومعنى الآية: وترجون [من الله أي: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون، ولا قال الفراء رحمه الله: ولا

يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجذ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] أي: لا يخافون، وقال تعالى: ﴿مَا تَكْفُرُونَ لِرَجُلٍ إِذْ قَالَ لِلَّهِ وَقَالَ﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون لله عظمته، ولا يجوز رجوتك بمعنى: خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ يَأْتِيكَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية

روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جارية يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق

وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ وَلَا يُجَدَّلُ عَنِ الَّذِينَ يَفْتَاوُنَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَاتًا أَتِيماً ﴿١٦﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧﴾ هَاتَمَةُ هَتُولَاءُ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يَمَلْ سَوْأًا أَوْ يظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَعْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِّيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِفْثَامًا مُبِينًا ﴿٢١﴾ وَلَا فَضْلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ مَلَمَّتْ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُعْذِرُوا وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَصُدُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٦

الغد، والقائل يقول: طلعت الشمس أو لم تطلع، وصلى الظهر قريباً من وقت العصر بالأمس وصلى العصر والقائل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق الأحمر، وصلى العشاء ثلث الليل الأول، ثم قال: أين السائل، عن وقت الصلاة؟ [فقال الرجل: أنا يارسول الله، قال:] «ما بين هذين الوقتين وقت».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوِيَّةِ﴾ الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوِيَّةِ﴾ أي: [لا تضعفوا في آيَاتِهِ الْقَوِيَّةِ] في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه، ﴿لَنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾، تتوحدعون من الجراح،

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، مما هممت به من معاقبة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من جدالك عن طعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تُجَادِلْهُ﴾ لا تخاصم ﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ أُنْفُسَهُمْ﴾، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة والسرقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾، خائناً، ﴿أَيُّهَا﴾ يريد خواناً في الدرع، أيماً في رمية اليهودي، قيل: إنه خطاب مع النبي ﷺ، والمراد به غيره، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنوب تقدم قبل النبوة أو لذنوب أمته وقربته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار، الاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع.

﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: يستترون ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث، ﴿وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يستترون ولا يستحيون من الله، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾، يتقولون ويؤلفون، والتبيت: تدبير الفعل ليلاً، ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي لأنه كافر، فلم يرض الله ذلك منهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾، ثم يقول لقوم طعمة:

﴿هَآئِنْتَ هَؤُلَاءِ﴾، أي: يا هؤلاء، ﴿جَدَلْتُمْ﴾ أي: خاصمتم، ﴿عَنَّهُمْ﴾ يعني: عن طعمة، وفي قراءة أبي بن كعب «عنه» ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، والجidal: شدة

المخاصمة من الجدل، وهو شدة القتل، فهو يريد قتل الخصم، عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل: الجدل من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة، ﴿فَمَنْ يُجَدِلْ اللَّهَ عَنَّهُمْ﴾، يعني: عن طعمة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذه الله بعذابه، ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾، كفيلاً، أي: من الذي يذب عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة، ثم استأنف فقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾، يعني السرقة، ﴿أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ﴾، برميته البريء، وقيل: مَنْ يعمل سوءاً أي: شراً أو يظلم نفسه: يعني: إثمياً ذون الشرك، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، أي: يتب إليه ويستغفره، ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾، يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَكْتِبْ إِنَّمَا﴾، يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿فَلِئِمَّا يَكْتِبُهُ عَلَ نَفْسِهِ﴾، فإنما يضر به نفسه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بسارق الدرع ﴿حَكِيمًا﴾، حكّم بالقطع على السارق.

﴿وَمَنْ يَكْتِبْ خَلِيقَةً﴾ أي: سرقة الدرع، ﴿أَوْ إِنَّمَا﴾ يمينه الكاذبة، ﴿ثُمَّ يَرِي يَوْمَهُ﴾ أي: يقذف بما جنى ﴿بِرِيكًا﴾ منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بَهْتًا﴾ البهتان: هو البهت، وهو الكذب

سورة النساء

سورة النساء

﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ ذُنُوبِهِمْ﴾، لأن من أمر صدقاً أو معروفاً أو إصلاح بيتك الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُتَّقِينَ﴾، قوله ما تأول وتصليه جهنم وساءت مصيراً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ﴾، ويعتبر ما دوت ذلك لمن يشكك الله في شريكه بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِي﴾، لا إله إلا أنا وإن يدعون إلا شيطاناً مبيناً ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخَدِّعُكَ مِنْ عِبَادِكُمْ نَسِيْبًا مَّفْرُوضًا﴾، ولا أضلنهم ولا أمينهم ولا أمرتهم فليبينكن، إذا كان الأئمة ولا أمرهم فليبينكن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دونه فقد خسر خسراناً مبيناً ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمُنُّ بِهِمْ﴾، وما يعدهم الشيطان إلا فرجاً ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُم جَهَنَّمُ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَبِيصًا﴾

٩٧

الذي يُتَحَيَّرُ فِي عِظْمِهِ، ﴿وَأَنَّمَا تُبَيِّنًا﴾ أي: ذنباً بيناً، وقوله ﴿ثُمَّ يَرِي يَوْمَهُ﴾، ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم وجعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾، يقول للنبي ﷺ: ﴿لَقَدْ هَمَمْتُ﴾ أي: أضمرت، ﴿طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، ﴿أَنْ يُضَلُّوكَ﴾ يخطئك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿وَمَا يُخَلِّتُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني يرجع وتاله عليهم، ﴿وَمَا يُعْزِمُونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، يريد أن ضره يرجع إليهم، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: القضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام، وقيل: من علم الغيب، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي﴾

كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ، يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والتجوى: هي الإسرار في التدبير، وقيل: التجوى ما ينفرد بتدبيره قوم سراً كان أو جهراً فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالنجوى تكون فعلاً. وقيل: هو استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة. قيل: التجوى هاهنا: الرجال المتناجون كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْ تَحْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: حث عليها ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع؛ وأعمال البر كلها معروف، لأن العقول تعرفها، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية، عن الأعمش عن عمرو بن مرة، عن سالم هو ابن أبي الجعد، عن أم الدرداء [عن أبي الدرداء قال]:

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة؟» قال: قلنا بلى، قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالفة».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر، عن الزهري،

عن حميد بن عبد الرحمن، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة، وكانت من المهاجرات الأول، قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس بالكذاب من أصلح بين الناس وقال خيراً أو نعى خيراً».

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿أَيْتَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضاه، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ أبو عمرو وحزمة ﴿بِؤْتِيهِ﴾ بالياء، يعني: يؤتيه الله وقرأ الآخرون بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسَاقِمْ أَرْسُوْلًا﴾، نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتد عن الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُسَاقِمْ أَرْسُوْلًا﴾، أي: يخالفه، ﴿وَمِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى﴾، من التوحيد والحدود، ﴿وَرَتَّبِعَ خَيْرَ سَبِيلٍ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: غير طريق المؤمنين، ﴿تَوَلَّيْهِ مَا تَوَلَّى﴾، أي: نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا، ﴿وَتُصَلِّوْهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

رُوي أن طعمة بن أبيرق نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن غلاط، فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح، فأخذ ليقتل، فقال بعضهم: دعوه فإنه قد لجأ إليكم فتركوه فأخرجوه من مكة، فخرج مع تجار من قضاة نحو الشام، فنزلوا منزلاً فسرق بعض

متاعهم وهرب، فطلبوه وأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه، فصار قبره تلك الحجارة، وقيل: إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ، فألقى في البحر، وقيل: إنه نزل في حرة بني سليم وكان يعبد صنماً إلى أن مات فأنزل الله تعالى فيه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: ذهب عن الطريق وحرم الخير كله.

وقال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وأمنت به، ولم اتخذ من دونه ولياً ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، وما توهمت طرفة عين أنني أعجز الله هرباً وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا﴾، نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠] أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، قوله: ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله، ﴿إِلَّا إِنْتَنَا﴾ أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١١٧﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرِبْ بِهِ
وَلَا يُحِدْ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٨﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ فِيهَا شَيْئًا
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَتَى اللَّهَ بِإِذْنِهِ خَلِيلًا ﴿١١٩﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٢٠﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُنزلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي تَسْمِيَةِ النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ يُنكِحَهُنَّ
وَالْمُسْتَضَمِّعِينَ مِنَ الْأَوْلَادِ أَنْ تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢١﴾

١١٨

خَسْرَانًا مُبِينًا.

﴿١١٧﴾ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ وَعَدْنَةٍ فَوْعَدْهُ
وتمنيته ما يوقع في قلب الإنسان من
طول العمر ونيل الدنيا، وقد يكون
بالتهويل بالفقر فيمنعه من الإنفاق
وصلة الرحم كما قال الله تعالى:
﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُوكُمْ الْفُقَرَاءَ﴾ [البقرة:
٢٦٨] وَيُؤْمِنُهُمْ بِأَنْ لَا يَبْعَثَ وَلَا جَنَّةَ
وَلَا نَارَ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُوبًا﴾، أي: باطلاً.

﴿١١٨﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا
يَحْدُونَ عَنْهَا مَخِيصًا، أي: مفزأً
ومعدلاً عنها.

﴿١١٩﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: من تحت
الغُرف والمساكن، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
قِيلًا﴾.

﴿١٢٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا بِأَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية.

وَالشَّرْكَ: لِلشُّقِّ الَّذِي
يَكُونُ فِيهِ الْوَتْرُ وَالخَيْطُ
الَّذِي يَشْدُ بِهِ الشَّرْكَ.

﴿١١٧﴾ ﴿وَلَا يُؤْمِنُكُمْ﴾، يعني:

عن الحق، أي:
لأغوينهم، يقوله إبليس،
وأراد به التزيين، وإلا
فليس إليه من الإضلال
شيء كما قال: ﴿لَأَذِيتَنَّ
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر:
٣٩] ﴿وَلَا يُؤْمِنُكُمْ﴾، قيل:
أُمتيئهم ركوب الأهواء،
وقيل: أمتيئهم أن لا جنة
ولا نار ولا بعث، وقيل:
أمتيئهم إدراك الآخرة مع
ركوب المعاصي،

﴿وَلَاؤْمَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ مَاذَاكَ الْأَنْتَمِ
وَلَاؤْمَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ خَلْقَ اللَّهِ﴾، قال
ابن عباس رضي الله عنهما والحسن
ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب
والضحاك: يعني دين الله، نظيره
قوله تعالى: ﴿لَا بُدَّ لِي لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾
[الروم: ٣٠] أي: لدين الله، يريد
وضع الله في الدين بتحليل الحرام
وتحريم الحلال، وقال عكرمة
وجماعة من المفسرين: فليغيرن
خلق الله بالخصاء والوشم وقطع
الأذان حتى حرم بعضهم الخصاء
وجوزه بعضهم في البهائم، لأن فيه
غرضاً ظاهراً، وقيل: تغيير خلق الله
هو أن الله تعالى خلق الأنعام
للكوب والأكل فحرموها، وخلق
الشمس والقمر والأحجار لمنفعة
العباد فعبدها من دون الله، ﴿وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِمَّنْ دُونِ
اللَّهِ﴾ أي: رباً بطيعة، ﴿فَقَدْ خَسِرَ

بني فلان فكان في كل واحدة منهن
شيطان يتراءى للسندنة والكهنة
ويكلمهم، فلذلك قال: ﴿وَإِنْ
يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾، هذا
قول أكثر المفسرين يدل على صحة
[هذا] التأويل: وأن المراد بالإناث
الأوثان قراءة ابن عباس
رضي الله عنه ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
الْإِنثَا﴾، جمع الوثن فصير الواو
همزة، وقال الحسن وقتادة ﴿إِلَّا
إِنثَا﴾ أي: مواتاً لا روح فيه، لأن
أصنامهم كانت من الجمادات سماها
إنثا لأنه يخبر عن الموات، كما
يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون
الجنسين كما أن الموات أرذل من
الحيوان، وقال الضحاك: أراد
بالإناث الملائكة، [وكان بعضهم]
يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة
إنثا، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾
[الزخرف: ١٩] ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا
شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أي: وما يعبدون إلا
شيطاناً مردياً لأنهم إذا عبدوا الأصنام
فقد أطاعوا الشيطان، والمريد:
المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج
عن الطاعة، وأراد: إبليس.

﴿١٢١﴾ ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، أي: أبعدته
من رحمته، ﴿وَقَالُوا﴾، يعني: قال
إبليس، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا
مَمْرُوسًا﴾، أي: حظاً معلوماً، فما
أطيع فيه إبليس فهو مفروضه، وفي
بعض التفاسير: من كل ألف واحد
للله تعالى وتسعمائة وتسعة وتسعون
لإبليس، وأصل الفرض في اللغة:
القطع، ومنه الفرضة في النهر وهي
الثلمة تكون فيه، وفرض القوس

قال مسروق وقتادة والضحاك: أراد ليس أمانيتكم أيها المسلمون ولا أمانى أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب، وقد آمننا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى. وقال مجاهد: أراد بقوله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ﴾ يا مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعثت ولا حساب، وقال أهل الكتاب: ﴿لَنْ نَسْأَلَ النِّكَاحَ إِلَّا أَنْبِيَاءَ مَقْدُودَةٍ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ﴾ أي: ليس الأمر بالأمانى وإنما الأمر بالعمل الصالح، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في حق كل عامل.

وقال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا: يا رسول الله وأيننا لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء؟ قال: «منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنةً فله عشرُ حسنات، ومن جُوزي بالسبيعة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلب أحاده أعشازه، وأما إذا كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته، فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل، فيعطي الجزاء في

الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله». أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه بعداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبيرقان والحارث بن محمد قالا: ثنا روح هو ابن عبادة، ثنا موسى بن عبيدة أخبرني مولى بن سبيح قال: سمعت عبدالله بن عمر يحدث، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

كثت عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أفرتك آية أنزلت علي؟ قال: قلت بلى، قال: فأفرتنيها، قال: ولا أعلم إلا أنني وجدت انفصاماً في ظهري حتى تمطيت لها، فقال رسول الله ﷺ: مالك يا أبا بكر؟ فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأيننا لم يعمل سوءاً؟ إنا لمجزئون بكل سوء عملناه؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله، وليست لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يُجزوا يوم القيامة».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ فِيهَا شَيْئًا﴾، أي: مقدار النقيير، وهو النقرة التي تكون في ظهر الثور، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر ﴿يَدْخُلُونَ﴾

بضم الياء وفتح الخاء ههنا وفي سورة مريم وحم المؤمن، زاد أبو عمرو ﴿يَنْظُرُونَ﴾ [فاطر: ٣٣] في سورة فاطر، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، روى الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا آمَانِيَّيْهِمْ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، ونزلت أيضاً:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، أحكم دِينًا ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل: فوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: مُوحِد، ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: دين إبراهيم عليه السلام، ﴿حَنِيفًا﴾، أي: مُسْلِماً مُخْلِصاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج، وإنما خص بها إبراهيم لأنه كان مقبولاً عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملة إبراهيم وزيدت له أشياء. ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، صفياء، والحنيفة: صفاء المودة، وقال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان، وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس، فأصاب الناس سنة فحشروا إلى باب إبراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة كل سنة من صديق له بمصر، فبعث

غلمانه بالإبل إلى الخليل الذي له بمصر، فقال خليله لغمانه: لو كان إبراهيم عليه السلام إنما يريد لنفسه احتملنا ذلك له، فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة، فرجع رُسل إبراهيم عليه السلام، فمزوا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم: لو أنا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أننا قد جئنا بميرة، فإننا نستحي أن نمز بهم وإلنا فارغة، فملؤوا تلك الغرائر سهلة، ثم أتوا إبراهيم [عليه السلام] فأعلموه وسارة نائمة، فاهتم إبراهيم لمكان الناس ببابه، فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار، فقالت: سبحان الله ما جاء الغلمان؟ قالوا: بلى، قالت: فما جاؤوا بشيء؟ قالوا: بلى، فقامت إلى الغرائر ففتحتها فإذا هي ملاء بأجود دقيق حواري يكون، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ إبراهيم [عليه السلام] فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة من أين هذا؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: هذا من عند خليلي الله، قال: فيومئذ اتخذ الله إبراهيم خليلاً.

قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخللة: الصداقة، فسمي خليلاً لأن الله أحبه واصطفاه. وقيل: هو من الخللة وهي الحاجة، سمي خليلاً، أي: فقيراً إلى الله لأنه لم يجعل فقره وفاقه إلا إلى الله عز وجل، والأول أصح لأن قوله

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ يقتضي الخللة من الجانبين، ولا تتصور الحاجة من الجانبين.

ثنا أبو المظفر [محمد] بن أحمد التميمي ثنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم، ثنا خيشمة بن سليمان بن حيدة الأطرابلسي، ثنا أبو قلابة الرقاشي، ثنا بشر بن عمر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أبا بكر أخي وصاحبي، ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً».

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء.

قوله تعالى: ﴿رَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية. قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في بنات أم كُحَجة وميراثهن، عن أبيهن وقد مضت القصة في أول السورة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقتها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية: هي اليتيمة تكون في

حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك.

قوله عز وجل: ﴿رَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك في النساء، ﴿قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قيل: معناه ويفتيكم في ما يتلى عليكم، وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن وكتابه [يفتيكم فيهن]، وهو قوله عز وجل: ﴿وَأَوَّلُوا آلَئِنَّآ أُمَّوَاتٍ﴾ [النساء: ٢٧]، قوله: ﴿فِي يَتَمَىٰ النِّسَاءِ﴾، هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿الَّتِي لَا تُوَفَّرْنَ﴾، أي: لا تعطونهن، ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، من صداقهن، ﴿وَرَبَّوْنَ أَن تَكْفُرْنَ﴾، أي في نكاحهن لِمَالِهِنَّ وجمالِهِنَّ بأقل من صداقهن، وقال الحسن وجماعة: أراد لا توفرنهن حقهن من الميراث لأنهم كانوا لا يورثون النساء، ويرغبون أن ينكحوهن أي: عن نكاحهن لدامتهن، ﴿وَالسَّمْعَيْنِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ﴾ يريد: ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لا يورثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿وَأَوَّلُوا آلَئِنَّآ أُمَّوَاتٍ﴾ [النساء: ٢٧] يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿وَأَن تَقْرُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾، أي: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن وموارثهن، ﴿وَمَا تَقَمَّلُوا مِن حَبْرٍ فَإِنَّ﴾

أعطيك من مالي نصيباً على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه، فإن أبث أن ترضى فعليه أن يغيذل بينهما في القسم. وعن علي رضي الله عنه في هذه الآية قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر ففكره فرفته، فإن أعطته من مالها فهو له حل وإن أعطته من أيامها فهو حل له، **﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** يعني: إقامتها بعد تخييره إياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة، خير من الفرقة.

كما يُروى أن سودة رضي الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبي ﷺ أن يفارقها فقالت: لا تطلقني وكفاني أن أبعث في نساءك وقد جعلت نوتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول الله ﷺ، وكان يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة رضي الله عنها.

قوله تبارك وتعالى: **﴿وَأُخْزِرَتْ أَلْيَسُ الشُّحِّ﴾**، يريد: شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشح: أبقح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، **﴿وَأَنْ تُحْسِنُوا﴾**، أي: تصلحوا **﴿وَتَتَّقُوا﴾**، الجوز، وقيل: هذا خطاب مع الأزواج، أي: وإن تحسنا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها **﴿فَلِكُلِّكُمْ مِمَّا تَمَلَّكْتُمْ حَيْرًا﴾**، فيجزئكم بأعمالكم.

قوله تعالى: **﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾**، أي: لن

فأنزل الله تعالى: **﴿وَأِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْزِرَتْ أَلْيَسُ الشُّحِّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** **﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِكُوا كُلَّ الْمَنِيْلِ فَتَدْرُوهُمَا كَالْمَغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾** **﴿وَأَنْ يَنْفَرَا بَيْنَ اللَّهِ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾** **﴿وَلِلَّهِ مَنَافِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾** **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكَيْلًا﴾** **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾** **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ اللَّهُ ثَوَابَ اللَّهِ الْكَبِيرَ﴾** وهو أن يقول الزوج لها:

إنك قد دخلت في السن وإني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت بهذا فأقمني وإن كرهت خليت سبيلك، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك، وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوقها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووقها حقها مع كراهيته فهو مُحسن، وقال سليمان بن يسار في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما: فإن صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت، فإن أنكرته بعد الصلح فذلك لها ولها حقها، وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية: هو أن الرجل يكون تحت المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة، فيقول للكبيرة:

سورة النساء
وَأِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْزِرَتْ أَلْيَسُ الشُّحِّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِكُوا كُلَّ الْمَنِيْلِ فَتَدْرُوهُمَا كَالْمَغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَأَنْ يَنْفَرَا بَيْنَ اللَّهِ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَنَافِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَافِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكَيْلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ اللَّهُ ثَوَابَ اللَّهِ الْكَبِيرَ ﴿١٣٤﴾

اللَّهُ كَانَ بِهِ عَليماً، يُجازيكم عليه.

قوله تعالى: **﴿وَأِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾** الآية، نزلت في عمرة ويقال: خولة بنت محمد بن مسلمة، وفي زوجها سعد بن الربيع، [و] يقال: رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة، وآثرها عليها وجفا ابنة محمد بن مسلمة، فأتت رسول الله ﷺ فشكت إليه فنزلت فيها هذه الآية، وقال سعيد بن جبير: كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج عليها غيرها، فقالت: لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي وأقسم لي من كل شهرين إن شئت، وإن شئت فلا تقسم لي فقال: إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك

تقدروا أن تُسوّوا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل، ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾، أي: إلى التي تُحبونها، ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ في القِسْمِ والثَّفَقَةِ، أي: لا تُتَبِعُوا أهواءكم أفعالكم، ﴿تَنْدَرُوا كَالْمَمْلُوقَةِ﴾، أي فَتَدْعُوا الأخرى كالمنوطة لا أَيْمًا ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب «كأنها مسجونة»

وزوي عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يُقسِمُ بين نسائه، فيعدل ويقول: «اللَّهُمَّ هذا قَسْمِي فيما أملك فلا تَلْمِني فيما تَمْلِكُ ولا أملك»، ورواه بعضهم عن أبي قلابة، عن عبدالله بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها مُتَّصِلًا.

وزوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقَّهُ مَائِلًا».

﴿وَإِنْ تَصَلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، الجوز، ﴿فَارَبَّ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَجِيمًا﴾.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾، يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، ﴿يُعِنَ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، من رزقه، يعني: المرأة بزواج آخر والزوج بامرأة أخرى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَبِشَاءِ حَكِيمًا﴾، واسع الفضل والرحمة حكيمًا فيما أمر به ونهى عنه، وجملة حُكْمِ الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القِسْمِ، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القِسْمِ

عصى الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حُرَّةً وأُمَّةً فإنه يبيت عند الحُرَّةِ ليلتين وعند الأُمَّةِ ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوال إن كانت بكرًا، وإن كانت ثيبًا فثلاث ليال ثم يُسَوِّي بعد ذلك بين الكل، ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يوسف بن راشد، ثنا أبو أسامة، ثنا سفيان الثوري، ثنا أيوب وخالد، عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله عنه قال: مِن السَّنَةِ إِذَا تَزَوَّجَ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيْبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا، ثُمَّ قَسَمَ وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيْبَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَسَمَ. قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسًا رفعه إلى النبي ﷺ.

وإذا أراد الرجل سفرَ حاجةٍ فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يُقرع بينهما فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضي للباقيات مدة سفره، وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، ثنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا الربيع، ثنا الشافعي، ثنا عمي

محمد بن علي بن شافع، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبدالله، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها» أما إذا أراد سفر ثقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيدًا ومملوكًا ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿وَرِيبًا كُمْ﴾ يا أهل القرآن في كتابكم، ﴿إِنْ أَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: وحذوا اللئى وأطيعوه، ﴿وَرِيبًا كُمْ﴾، بما أوصاكم به الله ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: فإن الله ملائكة في السموات والأرض هم أطوع له منكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾، عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿حَمِيدًا﴾ محمودًا على نعمه.

﴿قوله ما في السموات وما في الأرض﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني شهيدًا أن فيها عبيدًا، وقيل: دافعًا ومُجِيرًا. فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ قيل: لكل واحد منهما وجه، أما الأول: معناه الله ما في السموات وما في الأرض وهو يُوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما الثاني يقول: فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلَيْسَ شَهَادَةً لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ
تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٣﴾ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَائِمًا مَائِمًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٤﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا تَكْفُرًا إِنَّ اللَّهَ لَيَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَلَا يَكْتُمُهُمْ
سِرًّا ﴿١٣٥﴾ يُنَبِّرُ الْمُتَّقِينَ بِأَنْ لَمْ يَكُنْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٦﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَسْتُمْ
عِنْدَهُمُ الْمَرْءَ فَإِنَّ الْمَرْءَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٧﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا جَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْكُفْرِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ لَا
تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ تَحْضُرُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا مَثَلُهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٨﴾

وجزاء الجنة في الآخرة.
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ .

قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِاللَّهِ﴾ ،

يعني: كونوا قائمين بالشهادة بالقسط، أي:

بالعدل لله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له،

﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ ، فسي

الرحم، أي: قولوا الحق ولو على أنفسكم بالإقرار

أو الوالدين والأقربين، فأقيموا عليهم الله، ولا تحابوا غنيا لغناه

ولا ترحموا فقيراً لفقره، فذلك قوله تعالى:

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ ، منكم، أي أقيموا على

المشهود عليه وإن كان غنياً وللمشهود له وإن كان فقيراً فالله أولى بهما

منكم، أي كملوا أمرهما إلى الله. وقال الحسن: معناه الله أعلم بهما،

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا﴾ ، أي: ولا تجوروا وتميلوا إلى الباطل من

الحق، وقيل: معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا، أي: لتكونوا عادلين كما

يقال: لا تتبع الهوى لترضي ربك. ﴿وَلَنْ تَلَّوْا﴾ أي: تحرفوا الشهادة

لتبطلوا الحق ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عنها فتكتموها ولا تقيموها، ويقال: تللوا أي تدافعوا في إقامة الشهادة، يقال:

لَوَيْتَهُ حَقَّهُ إِذَا دَفَعْتَهُ وَمَطَلْتَهُ، وقيل:

هذا خطاب مع الحكام في ليهم الأشداق، يقول: وإن تللوا أي تميلوا إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه قرأ

ابن عامر وحمزة ﴿تللوا﴾ بضم اللام، قيل: أصله تللوا، فحذفت إحدى الواوین تخفيفاً، وقيل: معناه وإن

تللوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتركوا أداءها ﴿فَأَنَّ اللَّهَ كَانُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَائِمًا مَائِمًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية

قال الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في

عبدالله بن سلام وأسد وأسيد بنى كعب، وثعلبة بن قيس وسلام بن

أخت عبدالله بن سلام، وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا

أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا نؤمن بك وبكتابك

وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال

النبي ﷺ: «بل آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، والقرآن ويكل كتاب

كان قبله»، فأنزل الله هذه الآية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن وبموسى عليه السلام والتوراة

﴿مَائِمًا مَائِمًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ ،

يعني القرآن، ﴿وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾ ، من التوراة والإنجيل

والزبور وسائر الكتب، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو «نزل وأنزل»

بضم النون والألف، وقرأ الآخرون «نزل وأنزل» بالفتح أي أنزل الله، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾

غنياً أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون، وأما الثالث فيقول: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِمِكُمْ﴾ ، يهلككم ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ،

يعني: الكفار، ﴿وَأَيَّاتٍ بِحَارِفَةٍ﴾ ، يقول بغيركم خير منكم وأطوع،

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ قادراً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَوَسَدَ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

يريد: من كان يريد بعمله عرضاً من الدنيا ولا يريد بها الله عز وجل

آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع عنه فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة

من ثواب، ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب

وَرُشَلِيهِ وَالْيَورِ الْأَخْرَجَ فَقَدْ ضَلَّ صَلَاةً
بَعِيدًا»، فلما نزلت هذه الآية قالوا:
فإننا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل
رسولٍ وكتاب كان قبل القرآن،
والملائكة واليوم الآخر لا نُفَرِّقُ بين
أحد منهم ونجن له مسلمون، وقال
الضحاك: أراد به اليهود والنصارى،
وقيل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
بموسى وعيسى ﴿آمَنُوا﴾ بمحمد
والقرآن، وقال مجاهد: أراد به
المنافقين، يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا﴾ باللسان ﴿آمَنُوا﴾ بالقلب.
وقال أبو العالية وجماعة: هذا
خطاب للمؤمنين، يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا﴾ أي أقيموا واثبوا
على الإيمان، كما يقال للقائم: قُمْ
حتى أرجع إليك، أي اثبت قائماً
وقيل: المراد به أهل الشرك، يعني
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالآلات
والعزى ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسوله.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة: هم
اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من
بعد بعبادتهم العجل، ثم آمنوا
بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه
السلام، ثم أزدادوا كُفْرًا
بمحمد ﷺ. وقيل: هو في جميع
أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا
به، وآمنوا بالكتاب الذي نُزِّلَ عليه
ثم كفروا به، وكفرهم به تركهم إياه
ثم أزدادوا كُفْرًا بمحمد ﷺ، وقيل:
هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا
ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم

ارتدوا، ومثل هذا هل تُقبل توبته؟
حكى عن علي رضي الله عنه أنه لا
تقبل توبته بل يُقتل، لقوله تعالى:
﴿لَنْ يَكْفِيَكَ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَكَ﴾، وأكثر
أهل العلم على قبول توبته، وقال
مجاهد: ثم أزدادوا كُفْرًا أي ماتوا
عليه، ﴿لَنْ يَكْفِيَكَ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَكَ﴾، ما
أقاموا على ذلك، ﴿وَلَا لِيُؤدِبَهُمْ
سَبِيلًا﴾، أي طريقاً إلى الحق، فإن
قيل: ما معنى قوله ﴿لَنْ يَكْفِيَكَ اللَّهُ
لِيَغْفِرَ لَكَ﴾، ومعلوم أنه لا يغفر
الشرك إن كان أول مرة؟ قيل: معناه
أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام
عليه يُغفر له كفره السابق، فإن
أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا
يُغفر له كفره السابق الذي كان،
يُغفر له لو دَامَ على الإسلام.

﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ﴾، أخبرهم يا
محمد، ﴿يَأَنَّ لَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾،
والبشارة: كل خبر يتغير به بشرة
الوجه ساراً كان أو غير سار، وقال
الزجاج: معناه اجعل في موضع
بشارتك لهم العذاب، كما تقول
العرب: تحيثك الضرب وعقابك
السيف، أي: بدلاً لك من التحية،
ثم وصف المنافقين فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ﴾، يعني: يتخذون اليهود أولياء
وأنصاراً أو بطانة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَيَّبَنُفُونَ عِنْدَهُمُ الْهَرَّةَ﴾، أي: المعونة
والظهور على محمد ﷺ وأصحابه:
وقيل: يطلبون عندهم القوة، ﴿فَإِنَّ
الْهَرَّةَ﴾ أي: الغلبة والقوة والقدرة،
﴿لِللَّهِ جَمِيعًا﴾.

﴿قَوْلُهُ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ﴾، قرأ عاصم ويعقوب
﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والزاي، أي:
نزل الله، وقرأ الآخرون (نَزَّلَ) بضم
النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا
معشر المسلمين، ﴿إِنَّ إِذَا تَجَمَعْتُمْ مَعَهُ
اللَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿يُكْفِّرُ بِهَا
وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾،
يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حَتَّى
يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَفْوٍ﴾، أي:
ياخذوا في حديث غير الاستهزاء
بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا إشارة
إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْرُصُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَرْض
عَنَّهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَفْوٍ﴾
[الأنعام: ٦٨]، قال الضحاك، عن
ابن عباس رضي الله عنهما: دخل
في هذه الآية كلٌ مُحدثٍ في الدين
وكلٌ مُبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إِذْ
إِذَا تَشَاهَرُوا﴾، أي: إن قعدتم عندهم
وهم يخوضون ويستهزئون ورضيتم
به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في
حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم
مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز
القعود معهم وإن خاضوا في حديث
غيره، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يُنِيبُكَ
الْمُتَّقِلُونَ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]،
والأكثر على الأول. وآية الأنعام
مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى.
قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.
﴿الَّذِينَ يَكْرَهُونَ يُكْرَهُ﴾،
ينتظرون بكس الدوائر، يعني:

تعالى لكان كثيراً، وقال قتادة: إنما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير.

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿لَا إِيَّاهُ يَدْعُونَ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾، أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾، أي: طريقاً إلى الهدى.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني قال أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا محمد بن المثنى، أنا عبد الوهاب يعني الثقفي، أنا عبد الله [عن نافع عن] بن عمر:

عن النبي ﷺ، قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار، وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي حجة بينة في عذابكم، ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَىٰ مِنَ النَّارِ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿فِي الدَّرَجَاتِ﴾ بسكون الراء والباقون

المؤمنين، أي: ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخليدهم عنكم ومراسلتنا إياكم بإخبارهم وأمورهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين ﴿فَاللَّهُ يَجْحَدُ بِبَيْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: بين أهل الإيمان وأهل النفاق، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، قال علي [رضي الله عنه]: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه:

أي حجة، وقيل: ظهوراً على أصحاب النبي ﷺ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾، أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، يعني: المنافقين ﴿قَامُوا كَسَالًا﴾، أي: متثاقلين لا يريدون بها الله فإن رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يصلون، ﴿بِرَأْسِهِ النَّاسِ﴾، أي: يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله [عز وجل]، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه اللد

الَّذِينَ يَرْتَابُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَاتَلُوا اللَّهَ أَنْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَنَنْتَعِزْ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْحَدُ بِبَيْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا كَسَالِ الَّذِينَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَىٰ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَأَنعَصُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٧﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾

١٤١

المنافقين، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قَاتَلُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قَاتَلُوا﴾، يعني: المنافقين للكافرين، ﴿أَلَمْ تَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: ﴿اسْتَعِذْ بِهِمْ الْبَطِينُ﴾ [المجادلة: ١٩] أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه ونطلعكم على سرهم؟ قال المبرد: يقول المنافقون للكفار ألم تغلبكم على رأيكم ﴿وَتَسْتَعِزُّ بِكُمْ﴾، وتصرفكم ﴿بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عن الدخول في جملةهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من

بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿فِي الذَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ في توابيت من حديد مقفلة في النار، وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم توقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿وَكُنَّ يُخَيَّرْنَ لَكُمْ قَمِيصًا مَنَاعًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، عملهم ﴿وَأَعْتَمَسُوا بِأَيْدِيهِمْ﴾، وآمنوا بالله وبالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب، ﴿وَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: من المؤمنين، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ الثَّمَرَاتِ﴾، في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني: الجنة، وحذفت الياء ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْكَلِمَةَ﴾، وسقوطها في اللفظ لسقوطها في اللفظ لسكون اللام في ﴿اللَّامِ﴾ في ﴿اللَّهُ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَعْلُومِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ أَي: إِنَّ شُكْرَكُمْ نِعْمَةٌ ﴿وَأَمَّا أَنْتُمْ﴾ بِهِ، فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: إِنَّ آمَنْتُمْ وَشُكْرْتُمْ، لِأَنَّ الشُّكْرَ لَا يَنْفَعُ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ مَعْنَاهُ إِنَّهُ لَا يَعْذِبُ الْمُؤْمِنَ الشَّاكِرَ، فَإِنَّ تَعْذِيبَهُ عِبَادَةٌ لَا يَزِيدُ فِي مَلِكَةٍ، وَتَرْكُهُ عِقَابُهُمْ عَلَى فَعْلِهِمْ لَا يُنْقِصُ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَالشُّكْرُ: ضَدُّ الْكُفْرِ وَالْكَفْرِ سِتْرُ النِّعْمَةِ، وَالشُّكْرُ: إِظْهَارُهَا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، فَالشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الرِّضَى بِالْقَلِيلِ مِنْ عِبَادِهِ وَإِضْعَافُ الشُّوَابِ عَلَيْهِ، وَالشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ:

الطاعة، ومن الله: الثواب.

﴿قَوْلُهُ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ يَعْنِي: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مِنَ الظُّلْمِ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَخْبِرَ عَنِ الظُّلْمِ وَأَنْ يَدْعُو عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ أَنْتَصِرْ بِعَدُوِّكَ﴾ قَوْلُ الشُّرَيْبِيِّ: ﴿الْحَسَنُ: دَعَاؤُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ اسْتَخْرِجْ حَقِي مِنْهُ،

وَقِيلَ: إِنَّ شَتْمَهُ جَازٍ أَنْ يَشْتَمَ بِمَثَلِهِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ.

أخبرنا أبو عبدالله الخرقني أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر [إسماعيل بن جعفر] أنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قالا، فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم».

وقال مجاهد هذا في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله أن يشكو ويذكر ما صنع به.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث

سورة النساء

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ إِنْ بُدُوْا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْلَمُوا عَنْ سُوءِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَدُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّبُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٤٧﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٤٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقَرِّبُوا بَيْنَ أَمْوَالِهِمْ وَأُولَئِكَ مَتَّوْفَاتٌ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤٩﴾ يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرًا ذَلِكَ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ جَهْرَةٌ فَآخَذَتْهُمْ الصَّحَابَةُ يَظُنُّوهُمْ نَارًا مُنْجِذًا مِنَ الْجَهَنَّمَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْآيَاتُ فَقَعُورًا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٠﴾ وَرَفَعْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِ رَبِّهِمْ وَجَعَلْنَا هَمَّهُمْ آذَانًا مَجْذُومًا ﴿١٥١﴾ وَقَالُوا لَآئِدًا وَافِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ شَيْعًا عَظِيمًا ﴿١٥٢﴾

١٤٦

عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبه بن عامر أنه قال:

قلنا يا رسول الله إنك تبعنا فنزل يقوم فلا يُقرُّونا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمِ الضَّيْفِ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخَذُوا مِنْهُمْ حَقُّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ».

وقرأ الضحَّاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهر [به] من ظلم، والقراءة الأولى هي المعروفة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، بعقاب الظالم.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ بُدُوْا خَيْرًا﴾، يَعْنِي: حَسَنَةً فَيَعْمَلُ بِهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرًا. وَإِنْ هُمُ بِهَا وَلَمْ

شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران. قوله تبارك وتعالى: ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، في قتله، ﴿لَئِنْ سَأَلْتَهُ﴾، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء، ونحن ننظر إليه، وقيل: كان الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على وجه ططيافوس ولم يلقه على جسده، فاختلوا فيه فقال بعضهم: [قتلنا عيسى، فإن الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم] لم نقتله لأن جسده ليس جسده عيسى عليه السلام، فاختلوا. قال السدي: اختلافهم من حيث أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ قال الله تعالى: ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ بِمُؤْمِنِينَ﴾، من حقيقة أنه قتل أو لم يُقتل، ﴿لَا يُبَاقُ الظَّنُّ﴾، لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي: ما قتلوا عيسى يقيناً.

﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، وقيل قوله ﴿يَقِينًا﴾ يرجع إلى ما بعده وقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه يقيناً، والهاء في ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذين ظنوا أنه عيسى يقيناً، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: وما قتلوا

ظنهم يقيناً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ منيعاً بالثقة من اليهود، ﴿حَكِيمًا﴾ حكم باللعنة والغضب عليهم، فسلب عليهم ضيطوس بن سبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة.

﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، وهو قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، اختلوا في هذه الكناية، فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في البأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أرأيت أن من خزر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء قال: فقيل أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج لسانه، وذهب قوم إلى أن الهاء في ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾ كناية عن عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً

يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويقتل الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، أي: قبل موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

وروي عن عكرمة: أن الهاء في قوله ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾ كناية عن محمد ﷺ يقول: لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ، وقيل: هي راجعة إلى الله عز وجل يقول: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالله عز وجل، قبل موته عند المعلنة حين لا ينفعه إيمانه. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ أَلْقَيْنَا لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾ أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه، كما قال تعالى مخبراً عنه ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وكل نبي شاهد على أمته قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

﴿لَئِنْ أَمْنَلُوا فِيهِ﴾ قوله عز وجل: ﴿يَقْتُلُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَادُوا﴾، وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا المسيح ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ لِحَابَتِ أُمَّةٍ حَرَمًا﴾، وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا حَادُوا حَرَمًا كَلَّا ذِي

الصَّلَاة، ثم قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ الرجوع إلى النسق الأول، ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَذِلَّةٌ سُنُّوهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ حمزة سيوتيهم بالياء والباقون بالنون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله تعالى [﴿يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾] النساء: ١٥٣، فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٩١] وأنزل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا

أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ فذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أباً البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرَّةً الْبَرِّانِينَ﴾ [الصفات: ٧٧] ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لرذمهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أطول الأنبياء عمراً وجعلت معجزاته في نفسه، لأنه عمر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم ينتقص له قوة، ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِزْرَابًا وَاسْتَوِيلًا وَاسْحَقًا وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾، وهم أولاد يعقوب، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُرَّارًا﴾، قرأ

البالغون في العلم منهم أولوا البصائر، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾، يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿يُؤْتُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني: سائر الكتب المنزلة، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، اختلفوا في وجه انتصابه، فحكى عن عائشة رضي الله عنها وأبان بن عثمان: أنه غلط من الكاتب ينبغي أن

يكتب و «المقيمون الصلاة» وكذلك قوله في سورة المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وقوله ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ﴾ [طه: ٦٣] قالوا: ذلك خطأ من الكاتب. وقال عثمان: إن في المصحف لحنأً ستقيمه العرب بالسنتها، فقيل له: ألا تغتيره؟ فقال: دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً.

وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح، واختلفوا فيه، قيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمون الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمون الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمون

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِزْرَابًا وَاسْتَوِيلًا وَاسْحَقًا وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُرَّارًا ﴿١٦١﴾ وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْهِمْ وَكَلِمَ اللَّهُ مُؤْتَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٢﴾ وَرَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٣﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ صَدَّوْا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُؤْتِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٦﴾ إِلَّا الطَّرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ كَفَرُوا فَإِنَّ إِلَهُنَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾

طَلْفَرًا [الأنعام: ١٤٦]، ونظم الآية: فظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿وَيَصَدِّهِمْ﴾، وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كِبْرًا﴾، أي: عن دين الله صدأ كثيراً.

﴿وَأَعْزَبَهُمُ الزُّبْرَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ﴾، في التوراة ﴿وَأَعْزَبَهُمُ أَمْرًا لَكِنِ بِالْبَطْلِ﴾، من الرشا في الحكم، والمائل التي يصيبونها عن عوامهم، عاقبتهم بأن حرّمنا عليهم طيبات، وكانوا كلّموا ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالاً لهم، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَرَأَى لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾

الأعمش وحمزة «زُبُوراً» والزُبُور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتباً وضحفاً مزبورة، أي مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل، وكان داود يبرز إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجن خلف الناس، الأعظم فالأعظم، والشياطين خلف الجن وتحيي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم، فلما قارف الذنب لم يزد ذلك، ونفروا من حوله، فقيل له ذاك أنس الطاعة، وهذه وحشة المعصية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الشعلي أنا أبو بكر الجوزقي أنا أبو العباس أنا يحيى بن زكريا أنا الحسين بن حماد حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو رأيته البارحة وأنا أستمع لقراءتك ولقد أعطيت مزمارة من مزامير آل داود»، فقال: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته [لك] تحبيراً.

وكان عمر رضي الله عنه إذا رآه يقول ذكراً يا أبا موسى فيقرأ عنده.

قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وكما

أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلاً، وفي قراءة أبي «ورسل قد قصصناهم عليك من قبل»، ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر ولم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يُقال: [أراد فلان إرادة، يُريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يُقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير حقيقة.

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْمٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسلاً ولا أنزلت إلينا كتاباً، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَافِلًا عَنِ حِكْمِمْ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عوانة أنا عبد الملك عن وِزَاد كاتب المغيرة عن المغيرة قال:

قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيته رجلاً مع امرأتي لضربه بالسيف غير مُضْفِح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغْيِرُ منه، والله أغْيِرُ مني، ومن أجل غيرة الله

حَرَمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المُنذرين والمُبشرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمن أني رسول الله، فقالوا: والله ما نعلم ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ إن حجدوك وكذبوك، ﴿أَنْزَلَهُ يُجِيبُونَ وَاللَّيْلَةَ يُسْجِدُونَ وَكُنَّ بِآيَاتِهِ شَاهِدًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، بكتمان نغبت محمد ﷺ، ﴿فَدَّ صَلُّوا صَلًّا بَصِيًّا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾، قيل: [إنما قال] «وظلموا» أتبع ظلمهم بكفرهم تأكيداً، وقيل: معناه كفروا بالله وظلموا محمداً ﷺ بكتمان نعته، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾، يعني: دين الإسلام.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾، يعني اليهودية، ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَنبَاءٌ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم

وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها إليها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، يعني: جبريل.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل أنا الوليد عن الأوزاعي حدثنا عمرو بن هانيء حدثني جنادة بن أمية عن عبادة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنْ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَأَنْ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَذْخَلَهُ [الجنة] عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

﴿فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ﴾ [مريم: ١٧]، أي: ولا تقولوا هم ثلاثة، وكانت النصارى تقول: أب وابن وروح القدس، ﴿أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، تقديره: انتهوا خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، وعلم أن التبني لا يجوز لله تعالى، لأن التبني إنما يجوز لمن يتصور له وليس له، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [مريم: ١٧]، قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبدالله ورسوله، فقال النبي ﷺ:

اليهود والنصارى فإنهم جميعاً غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى مجاوزة بالحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام، قال الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾، لا تشذّبوا في دينكم ففتنوا على الله الكذب ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، لا تقولوا أن له شريكاً وولداً ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾، وهي قوله ﴿كُنْ﴾ [مريم: ١٧].

٣٥ فكان بشراً من غير أب، وقيل غيره، ﴿أَلْقَيْنَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقى إليك كلمة حسنة، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، قيل: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشریفاً، وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في ذرع مريم فحملت بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحاً لأنه يريح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره، وقيل: روح منه أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمةً لمن تبعه وأمن به، وقيل: الروح الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل عليه السلام بالنفخ وإلى عيسى أن كُنْ فكان كما قال الله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾، يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام، معناه

يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْفِرْ فَسَحَشْرُومُ إِلَيْهِ جِيعًا ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْفِرْ فَسَحَشْرُومُ إِلَيْهِ جِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْفِرْ فَسَحَشْرُومُ إِلَيْهِ جِيعًا ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْفِرْ فَسَحَشْرُومُ إِلَيْهِ جِيعًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الْيُزَيْبُ بْنُ مَرْيَمَ فَكُنَّ نَفْسًا خَافِيَةً لَهَا فَجَاء بِهَا الْمَلَأَيْمَ إِذَا يَسُورُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْفِرْ فَسَحَشْرُومُ إِلَيْهِ جِيعًا ﴿١٧٥﴾

الرَّسُولِ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمَّا خَيْرٌ لَكُمْ، تقديره: فأماوا يكن الإيمان خيراً لكم، ﴿وَلَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾، نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة: الماربعقوية والملكانية والنسطورية والمرقسوية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت المرقسية: ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ويقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية يقولون: ابن الله والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يُقال له بولس، سيأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقال الحسن: يجوز أن تكون نزلت في

إِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ، فَنَزَلَ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لَنْ يَبْأَنفَ وَلَنْ يَتَعَطَّمَ، وَالِاسْتَنْكَافُ: التَّكْبِيرُ مَعَ الْأَنْفَةِ، ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، لَا يَأْنِفُونَ أَنْ يَكُونُوا عِبْدًا لِلَّهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ يَقُولُ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ارْتَقَى مِنْ عِيسَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَلَا يَرْتَقَى إِلَّا إِلَى الْأَعْلَى، لَا يُقَالُ: لَا يَسْتَنْكَفُ فَلَانَ مِنْ كَذَا وَلَا عِبْدَهُ، إِنَّمَا يُقَالُ: فَلَانٌ لَا يَسْتَنْكَفُ مِنْ هَذَا وَلَا مَوْلَاهُ، وَلَا حِجَّةَ لَهُمْ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِمَقَامِهِمْ عَلَى مَقَامِ الْبَشَرِ، بَلْ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ أَكْبَرُ مِنَ النَّصَارَى قَوْلَهُمْ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ رَدًّا عَلَى النَّصَارَى بِزَعْمِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَسَخَّرْ لِي سَخَّرْتُمُ إِلَيْي جَمِيعًا﴾، قَبِيلُ: الْاسْتَنْكَافُ هُوَ التَّكْبِيرُ مَعَ الْأَنْفَةِ، وَالِاسْتِكْبَارُ: هُوَ الْعُلُوُّ وَالتَّكْبِيرُ مِنْ غَيْرِ أَنْفَةٍ.

﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَرْجِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَرَبُّهُمْ مِنْ قَضَائِهِ، مِنْ التَّضْعِيفِ، مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾، عَنْ عِبَادَتِهِ، ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿١٧٧﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُمْ بَرَهْنٌ مِنْ رَبِّكَ﴾، يَعْنِي:

مُحَمَّدًا ﷺ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْجَوْهَرُ: السُّجَّةُ، ﴿وَأَرْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾، بَيْنَا يَعْنِي الْقُرْآنَ.

﴿١٧٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَقْبَلُوا بِهِ، امْتَعَنُوا بِهِ مِنْ زَيْغِ الشَّيْطَانِ، ﴿سَيُذِطُّهُمْ فِي رَحْمَةِ رَبِّنَا وَقَضَى﴾، يَعْنِي الْجَنَّةَ، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ﴾

نَزَلَتْ فِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، وَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنِ الْمِيرَاثُ وَإِنَّمَا يَرِثُنِي الْكَلْبَلَةُ؟ فَنَزَلَتْ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ﴾، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْكَلْبَلَةِ وَحُكْمَ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ حُكْمِ مِيرَاثِ الْإِخْوَةِ لِسَلَابِ وَالْأُمِّ أَوْ لِسَلَابِ [يَسْتَفْتُونَكَ] أَي: يَسْتَخْبِرُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ [يَا مُحَمَّدًا]، ﴿قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ إِنْ أَمَرْنَا هَلْكَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَا أُخْتٌ فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾، يَعْنِي إِذَا مَاتَ الْأَخْتُ فَجَمِيعُ مِيرَاثِهَا لِلْأَخِ، ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾، فَإِنْ كَانَ لَهَا ابْنٌ فَلَا شَيْءَ لِلْأَخِ، وَإِنْ كَانَ وَلِدُهَا أُنْثَى فَلِلْأَخِ مَا فَضَّلَ عَنْ فَرَضِ الْبَنَاتِ، ﴿إِنْ كَانَتْ

يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ إِنْ أَمَرْنَا هَلْكَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَا أُخْتٌ فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتْ أَنْثَى فَلَهَا الْثُلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ إِخْوَةً رَجُلًا وَلَا نِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ بِمِثْلِ حِطِّ الْأُنثَى بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَابًا لَعَنُوا أَحْبَبْتُ لَكُمْ بِهَيْبَةِ الْأَنْفَةِ إِلَّا مَا نَبَلَ عَلَيْكُمْ عِزِّي الصَّيِّدُ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ لِلَّهِ بِحُكْمِ مَا رَيْدُ ﴿١٧٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَخْوَابِ اللَّهِ وَلَا الْكُفْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَتَى وَلَا بَيْنَ الْبَيْنِ الْحَرَامَ يَتَّقُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شُرَكَائُكُمْ أَنْ صَدَرْتُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ لِتُفْرِمُوا أَنْ تَمْتَدُوا وَتَمَارُوا هَلِ الْبُرُوقُ وَلَا تَمَارُوا عَلَى الْبُرُوقِ وَالْمَدُونِ وَأَقْفُوا إِنَّ اللَّهَ سُبُودُ الْعُقَابِ ﴿١٨٠﴾

أَنْتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ﴾، أَرَادَ اثْنَتَيْنِ فَصَاهِدًا وَهُوَ أَنَّ مَا مَاتَ وَلَهُ أَخْوَابُ فَلَهُنَّ الثَّلَاثَانُ، ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا وَلَا نِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ بِمِثْلِ حِطِّ الْأُنثَى﴾، ﴿بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَبُو حَبِيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنْ لَا تَضَلُّوا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ كِرَاهَةٌ أَنْ تَضَلُّوا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِمِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ رَجَاءَ أَنَا إِسْرَائِيلَ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: أَخْرَجْتُ سُورَةَ خَاتِمَةَ سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ﴾. وَزُورِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَخْرَجْتُ آيَةَ نَزَلَتْ آيَةُ الرَّبَّاءِ، وَأَيْضًا آيَةُ نَزَلَتْ خَاتِمَةَ سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ﴾.

وأخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

وروي عنه أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وروي بعدما نزلت سورة النصر عاش النبي ﷺ عاماً، ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي ﷺ بعدها ستة أشهر، ثم نزلت في طريق حجة الوداع ﴿يَسْتَعْتِبُكَ فَلَئِنَّ اللَّهَ يَفْتِيكُمُ فِي الْكَلْبَةِ﴾ فسميت آية الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْتَكُمْ وَأَمْسَمْتُ عَلَيْكُمْ بِمَعْنَى﴾، فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، ثم نزلت آيات الرِّبَا، ثم نزلت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً [والله أعلم بالصواب].



سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مائة وعشرون آية نزلت بالمدينة كلها إلا قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْتَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية، فإنها نزلت بعرفات.

رُوي عن أبي ميسرة قال: أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم يُنزلها في غيرها، قوله: ﴿وَالسُّخَّرَةُ وَالْمَوْوَدَةُ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّطِيعَةَ وَمَا أَكَلَ السُّجُوعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ﴾، ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُغَلِّبُونَ﴾، ﴿وَعَلَّمَهُمُ الَّذِينَ أَوْفُوا

الْكِتَابَ حِلًّا لَكَرُّ وَعَلَّمَانِكُمْ حِلًّا لَهُمْ وَلَلْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمَرْءِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وتمام الطهور في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيْعَتِهِمْ وَلَا سَابِقَتِهِمْ وَلَا وَصِيَّتِهِمْ وَلَا حَاوِيَةٍ﴾، وقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قوله تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي: بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدت فلاناً وعقدت عليه أي: ألزمته ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما يُعقد الحبل بالحبل [إذا وصل].

واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِكُمْ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال الآخرون: هو عام، قال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، قال الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على

أنفسهم من الأنعام.

وروي أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنّة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنّة التي تُوجد ميتة في بطون أمهاتها إذا دُبِحت أو نحرّت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله.

[قال الشيخ الإمام]: قرأت على أبي عبد الله محمد بن الفضل الخرقى فقلت: قرأه على أبي سهل محمد بن عمر بن طرفة وأنت حاضر، فقيل له: حدثكم أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر بن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا مسدد أنا هشيم عن مجالد عن أبي الودّاع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال: قلنا: يا رسول الله، ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين، أنلقه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه».

وروي أبو الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمه». وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تمّ خلقه ونبت شعره، ومثله عن سعيد بن المسيب.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا يحل أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم.

وقال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيها وهي الطيأ وبقر الوحش، سُميت بهيمة لأنها أبهمت عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إِلَّا مَا يَكُلُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ما ذكر في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾

[المائدة: ٣]، ﴿عَدَّ يُحِلُّ الصَّيْدَ﴾، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحَلِّي الصيد، ومعنى الآية: أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشياً، فإنه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حَرَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يُنَائِبًا الَّذِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنَائِبًا الَّذِينَ﴾ نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري، أتى المدينة وخلف خيله [خارج] المدينة، ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له: إلام تدعو الناس؟ فقال له: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، [وأن] محمداً رسول الله»، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»، فقال: [حسن]، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: «يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم [بلسان] شيطان»، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم»، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتبعوه فلم يدركوه، فلما كان العام القابل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقد قلّد الهدى، فقال المسلمون للنبي ﷺ: هذا الحطم قد خرج حاجاً فحلّ بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: «إنه قد قلّد الهدى»، فقالوا: يا رسول الله، هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يُنَائِبًا الَّذِينَ﴾

﴿أَمْثُوا لَا يُحِلُّوا شَيْئاً مِنَ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومنجهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجّون ويهدون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك.

وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشعّرة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وإشعارها: إعلامها بما يُعرف أنها هدي، والإشعار ههنا: أن يطعن في صحفة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم، فيكون ذلك علامة أنها هدي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم أنا أفلح عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فتلث قلائد بُدِن النبي ﷺ بيدي، ثم قلّدها وأشعرها وأهداها، فما حرّم عليه شيء كان أجلّ له.

وقاس الشافعي البقر على الإبل في الإشعار، وأما الغنم فلا تشعر بالجرح، فإنها لا تحتمل الجرح لضعفها، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يشعر الهدى.

وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تُحِلُّوا شعائر الله وهي أن تصيد وأنّ محرّم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرّمات الله

واجتناب سخطه وأتباع طاعته.

قوله: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنهم كانوا يُجّلون في الجاهلية عاماً ويحرّمونه عاماً، ﴿وَالْحُدُودَ﴾، وهو كل ما يهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة، ﴿وَالْقُلُوبَ﴾، أي: الهدايا المُقلّدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلّدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لِحَاء شجر الحرم كيلا يُتعرّض لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لِحَاء شجر مكة ويُقلّدونها فثهوا عن نزع شجرها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرضوا لهم، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: الرزق بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾، أي: على رزقهم، لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها، وقيل: ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركين كانوا يحجّون، وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التوبة: ٥]، ويقول: ﴿فَلَا يَكْفُرُوا﴾ السجدة الحرام بعد عليهم هكذا

الأنصاري قال: سئل رسول الله ﷺ عن البيز والإثم، قال: «البيز حَسُنَ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ.» **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.**

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْتَةُ وَاللَّمُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهَا أَيْمَانٌ وَلَا عَهْدٌ﴾، ما ذكر على ذبحه اسم غير الله تعالى، **﴿وَالْمُتَحَفِّفَةُ﴾**، وهي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يختنون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، **﴿وَالْمَوْفُؤَةُ﴾** هي المقتولة بالخشب، قال قتادة: كانوا يضربونها بالعصا فإذا ماتت أكلوها، **﴿وَالْمُرْدِيَةُ﴾**، هي التي تتردى من مكان عالٍ أو في بئر فتموت، **﴿وَالنَّطِيعَةُ﴾**، هي التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التانيث تدخل في الفاعل إذا كان بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عين كحيل وكفٌ خَصِيْبٌ، فإذا حذف الاسم وأفردت الصفة، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيله وخصيبة، وهنا أدخل الهاء لأنه لم يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يذَر أنها صفة مؤنث أم مذكر، ومثله الذبيحة والنسيكة، وأكيلة السبع **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾**، يريد ما بقي مما أكل السبع، وكان أهل الجاهلية يأكلونه، **﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾**، يعني: إلا ما أدرتكم ذكاته من هذه الأشياء.

وأصل التذكية الإتمام، يقال: ذَكَّيْتُ النَّارَ إِذَا أَتَمَمْتُ اشْعَالَهَا، والمراد هنا: إتمام فري الأوداج وإنهَارَ الدَّمِ.

لأن المصادر أكثرها على فعلان، بفتح العين مثل الضربان والسيلان والنسلان ونحوها، **﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ﴾**، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستثناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: لا يحملتكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديدية، وكان الصدُّ قد

تقدم، **﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾** عليهم بالقتل وأخذ الأموال، **﴿وَمَا أَوْفُوا﴾**، أي: ليعين بعضكم بعضاً، **﴿عَلَّ الْبِرِّ وَالْقَوَى﴾**، قيل: البر متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السنة، **﴿وَلَا تَعَاوَا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الزبير القرشي أنا الحسن بن علي بن عفان أنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نغير بن مالك الحضرمي عن أبيه عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْتَةُ وَاللَّمُ وَاللَّمُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهَا أَيْمَانٌ وَلَا عَهْدٌ وَالْمُتَحَفِّفَةُ وَالْمَوْفُؤَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُكِيَ مِنْهُ إِلَّا مَا أَكَلِ السَّبْعُ وَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْيَوْمِ بَيِّنَاتٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَآخِشُوا يَوْمَ آكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَلْزِمُكَ مَاذَا أَهْلُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا أَيْمَانٌ وَلَا عَهْدٌ وَمَا عَدَّكُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ مُكَلِّبِينَ تَعْمَلُونَ بِمَا عَدَّكُمْ اللَّهُ فَكُلُوا مِنْ مِمَّا سَكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَقُولُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ الْيَوْمِ أَهْلُ لَكُمْ الْقَلْبِيبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ جَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ جَلَّ لَكُمْ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ إِذَا آتَيْنَهُنَّ مِنْ أُجُورِهِنَّ مُحْصَيْنِينَ غَيْرَ مُسَيِّئِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَعْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِبْرَةِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٩﴾

[التوبة: ٢٨]، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن كافر بالهدي والقلاقد.

قوله عز وجل: **﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾**، أي: من إحرامكم، **﴿فَأَسْطَلُوا﴾**، أمر بإباحة، أباح للحلال أخذ الصيد؛ كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** [الجمعة: ١٠].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: لا يحملتكم، يقال: جرمني فلان على أن صنعتُ كذا، أي: حملني، وقال الفراء: لا يكسبكنم، يقال: جرم أي: كَسَبَ فَلَانٌ جَرِيمَةَ أَهْلِهِ، أي: كاسبهم، وقيل: لا يدعونكم، **﴿شَتَّانَ قَوْمٍ﴾**، أي: بغضهم وعداوتهم، وهو مصدر شنتت، قرأ ابن عامر وأبو بكر **﴿شَتَّانَ قَوْمٍ﴾** بسكون النون الأولى، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان، والفتح أجود،

فمن خرج عليه فلدغ العقل حمله، وإن خرج الغفل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب، فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرّمه، وقال: ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾، قال سعيد بن جبير: الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها، وقال مجاهد: هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها، وقال الشعبي وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعمم، وقال سفيان بن وكيع: هي الشطرنج، وروى أن النبي ﷺ قال: «الْعِيَافَةُ وَالطَّرِيقُ وَالطَّيْرَةُ مِنَ الْجَنِّبِ»، والمراد من الطَّرِيق: الضَّرْبُ بالحصى.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخيراً أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا فضل الكندي أخيراً الحسن بن داود الخشاب أنا سويد بن سعيد أنا أبو المختار عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَسْقَمَ أَوْ تَطَيَّرَ طَيْرَةً تَرَدَّدَ عَنْ سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

﴿الْيَوْمَ يَمَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، يعني: أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطعمون في عهد المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام يتسوا، ويشس وأيس بمعنى واحد.

﴿فَلَا تَحْسَبُوهُمْ كَآخِشِينَ الْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتُمْ عَلَيْكُمْ وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ دِينًا﴾، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء، فكادت

ويذبحون لها، وليست هي بأصنام وإنما الأصنام هي المصوّرة المنقوشة، وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة، ومعناه: ما ذبح على اسم النصب، قال ابن زيد: وما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به: هما واحد، قال قطرب: على بمعنى اللام، أي: وما ذبح لأجل النصب.

﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِحُوا بِالْأَزْلَمِ﴾، أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم، والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القِداح التي لا ريش لها ولا نضل، واجدها: زَلَمٌ، وزَلْمٌ، بفتح الزاي وضمتها وكانت أزلامهم سبعة قِداح مستوية من شوحط، يكون عند سادين الكعبة، مكتوب على واحد: نعم، وعلى واحد: لا، وعلى واحد: منكم، وعلى واحد: من غيركم، وعلى واحد: مُلْصِقٌ، وعلى واحد: العقل، وواحد غُفْلٌ ليس عليه شيء، وكانوا إذا أرادوا أمراً من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره، أو تدارؤوا في نسب أو اختلفوا في تحمل عقل جاؤوا إلى غبل، وكان أعظم أصنام قريش بمكة، وجاؤوا بمائة درهم أعطوها صاحب القِداح حتى يُجِيلَ القِداح، ويقولون: يا إلهنا أردنا كذا وكذا، فإن خرج نعم، فعلوا، وإن خرج لا، لم يفعلوا ذلك حولاً، ثم عادوا إلى القِداح ثانية، فإذا أجالوا على نسب، فإن خرج منكم كان وسطاً بينهم، وإن خرج من غيركم كان حليفاً، وإن خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف، وإذا اختلفوا في عقل

قال النبي ﷺ: «مَا أَنهَرَ الدَّمَ وَذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُّ غَيْرِ السَّنِ وَالظَّفَرِ».

وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم وكمانه أن يقطع الودجين معهما، ويجوز بكل مُحَدَّد يقطع من حديد أو قصب أو زجاج أو حجر إلا السن والظفر، لنهي النبي ﷺ عن الذبح بهما، وإنما يحل ما ذكّيته بعدما جرحه السبع أو أكل شيئاً منه إذا أدركته والحياة فيه مستقرة فذبحته، فأما ما صار بجرح السبع إلى حالة المذبوح، فهو في حكم الميتة، فلا يكون حلالاً وإن ذبحته، وكذلك المترددة والتطيحة إذا أدركتها حية قبل أن تصير إلى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالاً، ولو رمي إلى صيد في الهواء فأصابه فسقط على الأرض فمات كان حلالاً، لأن الوقوع على الأرض من ضرورته، فإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل، وهو من المترددة إلا أن يكون السهم أصاب مذبحة في الهواء فيحل كيف ما وقع، لأن الذبح قد حصل بإصابة السهم المذبوح.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾، قيل: النصب جمع، واحده نصاب، وقيل: هو واحد وجمعه أنصاب مثل عنق وأعناق، وهو الشيء المنسوب.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد وقتادة: كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجراً منصوبة، كان أهل الجاهلية يعبدونها ويُعظمونها

عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثني الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون أنا أبو العُميس أنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: «يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: آية آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا».

قال ابن عباس: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد: جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟ فقال: أباكاني أتأ كتنا في زيادة من ديننا، فأنا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: «صدقت».

وكانت هذه الآية نعي النبي ﷺ وعاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع

الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وقيل: توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكانت هجرته في الثاني عشر.

قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والخُلود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلالاً ولا حراماً، ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الرُّبَا نزلت بعدها، وقال سعد بن جبيرة وقتادة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك.

وقيل: أظهرت دينكم وأتممتكم من العدو.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، يعني: أنجزت وعدي في قوله: ﴿وَاللَّيْمَةُ لِيَعْتَبُرَ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجّوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. سمعت عبد الواحد المليحي

قال: سمعت أبا محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا بكر النيسابوري سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن المسيب المرزوي، سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، سمعت عبد الملك بن مسلمة أبا مروان المصري سمعت إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر رضي الله عنه سمعت عمي محمد بن المنكدر، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يُصليحه إلا السخاء وحُسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه».

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَضَلَّ فِي مَحْصَةِ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمحصاة خلوة البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاوراً خاويًا، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ﴾، أي: مائل إلى إثم وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قتادة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المرزوي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيد القاسم بن سلام أنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي واقد الليثي، أن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نكون بالأرض فتصيبنا بها المخصصة فمتى نحل لنا الميتة؟ فقال: «ما لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تختفتوا بها بقلأ فشانكم بها».

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبيرة: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا

منها؟ فنزلت هذه الآية .

وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، فلما نزلت أُذِنَ رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يُنتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط»، والأول أصح في سبب نزول هذه الآية.

«قُلْ أِحِلُّ لَكُمْ اللَّيْتُ»، يعني: اللذائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ»، يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح.

واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن يُدرِك ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم،

فَيَحِلُّ صَيْدُ جَمِيعِهَا، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، «مُكَلَّبِينَ»، والمُكَلَّبُ الذي يغري الكلاب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً: مُكَلَّب، والكلاب: صاحب الكلاب، ويقال للصادد بها أيضاً كلاب، ونصب مكَلَّبين على الحال، أي: في حال تكليبيكم هذه الجوارح أي إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد، «تَمَيُّؤُنَ»، تؤذبونهن آداب أخذ الصيد، «بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ»، أي: من العلم الذي علمكم الله، قال السدي: أي: كما علمكم الله، «من» بمعنى الكاف، «كَلَّوْا بِمَا أَسَكَّتْ عَلَيْكُمْ»، أراد أن الجارحة المعلمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالاً، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء: إذا أشليت استشلت، وإذا زجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مراراً وأقلها ثلاث مرات كانت معلمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا ثابت بن زيد عن عاصم عن الشعبي عن عدي بن حاتم: عن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك وقتل فكل،

وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن فلا تأكل فإنك لا تدري أيها قتل، وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل، وإن وقع في الماء فلا تأكل».

واختلفوا فيما إذا أخذت الصيد وأكلت منه شيئاً: فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه، روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول عطية وطاووس والشعبي، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي لقوله ﷺ: «وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه».

ورخص بعضهم في أكله روي ذلك عن ابن عمر وسليمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص، وبه قال مالك: لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله تعالى فكل وإن أكل منه».

أما غير المعلم من الجوارح إذا أخذ صيدا أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل فلا يكون حلالاً إلا أن يدركه صاحبه حياً فيذبحه، فيكون حلالاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن يزيد أنا حيوة أخبرتني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن أبي إدريس عن أبي ثعلبة الخشني قال: قلت: يا نبي الله إنا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في

آيتهم، وبأرض صيد أصيد بقوسي ويكليبي الذي ليس بمعلم، ويكليبي المعلم فما يصلح لي؟ قال: «أما ما ذكرت من آتية أهل الكتاب، فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صيدت بقوسك فذكرت اسم اللب عليه فكل، وما صيدت بكليك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صيدت بكليك غير المعلم فأدرت ذكاته فكل».

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، ففيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما يُرسل الجارحة أو السهم.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علويه الجوهري قال: أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن الأثرم المقري بالبصرة حدثنا عمر بن شيبه أنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: ضحى رسول الله ﷺ بكيشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، قال: رأيتاه واضعاً قدمه على صفاجهما ويذبحهما بيده ويقول: «بسم الله والله أكبر».

قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْبَهِيمَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عز وجل، ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلًّا لَكُمْ﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي

محمد ﷺ حلالاً لكم، فأما من دخل في دينهم بعد مبعث محمد ﷺ فلا تحل ذبيحته، ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه، قال عمر: لا يحل وهو قول ربيعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يحل وهو قول الشعبي وعطاء والزهري ومكحول، سئل الشعبي ومكحول عن النصراني يذبح باسم المسيح، قالوا: يحل فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون، وقال الحسن: إذا ذبح اليهودي أو النصراني فذكر اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكله فإذا غاب عنك فكل فقد أحل الله لك.

قوله عز وجل: ﴿وَطَعَامَكُمْ حِلًّا لَكُمْ﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الجل مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلالاً لكم أن تطعموهم حراماً عليكم أن تزوجوهم.

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّحْضَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّحْضَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: ﴿وَطَعَامَكُمْ حِلًّا لَكُمْ﴾.

اختلفوا في معنى ﴿وَاللَّحْضَنَاتُ﴾، فذكر أكثر العلماء إلى أن المراد منهن الحرائر، وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال

هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية؛ لقوله تعالى: ﴿فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [النساء: ٢٥]، يجوز نكاح الأمة بشرط أن تكون الأمة مؤمنة، وجوز أكثرهم نكاح الأمة الكتابية الحربية، وقال ابن عباس: لا يجوز وقراً ﴿فَتِلْكَ الْأَيُّمُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَبِيرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعطها فلا يحل لنا نساؤه.

وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفائف من الفريقيين حرائر كن أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة.

﴿إِذَا أَتَيْنَهُنَّ أُحْرَهُنَّ﴾ أي: مهورهن ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَوِّجَاتٍ﴾، غير مُعالنات بالزنا، ﴿وَلَا مُنْجَذِي أَخْدَانٍ﴾، أي: غير مُسرتين بالزنا، قال الزجاج: حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحلّه على جهة الإحصان وهو التزوج.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان المسلمين إتيانهم بالذي يخرجهم من الكفر أو يغني عنهم شيئاً وهي للناس عامة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

يَنْ لِكَلْبِيْنَ»، قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾، أي: بالله الذي يجب الإيمان به.

وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال مقاتل: بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: ومن يكفر بالإيمان، أي: يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال ابن عباس: خسر الثواب.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت القراءة.

وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أن المراد من الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ وأنتم على غير طهر، قال النبي ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان أنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ صَلَاةً بَوْضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ.

وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم.

وقال بعضهم: هو أمر على طريق التذنب، ندب لمن قام إلى الصلاة أن يجتهد لها طهارته وإن كان على طهر، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ».

وروي عن عبد الله بن حنظلة بن عامر «أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة».

وقال بعضهم: هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل: بفعل: بفعل الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة، أخبرنا أبو القاسم الحنفي أنا أبو الحارث الظاهري أنا الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه أنا صدقة أنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمع سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط فأتني بطعام فقيل له: ألا تتوضأ؟ فقال: «لم؟ أصل فاتوضأ؟».

قوله عز وجل: ﴿فَاعْبَسُوا﴾

سورة المائدة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَرُحِمَ رَبِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ وَأَذْكُرُوا بِغِنَى اللَّهِ أَنَّىٰ يُغْنِيكُمْ وَأَنَّكُمْ بِهِ رَاغِبُونَ فَلَمَّا سَأَلْتُمْ سَاعِدًا فَأَقْبَأَ اللَّهُ إِلَهُكُمْ عَلَيْهِ يَذَّابِ الضُّمُورِ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا وَمِنْ اللَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُنَّ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَدْلُوا أَعَدِلُوا أَوْ أَقْرَبَ لِلْقَوِيِّ وَأَقْبَأَ اللَّهُ إِلَهُكُمْ حِينَ جَاءَكُمْ تَمَلُّوكُمْ ﴿٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَدَمُوا الصَّلَاةَ كُفُورًا وَمِنْ عَظِيمِ

١٧٨

وُجُوهَكُمْ»، وحذ الوجه من متابيت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً وما بين الأذنين عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء، ويجب أيضاً إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والشارب واللحار والعنقفة وإن كانت كثيفة، وأما العارض واللحية فإن كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل باطنها في الوضوء، بل يجب غسل ظاهرها، وهل يجب إمرار الماء على ظهرها ما استرسل من اللحية عن الذقن؟ فيه قولان:

أحدهما: لا يجب وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسح عليه، كذلك النازل عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله.

والقول الثاني: يجب إمرار الماء على ظاهره، لأن الله تعالى أمر بغسل الوجه، والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو، ويقال في اللغة: بقل وجه فلان وخرج وجهه: إذا نبت لحيته.

قول تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْمَرْفَاقِ﴾، أي: مع المرافق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: مع أموالكم، وقال: ﴿مَنْ أَنْكَرَ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، الصف: ١٤]، أي: مع الله.

وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفي الرُّجُل يجب غسل الكعبين، وقال الشعبي ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين والكعبين في اليد والرُّجُل لأن حرف «إلى» للغاية والحدّ، فلا يدخل في المحدود.

قلنا: ليس هذا بحدّ ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا، وقيل: الشيء إذا حدّ إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا حدّ إلى غير جنسه لا يدخل؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْتُوا كَيْبَتَكُمْ إِلَى آيَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٧]، لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الرأس، فقال مالك: يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمّم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس، وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يُطلق عليه اسم المسح. واحتج من أجاز مسح بعض

الرأس بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن عليّ عن أيوب السختياني عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة: «أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وحُفْيِهِ». فأجاز بعض أهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث، وبه قال الأوزاعي وأحمد وإسحاق ولم يُجَوِّز أكثر أهل العلم المسح على العمامة بدلاً من مسح الرأس، وقالوا: في حديث المغيرة إن فرض المسح سقط عنه بمسح الناصية، وفيه دليل على أن مسح جميع الرأس غير واجب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرْبُطَكُمْ إِلَى الْكُمْبَيْنِ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص ﴿وَأَرْبُطَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأ الآخرون: «وأرْبِطْكُمْ» بالخفض، فمن قرأ ﴿وَأَرْبُطَكُمْ﴾ بالنصب فيكون عطفاً على قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه يمسح على الرجلين، ورؤي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسّلتان ومسحتان، ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة، وقال الشعبي: نزل جبريل بالمسح وقال: ألا ترى المتيمّم يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً.

وقال محمد بن جرير الطبري: يتخيّر المتوضّئ بين المسح على

الخفين وبين غسل الرجلين.

وذهب عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا: خفض اللّام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [هود: ٢٦]، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جُحِرُ ضِبِّ خَرِبٍ، فالخرب نعت للجر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة، والدليل على وجوب غسل الرجلين ما:

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي الخطيب أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب أنا يحيى بن محمد بن يحيى أنا الحجبي ومسدد قالوا: أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: تخلّف عنّا رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركناه وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته: «وَيْلٌ لِّلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان أنا عبد الله أنا معمر حدثني الزهري عن عطاء بن يزيد عن حمران مولى عثمان قال: رأيت عثمان رضي الله عنه توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم

غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

وقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿وَأَرْبَطَكُمْ﴾ المسح على الخفين كما زوي أن النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه. وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، يُقال: قبّل فلان رأس الأمير ويده، وإن كانت العمامة على رأسه ويده في كفه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كنث مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: «أمعك ماء»، فقلت: نعم، فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل، ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه، ثم مسح برأسه، ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»، فمسح عليهما. قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾،

والكعبان هما العظامان الناتئان من جانبي القدمين، وهما مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين.

وفرائض الوضوء: غسل الأعضاء الثلاثة كما ذكر الله تعالى، ومسح الرأس، واختلف أهل العلم في وجوب النيّة: فذهب أكثرهم إلى وجوبها لأن الوضوء عبادة تفقّر إلى النيّة كسائر العبادات، وذهب بعضهم إلى أنها غير واجبة وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

واختلفوا في وجوب الترتيب وهو أن يغسل أعضاءه على الولاة كما ذكر الله تبارك وتعالى: فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله، ويروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واحتج الشافعي بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْغَرَ وَالْكَبْرَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وبدأ النبي ﷺ بالصفاء، وقال: «بدأ بما بدأ الله به»، وكذلك ههنا بدأ الله تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا أن نبدأ فعلاً بما بدأ الله تعالى به ذكراً.

وذهب جماعة إلى أن الترتيب ستة، وقالوا: الواووات المذكورة في الآية للجمع لا للترتيب؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية، واتفقوا على أنه لا تجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات إلى أهل السهمان، ومن أوجب الترتيب أجاب بأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ أنه راعى الترتيب بين أهل

السهمان، وفي الوضوء لم ينقل أنه توضأ إلا مرتباً كما ذكر الله تعالى، وبيان الكتاب يُؤخذ من السنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْزَيْتُ مَآسُورًا آرْكَعًا وَاسْجُدًا﴾ [الحج: ٧٧]، لما قدم ذكر الركوع على السجود، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه فعل إلا كذلك فكان مراعاة الترتيب فيه واجباً، كذلك الترتيب ههنا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، أي: اغتسلوا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أن زاهراً بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله».

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْمَعًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَآئِطِ أَوْ لَفَسْتُمْ إِتْسَاءً فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ﴾، فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب، ﴿مَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم، ﴿وَمَنْ حَرَجَ﴾: ضيق، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرْكُمْ﴾، من الأحداث والجنابات والذنوب، ﴿وَلِيُتِمَّ بِكُمْ حَقَّكُمْ﴾. قال محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا فِيهِمْ أَخِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
نَقَضْتُمْ بَيْعَتَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يَجْرِفُونَ كَلِمَةً بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ وَكُنَّا مُخَاطِبِينَ
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِفِينَ مِنْهُمْ إِلَّا جِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

يوماً فجاءه المؤذن فأذنه
بصلاة العصر فدعا بماء
فتوضأ، ثم قال: والله
لاحدثنكم حديثاً لولا آية
في كتاب الله ما
حدثنكموه، ثم قال: إني
سمعتُ رسول الله ﷺ
يقول: «ما من امرئ
مسلم يتوضأ فيحسن
وضوءه ثم يُصلي الصلاة
إلا غفر له ما بينه وبين
الصلاة الأخرى حتى
يصلبها»، قال مالك: أراه
يريد هذه الآية: ﴿وَأَقْرِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٧
١٧]

وقال عروة: الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
مَا أُنزِلَنَا مِنْ آيَاتِنَا وَالْمَكِيدِي﴾ [البقرة: ١٥٩].

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
أحمد بن عبد الله النعيمي أنا
محمد بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث
عن خالد عن سعيد بن [أبي] هلال
عن نعيم المجرم قال: رقيت مع أبي
هريرة رضي الله عنه على ظهر سطح
المسجد، فتوضأ قال: إني سمعتُ
رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي
يُدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ
آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُطِيلَ
مِنْكُمْ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: النعم
كلها، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ﴾،
عهده الذي عاهدكم به أيها
المؤمنون، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا

الخطايا بالوضوء؛ كما قال الله
تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فجعل تمام
نعمته غفران ذنوبه.

أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن
محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن
أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم
أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن
هشام بن عروة عن أبيه عن حمزان:
أن عثمان توضأ بالمقاعد ثلاثاً ثلاثاً،
ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ
يقول: «من توضأ وضوئي هذا
خرجت خطاياهم من وجهه ويديه
ورجليه».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي
أنا أبو مصعب عن مالك عن
هشام بن عروة عن أبيه عن حمزان
مولي عثمان: أن عثمان بن عفان
رضي الله عنه جلس على المقاعد

وَأَمَلْنَا﴾، وذلك حين بايعوا
رسول الله ﷺ على السمع والطاعة
وفيما أحبوا وكرهوا، وهو قول أكثر
المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل:
يعني الميثاق الذي أخذ عليهم حين
أخرجهم من صلب آدم عليه السلام،
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير
وشر.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّيِمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ
بِالْعَدْلِ قَوْلِ الْبَالِغِينَ بِالصَّدَقِ، أَمْرُهُمْ
بِالْعَدْلِ وَالصَّدَقِ فِي أَعْمَالِهِمْ
وَأَقْوَالِهِمْ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
يَحْمِلَنَّكُمْ، ﴿شَتَاؤُنَ قَوْلِهِمْ، وَغَضُ
قَوْمِهِمْ، ﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا﴾،
أي: على ترك العدل فيهم
لعداوتهم. ثم قال: ﴿أَعْدِلُوا﴾،
يعني: في أولياتكم وأعدائكم، ﴿هُوَ
أَقْرَبُ لِلْقَوَّيِمِينَ﴾، يعني: إلى التقوى،
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾، وهذا في موضع النصب،
لأن فعل الوعد واقع على المغفرة
ورفعها على تقدير، أي: وقال لهم:
مغفرة وأجر عظيم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، بالدفع
عنكم، ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ﴾، بالقتل.

قال قتادة: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ يبطن نخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يقتكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة، فأطلع الله تبارك وتعالى نبيه على ذلك، وأنزل الله صلاة الخوف.

وقال الحسن: كان النبي ﷺ محاصراً غطفان بنخل، فقال رجل من المشركين: هل لكم في أن أقتل محمداً؟ قالوا: وكيف تقتله؟ قال: أفنك به، قالوا: وددنا أنك قد فعلت ذلك، فأتى النبي ﷺ، والنبي ﷺ متقلد سيفه، فقال: يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف، وينظر مرة إلى السيف ومرة إلى النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني يا محمداً؟ قال: «الله»، فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فشام السيف ومضى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار عن رجاله: بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة، في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة، فخرجوا فلحقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، أحدهم عمرو بن أمية الضمري، فلم يرعهم إلا الطير تحرم في السماء تسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا ثم تولّى يشتد حتى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطته

الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه، وقال: الله أكبر الجنة ورب العالمين، فرجع صاحبه فلقيا رجلين من بني سليم، وكان بين النبي ﷺ وبين قومهما مودة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلها فقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية، فخرج معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات، قالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسلأنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألته، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحي عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده وجاء جبريل وأخبره، فخرج النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة ثم دعا علياً فقال: لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من أصحابي فسالك عني قتل: توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي رضي الله عنه حتى تناهوا إليه ثم تبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

١٢ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَوَعَدْنَا مَنَّهُمْ آثِقَ عَهْدٍ قَبِيحًا﴾، وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسيز إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة، وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان، وقال: يا موسى إنني كتبتها لكم داراً وقراراً فأخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فهزمني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به، فاختر موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء، فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله. ويروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتني عوج، وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يدي موسى عليه السلام، وذلك أنه جاء وقلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام، وكان فرسخاً في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقوز الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه

وَيَوْمَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُبُ أَخَذْنَا مِنْهُمُ
فَسَاوِ حَطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنْفِقُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُ أَعْيُنَ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٢﴾ يَهْدِي بِرَأْسِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ بِضِرَافِ
سُؤْلِ السُّؤْلِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٣﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مِن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ شَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا يَبِينُهُمَا يُتْلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾

وقال بعضهم لبعض: يا قوم، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ﷺ ولكن اكنتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، ثم أنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا رجلاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتدأ الكلام فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمْ الْقِسْمَةَ﴾، يا معشر بني إسرائيل، ﴿وَأَتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، نصرتموهم، وقيل: ووقرتموهم وعظمتموهم، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قيل: هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، لأمحون عنكم سيئاتكم، ﴿وَأُعَذِّبَنَّكُمْ بِجَنَّتِكُمْ بَلَّغْتَ مِنَ قَبْضَتِي مَا أَنتَ بِتَعْلَمُ﴾، ذلك ينصركم فقد صدق سواء السبيل، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

﴿فِيمَا نَقُضُوا﴾، أي: فبنقضهم، و﴿مَا صَلَاةٌ﴾، قال قتادة: نقضوه من

فصرعته، فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله، وكانت أمه عنق إحدى بنات آدم وكان مجلسها جريباً من الأرض، فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة من حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها وقال: ألا أظنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك.

وروي: أنه جعلهم في كتمه وأتى بهم إلى الملك فطرحهم بين يديه، فقال الملك: ارجعوا فأخبروهم بما رأيتم، وكان لا يحمل عنقوداً من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبها خمسة أنفس، فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم،

﴿يُخْرِفُونَ الْكَلِمَةَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾، قيل: هو تبديلهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء التأويل، ﴿وَسَوَّأُوا حَطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾، يا محمد، ﴿تَتَلَوَّعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾، أي: على خيانتهم، فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية، وقيل: هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية ونسابة وعلامة وحساب، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾، أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمم بقتله وسمه، ونحوهما من خيانتهم التي ظهرت منهم، ﴿لَا قِيلًا مِنْهُمْ﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين

أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فَأَمَفَ عَلَيْهِمُ وَأَمَفَحَ﴾، أي: أعرض عنهم ولا تتعرض لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿١٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُهُمْ أَهْدَانَا مِيثَاقَهُمْ﴾، قيل: أراد بهم اليهود والنصارى فافتقروا بذكر أحدهما، والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة، ﴿فَتَسُوا حَقًّا سَمَا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، بالاهواء المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة: يعني بين اليهود والنصارى، وقال قوم: هم النصارى وحدهم صاروا فرقا منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الأخرى، ﴿وَسَوْفَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ يَمَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأَخَذَ الْكِتَابَ﴾، يريد يا أهل الكتابين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، ﴿وَيَقُولُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم ولا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾، يعني: محمداً ﷺ.

وقيل: الإسلام، ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: بين، وقيل: مبين وهو القرآن.

﴿١٦﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانًا﴾، رضاه، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، قيل: السلام هو الله عز وجل وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاز واللذافة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من ظلمات

الكفر إلى نور الإيمان، ﴿يُذَوِّبُهُمْ﴾، بتوفيقه وهدايته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً إذا قضاه؟ ﴿إِذْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَ بَشَرٍ وَمَنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا أَذْرَاءَكُمْ يَعْصَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَهُ وَجَعَلَ لَكُمُ مَلُوكًا وَإِنَّا نَكُنُّمُ مَالِكٌ يُدَبِّرُ الْآمَنِينَ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْبُرْجَاءُ فَادْعُوا أَوْلِيَاءَكُمْ بِالْحُسْنَىٰ فَهُمْ أَوَّلَىٰ لَكُم مَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَنْتُمْ فِيكُمْ وَأُولُوا آبَائِكُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ أَنتُمْ بِأَعْيُنِنَا إِنَّا جَاعِلٌ لِلْإِيمَانِ أَجْرًا كَثِيرًا لِّمَن يَخْشَى اللَّهَ يَوْمَ يُخْرِجُنَا مِنْهُمُ الَّذِينَ ظَنَنُوا أَنَّ آبَاءَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ إِذْ حَقَّتْ وَفَاةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا أَذْخَلُوا فِي الْكِتَابِ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾

في التوراة يا أبناء أبحاري، فبدلوا يا أبناء أبحاري، فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناءه وأحباؤه فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلم يعذبكم، أي: لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قرده وخنزير؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَ بَشَرٍ خَلَقْنَا﴾، كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ﴾، فضلاً، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ عدلاً، ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿يَتَأَخَذَ الْكِتَابَ﴾، محمد ﷺ، جَاءَكُمْ رَسُولُنَا، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: يعرض عن كثير مما أخفيتم ولا يتعرض له ولا يؤاخذكم به، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾، يعني: محمداً ﷺ.

﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أعلام الهدى وشرائع الدين، ﴿عَلَىٰ قَعْرٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾، أي: على انقطاع من الرسل.

واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، قال قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقال معمر والكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، وسُمِّيَتْ فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ. ﴿أَن تَقُولُوا﴾، كيلا تقولوا، ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَلَا قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾، أي: منكم أنبياء، ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدم وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم. وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً».

وقال أبو عبد الرحمن الحُبلي: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، سأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

قال السدي: وجعلكم ملوكاً أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم. قال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جار فهو ملك. ﴿وَمَا آتَاكُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن والسلوى والخبز وتظليل الغمام.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿يَقَوِّمُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، اختلفوا في الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيلينا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباد.

قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن، وقال ابن إسحاق: وهب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، وقال السدي: أمركم الله بدخولها، وقال قتادة: أمروا بها كما أمروا بالصلاة، أي: قرَضَ عليكم. ﴿وَلَا تَزِدُوا عَلَيْهِمْ أَعْدَاءِكُمْ﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له: انظر ما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكنتموا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفسلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلاً وقياً بما قال لهم موسى، أحدهما يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فتى موسى، والآخر كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام على أخته مريم بنت عمران، وكان من سبط يهودا وهما النقباء فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا في أرض مصر، ولئيتنا نموت في هذه البرية ولا يَدْخُلَنَا اللهُ أَرْضَهُمْ فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى أخباراً عنهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، وأصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يُقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسُمِّيَ أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهُمُوا بالانصراف إلى مصر خُرِّ موسى وهارون عليهما السلام

قَالُوا لِمَ نَدْعُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذَهَبَ
 أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَوَدُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٩﴾
 ﴿٢٠﴾ وَأَتَى عَلَيْهِمْ تَبَأُ ابْنِي مَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
 فَتَضَلَّ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يَتَّخِلُ مِنَ الْآخِرِ قَالُوا لَقَدْ كُنَّا
 قَالًا لِمَا يَتَّخِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُفْسِقِينَ ﴿٢١﴾ لَمَّا سَطَّتْ لَكَ يَدُكَ
 لِيَتَّقَى مَا أَنَا بِسَاطِطِي يَدِي إِلَيْكَ لَا تَقْلَقْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ لِإِيْمَانِي وَإِيمَانِكَ فَكُونْ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ فَطَوَّعَتْ
 لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾
 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَدِّي
 سُوءَةَ أَخِيهِ قَالُوا يَتَوَلَّى وَاعْتَرَجَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 الْغُرَابِ فَأَدْرَى سُوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢٥﴾

وجبه وسره ما قال . فلما
 فعلت بنو إسرائيل ما
 فعلت من مخالفتهم أمر
 ربهم وهمهم بيوشع
 وكالب غضب موسى عليه
 السلام ودعا عليهم :
 ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا
 أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ،
 قيل معناه : وأخي لا
 يملك إلا نفسه ، وقيل :
 معناه لا يطعني إلا نفسي
 وأخسي ، ﴿١٨﴾ فَافْرِقْ ،
 فافصل ، ﴿١٩﴾ بَيْنَنَا ،
 فاقض بيننا ، وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ، العاصين .
 ﴿٢٠﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

ساجدين ، وخرق يوشع وكالب
 ثيابهما وهما اللذان أخبر الله تعالى
 عنهما في قوله تعالى :
 ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
 يَخَافُونَ ، أي : يخافون الله
 تعالى ، قرأ سعيد بن جبير
 ﴿يَخَافُونَ﴾ بضم الياء ، وقال :
 الرجلان كانا من الجبارين فأسلما
 وأتبعنا موسى ، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾
 بالتوفيق والعصمة ، قالا : ﴿أَخْلَوْا
 عَلَيْهِمُ الْبَابُ﴾ ، يعني : قرية
 الجبارين ، ﴿فَإِنَّا دَخَلْتُمُوها فَإِنَّكُمُ
 عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ﴾ ، لأن الله منجز وعده ، وإنا
 رأيناهم فكانت أجسادهم عظيمة
 وقلوبهم ضعيفة ، فلا تخشوهم ،
 ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ﴾ ، فأراد بشو إسرائيل أن
 يرجعوهما بالحجارة وعصرهما .
 ﴿٢١﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُهَا
 أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ
 فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَوَدُونَ .

وقيل : إن موسى وهارون عليهما
 السلام لم يكونا فيهم ، والأصح
 أنهما كانا فيهم . ولم يكن لهما عقوبة
 وإنما كانت العقوبة لأولئك القوم ،
 ومات في النية كل من دخلها ممن
 جاوز عشرين سنة غير يوشع
 وكالب ، ولم يدخل أريحاء أحد ممن
 قالوا : إنا لن ندخلها أبداً فلما هلكوا
 وانقضت الأربعون سنة ، ونشأت
 الجناشيء من ذراريهم ساروا إلى
 حرب الجبارين .

واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب
 وعلى يدي من كان الفتح ، فقال
 قوم : إنما فتح موسى أريحاء وكان
 يوشع على مقدمته ، فسار موسى
 عليه السلام إليهم بمن بقي من بني
 إسرائيل ، فدخلها يوشع وقاتل
 الجابرة ثم دخلها موسى عليه السلام
 فلأقام فيها ما شاء الله تعالى ، ثم
 قبضه الله تعالى إليه ، ولا يعلم قبره

﴿٢٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ لِإِيْمَانِي وَإِيمَانِكَ فَكُونْ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ .
 ﴿٢٣﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْكٰفِرِينَ .
 ﴿٢٤﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَدِّي سُوءَةَ أَخِيهِ قَالُوا يَتَوَلَّى وَاعْتَرَجَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَدْرَى سُوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ .
 ﴿٢٥﴾ الْغُرَابُ فَادْرَى سُوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ .
 ﴿٢٦﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ، قيل : لهما تم
 الكلام ومعناه تلك البلدة محرمة
 عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد ،
 وإنما أراد تحريم منع فأوحى الله
 تعالى إلى موسى : بي حلفت لأحرمن
 عليهم دخول الأرض المقدسة غير
 عبدي يوشع وكالب ، ولأتبهتهم في
 هذه البرية ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ، يتيهون
 مكان كل يوم من الأيام التي تجسّسوا
 فيها سنة ، ولألقين جيْفهم في هذه
 القفار ، وأما بنوهم الذين لم يعملوا
 الشر فدخلونها ، فذلك قوله تعالى :
 ﴿فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ،
 ﴿يَتِيهُونَ﴾ ، يتحيزون ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾
 فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، أي :
 لا تحزن على مثل هؤلاء القوم
 فلبثوا أربعين سنة في سته فراسخ وهم
 ستمائة ألف مقاتل ، وكانوا يسبرون
 كل يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في
 الموضع الذي ارتحلوا عنه .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
 أحمد بن عبد الله النعيمي أنا
 محمد بن يوسف أنا محمد بن
 إسماعيل أنا أبو نعيم أنا إسرائيل عن
 مخارق عن طارق بن شهاب قال :
 سمعت ابن مسعود يقول : لقد
 شهدت من المقداد بن الأسود
 مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي
 مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو
 يدعو على المشركين ، فقال : لا
 نقول كما قال قوم موسى عليه
 السلام : ﴿فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ
 فَقَتَلْنَا﴾ ، ولكننا نقاتل عن يمينك
 وعن شمالك وبين يديك ومن
 خلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق

أحد، وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن عوج بن عتق قتل موسى عليه السلام.

وقال الآخرون: إنما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى عليه السلام، وقالوا: مات موسى وهارون جميعاً في التيه.

قصة وفاة هارون

قال السدي: أوحى الله عز وجل إلى موسى أنني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم يُر مثلها وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك أعجبه، فقال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فتم عليه، فقال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي، قال له موسى: لا ترهب إني أكفيك أمر رب هذا البيت فتم، قال: يا موسى نم أنت معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد منيته قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده لحب بني إسرائيل له، فقال موسى عليه السلام: ويحكم كان أخي فكيف أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين، ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صدع موسى وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون وبقي موسى، فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلته، فأذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مزّوا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبزّاه الله تعالى ممّا قالوا، ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرحم، فجعله الله أصمّ وأبكم.

وقال عمرو بن ميمون: مات هارون قبل موت موسى عليه السلام في التيه، وكانا قد خرجا إلى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: قتلته لحبنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل، فتصرّع موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعته، فانطلق بهم إلى قبره فناداه موسى، فخرج من قبره ينفخ رأسه، فقال: أنا قتلثك؟ قال: لا ولكنني مت، قال: فعد إلى مضجعتك، وانصرفوا.

وأما وفاة موسى عليه السلام، قال ابن إسحاق: كان موسى عليه الصلاة والسلام قد كره الموت وأعظمه، فأراد الله أن يحبب إليه الموت، فنبأ يوشع بن نون وكان يغدو ويروح عليه، فيقول له موسى عليه السلام: يا نبي الله ما أحدث الله إليك؟ فيقول له يوشع: يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما

أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره؟ ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى ذلك موسى كره الحياة وأحب الموت.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال: أخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارث يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

وقال وهب: خرج موسى لبعض حاجته فمزّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه، ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، فقال:

إن هذا العبد من الله لهو بمنزلة ما رأيت كالأيوم مضجعاً قط، فقالت الملائكة: يا صفّي الله تحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك، قال: فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله تبارك وتعالى روحه، ثم سوت عليه الملائكة.

وقيل: إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه.

وكان عُمر موسى مائة وعشرين سنة، فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون سنة، بعث الله يوشع نبياً فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبابرة، فصدّقه وتابعوه فتوجه بني إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر، فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة، ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعوها، وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فقال: اللهم اردد الشمس عليّ، وقال للشمس: إنك في طاعة الله سبحانه وتعالى وأنا في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله تعالى قبل دخول السبت، فردت عليه الشمس وزيدت في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين، وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين

ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام، وصارت الشام كلها لبني إسرائيل وفرّق عماله في نواحيها وجمع الغنائم، فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع أن فيها غلواً فمزهم فليايعوك فابعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال: هلّم ما عندك فأناه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجواهر كان قد غلّه، فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان، ثم مات يوشع ودفن في جبل أفرائيم، وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة، وتدبيره أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾، وهما هابيل وقابيل، ويقال له قابين، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾، وكان سبب قربانهما على ما ذكره أهل العلم أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجارية، وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث، ثم بارك الله عزّ وجلّ في نسل آدم عليه السلام، قال ابن عباس: لم يمّت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً.

واختلفوا في مولد قابيل وهابيل، فقال بعضهم: غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة، فولدت له قابيل وتوأمته أقليما في بطن واحد، ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: أن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت فيها بقايل وتوأمته أقليما، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً حتى ولدتهما، ولم تر معهما دماً فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوحوم والوصب والمطلق والدم، وكان آدم إذا شبّ أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى، فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم، فلما ولد قابيل وتوأمته أقليما ثم هابيل وتوأمته لبودا، وكان بينهما ستان في قول الكلبي وأدركوا، أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قابيل لبودا أخت هابيل وينكح هابيل أقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال: هي أختي أنا أحق بها، ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض، فقال له أبوه: إنها لا تحلّ لك فأبى أن يقبل ذلك، وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدم عليه السلام: فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحقّ بها، وكانت القربانين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع، فخرجوا ليقربا قرباناً وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه

طلباً للشواب فكانه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾، أي: طأوعته وشايعته وعاونته، ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾ أي في قتل أخيه، وقال مجاهد: فشجعته، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له نفسه ذلك، أي: جعلته سهلاً، تقديره: صوّرت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله فلما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله، قال ابن جريج: فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر إليه فعلمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْمَلَكُوتِ﴾، وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة.

واختلفوا في موضع قتله، قيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فشوّد جسم القاتل وسأله آدم عليه السلام عن أخيه فقال: لم أكن عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك أسودّ جسدك، مكث آدم مائة سنة لم يضحك قط منذ قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، ﴿قَالَ﴾ هابيل: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿لَيْنًا بَسَطْتَ﴾، أي: مددت، ﴿إِنَّكَ يَدَّكَ لَيَقْتُلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلُكَ إِنَّهُ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، قال عبد الله بن عمر: وإثم الله إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ولكن منعه الترحح أن ييسط إلى أخيه يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلباً للأجر، كما

فعل عثمان رضي الله عنه، قال مجاهد: كتب عليهم في ذلك الوقت إذا أراد رجل قتل رجل أن لا يمتنع ويصبر.

﴿٣١﴾ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾، ترجع، وقيل: تحمل، ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾، أي: أي بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معاصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن تكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتنني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً، وقيل: معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم تقبل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك.

فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمك وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟ قيل: ذلك ليس بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطئن نفسه على الاستسلام

مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَأُولُوهُمُ مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَمَنْ قَاتَلَهُمْ فَهُمُ الْمَرْغُوبُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ آمَنُوا أُنقُوا لِلَّهِ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لِمَلِكِكُمْ قُلِيحُوتٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمْ مَقَابِلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيُقْتَلُوا وَيَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

١١٢

وأضمر في نفسه ما أبالي يقبل مني أم لا، لا يتزوج אחתי أبداً، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرّب به وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَقَبَّلَ مِنْ أَخِيهِمَا﴾، يعني هابيل ﴿وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الآخِرِ﴾، يعني: قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لردّ قربانه وكان يضمّر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت، فلما غاب آدم أتى قابيل وهابيل وهو في غنمه، ﴿قَالَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾، قال: ولم، قال: لأن الله تعالى قبل قربانك وردّ قرباني، وتنكح אחתי الحسنة وأنكح אחتك الدميمة، فيتحدث الناس أنك

على جبل ثور، وقيل: عند عقبة حراء، فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، وقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوماً، وقال ابن عباس: سنة، حتى أروح، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ويرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه، وقابيل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى:

﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سَوَاءَ أَخِي﴾، فلما رأى قابيل ذلك ﴿قَالَ يَتَوَلَّوْنَ أَصْحَابًا أَن أكونَ مَثَلَهُ هَذَا الْكُفْرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه كان قد سلب ثيابه، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، على حمله على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلعة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

قال عبدالمطلب بن عبد الله بن حنطب: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه الله: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيقاً، فقال الله تعالى: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم تلت أخاك؟ قال: فأين دمه إن كنت قتلته؟ فحزَمَ الله عزوجل على الأرض يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً.

وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما قتل قابيل هابيل وآدم عليه السلام بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه، وأضر الماء واغبرت الأرض، فقال آدم عليه السلام: قد حدث في الأرض حدث، فأنى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل، فأنشأ يقول وهو أول من قال الشعر:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهِا
فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مَغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغْيِيرُ كُلِّ ذِي وَلَوْنٍ طَعْمٌ
وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الصَّبِيحِ
وروي المليح.

وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال إن آدم عليه السلام قال شعراً فقد كذب، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء. ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فلما قال آدم مراثيه قال لثيث: يا بني إنك وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه، فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المراثية فردّ المقدم إلى المؤخر، والمؤخر إلى المقدم، ووزنه شعراً وزاد فيه أبيات منها:

وما لي لا أجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غمماً
فهل أنا من حيناتي مستريح
فلما مضى من عمر آدم عليه

السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنين ولدت له حواء شيئاً وتفسيره: هبة الله، يعني إنه خلف من هابيل. علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادة الخالق في كل ساعة منها، وأنزل عليه خمسين صحيفة فصار وصي آدم وولي عهده، وأما قابيل فقيل له: اذهب طريداً شريداً فرعاً مرعوباً لا تأمن من تراه، فأخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن، فاتاه إبليس فقال له: إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيتاً للنار فهو أول من عبد النار، وكان لا يميز به أحد إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ابن له، فقال ابنه: هذا أبوك قابيل، فرمى الأعمى أباه فقتله، فقال ابن الأعمى: قتلت أباك؟ فرفع يده فلطم ابنه، فمات فقال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.

وقال مجاهد: فعلقت إحدى رجلي قابيل إلى فخذهما وساقهما وعلقت من يوعئذ إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث ما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج.

قالوا: واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح عليه السلام، وبقي نسل شيث.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمه لأنه أول من سنَّ القتل».

﴿٣٢﴾ قوله عز وجل: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ﴾، قرأ أبو جعفر من أجل ذلك بكسر النون موصولاً وقراءة العامة بجزم النون، أي: من جراء ذلك القاتل وجنابته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذاً، ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، قتلها فيقاد منه، ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبياً أو إماماً عدلاً فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شدَّ عضد نبياً أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً.

قال مجاهد: من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلها لو قتل الناس جميعاً، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً.

قال قتادة: أعظم الله أجرها وعظم وزرها، معناه: من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل

الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، وتوزع عن قتلها، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، في الشواب لسلامتهم منه، قال الحسن: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، يعني: أنه يجب عليه من القصاص له بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي قلت للحسن: يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إني والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دماننا، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَارْتَقُوا أَصْلَابَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُرَوا﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾، الآية. قال الضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض.

وقال الكلبي: نزلت في قوم هلال بن عويمر، وذلك أن النبي ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج، فمَرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من أسلم من قوم هلال بن عويمر، ولم يكن هلال شاهداً فشدوا عليهم فقتلهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه

السلام بالقضاء فيهم. وقال سعيد بن جبير: نزلت في ناس من عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ أتوا النبي ﷺ وبايعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ نفر من عُكْلٍ فأسلموا واجتروا المدينة فامرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها والبأنها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَلَ أعينهم ثم لم يحسبهم حتى ماتوا.

ورواه أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فكلحهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا. قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

واختلفوا في حكم هؤلاء العرنيين، فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز، وقال بعضهم: حكمه ثابت إلا السمل والمثلة، وروى قتادة عن ابن سيرين

أن ذلك كان قبل أن ينزل الحد، وقال أبو الزناد: فلما فعل رسول الله ﷺ ذلك بهم أنزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد.

وعن قتادة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة.

وقال سليمان التيمي عن أنس: إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة.

وقال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبه لرسول الله ﷺ وتعليماً منه إياه عقوبتهم، وقال: إنما جزأهم هذا لا المثلة، ولذلك ما قام النبي ﷺ خطيباً إلا نهى عن المثلة.

واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد، فقال قوم: هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح على المسلمين، والمكابرون في الأمصار، وهو قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي رحمهم الله.

وقال قوم: هم المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذه الحدود، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب، والنفي كما هو ظاهر الآية، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد.

وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالاً نُفوا في الأرض.

وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى.

وإذا قتل قاطع الطريق يُقتل حتماً حتى لا يسقط بعفو ولي الدم، وإذا أخذ من المال نصيباً وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وإذا قتل وأخذ المال يُقتل ويُصلب.

واختلفوا في كفيته: فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يقتل ثم يصلب وقيل: يصلب حياً ثم يطعن حتى يموت مصلوباً، وهو قول الليث بن سعد، وقيل: يصلب ثلاثة أيام حياً ثم ينزل فيقتل، وإذا أخاف السبيل ينفي.

واختلفوا في النفي: فذهب قوم إلى أن الإمام يطلبه ففي كل بلدة يوجد ينفي عنه، وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز، وقيل: يطلب لتقام عليه الحدود، وهو قول ابن عباس والليث بن سعد، وبه قال

الشافعي، وقال أهل الكوفة: النفي هو الحبس، وهو نفي من الأرض، وقال محمد بن جرير: ينفي من بلده إلى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي إليه حتى تظهر توبته، قال مكحول: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجن، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلده فيؤذيهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من الحد، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ وَهُوَ فِي الْآيَاتِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَفْوٌ وَسِجْمٌ﴾، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل أن يظفر به الإمام تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فإن كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل، ويبقى عليه القصاص لولي القتل فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القطع والقتل والصلب، ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: إذا جاء تائباً قبل

واختلفوا في القدر الذي يقطع فيه، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار، فإن سرق ربع دينار أو متاعاً قيمته ربع دينار يقطع، وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي رحمهم الله، لما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن ابن شهاب عن عمرة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «القطع في ربع دينار فصاعداً».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم. ورؤي عن عثمان أنه قطع سارقاً في اثرتجة قومت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار.

وهذا قول مالك رحمه الله تعالى أنه يقطع في ثلاثة دراهم.

وذهب قوم إلى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم، ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال قوم: لا يقطع إلا في خمسة دراهم يروى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وبه قال ابن أبي ليلى.

إليه وجمعها وسائل، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَلَكُمْ تَقْلُوحٌ﴾ تليخيصه: امثلوا أمر الله تنجوا.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا كَفَرُوا لَقَاتَلُوا بِهٖ مِنْ عَدَابِ يَوْمِ أَلْقَيْنُوا مَا نُقِلَ مِنْهُمُ﴾، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ﴾، فيه وجهان، أحدهما: أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يُخْرِجُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٢٢]، والثاني: أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِيمٌ﴾.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، أراد به أيانهما، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وجملة الحكم: أن من سرق نصاباً من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ، ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم، حكى عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل، وعامة العلماء على خلافه

يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَتْ كَلَّا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ غَيْرُ حَرِيمٍ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا فَأَوْتَاهُمْ وَاذُنًا قُلُوبُهُمْ وَسَيَتَلَوَّنَ الَّذِينَ هَادُوا اسْمِعْتُمُ اللَّكْذِبِ سَمِعْتُمُ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَنْ يَأْتِيَكُمُ الْخَبْرُ مِنْ بَعْدِ مَا نَبِئْتُمُ بِشَيْءٍ يَكُونُونَ إِنْ أُوْتِيَْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِثْلَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْتَدِمْ فَلَوْتَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

القدرة عليه لا يكون لأحد عليه تبعة في دم ومال إلا أن يوجد معه مال يعينه فيرده إلى صاحبه.

وروي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان قد خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال، ثم جاء تائباً قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيرد إلى صاحبه أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها.

وقيل: كل عقوبة تجب حقاً لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبة بكل حال، والأكثر على أنها لا تسقط.

﴿٤٠﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتِغُواهُ، واطلبوا، ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي: القرية، فعيلة من توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أخبرني أبي أنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»، وقال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل، يرون أن منها ما يساوي ثلاثة دراهم.

ويحتج بهذا الحديث من يرى القطع في الشيء القليل، وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش، لحديث عائشة رضي الله عنها «وإذا سرق شيئاً من غير حرز كشمز في حائط لا حارس له أو حيوان في بركة لا حافظ له، أو متاع في بيت منقطع عن البيوت لا قطع عليه».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا قطع في ثمر مُعلق ولا في جريسة جبل، فإذا آواه الشراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن».

وروي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس على خائف ولا مثقب ولا مختلس قطع».

وإذا سرق مالا فيه شبهة كالعبد يسرق من مال سيده أو الولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من مال المشترك شيئاً: لا قطع عليه.

وإذا سرق السارق أول مرة تقطع

يده اليمنى من الكوع، ثم إذا سرق ثانياً تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم.

واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً: فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرق رابعاً تقطع رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده يعزر ويحبس حتى تظهر توبته، وهو المزوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول قتادة، وبه قال مالك والشافعي لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في السارق يسرق «إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله».

وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثاً بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع، بل يحبس، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: «إنني لأستحي أن لا أدع له يداً يستنجي بها ولا رجلاً يمشي بها»، وهو قول الشعبي والنخعي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي.

قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَسَبَا﴾، نصب على الحال والقطع، ومثله: ﴿تَكْلَافًا﴾، أي: عقوبة، ﴿وَيَنْ أَلَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾، أي: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العجل، ﴿فَرَكَ اللَّهُ يَدَيْهِ﴾، هذا فيما بينه وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته فإذا قطع حصلت

التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجنابة، كما قاله ﴿جَزَاءُ يَمَا كَسَبَا﴾، ولا بد من التوبة بعده، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه جرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائماً عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كما استرداد العين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لَمَّا مَلَكَ السَّكُونُ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل واحد من الناس، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي والكلبي: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من مات على كفره ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: الكبيرة، من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الضغيرة، ويغفر لمن يشاء على الكبيرة، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمُ الرَّسُولُ فِي الْكُفْرِ﴾، أي: في موالات الكفار فإنهم لن يعجزوا الله، ﴿مَنْ أَلْفَيْتَ أَتَيْنَا بِأَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّهُمْ سُوقَاتٌ يَهْتَأُونَ﴾، وهم المنافقون، ﴿وَمَنْ أَلْفَيْتَ أَتَيْنَا بِهَادُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿وَمَنْ أَلْفَيْتَ أَتَيْنَا بِسَمَاعُونٍ﴾، أي: قوم سماعون، ﴿وَالْمَكْرِبِيُّ﴾، أي: قابلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله،

وقيل: سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، «سَمِعُوا لِقَوْمِ عَاهِرِينَ لَرَأْيُكَ»، أي: هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين وهم أهل خيبر.

وذلك أن رجلاً وامراًة من أشرف أهل خيبر زنيا وكانا محصنين، وكان حدّهما الرجم في التوراة، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فقالوا: إن هذا الرجل الذي يشرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب، فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح له فليسالوه عن ذلك، فبعثوا رهطاً منهم مستخفين وقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا ما حدّهما؟ فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، وأرسلوا معهم الزانيين فقدم رهط حتى نزلوا على بني قريظة والتضير فقالوا لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة قد فحزوا وقد أحصنا فنحب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه فيه، فقالت لهم قريظة والتضير: إذا والله يأمركم بما تكرهون.

ثم انطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسغية بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي السحقيق وغيرهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا

ما حدّهما في كتابك؟ فقال ﷺ: «هل ترضون بقضائي؟» قالوا: نعم، فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال له جبريل عليه السلام: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل تعرفون شاباً أمرد أعور يسكن فذك يقال له ابن سوريا؟» قالوا: نعم، قال: «فأي رجل هو فيكم؟» فقالوا: هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في التوراة قال: «فأرسلوا إليه»، ففعلوا فأتاهم، فقال ﷺ: «أنت ابن سوريا؟» قال: نعم، قال: «وأنت أعلم اليهود»، قال: كذلك يزعمون، قال: «أتجعلونه بيني وبينكم؟» قالوا: نعم.

فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام وأخرجكم من مصر، وقلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى، وأنزل عليكم كتابه وفيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟»

قال ابن سوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني بالتوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت لك، ولكن كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم»، فقال ابن سوريا:

والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله عز وجل في التوراة على موسى عليه السلام، فقال له النبي ﷺ: «فما كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟» قال: كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، فكش الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنى رجل آخر من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه، وقالوا: والله لا ترجمه حتى يرجم فلان - لابن عم الملك - فقلنا: تعالوا نجتمع فلنصنع شيئاً دون الرجم يكون على الوضيع والشريف، فوضعنا الجلد والتحميم، وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويظاف بهما، فجعلوا هذا مكان الرجم، فقال اليهود لابن سوريا: ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت لما أئتنا عليك بأهل ولكك كنت غائباً فكرهنا أن نغتائبك، فقال لهم: إنه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته به، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده، وقال: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»، فأنزل الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكَفْرِ».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: إن اليهود

جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم»؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبت إن فيها لآية الرجم، فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، وأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فقال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقبها الحجارة.

وقيل: سبب نزول هذه الآية القصاص، وذلك أن بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة، فقال بنو قريظة: يا محمد إخواننا بنو النضير وأبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد، وإذا قتلوا منا قتيلاً واحداً لم يقيدونا وأعطونا دينه سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر، وإن كان القاتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا، وبالعبد الحرّ منا، وجراحتنا على التضعيف من جراحتهم، فاقض بيننا وبينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والأول أصح لأن الآية في الرجم.

قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَبَّوْنَ لِلْكَذِبِ﴾، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله: ﴿يَتَوَرَّعُونَ﴾، أي: لأجل قوم ﴿مُتَّخِزِينَ﴾

لتر يأتوك، وهم أهل خيبر، ﴿يَحْمُرُونَ الْكُلُوبَ﴾، جمع كلمة، ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: من بعد وضعه مواضعه، وإنما ذكر الكناية رفاً على لفظ الكلم، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُرْسِنَتْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾، أي: إن أفتاكم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوه، ﴿وَإِنْ لَرَّ فَوْتُوهُ فَاحْمَرُوا وَمَنْ يُرِيدِ اللَّهَ فِتْنَتَهُ﴾، كفسره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة:

عذابه، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، فلن تقدر على دفع أمر الله فيه، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَرَّ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَطَّهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، وفيه رد على من ينكر القدر، ﴿هُمْ فِي الَّذِينَ خَزَى﴾، أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية أو القتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه وفيهم ما يكرهون، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، الخلود في النار.

﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿سَبَّوْنَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخْتِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي ﴿لِلسَّخْتِ﴾ بضم الحاء، والآخرين بسكونها، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، قال الله تعالى: ﴿فَيَسْجُرْكَ بَعْدَآبٍ﴾ [طه: ٦١]، نزلت في حكام اليهود

سَبَّوْنَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخْتِ فَإِنْ جَاءتُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَعْزُوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَفَى بِمُحَمَّدٍ وَعِندَهُ التَّورَةُ فِيهَا حَكَمُ اللَّهِ ثُمَّ تَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْتِيتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحَارِبَ مَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَالْأَسْخُونَ وَلَا تُشْرِكُوا بِإِيتَانِي مِمَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَفْسَ الْفَسْيفِ وَالْمَيْتِ وَالْمَعِينِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنَ وَالْأَذُنَ وَالنَّسِ وَالنَّسِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَنْ نَصَّدَفَ بِهِ فهُوَ كِفَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم.

قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كتمه فيريها، إياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة.

وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو يبطل عنك حقاً، فاما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدراً به عن نفسه فلا بأس، فالسخت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقاتادة والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء، وقال ابن مسعود: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدى له لقبيل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم

كفر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعنة الله على الراشي والمرثي».

والسحت كل كسب لا يحل.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا﴾، خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك.

واختلفوا في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثر أهل العلم: هو حكم ثابت، وليس في سورة المائدة حكم منسوخ، وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب إن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا لم يحكموا، وإن حكموا حكموا بحكم الإسلام، وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة.

وقال قوم: يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم. والآية منسوخة نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لم ينسخ من المائدة إلا آيات، قوله تعالى: ﴿لَا حُلُولَ لَكُمْ عَلَى الشِّعْرِ﴾ [المائدة: ٢]، نسخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا الْمَشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]،

وقوله: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وأما إذا تحاكم إلينا

مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه؛ لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة. قوله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، أي: العادلين، وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور».

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ﴾، هذا تعجب للنبي ﷺ، وفيه اختصار، أي: كيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾، وهو الرجم، ﴿شَرُّ مَا يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْتِيَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: بمصدقين لك.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَلُوا﴾، أي: أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى، كما أخبر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْغَلِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وكما قال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وأراد بهم النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى عليه السلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال الحسن

والسدي: أراد به محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم، ذكر بلفظ الجمع كما قال: ﴿وَإِنْ لَرَّهَيْمَ كَانَتْ أُمَّةً قَاتِلًا﴾ [النحل: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا؛ كما قال: ﴿وَإِنْ آسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، أي: فعلها، وكما قال: ﴿أُوْتِيَكَ لَمْ أَلْسَنَةٌ﴾ [الرعد: ٢٥]، أي: عليهم، وقيل: فيه حذف كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف أحدهما اختصاراً.

﴿وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَجَاذُ﴾، يعني: العلماء، واحدهم حبر، وخبر يفتح الحاء وكسرها، والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال الكسائي وأبو عبيدة: هو من الحبر الذي يكتب به، وقال قطرب: هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال يفتح الحاء وكسرها، وفي الحديث: «يخرج من النار رجل قد ذهب جبره وسبزه»، أي: حسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه، وقيل: الربانيون ههنا من النصارى، والأخبار من اليهود، وقيل: كلاهما من اليهود.

قوله عز وجل: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: استودعوا من كتاب الله، ﴿وَكَاثُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾، أنه كذلك.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ وَلَا تَقْرُؤُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، والظالمون والفساقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم.

وقال ابن عباس وطاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.

قال عطاء: هو كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وسئل عبد العزيز بن يحيى الكنتاني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم بجميع ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات. وقال العلماء: هذا إذا رد نص حكم الله عياناً عمداً، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أوجبتنا على بني إسرائيل في التوراة، ﴿وَأَنْتُمْ بِالْأَنْفِ﴾ يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول وفاءً يقتل به، ﴿وَالْمَيْتَ بِالْمَيْتِ﴾، ثقتاً بها، ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾، يُجْدَعُ بِهِ، ﴿وَالْأَذْنَكَ بِالْأَذْنِ﴾، تُقَطَّعُ بِهَا، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى

بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها، فما بالهم يتخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقأون بالعين العينين، وخفف نافع الأذن في جميع القرآن ونقلها الآخرون، ﴿وَالسِّنَّ وَالسِّنَّ﴾، تغلق بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، أي: فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد

والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو «والجروح» بالرفع فقط، وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس.

قوله تعالى: ﴿مَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقصاص فهو كفارة له، قيل: الهاء في «له» كناية عن المجروح وولي القتل، أي: كفارة للمتصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد

وَقَرَأَ عَلَى الْيَهُودِ وَيُدْعَى ابْنَ مَرْيَمَ فَذُكِرَ قَالَمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ مِنَ التَّورَةِ وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمَصِيدٌ قَالَمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قِصَاصَهُمْ بِنَهْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ آيَةً وَنُورًا شَاءَ اللَّهُ لِيَجْزِيَكُمْ أَثْمَهُ وَرَحْمَةً وَلَكِنَّ لِمَنْ يَسْتَأْذِنُ فِيمَا آتَاكُمْ فَأَسْبَغُوا الْخُرُوجَ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمْعِكُمْ جَمِيعًا قَسَيْتُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ بِهِ تَحْتَلِفُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَكَفَرْتُمْ عَنْهُمُ أَنْ يَفْتَنُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَدْعُوهُ اللَّهُ أَنْ يَصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كُفِرَ مِنْ أَقْسَامِهِ لَفَسِقُونَ ﴿٤٨﴾ أَصْحَابُكُمْ أَتَيْنَهُمُ بِبُحْرَانٍ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٩﴾

الدينوري أنا عمر بن الخطاب أنا عبد الله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة أنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه».

وقال جماعة: هي كناية عن الجراح والقتل، يعني: إذا عفا المجنى عليه عن الجاني فعفو كفارة لذنب الجاني لا يؤخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَفَا وَأَسْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَمِينًا عَلَى الْيَهُودِ﴾، أي: على آثار النبيين

وما لا فلا ﴿فَأَتَكُمْ﴾، يا محمد، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك، ﴿يَمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ تعالى في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم، ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا بَيْنَكُمُ بَرَةً وَمَتَابًا﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنةً، فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما شرعت فيه فهو شرعية وشرعة، ومنه شرائع الإسلام لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شرعية.

قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين، للتوراة شرعية وللإنجيل شرعية وللقرآن شرعية، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَلَأَكُمْ مِنْهُ جَدَّةً﴾، أي: على ملة واحدة، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُمْ لِيَتْلُوا لَكُمْ مِنَ الْكُتُبِ وَبَيِّنَ لَكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ، فَيَتَّبِعِينَ الْمُطِيعَ مِنَ الْعَاصِي وَالْمُؤَافِقَ مِنَ الْمُخَالِفِ، ﴿فَأَسْتَفِهُوا الْخَيْرَاتِ﴾، فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ يَمَا أُنزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَخَذْتَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسد وعبدالله بن سوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نفتنه عن

التفتيت، الخارجون عن أمر الله عز وجل.

﴿٢٠﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ﴾، القرآن، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من الكتب المنزلة من قبل، ﴿وَمَهَيِّئْنَا عَلَيْهِ﴾، روى الوالي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقاتادة والسدي والكسائي.

قال حسان:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهَيِّئٌ لِنَبِينَا
وَالْحَقُّ يَغْرِفُهُ ذُو الْأَلْبَابِ
يريد شاهداً ومصداقاً.
وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً، وقيل: أصله مؤيمن مفيعل من أمين، كما قالوا: مُبَيِّطِرٌ من البيطار، فقلبت الهمزة هاء؛ كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، وإيهات وهيات، ونحوها. ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن صدقوا وإلا فكذبوا.

وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضياً، وقال الخليل: رقيباً وحافظاً، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ يَتَوَلَّوْا أَلْيَدِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ فَتَنَى أَنْ تُبَيِّنَنَا دَابِرَةً فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأُوتِيَ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُضَيِّعُوا عَمَّا مَاتُوا فِي مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قِبَلِكُمْ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَذَا أَجْرُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدْنَا فِي سَبِيلِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمْرُكَ حَطَّتْ أَعْيُنُهُمْ فَاضْبَحُوا خَيْرِينَ ﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفْرَيْنِ بِجَهَنَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَآتَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَرُوا ﴿٢٣﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ أُولَئِكَ

الذين أسلموا، ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنَّكَ إِذْ أَنْجَلْتَ الْإِنجِيلَ فِيهِ﴾، أي: في الإنجيل، ﴿هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾، يعني: الإنجيل، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلِيَتَّخِرَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ يَمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، قرأ الأعمش وحمزة ﴿وَلِيَتَّخِرَكُمْ﴾: بكسر اللام ونصب الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون: بسكون اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان: أمر الله الربانيين والأخبار أن يحكموا بما في التوراة، وأمر القسيسين والربانين أن يحكموا بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزيز ابن الله والمسبح ابن الله، ﴿وَمَنْ لَزَّ يَحْكَمْ يَمَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد، قد عرفت أننا أجبار اليهود وأشرفهم وإنما إن أتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل هذه الآية، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿فَاعْلَمْتُمْ أَنَّنَا رِيبُ اللَّهِ أَن يُصِيبَهُمْ يَتَّعِضُ دُؤُوبُهُمْ﴾، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يجعل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿وَإِن كَثُرَ مِنَّا لَسَاءٌ﴾، يعني: اليهود، ﴿فَتَسْتَوُونَ﴾.

﴿فَمَكَرَكُمُ الْيَهُودُ يَمُوتُونَ﴾، قرأ ابن عامر ﴿تَبِغُونَ﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿مَنْ أَحْسَنُ مِنَّ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورُ يُوقِتُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْلِفُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَزْوَاجًا﴾، اختلفوا في نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين.

فقال قوم:

نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك أنهما اختصما، فقال عبادة: إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم، وإنني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبد الله: لكنتي لا أبرأ من ولاية اليهود، لأنني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم، فقال النبي ﷺ: «يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود

على عبادة بن الصامت فهو لك دونه»، قال: إذا أقبل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال السدي: لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدل عليهم الكفار، فقال رجل من المسلمين: أنا الحق بفلان اليهودي وأخذ منه أماناً إنني أخاف أن يدل علينا اليهود، وقال رجل آخر: أما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أماناً، فأنزل الله تعالى هذه الآية بينهما.

وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة حين حاصروهم، فاستشاروه في النزول، وقالوا: ماذا يصنع بنا إذا نزلنا، فجعل أصبعه على حلقه أنه الذبيح، أي: يقتلكم فنزلت هذه الآية.

﴿سُئِلَ أَزْوَاجَهُ بَشْرٌ﴾، في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين، ﴿وَمَنْ يَتَّكِمْ إِلَيْكُمْ﴾، فيوافقهم ويعينهم، ﴿فَأُولَئِكَ يَتْمَتُّهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾، أي: نفاق يعني عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يؤالون اليهود، ﴿سَتَرْتُمُوهُمْ فِيهِمْ﴾، أي: في معونتهم وموالاتهم، ﴿فَتَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ تُوْبِينَا كَايْرَةً﴾، دولة، يعني: أن يدول الدهر دولة فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكرهه من جذب وقحط، فلا يعطونا الميرة

والنقرض، ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾، قال قتادة ومقاتل: بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿وَأَمْرٌ مِنْ يَهُودِهِمْ﴾، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ، وقيل: هو عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿يَصْبِحُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، ﴿فَلَمَّا آمَنُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، من موالات اليهود وذن الأخبار إليهم، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿يَتَّقُونَ﴾، بالواو والرفع على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على ﴿يَأْتِيَ﴾، أي: عسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية، استغناء عن حرف العطف لملابسة هذه الآية بما قبلها، يعني: يقول الذين آمنوا في وقت إظهارها الله تعالى تفاق المنافقين، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْفَسُوا بِاللَّهِ﴾، حلفوا بالله، ﴿فَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِمْ﴾، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان، ﴿فَأَتَتْكُمْ﴾، أي: إنهم لمؤمنون، يريد: أن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿مَوَلَتْ أَمْثَلُهُمْ﴾، بطل كل خير عملوه، ﴿فَأَصْبَحُوا حَتِيرِينَ﴾، خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَسْرُوقٌ يَأْتِي

اللَّهُ يَقُولُ بِحُجَّتِهِمْ وَيُحْيِيهِمْ وَيُحْيِيهِمْ، قرأ أهل المدينة والشام «يرتده» بدالين على إظهار التضعيف «عَنْ وَيِيدِي»، فيرجع إلى الكفر.

قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه سيأتي يقوم يحبهم الله ويحيونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكيره ذلك أصحاب النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء. قال أبو بكر بن عياش: سمعت

أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبي مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة.

كان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق:

منهم: بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عيهلة بن كعب العنسي، ويلقب بالأسود، كان كاهناً مشعباً فتنبأ باليمن واستولى على بلادها، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحشوا الناس على التمسك بدينهم، وعلى النهوض إلى حرب الأسود، فقتله فيروز الديلمي على فراشه، قال ابن عمر رضي الله عنه: فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قُتل فيها، فقال رسول الله ﷺ: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك»، قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز»، فبشّر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض ﷺ من الغد؛ وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح، جاء أبو بكر رضي الله عنه.

والفرقة الثانية: بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب واسمه ثمامة بن قيس، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر، وزعم أنه أشرك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، ويعت بذلك إليه مع رجلين من

أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أتشهدان أن مسيلمة رسول الله؟» قالوا: نعم. قال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما»، ثم أجاب: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، ومرض رسول الله ﷺ وتوفي، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كبير حتى أهلكه الله على يدي وحشي، غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب، بعد حرب شديد، وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام.

والفرقة الثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد، وكان طليحة آخر من ارتد، وأدعى النبوة في حياة النبي ﷺ، وأول من قُتل بعد وفاة النبي ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه، فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمّر على وجهه هارباً نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير، حتى كفى الله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه.

قالت عائشة: «توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرب النفاق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالرجال الراسيات لهاضها».

يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ».

وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وَهُمْ رَكُوعُونَ﴾، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال السدي: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مَرَّ بِهِ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي الْمَسْجِدِ فَأَعْطَاهُ خَاتَمَهُ.

وقال جُوَيْرِبٌ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا وَرَكُوعُونَ﴾، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: ﴿إِنَّا وَرَكُوعُونَ﴾، نزلت في المؤمنين، فقيل له: إن أناساً يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه، فقال: هو من المؤمنين.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿وَإِنَّ حُرَيْبَ أَلْفُؤُا﴾، يعني: أنصار دين الله، ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْضُوا الْآيَةَ الَّتِي كُفِّرُوا بِنَفْسِكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ﴾، الآية، قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن الثابت وسويد بن الحارث قد أظهرتا الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله عز وجل هذه

من قولهم: عزه أي غلبه. قال عطاء: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: كالولد لوالده وكالعبد لسيدته، ﴿أَعَزُّوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: ﴿أَشِدَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّا وَرَكُوعُونَ﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة ابن الصامت وعباد الله بن أبي بن سلول حين تبرا عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، فنزل فيهم من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْضُوا الْآيَةَ الَّتِي كُفِّرُوا بِنَفْسِكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ﴾ [المائدة: ٥١]، إلى قوله: ﴿إِنَّا وَرَكُوعُونَ﴾، يعني: عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. وقال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿سَوَّوْا يَا أَيُّهَا اللَّهُ يَقْوَمُ مُيَمَّنُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿سَوَّوْا يَا أَيُّهَا اللَّهُ يَقْوَمُ مُيَمَّنُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قال رسول الله ﷺ: هم قوم هذا، وأشار إلى أبي موسى الأشعري وكانوا من اليمن.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمام والحكمة يمانية».

وقال الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفياء الناس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه.

قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أرقاء رحماء، كقوله عز وجل: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو من الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿أَعَزُّوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾، أي: أشدء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم،

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِبَاسًا﴾، بإظهار ذلك بالسنتهم قولاً وهم مستبتنون الكفر، ﴿هِنَّ الَّذِينَ آتَوْا أَلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَالْكَفَّارَ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي ﴿وَالْكَفَّارَ﴾ بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿أُولَئِكَ أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلِمَا ذَلِكُمْ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال السدي: نزلت في رجل من النصراري بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار هو وأهله نيام، فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله.

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العنز،

فما أفبح من صوت وما أسمح من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣] الآية.

﴿٥٩﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مِثْلَ الْآيَةِ، قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿هَلْ تَقِفُونَ﴾، بإدغام اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والثاء والنون، وواقفه حمزة في التاء والثاء وأبو عمرو في ﴿هَلْ تَرَى﴾ [الملك: ٣] في موضعين.

قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفر من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسأله عن من يؤمن به من الرسل، فقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِزْهَاتَ لِتَتَّبِعِلَّ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُسَلِّمْ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مِثْلَ الْآيَةِ﴾، أي: هل تكروهون منا، ﴿إِلَّا أَن آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾، أي: هل تكروهون إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال.

﴿٦٠﴾ ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هَلْ أُتِينَكُم﴾، أخبركم، ﴿وَشَرِّ مِن ذَلِكَ﴾، الذي ذكرتم، يعني: قولهم

لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّن ذَكَرُوا النَّارَ﴾ [الحج: ٧٢]، ﴿شُرُوءًا﴾ ثواباً وجزاء، نُصب على التفسير، ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّمْ يَأْتِ اللَّهَ بِبُرْهَانٍ﴾، أي: هو من لعنه الله، ﴿وَعَصِبَ عَلَيْهِ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ﴾، فالفردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام.

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخين كلاهما من أصحاب السبت فشبَّانهم مسخوا قرده ومشايخهم مسخوا خنازير. ﴿وَعَبْدَ الظُّلُمَاتِ﴾، أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سؤل له، وتصديقها، قراءة ابن مسعود: ﴿ومن عبدوا الطاغوت﴾، وقرأ حمزة: ﴿وعبد﴾ بضم الباء، ﴿الطاغوت﴾ بجر التاء، أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء، مثل سبيع وسبيع، وقيل: جمع العباد، وقرأ الحسن: ﴿وعبد الطاغوت﴾ على الواحد، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، [أي]: عن طريق الحق.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا﴾، يعني: هؤلاء المناققين، وقيل: هم الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفْرًا مَّخِرًا﴾ [آل عمران: ٧٢]، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: ﴿آمَنَّا﴾ بك وصدقناك فيما

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ آلِيًّا فَلَا يَأْتِيهِمْ أَشْرٌ مِّنْهُمُ أَبَدًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِمَّنْ سَبَّحُوا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ تَجَافُوتَ أُمَّةَهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهَا خَالِفِينَ لِمَنْ يَدْعُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ كَالْجِبَالِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَلَا نَدْرِكُ آلَاءَهُمْ وَلَا يَدْرِكُونَ آلَاءَنَا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَلَا يَأْتِيهِمْ أَشْرٌ مِّنْهُمُ أَبَدًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَلَا يَأْتِيهِمْ أَشْرٌ مِّنْهُمُ أَبَدًا﴾

كلما نزلت آية، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِمَّنْ سَبَّحُوا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ تَجَافُوتَ أُمَّةَهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِمْ كَالْجِبَالِ﴾، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد. وقيل: بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَلَّمَ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين.

وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيهم ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى

مكفوفة عن عذابنا فليس يعدبنا إلا ما تبر به قسمة قدر ما عبد آبائنا العجل. والأول أولى؛ لقوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة المسمكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَطْلَاقِ

فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْبِ﴾ [عافر: ٧١]. ﴿وَلَمَّا قَالُوا﴾، فمن لعنهم أنهم مُسخوا قرده وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، ﴿بَلَّ يَدَاهُ مَسْحُورَتَيْنِ﴾، ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين».

والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم.

وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمرؤها كما جاءت بلا كيف.

﴿يُنْفِقُ﴾، يـرزق، ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ولزبدتك كثيراً بينهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، أي: كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغياناً وكفراً،

قلت، وهم يُسرِّون الكفر، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ حَرَجُوا بِدِينِ﴾، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾. ﴿وَرَزَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾، يعني: من اليهود ﴿يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، قيل: الإثم المعاصي والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فيها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ أَشْحَتٌ﴾، الرشا، ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَمْكُونُ﴾.

﴿لَوْلَا﴾، هـلاً، ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْرِيبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْآئِمَّةُ وَأَكْثَرُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿قَوْلَهُ تَعَالَىٰ﴾: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقاتدة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق، نسبه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك.

قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها.

وقال الحسن: معناه يد الله

وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصراري عيسى ابن مريم حناناً، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْمُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] الآية.

وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود. وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها.

وقيل: نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَنْظَرَ الْعَسْفُوفِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٥]، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧] الآية. فكان

النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب ﴿رِسَالَتَهُ﴾ على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئاً، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل؛ كقولهم: ﴿تَوَدُّونَ بِبَعْضٍ وَتَعَصُّونَ

وقال الفراء: أراد به التوسعة في الرزق كما يقال: فلان في الخير من قرنه إلى قدمه، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ﴿مِنْتُمْ أَنَّهُ مُتَّفَعِدَةٌ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿مُتَّفَعِدَةٌ﴾ أي عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة:

الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿وَكَبِيرٌ مِّنْتُمْ﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بئس شيئاً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا القبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، روي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب، وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية. روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه، فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت في عيب اليهود،

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَكُنَّا عِبَادَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآءِ خَلَقْنَاهُمْ حَتَّىٰ التَّيْمِيرِ﴾ [١٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمُ أُمَّةٌ مَّقْصُودَةٌ وَكَبِيرٌ مِّنْتُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [١٦] ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [١٧] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْمُ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْهُمُ الْتَوَارِثَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَا يَزِيدُكُمْ كِبِيرًا مِّنْتُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالْقَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٩] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالِ إِنَّا جَاءُكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَأَتَوْهُنَّ أَنفُسَهُمْ فَرِيحًا كَذَبُوا فَرِيحًا يَقْتُلُونَ﴾ [٢٠]

اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿وَأَتَقُوا﴾، الكفر، ﴿لَكُنَّا عِبَادَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا خَلَقْنَاهُمْ حَتَّىٰ التَّيْمِيرِ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض.

الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى».

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُبَيِّنُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ زَكَاةٍ﴾، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، ﴿وَلَزِيدَكَ كِتَابًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾، فلا تحزن، ﴿عَلَّ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالْمُسْلِمِينَ﴾، وكان حقه: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه، وقال سيويه: فيه تقديم وتأخير تقديره: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية، والصابئون كذلك، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: باللسان، وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، أي: ثبت على الإيمان، ﴿وَالَّذِينَ الْآخِرَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوحيد والنبوة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذِبًا﴾، عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما، ﴿وَقَرِيبًا يَّقْتُلُونَ﴾، يحيى وزكريا.

العضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اختلط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتماً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثاً»، ولم يعاقبه وجلس.

وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأعرابي سل سيفه، وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: «الله»، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك فنام النبي ﷺ.

وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه

يَبْعَثُ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا ﴿ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]، أخبر أن كفرهم ببعض محبط للإيمان ببعض.

وقيل: ﴿بَيْنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، أي: أظهر تبليغه؛ كقوله: ﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ﴿وَلِٰن لَّا تُفْعَلُ﴾ فإن لم تظهر تبليغه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئاً لخوف يلحقك فما بَلَّغْتَ رسالته.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: اليس قد شج رأسه وكسرت رباطه وأوذى بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه، لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله أخبرهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبيل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير

وَحَيَّوْا الْأَنْكَبُوتَ فَتَنَّهُ فَمَمَّوْا صَمَوَاتِهِمْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَيْدِيَّتِهِمْ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِمَا يَمْشَوْنَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ شَفِيفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿٧١﴾ قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾، أي: كثيرة الصدق.

وقيل: سُمِّيت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عز وجل في وصفها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ [التحریم: ١٢]، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين، فكيف يكون إلهاً من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

وقيل: هذا كناية عن الحدث، وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلهاً؟

ثم قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، أي: يُصرفون عن الحق.

﴿٧٢﴾ ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ مُحَمَّدٍ فِي دِينِهِمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد، والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ فِي دِينِهِمْ﴾، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريق اليهود والنصارى،

رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ.

﴿٧٢﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، يعني: المرقسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: ﴿مَآ تَأْتِ نَفْسُكَ إِلَهُ فِى النَّبِىِّ ائْتِ بِآيَاتٍ كَمَا كُنْتَ تَبْتَغِى﴾ [المائدة: ١٧١].

﴿٧٣﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ شَفِيفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: لا يتوبون ولا يستغفرون، فإِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ، فإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿مَا يَكْفُرُونَ مِن نَّبِيِّ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَبُّهُمْ﴾ [المجادلة: ٤٧]، وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». ثم قال رداً عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

﴿٧٤﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ شَفِيفٌ رَّحِيمٌ﴾؟ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿انظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن البصرة وحمة والكسائي (تكون) برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا، ﴿فَمَمَّوْا﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وَصَمَّوْا﴾، عنه فلم يسمعه، يعني: عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَيْدِيَّتِهِمْ﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِمَا يَمْشَوْنَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ

والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، ﴿وَأَصَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿وَصَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن قصد الطريق، أي: بالإضلال فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بالضلال من اتبعهم.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾، يعني: أهل آيلة لما اعتدوا في السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخروا قردة، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: على لسان عيسى عليه السلام يعني كفاراً أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخروا خنازير، ﴿ذَلِكَ يَمَاعَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، أي: لا ينهي بعضهم بعضاً ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو الحسن محمد بن الحسين أنا أحمد بن محمد بن إسحاق أنا أبو يعلى الموصلي أنا وهب بن بقية أنا خالد - يعني ابن عبد الله الواسطي - عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي

تعزيزاً، فإذا كان من الغد جالسه وأكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، وجعل منهم القردة والخنازير، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب

بعضكم على بعض، وللعنكم كما لعنهم».

﴿٨٠﴾ قوله تعالى: ﴿كَرِهَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾، قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين يتولون اليهود، ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمُوا مِنَ الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أن غضب الله عليهم، ﴿وَفِي الْمَكْدَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَمَا أُوْرِلُوا إِلَيْهِمْ﴾، يعني: القرآن، ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾، يعني: الكفار، ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيُقْتَلُونَ﴾، أي:

سورة المائدة

سورة المائدة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٨﴾ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٩﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ كَرِهَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْمَكْدَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيُقْتَلُونَ ﴿٨٢﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٣﴾

١١١

خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

﴿٨٢﴾ قوله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُوا﴾، لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسهرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء، ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه.

وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلباً والنصارى ألين قلباً منهم، وكانوا أقل مظهارة للمشركين من اليهود.

قال أهل التفسير: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت

كل قبيلة على من فيها من المسلمين يُؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن، وعصم الله منهم من شاء، ومنع الله تعالى رسوله بعمة أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يُؤمَر بعدُ بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال: «إِنَّ بِهَا مَلِكًا صَالِحًا لَا يَظْلَمُ وَلَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِرْجًا». وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية، وإنما النجاشي اسم الملك - كقولهم قيصر وكسرى - فخرج إليها سرًا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف وأبو خديفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلي بنت أبي حثمة، وحاطب بن عمرو وسهل بن بيضاء رضي الله عنهم، فخرجوا إلى البحر وأجروا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ، وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إليها، فكان جميع اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان.

فلما علمت قريش بذلك وجهوا

عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقه ليردوهم إليهم، فعصمهم الله، وذكرت القصة في سورة آل عمران.

فلما انصرفا خائبين أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، وعلا أمره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان - وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها - ويبعث إليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها: أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله ﷺ إليها، فأعطتها أوضاعاً لها سروراً بذلك، فأذنت خالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمئة دينار، وكان الخاطب لرسول الله ﷺ النجاشي رحمه الله فأنفذ إليها النجاشي أربعمئة دينار على يد أبرهة، فلما جاءتها بها أعطتها خمسين ديناراً فردته وقالت: أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقالت: أنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدقتُ محمداً ﷺ وأمنتُ به، وحاجتي منك أن تقرئني مني السلام، قالت: نعم، قالت أبرهة: وقد أمر الملك نساء أن يبعثن إليك بما عندهن من عودٍ وعنبر، فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكر.

قالت أم حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر،

فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم النبي ﷺ، فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]، يعني: أبا سفيان مودة، يعني: بتزويج أم حبيبة، ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة، قال: ذلك الفحل لا يقرع أنفه.

وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ﷺ، ابنه أزهى بن أصحمة بن أبجر في ستين رجلاً من الحبشة، وكتب إليه: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتكم وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ابني أزهى، وإن شئت آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا، ووافي جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾، يعني: وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون، وكانوا أصحاب الصوامع.

وقال مقاتل والكلبي: كانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية روميون من أهل الشام.

وقال عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام.

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بعث الله محمداً ﷺ صدقوه وآمنوا به فأثنى الله عز وجل بذلك عليهم. ﴿ذَلِكَ يَأْتِي مِنْهُمْ قِيَّسِينَ﴾، أي: علماء، قال قُطْرِب: القس والقسيس العالم بلغة الروم، ﴿وَرَهْبَانًا﴾، الرهبان العباد أصحاب الصوامع، واحدهم راهب، مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قريبان وقرايين، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾، محمد ﷺ، ﴿رَزَقَ آيَاتَهُمْ قَيِّضًا﴾، تسيل، ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة ﴿كَهَيِّضًا﴾ [مریم: ١]، فما زالوا يبيكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْبِتْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني: أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾، وذلك أن اليهود وغيرهم وقالوا لهم: لِمَ آمنتم؟ فأجابوهم بهذا، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْرِ الصَّالِحِينَ﴾، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ بِرِثَتِهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ﴾، أعطاهم الله، ﴿يَمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وإنما أنجح قولهم وعلق الثواب

بالقول لاقتترانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾، يعني: الموحدين المؤمنين، وقوله من قبل: ﴿رَزَقَ آيَاتَهُمْ قَيِّضًا مِنَ الْحَقِّ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَاتٍ مَّا لَمْ يَلَمْ اللَّهُ لَكُمْ﴾، الآية. قال أهل التفسير: ذكر النبي ﷺ الناس يوماً ووصف القيامة فرق له الناس ويكوا، فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو، وأبو ذر الغفاري، وسالم

سورة المائدة

المائدة

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَزَقَ آيَاتَهُمْ قَيِّضًا مِنَ الْحَقِّ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾، وذلك أن اليهود وغيرهم وقالوا لهم: لِمَ آمنتم؟ فأجابوهم بهذا، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْرِ الصَّالِحِينَ﴾، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ بِرِثَتِهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

١٢٢

مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعمل بن مقرن رضي الله عنهم، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسبحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية - واسمها الحولاء - وكانت عطارة: «أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟» فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان بشيء فقد صدقت. فانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ﷺ هو

وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم أنبا أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال ﷺ: «إني لم أؤمر بذلك»، ثم قال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأكل اللحم والدمس وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ثم جمع الناس وخطبهم فقال: «ما بال أقوام حرّموا النساء والطيب والنوم وشهوات النساء؟ أما إنني لست أمركم أن تكونوا قسيسيين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحبّوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع»، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشمياني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني ابن أنعم عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى النبي ﷺ

فقال: ائذن لنا في الاختصاء، فقال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من خصى ولا من اختصى، [إن] خصاء أمتي الصيام»، فقال: يا رسول الله ائذن لنا في السياحة، فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»، فقال: يا رسول الله ﷺ ائذن لنا في الترهّب، فقال: «إن ترهّب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة».

وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إنني إذا أصبت من اللحم فانتشرت وأخذتني شهوة، فحرمت اللحم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يعني: اللذات التي تشهيهها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿وَلَا تَقْسَدُوا﴾، أي: ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام. وقيل: هو حبّ المذاكير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾.

﴿وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، قال عبد الله بن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيب ما غذى وأنمى، فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب ومحمود بن غيلان قالوا:

أخبرنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يحبّ الحلواء والعسل».

﴿٨٩﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، قالوا: يا رسول الله كيف نضع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿عَقَدْتُمْ﴾ بالتخفيف، وقرأ ابن عامر ﴿عاقدتم﴾ بالالف وقرأ الآخرون ﴿عقدتم﴾ بالتشديد، أي: وكُدم، والمراد من الآية قصدتم وتعمدتم، ﴿فَكَفَلْتُمُوهُ﴾، أي: كفارة ما عقدتم الأيمان إذا حنثتم، ﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾، واختلفوا في قدره: فذهب قوم إلى أنه يُطعم كل مسكين مُدّاً من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثالث من غالب قوت البلد، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر، وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن.

وقال أهل العراق: لكل مسكين مُدّان، وهو نصف صاع، يروى ذلك عن عمر وعلي رضي الله عنهما.

وقال أبو حنيفة: إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من

غيرها فصاع، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم.

ولو غداهم وعشاهم لا يجوز، وجوزه أبو حنيفة، ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه.

ولا تجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق، بل يجب إخراج الحب إليهم، وجوز أبو حنيفة رضي الله عنه كل ذلك.

ولو صرف الكل إلى مسكين واحد لا يجوز، وجوز أبو حنيفة أن يصرف طعام عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام، ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجوز، وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة. واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز. قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾، أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل مُنْجِر.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُنَّ﴾، كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فإن اختار الكسوة، فاختلّفوا في قدرها، فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً مما يقع عليه اسم الكسوة، إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو كساء أو نحوها، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاووس، وإليه

ذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

وقال مالك: يجب لكل إنسان ما تجوز فيه صلاته، فيكسو الرجال ثوباً واحداً والنساء ثوبين درعاً وخماراً.

وقال سعيد بن المسيب: لكل مسكين ثوبان.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبٍ﴾، وإذا اختار العتق يجب إعتاق رقبة مؤمنة، وكذلك جميع الكفارات، مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان، يجب فيها إعتاق رقبة مؤمنة، وأجاز أبو حنيفة رضي الله عنه والثوري رضي الله عنه إعتاق الرقبة الكافرة في جميعها إلا في كفارة القتل، لأن الله تعالى قيد الرقبة فيها بالإيمان، قلنا: المطلق يُحمل على المقيد كما أن الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وأطلق في موضع فقال: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّبَائِكُمُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ثم العدالة شرط في جميعها حملاً للمطلق على المقيد، كذلك ههنا، ولا يجوز إعتاق المرتد بالاتفاق عن الكفارة.

ويُشترط أن يكون سليم الرق حتى لو أعتق عن كفارته مكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة، يُعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة، وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب إذا لم يكن أذى شيئاً من النجوم، وعتق القريب عن الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضرراً يَبْتَأُ حتى

لا يجوز مقطوع إحدى اليدين، أو إحدى الرجلين، ولا الأعمى ولا الزَّوْمَنُ ولا المجنون المطبق، ويجوز الأعمور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب لا تضر بالعمل ضرراً يَبْتَأُ.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه كل عيب يفوت جنساً من المنفعة على الكمال يمنع الجواز.

حتى جَوَزَ مقطوع إحدى اليدين، ولم يجوز مقطوع الأذنين. قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والمعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير.

واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصوم: فذهب جماعة إلى أنه لا يجب فيه التتابع، بل إن شاء تابع وإن شاء فرّق، والتتابع أفضل وهو أحد قولي الشافعي، وذهب قوم إلى أنه يجب فيه التتابع قياساً على كفارة القتل والظهار، وهو قول الثوري وأبي حنيفة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾. ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿كَثْرَةً أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَلْتُمْ﴾، وحنثتم، فإن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث.

واختلفوا في تقديم الكفارة على

﴿فَأَجْتَبَيْتُ﴾، رد الكناية إلى الرجس، ﴿لَمَلَّكُمْ تَقْلُوعُونَ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ﴾، أما العداوة في الخمر فإن الشاربين إذا سكروا عربدوا وتشاجروا، كما فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي الجمل، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الأهل والمال مغتاضاً على حرفائه، ﴿وَصَدَّكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ﴾، وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله، وشوش عليه صلته كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف، تقدم رجل ليصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقراً ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، أعبد ما تعبدون، بحذف لا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ؟﴾ أي: انتهوا لفظة استفهام ومعناه أمر؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟﴾ [الأنبياء: ٨٠].

﴿٩٢﴾ ﴿وَاطْبِئُوا اللَّهَ وَاطْبِئُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأَحْذَرُوا﴾، المحارم والمناهي، ﴿فَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَاعْمَلُوا﴾، ﴿أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْبَلِيغِ﴾، وفي وعيد شارب الخمر.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني ثنا أبو الحسن محمد بن محمود المحمودي أنا أبو العباس الماسرجسي بنيسابور أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا صالح بن قدامة حدثنا أخي

تحنثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب، فالأفضل أن يحنث نفسه ويكفر، لما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا حجاج بن منهال أنا جرير بن حازم عن الحسن

عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمامة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكُلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمينٍ فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير».

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ، أَي: القمار، ﴿وَالْأَسْهَابُ﴾، يعني: الأوثان، سُميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها، واحداها نُصِبَ بفتح النون وسكون الصاد، ونُصِبَ بضم النون مخففاً ومثقلاً، ﴿وَالْأَدْرَامُ﴾، يعني: القِدَاح التي يستقسمون بها واحداها زَلَمٌ، ﴿يَتَشْتَرُونَ﴾، خبيث مستقذر، ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، من تزيينه،

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَسْهَابُ وَالْأَدْرَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩٤﴾ وَاطْبِئُوا اللَّهَ وَاطْبِئُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَاعْمَلُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْبَلِيغِ ﴿٩٥﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ جَبَّارٌ عَزِيزٌ ﴿٩٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبَّيْتُمْ اللَّهَ وَإِنَّمَا تَأْتِي وَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ بُدِئَ بِكُمْ وَإِنَّمَا تَلْبَسُونَ عَلَيْهِ فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن تَأْتِيهِمْ أَلْبَابُ الْمَسْجِدِ فَكُلُوا مِنْهُم مِمَّا قَدَّسُوا لَهُمْ ذَلِكَ فَهَلْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدِّياً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ بِحَيْثُ بِهِ ذُو عَضْلٍ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَيْبَةَ أَوْ كَفَّرَهُ تَطْمَئُناً مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَنَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٨﴾

الحنث، فذهب قوم إلى جوازه، لما روينا أن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير». وابن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وابن سيرين، وإليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي، إلا أن الشافعي يقول: إن كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لأنه بدني، إنما يجوز بالإطعام أو الكسوة أو العتق كما يجوز تقديم الزكاة على الحول، ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته، وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه.

قوله عز وجل: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا تحلفوا، وقيل: هو الأصح، أراد به: إذا حلفتم فلا

عبد الملك بن قدامة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مسكرٍ حرام، وإن حتماً على الله أن لا يشربه عبدٌ في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتبَّ منها حُرْمُها في الآخرة».

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أحمد بن أبيي أخبرنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن إسحاق الصُّغاني حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن عبد الله بن عمر أنه قال: أشهد أني سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «لعنَ اللهُ الخمرَ وشارِبَها وساقِياها وبائعَها ومُبتاعَها وعاصرَها ومُعتصرَها وحاملَها والمحمولةَ إليه وأكلَ ثمنَها».

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَ الْذَرِيَّةِ ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَ

الذَرِيَّةِ ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، وشربوا من الخمر وأكلوا من مال الميسر، «إِذَا مَا اتَّقَوْا»، الشرك، «وَأَمِنُوا»، وصدقوا، «وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا»، الخمر والميسر بعد تحريمهما، «وَأَمِنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا»، ما حرّم الله عليهم أكله وشربه، «وَأَصْغَرُوا لِلَّهِ حِجْبَ الْكُفْرَيْنِ»، قيل: معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك، وأمنوا وصدقوا ثم اتقوا، أي: داوموا على ذلك التقوى، «وَأَمِنُوا» وازدادوا إيماناً، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسان، وكلُّ محسن متقٍ، «وَاللَّهُ يَجِبُ الْكُفْرَيْنِ».

﴿٩٤﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ اللَّهُ بِمَنٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ الآية، نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رجالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ اللَّهُ﴾ ليختبرنكم الله، وفائدة البلوى إظهار المطيع من العاصي، وإلا فلا حاجة له إلى البلوى بشيء من الصيد، وإنما بعض، فقال ﴿بِمَنٍ﴾ لأنه ابتلاههم بصيد البر خاصة. ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ﴾، يعني: الفرج والبيض وما لا يقدر أن يفرّ من صغار الصيد، ﴿وَرَمَاهُمْ﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿يَلْمَزُ اللهُ﴾، ليرى الله، لأنه قد علمه، ﴿مَنْ يَخَافُ وَالضَّيْبَ﴾، أي: يخاف الله ولم يره؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، أي: يخافه فلا يصطاد في

حال الإحرام، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَ بِمَدِّ ذَلِكَ﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، زوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوجع ظهره ويطنه جلدأ، ويُسلب ثيابه.

﴿٩٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الْكَلْبَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، أي: محرمون بالحج والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرِم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرِم إذا دخل الحرم، نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شدَّ على حمارٍ وحشٍ وهو مخرمٌ فقتله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ يَنْكُرُ مُتَعَمِّدًا﴾، اختلفوا في هذا العمد، فقال قوم: هو العمد بقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمدأ وهو ذاك لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، هذا قول مجاهد والحسن، وقال الآخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة.

واختلفوا فيما لو قتله خطأ، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، وقال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة، وقال سعيد بن جبير: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْزَلَةٌ يُنْتَلَى﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿فَمَنْزَلَةٌ﴾ منون، ﴿مِثْلَ﴾، رفع على البدل من

الجزاء، والآخرون بالإضافة ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾، معناه: أنه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبيهاً من حيث الخلقة لا من حيث القيمة، ﴿يَعْتَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّمَّنكُمْ﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلاً عدلاً، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكمان به، وممن ذهب إلى إيجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، حكموا في بلدان مختلفة وأزمان شتى بالمثل من النعم، يحكم حاكم في النعمة ببدنة وهي لا تساوي بدنة، وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي بقرة، وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشاً، فدل أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبيهاً من حيث الخلقة، وتجب في الحمام شاة، وهو كل ما عبَّ وهدر من الطير، كالفاختة والقمرى لا من حيث القيمة.

وروي عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قضوا في حمام مكة بشاة. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة.

قوله تعالى: ﴿مَدْيًا بَلِغَ الْكَيْبَةِ﴾، أي: يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿أَوْ كَنْزَةً طَعَامًا مِّنْكَ لِمَن لَّدُنكَ مِن مَّسَاكِينِكَ﴾، قال الفراء رحمه الله: العذل بالكسر: المثل من جنسه، والعذل بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به: أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوم المثل دراهم، والدراهم طعاماً فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُد من الطعام يوماً وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين.

وقال مالك: إن لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاماً فيتصدق به، أو يصوم.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوماً.

وقال الشعبي والنخعي: جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير.

قوله تعالى: ﴿يَذُوقْ وَعْدَ اللَّهِ أَمْرًا﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفًا﴾، يعني: قبل التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾، في الآخرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾، وإذا تكرّر من

المحرم قتل الصيد فيتعدّد عليه الجزاء عند عامة أهل العلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قتل المحرم صيداً متعمداً يُسأل هل قتلته قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال نعم لم يحكم عليه، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك، وإن قال لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه، فإن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه، ولكن يُملاَ ظهره وصدره ضرباً وجيعاً، وكذلك حكم رسول الله ﷺ في وجع وهو واد بالطائف.

واختلفوا في المحرم هل يجوز له أكل لحم الصيد؟ فذهب قوم إلى أنه لا يحل بحال، ويروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول طاوس وبه قال سفيان الثوري، واحتجوا بما. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس عن الصّعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً، وهو بالأبواء، أو بردان فردّه عليه رسول الله ﷺ، قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي، قال: «إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم».

وذهب الأكثرون إلى أنه يجوز للمحرم أكله إذا لم يصد نفسه ولا اصطيد له لأجله أو بإشارته، وهو قول عمر وعثمان وأبي هريرة، وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وإنما ردّ النبي ﷺ على الصّعب بن جثامة

لأنه ظن أنه صيد من أجله.

والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله التيمي عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى [إذا] كان ببعض طريق مكة، تخلف مع أصحابه محرمين وهو غير مجرم فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأبى بعضهم فلما أدركوا رسول الله ﷺ سألوه عن ذلك، فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن حنطب عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لحم الصيد لكم في الإحرام حلال، ما لم تصيده أو يصاد لكم».

قال أبو عيسى: المطلب لا نعرف له سماعاً من جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وإذا أتلف المحرم شيئاً من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض أو طائر دون الحمام ففيه قيمته يصرفها إلى الطعام، فيتصدق به أو يصوم

عن كل مُد يوماً، واختلّفوا في الجراد فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا: هو من صيد البحر، زوي ذلك عن كعب الأحبار، والأكثرين على أنها لا تحل، فإن أصابها فعليه صدقة، قال عمر: في الجراد تمرة، وزوي عنه وعن ابن عباس: قبضة من طعام.

قوله عز وجل: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَالسِّيَارُ﴾، والمراد بالبحر جميع المياه، قال عمر رضي الله عنه:

«صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به». وعن ابن عباس وابن عمرو وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل ميتاً.

وقال قوم: هو المالح منه، وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد بن المسيب وقاتدة والنخعي. وقال مجاهد: صيده: طريه، ﴿وَطَعَامُهُ﴾: مالحه، ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾، أي: منفعة لكم، وللسيارة: يعني المارة.

وجملة حيوانات الماء على قسمين: سمك وغيره، أما السمك فميتته حلال مع اختلاف أنواعها. قال النبي ﷺ: «أحللت لنا ميتتان ودمان: الميتتان: الحوت والجراد، والدمان: الكبد والطحال».

ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبي حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحصار الماء منه ونحو ذلك.

سورة المائدة

الآية ٩٦

أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَالسِّيَارُ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي دَعَىٰ إِلَيْهِ تَحْشُرُونَ ﴿٩٦﴾ جَمَلُ اللَّهِ الْكُتُبُ الْآيَةُ الْحَرَامُ قَيْدًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْمَدَى وَالْقَتَادُ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ تَاعَلَى الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيُّثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ أُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَوُوا عَنِ الْأَسْمَاءِ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَحْوَمٌ وَإِنْ تَسْتَوُوا عَنْهَا جِنَّةٌ يُدْرَأُ أَفْعَىٰ أَنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَكَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

١٢٤

أما غير السمك فقسمين: قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان، فلا يحل أكله، وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح، فاختلف القول فيه، فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب قوم إلى أن ميت الماء كلها حلال، لأن كلها سمك، وإن اختلف صورها، كالجرثيق يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول وأبي بكر وعمر وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة، وبه قال شريح والحسن وعطاء، وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعي.

وذهب قوم إلى أن ما له نظير في البر يؤكل، فميتته من حيوانات البحر

حلال، مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره في البر لا يحل ميتته من حيوانات البحر، مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها.

وقال الأوزاعي: كل شيء عيشه في الماء فهو حلال، قيل: فالتمساح؟ قال: نعم.

وقال الشعبي: لو أن أهلي أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثوري: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأساً.

وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر، وكذلك الحديث. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صفوان بن سلمان عن سعيد بن سلمة عن آل بني الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول:

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن ابن جريج أخبرني عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول:

غزوت جيش الخبيط وأمر أبو عبيدة، فجعنا جوعاً شديداً فالتقى البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله، يقال له

العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه، فمزج الراكب تحته. وأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: قال أبو عبيدة: كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كلوا رزقاً أخرج الله إليكم، أطعمونا إن كان معكم»، فأتاه بعضهم بشيء منه فأكله.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ مَا دُمَّتْ رُؤُوسُهُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْبِحْرِ حُلَّالٌ﴾، صيد البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم، أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم، والصيد: هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم أخذه وقتله، ولا جزاء على من قتله إلا المتولد بين ما لا يؤكل لحمه وما يؤكل، كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل أكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم، لأن فيه جزاء من الصيد.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور».

وزوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقتل المحرم السبع العادي».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

قال: «خمس قتلهن حلال في الحرم: الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور».

وقال سفيان بن عيينة: الكلب العقور كل سبع يعقر، ومثله عن مالك، وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في قتل ما لا يؤكل لحمه، من الفهد والنمر والخنزير ونحوها إلا الأعيان المذكورة في الخبر، وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه الكفارة، وقاس الشافعي رحمه الله عليها جميع ما لا يؤكل لحمه لأن الحديث يشمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من جملة الهوام، وإنما هي حيوان مستخبت اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورثب الحكم عليه.

﴿٩٧﴾ قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَامَىٰ الْحَرَامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعتها والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل: سميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسمي الكعب كعباً لتوته، وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديها: تكعبت، وسمي البيت الحرام: لأن الله تعالى حرّمه وعظّم حرّمته.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ». ﴿قِيمًا لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن عامر ﴿قِيمًا﴾ بلا ألف والآخرين ﴿قِيمًا﴾ بالألف، أي: قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم،

أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبي إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم، قال الله تعالى: ﴿أولم يروا أننا جعلنا حرمًا مآبًا ونحفظ الأمان من حولهم﴾؟ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿وأشهر الحرم﴾، أراد به الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قيامًا للناس يأمنون فيها القتال، ﴿والهدى والقليد﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدى، فذلك القوام فيه.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفِي نَهْمَهُ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله، قيل: أراد أن الله عز وجل جعل الكعبة قيامًا للناس لأنه الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١]، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقولہ ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ راجع إليه.

﴿وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.﴾

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ﴾، التلبغ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ

وَاللَّيْثُ﴾، أي: الحلال والحرام، ﴿رَوَى أَصْحَابُكَ﴾، سورك، ﴿كثرة الحديث﴾، نزلت في شريح بن ضبيعة البكري، وحجاج بن بكر بن وائل، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين، وقد مضت القصة في أول السورة، ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَانِ لِعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، الآية أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا حفص بن عمر أنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: سألوا رسول الله ﷺ حتى أخفوه بالمسألة، فغضب فصعد المنبر فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم»، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبيكي، فإذا رجل كان إذا لأخى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت في الخير والشر كالיום قط، أني صُورث لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط»، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾.

وقال يونس عن ابن شهاب: أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال: قالت أم عبد الله بن حذافة

لعبد الله بن حذافة: ما سمعت بآبَن قط أعق منك، أمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ قال عبد الله بن حذافة: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته. وزوي عن عمر قال: يا رسول الله إنا حديثو عهد بجاهلية فاعفُ عنا يعفُ الله سبحانه وتعالى عنك، فسكن غضبه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الفضل بن سهل أخبرنا أبو النضر أنا أبو خيشمة أنا أبو جويرية عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي ويقول الرجل: تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾، حتى فرغ من الآية كلها. وزوي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال رجل: يا رسول الله أفي كل عام؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فاتركوني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا

عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ شَرُّكُمْ. أي: إن تظهر لكم تسوؤكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فيسوءه، ومن سأل عن نسبه لم يأمن من أن يلحقه بغيره فيفتضح.

وقال مجاهد: نزلت حين سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، لا تراه ذكرها بعد ذلك؟ ﴿وَإِنْ تَسْتَلُوا عَنْهَا مِنْ يَوْمِكُمْ فَلَا تُخْبَرُوا﴾، معناه: صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتهم عنها حينئذ تبدل لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، كما سألت ثمود صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثُمَّ أَمْسَكُوا بِهَا كَفِيرًا﴾، فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

﴿قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ﴾، أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع: البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها، ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ، ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكراً نحروه وأكله الرجال

والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوها، وحزمت على النساء لبنها ومنافعها، وكانت منافعها خاصة للرجال، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء.

وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة سنة إنثاءً سببت فلم يُركب ظهرها ولم يُجزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذننها ثم خلى سبيلها مع أمها في الإبل، فلم تُركب ولم يُجزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة.

وقال أبو عبيد: السائبة البعير الذي يُسبب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال: إن شفاني الله تعالى أو شفي مريض أو ردّ غائي، فناقتي هذه سائبة، ثم يسببها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة.

وقال علقمة: هي العبد يُسبب على أن لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث وقال ﷺ: ﴿إنما الولاء لمن أعتق﴾.

والسائبة فاعلة بمعنى المفعولة، وهي المسيبة؛ كقوله تعالى: ﴿ثَوَّابًا﴾ [الطارق: ٦]، أي: مدفوق، ﴿عَيْشَةٍ رَائِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكراً وأنثى استحسبوا الذكر من أجل الأثني،

وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأثني حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً.

وأما الحام: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلاً ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح ذرها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يُسببونها لألتهم لا يحمل عليها شيء.

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُضْبَهُ في النار، وكان أول من سبب السوائب».

روى محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أكثم بن جون الخزاعي: «يا أكثم رأيت عمرو بن لُحَيِّ بن قمعة بن خندق يجر قصبه في النار، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك»، وذلك أنه أول من غيّر دين إسماعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسبب السائبة، ووصل الوصيلة وحمي الحام، فلقد رأيت في النار يؤذي

أهل النار يريح قصبه»، فقال أكثم: أضرارني شبهه يا رسول الله؟ فقال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر».

قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، في قولهم الله أمرنا بها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿١٠٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرّون ما هي، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيثوه يُوشك أن يعتمهم الله تعالى بعقابه»، وفي رواية: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْتَعْلِمَنَّ اللَّهُ سَبْحَانَهِ وَتَعَالَى عَلَيْكُمْ شُرَكَائِكُمْ فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله عز وجل خياركُم فلا يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها

ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد ضلحوا عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم.

وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانها عن المنكر ما قبل منكم فإن ردَّ عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل منه أي: قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه أي: قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه أي: وقع تأويلهن بعد رسول الله ﷺ بيسير، ومنه أي: يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه أي: يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً، لم يُدق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانها، وإذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا أبو جعفر

سورة المائدة

المائدة

وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتَ ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْنَبْكُمْ ثَلَاثَةً ثَلَاثَةً الْمَوْتُ تَحْسِبُونَهَا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاحَةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَيْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِمَشْنَأِ وَأَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِدَةً تَلَافُوا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن عَرَضَ لَكُمْ شَيْءٌ مِّنْهُنَّ فَأَسْتَحْسِبْنَ أَلَمْ يَأْتِيَنَّكُمُ الْغُلَامُ يَكُونُ حَقٌّ مِّنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ وَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٧﴾ وَإِن عَرَضَ لَكُمْ شَيْءٌ مِّنْهُنَّ فَأَسْتَحْسِبْنَ أَلَمْ يَأْتِيَنَّكُمُ الْغُلَامُ يَكُونُ حَقٌّ مِّنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ وَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١١٥

أحمد بن محمد العنزي أخبرنا عيسى بن نصر أنا عبد الله بن المبارك أنا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي أنا أبو أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإن ورائكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل

عمله»، قال ابن المبارك: وزادني غيره: قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».

وقيل: نزلت في أهل الأهواء، قال أبو جعفر الرازي: دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان: ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أوليائه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَعْزُبُكُمْ مِّنْ صَلَٰةٍ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، الضال والمهتدي، ﴿فَيُنزِّلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾، سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن بداء قد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام، وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل ففتشا متاعه وأخذوا منه إناء من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه، ثم قضيا حاجتهما فانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت، ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميمياً وعدياً فقال له: هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه؟ قال: لا، قالوا: فهل أتجر تجارة؟ قال: لا، قالوا: هل طال مرضه فأنفق على نفسه؟ قال: لا، فقالوا: إننا وجدنا في متاعه صحيفة فيها

تسمية ما كان معه وإننا قد فقدنا منها إناء من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة، قالوا: ما ندري إنما أوصى لنا بشيء فأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء، فاختصموا إلى النبي ﷺ فأصراً على الإنكار، وحلفا فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَيْسِيَةِ أَتَانِ﴾. أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر.

وقيل: معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنتين، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان، لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاةِ فَيُشِيمَانِ﴾، ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور؛ كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عِبَادُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، يريد الحضور، ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾، أي: أمانة وعقل، ﴿بِمَجْرِمَتِكُمْ﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين، قاله ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعبيدة. ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية

فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت.

وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين.

قال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر.

وعن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدموا الكوفة بتركته وأتيا الأشعري، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد النبي ﷺ فأحلفهما، وأمضى شهادتهما. وقال آخرون: قوله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ بَيْنَكُمْ﴾، أي: من حي الموصي ﴿أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾، من غير حيكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿إِنْ أَتَتْكُمْ صُرَّتِي﴾، أي سرتكم وسافرتكم، ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾، فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة، فالحكم فيه أن ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، أي: تستوقفونهما، ﴿مِنْ بَعْدِ الْفَلَاةِ﴾، أي: بعد الصلاة، ﴿وَمِنْ﴾ صلة يريد بها بعد صلاة العصر، هذا قول الشعبي والنخعي

وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين، لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال الحسن: أراد من بعد صلاة العصر، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتئما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾، فيحلفان، ﴿يَا اللَّهُ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول الذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لَا تَشْتَرِي بِذِهِ قَسَمًا﴾، أي: لا تحلف بالله كاذبين على عوض تأخذه أو مال يذهب به أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ فَا قَرِينًا﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة مثلاً، ﴿وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب «شهادة»، بالتثنية، «الله» ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً عن حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر «تَبَدُّدًا» بتثنية، «الله» بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِيمِينَ﴾، أي: إن كتمانها كتمان الأثمين.

فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا تميمًا وعدياً فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئاً مما دفع إليهما فحلفا على ذلك، وخلق رسول الله ﷺ سيئتهما.

ثم ظهر الإناء واختلفوا في كيفية ظهوره، فروى سعيد بن جبير عن

ابن عباس رضي الله عنهم أنه وجد بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي. وقال آخرون: لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا لهما: ألم تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه؟ قالوا: لم يكن عندنا بيعة وكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل:

﴿فَإِنْ عُرِبَ﴾، أي: اطلع على خيانتها، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾، يعني: الوصيين ﴿أَسْتَحَقُّ﴾، استوجبا، ﴿إِنَّمَا﴾، بخيانتها وبإيمانها الكاذبة، ﴿فَأَخْرَانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يَقُولَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقُّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذا قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عَلَيْهِمَا﴾، أي: فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم و ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى في؛ كما قال الله: ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]،

أي: في ملك سليمان، وقرأ حفص ﴿اسْتَحَقُّ﴾ بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الْأُولَيْنِ﴾، نعت للأخران، أي: فأخران الأوليان، وإنما جاز ذلك، و ﴿الْأُولَيْنِ﴾ معرفة والآخران نكرة

لأنه لما وصف الـ «آخران» فقال ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ صار كالمعرفة و ﴿الْأُولَيْنِ﴾ تشبیه الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿الاولين﴾ بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضاً أولياء الميت.

ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنا عشر آخراً من أقارب الميت، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِن شَهَدْتِمَا﴾، يعني: يميننا أحق من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٦]، والمراد بها الأيمان، فهي كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿وَمَا أَتَقَدَّرْنَا﴾، في أيماننا، وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْفُلَيْمِينَ﴾.

فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله بعد العصر فدفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول: صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله وأستغفره، وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه.

والوصي إذا أخذ شيئاً من حال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن تميم الداري قال: كتبا بعنا الإناء بالف درهم فقسمتها أنا

تزول فيها القلوب عن مواضعها، فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب، ثم بعدما ثابَّت إليهم عقولهم يشهدون على أممهم.

﴿قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ بِعَمِّي عَلَيْكَ﴾، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله: ﴿بِعَمِّي﴾، أي: زعمي قال الحسن: لفظه واحد ومعناه جمع؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَمُدُّوا بِعَمِّي اللَّهِ لَا تَحْشَوْهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَعَلَىٰ وَدَيْكَ﴾، مريم ثم ذكر النعم فقال: ﴿إِذْ آتَيْتُكَ﴾، قزيتك، ﴿بِإِشْرَاقِ الْقُدْسِ﴾، يعني: جبريل عليه السلام، ﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، صبياً، ﴿وَكَهَلًا﴾، نبياً قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَاكَ مِنَ الطَّيْرِ﴾، كصورة الطير، ﴿بِإِذْنِ فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، حياً يطير، ﴿بِإِذْنِ وَتَرِيئُ﴾، تصحح، ﴿الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ وَإِذْ نَحْنُجُ الْمَوْتَى﴾، من قبورهم أحياء، ﴿بِإِذْنِ وَإِذْ كَفَفْتُكَ﴾، منعت وصرفت، ﴿بِإِشْرَاقِ رَبِّكَ﴾، يعني: اليهود، ﴿عَنكَ﴾، حين هموا بقتلك، ﴿إِذْ حَتَمَهُمُ بِالْبَيْتِ﴾، يعني: بالدلالات والمعجزات، وهي التي ذكرنا.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا

الأمانة، ﴿وَأَسْمَعُوا﴾، الموعظة، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ﴾، لهم، ﴿مَاذَا أَجِئْتُمْ﴾، أي: ما الذي أجابْتُمْ أمْتِكُمْ؟ ما الذي رُدَّ عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيددي وطاعتي؟ ﴿قَالُوا﴾، أي: فيقولون، ﴿لَا عَلِمْنَا لَكَ﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل:

لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُرْيُوبِ﴾، أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب أنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي: إن للقيامة أهوالاً وزلازل

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِئْتُمُ قَالَوا لَآءِمْةً لَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْقُرْيُوبِ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ بِعَمِّي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَدَيْكَ إِذْ آتَيْتُكَ بِإِشْرَاقِ الْقُدْسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَاكَ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ وَتَرِيئُ الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ وَإِذْ نَحْنُجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ حَتَمَهُمُ بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحْرٌ قُبِيْرٌ ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْمَوْرِثِينَ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَيُرْسِلُوا قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ الْمَوْرِثُونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَضِيعُ رُبُّكَ أَنْ يُزَوَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَكَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١١﴾

وعدي، فلما أسلمت تائمت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله ﷺ وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي، ورددت أنا الخمسمائة.

فذلك قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ أَدَّبَ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا﴾، [أي]: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي: أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ آيَاتُنَا بَعْدَ آيَاتِنَاهُمْ﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾، أن تحلفوا أيماناً كاذبة وتخونوا

سورة المائدة
سورة المائدة

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَرِزْقًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَّاتِي وَابْنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ
عَلَيْهِمْ شُهَدَاءَ مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّعْتِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ فَنٍّ وَشَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّلْتُمْ عَنْ عِبَادَتِي
وَإِنْ تَتَفَرَّقُوا لَكُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الظَّهِيرُ لِلْكَافِرِ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضْوَانَهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِيفِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

ففعّلوا وسألوا المائدة، وقالوا: ﴿وَتَعَلَّمْ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوماً لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطانا، ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنْ الشُّهَدَاءِ﴾، لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، عند ذلك، ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، وقيل: إنه اغتسل ولبس المسح وصلّى ركعتين وطأطأ رأسه وغمض بصره ويكي، ثم قال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهاناً، والعيد: يوم السرور، وسمّي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك وسمّي يوم الفطر والأضحى

استعظماً لقولهم ﴿وَأَنْقُوا﴾ الله إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، أي: لا تشكوا في قدرته.

﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، المائدة الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مادة يميده إذا أعطاه وأطعمه، كقوله: ماره يميّره، وامتاد: افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للكلين الطعام، وسمي الطعام أيضاً مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سُمّيت مائدة

لأنها تميد بالآكلين، أي: تميل، وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعول، أي: تميد بالآكلين إليها؛ كقوله تعالى: ﴿يَسِّرْ رَأْيِي﴾ [الحاقة: ٢١]، أي: مرضية، ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام مجيئاً لهم: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

﴿قَالُوا رَبُّدِي﴾، أي: إنما سألنا لأننا نريد، ﴿إِنْ نَأْكُلْ مِنْهَا﴾، أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته، ﴿وَنَقَطَمِينَ﴾، تسكن، ﴿فَلَوْ بَا وَتَعَلَّمْ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، بأنك رسول الله، أي: نزداد إيماناً و يقيناً، وقيل إن عيسى ابن مريم عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوماً، فإذا فطروا لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم،

سِحْرٌ مُّبِينٌ، يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ها هنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعاً إلى محمد ﷺ.

﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِجِينَ﴾، أي: ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة: يعني أمرت و ﴿إِلَى﴾ صلة، والخواريجون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أَنْ﴾ ما يُؤْتَى بِهِ وَيُرْسَلُ بِهِ، عيسى، ﴿قَالُوا﴾ حين وفتتهم ﴿ءَأَمَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قرأ الكسائي ﴿هل تستطيع﴾ بالتاء ﴿رَبُّكَ﴾ بنصب الباء هي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسال ربك، وقرأ الآخرون ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء، و ﴿وَرَبُّكَ﴾ برفع الباء، ولم يقلوه شاكين بقدرة الله عز وجل، ولكن معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقوله: أجب واستجاب، معناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشراً، فقال لهم عيسى عليه السلام: عند الغلط

عيداً لأنهما يعودان في كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله: ﴿لَأَوْلَانَا﴾، أي: لأهل زماننا ﴿وَأَخْرَانَا﴾، أي: لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، ﴿وَمَا يَأْتِيَنَّكَ﴾، دلالة وحجة، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ تعالى مجيباً لعيسى عليه السلام، ﴿إِنِّي مُزِيلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني: المائدة وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم ﴿مُزِيلُهَا﴾ بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى وقرأ الآخرون بالتحفيف لقوله ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فَأَيُّ عُذْبَةٍ عَذَابُهُ أَكْثَرًا مِنْ أَلْتَالِيَيْنَ﴾، يعني: عالمي زمانه، فجدد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسيحوا قرده وخنازير، قال عبدالله بن عمرو: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون.

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن: لم تنزل لأن الله عز وجل لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نزيدها، فلم تنزل، وقوله: ﴿إِنِّي مُزِيلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني: إن سألتهم. والصحيح الذي عليه الأكثرون

أنها نزلت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُزِيلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ولا خلف في خبره ولتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

واختلفوا في صفتها، فروى خلاص بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنها نزلت خبزاً ولحماً، وقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبؤوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤوا فمسخوا قرده وخنازير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى عليه السلام قال لهم: صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه، فصاموا فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إننا لو عملنا لأحدهما فقضينا عمله لأطعمنا، وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

قال كعب الأحبار: نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم.

وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم.

قال قتادة: كان عليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال عطية العوفي: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال الكلبي: كان عليها خبز ورز وبقل.

وقال وهب بن منبه: أنزل الله

أقرصة من شعير وحيثاناً وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكل جميعهم وفضل.

وعن الكلبي ومقاتل: أنزل الله خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله تعالى، والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد، وقالوا: ويحك إننا سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرته، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره، فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل ممسوخ.

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسلى لبني إسرائيل.

وقال عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي: لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفاً وبكى، وقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين: أنت أولى بذلك

منا، فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً، ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا مما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله، قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها، فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألتها فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين، فقال: كلوا من رزق الله ولكم المهناً ولغيركم البلاء، فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شعبان، وإذا السمكة كهيتها حين نزلت، ثم طارت سفرة المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت، فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، فإذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء

والصغار والكبار والرجال والنساء، ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفياء طارت صعداً وهم ينظرون إليها في ظلها حتى توارت عنهم، وكانت تنزل غباً يوماً ولا تنزل يوماً كناقاة ثمود، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها، وقالوا: أترون المائدة حقاً تنزل من السماء؟ فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبتة عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن مَّعَذِبَهُمْ فَالْتَمَّ عِبَادَكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْكَرِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على فراشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشربون براء وسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

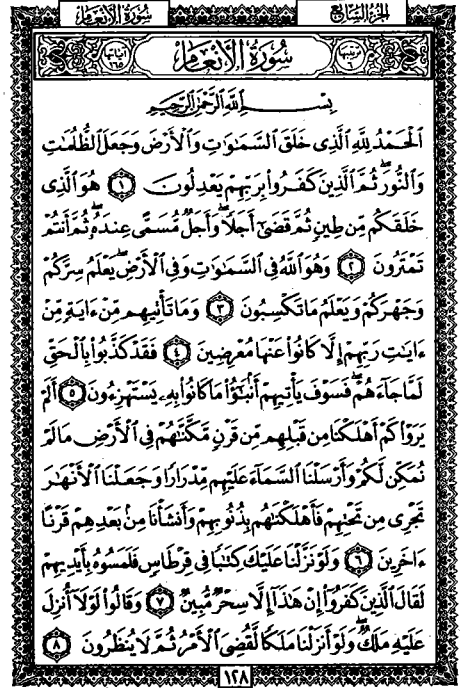
﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ انْعَبُونِي وَأُنِى إِلَهُينَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين

رفعه إلى السماء لأن حرف ﴿إِذْ﴾ يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة، بدليل قوله من قبل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال من بعدها: ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء ﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا﴾ [سبأ: ٥١]، أي: إذا فزعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة.

قوله: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ انْعَبُونِي وَأُنِى إِلَهُينَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟

قيل: هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلماً واستعظماً لا استخباراً واستنهماً.

وأيضاً أراد الله عز وجل أن يقر عيسى عليه السلام على نفسه بالعبودية، فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: إذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة في جسده عين من دم، ثم يقول مجيباً لله عز وجل: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً لك وتعظيماً ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَقَلَّبَ مَا فِي نَفْسِي﴾، قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم سري ولا



﴿وَإِنْ تَقَفَرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهذا لا
يليق بسؤال المغفرة،
قيل: أما الأول معناه إن
تعذبهم بإقامتهم على
كفرهم وإن تغفر لهم بعد
الإيمان، وهذا يستقيم
على قول السدي: إن هذا
السؤال قبل يوم القيامة
لأن الإيمان لا ينفع في
القيامة.

وقيل: هذا في الفريقين
منهم معناه: إن تعذب من
كفر منهم، وإن تغفر لمن
آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على

وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك
لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم،
ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى
مراده، وأما السؤال الثاني فكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقرأ ﴿وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾، وكذلك هو في مصحفه،
وأما على القراءة المعروفة قيل: فيه
تقديم وتأخيره تقديره: وإن تغفر لهم
فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت
العزیز الحكيم.

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم
عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت
العزیز في الملك الحكيم في القضاء
لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج
من حكمك شيء، ويدخل في
حكمته ومغفرته وسعة رحمته
ومغفرته الكفار، لكنه أخبر أنه لا
يغفر وهو لا يخلف خبره.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا

عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا
محمد بن عيسى الجلودي حدثنا
إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا
مسلم بن الحجاج حدثني يونس بن
عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني
عمرو بن الحارث أن بكر بن سودة
حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن
عبد الله بن عمرو بن العاص، أن
النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في
إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَأْتِلَن كَثِيرًا مِّنَ
النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ مَتَّى﴾ [إبراهيم:

٢٦] الآية، وقول عيسى عليه
السلام: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾،
فرفع يديه وقال: «اللهم امتي
وبكى»، فقال الله عز وجل: يا
جبريل اذهب إلى محمد، وربك
أعلم فسله ما يبكيك؟ فاتاه جبريل
فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما
قال، فقال الله تعالى: «يا جبريل
اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك
في أمتك ولا نسوءك».

﴿قَالَ اللَّهُ هَلَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ﴾، قرأ نافع «يوم» بنصب
الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في
يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ
الآخرون بالرفع على أنه خبر
﴿هَذَا﴾، أي: ينفع الصادقين في
الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا
ختم الله على أفواههم ونطقت به
جوارحهم فافتضحوا، وقيل: أراد
بالصادقين النبيين.

وقال الكلبي: ينفع المؤمنين
إيمانهم، قال قتادة: متكلمان
يخطبان يوم القيامة عيسى عليه
السلام، وهو ما قص الله، وعدو الله

أعلم سره، وقال أبو روق: تعلم ما
كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما
يكون منك في الآخرة، وقال
الزجاج: النفس عبارة عن جملة
الشيء وحقيقته، يقول: تعلم جميع
ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم
حقيقة أمرك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ
الْعُلُوبِ﴾، ما كان وما يكون.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ
إِنِ اعْبَدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وحُذوه
ولا تُشركوا به شيئاً، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ﴾، أقمت، ﴿فِيهِمْ فَلَمَّا
تَوَيْتَنِي﴾، قبضتني ورفعتنني إليك،
﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾، الحفيظ
عليهم، تحفظ أعمالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾، فإن قيل: كيف طلب
المغفرة لهم وهم كفار، وكيف قال:

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل».

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته به، قال النضر بن شميل: الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدول، قال الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَتَّبِعُهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، أي: منها.

وقيل: تحت قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: معنى لطيف: وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من ولده، قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني، فرجع جبريل ولم يأخذ شيئاً وقال: يا رب إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل، فاستعادت فرجع، فبعث ملك الموت فعادت منه بالله، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلف ألوان بني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة، قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدُلَاكِ﴾ [الإسراء: ١١١] الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وختمه بالحمد فقال: ﴿وَوُضِعَ يَتِيمٌ بِالْحَقِّ﴾، أي: بين الخلائق، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله: الحمد لله، حمد الله نفسه تعليماً لعباده، أي: احمداوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار.

وقال الحسن: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، يعني: الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار.

وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض.

قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور، والجنة قبل النار.

إبليس، وهو قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية، فصدق عدو الله يومئذ، وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام كان صادقاً في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه.

وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿فَمَنْ جَنَّكَ فَجَري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ الْكَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم عظم نفسه.

﴿قَالَ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

سورة الأنعام

وهي مائة وخمس وستون آية مكية، نزلت بمكة جملة ليلاً معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسيح والتحميد والتمجيد، فقال النبي ﷺ: «سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخرّ ساجداً».

وروي مرفوعاً: «من قرأ سورة الأنعام يصلّي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره».

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت سورة الأنعام بمكة، إلا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١ - ٩٣]، إلى آخر ثلاث آيات، وهو قوله: ﴿قُلْ تَمَّارُوا أَنْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمَلَكْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]، فهذه الست آيات مدنات.

آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، فلذلك اختلفت أخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيديك.

وزوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طيناً، ثم تركه حتى كان حمأ مسنوناً ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً كالفخار، ثم نفخ فيه روحه.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا أَجْلاً وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وزوي ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا أَجْلاً﴾، يعني: النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند السقطة، ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، يعني: أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: ثم قضى أجلاً يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، ﴿ثُمَّ أَفْتَرْنَا مَمَرَوْنًا﴾، تشكون في البعث.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي

السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِينَ﴾، يعني: وهو إله السموات والأرض؛ كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ الْآرِضِينَ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقيل: هو المعبود في السموات والأرض، وقال محمد بن جرير: معناه وهو الله في السموات يعلم سرهم وجهرهم في الأرض، وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير وتقدير: وهو الله، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، في السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، تعملون من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿مِنْ مَّيْمَنَةٍ أَوْ مِنْ شَمَالٍ﴾، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿إِلَّا كَأَنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغُوا﴾، لها تاركين وبها مكذبين.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: أخبار استهزأتهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة استهزأهم إذا عذبوا.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَرُؤُاكُمْ أَهْلَكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾، يعني: من الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوي أن النبي ﷺ قال لعبد بن بسر المازني: «إنيك تعيش قرناً»، فعاش مائة سنة.

فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿تَكْفُرُ فِي الْأَرْضِ مَا

لَمْ تُكْفِرْ لَكُمْ﴾، أي: أعطيناهم ما لم نعظكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكنته ومكنت له، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾، يعني: المطر، ومغال، من الدر، قال ابن عباس: مدراراً أي: مُتتابعاً في أوقات الحاجات، وقوله: ﴿مَا لَمْ تُكْفِرْ لَكُمْ﴾ من خطاب التلويح، رجع من الخبر من قوله: ﴿إِنَّمَا يَرُؤُا﴾ إلى الخطاب؛ كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكَ وَبَحْرَيْنَ يَمِينًا﴾ [يونس: ٢٢].

وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَرُؤُا﴾ وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت لعبد الله: ما أكرمك، ﴿وَجَمَعْنَا الْأَنْهَارَ تَمْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَجَاءَتْهُمْ بِدُونِهِمُ آبْنَاءَنَا﴾، خلقنا وابتدأنا، ﴿مِنْ بَدُونِهِمْ قَرْنَا مَعْرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ﴾، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ﴾ مكتوباً من عندي، ﴿فَلَسَوْا بِأَبْرِهِمْ﴾، أي: عاينوه ومسوه بأيديهم، وذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لأن اللبس أبلغ في إيقاع العلم من الرؤية، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ

هَذَا إِلَّا يَسْتَرْشِدُونَ، معناه: أنه لا ينفع معهم شيء لِمَا سبق فيهم من علمي.

﴿٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا، على محمد ﷺ، ﴿مَلَكٌ﴾ وَكَلَّمَ أَرْسَلْنَا مَلَكًا لِقُضَى الْأَمْرِ، أي: لوجب العذاب، وفرغ من الأمر، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة: لو أنزلنا ملكاً ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا.

﴿٩﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا، يعني: لو أرسلنا إليهم ملكاً، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رِجُلًا﴾، يعني: في صورة رجل آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين. قوله عز وجل: ﴿وَلَلْبَيْسَاءَ عَلَيْهِمْ مَا يُلَيِّسُونَ﴾، أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أو آدمي، وقيل: معناه شبهوا على ضعفائهم فشبهه عليهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وحرّفوا الكلم عن مواضعه، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقرأ الزهري ﴿لَلْبَيْسَاءَ﴾ بالتشديد على التكرير والتأكيد.

﴿١٥﴾ وَقَلِّدْ أَسْتَهْزِئُ يُرْسَلُ مِن

قَبْلَهُ، كما استهزى بك يا محمد، يعزّي نبيه ﷺ، ﴿فَمَحَاقٌ﴾، قال الربيع بن أنس: فنزل، وقال عطاء: حل، وقال الضحاك: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: جزاء استهزاءهم من العذاب والفتنة.

﴿١٦﴾ قُلْ، يا محمد لهؤلاء المكذّبين المستهزئين، ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، معتبرين، يُحتمل هذا السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير

بالأقدام، ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: آخر أمرهم وكيف أورتهم الكفر والتكذيب الهلاك، فحذّر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن أجابوك وإلا ف﴿قُلْ﴾، أنت، ﴿يَوَّ﴾، أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وأكد في الحجّة، ﴿كُتِبَ﴾، أي: قضى، ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخباره بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رِجُلًا وَلَلْبَيْسَاءَ عَلَيْهِمْ مَا يُلَيِّسُونَ ﴿٨﴾ وَقَلِّدْ أَسْتَهْزِئُ يُرْسَلُ مِن قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَمْ يَأْسِكُنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ وَأَنَا خَشِيْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْأَلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩﴾ مَن نَّصَرَ عَنهُ يَوْمَ ذُقْنَاهُ أَهْلَهُ فَأَهْلُهُ لَا هُوَ وَإِن يُنَّسَكْ بِمَن تَعْبَدُونَ قُلْ إِنِّي سَأَلَ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْكَلِيمُ الْمُقِيمُ ﴿٢١﴾

منبه قال: ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

وروى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: «إن رحمتي سبقت غضبي».

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني أنا أبو طاهر الزياتي أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا أبو عبد الرحمن المروزي أخبرنا عبد الله بن المبارك أنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله مائة رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تتعاطف الوحوش على أولادها، وأخر الله

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ عِندَهُ؟ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَبْلُغْ أَيْتَانَكُمْ تَشْهَدُونَ أَمَّا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرًا قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَجِدَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَهِيدٌ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ آمَنُوا تَتَّبِعُهُمُ الْكُتُبُ يُعِزُّونَهُمْ كَمَا يُعِزُّونَهُ أَتَانَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَنْ نُكَلِّمَهُمْ فَتُنَبِّئُهُم بِمَا قَالُوا وَاللَّهُ رَئِيفًا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ تَكُنْ تَدَّبَّرُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٨﴾ وَمَتَّعْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ عَالَمِينَ وَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ أَكْفَىٰ أَنْ يَفْقَهُوهُ فِيءَ آدَامِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُنظِرُونَ وَإِن لَّبَدْلُهُمْ أَكْثَرٌ وَلَئِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُنظِرُونَ وَإِن لَّبَدْلُهُمْ أَكْثَرٌ وَلَا تَكْذِبُ بِآيَاتِنَا وَتَكُونُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩﴾

وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾، غبنوا، ﴿أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك؛ كقوله: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي: الحر والبرد، وقيل: إنما خصَّ السكان بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، قال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل

والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض، وقيل معناه: وله ما يميز عليه الليل والنهار، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لأصواتهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ عِندَهُ؟﴾ وهذا حين دعى إلى دين أبائه، فقال تعالى: قل يا محمد أغير الله أتخذ ولياً، رباً ومعبوداً وناصراً ومُعِيناً؟ ﴿فَالظَّالِمُونَ وَالْآزِينَ﴾، أي: خالفهما ومُبدعهما ومبتدئهما، ﴿وَهُوَ يُعْلَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، أي: وهو يَرْزُق ولا يَرْزُق؛ كما قال: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: ٥٧]. ﴿قُلْ إِنِّي أُرْسِلْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ﴾، يعني: من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿وَلَا تَكُونَتْ﴾، يعني: وقيل لي ولا تكونن، ﴿وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، فعبدت غيره، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني: عذاب يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْتَهُ﴾، يعني: من يُصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب ﴿يُصْرِفُ﴾ بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرف الله عنه العذاب لقوله ﴿فَقَدَّ رَحْمَةً﴾، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿فَقَدَّ رَحْمَةً وَذَلِكَ الْقُرُونُ الْأَمْبِيئُ﴾، أي: النجاة البيئة.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِن يَسْتَسْكَ اللَّهُ يَصْرِفْ﴾ بشدة وبلية ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾، لا رافع، ﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَسْتَسْكَ بِخَيْرٍ﴾، عافية ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من الخير والضر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله السلمي أنا أبو العباس الأصم أنا أحمد بن شيبان الرملي أنا عبد الله بن ميمون القداح أنا شهاب بن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال: أهدى للنبي ﷺ بغلة، أهدها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً ثم التفت إلي فقال: «يا غلام»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى اللّه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وقد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد

تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها، تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «اللَّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها».

قوله عز وجل: ﴿يَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازة: والله ليجمعنكم، ﴿إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: في يوم القيامة.

الخلايق أن ينفعوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين، فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكَرْبِ الفَرْجُ، وأن مع العُسْرِ يُسْرًا.

﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾،
القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير الذي يُجْبِرُ الخلق على مُرادِهِ ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ هو صفة الاستعلاء الذي تفرّد به الله عز وجل. ﴿وَهُوَ لَكُمُومٌ﴾، في أمره، ﴿لَخَبِيرٌ﴾، بأعمال عباده.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَيْئًا؟﴾ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحداً يصدّقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَيْئًا؟﴾ أعظم ﴿شَيْئًا؟﴾ فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ هو ﴿شَيْئًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿وَأَوْحَى إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَشَدِّكُمْ وَيَدُّ لَكُمْ بِهِ يَا أَهْلَ مَكَّةَ﴾، ﴿وَمَنْ يَلْعَبْ﴾، يعني: ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا محمد بن بشر بن محمد

المزني أنا أبو بكر محمد بن الحسن بن بشير النقاش أنا أبو شعيب الحراني أنا يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلي أنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بَلِّغُوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار﴾.

أخبرنا أبو الحسن عبدالوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فقه غير فقيه، وَرُبَّ حَامِلٍ فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم﴾.

قال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكانما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدَنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟﴾ ولم يقل آخر لأن الجمع يلحقه التانيث؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].
﴿قُلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أنتم،

﴿لَا أَشْهَدُ﴾، أنا أن معه إلهاً، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ﴾ الكُتُبِ، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾، من بين الصبيان، ﴿الَّذِينَ حَبَّرُوا﴾، غبنوا، ﴿أَنفُسَهُمْ فَمَهَّ لَا يُؤْمِنُوا﴾، وذلك أن الله جعل لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أكفر، ﴿وَمَنْ أَفْضَلُ﴾، اختلق، ﴿حَلَّ اللَّهُ كِدْبًا﴾، فأشرك به غيره، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِي الظَّالِمُونَ﴾، الكافرون.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب ﴿بِحَشْرِهِمْ﴾ ههنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرْنَاكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ رُزُقٌ تَرْعَمُونَ﴾، أنها تشفع لكم عند ربكم.

﴿٢٨﴾ ﴿ثُمَّ لَرَّ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «يكن» بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالبناء لتانيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر حفص عن عاصم ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم

قوله: ﴿أَنْ قَالُوا﴾، ففتنتهم الخبر، ومعنى قوله: ففتنتهم، أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة، قال الزجاج: في قوله: ﴿فَإِنَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ معنى لطيف، وذلك مثل الرجل يفتن لمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام، ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾، في محبتهم للأصنام، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزة عن أهل التوحيد، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعنا ننجا مع أهل التوحيد، فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

﴿٢٤﴾ فقال عز وجل: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، باعتذارهم الباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وَسَمَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: زال وذهب عنهم ﴿مِمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فيطلب كلّه في ذلك اليوم.

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَسْتَعِجِ إِلَيْكَ﴾ الآية، قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة

والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي إيسا خلف والحارث بن عامر، يستمعون القرآن، فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا أنني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون وأخبارها، فقال أبو سفيان: إنني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية: لَلْمُوتُ أَوْهُونُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَسْتَعِجِ إِلَيْكَ﴾ وإلى كلامك، ﴿وَجَمَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أعطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أن يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وَقَدْ أَفْأَنَّهُمْ وَقَرَّ﴾، صمماً وثقلاً، وهذا دليل على أن الله تعالى يقرب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُودًا﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يُقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني: أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة، وقيل: هي الترهات والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كتبت.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْهُ يَتَّبِعْ عِتَهُ﴾، أي: يتهون الناس عن اتباع محمد ﷺ، ﴿وَيَسْتَعِجِ إِلَيْكَ﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله

محمد بن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: يتهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد، حتى روي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا: خذ شاباً من أصحابنا وجهاً، وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم؟ ورُوي أن النبي ﷺ دعاه إلى الإيمان، فقال: عينك، ولكن أذب عنك ما حييت، وقال فيه آياتاً:

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ
حَتَّىٰ أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينًا
فَاضْغُ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ
وَابْشُرْ بِذَلِكَ وَقَرِّ بِذَلِكَ مِنْكَ عَيُونًا
وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتَنِي أَنْكَ نَاصِحِي
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينًا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ سُبَّةٍ
لَوْجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مَبِينًا
﴿إِنْ يَبْلُغُونَ﴾، أي: ما يهلكون،
﴿إِلَّا أَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا يرجع وبال
فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين
يصدونهم عليهم، ﴿وَمَا يَسْتَعْرِفُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا لِإِذٍ يُوقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾، يعني: في النار؛ كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِطِينَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: في ملك سليمان، وقيل: عُرضوا على النار، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف معناه: لو

تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً، ﴿قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾، يعني: إلى الدنيا، ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكْفُرُ بِبِنِ الْكُوفِينَ﴾، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى: يا ليتنا نرد [أو] نحن لا نكذب ونكفر من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب ﴿وَلَا نَكْذِبُ﴾ ﴿وَنَكْفُرُ﴾ بنصب الباء والنون على جواب التمثلي، أي: لست ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكفر، والعرب تنصب جواب التمثلي بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن عامر ﴿نَكْذِبُ﴾ بالرفع، و ﴿نَكْفُرُ﴾ بالنصب لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إن ردوا إلى الدنيا.

﴿بَلْ بَدَأْتُمْ﴾ قوله: ﴿بَلْ﴾ تحته رد قولهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا إنهم لو ردوا لأمثوا بل بدأ لهم ظهر لهم، ﴿مَا كَانُوا يَحْفَرُونَ﴾، يسرون من قبل، في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون، وهو قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فأخفوا شركهم وكتفوا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتفوا وستروا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا، إلا أن تجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل بدأ لهم جوارحهم ما كانوا يخفون، وقال النضر بن شميل: بل بدأ عنهم.

ثم قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا لَمَادُوا لِبَاءِ﴾، يعني: إلى ما ﴿هُنَّ عَنْهُ﴾ من الكفر، ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قولهم، لو ردنا إلى الدنيا لم

نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، هذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذا من قولهم لو ردوا لقولهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا إِذْ وَقَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا﴾، أي: على حكمه وقضاه ومسالته، وقيل: عرضوا على ربهم، ﴿قال﴾ لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله، ﴿الَّذِينَ هَذَا﴾

بالحقي؟ يعني: ليس هذا البعث والعذاب بالحقي؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ﴾ في موقف آخر، وللقيامة مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون، ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله بالبعث بعد الموت، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾، أي: القيامة ﴿بِغْتَابٍ﴾، أي: فسجاءة، ﴿قَالُوا يَحْسَرْتُنَا﴾، ندامتنا، ذكر على وجه النداء للمبالغة، قال سيبويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك، ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا﴾، أي: قضرنا، ﴿فِيهَا﴾، أي: في الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة.

وقال محمد بن جرير: الهاء

بَلْ بَدَأْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ مِنْ قَبْلُ وَتُؤَدُّوا أَعْمَادًا وَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَادُكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَكْنَا إِذْ وَقَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا قَالَ النَّاسُ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَسَاءَ مَا كُرِّهُوا عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَادُكُمْ تَكْذِبُونَ أَوْ أَرْوَاحُكُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِسْمَاءٌ مَائِدُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَبْرَةُ أَلَّذِينَ لَا أَلِيمُ رَبِّهِمْ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَدْ كَذَّبْتُمْ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكُمْ فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا وَخَسِرْتُمْ سَرَاتٍ وَلَا يُنَبِّئُوكُمْ بِالْحَقِّ وَاللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ نَبِيِّ الْأَمْثَلِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِن كَانُكَرْتُمْ إِعْرَاضَهُمْ فَإِنِ اسْتَكْبَرْتُمْ أَن تَقْبَلُوهُ فَتَقَالَىٰ فِي الْأَرْضِ أَوْ سَمَكًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ كَذَابٌ وَرِشَاءَةٌ اللَّهُ لَجْمَعُهُمْ عَلَىٰ الْهَيْدَىٰ فَلَا تَكْفُرُونَ مِنَ الْخَالِقِينَ ﴿٣٤﴾

راجعة إلى الصفقة، وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا ﴿قَالُوا يَحْسَرْتُنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا﴾، أي: في الصفقة، فترك ذكر الصفقة اكتفاء بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾، لأن الخسران إنما يكون في صفقة بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر التادم، كما يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿وَهُمْ يَحْسَرُونَ أَرْوَاحَهُمْ﴾، أفعالهم وأنامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾، قال السدي وغيره: إن المؤمن إذا أخرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح فاركني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله هنز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الْآرْتَجِنِ﴾ [مريم: ٨٥]، أي: ركبنا، وأما الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأثمنه ريحاً، فيقول:

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، يقول: إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وخيي ويجحدون آياتي، كما قال: ﴿وَحَمْدُوا بِهَا وَاسْتَقْبَتَهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ﴾، كذبهم قومهم كما كذبتك قريش، ﴿فَصَبِّرْ عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمْ نَصْرًا﴾، بتعذيب من كذبهم، ﴿وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا ناقض لما حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام، فقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْغَائِبِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَلَئِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال الحسن بن الفضل: لا خُلفَ لِعِدَاتِهِ، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّائِ الْغُرَبَاءِ﴾، و ﴿مِنَ صَلَاةٍ كَمَا تَقُولُ: أصابنا من مطر.

﴿٣٧﴾ ﴿وَإِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾، أي: عظم عليك وشق أن عرضوا عن الإيمان بك، وكان رسول الله ﷺ يحصر على إيمان قومه أشدَّ الحرص، وكانوا إذا سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عز وجل: ﴿إِنِّي اسْتَمَلْتُ أَنْ يُبَيِّنَ نَفَقًا﴾، تطلب وتتخذ نفقاً أي سرياً و ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، ومنه نفاقاء البروع، وهو أحد جحره فيذهب فيه، ﴿أَوْ سُلًّا﴾، أي: دزجاً ومصعداً، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، فتصعد

وابن عامر ويعقوب ﴿أَفَلَا تَقُولُونَ﴾، بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس، وافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

﴿٣٨﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدْ ظَلَمَ بِئْتَهُ لِيَحْرَتَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾، قال السدي: التقى الأحنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأحنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله صادق

هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ: لا نتهمك ولا نكذبك ولكننا نكذب الذي جئت به، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ ظَلَمَ بِئْتَهُ لِيَحْرَتَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾، بأنك كاذب، ﴿فَأَيُّكُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾، قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من الكذب، فالتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب، وتقول له: كذبت، والإكذاب هو أن تجده كاذباً، تقول العرب: أجذبت الأرض وأخضبتها إذا وجدتها جذبة ومخضبة، ﴿وَلَكِنْ

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمُرُوفَ يَعْلَمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَرُفِعَ لِرَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورُهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسْمِ اللَّهِ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُشَاءُ يَعْمَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ آلِهِمُ الْقُرْآنَ فَكَلَّمُوا فَكُلُّهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ آيَاتُهُمْ فِي كَيْفِ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا فَأْتُرُوكُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتُهُمُ الْبَاسِقَةَ وَالْقُرْآنَ عَلَيْهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا شَؤُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعُوا بِهَا أَوْتُوا أَخَذْنَاهُمْ بِنِقَّةٍ إِذْ هُمْ مُبْشَرُونَ ﴿٤٧﴾

هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عمك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك، فهو معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾، يحملون، قال ابن عباس: أي يشس الحمل حملوا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُمْ﴾، باطل وغرور لا بقاء لها، ﴿وَلَلْآزَارُ الْآخِرَةُ﴾، قرأ ابن عامر ﴿ولدار الآخرة﴾ مضافاً أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين؛ كقوله: ﴿وَحَبَّ لِلْمَيْدِ﴾ [لق: ١٠]، وقولهم: ربيع الأول، ومسجد الجامع، سُميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدنائها، وسُميت الآخرة لأنها بعد الدنيا، ﴿حَبْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّرْكَ﴾، ﴿أَفَلَا تَقُولُونَ﴾، أي: أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة

فيه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيِّنَاتٌ﴾، فافعل، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ عَلَى الْهُدَى﴾، فأمثوا كلهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَالِئِينَ﴾، أي: بهذا الحرف، وهو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ عَلَى الْهُدَى﴾، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه ويتفعلون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿وَالَّذِينَ﴾، يعني: الكفار، ﴿يَبْغِثُ اللَّهُ نَارًا لِيَوْمِهِمْ يَجْعَلُونَهَا فِيْجَازِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ﴾.

﴿٣٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا﴾، يعني: رؤساء قريش، ﴿وَلَوْلَا﴾، هلاك، ﴿نَزَّلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما عليهم في إنزالها:

﴿٣٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، قيد الطيران بالجنح تأكيداً كما يقال: نظرت ببعيني وأخذت بيدي، ﴿إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَانِ﴾، قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والدواب أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم، يقال: الأسس والناس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا المبارك هو ابن فضالة عن الحسن عن عبد الله بن مغلل:

عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم».

وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء: أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، قال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقفي المهالك.

﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ﴾، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿مِنْ قَوْمٍ نُمَّا إِلَهُ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور، وكل شيء فيأخذ للجما من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقفي أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لترددن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء».

﴿٣٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُوءٌ وَبِئْسَمَا يَسْمَعُونَ الْخَيْرِ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ﴾، في الظلمات، ﴿فِي ضَلَالَاتٍ الْكُفْرِ﴾، من يسلك الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، وهو الإسلام.

﴿٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء: العرب تقول

أرأيتك، وهم يريدون أخبرنا، كما تقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل المدينة «أرأيتكم»، وأرأيتهم، وأرأيت، بتلحين الهمة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتكم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ﴾، قبل الموت، ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة، ﴿أَغْفِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾، في صرف العذاب عنكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب كما أخبر عنهم: ﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَالظُّلُمِ دَعَوْا اللَّهَ مَخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿٤١﴾ ثم قال: ﴿بَلْ إِقَامَةُ تَدْعُونَ﴾، أي: تدعون الله ولا تدعون غيره، ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾، قيد الإجابة بالمشيئة والأمور كلها بمشيئته، ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾، وتتركون، ﴿مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ فَاصْبِرْ لَهُمْ بِالْأَسْوَءِ﴾، بالشدّة والجوع، ﴿وَالْفَقْرَةِ﴾، المرض والزمانة، ﴿لَهُمْ بَعْضُ مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: يتوبون ويخضعون، والتضرع السؤال بالتذلل.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَوْلَا﴾، فهلا، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ﴾، عذائنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾، فأمثوا فكشف عنهم، أخبر الله عز وجل أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أنهم أخذوا بالشدّة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿فَهُمْ يَصِدُّونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

﴿٧٧﴾ ﴿هَلْ أَرَبُّكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ عَدَابَ اللَّهِ بَعَثْنَا﴾، فجاءة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾،

معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركون.

﴿٧٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا حزوا.

﴿٧٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يصيبهم، ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يكفرون.

﴿٨٠﴾ ﴿هَلْ لَّا أَوَّلُ لَكُم مِّنْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: ﴿لَا أَوَّلُ لَكُم مِّنْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿وَلَا أَوَّلُ لَكُم مِّنْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد: لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجددون أمري، ﴿إِن تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾، أي: ما أتاكم به فمن وحيي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾، والكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال

يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فإنما ذلك استدراج، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ الآية.

﴿٨١﴾ ﴿فَتَقَطَّ دَائِرُ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي: آخرهم الذين يدبرهم، يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم، ومعناه: أنهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على الرسل، فذكر

الحمد لله تعليماً لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربه إذا أهلك المكذبين.

﴿٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَرَبُّكُمْ﴾، أيها المشركون، ﴿إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً، ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً، ﴿وَوَحَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا، ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيكم به، منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ولا يندرج غيره تحته؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسِلَ﴾ [التوبة: ٦٢]، فالهاء راجعة إلى الله، ورضي الرسول يندرج في رضا الله تعالى، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾،

فَقَطَّ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ لَّدُنْهِ عِزًّا لَّيْسَ لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرٌ لَّئِنْ نَّصَرَفْنَا آيَاتِ شَرِّهِمْ يَصَدُّوْنَ ﴿٨٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابَ اللَّهِ بَعَثْنَا أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ لَّا أَوَّلُ لَكُم مِّنْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُم مِّنْ مَّا لَيْسَ إِلَيْكُم بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّ إِلَهًا مَّا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَنْزِلْهُ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْ يَخْسَرُوا إِلَيْكَ رَيْبَهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مَدِينَةٌ دُونَهُ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَطْرُقُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَمْسِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَتَطْرُقُهُمْ مُّتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٨﴾

يَعْمَلُونَ، من الكفر والمعاصي.
 ﴿٨٩﴾ ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، تركوا ما وعظوا وأمروا به، ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ قراءة أخرى بالتشديد، في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقبيه جمعاً، والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بذلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَوُونَ﴾، فجاءة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿وَإِذَا هُمْ مُتْلِسُونَ﴾، آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة: الملبس النادم الحزين، وأصل الإبلاس الإطراق من الحزن والندم، وروى عتبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله

والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: أنهما لا يستويان.

﴿٥١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ، خَوْفَ بِهِ، أي: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إِلَّا رَبَّهُمْ﴾، وقيل: يخافون أي يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿لَيْسَ لَهُمْ بَيْنَ دُورِهِمْ﴾، من دون الله، ﴿وَلِيَّ﴾ قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾، يشفع لهم، ﴿لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فينتهون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره - مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون - لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ﴾، قرأ ابن عامر ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها، ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون بفتح الغين والدال وألف بعدها.

قال سلمان وخباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذوهم من المؤلفات قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عتاً هؤلاء وأرواح جبابهم - وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها - لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي ﷺ لهم: «ما أنا بطاريد

المؤمنين»، قالوا: فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جنناك فأقمهم عتاً، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، إلى قوله: ﴿بِالشَّحْكِينَ﴾، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: ﴿سَكُنْ عَلَيْهِمْ كُنْتُ وَبِكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَمِيرَ قَوْمِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال لنا: «الحمد لله الذي لم يمئتي حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أممي معكم المحيا ومعكم الممات».

وقال الكلبي: قالوا له: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، قال: «لا أفعل»، وقالوا: فاجعل المجلس واحداً فأقبل علينا وول ظهره عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ﴾.

قال مجاهد: قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لبايعنا محمداً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ﴾، قال ابن عباس: يعني: يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر، ويروى عنه: أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن ناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه السلام، فقال تاس من الأشراف: إذا صلينا فأختر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت هذه الآية، وقال مجاهد: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب: فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاص، فقال سعيد: ما أسرع الناس إلى هذا المجلس! قال مجاهد: فقلت يتأولون قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْمِثْقَالِ﴾، قال: أفي هذا! هو إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله، فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتعلمهم، ﴿تَقْرَأُ لَهُمْ﴾، ولا رزقك عليهم، قوله: ﴿تَقْرَأُ لَهُمْ﴾، جواب لقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، وقولسه: ﴿تَتَكُونُ مِنْ أَطْلَالِيهِمْ﴾، جواب لقوله: ﴿وَلَا تَقْرَأُ﴾، أحدهما جواب النفي

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحزمة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين.

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهلته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهلته من حيث أنه أثر المعصية على الطاعة، والعاجل القليل على الأجل الكثير، ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَدْيِهِ ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿ فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ ... فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴾ بفتح الالف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى؛ كقوله تعالى: ﴿ أَيْدِيكُمْ أَكْثَرُ إِذَا يَتَمَّمُونَ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْلًا أَكْثَرُ تَخْرُجُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرهما الآخرون على الاستئناف.

﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ ﴾، أي: وهكذا، وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وإعلامنا على المشركين كذلك نقصّل الآيات، أي: نعيّر ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿ وَوَلَّيْنَا سَبِيلَ

الحسن أحمد بن سيار القرشي أنا مسدد أنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير المزني عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: جلسْتُ في نفرٍ من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري، وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسولُ الله ﷺ، فقام علينا، فلما قام رسولُ الله ﷺ سكت القارىء، فسلم رسولُ الله ﷺ وقال: «ما

كنتم تصنعون؟ قلنا: يا رسول الله كان قارىء يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال رسولُ الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم»، قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا وبرزت وجوههم له، قال: فما رأيت رسولُ الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري، فقال رسولُ الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالتور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة».

﴿ قَوْلَ عَزَلٍ وَجَلٍ ﴾: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَكُمْ ﴾، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ٥٣ ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَدْيِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴾ ٥٤ ﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَتِ بَيْنَهُمْ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٥٥ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴾ ٥٦ ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ يَوْمَ تَأْتِي السُّحُبُ بِالْحَمِيمِ لِيَأْتِيَهُمْ بَعْضُ السُّحُبِ مِنَ الْفُجْوَيْنِ ﴾ ٥٧ ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّى الْأُمُورَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ٥٨ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا لِمَنْ يَشَاءُ وَالرُّسُلُ أَمْطَرْتُهَا لَوْلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ لَفُجَّتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا فَسَدَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَسَادًا يُغْتَابُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ قُلْ لَنْ يُغْنِي عَنْكُمْ كَنْزُهُمْ وَلَا حَرَمُ آبَائِهِمْ وَلَا إِهْوَاءُهُمْ وَاللَّهُ يَغْنِي عَنِ الْغَنِيِّ ﴾ ٦٠ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ ﴾ ٥٦ ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ يَوْمَ تَأْتِي السُّحُبُ بِالْحَمِيمِ لِيَأْتِيَهُمْ بَعْضُ السُّحُبِ مِنَ الْفُجْوَيْنِ ﴾ ٥٧ ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّى الْأُمُورَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ٥٨ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا لِمَنْ يَشَاءُ وَالرُّسُلُ أَمْطَرْتُهَا لَوْلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ لَفُجَّتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا فَسَدَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَسَادًا يُغْتَابُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ قُلْ لَنْ يُغْنِي عَنْكُمْ كَنْزُهُمْ وَلَا حَرَمُ آبَائِهِمْ وَلَا إِهْوَاءُهُمْ وَاللَّهُ يَغْنِي عَنِ الْغَنِيِّ ﴾ ٦٠

١٢٤

والآخر جواب النهي.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا ﴾، أي: ابتلينا، ﴿ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾، أراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له، فذلك قوله: ﴿ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾، فقال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾، فهو جواب لقولهم: ﴿ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام ثنا أبو

الْمُجْرِمِينَ»، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالتاء، ﴿سَبِيلُ﴾ نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون ﴿وَلَسْتَيْنِ﴾ بالتاء ﴿سَبِيلُ﴾ رفع، أي: ليظهر وليتضح والسبيل، يُذكر ويؤنث، فدلّل التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ودليل التانيث قوله تعالى: ﴿لِمَ صَعُدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أُمَّانٍ تَجْعَلُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].

﴿٥٦﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَ أُمَّوَاءَكُمْ﴾، في عبادة الأوثان وطرد الفقراء، ﴿قَدْ ضَلَّكُمُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ﴾، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، أي: على بيان وبصيرة وبرهان، ﴿وَمَنْ رَدِّي وَكَذَّبْتَهُ بِرُؤْيَايَ﴾، أي: ما جئت به، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِرُؤْيَايَ﴾، قيل: أراد به استعجالهم العذاب، كانوا يقولون: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَانظِرْ عَلَيْنَا حِكْمًا﴾ [الأنفال: ٣٢] وقيل: أراد به القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ﴾ قرأ أهل الحجاز وعاصم

﴿يَقْضُ﴾ بضم القاف والصاد مشدداً، أي: يقول الحق لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال الحق ولم يقل بالحق، وقرأ الآخرون ﴿يقضي﴾ بسكون القاف والصاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق بدليل أنه قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾، والفصل يكون في القضاء وإنما حذفوا الياء لاستئصال الألف واللام؛ كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ الْيَحْيَىٰ﴾ [الصفوات: ١٦٣]، ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي﴾، ويدي، ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِرُؤْيَايَ﴾، من العذاب، ﴿لَقَضَىٰ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أي: فرغ من العذاب وأهلكتم، أي: لعجلته حتى أتخلص منكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَعْنِدُهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، مفاتيح الغيب خزائنه، جمع مفتاح.

واختلفوا في مفاتيح الغيب، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما في الغد إلا الله

عز وجل، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله، وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الضحاك ومقاتل: مفاتيح الغيب خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب.

وقال عطاء: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

وقيل: انقضاء الآجال، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: «أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب».

﴿وَيَعْنِدُ مَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾، قال مجاهد: البر: المفاوز والقفار، والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ سَوَابِقِ النُّجُومِ إِلَّا يَسْمَعُهَا﴾، يريد ساقطة وثابتة، يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت ظهراً لبطن إلى أن سقطت على الأرض، ﴿وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِينَ﴾، قيل: هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة التي في أسفل الأرضين، ﴿وَلَا رَكْبٌ وَلَا يَكْفِي﴾، قال ابن عباس رضي الله

والمولى ههنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله عز وجل مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿أَلَا لَهُ الْكُفُومُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ لِلْقَاسِمِينَ﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

﴿١٦﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَحْيِيكُمْ﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿مِنْ ظُلُمَاتٍ أَلْوَىٰ وَالْأَحْوَىٰ﴾، أي: من شدائدهما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿تَدْعُوهُمْ قَهْرًا وَخَفِيَةً﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَرِخْفَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، بكسر الخاء هنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿لَنْ أُنْجِيَنَّاهُ﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: «لئن أنجانا الله»، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقها.

﴿١٧﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ يَحْيِيكُمْ يَبْنِيكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿يَحْيِيكُمْ﴾ بالتشديد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَحْيِيكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٣]، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ بالنفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾،

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ كراماً كثيرين ﴿[الانفطار: ١٠ - ١١]﴾، ﴿حَافِظٍ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾، قرأ حمزة «توفيه» و«استهويه» بالياء وأمالهما، ﴿رُسُلَنَا﴾، يعني: أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه؛ كما قال: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]،

وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت، فكان ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسل ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، وجاء في الأخبار: إن الله تعالى جعل الدنيا بين ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له، ﴿وَهُمْ لَا يُعْرَفُونَ﴾، أي لا يقضرون.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يردون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً، وقد قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلٰى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، فكيف وجه الجمع؟ قيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار،

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحٰسِبِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ مَنْ يَحْيِيكُمْ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ أَوْ مِنْ فَوقِهَا أَوْ مِنَ الْجَحِيْمِ لَنْ أَعْبُدَنَّاهُمْ هَذِهِ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ يَبْنِيكُمْ يَبْنِيكُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ هُوَ الْقَاهِرُ عَلٰٓءَ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٢١﴾ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ فَوْمًا وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِوَكِيْلٍ ﴿٢٢﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا آيَاتُ الَّذِينَ تُحَوِّسُونَ فِي بَلَدَيْنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَرِيْبٍ عَمْرِيَّةٍ مَّا يَتَسَبَّحُونَ الشَّيْطٰنَ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾

عنهما: الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينب، وقيل: ولا حي ولا ميت، وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾، أي: يقبض أرواحكم إذا نمت بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾، كسبتم، ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي: يوقظكم في النهار، ﴿لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعني: أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على التمام، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾، يخبركم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَائِدُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَتْ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْفِكُمْ﴾، قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان، وقال قوم: نزلت في المشركين.

قوله: ﴿عَذَابًا مِّنْ قَوْفِكُمْ﴾، يعني: الصيحة والحجارة والريح والظوفان، كما فعل بعاد وثمرود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ﴿أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون.

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿عَذَابًا مِّنْ قَوْفِكُمْ﴾، السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا﴾، أي: يخلطكم فرقا ويبت فيكم الأهواء المختلفة، ﴿وَيَلِيْسَ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ﴾، يعني: السيوف المختلفة، يقتل بعضهم بعضاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النعمان أنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَائِدُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَتْ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْفِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذُ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾، قال: «أعوذُ بوجهك»،

قال: ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَيَلِيْسَ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أسر».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أنا يعلى بن عبيد الطنافسي أنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مرنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلّى ركعتين وصلينا معه فناجى ربّه طويلاً ثم قال: «سألتُ ربّي ثلاثاً: سألتُهُ أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمَنَعَنِيهَا».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق ثنا محمد بن إسماعيل البخاري ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري أن عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال: «إن النبي ﷺ دعا في مسجد فسأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، سأله أن لا يُسلط على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يهلكهم بالسنين

فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يجعل بأس بعضهم على بعض، فمَنَعَهُ ذلك».

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ تُصْرَفُ الْأَكْرِبَاتُ لَمْأَتَهُنَّ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ تَوْمَكَ﴾، أي: القرآن، وقيل: بالعذاب، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، برفيق، وقيل: بمسلط ألزكم الإسلام شيئاً أو أيتهم، إنما أنا رسول.

﴿١٧﴾ ﴿لِكُلِّ تَبَرٍّ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿تُسْتَفَرَّ﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال مقاتل: لكل خير يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: لكل قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ما كان في الدنيا فستعرفونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّا دَأَيْتُمُ اللَّيْلَ يَحْضُونَ فِي مَائِنَانَا﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَقْرَسَ عَنْهُمْ﴾، فاتركهم ولا تجالسهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْضُوا فِي حَوْبِي حَيْرِيًّا وَإِنَّا لَبِئْسَ لَكُم مِّنْ عَامِرٍ بِفَتْحِ النَّوْنِ وتشديد السين، وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، نهيئنا ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوِّيرِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: إذا جالست معهم ناسياً فقم من عندهم بعدما تذكرت.

﴿١٩﴾ ﴿وَمَا عَلَى الْأَرْبَابِ يَنْقُرُونَ مِّنْ

يستحيون.

﴿٧١﴾ قوله عز وجل:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِينَهُمْ لُغِبًا وَلَهُمْ﴾، يعني:

الكفار الذين إذا سمعوا

آيات الله استهزؤوا بها

وتلاعبوا عند ذكرها،

وقيل: إن الله تعالى جعل

لكل قوم عيداً فاتخذ كل

قوم دينهم - أي: عيدهم -

لعباً ولهواً، وعيد

المسلمين الصلاة والتكبير

وفعل الخير مثل الجمعة

والفطر والنحر، ﴿وَعَرَّيْنَهُمُ

الْحَيْرَةَ الَّتِي اتَّخَذُوا﴾ وذكروا

بها، أي: وعظف

بالقرآن، ﴿أَنْ تُسَلِّسَ﴾، أي: لأن لا

تبسل، أي: لا تسلم، ﴿نَفْسًا﴾،

للهلاك، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قاله

مجاهد وعكرمة والسدي، وقال ابن

عباس: تهلك، وقال قتادة: أن

تحبس، وقال الضحاك: تحرق،

وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه:

ذكروهم ليؤمنوا، كيلا تهلك نفس بما

كسبت، وقال الأخفش: تبسل

تُجَازَى، وقيل: تفضح، وقال

الفراء: ترتهن، وأصل الإيسال

التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل

نعناً لكل شدة تنقى وتترك، ﴿لَيْسَ

لَهَا﴾، أي: لتلك النفس، ﴿وَمِنْ

دُونِ اللَّهِ وَإِنَّ﴾، قريب،

﴿وَلَا شَفِيعَ﴾، يشفع لها في الآخرة،

﴿وَإِنْ تَدِيدُ كُلَّ عَدْلٍ﴾، أي: تُفِدُ

كل فداء، ﴿لَا يُؤَخِّذُ يَتَّبِعُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ

أَتَيْتُمْ﴾، أسلموا للهلاك، ﴿بِمَا

كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ

وَمَا عَلَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُغِبًا وَلَهُمْ عَرَّيْنَهُمُ الْحَيْرَةَ الَّتِي اتَّخَذُوا وَكَرَّيْتَهُمْ أَنْ يُسَلِّسَ نَفْسًا لِّمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَكِيلٌ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَدِيدُ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤَخِّذُ يَتَّبِعُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَتَيْتُمْ بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ مَا دَعَا اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى عَصَابِنَا يَدْعُوا إِلَى هَدْيِ اللَّهِ كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٣﴾ قُلْ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ مَا دَعَا اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى عَصَابِنَا يَدْعُوا إِلَى هَدْيِ اللَّهِ كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعَوْنَ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا قُلْ لَكَ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَّا الْيَتِيمَ الرَّبِيَّ الْفَكِيرَ ﴿٧٤﴾ وَأَنْ أَتَّبِعُوا الضَّلَالَةَ وَاتَّقَوْهُ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَوْمَ يُقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ لَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٦﴾

أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ مَا لَا

يَنْفَعُنَا﴾، إن عبدناه، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾،

إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها

نفع ولا ضرر، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ عَصَابِنَا﴾،

إلى الشرك مرتدين، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ

كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾،

أي: يكون مثلنا كمثل الذين استهوته

الشياطين، أي: أضلته، ﴿حَيْرَانًا﴾،

قال ابن عباس: كالذي استهوته

الغيلان في المهامه فأصلوه فهو حائر

بائر، والحيران: المتردد في الأمر لا

يهتدي إلى مخرج منه، ﴿لَهُمْ أَصْحَابٌ

يُدْعَوْنَ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا﴾، هذا مثل

ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة

ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل

في رفقة ضل به الغول عن الطريق

ويدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلم

إلى الطريق، ويدعوه الغول هلم،

فيفي حيران لا يدري أين يذهب،

فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه

إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعو إلى

الطريق اهتدى.

﴿قُلْ إِيَّاكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ

الَّذِي هَدَىٰ﴾، يزرع عن عبادة الأصنام،

كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى

هدى الله، لا هدى غيره، ﴿وَأَمَّا رَبُّنَا

يُسَلِّمُ﴾، أي: أن تسلم، ﴿لِرَبِّ

الْمَلَكِيَّاتِ﴾، والعرب تقول: أمرتك

لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

﴿وَأَنْ أَتَّبِعُوا الضَّلَالَةَ

وَاتَّقَوْهُ﴾، أي: وأمرنا بإقامة الصلاة

والتقوى، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ﴾، أي: تجتمعون في

الموقف للحساب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ

حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، روي عن ابن

عباس أنه قال: لما نزلت هذه

الآية: ﴿وَإِنَّا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي

مَائِنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾، قال المسلمون:

كيف نقعد في المسجد الحرام

ونظرف بالبيت وهم يخوضون أبداً؟

وفي رواية: قال المسلمون: فإنا

نخاف الإثم حين نتركهم ولا

ننهامهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا

عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾، الخوض ﴿وَمِنْ

حَسَابِهِمْ﴾، أي: من آثام

الخائضين، ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ

ذَكَرْتَهُمْ﴾، أي: ذكروهم وعظروهم

بالقرآن، والذكر والذكرى واحد،

يريد ذكروهم ذكري، فتكون في

محل نصب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾،

الخوض إذا وعظموهم فرخص في

مجالستهم على الوعظ لعله يمنعمهم

ذلك من الخوض، وقيل: لعلهم

قَالَ: ﴿قَرْنٌ يُفْنَخُ فِيهِ﴾. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «كيف أتعم وصاحب الصور قد التفتته، وأضغى سمعه وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر؟ فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقال أبو العلاء عن عطية: «متى يؤمر بالنفخ فينفخ».

﴿عَلَيْهِمُ الْقَتَبُ وَالشُّهَادَةُ﴾، يعني: يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِازِدْ﴾، قرأ يعقوب ﴿إِازِدْ﴾ بالرفع، يعني: «أزرد»، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض.

قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: أزرد اسم أبي إبراهيم وهو تاريخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب وكان من كوئي قرية من سواد الكوفة، وقال مقاتل بن حيان وغيره: أزرد لقب لأبي إبراهيم، واسمه تاريخ.

وَالْأَرْضُ بِالْحَقِّ، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قيل: هو راجع إلى خلق السموات والأرض والخلق، بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاؤه وقدره قال له: كن، فيكون.

وقيل: يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا فيقومون، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، يعني: ملك الملوك يومئذ زائل؛ كقوله: «ملك يوم الدين» [الفاتحة: ٤]، وكما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، والأمر لله في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصور: قرن يُفْنَخُ فيه، قال مجاهد: كهية البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصور وهو جمع الصورة، وهو قول الحسن، والأول أصح.

والدليل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر المحازبي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أسلم عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟

وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: أزرد اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره أتخذ أزرد إلهاً، قوله: ﴿أَصْنَامًا إِلَهًا﴾، دون الله، ﴿إِنَّ أَرْذَلَ وَقَوْمَكَ فِي صَلْبِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه، ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة، كالجبروت والرحموت والرهبوت، قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن ملكوت السموات والأرض حتى العرش

وأَسْفَلَ الْأَرْضِينَ ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّتَنَّهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]، يعني: أربناه مكانه في الجنة.

وزُوي عن سلمان رضي الله عنه، ورفعهم بعضهم عن علي رضي الله عنه لَمَّا أَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ رَجُلًا عَلَى فَاحِشَةٍ فَدَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، ثُمَّ أَبْصَرَ آخَرَ فَدَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، ثُمَّ أَبْصَرَ آخَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ رَجُلٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، فَلَا تَدْعُوَنَّ عَلَى عِبَادِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ عِبْدِي عَلَى ثَلَاثَ خَلَالٍ: إِمَّا أَنْ يَتُوبَ فَاتُوبَ عَلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ نَسْمَةً تَعْبُدُنِي، وَإِمَّا أَنْ يَبْعَثَ إِلَيَّ فَإِنْ شِئْتُ عَفَوْتُ عَنْهُ، وَإِنْ شِئْتُ عَاقَبْتُهُ»، وفي رواية: «وَإِمَّا أَنْ يَتَوَلَّى فَإِنَّ جَهَنَّمَ مِنْ وَرَائِهِ».

وقال قتادة: ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار.

﴿وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَوَقِّينَ﴾، عطف على المعنى، ومعناه: تُرِيه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

﴿٧٦﴾ ﴿كَلَّمَآ جَزَّ عَلَيْهِ أَلَيْلُ رَوَا كَوَكْبًا﴾ الآية، قال أهل التفسير: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان، وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومُنَجِّمُونَ، فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغيّر دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك

على يديه، ويقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، فدعا السحرة والكهنة فسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يُولد في ناحيتك في هذه السنة، فيكون هلاكك وهلاك مُلْكِكَ وأهل بيتك على يديه، قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجال رجلاً فإذا حاضت المرأة خلتى بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض، فإذا طهرت حال بينهما، فرجع أزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال محمد بن إسحاق: بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقرية، فحيسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام، فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية حديثة السن، لم يعرف الحبل في بطنها.

وقال السدي: خرج نمرود بالرجال إلى معسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود أن يكون، فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة، فلم يأت من عليها أحداً من قومه إلا أزر، فبعث إليه ودعاه وقال له: إن لي حاجة أحببت أن أوصيك بها ولا أبعثك إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال أزر: أنا

أشح على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته، فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم عليه السلام لم يتمالك حتى واقعها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لَمَّا حَمَلَتْ أُمُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ الْكُهَانُ لِنَمْرُودَ: إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ قَدْ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ اللَّيْلَةَ، فَأَمَرَ نَمْرُودُ بِقَتْلِ الْغُلَمَانِ، فَلَمَّا دَنَتْ لِوَالِدَةِ أُمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَهَا الْمَخَاضَ خَرَجَتْ هَارِبَةً مَخَافَةَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْهَا فَيُقْتَلُ وَلِدَهَا، فَوَضَعَتْهُ فِي نَهْرِ يَابَسٍ ثُمَّ لَفَتْهُ فِي خِرْقَةٍ وَوَضَعَتْهُ فِي حُلْفَاءٍ، فَرَجَعَتْ فَأَخْبِرَتْ زَوْجَهَا بِأَنَّهَا وَلَدَتْ وَأَنَّ الْوَلَدَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا فَانْطَلَقَ أَبُوهُ فَأَخَذَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَحَفَرَ لَهُ سِرَابًا عِنْدَ نَهْرٍ، فَوَارَاهُ فِيهِ وَسَدَّ عَلَيْهِ بَابَهُ بِصَخْرَةٍ مَخَافَةَ السَّبَاعِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ فَتَرْضَعُهُ.

وقال محمد بن إسحاق: لَمَّا وَجَدَتْ أُمُ إِبْرَاهِيمَ الطَّلُقَ خَرَجَتْ لَيْلًا إِلَى مَغَارَةٍ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْهَا فَوَلَدَتْ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْلَحَتْ مِنْ شَأْنِهِ مَا يَصْنَعُ بِالْمَوْلُودِ، ثُمَّ سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَغَارَةَ وَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا ثُمَّ كَانَتْ تَطَالَعُهُ لِتَنْظُرَ مَا فَعَلَ فَتَجِدُهُ حَيًّا يَمِصُّ إِبْرَاهِيمَ.

وقال أبو روق: قالت أم إبراهيم ذات يوم: لأنظرن إلى أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع عسلاً، ومن

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله موحدٌ وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبره عنه؟ وقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبِ سُلَيْمٍ﴾ [الصفات: ٨٤]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نُزِّيَ إِلَيْهِ الْمَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أنتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً قال: هذا ربي معتقداً؟ فهذا ما لا يكون أبداً.

ثم قالوا: فيه أربعة أوجه من التأويل:

أحدها: أن إبراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أن الأمور كلها إليها فأراهم أنه معظم ما عظموه ومُلتمس الهدى من حيث ما التمسوه، فلما أفل أراهم النقص الداخِل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون، ومثل هذا مثل الحوارية الذي ورد على قوم يعبدون الصنم، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صلبروا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن دهمهم علو فشاوروه في أمره، فقال الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظننا، فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم إلى أن يدعو الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون، فأسلموا.

والوجه الثاني من التأويل أنه قاله

ابنك، ثم أخبرته بما قال، فاتاه أبوه آزر، فقال له إبراهيم عليه السلام: يا أبتاه مَنْ ربي؟ قال: أمك، قال: فمن ربُّ أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربُّ ربِّك؟ قال: نمروء، قال: فمن رب نمروء؟ فلطمه لطمه وقال له: اسكت فلما جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكباً قال: هذا ربي.

ويقال: إنه قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فسأل أباه ما هذه؟ فقال: إبل وخيل وغنم، فقال: ما لهذه بد من أن يكون لها ربُّ وخالق، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكان تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فيها، فرأى الكوكب قبل القمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿كَلَّمَآ جَنَّ عَلَيَّ آيَلٌ﴾، أي: دخل، يقال: جنَّ الليل وأجنَّ الليل، وجنَّ الليل، وأجنَّ عليه الليل يجنُّ جنوناً وجنَاناً إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده، ﴿رَبَّآ كَوْكَبًا﴾ قرأ أبو عمرو ﴿رَبَّآ﴾ بفتح الراء وكسر الألف، وكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر، وفتحهما الآخرون. ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

واختلفوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وقفه الله وآتاه رشده فلم يضربه ذلك في حال الاستدلال، وأيضاً كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجَّة عليه، فلم يكن كفراً.

أصبح تمرأ، ومن أصبح سمناً. وقال محمد بن إسحاق: كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل؟ فقالت: قد ولدتُ غلاماً فمات، فصدقها فسكت عنها، وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة، فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاءً فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي ما لي إله غيره، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً قال: هذا ربي، ثم أتبعه بصره لينظر إليه حتى غاب، فلما أفل، قال: لا أحب الأفلين. ثم رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب، ثم طلعت الشمس هكذا إلى آخره، ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه ويرى من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك، فأخبره أنه ابنه وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسُرَّ آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً.

وقيل: إنه كان في السرب سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة، قالوا: فلما شبَّ إبراهيم عليه السلام، وهو في السرب قال لأمه: مَنْ ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربِّك؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت: نمروء، قال: فمن ربُّه؟ قالت له: اسكت فسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرايت الغلام الذي كنَّا نحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض فإنه

فيذهب بها إبراهيم عليه السلام وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب فيه رؤوسها، وقال: اشربي استهزاء بقومه، وبما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزأؤه بها في قومه وأهل قريته، ﴿وَحَاجُّهُمْ﴾، أي: خاصمه وجادله قومه في دينه، ﴿قَالَ أَتَحْتَجُّونِي فِي اللَّهِ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون، وقرأ الآخرون بتشديدها إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى النونين تخفيفاً يقول: أتجادلونني في توحيد الله، وقد هداني للتوحيد والحق؟ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها، فقال لهم: ولا أخاف ما تُشركون به، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، وليس هذا باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه: لكن إن يشأ ربي شيئاً سوءاً، فيكون ما شاء، ﴿وَوَيْعَ رَبِّي﴾ كَلَّ شَيْءٌ عَلِمْتُ، أي: أحاط علمه بكل شيء، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَاكَ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾، يعني: الأصنام، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، وهو القاهر القادر على كل شيء، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ﴾، أولى، ﴿بِالْآيَاتِ﴾، أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فقال الله تعالى قاضياً بينهما:

تَقَبَّلْ مِنَّا. ﴿قَلَمَّا أَقَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، رباً لا يدوم. ﴿قَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾، طالعاً، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي قَلَمَّا أَقَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾، قيل: لئن لم يثبتني الهدى، ليس أنه لم يكن مهتدياً، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الشبات على الإيمان، وكان إبراهيم يقول: ﴿وَأَجِئَنِي رَبِّيَ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْفَالِقِينَ﴾، أي: عس-

الهدى. ﴿قَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾، طالعة، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾، أي: أكبر من الكواكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضواً من النجوم والقمر، ﴿قَلَمَّا أَقَلَّتْ﴾، غربت، ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ لِي رِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَحَاجُّهُمْ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ وَدَّ هَدَيْنَ﴾، ولما رجع إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذبّاحين، وضمه آزر إلى نفسه جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم لبييعها،

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّكَ حَسْبُنَا مَا تَبَيَّنَّا مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ عَلَى قَوْمِهِ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن يَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَذَكَرْنَا فِي الْحَقِّ وَإِلَى كُلِّ مَن الصَّلَاحِ ﴿٨٠﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٢﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي مَن يَشَاءُ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ شَاءُوا لَحَبَطْنَا بِعَنُوقِهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَاللَّهُ وَابِتُّنَا أَن يُكْفَرُوا مِنَّا فَنُكْفِرَهُنَّ كَمَا كُنَّا يُكْفَرُونَ ﴿٨٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ قُلُوبُهُمْ لَآ آتَاكُم عَلَيْهِمْ آجْرًا إِنَّ هُوَ لَآ ذَاكِرُ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾

على وجه الاستفهام تقديره: هذا ربي؟ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ تَبْتُ قَوْمُ الْمُتَكَلِّفُونَ؟﴾ [الأنبياء: ٣٤]، أي: أفهم الخالدون؟ وذكره على وجه التوبيخ منكرًا لفعالهم، يعني: مثل هذا يكون رباً، أي: ليس هذا ربي. والوجه الثالث: أنه على وجه الاحتجاج عليهم، يقول: هذا ربي بزعمكم؟ فلما غاب قال: لو كان إلهاً لَمَا غَاب، كما قال: ﴿دُقِّقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْسِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الدخان: ٤٩]، أي: عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر عن موسى أنه قال: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ أَلَّذِي طَلَعَتْ عَلَيْهِ عَاكِمًا لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ [طه: ٩٧]، يريد إلهك بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار وتقديره يقولون هذا ربي؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولون ربنا

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَرَلَّيْسُوا بِمَنَّهُمْ يَظُنُّوْنَ﴾، لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُتَهَدُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق ثنا عيسى بن يونس أنا الأعمش أنا إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَرَلَّيْسُوا بِمَنَّهُمْ يَظُنُّوْنَ﴾، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: «ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿بِئْسَ مَا لَكَ يَا قَنَرْكَ بِإِلَهِكَ إِنَّكَ أَشْرَكَ لَظَلُمْتَ عَظِيمًا﴾» [لقمان: ١٣].

﴿قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَ قَوْمِهِ﴾، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة، قال مجاهد: هي قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَرَلَّيْسُوا بِمَنَّهُمْ يَظُنُّوْنَ﴾، وقيل: أراد به الحجاج الذي حاج به نمرود على ما سبق في سورة البقرة. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾، بالعلم قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ [يوسف: ٧٦]، بالتثنية ههنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد، ﴿لَإِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، ووقفنا وأرشدنا، ﴿وَنُوْحًا هَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: من

قبل إبراهيم، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، أي: ومن ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم لأنه ذكر في جملةهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم، ﴿ذَاوُدَ﴾، هو داود بن أيشا، ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾، يعني ابنه، ﴿وَأَيُّوبَ﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿يُوسُفَ﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمُوسَى﴾، هو موسى بن عمران بن يصر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب، ﴿وَهَارُونَ﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي: وكما جزينا إبراهيم على توحده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء كذلك، ﴿فَتَمَيَّزَ الْمُتَحَيَّنِينَ﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

﴿وَزَكَرِيَّا﴾، هو زكريا بن اذن، ﴿وَيَحْيَى﴾، وهو ابنه، ﴿وَعِيسَى﴾، وهو ابن مريم بنت عمران، ﴿وَالْإِسْحَاقَ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره، لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، ﴿كُلٌّ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿وَالْيَسَعَ﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز، وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَالْيَسَعَ﴾ بتثديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص،

﴿يُوسُفَ﴾، وهو يونس بن متى، ﴿وَلُوطًا﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي: عالمي زمانهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ﴾، من فيه للتبويض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾، أي: ومن ذرياتهم وأراد به ذرية بعضهم، لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً، ﴿وَأَحْسَنَ نَاصِحِينَ﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وَهَدَيْتَهُمْ﴾، أرشدناهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾، يرشد به، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَكَوْضُوا﴾، أي: هؤلاء الذين سميانهم، ﴿لِكَيْلَ﴾، لبطل وذهب، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿وَاللَّكْرَ﴾، يعني: العلم والفقه، ﴿وَالنَّبِيَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، يعني: الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء، وهم الملائكة ليسوا بها بكافرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداهم الله، ﴿فَهَدَيْتُهُمْ﴾،

وقوله: ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾،
الأكثرين على أنها خطاب لليهود،
يقول: علّمتهم على لسان محمد ﷺ
ما لم تعلموا، ﴿أَنْتُمْ وَلَا آبَاءُكُمْ﴾،
قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به
محمد ﷺ فضيعوه ولم يتشعروا به.

وقال مجاهد: هذا خطاب
للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علّمهم
على لسان محمد ﷺ.

﴿قُلْ اللَّهُ﴾، هذا راجع إلى قوله:
﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
مُوسَى﴾، فإن أجابوك وإلا فقل أنت:
الله، أي: قل أنزله الله، ﴿فَسَدَّ ذَرْهَمَ
فِي حَوْضِهِمْ يَلْمِيزُونَ﴾.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا﴾،
أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه
﴿مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلُنُنْدِرُ﴾،
محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم
﴿ولينذر﴾، بالياء، أي: ولينذر
الكتاب، ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾، يعني: مكة
سميت أم القرى لأن الأرض دحيت
من تحتها، فهي أصل الأرض كلها
كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم
القرى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أي: أهل
الأرض كلها شرقاً وغرباً، ﴿وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، بالكتاب،
﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾، يعني: الصلوات
الخمسة، ﴿يَحْفَظُونَ﴾، يداومون،
يعني: المؤمنین.

﴿٩٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَقُ
بَيْنَ أَقْرَبَى﴾، أي: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ
كَيْدًا﴾، فزعم أن الله تعالى بعثه نبياً،
﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَكَمْ يُوحَى إِلَيْهِ
شَيْءٌ﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة
الكذاب الحنفي، فكان يسجع
ويتكهن، فادعى النبوة وزعم أن الله

وقال السدي: نزلت
في فنحاص بن عازر،
وهو قائل هذه المقالة.
وفي القصة: أن مالك بن
الصف لما سمعت اليهود
منه تلك المقالة عتبرا
عليه، وقالوا: اليس
أن الله أنزل التوراة على
موسى، فلم قلت ما
أنزل الله على بشر من
شيء؟ فقال مالك بن
الصف: أغضبني محمد
فقلت ذلك، فقالوا له:
وأنت إذا غضبت تقول
على الله غير الحق فنزعه
من الحبرية، وجعلوا
مكانه كعب بن الأشرف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما:
قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك
كتاباً؟ قال: نعم، قالوا: والله ما
أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، فقال اللُّهُ
تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿مَنْ أَنْزَلَ
الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ﴾، يعني: التوراة، ﴿يَجْعَلُونَهُ
قُرْآنًا يُدْعَوْنَ بِهَا وَعُقُونَهَا كَثِيرًا﴾، أي
تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة تبدونها،
أي: تبدون ما تحبون وتُحْفون كثيراً
من نعت محمد ﷺ وآية الرجم. وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو ﴿يجعلونه﴾
﴿ويبدونها﴾ ﴿ويخفونها﴾ بالياء
جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقرأ الآخرون بالشاء؛
لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ
يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يُدْعَوْنَ بِهَا وَعُقُونَهَا كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا
أَنْتُمْ وَلَا آبَاءُكُمْ قُلْ اللَّهُ شَدَّ ذَرْهَمَ فِي حَوْضِهِمْ يَلْمِيزُونَ ﴿٩٦﴾
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلُنُنْدِرُ
أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ آخِرُ جَزَاءِ الْمُفْسِدِمْ أَيُّومٍ
يَجْرُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُوآ فَرَدَّيْ
كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ رِزْقًا ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ
لَقَدْ قَطَعْنَا بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ ﴿٩٩﴾

فبستهم وسيرتهم، ﴿أَفْتَدِيَّةٌ﴾، الهاء
فيها هاء الوقف، وحذف حمزة
والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل،
والباقون بإثباتها وصلًا ووقفًا، وقرأ
ابن عامر: ﴿أَفْتَدِيَّةٌ﴾ بإشباع الهاء
كسراً، ﴿قُلْ لَا آتَمَلِكُمْ عَلَيْهِ آجْرًا
إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾،
أي: تذكرة وعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿٩٩﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾،
أي: ما عظموه حق عظمتهم، وقيل:
ما وصفوه حق وصفته، ﴿إِذْ قَالُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، قال
سعيد بن جبیر: جاء رجل من اليهود
يقال له مالك بن الصَّيف يخاصم
النبي ﷺ بمكة، فقال له النبي ﷺ:
«أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على
موسى أما تجد في التوراة أن الله
يبغض الحبر السمين»، وكان حبراً
سميناً فغضب، فقال: والله ما
أنزل الله على بشر من شيء.

أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: «أتشهدان أن مسيما نبي؟» قالوا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزبدي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب، فكبراً علي وأهمني فأوحى إلي أن انفخهما فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة، أراد بصاحب صنعاء الأسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيما الكذاب».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُولٌ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، قيل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أملى عليه: سمياً بصيراً، كتب عليمياً حكيمياً، وإذا قال: عليمياً حكيمياً كتب غفوراً رحيمياً، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: «اكتبها فهكذا نزلت»، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم رجع عبد الله إلى

الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمصر الظهران.

وقال ابن عباس: قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُولٌ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يريد المستهزئين، وهو جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَنُفِثَنَّ مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رزقاً﴾، يا محمد، ﴿إذ الكفار في غمرات الكفر﴾، سكراته وهي جمع غمرة، وغمرة كل شيء: معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وضعت في موضع

الشدائد والمكاره، ﴿وَالْمَلَكُ بَاطِلًا أَذِيهَةً﴾، بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأديبارهم، وقيل: بقبض الأرواح، ﴿أخْرِجُوا﴾، أي: يقولون أخرجوا، ﴿أَنفُسَكُمْ﴾، أي: أرواحكم كرهاً لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجيباً، ﴿الْيَوْمَ نَخْرُجُ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِرْدَوْسًا﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جعلنا فِرْدَاوِسَ وحداناً، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفِرْدَاوِسَ جمع فِرْدَانٍ، مثل سكران وسكاري، وكسلان وكسالي، وقرأ الأعرج فِرْدَاوِسَ بغير ألف مثل سكري، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

سورة الأنعام

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يخرج الحن من السبي ويخرج السبي من الحن ذلكم الله فالق الحن ﴿فَالِقُ الْوَجْهِ الرَّيْحَانِ﴾ وهو الذي جعل لكم النجوم للبهتداء بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْسِقُونَ﴾ وقد فصلنا الآيات لقوم يعقلون ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتَانَ مُشْبِثًا وَعَظْمًا مَشْبُوثًا انظروا إلى الثمر ونبوه وإن في ذلكم لآياتٍ لقوم يعقلون ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْنَ وَحَقَّقُوا وَحَقُّوا الْوَالِدِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَسَحْتُمْ وَتَمَسَّ عَمَّا يَعْشُرُونَ ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُنَ لَهُمَا وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

١٤٠

مَرَّةٍ﴾، عرارة حفاة خرداً، ﴿وَرَكْمٌ﴾، وحلقتهم ﴿بِمَا خَوَّلْتُمْ﴾، أعطيتكم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿وَرَدَّةٌ ظُهُورِكُمْ﴾ خلف ظهوركم في الدنيا، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾، وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم ينصب النون، أي: لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم، وقرأ الآخرون بينكم بالرفع برفع النون، أي: لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْتَبَاتُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، أي: الوصلات والبنين من الأضداد يكون وصلاً ويكون هجراً، ﴿وَصَلَّ عَصَمٌ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، الفلق الشق، قال

الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبله والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البروز والحبوب من البر والشعير والذرة، وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما أوراقاً خضراً.

وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق الثوى عن النخل ويخرجها منه. والثوى جمع نواة، وهي كل ما لم يكن له حباً، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها.

وقال الضحاك: فالتق الحب والثوى يعني: خالق الحب والثوى، ﴿يُخْرِجُ الْهَبَّ مِنَ النَّبَاتِ وَيُخْرِجُ النَّبَاتَ مِنَ الثَّوَى﴾، تصرفون عن الحق.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وهو أول ما يبدو من النهار، يريد مُبدي الصبح وموضحه.

وقال الضحاك: خالق النهار والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح.

﴿وَجَعَلَ آيَاتٍ سَكَنًا﴾، يسكن فيه خلقه وقرأ أهل الكوفة: ﴿وَجَعَلَ﴾ على الماضي، «الليل»، نصب أتباعاً للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي «فلق الإصباح»، ﴿وَجَعَلَ آيَاتٍ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلها، والحسيان مصدر كالحساب، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾، أي: خلقها لكم، ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾.

والله تعالى خلق النجوم لفوائد، أحدها هذا: وهو أن راكب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده.

والثاني: أنها زينة للسماء كما قال: ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا النَّجْمَ الَّذِي يَمْشِي عَلَى سُدُورِهِ﴾، ومنها رمي الشياطين، كما قال: ﴿يَجْعَلُنَّهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فَمَسَّرَ مُمْسَقًا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «فمستقر» بكسر القاف، يعني: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلکم مستقر ومستودع.

واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبد الله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث.

وقال سعيد بن جبيرة وعطاء: فمستقر في أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعيد بن جبيرة: قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت: لا، قال: إنه ما كان من مستودع في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل.

وروي عن أبيه أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات.

وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَيُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَأُ﴾ [الحج: ٥].

وقال مجاهد: مستقر على وجه ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مُشْتَرِقًا وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت وديعة في أهلِكَ ويوشك أن تلحق بصاحبك.

وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار؛ لقوله عز وجل في صفة الجنة: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، وفي صفة النار: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾، من الماء، وقيل: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾، يعني: أخضر، مثل القور والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾، أي: متراكباً بعضه على بعض، مثل سنابل البر والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ ثَمَرِهِ لَأُولُؤُا﴾، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿فَتَوَّانًا﴾ جمع قنوة، وهو العذق، مثل صنو وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام، ﴿وَدَائِبَةً﴾، أي: قريبة المتناول ينالها القائم

والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزمة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكثفي بذكر القريبة عن البعيدة لسبقها إلى الأفهام؛ كقوله تعالى: ﴿سَرِيلٌ يَتَّبِعُكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، يعني: الحرّ والبرد فاكثفي بذكر أحدهما، ﴿وَجَنَّاتٍ يَنْزِلُ فِيهَا الْأَمْثَلُ﴾، أي: وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بالرفع نسقاً على قوله: ﴿قَتْرَانٌ﴾، وعامة القراءة على خلافه، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانُ﴾، يعني: وشجر الزيتون وشجر الرمان، ﴿مُشْتَبِهًا وَقَدَرٌ مُشْتَبِهًا﴾، قال قتادة: معناه مشتبهاً ورقها مختلفاً ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: مشتبه في المنظر مختلف في الطعم، ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء والميم، هذا وما بعده وفي «يس» على جمع الثمار، وقرأ الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل: بقرة وبقرة، ﴿إِذَا أَنْزَلْنَا سُرَّوٰهَ﴾، ونضجه وإدراكه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، يعني: الكافرين جعلوا لله الجن شركاء، ﴿وَحَلَقَهُمْ﴾، يعني: وهو خلق الجن.

قال الكلبي: نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: الله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ

نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]، وإبليس من الجن، ﴿وَحَزَقُوا﴾، قرأ أهل المدينة ﴿وحزقوا﴾ بتشديد الراء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلفوا، ﴿لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّتْ بِعَيْنٍ عَلِيمَةٍ﴾، وذلك مثل قول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار العرب الملائكة بنات الله، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سُبْحٰنَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿يَبِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: مبدعهما لا على

مثال سبق، ﴿أَنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ وَاوَدًا﴾، أي: كيف يكون له ولد؟ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ صَاحِبَةً﴾، زوجة، ﴿وَتَخَلَّقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٠٣﴾ ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾، فاطيعوه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، بالحفظ له وبالتدبير فيه، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله عز وجل عياناً.

ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً، كما جاء به القرآن والسنة: قال الله تعالى: ﴿وَجِئُوا بِرُءُوسِكُمْ إِلَىٰ رَبِّهَا كَاطِرَةً﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قال مالك رضي الله عنه: لو لم ير

سورة الأنعام

الأنعام

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ فَذَٰلِكَ كُمْ يَسْتَارُونَ كُلَّ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلِيَسْتَبِينَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ أَلَيْسَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ ذَٰلِكُمْ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَثْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِعَدُوِّهِمْ فَذَٰلِكَ رِسْوَاتٌ لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ نِزْمٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَمَنْ تَرَجَّعُوا فَتَيْبُهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ لَبِنَ جَاءَهُمْ أَنَّهُ لِيُؤْتِيَنَّهُمْ مِن قَوْلِ الْآيَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا شِعْرُكُمْ أَنَّهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ لَآيَةٌ مِّنْهُ قَالُوا هَٰذَا نَجْمٌ سَابِقٌ لَّهُمْ وَالشَّجَرَةُ تَأْكُلُ حِمْلًا وَيَوْمِئِذٍ هُم مِّن دُونِ اللَّهِ يَدْعُونَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٥٨

المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الله الكفار بالحجاب، وقرأ النبي ﷺ: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْقَىٰ وِزْيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦]، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا عاصم بن يوسف البروعي أنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إنكم ستترزقون ريكم عياناً».

﴿١٠٣﴾ وأما قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية، لأن الإدراك هو: الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية

بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبْ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١]، وقال: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا عَخْفًا﴾ [طه: ٧٧]، فنسى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يُعرف في الدنيا ولا يُحاط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ وَعِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فنسى الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تُحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تُدرکه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، أي: لا يخفى على الله شيء ولا يفوته، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الأزهري: معنى ﴿اللَّطِيفُ﴾ الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف الموصل الشيء بالبين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسى العبادة ذنوبهم لئلا يخرجوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

﴿١٠٤﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾، أي: فمن عرفها وأمن بها فلنفسه عمل، ونفعه له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَلَئِيهَا﴾، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها، أي: فبنفسه ضرر، ووبال العمى

عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، برقيب أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: معناه لئلا يقولوا، ﴿دَرَسَتْ﴾، أي: قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب؛ كقوله تعالى: ﴿فَالْقَلْبَ أَلَّا يُرْوَتَ لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًا وَحِزْبًا﴾ [القصص: ٨]، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدوًا لهم.

قال ابن عباس: وليقولوا يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست، أي: تعلمت من يسار وخبر كانا عبيد من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم: درست الكتاب ادرس درساً ودراسة.

وقال الفراء: يقولون: تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دارست﴾، بالالف أي: قارات أهل الكتاب من المدارس بين اثنين، تقول: قرأت عليك وقرأوا عليهم، وقرأ ابن عامر ويعقوب: دَرَسَتْ بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم: درس الأثر يدرس دروساً. ﴿وَأَلَيْسَتْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه الذين هداهم إلى سبيل

الرشاد، وقيل: يعني أن تصريف الآيات ليشقي به قوم ويسعد به آخرون، فمن قال درست فهو شقي، ومن تبين له الحق فهو سعيد.

﴿١٠٦﴾ ﴿الْبَيْعَ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فلا تجادلهم.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ كَلِمَةً حَفِيفًا﴾، رقيباً، قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب لئما بعثت مبلغاً. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿١٠٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم.

وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عتاً ابن أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمّية وأبي ابن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن

العاص، والأسود بن أبي البخري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آدانا وألهتنا، فنجب أن تدعوه فتنهائه عن ذكر آلهتنا، ولندعئه وإلهه، فدعاه فقال: هؤلاء قومك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، وقد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ: «أرايتم إن أعظيتكم هذا هل أتمم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم»؟ فقال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، قال: فما هي؟ قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فأبوا وتفرقوا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فقال: «يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي»، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

يعني: الأوثان، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾، أي: اعتداء وظلماً، ﴿وَيَغْتَرِبُوا﴾.

وقرأ يعقوب ﴿عُدْوًا﴾ بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تسبوا زركم»، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم.

وظاهر الآية وإن كان نهياً عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى، لأنه سبب لذلك.

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ آئِمَّةٍ عَمَلَتُمُ﴾،

أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان

والخذلان، كذلك زيننا لكل أئمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثُمَّ لَئِن رَّبَّيْهِم مَّرْجَمَةٌ فَيَلْقَهُمْ﴾، ووجازيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٠٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الآية. قال محمد بن كعب القرظي والكلبي: قالت قریش: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كان معه عصاً يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى فأتانا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون»؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً أو ابعث لنا بعض أمواتنا حتى نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل، أو أرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله ﷺ: «فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني»؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعون، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله ﷺ يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عدبتهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: «بل يتوب تائبهم»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني: أؤكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدّها.

قال الكلبي ومقاتل: إذا حلف

الرجل بالله، فهو جهد يمينه.

﴿لَئِن جَاءتَهُمْ آيَةٌ﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبًا﴾ يا محمد، ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، وما يدريكم.

واختلفوا في المخاطبين بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذين أقسموا. وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أَنهَآ إِذَا جَاءتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم ﴿أَنهَآ﴾ بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه: وما يُشْعِرُكُمْ أيها المشركون أنها لو جاءت آمنتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يُشْعِرُكُمْ أيها المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله تعالى حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم ابتداءً فقال جل ذكره: ﴿أَنهَآ إِذَا جَاءتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقرأ الآخرون أنها بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقال الكسائي: ﴿لَا﴾ صلة، ومعنى الآية: وما يُشْعِرُكُمْ أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون؟ كقوله: ﴿وَكَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكُنَّهَا أَنهَمُ لَا يُرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]،

رغيف ورغف، وقضيب وقضب، أي: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجاً فوجاً، وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلاً لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه. ﴿فَمَا كَانُوا لِلْيَوْمِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذلك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، أي: أعداء فيه تعزية للنبي ﷺ، يعني: كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكَذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسره فقال: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس قسم جنه فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم الذين يلتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن: أضللت صاحبك بكذا فأضل صاحبك بمثله، ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض.

قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه، يدل

الإيمان، فلو جشناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ قَبْلِ﴾ [القصص: ٤٨]، وفي الآية محذوف تقديره: ولا

يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المرة الأولى دار الدنيا، يعني: لو رُذوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم، كما قال: ﴿وَلَوْ رُذُوا لَمَادُوا لِبَاءَهُمْ عَتَدًا﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالهم يتمادون.

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْمَلَكِئِكَةَ﴾، فأروهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ النَّوۜنَ﴾، بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوها، ﴿وَحَسَرْنَا﴾، وجمعنا، ﴿عَلَيْهِمْ كُلِّ شَيْءٍ قِيلًا﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿قِيلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معانية، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، قيل: هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْمَلَكِئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ النَّوۜنَ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلِّ شَيْءٍ قِيلًا مَا كَانُوا لِلْيَوْمِ إِلَّا لَأَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿وَلِيَصْحَبَ إِلَيْهِ أَقِئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَصْحَبَهُمْ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ﴿أَفَصَبَّرَ اللَّهُ الْأَبْصَارَ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُزْمَلُونَ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾ ﴿وَمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَإِنْ تَطَّلَعْتُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَشَاءُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذِبِينَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى لعل، وكذلك هو في قراءة أبي، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئاً، أي: لعلك، وقال عدي بن زيد:

أعاذل ما يدريك أن منيتي

إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
أي: لعل منيتي، وقيل: فيه حذف، وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟ وقرأ ابن عامر وحمزة: ﴿لَا تَؤْمِنُونَ﴾، بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبي: ﴿إِذَا جَاءتْكُمْ لَا تَؤْمِنُونَ﴾، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، دليلها قراءة ابن مسعود: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءتْهُمْ لَا يَؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين

عباس: لا راد لقضائه ولا مغتير لحكمه ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

﴿وَإِنْ تَطِيعَ أَعْتَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: ﴿وَإِنْ تَطِيعَ أَعْتَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: وإن تطعمهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظنٌ وهو لم يأخذه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَحْمُرُونَ﴾، يكذبون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَسِبُ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، قيل: موضع ﴿مَنْ﴾ نصب ينزع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَبِينَ﴾، أخبر أنه أعلم بالفريقين الضالين والمهتدين فيجازي كلا بما يستحقه.

﴿كُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾، أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِطَائِفَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وذلك أنهم كانوا يحترمون أصنافاً من اللحم ويحلون الأموات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ فيه إضمار، أي: قل لهم يا محمد أفغير الله، ﴿أَتَسْتَفْتِي﴾، أطلب ﴿حَكْمًا﴾، قاضياً بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً فأجابهم به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾، مبيّناً فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً أي خمساً خمساً وعشراً وعشراً؛ كما قال: ﴿لِيُنذِرَ بِهِ قَوْمًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنوا أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد بالكتاب هو القرآن، ﴿يَسْمَعُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: القرآن ﴿مُنزَّلٌ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: ﴿مُنزَّلٌ﴾، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوماً متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾، ﴿وَمِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَ تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَوَسَّاتُ كَيْدِكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كَيْدِكُمْ﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿كلمات﴾ بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيدته، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي: صدقاً في الوعد والوعيد، وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقاً فيما وعد وعدلاً فيما حكم. ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال ابن

عليه ما روي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والانس؟» قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم، هم شر من شياطين الجن».

وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أنني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئي فيجزئي إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، وهو قول ممزوجة مزينة مزخرف بالباطل لا معنى تحته، ﴿عُرُورًا﴾، يعني: هؤلاء الشياطين يُزَيِّنُونَ الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: ما ألقاه الشيطان من الوسوسة في القلوب، ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا بَعَثُوا﴾.

﴿وَلَمَّا صَبَّحَ إِلَيْهِ وَاعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صبغى يُصبغي، صبغاً، وصبغى في صبغى، ويصبغو صبغواً، والهاء في إليه راجعة إلى زخرف القول، ﴿وَلِيُضِلَّهُمْ وَيَفْتَنَهُمْ﴾، ليكتسبوا، ﴿مَا هُمْ مُتَّفِقُونَ﴾، يقال: اختلف فلان مالا أي اختلفه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال الزجاج: أي ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا، وروى حبان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ﴾**، في الآخرة، **﴿يَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾**، يكتسبون في الدنيا.

﴿١٢١﴾ قوله عز وجل: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها.

وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام.

اختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها، فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً، وهو قول ابن سيرين والشعبي، واحتجوا بظاهر هذه الآية.

وذهب قوم إلى تحليلها، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

وذهب قوم إلى أنه ترك التسمية عامداً لا يحل، وإن تركها ناسياً يحل، حكى الخرخي من أصحاب أحمد: أن هذا مذهبه، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي.

ومن أباحها قال: المراد من الآية الميتات أو ما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه قال: **﴿وَأَنَّهُ لَنُسْقَى﴾**، والفسق في ذكر اسم غير الله؛ كما قال في آخر السورة: **﴿قُلْ لَّا أَعْبُدُ فِي﴾**

﴿يُؤْتُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله: **﴿لِيُضِلُّوْا﴾** [يونس: ٨٨] في سورة يونس؛ لقوله تعالى: **﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسواب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: **﴿مَنْ يَضِلْ﴾**، **﴿يَأْهَوْهُمْ يَضِلْ﴾**، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة، **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾**

﴿بِالْمُتَّعِينَ﴾، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٢٢﴾ **﴿وَذُرُّوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾**، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، قال مجاهد: ظاهر الإثم ما عمله الإنسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له.

وقال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالفة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الرايات، وباطنه الاستسار به، وذلك أن العرب كانوا يجبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسُرُّ به، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عز وجل، وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا، وقال ابن زيد:

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ بِهٖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْإِثْمِ بِأَهْوَاهِهِمْ بَغْتَرُوا عَلَيْهِ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّعِينَ **﴿١٢١﴾** وَذُرُّوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ يَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ **﴿١٢٢﴾** وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُفْخِرَ فِي ذُرِّهِ إِنَّهُ لَيُجَدِّدُ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ لَأَكْمَلَنَّ لَكُمْ لَشْرُوكَكُمْ **﴿١٢٣﴾** أَوْ مَن كَانَ مِيثَاقَ حَيْثُ بَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهٖ فِي الظَّامِرِ كَمَن مَّثَلُ فِي الظَّامِرِ لَئِن يَخْرُجْ مِنْهَا كَذِبٌ لَّيُؤْتِيَنَّ الْكُفْرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ **﴿١٢٤﴾** وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَّثَلًا لِّبَنِيهِمْ وَمَا يَعْتَرُونَ **﴿١٢٥﴾** وَإِذَا جَاءَهُمْ مَّآئِمَةٌ قَالُوا إِن نُّؤْمِنُ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِجِّينَ الَّذِينَ أُجْرِمُوا صَغَارًا عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ **﴿١٢٦﴾**

﴿١٢١﴾ ثم قال: **﴿وَمَا لَكُمْ﴾**، يعني: أي شيء لكم، **﴿إِلَّا تَأْكُلُوا﴾**، وما يمنعكم من أن تأكلوا، **﴿يَمَا ذُكِرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾**، من الذبائح، **﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾**، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص **﴿فَضَّلْ﴾** و**﴿حَرَّمَ﴾** بالفتح فيهما، أي: فصل الله ما حرمه عليكم؛ لقوله: **﴿أَسْمُ اللَّهِ﴾**، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل؛ لقوله: **﴿ذُكِرَ﴾** وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر **﴿فَضَّلْ﴾** بالفتح و**﴿حَرَّمَ﴾** بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله تعالى: **﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانَهُ وَاللَّيْتَةَ وَالذَّمَّ﴾** [المائدة: ٣]. **﴿إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ بِهٖ﴾**، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا**

مَا أَوْحَىٰ إِلَيَّ مَحْرَمًا عَلَىٰ طَاعِيرٍ ﴿١٢٢﴾ إلسى قوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا يُغَيِّرُ اللَّهُ بِرِيءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. واحتج من أباحها بما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال: سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن قوماً قالوا: يا رسول الله إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا». ولو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبح.

قوله: ﴿وَلَا تَشْطَبِينَ لِكُحُونِ إِلَىٰ أَوْلِيَاتِهِمْ يُجَدِّلُونَكُمْ﴾، أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أولياتهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا قُتِلَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، في أكل الميتة، ﴿لَا لَكُمْ لِمَشْرُوكِكُمْ﴾، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، قرأ نافع «ميتاً» و«لحم أخيه ميتاً» [الحجرات: ١٢]

﴿وَالْأَرْضُ أَمْيَةً أَحْيَيْنَاهَا﴾ ليس: [٢٣]، بالتشديد فيهن، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، أي: كان ضالاً فهديناه، كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ نُورًا﴾، يستضيء به، ﴿يَمْشِي بِهِ فِي آثَابٍ﴾، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمنين، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كَنْ مَّثَلًا فِي الظُّلُمَاتِ﴾، الممثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، يعني: من ظلمة الكفر.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ نُورًا﴾، يريد حمزة بن عبد المطلب، ﴿كَنْ مَّثَلًا فِي الظُّلُمَاتِ﴾، يريد أبا جهل بن هشام، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بقرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقال: يا أبا عمارة أما ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا، وقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الضحّاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل.

وقال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل. ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ الْكٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَمَكُونُ﴾، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِينَ﴾، أي: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها، أي: هظماءها، جمع أكبر، مثل أفضل وأفاضل، وأسود وأسود، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح عليه السلام: ﴿الَّذِينَ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُكِونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وجعل فساقهم أكابرهم، ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾، يريد كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون لكل من يقدم: إهّاك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب. ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، لأن ريال مكربهم يعود عليه. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْفَقَ رِشَالًا مَا أَوْقَىٰ رَسُولُ اللَّهِ﴾، يعني: مثل ما أوتي رسول الله من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً لكنث أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا بنو

وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾،

قرأ ابن كثير: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بالتحفيف،

وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿يَصَّاعِدُ﴾

بالالف، أي: يتصاعد، وقرأ

الآخرون ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بتشديد الصاد

والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق

عليه الإيمان كما يشق عليه صعود

السماء. وأصل الصعود المشقة،

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأزِفُهُمْ صَعُودًا﴾

[المدثر: ١٧]، أي: عقبة شاقة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن

عباس: الرجس هو الشيطان، أي:

يسلط عليه. وقال الكلبي: هو

المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا

خير فيه. وقال عطاء: الرجس

العذاب مثل الرجز، وقيل: هو

النجس. روي أن رسول الله ﷺ

كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني

أعوذ بك من الرجس النجس». وقال

الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا

والعذاب في الآخرة.

﴿وَهَذَا

صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾، أي: هذا الذي

بيننا. وقيل: هذا الذي أنت عليه

يا محمد طريق ربك ودينه الذي

ارتضاه لنفسه مستقيماً لا عوج فيه

وهو الإسلام. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِنَا

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّكْرَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾،

يعني: الجنة، قال أكثر المفسرين:

السلام هو الله وداره الجنة. وقيل:

السلام هو السلامة، أي: لهم دار

اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسَّرَ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: يفتح قلبه

وينوره حتى يقبل

الإسلام. ولما نزلت هذه

الآية سئل رسول الله ﷺ

عن شرح الصدر، قال:

«نورٌ يقذفه الله في قلب

المؤمن فينشرح له

وينفسح»، قيل: وهل

لذلك أماره؟ قال: «نعم،

الإنابة إلى دار الخلود

والتجافي عن دار الغرور

والاستعداد للموت قبل

نزول الموت».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ

أَنْ يُصْلِحَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

ضَيْقًا﴾، قرأ ابن كثير ﴿ضَيْقًا﴾

بالتخفيف ههنا وفي الفرقان،

والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل:

هَيْنٌ وهَيْنٌ ولينٌ ولينٌ، ﴿حَرَجًا﴾،

قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء

والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضاً

مثل: الدنف والدنف، وقال سيويه:

الحرج بالفتح، المصدر كالطلب،

ومعناه ذا حرج، وبالكسر الاسم

وهو أشد الضيق، يعني: يجعل قلبه

ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان. وقال

الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. قال

ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشماز

قلبه، وإذا ذكر شيء من عبادة

الأصنام ارتاح إلى ذلك.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله

عنه هذه الآية، فسأل أعرابياً من

كنانة: ما الحرجة فيكم؟ قال:

الحرجة فينا الشجرة تكون بين

الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَمَا نَبَأَ نَصْرَةَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّكْرَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَيْمًا يَمْشَرُ الْجَيْنَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْ بَعْضًا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثُونِكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلا مَائِمَةٌ اللَّهُ أَنْ رَبَّنَا حَرَكَهُمْ عَلَيْهِ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْشَرُ الْجَيْنَ وَالْإِنْسِ الْفَرِيضَةَ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَيُذَكِّرُونَ الْآيَةَ يَوْمَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْتُمْ لَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهَيِّئًا الْفَرَىٰ يَظُنُّ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتنيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ﴾، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْفَىٰ بِشَيْءٍ مَّا أَوْفَىٰ رَسُولُ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﷺ. ثم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ﴿رِسَالَتَهُ﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿رسالاته﴾ بالجمع، يعني: الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾، ذلٌ وهوان، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿فَمَنْ يُرِدْ

السلامة من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا.

وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، فقال في الاستثناء: ﴿أَتَشْكُرُونَهَا يَسْكَرُ مَأْمِينٌ﴾ [الحجر: ٤٦]، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَدُورُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا أَشْجَارٌ إِلَّا يُقَالُ سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]، وقال: ﴿وَنَحْنُ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّي تَحِيْرٌ﴾ [يس: ٥٨]، ﴿وَهُوَ وَرِثُهُمْ يَتَا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾، قال الحسين بن الفضل: يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص: ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾ بالياء، ﴿جَمْعًا﴾، يعني: الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يَتَمَشَّرُ إِلَيْهِمْ﴾، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، أي: استكبرتم من الإنس بالإضلال والإغواء، أي: أضللتكم كثيراً، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

قال الكلبي: استمتع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض ففرّخا على نفسه من الجن، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبيعت في جوارهم. وأما استمتع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سيدنا الإنس مع الجن،

حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ بُيُوتُهُمْ شُيُوكٌ مِنْ لَدُنْهُمْ فَزَادَهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وقيل: استمتع الإنس بالجن ما كانوا يُلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيها يزيتون لهم من الضلالة والمعاصي. قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم لبعض.

﴿وَيَلْبَسُنَا أَسْمَاءَ الْيَوْمِ النَّارِ﴾، يعني: القيامة والبعث، ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَتَأْتُونَ النَّارَ مَتُونَكُمْ﴾، مقامكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: هم خالدون في النار إلا هذا المقدار، وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله: ﴿أَلَتَأْتُونَ النَّارَ مَتُونَكُمْ﴾، أي: خالدون في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب.

وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، ﴿وَمَا﴾ بمعنى «من» على هذا التأويل، ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: عليهم بالذي استثناء بما في قلوبهم من اليقين والتقوى.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّقُ بِبَعْضِ الْفَلَّاحِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضاً، أي: نسلط بعضهم على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، سوى ما شاء الله من أنواع العذاب. كما جاء: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان، والكافر ولي الكافر حيث كان. وروي معمر عن قتادة: يتبع بعضهم بعضاً في النار، من الموالات. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض؛ كقوله تعالى: ﴿قَوْلِهِ مَا قَوْلُ﴾ [النساء: ١١٥]، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو: أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أُولَئِكَ أَنْ يَرَوْا إِلَى اللَّهِ﴾، يعني: يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يَتَمَشَّرُ إِلَيْهِمْ﴾، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، أي: استكبرتم من الإنس بالإضلال والإغواء، أي: أضللتكم كثيراً، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

قال الكلبي: استمتع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض ففرّخا على نفسه من الجن، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبيعت في جوارهم. وأما استمتع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سيدنا الإنس مع الجن،

قال مجاهد: المرسل من الإنس والتأثر من الجن، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمَهُمْ مُّذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]،

﴿رَسْتَنفِلْ﴾، ويخلق وينشئ، ﴿هُنَّ بَدِكُمْ مَا يَنْسَأُ﴾، خلقاً غيركم أمثل وأطوع، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾، أي: آباؤهم الماضين قرناً بعد قرن.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿لَا تَقُومُوا﴾، كائن، ﴿وَمَا أَشْتَرُ بِمُعْتَرِينَ﴾، أي: بفائتين، يعني: يذركم الموت حيث ما كنتم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَقُولُونَ﴾ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم، ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ بالجمع حيث كان، أي: على تمكنكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون، ﴿إِنِّي كَامِلٌ﴾، ما أمرني به ربي عز وجل، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَكُونُ﴾ بالياء هاهنا وفي القصص، وقرأ الآخرون بالياء لتأنيث العاقبة، ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِي أَظْلُمُونَ﴾، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾، يعني: في الشواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشدّ عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن عامر ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والباقون بالياء.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾، عمن خلقه، ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾، قال ابن عباس: ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إِن يَشَاءُ يُدْبِكُمْ﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة،

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرِّحْمَةِ إِن يَشَاءُ يُدْبِكُمْ وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَدِكُمْ مَا يَنْسَأُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَشْتَرُ بِمُعْتَرِينَ﴾ ﴿قُلْ يَقُولُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَحْمَتِهِ وَهَذَا إِشْرَاكَائِنَا فَمَا كَانَ إِشْرَاكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ زَكَّيْنَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَإِلَيْسُوا عَلَىٰ دِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَصِفُونَ﴾

وقيل: معناه ما لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم ياتمر أو نهي فلم ينته، وذلك يكون بعد إنذار الرسول.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾، يعني: في الشواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشدّ عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن عامر ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والباقون بالياء.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾، عمن خلقه، ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾، قال ابن عباس: ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إِن يَشَاءُ يُدْبِكُمْ﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة،

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾، عمن خلقه، ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾، قال ابن عباس: ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه ذو التجاوز، ﴿إِن يَشَاءُ يُدْبِكُمْ﴾، يهلككم، وعيد لأهل مكة،

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرِّحْمَةِ إِن يَشَاءُ يُدْبِكُمْ وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَدِكُمْ مَا يَنْسَأُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَشْتَرُ بِمُعْتَرِينَ﴾ ﴿قُلْ يَقُولُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَحْمَتِهِ وَهَذَا إِشْرَاكَائِنَا فَمَا كَانَ إِشْرَاكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ زَكَّيْنَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَإِلَيْسُوا عَلَىٰ دِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَصِفُونَ﴾

وهم قوم يسمعون كلام الرسول فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الضُّلُومُ وَالنَّجْمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج من الملح دون العذب، وقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، وإنما هو في سماء واحدة.

﴿يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقروون عليكم، ﴿مَاتِيقٍ﴾، كسبي ﴿رُسُلًا وَرُسُلًا﴾ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، وهو يوم القيامة، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عز وجل: ﴿وَعَرَّفَهُمُ الْحَيْرَةَ الدُّنْيَا﴾، حتى لم يؤمنوا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

وَقَالُوا هَذِهِ أَفْعَدُ وَحَرْتُ جِجْرٌ لَا يَطْمَعُهَا إِلَّا مَنْ
 نَشَأَ بِرَبِّعِيهِمْ وَأَنْتُمْ حَرَمْتُمْ طُهُورَهَا وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ
 أَنْسَأَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَفْعَدًا عَلَيْهِمْ سَكَبَتْ يَهُدِيمًا كَانُوا
 يَقْتَدُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا مَا فِى طُبُورِ هَذِهِ الْأَفْعَدِ
 خَالِصَةٌ لِّذِكْرِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى الْأَرْبَابِ وَإِنْ يَكُنْ
 مَيْتَةً فَهَمَّ فِيهِ شُرَكَاءُ سَكَبَتْ يَهُدِيمَةً وَصَفَهُمْ أَنَّهُ
 حَكِيمٌ عَلَيْهِ ﴿١٣٨﴾ فَذَخِيرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
 سَفَهَا يَغْتَرِبُوا وَيَحْرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْعَدًا عَلَى اللَّهِ
 قَدَضُوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٩﴾ وَهُوَ الَّذِى
 أَنْشَأَ حَنْتَ بَعْرٍ وَشَبَّتْ وَعَدَّ مَعْرَ وَشَبَّتْ وَالنَّحْلَ وَالزَّرْحَ
 مَخْلُقًا أَكْلَهُمُ وَالزَّرْحُ وَالرَّمَاتُ مَنْشُكُهَا وَعَدَّ
 مَتَشَبِهَةً كَمَا مِنْ تَمْرٍ وَإِذَا أَتَمَّرُوا مَا تَوَاحَّطَهُ يَوْمَ
 حَصَادِهِ وَلَا تُشْرَفُوا إِلَيْكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُتَشَرِّفُونَ ﴿١٤٠﴾
 وَمِنْ الْأَفْعَدِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كَانُوا يَمَارِزُكُمْ
 اللَّهُ وَلَا تَحْمِلُوا خَطُورَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤١﴾

عليهم، ﴿دِينِهِمْ﴾، قال ابن عباس: ليدخلوا عليهم الشك في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبنس الشياطين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، ﴿فَذَرَهُمْ﴾، يا محمد، ﴿وَمَا يَقْتَدُونَ﴾، يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

﴿وَقَالُوا﴾، يعنى: المشركين، ﴿هَذِهِ أَفْعَدٌ وَحَرْتُ جِجْرٌ﴾، أي: حرام، يعنى: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهد: يعنى بالأنعام: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿لَا يَطْمَعُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرَبِّعِيهِمْ﴾، يعنون الرجال دون النساء، ﴿وَأَنْتُمْ حَرَمْتُمْ طُهُورَهَا﴾، هي: الحوامي

تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾، قال مجاهد: شركاؤهم، أي: شياطينهم زينوا وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها.

وقال الكلبي: شركاؤهم سدة آلهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، فكان الرجل

منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله، وقرأ ابن عامر: ﴿وَزَيْنٌ﴾ بضم الزاي وكسر الياء، ﴿قَتَلَ﴾ رفع ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ نصب، ﴿إِشْرَاقِيهِمْ﴾ بالخفض على التقديم، كأنه قال: زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول به وهو الأولاد، كما قال الشاعر:

فَزَجَّجْتُهُ مُتَمَكِّنًا
 زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ
 أي: زجَّ أبي مزادة القلوص، فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء، وإن لم يتولوا ذلك لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فكانتهم فعلوه. قوله عز وجل: ﴿لِيَهْلِكُوهُمْ﴾، ﴿لِيَهْلِكُوهُمْ﴾، ﴿وَلِيَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ﴾، ليخلصوا

وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله رذوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ ذَرَاةٍ﴾ خلق ﴿مِنْ الْكَرْبِ وَالْأَفْعَدِ نَصِيبًا﴾، وفيه اختصار مجازه: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً.

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَبِّعِيهِمْ﴾، قرأ الكسائي ﴿بِرَبِّعِيهِمْ﴾ بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة، ﴿وَهَذَا إِشْرَاقِيَّتًا﴾، يعنى: الأوثان، ﴿فَمَا كَانَتْ إِشْرَاقِيَّتُهُمْ فَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَاءَهُمْ﴾، ومعناه: ما قلنا أنهم كانوا يتمون ما جعلوا للأوثان مما جعلوه لله، ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزؤوا الله وأكلوا منه فوفروا ما جزؤوا لشركائهم ولم يأكلوا منه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي: بشس ما يصنعون.

﴿وَكَذَلِكَ زَكَّ يَكْثِيرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أي: كما زين لهم

كانوا لا يركبونها، ﴿وَأَمَّا لَا يَتُكْرَرُونَ﴾
 أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، أي: يذبحونها
 باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو
 وائل: معناه لا يحجون عليها ولا
 يركبونها لفعل الخير، لأنه لما جرت
 العادة بذكر اسم الله على فعل الخير
 عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير.
 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَيْهِ، يعني: أنهم يفعلون
 ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به
 افتراءً عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَكَلَّوْا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ
 الْأَنْعَامِ خَالِصَةً لِلذَّكَوَانِ وَغَضَبٌ عَلَى
 أَرْوَجِنَا﴾، أي: نساتنا. قال ابن
 عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة
 البحائر والسوائب فما وُلد منها حياً
 فهو خالص للرجال دون النساء، وما
 وُلد ميتاً أكله الرجال والنساء جميعاً.
 وأدخل الهاء في الخالصة للتأكيد
 كالخاصة والعامّة، كقولهم: نسبة
 وعلامة، وقال الفراء رحمه الله:
 أدخلت الهاء للتأنيث الأنعام لأن ما
 في بطونها مثلها فأنت بتأنيثها. وقال
 الكسائي: خالص وخالصة واحد،
 مثل وعظ وموعظة.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر
 وأبو جعفر: ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء ﴿مَيْتَةً﴾
 رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن
 الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر
 عن عاصم ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء ﴿مَيْتَةً﴾
 نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة،
 وقرأ ابن كثير ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء
 ﴿مَيْتَةً﴾ رفع، لأن المراد بالميتة
 الميت، أي: وإن يقع ما في البطون
 ميتاً، وقرأ الآخرون: ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾
 بالياء ﴿مَيْتَةً﴾ نصب، رده إلى

﴿مَا﴾، أي: وإن يكن ما في البطون
 ميتة، يدل عليه أنه قال: ﴿فَهُمْ فِيهِ
 شُرَكَاءُ﴾، ولم يقل فيها، وأراد أن
 الرجال والنساء فيه شركاء.
 ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ﴾، أي:
 بوصفهم، أو على وصفهم الكذب
 على الله تعالى، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾
 ﴿أَوْلَدَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير
 ﴿قَتَلُوا﴾ بتشديد التاء على التثنية،
 وقرأ الآخرون بالتخفيف،
 ﴿سَفَهَاءَ﴾، جهلاً، ﴿بِعَدِّ عِلْمِهِ﴾،
 نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب
 من غيرهم، كانوا يدفنون البنات
 أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو
 كنانة لا يفعلون ذلك.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني:
 البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،
 ﴿أَنْزِلَةً عَلَى اللَّهِ﴾، حيث قالوا:
 إن الله أمرهم بها، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا
 كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَ﴾، ابتدع. ﴿جَعَلْتُمْ﴾، بساتين،
 ﴿مَمْرُوسَاتٍ وَعَبِيدَ مَمْرُوسَاتٍ﴾، أي:
 مسموكات مرفوعات وغير
 مرفوعات. وقال ابن عباس:
 معروضات: ما انبسط على وجه
 الأرض، وانتشر مما يعرش مثل:
 الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير
 معروضات: ما قام على ساق وبسق،
 مثل النخل والزرع وسائر الأشجار.

وقال الضحاك: كلاهما من الكرم
 خاصة، منها ما عرش، ومنها ما لم
 يعرش. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾، أي:
 وأنشأ النخل والزرع، ﴿مُخْتَلِفًا

﴿أَكْلُهُ﴾، ثمره وطعمه منها الحلو
 والحامض والجيد والسيء،
 ﴿وَالزَّرْعَ وَالزَّرْعَ وَالزَّرْعَ﴾، في
 المنظر، ﴿وَعَبِيدَ مَمْرُوسَاتٍ﴾، في المطعم
 مثل الرماطين لونهما واحد وطعمهما
 مختلف، ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا
 أَثْمَرَ﴾، هذا أمر بإباحة.

﴿وَمَا أَثَرُ حَفَّتْ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، قرأ
 أهل البصرة وابن عامر وعاصم
 ﴿حَصَادِهِ﴾ بفتح الحاء، وقرأ
 الآخرون بكسرها معناهما واحد،
 كالصَّرام والصَّرام والجَزاز والجَزاز.

واختلفوا في هذا الحق فقال ابن
 عباس وطاوس والحسن وجابر بن
 زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة
 المفروضة من العشر ونصف العشر.

وقال علي بن الحسين وعطاء
 ومجاهد وحمام والحكم: هو حق
 في المال سوى الزكاة، أمر بإتيانه
 لأن الآية مكية وفرضت الزكاة
 بالمدينة.

قال إبراهيم: هو الضغث. وقال
 الربيع: لقاط السنبل.

وقال مجاهد: كانوا يعلقون
 العذق عند الصرام فيأكل منه من مر.
 وقال يزيد بن الأصم: كان أهل
 المدينة إذا صرموا يجيؤون بالعذق
 فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء
 المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه
 فيأخذه.

وقال سعيد بن جبير: كان هذا
 حقاً يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام
 منسوخاً بإيجاب العشر.

قال مفسم عن ابن عباس:
 نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِكُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا

الشرهين»، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال السدي: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾، أي: لا تعطوا أموالكم فتقعوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف. لأنه جاء في الخبر: «ابدأ بمن تعول». وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل الآية على هذا: لا تجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

وقال مقاتل: لا تُشركوا الأصنام في الحرث والأنعام.

وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال: الخطاب للسلطين، يقول إلا تأخذوا فوق حركم.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾، أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾، وهي كل ما يحمل عليها من الإبل، ﴿وَمَكْرَهًا﴾، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. ﴿كَلُوا﴾

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم بين الحمولة والفرش فقال: ﴿ثُمَّ بَيَّنَّهٗ أَزْوَاجَ﴾، نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، ﴿مِنَ الْبَقَرِ وَالْأَنْثَى﴾، أي: الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج، والعرب تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا

ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم، والواحد ضائن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، ﴿وَمِنَ الْغَنَمِ الْأَنْثَى﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة ﴿وَمِنَ الْغَنَمِ﴾ بفتح العين والباقون بسكونها، والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز مَعِيزٌ، وجمع الماعزة مَوَاعِزُ، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: أثنى الضأن والمعز، ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الَّذِينَ﴾، منهما فإنها لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، أخبروني، ﴿يَمِيرُونَ﴾، قال الزجاج: فسروا ما حرّمتم بعلم، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن الله تعالى حرّم ذلك.

سورة الأنعام

سورة الأنعام

ثُمَّ بَيَّنَّهٗ أَزْوَاجَ مِنَ الضَّأْنِ الْأُنثَى وَمِنَ الْغَنَمِ الْأُنثَى قُلْ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَمِيرُونَ وَالْإِبِلَ الْأُنثَى وَمِنَ الْبَقَرِ الْأُنثَى قُلْ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَمِيرُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَدَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَنْزَلَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ يَغْيِرُ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مَعْرَافًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضَلَّ عَنِ بَسَاطٍ وَلَا عَارِفَانَ رَبِّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايِ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِحَبِيمٍ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

١٤٧

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ الْأُنثَى وَمِنَ الْبَقَرِ الْأُنثَى﴾، ﴿يَتَّبِعُونَ حَرَّمَ أَرْحَامُ الْأُنثَى﴾. وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث جحر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا مُحَرَّمٌ على أزواجنا، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ، وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء منا كان آباؤنا يفعلونها، فقال له رسول الله ﷺ: «إنكم قد حرّمتم أصنافاً من الغنم على غير أصل، وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قبل

الذكر أم من قبل الأنثى؟ فسكت مالك بن عوف وتحيّر فلم يتكلم. فلو قال جاء التحريم بسبب الذكور وجب أن يحرم جميع الذكور، وإن كان بسبب الأنثى وجب أن يحرم جميع الإناث، وإن كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل، لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض فمن أين؟

ويروى أنّ النبي ﷺ قال لمالك: يا مالك: مالك لا تتكلم؟ قال له مالك: بل تكلم وأسمع منك.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ حُضُورًا إِذْ وَصَّيْنَا اللَّهَ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَيَّ اللَّهِ كَيْدًا يُغِيصُ الْكَافِرِينَ يَغْتَرِبُونَ فِيهِمْ﴾، قيل: أراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقتيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال:

﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وروى أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: شيئاً محرماً، ﴿عَلَى طَائِفٍ يَغْمَهُمْ﴾، أكل يأكله، ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿تكون﴾ بالشاء، ﴿مَيْتَةً﴾ رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحمزة ﴿تكون﴾ بالشاء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو: الجثة ميتة، وقرأ الباقون ﴿يَكُونُ﴾ بالياء ﴿مَيْتَةً﴾

نصب، يعني: إلا أن يكون المطعم ميتة، ﴿أَوْ ذَمًا مَسْفُوحًا﴾، أي: مفزوقاً سائلاً، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان، وهن أحياء وما خرج من الأوراح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان. وقد جاء الشرع بإباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل.

قال عمران بن حُدَيْر: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم، وعن القدر يرى فيها حمرة الدم. فقال: لا بأس به، إنما نهى عن الدم المسفوح.

وقال إبراهيم: لا بأس بالدم في عرق أو مخ، إلا المسفوح الذي تعمد ذلك. وقال عكرمة: لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود.

﴿أَوْ لَحْمَ خَيْزُرٍ فَإِنَّهُ رَيْحٌ حَرَامٌ﴾، ﴿أَوْ شِقًا أَوَّلَ لَيْتٍ اللَّهُ بِهِ﴾، وهو ما ذُبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس، قالوا: ويدخل في الميتة المنخقة والموقودة، وما ذكر في أول سورة المائدة.

وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بها. منها ما:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا

عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري أخبرنا أبي أنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام».

والأصل عند الشافعي: أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل، فإن كان مما أمر الشرع بقتله - كما قال: «خمس فواسق يقتلن في الجبل والحرم»، أو نهى عن قتله. كما روي أنه نهى عن قتل النحلة والنملة - فهو حرام، وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْكَائِبَتُ﴾ [المائدة: ٤]، فثبت أن ما استطابوه فهو حلال.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَيْرَ بَيْعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾، أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

﴿قَوْلُهُ عَيْرٌ وَجِلٌّ﴾: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود،

﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ﴾، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور مثل: البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سُمي الحافر ظُفراً على الاستعارة.

﴿وَيَوْمَ الْبَقَرِ وَالنَّعِيرِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾، يعني: شحوم الجوف، وهي الشروب، وشحم الكلبيين، ﴿إِلَّا مَا حَلَلْنَا﴾، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوْ الْحَوَائِكِ﴾، وهي المباعر واحدها: حاوية وحاوية أي: ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿أَوْ مَا اتَّخَلَطَ بِظَنْفُرٍ﴾، يعني: شحم الألية هذا كله داخل في الاستثناء، والتحریم مختص بالثرب وشحم الكلية. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة أنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «أن الله ورسوله حَرَمَا بَيْعَ الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، فقيل: يا رسول الله أرايت شحوم الميتة فإنه يُطلى بها السفن ويُدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا هو حرام». ثم قال رسول الله عند ذلك: «فقاتل الله اليهود إن الله عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَمَ شَحُومَهَا جَمَلُوهَا ثُمَّ

باعوه فأكلوا ثمنه.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾، أي:

ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصددهم عن سبيل الله وأخذهم الرِّبَا واستحلال أموال الناس بالمباطل، ﴿وَرَأَى لَكُمُ الْيَوْمَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيرهم.

﴿قَالَ كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِأَسْمِكُمْ﴾، عذاباً ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، إذا جاء وقته.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، لئنا لزمتم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا: ﴿تَوَسَّأَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، نحن، ﴿وَلَا مَا آبَاؤُنَا﴾، من قبل، ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله: ﴿تَوَسَّأَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، حجة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا: إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراد منا وأمرنا به لَحَالَ بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم الخالسية، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، عذابنا. ويستدل أهل القدر بهذه الآية،

﴿قَالَ كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرِيدُ بِأَسْمِكُمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصددهم عن سبيل الله وأخذهم الرِّبَا واستحلال أموال الناس بالمباطل، ﴿وَرَأَى لَكُمُ الْيَوْمَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيرهم. ﴿قَالَ كَذَّبُوا فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِأَسْمِكُمْ﴾، عذاباً ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، إذا جاء وقته.

يقولون: إنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله وردّ عليهم، فقال: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قلنا: التكذيب ليس في قولهم ﴿تَوَسَّأَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: ﴿وَأَذَانًا مَلَكًا فَنَجَّيْنَاهُ فَأَلَا وَوَدَّعْنَا عَلَيْهِمَا أَهْلَابَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فالردّ عليهم في هذا كما قال: ﴿قُلْ لَيْسَ إِلَهُكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٢٨].

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: ﴿تَوَسَّأَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، قوله: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، بالتشديد ولو كان ذلك خبراً من الله عزّ وجلّ

عن كذبهم في قولهم: ﴿تَوْ شَاءَ اللَّهِ مَا أَتْرَكْتُمْ﴾، لقال كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب. وقال الحسن بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عز وجل، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَتْرَكْتُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وقال: ﴿مَا كَانُوا يَلْوُيْمُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكديباً وتخترصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]، قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾، أي: كتاب وحجة من الله، ﴿فَتُخْرِجُوهُنَّ﴾، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرّمتم، ﴿إِنْ تَكْفُرُونَ﴾، ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾، من غير علم ويقين، ﴿وَأَنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمِينَ﴾، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه.

﴿قُلْ هَاتُوا﴾، يقال للواحد والاثنيين والجمع، ﴿شَهَادَةَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، أي: اتصروا بشهادتكم الذين يشهدون، ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾، وهم كاذبون، ﴿وَلَا تَنْهَيْتُمْ﴾، أنت، ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَكِيدُونَ﴾، أي: يشركون.

﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾، قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾، وذلك أن المشركين سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرّم الله تعالى؟ فقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ حَقّاً يَقِيناً لَا ظَنَّاً وَلَا كَذِباً كَمَا تَزْعُمُونَ﴾.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾، والمعزوم هو الشرك لا ترك الشرك؟ قيل: موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرّم عليكم أن تشركوا، ولا صلة؛ كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَهُ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٢]، أي: ما منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾، ثم

قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً، على وجه الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتلت عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا، ﴿وَالَّذِينَ إِتَّخَذُوا أَوْلَادًا مِمَّن دُونَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإني رازقكم وإيتاهم، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾، ما ظهر يعني: العلانية وما بطن يعني: السر.

وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر، فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر.

وقال الضحاك: ما ظهر الخمر: وما بطن الزنا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، حرّم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو وزنا يوجب الرجم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري ثنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بإحدى ثلاث: الشيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، ﴿ذَلِكُمْ﴾

الذي ذكرت، ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾، أمركم به، ﴿لَمَلَكُوا تَقُولُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يعني: بما فيه صلاحه وتشميره. وقال مجاهد: هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. قال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة.

والأشد جمع شد، مثل قد وأقد، وهو استحكام قوة شبابه وسنّه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه، وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿لَا تَكِلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، لم يكلف المعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾، فاصدقوا

في الحكم والشهادة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾،

أي: ولو كان المحكوم والمشهد عليه ذا قرابة، ﴿وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَمَلَكُوا تَقُولُونَ﴾، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرين بتشديدها.

قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محررات على بني آدم

كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾، أي: هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين، ﴿صِرَاطِي﴾، طريقي وديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، مستويًا قويمًا، ﴿فَأَتَّبِعُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «وان» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون: بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً، وقرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون النون. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الشُّمُولَ﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فَتَفَرَّقُوا﴾، فتميل، ﴿بِكُمْ﴾، وتشتت، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَمَلَكُوا تَقُولُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَأَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا أَوْ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَمَلَكُوا تَقُولُونَ﴾
 ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الشُّمُولَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَمَلَكُوا تَقُولُونَ﴾
 ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعِبَادِهِمُ لِئَلَّا يَزِيغَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاةً وَمَا نُنَادِيكُم بِالتَّقْوَىٰ وَأَنْتُمْ كَأَنَّكُمْ تَرَخَوْنَ﴾
 ﴿إِن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن ذِكْرِهِمْ أَتَقْلِبُونَ﴾
 ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ مِّن ظُلْمٍ وَمَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَخِرَ مِنَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ يَمَا كَانُوا يَصُدُّونَ﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابي بكر بن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي ثنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ وحرف «ثم» للتعقيب وإتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أنا

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أننا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكننا خيراً منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وَهُدًى﴾ بيان ورحمة ونعمة لمن أتبعه، ﴿مَنْ أَظْلَكُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَقَ﴾، أعرض، ﴿عَنْهَا سَخِرَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ آيَاتِنَا سَخِرَ الْعَذَابِ﴾، أي: شدة العذاب، ﴿بِمَا كَانُوا يَصُدُّونَ﴾، يعرضون.

﴿١٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لتقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ بآلية هنا وفي النحل، والباقون بالياء، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾، بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِكُمْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني: طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا نَفْسًا لِمِيشًا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِكُمْ كَيْدًا﴾، يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق، ﴿فَلْيَنْظُرُوا﴾، يا أهل مكة، ﴿إِنَّا مُنظِّرونَ﴾، بكم العذاب.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن

على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة، أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك.

وقيل: معناه تماماً مني على إحساني إلى موسى. ﴿وَتَقْصِيلاً﴾، بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، هذا في صفة التوراة، ﴿فَلَمَّ يَلْقَاهُ رِجْهَمُ يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالشواب والعقاب.

﴿١٥٧﴾ ﴿وَهَذَا﴾، يعني: القرآن، ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ مُبَارَكًا فَآتِيُونَ﴾، واعملوا بما فيه، ﴿وَاتَّقُوا﴾، وأطيعوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿١٥٨﴾ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، يعني: لثلاثا تقولوا؛ كقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَعْنَتُهُمْ أَنْ تَقُولُوا﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: ثلاثا تضلوا، وقيل: معناه أنزلناه كراهة أن تضلوا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، قال الكسائي: معناه: واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَإِنْ كُنَّا﴾، وقد كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم، ﴿لَتَفْلِتَنَّ﴾، لا نعلم ما هي، معناه: أنزلنا عليكم القرآن ثلاثا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذراً لأنفسكم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا لِمِيشًا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا فَلْيَنْظُرُوا إِنَّا مُنظِّرونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا وَبَدَّوهُمْ أَكْثَرًا كَانُوا إِيمَانًا مِمَّنْ قَبْلِهِمْ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا أُسْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٧﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمَا كَسَبَ وَهُوَ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا لِيَلْزِمَهُمْ حِينًا وَمَا كَانَ مِنَ الشُّرَكِيِّينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ أَغْرَى اللَّهُ آيَةَ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْفُرْ كُلُّ نَفْسٍ لَا عَلَىٰهَا وَلَا نُزُودًا وَلَا زِينَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ رُجُوعٌ ﴿١٦٢﴾ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوَّرٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٤﴾

آتيناه موسى الكتاب، فدخل ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول.

﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾، اختلفوا فيه، قيل: تماماً على المحسنين من قومه، فيكون ﴿الَّذِي﴾ بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ هو موسى، و﴿الَّذِي﴾ بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره: آتيناه الكتاب يعني التوراة إتماماً للنعمة عليه لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر.

وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه تماماً

محمد بن محمض الزياتي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «يبدأ الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنتهار، ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرئاني أنا حميد بن زنجويه أنا النضر بن شميل أنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرئاني أنا حميد بن زنجويه أنا أحمد بن عبد الله أنا حماد بن زيد أنا عاصم بن أبي النجود عن زر بن

حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله ﷺ: «أن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يُغلق ما لم تطلع الشمس من قبله»، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُمَّةٍ بِرَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَابًا لَّوْ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾.

وروى أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها».

﴿١٥٩﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا ذِكْرَهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فَارْقُوا﴾، بالألف هنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الآخرون: ﴿قَرَأُوا﴾ مشدداً، أي: جعلوا دين الله وهو واحد - دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية - أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَكَأَنَّهُمْ شِيكَا﴾، أي: صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي.

وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع، والشبهات من هذه الأمة».

حدثنا أبو الفضل زياد بن

محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو عبد الله محمد بن عقيل بن الأزهرى بن عقيل الفقيه البلخي أنا الرمادي أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مخلد أنا ثور بن يزيد نا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى عن العرياض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوحينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستى: وستة الخلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

وروى عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

قال عبد الله بن مسعود: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها». ورواه جابر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿لَسْتَ مِنْ قَتَالِهِمْ فِي شَيْءٍ﴾، قيل: لست من قتالهم في شيء، نسختها آية القتال، وهذا على

قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله: «كُنتُمْ فِي شِقْوَةٍ»، أي: أنت منهم بريء وهم منك براء، وتقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك، أي: كل واحد منا بريء من صاحبه، «وَأَمَّا أَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ»، يعني: في الجزاء والمكافات، «فَمَنْ يَنْتَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، إذا وردوا للقيامة.

﴿١٦١﴾ قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَثَرَالِهَا»، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب عَشْرٌ منون، «أَمْثَالِهَا» بالرفع. «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَوْمَهُ وَهُوَ لَا يَظْلَمُونَ».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي ثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن يوسف القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكلُّ سيئة يعملها تُكتب له بمثلها حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني ثنا عبد الغافر بن محمد الفارسي ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو

بكر بن أبي شيبه ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلِهَا أَوْ أَغْفَرَ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي بِمِشْيِ أَتَيْتُهُ هِرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقَيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

﴿١٦٢﴾ قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا»، قرأ أهل الكوفة والشام قِيماً بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قِيماً، «وَاللَّهُ إِلَهُنَّ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

﴿١٦٣﴾ «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي»، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، «وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي»، أي: حياتي ووفاتي، «اللَّهُ رَبِّيَ الْعَلِيِّنَ»، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محيائي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: «ومحياي» بسكون الياء و«مماتي»

بفتحها، وقراءة العامة «ومحياي» بفتح الياء لثلاثا يجتمع ساكنان.

﴿١٦٤﴾ قوله تعالى: «لَا شَرِيكَ لَهِ وَيَذَلِكِ بُرْهَانِي وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿١٦٥﴾ «قُلْ أَغْوَى اللَّهُ أُمَّتِي رِيًّا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيداً وإلهاً «وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ»، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا»، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني، «وَلَا يُزِدُ وَازِدَةً وَوَدَّ الْآخِرِينَ»، أي لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، «فَمَنْ لَكَ رَبٌّكَ مَرَّضَكَ فَيَتَّبِعَكَ يَمَّا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ».

﴿١٦٦﴾ «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْفَ الْأَرْضِ»، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلفاً منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلاف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد مَنْ مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه. «وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ»، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، «لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا أَنْتُمْكُمْ»، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يتلي الغني والفقير والشريف والوضيع

والحرّ والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعَقَابِ ﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿ وَإِنَّ لِقَعُورَ رَبِّمْ ﴾، قال عطاء سريع العقاب لأعدائه غفور لأولياته رحيم بهم.

سورة الأعراف

مكية كلها إلا خمس آيات أولها: ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ﴾ [١٦٣ - ١٦٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿ يَبْتَئِسُ ﴾، ليلاً ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾، من القيلولة، تقديره: فجاءها بأسناً ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون أو نائمون ظهيرة، والقيلولة: استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى الآية: أنهم جاءهم بأسناً وهم غير متوقعين، إما ليلاً أو نهاراً. قال الزجاج: ﴿ أَوْ ﴾ لتصرف العذاب، أي: مزة ليلاً ومرة نهاراً. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكتهم ليلاً، ومنهم من أهلكتهم نهاراً.

فإن قيل: ما معنى أهلكتها فجاءها بأسناً؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى أهلكتنا حَكَمْنَا بإهلاكها فجاءها بأسناً. وقيل: فجاءها بأسناً وهو بيان قوله: ﴿ أَهْلَكْتُمَا ﴾، مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾، أي: قولهم ودعاؤهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الازدعاء وبمعنى الدعاء، قال سيبويه: تقول العرب: اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين، أي في دعائهم، ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ ﴾، عذابنا، ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾، معناه: لم يقدرُوا على ردِّ العذاب، وكان

سورة الأعراف
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَصِّ ﴿١﴾ كُنْتُمْ أَوْلَىٰ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَزَنٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا نَيِّتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأْذِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا يَعْبَتُونَ ﴿٧﴾ وَأَلْوَزْنَا مِن مَّوْجِدٍ إِلَى الْحَيِّ فَمَنْ نَقَلْتُم مَّوْزِينَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ حَقَّتْ مَوْزِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهِرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَكْبَرُوا إِلَّا أَدَّ مَسْجِدًا وَآلَٰئِلَاسٍ لَّيْسَ لَكُم مِّنْ أَسْتَجِدِينَ ﴿١١﴾

١٥١

حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

﴿ فَلَنَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿ وَلَنَسْتَأْذِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، عن الإبلاغ.

﴿ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾، أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم؛ كقوله تعالى: ﴿ هَذَا كَيْتَابٌ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩]. ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

﴿ وَأَلْوَزْنَا مِن مَّوْجِدٍ إِلَى الْحَيِّ ﴾، أي: جعلنا من موجد إلى الحي، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله

قَالَ مَا مَعَكُمْ أَلَا تَسْجُدُونَ إِذْ أَمَرْنَا قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ
وَسَلَفْتُهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١١﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْرَبُونَ
﴿١٢﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنَّهُ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمَسْتَقِيمَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ
أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مُمَدَّنًا لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمُ لَمَلٌ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ وَتَبَادُرُ شُهُودُهُمْ لِرُبُوبِهِمْ أَجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا شَجَرًا
يَسْتَعِينُونَ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ فَوَسَّوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ الْبَشِيرُ لِمَا مَأْوَى عَنَّهُمَا مِنْ سَوَاءِ نِيَّتِهِمَا وَقَالَ
مَا تَهْتَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مِنَ الْمَكِينِ أَوْتَكُونَا
مِنَ الْمُخْلَعِينَ ﴿١٨﴾ وَقَسَمُومًا لِي لَكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿١٩﴾ فَذَلَّلْنَاهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
فَلَمَّا ذُوقَا أَذَى الشَّجَرَةِ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
مُتَخَفِعَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا ضَلُوبٌ ﴿٢٠﴾

١٥٦

تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب.

واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: تُوزن صحائف الأعمال: وروينا: «أَنْ رَجُلًا يُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مَدٌّ الْبَصْرِ، فَيُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ البَطَاقَةُ».

وقيل: تُوزن الأشخاص. وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بَعْضُهُ».

وقيل: تُوزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في

الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحاناً لله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى، «فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ»، قال مجاهد: حسناته، «فَأَوَّلَتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

﴿١٠﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَوَّلَتْكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْبَتُنَا يَظْلُمُونَ ﴿١١﴾، يجحدون، وقال أبو بكر رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ثقلت

موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم حق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

فإن قيل: فقد قيل: «فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ» ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد، قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد؛ كقوله: «بَيِّنَاتٍ لِرُسُلٍ» [المؤمنون: ٥١]، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل: جَمَعَهُ؛ لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما.

﴿١٢﴾ وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ نَكَّلْنَا لَكَ

فِي الْأَنْزِينِ»، أي: المراد من التمكين التمليك والقدرة، «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا»، أي: أسباباً تعيشون بها أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل والمشرب والمعاش جمع المعيشة، «فَلْيَلَا مَا فَشَكُرُونَ»، فيما صنعت إليكم.

﴿١٣﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ»، قال ابن عباس: «خَلَقْنَاكُمْ»، أي: أصولكم وآباءكم ثم «ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» في أرحام أمهاتكم، وقال قتادة والضحاك والسدي: أما خلقناكم فآدم، وأما «ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» فذريته. وقال مجاهد في «خَلَقْنَاكُمْ» آدم، «ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل: «خَلَقْنَاكُمْ» في ظهر آدم ثم «صَوَّرْنَاكُمْ» يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال وصوّرناكم في أرحام النساء. وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم خلقه وصوره و«ثُمَّ» بمعنى الواو.

﴿١٤﴾ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ»، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله: «ثُمَّ قُلْنَا»، و«ثُمَّ» للترتيب والتراخي؟ قيل: على قول من يصرف الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم الكلام إما على قول من يصرفه إلى الذرية فعنه أجوبة.

أحدها أن «ثُمَّ» بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا تكون

للترتيب والتعقيب. وقيل: أراد ثم أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا.

وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ثم صورناكم.

قوله تعالى: ﴿مَسْجُودًا﴾، يعني: الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾، لآدم.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: يا إبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أي: وما منعك أن تسجد و«لا»: زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَرِهْنَا عَلَىٰ قُرَيْبٍ أَنهَلِكُنَّهَا أَنهَلِمَ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. ﴿قَالَ﴾ إبليس مجيباً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْكَ﴾ لأنك ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، والنار خير وأتور من الطين.

قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس.

قال ابن سيرين: ما عُبِدَتِ الشمس إلا بالقياس.

قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار. وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه، منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتهاب والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والجرأة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين

سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَالَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض وأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروح فيها حتى يخرج منها.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، بمخالفة الأمر، ﴿فِيهَا﴾، أي: في الجنة، ولا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبراً مخالفاً لأمر الله تعالى، ﴿فَأَنزَجْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ﴾، من الأدلاء، والصغار: الذل والمهانة.

﴿قَالَ﴾ إبليس عند ذلك، ﴿أَنْظِرْنِي﴾، أخرني وأمهلي فلا تمتني، ﴿إِلَّا يَوْمَ يَمُوتُونَ﴾، من قبورهم وهو الفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يدوق الموت.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، المؤخرين، وبين مدة النظر والمهلة في موضع آخر، فسقال: ﴿إِلَّا يَوْمَ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، وهي النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

﴿قَالَ﴾ فيما أغويتني، اختلفوا في «ما»، قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾، وقيل: هو «ما» الجزء، أي: لأجل أنك أغويتني

لأقعدن لهم، وقيل: هو «ما» المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم؛ كقوله: ﴿بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي﴾ [يسس: ٢٧]، يعني: لغفران ربي، والمعنى بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك فيّ. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء أغويتني، أي: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكنتني. وقيل: خيبتني، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَالَ لَأَنْبِتُهُنَّ بُرًّا مِّنْ آيَاتِهِمْ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ﴾، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿وَمِنْ شِمَائِلِهِمْ﴾، أشهي لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿بُرًّا مِّنْ آيَاتِهِمْ﴾ من قبل دنياهم، يعني أزيئها في قلوبهم، ﴿وَمِنْ قِبَلِ الْآخِرَةِ﴾، من قبل الآخرة فأقول: لا بيعت ولا نشور ولا جنة ولا ناز، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَمِنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم.

وقال الحكم: ﴿بُرًّا مِّنْ آيَاتِهِمْ﴾: من قبل الدنيا يزيئها لهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من قبل الآخرة يشبثهم عنها، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ﴾: من قبل الحق يصدّهم عنه، ﴿وَمِنْ شِمَائِلِهِمْ﴾: من قبل الباطل يزيئته لهم. وقال قتادة: أتاهم ﴿بُرًّا مِّنْ آيَاتِهِمْ﴾ فأخبرهم أنه لا

بعث ولا جنة ولا نار، ﴿وَيَوْمَ نَخْتِفُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا زِينَتَهُمْ لَهُمْ وَدَعَاهُمُ إِلَيْهَا، وَعَنْ أَيْتِنَاهُمْ﴾: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، ﴿وَمَنْ تَتَابَعُوا﴾: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أنك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن إيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون، أي: لا يخطئون، وحيث لا يبصرون، أي: لا يعلمون أنهم يخطؤون.

﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظناً فأصاب. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠].

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس: ﴿خُذْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَذْؤُومًا﴾، أي: معيباً، والذميم والذام أشد العيب، يقال: ذامه يذامه ذاماً فهو مذؤوم وذامه يذيمه ذاماً فهو مذيم، مثل سار يسير سيراً. المدحور: المبعد المطرود، يقال: دحره يدحره دحراً إذا أبعدته وطرده. قال ابن عباس: مذؤوماً أي ممقوتاً، وقال قتادة: مذؤوماً مدحوراً، أي: لعيناً منفيماً. وقال الكلبي: مذؤوماً ملوماً مدحوراً مقصياً من الجنة ومن كل خير. ﴿لَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُمْ﴾، من بني آدم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾، اللام لام القسم، ﴿مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي: منك ومن ذريتك

ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

﴿وَيَوْمَ تَكُونُ أَنْتَ دَرَجَةً مَخْفِيَةً﴾، ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَقِلُونَ وَلَا تَرَى فِيهَا مِنَ الشَّجَرَةِ فَتَوْكُؤًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَكُونُ لَكُمْ أَسْتِطَانٌ﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يُلقِيه الشيطان في قلب الإنسان، ﴿الْبَيْتِ لَمَّا مَا وَرَى عَنِّيَا مِنْ سَوَاءَ بَيْتَيْمَا﴾، أي: ليظهر لهما ما عُطي وسُتر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس بهذا، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهم؛ كقوله تعالى: ﴿لَأَنْقَطِعُنَّ أَمَّا لِرِعْوَتِكَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرًا﴾ [القصص: ٨]، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس لأدم وحواء، ﴿مَا تَهَكُّمًا رِيكًا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾، يعني: لثلاثا تكونا، كراهية أن تكونا مَلَكَتَيْنِ من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، من الباقين الذين لا يموتون؛ كما قال في موضع آخر: ﴿هَلْ أَدْرُكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

﴿وَوَاسَسَهُمَا إِيَّيَ لَكُمَا لِيَنْتَقِلَا فِي السَّعِيرَاتِ﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أُرشدكما، وإبليس أزل من حلف بالله كاذباً فلما حلف ظن آدم أن أحداً لا يحلف بالله فاعتز به.

﴿وَوَدَّعَاهُمَا يُرِيدُ﴾، أي:

خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بالغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل.

وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل والتدلية: إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، وقال الأزهري: وأصله تدلية العطشان في البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء، فيكون مُدلى بالغرور والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش.

﴿لَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءَاتُهُمَا﴾، قال الكلبي: فلما أكلتا منها. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا أخذتُهُمَا العقوبة، والعقوبة أن بَدَتْ ﴿بَدَتْ﴾ لهما «سواءتهما» عوراتهما، وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وورِي عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك. قال وهب: كان لباسهما من النور. وقال قتادة: كان ظفراً ألبسهما الله من الظفر لباساً فلما وقعا في الذنب بدت لهما سوءاتهما فاستحيا، ﴿وَلَوْ قَفَا﴾، أقبلا وجعلا ﴿يَخْتَصِمَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿فَلَمَّا بَيْنَ رُؤْيَى الْبَيْتِ﴾، وهو ورق التين حتى صار كهيشة الثوب.

قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواءتهما. وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ: «كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحق كثير شعر الرأس، فلما وقع في الخطيئة بدت له سواءته، وكان لا

يراها فانطلق هارباً في الجنة، فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه يا آدم أمني تفر؟ قال: لا يارب ولكن استحييتك.

﴿وَنَادَتْهُمَا رَبُّهُمَا أَزَلُّنَّكُمْ عَنْ بَلَدِكُمَا الشَّجَرَةَ﴾، يعني: عن الأكل منها، ﴿وَأَقْبَلَ لُكْمًا إِذْ السَّيِّئَاتُ لَكُمْ أَعْدُوٌّ شَيْنٌ﴾، أي: بين العداوة، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتني؟ قالت: أمرتني الحية، قال: للحية لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: أما أنت يا حواء فكما آدميت الشجرة فتدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك، وسيشدخ رأسك من لفيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾، ضررناها بالمعصية، ﴿وَإِن لَّا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الهالكين.

﴿قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، يعني: في الأرض تعيشون، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بفتح التاء ههنا وفي الزخرف، وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي:

﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾ في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

﴿يَبْنِيٰ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾، أي: خلقنا لكم ﴿يَلِاسًا﴾، وقيل: إنما قال: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ لأن اللباس يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وإنما يستخرج الحديد من الأرض.

وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة. قال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول:

اليوم يبذو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أجله

فأمر الله سبحانه بالستر، فقال: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّؤَيِّ سَوْءَ رُكْبَتِكُمْ﴾، يستر عوراتكم، واحداثها سواة سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها، فلا تطوفوا عراة، ﴿وَرِيثًا﴾، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يقال: تريش الرجل إذا تمزّل، وقيل: الريش الجمال، أي: ما تتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس ﴿وَلِبَاسًا الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، قرأ

سورة الأعراف

سورة الأعراف

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيٰ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّؤَيِّ سَوْءَ رُكْبَتِكُمْ وَرِيثًا وَلِبَاسًا الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيٰ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسًا لِّئَلَّا يَبْهَتَا سَوَاءٌ تَهُمَا إِن تَرْتَدَّ بِرُكْبَتِكُمْ هُوَ وَمِثْلَهُ مِمَّن حِثٌّ لَّآبَائِهِمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ أَعْلَمُوا فَجِئْسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْرَبْنَا بِهَا الْقَوْلَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْتُرِي بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَسْرَيْتُ بِالْأَيْسُوطِ وَأَيْسُوتُكُمْ عِنْدَكُمْ عِنْدَكُمْ مَسْجِدٌ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعُونَ ﴿٢٩﴾ وَبِئْسَ هَدًى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾

١٥٢

أهل المدينة وابن عامر والكسائي: ﴿وَلِبَاسًا﴾ بنصب السين عطفاً على قوله: ﴿لِبَاسًا﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خَيْرٌ﴾، وجعلوا ﴿ذَلِكَ﴾ صلة في الكلام، وكذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب: ﴿وَلِبَاسًا الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

واختلفوا في ﴿وَلِبَاسًا الْقَوِيُّ﴾، قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يعث على التقوى.

وقال عطاء عن ابن عباس: هو العمل الصالح. وعن عثمان بن عفان أنه قال: السمت الحسن.

وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله. وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل.

وقال ابن الأنباري: لباس التقوى

وقال أبو العالية: عادوا على عمله فيهم: قال سعيد بن جبير: كما كتب عليكم تكونون.

قال محمد بن كعب: من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل يعمل أهل السعادة، كما أن إبليس كان يعمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل يعمل أهل الشقاوة، كما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ يَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ يَعْمَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ يَعْمَلُ أَهْلَ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ».

وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. قال قتادة: بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفَرِحْنَا هَدْيًا﴾، أي: هداهم الله، ﴿وَفَرِحْنَا حَقًّا﴾، وجب ﴿عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾، أي: الإرادة السابقة، ﴿إِنَّمَا أَخَذُوا الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُحْسِنُونَ أَخْتِمَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فيه دليل على أن

أباؤكم؟ قالوا: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْتُرُ بِالْحَشِيئَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾، قال ابن عباس: بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ. وقال الضحاك: التوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال مجاهد والسدي: يعني وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً. ﴿وَأَدْعُوا، وَاعْبُدُوهُ، وَتَخْلِصِيكَ لَهُ الَّذِينَ﴾، الطاعة والعبادة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، قال ابن عباس: إن الله بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً؛ كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَافِرًا وَنَسُكًا مُؤْمِنًا﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً. قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ وَالْكَافِرُ عَلَى كُفْرِهِ».

هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف.

قال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتَقَى بِهَا فِي الْحَرْبِ كَالدَّرْعِ وَالْمَغْفَرِ وَالسَّاعِدِ وَالسَّاقِينَ. وقيل: لباس التقوى هو الصوف والشباب الخشنة التي يلبسها أهل السورج. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يَبْتِغِي عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾، أي: لا يضلنكم الشيطان، ﴿كَمَا فَتَحَ آيَاتِكُمْ﴾، أي: كما فتن آبيكم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾، أي: ليرى كل واحد سواة الآخر. ﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ﴾، يعني الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿هُوَ وَوَيْلِيُّهُ﴾ جنوده، قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة الجن والشياطين، ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ قُرْنَاءَ وَأَعْوَانًا﴾، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّاهِمٌ أَرَاءًا﴾ [مریم: ٨٣].

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة، وقال عطاء: الشرك. والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْنَا آيَاتَهُنَّ﴾، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا. قيل: ومن أين أخذ

الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاهد والمعاند سواء.

﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطفون بالبيت عراة، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، يعني: الشيايب. قال مجاهد: ما يُوراي عورتك ولو عباءة. قال الكلبي: الزينة ما يُوراي العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا﴾، يعني: اللحم والدسم [الذي امتنعوا منه أهل الجاهلية] ﴿وَاشْرَبُوا﴾ اللبن، ﴿وَلَا تُشْرَبُوا﴾، بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُشْرِفِينَ﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومنخلة. قال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطيب كله في نصف آية فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُشْرَبُوا﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، يعني: لبس الشيايب في الطواف، ﴿وَاطَّيَّبْتِنَّ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يعني: اللحم والدسم في أيام الحج. وعن ابن عباس وقتادة: والطيبات من الرزق ما حرم

أهل الجاهلية من البحار والسواب.

﴿قُلْ مَنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها.

وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم.

قرأ نافع ﴿خَالِصَةٌ﴾ رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة للمؤمنين. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿مَا ظَهَرَ﴾ طواف الرجال بالنهار، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ طواف النساء بالليل. وقيل: هو الزنا سراً وعلاية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي وائل عن عبد الله قال: قلت: أنت سمعت هذا من عبد الله؟ قال: نعم، فرفعه،

﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ خُدُوا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُشْرَبُوا إِنَّهُ لَخَبِيرٌ بِالسُّرِّينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا تَرَىٰ لَهُ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَتَّبِعْ مَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِخَبَرٍ فَتَكُفُّوا عَنْهُ قُلُوبُكُمْ فَغَرَّبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَخَلَفُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَأَصْلَحُوا فَأَلْجَأُوا كَيْدَهُمْ كَذِبًا أَتَيْنَا وَاسْتَكْبَرُوا وَعَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقَرَّ عَلَى اللَّهِ كُفْرًا وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكَذِبِ حَتَّىٰ تَأْتِيَهِمْ رُسُلُنَا لِيُؤْمِنُوا قَالُوا إِنَّا مِنْكُمْ تَدْعُونَ بِنَدْبِ اللَّهِ قَالُوا أَصَلُّوا عَتَا وَشَقَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٦﴾

قال: قال ﷺ: ﴿لا أحد أغير من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه﴾. قوله عز وجل: ﴿وَالْإِثْمَ﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر، قال الشاعر:

شربُ الإثم حتى ضلَّ عقلي
كذلك الإثم يذهب بالعقول
﴿وَالْبَغْيَ﴾، الظلم والكبر، ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا تَرَىٰ لَهُ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُونَ﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، يعني: مدة وأكل وشرب، وقال ابن عباس

﴿قَالُوا﴾، يعني: يقول الرسل للكفار، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾، تعبدون، ﴿بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾، سؤال تبكيت وتقريع، ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلْنَا﴾، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَ أَنْفُسِهِمْ﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿أَنْتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿٣٨﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ، يعني:

يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِنَ الَّذِينَ وَالُوا مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ﴾، يعني: كفار أخنبا، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود النصارى والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عني الأمة والجماعة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُمُوهَا فِيهَا﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جِيئًا فَآتٍ أَخْرَجْتُمُوهَا﴾، قال مقاتل: يعني أخرجهم دخولاً النار وهم الاتباع، ﴿لِأُولَئِكَ﴾، أي: لأولاهم دخولاً وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولاً. قال ابن عباس:

يعني آخر كل أمة لأولاهم. وقال السدي: أهل [آخر] الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَصَلَّوْنَا عَنْ الْهُدَىٰ﴾، يعني: القادة ﴿فَقَاتِمَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾، أي: ضعف عليهم العذاب، ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني: القادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِن لَّا تَقْلُوبُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

قرأ الجمهور: «ولكن لا

بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، جعل له شريكاً، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، بالقرآن، ﴿أُولَئِكَ يَتْلُمُّهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْعَذَابِ﴾، نصيبهم: أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح

المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوهَا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة. وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجزي عليها.

وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيت، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه،

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّنَا أَخْبَأْنَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جِيئًا فَآتٍ أَخْرَجْنَاهُم لَآئِلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلَّوْنَا فَتَنَّا بِهِمُ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَقْلُوبُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتٍ أُولَئِكَ لَآئِلُهُمْ لَأَخْرَجْنَاهُم مَّا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ فَجُذِبُوا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنْفَعَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا إِلَّا يَسْمُخُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْبِغَ الْخَيْطُ فِي سَعَةِ الْجَنَّةِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَمْ يَمُنْ بِهِمْ يَهَادُوا مِن قَوْمِهِمْ غَوَّاهٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْفَاطِلِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ لَأَلَا نُؤْتِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَرَبُّنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِن عِلْمٍ نَجْزِيهِمْ مِّنْ حَيْثُ هُمْ أَنزَلْنَاهُمْ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِن آتِنَا نُؤَدُّوهُم وَإِنَّ إِلَهُكُمْ لَلْجَنَّةُ أَوْرَشُومَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَصَلُّونَ ﴿٤٣﴾

وعطاء والحسن: يعني وقتاً لنزول العذاب بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾، أي: ولا يتقدمون وذلك حين سألوا العذاب فانزل الله هذه الآية.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَادٍ مِّمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾، أي: إن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل. وقال مقاتل: أراد بقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَادٍ﴾ مشركي العرب وبالرسل محمداً ﷺ وحده، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكَ عَائِنًا﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿فَمَنْ أَتَقَىٰ﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿فَلَا حَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾، إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي: إذا حزنوا.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾، تكبروا عن الإيمان

تعلمون»، وقرأ أبو بكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾
بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة
ولا القادة ما للأتباع.

﴿١٦﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ﴾، يعني:
القادة، ﴿لَاخِرَتُهُمْ﴾، للأتباع، ﴿فَمَا
كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، لأنكم
كفرتكم كما كفرنا فنحن وأنتم في
الكفر سواء وفي العذاب سواء،
﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ﴾، بالهاء،
خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف
حمزة والكسائي، والباقون بالهاء
والتشديد، ﴿أَبْرَأُ اللَّهُ﴾، لأدعيتهم
ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس:
لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل
يهورى بها إلى سجين، إنما تفتح
أبواب السماء لأرواح المؤمنين
وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿وَلَا يَسْعَلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سِنِّ اللَّيْلِ﴾،
أي: حتى يدخل البعير في ثقب
الإبرة، والخياط والمخيط واحد،
وهو الإبرة والمراد منه: أنهم
لا يدخلون الجنة أبداً لأن الشيء إذا
عُلِقَ بما يستحيل كونه يدل لك على
تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك
حتى يشيب الغراب أو يبيض القار،
يريد: لا أفعله أبداً. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، أي:
فرش، ﴿وَمِنْ قَوَائِمِهِمْ عَوَاشٍ﴾،
أي: لحف. وهي جمع غاشية،
يعني: ما غشاهم وغطاهم، يريد
إحاطة النار بهم من كل جانب؛ كما
قال الله: ﴿لَهُمْ فِي قَوَائِمِهِمْ نُكْلٌ مِّنَ
النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:

١٦]، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾،
أي: طاقتها وما لا يجرح فيه ولا
تضيق عليه، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿هَما في
صُدُورِهِم مِّنْ عِجْلٍ﴾، من عَشَّ وعداوة
كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم
إخواناً على سُرر متقابلين لا يحسد
بعضهم بعضاً على شيء خصَّ الله به
بعضهم. ﴿نَجْزِي مَن تَحْتَهُمُ الْعَذَابُ﴾،
روى الحسن عن علي رضي الله عنه
قال: فينا والله أهل بدر نزلت:
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ عِجْلٍ
إِخْرَاجًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال علي رضي الله عنه أيضاً:
إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان
وطلحة والزبير من الذين قال لهم الله
عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ
عِجْلٍ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله
النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا
الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن
زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي
المتوكل الناجي عن أبي سعيد
الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجِسُونَ
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْتَضُ
لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَّظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ
فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُدِّبُوا وَنُقُوا أُذُنَ
لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي
الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

وقال السدي في هذه الآية: إن
أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا
عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان
فشربوا من إحداهما فينزح ما في
صدورهم من عِجْلٍ، فهو الشراب
الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت
عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم
يسحنوا بعدها أبداً. ﴿وَقَالُوا لَلَّحْدُ وَوَالَّذِي
هَدَّيْنَا لَهُنَا لَهَذَا﴾، أي: إلى هذا،
يعني طريق الجنة. وقال سفيان
الثوري: معناه هذان لعمل هذا ثوابه،
﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرأ ابن عامر: (ما كنا)
بلا واو، ﴿لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾، هذا قول أهل
الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل
عياناً، ﴿وَوُودُوا أَنْ تُلْقِمَهُمْ لَبَنَةً أَوْ رُسْتُومًا
يَمَا كُنْتُمْ صَمُونَ﴾، قيل: هذا النداء
إذا رأوا الجنة من بعيد نُودُوا أَنْ تُلْكُم
الجنة، وقيل: هذا النداء يكون في
الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن
عبد الله بن أبي توبة الخطيب أنبأنا
أبو طاهر محمد بن الحارث أنبأنا
محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا
عبد الله بن محمد أنبأنا إبراهيم بن
عبد الله الخلال حدثنا عبد الله بن
المبارك عن سفيان عن أبي إسحاق
عن الأغر عن أبي سعيد وعن أبي
هريرة قال: ينادي مناد: إِنَّ لَكُمْ أَنْ
تصَحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإنَّ لكم
أَنْ تَحْيُوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم
أَنْ تَشْبُوا فلا تهرموا أبداً، وإنَّ لكم
أَنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْسُوا أبداً، فذلك
قوله: ﴿وَوُودُوا أَنْ تُلْقِمَهُمْ لَبَنَةً
أَوْ رُسْتُومًا يَمَا كُنْتُمْ صَمُونَ﴾.

هذا حديث صحيح أخرجه

استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أبا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أبا محمد بن يعقوب الكسائي أبا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: قال سعيد بن جبير يُحدِّث:

عن ابن مسعود قال: يُحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قوله: ﴿وَالزُّنُورُ يُوقَدُ بِالْحَشِيِّ فَمَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨ - ٩]، ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلاماً عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار قالوا: رؤنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، أما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيامانهم، ويُعطي كل عبد يومئذ نوراً فإذا أتوا على الصراط سَلَبَ اللَّهُ نَوْزَ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ،

وعاصم: (أن) خفيف، ﴿لَنْتَهُ﴾ رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، ﴿لَنْتَهُ﴾ بالانصب ﴿عَلِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: الكافرين. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾،

أي: يصرفون الناس، ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، ﴿وَيَتَّبِعُوا عِوَجًا﴾، أي: يطلبونها زيفاً وميلاً، أي: يبتلون سبيل الله جائرين عن القصد، قال ابن عباس: يصلون لغير الله، يعظمون ما لم يعظمه الله. والعرج بكسر العين: في

الذين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً، وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَثِيرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله في قوله: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ آلِمُ بَابٍ﴾ [الحديد: ١٣]، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده. وقال السدي: سُمِّيَ ذَلِكَ السُّورُ أَعْرَافًا لِأَنَّ أَصْحَابَهُ يَعْرِفُونَ النَّاسَ.

واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف، فقال حذيفة وابن عباس: هم قوم

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ جِئْنَا مَا وَعَدَنَا نَارًا حَقًّا فَهَلْ وَجِدْتُمْ مَا وَعَدَرْتُمْ حَقًّا قَالُوا لَوْ أَنَّمَا فُؤَادُ مَوَدِّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَئِنَّمَا اللَّهُ عَلَّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَثِيرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَرَوْنَ كَلَامَ سِغْنَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَعْلَمَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ بِلِقَاءِ أَصْحَابِ النَّارِ وَأُولَئِكَ لَا يَصْلَحْنَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَفْعَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتَوْكُمْ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَنَا أَنَّهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَآخِرُونَ عَلَيْنَا وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِزَازَ زَكَاةِكُمْ اللَّهُ قَالَ أُولَئِكَ اللَّهُ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَاسِبًا وَعَرَفْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالُوا لِمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

١٥٦

مسلم بن الحجاج عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الرحمن بن حميد عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري بهذا الإسناد مرفوعاً.

وزوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مُنَزَّلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمُنَزَّلَةٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مُنَزَلَهُ مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مُنَزَلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ جِئْنَا مَا وَعَدْنَا مَا وَعَدْنَا رِجَالًا﴾، من الشواب، ﴿حَقًّا﴾، أي: صدقاً، ﴿فَهَلْ وَجِدْتُمْ مَا وَعَدَرْتُمْ﴾، من العذاب، ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لفتان، ﴿هَذَا نَزَّادُونَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: نادى منادٍ أسمع الفريقين، ﴿إِنَّ لَنْتَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة

فلما رأى أهل الجنة ما لقي المناقون قالوا ربنا أتيتنا لنا نوزنا.

وأما أصحاب الأعراف فإن النور لم ينزع من بين أيديهم، ومنعتهم سيئاتهم أن يمضوا وبقي في قلوبهم الطمع إذ لم ينزع النور من بين أيديهم، فهنالك يقول الله: ﴿لَوْ يَدَّخُلُونَا وَأَمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾، وكان الطمع للنور الذي بين أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولا.

وقال شرحبيل بن سعد: أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم.

ورواه مقاتل في تفسيره مرفوعاً: «هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لأبائهم فقتلوا، فأعيقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة».

وزوي عن مجاهد: أنهم أقوام رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر، يُحبسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق، ثم يدخلون الجنة. قال عبد العزيز بن الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم. وقيل: هم أطفال المشركين. قال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعاً، ويطالعون أحوال الفريقين.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا يَسْمَعُونَ﴾، أي: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم. ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا﴾

عَلَيْكُمْ، أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لَوْ يَدَّخُلُونَا﴾، يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، ﴿وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريد بها بهم. قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يُرسلهم إلى ما يطعمون.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، تعوذوا بالله، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: الكافرين في النار.

﴿٤٨﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ رِيحَالًا﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَنَّتُكُمْ﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا فلان، وهم ينظرونهم في النار، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم، فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

﴿٤٩﴾ ﴿أَهْلُؤَلُوا﴾، يعني: هؤلاء الضعفاء، ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، حلفتهم، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، أي: حلفتهم أنهم لا يدخلون الجنة، ثم يقال لأهل الأعراف، ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفي قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها، فيعبرونهم بذلك ويُسمون

أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار: ﴿أَهْلُؤَلُوا﴾، يعني أصحاب الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، يا أهل النار أنه ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيدخلون الجنة.

﴿٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾، أي: صببوا، ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة.

قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في القرح، وقالوا: يا رب إن لنا قربات من أهل الجنة، فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فينظرون إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرابتهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، ﴿قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَيَّ الْكُفْرِينَ﴾، يعني: الماء والطعام.

﴿٥١﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْلًا﴾، وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها والمكاه والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، ﴿وَعَرَّفْتُمْ الْحَبِيرَةَ الَّذِينَ قَالُوا نَسَبْتُمْ﴾، نزلهم في النار، ﴿كَمَا سَأَلْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾،

والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر به فأخرج. وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمرؤها كما جاءت بلا كيف.

والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظَلَّ، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش المُلْك. ﴿يَغْشَى أَيْلُ النَّهَارِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿يَغْشَى﴾ بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي:

ويغشى النهار الليل، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: ﴿يَكُونُ أَيْلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى أَيْلٍ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ كَانَ﴾، أي: سريعاً، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، فكانه يطلبه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾، قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب، وكذلك في سورة النحل عطفاً على قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: خلق هذه الأشياء مسخرات، أي: مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أَلَا لَهُ الْفَتْقُ وَالْأَمْرُ﴾، له الخلق لأنه خلقهم والأمر يأمر في خلقه بما يشاء، قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: تعالى الله وتعظم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك

الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدَّ خَيْرًا أَنفُسِهِمْ﴾، أهلكوها بالعذاب، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لَدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء، وقيل: ستة أيام كأيام الآخرة وكل يوم كالف سنة. وقيل: كأيام الدنيا.

قال سعيد بن جبير: كان الله عز وجل قادراً على خلق السموات والأرض في لحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليماً ولحظة، فخلقهن في ستة أيام في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان».

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْمَرْثِيِّ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: سعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْمَرْثِيِّ اسْتَوَى﴾، [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب،

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُمْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِثْلَ مَا جَاءَ بِآلِ نَارٍ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثِيِّ غَشَى الْأَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْفَتْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ أَدْعَاؤُكُمْ يَوْمَ بَقَعْنَا وَخَفِيَّةٌ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُمْتَدِّينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَقَطْمًا إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِرَيْحِ يَدَيْ رَبِّهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَخَ فِي سَفْتِنِهِ لِيَلْجَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ آخِرَتِهِمْ مِنْ كُلِّ الْاَلْتَرَاتِ كَذَلِكَ نُفَجِّرُ الْمَوْتِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿يَوْمًا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِجَعْدَتِهِمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾، يعني: القرآن ﴿فَصَلَّاهُ﴾، بيناه، ﴿وَحَلَّ عَلَيْهِ﴾، منأ لهما يصلحهم، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي جعلنا القرآن هادياً وذا رحمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُمْ﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُمْ﴾، أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِثْلَ مَا جَاءَ بِآلِ نَارٍ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعْمَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا، ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ

تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة، أي: البركة تُكتسب وتُنال بذكره. وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. قال الحسن: تجيء البركة من قبله.

قيل: تبارك تقدس، والقدس الطهارة. وقيل: تبارك الله أي باسمه يُتبرك في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال. وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، تذللاً واستكانة، و﴿خُفْيَةً﴾، أي: سرّاً. قال الحسن: بين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضيَ فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدْعُهُ خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَّقِينَ﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا محمد بن عبد العزيز الفاشاني أنبأنا القاسم بن جعفر الهاشمي أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود السجستاني حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة أنبأنا سعيد الجريري عن أبي نعام:

أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها،

فقال: يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فأني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الظهور والدعاء».

وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر والصياح، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح.

روينا عن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على وإذ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «أزيعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سمياً قريباً».

وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل، فيقولون: اللهم اخزهم اللهم العنهم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج:

خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبير: الرحمة ههنا الثواب، فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ، كقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسُّكَّانُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القرب والبعيد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع. وقال أبو عمرو بن العلاء: القرب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه المرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾، قرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بالياء وضمها وسكون الشين ها هنا وفي الفرقان [٤٨] وسورة النمل [٦٢]، يعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: ﴿الرِّيحُ مَبْشُرَاتٌ﴾ [الروم: ٤٦]، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نُشْرًا﴾ بالنون وفتحها، وهي الرياح الطيبة اللينة، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّشِيرَاتُ تَشِيرُنَّ﴾ [المرسلات: ٣]، وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسول، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، أي: قدام المطر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ يُخْرَجُونَ
لِأَنْتَكِبُوا فِي ذَلِكَ نَصْرَفُ الَّذِينَ يَلْمُونَ وَيَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّمَا آلَ نُونِكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَقُولُونَ لَيْسَ فِي ضَلَالَتِنَا وَلكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعِظُكُم مِّنْ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعِظُكُمْ أَن جَاءَكُمُ الذِّكْرُ مِن رَّبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ يَنْكُرُ بِشَيْزِكُمْ وَلَنْفَقُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْجُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَجْحَبْتُهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ يَكْذِبُوا
بِتَأْيِينِنَا إِنَّمَا كَانَ قَوْمًا عَابِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَّا عَادِلِيكُمْ
هُودًا قَالَ يَقُولُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّمَا آلَ نُونِكُمْ فِي
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقُولُونَ
لَيْسَ فِي سَفَاهَتِنَا وَلكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

١٥٨

الرياح، ﴿سَكَابًا بَقَالًا﴾،
بالمطر، ﴿سُقْنَةً﴾، ردَّ
الكنابية إلى السحاب،
﴿لِيَلْكُرْنَ مَيْتٍ﴾، أي: إلى
بلد ميت محتاج إلى الماء.
وقيل: معناه لإحياء بلد
ميت لا نبات فيه، ﴿فَأَنْزَلْنَا
بِهِ﴾، أي: بالسحاب.
وقيل: بذلك البلد الميت
﴿الْمَاءُ﴾، يعني: المطر،
﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِ﴾،
استدل بإحياء الأرض بعد
موتها على إحياء الموتى،
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال
أبو هريرة وابن عباس: إذا

مات الناس كلهم في النفخة الأولى
أرسل الله عليهم مطراً كمنى الرجال
من ماء تحت العرش يُدعى ماء
الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات
الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم
نفخ فيهم الروح، ثم يُلقى عليهم
النوم فينامون في قبورهم، ثم
يُحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون
طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم،
فعند ذلك يقولون: ﴿يَوَلِّئْنَا مَنْ بَعَثْنَا
مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

﴿٥٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ
الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، هذا
مثل ضربه الله للمؤمن والكافر،
فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه
المطر فيخرج نباته بإذن ربه، ﴿وَالَّذِي
جَحَّتْ﴾، يريد الأرض السبخة التي،
﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباتها، ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾، قرأ
أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ
الآخرون بكسرها، أي: عسراً قليلاً

بعناه ومشقة. فالأول مثل المؤمن
الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله
وانتفع به، والثاني مثل الكافر الذي
يسمع القرآن ولا يؤثر فيه، كالبلد
الخبيث الذي لا يتبين فيه أثر المطر،
﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الَّذِينَ يَلْمُونَ﴾،
﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله
النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن
العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن
يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن
أبي موسى رضي الله عنه: عن
النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به
من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير
أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة
قبلت الماء فأنبتت الكلاً والمُشْبَبَ
الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت
الماء فنفع الله بها الناس فشرّبوا
وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة
أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماءً
ولا تُنبت كلاً، فذلك مثل من فقه
في دين الله ونفعه وما بعثني الله به
فَعَلِمَ وَعَلِمَ، ومثل من لم يرفع بذلك
رأساً ولم يقبل هدى الله الذي
أرسلت به».

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
إِلَى قَوْمِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن
متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس،
وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس،
وكان نجاراً بعثه الله إلى قومه وهو
ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس:
ابن أربعين سنة. وقيل: بُعث وهو
ابن مائتين وخمسين سنة. وقال
مقاتل: ابن مائة سنة. وقال ابن

الخطيب أنبأنا عبد العزيز بن أحمد
الخلال أنبأنا أبو العباس الأصم أنبأنا
الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن
الزهري عن ثابت بن قيس عن أبي
هريرة قال:

أخذت الناس ريح بطريق مكة
وعمر حاج فاشتدت، فقال عمر
رضي الله عنه لمن حوله: ما بلغكم
في الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً،
فبلغني الذي سألت عمر عنه من أمر
الريح فاستحششت راحلتي حتى
أدركت عمر وكنث في مؤخر الناس،
فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرت أنك
سألت عن الريح وإني سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «الريح من
روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا
تسبها وسلوا الله من خيرها وتعوذوا
به من شرها». ورواه عبد الرزاق عن
معمر عن الزهري بإسناده.

﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾، حملت

أَتَيْفِكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٥٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ
 أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
 وَأَذُنْكُمْ وَأَنْ جَاءَكُمْ خُلَفَاءُ مِنْ بَدْوٍ قَوْمٍ فَوَجَّ وَزَادَكُمْ
 فِي الْخَلْقِ بَشَرًا فَاذْكُرُوا مَا آتَاهُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا أَوْجَعْتَنَا لَتَعْبُدَ اللَّهُ وَتَحَدُّوا أَعْنَافًا كَانُوا
 يَعْبُدُوا آمَنَؤُا قَانَا فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٠﴾
 قَالُوا قَدْ وَفَّقَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجَسٌ وَعَصَبٌ
 أَنْجَدُوا لَوْ نُوِيْتُمْ أَنْ سَمَلْتُمْ سَفِيحَتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ
 مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظُرُوا إِلَى مَا مَعَكُمْ مِنْ
 الشَّظِيرَاتِ ﴿٦١﴾ فَأَجْبِئْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِلَتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
 وَإِلَى ثَمُودَ إِذْ هَمُّوا بِصَلْبِهَا قَالُوا يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٍ وَقَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 رَبَّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلِكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

من الخير ما يريد لنفسه،
 ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين.
 ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾، الف استفهام دخلت على واو العطف، ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان. وقيل: رسالة. ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾، عذاب الله إن لم تؤمنوا، ﴿وَلَنْفُتُوا﴾، أي: لكي تتقوا الله، ﴿لِيُتِمَّوَنَ﴾، لكي ترحموا.
 ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾،

عباس: سُمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه. واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربّه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم، فقال: اخساً يا قبيح فأوحى الله تعالى إليه أعبتي أم عبت الكلب؟ ﴿فَقَالَ﴾ لقومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾، بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: ما لكم غيره من إله، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، إن لم تؤمنوا، ﴿عَذَابٌ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾.

أرفخشذ بن سام بن نوح، ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أفلا تخافون نعمته.
 ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّنَكَ﴾، يا هود، ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو إلى دين لا تعرفه، ﴿وَإِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

يعني: كذبوا نوحاً، ﴿فَأَجْبِئْتَهُ﴾، من الطوفان، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾، في السفينة، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِلَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا عَمِينَ﴾، أي: كفاراً. قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمى والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّنَكَ فِي صَبَلِكِ﴾، خطأ وزوال عن الحق، ﴿ثُمَّ يَنْ﴾، بين.
 ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿يَقَوْمِ لَيْسَ فِي صَلْبَتِكُمْ﴾، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة الضلال، أو على تقديم الفعل، ﴿وَلِكَيْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ هود: ﴿يَقَوْمِ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلِكَيْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
 ﴿أَتَيْفِكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ناصح أذعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي: كنت فيكم قبل اليوم أميناً.
 ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِلَتِنَا هُودًا﴾، أي: وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد الأولى ﴿عَائِلَتُهُمْ﴾ في النسب لا في الدين، ﴿هُودًا﴾ وهو هود بن عبد الله بن رياح بن الجلود بن عاد بن عوص، وقال ابن إسحاق: هود بن شالخ بن

﴿أَتَيْفِكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو: ﴿أَتَيْفِكُمْ﴾ بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ، لقوله: ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣]، ﴿رَسُولَتِ رَبِّي﴾، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقرأ الآخرون بالشديد من التبليغ؛ لقوله تعالى: ﴿يَبِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، رسالات ربي، ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾، يقال: نصحته ونصحت له، والنصح أن يريد لغيره

مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، يعني: نفسه، ﴿إِنذِرْكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً﴾، يعني: في الأرض، ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾، أي: من بعد إهلاكهم، ﴿وَوَدَّأَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَشَاطَةً﴾، أي: طولاً وقوة. قال الكلبي والسدي: كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير منهم ستون ذراعاً. وقال أبو حمزة الشمالي: سبعون ذراعاً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ثمانون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً. وقال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها الضباغ وكذلك مناخرهم. ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾ نِعْمَ اللَّهُ، واحدها إلى، والآء مثل معي وأمعاء وقفا وأقفاء، ونظيرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَلِيلٌ﴾ [الزمر: ٩]، واحدها أنى وأناء، ﴿فَلَا تُكْفِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحَدِيثُ وَنَدَّرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَنَا وَآبَاءَهُمْ﴾، من الأصنام، ﴿فَأَيْنَأَ يَمَّا نَعْبُدُكَ﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ هُودٌ﴾ قد وقع، وجب ونزل، ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾، أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، ﴿وَعَصَبٌ﴾، أي: سخط، ﴿أَتَجِدَلُونََنِي فِي تِسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾، وضعتها، ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾، قال أهل التفسير: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان،

﴿فَأَنْظِرُوهُمْ﴾، نزول العذاب، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظِرِينَ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿فَأَجِئْتَهُ﴾، يعني: هوداً عند نزول العذاب، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ يَرْجِعُونَ مَنَا وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

قصة عاد

وكانت قصة عاد على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا قوماً ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالأحقاف، وهي رمال بين عمان وحضرموت، وكانوا قد فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها، صنم يقال له صدى وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فأمرهم أن يوحدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك، فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فنوا المصانع ويطشوا بطشة الجبارين، فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم إلى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى، مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة، وأهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق، لأن أباهم عمليق بن لاذا بن سام بن نوح، وكان سيد

العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد، فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا: جهزوا وفدأ منكم إلى مكة فليستسقوا لكم، فبعثوا قيل بن عزر ونعيم بن هزال من هزيل وعقيل بن صندي بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجهلمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمان بن عاد الأصغر بن صندي بن عاد الأكبر، فانطلق كل رجل من هؤلاء ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيمهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر، وكان سيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثنون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه، وقال: هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي، والله ما أدري كيف أصنع بهم، استحي أن أمرهم بالخروج إلى ما بُعثوا إليه، فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً، فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فالتتا: قل شعراً تغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يُحرَّكهم، فقال معاوية بن بكر:

الآ يا قِيلَ وَيَحْكُ قُمْ فَهَيْنَم
لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِينَا غَمَاماً
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَاداً
قَدْ أَمْسُوا لَا يَبِيئُونَ الْكَلَامَا
مَنْ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ نَرْجُو
بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْعُلَمَا
وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ
فَقَدْ أَمْسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَامِي
وَإِنَّ السُّوحَشَ تَأْتِيهِمْ جِهَاراً
فَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا
وَأَنْتُمْ هُنَا فِيمَا اسْتَهَيْتُمْ
نَهَارُكُمْ وَلَيْلُكُمْ تَمَامَا
فَقُبِّحَ وَفَدُكُم مِّنْ وَفْدِ قَوْمٍ
وَلَا لَقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
فَلَمَّا غَنَّتْهُمُ الْجِرَادَاتَانِ هَذَا قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ إِنَّمَا بَعَثَكُمْ
قَوْمَكُمْ يَتَغَوَّثُونَ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي نَزَلَ
بِهِمْ وَقَدْ أَبْطَأْتُمْ عَلَيْهِمْ فَادْخُلُوا هَذَا
الْحَرَمَ فَاسْتَسْقُوا لِقَوْمِكُمْ، فَقَالَ
مُرْتَدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَفِيرٍ وَكَانَ قَدْ آمَنَ
بِهِودٍ سِراً: إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تُسْقُونَ
بِدَعَائِكُمْ وَلَكِنْ إِنْ أَطَعْتُمْ نَبِيَكُمْ
وَأَنْبِئْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ سُقِيتُمْ، فَأَظْهَرَ
إِسْلَامَهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ شِعْراً:
عَصَيْتُ عَادَ رَسُولَهُمْ فَأَمْسُوا
عَطَاشاً مَا تَبْلَهُمُ السَّمَاءُ
لَهُمْ صَنْمٌ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ
يُقَابِلُهُ صِدَاءٌ وَالْهَبَاءُ
فَبَصَّرْنَا الرَّسُولَ سَبِيلَ رِشْدٍ
فَأَبْصَرْنَا الْهُدَى وَجَلَى الْعِمَاءُ
وَإِنَّ إِلَهَ هُودٍ هُوَ إِلَهِي
عَلَى اللَّهِ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ
فَقَالُوا لِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ: احْبِسْ
عَنَا مُرْتَدُ بْنُ سَعْدٍ فَلَا يَقْدَمَنَّ مَعَنَا
مَكَّةَ فَإِنَّهُ قَدْ اتَّبَعَ دِينَ هُودٍ وَتَرَكَ دِينَنَا
ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ لِعَادٍ،
فَلَمَّا وَلَّوْا إِلَى مَكَّةَ خَرَجَ مُرْتَدُ بْنُ

سَعْدٍ مِنْ مَنْزِلِ مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ
قَبْلَ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ مِّمَّا خَرَجُوا
لَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَامَ يَدْعُو اللَّهَ،
وَبِهَا وَفَدُ عَادٍ يَدْعُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ
أَعْطِنِي سُؤْلِي وَحَدِي وَلَا تَدْخُلْنِي فِي
شَيْءٍ مِّمَّا يَدْعُونَكَ بِهِ وَفَدُ عَادٍ، وَكَانَ
قِيلُ بْنُ عَنزِ رَأْسٍ وَفَدُ عَادٍ، فَقَالَ
وَفَدُ عَادٍ: اللَّهُمَّ أَعْطِ قَيْلاً مَا سَأَلْتُكَ
وَاجْعَلْ سُؤْلَنَا مَعَ سُؤْلِهِ، وَكَانَ قَدْ
تَخَلَّفَ عَنِ وَفَدِ عَادٍ - حِينَ دَعَا -
لُقَمَانَ بْنَ عَادٍ، وَكَانَ سَيِّدَ عَادٍ،
حَتَّى إِذَا فَرَعُوا مِنْ دَعْوَتِهِمْ قَامَ
فَقَالَ: اللَّهُمَّ جِئْتِكَ وَحَدِي فِي
حَاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَسَأَلَ اللَّهُ
طُولَ الْعُمُرِ فَعُمِرَ عُمُرَ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ،
وَقَالَ قِيلُ بْنُ عَنزٍ حِينَ دَعَا: يَا إِلَهِنَا
إِنْ كَانَ هُودٌ صَادِقاً فَاسْقِنَا فَإِنَّا قَدْ
هَلَكْنَا، فَأَنشَأَ اللَّهُ سَحَابَ ثَلَاثًا بِيضَاءٍ
وَحُمْرَاءٍ وَسُودَاءٍ، ثُمَّ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ
السَّحَابِ: يَا قَيْلُ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ
وَقَوْمِكَ مِنْ هَذِهِ السَّحَابِ مَا شِئْتَ،
فَقَالَ قَيْلُ: اخْتَرْتُ السَّحَابَةَ السُّودَاءَ
فَإِنَّهَا أَكْثَرُ السَّحَابِ مَاءً فَتَادَاهُ مُنَادٍ
اخْتَرْتُ رَمَاداً رَمِداً لَا يَبْقِي مِنْ آلِ
عَادٍ أَحَدًا، وَسَاقَ اللَّهُ السَّحَابَةَ
السُّودَاءَ الَّتِي اخْتَارَهَا قَيْلُ بِمَا فِيهَا مِنْ
النَّقْمَةِ إِلَى عَادٍ حَتَّى خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ وَادٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمَغِيثُ، فَلَمَّا
رَأَوْهَا اسْتَبَشَرُوا وَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ
مِطْرُنَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ مَا
أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾
تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف]:
٢٤ - ٢٥، أَي: كُلُّ شَيْءٍ مَرَّتْ
بِهِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَبْصَرَ مَا فِيهَا
وَعَرَفَ أَنَّهَا رِيحٌ مَهْلِكَةٌ امْرَأَةً مِنْ عَادٍ
يُقَالُ لَهَا مَهْدَدٌ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ مَا فِيهَا

صَاحَتْ [بِأَعْلَى صَوْتِهَا] ثُمَّ صُعِقَتْ،
فَلَمَّا أَفَاقَتْ قَالُوا لَهَا: مَاذَا رَأَيْتِ؟
قَالَتْ: رَأَيْتُ الرِّيحَ فِيهَا كَشَهَبِ النَّارِ
أَمَامَهَا رِجَالٌ يَقُودُونَهَا، فَسَخَّرَهَا اللَّهُ
عَلَيْهِمْ سَبْحَ لِيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَسُومًا،
فَلَمْ تَدَعْ مِنْ آلِ عَادٍ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ،
وَاعْتَزَلَ هُودٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي حَظِيرَةِ مَا يَصِيْبُهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الرِّيحِ إِلَّا مَا تَلَيْنَ عَلَيْهِ الْجُلُودَ وَتَلَدَّ
الْأَنْفُسَ، وَإِنَّهَا لَتَمَرُّ مِنْ عَادٍ بِالظَّنَنِ
فَتَحْمَلُهُمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَتَدْمِغُهُم بِالْحِجَارَةِ، وَخَرَجَ وَفَدُ عَادٍ
مِنْ مَكَّةَ حَتَّى مَرَّوْا بِمَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ
فَنَزَلُوا عَلَيْهِ فَبَيْنَمَا هُمْ عِنْدَهُ إِذَا أَقْبَلَ
رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةٌ مَسَاءً
ثَالِثَةً مِنْ مِصَابِ عَادٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبِيرَ،
فَقَالُوا لَهُ: فَايْنَ فَارَقْتِ هُوداً
وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: فَارَقْتُهُمْ بِسَاحِلِ
الْبَحْرِ فَكَانَهُمْ شَكُّوا فِيمَا حَدَّثْتُمْ بِهِ،
فَقَالَتْ هَزِيلَةُ بِنْتُ بَكْرٍ: صَدَقَ وَرَبُّ
مَكَّةَ.

وَذَكَرُوا أَنَّ مُرْتَدُ بْنَ سَعْدٍ
وَلُقَمَانَ بْنَ عَادٍ وَقِيلُ بْنَ عَنزٍ حِينَ
دَعَا بِمَكَّةَ قِيلَ لَهُمْ: قَدْ أُعْطِيتُكُمْ
مُنَاكُمْ فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ لَا
سَبِيلَ إِلَى الْخَلُودِ، وَلَا بَدَأَ مِنْ
الْمَوْتِ، فَقَالَ مُرْتَدُ: اللَّهُمَّ أَعْطِنِي
صَدَقاً وَبِراً فَأَعْطِنِي ذَلِكَ، وَقَالَ
لُقَمَانُ: أَعْطِنِي يَا رَبُّ عَمراً قَبِيلَ لَهُ
اخْتَرْتُ فَاخْتَارَ عُمُرَ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ، فَكَانَ
يَأْخُذُ الْفَرْخَ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضَتِهِ
فَيَأْخُذُ الذَّكْرَ مِنْهَا لِقُوَّتِهِ، حَتَّى إِذَا
مَاتَ أَخَذَ غَيْرَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
حَتَّى أَتَى عَلَى السَّابِعِ، وَكَانَ كُلُّ نَسْرِ
يَعِيشُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكَانَ آخِرُهَا بَدَأَ
فَلَمَّا مَاتَ لَبِدُ مَاتَ لُقَمَانُ مَعَهُ. وَأَمَّا

﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾، أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال بيت الله، ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾، نصب على الحال، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾، العشب، ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾، لا تصيبوها بعقر، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾، أسكنكم وأنزلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَذَكَّرُونَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا وَنَجْوَى الْجِبَالِ يُّوْتًا﴾، كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبل، وقيل: كانوا ينحتون في الجبل البيوت لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿فَأَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، والعيث: أشد الفساد.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾، قرأ ابن عامر: وقال الملا بالواو، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِي﴾، يعني: الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصالح، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضِعُوا﴾، يعني الأنبياء، ﴿لِيَنْ أَمَّنَ مِنْهُمْ﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين، ﴿أَتَمَلُّونَ أَنْ صَلَّيْنَا رَسُولَ رَبِّكُمْ﴾، إليكم، ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾، جاحدون.

﴿٧٩﴾ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾، قال الأزهرى: العقر هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عرقاً لأن

في البحر ولم تخرج ربح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها. وفي الحديث:

«إنها خرجت عليهم على قدر خرق الخاتم». وروي عن علي رضي الله عنه: أن قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب أحمر. وقال عبد الرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً،

وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة.

ويروى: أن النبي من الأنبياء إذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه إلى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا.

﴿٧٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾. وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد ههنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود لقلّة ماثها، والشمذ: الماء القليل، فكانت مساكنهم الجحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب لا في الدين، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود، ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُ أَبْعَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة من ربكم على صدقي،

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَذَكَّرُونَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا وَنَجْوَى الْجِبَالِ يُّوْتًا فَأَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَمَلُّونَ أَنْ صَلَّيْنَا رَسُولَنَا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَخِينَا بِمَا تَوَدَّ نَأْنِ كَثَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْمَ فَأَصَابَهُمْ فِي دَاهِمِهِمْ جَنِينِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوَّرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٨١﴾ وَلَوْطَأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَيْسِ بَلْ اسْتَفْقَمُوا شُرُوكَ ﴿٨٣﴾

قيل فإنه قال: أختار أن يصيبني ما أصاب قومي، فقيل له: إنه الهلاك، فقال: لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم، فأصابه الذي أصاب عاداً من البلاء والعذاب فهلك.

قال السدي: بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا البيوت فدخلوها وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم فدخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداء فنقلتهم إلى البحر فآلقتهم فيه.

وروي أن الله عز وجل أمر الريح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليالٍ وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم

ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿وَعَتَوَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، والعتو الغلو بالباطل، يقال: عتا يعتو عتواً إذا استكبروا. والمعنى: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وَقَالُوا يَبْصِلُحْ أَيْنَمَا نُوَدِّعُ﴾، أي: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾، قيل: أراد الديار، وقيل: أراد في أرضهم وبلداتهم، فلذلك وخذ الدار، ﴿جَحِشِينَ﴾، حامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

﴿٧٩﴾ ﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض صالح، ﴿عَنَّمْ وَقَالَ يَلْقَوْنَ لَكَ إِلَهَكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِجُونَ الْكُفْرِينَ﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة؟

قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قنلى بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أتكم أطمعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون».

وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم، وقيل: في الآية تقديم

وتأخير تقديرها: فتولّى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة.

وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن إسحاق وهب وغيرهما: أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فدخلوا فيها وعمروا وكثروا حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً، وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله، فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عربياً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً وموضعاً، فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً فدعاهم إلى الله حتى شبط وكبر لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون، فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يُريهم آية تكون مصداقاً لما يقول، فقال لهم: أي آية تريدون؟ قالوا: أخرج معنا غداً إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إليهم وتدعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا، فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم، وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يُستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال جندع بن عمرو بن حوَّاس وهو يومئذ سيد ثمود: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة - وهي صخرة

منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة - ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء - والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل - فإن فعلت صدقناك وأماناً بك، فأخذ عليهم صالح موافقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي، قالوا: نعم، فصلّى صالح ركعتين ودها ربه فتمخضت الصخرة تمخض التتوج بولدها، ثم تحركت الهضبة فانصدت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصّفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظماً، وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم، فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمغر وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود، فلما خرجت الناقة قال لهم صالح: هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء، وكانت ترد الماء غباً فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بشر الناقة فلما ترفع رأسها حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتفشيخ حتى تفجع لهم فيحلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر أن تصدر من حيث ترد يضيق عنها، حتى إذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاءوا من الماء ويدخرون ما شاءوا ليوم

الناقة، فهم من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيَّف إذا كان الحر يظهر الوادي فتهرب منها المواشي أغنامهم وبقرهم وإبلهم فتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجدبه، وتشتو ببطن الوادي إذ كان الشتاء فتهرب مواشيه إلى ظهر الوادي في البرد والجذب فأصّر ذلك بمواشيه للبلاء والاختبار، فكبر ذلك عليهم وعتا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة، فأجمعوا على عقرها، وكانت امرأتان من ثمود إحداهما يقال لها: عنيزة بنت غنم بن مجلز تكتى بأم غنم، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح وكانت تحبان عقر الناقة لما أضرت بهما من مواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة، وعرضت عليه نفسها إن هو فعل فأبى عليها، فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وأكثرهم مالاً، فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلاً أحمر أزرق العينين قصيراً، يزعمون أنه كان لزانة ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراش سالف، فقالت: أعطيك

أني بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زعمة. أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ ابْتِغَىٰ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]، ابعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زعمة.

رجعنا إلى القصة، قالوا: فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط، فانطلق قدار وصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في طريق آخر فمزت على مصدع، فرماها بسهم فانظّم به في عضلة ساقها، وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم ذمرت، فشّد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرّت ورغت رغاء واحدة تحذر سقبها، ثم طعن في لبتها فنحرها، وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى سقبها ذلك انطلق [هارباً] حتى أتى جبلاً منيعاً يقال له صنو، وقيل: اسمه قارة وأتى صالح فقيل له: أدرك الناقة فقد عقرت، فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه يا نبي الله إنما عقرها

فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فمسي أن يرفع الله عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل فتناول في السماء حتى ما يناله الطير، وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم رغا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها، فقال لهم صالح: لكل رغاء أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب. وقال ابن إسحاق: اتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة، وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذؤاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانظّم قلبه ثم جرّه برجله فأنزله، وألقى لحمه مع لحم أمه، فقال لهم صالح: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته، فقالوا وهم يهزؤون به: ومتى ذلك؟ وما آية ذلك يا صالح؟ وكانوا يستمون الأيام فهم الأحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنساً والجمعة العروية والسبت شبار، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تُصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة، ثم تُصبحون يوم العروية ووجوهكم محمرة، ثم تُصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب يوم أول، فلما قال لهم صالح قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلّم فلنقتل صالحاً فإن كان

صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً قد كنا ألحقناه بناقته فأتوه ليلاً لبيبتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطؤوا على أصحابهم أتوا منزل صالح [لينظروا أصحابهم] فوجدوهم قد رُضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلوننا أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ريبكم عليكم إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم بمن وراء ما تريدون فأنصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طُليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم، فعند ذلك أيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح هارباً منهم حتى جاء إلى بطن من ثمود يقال لهم بني غنم، فنزل على سيدهم رجل يقال له: نفيل ويكنى بأبي هذب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم: يا نبي الله إنهم ليعذبوننا لنهديهم عليك أفنلدهم؟ قال: نعم، فدلهم عليه وأتوا أبا هذب فكلّموه في ذلك، فقال: نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل، فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من العذاب، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم،

فلما أمسوا صاحوا جميعاً ألا قد مضى يومان من الأجل، وعرفوا أنه العذاب فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فصاحوا وبكوا، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب، فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طُليت بالقار فصاحوا بأجمعهم ألا قد حضركم العذاب، فلما أن كانت ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام، فنزل رملة فلسطين، فلما أصبح القوم تكفّنوا وتحنّنوا وألقوا أنفسهم إلى الأرض يقبلون أبصارهم إلى السماء مرّة وإلى الأرض مرّة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتد الضحى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾، إلا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة الكفر والعداوة لصالح فأطلق الله رجلها بعدما عاينت العذاب فخرجت كأسرع ما يرى شيء قط حتى أتت قرح وهو واد القرى، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود، ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت. وذكر السدي في عقر الناقة: فأوحى الله إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك،

فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد لنا ولد في هذا الشهر إلا قتلناه، قال: فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبّحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك وكان ابنه أزرُق [العينين] أحمر فنبت نباتاً سريعاً فكان إذا مرّ بالتسعة ورأوه قالوا: لو كان أبناءنا أحياء لكانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم، فتقاسموا بالله لنبيته وأهله، قالوا: نخرج ليرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فبتنا فيه ثم انصرفنا إلى رحلنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقوننا ويظنون أننا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام معهم في القرية، وكان يبيت في مسجد يقال له: مسجد صالح، فإذا أصبح أثارهم فوعظهم وذكرهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه، فانطلقوا فدخلوا الغار، فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن قد أطلع على ذلك منهم فإذا هم رضى فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله ما رضي صالح أن أمرهم يقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية [عليهم فراوهم قتلاً فأجمعوا] على عقر الناقة. وقال ابن إسحاق: كان تقاسم التسعة على

تبييت صالح بعد عقربهم الناقة كما ذكرنا، قال السدي وغيره: فلما ولد ابن العاشر يعني قذاد، شب في اليوم شباب غيره في الجمعة وشب في شهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب، فأرادوا ماءً يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة، فاشتد ذلك عليهم وقالوا: ما نضع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرورنا كان خيراً لنا، فقال ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فعقرها.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن مسكين ثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكريا ثنا سليمان بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء.

وقال نافع عن ابن عمر: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها وأن يعلقوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البشر التي كانت تردها الناقة.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخل

أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ثم قال: «أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها، وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه [دفن] ودفن معه غصن من ذهب»، وأراهم قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتدروه بأسياقهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن.

وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف فخرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة، يقال لها حاصوراء، قال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، [وأقام في قومه عشرين سنة].

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، أي: وأرسلنا لوطاً، وقيل: معناه واذكر لوطاً. وهو لوط بن هازان بن تارخ بن أخي إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْيُوسَ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطاً شخص من أرض بابل سافر مع

عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطاً الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فيقال لهم، ﴿اتَّأْتُونَ النَّحْشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، ﴿هَٰذَا سَبَّكُم بِهَا مِنْ أَعْوَابِ رَبِّكَ الْعَالَمِينَ﴾، قال عمرو بن دينار: ما يرى ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط.

﴿إِنَّكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وحفص (إنكم) بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستئناف، ﴿اتَّأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، في أدبارهم، ﴿فَتَهَوَّأْنَ بَيْنَ دُورِ الرِّجَالِ﴾، فسرت تلك الفاحشة: يعني أدبار الرجال أشهى إليكم من فروج النساء، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾، مجاوزون الحلال إلى الحرام. قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فأدوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتهم، فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صباحاً فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا بهم، فاستحکم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعا إلى دبره فنكح في دبره ثم نشأ فيهم، فأمر الله تعالى السماء أن

تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم .

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ، قال بعضهم لبعض ، ﴿أَلَا أَنْ قَالُوا﴾ ، يعني: لوطاً وأهل دينه ، ﴿مِنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَا مَن يَنْظُرُونَ﴾ ، ينتزهون عن أدبار الرجال .

﴿فَأَجْبِئْتُهُ﴾ ، يعني: لوطاً ، ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ، المؤمنين ، وقيل: أهله ابنتاه ، ﴿أَلَا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْقَتِيرِينَ﴾ ، يعني: الباقيين في العذاب . وقيل: معناه كانت من الباقيين المعتمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط ، وإنما قال: ﴿مِنَ الْقَتِيرِينَ﴾ ، لأنه أراد ممن بقي من الرجال فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال: ﴿مِنَ الْقَتِيرِينَ﴾ .

﴿وَأَنْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا﴾ ، يعني: حجارة من سجيل ، قال وهب: الكبريت والنار ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب أمطر ، وفي الرحمة: مطر .

﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَيْبًا﴾ ، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وهم أصحاب الأيكة ﴿أَخَاهُمْ شَيْبًا﴾ في النسب لا في الدين . قال عطاء: وهو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم .

وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن

ميكائيل بن يسخر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط . وقيل: هو شعيب بن يشرون بن مدين بن يسخر ، وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه ، وكان قومه أهل كفر ويخس للمكيال والميزان ، ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، ولم يكن لهم آية؟ قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر ، وليست كل الآيات المذكورة في القرآن ، وقيل: أراد بالبيّنة مجيء شعيب ، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ، فأنموا الكيل ، ﴿وَالْيَرَازِقَ وَلَا يَجْهَلُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تقصوهم إياها ، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ، أي: بيعث الرسل والأمر بالعدل ، وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم ، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به ، ﴿حَتَّىٰ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، مصدقين بما أقول .

﴿وَلَا تَقْعُدُوا يَكْلَ صِرَاطٍ﴾ ، أي: على كل طريق ، ﴿تُوعِدُونَ﴾ ، تهتدون ، ﴿وَتَصْذُرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، تيسن الله ، ﴿مَنْ

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ، ﴿أَلَا أَنْ قَالُوا﴾ ، ﴿مِنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَا مَن يَنْظُرُونَ﴾ ، ﴿فَأَجْبِئْتُهُ وَأَهْلَهُ﴾ ، ﴿أَلَا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْقَتِيرِينَ﴾ ، ﴿وَأَنْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا﴾ ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ، ﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَيْبًا﴾ ، ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَرَازِقَ وَلَا تَجْهَلُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ، ﴿ذَلِكَ﴾ ، ﴿حَتَّىٰ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا يَكْلَ صِرَاطٍ تُوْعِدُونَ وَتَصْذُرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، ﴿مَنْ أَمَرَ بِدِينِهِ﴾ ، ﴿وَتَجْهَلُونَهَا عِوَجًا﴾ ، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، ﴿إِنْ كَانَ ظَلَمْنَاهُ مِنْكُمْ﴾ ، ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ .

﴿مَنْ أَمَرَ بِدِينِهِ﴾ ، ﴿وَتَجْهَلُونَهَا عِوَجًا﴾ ، زيقاً ، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد ، وذلك أنهم كانوا يجلسون على [قوارع] الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيب كذاب فلا يفتنك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم . وقال السدي: كانوا عشارين . ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ﴾ ، فكسر عددهم ، ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، أي: آخر أمر قوم لوط .

﴿إِنْ كَانَ ظَلَمْنَاهُ مِنْكُمْ﴾ ، ﴿مَنْ أَمَرَ بِدِينِهِ﴾ ، ﴿وَتَجْهَلُونَهَا عِوَجًا﴾ ، إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذّبين ومصدّقين ، ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ ، بتعذيب المكذّبين وإنجاء المصدّقين ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنْ نَسْتَكْبِرَكَ يَشْمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَتَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهُ مِيثَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُنَّصِبُنَّكَ شَمِيئًا إِنْ كَرِهُوا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثِيئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِينَةٍ نَسِيئًا إِلَّا أَنْذَرْنَا أُمَّهَاتَهُنَّ بِالْبَأْسَةِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُنَّ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا آتَا الضَّرَّةَ وَالضَّرَّةَ فَأَخَذْتُمُ مِنْهُنَّ مَهْرًا وَهَمَّ لَا يُشْمِرْنَ﴾ ﴿٩٥﴾

قولهم ترجع إلى ملتنا؟ قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها، وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم. ومعنى عاد: صار، وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فأمنوا فأجاب شعيب عنهم، قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أحاط علمه بكل شيء، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فيما توعدوننا به، ثم دعا شعيب بعد ما أيس من فلاحهم، فقال: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾، أي: اقض بيننا، ﴿بِالْحَقِّ﴾، والفتاح: القاضي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، أي: الحاكمين.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنْ نَسْتَكْبِرَكَ يَشْمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَتَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهُ مِيثَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُنَّصِبُنَّكَ شَمِيئًا إِنْ كَرِهُوا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثِيئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِينَةٍ نَسِيئًا إِلَّا أَنْذَرْنَا أُمَّهَاتَهُنَّ بِالْبَأْسَةِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُنَّ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا آتَا الضَّرَّةَ وَالضَّرَّةَ فَأَخَذْتُمُ مِنْهُنَّ مَهْرًا وَهَمَّ لَا يُشْمِرْنَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنْ نَسْتَكْبِرَكَ يَشْمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَتَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهُ مِيثَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُنَّصِبُنَّكَ شَمِيئًا إِنْ كَرِهُوا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثِيئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِينَةٍ نَسِيئًا إِلَّا أَنْذَرْنَا أُمَّهَاتَهُنَّ بِالْبَأْسَةِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُنَّ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا آتَا الضَّرَّةَ وَالضَّرَّةَ فَأَخَذْتُمُ مِنْهُنَّ مَهْرًا وَهَمَّ لَا يُشْمِرْنَ﴾ ﴿٩٥﴾

الظلة فوجدوا لها برذاً ونسيماً، فنأى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحت السحابة، رجالهم ونسأوهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي، وصاروا رماداً.

وروي أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر. قال يزيد الجريري: سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأنه رجل فإذا تحته أنهار وعيون فنأى أصحابه إليه ليستظلوا، فاجتمعوا تحته كلهم فوق ذلك الجبل عليهم، فذلك قوله: ﴿عَدَاثُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 1٨٩]، قال قتادة: بعث الله شعبياً إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين، أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة، وأما أصحاب مدين فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا جميعاً. قال أبو عبد الله الجلي: كان أبو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين، وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة كلمن، فلما هلك قامت ابنته تبيكة:

كَلَّمُنْ قَدْ هَدَّ رَكْنِي
هَلَكَهُ وَسَطَ الْمَحَلَّةِ
سَيِّدَ الْقَوْمِ أَنَاهِ
الْحَتْفُ نَاراً تَحْتَ ظِلِّهِ
جَعَلَتْ نَاراً عَلَيْهِمْ
دَارِهِمْ كَالْمُضْمَجَّةِ
﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا﴾﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم:

كَلَّمُنْ قَدْ هَدَّ رَكْنِي
هَلَكَهُ وَسَطَ الْمَحَلَّةِ
سَيِّدَ الْقَوْمِ أَنَاهِ
الْحَتْفُ نَاراً تَحْتَ ظِلِّهِ
جَعَلَتْ نَاراً عَلَيْهِمْ
دَارِهِمْ كَالْمُضْمَجَّةِ
﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا﴾﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنْ نَسْتَكْبِرَكَ يَشْمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَتَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهُ مِيثَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُنَّصِبُنَّكَ شَمِيئًا إِنْ كَرِهُوا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثِيئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِينَةٍ نَسِيئًا إِلَّا أَنْذَرْنَا أُمَّهَاتَهُنَّ بِالْبَأْسَةِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُنَّ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا آتَا الضَّرَّةَ وَالضَّرَّةَ فَأَخَذْتُمُ مِنْهُنَّ مَهْرًا وَهَمَّ لَا يُشْمِرْنَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنْ نَسْتَكْبِرَكَ يَشْمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينَتَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهُ مِيثَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيُنَّصِبُنَّكَ شَمِيئًا إِنْ كَرِهُوا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثِيئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا يَمْشُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِينَةٍ نَسِيئًا إِلَّا أَنْذَرْنَا أُمَّهَاتَهُنَّ بِالْبَأْسَةِ وَالضَّرَّةِ لَعَلَّهُنَّ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا آتَا الضَّرَّةَ وَالضَّرَّةَ فَأَخَذْتُمُ مِنْهُنَّ مَهْرًا وَهَمَّ لَا يُشْمِرْنَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿٩٣﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَأْمُونًا وَأَقْنَمُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٤﴾ أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيْتَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٥﴾ وَأَوَّلِينَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَسْمَأُكُمْ اللَّهُ فَآبِئُكُمْ بِاللَّذِينَ يُرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَّو نَشَاءُ أَصَبْتُهُم بِذُرِّيَّتِهِمْ وَنَطَعِ عُنُقِهِمْ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا قَدَّمْنَا لِأَنفُسِنَا وَلَا مِمَّا مَلَآتُ بِهَا الْأَنْفُسَ ۚ إِنَّهَا لَغَوَاةٌ قَلْبًا ۚ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَن يُشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٩٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا قَدَّمْنَا لِأَنفُسِنَا وَلَا مِمَّا مَلَآتُ بِهَا الْأَنْفُسَ ۚ إِنَّهَا لَغَوَاةٌ قَلْبًا ۚ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَن يُشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٩٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا قَدَّمْنَا لِأَنفُسِنَا وَلَا مِمَّا مَلَآتُ بِهَا الْأَنْفُسَ ۚ إِنَّهَا لَغَوَاةٌ قَلْبًا ۚ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَن يُشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا قَدَّمْنَا لِأَنفُسِنَا وَلَا مِمَّا مَلَآتُ بِهَا الْأَنْفُسَ ۚ إِنَّهَا لَغَوَاةٌ قَلْبًا ۚ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَن يُشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠١﴾

لنا ولآبائنا ولم يكن ما مننا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِنِقْمَةٍ﴾، فجاءة آمن ما كانوا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ينزل العذاب.

﴿٩٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَأْمُونًا وَأَقْنَمُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض. وأصل البركة:

المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الأعمال الخبيثة.

﴿٩٥﴾ أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾، الذين كفروا وكذبوا بآياتنا، يعني: مكة وما حولها، ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿بِيْتَاتًا﴾، ليلاً، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿٩٦﴾ أَوَّلِينَ﴾، أو آيين، قرأ أهل الحجاز والشام: ﴿أو آمن﴾، بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًىٰ﴾، أي: نهاراً، والضحى: صدر النهار، وقت انبساط الشمس، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، ساهون لاهون.

﴿٩٧﴾ أَفَأَسْمَأُكُمْ اللَّهُ فَآبِئُكُمْ بِاللَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾، أي: فما آتاهم بما أنعم عليهم في دنياهم.

غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني المنازل واحدها مغنى، وقيل: كأن لم يتعموا فيها. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمُ الْكَافِرِينَ﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

﴿٩٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾، أعرض عنهم شعيب شاكساً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وَقَالَ يَقْوَرٌ لَّقَدْ آتَيْنَاكُمْ رِزْقًا زَكَاةً وَمَا تَحْتُمُوكُمْ فَاكْفَرْتُمْ﴾، أحزن، ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

﴿٩٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾، عاقبنا ﴿أَهْلَهَا﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿بِآيَاتِنَا وَالضَّرَّاءِ﴾، قال ابن مسعود: البأساء الفقر والضراء المرض، وهذا معنى قول من قال البأساء في المال والضراء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضراء الضر وسوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضراء في الجذب، ﴿لَقَلَّهَمْ يَصْرَعُونَ﴾، لكي يتضرعوا فيتوبوا.

﴿١٠٠﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾، يعني: مكان البأساء والضراء الحسنة، يعني: النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حَتَّىٰ عَقَرُوا﴾، أي: كثرروا وازدادوا، أو كثررت أموالهم، يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: كثرت أموالهم وأولادهم، ﴿وَقَالُوا﴾، من غزتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً

وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

﴿٩٣﴾ وَأَوَّلِينَ يَهْدِي﴾، قرأ قتادة ويعقوب: ﴿نهدي﴾ بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد، يعني: أو لم يتبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ﴾، هلاك ﴿أَهْلِهَا﴾، الذين كانوا فيها، ﴿أَنْ لَّو نَشَاءُ أَصَبْتُهُمْ﴾، أخذناهم وعاقبناهم، ﴿بِذُرِّيَّتِهِمْ﴾، كما عاقبنا من قبلهم، ﴿وَنَطَعِ عُنُقَهُمْ﴾، نختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، الإيمان ولا يقبلون الموعدة، قال الزجاج: قوله ﴿وَنَطَعِ﴾ منقطع عما قبله لأن قوله: ﴿أَصَبْتُهُمْ﴾ ماض و﴿وَنَطَعِ﴾ مستقبل.

﴿٩٤﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها، يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾، أخبارها لما فيها من

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ
جِئْتُ بِبَيِّنَاتٍ فَأَبَىٰ أَن تَصَدِّقَ مِنِّي فَقَدْ أَتَىٰكَ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ
لِلنَّظِيرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأَمِينَ قَوْمِ فَرعونَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ
عَلَيْكُمْ ﴿١٠٩﴾ وَيُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَأُوكَ
يَكُلُ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحْرُ وَعَوَتْ قَالُوا لَئِنْ
لَّمَّا لَأَجْرَانِ كَمَا نَحْنُ الْفٰئِلِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي أَكْتُم
لِمَن الْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يٰمُوسَىٰ إِنَّمَا أَن كُفْرِي وَإِنَّمَا أَن
كُفْرُكَ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَاهُم وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾
وَإِذْ حَسِبْنَا أَنَّ لَمُوسَىٰ أَنَّىٰ عُصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْكُرُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ الْخَوَافَ بِطَلْمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَصَلُّوا
هٰنَا كَ وَأَقْبَلُوا صٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

بالعذاب فكذبوه، يقول:
ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به
أوائلهم من الأمم الخالية،
بل كذبوا بما كذب
أوائلهم، نظيره قوله عز
وجل: ﴿كَذٰلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ
مِن قِبَلِهِم مِّن رُّسُولٍ إِلَّا قَالُوا
سٰغِرٌ أَوْ نَجْوٰنٌ﴾ [الذاريات:
٥٢]. ﴿كَذٰلِكَ يَطۡعُ اللهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، أي:
كما طبع الله على قلوب
الأمم الخالية التي أهلكتها
كذلك يطبع الله على قلوب
الكفار الذين كتب عليهم أن
لا يؤمنوا من قومه.

﴿وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾، أي: وفاء
بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق،
حين أخرجهم من صلب آدم،
﴿وَلَن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِينَ﴾، ما
وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين
للعهد.

﴿قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِم﴾، أي: من بعد نوح وهود
وصالح وشعيب، ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾،
بِأَدْلَتِنَا، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَكَانَ
ظٰلِمًا﴾، فجحدوا بها. والظلم: وضع
الشيء في غير موضعه، فظلمهم
وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فَأَنظَرْنَا
كَيْفَ كَانَتْ عٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾،
وكيف فعلنا بهم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾، لما دخل
على فرعون، ﴿يٰفِرْعَوٰنُ إِنِّي رَسُوْلٌ مِّن
رَّبِّ الْمَلٰٓئِكَةِ﴾ إليك، فقال فرعون:
كذبت،

﴿١٠٦﴾ فقال موسى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ
لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أنا
خليق بأن لا أقول على الله إلا
الحق، فتكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى البقاء
كما تقول: رميت بالقوس ورميت
على القوس، وجئت على حال
حسنة وبحال حسنة، ويدل عليه
قراءة أبيي والأعمش ﴿حَقِيقٌ بِأَنَّ لَا
أقول، قال أبو عبيدة: معناه حريص
على أن لا أقول على الله إلا الحق،
وقرأ نافع ﴿عَلَىٰ﴾ بتشديد الباء، أي
حق واجب علي أن لا أقول على الله
إلا الحق. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن
رَّبِّكُمْ﴾، يعني العصا، ﴿فَارْسِلْ مَعِيَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: أطلق عنهم
وخلهم يرجعون إلى الأرض
المقدسة، وكان فرعون قد
استخدمهم في الأعمال الشاقة من
ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما،
فقال فرعون مجيباً لموسى.

﴿١٠٧﴾ ﴿قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِبَيِّنَاتٍ
فَأَبَىٰ أَن تَصَدِّقَ مِنِّي فَقَدْ أَتَىٰكَ
عَصَاهُ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾
من يسه ﴿فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ مُّبِينٌ﴾،
والثعبان: الذكر العظيم من الحيات،
فإن قيل: أليس قد قال في موضع
آخر ﴿كَاثِرًا جَاةً﴾ [النمل: ١٠]،
والجان الحية الصغيرة؟ قيل: إنها
كانت كالجان في الحركة والخفة،
وهي في جثتها حية عظيمة. قال ابن
عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا
صارت حية عظيمة صفراء شعراء
فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعاً
ارتفعت من الأرض بقدر ميل،
وقامت له على ذنبها واضعة لحيها

الاعتبار، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والمعجزات
والعجائب، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾، أي: فما كانوا
ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات
والعجائب، بما كذبوا من قبل رؤيتهم
تلك العجائب، نظيره قوله عز وجل:
﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا
بِهَا كٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢]. قال
ابن عباس والسدي: يعني فما كان
هؤلاء الكفار الذين أهلكتناهم ليؤمنوا
عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل
يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من
ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمرُوا
التكذيب. وقال مجاهد: معناه فما
كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل هلاكهم؛ لقوله
عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَمَادُوا لِبٰٓئُسٍۭا عِنْدَهُ﴾
[الأنعام: ٢٨]. قال يمان بن رباب:
هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه

الأسفل في الأرض ولحيها الأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه. ورؤي أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريرته هارباً وأخذت، وقيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمائة مرة، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً وقتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت، ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

﴿وَرَجَّعَ يَدَيْهِ إِذَا كَانَ مِنَ السَّحَابِ﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها منه، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم اللون، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، قال هذا لسحر عليم، يعنون أنه لياخذ بأعين الناس حتى يخيل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويؤري أن الشيء بخلاف ما هو عليه.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَمُدَّكَ﴾، يا معشر القبط، ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي: تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: من قول الملأ لفرعون وخاصته.

﴿قَالُوا﴾، يعني السلا، ﴿آتِيَةً﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همزة، ثم نافع برواية

ورش والكسائي يشعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالبون، قال عطاء: معناه آخره. وقيل: أحبسه. ﴿وَأَنفَأَ﴾، معناه أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض إليه بالقتل، ﴿وَأَرْبِيلَ فِي الْمَدَائِنِ كَثِيرِينَ﴾، يعني: الشرط في المدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذه المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

﴿فَذَكَرَ قَوْلَهُ﴾، ﴿يَأْتُونَكَ بِكَلِمٍ سِحْرٍ غَيْرِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿سحار﴾، ههنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار، قيل: الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلم، والسحار الذي يعلم ويعمل. وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر. قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب إلا بمن هو منه، فأتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرياء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحراً كثيراً وواعد موسى فرعون موعداً فبعث إلى السحرة فجاؤوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعتم؟ قال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى

به. واختلفوا في عددهم، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهم رؤساء القوم وسبعون من بني إسرائيل. وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً. وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: كان رئيس السحرة يوحنا.

﴿رَبَّاءَ السَّحَرَةِ وَفُؤُونَ﴾، واجتمعوا، ﴿قَالُوا﴾ لفرعون ﴿إِن لَنَا لَأَجْرًا﴾، أي: جناً ومالاً، ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، قرأ أهل الحجاز وحقق: ﴿إِنْ لَنَا﴾ على الخير، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ وَلَكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

﴿قَالُوا﴾ يعني السحرة، ﴿يَكْفُرُونَ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْقَلَبٌ﴾ عصاك، ﴿وَلِيَوْمِ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْمُنْقَلَبُونَ﴾، لعصتنا وجبالنا.

﴿قَالَ﴾ لهم [موسى] بل ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه التخجيل، وهذا هو السحر، ﴿وَأَسْرَبُوا بِهِمْ﴾، أي: أربسوهم

حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوق الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

﴿١١٧﴾ **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾**، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، **﴿وَيَطَّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

﴿١١٨﴾ **﴿قَالَ﴾**، يعني السحرة لفرعون: **﴿إِنَّا إِنَّا إِنَّا رَبَّنَا مُقْتَلُونَ﴾**، راجعون في الآخرة.

﴿١١٩﴾ **﴿وَمَا نَقِمُ مِثًّا﴾**، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: ما لنا عندك من ذنب تعدبنا عليه، **﴿إِنَّا إِنَّا رَبَّنَا يُبَاطِلُونَ﴾**، ثم فزعوا إلى الله عز وجل فقالوا: **﴿رَبَّنَا أَرْفَعْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأ مَسْلِينًا﴾**، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم؛ لقوله تعالى: **﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَنَّيْنِنَا أُنْتَنَا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْفَالِيلُونَ﴾** [القصص: ٢٥].

﴿١٢٠﴾ **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾** له: **﴿أَنْذَرْتُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾**، وأرادوا بالإنفساد في الأرض دعاءهم للناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، **﴿وَيَذُرُكَ﴾**، أي: وليذرك، **﴿وَوَالِإِهْنَكُ﴾**، فلا يعبدك

حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوق الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

﴿١١٧﴾ **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾**، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، **﴿وَيَطَّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

﴿١١٨﴾ **﴿فَقُلُوبُهُمْ﴾**، فقلوبهم مغشاة، **﴿وَأَنْقَلَبُوا صَفِيرِينَ﴾**، ذليلين مهزومين.

﴿١١٩﴾ **﴿وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَجْدِينَ﴾**، قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم القوا.

﴿١٢٠﴾ **﴿قَالَ﴾**، قال الكلبي: فقال فرعون: إياي تعنون؟

﴿١٢١﴾ **﴿قَالَ﴾**، فقالوا: **﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾**، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة: تؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لا آتين بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأؤمنن بك، وفرعون ينظر.

﴿١٢٢﴾ **﴿قَالَ﴾**، لهم **﴿فِرْعَوْنَ﴾** حين آمنوا: **﴿ءَأَمِنْتُمْ بِهِ﴾**، قرأ حفص **﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾** على الخبر فهنا وفي طه [٧١] والشعراء [٤٩]، وقرأ الآخرون بالاستفهام أمئنتم به، **﴿قَبَلِ﴾**

قَالَ أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبَلُ أَنْ مَادَّنَ لَكَرْبَانَ هَذَا لَكَرْبَانَ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوَّفَ تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهِ رَبِّنَا مُقْتَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا نَقِمُ مِثًّا ﴿١٢٢﴾ إِنَّا إِنَّا إِنَّا رَبَّنَا يُبَاطِلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّا لَمَّا جَاءَهُ تَبَارَكْنَا نَبَأٌ آتَى فَرعونَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأ مَسْلِينًا ﴿١٢٤﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرْتُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَيِّنُوا لِلنَّاسِ قَالِ سَفَقِلَ إِنَّآءَهُمْ وَفَسَّخَى نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٥﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلشَّاقِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالُوا أَوَدِينَا مِنَ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذَابُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبْيَانِ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّرَابِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٨﴾

وأفزعوهم، **﴿وَجَاءَهُ بِسِحْرِ عَجِيبٍ﴾**، وذلك أنهم القوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

﴿١٢٧﴾ **﴿وَأَرْجَحْنَا إِلَي مُوسَى أَنَّ إِلِي عَصَاكَ﴾**، فالقهاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية. ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ثم فتحت فاهها ثمانين ذراعاً، **﴿فَإِذَا مِنْ تَلْقَفُ﴾**، قرأ حفص **﴿تَلْقَفُ﴾** ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تبتلع، **﴿بِمَا يَأْكُرُونَ﴾**، يكذبون من التخاييل، وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ ، بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة. ﴿قَالُوا أُوذِينَا﴾ قال ابن عباس: لما آمنت السحرة أتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقالوا يعني قوم موسى: إنا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿وَيَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا﴾ ، بإعادة القتل علينا. وقيل: المراد منه أن فرعون كان يستخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء

ولا يعيدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً. قال الحسن: كان قد علق على عنقه صليباً يعبده. وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه ألّهتكم وأنا ربها وريكم، فذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك: «ويدرك وإلهتك» بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعْبَدُ ولا يُعْبَدُ. وقيل: أراد بالآلهة الشمس، وكانوا يعبدونها. قال الشاعر:

تروحنا من اللّعباء قصرأ
فأعجلنا الإلاهية أن تروبا
﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَتَقْبِلُ آتَانَهُمْ﴾،
قرأ أهل الحجاز: «سنقتل»
بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون
بالتشديد من التقتيل على التكثير،
﴿وَكَسَّحِي نِسَاءَهُمْ﴾، نتركهن أحياء،
﴿وَأَنَا قَوْمُهُمْ قَهْرُونَ﴾، غالبون.
قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء
بني إسرائيل في العام الذي قيل له أنه
يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل
يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة،
وكان من أمره ما كان فقال فرعون:
أعيدوا عليهم القتل فأعادوا عليهم
القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل إلى
موسى.

﴿قَالَ﴾ مَوْسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ ، يعني:
أرض مصر، ﴿يُؤْتِيهَا﴾ يعطيها،
﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْقَوِيَّةُ﴾

سورة الأعراف

سورة الأعراف

فَإِذَا جَاءَ تَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا إِنَّا هَدِينَهُمْ لَئِنْ تَبَيَّنَ لَنَا مِنْهُ آيَةٌ نَظُرْنَا وَيَمُوتُوا مِنْهُ وَمِنَ مَعَدَاةِ آلِئِمَّا حَلَمُوا بِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَكِنْ أَسْكَرْتَهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ أَنْتُمْ لَاتُجِزُّونَهَا فَمَنْ لَكَ يَمُوتُ مِنْكُمْ ﴿١٣٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ مَائِدَتِمْ فَمَضَلْتِمْ فَأَسْكَرْنَا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣١﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِدُ بِمَا لَكَ يَا عَلِيُّ كُنْتُمْ عَنَّا أَرْجَبَ لَوْلَا أَنَّ لَكَ وَالَّذِينَ سَلْنَا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٢﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ الَّذِي أَجْلَبَ لَهُمْ يَغْتَوَّوْا إِذَا هُمْ بِسُكُونٍ ﴿١٣٣﴾ فَلَنَنْصَرِفَنَّ عَنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بَأْتُهُمْ كَذَوْبًا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرُوقِ الْأَرْضِ وَمَكْرَئِيهَا الَّذِي يَنْزِكُنَا فِيهَا وَنَمَتَّ كَلِمَتَ رَبِّكَ الْحَقِّقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَدَقُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٥﴾

١٢٦

وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار، ﴿لَمَأَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾، أي: يتعظرون، وذلك لأن المشقة تفرق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل.

﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾، يعني: الخصب والسعة والعافية، ﴿قَالُوا لَنَا هَدِيَّةٌ﴾، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً من الله عز وجل فيشكروا عليها، ﴿لَئِنْ تَبَيَّنَ لَنَا مِنْهُ آيَةٌ﴾، جذب وبلاء ورأوا ما يكرهون، ﴿يَبْكُرُونَ﴾ يتشاءموا، ﴿يَمُوتُوا مِنْ مَعَدَاةِ﴾ وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه. وقال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر: وكان مُلْكُ فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروهاً، ولو كان له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة

موسى استخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون اللبن بين فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بين من عندهم. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُبَلِّغَ عَذَابَكُمْ﴾ فرعون، ﴿وَنَسْتَخْلِفُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: ويسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فحقق الله ذلك فأغرق فرعون واستخلفهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، أي: بالجذب والقحط. تقول العرب: مستهم السنة، أي: جذب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿وَنَقَّصَ مِنَ السِّنِينَ﴾ بإتلاف الغلات بالآفات والعاهات. قال قتادة: أما السنين فلاهل البوادي،

لَمَا أَدْعَى الرِّيْبِيَّةَ قَطُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾، نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس: طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم، وفي رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قبِل الله، أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن السذي أصابهم من الله.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني: القبط لموسى، ﴿مَهْمًا﴾ متى، ﴿مَا﴾ كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿تَأْتِنَا يَوْمَ مِنْ آيَاتِهِ﴾، علامة، ﴿لِنَسْحَرَنَّ بِهَا﴾، لتنتقلنا عما نحن عليه من الدين، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق دخل كلام بعضهم في بعض: لَمَا أَمِنْتَ السَّحْرَةَ رَجِعَ فِرْعَوْنُ مَغْلُوبًا أَبِي هُوَ وَقَوْمَهُ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَادِي فِي الشَّرِّ، فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عالج بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَطَغَى وَعَتَا وَإِنْ قَوْمُهُ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَكَ، رَبِّ فَخُذْهُمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلْهَا لَهُمْ نِقْمَةً وَلِقَوْمِي عِظَةً وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ آيَةً وَعِبْرَةً، فبعث الله عليهم الطوفان، وهو الماء أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت

القبط مشتبكة مختلطة، فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة من الماء، وركد الماء على أرضهم لا يقدر أن يحترثوا ولا يعملوا شيئاً، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عذب به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم. وروي عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الطوفان أمر من الله طاف بهم، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا عَلَيْنَا مَا لَيْتَ لَنَا مِنْ رَبِّكَ وَنُحْرًا نَاطِقِينَ﴾ [القلم: ١٩]، قال نحاة الكوفة: الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان. وقال أهل البصرة: هو جمع واحد طوفانة.

فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك وترسل معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فرفع عنهم الطوفان، فأثبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم يثبت لهم قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً، فلم يؤمنوا فأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلى الجراد بالجوع،

فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت.

وفي الخبر: «مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم». ويقال: إن موسى برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت، وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفوا بما عاهدوا، وعادوا لأعمالهم السوء فأقاموا شهراً في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل. واختلفوا في القمل، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة. وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدبى والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدبى الصغار التي لا أجنحة لها. وقال عكرمة: هي بنات الجراد. وقال أبو عبيدة: وهو الحمنان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ الحسن «القمل» بفتح القاف وسكون الميم، قالوا: أمر الله موسى أن يمشي إلى كتيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس، فمشى موسى إلى ذلك الكتيب وكان أهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم

القمل، فتنبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله، ولحسن الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء قملاً. قال سعيد بن المسيّب: القمل السوس الذي يخرج من الحبوب، وكان الرجل يخرج عشرة أجرية إلى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أفزة، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل، وأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى: أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخيث أعمالهم، وقالوا: ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب، وقالوا: وعزة فرعون لا نتبعه أبداً ولا نصدقه، فأقاموا شهراً في عافية فدعا موسى عليه السلام بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلات منها بيوتهم وأفنتهم وأطمعتهم وآتيتهم، فلا يكشف أحد إناء ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر ويفتح فاه

لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينة إلا تشدخت فيه ولا يفتح قدراً إلا امتلات ضفادع، فلقوا منها أذى شديداً.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدر وهي تغلي، وفي التناير وهي تفرور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى، وقالوا هذه المرة: نتوب إلى الله تعالى ولا نعود فأخذ عهودهم وموائيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهود وعادوا إلى كفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً وصارت مياههم دماً فما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقال القوم: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً، فكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش

فتقول: اسقني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت تقول: اجعلني في فيك ثم مجيء في في، فتأخذ في فيها ماء فإذا مجته في فيها صار دماً، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه حليحاً أجاجاً فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. قال زيد بن أسلم: الدم الذي سأل عليهم كان الرعاف، فأثروا موسى وقالوا: يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فبهم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدمَّ مَائِةً مُّغْتَلِبَةً﴾، يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً، ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الزَّبْزَبَ﴾، أي: نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيره. وقال سعيد بن جبیر: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم أحد فأمسوا وهم لا يتدافعون، ﴿قَالُوا﴾ لموسى: ﴿يَتَّبِعُنَا أَنجَحْنَا لَنَا رَبَّكَ يَا عَهْدَ عِنْدَكَ﴾، أي: بما أوصاك. قال عطاء: بما نبتاك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك ﴿لَئِن كَفَفْتَ عَنَّا الزَّبْزَبَ﴾، وهو الطاعون، ﴿لَنُؤَيِّدَنَّكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَقِيَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ثنا

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ قَارُونََ عَلَى قَوْرِ يَمْكُونٍ وَعَلَى
 أَصْنَارٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْسُوسُ أَجْمَلٌ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ الْهَلْهَلُ
 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ هَذِهِ لَأَمْثَلُ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطَّلُ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ أَعْرَبَ اللَّهُ أَبْيَعِيكُمْ إِلَهًا
 وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْكُمْ
 مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ سُوءٍ لَعْنَةُ الْعَذَابِ يُقِيلُونَ
 أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْجِبُونَ نِسَاءَهُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بِأَدْنَى
 رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ نَادَى مُوسَى لِقَائِهِ رَبَّهُ
 وَأَتَمَّتْهَا بِمَشْرِقَتِهِ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
 مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اتَّقِنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
 سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
 رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ
 إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ فَلَمَّا حَمَلَ
 رَبُّهُ لِلْحَبْلِ جَعَلَهُ كَدًّا وَعَرَّ مُوسَى صَبْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ
 قَالَ سُبْحَانَكَ بَدِئْتَ الْبَرَّ وَالنَّارَ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾

زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: أسمعنت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة بن زيد:

قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

﴿١٣٥﴾ تولى عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ الَّذِي أَجْلَى هُمْ بِلِقَائِهِ﴾، يعني: إلى الغرق في اليم، ﴿إِذَا هُمْ يَمْكُونُ﴾، ينفضون العهد.

﴿١٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا حَمَلْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَبْتَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، يعني البحر، ﴿بِأَيْتِهِمْ كَذَّبُوا

بِأَيْتِنَا وَكَانُوا عَنَّا غَافِلِينَ﴾، أي: عن النعمة قبل حلولها. وقيل: معناه عن آياتنا معرضين.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ﴾ يقهرون ويؤتدلون بذبج الأبناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو إسرائيل، ﴿مَشَرَكِ الْأَرْضِ وَمَعْرِبِهَا﴾، يعني مصر والشام، ﴿الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾، بالماء والأشجار والشمار والخصب والسعة، ﴿وَوَكَّمْتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، يعني:

وتممت كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَمُّوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، على دينهم وعلى عذاب فرعون، ﴿وَدَمَّرْنَا أهلكنا﴾ ما كان يصنع فرعون وقوموه، في أرض مصر من العمارات، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والشمار والأعنان. وقرأ أبو بكر وابن عامر ﴿بِعْرِشُونَ﴾ بضم الراء ها هنا وفي النحل [٦٨]، وقرأ الآخرون بكسرهما.

﴿١٣٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ﴾، قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل، ﴿فَاتَوَّأُوا﴾ فمزوا ﴿عَلَى قَوْرِ

يَمْكُونٍ﴾، يقيمون، قرأ وحمزة والكسائي ﴿يَمْكُونُ﴾ بكسر الكاف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿عَلَى أَصْنَارٍ﴾، أو ثمان ﴿لَهُمْ﴾، يعبدونها من دون الله. قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل. قال قتادة: كان أولئك القوم من لحم وكانوا نزولاً بالرقعة، فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك، ﴿قَالُوا يَمْسُوسُ أَجْمَلٌ لَنَا إِلَهًا﴾، أي: مثلاً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ﴾، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب به بتعظيمه إلى الله يظنوا أن ذلك لا يضرب الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾، عظمة الله.

﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ لَأَمْثَلُ مَا هُمْ فِيهِ﴾، والتتبير الإهلاك، ﴿وَيَطَّلُ﴾ مضمحل وزائل، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ﴾ يعني موسى: ﴿أَعْرَبَ اللَّهُ أَبْيَعِيكُمْ﴾، أي: أبغي لكم وأطلب، ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: على عالمي زمانكم.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا إن إسحاق بن إبراهيم الديري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي، قال:

خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما كان للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ إنكم تركبون سنن من قبلكم».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ﴾، قرأ ابن عامر ﴿وَأِذْ أَنْجَاكَ﴾، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، ﴿مِن مَّاءٍ فَزَعَوْتَ يَسْمُونَكُمْ مَوْءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمُتَّكُمُ﴾، قرأ نافع «يقتلون» خفيفة التاء من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير من التقتيل، ﴿وَيَسْتَجِيبُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذُلِّكُمْ بَلَاءً مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمًا﴾.

﴿قوله ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَّيْلَةً﴾، ذا القعدة، ﴿وَأَتَمَّنتَهَا بِعَشْرِ﴾، من ذي الحجة، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَّيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿يَاخِيهِ هَدَرْتُ مَنطِقِي﴾، كن خيلتي، ﴿فِي قَوْمٍ وَأَصْلِحْ﴾، أي: أصلحهم بحملك عباس: يريد الرفق بهم والإحسان إليهم، ﴿وَلَا تَلْعَبْ سَيْبِلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر: أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون! فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم

ثلاثين يوماً، فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خروب، وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وكانت فنتتهم في العشر التي زادها.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِيُخَبِّرَنَا﴾، أي: للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه. قال أهل التفسير: إن موسى تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه لما أتى طور سيناء. وفي القصة: إن الله عز وجل أنزل ظلمة على سبعة فراسخ وطرده عنه الشيطان وطرده عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء، ورأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكلمه الله وناجاه حتى أسمعه، وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه به ربه وأذناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته، ﴿قَالَ رَبِّيَ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾، قال الزجاج: فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك. قال ابن عباس: أعطني النظر إليك. فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل سأل الرؤية ظناً منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، وليس لبشر أن يطبق النظر إلي في الدنيا من نظر إلي

في الدنيا مات، فقال: إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك، فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرَ إِلَيَّ الْجَبَلِ﴾، وهو أعظم جبل بمدين يقال له زبير.

قال السدي: لما كلم الله موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى، فوسوس إليه وقال: إن من كلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية، فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، ولن تكون للتأييد، ولا حجة لهم فيها، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، فإنه كان يسأل الرؤية في الحال ولن لا تكون للتأييد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْمَعُوا أَيْدَا﴾ [البقرة: ٩٥]، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة؛ يقولون: ﴿يَبْكَاكَ يَلْفِضُ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ﴿يَلْبِثْنَا كَأَنِّي الْفَاضِيَةُ﴾ [الحاقة: ٢٧]، والدليل عليه أنه لم ينسب إلى الجهل بسؤال الرؤية وأنه لم يقل إنني لا أرى حتى تكون لهم حجة بل علّق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلّق بما لا يستحيل لا يكون محالاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرَ إِلَيَّ الْجَبَلِ لَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُمْ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾، قال وهب وابن إسحاق: لما سأل موسى ربه

السابعة فلما بدأ نورُ العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جلَّ جلاله، ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعاً يقولون: سبحان الملك القدوس ربَّ العزة أبداً لا يموت بشدة أصواتهم، فارتجَّ الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخرَّ العبدالضعيف موسى صعباً على وجهه ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح فيغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لثلا يحترق موسى، فأقامه الروح مثل اللامة، فقام موسى يستجيب الله ويقول: آمَنْتُ بِكَ رَبِّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخل قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت ربُّ الأرباب وإله الآلهة ومملك الملوك، لا يغيِّلكُ شيء ولا يقوم لك شيء، ربُّ تبتُّ إليكَ الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك ما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى مِنْهُمُ لِلْجَبَلِ جَمَلًا دَكَّاءً﴾، قال ابن عباس: ظهر نورُ ربِّه للجبل جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحمري: ما تجلَّى من عظمة الله للجبل إلا مثل سمَّ الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلَّى إلا قدر الخنصر، يدلُّ عليه ما روى ثابت عن أنس أنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال «هكذا» ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل.

عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربههم شيء من أصوات الذين مرَّوا به من قبلهم، فاصطكت ركبته وارتعد قلبه واشتدَّ بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليلٌ من كثير ما رأيت، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، فلم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلاً جوفه خوفاً واشتدَّ حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب ليراني فهبطوا عليه في يد كل مَلَكٍ منهم عمود مثل النخلة الطويلة، نار أشدَّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح، ربُّ العزة أبداً لا يموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يستج معهم حين سبَّحوا وهو يبكي ويقول: ربُّ اذكرني ولا تنس عبيدك لا أدري أفلتُ ممَّا أنا فيه أم لا؟ إن خرجتُ احترقتُ وإن مكثتُ مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتدَّ خوفُك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت، ثم أمر الله أن يحمل عرشه في ملائكة السماء

الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى فمزت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه واعترضوا عليه أمثال الأسود لهم لجنب بالتسبيح والتقديس، ففرغ العبد الضعيف ابن عمران ممَّا رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ذرعت على مسألتي فهل ينجنيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليلٌ من كثير ما رأيت. ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار، ففرغ موسى واشتدَّ فزعه وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران، فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الملائكة الذين مرَّوا به قبلهم ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم

قَالَ يَمْوَسِيٰ اِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وِبِكَلِمَاتِي فَخَذْنَا مَآءَاتِيكَ وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴿١٤٤﴾ وَكُنْتُمْ لِرَبِّ الْاَلْوَانِ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَتَوْعِظَةٍ وَتَفْصِيْلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَفَعَلْتُمْ بِقَوْلِيْ وَامْرُؤُومَكُم بِاِحْسَانٍ سَاوِيْرًا دَارَ الْفَنِيْعِيْنَ ﴿١٤٥﴾ سَاوَرُوْهُم مِّنَ الْاَنْثِيْ الَّذِيْنَ يَتَّكِبُوْنَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا يَرْجُوْا اِنْ يَرَوْا سَيْلًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا يَخْتَدُوْهُ سَيْلًا وَاِنْ يَرَوْا سَيْلًا مِّنَ السَّمَآءِ يَخْتَدُوْهُ سَيْلًا ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَاكْفَرُوْا بِهَا غَيْبًا ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا الْاٰخِرَةَ حَيْثُ جِئْتُمْ اَعْمَلْتُمْ هَلْ يَجْزِيْكُمْ اِلَّا مَا كَانُوْا يَمْعَلُوْنَ ﴿١٤٧﴾ وَاَخَذْنَا قَوْمَ مُؤَسَّىٰ مِّنْ تَعْوِيْمٍ حَيْثُ يَمْنَعُ عَجَلًا جَسَدًا لَّمْ يَخْرُؤْ اَلرَّيْرُوْا اَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُوْنَ وَلَا يَهْتَدِيْنَ سَبِيْلًا لِّتُخَذُوْهُم وَاَكْفَرُوْا طٰغِيْتِيْنَ ﴿١٤٨﴾ وَكَانُوْا فِيْ اَيْدِيْهِمْ وَاَرَاوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوْا قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿١٤٩﴾

١١٨

الكتب: أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة؟ ﴿ قلنا أفأنتك ﴾، موسى من صعقته وثاب إليه عقله وعرف أنه قد سأل أمراً لا ينبغي له، ﴿ قال سبحتك نبئت إليك ﴾، عن سؤال الرؤية ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾، بأنك لا ترى في الدنيا. وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني

إسرائيل.

﴿ قال يَمْوَسِيٰ اِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾، أي: اخترتك، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ اِنِّي ﴾ بفتح الياء وكذلك ﴿ اَمْوَسِيٰ اَنْتُمْ ﴾ [طه: ٣٠-٣١]، ﴿ رِسَالَتِي ﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرون بالجمع، ﴿ وِبِكَلِمَاتِي فَخَذْنَا مَآءَاتِيكَ ﴾، أعطيتك، ﴿ وَكُنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴾، لله على نعمه، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي ﴾، وقد أعطي غيره الرسالة؟ قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة [استقام قوله] اصطفتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول الرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاورك غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً. وفي القصة: أن موسى عليه السلام

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم، فجعل الجبل دكاً.

أي: مستويّاً بالأرض. قرأ حمزة والكسائي ﴿ دكاً ﴾ ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، [وافق عاصم في الكهف]، وقرأ الآخرون ﴿ دكاً ﴾ مقصوراً منوناً، فمن قصر فعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكّه الله دكاً فتنه كما قال: ﴿ اِذَا دَكَّتِ الْاَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١]، ومن قرأ بالمد أي جعله مستويّاً أرضاً دكاً. وقيل: معناه جعله مثل دكاه وهي الناقة التي لا سنام لها، قال ابن عباس: جعله تراباً. وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. وقال عطية العوفي: صار رملاً هائلاً. وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبالاً صغاراً.

ووقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجيل وقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوي، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثير وجرأ.

قوله عز وجل: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوْقًا ﴾، قال ابن عباس والحسن: مغشياً عليه. وقال قتادة: ميتاً. وقال الكلبي: خر موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر.

قال الواقدي: لما خر موسى صعقاً قالت ملائكة السموات: ما لآيين عمران وسؤال الرؤية؟ وفي بعض

كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له امرأته: أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها [عن] وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجك في الجنة، قال: ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر: أزواجها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المزكي أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن إسحاق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا راشد بن سعد عن عبد الرحمن المغافري عن أبيه:

عن كعب الأحبار أن موسى نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس بأمرور

بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وبالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعر الدجال، ربّ اجعلهم أمّتي، قال: هي أمة محمد يا موسى، فقال: ربي إني أجد أمة هم الحمادون لله على كل حال رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة محمد، فقال: ربّ إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأوّلون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم المستجييون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة محمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله فإذا هبط وادياً حمد الله، الصعید لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، يتطهّرون من الجنابة بالصعید كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرّ محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة أحمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها وإن عملها كتبت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت له سيئة مثلها، فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة محمد، فقال: يا ربّ إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب من الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات فلا أجد أحداً منهم إلاّ مرحوماً فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة محمد، قال: يا ربّ إني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يُصَفّون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدويّ النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً إلاّ من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر برىء من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر فاجعلهم أمّتي، قال: هي أمة أحمد، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمهته قال: يا ليتني من أصحاب محمد، أو أمته فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: ﴿يَتُومَىٰٓ إِلَىٰ رَبِّكَ عَلَىٰ أَنفُسٍ يُسَلِّتُ وَيَكَلِّمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَن قَوْمٍ مُّوسَىٰٓ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْهَتُونَ بِالْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، قال: فرضي موسى كلّ الرضا.

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَكَ﴾، يعني لموسى، ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة. وفي الحديث: «كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً». وجاء في أحاديث: خلق الله آدم بيده: «وكتب التوراة بيده وخرس شجرة طوبى بيده».

وقال الحسن: كانت الألواح من خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر. وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. وقال ابن جريج: كانت

من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمدّ من نهر النور، قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لتبها الله له فقطعها بيده ثم شققها بإصبعه، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقال مقاتل وهب: ﴿وَكَتَبْنَا لَكَ فِي الْأَلْوَابِ﴾، كنعش الخاتم. وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون قر يعبر يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى. وقال الحسن: هذه الآية في التوراة ألف آية، يعني ﴿وَكَتَبْنَا لَكَ فِي الْأَلْوَابِ﴾، ﴿وَيَن كَلِّمُ﴾، مما أمروا به ونهوا عنه، ﴿تَوْعَدُ﴾ نهياً عن الجهل، وحقيقة الموعظة: التذكيرة والتحذير مما يخاف عاقبته، ﴿وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام. ﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾، أي: بسجد واجتهاد. وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه يضعف النية آذاه إلى الفتور، ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِيَّهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يُحلّوا حلالها ويحرّموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهها. وكان موسى عليه السلام أشدّ عبادة من قومه، فأمر بما لم

يُؤمروا به. قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والتوافل، وهي ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها، بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص والصبر أحسن من الانتصار. ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْآفِيقِينَ﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة، وقال الحسن وعطاء: يعني جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم. وقال قتادة وغيره: سادخلكم الشام فأوريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله ليعتبروا بها. وقال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: «سأورثكم دار الفاسقين». وقال السدي: دار الفاسقين مصارع الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

﴿١٤٦﴾ قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَغْرِبِ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. قال سفيان بن عيينة: سأمعهم فهم القرآن. قال ابن جريج: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيهما،

أي سأصرفهم أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها. وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام. والأكثرون على أن الآية عامة، ﴿وَأَنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ يَعْزِمُوا أَنَّهَا كَلَّآءٌ سَائِلٌ بِأَعْيُنِنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿الرَّشْدُ﴾ بفتح الراء والشين، والآخرين بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالتسقم والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن. وكان أبو عمرو يفرق بينهما، فيقول: الرشد بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين. ومعنى الآية: وإن يروا طريق الهدى والسداد، ﴿وَأَنْ يَرَوْا كَلَّآءَ سَائِلٌ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: طريق الضلال ﴿يَتَخَذُوا سَبِيلًا﴾، أي: طريق الكذب ﴿يَكَايُنِتُنَا﴾، أي: التفكير فيها والاتعاط بها غافلين ساهين.

﴿١٤٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، ﴿حَبِطَتِ أَعْيُنُهُمْ﴾، بطلت وصارت كأن لم تكن، ﴿هَلْ يُحِيزُونَ فِي الْعَقَبَى﴾، إلا ما كانوا، أي: إلا جزء ما كانوا ﴿يَسْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿١٤٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مِيثَاقًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿مِنْ حُجَيْبِهِمُ﴾ التي استعارها من قوم فرعون. قرأ

حمزة والكسائي ﴿مِنْ حُجَيْبِهِمُ﴾ بكسر الحاء [وقرأ يعقوب بفتح الحاء] وسكون اللام، اتخذ السامري منها ﴿عَجَلًا﴾، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فتحوّل عجلًا، ﴿حَصَدًا﴾، حياً لحماً ودمًا ﴿أَنْتُمْ عَوَّارُونَ﴾، وهو صوت البقر وهذا قول ابن عباس والحسن وقاتدة وجماعة أهل التفسير. وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت. وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج. والأول أصح. وقيل: إنه ما خيار إلا مرة واحدة. وقيل: إنه كان يخور كثيراً فكلما خار سجدوا له فإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، ﴿أَنْتُمْ يَرَوْنَ﴾، يعني الذين عبدوا العجل ﴿أَنْتُمْ لَا يَكْفُرُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. قال الله عز وجل: ﴿أَخَذُوا مِيثَاقًا وَكَفَرُوا﴾، أي: اتخذوه إلهاً وكانوا كافرين.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي آيَاتِهِمْ﴾، أي: ندموا على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْنَا رَبَّنَا﴾، يتب علينا ربنا، ﴿وَوَضَعْنَا لَنَا﴾، يتجاوز عنا، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ترحمنا وتغفر لنا﴾ بالياء فيهما، ﴿رَبَّنَا﴾ بنصب الياء.

كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿وَأَدْخَلْنَا﴾ جميعاً ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿١٥٢﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْذَلُوا الْعِجْلَ﴾، أي: اتخذوه إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾، في الآخرة ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْذَلُوا الْعِجْلَ﴾، أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ غيرهم بصنيع آبائهم فنسبه إليهم، ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، الكاذبين، قال أبو قلابة: هو - والله - جزء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة.

﴿١٥٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١٥٤﴾ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، قال أبو الدرداء: الأسف: الشديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفاً أي حزناً. والأسف أشد الحزن. ﴿قَالَ يَسْمَا خَلَقْتُونِي مِن بَعْدِي﴾، أي: بشس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً، ﴿أَعَجَلْتُمْ﴾، أسبقتم ﴿أَنْتُمْ رَبِّكُمْ﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة.

وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ﴾، التي فيها التوراة وكان حاملاً لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب. قالت الرواة: كانت التوراة سبعة

أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة والأحكام والحلال والحرام، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَبِيهِ﴾، بدوائبه ولحيته هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان لين الغضب. ﴿قَالَ﴾ هارون عند ذلك، ﴿إِنَّ أُمَّ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام ها هنا وفي

طه [٩٤] بكسر الميم، يريد: يا ابن أمي فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة؛ كقوله: ﴿بِعِيَادٍ﴾ [الزمر: ١٠، ١٦]، وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أمه. وقيل: جعله اسماً واحداً وبناه على الفتح، كقولهم: حضرموت وخمسة عشر ونحوهما، وإنما قال ابن أم وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه ويستعطفه. وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾، يعني: عبدة العجل، ﴿وَكَاذِبُوا يَقْتُلُونَنِي﴾، هموا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿فَلَا تُشْمِتُ بِكَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلَنِي﴾، في مؤاخذتك علي ﴿مَعَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: عبدة العجل. ﴿قَالَ﴾ موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، ما صنعت إلى أخي، ﴿وَلِأَخِي﴾، إن

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَسْمَا خَلَقْتُونِي مِن بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَبِيهِ يَمْرُؤًا إِلَيْهِ قَالَ إِنَّ أُمَّ الْقَوْمِ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَاذِبُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ بِكَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخْذَلُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٤﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٥﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي شَجْعَبَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَخَذَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكَ مَا أَفْعَلُ السُّفَهَاءَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُضِلُّهُم مَّا مِن شَاءَ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَرَبُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾

خاصة. قال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون، وذلك أن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَأَلْتُمَهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ فَيُؤْتُونُكَ الرَّزْقَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية. قال نوف البكالي الحميري: لما اختار موسى سبعين رجلاً قال الله تعالى لموسى: اجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فقال ذلك موسى لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَلْتُمَهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ فَيُؤْتُونُكَ الرَّزْقَ﴾ إلى قوله:

﴿أَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَلَمِّضُونَ﴾، فجعلها الله لهذه الأمة. فقال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني نبيهم، فقال نبيهم منهم قال: رب اجعلني منهم فقال: إنك لن تدرکہم، فقال موسى عليه السلام: يا رب أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فرضي موسى. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب.

قال النبي ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب». وهو منسوب إلى الأم أي هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أمّتي، فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿الَّذِي يَهْدُونَهُ﴾، أي: يجدون صفته ونعته ونبوته، ﴿مُكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنجِيلِ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال:

لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي

إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين أنت عبيد ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة [عن هلال]، وقال سعيد: عن هلال عن عطاء عن ابن سلام.

أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن عبد الله بن ضمرة: عن كعب رضي الله عنه قال: إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون على أنصافهم ويؤصّون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفحهم في القتال سواء، مناديبهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي التحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام.

﴿وَعَزَّوْهُ﴾، وقسروه،
 ﴿وَصَكَّرُوهُ﴾، على
 الأعداء، ﴿وَاتَّبَعُوا الْقُرْآنَ
 الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ﴾، يعني:
 القرآن، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ﴾.
 ﴿١٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ
 يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ لِرَسُولِ
 اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئِمَا الَّذِي
 لَمْ تَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَأَمَّاوُا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ
 الْأَرْحَمُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
 وَكُلِّيَّتِهِ﴾، أي: آياته
 وهي القرآن. وقال مجاهد
 والسدي: يعني عيسى ابن
 مريم. ويقرأ ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَاهَا لَكِ
 حَمِيمًا﴾ [النساء: ١٧١]. ﴿وَأَلْقِيُوهُ
 لَمَّا كُم تَهْتَدُونَ﴾.
 ﴿١٥٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَوْمِ
 مُوسَى﴾، يعني: من بني إسرائيل،
 ﴿أَتَوْهُ﴾، أي: جماعة، ﴿يَهْتَدُونَ
 بِالْحَقِّ﴾، أي: يرشدون ويدعون إلى
 الحق. وقيل: معناه يهتدون
 ويستقيمون عليه، ﴿وَيَدَّيْهِ يَبْسُوُونَ﴾،
 أي: بالحق يحكمون وبالعدل
 يقومون، قال الكلبي والضحاك
 والربيع: هم قوم خلف الصين
 بأقصى الشرق على نهر مجرى الرمل
 يسمى نهر أوداف، ليس لأحد منهم
 مال دون صاحبه يمتطرون بالليل
 ويسقون بالنهار ويزرعون، لا يصل
 إليهم منا أحد وهم على الحق.
 وذكر أن جبرائيل عليه السلام
 ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به،
 فكلّمهم فقال لهم جبريل: هل

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ
 بِالْعُرْفِ﴾، أي: بالإيمان،
 ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، يعني:
 عن الشرك، وقيل: المعروف:
 الشريعة والسنة، والمنكر: ما لا
 يعرف في شريعة ولا سنة. وقال
 عطاء: يأمرهم بالمعروف بخلع
 الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة
 الأرحام، وينهاهم عن المنكر: عن
 عبادة الأوثان وقطع الأرحام،
 ﴿وَيُحِيلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني: ما
 كانوا يحرمونه في الجاهلية من
 البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،
 ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾، يعني:
 الميتة، والدم، ولحم الخنزير،
 والزنا، وغيرها من المحرمات،
 ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِحْرَامَهُمْ﴾، قرأ ابن
 عامر «أضارهم» بالجمع، والإصر:
 كل ما يثقل على الإنسان من قول
 أو فعل. قال ابن عباس والحسن
 والضحاك والسدي ومجاهد: يعني
 العهد الثقيل كان أخذ على بني
 إسرائيل بالعمل بما في التوراة. قال
 قتادة: يعني التشديد الذي كان
 عليهم في الدين. ﴿وَالْأَعْظَمُ﴾،
 يعني: الأثقال ﴿الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ﴾، وذلك مثل قتل الأنفس في
 التوراة وقطع الأعضاء الخاطئة
 وقرض النجاسة عن الشوب
 بالمقراض، وتعيين القصاص في
 القتل وتحريم أخذ الدية، وترك
 العمل في السبت، وأن صلاتهم لا
 تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من
 الشدائد، وشبهت بالأغلال التي
 تجمع اليد إلى العنق. ﴿فَأَلْقِيَتْ
 أَمْشُورًا﴾، أي: بمحمد ﷺ،

تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا،
 فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي
 فأمنوا به، فقالوا: يا رسول الله إن
 موسى أوصانا أن من أدرك منكم
 أحمد فليقرأ عليه منا السلام، فردّ
 النبي ﷺ على موسى وعليهم، ثم
 أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
 بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة
 وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا
 يسبتون، فأمرهم أن يجتمعوا ويتركوا
 السبت.

وقيل: هم الذين أسلموا من
 اليهود في زمن النبي ﷺ، والأول
 أصح.

﴿١٦٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾،
 أي: فرقناهم، يعني بني إسرائيل،
 ﴿أَتَقْنَا عَشْرَةَ أَنْبَاءًا أَمْمًا﴾، قال
 الفراء: إنما قال: ﴿أَتَقْنَا عَشْرَةَ﴾،
 والسبب مذكور لأنه قال: ﴿أَمْمًا﴾،
 فرجع الثابت إلى الأمام. وقال

وَأَذَانًا لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا وَعَذَابُ الْبَاطِلِ أَلِيمٌ ﴿١٦١﴾
 وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّا يَخْلُقُونَ فِئْتَانًا مِّمَّا تَعْبُدُونَ أَلَمْ نَجْعَلِ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا فَمَا تَبْتَغُونَ ﴿١٦٢﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٣﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٤﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٥﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٦٩﴾
 وَإِذْ تَأْتِيكُمُ الْمَوْتُ مَغْرِبًا وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَلَّمْنَا عَلَيْهِمُ الْعَقَمَ﴾، في الشبه تقيهم حرّ الشمس، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ وَالسَّلْوَى كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُوبُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: «تغفر» بالثاء وضمتها وفتح الفاء. وقرأ

الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾، قرأ ابن عامر «خطيتكم» على التوحيد ورفع الثاء، وقرأ أبو عمرو: «خطاياكم»، وقرأ أهل المدينة ويعقوب: «خطيتانكم» بالجمع ورفع الثاء. وقرأ الآخرون بالجمع وكسر الثاء بالجمع. ﴿سَتْرِيذُ الْمُخْسِينِ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾، عذاباً ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ مَا يَصُدُّكُمْ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾، عذاباً ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ مَا يَصُدُّكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَسَتْلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾، قيل: هي «مدين» سلّ يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك، سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر، أي: بقره. قال ابن عباس: هي قرية يقال لها إيلة بين مدین والطور

على شاطئ البحر. وقال الزهري: هي طبرية الشام. ﴿إِذْ يَتَذَكَّرُونَ فِي السَّبْتِ﴾، أي: يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَابُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع. وقال الضحّاك: متتابعة. وفي القصة: أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض. ﴿وَيَوْمَ لَا يُسْئِرُونَ الْحَسَنَ﴾ لا يسبتون بضم الياء، أي: لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه: لا يعظمون السبت، ﴿كَذَلِكَ يَبْلُغُهُمْ﴾، نخسبرهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْئُرُونَ﴾، فوسوس إليهم الشيطان وقال: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد إنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا. وقيل: وسوس إليهم أنكم إنما نهيتم عن الأخذ، فاتخذوا حياضاً على شاطئ البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت ثم تأخذونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً ثم تجرّؤوا على السبت وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا فأخذوا وأكلوا أو باعوا، فصار أهل القرية أثلاثاً وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلث نهبوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا: لِمَ تعذبون قوماً اللّهُ لم يهلكهم، وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلم لم ينهوا قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار، للمسلمين باب وللعنّيين باب، وللعنّيين

الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتا عشرة فرقة أمماً، وإنما قال: ﴿أَسْبَابًا أُمَّةً﴾، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أثنائي اثنا عشر رجلاً لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمماً. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديرها: وقطعناهم أسباطاً أمماً اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحدها سبط. قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾، في التيه، ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْفَجَرَ فَالنجست﴾، فانفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانبجاس، ثم انفجرت، ﴿مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، لكل سبط عين، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾، كل سبط، ﴿مَنْزِلَهُمْ﴾، وكل سبط بنو أب واحد.

داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم لشأناً لعل الخمر غلبتهم فغلوا على الجدار واسترقوا عليهم فإذا هم كلهم صاروا قردة وخنازير فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القردة يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم تنهكم فتقول برأسها نعم، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

﴿١٦٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمُوهُمْ لِمَ تَعْتَدُونَ قَوْمًا آَلَهُ مَهْلِكُهُمْ﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا، قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيء، قبل أن ينزل بكم العذاب فإننا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجاوبوا وقالوا: لِمَ تَعْتَدُونَ قَوْمًا آَلَهُ مَهْلِكُهُمْ، ﴿أَوَ لَمْ نَعْلَمْ أَنَّهُ مَعْتَدِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾، أي: قال الناهون ﴿مَعْتَدِيهِمْ﴾، أي: موعظتنا معذرة ﴿إِلَّا زَيْكُرًا﴾، وقرأ حفص: ﴿مَعْتَدِيهِمْ﴾ بالنصب، أي: نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساكنة، قالوا: لِمَ تَعْتَدُونَ قَوْمًا آَلَهُ مَهْلِكُهُمْ، قالوا: معذرة إلى ربكم، ومعناه: أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: يتقون الله ويتركون المعصية ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون. ﴿١٦٥﴾ ﴿فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: تركوا ما وعظوا به، ﴿أَجْمَعًا﴾

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ وَأَخَذْنَا الَّتِي ظَلَمُوا﴾، يعني: الفرقة العاصية، ﴿بِعَذَابٍ يَبِينٍ﴾، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة. واختلف القراء، فيه، قرأ أهل المدينة وابن عامر «بئيس» بكسر الباء على وزن فعل، إلا أن ابن عامر يهزه، وأبو جعفر ونافع لا يههزان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعمل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فعيل مثل بعير وصغير، ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْئُرُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول: ﴿أَجْمَعًا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ وَأَخَذْنَا الَّتِي ظَلَمُوا بِعَذَابٍ يَبِينٍ﴾، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكنة. قال عكرمة: قلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا فكرهوا ما هم عليه، وقالوا: لِمَ تَعْتَدُونَ قَوْمًا آَلَهُ مَهْلِكُهُمْ، وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قلبي فرضي وأمر لي ببردين فكسانيهما، وقال يمان بن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لِمَ تَعْتَدُونَ قَوْمًا آَلَهُ مَهْلِكُهُمْ، قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان، وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر. ﴿١٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾، قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿فَلَمَّا لَمْ كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر الناس [إليهم]، ثم هلكوا. ﴿١٦٧﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيكٌ﴾، أي:

أذن وأعلم ريك، يقال: تأذن وأذن مثل توعد وأوعذ. وقال ابن عباس: تأذن ريك قال ريك. وقال مجاهد: أمر ريك. وقال عطاء: حكم ريك. ﴿يَبْعَثُ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتَةِ﴾، أي: على اليهود، ﴿مَنْ يُبْزِمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، بعث الله عليهم محمداً ﷺ وأمهتة يقائلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ﴿إِنَّا نَرِيكَ لَسَرِيعَ الْوَقَابِ وَاللَّهُ لَفَتُورٌ رَجِيمٌ﴾.

﴿١٦٨﴾ ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾، فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءً﴾، فرقاً فرقهم الله فتشت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة، ﴿مِنْهُمْ السَّالِفُونَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ وأمنوا به، ﴿وَوَيْتَهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني الذين بقوا على الكفر.

وقال الكلبي: منهم الصالحون هم الذين وراء نهر أوداف من وراء الصين، ومنهم دون ذلك، يعني: من ههنا من اليهود، ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾، بالخصب والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾، الجذب والشدة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا.

﴿١٦٩﴾ قوله عز وجل: ﴿فَطَلَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿خَلْفًا﴾، والخلف: القرن الذي يجيء بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلف يسكون اللام الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلف بفتح اللام: البديل سواء كان ولداً أو غريباً. وقال ابن الأعرابي: الخلف بفتح اللام:

المغفرة مع الإصرار، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودرس الكتاب قراءه وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿وَاللَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿١٧٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «يمسكون» بالتخفيف وقراءة العامة بالشديد لأنه يقال مسكت بالشيء، ولا يقال أمسكت بالشيء، إنما يقال أمسكته، وقرأ أبي بن كعب: «والذين تمسكوا بالكتاب»، على الماضي وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، إذ قل ما يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ﴾.

﴿١٧١﴾ قوله تعالى: ﴿وَأِذْ نَفَقْنَا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ﴾، فلقنا الجبل. وقيل: رفعنا ﴿كَانَتْ ظِلَّةً﴾، قال عطاء: سقفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿وَوَطَّأُوا﴾ وعلموا ﴿أَنَّهُ رَاقِعٌ يَوْمَ حُدُودِهِمْ﴾، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، بجيد واجتهاد، ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، واعلموا به، ﴿لَمَلَكٌ نُّنْفِقُونَ﴾، وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله على رؤوسهم جبلاً. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس قال:

قال رسول الله ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ

هواها وتمنى على الله الأمانى». ﴿وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول: إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمتتون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم، فيقال له: ما لك ترتشي فيقول: سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضاً، يقول: وإن يأت الآخرون عرض مثله يأخذوه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار وليس في التوراة ميعاد

﴿١٧٠﴾ ﴿وَأِذْ نَفَقْنَا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَانَتْ ظِلَّةً وَطَّأُوا أَنفُسَهُمْ حُدُودًا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿وَأِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنْيَامَ عَهْدَ عَلَيْهِمْ وَأَسْهَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنفُسَهُمْ سَتْنَا بَيْنَهُمْ قُلُوبًا وَأَلْبَابًا فَتَقَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُنَبِّئُونَا بِفِعْلِ الْمُبْتَلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ فَضَّلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ تِبْيَأُ الذِّبْيِ ءَاتَيْنَاهُ إِذِ الْغَمَامُ سُحْبًا وَوَصَّيْنَا لُقْمَانَ إِذَا جَاءَ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ يُسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَرَأَى الْكُفَّارَ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ يُعْذِرَ عَنْهُمْ رَبَّهُ فَغَدَاكَ لَمِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿إِنْ تَحِيلُوا عَلَىٰ يَدَيْهِمْ أَتَوْتَكُمُ يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ لَآلِ قَصَصِهِمْ يَوْمَ تَكُونُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿سَمَةٌ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَانفُسِهِمْ كَانُوا بِظُلْمٍ لَّيُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿مَنْ سَاءَ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾

الصالح، ويسكون اللام: الطالح. وقال النضر بن شميل: الخلف: بتحرك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد، وأما في القرن الصالح فبتحرك اللام لا غير. وقال محمد بن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الذم بتسكينها وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح. ﴿وَرثُوا الْكِتَابَ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آباؤهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، العرض متاع الدنيا، والعرض بسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير. وأراد بالآدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تكدير الدنيا، فهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرؤوها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل.

على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجدد يهودياً إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، الآية.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن [محمد] السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية، قال عمر بن الخطاب:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُسألُ عنها فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: فقيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار».

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع

من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً.

قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألسن بريكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا كُنَّا لِأَكْفُرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾. وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقرؤا طوعاً وقالوا بلى، وأهل الشقاوة قالوا تقيية وكرهاً، وذلك معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا مِنْ فِي السُّكُوتِ وَالْأَذْيِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، واختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس رضي الله عنهما بطن نعمان وإد إلى جنب عرفة. وروي عنه أيضاً أنه بدنه من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه. وقال الكلبي: بين مكة والطائف. وقال السدي: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته. وروي:

أن الله أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقولاً يعملون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلمهم قبلًا يعني عياناً، وقال: ألسن بريكم، قال الزجاج: وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهماً تعقل به؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا نَمْلَةً يَتَأْتِيهَا أَتَمَلُّ أَدْعُلُو سَكَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وروي أن الله تعالى قال لهم جميعاً: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقِي ومنزل عليكم كتاباً.

فتكلموا جميعاً، وقالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، أخذ بذلك موثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لولا سويت بينهم؟ قال: إني أحب أن أشكر، فلما قرره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: «ذرياتهم» بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، ونصب التاء، فإن قيل: مما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من

ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لِمَا علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض. قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا﴾، قرأ أبو عمرو: (أن يقولوا) ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾، قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا: بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، قوله: ﴿أَن يَقُولُوا﴾، يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أحاطبكم ألسن بربكم لئلا تقولوا، ﴿يَوْمَ أَلَيْكُمُ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف يلزم الحجّة واحد لا يذكر الميثاق، قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجّة، وبسيانهم وعدم حفظهم لا يُسْقِطُ الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ

بَعْدِهِمْ﴾، يقول إنما أخذت الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آبأؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم، أي: كنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا، ﴿أَفَنُكَلِّمُكُمَا بِمَا فَعَلَ الْبَاطِلُونَ﴾، أفتعذبنا بحناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

﴿وَكَذَلِكَ فَفُضِّلَ الْآيَاتِ﴾، أي: نُبِئِنَ الْآيَاتِ لِيَتَدَبَّرَهَا الْعِبَادُ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، من الكفر إلى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْآيَةِ مَائِيْنَةً مَّا نَبَيْنَا قَانَ سَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية، اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد: بلعام بن باعر. وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل. وزوي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا.

وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم: أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم، وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وأنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال لهم: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة

والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوا والخوا عيه فقال: حتى أوامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فأمر في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد أمرت ربي وإني قد نهيته فأهدوا إليه هدية قبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أوامر ربي فأمر، فلم يوح إليه شيء، فقال: قد أمرت فلم يوح إلي شيء، قالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتتوه فافتتن فركب أتانا له متوجهاً إلى جبل يُطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حُشبان، فلما سار عليه غير كثير رِبَضَتْ به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أدلقها، [قامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى رِبَضَتْ، ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم تسر به كثيراً حتى رِبَضَتْ، وضربها حتى إذا أدلقها] أذن الله لها بالكلام فكلّمته حجّة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع ولم يصغ إلى قوله لحكمة أرادها الله به فخلّى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُشبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم

أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا؟! فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمر لكم وأحتال جعلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى، فقال: يا موسى إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ فقال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل فأخبر الخبز فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبّة، وهما متضاجعان فانظّمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد

بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته وكان يكرّ العيزار، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفّع الطاعون، فحُسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبّة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذها إتيها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار، وفي بلعم أنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ الآية.

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادع الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت له: لِمَ تضربني إني مأمورة هذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع فأخبر الملك، [بما قالته الأتان، فقال له: لتدعون عليه، أو لأصليتك فدعى على موسى بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأيّ ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم

والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيّب وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتاب وعلم أن الله مرسل رسولاً فَرَجًا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرّ على قتلى بدر، فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمد، فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه، فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله ﷺ، فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت، فنزلا فقعده أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: وعى؟ قال: وعى قال: أزيكى؟ قال: أبي، قالت: فسألته عن ذلك، فقال: خير أريد بي، فصرف عني فغشي عليه، فلما أفاق قال شعراً:

كل عيش وإن تطاول دهرأ
صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي
في قلال الجبال أرى الوُعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوماً ثقيلاً
ثم قال لها رسول الله ﷺ:
«أنشدني من شعر أخيك»، فأنشدته

بعض قصائده، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَمِنْ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الْأَدْنَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخْنَا مِنْهَا﴾ الآية.

وفي رواية عن ابن عباس: أنها نزلت في البسوس، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات، وكان له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال: لك منها واحدة فما تريدني؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجعلت أجمل النساء في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة، فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها، ادعُ الله أن يردّها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله فعدت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها. والقولان الأولان أظهر.

قال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الْأَدْنَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾. قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسلخ، أي:

خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، أي: لحقه وأدركه، ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاوِرِّ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعناه عنه الكفر وعصمناه بالآيات. ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَتْلَحَّ إِلَى الْأَرْضِ﴾، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد. وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض ههنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، انقاد لما دعه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آية من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا وأتباع الهوى تغيير النعمة عليه بالانسلخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن

زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا كَمَا لَمْ يَأْتِكُمْ سُلْمًا وَلَا حَسْرَةً﴾. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالاتي الكلب إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهتاً وإن ترك وريض كان لاهتاً. قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَىٰ لَا يَسْتَمِعُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُوهُمْ آمٌ إِنَّهُمْ عَصَىٰ آلِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله، فقال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله،

فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا وتركوا أو دعوا.

﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا، أي: بشس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع، ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾.

﴿١٧٨﴾ مَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْمُتَهَيِّئُ وَمَنْ يُضِلُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ.

﴿١٧٩﴾ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشفاعة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدني أنا أحمد بن محمد بن أبي حمزة البلخي حدثنا موسى بن محمد بن الحكم الشطوي حدثنا حفص بن غياث عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له، عصفور من عصفير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك؟» إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم.

وقيل: اللام في قولهم ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم؛ كقوله تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آتِلٌ وَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمُ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾

[القصص: ٨]، ثم وصفهم فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، أي: لا يعلمون بها الخير والهدى، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿وَلَهُمْ آفَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، مراعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاختصار على الأكل والشرب، فقال: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلُ﴾،

أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾.

﴿١٨٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَمْتَّةَ الْمُتَشَقِّقَةَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله عز وجل في صلواته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يدعون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الْأَمْتَّةَ الْمُتَشَقِّقَةَ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، والحسن تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن

سورة الأعراف

المعانيج

ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الكافرون ﴿١٧٧﴾ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيئون ﴿١٧٨﴾ ما كانوا يعملون ﴿١٧٩﴾ ومن خلقنا أمته يهتدون بالحق ويوعى عدلوا ﴿١٨٠﴾ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿١٧٧﴾ وأمل لهم إزك كيدي متين ﴿١٧٨﴾ أولم ينفكروا أما يصاحبهم من جنات أن هو إلا نذير مبين ﴿١٧٩﴾ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قريبا أجهم وأي حديث بعد يؤمنون ﴿١٨٠﴾ من ضل الله فلا هادي له وبذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿١٧٧﴾ سنزلنك عن الساعية آيات من سنسها قل إنما علمها عند ربنا لا يعلمها إلا هو فقلت في السموات والأرض لا تأتونها إلا بغيضة نستأنك كآذ حوى عتبا قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿١٧٩﴾

١٧٤

محمد بن عبد الله بن بشران أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر».

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ﴾، قرأ حمزة «يلحدون» بفتح الياء والحاء حيث كان، ووافقه الكسائي في النحل، والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد هو الميل عن المقصد، يقال: ألحد ألحد يُلحد إلحاداً، ولحد يلحد لحدوداً إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه، يقال: ألحد في الدين ولحد به قرأ حمزة. ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْتَبِيدُوا: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أو ثنائهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من «العزير» ومناة من «المثان»، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة.

روي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، وجملته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يسمى جواداً ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولا يسمى رقيقاً، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً. وقال تعالى: ﴿يُخَلِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ولا يقال في الدعاء يا مخادع يا مكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله يا رحمن يا رحيم يا عزيز يا كريم ونحو ذلك. ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ في الآخرة.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا نُتَمِّئُهُ﴾، أي: عصابة، ﴿يَهْدُونَ يَلْتَمِي وَيُؤْتِي وَيَلْتَمِي﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان.

وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني عمير بن هانيء أنه سمع معاوية رضي الله عنه يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». وقال الكلبي: هم من جميع الخلق.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَلِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَمْلِكُونَ﴾، قال عطاء: ستمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتهم من أمانهم؛ كما قال: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم ويهلكهم بها، وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفیان الثوري: نسيغ عليهم النعمة ونسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً، فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء.

﴿وَأَمَلِ لَهُمْ﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿لَيْتَ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، أي: إن أخذني قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل:

نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة.

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنْدٍ﴾. قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذأ فخذأ: يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يُصَوِّتُ إِلَى الصَّبَاحِ، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ﴾، محمد ﷺ: ﴿مِنْ جَنْدٍ﴾ جنون، ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، ثم حثهم على النظر المؤذي إلى العلم فقال:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكَاوِبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، فيها، ﴿مِنْ نَوْءٍ﴾، أي: وينظروا إلى ما خلق الله فيها من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته. ﴿وَأَنَّ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصبروا إلى العذاب، ﴿فِي أَيِّ حَالٍ بَدَّهْتُ يَوْمَهُنَّ﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون، يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علّة إعراضهم عن الإيمان فقال:

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾ و﴿بَدَّهْتُ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مر قبله، وجزم الراء مردود على ﴿يُضِلِلِ﴾، وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه

كلام مستأنف. ﴿فِي طَعْنِيهِمْ يَمْرُؤٌ﴾، يترددون متحيرين.

﴿١٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾، قال قتادة: قالت قریش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأيسر إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾، يعني: القيامة، ﴿إِنَّمَا مَرْسُهَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: متهاها. وقال قتادة: قيامها. وأصله الثبات، أي: متى مثبتها، ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهَا بِعَدْرِ رَبِّي﴾، استأنر بعلمها ولا يعلمها إلا هو، ﴿وَلَا يَخْبِيهَا﴾، لا يكشفها ولا يظهرها. قال مجاهد: لا يأتي بها، ﴿لَوْ قَالُوا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: نقل علمها وخفي أمرها على أهل السموات والأرض، وكل خفي ثقيل. قال الحسن: يقول إذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بِنُفْثَةٍ﴾، فجأة على غفلة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لَتَقْرَمَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجْلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتْبَاعِيَانَهُ وَلَا يَطْوِيَانَهُ، وَلَتَقْرَمَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقْرَمَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقْرَمَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا.﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ كَانَتْ حَرْفٌ عَنَّا﴾، فيه تقديم وتأخير، أي: يسألونك عنها كأنك حفي بها عالم بها من قولهم أخفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن علمها عند الله حتى سألو محمدا ﷺ عنها.

﴿١٨٨﴾ ﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتره وتربح فيه عند الغلاء وبالأرض التي يريد أن تجذب فترحل منها إلى ما قد أخصيت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا﴾، أي: لا أقدر لنفسي نفعاً، أي: اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرراً، أي دفع ضرراً بأن ارتحل من أرض يريد أن تجذب إلا ما شاء الله أن أملكه، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ عَرَفْتُ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾، أي: لو كنت أعلم الخصب والجذب لاستكشرت من الخير، أي من المال لسنة القحط ﴿وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾، أي: الضر والفقر والجوع.

وقال ابن جريج: ﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا ضَرًّا﴾، يعني: الهدى والضلالة، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

﴿١٨٨﴾ ﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَعْمًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ عَرَفْتُ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَشَابَهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَاكَ اللَّهُ رَبُّهَا لِيْنِ مَا تَبَيَّنَا صَليحاً لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمَا صَليحاً جَمِلاً لَمْ يَشْرِكَا فِيهَا أَنَّهُمَا تَمَتَّلَا لِلَّهِ عَبَادِينَ كُونَ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿أَشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْ نَعْمَرُوا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿وَإِنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْمَدِينِ لَيُشْرِكُنَّ سَوَاءً عَلَيْكَ أَدْعَوْتَهُمْ أَمْ أَمْتَهُمْ صَرِيحًا أَمْ أَلَدِينَ نَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِيَادِ إِتْمَانٍ كُفِّرُوا بَعْدَهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِكَلِمَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا آمُرُ لَمْ أَتَدْرِ بِطُيُوسٍ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصِيرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونَ﴾ ﴿١٩٥﴾

الغيب﴾، أي: متى أموت ﴿لَكُنْتُ عَرَفْتُ مِنَ الْغَيْبِ﴾، يعني: من العمل الصالح ﴿وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾. قال ابن زيد: اجتنبت ما يكون من الشر واقبته. وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى [تقوم] الساعة لاخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم. وقيل: ما مسني السوء ابتداء يريد وما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونوه إلى الجنون. ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿وَبَشِيرٌ﴾، بالجنة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون. ﴿١٨٨﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾، يعني: من آدم، ﴿وَجَعَلَ﴾، وخلق ﴿وَمِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حواء، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ليأنس بها ويأوي إليها، ﴿فَلَمَّا تَشَابَهَا﴾، أي: واقعها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾،

وهو أن أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيفاً عليها، ﴿فَمَرَّتْ بِرَبِّهِ﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به ولم يشقلها، ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل يحملها وونت ولادتها، ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لَئِنْ آتَيْنَا بِاِبْنِ صَالِحٍ﴾، أي: بشراً سوياً مثلنا، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، قال المفسرون: فلما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أو خنزيراً، وما يدريك من أين يخرج؟ من دبرك فيقتلك أو من قُبُلِكَ ويشق بطنك، فخافت حواء من ذلك، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزل في هم من ذلك، ثم عاد إليها فقال: إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث؟ وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فذكرت ذلك لآدم، فقال: لعله صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتى غرهما، فلما ولدت سُمِّيَا عبد الحارث.

قال الكلبي: قال إبليس لها إن دعوت الله فولدت إنساناً أتسميته بي؟ قالت: نعم، فلما ولدت قال سُمِّيَا بي، قالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، ولو سُمِّي لها نفسه لعرفته فسَمَّتْ عبد الحارث.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت حواء تلد لآدم

فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس وقال: إن سركما أن يعيش لكما ولد فسُمِّيَا عبد الحارث، فولدت فسُمِّيَا عبد الحارث فعاش. وجاء في الحديث: «خَدَعَهُمَا إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض». وقال ابن زيد: ولد لآدم ولد فسَمَّاه عبد الله فأتاهما إبليس فقال: ما سميتما ابنكما؟ قال: عبد الله، وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسَمَّياه عبد الله فمات، فقال إبليس: أنتظنان أن الله تارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر، ولكن أدلكم على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسَمَّياه عبد شمس. والاول أصح، فذلك قوله:

﴿فَلَمَّا آتَيْنَهَا صَلَاحًا﴾، بشراً سوياً، ﴿جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ يَمُنَّآ أَتَيْنَهُمَا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر «شركاً» بكسر الشين والتنوين، أي: شركة، قال أبو عبيدة: أي حظاً ونصيباً، وقرأ الآخرون «شركاء» بضم الشين ممدوداً على جمع شريك يعني إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، أي: جعل له شريكاً إذ سَمَّياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولا أن الحارث رَبَّهُمَا فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف،

على وجه الخضوع لا على وجه أن الضيف رَبُّه، ويقول للغير: أنا عبدك، قال يوسف لعزير مصر: إنه رَبِّي، ولم يرد به أنه معبوده وكذلك هذا. وقوله: ﴿فَقَضَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وفي الآية قول آخر: وهو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء، فقال: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، ﴿وَرِذَّةً فَلْتَلْتَنَّهُ تَفَسَّآ﴾، خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آباءهم. وقيل هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوذوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبدالعزى وعبداللات وعبدمناة ونحوه وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ من نفس واحدة، أي: خلق كل واحد من أبيه، ﴿وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا زَوْجَهَا﴾، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن، لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين إنه في آدم وحواء.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وَمَنْ يَخْلُقُونَ﴾، أي: هم مخلوقين.

بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرا الآخرون بكسر الطاء، ﴿أَمْ لَهُمْ آخِرٌ يَصِيرُونَ﴾ أي لهم آخرة ما إذا كانت يسمعون بها، أراد أن قلادة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون عليهم بالأرجل المشاية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، يا معشر المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾، أنتم وهـم، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

﴿قُلْ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ الْكَوْكَبُ﴾، يعني القرآن، أي: إنه يتولاني ويتصرفني كما أيديني بإنزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً، فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عادهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾، يعني: يا محمد ﴿يُنظِرُونَ إِلَيْكَ﴾، يعني: الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه المقابلة، تقول العرب:

﴿وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾، الأصنام لا تنصر من أطاعها، ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾، قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم بكسر أو نحوه، ثم خاطب المؤمنين فقال:

﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، وإن تدعوهم إلى الهدى، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿لَا يَسْتَجِيبُكُمْ﴾، قرأ نافع بالتخفيف، وكذلك: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، في الشعراء وقرا الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان، يقال: تبعه تبعاً واتبعه اتباعاً. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتَهُمْ﴾، إلى الدين، ﴿أَمْ أَنتَ صَبِيحٌ مِّنْ يَّوْمِنٍ﴾، عن دعائهم لا يؤمنون؛ كما قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وقيل: معناه وإن تدعوهم إلى الهدى، يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿يَعْبُدُونَ أَشْئالَكُمُ﴾، يريد أنها مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مسخرون مذللون لما أريد منهم. قال مقاتل: قوله عبادة أمثالكم أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة. والأول أصح. ﴿فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم، هل يشيبونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة؟ ثم بين عجزهم فقال:

﴿أَلَهُمْ آجُلٌ يَّمْسُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ آيَاتٌ يَّبْطِشُونَ بِهَا﴾، قرأ أبو جعفر

بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرا الآخرون بكسر الطاء، ﴿أَمْ لَهُمْ آخِرٌ يَصِيرُونَ﴾ أي لهم آخرة ما إذا كانت يسمعون بها، أراد أن قلادة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضلون عليهم بالأرجل المشاية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، يا معشر

المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾، أنتم وهـم، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

﴿قُلْ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ الْكَوْكَبُ﴾، يعني القرآن، أي: إنه يتولاني ويتصرفني كما أيديني بإنزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً، فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عادهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾، يعني: يا محمد ﴿يُنظِرُونَ إِلَيْكَ﴾، يعني: الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه المقابلة، تقول العرب:

﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُونَ﴾، يعني: الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، يعني: الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر، إنما المراد منه المقابلة، تقول العرب:

داري تنظر إلى دارك، أي: تقابلها، وقيل: ﴿وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾، أي: كأنهم ينظرون إليك؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ [الحج: ٢]، أي: كأنهم سُكاري هذا قول المفسرين. وقال الحسن: ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، يعني: المشركين لا يسمعون ولا يعقلوا ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم.

﴿قُلْ تَعَالَى﴾، قوله تعالى: ﴿حُذِ الْعَفْوَ﴾، قال عبد الله بن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار. والعفو: المساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: (ما هذا؟

قال: لا أدري حتى أسأله، ثم رجع فقال: إن ريك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك». وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعني خذ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: ﴿وَتَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُبَيِّنُ قُلُوبَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضة. قوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾، أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمْرٌ بالعرف يعني بلا إله إلا الله. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، أي: جهل وأصحابه، نسختها آية السيف. وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: ﴿وَلِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَنْهَلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وذلك سلام المتاركة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

أخبرنا عبد الواحد بن عبد الصمد الجرجاني ثنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح». ثنا أبو الفضل زياد بن محمد

الحنفي ثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ ثنا عمار بن محمد البغدادي ثنا أحمد بن سعيد الحافظ ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن إبراهيم يعني الكوفي ثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّعَّةَ بَعْثَنِي لِتَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَمَامِ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ».

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾، أي: يصيبك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة.

وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية: ﴿خُذِ الْقَوْلَ﴾، قال النبي ﷺ: «كيف يارب والغضب»، فنزل: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ﴾، أي: استجِر بالله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ الْبَرُّ الْتَّقَى﴾، يعني المؤمنين، ﴿إِذَا مَنَّكَمُ مَلَكٌ مِّنَ السَّيِّئِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: ﴿طيف﴾، وقرأ الآخرون ﴿طائف﴾ بالمد والهمز وهما لغتان كالميت والمائت، ومعناها: الشيء يلم بك. وفرق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيْف: اللمة والوسوسة. وقيل: الطائف ما يطوف بك من وسوسة الشيطان، والطيْف: اللمم والمس. ﴿تَذَكَّرُوا﴾، عرفوا، قال سعيد بن

جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ. وقال مجاهد: الرجل يهَمُّ بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿وَإِذَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾، أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير. قال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزغ عن مخالفة الله.

قوله: ﴿وَلِيُخَوِّدَهُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ﴾، يعني: إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدّم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿فِي الْفِتَنِ﴾، أي: يطلبون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزيدونهم في الضلالة. وقرأ أهل المدينة: ﴿يُمدُّوهم﴾ بضم الياء وكسر الميم من الإمداد، والآخرون بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد. ﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾، أي: لا يكفون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عمّا يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قال يقصرون عن الضلالة ولا يبصرونها، بخلاف ما قال المؤمنين: تذكروا إذا هم مبصرون.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمُ بَأَيُّ﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَتْ آيَاتُنَا﴾، هلا اقتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون

النبي ﷺ الآيات تعنتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنبِئْتُمْهَا؟﴾ أي: هلاً أحدثتها وأنشأتها من عندك؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّمَا أَنبِئُ مَا يُوحَىٰ لِي مِن رَّبِّي﴾، ثم قال: ﴿هَذَا﴾، يعني: القرآن ﴿بَصَائِرَ﴾، حجج وبيان وبرهان؟ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، وأحدثتها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهندي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٢٠٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة.

رؤي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن.

وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. روى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القرآن في الصلاة. وقال سعيد بن جبير وعطاء

ومجاهد: إن الآية في الخطبة، أمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة. وقال سعيد بن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام. وقال عمر بن عبد العزيز: الإنصات لقول كل واعظ. والأول أولاها، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة. واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأضم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت».

واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر. رؤي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي. وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة ولا يقرأ إذا جهر. يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد، وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر، يروى ذلك عن جابر، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، وتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية، ومن أوجبها قال

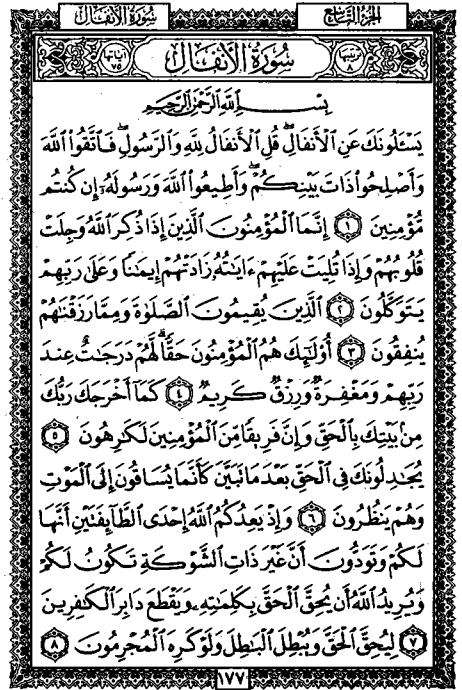
الآية في غير الفتحة وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولا ينازع الإمام في القراءة، والدليل عليه ما:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي ثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا هناد، ثنا عبيدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق عن مكحول، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

صلى النبي ﷺ الصبح فشقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال: «إني أراءكم تقرؤون وراء إمامكم؟» قال: قلنا: يا رسول الله إني والله، قال: «لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها».

﴿٢٠٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، قال ابن عباس: يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سراً في نفسه، ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إلي وتخاف مني هذا في صلاة السر. وقوله: ﴿وَرُؤُوفَةً الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهراً شديداً بل في خفض وسكون، تُسمع من خلفك. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت والصياح بالدعاء، ﴿وَالْقُدُّوْا وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ﴾، أي: والبكر والعشيات، واحد أصال: أصيل، مثل يمين وأيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

﴿٢٠٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾،



الرَّيْثَانِي ثَنَا حَمِيدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ عَنِ مَعْدَانَ قَالَ: سَأَلْتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ.»
[والله سبحانه أعلم بالصواب].



سورة الأنفال

مدنية وهي خمس وسبعون آية. قيل: إلا سبع آيات من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٣٠ - ٣٧]، إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية.

قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذَا وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَمَنْ أَسْرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا»، فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال الأشياخ: كُنَّا دِرْعًا لَكُمْ وَلَوْ أَنهزمتهم

لأنحزمت إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، وقام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يا رسول الله إنك وعدت أن من قتل قتيلاً فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا وأنا قد قتلنا منهم سبعين وأسرونا منهم سبعين، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله يا رسول الله ما منعنا أن نطلب ما يطلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جن عن العدو، ولكن كرهنا أن تعرى مصافك فيعطف عليه خيل من المشركين فيصيبوك، فأعرض عنهما رسول الله ﷺ. فقال سعيد: يا رسول الله إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك، فإن تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لك ولا لأصحابك كبير شيء، فنزلت: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.

وقال ابن إسحاق: أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا قد كان رسول الله ﷺ نفل كل امرئ ما أصاب، [وقال الذين يقاتلون العدو: لولا نحن ما أصبتموه]، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ: لقد رأينا أن نقتل العدو وأن نأخذ المتاع ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كرهة العدو، فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا.

وروي مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا

يعني الملائكة المقربين بالفضل والكرامة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، لا يتكبرون، ﴿عَنْ عِبَادِيهِ وَيَسْتَوْفُونَ﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله، ﴿وَلَوْ يَسْجُدُونَ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنبأنا أحمد بن الحسن الخيري أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا يعلى بن عبيد عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ بِبَيْكِي، فيقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار.»

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار

فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسّمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء - يقول على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص بن أمية، وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكثيفة، فأعجبني فجتت به إلى النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال: «ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض»، فطرحته ورجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذت سلاحه، وقلت: عسى أن يعطى هذا السيف من لم يبيل ببلاتي، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول ﷺ وقد أنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية. فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال: «يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذّه فهو لك».

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المغنمات لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء، وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب.

وقيل: هو سؤال طلب، قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، أي: من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة، أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها نفل، وأصله الزيادة، يقال نفلتك وأنفلتت أي زدتك. سُميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر.

وقال عطاء: هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، يُقسّمانها كما شاءا واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَالرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله عز وجل بالخمس. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله، وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة

والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ﴾، خافت وقرت قلوبهم. وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه. ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْكُمْ إِيمَانًا﴾، تصديقاً و يقيناً. وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادةً ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائط وشرائع وحدوداً وسُنناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي: يُفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يعني يقيناً. قال ابن عباس: بزؤوا من الكفر. وقال مقاتل: حقاً لا شك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه.

وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل

الحسن فقال: مؤمن أنت؟ فقال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والبعث والحساب، فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، فلا أدري أمهم أنا لا أم؟

وقال علقمة: كنا في سفر فلقينا قوماً فقلنا: من القوم؟ قالوا: نحن المؤمنون حقاً، فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا، قال: فما ردتم عليهم؟ قلنا: لم نرد عليهم شيئاً، قال: أفلا قلت من أهل الجنة أنتم؟ إن المؤمنين أهل الجنة.

وقال سفيان الثوري: من زعم أنه مؤمن حقاً عند الله، ثم لم يشهد أنه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف.

﴿لَمْ دَرَجَتْكُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل درجتين خَضْرُ الفرس المَضْمُر سبعين خريفاً. ﴿وَمَقْرُونَ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن يعني ما أعد الله لهم في الجنة.

﴿قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، قال المبرد: تقديره الأنفال لله والرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره: امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا

كما أمضيت لأمر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون. وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم. وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه. وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿لَمْ دَرَجَتْكُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، تقديره: وعُدَّ الله الدرجات لهم حقاً ينجزه الله عز وجل كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امض على الذي أخرجك ربك. قال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازاً والذي أخرجك، لأن ما في موضع الذي، وجوابه ﴿يَجِدِلُونَكَ﴾، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك. وقيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة. والأكثر على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج من بيتك إلى المدينة بالحق، قيل: بالوحي لطلب المشركين، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، منهم، ﴿لَكَرِهُونَ﴾.

قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحاق والسدي: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش في أربعين راكباً من كفار قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري، وفيها تجارة كثيرة، وهي اللطيمة، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه إليه وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فحفت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

﴿يَجِدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾، أي: في القتال، ﴿مَعْدَمًا بَيْنَ﴾، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نُغْلَمْنَا أنا نلقى

العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك ما تصنع إلا ما أمرك الله، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لشدة كراهيتهم القتال، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

﴿قوله تعالى: ﴿وَرَادَ يُؤَدِّكُمْ اللَّهُ بِحُكْمِ آيَاتِهِ﴾﴾

قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن إسحاق والسدي: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش في أربعين راكباً من كفار قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري، وفيها تجارة كثيرة، وهي اللطيمة، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه إليه وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدد، وقال: هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فحفت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤياً أفزعته فبعث إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤياً أفزعتهني وخشيت أن يدخل علي قومك منها شرٌ ومصيبة، فآتكنم علي ما أحدثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت وتطايرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فُلقة، فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا رأيت! فآتكنمها ولا تذكرها لأحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان له صديقاً فذكرها له واستكنمه إناها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، قال: فلما فرغت من

طوافي أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبئة فيكم؟ قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأيت [أحكك] عاتكة؟ قلت: وما رأيت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نسائكم؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث فسنترى بكم هذه الثلاث، فإن يك ما قالت حقاً فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيئاً نكتب عليكم كتاباً إنكم أكذب أهل بيت في العرب، فقال العباس: والله ما كان مني إليه كبير إلا أنني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، ثم تفرقتنا فلما أمسيت لم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أفررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء [بالوقية] وأنت تسمع، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت والله قد فعلت ما كان مني إليه من كبير، وإيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيئك، قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيت فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله؟ أكل هذا فرقاً مني أن أشاتم، قال: فإذا هو قد سمع ما لم

أسمع: صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الرادي واقفاً على بعيره [وقدا]، جدد أنف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمداً في أصحابه، ولا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً فلم يتخلف من أشرف قريش أحد إلا أن أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث، فقالوا: نخشى أن يأتوننا من خلفنا فكاد ذلك أن يثنيهم. فتبذى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم وكان من أشرف بني بكر، وقال: أنا جار لكم من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان حتى إذا بلغ وادياً يقال له ذُبران، فأتاه الخبر عن مسيرة قريش ليمنعوا غيرهم فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى عبد الله بن أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً، وكانت العير أحب إليهم.

فاستشار النبي ﷺ أصحابه في

رسول الله ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ أَنْ يُبَدِّلُوا بَدَلَهُمْ مِنْ يَدَيْهِمْ يَدَدًا مَوْجُودَةً﴾، أي: الفريقين إحداهما أبو سفيان مع العير والأخرى أبو جهل مع النضير، ﴿وَوَدَّوُنَا﴾، أي: تريدون ﴿أَنَّ نَعْرِزَ ذَاتَ الْكُوفَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال: السلاح. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾، أي: يُظهِرَهُ وَيُعْلِيهِ، ﴿يَكْفُرِينَ﴾، بامرهم إياكم بالقتال. وقيل: بعداته التي سقت من إظهاره الدين وإعزازة، ﴿وَيَقَطُّعُ دَائِرَ الْكُفْرِينَ﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني: كفار العرب.

﴿لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾، ليشبث الإسلام، ﴿وَيَبْطِلَ الْبَطْلَ﴾، أي: يفني الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

﴿إِذْ تَسْتَيْقِنُونَ رَيْبَكُمْ﴾، تستجيبون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر.

وَرُوِيَ عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فدخل العريش هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستقبل القبلة ومدَّ يده فجعل يهتف بربِّه عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ﴾، فما

ذماننا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فإنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق

وأعطيناك على ذلك عهداً ومواثيق على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبرٌ عند الحرب صدق في اللقاء، ولعلَّ الله تعالى يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فسير بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

قال ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده على الأرض ها هنا وههنا، قال: فما ماط أحدٌ عن موضع يد

إِذْ تَسْتَيْقِنُونَ رَيْبَكُمْ فَاتَّسَبَّابَ لَكُمْ فِي مَيْدَانِكُمْ بِأَنفِ مِنَ الْمَلِكِ كَوْمَرٍ وَبَنِي ١ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلَطْمَإٍ يَوْمَ قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ إِذْ يَغْشَىٰ كُفْرًا مَنَافِقَهُ وَنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلَا يُرِيبُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيَشْبِثُ بِهِ الْأَقْدَامَ ٣ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلِكِ كَوْمَرٍ أَنِ امْكُمُتُمْ فَيَتَوَلَّى الَّذِينَ آمَنُوا سَأَتْلُو فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ٤ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ شَأْوَأُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَرَأَى الْكُفْرِينَ عَذَابَ النَّارِ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الْكُفْرَانَ كَفُرُوا رِيحًا فَلَا تُلَاقُواهُمْ بِالْأَعْنَاقِ ٧ وَمَنْ يُؤَلِّم بِهِ سُوَيْدٌ ذُرِّيَّتَهُ لِأَمْحُرَ فَأَلْقِ بِهَا لِقَالِ أَوْمَحَّتْ بِهَا الْإِنْفُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِغَضَبِ رَبِّكَ وَاللَّهُ وَوَاوَاهُ جَهَنَّمَ رُبُّسَ الْمَيْمُونِ ٨

طلب العير وحرب النضير، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لينا أراك الله فنحن معك، فوالله ما نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا كَاهِنَاتٌ﴾، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في

بشروهم بالنصر، وكان المَلَكُ يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أيشروا فإن الله ناصرُكم. ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي، ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو متصل بقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ أَمْتَأُوا﴾، وقوله: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قال عكرمة: يعني الرووس لأنها فوق الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق، وفوق صلة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَفَخْتَ الْبَنِينَ كَفَرُوا فَفَرَّبَ أَرْقَابَهُ﴾ [محمد: ٤]، وقيل: معناه فاضربوا على الأعناق. فوق بمعنى: على. ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين. قال ابن الأثيري: ما كانت الملائكة تعلم كيف تُقتل الآدميون فعلمهم الله عزَّ وجلَّ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل هو سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس قال:

بينما رجل من المسلمين يومئذ يشدد في أثر رجل من المشركين

أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حَيَزُوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فحزَّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشقَّ وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «صدقتَ ذلك من مددِ السماء الثالثة». فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وزوي عن أبي داود المازني وكان شهد بدرأ قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتلته غيري.

وزوي أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال عكرمة: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتُم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدوَّ الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كَبَّته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزاً وكنتُ رجلاً ضعيفاً وكنتُ أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة إذ أقبل الفاسق أبو

لهب يجزَّ رجله حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: إليَّ يا ابن أخي فعندك الخير، فجلس إليه والناس قيام عليه، قال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وإني والله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرجع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثارته فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك عليَّ يضريني، وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجةً منكرة، وقالت: تستضعفه إن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

وروي مقسم عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرت العباس؟ قال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل

ذلك ولا بعده، هيئتُه كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم».

﴿١٣﴾ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا اللَّهَ، خَالَفُوا اللَّهَ، وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَفَرَ اللَّهُ شَرِيحُ الْيُقَاقِبِ.**

﴿١٤﴾ **ذَلِكُمْ، أَي: هَذَا الْعَذَابُ وَالضَّرْبُ الَّذِي عَجَلْتَهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِبَدْرٍ، فَذَرُّوهُ، عَاجِلاً، وَأَنْتَ الْكُفْرَيْنِ، أَي: وَاعْلَمُوا وَأَيُّتُوا أَنْ لِلْكَافِرِينَ أَجْلاً فِي الْمَعَادِ، وَعَذَابُ النَّارِ.**

روى عكرمة عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر: عليك بالعبير ليس دونها شيء، فناداه العباس وهو أسير في وثاقه: لا يصلح لك، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ؟» قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك وما وعدك.

﴿١٥﴾ **قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَتْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحَقًا»، أَي: مَجْتَمِعِينَ مِتْرَاحَتَيْنِ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالتَّرَاحِفِ: التَّدَانِي فِي الْقِتَالِ: وَالرَّحْفِ مَصْدَرٌ وَلِذَلِكَ لَمْ يَجْمَعْ؛ كَقَوْلِهِمْ: قَوْمٌ عَدِلٌ وَرَضًا. قَالَ اللَّيْثُ: الرَّحْفُ جَمَاعَةٌ يَزْحَفُونَ إِلَى عَدُوِّ لَهُمْ بِمِرَّةٍ، فَهِيَ [الرَّحْفُ وَ] الْجَمْعُ الرَّحُوفُ. «فَلَا تُولَوْهُمُ الْأَذْبَانِ»، يَقُولُ: فَلَا تُولَوْهُمُ ظُهُورَكُمْ، أَي: لَا تَنْهَضُوا فَإِنَّ الْمَنْهَزِمَ يُولِي ذُبْرَهُ.**

﴿١٦﴾ **«وَمَنْ يُولِهِمْ يُوزِعْهُمُ اللَّهُ»، ظَهْرُهُ، «إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ»، أَي: مُنْعَطِفًا يَرِي مِنْ نَفْسِهِ الْإِنْهَازَ، وَقَصْدُهُ طَلَبُ الْغَزَّةِ وَهُوَ يَرِيدُ الْكُرَّةَ، «أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَى فِتْنَةٍ»، أَي: مَنْضَمًا صَائِرًا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَرِيدُ**

العود إلى القتال. ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون إلى القتال، فمن ولي ظهره لا على هذه النية لحقه الرعيد؛ كما قال تعالى: «فَقَدْ بَكَتْ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكَ الْكُفْرَيْنِ وَالْمَأْوَدَةَ جَهَنَّمَ وَنَسِيَ الْكُفَيْرِ»، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم

يكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبي ﷺ، ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض، فيكون الفار متحيزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك. وقال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله النار لمن فرّ يوم بدر، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: «إِنَّمَا أَسْتَرْكُهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ» [آل عمران: ١٥٥]، ثم كان يوم حنين بعده فقال: «يَوْمَ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» [التوبة: ٢٥]، «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اللَّهَ مِنْ بَدْوٍ ذَلِكَ عَفَا مِنْ يَشَاقِقُ» [التوبة: ٢٧].

وقال عبد الله بن عمر: كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا، فقلنا: يا رسول الله نحن الفزاريون، قال: «بل أنتم الكزازون، أنا فئة المسلمين».

وقال محمد بن سيرين: لما قُتل

﴿١٧﴾ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَاسْتَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِمَا وَأَنَّ اللَّهَ مُؤْتِي كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدْرَجُوا كَمْ الْكَفْرُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهَوْجُرْ كُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنُقَهُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَاهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ الَّذِينَ لَا يَحْقِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ سَرِيعٌ حَسْبُورٌ ﴿٢٤﴾ وَأَنْقَرُوا فِتْنَةَ الْأَعْصِيَةِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾**

أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إلي كنت له فئة فانا فئة كل مسلم. وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولي منهزماً. جاء في الحديث: «من الكبائر الفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ».

وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: «الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» [الأنفال: ٦٦]، فليس لقوم أن يفزوا من مثلهم فنسخت تلك إلا في هذه العدة، وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفزوا ويولوا ظهورهم إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولوا ظهورهم وينحازوا عنهم. قال ابن عباس: من فرّ من ثلاثة فلم يفر، ومن فرّ من اثنين فقد فرّ.

﴿١٧﴾ **قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ»**

وَلِكَيْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ، قال مجاهد: سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلُ فلاناً ويقول الآخر مثله، فنزلت هذه الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرتهم إياكم وتقويته لكم. وقيل: ولكن الله قتلهم بإمداد الملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

قال أهل التفسير والمغازي: ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعيد، فاتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال لهما: «أين قريش؟» قالوا: هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكئيب: العقنقل، فقال رسول الله ﷺ: «كم القوم؟» قالوا: كثير، قال: «ما عدتكم؟» قالوا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالوا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسع مائة إلى الألف»، ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشرف قريش؟» قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختری ابن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف، ونبیه ومُنْبَه ابنا الحجاج وسُهَيْل بن عمرو، فقال رسول الله ﷺ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»، فلما أقبلت

قريش ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكئيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي قال لهم: «هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاذك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني»، فاتاه جبريل عليه السلام وقال له: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفاً من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم، وقال: «شاهت الوجوه»، فلم يبق منهم مشرك إلا ودخل في عينيه وفمه ومنخره منها شيء، فانهزموا ورذقتهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم.

وقال قتادة وابن زيد: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفاً من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء. وقيل: معنى [الآية] وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ. وقيل: وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا، ﴿وَأَيْسَرُ الْتَوْبَةِ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا﴾، أي: ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَدَعَائِكُمْ﴾، ﴿عَلِيمٌ﴾ بتاتكم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت من

القتل والرمي والبلاء الحسن، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، قيل: فيه إضمار، أي: واعلموا أن الله ﴿مُوهِنٌ﴾، مضعف، ﴿كَيْدُ الْكٰفِرِينَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة: «موهن» بالتشديد والتنوين، ﴿كَيْدٌ﴾ نصب، وقرأ الآخرون [موهن] بالتخفيف والتنوين إلا حفصاً، فإنه يضيفه ولا ينون ويخفف ﴿كَيْدٌ﴾.

﴿قوله تعالى:﴾ ﴿إِنْ نَسْتَفِيحُوا فَفَدِّ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - قال يوم بدر لما التقى الناس: اللهم أتنا أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأجته الغداة، فكان هو المستفتح على نفسه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم [ثنا إبراهيم] بن سعد عن أبيه عن جده قال:

قال عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكانني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ فقال: عاهدت اللّه عزّ وجلّ إن رأيت أن أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، فما سرتني أني بين رجلين بمكانهما فأشرت لهما إليه فشدّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفرأ.

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرْ لَنَا مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟»، قال: فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قتلتموه.

[قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر قال: قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة أمر بأبي جهل بن هشام أن يلمس في القتلى، فقال: «اللهم لا يعجزنك»، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة أظنت قدمه بنصف ساقه، قال: وضرني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما أدتني جعلت عليها قلمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق، فمر عبد الله بن مسعود، قال عبد الله بن مسعود: وجدته بأخر رمق ففرفته فوضعت رجلي على عنقه، ثم قلت: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني أعمد من رجل قتلتموه، فأخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

وُروى عن ابن مسعود أنه قال: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا زُويعي الغنم مرتقاً صعباً، ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا رأس [عدو الله] أبي جهل، فقال: «الله الذي لا إله غيره؟» قلت: نعم والذي لا إله غيره، ثم ألقيته بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله عز وجل. وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين أفضل الدينين، ففيه نزلت: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر.

وقال عكرمة: قال المشركون: والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم القضاء.

وقال أبي بن كعب: هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى للمسلمين: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن [أحمد] ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا الفضل بن موسى ثنا إسماعيل بن [أبي] خالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال:

شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، [وقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تدعو الله [لنا،] ألا تستنصر الله [لنا]، فجلس محمراً لونه أو وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم يؤخذ بالرجل فيحفر له في الأرض ثم ليجاء بالمشمار فيجعل فوق رأسه، ثم يجعل بفرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ولكنكم تعجلون».

قوله: ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾، يقول الله للكفار: إن تنهوا عن الكفر بالله وقاتل نبيه ﷺ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾، لحربه وقتاله، ﴿فَعَدُّ﴾ بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر.

وقيل: وإن تعودوا إلى الدعاء والاستفتاح نعد للفتح لمحمد ﷺ، ﴿وَإِنْ تَقَىٰ عَنَّا فَتَقَىٰ عَنَّا﴾، جماعتكم، ﴿وَتَقَىٰ رَأَىٰ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك ﴿وَإِنْ تَقَىٰ عَنَّا فَتَقَىٰ عَنَّا﴾، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾، وقرأ الآخرون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الألف على الابتداء.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾، أي: لا تعرضوا عنه،

القوم لما دُفوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقبل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الله الخوف أمناً والحين جُزأةً وشجاعة. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فيجزئكم بأعمالكم.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «يا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قالوا: يا رسول الله آمناً بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «القلوب بين أصبعين من أصابع الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

﴿وَأَقْبُوا فِتْنَةً﴾، اختباراً وبلاء ﴿لَا تُبْسِينَ﴾، قوله: ﴿لَا تُبْسِينَ﴾ ليس بجزء محض، ولو كان جزاءً لم تدخل فيه النون، لكنه نفي، وفيه طرف من الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ آدْخُلُوهَا مِنْكُمْ لَا يُحِيطُكُمْ سَيْمِنٌ وَحُورٌ﴾ [النمل: ١٨]، وتقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحتك، فهو جواب الأمر بلفظ النفي، معناه: إن تنزل لا تطرحك. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم قال الحسن: نزلت في علي وعمر وطلحة والزبير رضي الله

أجيبوهما بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾، الرسول ﷺ، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، أي: إلى ما يحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق. وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل. وقال الفتيبي: بل الشهادة، قال الله تعالى في الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وروي أن النبي ﷺ مر على أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي فدعاه فعجل أبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «ما منعك أن تجيبي إذ دعوتك؟» قال: كنت في الصلاة، قال: «اليس يقول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» [فقال: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبت وإن كنت مصلياً].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان. وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية. وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه. وقيل: هو أن

﴿وَأَنَّهُ سَمِعُونَ﴾، القرآن ومواعظه. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي: يقولون بالسنتهم سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون، أي: لا يتعظون ولا يتفكرون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾، أي: شر من دب على وجه الأرض من خلق الله، ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَلَمُّ الْبُكْمِ﴾، عن الحق فلا يسمعون ولا يقولونه، ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أمر الله عز وجل ستمهم ﴿الدَّوَابِّ﴾ لقلّة انتفاعهم بعقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْفِثِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن ضمُّ بكم عمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللّواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، بعد أن علم في غيبه أن لا خير فيهم ما انتفموا بذلك، ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُرْسِرُونَ﴾، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال [لهم] الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ كلام قصي بعد إحيائه لهم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُرْسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، يقول:

سورة الأنفال

وَأَذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ قَاتِلٌ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا
 أَن يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوْنَكُمْ وَيَأْتِيَكُم بِصِرَةٍ وَعَدْوَةٍ
 مِّنَ الظُّلُمَاتِ لِمَ لَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَحْزَنُوا وَاللَّهُ وَالرَّسُولُ وَخَوَّوْا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَتَنَةٌ مِنَ اللَّهِ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَقَفُوا
 اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِيَتَشَتَّتُوا مِنْ أَرْضِكُمْ وَلا يَمْكُرُونَ وَبِمَكَرِ
 اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
 قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلْنَا مِنْ هَذَا آتٍ هَذَا الْآ
 سِطِرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا إِيْدَابَ الْإِبْرَةِ ﴿٣٢﴾ وَمَا كُنَّا اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٨

والماشي فيها خير من
 الساعي، من تشرف لها
 تستشرفه، فمن وجد ملجأ
 أو معاذاً فليعد به.

قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْكُمْ حَاسَةً﴾،
 يعني: العذاب، ﴿وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله تعالى:
 ﴿وَأَذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ
 مِّنْهُمْ قَاتِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾،
 يقول: اذكروا يا معشر
 المهاجرين إذ أنتم قليل في
 العدد مستضعفون في
 أرض مكة في ابتداء
 الإسلام، ﴿تَخَافُونَ أَنَّ

عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه
 الآية زماناً وما أروانا من أهلها فإذا
 نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم
 الجمل. وقال السدي ومقاتل
 والضحاك وقتادة: هذا في قوم
 مخصوصين من أصحاب
 رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم
 الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله
 عز وجل المؤمنين أن لا يقرروا
 المنكر بين أظهرهم فيعتهم الله
 بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي
 توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا
 محمد بن يعقوب الكسائي أنا
 عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن
 عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن
 المبارك عن سيف بن أبي سليمان
 قال: سمعت عدي بن عدي الكندي
 يقول: حدثني مولاي لنا أنه سمع
 جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ
 يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ
 الْخَاصَّةِ حَتَّى يَزُورُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ
 ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ
 يُنْكِرُوهُ فَلَا يَنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ
 عَذَبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ».

وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق
 الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
 المليحي أنا أحمد بن عبد الله
 النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا
 محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا
 شعيب عن الزهري أخبرني أبو
 سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
 قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ
 فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ،
 وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي،

يَخْطِفُكُمُ النَّاسُ﴾، يذهب بكم
 الناس، يعني: كفار العرب. وقال
 عكرمة: كفار مكة. وقال وهب:
 فارس والروم، ﴿فَأَوْنَكُمْ﴾، إلى
 المدينة، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ بِصِرَةٍ﴾، أي:
 قواكم يوم بدر بالأنصار. [وقال
 الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة]،
 ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني:
 الغنائم التي أحلها لكم ولم يحلها
 لأحد قبلكم، ﴿لِمَ لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا
 وَاللَّهُ وَالرَّسُولُ﴾، قال السدي: كانوا
 يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ
 فيفشونه، حتى يبلغ المشركين.

وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية
 في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر
 الأنصاري من بني عوف بن مالك،
 وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود
 قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا
 رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح

عليه إخوانهم من بني النضير على أن
 يسبزو إلى إخوانهم إلى أذرع
 وأريحاء من أرض الشام، فأبى
 رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك إلا أن
 ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا
 وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن
 عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم لأن
 ماله وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه
 رسول الله ﷺ فاتاهم، فقالوا له:
 يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم
 سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى
 حلقة أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو
 لبابة: والله ما زالت قلماي عن
 مكانها حتى عرفت أنني قد خنت الله
 ورسوله، ثم إنطلق على وجهه، ولم
 يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على
 سارية من سواري المسجد، وقال:
 والله لا أبرح ولا أذوق طعاماً ولا
 شراباً، حتى أموت أو يتوب الله علي،
 فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال:

«أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل فإنني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه»، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى خثر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله، فقال النبي ﷺ: «يجزيك الثلث أن تصدّق به»، فنزلت فيه ﴿لَا تَحْنُوتُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، ﴿وَتَحْنُوتُوا أَمْنَتِكُمْ﴾، أي: ولا تخونوا أماناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْلُمُونَ﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة.

قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم. وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله العباد عليها. قال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله عز وجل ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

﴿٢٨﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ بِكُمْ وَأَوْلَدَتْكُمْ فِسَنَةٌ﴾، قيل: هذا أيضاً في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفاً عليهم. وقيل: هذا في جميع الناس.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي إملاءً وأبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي قالوا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني أنا محمد بن محمد بن رزمويه حدثنا يحيى بن محمد بن غالب حدثنا [يحيى] بن يحيى حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة.

أن النبي ﷺ أتى بصبي فقبله، وقال: «أما إنهم مَبْخَلَةٌ مَجْبِيَةٌ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، لمن نصح الله ورسوله وأدى أمانته.

﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ﴾، بطاعته وترك معصيته، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، قال مجاهد: مخرجاً في الدنيا والآخرة. وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً في الدين من الشبهات. وقال عكرمة: نجاة أي يفرّق بينكم وبين ما تخافون. وقال الضحاك: بياناً. وقال ابن إسحاق: فصلاً بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم، ويطفىء باطل من خالفكم. والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يمح عنكم ما سلف من ذنوبكم، ﴿وَيُفَيِّرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، هذه الآية معطوفة على قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتَ قَلِيلٌ﴾، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا وإذا قالوا اللهم، لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة،

ولكن الله ذكرهم بالمدينة؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير: أن قريشاً فرّقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفارق أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وأبو البختری بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وأمیه بن خلف، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ، فلما رآه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، قالوا: ادخل فدخل، فقال أبو البختری: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة، تلقون إليه طعامه وشرابه وتترتصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه، كما هلك من كان قبله من الشعراء؛ قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال: بشس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فيوشك أن يشبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم، قالوا: صدق الشيخ النجدي.

فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه، فقال إبليس لعنه الله: ما هذا لكم برأي، تعمدون عليه، تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليزهبن وليستميل قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ النجدي. فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره إنني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وبأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديتته، فقال إبليس: صدق هذا الفتى، وهو أجودكم رأياً، القول ما قال لا أرى رأياً غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له.

فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، فأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له: «تسبح ببردتي هذه، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه».

ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَسْتَفْهِمِمْ أَغْتَالًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يس: ٩]، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف علياً بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، ويات المشركون يحرسون علياً في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقترضوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابهِ نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، ليجسوك ويسجنوك ويوثقوك، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾. قال الضحاك: يصنعون ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير بالحق، وقيل: يجازيهم جزاء المكر، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿فَقَدْ سَمِعْنَا أَوْ كُنَّا نَسْمَعُ لَقَلْنَا يَنْفُلْ هَذَا﴾، وذلك أنه كان يختلف تاجراً إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديث العجم ويمرّ باليهود والنصارى، فيراهم يركعون ويسجدون ويقروون التوراة

والإنجيل، ويركعون ويسجدون فجاه مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلّي ويقرأ القرآن، فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماؤهم وما سطر الأولون في كتبهم. والأساطير: جمع أسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم: سطرت أي كتبت.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار، قال ابن عباس: لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين، فقال له عثمان بن مظعون رضي الله عنه: أتق الله فإن محمداً يقول الحق، قال: فأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمداً يقول لا إله إلا الله، قال: وأنا أقول لا إله إلا الله، ولكن هذه بنات الله، يعني الأصنام، ثم قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك، ﴿الْحَقُّ﴾ نصب بخبر كان، وهو عماد صلبة، ﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّمَاءِ﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أَوْ أَثْنَيْنَا بِمَدَابِئِ الْيَمْرِ﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: ﴿سَأَلْنَا سَأَلًا بِمَدَابِئِ الْيَمْرِ﴾ [المعارج: ١]، وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية، فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر.

قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة [صبراً]

رضي الله تعالى عنهما: لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر. فقال: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾، فعذبهم الله يوم بدر.

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كان فيكم أمانان: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع إلى المشركين، وذلك أنهم كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك غفرانك.

وقال يزيد بن رومان: قالت قريش: [اللهم] إن كان هذا هو الحق من عندك فأطر علينا حجارة من السماء، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وقال قتادة والسدي: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون، ولو أنهم أقرؤوا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين، وقيل: هذا يدعوهم إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة، كالرجل يقول لغيره: لا أعاقبك وأنت تطيعني، دعاء حتى لا أعاقبك. وقال مجاهد وعكرمة: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي: يسلمون.

معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمة ونبيها فيها، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ يذكر جهالتهم وغررتهم واستفاحتهم على أنفسهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأُطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، وقالوا:

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال ردا عليهم: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْأَخْرُونَ: هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل إخباراً عن نفسه: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ﴾.

واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاك وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم. قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، خرج من بين أظهرهم وبقيت فيها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم خرج أولئك من بينهم فعدبوا وأذن الله لهم في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم الله. قال ابن عباس

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿يَمِيزُ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُصْفِرْ لَهُمْ مَالَهُمْ سَلَفًا وَإِنْ عَمِدُوا فَقَدْ مُضَتَّ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿وَقَدْ بَدَّلْنَا حَقَّ لَاتِكُورٍ فَتَنَةً وَيَبْكَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَاثَرٌ أَنْتَهُمْ أَقْلَابُ اللَّهِ يَمَا يَمْشُرُونَ بَصِيرَةً﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُمْ فَهُمْ آلَمُومُونَ وَيَضَعُ اللَّهُ النَّصِيرَ﴾ ﴿٣٩﴾

من قريش: طعيمة بن عدي وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث.

وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي ثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأطر علينا حجارة من السماء أو اثنتا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، اختلفوا في

رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البخترى ابن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

وقال الحكم بن عتيبة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية. قال الله تعالى: ﴿نَسِيفُوا نَهَا تَكْرُتْ عَلَيْهِنَّ حَسْرَةً﴾ يريد ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، ﴿ثُمَّ يَتَلَوْنَ﴾ ولا يظنّفرون، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ مَجْزُوتٌ﴾ خص الكفار لأن منهم من أسلم.

﴿٣٧﴾ ﴿يَلْبِزُ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾، [قسي سبيل الشيطان]، ﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾، يعني: الكافر من المؤمن فيترول المؤمن الجنان والكافر النيران. وقال الكلبي: العمل الخبيث، من العمل الصالح الطيب، فيثبت على الأعمال الصالحة الجتة، وعلى الأعمال الخبيثة النار. وقيل: يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله. ﴿وَيَصَدُّ الْخَبِيثَ بِبَعْضِهِ﴾، أي: فسوق بعضه، ﴿فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا﴾، أي: يجمعه.

ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنم ﴿أَوْلَيْتَكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾، رده إلى قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَيْتَكَ كَفَرُوا يُؤْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾... أَوْلَيْتَكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ الذين خسرت

له صفير، كأنه قال: الأصوات مكاء، والتصدية: التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون. وقال مجاهد: كان نفر من بني عبد الدار يُعارضون النبي ﷺ في الطواف ويستهبزون به، ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون. فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق. والتصدية: الصفير، ومنه الصدا الذي يسمعه المصوت في الجبل.

قال جعفر بن ربيعة: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾، فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيراً. وقال مقاتل: كان النبي ﷺ إذا صلى في المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران، ورجلان عن يساره فيصنفقان ليخلطوا على النبي ﷺ صلواته، وهم من بني عبد الدار.

قال سعيد بن جبير: التصدية صدمهم المؤمنين عن المسجد [الحرام] وعن الدين والصلاة، وهي على هذا التأويل التصددة بدالين، فقلت إحدى الدالين ياء كما يقال: تظنيت من الظن، وتقضى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم أمروا بالصلاة في المسجد الحرام، فعملوا ذلك صلواتهم، ﴿فَدَوَّرُوا الْمَذَابَ يَمَا كَثُرَتْ تَكْرُوتٌ﴾.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: ليصرفوا عن دين الله. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر

يقول: لو أسلموا لما عذبوا. وروى الوالبي عن ابن عباس: وفيهم من سبق له من الله أنه يسلم ويؤمن ويستغفر، وذلك مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم. وروى عبد الوهاب عن مجاهد ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي: وفي أصابعهم من يستغفر.

﴿٣٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾، أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت. وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾، أي: بالسيف. وقيل: أراد بالاول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة. وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، قال الحسن: كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، أي: أولياء البيت، ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ﴾، أي: أولياء البيت، ﴿إِلَّا الْمَشْرُكُونَ﴾، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز

الْتَيْبِيلِ، وقال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم الله فيصرف إلى الكعبة. والأول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي

رحمه الله، وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح. وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف. قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، أراد أن سهماً من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ. واختلفوا فيهم فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة. وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم. وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما:

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أننا عبد العزيز أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبنو المطلب، ولم يعط

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، عن الإيمان وعادوا إلى قتال أهله، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾، ناصركم ومعينكم، ﴿وَيَسْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِسْمَ النَّبِيِّ﴾، أي: الناصر.

قوله تعالى: ﴿وَاطْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ الآية، الغنيمة والفيء اسمان لمال يصيبه المسلمون من أموال الكفار، فذهب جماعة إلى أنهما واحد. وذهب قوم

أنهما يختلفان، فالغنيمة ما أصابه المسلمون منهم غنوةً بقتال، والفيء: ما كان عن صلح بغير قتال، فذكر الله عز وجل في هذه الآية حكم الغنيمة، فقال: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ وَاللَّسُولِ﴾، فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: ﴿اللَّهُ﴾ افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهماً من الغنيمة لله منفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل، وهو قول الحسن وقاتدة وإبراهيم والشعبي، قالوا: سهم الله وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس لمن قاتل عليها، وخمس لخمس أصناف؛ كما ذكر الله عز وجل: ﴿وَاللَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالرَّبِيعِ﴾

﴿وَأَطْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ وَاللَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالرَّبِيعِ﴾، إن كثرة ما نسّم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم النقي الجمعان والله على كل شيء قدير ﴿٣٨﴾ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والربيب أسفل منكم ولولا أن عددة لاختلفت في ألبعض ولا لكان ليقضى الله أمراكا كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسيح عليه ﴿٣٩﴾ إذ نريكم الله في منامك قليلاً ولوأرسلهم كثيراً لقتيلهم ولندرت في الأمر ولكن الله سمع إثمهم عليهم بذات الصدور ﴿٤٠﴾ وإذ يريكمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويؤلفكم في أعينهم ليقضى الله أمراكا مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴿٤١﴾ يتأبها الأرباب ما منوا إذا لقيت فئة فأتبوا وأذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴿٤٢﴾

تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة.

﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا عَنْ شُرْكِكُمْ سَلَافٌ، أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿وَلَنْ يُؤْمِنُوا فَكَيْفَ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾، في نصر الله أنبياءه وأوليائه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيد يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

﴿٣٩﴾ وَفَلَوْلَوْهُمْ حَقٌّ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ، أي: شرك، [و] قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ﴾، أي: ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه، ﴿فَلِإِنْ أَنْتَهُوا﴾، عن الكفر، ﴿فَلِإِنْ أَنْتَهُوا﴾، أي: كما يمتلئون بصيرتكم، قرأ يعقوب «تعملون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء.

منه أحداً من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أنا مطرف بن مازن عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:

لما قسم رسول الله ﷺ ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيتهم أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا أو منعتنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين أصابعه».

واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي. وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس، وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف يتامى والمساكين وابن السبيل. وقال بعضهم: يُعطى للفقراء منهم دون الأغنياء. والكتاب والسنة يدلان على ثبوته، والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفضل فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله، فألحقه

الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطى القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهماً واحداً.

قوله: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس وهو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيراً، و﴿وَالسَّكِينِ﴾ هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، و﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر البعيد عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة، للفراس منهم ثلاثة أسهم وللزَّاجِل سهم واحد، لِمَا:

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله بن يوسف أنا أبو سعيد بن الأعرابي ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم، سهماً له وسهمين لفرسه.

وهذا قول أكثر أهل العلم، وإليه ذهب الثوري، والأوزاعي، ومالك، وابن المبارك، والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفراس سهمان وللراجل سهم واحد، ويُرضخ للبعيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم، وبين أن يجعله وقفاً على

المصالح. وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول. ومن قتل مشركاً في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة. لِمَا رُوِيَ عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه». والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راحته، ويجوز للإمام أن ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاد يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ويجعلهم أسوة الجماعة في سائر الغنيمة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش.

ورُوِيَ عن حبيب بن مسلمة الفهري قال: شهدت النبي ﷺ نفل الربيع في البدأة والثلث في الرجعة.

واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟ فقال قوم: من خمس الخمس، سهم النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي. وهذا معنى قول النبي ﷺ: «مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم».

وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهم

الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق. وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقتال. وأما الفئء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤذونه ومال الجزية، وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء.

ومال الفئء كان خالصاً لرسول الله ﷺ في حياته. قال عمر رضي الله عنه: إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفئء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَقِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل.

واختلف أهل العلم في مصرف الفئء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان، أحدهما: للمقاتلة الذين أثبتت أساميهم في ديوان الجهاد، لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منهم كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلف أهل العلم في تخميس الفئء، فذهب الشافعي إلى أنه يخمس خمسة لأهل الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح. وذهب

الأكثر إلى أن الفئء لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبري، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفئء حق، إلا ما ملكت أيماكم.

وأخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسْكِينُ﴾ حتى بلغ: ﴿عَلَيْهِمْ حِكْمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، فقال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةٌ﴾ حتى بلغ: ﴿وَأَنْبِئِ السَّيْلِ﴾، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٧]، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، فلئن عشت، فليأتين الراعي وهو يسزو جَمِيرٍ نصيبه منها، لم يعرق فيها جيبه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ

بِاللَّهِ﴾، قيل: أراد ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، يأمر فيه بما يريد، فأقبلوه إن كنتم آمنتم بالله، ﴿وَمَا أَرْزَأْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾، أي: إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله: ﴿مَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿يَوْمَ الْأَفْرَاقِ﴾، يعني: يوم بدر، فزق الله فيه بين الحق والباطل وهو ﴿يَوْمَ النَّفْيِ الْجَمْعَانِ﴾، حُزِبَ اللهُ وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، على نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

﴿إِذْ أَنتَهُ﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿وَالْمُؤَدَّةِ الْأُذُنِ﴾، أي: بشفير الوادي الأذني إلى المدينة، والدنيا: تأنيت الأذني، ﴿وَهُمْ﴾، يعني عدوكم من المشركين، ﴿وَالْمُؤَدَّةِ الْقُصُورِ﴾، بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصورى تأنيت الأقصى. قرأ ابن كثير وأهل البصرة «بالعدوة» بكسر العين فيهما والباقون بضمها، وهما لغتان كالكسوة والكسوة والرشوة والرشوة. ﴿وَالرَّكْبِ﴾، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، ﴿اسْتَفَلَّ مِنْكُمْ﴾، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾، لقلتكم وكشرة عدوكم،

﴿وَلِكُلِّ﴾ الله جمعكم على غير ميعاد، ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أي: ليموت من يموت على بيينة وآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه. ﴿وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، ويعيش من يعيش على بيينة لرعده: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال محمد بن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان. وقال قتادة: ليضل من ضل عن بيينة، ويهتدي من اهتدى على بيينة. قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب ﴿حَيِّ﴾ بيائين مثل «خشي»، وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة، لأنه مكتوب بياء واحدة. ﴿وَلِكُلِّ اللَّهُ سَبِيحٌ﴾، لدعائكم، ﴿عَلِيمٌ﴾، بيناتكم.

﴿١٦﴾ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ﴾، يريك يا محمد المشركين، ﴿فِي مَنَامِكَ﴾، أي: في نومك. وقال الحسن: في منامك أي في عينك، لأن العين موضع النوم. ﴿فَلَيَلًا وَوَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَيْسَلْتُمْ﴾، لجنبتكم ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾، أي: في الإحجام والإقدام، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾، أي: سلمكم من المخالفة والفسل، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. قال ابن عباس: علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل:

﴿١٦﴾ ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ﴾ التَّيَمُّنَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما التقوا ببلر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قتلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أترأهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً.

﴿وَقَالُوا كَذِبًا﴾، يا معشر

المؤمنين ﴿فِي أَعْيُنِهِمْ﴾، قال السدي: قال ناس من المشركين إن العير قد انصرفت فارجعوا، فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فلا تقتلوهم، واربطوهم بالحبال. يقوله من القدرة التي في نفسه.

قال الكلبي: استقل بعضهم بعضاً ليجتروا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾ من إعلاء الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله، ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ كائناً، ﴿وَرَأَى اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ﴾.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهَا الذِّبَابُ مَأْمُوتًا إِذَا لَيَمَسَّهُ نَفَاةٌ﴾، أي: جماعة

﴿١٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفْسَسُوا وَذَهَبُ رَيْحًا وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِعَاةَ النَّاسِ وَمَضُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْتَمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٨﴾ وَإِذْ ذُرِّيَّتُهُ لَهَا الشَّيْطَانُ أَعْيَانَهُمْ وَقَالَ لَغَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقَوْمَانِ تَكَهَّنَ عَلَىٰ عَيْشِيهِ وَقَالَ إِنِّي بِبَرِّيٍّ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩﴾ إِذْ يَسْكُرُونَ الْمُنْتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُمْ وَبَدَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَاتَّكِلْ اللَّهُ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلِيكَهٗ يَضْرِبُونَ رُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّابٌ مَّا لَمْ يَرْعُوتْ وَالَّذِينَ مِنْ قَلْبِهِمْ كُفْرًا وَإِلَّا يَدْعُو اللَّهَ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾

كافرة ﴿فَاتَّبَعُوا﴾، لقتالهم، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي: ادعوا الله بالنصرة والظفر بهم، ﴿أَلْمَلِكُمْ لَقِيلُونَ﴾، أي: كونوا على رجاء الفلاح.

﴿٢١﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا﴾، لا تختلفوا، ﴿فَلْيَسْلُوا﴾، أي: تجسبوا وتضعفوا، ﴿وَتَذَهَبَ رَيْحًا﴾، قال مجاهد: نُصرتكم. وقال السدي: جراءتكم وجدكم. وقال مقاتل بن حيان: حذتكم. وقال النضر بن شميل: قوتكم. وقال الأخفش: دولتكم. والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. قال قتادة وابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو. ومنه قول النبي ﷺ:

«نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَاهْلَكْتُ عَاذَ بِالدَّبُورِ». وعن النعمان بن مقرن قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر.

قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى فقرأته. أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «يا أيها الناس لا تتموا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم».

﴿٤٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾، فخرأ وأشرأ، ﴿وَرِيقَةَ النَّاسِ﴾، قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليري وإبطان القبيح، ﴿وَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَمْلِكُونَ خَبِيرٌ﴾. نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغية

وفخرأ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُجَادِلُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ»، اللهم فنصرك الذي وعدتني»، قالوا: لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم فقد نجأها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، وكان بدر موسمأ من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام، فنقيم بها ثلاثأ فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فهي الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ.

﴿٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ السَّلَاطِينُ أَمْتَلَهُمْ﴾، وكان تزيينه أن قريشأ لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يشنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته فتبذى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ آلِ نَارٍ وَإِنْ جَاءَ لَكُمْ﴾، أي: مجير لكم من كنانة، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانَ﴾، أي: التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة نزلوا من السماء وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾، قال الضحاك: ولئى مدبرأ. وقال النضر بن شميل: رجع

الفهقرى على قفاه هارياً.

قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه أخذأ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبه، فقال له الحارث: أفرأ من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق هارياً وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فقالوا: أما أتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان.

وقال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، قال: رأى إبليس جبريل معترجأ يبرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس، ما ركب بعد.

وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك.

وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعزف حاله فلا يطيعوه. وقيل: معناه إني أخاف الله، أي: أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مَعْرًا نَمَةً أَمَّهَا عَلَي قَوْمِي حَيٌّ مَيِّتًا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ كَذَّابٌ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
يَذُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ أَطْلَعْنَاهُمْ ﴿٥٨﴾
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّمَا تَشَفَعْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ دُوبِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُم لَعْنَهُمْ يَذُكُرُونَ ﴿٦١﴾ وَإِنَّا نَخَافُكَ مِنْ
قَوْمٍ خِسَالَةٌ فَآيْدُوا لِيَهُمْ عَلَى سَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ لَيُحِبُّ الْمُقَابِلِينَ
﴿٦٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَّوْا أَنْفُسَهُمْ لَا يَعْزُرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِن جُنُودًا
لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبُوا قَوْلَ اللَّهِ الْعَبْرَةَ هُوَ السَّبِيحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

١٨٤

يفعل بأعدائه ما يشاء،
﴿حِكْمَةٌ﴾ لا يسوّي بين
وليه وعدوه.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يسا
محمد، ﴿إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ
كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُخُونَ﴾،
أي: يقبضون أرواحهم.
اختلفوا فيه، قيل: هذا عند
الموت تضرب الملائكة
وجوه الكفار [وأدبارهم]
بسياط النار. وقيل: أراد
الذين قتلوا من المشركين
ببدر كانت الملائكة
يضربون، ﴿وَجُوهَهُمْ
وَأَذْيَرَهُمْ﴾، قال سعيد بن
جبير ومجاهد: يريد

شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام
عند قوله أخاف الله، ثم يقول الله:
والله شديد العقاب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا
زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق
الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك
عن إبراهيم بن أبي عليّة، عن
طلحة بن عبد الله بن كُرَيْزٍ أن
رسول الله ﷺ قال: «ما رُؤِيَ
الشیطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحرَّ
ولا أحرَقَ ولا أغيظ منه يوم عرفة،
وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة
وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا
ما كان من يوم بدر»، فقيل: وما
رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه قد رأى
جبريل عليه السلام وهو يزغ
الملائكة»، هذا حديث مرسل.

﴿إِذْ يَكْفُرُ﴾ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُرُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾،
شك ونفاق، ﴿عَزَّ هُوَ لَاءَ دِينُهُمْ﴾،
يعني: غرّ المؤمنين دينهم، هؤلاء
قوم كانوا مستضعفين بمكة قد
أسلموا، وحبسهم أقرباؤهم من
الهجرة، فلما خرجت قريش إلى
بدر، أخرجوهم كرهاً، فلما نظروا
إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا،
وقالوا: غرّ هؤلاء دينهم، قتلوا
جميعاً منهم قيس بن الوليد بن
المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن
المغيرة المخزوميان، والحارث بن
زمنة بن الأسود بن المطلب،
وعلي بن أمية بن خلف الجمحي،
والعاص بن منبه بن الحجاج.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّكِفْ عَلَى
اللَّهِ﴾، أي: ومن يسلم أمره إلى الله
ويشق به، ﴿فَأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾، قوي

الذي وقع بكم، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ﴾، أي: بما كسبت أيديكم،
﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ أَتِيًّا﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾،
كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم،
معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم
كعادة آل فرعون. قال ابن عباس:
هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى
نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء
جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه،
فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بال
فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي:
﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
يَذُوبُهُمْ﴾، إن الله قوي شديد العقاب.

﴿٥٨﴾ ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مَعْرًا
نَمَةً أَمَّهَا عَلَي قَوْمِي حَيٌّ مَيِّتًا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أراد أن الله تعالى لا يغير
بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا
فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم

استاهم ولكن الله حيي يكتفي. قال
ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا
بوجوههم إلى المسلمين ضربت
الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا
ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا
أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما
أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون
أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي
القتل. ﴿وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾،
أي: وتقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب
الحريق. وقيل: كان مع الملائكة
مقامع من حديد يضربون بها الكفار،
فتلتهب النار في جراحاتهم، فذلك
قوله تعالى: ﴿وَدُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ﴾. وقال الحسن: هذا يوم
القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا
عذاب الحريق. وقال ابن عباس
رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك
بعد الموت.

﴿٥٩﴾ ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الضرب

النعمة. وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الأنصار، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٤﴾ كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ، كصنيع آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ﴾، من كفار الأمم، ﴿كَذِبًا﴾، يَأْتِيهِمْ رَبُّهُمْ فَأَهْلِكُهُمْ يَذُوبُهُمْ، أهلكنا بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالمسخ، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف، لما كذبوا بآيات ربهم، ﴿وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاثِبٍ ظَالِمٍ﴾، يعني: الأولين والآخرين.

﴿٥٥﴾ إِنَّ مَرَّةَ الذُّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ، يعني: عاهدتهم، وقيل: عاهدت بعضهم. وقيل: أدخل ﴿من﴾ لأن معناه أخذت منهم العهد، ﴿ثُمَّ يَفْتُتُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، وهم بنو قريظة، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد ومالؤوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة،

فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَنقَضْتَنَّهُمْ، تَجِدْتَهُمْ، ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم بالحرب وأسرتهم، ﴿فَشَرَّةٌ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾، قال ابن عباس: فنكّل بهم من ورائهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه: فزق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاؤوا لحربك فعلاً من القتل والتنكيل، يَفْرُقُ مِنْكَ وَيَخَافُكَ مِّنْ خَلْفِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالسُّيَمَنِ، ﴿لَمَّا هَمَّ بِذِكْرِكَ﴾، يتذكرون ويتعظون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ، أي: تعلمن يا محمد، ﴿مِن قَوْمٍ﴾، معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾، نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والتضير، ﴿فَأَيُّذُ لِيَّهِمْ﴾، فاطرح لهم عهدهم، ﴿عَلَّ سَوَاءٌ﴾، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي، أنا أبو سليمان الخطابي أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة التمار، ثنا أبو

داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا حفص بن عمر النمري ثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم بن عامر رجل من جُمَيْر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدراً، فنظر فإذا هو عمرو بن عيسى، فأرسل إليها معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عَقْدَهُ وَلَا يَحْلُلُهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدَهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ عَلَى سِوَاهَا»، فرجع معاوية رضي الله عنه.

﴿٥٩﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمة وحفص ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿سَبَقُوا﴾، أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، فمن قرأ بالياء يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنفُسَهُمْ سَابِقِينَ فَائِثِينَ مِنْ عَذَابِنَا، وَمَنْ قرأ بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾، بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتونني. وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

﴿٦٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ﴾، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر

أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». وبهذا الإسناد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهم».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا عبد الرحمن بن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: «إذا أكتبوكم فليكنم بالنبل».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح السلمي قال: حاصرنا مع النبي ﷺ الطائف فسمعت النبي ﷺ يقول: «من بلغ بسهم في سبيل الله

فهو له درجة في الجنة»، قال: فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر الجهني. عن النبي ﷺ قال: «إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة صناعه، والمميد به، والرامي به في سبيل الله».

وروي عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومثبته فازموا وازكبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميته بقوسه وتأديته الحق. ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنه نعمة تركها، أو قال كفرها».

قوله: «وَمَنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ»، يعني: ربطها واقتنائها للجزو. وقال عكرمة: القوة الحصون من رباط الخيل الإناث. وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث، لقلة صهيلها. وعن أبي محيرز قال: كان الصحابة رضي الله

عندهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم ثنا زكريا عن عامر، ثنا عروة البارقي. أن النبي ﷺ قال: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنى».

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن حفص ثنا ابن المبارك ثنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَبَسَ فِرْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شَبَعَهُ وَرَيْهَ، وَرَوْثَهُ، وَيُولَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيال ثلاثة لرجل أجز، ولرجل ستر وهي لرجل ورز، فأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرجح أو الروضة كانت له حسنة، ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها

حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَنْتَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ ، قال سعيد بن جبيرة: أسلم مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نساء، ثم أسلم عمر بن الخطاب فتَمَّ به الأربعون، فنزلت هذه الآية. واختلفوا في محل «من»، فقال أكثر المفسرين محلّه خفض، عطفاً على الكاف في قوله: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، [معناه: حسبك الله] وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفاً على اسم الله معناه: حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين.

﴿٦٢﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾، أي: حثهم على القتال. ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ﴾، رجلاً **مَسِيرُونَ**، محتسبون، ﴿يَقِيلُوا وَيَأْتِينَ﴾، من عدوهم ويقهروهم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾، صابرة محتسبة، ﴿يَقِيلُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذلك **﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾**، أي: لأن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقتهم القتال، خشية أن يقتلوا، وهذا خبر بمعنى الأمر، وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فحُفَّ الله عنهم، فنزل:

﴿٦٣﴾ ﴿أَلَنْ حَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، أي: ضعفاً في الواحد عن قتال العشرة وفي المائة عن قتال الألف، [وقرأ أبو جعفر: «ضعفاء» بفتح العين والمد على الجمع، وقرأ الآخرون بسكون

ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن.

﴿وَمَا تَنْقُرُوا مِنْ ثَمَرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفٌ لَكُمْ مِنْهُ يَوْمَ تَقُومُوا لِلْحَمَلِ عَلَيْهِمْ﴾، يوف لكم أجره، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، لا تنقص أجوركم.

﴿٦٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾، أي: مالوا إلى الصلح، ﴿فَأَجْتَحِمْ لَهُمْ﴾،

أي: ميل إليها وصالحهم. روي عن قتادة والحسن: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ! إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾، يغدروا ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني: بني قريظة، ﴿فَأَنَّكَ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾، كافيك الله، ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: بالانصار.

﴿٦٦﴾ ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: بين الأوس والخزرج، كانت بينهم إحن وثارات في الجاهلية فصيرهم الله إخواناً بعد أن كانوا أعداء، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئَرٍ قُلُوبَهُمْ وَلَوْ كُنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْتٍ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ غَيْرُ حَكِيمَةٍ﴾.

﴿٦٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئَرٍ قُلُوبَهُمْ وَلَوْ كُنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْتٍ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ غَيْرُ حَكِيمَةٍ ﴿٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِرُونَ يَقِيلُوا وَمِائَتِينَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَقِيلُوا وَالْأَلْفُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٨﴾ أَلَنْ حَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَقِيلُوا وَمِائَتِينَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَقِيلُوا وَالْأَلْفُ مِنَ الَّذِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٩﴾ مَا كَلَّ لَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْشِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ النَّبِيِّنَ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَيْرُ بِرَحِيمٍ ﴿٧٠﴾ لَوْلَا كُنَّا مِنَ الَّذِينَ آتَيْنَا لِمَسْكُومٍ فِيمَا أَهَدْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٧١﴾ فَكَلُوبُوا مَا كُنَّا اللَّهُ سَبِقَ لَكُلِّ طَيْبٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٢﴾

وأروائها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، فهي له أجر، وأما التي له ستر فرجل يربطها تغنياً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي هي له وزر فرجل يربطها فخراً ورياءً ونواة لأهل الإسلام، فهي على ذلك وزر. وسئل رسول الله ﷺ عن الحُمْرِ فقال: «ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفادة»: ﴿فَمَنْ يَمَسَّ مِنْهَا شَيْئًا كَفَرَ بِاللَّهِ مَا جَاءَهُ مِنْ شَيْءٍ يَكْفُرُ بِهِ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

﴿٧٣﴾ ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾، تُخَوِّفُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَهَدَّوْكُمْ وَمَا خَيْرٌ، أي: وترهبون آخرين، ﴿وَمَنْ دُونَهُمْ لَا يَسْلَمُونَ مِنْ اللَّهِ يَلْعَنُهُمْ﴾، قال مجاهد

العين]، ﴿إِن يَكُنْ يَنْتَكُم مَّائَةٌ صَارَةً يَغْلِبُوا بِأَتْنَيْنِ﴾، من الكفار، ﴿وَإِن يَكُنْ يَنْتَكُم أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فردّ من العشرة إلى الاثنين، فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفتروا. وقال سفيان: قال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا. قرأ أهل الكوفة: ﴿وَإِن يَكُنْ يَنْتَكُم مَّائَةٌ﴾، بالياء فيهما، وافق أهل البصرة في الأول والباقيون بالياء فيهما، ثم قرأ عاصم وحمزة: «ضعفاً» بفتح الضاد ههنا وفي سورة الروم، والباقيون بضمها.

﴿٧﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا كَان لِيَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: «تكون» بالياء والباقيون بالياء، وقرأ أبو جعفر: «أسارى»، والآخرون: «أسرى».

وروى الأعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم تضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال عبد الله بن

رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال له العباس: قطعت رحمك، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه، ثم دخل: فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: فمن تبعتني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم». [ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى حيث قال: ﴿إِن تَتَّبِعْتُم مَّيْمَنِي سَأُتِّبُكُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَإِن تَتَّبِعْتُم شِمَائِلِي سَأُتِّبُكُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾]، ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ الْكَافِرِينَ رَبَّنَا﴾] [انسوح: ٢٦]، ومثلك يا عبد الله بن رواحة مثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا أَطِيسُ عَلَى أَمْرِيهِمْ وَأَشْدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية [يونس: ٨٨]، ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق»، قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن بيضاء».

قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ﷺ ما

قال أبو بكر ولم يهر ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبيكان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تبكيت لبكائك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابيهم أدنى من هذه الشجرة» - لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ -، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَان لِيَنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْرِيَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿تَكُونُ مِمَّا عَشِمْتُمْ حَتَّىٰ تَبْتِئُوا﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]. فأحل الله الغنيمة لهم بقوله: ﴿أَشْرَى﴾ جمع أسير مثل قتلى وقتيل.

قوله: ﴿حَتَّى يَشْرِيَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يبالغ في المشركين وأسره، ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصرهم دين الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: ﴿وَمَا مَثَا بَدُّ وَإِنَّمَا فَتْنَةٌ﴾، فجعل الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شأوا أعتقوهم وإن شأوا قتلوهم، وإن شأوا

الغنائم لأحد من قبلنا، وذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا.

﴿٧١﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيُّدِكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: «من الأسارى» بالألف والباقون: بلا ألف.

نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان أسرى يوم بدر، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر وكان يوم نوبته، وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى، وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا، أفلا أتركه لك»، وكلف فداء بني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «أين الذهب الذي دفعته أم الفضل وقت خروجك من مكة فقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني بنيه، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربي عز وجل»، قال العباس: أشهد أنك صادق! وأن لا إله إلا الله وإنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ

وَأَصَابِكُمْ، ﴿وَمَا أَخَذْتُمْ﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن إسحاق: لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو

نزل عذاب من السماء عذاب ما نجا منهم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ».

﴿٧٢﴾ فقال الله تعالى: ﴿كَلِمَاتٌ مِّنَّا عَمَّتْكُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ عَزُورٌ رَّحِيمٌ﴾، روي أنه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء، فنزل: ﴿كَلِمَاتٌ مِّنَّا عَمَّتْكُمْ﴾ الآية.

وروي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمى، ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن همام ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تحل

يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيُّدِكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيُعْزِلَكُمْ وَاللَّهُ عَزُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيفَتَنَا فَقَدْ حَاوُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِن الَّذِينَ آمَنُوا هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مَنعٌ شَيْءٌ حَتَّىٰ يهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ لَّا تَعْمَلُونَ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

استبعدوهم، وإن شأوا فادوهم وإن شأوا اعتقوهم.

﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كَتَبْتُ مِنَ اللَّهِ سَبِقًا﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئاً من الغنائم جعلوه للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتاكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كَتَبْتُ مِنَ اللَّهِ سَبِقًا﴾، يعني: لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يواخذ قوماً فعلوا أشياء بجهالة ﴿مَسْكُومًا﴾، لنالكم

لَنْ فِي أَيُّكُمْ مِنْ الْأَنْسَرِيِّ،
الذين أخذتم منهم الفداء ﴿إِنْ يَسْلَمْ
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ﴾، أي: إيماناً،
﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾، من
الفداء، ﴿وَيَقْرَأْ لَكُمْ﴾، ذنوبكم
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال العباس
رضي الله عنه: فأبدلني الله عنها
عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال
كثير، وأدانهم يضرب بعشرين ألف
درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني
زميزم، وما أحب أن لي بها جميع
أموال مكة، وأنا أنتظر للمغفرة من
ربي عز وجل.

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا
بِيحْيَاتِكُمْ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ
خَاتَمَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾،
ببدر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن
جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن
كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل،
فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى
قتلهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم
إن عادوا إلى قتال المؤمنين
ومعاداتهم.

﴿٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾، أي: هجروا
قومهم وديارهم، يعني المهاجرين
من مكة، ﴿وَوَجَّهُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
رسول الله ﷺ والمهاجرين معه،
أي: أسكنوهم منازلهم،
﴿وَوَصَّوْنَا﴾، أي: ونصروهم على
أعدائهم وهم الأنصار رضي الله
عنهم، ﴿أُولَئِكَ بِمَعْزُومٍ أُولِيَّةٌ بَعْضُهُمْ
دُونَ أَقْرِبَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرَانِ﴾. قيل: في
العون والنصرة. وقال ابن عباس:

في الميراث وكانوا يتوارثون
بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار
يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان
من آمن ولم يهاجر لا يرث من
قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة
وانقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام
حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخاً
بقوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾
[الأحزاب: ٦]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَهِجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَدِيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾،
يعني: في الميراث، ﴿حَتَّىٰ
يَهِجِرُوا﴾، قرأ حمزة: ﴿وَلَا يَتَّهِمُ﴾
بكسر الواو والباقون بالفتح، وهما
واحد كالدلالة والدلالة: ﴿وَإِنْ
اسْتَصْرَفْتُمْ فِي الَّذِينَ﴾، أي: استصرم
المؤمنون الذين لم يهاجروا،
﴿فَمَالِكُمْ كَقَمَرٍ لَّا عَلَىٰ قَوْمٍ يَتَّبِعُكُمْ
وَيَسْتَفْتِيهِمْ﴾، عهد فلا تنصروهم
عليهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْزُومٍ أُولِيَّةٌ
بَعْضُهُمْ﴾، في العون والنصرة. وقال
ابن عباس: في الميراث، أي: يرث
المشركون بعضهم من بعض، ﴿إِلَّا
تَقَعَّلُوهُ تَكُنَّ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ﴾، قال
ابن عباس: ألا تأخذوا في الميراث
بما أمرتكم به. وقال ابن جريج: ألا
تعاونوا وتناصروا. وقال ابن
إسحاق: جعل الله المهاجرين
والأنصار أهل ولاية في الدين دون
من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم
أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا
تَقَعَّلُوهُ﴾، وهو أن يتولى المؤمن
الكافر دون المؤمن، ﴿تَكُنَّ فِتْنَةً

فِي الْأَرْضِ وَمَسَاءَ كَثِيرٌ﴾، فالفتنة
في الأرض قوة الكفر، والفساد
الكبير ضعف الإسلام.

﴿٧٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَوَصَّوْنَا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، لا
مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل:
حقوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل
المال في الدين، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ﴾، الجنة. فإن قيل: فأي
معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل:
المهاجرون كانوا على طبقات، فكان
بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم
الذين هاجروا قبل الحديدية،
وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم
الذين هاجروا بعد صلح الحديدية
قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا
هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى
المدينة، فالمراد من الآية الأولى
الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة
الثانية.

﴿٧٥﴾ قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ
وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾،
أي: معكم، يريد أنتم منهم وهم
منكم، ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بِبَعْضِهِمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة
ورث الميراث إلى ذوي الأرحام.
قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في
حكم الله عز وجل. وقيل: أراد
بكتاب الله القرآن، يعني: القسمة
التي بينها في سورة النساء، ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾.



سورة التوبة

قال مقاتل: هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة. قال سعيد بن جبيرة: قلت لابن عباس: ما تقول في سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل «ومنهم»، و«فيهم» حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: قل سورة بني النضير.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد [بن] إبراهيم الثعلبي، أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين الجرجاني أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنبأنا أحمد بن علي بن المشنى ثنا عبيد الله القواريري ثنا يزيد بن زريع

ثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، حدثني يزيد الفارسي حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور

ذوات العدد، فإذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال مما نزلت بالمدينة»، وكانت براءة من آخر ما نزل، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن ثم قرنتم بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعناها في السبع الطوال.

① قوله تعالى: «بِرَأَةِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشأة والدناءة.

قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرفضون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله

عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله عز وجل: «وَأَمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ» [الأنفال: ٥٨] الآية. قال الزجاج: براءة أي: قد برى الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، «إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ، وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاهدتهم، لأنه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك، فكانهم عاهدوا وعاهدوا.

② «فَيَسْبَحُوا فِي الْأَرْضِ»، رجع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم سبحوا أي سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين، «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُعْجِزِي اللَّهِ»، أي: غير فائتين ولا سابقين، «وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكُفْرِينَ»، أي: من ذلكم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ. فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله، فيقتل حيث يُدرك ويُؤسر، إلا أن يتوب، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم،

وذلك خمسون يوماً. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون. وقال الكلبي: إنما كانت الأربعة أشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر فأنتم له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده، بقوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَاهُمُ عَهْدَهُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [التوبة: ٤]. وقال الحسن: أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين، والبراءة منهم، وأجلهم أربعة أشهر، فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر، لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد، فكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر. وأحل دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الأجل. وقيل: نزلت هذه قبل تبوك.

قال محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما: نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخل بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها، وأعاتتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن

سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال:

لا هم إني ناشدُ محمداً
حلف أبينا وأبيه الأثلدا
فانصرتُ هداك الله نصرأ أبداً
وادعُ عبادَ الله يأتوك مدداً
أبيض مثل الشمس يسمو صعداً
إن سيم خسفاً وجهه تريندا
هم بيتونا بالهجير هجداً
وقتلونا ركعاً وسجداً
كنت لنا أباً وكثاً ولداً
ثمت أسلمنا ولم ننزع يداً
فيهم رسول الله قد تجردا
في فليقي كالبحر يجري مُزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تنجي أحداً
وهم أذل وأقل عدداً
فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرتُ
إن لم أنصركم»، وتجهز إلى مكة
سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة
تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج ثم
قال: إنه يحضر المشركون فيطوفون
عرا فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً
على الموسم ليقيم للناس الحج،
وبعث معه أربعين آية من صدر براءة
ليقرأها على أهل الموسم، ثم بعث
بعده علياً كرم الله وجهه، على ناقته
العضباء ليقراً على الناس صدر
براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى
وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة
رسوله ﷺ من كل مشرك، ولا
يطوف بالبيت عريان، فرجع أبو بكر
فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي
أنزل في شأنني شيء؟ قال: «لا
ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا
رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر

أنك كنت منعي في الغار وأنك
صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا
رسول الله، فسار أبو بكر رضي الله
عنه أميراً على الحج، وعلي
رضي الله عنه ليؤذن ببراءة، فلما كان
قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر
الناس وحذتهم عن مناسكهم، وأقام
للناس الحج، والعرب في تلك السنة
على منازلهم التي كانوا عليها في
الجاهلية من الحج، حتى إذا كان
يوم النحر قام علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه، فأذن في الناس
بالذي أمر به وقرأ عليهم سورة
براءة.

وقال زيد بن يثيع: سألتنا علياً:
بأي شيء بعثت في تلك الحجّة؟
قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت
عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ
عهد فهو إلى مذهبه، ومن لم يكن له
عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل
الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع
المشركون والمسلمون بعد عامهم
هذا. ثم حج النبي ﷺ سنة عشر
حجّة الوداع.

فلما قال قائل: كيف بعث
رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه
ثم عزله وبعث علياً رضي الله عنه؟
قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ
لم يعزل أبا بكر رضي الله عنه،
وكان هو الأمير وإنما بعث علياً
رضي الله عنه لينادي بهذه الآيات،
وكان السبب فيه أن العرب تعارفوا
فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن
لا يتولى ذلك إلا سيدهم، أو رجل
من رهطه، فبعث علياً رضي الله عنه
إزاحة للعلة لئلا يقولوا: هذا خلاف

ما نعرفه فَيَنَافِي نَقْضَ الْعَهْدِ، والدليل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الأمير ما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسحاق، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نوذّن بمعنى: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وقال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ علياً فأمره أن يؤذّن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذّن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

﴿وَأَذِّنْ﴾ عطف على قوله: ﴿بِرَأْيِهِ﴾، أي: إعلام. ومنه: الأذان بالصلاة، يقال: أذنته فأذّن أي: أعلمته فعلم، وأضله من الأذان أي أوقعته في أذنه، ﴿فَرَى اللَّهُ رَسُولَهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، واختلفوا في يوم الحج الأكبر، روى عكرمة عن ابن عباس: أنه يوم عرفة. وزوي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب. وقال جماعة: هو يوم الحج. روي عن يحيى بن الجزار قال: خرج عليّ رضي الله عنه يوم النحر على بغلة بيضاء، يريد الجبانة، فجاءه رجل فأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر،

فقال: يومك هذا، خلّ سبيلها. ويروى ذلك عن عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي. وروى ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها. وكان سفيان الثوري يقول: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بُعَاث، يُرَادُ بِهِ الْحَيْنَ وَالزَّمَانَ، لأن هذه الحروب دامت أياماً كثيرة. وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر الذي حجّ فيه رسول الله ﷺ، وهو قول ابن سيرين؛ لأنه اجتمع فيه حجّ المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشرّكين، ولم يجتمع قبله ولا بعده، واختلفوا في الحج الأكبر، فقال مجاهد: الحج الأكبر القرآن، والحج الأصغر أفراد الحج. وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر: الحج، والحج الأصغر: العمرة. قيل لها الأصغر لتقصان أعمالها. قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، أي: ورسوله أيضاً بريء من المشركين. وقرأ يعقوب [ورسوله] بنصب اللام، أي: إن الله ورسوله بريء، ﴿فَإِن تَبَيَّنَّ﴾ رجعتن من كفرتم وأخلصتم التوحيد، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن الإيمان، ﴿فَاعْلَمُوا أَنكُم عِزٌّ مُّعْجِزٌ اللَّهُ وَيَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَدَابِ أَيْدِيهِ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذا استثناء من قوله: ﴿بِرَأْيِهِ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة، حيّ من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدّتهم، وكان قد بقي من مدّتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَنَحْنُ بِعَهْدِهِمْ عَلَيْهِمْ غَالِظُونَ﴾، من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾، لم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من عدوّكم. وقرأ عطاء بن يسار: «لم ينقضوكم»، بالضاد المعجمة من نقض العهد، ﴿فَأَتَيْنَاهُمُ بِالْعَهْدِ﴾، فأوفوا لهم بعهدهم، ﴿إِنَّ مَدْيَنَ﴾، إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْلَخْنَا﴾، انقضى ومضى ﴿الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ﴾، قيل: هي الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهدُه أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوماً. وقيل لها «حُرْمٌ» لأن الله تعالى حرّم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم. فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم، والله تعالى يقول: ﴿إِذَا أَسْلَخْنَا الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ﴾؟ قيل: لما كان هذا القدر متصلاً بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ [مدة] الأشهر الحرم.

قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجِدْتُمْهُمْ فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ، فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ، وَتَدْوَاهُمْ، وَأَسْرُوهُمْ، وَأَكْهَرْتُمْ، أي: احبسوهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إن تحصنوا فاحصروهم، أي: امنعواهم من الخروج. وقيل: امنعواهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام.

﴿وَأَقْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾، أي: على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رسداً لتأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل: اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها، ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾،

يقول: دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُوفٌ﴾، لمن تاب، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم وقتلهم، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾، أي: استأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله، ﴿فَأَجِرْهُ﴾، فأعذه وأمنه، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ﴿ثُمَّ أَلْفِطْهُ مَأْمُتًا﴾، أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك ذلك فقلبت عليه فاقته، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا

يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

﴿قوله تعالى:﴾
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾، هذا على وجه التعجب، ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله، وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال جل وعلا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

أَحْرَارًا﴾، قال ابن عباس: هم قريش. وقال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾، أي: على العهد، ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن يلحقوا بأي بلاد الله شأوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر. قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم [من] قبائل بكر: بنو خزيمة بنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدليل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الدليل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة. وهذا القول

مكية

مكية

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ الْبَصِيرُ ﴿٦﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأَنَّى قُلُوبِهِمْ وَأَكْرَهُمْ فَسَيُفْسِقُونَ ﴿٧﴾ أَشْرَ وَأَبْرَأَيْتَ اللَّهُ فَتَكْفُرَ أَفِيْلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِمْ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَا تَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَدُونَ ﴿٩﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَخَلُّوا سَبِيلَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَفُضِّلَ الْإِسْلَامُ لِقَوْلِهِمْ وَعَلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ كَفَرُوا أَتَيْنَهُمْ مِنَ الْعَهْدِ عَهْدًا وَطَعْنُوهُمْ فِي رِيحِكُمْ فَفَتِنَا أَيْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا يَأْمَنُ لَهُمْ لَعْنُهُمْ بَنَتْهُنَّ الْآيَاتُ لِيُؤْتُوا قَوْلًا تَكْفُرُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدْعُكُمْ وَأُولَئِكَ سَوَاءٌ أَعْتَبْتُمْهُمْ فَلِلَّهِ الْحَقُّ أَنْ يُخْشِتَهُمْ وَإِنْ كَفَرُوا مَوَدَّةٌ ﴿١١﴾

١٨٨

أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، وإنما هم للذين قال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ كَمَا نَقَضْتُمْ قَرِيشَ، وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا كَمَا ظَاهَرَتْ قَرِيشُ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خِزَاعَةَ خَلْفَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّائِقِينَ﴾.

﴿قوله تعالى:﴾
﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظهروا عليكم، ﴿لَا يَرْقُبُوا عَلَيْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، قال الأخفش: كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم، أي: يظفروا بكم، لا يرقبوا: لا يحفظوا؟ وقال الضحاك: لا يتظروا. وقال قطرب:

لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة. وقال يمان: رحماً. وقال قتادة: الإل: الجلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة، إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإل هو الله عز وجل. وكان عبيد بن عمير يقرأ: «جبر إل» بالتشديد، يعني: «عبد الله» وفي الخبر أن ناساً قدموا على أبي بكر من قوم مسيلمة الكذاب، فاستقرهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرأوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من الله عز وجل. والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة: «لا يرقبون في المؤمن إيلاً» بالياء، يعني: الله عز وجل. مثل جبرائيل وميكائيل. «ولا ذمة»، أي: عهداً. «يرضونكم بأقربهم»، أي: يطيعونكم بألستهم خلاف ما في قلوبهم، «وإن قلوبهم فاسقون»، الإيمان، «وأكرمهم فاسقون»، فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون، فكيف قال: «وأكرمهم فاسقون»؟ قيل: أراد بالفسق نقض العهد، وكان في المشركين من وفى بعهده وأكثرهم نقضوا، فلهذا قال: «وأكرمهم فاسقون».

﴿أَشْرَرًا بِبَايَعَتِ اللَّهِ ثَمًّا بَيْلًا﴾، وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان. وقال مجاهد: أطعم أبو سفيان حلفاءه، «فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ»، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله. وقال ابن

عباس رضي الله عنه: وذلك أن أهل الطائف أمذومهم بالأموال ليقروهم على حرب رسول الله ﷺ، ﴿إِنَّمَا سَكَّةٌ بِشٍ مَا كَانُوا يَمْلُكُونَ﴾.

﴿لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، يقول: لا تُبَقِّعُوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يُبَقِّعُونَ عليكم لو ظهروا، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾، بنقض العهد.

﴿إِن كَانُوا مِنَ الشَّرْكِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَخْرَجُوا مِنَ الْيَمِينِ﴾، أي فهم إخوانكم، ﴿فِي أَلْيَمِينِ﴾، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿وَنَقَصُوا الْأَيْمَانَ﴾ نبتين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَمْلُكُونَ﴾، قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. قال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:

لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه بعده، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصمت مني

ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤذونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن عباس، ثنا ابن المهدي ثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سياه عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبِحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى كُفْرًا أَتَيْنَهُمْ﴾، نقضوا عهدهم، ﴿بَدَّ عَهْدِهِمْ﴾، عقدهم يعني مشركي قريش، ﴿وَوَلَّغُوا﴾، قذحوا ﴿فِي رِيضِكُمْ﴾، وعابوه. فهذا دليل على أن الذمة إذا طعن في دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد، ﴿فَقَتَلُوا أَهْمَةَ الْكُفْرِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: ﴿أَهْمَةَ﴾ بهمزتين حيث كان، وقرأ الباقون: بتلبيين الهمة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة. قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ

وَيُخَذُّهُمُ بِالْأَسْرِ وَالْقَهْرِ، وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ عَظْمُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْنَا نَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَأَنْ يَسْجُدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ رِجْةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْبُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَنَسِئَ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرُمِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَتَعْظَمُ دَرَجَةُ عِبَادِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٠﴾

وَيُخَذُّهُمُ ﴿١٤﴾، ويذلهم بالأسر والقهر، وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾، ويبريء داء قلوب قوم ﴿١٦﴾، مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد ضلور خراعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم، فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنسيء ﷺ وبالمؤمنين.

﴿١٥﴾ وَيُذْهِبُ عَظْمَ قُلُوبِهِمْ ﴿١٤﴾، كزبها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم، ثم قال مستانفاً: ﴿وَيُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ نَشَاءُ﴾، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

رُوي أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «ارفعوا السيف، إلا خراعة من بني بكر إلى العصر». قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾، قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل: للمؤمنين الذين شق عليهم القتال، فقال: أم حسبتم أن تُتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تُمنحوا ليظهر الصادق من الكاذب، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾، ولم ير الله ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ وَلَا يَسْجُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ رِجْةً، بطانة وأولياء

الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول. وقال مجاهد: هم أهل فارس والروم. وقال حذيفة بن اليمان: ما قوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَهُمْ﴾، أي: لا عهد لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ لَهُمْ﴾، بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾، أي: لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل: عن الكفر، ثم حض المسلمون على القتال.

﴿١٦﴾ فَقِيلُوا قَوْمًا تَكْفُرُوا أَيْمَنَهُمْ ﴿١٥﴾، نقضوا عهدهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على قتال خراعة. ﴿وَمَكْرُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، ﴿وَقَامَ بَدْوُهُمْ﴾، بالقتال، ﴿أُولَئِكَ مَكْرُؤٌ﴾، يعني: يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلّم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه. وقال جماعة من المفسرين: أراد أنهم بدأوا بقتال خراعة حلفاء رسول الله ﷺ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾، أن تخافونهم فتتركون قتالهم، ﴿فَأَلَّفَهُمْ﴾، أي: أن تخشوه، في ترك قتالهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٧﴾ فَقِيلُوا قَوْمًا تَكْفُرُوا أَيْمَنَهُمْ وَاللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، يقتلهم الله بأيديكم،

يُوالونهم ويُفشون إليهم أسرهم. وقال قتادة: وليجة خيابة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء. ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم [وليجة]، فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهم وليجتي للواحد والجمع، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٨﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْبُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أسر العباس يوم بدر عبره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرن مساوينا ولا تذكرن محاسنا؟ فقال له علي رضي الله

عنه: أنكم محاسن؟ فقال: نعم، إنا لَتَعْمُرُ المسجد الحرام ونحجُّبُ الكعبة ونُسقي الحاج، فانزل الله عز وجل رداً على العباس: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله، أوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمّر لعبادة الله وحده، فمن كان كافراً بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى أن المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومزمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل. وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والعمود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة: ﴿مسجد الله﴾ على التوحيد، وأراد به المسجد الحرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِكُرْبَةِ﴾ [التوبة: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقرأ الآخرون: ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالجمع، والمراد منه أيضاً المسجد الحرام. قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها. قال الفراء: ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول: أخذت في ركوب البراذين، ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدينانير؟

قوله تعالى: ﴿شَهِدِينَ عَلَٰهُمُ﴾، أراد وهم

شاهدون، فلما طرحت ﴿وهم﴾ نصبت، قال الحسن: لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطاً سجدوا لأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بُعداً. وقال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسأل من أنت؟ فيقول: أنا نصراني، واليهود يقول: أنا يهودي، ويقال للمشرك: ما دينك؟ فيقول: مشرك. قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، لأنها لغير الله عز وجل، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه: شاهدين على رسولهم بالكفر لأنه ما من بطن وإلا ولدته.

ثم قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَحْتَرُّ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية غيره، ﴿فَمَنْ أُوَلِّكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، «وعسى» من الله واجب، أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التي تؤدي إلى الجنة.

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي، ثنا أحمد بن الحسين الحيري، ثنا محمد بن

يعقوب، ثنا أحمد بن الفرغ الحجازي، ثنا بقية، ثنا أبو الحجاج المهدي، عن عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله قال: ﴿إِنَّمَا يَحْتَرُّ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله التميمي أنبأنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ عَدَا اللَّهُ نُزَلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كَلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه، فقال عثمان: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا كَهَيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ».

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان ثنا

علي بن الحسين الداريجري ثنا أبو عاصم بهذا الإسناد، وقال: «بني الله له بيتاً في الجنة».

قوله: ﴿أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي ثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان ثنا أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المعافري ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، ثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام عن أبي سلام ثنا النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمّر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قتلنا، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعل فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّحْمَةِ﴾، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، [و] لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، فأنزل الله

هذه الآية، وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما هم عليه.

وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي: نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبه، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أذري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾، و«سِقَايَةَ» مصدر كالرعاية والحماية. قوله: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِلرَّحْمَةِ كُنَّ مَأْمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فيه اختصار تقديره: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كإيمان من آمن بالله وجاهد من جاهد في سبيل الله؟ وقيل: السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر، وتقديره: أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ وهذا كقوله تعالى: ﴿وَالْمَقَرَّةُ لِلنَّفْرَةِ﴾ [طه: ١٣٢]، أي: للمتقين، يدل عليه قراءة عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، على جمع الساقى والعامر، ﴿كُنَّ مَأْمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبو أسامة، حدثنا يحيى بن مهلب، عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: اسقني، فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: اسقني، فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح»، ثم قال: «لولا [أن تغلبوا لتزلت حتى أضع] الحبل على هذه، وأشار إلى عاتقه».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن منهل الضرير، ثنا يزيد بن زريع، ثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه أعرابي فقال: ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ؟ أم من حاجة بكم؟ أم من بخل؟ فقال ابن عباس: الحمد لله ما بنا حاجة ولا بخل، قدم رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة بن زيد فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة، وقال: «أحسنتم وأجملتم

يُنَبِّئُهُمْ رَبُّهُمْ رَحْمَةً وَرِضْوَانًا وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا قِيَمَةً يَتْلُونَ فِيهَا آيَاتِ اللَّهِ عِنْدَهُ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَيَتَّبِعُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَتَقْوُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَتَقْوُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أَتَقْوُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ أَتَقْوُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٥﴾

ابن عباس قال: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون نشدك بالله أن لا تضعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن دين الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بطانة

وأصدقاء فتفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد، ﴿إِن اسْتَحَبُّوا﴾، اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَيَتَّبِعُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَيؤْثِرُ الْمَقَامَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤْلَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْهَجْرَةِ، ﴿إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ﴾، وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجاراتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، قرأ أبو

كذا فاصنعوا، فلا تزيد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ.

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا ذَٰلِكَ هُمُ الْفَضِيلَةُ﴾، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الذين افتحوا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، الناجون من النار،

﴿٢٢﴾ ﴿يُنَبِّئُهُمْ رَبُّهُمْ رَحْمَةً وَرِضْوَانًا وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا قِيَمَةً يَتْلُونَ فِيهَا آيَاتِ اللَّهِ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية]، قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها، نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن

بكر عن عاصم: ﴿وعشيرتكم﴾ بالالف على الجمع، والآخرون بلا ألف على التوحيد؛ لأن [جمع] العشيرة [عشائر] واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن أبا الحسن الأخفش قال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما نجعلها على العشائر. ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾، أي: تستطيبونها يعني القصور والمنازل، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد ومقاتل: بفتح مكة وهذا أمر تهديد، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، الخارجين عن الطاعة.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَقْوُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: مشاهد، ﴿كَبِيرٌ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، وحنين وإد بين مكة والطائف. وقال عروة: إلى جنب ذي المجاز. وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة: أن رسول الله ﷺ فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان، ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من المهاجرين وألفان من الطلقاء. قال عطاء: كانوا ستة عشر ألفاً. وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف النصري، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي، فلما التقى

الجمعان قال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش: لن نُغلبَ اليومَ عن قلةِ نساءِ رسول الله ﷺ كلامه، ووكّلوا إلى كلمة الرجل. وفي رواية: فلم يرض الله قوله، ووكّلهم إلى أنفسهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم المشركون وخلّوا عن الذراري، ثم نادوا: يا حماة السواد اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون. قال قتادة: وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالعزیز أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحاق قال: قال رجل للبراء بن عازب: يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولّى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم حُسْرٌ ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر وقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، ثم صقّهم. ورواه محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن

أبي إسحاق، وزاد قال: فما رُؤي من الناس يومئذ أشد منه.

ورواه زكريا عن أبي إسحاق، وزاد قال البراء: كنا إذا حمز البأس نتقي به، وإن الشجاع مثلاً للذي يحاذي به، يعني: النبي ﷺ.

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: قال البراء: إن هوازن كانوا قوماً رماة، وأنا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ ثلثمائة من المسلمين وانتهزَم سائر الناس. وقال آخرون: لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ غير العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن، فقتل يومئذ بين يدي رسول الله ﷺ.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج.

قال: وحدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي،

فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُركض بغلته قبل الكفار، وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكتفها زيادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركابه، فقال رسول الله ﷺ: «أني عباس ناد أصحاب السُّمرة»، فقال عباس، وكان رجلاً صيباً: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السُّمرة؟ قال: فوالله لكان عطفتم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال: «هذا حين حمي الوطيس»، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»، فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بخصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً.

وقال سلمة بن الأكوع: غزونا مع رسول الله ﷺ حيناً قال: فلما عشا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»، فما خلّى الله منهم إنساناً إلا ملاً عينه تراباً بتلك القبضة، فولّوا

مُذْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

قال سعيد بن جبير: أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسويين.

وفي الخبر: أن رجلاً من بني نضر يقال له شجرة، قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال الذين عليهم ثياب بيض، ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة وما كنا قتلنا إلا بأيديهم؟ فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: «تلك الملائكة».

قال الزهري: وبلغني أن شبية بن عثمان بن طلحة قال: استدرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة، وكانا قد قتلا يوم أحد، فأطلع الله رسوله ﷺ على ما في قلبي فالتفت إليّ وضرب في صدري وقال: «أعيذك بالله يا شبية»، فأرعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وإن الله قد أطلعك على ما في نفسي، فلما هزم الله المشركين وولّوا مدبرين، انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمّره على جيش المسلمين إلى أوطاس، فسار إليهم فاقتتلوا، وقتل دريد بن الصمة، وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري، فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فيمن

أخذ. وقتل أمير المسلمين أبو عامر. قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي، ثم إن رسول الله ﷺ أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر، فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم، فأتى الجعزاة فأحرم منها بعمره وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس، وتآلف أناساً منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس فأعطاهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، ثنا الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه:

أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هِوَاذَنْ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدْعُنَا وَسِوَانًا تَقَطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ؟ قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قَبَةِ مِنْ أَدَمٍ وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا كَانَ حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فَهَاهُؤُمْ: أَمَا ذُوو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أَنَسٌ مَنَا حَدِيثُهُ أَسْنَانَهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرِكُ الْأَنْصَارَ وَسِوَانًا تَقَطُرُ مِنْ

دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بأموالكم وترجعون إلى رجالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض». وقال يونس عن ابن شهاب: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم»، وقال: «فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»، قالوا: سنصبر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل [ثنا موسى بن إسماعيل]، ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:

لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلُفَةِ قُلُوبَهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَانَهُمْ وَجِدُوا إِذْ لَمْ يَصِبَهُمْ مَا أَصَابَهُ النَّاسَ، فَخَطِبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مَتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ عَائِلَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» كَلِمًا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَلِمًا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّنُّ؟ قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قَلْتُمْ [جِئْتُمْ] كَذَا وَكَذَا»، قَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ

واليعيز، وتذهبون بالنيبي ﷺ إلى رحالفكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شِعَارُ والناسِ دِثَارُ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاضربوا حتى تلقوني على الحوض.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن أبي عمر المكي ثنا سفيان عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأفرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع أتجعل نهبي ونهب العبد يد بين عيينة والأفرع وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع قال: فأتتم له رسول الله ﷺ مائة. وفي الحديث: أن ناساً من هوازن أقبلوا مسلمين بعد ذلك، فقالوا: يا رسول الله أنت خيرُ الناس وأبْرُ الناس، وقد أخذت أبناؤنا ونساؤنا وأموالنا.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي أنا أحمد بن عبد الله السنعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن عفير حدثني الليث، حدثني عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير: أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرده إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن معي من ترون وأحب الحديث إليّ أضدقته،

فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال»، قالوا: فإننا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ [في المسلمين] فأتنى على الله عز وجل بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين واني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظ حتى نعطيهم إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل»، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا.

فأنزل الله تعالى في قصة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ

ثُمَّ تَوَلَّى اللَّهُ مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَنَ مِنْ نِكَاحٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الشِّرْكُوتُ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَأُ الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ بِهِمْ عَابِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ جَفْتُمْ عَلَيْهِمْ فَسَوْفَ يُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَذِّبُكَوَنَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا الْحَرَامَ مَكْرَهُمْ وَزُكَّتْ لَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَأُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا أَحَدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَرْهَتْكُمْ، حتى قلت: لن تغلب اليوم من قلة، ﴿لَمْ تَنْفِرْ فِيكُمْ﴾، كثيرتكم، ﴿سَيِّئًا﴾، يعني: إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ﴾، أي: برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَرِثْتُمْ ثَمُودَ﴾، منهزمين. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بعد الهزيمة، ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يعني: الأمثلة والطمانينة، وهي فعيلة من السكون، ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُتُودًا لَهُمْ قُرُوبًا﴾، يعني: الملائكة. قيل: لا للقتال ولكن لتجيين الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى اللَّهُ مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَنَ مِنْ نِكَاحٍ﴾، فيهديه إلى

الإسلام، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٢٨ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهَا مُشْرُكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قدر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم، فلا يقال على الأفراد، وإنما يقال: رَجَسَ نَجَسًا، فإذا أفرد قيل: نَجَسَ بفتح النون وكسر الجيم، وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سُمِّوا نجسًا على الذم. وقال قتادة: سَمَّاهُمْ نجسًا لأنهم يُجَنَّبُونَ فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون. قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، أراد منهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: 1]، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ. قال الشيخ الإمام الأجل رضي الله عنه: وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام، أحدها: الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأماً لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم. والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم فيها أكثر من

مقام السفر وهو ثلاثة أيام. لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشتُ إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً». فمضى رسول الله ﷺ وأوصى فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه، وأجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثاً.

وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جده وما والآها من ساحل البحر إلى أطراف الشام. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بئمة أو أمان. ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم.

قوله: ﴿بِمَدِّ عَيْنِهِمْ هَكَذَا﴾، يعني: العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما مُنِعُوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيعوا العيش، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرأ وفاقه. يُقال: عال يعيل عَيْلَةً إذا افتقر، ﴿فَسَوْفَ يُنْفِئُكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾،

قال عكرمة: فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مدراراً فكثروا خيبرهم. وقال مقاتل: أسلم أهل جده وصنعاء وجريش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقاتدة: عَرْضَهُم الله منها الجزية فأغناهم بها.

٢٩ وذلك قوله تعالى: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله. ﴿وَلَا يَحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ الدِّينَ الْحَقَّ﴾، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله، ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى ﴿مَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾، وهي: الخراج المضروب على رقابهم، ﴿مَنْ يَرُوءَ﴾، عن قهر وذل. قال أبو عبيدة: يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير

طيب نفس أعطاه عن يد. وقال ابن عباس: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم. وقيل: عن يد أي نقد لا نسيئة. وقيل: عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم، ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾، أذلاء مقهورون. قال عكرمة: يعطون الجزية عن قيام، والقباض جالس. وعن ابن عباس قال: تُؤخذ منه ويؤطأ عنقه. وقال الكلبي: إذا أعطى صفع في قفاه. وقيل: يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته، وقيل: يُلبَّب ويُجر إلى موضع الإعطاء بعنف، وقيل: إعطاؤه إيَّاه هو الصغار. وقال الشافعي رحمه الله: الصغار هو جريان أحكام الإسلام عليهم، واتفقت الأمة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتابين، وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عرباً. واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم، فذهب الشافعي: إلى أنَّ الجزية على الأديان لا على الأنساب، فتؤخذ من أهل الكتاب عرباً كانوا أو عجماً، ولا تؤخذ من أهل الأوثان بحال، واحتج بأن النبي ﷺ أخذها من أكيدر دومة، وهو رجل من العرب يقال إنه من غسان، وأخذ من أهل ذمة اليمن، وعامتهم عرب. وذهب مالك والأوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب. وقال أبو يوسف: لا تؤخذ من العربي كتابياً كان أو مشركاً وتؤخذ من العجمي كتابياً كان أو

مشركاً، وأما المجوس فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي، أنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بَجَّالة بن عبدة يقول: لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه. أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سُئِلُوا بِهِمْ سِتَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ».

وفي امتناع عمر رضي الله عنه عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر، دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تؤخذ من كل مشرك، وإنما تؤخذ من أهل الكتاب. واختلفوا في أن المجوس: هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ فزوي عن علي رضي الله عنه [أنه] قال: كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا يوماً، وقد أسري على كتابهم، فزُفِّعَ من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائح

المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين، أما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر، إن دخلوا فيه قيل النسخ والتبديل يُقرَّون بالجزية وتحلِّ مناكحتهم وذبائحهم، وإن دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد ﷺ لا يقرَّون بالجزية لا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم، ومن شككنا في أمرهم بأنهم دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرَّون بالجزية تغليباً لحقن الدم، ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم تغليباً للتحريم، فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبني تغلب أقرهم عمر رضي الله عنه على الجزية، وقال: لا تحل لنا ذبائحهم. وأما قدر الجزية فأقله دينار، لا يجوز أن ينقص منه، ويقبل الدينار من الفقير والغني والوسط لما:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الرزاق أنا معمر أنا سفيان عن الأعمش عن أبي واثل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمرني أن أخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معاف.

فالنبي ﷺ أمره أن يأخذ من كل حالم، أي بالغ ديناراً ولم يفصل بين الغني والفقير والوسط، وفيه دليل على أنها لا تجب على الصبيان وكذلك لا تجب على النساء، إنما

تُؤخذ من الأحرار العاقلين البالغين من الرجال. وذهب قوم إلى أنه على كل موسر أربعة دنانير، وعلى كل متوسط ديناران، وعلى كل فقير دينار، وهو قول أصحاب الرأي.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [الآية].

روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾.

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين والآخرين بغير تنوين، فمن لم ينون قال: لأنه اسم أعجمي ويشبه اسماً مصغراً، ومن نون قال لأنه اسم خفيف، فوجهه أن يصرف، وإن كان أعجمياً مثل نوح وهود ولوط. واختار أبو عبيدة التنوين وقال: لأن هذا ليس بمنسوب إلى أبيه، إنما هو كقولك زيد ابن الأمير وزيد ابن أختنا، فعزير مبتدأ وما بعده خبر له. وقال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيكَ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما قالت اليهود عزير ابن الله من أجل أن عزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عندهم

والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله تعالى إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذن في قومه، وقال: يا قوم إن الله تعالى قد آتاني التوراة وردّها إليّ فعلق به الناس يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجده مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله.

وقال الكلبي: إن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيراً فاستصغره فلم يقتله، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيراً ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعد مائة سنة، يقال: وأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره، فلما أتاهم قال: أنا عزير فكذبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة، فكتبها لهم. ثم إن رجلاً قال: إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفاً، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا أنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله.

وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله، وكان السبب فيه أنهم كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعدما رُفِعَ عيسى عليه السلام يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، فإني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار، وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فرقب فرسه وأظهر الندامة، ووضع على رأسه التراب، فقال له النصارى: من أنت؟ قال: بولص عدوكم، فنوديت من السماء ليست لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت ورجعت عن دين اليهودية، فأدخلوه الكنيسة، ودخل بيتاً سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج وقال: نوديت أن الله قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم نسطوراً وأعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: لم يكن عيسى بإنس ولا بجسم، ولكنه ابن الله، وعلم ذلك رجلاً يقال له يعقوب، ثم دعا رجلاً يقال له ملكاً فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً، وقال لكل واحد منهم: أنت خالستي، وقد رأيت

عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل منهم إنني غدا أذبح نفسي، فادع الناس إلى نحلتيك، ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال: إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى، فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته، فتبع كل واحد طائفة من الناس، فاختلفوا واقتتلوا فقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِالزُّهْمَةِ﴾، يقولون بالاستهم من غير علم. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً. ﴿يَسْخَرُونَ﴾، قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزاً، والآخرين بضم الهاء غير مهموز، وهما لغتان يقال: ضاعته وضاعته، ومعناها واحد. قال ابن عباس رضي الله عنه: يشابهون والمضاهاة المشابهة. وقال مجاهد: يواطؤون. وقال الحسن: يوافقون، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾، قال قتادة والسدي: ضاعت النصراري قول اليهود من قبل، فقالوا: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود من قبل عزيز ابن الله. وقال مجاهد: يضاهاؤون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله. وقال الحسن: شبه كفزهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال في مشركي العرب: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾. وقال الفتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولهم، ﴿فَتَنَلَّهُمْ

اللَّهُ﴾، قال ابن عباس: لعنهم الله. وقال ابن جريج: أي: قتلهم الله. وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب، ﴿أَفْ يُؤْفَكُونَ﴾، أي: يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه.

﴿أَتَعَدُّوا أَعْيَابَهُمْ﴾، أي: علماءهم وقراءهم، والأخبار العلماء واحداً حبر، وحبر بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع

واحداً راهب، كصاحب وصحبان، ﴿أَرَبَّابًا﴾، فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأخبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالآرياب.

رؤي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عني صليب من ذهب فقال لي: «يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك»، فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿أَتَعَدُّوا أَعْيَابَهُمْ وَرَبِّبْتَهُمْ أَرَبَّابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، حتى فرغ منها، قلت له: لسا نعبدهم، فقال: «ليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟» قال: فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم».

قال عبد الله بن المبارك:

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ لَا أَن يَسْتُرَ نُورُهُمُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْيَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُمُونَ أَمْوَالَ الْبَائِسِ بِالْغِطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَرُهُمُ بَعْدَ آيِ الْيَوْمِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ نَحْصِي عَالِمِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَكُونُ فِيهَا أَجْنَاهُمْ وَجِوَاهُهُمْ وَيُظْهِرُهُمُ اللَّهُ مَا كَفَرْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا كَفَرُوا بِكُمْ فَتَقْتُلُوا كَمَا قَتَلْتُمْ وَأَهْلُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

١١٢

وهل بدل الدين إلا المملوك وأخبار سوء ورهبانها، ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، أي: اتخذه لها (واحدلاً)، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ﴾، أي: يبطلوا دين الله بالسنتهم وتكذيبهم إياه. وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بالسنتهم تكديماً، ﴿وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَّا أَن يَسِّرَ نُورَهُ﴾، أي: يُعَلِّي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي يمك به محمداً ﷺ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾، يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ، ﴿بِالْهُدَىٰ﴾، قيل: بالقرآن. وقيل: ببيان الفرائض، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾،

وهو: الإسلام، ﴿يُظْهِرُ﴾، ليعليه وينصره، ﴿عَلَّ الَّذِينَ كُفِرُوا﴾، على سائر الأديان كلها، ﴿وَوَلَّوْا كِرَاهَ الْمُشْرِكِينَ﴾، واختلفوا في معنى هذه الآية، فقال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ، أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يُدَانَ الله تعالى إلا به. وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام.

وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «ويهلك في زمانه الملل كلها إلا [ملة] الإسلام».

وروي المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعزٍّ عزيز أو ذُلٍّ ذليل»، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهله فيعز به، أو يذلهم فيدينون له.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، ثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور، ثنا أبو مسلم بن إبراهيم بن عبد الله الكجعي ثنا أبو عاصم النبيل ثنا عبد الحميد هو ابن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدَ اللَّاتُ والعُزَّى»،

قالت: قلت: يا رسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعدما أنزل الله تعالى عليك: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا وَوَلَّوْا كِرَاهَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثم قال: «يكون ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله تعالى ريحاً طيبة، فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير، ثم يبقى من لا خير فيه، فيرجع الناس إلى دين آبائهم».

قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة. وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبهم. قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال: بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حين دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على الدين كله، والله أعلم.

﴿٣٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ هَامَسُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ﴾، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿يَأْتِيَا كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ﴾، يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتباً يقولون: هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم، وهي المآكل التي

يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوهم لذهبت عنهم تلك المآكل، ﴿رَسُولُونَ﴾، ويصرفون الناس، ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله عز وجل، ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كل ما تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز، وإن لم يكن مدفوناً، ومثله عن ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد بن سعيد ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جيئته وجنَّبه وظهوره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وزيدها، إلا إذا كان يوم القيامة بَطِّحَ لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما

مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقْرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطَبَّحُ لَهَا بِقَاعٍ تَرَقُرُّ لَا يَفْقَدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جُلْحَاءٌ وَلَا عُضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقَرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهْ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَيْبَتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ»، ثُمَّ تَسْلُو: «وَلَا يَحْتَسِبُ الَّذِينَ يَبْتَاطُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ» الْآيَةَ.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أويث منه الزكاة أو لم تُؤدِّد، وما دونها نفقة. وقيل: ما فضل عن الحاجة فهو كنز.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنه عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا الأعمش عن

المعمر بن سويد عن أبي ذر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأني قال: «هم الأخرسون ورب الكعبة»، قال: فجلت حتى جلست فلم أتكلم أن قمت فقلت: يا رسول الله فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا [وهكذا] من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم».

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول: من ترك بيضاء أو حمراء، كوي بها يوم القيامة.

وروي عن أبي أمامة قال: مات رجل من أهل الضفة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ: «كَيْتَةٌ»، ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران، فقال النبي ﷺ: «كَيْتَانِ».

والقول الأول أصح لأن الآية نزلت في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال.

قال النبي ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا: ما يستطيع أحد منا يدع لولده شيئاً، فذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَفْرَضِ الزَّكَاةَ إِلَّا لِيُطَيَّبَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ».

وسئل ابن عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: كان ذلك قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.

وقال ابن عمر: ما أبالي لو أن لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده فأزكيه وأعمل بطاعة الله.

قوله عز وجل: «وَلَا يُفْقَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قيل: لِمَ قَالَ: «وَلَا يُفْقَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ولم يقل: ولا يفقرنهما، وقد ذكر الذهب والفضة جميعاً؟ قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: ردة الكناية إلى الفضة لأنها أعم؛ كما قال تعالى: «وَأَسْتَبِيئُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» [البقرة: ٤٥]، ردة الكناية إلى الصلاة لأنها أعم؛ كقوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا» [الجمعة: ١١]، ردة الكناية إلى التجارة لأنها أعم، «فَيَبْرَهُمْ بِكُتَابِ السُّورِ»، أي: أندروهم.

﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، أي: تدخل النار فيوقد عليها، يعني الكنوز، «فَتَكُونُ بِهَا»، فتحرق بها، «جَاهُهُمْ»، أي: جباه كتابيبتها، «وَجُزْءُهُمْ وَظُهُورُهُمْ»، روي عن ابن مسعود قال: إنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة. وسئل أبو بكر الوراق: لِمَ حَصَّ الْجِبَاهُ وَالْجَنُوبُ وَالظُّهُورُ بِالْكَيْ؟ قال: لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه وولاه جنبه فإذا رآه أتى إليه من جنبه وولاه ظهره وأعرض عنه بكشحة، فهو قوله: «فَتَكُونُ بِهَا جَاهُهُمْ» الآية. قوله تعالى: «هَذَا مَا

عَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، والمراد منه الشهور الهلالية وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوماً بنقصان الأهلة. والغالب أنها تكون ثلاثمائة يوماً وأربعة وخمسين يوماً، «مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ»، [أي: من الشهور] الاثني عشر] أربعة حرم وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد، «ذَلِكَ الَّذِينَ لَقِيتُمْ»، أي: الحساب المستقيم، «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ»، قيل: قوله: «فِيهِنَّ» ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة. وقيل: «فِيهِنَّ»، أي: في الأشهر الحرم. قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجراً في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً. وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لا تجعلوا حلالها حراماً ولا حرامها حلالاً كفعل أهل الشرك وهو النسيء.

«وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً»، جميعاً

عامّة، «كَمَا يَفْتَلِرُوكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم. فقال قوم: كان كبيراً ثم نسخ بقوله: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً»، كأنه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو قول قتادة وعطاء الخراساني، والزهري وسفيان الثوري، وقالوا: إن النبي ﷺ غَزَا هَوَازِنَ بَحْنِينَ، وثقيفاً بالطائف، وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة. وقال الآخرون: إنه غير منسوخ. قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح: ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها، وما نسخت.

قوله تعالى: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ»، قيل: هو مصدر كالسعي والحريق، وقيل: هو مفعول كالجريح والقتيل، وهو من التأخير. ومنه النسيئة في البيع، يقال: أنسا الله في أجله أي أخر، وهو ممدود مهموز عند أكثر القراء، وقرأ ورش عن نافع من طريق البخاري بتشديد الباء من غير همز، فقد قيل: أصله الهمزة فخفف. وقيل: هو من النسيان على معنى المنسي أي المتروك. ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامّة معاشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَ عَامًا وَيَحْرُمُونَ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ لَوْلَا زِيَادَةُ النَّسِيءِ لَعَسَى أَعْتَابُهَا أَنَّ الَّذِينَ لَا يُهْتَدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَدْ افْتُتِرْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحِكْمَةِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْأُخْرَى فَمَا مَنَعَ الْحِكْمَةَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْأُخْرَى إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٧﴾ إِنَّا نَتَفَرُّوْا بِعِدَّتِكُمْ عِدَابًا لِّمَا وَوَسَّيْتُمْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَتَفَرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنِ اتَّبَعْتُمْ أَتَيْنَ إِذْ هُمْ فِي الْفِتْنَةِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْرَجْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَعَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُودِهِمْ تَرَوْهَا وَيَجْعَلُ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴿٣٩﴾ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

كَزَرْتُمْ»، أي: يقال لهم هذا ما كنزتم، «لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، أي: تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم. وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل الكتاب. وقال الأكثرون: هي عامّة في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال أبو بكر رضي الله عنه.

قوله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ»، أي: عدد الشهور، «عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ»، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة ورجب وشعبان، ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة. وقوله: «فِي كِتَابِ اللَّهِ»، أي: في حكم الله. وقيل: في اللوح المحفوظ. قرأ أبو جعفر اثنا عشر وتسعة عشر، وإحدى عشر، بسكون الشين، وقرأ العامة بفتحها، «يَوْمَ

التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكروهون تأخير حربهم ففسؤوا، أي: أخروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه وذلك بعد دهر طويل، فخطب النبي ﷺ في حجته، وبين ذلك كما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف الفريزي، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا محمد بن سلام حدثنا عبد الواحد ثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن ابن أبي بكرة. عن أبي بكر: عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان». وقال: «أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم»، قال محمد: وأحسبه قال: «وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت ألا هل بلغت؟»

قالوا: وكان قد استمر النسيء بهم، فكانوا ربما يحتجون في بعض السنين في شهر، ويحتجون من قابل في شهر آخر. قال مجاهد: كانوا يحتجون في كل شهر عامين، فحجوا في شهر ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور الباقية، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثامنة من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع، فوافق حججه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة يوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تأسخت باهتدالة الزمان، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق الله السموات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستأنف الأيام.

واختلفوا في أول من نسا النسيء.

فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد: أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة: أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة، وكان يقوم أميراً على الناس بالموسم فإذا هم الناس بالصدر قام فيخطب الناس فقال: لا مرة لما قضيت، أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، فيقول له المشركون: لبيك، ثم يسألونه أن ينسأهم شهراً يغيرون فيه، فيقول فإن صفرأ العام حرام، فإذا قال ذلك حلقوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة، وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا. وكان من بعده نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف، وهو الذي أدركه النبي ﷺ. وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس. قال شاعرهم:

«وفينا ناسي الشهر القلمس»

وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم. وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن حذاف. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قل:

قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أبا بني كعب، وهو يجر قصبه في النار».

فهذا الذي ذكرنا هو النسبي الذي ذكره الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، يريد زيادة كفر على كفرهم، ﴿يُضِلُّ بِذَلِكَ كُرْهُهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «يُضِلُّ» بضم الياء وفتح الضاد؛ كقوله تعالى: ﴿زَيْتٌ لَّهُمْ سَوَاءٌ أَعْمَلْتُمْ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد، وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى «يُضِلُّ» به الذين كفروا الناس، وقرأ الآخرون: بفتح الياء وكسر الضاد لأنهم هم الضالون؛ لقوله: ﴿يُضِلُّونَهُمْ﴾، يعني: النسبي، ﴿عَامَا وَخَيْرُيَوْمَهُ عَامَا لِيُؤَاطِقُوا﴾، أي: ليوافقوا، والمواطأة الموافقة، ﴿عِدَّةٌ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، يريد أنهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام، لثلا يكون الحرام أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة في العدد، ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْتٌ لَّهُمْ سَوَاءٌ أَعْمَلْتُمْ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ﴾، قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ لَكُمْ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة

من الناس، وشدة من الحر، حين طابت شمار والظلال، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز هائلة وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ولم يورها بغيرها ليتأهبوا أمة عدوهم، فسق عليهم الخروج وتناقلوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ قال لكم رسول الله ﷺ: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ أي: تشاقلتم وتباطأتم إلى الأرض، أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، ﴿أَرْضِيئَهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، ﴿فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، ثم أوعدهم على ترك الجهاد.

فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فسي الآخرة، وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا.

وسأل نجدة بن نفيح ابن عباس عن هذه الآية، فقال: إن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فتناقلوا عليه فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم.

﴿وَسَتَبَدِّلَ قَوْمًا فِيكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوع، قال سعيد بن جبيرة: هم أبناء فارس. وقيل: هم أهل اليمن، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا سُبُلًا﴾، بترككم النفير، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتُوبُوا فَقَدْ نَحَرْنَا اللَّهُ﴾، هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العَدَدِ والعُدَدِ، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مكة حين مكروا به وأرادوا تبيينه وهموا بقتله، ﴿ثَلَاثَ آيَاتٍ﴾، أي: هو أحد الاثنين، والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ﴾، وهو نعب في جبل ثور بمكة، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنَ لَكَ اللَّهُ مَكْتَابًا﴾، قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان أنبأنا خيشمة بن سليمان ثنا عبد الله بن أحمد بن الدورقي ثنا سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن كثير التواء عن جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ».

قال الحسين بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن. وفي سائر الصحابة إذا أنكروا يكون مبتدعاً لا يكون كافراً. وقوله عز وجل: ﴿لَا تَخْزَنَ لَكَ اللَّهُ

مَفْعًا»، لم يكن حزن أبي بكر جُبْنًا منه، وإنما كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ. وقال: إن أقتل فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة.

وَرُوي أنه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار، جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فلما انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار، فدخل فاستبرأه ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من عمر، ومن آك عمر.

أخبرنا أبو المظفر التميمي، أنا محمد بن عبدالرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النصر، أنا خيثمة بن سليمان ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا حيان بن هلال ثنا همام بن يحيى ثنا ثابت البناني ثنا أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم، قال:

نظرت إلى أقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشياً، فلما ابتلي المسلمون.

فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان»، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رَسْلِكَ فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو بذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السم، وهو الخبط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين،

قال رسول الله ﷺ: «بالممن»، قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحث الجاهز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فيها فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينقع بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريئاً، - والخريئ: الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً في آل العاص بن ائيل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم أن أباه بكر أخبره أنه سمع سراقه بن

مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفسار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج [إذا] أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقا إني قد رأيت آتفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقا: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قممتُ فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططتُ بزُجّه الأرض وخفضت عليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقممت، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقممت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقممت بالأزام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم، ووقع

في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبي ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبز ما يُريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزائي ولم يسألاني شيئاً إلا أن قالوا: «أخفِ عنا»، فسألته أن يكتب لي كتاب أمني فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أَوْزَا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ،

فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مبرداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساوهمما بالمرید لِيَتَّخِذَهُمَا مَسْجِداً فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خبير
هذا أبرُّ رتنا وأطهر
ويقول:

«اللهم إن الأجر أجر الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة»
فتمثل بيت رجل من المسلمين لم يسم لي، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الآيات.

قال الزهري: لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجاً من حمام حتى باضتا في أسفل النقب والعنكبوت حتى نسجت بيتاً، وفي القصة أنبت يمامة على قم الغار، وقال

النبي ﷺ: «اللهم أعم أبصارهم عتاه، فجعل الطلب يضررون يمينا وشمالاً حول الغار يقولون: لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت.

قوله عز وجل: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىكَ»، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل، «وَأَيُّكُمْ يَجْهَرُ لَمْ تَرَوْهَا»، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته [٤١]، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانة بالملائكة يوم بدر أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، وكلمتهم الشرك وهي السفلى إلى يوم القيامة، «وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ»، إلى يوم القيامة. ثم قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله. وقيل: كلمة الذين كفروا ما قدروا بينهم من الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله وعد الله أنه ناصره. وقرأ يعقوب: «وَكَلِمَةُ اللَّهِ»، بنصب التاء على العطف أنها معطوفة على المفعول الأول لجعل، وهو «كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا»، والتقدير: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا، فكلمة الله معطوفة على المفعول الأول والعليا معطوفة على المفعول الثاني. وقرأ الباقر: «وَكَلِمَةُ اللَّهِ»، بالرفع على

الاستئناف، كأنه تم الكلام عند قوله: «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى»، ثم ابتداء فقال: «وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ»، على الابتداء والخبر، فكلمة الله مبتداء والعليا خبره، «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

﴿قوله تعالى:﴾ «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا»، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شُبَانًا وشيوخاً. وعن ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط. وقال عطية

العوفي: ركبناً ومشاة. وقال أبو صالح: خفافاً من المال، أي: فقراء، وثقالاً أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقل الذي له الضيعة، فهو ثقل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروي عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة من المال وثقالاً أهل العسرة. وقيل: خفافاً من السلاح، أي: مقلين منه، وثقالاً أي: مستكثرين منه. وقال الحكم بن عتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل. وقال مرة الهمذاني: أصحاب مرضى. وقال يمان بن رباب عزاباً ومتاهلين. وقيل: خفافاً من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالاً مستكثرين بهم. وقيل: خفافاً مسرعين خارجين ساعة سماع النفير، وثقالاً بعد التروى فيه والاستعداد له.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

سورة التوبة

سورة التوبة

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَاقِلِينَ ﴿٤١﴾
 لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّدْتُمْ عَلَىكُمْ الشُّقَّةَ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَنَجِيَنَّا مَعَكُمْ لِيَكُونَ أَنْفُسُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَعَمَلَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَفِذُونَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَفِذُونَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُمُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِعِبَادِهِمُ اتِّخَاذَهُمْ فِتْنَتَهُمْ وَقِيلَ اقْضُوا عَنَّا الْقَدَوَاتِ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا لَكُمْ مَادِدًا وَكُنْتُمْ لَآخِذِينَ بِالَّذِينَ لَأَعَدُوا لَهُمُ عُدَّةً فَكُلُّكُمْ لَمَّا آذَوْكُم بِأَمْوَالِكُمْ أَوْ بِأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَالِمٌ غَافِلِينَ ﴿٤٧﴾

سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم عاقلين ﴿٤١﴾، قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر، فقال: استنفر الله الخفيف والثقل، فإن لم يمكنني الحروب كثرت السواد وحفظت المتاع. وقال عطية الخراساني عن ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: «وَمَا كَانَتِ الْكُفْرَانُ» [التوبة: ١٢٢]، وقال السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس ففسخها الله تعالى وأنزل: «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرَضِينَ» [التوبة: ٩١] الآية، ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، واسم كان مضمر، أي: لو كان ما تدعوهم إليه عرضاً قريباً، أي: غنيمة قريبة

بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو. ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، أي: في التخلف عنك ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في أعدائهم، ﴿وَمَعَلَمِ الْكٰذِبِينَ﴾ فيها، أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا يستأذنك في التخلف، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُنْفِقِينَ﴾. ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرَادَات قُلُوبُهُمْ﴾، أي: شكّت [قلوبهم] ونافقت، ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتحذرون.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾، إلى الغزو، ﴿لَأَعَدُّوا لَكُمْ﴾، أي: ليهيئوا له عدة، أهبة وقوة من السلاح والكراع، ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ﴾، خروجهم، ﴿فَتَبَطَّوهُمْ﴾، منعهم وحبسهم عن الخروج، ﴿وَقِيلَ أَقْبُدُوا﴾، في بيوتكم، ﴿مَعَ الْفٰكِرِينَ﴾، يعني: مع المرضى

المتناول، ﴿وَسَفَرًا قٰصِدًا﴾، أي قريباً هيناً، ﴿لَا تَجْرُوا﴾، لخرجوا معكم، ﴿وَلَكِن بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ﴾، أي: المسافة، والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونها، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني: باليمين الكاذبة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا كُنتُمْ لَكُمْ كٰذِبِينَ﴾، في إيمانهم لأنهم كانوا مستطيعين.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون. قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يُعيره بالذنب. وقيل: إن الله عز وجل قره ورفع محله بافتتاح الكلام

لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفٰسِقُونَ مِن قَبْلِ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَكَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كٰرِهُونَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا تَقْبَلُ الْآفِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُئِرْهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَغْوُوا قَدْ آذٰنَا أَسْرٰنِينَ قَتَلُوا وَكَتَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِن يُصِيبَنَا آلَامًا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هٰهُمَوْلٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ هَلْ تَرْضَوْنَ بِنَا إِلَّا الْأَحْذَى الْخٰسِنِينَ وَمَنْ تَرْضَوْنَ بِنَا أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ أَلِمْنَا مَعَكُمْ تَرْضَوْنَ ﴿٤٧﴾ قُلْ أَنِفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يَقْبَلَكُم مِّنكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٨﴾ وَمَا نَعْتَهُمْ أَن يُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كٰسٰكٌ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كٰذِبُونَ ﴿٤٩﴾

معناه وفيكم مخبرون لهم يؤذون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون لهم، أي: يستمعون كلامهم ويطيعونهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْوَيْسَ بْنَ قَبْلَ﴾، أي: طلبوا صدأ أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه. ﴿وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾، وأجالوا فيك وفي إبطال دينك الرأي بالتخذيل عنك، وتشيت أمرك، ﴿حَتَّىٰ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾، النصر والظفر، ﴿وَوَلَّهَ أَمْرَ اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿وَوَهَّمَ كُرْهُونَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَمَتْهُم مِّن يَكُوفٍ أَخَذَن لِي وَلَا تَقِيَّتِي﴾، نزلت في جد بن قيس المنافق. وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال [له]: «يا أبا وهب هل لك في جلاذ بني الأصفر؟» - يعني الروم - اتخذ منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يا رسول الله لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإنني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي - قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق - فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: «أذنت لك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿رَمَتْهُم﴾ يعني من المنافقين ﴿مَنْ يَكُوفُ أَخَذَن لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَقِيَّتِي﴾ بنات

بني الأصفر. قال قتادة: ولا تؤتمني. ﴿أَلَا فِي الْوَيْسَةِ سَقَطُوا﴾، أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله، ﴿وَلَا تَجْهَنَّهُ لِحِجَّةٍ بِالْكَافِرِينَ﴾، مطبقة بهم وجامعة لهم فيها.

﴿إِن تَصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾، نصرة وغنيمة، ﴿تَسُوِّمُهُمْ﴾، تُحْزِنُهُمْ، يعني: المنافقين، ﴿وَوَانَ تَصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾، قتل وهزيمة، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾، حَذَرْنَا، أي: أخذنا في القعود عن الغزو، ﴿مِن قَبْلَ﴾، أي: من قبل هذه المصيبة، ﴿وَتَسَوَّلُوا﴾، ويديروا، ﴿وَوَهَّمَ قُرْحُونَ﴾، مسرورون بما نالك من المصيبة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، أي: علينا في اللوح المحفوظ، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾، ناصرنا وحافظنا. وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُوكُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا﴾، تنتظرون بنا أيها المنافقون، ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة.

وروينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلمته أن يدخله الجنة. أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة». قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَرْتَضِ بِنَا﴾، إحدى

السواتين إنما ﴿أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾، فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية، ﴿أَوْ بِأَيْدِيكُمْ﴾، أو بأيدي المؤمنين إن أظهرتم ما في قلوبكم، ﴿فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَضُونَ﴾، قال الحسن: فترتضوا مواعيد الشيطان إنا مترضون مواعيد الله من إظهار دينه واستتصال من خالفه.

﴿قُلْ أَنِفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أمر بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً، نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود، قال: أعينكم بمالي، يقول: إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً ﴿أَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ﴾، أي: لأنكم، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَتَّعْتُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يقبل﴾ بالياء لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالياء لأن الفعل مسند إلى جمع مؤنث وهو النفقات، فأتت الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث، ﴿نَفَقْتُمْهُم﴾، صدقاتهم، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالٌ﴾، متناقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً، فإن قيل: كيف ذكر الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الدم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل والإيمان منشط، ﴿وَلَا يُؤْقِنُونَ إِلَّا وَهُمْ كُفْرُهُونَ﴾، لأنهم يعدونها مغرمأ ومنعها مغنماً.

ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا

شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله

اعدل، فقال: «وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدُلُ إِذَا لَمْ أَعْدُلْ، فَقَدْ خِيتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدُلُ»، فقال عمر رضي الله

عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال له: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع

صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم

من الرميّة ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصيبه

وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء،

قد سبق الفرت والدم آيتهم، رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر،

يخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: أشهد إنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت

والحسرة على تخليفه عن من لا يُخيمه، ثم يُقدم على مَلِكٍ لا يُغذره.

﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾، أي:

تخرج، ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، أي: يموتون على الكفر.

﴿وَيُخَلِّفُونَ﴾، أي:

على دينكم وشريعتكم وطريقتكم، ﴿وَمَا هُمْ بِتَنكِرٍ وَلَكَئِهِمْ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ﴾، يخافوا أن يظهر ما هم عليه.

﴿تَوَّابُونَ﴾، أي:

مُجْتَبَأُونَ، حرزاً أو حصناً أو معقلاً. وقال عطاء:

مهرباً، وقيل: قوماً يأمنون فيهم. ﴿أَوْ مَعْرَظِينَ﴾، غير أنما في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه، أي: يستتر. وقال عطاء:

سراديب. ﴿أَوْ مَدَّخَلًا﴾، موضع دخول يدخلون فيه، وهو من أدخل يدخل، وأصله: مدتخل مفتعل، من أدخل يدخل. قال مجاهد: معرظاً.

وقال قتادة: سرباً. وقال الكلبي: نفقاً في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ، وقرئ: ﴿مَدَّخَلًا﴾،

بفتح الميم وتخفيف الدال، وكذلك قرأ يعقوب، ﴿لَوْلَا إِلَهِ﴾، إليه هرباً منكم، ﴿وَهُمْ يَجْتَهُونَ﴾، يسرعون في إباء ونفور ولا يرذ وجوههم

شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصاً منكم ومهرباً لفارقوكم.

﴿وَمَنْ مِّنْكُمْ﴾، قوله تعالى: ﴿يُكْرِمُكَ فِي السَّعْيِ﴾، الآية نزلت في

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾
 ﴿وَيُخَلِّفُونَ﴾ بِاللَّهِ إِلَهُهُمْ لِيُنَكِّمَكُمْ وَمَا هُمْ بِتَنكِرٍ وَلَكَئِهِمْ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ ﴿٥٦﴾ تَوَّابُونَ ﴿٥٧﴾ تَوَّابُونَ مَلِجًا أَوْ مَعْرَظِينَ أَوْ مَدَّخَلًا لَوْلَا إِلَهِ وَهُمْ يَجْتَهُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مَتَاعًا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مَتَاعًا إِذَا هُمْ يَسْتَحْضِرُونَ ﴿٥٩﴾ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا آمَنُوا أَنَّهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ عَلَيْهِمُ الْوَلَايَةُ فَلَوْ هُمْ فِي أَرْبَابٍ وَالْقَدِيمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ مِّنْ أَدْنَىٰ حَكِيمٍ لَّكُمْ دُونِ اللَّهِ وَيَوْمِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

﴿٥٥﴾ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾، والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله وولده، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن قيل أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقاتدة: في الآية تقديم وتأخير، تقديمه: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها، والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه والكره في إنفاقه،

رسول الله ﷺ الذي نعته .

وقال الكلبي: قال رجل من المتنافقين يقال له أبو الجواز لرسول الله ﷺ: لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يُلْزِمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يعيبك في أمرها وتفريقها ويظمن عليك فيها. يقال: لزمه وهمز، أي: عابه، يعني: أن المتنافقين كانوا يقولون إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب: ﴿يُلْزِمُكَ﴾ حيث كان، وقال مجاهد: يلزمك أي يروذك يعني يختبرك. ﴿فَإِن أَعْطُوا مِثْرًا رَّضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِثْرًا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ﴾، قيل: إن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا.

﴿٥٩﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي: فنعوا بما قسم لهم الله ورسوله، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، كافينا الله، ﴿سَيُرِيْنَا اللَّهُ بِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، ما نحتاج إليه ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، في أن يوسع علينا من فضله، فيخيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، أي: لكان خيراً لهم وأعوذ عليهم.

﴿٦٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية أهل سهمان الصدقات وجعلها لثمانية أصناف .

وزوي عن زياد بن الحارث للصدائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، فاتاه رجل وقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حُكِمَ فِيهَا

هو فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك» .

قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾، فأخذ أصناف الصدقة، الفقراء، والثاني: المساكين، واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري: الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل. وقال ابن عمر: ليس الفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير. وقال قتادة: الفقير المحتاج الزم، والمسكين الصحيح المحتاج. وروي

عن عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب. وقال الشافعي: الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعاً زمناً كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلاً كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالاً من الفقير لأن الله تعالى

قال: ﴿أَمَّا السَّائِغَةُ فَكَاتَتْ الْمَسْكِينِ﴾ [الكهف: ٧٩]، أثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المسكين. وقال القتيبي: الفقير الذي له البلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير من له المسكن والخادم، والمسكين من لا ملك له.

وقالوا: كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنياً عن غيره، قال الله تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، والمسكين

المحتاج إلى كل شيء ألا ترى كيف حرص على إطعامه، وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة أشد من الحاجة إلى سدّ الجوعة. وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين. وفي الجملة: الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم ثنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عبيد الله بن عدي بن الخيار: أن رجلين أخبراه أنهما أتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن الصدقة، فصعد فبهما وصوب، فقال: «إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُمَا وَلَا حَظَّ فِيهَا لِعَنِي وَلَا لِدِي قُوَّةٌ مَكْتَسَبٌ» .

واختلفوا في حدّ الغنى الذي يمنع أخذ الصدقة، فقال الأكثرون: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي. وقال أصحاب الرأي: حدّه أن يملك مائتي درهم. وقال قوم: من ملك خمسين درهماً لا تحلّ له الصدقة.

لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خَمْشٌ أَوْ خَدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ»، قيل: يا

رسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب».

وهو قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا يجوز أن يعطى الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً. وقيل: أربعون درهماً.

لما روي أن النبي ﷺ قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً».

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفِينَ عَلَيْهِمْ﴾، وهم السعاة الذين يتولون قبض [الأموال من] الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطون مثل أجر عملهم. وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة. ﴿وَالْمُؤَلَّفِينَ قُلُوبِهِمْ﴾، فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: قسم مسلمون وقسم كفار، فأما المسلمون: فقسمان قسم دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفاً كما أعطى عيينة بن بدر والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي، وأسلموا ونيتهم قوية في الإسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبيرقان بن بدر، فكان يعطيهم تألفاً لقومهم وترغيباً لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات. والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من

المسلمين بإزاء قوم كفار في موضع مُتناطٍ لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الإمام فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات.

وقيل: من سهم سبيل الله. روي أن عدي بن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيراً. وأما الكفار من المؤلفة فهو من يُخشى شره منهم أو يُرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يعطي هذا حذراً من شره أو يعطي ذلك ترغيباً له في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام، وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فله الحمد وأغناه عن أن يتألف عليه رجال، فلا يعطي مشركاً تألفاً بحال، وقد قال بهذا كثير من أهل العلم أن المؤلفة منقطة وسهمهم ساقط. روي ذلك عن عكرمة، وهو قول الشعبي، وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي، وإسحاق بن راهويه، وقال قوم: سهمهم ثابت، يُروى ذلك عن الحسن، وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور، وقال أحمد: يعطون إن احتاج المسلمون إلى ذلك. قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، والصنف الخامس:

وهو الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيداً فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَرَسِينَ﴾، والصنف السادس: هم الغارمون وهم قسمان: قسم أدانوا لأنفسهم في غير معصيته فإنهم يُعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، فإن كان عندهم وفاة فلا يُعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات التبين فإنهم يُعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنبأنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغار في سبيل الله، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جاز مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني، أو لعامل عليها».

ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ متصلاً بمعناه.

أما من كان دينه في معصية الله وفساد فلا يدفع شيء إليه. وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد

بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة، يُعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة، وإن كانوا أغنياء، ولا يُعطى شيء منه في الحج عند أكثر أهل العلم. وقال قوم: يجوز أن يصرف سهم في سبيل الله إلى الحج. ويُروى ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وأحمد وإسحاق. قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلَ﴾، والصنف الثامن: هم أبناء السبيل، فكل من يريد سفراً مباحاً ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المنتقل إليه مال أو لم يكن. وقال قتادة: ابن السبيل هو الضيف. وقال فقهاء العراق: ابن السبيل الحاج المنقطع. قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً﴾، أي: واجبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وهو نصب على القطع، وقيل: على المصدر، أي: فرض الله هذه الأشياء فريضةً، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكَيْدِهِمْ﴾. واختلف أهل العلم والفقهاء في كيفية قسم الصدقات، وفي جواز صرفها إلى بعض الأصناف، فذهب جماعة إلى أنه لا يجوز صرف كلها إلى بعضهم مع وجود سائر الأصناف، وهو قول عكرمة وبه قال الشافعي، قال: يجب أن تقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سهمانهم ثابتة قسمة على السواء، لأن سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل إذا قسمه بنفسه [ساقط أيضاً]، ثم حصة كل صنف منهم لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة

منهم إن وجد منهم ثلاثة أو أكثر، فلو فaut بين أولئك الثلاث يجوز، فإن لم يوجد من بعض الأصناف إلا واحداً صرف حصة ذلك الصنف إليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق، فإن انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقيين.

وذهب جماعة إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف أو إلى شخص واحد منهم يجوز، وإنما سمي الله تعالى هذه الأصناف الثمانية إعلماً منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الأصناف، لا إيجاباً لقسمها بينهم جميعاً، وهو قول عمر وابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر وعطاء، وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وبه قال أحمد، قال: يجوز أن يضعها في صنف واحد وتفريقها أولى. وقال إبراهيم: إن كان المال كثيراً يحتمل الأجزاء قسمة على الأصناف، وإن كان المال قليلاً جاز وضعه في صنف واحد. وقال مالك: يتحرى موضع الحاجة منهم ويُقدّم الأولى فالأولى من أهل الخلة والحاجة، فإن رأى الخلة في الفقراء في عام أكثر قديمهم، وإن رآها في عام في صنف آخر حولها إليهم، وكل من دُفع إليه شيء من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غناه، فإذا حصل أدنى اسم الغنى لا يُعطى بعده، فإن كان محترفاً لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته ولا يزداد على العامل على أجر عمله، والمكاتب على قدر ما

يُعتق به، وللغريم على قدر دينه، والغازي على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام في مغزاه وما يحتاج إليه من الفرس والسلاح، ولابن السبيل على قدر إتيانه مقصده ماله.

واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال إلى موضع آخر مع وجود المستحقين فيه، فكرهه أكثر أهل العلم.

لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو كريب ثنا وكيع ثنا زكريا [بن] إسحاق المكي ثنا يحيى بن عبد الله بن الصفي عن أبي معبد عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

فهذا يدل على أن صدقة أغنياء كل قوم تُرد على فقراء ذلك القوم. واتفقوا على أنه إذا نقل من بلد إلى بلد آخر وأدى مع الكراهية وسقط الفرض عن ذمته، إلا ما حُكي عن

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ﴾
 ﴿١٦٦﴾ ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْسُوَكُمْ﴾

قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شرٌّ من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فحقره وقالوا هذه المقالة، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بما قاله المنافقون، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامراً كذاب. وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون إليه ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ﴾
 ﴿١٦٧﴾ ﴿لَمْ يَلْمُوا أَنْتُمْ مِّنْ يُكَادُوا﴾

الله ﷻ ورسوله ﷺ، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من الله ورسوله، ﴿فَأَنَّكُمْ تَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلًا فِيهَا ذَلِكَ الْخَزْيُ الْعَظِيمُ﴾، أي: الفضيحة العظيمة.

﴿يَخْشَى الْمُنَافِقُونَ﴾، أي: يخشى المنافقون، ﴿فَإِنَّ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: تنزل على المؤمنين،

يقال له نبيل بن الحارث، وكان رجلاً أذلماً نائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلق، وقد قال النبي ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليتنظر إلى نبيل بن الحارث»، وكان ينسب حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأثيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، قرأ العامة بالإضافة، أي: مستمع خير وصلاح لكم، لا مستمع شر وفساد. وقرأ الأعمش والبرجمي عن أبي بكر: ﴿أذن خير لَّكُمْ﴾ مرفوعين متونين، يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، أي: لا يبل يؤمن بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين، يقال: أمنت وأمنت له بمعنى صدقته. ﴿وَرَحْمَةً﴾، قرأ حمزة: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخفض على معنى [أي هو] أذن خير لكم وأذن رحمة، وقرأ الآخرون: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع، أي: هو أذن خير وهو رحمة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْسُوَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ
 أَنْ يُرْسُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ أَلَمْ يَلْمُوا أَنْتُمْ
 مِّنْ يُكَادُوا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَن لَّمْ تَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخَزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٦٧﴾ يَخْشَى الْمُنَافِقُونَ
 أَن تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَغْنُوا
 إِنَّ اللَّهَ تَخْرُجُ مَاتَخْرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَيْسَ سَاءَ لَهُمْ
 لِقَاؤُنَّكُمْ إِنَّمَا كُنَّا نَخَافُ مِنْكُمْ وَقَلَّمَ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦٩﴾ لَا تَنْزِيلُ يَأْتِيكُمْ
 مِنْكُمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فَاصْتَبِعُوا
 بِأَنفُسِكُمْ إِن تَكْفُرُونَ عَن طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ
 بِأَنفُسِكُمْ كَانُوا تَجْرِبُونَ ﴿١٧٠﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُكْرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سُوا اللَّهِ فَيَقْسِمُونَ
 إِنَّكَ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ ﴿١٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا فِي حَسْبِهِمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿١٧٢﴾

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه رد صدقة حملت من خراسان إلى الشام إلى مكانها من خراسان، [وقال: إن فقراء خراسان أولى بها].

﴿١٦٦﴾ ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيُقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ، ويقولون له ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا ثم نأثيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن، أي: أذن سامعة، يقال: فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة، إذا كان يسمع ما قيل له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذناً إذا استمع. وقيل: هو أذن أي: ذو أذن سامعة.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين

﴿سُورَةٌ نُنَزِّلُهَا بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم. قال قتادة: هذه السورة تُسمى الفاضحة والمبشرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلاً من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة للمؤمنين لئلا يجير بعضهم بعضاً، لأن أولادهم كانوا مؤمنين، ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُوا بِاللَّهِ عَجْزًا﴾، مظهر ﴿مَا تَعْدُونَ﴾.

قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتكرروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قدروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ رحلته، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: «اضرب وجوه رواحلهم فضررها حتى نحاسها، فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة: «من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «فإنهم فلان وفلان» حتى عدّهم كلهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: «أكره أن تقول العرب لما ظفر محمد بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالدبيلة».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر ابن محمد أنبأنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نصره عن قيس بن عبادة قال: قلنا لعمار: أرايتكم قتالكم أرباباً رأيتموه؟ فإن الرأي يُخطيء ويصيب أو عهداً عهدته إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهدت إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، وقال:

إن رسول الله ﷺ قال: «إن قتي أمتي - قال شعبة: وأحسبه قال: حدثني حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: إن في أمتي - اثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم، حتى ينجم من صدورهم».

﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية. وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقاتة: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين، اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعد من ذلك.

وقيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله

وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك؛ فقال: اجسوا علي الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب.

قال ابن عمر: فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشهد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول له: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون» ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه. قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، أي: قل يا محمد للمنافقين، ﴿أَلَيْسَ لَهُ كِتَابٌ يَرْتَدُّهُ﴾.

﴿لَا تَعْدُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَدَّ إِلَيْنِكُمْ﴾، فإن قيل كيف قال: أكرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان، ﴿إِن مَثَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: تب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحداً، ﴿فَمَدَّبَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ كَانُوا يُحَرِّمُونَ﴾، بالاستهزاء، وقرأ عاصم: ﴿مَثَفَ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿فَمَدَّبَتْ﴾ بالنون وكسر الهمزة، ﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ نصب. وقرأ الآخرون: ﴿يُعَفُّ﴾ بالياء وضمها وفتح الفاء، ﴿تَعَدَّبَتْ﴾ بالياء وفتح الدال، ﴿طَائِفٌ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل.

وقال محمد بن إسحاق: الذي عُفا عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي، يقال

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا إِلَهَ بَدُوهم﴾ ثم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «اللتبتعن سُنَنَ مَنْ حَتَّى قِيلَ لَكُمْ شَيْراً بِشِيرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا حُجْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وفي رواية أبي هريرة: «فهبل الناس إلا هُم».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سُمْتاً وَهَذِيماً تَتَّبِعُونَ عَمَلَهُمْ جِدْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَذْرِي أَتَعْبُدُونَ الْعِجْلَ أَمْ لَا.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾، يعني المنافقين، ﴿بِئْسَ﴾، خبر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، حين عصوا رُسُلَنَا وَخَالَفُوا أَمْرَنَا كَيْفَ عَذَّبْنَا هُمْ وَأَهْلَكَاهُمْ ثُمَّ ذَكَرَهُمْ، فقال: ﴿فَوَرُّهُمُ﴾، أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَارُوا﴾، أهلكوا بالريح، ﴿وَتَوَدَّوهُمُ﴾ بالرجفة، ﴿وَفَوَّوهُمُ لِإِبْرَاهِيمَ﴾، بسلب النعمة وهلاك نمرود، ﴿وَأَصْحَابِ مَذْيَكٍ﴾،

سبيل الله ولا يسطونها بخير، ﴿سُؤَا اللَّهِ فَتَيْسِهِمْ﴾، تركوا طاعة الله، فتركهم من توفيقه وهديته في الدنيا، ومن رحمته في الآخرة، وتركهم في عذابه، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، كافيتهم جزاء على كفرهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، أبعدهم الله من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤْتِمٌ﴾، دائم.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن أمر الله، فَلَعِنْتُمْ كَمَا لَعِنُوا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، بطشاً ومنعة، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِيهِمْ﴾، فتمتعوا أو انتفعوا بخلاقهم، بنصيبيهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضاً عن الآخرة، ﴿فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ﴾، أيها الكفار والمنافقون، ﴿كَانُوا اسْتَمْتَعُوا مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ﴾، وسلكتهم سبيلهم، ﴿وَضَعْتُمْ فِي الْبَاطِلِ وَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَبِالْإِسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، ﴿كَالَّذِينَ خَاسَرُوا﴾، أي: كما خاسروا. وقيل: كالذي بمعنى كالذين خاسروا، وذلك أن الذي اسم ناقص، مثل «ما ومن» يُعْتَبَرُ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ؛ نَظِيرُهُ

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعُوا مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ وَضَعْتُمْ كَالَّذِينَ خَاسَرُوا أَوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَذْيَكٍ وَالْمُؤْتَفِكَةَ كُنْتُمْ أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ يَلْعَنُتُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْتِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَرَحْنَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَيَكُنْ لِيَسْرَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنَادِيهِمْ أَهْلُهَا أَيُّكُمْ هُوَ أَلَمْ يَقُولِ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿٧٠﴾

هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي معجباً لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزل أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر الجلود منها، وتجب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره.

قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق. ﴿يَأْتِرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾، بالشرك والمعصية، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، أي: عن الإيمان والطاعة، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في

يعني: قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم
الظلة، ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾، المتقلبات التي
جعلنا عليها سافلها وهم قوم لوط
وقرهم، ﴿أَنْتُمْ رَسُولُهُمْ بِالْيَسَنِتِ﴾،
فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا
معشر الكفار فاحذروا تعجيل العقوبة،
﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْظِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٧١ قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكُونَ
وَالْمُؤْتَفِكِينَ بِمَثَلِ قَوْمِ لُوطٍ﴾، في
الذين واجتمع الكلمة والعون
والنصرة. ﴿يَأْتِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾،
بالإيمان والطاعة والخير، ﴿وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عن الشرك والمعصية
وما لا يعرف في الشرع، ﴿وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.
٧٢ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَسَيَكُونُ لِيُجِبَةً﴾، منازل طيبة،
﴿فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾، أي: بساتين
خلد وإقامة، يقال: عدن بالمكان إذا
أقام به. قال ابن مسعود: هي بطنان
الجنة، أي: وسطها.

قال عبد الله بن عمرو بن
العاص: إن في الجنة قصراً يقال له
عدن حوله البروج والمروج، له
خمس آف باب لا يدخله إلا نبي
أو صديق أو شهيد. وقال الحسن:
قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو
صديق أو شهيد أو حكم عدل. وقال
عطاء بن السائب: «عدن» نهر في
الجنة جنباته على حافتيه.

وقال مقاتل والكلبي: عدن أعلى
درجة في الجنة وفيها عين التسنيم،

والجنان حولها، محدقة
بها، وهي مغطاة من حين
خلقها الله تعالى حتى
ينزلها أهلها الأنبياء
والصديقون والشهداء
والصالحون، ومن
شاء الله، وفيها قصور الدر
والياقوت والذهب، فتهب
ريح طيبة من تحت العرش
فتدخل عليهم كئيب المسك
الأذفر الأبيض، ﴿وَيُؤْتُونَ
مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾، أي:
رضا الله عنهم أكبر من
ذلك النعيم الذي هم فيه،
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

روينا عن أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «يقول الله عز وجل لأهل
الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم؟
فيقولون: ربنا وما لنا نرضى وقد
أعطيتنا ما لم نعطه أحداً من خلقك،
فيقول: أفلا أعطيتكم أفضل من
ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء
أفضل من ذلك؟ فيقول: أجل عليكم
رضواني فلا أسخط عليكم بعده
أبداً».

٧٣ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا جَاهِدُوا الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والقتل،
﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، واختلفوا في صفة
جهاد المنافقين، فقال ابن مسعود:
بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم
يستطع فبقلبه، وقال: لا تلق
المنافقين إلا بوجه مكفهر. وقال ابن
عباس: باللسان وترك الرفق. وقال
الضحاك: بتخليط الكلام. وقال
الحسن وقتادة: بإقامة الحدود

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا جَاهِدُوا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أُوذِيَ جِهَتَهُمْ وَيَسَّ الْمَيْمِ ۗ ﴿٧٣﴾ جَاهِدُوا بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَقَدْ قَالُوا الْكُفْرَ وَكَفَرُوا بِأَيْدِي سُلُوفِهِمْ
وَهُمْ أَيْمَانُ لَرَبَّنَا لَوْ مَا نَقَسُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَبَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
مِن قَضِيهِ ۗ فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ يَسْتَوُوا يَذَّبَهُمُ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۗ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ
آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ ۗ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَحَلُوا يَدَهُمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ يُعْرَضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فَإِذَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَذَّبُوا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ
الْغَيْبَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

١٩٩

عليهم. ﴿وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوذِيَ
الآخرة، ﴿جِهَتَهُمْ وَيَسَّ الْمَيْمِ﴾،
وقال عطاء: نسخت هذه الآية كل
شيء من العفو والصفح.

٧٤ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا﴾ [الآية]. قال ابن عباس:
كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل
حجرة فقال: «إنه سيأتيكم إنسان
فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء
فلا تكلموه»، فلم يلبثوا أن طلع
رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ
فقال: «سلام تستمني أنت
وأصحابك؟» فانطلق الرجل وجاء
بأصحابه فجلفوا بالله ما قالوا،
فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال الكلبي: نزلت في
الجلال بن سويد، وذلك أن
رسول الله ﷺ خطب ذات يوم
بتبوك، فذكر المنافقين وسماهم
رجساً وعابهم، فقال جلاس: لئن

كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير، فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إن محمداً لصادق وأنتم شرٌّ من الحمير، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس، فقال الجلاس: كذب عليّ يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذبت عليّ عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: «آمين»، فنزل جبريل عليه السلام [على النبي] من السماء قبل أن يتفرقا بهذه الآية، حتى بلغ: ﴿فَإِنْ يَتُوبَا إِلَيْكَ خَيْرٌ لَّهُمَا﴾، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله أسمع الله عز وجل قد عرض عليّ التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا استغفر الله وأتوب إليه، فقيل رسول الله ﷺ ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام، وقيل: هي سب النبي ﷺ. وقيل: كلمة الكفر قول الجلاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير. وقيل: كلمة الكفر قولهم: ﴿لَنْ نَجْعَلَ إِلَىٰ

الْمَدِينَةَ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنِّي الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وستأتي [تلك] القصة في موضعها في سورة المنافقين إن شاء الله، ﴿وَهُمْ أَيْمَانُكُمْ يَنْتَالُونَ﴾، قال مجاهد: هم المنافقون يقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه. وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكو برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رؤسهم، فأرسل حذيفة لذلك. وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجاً، فلم يصلوا إليه.

﴿وَمَا كَرِهُوا﴾، وما كرهوا وما أنكروا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ أَعْتَدْتُمُ اللَّهُ رَسُولًا مِنْ قَبْلِي﴾، وذلك أن مولى الجلاس قيل فأمر له رسول الله ﷺ بدينه اثني عشر ألف درهم فاستغنى. وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في صنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم.

﴿فَإِنْ يَتُوبَا﴾ من نفاقهم وكفرهم ﴿إِلَيْكَ خَيْرٌ لَّهُمَا وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾، يعرضوا عن الإيمان، ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا، بالخزي، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ نَحْنُ مَا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ لَنْ نُجِيبَنَّ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي ثنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبد الله بن

حامد الأصفهاني، ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، ثنا محمد بن نصر، حدثني أبو الأزهر أحمد بن الأزهر، ثنا مروان بن محمد بن شعيب ثنا مغان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فولذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً»، قال: فاتخذ غنماً فتمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كالودود، فكان يصلني مع النبي ﷺ الظهر والعصر ويصلني في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت فتمت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة.

فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره ﷺ ذات يوم فقال: «ما فعل ثعلبة؟» قالوا: يا رسول الله اتخذ

ثعلبة غنماً [ما] يسعها وإد، فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْح ثعلبة، يا وَيْح ثعلبة، يا وَيْح ثعلبة»، فأنزل الله آية الصدقات، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجل من جُهينة وكتب لهما أسنان الصدقة، كيف يأخذان، وقال لهما: «مُرَّا بثعلبة بن حاطب، ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما»، فخرجا إلى ثعلبة حتى أتياه فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية ما هذ إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ فانطلقا وسمع بهما السلمي [فنظر إلى] خيار أسنان إبسه فعزّلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالوا: ما هذه عليك؟ قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة، فمرّا على الناس فأخذوا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما فقرأه، ثم قال: ما هذ إلا أخت الجزية، اذهبوا حتى أرى رأيي، قال: فأقبلا فلما رأهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه قال: «يا وَيْح ثعلبة يا وَيْح ثعلبة، ثم دعا للسلمي بخير». فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَيْنَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَيَسَاءَ كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٧٧]، وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله عليك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه الصدقة، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني»، فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع إلى منزله. وقبض رسول الله ﷺ، ثم أتى أبا بكر فقال: اقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ثم أنا أقبليها؟ فقَبِضَ أبو بكر ولم يقبلها. فلما وَلِيَ عمرُ أناه: فقال: اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أنا أقبليها منك؟ فلم يقبلها. فلما وَلِيَ عثمان أناه فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة: أتى ثعلبة مجلساً من الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه، وصلت الرحم، وأحسنيت إلى القرابة، فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما قال، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الحسن ومجاهد: نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاً قعود وقالوا: والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن، فلما رزقهما الله عز وجل بخلأ به، فقوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعني: المنافقين، ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنِ آتَيْنَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقُنَّ﴾ ولنؤدبن حقاً الله منه، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه، من صلة الرحم والنفقة في الخير.

﴿قَلْنَا مَا كُنْتُمْ مِن قَوْلِهِ﴾

يَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾

﴿فَاعْتَبِهِمْ﴾، فأخلفهم، ﴿وَنَفَاكًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلاناً ندامة إذا صير عاقبة أمره ذلك. وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم. يقال: عاقبته وأعقبته بمعنى واحد. ﴿إِنَّ يَوْمَ يَكْفُرُ بِكُفْرَتِهِ﴾، يريد حرمهم التوبة إلى يوم القيامة، ﴿يَسَاءَ كَانُوا أَنفُسًا أَنفُسَ اللَّهِ﴾، وَعَدُوَّهُ وَيَسَاءَ كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخورقي، ثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسقوني، ثنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حنجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا أبو سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتحن خان».

﴿إِنَّ يَوْمَ يَكْفُرُ بِكُفْرَتِهِ﴾، يعني: ما أضرموا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْخُوبِ﴾.

﴿٧٦﴾ قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.

قال أهل التفسير: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيسالي، فقال

الْمُتَّوِّعِينَ
الْمُتَّوِّعِينَ
أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلَيْضَحْكُوا قَلِيلًا وَلَيْسَكُوا كَبِيرًا جَزَاءَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِتُخْرِجَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرِجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا أُنْكُرُ صِيغَتَهُ بِالْعُقُودِ أُولَئِكَ مَرَّةً فاقعدوا مع الخاليين ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَصْحَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا رَيْدَ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزَكِّيَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ مَأْمُونًا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّلُوعِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْفَاقِعِينَ ﴿٨٦﴾

﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، قال أبو عبيدة: أي بعد رسول الله ﷺ. وقيل: مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا، ﴿وَكْرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، وكانت غزوة تبوك في شدة الحر، ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يعلمون وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

﴿فَلَيْضَحْكُوا قَلِيلًا﴾، فسي الدنيا، ﴿وَلَيْسَكُوا كَبِيرًا﴾، في الآخرة. تقديره: فليضحكوا قليلاً فسيكون كثيراً، ﴿جَزَاءَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال: أنا عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي، ثنا عبد الله بن هاشم، ثنا يحيى بن سعيد ثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك عن عمران بن زيد التغلبي، ثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تستطيعوا فتبكوا، فإن أهل النار يكون في

المتبرعين] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، يعني: عبد الرحمن بن عوف وعاصماً. ﴿وَالَّذِينَ لَا يُحِذِرُونَ إِلَّا جَهَنَّمَ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل [والجهد] والجهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح.

وقال القتيبي: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. ﴿فَيَسْرَحُونَ مِنْهُمْ﴾، يستهزؤون بهم، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، أي: جازاهم الله على السخرية، ﴿وَكَلَّمَ عَدَاكَ

الرِّمِّ﴾. ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، لفظ أمر معناه الخير، تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة.

وقال الضحاک: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَخَّصَ لِي فَلَا زَيْدٌ عَلَى السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن غزوة تبوك، والمخلف المتروك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾، أي: بقعودهم،

رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم. وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بثمانية وستين من تمر. وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحباب بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بث لي لتي أجر بالجريير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيثك بالآخر، فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة، فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَيْ: يعيبون، ﴿الْمُتَّوِّعِينَ﴾

النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أن سُفْنَا أُجريت فيها لَجَزَتْ». **٨٣** قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾، أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿إِنَّكَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، يعني: من المخلفين، وإنما قال «طائفة منهم» لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقاً، ﴿فَأَسْتَدْرِكُ لِلسُّرُوحِ﴾، معك في غزوة أخرى، ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنْ تَخَرَّجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في سفر، ﴿وَلَنْ نَقْتُلَا مَعِيَ عَدُوًّا إِذْ كُنْتُمْ رَضِيئًا بِالْقُعُودِ أَوْلَىٰ مَرْغُوبًا﴾، في غزوة تبوك، ﴿فَأَقْصُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، أي:

مع النساء والصبيان، وقيل: مع الزماني والمرضى. وقال ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر. وقيل: مع الخالفين. قال الفراء: يقال: صاحب خالف إذا كان مخالفاً. ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾

الآية [التوبة: ٨٤].

قال أهل التفسير: بعث عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ وهو مريض، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال له: «أهلكك حب اليهود؟» فقال: يا رسول الله إنني لم أبعث إليك لتؤنّبني، إنما بعثت إليك لتستغفر لي وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، حدثني الليث، عن عقيل،

عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله [عن] ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وَتَبَّثَ إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخز عني يا عمر»، فلما أكثرت عليه قال: «إني خَيْرْتُ فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها»، قال: فصلّى عليها رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآياتان من براءة: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقَمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَتَيِّسُونَ﴾. قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنابنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعدما أدخل في حفرة فأمر به فأخرج فوضعه على ركبته ونفث في فيه من ريقه واليسه قميصه، فالله أعلم وكان كَسَا عَبَّاسًا قَمِيصًا. قال سفيان: وقال هارون: وكان على رسول الله ﷺ قميصان، فقال [له] ابن عبد الله: يا رسول الله أليس أبي

قميصك الذي يلي جلدك.

وروي عن جابر قال: لما كان يوم بدر أتى بالأسارى وأتيت بالعباس ولم يكن عليه ثوب [فنظر النبي ﷺ له قميصاً] فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ [إياه]، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي اليسه عبد الله - وقال ابن عيينة - كانت له عند النبي ﷺ يَدٌ فَأَحْبَبَ أَنْ يُكَافَهُ.

وروي أن النبي ﷺ كَلَّمَ فيما فعل بعبد الله بن أبي، فقال ﷺ: «وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً، والله إنني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه».

وروي أنه أسلم به ألف من قومه لما أراه يبتزك بقميص النبي ﷺ.

٨٤ قوله: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَقَمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾، ولا تقف عليه، ولا تتول دفنه، من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَتَيِّسُونَ﴾، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض.

٨٥ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُغْنِيَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ وَتَرْهَقَ أُنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

٨٦ ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ مَأْتُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوقِ مِنْهُمْ﴾، ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف، ﴿وَقَالُوا دَرَكًا نَكُنَّ مَعَ النَّبِيِّينَ﴾، فسي رحالهم.

﴿١٧﴾ فقال جل ذكره: ﴿يَسْ عَلَى الصُّعْفَاءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الرُّمَى والمشايخ والعجزة. وقيل: هم الصبيان، وقيل: النسوان، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾، يعني: الفقراء ﴿حَرَجٌ﴾، مأثم. وقيل: ضيق في القعود عن الغزو، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، في مغيهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله وبايعوا الرسول. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال قتادة: نزلت في عائذ بن عمرو وأصحابه.

وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريب البصر.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، معناه: أنه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سُموا البكتائين: معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُلبه بن زيد الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل المزني، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا. واختلفوا في قوله: ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾، قال ابن عباس: سألوه أن يحملهم على الدواب. وقيل: سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، ليفزوا معه فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ

مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدَّ لَكُمْ﴾ الآية، قرأ يعقوب ومجاهد: ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل: لقد أعذر من أنذر، أي: بالغ في العذر من قدم السذارة، وقرأ الآخرون: ﴿الْمُعْذِرُونَ﴾ بالتشديد، أي: المقصرون، يقال: عذر أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون أدغمت التاء في الذال وثقلت حركة التاء إلى العين.

وقال الضحاك: المعتذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا إلى رسول الله ﷺ دفاعاً عن أنفسهم، فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلاتنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم.

وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني: المنافقين. قال أبو عمرو بن العلاء: كلا الفريقين كان مسيئاً قوم تكلفوا عذراً بالباطل وهم الذين عناهم تعالى بقوله: ﴿وَبَيَّعَ الْمُعْذِرُونَ﴾، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر فقعدها جرأة على الله تعالى، وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله: ﴿سَجِيْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ذكر أهل العذر.

رَضَوُا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمَزَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ لَكُمْ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٩﴾ وَبَيَّعَ الْمُعْذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدَّ لَكُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَجِيْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَسْ عَلَى الصُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ فِي غَمَضٍ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَفِيزُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضَوُا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمَزَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٣﴾

﴿٢٧﴾ ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، يعني: النساء. وقيل: مع أدنياء الناس وسفلتهم. يقال: فلان خالفة قومه إذا كان دونهم، ﴿وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمَزَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمُ الْخَيْرَاتُ﴾، يعني: الحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة، قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرحمن: ٧]، جمع خيرة، وحكي عن ابن عباس: أن الخير لا يعلم معناه إلا الله؛ كما قال جل ذكره: ﴿فَلَا تَقَلِّمَنَّ الْقَوْمَ مَا أَفْقَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. ﴿وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَبَيَّعَ الْمُعْذِرُونَ

عَلَيْهِ قَوْلًا، وهم يبكون، فذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوا وَأَعِثُّهُمْ نَقِيضًا مِنَ النِّمَاحِ حَزْرًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُؤْتُونَ﴾.

﴿١٣﴾ **إِنَّمَا السَّبِيلُ**، بالعقوبة،

﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَلِدُونَكَ﴾، فسي الخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِشْوًا وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، مع النساء والصبيان، ﴿وَوَلَّيَّحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٤﴾ **يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ**، يروى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفراً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾، لن نصدقكم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَلْحَاظَكُمْ﴾، فيما سلف، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، في المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟

﴿قَدْ تَرَدَّدْتُمْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿١٥﴾ **سَيَلْفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ**، إذا انصرفتم إليهم من غزواتكم، ﴿فَأَقْرِبُوا إِلَيْهِمْ﴾، فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من التفاق، ﴿إِنَّهُمْ يَخِفُّونَ نَجَسًا﴾، أي: إن عملهم قبيح، ﴿وَمَا وَهَبْتُمْ﴾، في الآخرة، ﴿جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في جذ بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما، وكانوا ثمانين رجلاً من المنافقين، فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة: لا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ.

وكانوا ثمانين رجلاً من المنافقين، فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة: لا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ.

وقال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي خلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلف عنه بعدها، وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه، فانزل الله عز وجل هذه الآية:

﴿١٦﴾ **يَجِلُّونَ لَكُمْ لِئَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرَدَّدْتُمْ**

عَنْهُمْ فَإِن تَرَدَّدْتُمْ مِنَ الْقَرِيِّ الضَّعِيفِينَ.

﴿١٧﴾ **الْأَعْرَابُ**، أي: أهل البدو، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَفِئَاةً﴾، من أهل الحضر، ﴿وَأَجْدَرُ﴾، أي: أخلق وأحرى، ﴿أَلَّا يَمْلَأُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بما في قلوب خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما فرض من فرائضه.

﴿١٨﴾ **رِيبَ الْأَعْرَابِ مَن يَجِدُ مَا يُؤْتِي غَيْرَ مَا**، قال عطاء: لا يرجون على إعطائه ثواباً ولا يخافون على إمساكه عقاباً وإنما يتفقون خوفاً ورياءً. والمغرم: التزام ما لا يلزم. ﴿وَيَرْتَضُونَ﴾، ويستظنون، ﴿بِكُلِّ دَوْلَابٍ﴾، يعني: صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر. وقال يمان بن رباب: يعني يتقلب

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَلْفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِئَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرَدَّدْتُمْ مِنَ الْقَرِيِّ الضَّعِيفِينَ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَفِئَاةً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلَأُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ رِيبَ الْأَعْرَابِ مَن يَجِدُ مَا يُؤْتِي غَيْرَ مَا يَنْتَظِرُ وَيَرْتَضُونَ بِكُلِّ دَوْلَابٍ عَلَيْهِمْ دَابِرَةُ السُّورِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْأَعْرَابُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يُؤْتُونَ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَاذْهَبْ بِرَأْسِهِ إِلَى آلِ أَبِي تَالِبٍ لِيَخْرُجُوا مِنْكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

الزمان عليكم فيموت الرسول. ويظهر المشركون، ﴿عَلَيْهِمْ دَابِرَةُ السُّورِ﴾، عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوءهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دَابِرَةُ السُّورِ﴾، فهنا وفي سورة الفتح بضم السين: معناه: الضر والبلاء والمكروه. وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر. وقيل: بالفتح الرودة والفساد، وبالضم الضر والمكروه. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم. ثم استثنى فقال:

﴿١٩﴾ **رِيبَ الْأَعْرَابِ مَن** يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وقال مجاهد: هم بنو مقرن من مؤمنة. وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة. أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، لسببنا جدي

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله، وكان رجلاً محبباً سهلاً وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان فيها، وكان تاجراً ذا خلقٍ ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، فأسلم على يديه فيما بلغني عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الدخول إلى الإسلام. وأما السابقون من الأنصار فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكانوا ستة [نفر] في العقبة الأولى وسبعين في [العقبة] الثانية، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مُصعب بن عمير يعلمهم القرآن، فأسلم معهم خلق كثير وجماعة من النساء والضيان.

قوله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الأنصار]، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وشاركوا أوطانهم. ﴿وَالأَنْصَارُ﴾، أي: ومن الأنصار، وهم الذين نصرنا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآروا أصحابه، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قيل: هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين. وقيل: هم الذين سلكوا

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الأنصار]، قرأ يعقوب ﴿وَالأَنْصَارُ﴾ بالرفع، عطفاً على قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾، واختلفوا في السابقين الأولين، قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلوا إلى القبيلتين. وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر. وقال الشعبي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وكانت بيعة الرضوان بالحدبية.

واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ. فقال بعضهم: أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قول جابر، وبه قال مجاهد وابن إسحاق، أسلم وهو ابن عشر سنين. وقال بعضهم: أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي والشعبي. وقال بعضهم: أول من أسلم زيد بن حارثة، وهو قول الزهري وعروة بن الزبير، وكان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأقوال فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن العبيد بلال، ومن الموالي زيد بن حارثة.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِتِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَهُمُ سَعْدٌ بِهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَظِيمِ ﴿١٠١﴾ وَمَا آخِرُ قَوْلِهِمْ إِذْ نُودُوا بِحَقِّ طَلَبِ الْأَعْمَالِ صَٰلِحًا وَمَا آخِرُ سِتْرَانَا عَلَىٰ اللَّهِ أَن تَوَّابٌ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّهُمْ عَفَوْا رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذِينَ أَمْوَالَكُمْ صِدْقَةً تَطَهَّرُ بِهَا وَتُرَكَّبُ بِهَا وَوَصَلِّ عَلَيْكُمْ إِنْ صَلَّوْتُكَ سَكَنَ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَ اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا سِرًّا وَاللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرُّوْكُمْ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَعِمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا خَرُوتُمْ مَرَّجُونَ لِأَنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ بِهِمْ وَإِلَىٰ تَوَّابٍ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العدافري، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الدبيري، أنبأنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار وشيء من جبهة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن وغطفان». ﴿وَيَسْجُدْ مَا يُسَبِّحُ فَرَّقَتْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، القربات جمع القرية، أي: يطلب القرية إلى الله تعالى، ﴿وَصَلَّوْتِ الرَّسُولِ﴾، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ، ﴿إِلَّا إِنَّا قَرِيبَةٌ لَهُمْ﴾. قرأ نافع برواية ورش قرية بضم الراء، والباقون بسكونها. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي تَحْمِيلِهِمْ﴾، فسي جنته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَرِيمٌ﴾.

سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصر إلى يوم القيامة. وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء. وقال أبو صخر حميد بن زياد: أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم، فقلت: من أين تقول هذا؟ فقال: أقرأ قول الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، إلى أن قال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة. قال أبو صخر: فكأنني لم أقرأ هذه الآية قط.

وروي أن النبي قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مداً أحدهم ولا نصيفه». ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَسَىٰ أَتْتَبَعْتَهُمُ يَحْتَضِرُوا نَارَ اللَّهِ وَأَصْحَابُهَا هُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ﴾، قرأ ابن كثير: «من تحتها الأنهار»، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ﴿خَلَّيْلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكَ مِنْ الْأَعْرَابِ مُتَّفِقُونَ﴾، وهم من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، أي: ومن أهل

المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ﴾، أي: مرنوا على النفاق، يقال: تمرّد فلان على ربه، أي: عتا ومرد على معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ومنه التمرد والمارد، وقال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره. وقال ابن زيد: أقاموا عليه [واعتادوه] ولم يتوبوا، ﴿لَا تَقْلَبُ وَجْهَكَ إِلَىٰ سَائِرِ الدِّينِ﴾، أنت يا محمد، ﴿فَمَنْ تَقْلَبُ وَجْهَهُ سَائِرِ الدِّينِ﴾.

اختلفوا في هذين العنايين:

قال الكلبي والسدي: قام النبي ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال: «أخرج يا فلان فلان فإنك منافق، أخرج يا فلان»، أخرج ناساً من المسجد وفضحهم، فهذا هو العذاب الأول. والثاني: عذاب القبر.

وقال مجاهد: الأول القتل والسبي، والثاني: عذاب القبر. عنه رواية أخرى: عُذِّبُوا بِالْجُوعِ مَرَّتَيْنِ. وقال قتادة: الدبيلة في الدنيا وعذاب القبر. وقال ابن زيد: الأولى المصائب في الأموال والأولاد في الدنيا، والأخرى عذاب الآخرة. وعن ابن عباس: الأولى إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر. وقال ابن إسحاق: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخلهم فيه من غير حسيبة ثم عذاب القبر. وقيل: إحداها ضرب الملائكة وجوههم وأديارهم عند قبض أرواحهم، والأخرى عذاب القبر. وقيل: الأولى إحراق مسجد الضرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنم. ﴿فَمِمَّنْ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ

عَظِيمٍ﴾، أي: [إلى] عذاب جهنم يخلدون فيه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، أي: ومن أهل المدينة أو من الأعراب آخرون، ولا يرجع هذا إلى المنافقين، ﴿آمَنُوا﴾، أفزوا، ﴿بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، وهو إقرارهم بذنوبهم وتوبتهم، ﴿وَمَا كَفَرَ سَوِيًّا﴾، أي: بعمل آخر سيء، وضع الواو موضع الباء، كما يقال: خلطت الماء واللين، أي: باللين. والعمل السيء هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ، والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواوي. وقيل: غزواتهم مع النبي ﷺ.

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّ اللَّهَ فَظًّا رَحِيمًا﴾.

نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد والأداء، فلما قرب رسول الله ﷺ من المدينة قالوا: والله لتوثقن أنفسنا بالسواوي فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواوي المسجد فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرأهم، فقال: «من هؤلاء؟» فقالوا: هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، لأنهم رغبوا عني وتخلفوا

عن الغزو مع المسلمين»، فأنزل الله هذه الآية، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرتنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية.

واختلفوا في أعداد هؤلاء التائبين. فروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانوا عشرة منهم أبو لبابة. وروى عطية عنه: أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة. وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال الضحاك وقتادة: كانوا سبعة. وقالوا جميعاً: أحدهم أبو لبابة. وقال قوم: نزلت في أبي لبابة خاصة. واختلفوا في ذنبه، قال مجاهد: نزلت في أبي لبابة حين قال لقريظة: إن نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه.

وقال الزهري: نزلت في تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية، وقال: والله لا أجل نفسي ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خثر مغشياً عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقيل له: قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء النبي ﷺ فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من توبتي

أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يُجزيك يا أبا لبابة الثلث. قالوا جميعاً: فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم، وترك الثلثين. لأن الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ولم يقل: خذ أموالهم. قال الحسن وقتادة: هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا.

﴿١٠٣﴾ قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، بها من ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، أي: ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين. وقيل: تنمي أموالهم، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ادع لهم واستغفر لهم. وقيل: هو قول الساعي للمصدق إذا أخذ الصدقة منه: **أَجْرَكَ اللَّهُ** فيما أعطيت وبارك لك فيما أقيت. والصلاة في اللغة: الدعاء. **﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾** قرأ حمزة والكسائي: **﴿صلاتك﴾** على التوحيد ونصب التاء ههنا، وفي سورة هود: **﴿أصلاتك﴾** [هود: ٨٧]، وفي سورة المؤمنین: «على صلاتهم» [٢٢]، كلهن على التوحيد، وأفقهما حفص ههنا وفي سورة هود [٨٧]، وقرأ الآخرون بالجمع فيهن وكسر التاء ها هنا **﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾**، أي: إن دعاءك رحمة لهم، قاله ابن عباس. وقيل: طمأنينة لهم وسكون لهم أن الله عز وجل قد قبل منهم. وقال أبو عبيدة: تثبت لقلوبهم. **﴿وَأَلَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**، واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة، فقال بعضهم: يجب. وقال بعضهم:

يُستحب. وقال بعضهم: يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع. وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال:

كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ»**، فأتاه أبي بصدقته فقال: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آل أَبِي أَوْفَى»**.

وقال ابن كيسان: ليس هذا في صدقة الفرض إنما هو لصدقة كفارة اليمين. وقال عكرمة: هي صدقة الفرض، فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا معنا بالأمس لا يكلمون ولا يُجالسون، فما لهم؟ وذلك أن النبي ﷺ لما رجع إلى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم؟ فقال الله تعالى:

﴿١٠٤﴾ **﴿الَّذِينَ يَمَلُؤُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾**، أي: يقبلها، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنبأنا الربيع بن سليمان، أنبأنا الشافعي، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان، عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآسَأُوا رَبَّهُمْ وَأُكْفَرُوا وَتَفَرَّقُوا بِأُيُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّسَادَ الَّتِي لَمْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلِيَحْلُلْنَ إِذَا نَدَىٰ آلَ الْحَسَنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٦﴾
 لَا تَقْرُؤْ فِيهِ آيَاتَ الْمَسْجِدِ أُتِيَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوْلَىٰ
 يَوْمَئِذٍ أَلْحَقْنَا أَنْ تَقْرُؤَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّخِذِينَ ﴿١٠٧﴾ أَمَنْ أَسَسَ بَنِيكُمْ
 عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بَنِيكُمْ
 عَلَىٰ شَفَا حَرْبٍ مَارِئًا بِوَيْفٍ نَارِجِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ لَأَنْزَلُنَّ فِي سَمْعِكَ الْقُرْآنَ
 فِي قُلُوبِهِمْ لِأَنْ نَقْطَعُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٩﴾
 إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا تَحَلَّفُونَ
 مِنْ لَدُونِ اللَّهِ وَعَدَائِهِمْ خَائِفِينَ فَتُؤْتَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
 وَالْقُرْآنُ يُنزَّلُ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ فَاسْتَشِيرُوا
 بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الِظْمِيرُ ﴿١١٠﴾

أناسٌ يقولون: هلكوا،
 وآخرون يسقونسون:
 غسى الله أن يغفر لهم،
 فصاروا مرجئين لأمر الله،
 لا يدرون أي عذابهم أم
 يرحمهم؟ حتى نزلت
 توبتهم بعد خمسين ليلة.

قوله تعالى:
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ
 أهل المدينة والشام
 ﴿الذين﴾ بلا واو وكذلك
 هو في مصاحفهم، وقرأ
 الآخرون بالواو. ﴿مسجداً﴾
 حركاً.

نزلت هذه الآية في
 جماعة من المنافقين بنو مسجداً
 يشارون به مسجد قباء، وكانوا اثني
 عشر رجلاً من أهل النفاق،
 وديعة بن ثابت، وجذام بن خالد،
 ومن داره أخرج هذا المسجد،
 وثعلبة بن حاطب، وجارية بن
 عمرو، وابناه مجمع وزيد،
 ومعتب بن قشير، وعباد بن حنيف
 أخو سهل بن حنيف، وأبو حبيبة بن
 الأزعر، ونبستل بن الحارث،
 وبيجاد بن عثمان، ورجل يقال له
 بحزج، بنوا هذا المسجد ضراراً،
 يعني مضارة للمؤمنين، ﴿وكفراً﴾،
 بالله ورسوله، ﴿وتفرقاً بين﴾
 المؤمنين، لأنهم كانوا جميعاً
 يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد
 الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤذي
 ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة،
 وكان يصلي بهم مجمع بن جارية،
 فلما فرغوا من بنائه أتوا

رضي الله عنه قال: سمعت أبا
 القاسم يقول: «والذي نفسي بيده
 ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب
 طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً ولا
 يصدق إلى السماء إلا طيب، إلا كأنما
 يضعها في يد الرحمن فيريها له كما
 يربي أحدكم فلو، حتى أن اللقمة
 لتأتي يوم القيامة وإنها لمثل الجبل
 العظيم، ثم قرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
 التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَصَلُّوا
 فِرَىٰ اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَسَرُدُونَ لِمَا عَلَىٰ الْكَيْبِ وَالشَّهْرَ قَبِيحًا
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال مجاهد: هذا
 وعيد لهم. قيل: في روية النبي ﷺ
 بإعلام الله تعالى إياه، وروية المؤمنين
 بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل
 الصلاح، والبغضة لأهل الفساد.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْرُوتُ
 مُرَجَّبُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يَعْلَمُهُمْ وَلَمَّا يَتُوبُ
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قرأ أهل
 المدينة والكوفة غير أبي بكر:
 ﴿مُرَجَّبُونَ﴾ بغير همز، والآخرون
 بالهمز، والإرجاء: التأخير،
 مرجون: مؤخرون لأمر الله:
 لحكم الله عز وجل فيهم، وهم
 الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد:
 كعب بن مالك، وهلال بن أمية،
 ومرارة بن الربيع، لم يبالغوا في
 التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة
 وأصحابه، فوقفهم رسول الله ﷺ
 خمسين ليلة ونهى الناس عن
 مكالمتهم ومخالطتهم، حتى شقهم
 القلق وضافت عليهم الأرض بما
 رحبت، وكانوا من أهل بدر فجعل

رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك
 فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا
 مسجداً لذي العلة والحاجة، والليله
 المطيرة والليله الشاتية، إنا نحب أن
 تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا
 بالبركة، فقال لهم رسول الله ﷺ:
 «إني على جناح سفر ولو قدمنا إن
 شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه».

﴿وَالرَّسَادَ الَّتِي لَمْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 مِنْ قَبْلُ﴾، أي: انتظاراً وإعداداً لمن
 حارب الله ورسوله. يقال: أرضدت
 له إذا عددت له. وهو أبو عامر
 الراهب وكان أبو عامر هذا رجلاً
 منهم - وهو أبو حنظلة غسيل
 الملائكة - وكان قد ترهب في
 الجاهلية، وتصر ولبس المسوح،
 فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال له أبو
 عامر: ما هذا الذي جئت به؟ قال:
 جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال أبو
 عامر: فلأنا عليها، فقال له

النبي ﷺ: «إنك لست عليها»، قال: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقيّة»، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي ﷺ: «أمين»، وسمّاه أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن يشن وخرج هارباً إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، واثبوا لي مسلحاً فأنا ذاهب إلى قيصر ملك الروم فاتّبعه بنجد من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِيسَكَا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، يرجع إلى أبي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل، أي: من قبل بناء مسجد الضرار.

﴿وَلَيْسَ لِمَنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا ببنائه، ﴿إِلَّا الْخُسْفَى﴾، إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قلوبهم وحلفهم.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَنَزَلَ بِبَنِي أَوَانَ مَوْضِعَ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ أَتَوْهُ

فَسَأَلُوهُ إِتْيَانَ مَسْجِدِهِمْ فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبِسَهُ وَيَأْتِيَهُمْ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَأَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَ مَسْجِدٍ الضَّرَارِ وَمَا هُمَا بِهِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ، وَمَعْنَ بْنَ عَدِي، وَعَامَرَ بْنَ السَّكَنِ وَوَحْشِيًّا قَاتِلَ حَمْزَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: «انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدُمُوهُ واحرقوه»، فخرجوا سريعاً حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفاً من النخل وأشعل فيه ناراً، ثم خرجوا يشتدون، حتى دخلوا المسجد وفيه أهله، فحرقوه وهدموه، وتفرق عنه أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة. ومات أبو عامر الراهب بالشام وحيداً فريداً غريباً.

وَرُوِيَ أَنَّ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ، الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ قَبَاءَ، أَتَوْا عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي خِلَافَتِهِ لِيَأْذَنَ لِمَجْمَعِ بْنِ حَارِثَةَ فَيُؤْمَمَهُمْ فِي مَسْجِدِهِمْ، فَقَالَ: لَا وَلَا نَعَمْتُ عَيْنَ أَلَيْسَ بِإِمَامِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ؟ فَقَالَ لَهُ مَجْمَعٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ فِيهِ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا أَضْمَرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ عَلِمْتُ مَا صَلَّيْتُ مَعَهُمْ فِيهِ، كُنْتُ غَلاماً قَارِئاً لِلْقُرْآنِ، وَكَانُوا شَيْخاً لَا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ فَصَلَّيْتُ وَلَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ أَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَعَذَرَهُ عَمْرٌ وَصَدَّقَهُ وَأَمَرَهُ بِالضَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ. وَقَالَ عَطَاءٌ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى عَمْرِ الْأَمْصَارَ أَمَرَ

المسلمين أن يبنيوا المساجد وأمرهم أن لا يبنيوا في مدينتهم مسجدين يضار أحدهما صاحبه.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿لَا تَقْرُ فِيهِ أَبَدًا﴾، قال ابن عباس: «لا تصل فيه»، منع الله تعالى نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار. ﴿لَمَسْجِدُ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى﴾، السلام لام الابتداء، وقيل: لام القسم، تقديره: والله لمسجد أسس، أي: بني أصله على التقوى، ﴿مِنْ أَوْلَى يَوْمٍ﴾، أي: من أول يوم بني ووضع أساسه، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، مصلياً واختلّفوا في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري: هو مسجد المدينة مسجد الرسول ﷺ، والدليل عليه ما:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن حاتم، ثنا يحيى بن سعيد، عن حميد الخراط قال: سمعت أبا سلمة عبد الرحمن قال: قال: مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال: قال أبي: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أي المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا مسجد المدينة»، قال: فقلت أشهد

أني سمعت أباك هكذا يذكره.
وأخبرنا أبو الحسن الشيرازي أنبأنا
زاهر بن أحمد أنبأنا أبو إسحاق
الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك
عن خبيب بن عبد الرحمن، عن
حفص بن عاصم، عن أبي هريرة.
أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة، ومنبري على حوضي».

وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء
وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو
قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير
وقتادة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا
أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا
محمد بن يوسف، ثنا محمد بن
إسماعيل، ثنا موسى بن إسماعيل،
ثنا عبد العزيز بن مسلم، عن
عبد الله بن دينار، عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال:

كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء
كل سبت ماشياً وراكباً، وكان
عبد الله بن عمر يفعله، وزاد نافع
عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ،
فيصلي فيه ركعتين.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ
أَنْ يَكْفُرُوا﴾، من الأحداث
والجنابيات والنجاسات. وقال عطاء:
كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون
بالليل على الجنابة.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن
عبد العزيز القاشاني، أنبأنا أبو عمر
القاسم بن جعفر بن عبد الواحد
الهاشمي، أنبأنا أبو علي محمد بن
أحمد بن عمرو اللؤلؤي، حدثنا أبو
داود سليمان بن الأشعث

السجستاني، أنا محمد بن العلاء،
حدثنا معاوية بن هشام، عن
يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن
أبي ميمونة، عن أبي صالح عن أبي
هريرة:

عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه
الآية في أهل قباء»: ﴿فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَكْفُرُوا﴾، قال: «كانوا
يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه
الآية»، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾، أي:
المتطهرين.

﴿أَفَمَنْ أَسْرَكَ بِكُنُفِهِ﴾،
قرأ نافع وابن عامر «أَسْرَسَ» بضم
الهمزة وكسر السين، ﴿بِكُنُفِهِمْ﴾
برفع النون فيهما جميعاً على غير
تسمية الفاعل. وقرأ الآخرون:
﴿أَسْرَسَ﴾ بفتح الهمزة والسين بنيانه
بنضب النون على تسمية الفاعل.
﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾،
أي: على طلب التقوى ورضا الله
تعالى خير، ﴿أَمْ مَنْ أَسْرَسَ بِكُنُفِهِمْ
عَلَى سَفَاةٍ﴾، أي: على شفير،
﴿جُرْمِي﴾، قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو
بكر «جُرْف» ساكنة الراء، وقرأ
الباقون بضم الراء وهما لغتان، وهي
البئر التي لم تطو، قال أبو عبيدة:
هو الهوة وما يجرفه السيل من
الأودية فيتجرف بالماء فيبقى واهياً،
هار، أي: هائر وهو الساقط يقال
هار يهور فهو هائر، ثم يقلب فيقال:
هار مثل شاك وشائك وعاق وعاقق.

وقيل: هو من يهار إذا انهدم، ومعناه
الساقط الذي يتداعى بعضه في إثر
بعض، كما ينهار الرمل والشيء
الرخو. ﴿فَأَنهَارٌ يَوْمَهُ﴾، أي: سقط
بالباني ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾، يريد بناء

هذا المسجد الضرار كالبناء على
شفير جهنم فيهور بأهلها فيها. قال
ابن عباس رضي الله عنهما: يريد
صيرهم التفاق إلى النار. ﴿وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، قال قتادة: والله
ما تنهى أن وقع في النار، وذكر لنا
أنه حفرت بقعة فيه، فرؤي الدخان
يخرج منها. وقال جابر بن عبد الله:
رأيت الدخان يخرج من مسجد
الضرار.

﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَرْجِعُونَ﴾، أي: شكاً ونفاقاً، ﴿فِي
قُلُوبِهِمْ﴾، يحسبون أنهم كانوا في
بنيانه مُحْسِنِينَ كما حُبب العجل إلى
قوم موسى، قاله ابن عباس رضي الله
عنهما. وقال الكلبي: حسرة وندامة
لأنهم ندموا على بنائه. وقال السدي:
لا يزال هدم بنائهم ريبة أي حزازة
وغليظة في قلوبهم. ﴿إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ
قُلُوبَهُمْ﴾، أي: تتصدع قلوبهم
فيموتوا. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر
وحفص وحزمة ﴿تَقْطَعُ﴾ بفتح التاء،
أي: تنقطع، فحذفت إحدى التائين
تخفيفاً، وقرأ الآخرون: ﴿تَقْطَعُ﴾،
وقرأ يعقوب وحده «إلى أن» بتخفيف
اللام على الغاية، ويدل على قراءة
يعقوب تفسير الضحاك وقتادة: لا
يزالون في شك منه وندامة إلى أن
يموتوا فحينئذ يستيقنوا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

قال محمد بن كعب القرظي: لما
بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة
العقبة بمكة وهم سبعون نفساً، قال

الجنة أيضاً، وهذا أحسن فكانه وعدّ
الجنة لجميع المؤمنين؛ كما قال:
﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْتَفِينَ﴾ [النساء:
٩٥]، فمن جعله تابعاً للأول كان
الوعد بالجنة خاصاً، للمجاهدين
الموصوفين بهذه الصفات. قوله:
﴿الْكٰفِرِينَ﴾، أي: الذين تابوا من
الشرك ورسروا من النفاق،
﴿الْمَكِيدِينَ﴾ المطيعون الذين أخلصوا
العبادة لله عز وجل ﴿الْمَكِيدِينَ﴾،
الذين يحمدون الله على كل حال في
السراء والضراء.

وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «أول
من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذي
يحمّدون الله في السراء والضراء».

﴿الْكٰفِرِينَ﴾، قال ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهما: هم
الصائمون. وقال سفيان بن عيينة:
إنما سُمّي الصائم سائحاً لتركه
اللذات كلها من المطعم والمشرب
والمنكح. وقال عطاء: السائحون
الغزاة المجاهدون في سبيل الله.

رُوي عن عثمان بن مظعون
رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله
أذن لي في السياحة، فقال: «إن
سياحة آتني الجهاد في سبيل الله».

وقال عكرمة: السائحون هم طلبة
العلم. ﴿الرَّكٰوُونَ السَّجِدُونَ﴾، يعني
المصلين، ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾،
بالإيمان، ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ
النُّكْرِ﴾، عن الشرك. وقيل:
المعروف السنة والمنكر البدعة.
﴿وَالْحٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾، القائمون
بأوامر الله. وقال الحسن: أهل الوفاء
ببيعة الله. ﴿وَرَشِدِ الرَّسُولِ﴾.

﴿وَقَتْلُونَ﴾ بضم الياء
وفتح التاء على تقديم فعل
الفاعل على ما فعل
المفعول. والوجه أنهم
يقتلون الكفار أولاً ثم
يستشهدون، هذا الوجه
أظهر والقراءة به أكثر.
﴿وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾، أي:
ثواب الجنة لهم وعدّ وحقّ
﴿فِى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْفُرْقَانِ﴾، يعني: أنّ الله
عز وجل وعدهم هذا
الوعد وبينه في هذه
الكتب، وقيل فيه دليل
على أن أهل الملل كلهم
أمروا بالجهاد على ثواب

الجنة، ثم هناهم فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْرَأْ﴾،
فانفروا ﴿بِإِيجَابِ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ
وَذٰلِكَ هُوَ التَّوْرَةُ الْعَلِيْمَةُ﴾، قال عمر
رضي الله عنه: إنّ الله عز وجل
بايعك وجعل الصفتين لك، وقال
قتادة: فآمنهم الله عز وجل فأغلى
لهم، وقال الحسن: اسعوا إلى بيعة
ربيعة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه
أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر
الجنة ببعضها، ثم وصفهم فقال:

﴿الْكٰفِرِينَ﴾، قال الضراء:
استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع
الكلام. وقال الزجاج: التائبون رفع
بالابتداء وخبره مضمرة المعنى
التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة
أيضاً، أي: من لم يجاهد غير معاند
ولا قاصد لترك الجهاد، لأن بعض
المسلمين يُجزى عن بعض في
الجهاد، فمن كانت هذه صفته فله

الْكٰفِرُونَ الْمَكِيدُونَ الْحٰفِظُونَ السَّجِدُونَ
الرَّكٰوُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَرَشِدِ الرَّسُولِ ﷺ مَا كَانَتِ لِلنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ أَمْرًا أَنْ
يَسْتَفِيزُوا الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿١١٢﴾ وَمَا كَانَتْ
أَسْتَفْيزًا إِلَّا رَيْبًا أَوْ لَهْمًا يَأْكُلُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ يُفْضِلُ مَن يَشَاءُ لِمَن يَشَاءُ
﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُفْضِلُ قَوْمًا بَعْدَ آخَرٍ هٰذَا هُمْ حَتَّىٰ
يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مَلَكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ
دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٥﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْمُنْتَهَىٰ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيحُ قُلُوبَ قُرَيْشٍ
يَتَهَمَتُهُ تَتَرَاتِبٌ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أُعِدُّوا لَهُمْ يَوْمَ تَدْرُكُهُمْ
﴿١١٦﴾

عبدالله بن رواحة: يا رسول الله
اشتراط لربك ولنفسك ما شئت،
فقال: «اشتراط لربي عز وجل أن
تعبده ولا تشركوا به شيئاً، واشتراط
لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه
أنفسكم وأمواكم»، قالوا: فإذا فعلنا
ذلك فما لنا؟ قال: «الجنة»، قالوا:
ريح البيح لا نقييل ولا نستقبل،
فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ
النَّبِيِّينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ
الْجَنَّةَ﴾.

وقرأ الأعمش «بالجنة»،
﴿يَتَّقُونَ﴾ في سبيل الله قَتْلُونَ
﴿وَقَتْلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي:
«فَيُقْتَلُونَ» بضم الياء وفتح التاء
﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ بفتح الياء وضم التاء على
تقديم فعل المفعول على فعل
الفاعل، يعني: يُقتل بعضهم بعضاً
ويقتل الباقيون، وقرأ الباقيون
﴿يُقْتَلُونَ﴾ بفتح الياء وضم التاء

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية.

فقال قوم: سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أبي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يغرصها عليه ويعيدان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنة عنك»، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وأنزل [الله] في أبي طالب [فقال لرسول الله ﷺ]: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا محمد بن عبيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن

ميمون، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعنه أبي طالب: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أن تعيرني قريش فيقولون إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن يوسف، حدثني الليث حدثني يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه».

وقال أبو هريرة وبريدة: لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف عليه حتى حمت الشمس وجاء أن يؤذن له فيستغفر لها، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا محمد بن عبيد، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن

أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت».

قال قتادة: قال النبي ﷺ: «لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه»، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل خبراً عن إبراهيم عليه السلام قوله لأبيه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾، إلى قوله: ﴿وَإِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ﴾ [المنحعة: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَ﴾، قال بعضهم: الهاء في إياه عائدة إلى إبراهيم عليه السلام. والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه كان وعده أن يسلمه، فقال له إبراهيم سأستغفر لك ربي، يعني إذا أسلمت. وقال بعضهم: الهاء راجعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه. وهو قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤].

[٤٧]، يدل عليه قراءة الحسن: ﴿وعدها أباه﴾، بالباء الموحدة، والدليل على أن الوعد [كان] من إبراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الأب، قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤]، إلى أن قال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، فصرح أن إبراهيم ليس بقدره في هذا الاستغفار، وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم. ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾، لموته على الكفر، ﴿تَوَّابًا مِّنْهُ﴾، وقيل: فلما تبين له في الآخرة أنه عدو الله تبرأ منه، أي: تبرأ منه، وذلك لما:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول له أبوه: فالיום لا أعصيك، فيقول إبراهيم عليه السلام: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يُبعثون، فأني خزي أخزى من أبي [الأبعد] فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»، وفي رواية: فيتبرأ منه يومئذ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، واختلفوا في معنى الأواه.

جاء في الحديث: «إن الأواه الخاشع المتضرع».

وقال عبد الله بن مسعود: الأواه الذعاء. وعن ابن عباس قال: هو المؤمن التواب. وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله. وقال مجاهد: الأواه الموقن. وقال عكرمة: هو المستيقن بلغة الحبشة. وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: آو من النار، قيل أن لا ينفع آو. وقيل: هو الذي يتأوه من الذنوب. وقال عقبه بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله تعالى. وعن سعيد بن جبيرة قال: الأواه المسبح. وروي عنه: الأواه: المعلم للخير. وقال النخعي: هو الفقيه. وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله. وقال أيضاً: هو الخائف من النار. وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً. يريد أن يكون تضرعه على يقيناً ولزوم للطاعة. قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأواه. وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه آوه وتآوه، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكره، كما قال لأبيه عند وعيده، وقوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمِكَ وَأَهْجُرْنِي مِثْلًا﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٦ - ٤٧]، وعن ابن عباس

رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ يُلْحِقَ قَوْمًا بِعَدُوِّهِمْ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ الآية، معناه: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر وباستغفاركم للمشركين، ﴿وَمَا كَانَتْ يُلْحِقُ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي، فإذا تبين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال. وقال مجاهد: بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة، فافعلوا أو ذروا. وقال الضحاك: ما كان الله ليعذب قوماً حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون.

وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ وذلك أن قوماً قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ولم تكن الخمر حراماً ولا القبلة مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صُرفت، فقالوا: يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ يُلْحِقَ قَوْمًا بِعَدُوِّهِمْ إِذْ هَدَاهُمْ﴾.

يعني: ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْئًا عِلْمًا﴾، ثم عظم الله نفسه، فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَّ ثَمَّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾، يحكم بما يشاء، ﴿يُحْيِي

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٨﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ قَيْلًا إِلَّا لَأُكْرِبَ لَهُمْ بِهِمْ مَعْلٌ مَّا يَلِغُونَ فِي اللَّهِ لِأَيُّسِرَ بَعْضُ أَلْسِنَتِهِمْ ﴿١١٩﴾ وَلَا يَقْتُلُونَ نَفْسًا تَقَدَّسَتْ وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْتُلُونَ وَإِنَّمَا لِأُكْتِبَ لَهُمُ يَجْرِي بَيْنَهُمْ أَخْسَنُ مَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ﴿١٢٠﴾ وَمَا كَانُوا يَسْتَفْرِضُونَ أَيُّكُمْ أَقْبَلُ فَأَوْفَىٰ بِالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ حَلِيفَةٌ لِّسَنَفِّهِمْ فِي الَّذِينَ وَلِيَدْرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ أَلَمَهُمْ بِحَدْرٍ ﴿١٢١﴾

قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً.

﴿١١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، أي: خَلَفُوا عَنْ غزوة تبوك. وقيل: خَلَفُوا أَي: أُرْجِئَ أَمْرُهُمْ، عَنْ تَوْبَةِ أَبِي لَبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ لَاءُ الثَّلَاثَةِ هُم كَعْبُ بْنُ مَالِكِ الشَّاعِرِ، وَثُرَاةُ بْنُ الرَّيْبِ وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين

ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبة ستقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فاذغ اللذة، قال: «أحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم من

القرب، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر.

﴿١١٨﴾ ﴿وَمَا كَانُوا يَسْتَفْرِضُونَ﴾، قرأ حمزة وحفص: ﴿يَسْتَفْرِضُونَ﴾، بالياء؛ لقوله: ﴿كَادًا﴾، ولم يقل: كادث. وقرأ الآخرون بالياء. والزيغ: الميل، أي: من بعد كادت تميل، ﴿قُلُوبٌ قَوِيَّةٌ مَّتَمَّتْ﴾، أي: قلوب بعضهم، ولم يرد الميل عن الدين، بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم. قال الكلبي: هم ناس [هموا] بالتخلف ثم لحقوه. ﴿قَدَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية: ﴿قَدَّ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراه منه قبولها. ﴿إِنَّمَا يَهتَفُ بِهِنَّ رُؤُفٌ رَّحِيمٌ﴾،

وَيُؤْتِي مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ دُونِ وَلَا تُصِيرُ﴾.

﴿١١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدَّ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ﴾ الآية، ﴿تَابَ اللَّهُ﴾، أي: تجاوز وصفه. ومعنى توبته على النبي ﷺ بإذنه للمنافقين بالتخلف عنه. وقيل: افتتح الكلام به لأنه كان سبب توبتهم، فذكره معهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَن لَّيْلَهُ حُسْبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤١]، ونحوه. ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَكْبَرُوا فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، أي: في وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تُسمى غزوة العسرة، والجيش يسمى جيش العسرة، والعسرة الشدة، وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء.

قال الحسن: كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم للتمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم مبلغه أخذ التمرة فلاكها [في فمه] حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه فيمصها، ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم، ولا يبقى من التمرة إلا الثواة، فمضوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك على صدقهم ويقينهم ففازوا بالجنة ونعيمها.

وقال عمر بن الخطاب: خرجنا مع النبي ﷺ إلى تبوك في قبط شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى

تخلف عن غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أبي كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العبة حين تواقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، وكان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة.. ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وزي غيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوزاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي أنا قادر عليه إذا أردت، فلم ينزل بتمادى بي الأمر حتى اشتد

بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً. فقلت أتجهز بعده يوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم ينزل [ذلك بتمادى] بي حتى أسرعوا أو تفرط الغزو، فهممت أن ارتحل فأذركهم وليتني فعلت، فلم يُقدِّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقت فيهم أحزني أني لا أرى لني أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذَّر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه براده ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً من تبوك حضرنى همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستغنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادماً زاح عني الباطل وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون

فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سائرهم إلى الله، فجثته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجثت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابعت ظهرك؟» فقلت: بلى يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ثقلاً، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى قط ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمته وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ [لك]، فوالله ما زالون يؤنبوني حتى أردت أن أرجع وأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي

رجلين صالحين قد شهدا بدماء برأ فيهما أسوة فمضيئ حين ذكروهما لي .

قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حركت شفثيه برد السلام علي أم لا، ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيني وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له نحوي حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا

ثوابك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاد، فتيمنت به التنوير فسجرت.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا بل اعتزلها ولا تقر بها، وأرسل إلي صاحبي يمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحق بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك»، قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول لي رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبث بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله فينا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوقى علي جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، [قال]:

فخررت لله ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبيل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرساً وسعى ساع من أسلم فأوقى علي الجبل فكان الصوت أسرع من القرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزعته له ثوبي فكسوته إياهما بشره والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى النبي ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتؤوني بالتوبة ويقولون لي: ليُهَيِّك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني [بتوبة الله علي]. والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت علي رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك!» قال: قلت: أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلس بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير»

لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبير، قال: فقلت: يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي إلا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ووالله ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وروى إسحاق بن راشد عن الزهري بهذا الإسناد عن كعب، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر، وما من شيء أهم إلي من أن أموت ولا يصلي علي رسول الله ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة [التي أنا بها]، فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي [أحد]، وأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معينة في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تيب على كعب»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة»، حتى إذا صلى ﷺ صلاة الفجر أذن بتوبة الله علينا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَتْلَفَنَّا الَّذِينَ

خُفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، اتسعت، ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾، غمّاً وهمّاً، ﴿وَقَلْبُوا﴾، أي: تيقنوا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾، لا مفرج من الله، ﴿إِلَّا إِلَيْهِ تُرْكَبُ عَلَيْهِمْ يَسْتَوُونَ﴾، أي: ليستقيموا على التوبة فإن توبتهم قد سبقت، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَأْبُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال نافع: مع محمد وأصحابه. وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج: مع المهاجرين؛ لقوله تعالى: ﴿لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾، إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية. وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة. وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجز له، اقرؤوا إن شتمت هذه الآية.

﴿قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، ظاهره خبر ومعناه نهى؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ﴿وَمَنْ حَوَّلَ بَيْنَ الْأَعْرَابِ﴾، سكان البوادي مزيّنة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾، إذا غزوا، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾، أي:

ولا أن يرغبوا، ﴿وَأَنْفُسِهِمْ عَنْ تَقْسِيمِهِ﴾، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه. وقال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقة السفر ومقاساة التعب. ﴿ذَلِكَ لِأَنْتُمْ لَا يُحِبُّهُمْ﴾، في سفرهم، ﴿غَلَامًا﴾، عطش، ﴿وَلَا نَصَبًا﴾، تعب، ﴿وَلَا مَخْمَصَةً﴾، مجاعة، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوَاطِنَ﴾، أرضاً، ﴿بِغِيظِ الْكَفَّارِ﴾، وطوهم إياه، ﴿وَلَا يَأْتُونَ مِنَ عَدُوِّ تَيْلَانًا﴾، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة، ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي مريم، حدثنا عباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبيس وأنا ذاهب إلى الجمعة، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ اغْبَرَّتْ قدماءه في سبيل اللّٰهِ حَزَمَهُ اللّٰهُ عَلَى النَّارِ».

واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا يعذر، فأمّا غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة. وقال

الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية: إنها لأول هذه الأمة وآخرها. وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلاً، فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء من المسلمين أن يتخلف عنه، فقال: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَنَّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْفَرُونَ نَفَقَةً﴾، أي: في سبيل الله، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، ولو علاقة سوط، ﴿وَلَا يُقْفَرُونَ وَاوِيًا﴾، لا يجاوزون وادياً في مسيرهم مقبلين أو مدبرين، ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ﴾، يعني: آثارهم وخطاهم، ﴿يَجْرِبُهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ﴾.

روي عن خزيم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنا جرير عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقاة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف،

حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة، حدثني بسر بن سعيد، حدثني زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَنَّ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وهذا نفي بمعنى النهي.

قوله تعالى: ﴿فَرَقَهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة، ﴿لِيَنْفِقُوهَا فِي الْإِيمَانِ﴾، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنة والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل [الله] بعدهم [على نبيه من القرآن] فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا آخر، فذلك قوله: ﴿وَلِيَسْأَلُوا قَوْمَهُمْ﴾، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه.

وقال الحسن: هذا التفخه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلاً نفر فرقة ليتفقوا، أي: ليتصروا

بما يريدهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يعادوا النبي ﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

وقال الكلبي: لها وجه آخر وهو أن أحياء من بني أسد وخزيمة أصابهم سنة شديدة فأقبلوا بالذراري حتى نزلوا المدينة فأنفسدوا طرفها بالعدوات وأغلوا أسعارها، فنزل قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَنَّ﴾، أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقوا في الدين.

وقال مجاهد: نزلت في ناس خرجوا في البوادي ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفاً ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم: ما تراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجاً، وأقبلوا كلهم من البداية حتى دخلوا على النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

أي: هلاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين وليستمعوا ما أنزل [الله] بعدهم ولينذروا قومهم، يعني: الناس كلهم إذا رجعوا إليهم ويدعوهم إلى الله، لعلهم يحذرون بأس الله ونقمته، وقعدت طائفة يتغون الخير.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، حدثنا عبد الله بن عمر



الطهارة والصلاة والصوم. فعلى كل مكلف معرفته. قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه. وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعاً وإذا قام من كل بلد واحد

بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث.

روى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أذنكم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

﴿١٢٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِيلُوا الَّذِينَ يُكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الآية، أمروا بقتال الأقرب

فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها.

وقيل: أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق، ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ

الجوهرى، حدثنا أحمد بن علي الكشمياني، حدثنا علي بن خنجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

والفقه: هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، ففرض العين مثل علم

﴿عَلَّمَهُ﴾، شدة وحمية. قال الحسن: صبراً على جهادهم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، بالعون والضرورة.

﴿١٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ وَادَّعَاهُ هَلْهُوَ مِنْكُمُ أَيُّكُمْ﴾، يقيناً. كان المنافقون يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾، يقيناً وتصديقاً، ﴿وَمَنْ يَسْتَبْشِرْهُنَّ﴾، يفرحون بنزول القرآن.

﴿١٢٥﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِنَّ رِجْسَهُمْ﴾، أي: لا كسراً إلى كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص، وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً.

وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو المظنة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظنة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السوداء حتى يسود القلب كله، وأبى الله لو شققتم عن قلب مؤمن لو جدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لو جدتموه أسود. ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفْرُونَ﴾.

﴿١٢٦﴾ قوله: ﴿أَوَّلًا يُرُونَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: «ترون» بالناء على خطاب النبي والمؤمنين، وقرأ الآخرون بالباء خبر عن المنافقين المذكورين. «أَنَّهُمْ يُشْتَرُونَ» يبتلسون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ

مَرْبُوبٍ، بالأمراض والشدائد. وقال مجاهد: بالقطح والشدة. وقال قتادة: بالغزو والجهاد. وقال مقاتل بن حيان: يفضحون بإظهار نفاقهم. وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون. وقال يمان [بن رباب]: ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين. ﴿ثُمَّ لَا يَأْتُونَكُمُ﴾، من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: ولا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿فَنظَرَ نَظْرَهُمْ إِلَىٰ بَيْتٍ﴾، يريدون الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة، ﴿هَٰذَا بَرْنِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: أحد من خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ثُمَّ أَصْرَفُوا﴾، عن الإيمان بها. وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، عن الإيمان. قال أبو إسحاق الزجاج: أضلَّهُم اللّٰهُ مجازاةً على فعلهم ذلك، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا إذا صليتم: انصرفنا فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا قد قضينا الصلاة.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾﴾، تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب من بني إسماعيل. قال ابن

عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ، وله فيهم نسب. وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الشعلي، أنا عبد الله بن حامد، حدثنا حامد بن محمد، أنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن أبي نعيم، حدثنا هشيم، حدثني المدني يعني أبا

معشر، عن أبي الحويرث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنجاح الإسلام».

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصة «من أنفسكم» بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، شديد عليه، ﴿مَا عَسَيْتُمْ﴾، قيل: ﴿مَا﴾ صلة، أي: عسيتكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم. وقال القتيبي: ما عسيتكم وضرركم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتكم. وقال الضحاك والكلبي: ما أتممتكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على إيمانكم وصلاحتكم. وقال قتادة: حريص عليكم أي على ضاللتكم أن يهديه الله، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رَهْوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّسَالَةَ، آتَتْ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا يَنْصُرِيكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ إِذْ يُبَدِّلُ دِينَكُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنْتُمْ يَدْعُوا فَالِقَ لُحْمٍ يُدَبِّرُهُ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَالنَّاصِطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ عَتَاكِلًا لِّلنَّاسِ لَعَلَّ السَّٰبِقِينَ وَالْحَسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُصَلِّى الْأَنْبِيَاءَ لِقَوْمٍ يُصَلِّونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي آخِثِ الْبَلَاءِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴿٦﴾

﴿إِن تَوَلَّوْا﴾، إن عرضوا عن الإيمان وناصروك الحزب، ﴿فَسُدَّ حَسْبُكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

روى عن أبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، إلى آخر السورة، وقال: هما أحدث الآيات بالله عهداً.

سورة يونس

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [٩٤ - ٩٦]، إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الرَّءِ﴾ و﴿التر﴾ [الرعد: ١]، قرأ أهل الحجاز والشام وحضن

بفتح الراء فيهما وقرأ الآخرون بالإمالة، قال ابن عباس والضحاك: ﴿الرَّءُ﴾ أنا الله أرى، و﴿المرءُ﴾ أنا الله أعلم وأرى. وقال سعيد بن جبير ﴿الرَّءُ﴾ و﴿حَمَّ﴾ و﴿رَتَّ﴾ حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حرف التهجي. ﴿يَلَاكُ﴾ أي: هذا وأراد بالكتاب الحكيم القرآن. وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: ﴿يَلَاكُ﴾، وتلك إشارة إلى غائب مؤنث والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعول بذليل قوله: ﴿كَيْتَبُ أَتَيْكَتْ﴾ [هود: ٤١]، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل، دليله قوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقيل: هو بمعنى المحكوم، فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى، وبالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه.

٢ قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وسبب نزول الآية أن الله عز وجل لما بعث محمداً ﷺ رسولا، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً. فقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، يعني: أهل مكة، والأيُّف فيه للتوبيخ ﴿عَجَبًا أَنَّهُ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَبُّوهُمْ﴾، يعني:

محمداً ﷺ، ﴿أَن أُنذِرَ النَّاسَ﴾، أي: أعلمهم مع التخويف، ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ قَدَّمَ صِدْقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن عباس: أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم. قال الضحاك: ثواب صدق. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول. وقال زيد بن أسلم: هو شفاعة الرسول ﷺ. وقال عطاء: مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه. وقيل: منزلة رفيعة. وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعتة، كقولهم: مسجد الجامع، وحب الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدم سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم سالحة. ﴿قَالَ الْكَاذِبُونَ إِنَّا هَذَا لَسِحْرٌ عُيُونٍ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة والشام: «لسحر» بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: «لساحر» بالألف، يعنون محمداً ﷺ.

٣ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾، يقضيه وحده، ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ إِذْنِهِ﴾، معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه، وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ربكم لا رب لكم سواء،

﴿فَأَعْتَدُوا أَنَا تَذَكُّرًا﴾، تشعظون. ﴿إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾، صدقاً لا خلف فيه. نصب على المصدر، أي: وعدكم وعداً حقاً ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، أي: يُحييهم ابتداء ثم يُميتهم ثم يُحييهم، قراءة العامة: ﴿إِنَّهُ﴾ بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ أبو جعفر «أنه» بالفتح على معنى بأنه ﴿يُنزِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شْرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾، ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

٤ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾، بالنهار، ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذات نور، ﴿وَقَدَرُوا مَنَازِلَ﴾، أي: قدر له يعني هيا له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل: قدرهما. قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسَبَ لَهُمُ الشُّعْبَةُ﴾ [التوبة: ٦٢]. وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن بالقمر يُعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً وأسمائها: الشربان، والبطين، والشرياء، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنسر، والطوف، والجبهة، والزريرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزياني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعايم،

لَا يَكْفِي لِقَوِي بَسْتَقُونَ ﴿٦﴾،
يؤمنون.

﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا
يَرْجُونَ لِقَاءَنَا، أي: لا
يخافون عقابنا ولا يرجون
ثوابنا، والرجاء يكون
بمعنى الخوف والطمع،
﴿رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾،
فاختاروها وعملوا لها،
﴿وَأَطَاعُوا أَيْهَا﴾، وسكنوا
إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
مَائِنَتِنَا غَافِلُونَ﴾، أي: عن
أدلتنا غافلون لا يعتبرون.
وقال ابن عباس رضي الله
عنهما: عن آياتنا [أي] عن

والبلدة، وسعد الذابح وسعد بلع،
وسعد السعود، وسعد الأخبية،
وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو
المؤخر، ويطن الحوت، وهذه
المنازل مقسومة على البروج، وهي
اثنا عشر برجاً: الحمل والشور
والجوزاء، والسرطان والأسد
والسنبله، والميزان والعقرب
والقوس، والجدي والدلو
والحوت، فلكل برج منزلان وثلث
منزل، فينزل القمر كل ليلة منزلاً
منها، ويستتر ليلتين إن كان الشهر
ثلاثين، وإن كان الشهر تسعاً
وعشرين فليلة واحدة، فيكون
انقضاء الشهر بنزول تلك المنازل
ويكون مقام الشمس في كل منزلة
ثلاثة عشر يوماً وثلث يوم، فيكون
انقضاء السنة من انقضائها.

قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ
الْأَيَّاتِ﴾، أي: قدر المنازل.
﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ الْآيَاتِ﴾ دخولها
وانقضائها، ﴿وَالْحِسَابِ﴾، يعني:
حساب الشهور والأيام والساعات.
﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾، رده إلى الخلق
والتقدير ولولا رده إلى الأعيان
المذكورة لقال تلك، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾،
أي: لم يخلقه باطلاً بل إظهاراً
لصنعه ودلالة على قدرته. ﴿يَقُولُ
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ رَبَّهُمْ﴾، قرأ ابن كثير
وأبو عمرو و [أبو جعفر] وحفص
ويعقوب: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء، لقوله:
﴿مَا خَلَقَ﴾، وقرأ الباقون: «نفسل»
بالتون على التعظيم.

﴿٨﴾ وَإِنِّي أَخْلَقِفُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَائِنَتِنَا غَافِلُونَ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ
أَنْتَارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ التَّيْبِ ﴿٨﴾ دَعَوْنَهُمْ فَمَا شَبَّحَكَ
اللَّهُمْ وَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَيَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
أَسْتَعْجِلَ لَهُمُ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَسْئَلَهُمْ فَتَدَّرُ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ الشَّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَفَّتْنَا
عَنْهُ ضَرَّهُ مَرَّكَانَ لَوْ يَدْعَا إِلَى ضَرِّهِمْ كَذَلِكَ زَبِينٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَجْرِي الْقُرُونُ لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلْقِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

بأمرهم، ﴿فِي جَنَّاتِ التَّيْبِ﴾.

﴿١٠﴾ دَعَوْنَهُمْ، أي: قولهم
وكلامهم. وقيل: دعاؤهم. ﴿فَمَا
شَبَّحَكَ اللَّهُمَّ﴾، وهي كلمة تنزيه،
تنزه الله من كل سوء.

وروينا: «أن أهل الجنة يلهمون
الحمد والتسبيح، كما يلهمون
النفس».

قال أهل التفسير: هذه الكلمة
علامة بين أهل الجنة والخدم في
الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ فَأَتَوْهُمْ فِي الْوَقْتِ بِمَا
يَشْتَهُونَ عَلَى الْمَوَائِدِ، كل مائدة ميل
في ميل، على كل مائدة سبعون ألف
صحفة، وفي كل صحفة لون من
الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا
فرغوا من الطعام حمدوا الله، فذلك
قوله تعالى: ﴿وَإِخْرَجَهُمْ أَنِّي
لَعْنَةُ لَوْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قوله
تعالى: ﴿وَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ﴾، أي:

محمد ﷺ والقرآن غافلون
معرضون.

﴿٨﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ
أَنْتَارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ، من الكفر
والتكذيب.

﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ﴾، فيه إضمار، أي: يرشدهم
ربهم بإيمانهم إلى جنات، ﴿تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، وقال مجاهد:
يهدبهم على الصراط إلى الجنة يجعل
لهم نوراً يمشون به. وقيل: يهديهم
معناه يشبههم ويجزيهم. وقيل: معناه
بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي:
بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم
الأنهار، أي: بين أيديهم؛ كقوله عز
وجل: ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ سَبِيلًا﴾
[مريم: ٢٤]، لم يرد به أنه تحتها
وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها.
وقيل: تجري من تحتهم أي:

يحيي بعضهم بعضاً بالسلام. وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام. وقيل: تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام. ﴿وَمَا يَرَوْا دَعْوَتَهُمْ أَنْ لَكُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد.

﴿١١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَجَابَ لَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، قال ابن عباس: هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله ولا يبارك الله فيكم. قال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب معناه: لو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر والمكروه استجبالهم بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير، ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿لَقَضَىٰ﴾ بفتح القاف والضاد، ﴿أَجَلَهُمْ﴾ نصب، أي: لأهلك من دعى عليه وأماته. وقال الآخرون: ﴿لَقَضَىٰ﴾ بضم القاف وكسر الضاد ﴿أَجَلَهُمْ﴾ رفع، أي: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً. وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿فَنَذَرُ اللَّيْنَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، لا يخافون البيعت والحساب، ﴿فِي طَلْقَيْنِهِمْ يَمْشُونَ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، حدثنا

أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنبأنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن همام بن منه، أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفني، فإنما أنا بشر فيصدر مني ما يصدر من البشر، فأني المؤمنین أذيتة أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة».

﴿١٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مِنَ الْإِنْسَانِ الْكُفْرَ﴾، الجهد والشدة، ﴿دَعَا لِيَجِيبَهُ﴾، أي: على جنبه مضطجعا، ﴿أَوْ قَائِداً أَوْ قَائِماً﴾، يريد في جميع حالاته، لأن الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات. ﴿فَلَمَّا كَفَتْنَا﴾، رفعنا ﴿عَنْهُ ضَرْبُ مَرٍّ كَأَن لَّوْ يَدْعُنَا إِلَيْكَ ضَرْبُ مَسْأَلٍ﴾، أي: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد البلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضربه، أي: ولم يطلب منا كشف ضربه، ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ﴾، المجاوزين الحد في الكفر والمعصية، ﴿مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾، من العصيان. قال ابن جريج: كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء. وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

﴿١٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْكُفْرَةَ بَيْنَ قَلْبِكُمْ لَمَّا ظَلَمْتُمْ﴾، أشركوا،

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾، أي: كما أهلكتناهم بكفرهم، ﴿بِحُجْرِي﴾، نعاب ونهلك، ﴿الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ، يُخَوِّفُ كَفَارَ مَكَّةَ بِعَذَابِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الْمَكْدُوبَةِ.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾، أي: خلفاء، ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد القرون التي أهلكتناهم، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وهو أعلم بهم.

وروينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فانظروا كيف تعملون».

﴿١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ تَخَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾، قال قتادة: يعني مشركي مكة. وقال مقاتل: هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر بن هشام. ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، [هم السابق ذكرهم] قالوا للنبي ﷺ: إن كنت تريد أن تؤمن بك ﴿أَنْتِ بِقُرْبَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة، وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿أَوْ بَدَلَةٌ﴾، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالاً أو مكان حلال حراماً، ﴿قُلْ﴾ لهم يا

محمد: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾، من قِيلَ نفسي ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾، [أي: ما أتيت إلا ما يوحى إلي] فيما أمركم به وأنهامكم عنه، ﴿إِنِّي لَأَنفَأُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن علي، ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾، أي: ولا أعلمكم الله. وقرا البزي عن ابن كثير: «ولأدراكم به»، بالقصر به على الإيجاب، يريد ولا علمكم به من غير قراءتي عليكم. وقرا ابن عباس: «ولا أنذرتكم به»، من الإنذار. ﴿فَكَذَّبْتَ بِكُفْرِكُمْ عُمُرًا﴾، حيناً وهو أربعون سنة، ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء، ﴿أَفَلَا تَمْقُولُونَ﴾، أنه ليس من قبلي، ولبت النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وزوي أنس: أنه أقام بمكة بعد الوحي عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ستين سنة، والأول أشهر وأظهر.

﴿قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْرَاقٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له شريكاً أو ولداً ﴿إِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾، بمحمد ﷺ وسال القرآن، ﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ

الْمُجْرِمُونَ﴾، لا يسجدوا المشركون.

﴿وَيَسْئُرُونَ مِنْ دُورِ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ﴾، إن عصوه وتركوا عبادته، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن عبدوهم، يعني: الأصنام، ﴿وَيَقُولُونَ هَذَا كَذِبٌ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ﴾، أتخبرون الله، ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾، الله صحته، ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكاً وعنده شفيعاً بغير إذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً،

الْمُجْرِمُونَ

الْمُجْرِمُونَ

وَأَذَانُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَا إِنَّا بِنَبِيِّنَا قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارِ بَشْرَةٍ إِنْ عَرَّهَذَا أَوْ يَدْبَهُ لَمَّا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي لَأَنفَأُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْرَاقٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا إِنَّمَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَسْئُرُونَ مِنْ دُورِ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَذَا كَذِبٌ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ قُلْ أَتَخْبَرُونَ اللَّهَ، ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾، في الأرضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَهُ الْوَيْلُ وَمَا كَانَ الْكَاسِ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَهُ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا فَأَنْظِرُوا إِنَّا نَنْظِرُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٠﴾

١٦

كلمة سبقت من ربك مضت في حكمه، أنه: لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالشواب والعقاب دون يوم القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل مواعدهم يوم القيامة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا﴾، على محمد ﷺ، ﴿فَمَا نَقَرُّهُ﴾، ما نقترحه، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، يعني: قل إنما سألتموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحد منكم لم يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو. وقيل: الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره، ﴿فَأَنْظِرُوا﴾، نزولها، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظِرِينَ﴾، وقيل: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار المحق على المبطل.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَهُ الْوَيْلُ وَمَا كَانَ الْكَاسِ﴾، بالهاء ها هنا وفي سورة النحل [١ - ٣] موضعين، وفي سورة الروم [٢٣]، وقرا الآخرون كلها بالياء.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْكَاسِ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على الإسلام فاختلفوا. وقد ذكرنا الاختلاف في سورة البقرة: ﴿فَاتَّخَذُوا﴾، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، بأن جعل لكل أمة أجلاً. وقال الكلبي: هي إبهال هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلاً بينهم، ﴿وَمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وقال الحسن: ولولا

الذَّبَابِ»، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خير ابتداء مضمراً؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ مَّبْلُغًا﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي: هذا بلاغ. وقيل: هو كلام متصل، والبغوي ابتداء ومتاع خبره، ومعناه: إنما بغيتكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زاداً لمعاد لأنكم تستوجبون به غضب الله. وقرأ حفص ﴿مَتَّعَ﴾ بالنصب، أي: تمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِنَّا سَرَّجْنَاهُمْ كَقَتَبِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ فِي فَنَاءِهَا وَزَوَالِهَا، كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ، أَي: بالمطر، ﴿بَثَّ الْأَرْضَ﴾، قال ابن عباس: نبت بالماء من كل لون، ﴿رِيحًا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾، من الحبوب والثمار، ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾، من الحشيش، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا، حَسَنَهَا وَبِهِجَّتْهَا وَظَهَرَ الزَّهْرُ أَخْضَرَ﴾ [وأحمر وأصفر وأبيض]، ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: تزينت. ﴿وَكُلَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا﴾، على جذائها، وقطافها وحصادها، رذ الكناية إلى الأرض. والمراد: النبات إذ كان مفهوماً، وقيل: رذها إلى الغلّة. وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتْنَهَا أُمَّرًا﴾، قضاؤها بإهلاكها، ﴿يَتَلَا أَوْ تَهَارًا فَجَمَلْتَهَا حَبِيدًا﴾، أي: محصودة مقطوعة، ﴿كَأَنَّ لَمْ تَقَرَّ بِالْأَمْسِ﴾، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. وقال قتادة: معناه إن المتشبهت بالدنيا يأتيه أمر الله

أبو جعفر وابن عامر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر وهو البسط والبث، ﴿فِي الْبَرِّ﴾، على ظهور الدواب، ﴿وَفِي الْبَحْرِ﴾، على الفلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾، أي: في السفن، تكون واحداً وجمعاً ﴿وَجَرَيْنَ يَمِينٍ﴾، يعني: جرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الخبر، ﴿يُرِيحُ طَبِيبُؤُكُمْ لَيْتَنَ، ﴿وَقَرَحُوا بِهَا﴾، أي: بالريح، ﴿جَلَّةٌ تَهَارِيحُ﴾، أي: جاءت الفلك ريح، ﴿عَاصِفٌ﴾، شديدة

الهبوب، ولم يقل ريح عاصفة، لاختصاص الريح بالعصفوف. وقيل: الريح يذكر ويؤنث. ﴿وَمَا هُمْ﴾، يعني: ركبان السفينة، ﴿الْمَرْجُ﴾، وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ أَحْبَطَ بِهَتْمْ﴾، دنوا من الهلكة، أي: أحاط بهم الهلاك، ﴿دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾، أي: أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحداً سوى الله، وقالوا: ﴿لَئِن أَعْجَبْنَا، ياربنا، ﴿مِنْ هَذَا يَوْمِ﴾، الريح العاصف، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لك بالإيمان والطاعة.

﴿١٨﴾ ﴿فَلَمَّا أَجْتَنَّهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، ﴿يَقْتَرِ الْعَيَّ﴾، أي: [بالفساد] أي: بالقتال. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِقَيْكُمْ عَلَيَّ أَنفُسِكُمْ﴾، لأن وباله راجع عليها، ثم ابتداء فقال: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ

وَأَذَانَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاةٍ مَّسْتَهْمٌ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي مَا يَأْتِيهِمْ قُلُوبُهُمْ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَكُونُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ يَمِينٍ يُرِيحُ طَبِيبُؤُكُمْ وَقَرَحُوا بِهَا جَلَّةٌ تَهَارِيحُ عَاصِفٌ وَمَا هُمْ مِنَ الْمَرْجِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ أَحْبَطَ بِهَتْمْ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن أَعْجَبْنَا مِنْ هَذَا يَوْمِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَجْتَنَّهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْعِرُ الْعَيَّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِقَيْكُمْ عَلَيَّ أَنفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا سَرَّجْنَاهُمْ كَقَتَبِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ بَثَّ الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتَ وَظَلَّجَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَتْنَهَا أُمَّرًا يَتَلَا أَوْ تَهَارًا فَجَمَلْتَهَا حَبِيدًا كَأَنَّ لَمْ تَقَرَّ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ لِقَاؤَ يَوْمِ نَبِّكَ كَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١﴾

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذَانَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاةٍ مَّسْتَهْمٌ يَبْعُونَ يَبْعُونَ﴾، أي: راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء. وقيل: القطر بعد القحط، ﴿مَسْتَهْمٌ﴾، أي: أصابتهم، ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي مَا يَأْتِيهِمْ﴾، قال مجاهد: تكذيب واستهزاء، وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقيتنا ينزء كذا، وهو قوله: ﴿وَيَحْمِلُونَ رِقَابَكُمْ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، [أي:] أعجل عقوبة وأشد أخذاً وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق، ﴿إِنَّهُ رُسُلُنَا﴾، حفظتنا، ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَكُونُونَ﴾، وقرأ يعقوب: ﴿يَمَكْرُونَ﴾، بالياء.

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ﴾، يجريكم ويحملكم، وقرأ

وعذابه أغفل ما يكون، ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

٢٥ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾، قال قتادة: السلام هو الله وداره الجنة. وقيل: السلام بمعنى السلامة، سُميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات. وقيل: المراد بالسلام التحية سُميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والملائكة تسلم عليهم. قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ﴿الرعد: ٢٣ - ٢٤﴾.

وروينا عن جابر قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً قال: فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: كممثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبةً ويعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجبِ الداعي لم يدخل الدار. ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس.

﴿رَبِّهِمْ مَنْ يَكْتُمُ إِلَيْكَ وَيُرِيكَ مَشْفِقِينَ﴾، فالصراط المستقيم هو الإسلام عم بالدعوة لإظهار الحجة، وخُص

بالهداية استغناء عن الخلق.

٢٦ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زِيَادَةٌ﴾، أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة، وأبو موسى، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والضحاك، والسدي.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن [عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم إملاء، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصغاني حدثنا الأسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت يعني البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ضهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زِيَادَةٌ﴾، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه» قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يتقل موازيتنا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب فينظرون

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَشَاءُهَا وَسَاءَ لِمَنْ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاقِبَةٍ إِنَّهَا آتِيَةٌ وَجُوهُهُمْ قُطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَذُكِّرُوا لِيَعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَانُوا شُرَكَاءُكُمْ مَا كَانُوا أَنفُسَهُمْ فَيَا قَوْمٍ تُعْبَدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا وَإِنسَأ وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ مُفْرِقِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُغُونَ نَقْرًا فَتُفَسِّرُونَ مَا أُسْقِفْتُمْ وَأُولَٰئِكَ أُولُو مَأْوِنَهُمْ أُنْحَاقٌ وَمَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَدُوكُمُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ مَنْ يُخْرِجُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ وَيَخْرِقُ الْعَبَابَ وَيَزِيلُ الْأَكْخَامَ قَسِيحُونَ اللَّهُ فَفَلَّ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ كَرِيمًا فَإِذَا بَدَأَ الْغَيْثَ إِذَا الْغُلُلُ فَاَن مَّضُورُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

إلى وجه الله عز وجل، قال: فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه.

وروي عن ابن عباس: أن الحسنى هي: أن الحسنه بمثلها والزيادة هي التضعيف عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف. وقال مجاهد: الحسنى: حسنة مثل حسنة، والزيادة المغفرة والرضوان. ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾، لا يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، غبار، جمع قتره. وقال ابن عباس وقتادة: سواد الوجه، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، هوان قال قتادة: كتابة. قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

٢٧ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَشَاءُهَا﴾، أي: لهم مثلها، كما قال: ﴿وَمَنْ جَاءَهُ الْبَسِيفَةُ فَلَا يَجْزِعُهَا إِلَّا بِشَيْئِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿وَرُؤُوسَهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاقِبَةٍ﴾،

أي: إلى الحق، ﴿أَفَنَنْ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبَيِّنَ آتِنَ لَا يَهْدَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون بتشديد الدال ثم قرأ أبو جعفر وقالون بسكون الهاء، وأبو عمرو بروم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء، وأبو بكر بكسرها، والباقون بفتحهما، ومعناه: يهتدي في جميعها. فمن خفف الدال قال: يقال هديته فهدي، أي: اهتدي، ومن شدد الدال أذغم التاء في الدال، ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إظهار التخفيف، ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في (تعذوا) و (يخصمون)، ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلا لتقاء الساكنين، وقال: الجزم يُحَرِّكُ إِلَى الْكَسْرِ، ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الكسرة الكسرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يهدي. فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾، والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يهدي؟ قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحْمَلْ وَتُنْقَلْ، بين به عجز الأصنام. وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يُعْبَرُ عَنْ يَسْمَعُ وَيَعْقِلُ، وَوَصِفَتْ بِصِفَةِ

من يعقل، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبِيحُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة وإنما تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً وقيل: لا يقوم مقام العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال الفراء: معناه وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، وقيل: ﴿أَنْ﴾ بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل. وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ﴾، تبیین ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿لَا رَبَّ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، وقال أبو عبيدة: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿أَفْتَرَيْنَاهُ﴾، اختلق محمد القرآن من قبيل نفسه، ﴿قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾، شبه القرآن وادعوا من استظفروا، ممن تعبدون، ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ليعيشواكم على ذلك،

﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن محمداً افتراه، ثم قال:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾، يعني: القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ﴿وَلَمَّا بَاءَ بِهِنَّ الْقُرْآنُ أَنَّهُ صِدْقٌ مَا اسْمَعُوا﴾، أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم. ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْبُرْهَانُ بِالْحَقِّ﴾، أي: كسبوا كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، آخر أمر المشركين بالهلاك.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا يَدْعُهُ شَيْئاً﴾، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا يَدْعُهُ شَيْئاً﴾، لعلم الله السابق فيهم، ﴿وَرَبُّكَ أَظْهَرُ بِالْمُتَدِينِينَ﴾، الذين لا يؤمنون.

﴿وَأَنْ كَذَّبُوكَ﴾، يا محمد، ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾، وجزاؤه، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا يَدْعُهُ شَيْئاً﴾، وجزاؤه، ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، وجزاؤه، ﴿وَمَا أَكْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمَا أَصْلَحُ﴾، هذا كقوله تعالى: ﴿لَمَّا أَصْلَحْنَا وَكُنَّمُ أَصْلَحْنَا﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [النساء: ٦٠].

قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد، ثم أخير أن التوفيق للإيمان به لا بغيره.

﴿فَقُلْ﴾، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا يَدْعُهُ شَيْئاً﴾، بأسماعيلهم الظاهرة فلا ينفعهم، ﴿أَفَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾، يريد سماع القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّرَبِّبْنَا إِلَىٰ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَيْعَتَهُ اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نُوعِدُكَ وَأَنْتَ لَا تَبْتَلِيْنَا جَهَنَّمَ فَمِ مَن يَشْهَدُ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أَتَقُولُ رَسُولٌ وَإِذَا حَكَمَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَمَا لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عِدَاءٌ بَيْنَنَا أَوْ بَيْنَهُمْ لِمَ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَنزَلْنَا مَا وَجَعْنَا مِنْهُمُ بِهِمْ فَكُلَّمَا يَدُورُ قَدْرًا يَدُورُ يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ وَمَا أَشْرِعْتُمْ مَعْجِرَاتِ ﴿٥٣﴾

المشركون، ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾، الذي تعدنا يا محمد من العذاب. وقيل: قيام الساعة، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنت يا محمد وأتباعك.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، لا أقدر لها على شيء، ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي: دفع ضر ولا جلب نفع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة مضروية، ﴿إِنَّا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، وقت فناء أعمارهم، ﴿فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾، أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عِدَاءٌ بَيْنَنَا أَوْ بَيْنَهُمْ لِمَ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون.

وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه. وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، فيقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبُتْنَا بِعَذَابِ آيَاتِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فيقول الله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾، يعني: [أي شيء] يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحاً ماذا جنيت على نفسك.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أَتَقُولُ رَسُولٌ وَإِذَا حَكَمَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي: عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني: قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قُضِيَ بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَمَا يَظْلِمُونَ﴾، لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، قرأ حفص بالياء والآخرين بالنون، ﴿كَأَن لَّرَبِّبْنَا إِلَىٰ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كان لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كان لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾،

يعرف بعضهم بعضاً حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبه وخشيته. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَيْعَتَهُ اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا شيء أعظم منه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نُوعِدُكَ﴾، يا محمد في حياتك من العذاب، ﴿أَوْ نُورِّثُكَ﴾،

قبل تعذيبهم، ﴿وَإِنَّا نَحْشُرُهُمْ فِي الْأَخْـسَرَةِ﴾، فيجزئهم به، ﴿فَمِ مَن يَفْعَلُونَ﴾، بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد. وقال مجاهد: فكان البعض الذي أراه [له] قتلهم بيد، وسائر أنواع العذاب بعد موتهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أَتَقُولُ رَسُولٌ وَإِذَا حَكَمَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، خلعت، ﴿رَسُولٌ فَإِذَا حَكَمَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، وكذبوه، ﴿فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي: عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني: قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قُضِيَ بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَمَا يَظْلِمُونَ﴾، لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، أي: وعقولون، ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾،

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، بأبصارهم الظاهرة، ﴿أَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ﴾، يريد عمى القلوب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾، وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ، يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن.

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، لأنه في جميع أفعاله مُتَفَضِّلٌ وعادل، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية.

﴿قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، قرأ حفص بالياء والآخرين بالنون، ﴿كَأَن لَّرَبِّبْنَا إِلَىٰ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كان لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كان لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾،

لكم الآن تؤمنون حين وقع العذاب؟
﴿وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ كَسَابِينَ﴾، تكذيباً واستهزاء.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا،
اشْرِكُوا، ذُوقُوا عَذَابَ الْكَلْبِ هَلْ
تُجْرُونَ إِلَّا يَمَّا كُنتُمْ تكسبون﴾، في
الدنيا.

﴿يَسْتخبرونك يا محمد، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾،
أي: ما تعدنا من العذاب وقيام
الساعة، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، أي: نعم
وربي، ﴿إِنَّهُ لَسَوَّى﴾ لا شك فيه،
﴿وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي: بفائتين
من العذاب، لأن من عجز عن شيء
فقد فاته.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَسِيٍّ ظَلَمْتُمْ،
أي: أشركت، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ
بِهِ﴾، يوم القيامة، والافتداء ههنا
بذل ما ينجو به من العذاب. ﴿وَأَسْرَأُوا
النَّدَامَةَ﴾، قال أبو عبيدة: معناه
أظهروا الندامة، لأنه ليس ذلك اليوم
يوم تصبر وتصنع. وقيل: معناه
أخفوا أي أخفي الرؤساء الندامة من
الضعفاء خوفاً من ملامتهم
وتعبيرهم، ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتُوهُ
بِئْتَهُمْ بِالْقَسْطِ﴾، فرغ من عذابهم،
﴿وَمَنْ لَا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ آيَاتٌ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلِكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُنزِلُ
رِزْقَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ
جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾، تذكرة، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ
وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: دواء
لما في الصدور من داء الجهل،

وقيل: ﴿لَمَّا فِي
الصُّدُورِ﴾، أي: شفاء
لعلى القلوب، والصدر
موضع القلب، وهو أعز
موضع في الإنسان لجوار
القلب، ﴿وهذى﴾، من
الضلالة، ﴿ورحمة
للمؤمنين﴾، والرحمة هي
النعمة على المحتاج، فإنه
لو أهدى ملك إلى ملك
شيئاً [فإنه] لا يقال قد
رحمه، وإن كان ذلك
نعمة فإنه لم يضعها في
محتاج.

قوله تعالى: ﴿قُلْ

يُفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ﴾، قال
مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان،
ورحمته: القرآن. وقال أبو سعيد
الخدري: فضل الله القرآن ورحمته
أن جعلنا من أهله، وقال ابن عمر:
فضل الله: الإسلام، رحمته: تزيينه
في القلب. وقال خالد بن معدان:
فضل الله: الإسلام، ورحمته:
السنن. وقيل: فضل الله: الإيمان،
ورحمته: الجنة. ﴿فِي ذَلِكَ لَلَّذِينَ
أَشْرَكُوا﴾، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله
من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾،
أي: [خير] مما يجمعه الكفار من
الأموال. وقيل: كلاهما خير عن
الكفار. وقرأ أبو جعفر وابن عامر:
﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ بالياء و (تجمعون)
بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء،
مختلف عنه خطاباً للمؤمنين.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة،
﴿أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ
رِزْقِي﴾، عبر عن الخلق بالإنزال،

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَسِيٍّ ظَلَمْتُمْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَقْتَدَتْ بِهِ، وَأَسْرَأُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتُوهُ بِئْتَهُمْ بِالْقَسْطِ وَهُمْ
لَا يَمْلِكُونَ﴾ الآية ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاتُ
وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلِكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَيُنزِلُ رِزْقَهُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِمَنِ تَشَاءُ
﴿قُلْ يُفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ ذَلِكَ فَليُفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقِي
فَمَجَّاءَتْكُمْ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ لِلَّهِ آيَاتٌ لَكُمْ أَعْرَضَ اللَّهُ
تَفَرُّوتُ﴾ ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذُوبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا أَنْتَظِرُكُمْ شُهورًا أَوْ نَجْمِيعُونَ
فِي يَوْمٍ وَمَا تَعْرَبُونَ عَنْ رَبِّكُمْ مِنْ تَقَالُيْدٍ وَرُفٍ الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْعَرِينَ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

لأن ما في الأرض من خير، فما
أنزل الله من رزق، من زرع وضرع،
﴿فَمَجَّاءَتْكُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، هو ما
حرموه من الحرث ومن الأنعام
كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة،
والحامي. قال الضعاعك: هو قوله
تعالى: ﴿وَصَلُّوا لِلَّهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ
الْحَبِّ وَالْأَنْجُمِ قَسِيمًا﴾
[الأنعام: ١٣٦]. ﴿قُلْ مَا لِلَّهِ آيَاتٌ
لَكُمْ﴾، في هذا التحريم والتحليل،
﴿أَنْزَلَ﴾، بل ﴿عَلَّ اللَّهُ فَتَقَدَّرَتْ﴾،
وهو قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَهَا﴾
[الأعراف: ٢٨].

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكُذُوبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أيحسبون
أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم
عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾،
يا محمد، ﴿فِي شَأْنٍ﴾، عمل من

الآيات أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ شَيْئًا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ إِلَهَنَا لَعَلَّاهُ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ الْآيَاتُ لِلَّهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَشِيعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ آيَاتٍ لِنَسْتَكْفُرُ بِهِ وَنُفِخَ فِي السُّمُورِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْهُمْ فَهُمْ كَالشَّمْلِ مَبْثُورٌ ﴿٧٠﴾ تَدْعِيهِمْ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ كَمَا تَدْعُوا إِلَى الْكُفْرِ ﴿٧١﴾

[والكسائي] ويعقوب برفع الراء فيهما، عطفاً على موضع المثقال قبل دخول ﴿من﴾، وقرا الآخرون بنصبهما، إرادة للكسرة عطفاً على الذرة في الكسر، ﴿إلا في كتب شيبين﴾، وهو السرح المحفوظ.

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿الآيات أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، واختلقوا فيمن يستحق هذا الاسم. قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله، فقال:

﴿٦٦﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، وقال قوم: هم المتحابون في الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق أنا معمر بن [ابن] أبي حسين عن شهر بن حوشب، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: إن لله عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغطهم النبيون والشهداء لقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال: وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم من هم؟ قال: فرأيت في وجه النبي ﷺ البشر، فقال: هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل لم يكن بينهم

الأعمال، وجمعه شؤون، ﴿وما تتلوا ويتذكروا﴾، من الله، ﴿بين قرآنين﴾، نازل، وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأتمته فقال: ﴿ولا تتملكون من عمل إلا ككنا على كثر شهوة إذ تفتشون فيه﴾، أي: تدخلون وتحوضون فيه، والهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل. وقال ابن الأثيري: تندفعون فيه. وقيل: تكشرون [فيه]، والإفاضة: الدفع بكثرة، ﴿وما يترث عن ربك﴾، يغيب عن ربك، وقرا الكسائي ﴿يترث﴾ بكسر الزاي، وكذلك في سورة سبأ [٣]، وقرا الآخرون بضمها وهما لغتان. ﴿ومن يتقال ذنوب﴾، أي: مثقال ذرة، ﴿ومن صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة. ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك﴾، أي: من الذرة، ﴿ولا أكبر﴾، قرا حمزة

أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتبادلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نوراً، ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن، يفرح الناس ولا يفرعون، ويخاف الناس ولا يخافون.

ورواه عبدالله بن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام قال: حدثنا شهر بن حوشب، حدثني عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ سئل: من أولياء الله؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكروا الله.

ويروى عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: ﴿إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكرهم﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، اختلفوا في هذه البشرية. روي عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لم يبق من النبوة إلا المبشرات﴾، قالوا: وما المبشرات؟ قال: ﴿الرؤيا الصالحة﴾.

وقيل: البشرية في الدنيا هي الشاء الحسن وفي الآخرة [الجنة]. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

المليحي، أنا عبد الرزاق بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال: سمعت عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحببه الناس؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد بن زيد عن أبي عمران، وقال: ويحمله الناس عليه.

وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من عند الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: «تَنزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْسَبُوا وَلَا تحْمَرُوا وَأَنبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»

[فصلت: ٣٠]، وقال عطاء [بن السائب] عن ابن عباس: البشرية في الدنيا يريد عند الموت تأتهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن، يعرج بها إلى الله، ويُبشِّرُ برضوان الله. وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين [به] في كتابه من جنته وكريم ثوابه؛ كقوله: «وَيُنَبِّئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» [البقرة: ٢٥]، «وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» [الأحزاب: ٤٧]، «وَأَنبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ» [فصلت: ٣٠]. وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله، ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة. «لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ آيَاتِهِ» لا تغيير؛ لقوله: «وَلَا خَلْفَ لِعُودِهِ». «ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ».

يعني: قوله المشركين، تم الكلام فهنا تم ابتداء، فقال: «إِنَّ الصِّرَاطَ لِلَّهِ»، يعني: الغلبة والقدرة لله «جَمِيعًا» هوناصرك، وناصر دينك، والمنتمق منهم، قال سعيد بن المسيب: إن العزة لله جميعاً، يعني: أن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ» [المنافقون: ٨]، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله، «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«إِلَّا إِلَهُكَ اللَّهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمُ الَّذِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ»، هو إما استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما يتبعون حقيقة لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون، «إِن يَشَاءُ لَآلِ الطَّيْرِ»، يظنون أنها تقرزهم إلى الله تعالى، «وَأَن هُمْ إِلَّا بَٰرُءُونَ»، يكذبون.

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَسَكُونًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا»، مضياً يُبصر فيه، كقولهم: ليل نائم وعيشة راضية. قال قطرب: تقول العرب: أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ظلمة وضياء وبصر، «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ»، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

«وَأَنذَرْتَهُمْ نَارًا وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ»

«قَالُوا»، يعني: المشركين، «أَتَخَذَ اللَّهُ وَلِيًّا»، وهو قولهم الملائكة بنات الله، «سَمِعْتَهُمْ هُوَ الْعَزِيزُ»، عن خلقه، «لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»، عبيداً وملكاً، «إِن عِندَكُمْ»، أي: هنا عنديكم، «مِن سُلْطٰنٍ»، حجة وبرهان، «وَمِن صٰلِحَةٍ»، «سَبِيلًا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«قَالَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ لَا يَعْشُرُونَ»، لا ينجون، وقيل: لا يبقون في الدنيا، ولكن:

«مَتَّعٌ»، قليل يتمتعون به، ويلاخ يستفعون به إلى انقضاء آجالهم، «وَمَتَّعٌ» رفع بلاضمار، أي: هو متاع، «فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِثُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ».

«قوله تعالى: «وَأَنذَرْتَهُمْ نَارًا»

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُثْقَرُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِلْمُتَّبِعِينَ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ وَإِنِ كُنْتُمْ
 آمِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَلَ اللَّهِ
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يُبَدِّئْ
 أَنْ يُبَدِّئَ الْقَوْمَ بِعِصْمَتِهِمْ وَأَجْعَلُوا أَيْدِيَكُمْ قَبْلَهُ
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبِئْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُورِيَّتُهُ وَأَوْلَاؤُا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا اجْعَلُوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا طَيْسًا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ
 وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨١﴾

عليهم وخفي، ﴿٧٢﴾ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمًا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٣﴾ قَالُوا مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٤﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَاتِهِ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ وَإِنِ كُنْتُمْ آمِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَلَ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يُبَدِّئْ أَنْ يُبَدِّئَ الْقَوْمَ بِعِصْمَتِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُورِيَّتُهُ وَأَوْلَاؤُا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨١﴾ وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أي: من بعد نوح رسلاً.

﴿٧٢﴾ قَالُوا مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٤﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَاتِهِ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ وَإِنِ كُنْتُمْ آمِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَلَ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يُبَدِّئْ أَنْ يُبَدِّئَ الْقَوْمَ بِعِصْمَتِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُورِيَّتُهُ وَأَوْلَاؤُا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨١﴾ وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أي: من بعد نوح رسلاً.

﴿٧٢﴾ قَالُوا مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٤﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَاتِهِ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ وَإِنِ كُنْتُمْ آمِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَلَ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يُبَدِّئْ أَنْ يُبَدِّئَ الْقَوْمَ بِعِصْمَتِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُورِيَّتُهُ وَأَوْلَاؤُا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨١﴾ وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أي: من بعد نوح رسلاً.

أنه كان واثقاً بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه، علماً منه بأنهم وألتهم ليس إليهم نفع ولا ضرر، إلا أن يشاء الله. ﴿٧٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ، أي: عرضتم عن قولي وقبول نصحي، ﴿٧٧﴾ وَمَا سَأَلْتُمُونِي، أي: على تبليغ الرسالة والدعوة، ﴿٧٨﴾ مِنْ أَجْرٍ، من جعل وعود، ﴿٧٩﴾ إِنِ اجْتَبَيْتُمُوهُ، أي: ما أجري وثوابي، ﴿٨٠﴾ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَأَمِزْتُمْ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أي: من المؤمنين. وقيل: من المستسلمين لأمر الله. ﴿٨١﴾ فَكَلِّبُوهُ، أي: يعني نوحاً ﴿٨٢﴾ فَتَجَسَّسْتُمْ وَمِنْ تَمَعْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَمَلْتُمْ هَمَّ حَتَّىٰ يَفْجُرَ، أي: جعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين. ﴿٨٣﴾ وَأَفْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ، أي: آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا.

﴿٧٢﴾ قَالُوا مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٤﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَاتِهِ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٥﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٦﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ وَإِنِ كُنْتُمْ آمِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٧﴾ فَقَالُوا عَلَ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٨﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٧٩﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يُبَدِّئْ أَنْ يُبَدِّئَ الْقَوْمَ بِعِصْمَتِهِمْ، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨٠﴾ وَقَالَ لَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُورِيَّتُهُ وَأَوْلَاؤُا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿٨١﴾ وَأَشَدَّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أي: من بعد نوح رسلاً.

الاستفهام، وقرأ الآخرون بلا مد، يدل عليه قراءة ابن مسعود «ما جثتم به سبحانه»، بغير الألف واللام. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَيُرِيهِ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾،
بآياته، ﴿وَكُورٍ مَكْرَهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا زَمَنَّ لِيُؤْمِنَ﴾، لِم
يُصَدِّقَ موسى مع ما أتاهم به من الآيات، ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ﴾، اختلفوا في الهاء التي في ﴿قَوْمِهِ﴾، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه. قال مجاهد:

كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون. وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم

ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة

خازنه، وماشطة ابنته. وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله.

وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً [عليه] من القتل، فنشروا عند القبط، وأسلموا في اليوم

الذي غلبت السحرة [فيه]. قال الفراء: سُمُوا ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل،

كما يقال لأولاد أهل فارس الذين سقطوا إلى اليمن الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم.

﴿عَنْ حَرْوَيْنِ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْهِنَّ﴾، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم؛ كما قال: ﴿وَوَسَّطِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية. وقيل: إنما

قال: ﴿وَمَلَأَيْهِنَّ﴾، وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال قدم الخليفة يُراد هو ومن معه. وقيل: أراد ملا

الذرية، فإن ملاهم كانوا من قوم فرعون. ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾، أي: يصرفهم عن دينهم ولم يقل يفتنهم لأنه أخبر عن فرعون وكان قومه على

مثل ما كان عليه فرعون، ﴿إِنَّ زُرْعَتَ لَمَالٍ﴾، لمتكبر، ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَيَنَّ الشَّرِيفِينَ﴾، المجاوزين الحد لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

﴿قَالَ مَوْسَى لِمُؤْمِنِي قَوْمِهِ: ﴿يَذَكِّرْكُمْ أَنْ كُنْتُمْ مَعَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ فَكَلِمَةُ تَوَكَّلْ﴾﴾
﴿إِنْ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كنا على الحق لما عذبوا ويطنوا أنهم خير منا فيفتنوا.

﴿فَرِحْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أُولِيَ الْقُورِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَيُوشَعَ﴾ هَارُونَ، ﴿فَإِنَّ تَوْبَةَ الْفِرْعَوْنَ لَكُنَّهَا

بِمِصْرَ بَيْتًا وَمُضْجِعًا إِذَا اتَّخَذَهُ، وَيُؤَاتِي أَنَا إِذَا اتَّخَذْتَهُ لَهُ، ﴿وَأَجْمَلُوا يُؤْتِكُمْ قِسْلًا﴾، قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في

كنائسهم وبيوتهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة [فيها] فأمروا أن يتخذوا مساجدهم في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون، وهذا قول إبراهيم وعكرمة

عن ابن عباس. وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا [أن يجعلوا] في بيوتهم مساجد مستقبلية

الكعبة، يصلون فيها سراً [﴿وَأَجْمَلُوا يُؤْتِكُمْ قِسْلًا﴾]، معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه. ﴿وَأَسْمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتِرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا كَلَّمَ مُوسَىٰ رَبًّا إِلَّا بِكَلِمَاتٍ مَرْصُورَةٍ وَمَلَامٍ زِينَةٍ﴾، من متاع الدنيا، ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْكِبْرَةِ الْأُولَىٰ رَبَّنَا لِيُحْسِلُوا مِن سَيْدِكُمْ﴾، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك؛ كقوله: ﴿لَأَسْفِنَنَّهُمْ نَارًا عَذَابًا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧]، وقيل: هي لام العاقبة يعني: فيضلوا ويكون عاقبة أمرهم الضلال؛ كقوله: ﴿وَالنَّارُ الْعَاقِبَةُ لِأُولِي الْقُلُوبِ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقيل: هي لام

﴿وَأَمْوَالًا فِي الْكِبْرَةِ الْأُولَىٰ رَبَّنَا لِيُحْسِلُوا مِن سَيْدِكُمْ﴾، أي: لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كنا على الحق لما عذبوا ويطنوا أنهم خير منا فيفتنوا.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَيُوشَعَ﴾ هَارُونَ، ﴿فَإِنَّ تَوْبَةَ الْفِرْعَوْنَ لَكُنَّهَا

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَيُوشَعَ﴾ هَارُونَ، ﴿فَإِنَّ تَوْبَةَ الْفِرْعَوْنَ لَكُنَّهَا

يقال : أتبعه واتبه إذا أدركه ولحقه ، واتبه بالشديد إذا سار خلفه واقتدى به . وقيل : هما واحد . ﴿بِقِيَّتِهِ رَعَدُوا﴾ ، أي : ظلماً واعتداء . وقيل : بغياً في القول وعدواً في الفعل . وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه ، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق وخاض البحر ، فاقطعت الخيول خلفه ، فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج من البحر انطبق عليهم الماء . وقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا آذَرَكُمُ الْفَرَقُ﴾ ، أي : غمره الماء وقرب هلاكه ، ﴿فَأَمْسَتْ أَقْدُمُ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف ، أي : أمنت وقلت إنه . وقرأ الآخرون أنه بالفتح على وقوع أمنت عليها . ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، فدمس جبريل في قبه من حمأة البحر .

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿أُجِيبْتَ دَعْوَتُكَ﴾ ، إنما نسب إليهما ، والدعاء كان من موسى لأنه زوي أن موسى كان يدعروهارون يؤمن ، والثامين دعاء . وفي بعض القصص : كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة . ﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾ ، على الرسالة والدعوة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب ، ﴿وَلَا نُنَبِّئُكَ﴾ ، نهي بالنون الثقيلة ، ومحلّه جزم ، يقال في الواحد : لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين وبكسر النون في الثنية لهذه العلة . وقرأ ابن غامر بخفيف النون . لأن نون التأكيد تشقل وتخفف . ﴿سَيَلَّمَ الْيَرِيكَ لَا يَلْمُونَ﴾ ، يعني : ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي ، فإن وعدي لا خلف فيه ، ووعيدي نازل بفرعون وقومه .

﴿وَجَزَوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿الْبَحْرَ﴾ ، عبرنا بهم «أَتَّبَعَهُمْ» لحقهم وأدركهم ، ﴿فَرَعُونَ وَجُودُهُ﴾ ،

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا قَسَمْتُمْ﴾ ، ﴿وَلَا نُنَبِّئُكَ سَبِيلَ الْيَرِيكَ لَا يَلْمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَجَزَوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ﴾ ﴿الْبَحْرَ﴾ ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فَرَعُونَ وَجُودُهُمْ بَغِيًّا وَعَدُوا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُمُ الْفَرَقُ﴾ ﴿قَالَ مَا أَمْسَتْ أَقْدُمُ إِلَّا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿مَا أَمْسَتْ يَدِي وَمِنِّي إِسْرَائِيلُ﴾ ﴿وَأَمَّا مِنَ الْمُتَفِيدِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَالْتَقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدَاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْرًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الْغَيْثِ نَبْتًا فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْيَوْمَ أَن رَّبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿إِنَّ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُكْفُرِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿أُجِيبْتَ دَعْوَتُكَ﴾ ، إنما نسب إليهما ، والدعاء كان من موسى لأنه زوي أن موسى كان يدعروهارون يؤمن ، والثامين دعاء . وفي بعض القصص : كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة . ﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾ ، على الرسالة والدعوة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب ، ﴿وَلَا نُنَبِّئُكَ﴾ ، نهي بالنون الثقيلة ، ومحلّه جزم ، يقال في الواحد : لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين وبكسر النون في الثنية لهذه العلة . وقرأ ابن غامر بخفيف النون . لأن نون التأكيد تشقل وتخفف . ﴿سَيَلَّمَ الْيَرِيكَ لَا يَلْمُونَ﴾ ، يعني : ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي ، فإن وعدي لا خلف فيه ، ووعيدي نازل بفرعون وقومه .

﴿وَجَزَوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿الْبَحْرَ﴾ ، عبرنا بهم «أَتَّبَعَهُمْ» لحقهم وأدركهم ، ﴿فَرَعُونَ وَجُودُهُ﴾ ،

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا قَسَمْتُمْ﴾ ، ﴿وَلَا نُنَبِّئُكَ سَبِيلَ الْيَرِيكَ لَا يَلْمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَجَزَوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ﴾ ﴿الْبَحْرَ﴾ ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فَرَعُونَ وَجُودُهُمْ بَغِيًّا وَعَدُوا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُمُ الْفَرَقُ﴾ ﴿قَالَ مَا أَمْسَتْ أَقْدُمُ إِلَّا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿مَا أَمْسَتْ يَدِي وَمِنِّي إِسْرَائِيلُ﴾ ﴿وَأَمَّا مِنَ الْمُتَفِيدِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَالْتَقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدَاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْرًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الْغَيْثِ نَبْتًا فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْيَوْمَ أَن رَّبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿إِنَّ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُكْفُرِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٩٧﴾

أهلكها ، والطمس : المحق ، [وقال أكثر المفسرين : امسخها وغيرها عن هيئتها] . وقال قتادة : صارت أموالهم وحرورثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة . وقال محمد بن كعب : جعل سكرهم حجارة ، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرا ، والمرأة قائمة تخبز فصارا حجرا ، [وكان الرجل كذلك] . قال ابن عباس رضي الله عنه : بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً . ودعا عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وإنها لحجر . قال السدي : مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والشمار والديق والاطعمة ، فكانت إحدى الآيات التسع . ﴿أَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي : أقسها واطبع عليها

يقبل الماء ميتاً أبداً لبل طرحه خارجه، فذلك قوله:

﴿ثُمَّ نَالَيْمُ نَجِيكَ﴾، أي: نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع. وقرأ يعقوب: ﴿نَجِيكَ﴾ بالتخفيف، ﴿يَدَيْكَ﴾، بجسديك لا روح فيه. وقيل: ببديك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرضع بالجواهر، فأراه في درعه فصدقوا موسى، ﴿لَكَوْكَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾، عبرة وعظة، ﴿وَإِنَّ كَيْدًا مِنَ النَّاسِ عَنَّا لَلْئِيمُ لَلْفَيْلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ نَالَيْمُ نَجِيكَ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ﴿بِرِيًّا صِدْقٍ﴾، منزل صدق، يعني: مصر.

وقيل: الأردن وفلسطين وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثاً لإبراهيم وذريته. قال الضحاك: هي مصر والشام، ﴿وَوَرِّثْنَاهُمْ مِّنَ الْأَطْيَافِ﴾، الحلالات، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وأنه نبي، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمْ آيَاتُهُ﴾، يعني: القرآن والبيان بأنه رسول الله صادق وديته حق. وقيل: حتى جاءهم معلومهم وهو محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خَلَقَ، قال الله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]، [أي: مخلوقه]، ويقال: هذا الدرهم ضَرْبُ الأمير، أي: مضروبه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، من الدين.

﴿ثُمَّ نَالَيْمُ نَجِيكَ﴾، يعني: القرآن ﴿فَسَتَلِيماً أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾،

الَّذِينَ يَقْرءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة.

قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٤١]، خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال:

﴿إِنَّكَ اللَّهُ كَمَا يَمَانُ تَمَلُّونَ حَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، ولم يقل بما تعمل، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ

كَلَّمْتَهُ الْكَيْفَ﴾ [الطلاق: ١]، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك، مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ، فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه، فسيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته. قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شك، لكنه ذكره على عادة العرب، يقول الواحد منهم لعبد: إن كنت عبدي فأطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك. ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين.

سورة يونس

سورة يونس

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَمَنَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا أَلْفُ مِائَةٍ أَوْ مِئَةٌ مِّنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَفَرْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَضَعَنَّهُمْ إِلَىٰ خِيْبٍ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جِئِمًا فَآفَاتٌ تَحْكُمُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٦﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَارِ الْأَيْتِ خَلَّوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِمَّنِ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٩٩﴾ تَدْرُسُجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقَّقْنَا لِنَسِجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ إِلَّكَ إِلَهًا مَّا كَانَ لِي مِنَ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَوَكَّلْتُ وَأُنزِلَتْ مِن آفَاقٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَأَن أكون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَأَن أقر وجهك للذين حبيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الطَّاغُوتِ ﴿١٠٣﴾

١٠٣

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وجبت عليهم، ﴿كَلِمَاتٍ رَبِّكَ﴾، قيل: لعنته. وقال قتادة: سخط الله. وقيل: الكلمة هي قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي!» ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، دلالة، ﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الأخفش: أتت فعل «كل» لأنه مضاف إلى المؤنث وهي قوله: آية، ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء.

﴿ثُمَّ نَالَيْمُ نَجِيكَ﴾، قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾ [أي: فهلاً كانت، ﴿قَرْيَةً﴾، ومعناه: فلم تكن قرية لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، أي: أهل قرية، ﴿ءَامَنَتْ﴾، عند معاينة

العذاب، ﴿فَمَعَهَا إِيْتَابًا﴾، في حالة البأس، ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ﴾، فإنه نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، ﴿قَوْمٌ﴾ نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿لَمَّا مَأْتُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخَرِي فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَا إِيَّاهِمْ﴾، وهو وقت انقضاء آجالهم، واختلفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب والأكثر على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخَرِي﴾، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قُرب.

وقصة الآية على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، ووهب وغيرهم: أن قوم يونس كانوا بنيونى، من أرض الموصل، فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى الإيمان فدعاهم فأبوا، فقبل له: أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم [لا محالة]، فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم قدر ميل.

وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى تغشاهم في مدينتهم واسودت سطوحهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه، وقذف الله في قلوبهم

التوبة، فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة، وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام فحن بعضها إلى بعض، وعلت الأصوات واختلطت أصواتها بأصواتهم، وعجوا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أضلهم، وذلك يوم عاشوراء، وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه، فلم ير شيئاً، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل، فقال يونس: كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتهم؟ فانطلق عاتباً على ربه مغاضباً لقومه، فأتى البحر فإذا قوم يركبون سفينة، فعرفوه فحملوه بغير أجر، فلما دخلها وتوسطت بهم ولججت، وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم، قال أهل السفينة: إن لسفينتنا لشأناً، قال يونس: قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا اقدفوني في البحر، قالوا: ما كنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك، فاستهيموا فاقترعوا ثلاث مرات فأدحض سهمه، والحوث عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه فيه، فقال يونس: إنكم والله لتهلكن جميعاً أو لتطرحني فيه، فقدفوه فيه وانطلقوا وأخذ الحوث.

وروي: أن الله تعالى أوحى إلى حوث عظيم حتى قصد السفينة، فلما رآه أهل السفينة مثل الجبل العظيم

وقد فغر فاه ينظر إلى من في السفينة كأنه يطلب شيئاً خافوا منه، ولما رآه يونس زج نفسه في الماء.

وعن ابن عباس: أنه خرج مغاضباً لقومه فأتى بحر الروم فإذا سفينة مشحونة، فركبها فلما لججت السفينة، تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا، فقال الملاحون: ههنا رجل عاص أو عبد آبق [من سيده] وهذا رسم السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري، ومن رسمنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر، ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها، فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس. فقال يونس: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق، فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت، ثم جاء حوت آخر أكبر منه وابتلع هذا الحوت، وأوحى الله إلى الحوت [أن] لا تؤذي منه شعرة، فإني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله طعاماً لك.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نُودي [الحوث] إنا لم نجعل يونس لك قوتاً، وإنما جعلنا بطنك له حرزاً ومسجداً.

وروي: أنه قام قبل القرعة فقال: أنا العبد العاصي والآبق، قالوا: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى، فعرفوه فقالوا: لا نلقىك يا رسول الله ولكن نسايم فلعل السهم يخرج على غيره فاقترعوا، فخرجت القرعة عليه فألقى نفسه في الماء.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ابتلعه الحوت فأهوى به إلى قرار

الأرض السابعة، وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر، وهو كالفرخ الممعد، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدباء، فجعل يستظل تحتها واكل به وعله يشرب من لبنها فيبست الشجرة، فبكى عليها فأوحى الله إليه: تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم، فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى، فقال: من أنت يا غلام؟ قال: من قوم يونس، فقال [له]: إذا رجعت إليهم فأخبرهم أنني لقيت يونس، فقال الغلام: قد تعلم أنه إن لم تكن لي بيعة كذبوني وقتلت، قال يونس عليه السلام: تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة، فقال له الغلام: فمزهما، فقال يونس: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم، فرجع الغلام، فقال للملك: إني لقيت يونس فأمر الملك بقتله، فقال: إن لي بيعة فأرسلوا معي فأتى البقعة والشجرة، فقال: أنشدكما هل أشهدكما يونس؟ قالتا: نعم، فرجع القوم مذعورين، وقالوا للملك: شهد له الشجرة والأرض، فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه، وقال: أنت أحق بهذا المكان مني، فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ﴾، يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جِئِمًا فَكَّرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، هذه تسلية للنبي ﷺ، وذلك أنه كان خريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ﴾، وما كانت ينبغي لنفس. وقيل: وما كانت نفس، ﴿أَنْ تُوَدَّعَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمر الله. وقال عطاء: بمشيئة الله. وقيل: بعلم الله. ﴿وَيَجْعَلُ الْيُسْرَىٰ﴾، قرأ أبو بكر: ﴿ونجعل﴾ بالنون، والباقون بالياء، أي: ويجعل الله الرجس، أي: العذاب وهو الرجس، ﴿عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، عن الله أمره ونهيه.

﴿قُلْ أَنْظُرُوا﴾، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا، ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿وَمَا تَفْنَىٰ إِلَيْكَ وَالْأَنْدَادُ﴾، الرسل، ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، ﴿إِلَّا بِمِثْلِ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح

وعاد وثمود. والعرب تسمي العذاب أياماً والنعيم أياماً؛ كقوله: ﴿وَنَحْنُ بِأَبْتِكُمْ أَلَّهُ﴾ [إبراهيم: ٥]، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿قُلْ فَأَنْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾، قرأ يعقوب ﴿نُنَجِّي﴾ خفيف مختلف عنه، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، معهم عند نزول العذاب معناه: نجينا، مستقبل بمعنى الماضي، ﴿كَذَلِكَ﴾، كما نجيناهم، ﴿حَقًّا﴾ واجباً، ﴿عَلَيْنَا نُجِجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ الكسائي وحض ويعقوب ﴿ننجي﴾ بالتخفيف والآخرين بالتشديد، ونجاً وأنجى بمعنى واحد.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي﴾، السذي أدعوكم إليه، فإن قيل: كيف قال إن كنتم في شك وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟ قيل: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ، قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَشْهَدُ الَّذِينَ تَمْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، من الأوثان، ﴿وَلَكِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾، يُميتكم ويقبض أرواحكم، ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قوله: ﴿وَأَنْ أَوَدَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقيم على الدين حنيفاً. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾، ولا تعبد، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾، إن

إلا الله، ويكون محل (أن) رفعاً. وقيل: محله خفض تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله، ﴿إِنِّي لَكُرِّهْتُ﴾، أي: من الله ﴿نَذِيرٌ﴾، للعاصين، ﴿وَنَذِيرٌ﴾، للمطيعين.

﴿٢٠﴾ ﴿وَأَنْذِرْ﴾، عطف على الأول، ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ﴾، أي: ارجعوا إليه بالطاعة. قال الفراء: ﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه، لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار. وقيل: وأن استغفروا [ربكم من المعاصي ثم توبوا] إليه في المستأنف ﴿يَتَّبِعُكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا﴾، يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة. قال بعضهم: العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور. ﴿إِنَّكَ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الْمُتَّقِينَ﴾، إلى حين الموت، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي: ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة. وقال أبو العالية: من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة في الجنة، لأن الدرجات تكون بالأعمال.

وقال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، ثم يدخل الجنة بعد. وقيل: ويؤت كل ذي فضل فضله، يعني: من عمل الله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته. ﴿وَإِنْ قَوْلَا﴾، أعرضوا، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ عَذَابَ يُورِثُكَ الْيُسُوفَ﴾، وهو يوم القيامة.

أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ، بكفيل أحفظ أعمالكم. قال ابن عباس: نسختها آية القتال.

﴿٢١﴾ ﴿وَأَنْذِرْ حَتَّىٰ يَخْشَىٰ اللَّهَ﴾، بنصرك وقهر عدوك وإظهار دينه، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يدي وهم صاغرون.



سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا تَكْشِفْ لَهُ أَتَاهُ وَإِلَافَاتُ يُرَدِّكَ بِحَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِوَعْدِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَنْذِرْ مَا نُوحِيَ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْشَىٰ اللَّهَ وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْعَةُ أَحَدٌ. آيَاتُهُ ثَمَّ فَصَلِّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَا تَتَّقُونَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُنَّ لَكُمْ زَيْدٌ وَشَيْءٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُبْعَثْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُورِثُكُمْ كَيْدِي إِلَىٰ اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَّامٌ لِّالسِّرِّ الْغُيُوبِ ﴿٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَمْ يَسْتَفْشِرُوا لِيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا نَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا تَطَّلَعُونَ بِآيَاتِهِ إِلَّا ظُهُورًا ﴿٤﴾

سورة هود

مكية إلا قوله: ﴿وَأَنْذِرْ الْقَوْمَ طَرَفَىٰ النَّهَارِ﴾ [١١٤]، وهي مائة وثلاث وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿الرَّكْعَةُ أَحَدٌ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أَنْذِرْ حَتَّىٰ يَخْشَىٰ اللَّهَ﴾، قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به، ﴿ثُمَّ فَصَلِّتْ﴾، بينت بالأحكام والحلال والحرام. وقال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد والوعيد. قال قتادة: أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض. وقال مجاهد: فصلت أي: فسرت. وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئاً فشيئاً، ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، أي: وفي ذلك الكتاب أن لا تعبدوا

أطعته، ﴿وَلَا يَعْزُبُ﴾، إن عصيته، ﴿فَإِنْ قَعَلْتَ﴾، فعبدت غير الله، ﴿وَأَنَّكَ إِذَا تَمَّ النَّظَائِرُ﴾، الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها.

﴿١٧﴾ ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصْرًا﴾، أي: يبصك بشدة وبلاء، ﴿فَلَا تَكْشِفْ لَهُ﴾، فلا دافع له، ﴿إِلَّا هُوَ وَإِلَافَاتُ يُرَدِّكَ بِحَيْرٍ﴾، رضاء ونعمة وبيعة، ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، فلا مانع لرزقه، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾، بكل واحد من البصر والخير، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: القرآن والإسلام، ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا﴾، أي: على نفسه وبإله عليه، ﴿وَمَا

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ سُودْرَهُمْ﴾، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلوا الكلام حلوا المنظر، يلقي رسول الله ﷺ على ما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره.

وقوله: ﴿يَتَّبِعُونَ سُودْرَهُمْ﴾، أي: يُخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة.

وقال عبد الله بن شداد: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مرّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطاقأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ.

وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعو كتاب الله تعالى ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه. ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي. وقال السدي: يشنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: ثبتت عنائي. وقيل: يعطفون، ومنه ثنى الثوب. وقرأ ابن عباس: ﴿يشنونني﴾ على وزن «يَحْلُولِي» جعل الفعل للصدر ومعناه المبالغة في الثني. ﴿لَيْسَتْ خَفَاؤُا مِنْهُ﴾، أي: من رسول الله ﷺ.

وقال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، ﴿أَلَا جِنَّةً يَنْتَعِشُونَ رَبَّاهُمْ﴾، يعطون رؤوسهم بثيابهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُلْتَوْنَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال الأزهرى: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا

يخفى علينا حالهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحسن بن محمد بن صباح، ثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، فقال: سألتها عنها فقال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا

فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: ليس دابة في الأرض، ﴿وَمِنْ﴾ صلة، والدابة: كل حيوان يذب على وجه الأرض. وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، [أي: هو المتكفل برزقها]، أي: هو المتكفل بذلك فضلاً وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق. وقيل: على بمعنى من، أي: من الله رزقها. قال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً. ﴿وَيَعْلَمُ سُتُورَكُمْ وَسُودْعَكُمْ﴾، قال ابن مقسم: ويُروى ذلك عن ابن عباس، مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت.

المعاني والآيات

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ سُتُورَكُمْ وَسُودْعَكُمْ كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكانت عرشه على الماء يسلككم إنكم أحسن عملاً ولين قلن إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا أسحار مبينين ﴿٦﴾ ولين آخرنا عنهم العذاب إلى أن يوقمقدوون ليقولن ما يجيبسنة الأيام بأيهم لنس مضر فاعنهم وحاف بهم ما كانوا يدبسنة موت ﴿٧﴾ ولين أذقنا الإنسن وسارحة ثم نزعنا منهن أنهن ليعوس كفور ﴿٨﴾ ولين أذقنه نعمة بعد صرة مسنة ليقولن ذهب السينات عن إنهم ليرح فخور ﴿٩﴾ إلا الذين صبروا وعلوا الصلحت أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴿١٠﴾ فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك وصاين يؤصدرك أن يقولوا لولا أنزل علينا كتاباً أرحمنا معكم ملك إننا أنت نؤبر والله على كل شئ ووكيل ﴿١١﴾

٤٢١

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه. وقال عطاء]: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الأبياء. ورواه سعيد بن جبير وعلي بن [أبي] طلحة وعكرمة عن ابن عباس. وقيل: المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر؛ لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦]. ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، أي: كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قبل أن خلق السموات والأرض وكان ذلك الماء على متن الريح.

قال كعب: خلق الله عز وجل

﴿قُلْ أَنتُمْ بَعثْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَآءُ بِرَبِّكَ﴾، يا محمد، ﴿تَارِكًا﴾ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ، فلا تبلغه إيتاهم. وذلك أن كفار مكة لما قالوا: ﴿أَنْتَ بِمَقْرَنَةٍ عَنِّي﴾ [يونس: ١٥]، ليس فيه سب آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع إلهتهم ظاهراً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ بَعثْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَآءُ بِرَبِّكَ﴾، يعني: سب الآلهة، ﴿وَصَاحِبًا بِمَهْدِيكُمْ﴾، أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾، أي: لأن يقولوا، ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كِتَابًا﴾، أي: لولا أنزلنا عليه كتاباً، ﴿لَفَسَدَتِ بِهِ أَفْسَادًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالرَّجَاكِ وَالرَّجَاكِ﴾، قاله عبد الله بن أبي أمية المخزومي. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾، ليس عليك إلا البلاغ، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، حافظ.

﴿قُلْ أَنتُمْ بَعثْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَآءُ بِرَبِّكَ﴾، بل يقولون اختلقه، ﴿قُلْ فَأَنزَلْنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُفَرَّقَاتٍ﴾، فإن قيل: قد قال في سورة يونس: ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُوْرَةٍ مِّثْلَهُ﴾ [يونس: ٣٨]، وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿فَأَنزَلْنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ﴾، فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهماً فيعجز، فيقول: أعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد قيل نزلت سورة هود أولاً. وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال معنى قوله في سورة يونس: ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُوْرَةٍ مِّثْلَهُ﴾ [يونس: ٣٨]، أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم على الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي

الأمة الجماعة، فكانه قال: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى، ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يُحْسِنُ﴾، أي: أي شيء يحسبه؟ يقولونه استعجالاً للعذاب واستهزاء، يعنون أنه ليس بشيء.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ﴾، يعني العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، لا يكون مصروفاً عنهم، ﴿وَمَأْفُوفًا بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿فَمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: وبالاستهزاء بهم.

١١ قوله تعالى:

﴿وَلَكِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، نعمة وسعة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾، أي: سلبناها منه، ﴿إِنَّهُ لَكَيْفٌ فَكِيْلٌ﴾، فنوط في الشدة، ﴿كَفُوْرٌ﴾ في النعمة.

١٢ ﴿وَلَكِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ صَرْفِهِ مَسْتَهْ﴾، بعد بلاء أصابه، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، زالت الشدائد عني، ﴿إِنَّهُ لَكَيْفٌ فَكِيْلٌ﴾، أشر بطر، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعدد المناقب، وذلك منه في عهده.

١٣ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، قال الفراء: هذا استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا ﴿وَوَعَدُوا﴾ الصلحيت، فإنهم وإن نالهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيْرٌ﴾، وهو الجنة.

﴿قُلْ أَنتُمْ بَعثْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَآءُ بِرَبِّكَ﴾، وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَأَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهَرَفْنَا لِأَيُّحْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَعُرُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَآءٍ رِّبِيًّا سَيُّئُهُ شَهِدْتُمْ بِهِ مِنْ قَبْلِهِ كَلِمَتٌ مِّمَّا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلِنَارٌ مَّوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِنْهُ إِنَّمَا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوِيهَا عَصَابًا وَأَنفُسًا يَخْتَفُونَ ﴿١٩﴾

ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبه فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح، فجعل الماء على منها، ثم وضع العرش على الماء. قال ضمرة: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض، وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبغ الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه. ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾، ليختبركم وهو أعلم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أعمل بطاعة الله وأورع عن محارم الله تعالى. ﴿وَلَكِن قُلْتُ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّكُمْ تَبْعُونَنِي مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يعنون: القرآن. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ساحر﴾، يعنون محمداً ﷺ.

١٨ ﴿وَلَكِن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أَتَمَّهُ مَعْدُودَةً﴾، إلى أجل محدود، وأصل

مجرد البلاغة، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَقْتَمْتُمْ﴾، واستعينوا بمن استطعتم، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا﴾، يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده. ﴿فَأَعْلَمُوا﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: مع المشركين، ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ بِإِلْمِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه، ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: من كان يريد بعلمه الحياة الدنيا، ﴿وَرِزْقَهَا﴾، نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل، ﴿تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَصْلَابَهُمْ فِيهَا﴾، أي: تُوفِّ لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها. ﴿وَقَرَّ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾، أي: في الدنيا لا ينقص حظهم.

﴿١٦﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَّعُوا فِيهَا﴾، أي: في الدنيا، ﴿وَنَبِطُا﴾، ومأجرت، ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال مجاهد: هم أهل الرياء.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء». وقيل: هذا في الكفار، وأما المؤمن

فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبه، فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة.

وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يَثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا».

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ﴾، بيان، ﴿وَمِن رِّبْوَةٍ﴾، قيل: في الآية حذف ومعناه: أفمن كان على يتيمة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها أو من كان على يتيمة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على يتيمة من ربه النبي ﷺ، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي: يتبعه من يشهد به بصدقه.

واختلفوا في هذا الشاهد، فقال ابن عباس، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام. وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده. وقال الحسين بن الفضل: هو القرآن ونظمه وإعجازه.

وقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال علي: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من القرآن، فقال له رجل: وأنت أي شيء نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. وقيل: شاهد منه: هو الإنجيل. ﴿وَمِن قِبَلِهِ﴾، أي: ومن قبل مجيء محمد ﷺ. وقيل: من

قبل نزول القرآن. ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي: كان كتاب موسى، ﴿إِنَّمَا وَرَّثَهُكُمْ﴾، لمن أتبعها، يعني التوراة وهي مصدقة للقرآن شاهدة للنبي ﷺ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني أصحاب محمد ﷺ. وقيل: أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾، أي: بمحمد ﷺ. وقيل: بالقرآن، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، من الكفار من أهل الملل كلها، ﴿فَأَلْتَمِسْهُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزياتي، أنا محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، أي: في شك منه، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له ولداً أو شريكاً، أي: لا أحد أظلم منه أو كذب بآياته يعني القرآن، ﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: الكاذبين والمكذبين، ﴿يُفَرِّضُونَ عَلَى رِبِّهِمْ﴾، فيسألهم عن أعمالهم، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد. وعن ابن

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا مُعْتَدِينَ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ يُضَعِّفْ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٦﴾ لَأَجْرَ أُنثَى
 فِي الْأَخْرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
 وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾
 أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبَاسِ
 ﴿٣١﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا
 مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَذَّبُوا
 الرَّسُولَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ تَنْظُرُونَ كَذِبِينَ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ فَاقْبَلُوا آيَاتِي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ رَبِّي وَآيَاتِي رَحْمَةٌ
 مِنْ عِنْدِي وَمُؤَيَّدَةٌ عَلَيْكُمْ لِتَنْزِلُكُمْ حُورًا وَأَنْتُمْ كَمَا كُفَرْتُمْ ﴿٣٣﴾

الله، يمنعون عن دين
 الله، ﴿رَبِّعُونَهَا عِوَابًا وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ كَاهِنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا
 مُعْجِزِينَ﴾، قال ابن عباس:
 سابقين. [وقال قتادة:
 هاربيين. وقال مقاتل:
 فائتين. في الأرض وما
 كان لهم من دون الله من
 أولياءه]، يعني: أنصاراً
 وأعاوناً يحفظونهم من
 عذابنا، ﴿يُضَعِّفْ لَهُمُ
 الْعَذَابَ﴾، أي: يسهل، في عذابهم. قيل
 يضاعف العذاب عليهم
 لإضلالهم الغير واقتهاء

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾، قال ابن عباس:
 خافوا. قال قتادة: أنابوا. قال
 مجاهد: أطمأنوا. وقيل: خشعوا.
 ﴿إِنَّ رَبَّيْكُمْ﴾، أي: لربهم، ﴿أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾، المؤمن
 والكافر، ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ
 وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا﴾، قال
 الفراء: لم يقل يستويان، لأن
 الأعمى والأصم في حيز كأنهما
 واحد لأنهما من وصف الكافر،
 والبصير والسميع في حيز كأنهما
 واحد لأنهما من وصف المؤمن،
 ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾،
 قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 ويعقوب: (إني) بفتح الهمزة، أي:
 باني، وقرأ الباقون بكسرها، أي:
 فقال إني، لأن في الإرسال معنى
 القول: إني لكم نذير مبين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعِي الْمُؤْمِنَ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
 فَيُضَعِّعُ عَلَيْهِ كِفَّةً وَيُسْتَرُّهُ فَيَقُولُ: [أَي
 عِبْدِي] أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ
 ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ،
 حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ
 أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا
 عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ
 الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ.﴾
 وأنا الكفار والمنافقون [فينادي
 بهم على رؤوس الخلائق ﴿هَلْؤَلَاءِ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا لَمَنَّةً
 اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.
 ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

الأنبياء بهم.
 ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا
 يُبْصِرُونَ﴾، الهدى. قال قتادة: صُمُّ
 عن سماع الحق فلا يسمعون، وما
 كانوا يبصرون الهدى. قال ابن عباس
 رضي الله عنهما: أخبر الله عز وجل
 أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في
 الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال: ما
 كانوا يستطيعون السمع، وهو طاعته،
 وفي الآخرة قال: فلا يستطيعون،
 خاشعة أبصارهم.
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ﴾، عَبَثُوا أَنْفُسَهُمْ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ
 مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، يزعمون من
 شفاعة الملائكة والأصنام.
 ﴿لَا جَرَمَ﴾، أي: حقاً.
 وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة،
 ﴿هُمْ فِي الْأَخْرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾، يعني:
 من غيرهم، وإن كان الكل في
 الخسار.

عباس رضي الله عنهما: إنهم الأنبياء
 والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو
 قول الضحاك. وقال قتادة: الخلائق
 كلهم.
 وروينا عن عبد الله بن عمر
 رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعِي الْمُؤْمِنَ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
 فَيُضَعِّعُ عَلَيْهِ كِفَّةً وَيُسْتَرُّهُ فَيَقُولُ: [أَي
 عِبْدِي] أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ
 ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ،
 حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ
 أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا
 عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ
 الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ.﴾
 وأنا الكفار والمنافقون [فينادي
 بهم على رؤوس الخلائق ﴿هَلْؤَلَاءِ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا لَمَنَّةً
 اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.
 ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

تعالى: ﴿ فَلْيَكْفُرُوا فِيهِمْ فَسَنَكْفُرْ لَهُمْ إِلَّا جَمِيعًا ﴾ [العنكبوت: ١٤]،
أي: فلبث فيهم داعياً.

﴿٧﴾ ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، وَالْمَلَأُ هُمُ الْأَشْرَافُ وَالرُّؤَسَاءُ، ﴿ وَمَا زُرْتُكَ ﴾، يا نوح، ﴿ إِلَّا بَشْرًا ﴾، آدمياً، ﴿ وَثَلَاثًا وَمَا زُرْتُكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا ﴾، سفلتنا، والرذل: اللون من كل شيء، والجمع: أرذل، ثم يجمع على أرذل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: ﴿ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]، يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿ بَادِيَ ﴾ بالهمز أي: أول الرأي يريدون أنهم أتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكير، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه أتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويتفكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿ وَمَا زُرِّيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرْكُمْ كَذِبًا ﴾.

﴿٨﴾ ﴿ قَالَ نُوحٌ: ﴿ يَقْوَرُ أَرْهَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتَقَرُّ، ﴿ بِيَانٍ، ﴿ وَبَيْنَ زُرِّيْ وَرَأَيْتُمْ رَحْمَةً، أي: هدى ومعرفة، ﴿ وَبَيْنَ عَيْدِهِمْ فَعَيَّبْتُمْ عَلَيْهِمُ، أي: خفيت والتبست عليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ فَعَيَّبْتُمْ ﴾ بضم العين وتشديد الميم، أي: شبّهت وليست عليكم، ﴿ أَلَمْ نُرْسِلْكُمْ بَشَرًا مِّنْكُمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْكُتُبَ وَالْحِزْمَ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ، لا تريدونها. قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أن يلزموا قومهم الإيمان لالزموهم، ولكن لم يقدروا.

﴿٩﴾ قوله: ﴿ وَيَقْوَرُوا ﴾ لا أشتلكم عليه مآلاً، أي: على الوحي وتبليغ الرسالة، كناية عن غير مذكور، ﴿ إِنْ أُخْرِيْ ﴾، ما ثوابي، ﴿ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين، ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾، أي: صابرون إلى ربهم في المعاد فيجزى من طردهم، ﴿ وَلِيَكْفُرَ أَزْوَاجُ قَوْمًا مِّمَّهَلُوتَ ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿ وَيَقْوَرُوا مِّنْ يَضْرِبُنِي مِنَ اللَّهِ، ﴿ مِنْ يَمْنَعُنِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ، ﴿ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا نَذْكُرُكُمْ، ﴿ تتعظون.

﴿١١﴾ ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ، ﴿ فَآتَىٰ مِنْهَا مَا تَطْلُبُونَ، ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ، ﴿ فأخبركم بما تريدون. وقيل: إنهم لما قالوا ليئوش إن الذين آمنوا بك إنما أتبعوك في ظاهر ما ترى منهم، قال نوح [عليه الصلاة والسلام] مجيباً لهم: لا أقول لكم عندي خزائن غيوب الله، التي يعلم منها ما يضرر الناس، ولا أعلم الغيب، فأعلم ما يسرونه في نفوسهم، فسبيلي قبول ما ظهر من إيمانهم، ﴿ وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكٌ، ﴿ هذا جواب قولهم: ﴿ مَا زُرْتُكَ إِلَّا بَشْرًا وَثَلَاثًا. ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ، ﴿ أي: تحتقره وتستصغره في أعينكم، يعني:

﴿١٢﴾ ﴿ وَيَقْوَرُوا لَا أَشْتَلِكُمْ عَلَيْهِ مَا لَأِنْ أُخْرِيْ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رَبَّهُمْ وَلَكِن كَرِهْتَ قَوْمًا مِّمَّهَلُوتَ ﴿١٣﴾ وَيَقْوَرُوا مِّنْ يَضْرِبُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا نَذْكُرُكُمْ ﴿١٤﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَِّّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالُوا يَسْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْتَرَتْ جَدَلْنَا فَأَيْنَا يَمَاقِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّمَا يَا كَيْدُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْتُمْ قُلُوبَنَا أَفَرَأَيْتُمْ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَبَا يَسَاقِبَةَ إِيمَانًا مِّمَّهَلُوتَ ﴿١٩﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنْمَلِكُ لَنْ يُؤْتِمَّ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّمَ أَمْرًا فَلَا يَنْبَغُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَ كَمَا بَعَيْنَا وَوَسَّعْنَا وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢١﴾

المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: هم أرادلنا، ﴿ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا، ﴿ أي: توفيقاً وإيماناً وأجرًا، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ، ﴿ من الخير والشر مني، ﴿ إِنَِّّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ، ﴿ لو قلت هذا.

﴿٢٢﴾ ﴿ قَالُوا يَسْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا، ﴿ خاصمتنا، ﴿ فَاكْتَرَتْ جَدَلْنَا فَأَيْنَا يَمَاقِدُنَا، ﴿ من العذاب، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ. ﴿

﴿٢٣﴾ ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَا كَيْدُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ، ﴿ يعني: بالعذاب، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، ﴿ ضابطين.

﴿٢٤﴾ ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي، ﴿ أي: نصيحتي، ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ، ﴿ يضلكم، ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ، ﴿ له الحكم والأمر ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، ﴿ فيجزئكم بأعمالكم.

﴿٢٥﴾ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْتُمْ، ﴿ قال

بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك وإعلة فإنهما هالكان مع القوم. وفي القصة: أن جبريل أتى نوحاً عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تصنع الفلك، فقال: كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال: إن ربك يقول اصنع فإنك بعيني، فأخذ القودوم وجعل يصنع ولا يخطيء. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو الطائر.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَصَنَعَ الْفُلْكَ﴾، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يمزون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة؟ وأعمق الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم ولد. وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه من أوزر وأن يطليه بالقر من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً، والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليها ويجعل فيه كوزى، ففعله نوح كما أمره الله عز وجل.

وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في ستين وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها

العصى من أبيه، فضرب نوحاً حتى شجّه شجرة منكرة، فأوحى الله عز وجل إليه: ﴿أَنْتُمْ كَنْزُومٌ مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾، ﴿فَلَا تَبْتَئِينَ﴾، فلا تحزن، ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فإني مهلكهم [ومنقذك منهم]، فحينئذ دعا نوح عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه: أنهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى

يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تبادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، إلسى أن قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فأوحى الله تعالى إليه:

﴿٣٧﴾ ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، قال ابن عباس: برأى منا. وقال مقاتل: بعلمنا. وقيل: بحفظنا. ﴿وَوَجَّيْنَا﴾، أي: بأمرنا، ﴿وَلَا تَخْطِئِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾، بالطوفان، قيل: معناه ولا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت [في غيبي]

وَصَنَعَ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَعَيْهِ مَلَأَيْنِ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٦﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ بِأَيْدِي عَذَابٍ يُعَذِّبُهُ وَيُعَلِّمُ عَلَيْهِ عَذَابَ مُقِيمٍ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْوِيرَ فَتَبَّ أُولَئِكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِثْلُ بَيْنٍ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَقَى عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ أَكْبَرُ فِيهَا بِإِسْمِ اللَّهِ يُعَذِّبُهَا وَمُرْسَلًا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَهُوَ يُجْرِي بِهَمٍّ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَظٍ يَبْنَؤُكَ أَزْكَبَ مَعْنَى لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِي مِنْكَ الْمَاءُ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ وَعَالِ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤١﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءِي أَقْبَلِي وَغِيضِ الْمَاءِ وَفِيهِ الْأَمْرُ وَاسْتَوْتِ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْمَكِينِ ﴿٤٣﴾

ابن عباس رضي الله عنهما: يعني نوحاً عليه السلام. وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ. ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: إثمى ووبال جزمي. والإجرام: كسب الذنب. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ﴾، لا أواخذ بذنوبكم.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنْتُمْ كَنْزُومٌ مِنْ قَوْمِكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

روى الضحاك عن ابن عباس: أن قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط فيلقونه في لبد، ويلقونه في قعر بيت، يظنون أنه قد مات فيخرج [عليهم] في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل.

وروي أن شيخاً منهم جاء يتوكأ على عصي ومعه ابنة فقال: يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون، فقال له: يا أبت أمكنني من العصي، فأخذ

ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، [وجعل] في البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد. قال قتادة: كان بابها في عرضها.

وروي عن الحسن: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ست مائة ذراع. والمعروف هو الأول أن طولها ثلاثمائة ذراع. وعن زيد بن أسلم قال: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة سنة يعمل الفلك. وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة. وعن كعب الأحبار أن نوحاً عمل السفينة في ثلاثين سنة، وروي أنها كانت ثلاث طبقات، الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى فيها الإنس، والطبقة العليا فيها الطير، فلما كثرت أرواث الدواب شكا ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب القيل فغمزه فوق منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث فأكلاه، فلما وقع الفار بجوف السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها، أوحى الله تعالى أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفار فأكلاه.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً. وروي أنهم كانوا يقولون له: يا نوح ماذا تصنع؟ فيقول: أصنع بيتاً يمشي على

الماء، فيضحكون منه، ﴿قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخِّرُ مِنْكُمْ﴾، إذا عاينتم عذاب الله، ﴿كَمَا سَخِرُونَ﴾، فإن قيل: كيف تجوز السخريه من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني: إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم.

﴿سَوَوْا مَقَامَاتٍ مِّنْ يَّأْتِيهِمْ عَذَابٌ يُخْزِيهِمْ﴾، يهينه، ﴿وَيُجِلُّ عَلَيْهِمْ﴾، يجب عليه، ﴿عَذَابٌ مُّؤِيبٌ﴾، دائم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْرَاقًا﴾، عذابنا، ﴿وَقَارَ الْثَنُورُ﴾، اختلفوا في الثنور، قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء، فإز على وجه الأرض فاركب السفينة. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار الثنور أي: طلع الفجر ونور الصبح. وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه الثنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين.

ورواية عطية عن ابن عباس قال الحسن: كان تنوراً من حجارة، كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح عليه السلام، فقيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من الثنور فاركب السفينة أنت وأصحابك. واختلفوا في موضعه، قال مجاهد والشعبي: كان في ناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف: ما فار الثنور إلا من ناحية الكوفة. وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة. وكان الثنور على يمين الداخل مما يلي باب بني كندة، وكان فوراً الماء منه علماً

لنوح عليه السلام. وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة.

وروي عن ابن عباس: أنه كان بالهند. والفران: الغليان.

قوله تعالى: ﴿قَلْنَا أَمَلْ فِيهَا﴾، أي: في السفينة، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ اثْنَيْنِ﴾، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين ههنا: الذكر والأنثى. قرأ حفص ههنا وفي سورة المؤمنين [٢٧]: ﴿مِنْ كُلِّ بَئِينَ اثْنَيْنِ﴾، بالتونين، أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً. وفي القصة: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام قال: يا رب كيف أحمل من زوجين اثنين، فحشر الله إليه الوحوش والسباع والهوام والطيور، فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى، فيحملها في السفينة، ﴿وَأَهْلَكَ﴾، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، بالهلاك يعني امرأته وأهله وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾، يعني: واحمل من آمن بك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، واختلفوا في عددهم، قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية، نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام يافث، ونساؤهم. وقال الأعمش: كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنانين. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نساءهم،

نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعاً. وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفرأ، نوحاً وامراته وبنيه الثلاثة ونسائهم، فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان [في] سفينة نوح ثمانون رجلاً أحدهم جرهم. قال مقاتل: حمل نوح معه جسد آدم فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوحاً جميع الدواب والطيور ليحملها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس بذنبه، فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلم يستطع، حتى قال نوح: ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه، فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله، فقال: ما لك بد من أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك.

وروي عن بعضهم: أن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا، فقال: إنكما سبب الضر والبلاء، فلا أحملكما، فقالتا له: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرتهما.

قال الحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد وبيض، فأما ما يتولد من الطين من حشرات الأرض كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيئاً.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾، أي: قال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ يَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿بَجْرِبُهَا﴾ بفتح الميم ﴿وَمُرْسَاهَا﴾ بضمها، وقرأ محمد بن محيصن «مجرىها ومرساها» بفتح الميمين من جرت ورست، أي: بسم الله جريها ورسوها، وهما مصدران. وقرأ الآخرون: ﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ بضم الميمين من أجريت وأرست، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها وهما أيضاً مصدران؛ كقوله: ﴿أَنْزَلْنِي مُزَكَّاةً مُّبَارَكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ﴿أَنْزِلْنِي مُزَكَّاةً مُّبَدَّلَةً﴾ [الأنبياء: ٨٠]، والمراد منه الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿إِنَّ رَبِّي لَفَعُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال الضحاك: كان نوح إذا أراد أن تجري السفينة قال: بسم الله، فجرت وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله، فرست.

﴿وَيَوْمَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ﴾، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام وكان كافراً، ﴿وَوَكَاتُ فِي مَعْرَابٍ﴾، عنه لم يركب السفينة، ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعْتَا﴾، قرأ نافع وابن عامر وحمزة

عن عاصم ويعقوب: ﴿أَرْكَبَ﴾، بإظهار الباء والآخرون يدغمونها في الميم، ﴿وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فهلك.

﴿قَالَ﴾ له ابنه: ﴿سَكَاوِي﴾، ساصيلر والتجوى، ﴿إِنَّ جَبَلٍ يَعْصِيُ أَمْرَ الْمَلَأِ﴾، يمعني من الغرق، ﴿قَالَ﴾ له نوح: ﴿لَا عَاوِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، قيل: ﴿يَوْمَ﴾ في محل الرفع، أي: لا مانع من عذاب الله إلا الله الراحم. وقيل: ﴿يَوْمَ﴾ في محل النصب، معناه: لا معصوم إلا من رحمه الله؛ كقوله: ﴿فِي عَيْتِهِ رَأَيْنِي﴾ [الحاقة: ٢١]، أي: مرضية، ﴿وَسَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ﴾، فصار، ﴿وَمِنَ الْمُتَفَرِّقِينَ﴾.

ويروى: أن الماء علا على رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً. ويروى: أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء ذهب حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتهما رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي.

﴿وَقِيلَ﴾، بعدما تناهى أمر الطوفان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، اشربوا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، نقص أمسكي، ﴿وَقِيصُ الْمَلَأِ﴾، ونضب، يقال: غاض الماء يغضب

أَحْكَمَ الْمَكِينِ، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

﴿٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ أَنْ أَتَّكَلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَتَّقِرْ لِي وَتَزَحِّقْ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْطَلْ يَسْلُو مَتَا وَرَكَبْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورِكَ مَعَكِ وَأُمَمٌ سَمِعْتَهُمْ ثُمَّ نَسَهُمْ مَتَا عَذَابُ الْبَعْرِ ﴿٤٨﴾ تَلَاكَ مِنْ آيَاتِ الْقَبْرِ تُوجِبُ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لَأُنْفَيْتُكَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يُقَوِّرُ عِبَادَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ عَذِيبَانِ أَنْتُمْ الْأَمْفُورُونَ ﴿٥٠﴾ يُقَوِّرُ لَا أَتَّكَلُّكُمْ عَلَيْهِ أَحِبْرَانِ أَحْرَجَ الْأَعْلَى الَّذِي فَطَرَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيُقَوِّرُ اسْتَفْرُوا زُرُوكُمْ ثُمَّ تُؤْوَى إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرِيدُكُمْ قُوَّةً إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَا وَمَا نَحْنُ بِقَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِرِينَ ﴿٥٣﴾

أَحْكَمَ الْمَكِينِ، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

﴿٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ أَنْ أَتَّكَلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَتَّقِرْ لِي وَتَزَحِّقْ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْطَلْ يَسْلُو مَتَا وَرَكَبْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورِكَ مَعَكِ وَأُمَمٌ سَمِعْتَهُمْ ثُمَّ نَسَهُمْ مَتَا عَذَابُ الْبَعْرِ ﴿٤٨﴾ تَلَاكَ مِنْ آيَاتِ الْقَبْرِ تُوجِبُ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لَأُنْفَيْتُكَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يُقَوِّرُ عِبَادَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ عَذِيبَانِ أَنْتُمْ الْأَمْفُورُونَ ﴿٥٠﴾ يُقَوِّرُ لَا أَتَّكَلُّكُمْ عَلَيْهِ أَحِبْرَانِ أَحْرَجَ الْأَعْلَى الَّذِي فَطَرَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيُقَوِّرُ اسْتَفْرُوا زُرُوكُمْ ثُمَّ تُؤْوَى إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرِيدُكُمْ قُوَّةً إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَا وَمَا نَحْنُ بِقَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِرِينَ ﴿٥٣﴾

غيضاً إذا نقص، وغاضه الله أي أنقصه، ﴿وَقَوَّى الْأَمْرَ﴾، فرغ من الأمر وهو هلاك القوم ﴿وَأَسْوَرَّتْ﴾، يعني: السفينة استقرت، ﴿عَلَى الْجَبُودِيِّ﴾، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾، هلاكاً ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وروي أن نوحاً عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوق على جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح أن الماء قد نضب، فقيل: إنه دعا على الغراب بالخوف فذلك لا يؤلف البيوت، وطوق الحمامة الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان، فمن ثم تأمن وتألف البيوت.

وروي: أن نوحاً ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة [لعشر مضت من محرم] ستة أشهر، ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه، وهبطوا يوم عاشوراء، فصام نوح، ذلك العام وأمر جميع من معه بالصوم شكراً لله عز وجل.

وقيل: ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته، وكان سبب نجاته أن نوحاً احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج إليه من الشام، فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك.

﴿٥٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ آيَتِي مِنَ آهْلِي﴾، وَقَسَدَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَنْجِيَنِي وَأَهْلِي؟ ﴿وَإِنَّ وَعَدَكَ الْحَقَّ﴾، لا خلف فيه، ﴿وَأَنْتَ

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، أي: من أهل الدين لأنه كان مخالفاً له في الدين. وقوله: ﴿فَخَاتَمَكُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، أي: في الدين والعمل لا في الفرائض. وقوله: ﴿إِنَّهُ أَهْطَلْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يعني: تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر.

﴿٤٦﴾ قَالَ نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخُوذُكَ أَنْ أَتَّكَلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَتَّقِرْ لِي وَتَزَحِّقْ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْطَلْ انزل من السفينة، ﴿يَسْلُو مَتَا﴾، أي: بأمن وسلامة متناً، ﴿وَرَكَبْتَ عَلَيْكَ﴾، البركة هي ثبوت الخير ومنه بروك البعير. وقيل: البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته، هم الباقين إلى يوم القيامة، ﴿وَعَلَى أُمُورِكَ مَعَكِ﴾، أي: على ذرية أمم ممن

نوح، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام ﴿فَلَا تَسْأَلُنَّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها. وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، ويثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش ويعقوب الياء في الوصل ﴿إِنَّهُ أَهْطَلْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، واختلفوا في هذا الابن، قال مجاهد والحسن: كان ولد جثث من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقرأ الحسن: ﴿فَخَاتَمَكُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال: ﴿مِنْ آهْلِي﴾، ولم يقل مني. وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك والأشرون: إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط. وقوله:

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ الْهَيْبَتِ يَا سُبُوهُ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
 وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدِي
 جَمِيعًا فَمَا لَظُنُورُنِ ﴿٦٠﴾ إِنِّي قَوْلُكَ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ مَا
 مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿٦١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَخِطُ
 رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
 ﴿٦٢﴾ وَالنَّجَّاءُ أَمْرًا نَاجِيَةً يَا هُودَا أَتَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ رَحْمَةٌ
 مِنِّي وَتَجْنِبُهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٣﴾ وَذَلِكَ عَادٌ جَعَلُوا بَعْدَ
 رَبِّهِمْ دَعْوَى سُلَيْمَانَ وَأَتَوْا عَمْرُقَ بْنَ جَارِ عَيْنِدٍ ﴿٦٤﴾ وَأَتَوْا
 فِي هَيْلَةٍ الَّتِي لَقِنَتْهُ وَبِئْسَ الْيَوْمَ الْآلِ الْآبَاءُ كَذَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا
 بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٥﴾ وَإِلَى هُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
 يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَسْمَانُ فَبِئْسَ
 مَا تَصِفُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا لَيْصَلِّحُنَا فَذَكَرْنَا فَمَا نَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ
 نَعْبُدَ مَا يَشْرِكُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَالِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيدِينَ ﴿٦٧﴾

أي: وأرسلنا إلى عاد،
 ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾، فسي
 النسب لا في الدين،
 ﴿قَالَ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾،
 وخذوا الله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إن أنشء إلا
 مفترتكم، ما أنتم في
 إشراككم إلا كاذبون.

﴿٥٩﴾ إن تقول إلا اعترناك بعض
 الهيبتنا أي أصابك ﴿سُبُوهُ﴾،
 يعني: لست تتعاطى ما نتعاطاه من
 مخالفتنا وسب آلهتنا إلا أن بعض
 آلهتنا اعتراك، أي: أصابك بسوء
 بخيل وجنون، وذلك أنك سببت
 آلهتنا فانتقموا منك بالتخيل لا نحمل
 أمرك إلا على هذا، ﴿قَالَ﴾ لهم
 هود: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾، على نفسي،
 ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ يا قوم ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
 تُشْرِكُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، يعني: الأوثان،
 ﴿فَكَيْدِي جَمِيعًا﴾، فاحتالوا في مكري
 وضرري أنتم وأوثانكم، ﴿فَمَا لَظُنُورُنِ﴾،
 [لا تؤخرون ولا تمهلون].

﴿٥٩﴾ ﴿إِنِّي قَوْلُكَ﴾، أي:
 اعتمدت، ﴿عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ مَا مِنْ
 دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، قال
 الضحاك: يحييها ويميتها. قال
 الفراء: مالكها والقادر عليها. وقال
 القتيبي: يقهرها، لأن من أخذت
 ناصيته فقد قهرته. وقيل: إنما خص
 الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل
 ذلك إذا وصفت إنساناً بالذلة،
 فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا
 إذا أسروا إنساناً وأرادوا إطلاقه
 والممن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا
 بذلك فخرأ عليه، فخطبهم الله بما
 يعرفون.

﴿٥٩﴾ ﴿إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،
 يعني: إن ربي وإن كان قادراً عليهم

﴿٥٩﴾ ﴿يَقُولُ لَا أَشْرِكُ
 عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، أي: على
 تبليغ الرسالة، ﴿أَجْرًا﴾،
 جعلاً، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما
 ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي
 فَطَرَنِي﴾، خلقتني، ﴿أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿وَيَقُولُ اسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ﴾، أي: آمنوا به، والاستغفار
 ههنا بمعنى الإيمان، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا
 الْآلِهَةَ﴾، من عبادة غيره من سالف
 ذنوبكم، ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
 مِدْرَارًا﴾، أي: يرسل المطر متتابعاً
 مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة،
 ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، أي:
 شدة مع شدتكم. وذلك أن الله عز
 وجل حبس عنهم القطر ثلاث سنين
 وأعقم أرحام نساءهم فلم يلدن، فقال
 لهم هود عليه السلام: إن أنتم [بالله
 وحده وصدقتموني] أرسل الله عليكم
 المطر فتزدادون مالاً ويعيد أرحام
 الأمهات إلى ما كانت، فيلدن
 فتزدادون قوة بالأموال والأولاد.
 وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى
 قوة في البدن. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُشْرِكِينَ﴾، أي: لا تدبروا
 مشركين.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا

كان معك في السفينة، يعني: وعلى
 قرون تجيء بعدك من ذرية من معك
 في السفينة، يعني: من ولدك وهم
 المؤمنون، قال محمد بن كعب
 القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم
 القيامة، ﴿وَأُممٌ سَتِيحُمُهُمْ﴾، هذا
 ابتداء، أي: أمم ستمتهم في الدنيا،
 ﴿ثُمَّ يَسْهَرُ مِنَّا عَذَابُ آلِيهم﴾، وهم
 الكافرون وأهل الشقاوة.

﴿٥٩﴾ ﴿وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ﴾، من
 أخبار الغيب، ﴿فَوَجِبَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ
 تَعْلَمُهُمَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾،
 من قبل نزول القرآن، ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على
 القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما
 تلقى من أذى الكفار كما صبر نوح،
 ﴿إِنَّ الْقَائِلَةَ﴾ آخر الأمر بالسعادة
 والنصرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، [لأهل
 التقوى].

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾،

فإنه لا يظلمهم ولا يعمل إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه. وقيل: معناه إن دين ربي إلى صراط مستقيم. وقيل: فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: تتولوا، يعني: تعرضوا عما دعوتكم عليه، ﴿فَقَدْ أَتَيْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَخَّطَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، أي: إن أعرضتم يهلككم الله عز وجل ويستبدل بكم قوماً غيركم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه، ﴿وَلَا تَصْرُفْهُ سِتْرًا﴾، بتوليكم وإعراضكم إنما تضرّون أنفسكم. وقيل: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ﴾، أي: لكل شيء حافظ، يحفظني من أن تتالوني بسوء.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا جَاءَ أُمَّرًا﴾، عذابنا، ﴿نَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وكانوا أربعة آلاف. ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِّنَهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وهو الريح التي أهلك بها عاداً، وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة، أي: كما نجّيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجّيناهم في الآخرة.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾، رده إلى القبيلة، ﴿جَعَدُوا بِبَايَكِت رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، يعني: هوداً وخدّه، وذكره بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً واحداً كان كمن كذب جميع الرسل، ﴿وَاتَّبَعُوا أُمَّرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، أي: واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعتاد. والجبار: المتكبر، والعنيد:

الذي لا يقبل الحق، يقال: عنّد الرجل يعنّد عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه. وقال أبو عبيدة: العنيد والعاند والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف.

﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، أي: أرفدوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعنة: هي الإبعاد والطرده عن الرحمة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: وفي يوم القيامة أيضاً لعنوا كما لعنوا في الدنيا والآخرة، ﴿آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: إن عاداً كفروا بهم، أي: برّتهم، ويقال: كفرته

وكفرت به، كما يقال: شكرته وشكرت له ونصحته ونصحته له. ﴿آلَ بَدَأَ لَعَادَ قَوْمٍ هُودٍ﴾، قيل: بعداً من رحمة الله. وقيل: هلاكاً. والبعد له معنيان، أحدهما ضد القرب، يقال منه: بعدٌ يبعدُ بعداً، والآخر: بمعنى الهلاك، يقال: منه بعدٌ يبعدُ بعداً وبعداً.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَنهَاهُمْ صَلِحَةً﴾، أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً في النسب لا في الدين، ﴿قَالَ يَقُولِرِ اتَّبِعُوا اللَّهَ وَخُدُّوا اللَّهَ عِزًّا وَجَلَّ لِلَّهِ كُفْرُؤُنَّ مِمَّا كَفَرْتُمْ﴾، ابتداء خلقكم، ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، وذلك أنهم من آدم عليه السلام وآدم خلق من الأرض، ﴿وَأَسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾، أي: جعلكم عمّارها وسكّانها. قال الضحّاك: أطال عمرهم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك قوم عاد. قال

سورة هود

سورة هود

قَالَ يَقُولِرِ أَنه يَشْرَان كُنْتُ عَلَى يَسْرٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنهُ رَحْمَةً مَّن بَصُرْتَنِي مِّنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ مَا تَرِيدُونَنِي غَيْر تَحْسِيرٍ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولِرِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٥٨﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْر مَكْذُوبٍ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ أُمَّرٌ نَّجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّالِحَةَ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَذَرِيَهُمْ خِيَابِكُمْ ﴿٦١﴾ كَأَن لَّمْ يَغْتُرِبْهَا إِلَّا فِي نَوْمٍ فَأَسْرَبُوا إِلَيْهَا إِذْ يَسْمَعُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَهُ بِعَجَلٍ حَسِيذٍ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَن يُوتَبَرُ أَصْلَحَ إِلَيْهِ نَكْرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٤﴾ وَأَمْرًا تَأْتِيهِمْ فَمَا جَاءَتْهُمُ إِلَّا نَارٌ مِّنَ السَّمَاءِ يُعْرَبُونَ ﴿٦٥﴾ وَنَارٌ مِّنَ السَّمَاءِ يُعْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَنَارٌ مِّنَ السَّمَاءِ يُعْرَبُونَ ﴿٦٧﴾

مجاهد: أعمركم من العمري، أي: جعلها لكم ما عشتم. وقال قتادة: أسكنكم فيها. ﴿فَأَسْتَفْرِهُوهُ ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾، من المؤمنين، ﴿غَيْبٍ﴾ لدعائهم.

﴿قَالُوا﴾، يعني ثمود: ﴿يَصْلُحُ قَدْ كُنْتُ فِتْنًا مَّرْجُومًا قَبْلَ هَٰذَا﴾، القول، أي: كنا نرجوا أن تكون سيداً فينا. وقيل: كنا نرجوا أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نُعْبُدَ مَا يُعْبَدُ آبَاءُنَا﴾، من قبل من الآلهة، ﴿وَأَنَّا لَنَبِيٍّ لِّسَانٍ وَمِنَّا تَنْصَوَاتُ لِلَّهِ مُبِيبٍ﴾، موقع للريبة والتهمة، يقال: أربته إرابة إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة.

﴿قَالَ يَقُولِرِ أَنه يَشْرَان كُنْتُ عَلَى يَسْرٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنهُ رَحْمَةً﴾، نبوة وحكمة، ﴿فَمَن بَصُرْتَنِي مِّن

اللَّهُ، أي: من يمنعني من عذاب الله، ﴿إِنْ عَصَيْتُمْ فَأَنَا زَيْدُونِي غَيْرَ تَقْسِيرٍ﴾، قال ابن عباس: ما تزيدوني غير بصارة في خسارتكم. قال الحسين بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال فما تزيدوني غير تخسير، وإنما المعنى ما تزيدوني بما تقولون من الفحش إلا نسبتي إليكم إلى الخسارة، والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

﴿وَيَقُولُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾، نصب على الحال والقطع، وذلك أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقةً عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولداً مثلها، وقد بيناه في سورة الأعراف، فهذا معنى قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرضِ اللَّهِ﴾، من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها، ﴿وَلَا تَمْشَوْهَا يَسُورًا﴾، ولا تصيبوها بعقر، ﴿فَاتَذَكَّرُوا﴾، إن قتلتموها، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: ﴿تَسْتَعْرِفُونَ﴾، عيشوا، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾، أي: في دياركم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ثم تهلكون، ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ﴾، أي: غير كذب. روي أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم

الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، فاتاهم العذاب اليوم الرابع.

﴿قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرُنَا بِنَجْمًا صَالِحًا وَآذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾، بنعمة منا، ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، أي: من عذابه وهوانه، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: ﴿خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ و﴿عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، بفتح الميم. وقرأ الباقر بالكسر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿الضَّالِّينَ﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وإنما قال: ﴿فَاتَذَكَّرُوا﴾ والصيحة مؤنثة، لأن الصيحة بمعنى الصباح. ﴿فَأَصْحَارًا فِي دِيَارِهِمْ جَبِينًا﴾، صزعى هلكتي.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمُرُوا فِيهَا﴾، يقيموا ويكونوا فيها، ﴿أَلَّا يَأْتُوا نَمُودًا﴾، كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِنَمُودٍ، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (نمود) غير منون، وكذلك في سورة الفرقان [٣٨] والعنكبوت [٣٨] والنجم [٥١]، ووافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقر بالتنوين، وقرأ الكسائي: ﴿لِنَمُودٍ﴾ بخفض الدال والتنوين، والباقر بنصب الدال، فمن جزه فلأنه اسم مذكر، ومن لم يجزه جعله اسماً للقبيلة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلُنَا لِيُزَيِّمَ بِالْبُشْرَى﴾، أراد بالرسول الملائكة عليهم السلام. واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس وعطاء: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقال الضحاك: كانوا تسعة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه سبعة. وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء وجوههم، ﴿بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة بإسحاق ويعقوب. وقيل: بإهلاك قوم لوط. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، أي: سلموا سلاماً، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿سَلِّمُوا﴾ أي: عليكم سلام وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٨٥]، الأعراف: ههنا وفي سورة الذاريات [٢٥] بكسر السين بلا ألف. قيل: هو بمعنى السلام. كما يقال: جل وحلال، وجرم وحرَام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب.

﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾، والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سميناً يسيل دسماً، كما قال في موضع آخر: ﴿عِجْلًا يَعْبَثُ سَيِّئِينَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾، أي: إلى العجل، ﴿تَكَرَّمَهُمْ﴾، أنكرهم، ﴿وَأَوَّجَسَ﴾، أضمر، ﴿وَيَتَمَّمُ خَيْفَةً﴾، خوفاً. قال مقاتل: وقع في

قلبه، وأصل الوجس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه. قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر. ﴿قَالُوا لَا نَحْفَ﴾، يا إبراهيم، ﴿إِنَّا﴾ ملائكة الله ﴿أُرْسِلْنَا﴾ لَكَ قَوْمَ لُوطٍ.

﴿٧١﴾ ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾، سارة بنت هاران بن أهور وهي ابنة عم إبراهيم، ﴿قَائِمَةٌ﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم. ﴿فَضَحَكْتَ﴾، قال مجاهد وعكرمة: ضحكت، أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثرون على أن المراد منه الضحك [المعلوم] المعروف. واختلفوا في سبب ضحكها، فقيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين ﴿قَالُوا لَا نَحْفَ﴾.

قال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم [منهم] وظنهم لصوصاً فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال إبراهيم: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام، وقال: حقّ لهذا أن يتخذ ربه خليلاً، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجباً لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكراً لهم وهم لا يأكلون [من] طعامنا.

وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم.

وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة في بيته، وهو فيما بين خدمه وحشمه. وقيل: ضحكت سروراً بالبخارة.

وقال ابن عباس وهب: ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنّها ومن زوجها. وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وامرأته

قائمة فيشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، وقالت: يا ويلتي ألد وأنا عجوز؟

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ ذَكَوْهُ إِسْحَاقُ﴾، أي: من بعد إسحاق، ﴿يَعْقُوبُ﴾، أراد به ولد الولد، فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمار فعل، أي: وهبنا له يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع [على حذف حرف الصفة]. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها ثعباً.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَتْ يَوَيْلَ﴾، نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجباً، والأصل يا ويلتاه. ﴿وَأَنَا

سورة هود

الآيات ٧١-٧٣

قَالَتْ يَوَيْلَ﴾ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخَانٌ هَذَا لَنِّي عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَجِيبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتَ اللَّهُ وَرَكَّكُنَّ عَلَيْكَ أَهْلَ الْآيَاتِ إِنَّهُمُ حَمِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ نَدْمُهُ فَتَشَدَّى لِنَافِ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهَ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَكَ أَمْرٌ رِيكٌ وَإِنَّهُمْ لَأَنْبِيَاءٌ عَذَابٌ غَرِيظٌ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِنْ بَيْنِهِمْ وَصَاقِيهِمْ ذَرَعَا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَجِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ لِإِبْرَاهِيمَ قِيلَ كَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ السَّمَكَاتِ قَالَ يَتَفَوَّهُمْ هَذَا بَنَاتِي هُنَّ لَطْمَةٌ لَكُمْ فَأَنْقُذُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنْ فِي ذُنُوبِ الْبَشَرِ مِنْكَ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَتَقْدِرُ مَا نَافَى بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ رَبِّكَ لَنَنْعَمَنَّ مَا رِئِدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوَ أَنِّي لَبِيتُكُمْ قَوْمَهُ أَوْهَى إِلَيَّ رَكْبِي شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ نَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُوتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرٌ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ لِنَ مَوْعِدِهِمْ السَّبْحِ الْبَسْمِ السَّبْحِ بِرَبِّهِ ﴿٨١﴾

١٢٠

عجوزاً، وكانت ابنة تسعين سنة، في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: تسعاً وتسعين سنة. ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾، أي: زوجي، سمي بذلك لأنه قيم امرها، ﴿شَيْخَانٌ﴾، نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿إِنَّ هَذَا لَنَشَأٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: الملائكة [السارة]، ﴿أَنْتَجِيبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، معناه: لا تعجبي من أمر الله، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً كَانَ. ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَرَكَّكُنَّ عَلَيْكَ أَهْلَ الْآيَاتِ﴾، أي: بيت إبراهيم عليه السلام. قيل: هذا معنى الدعاء من الملائكة، وقيل: على معنى الخير والرحمة والنعمة. والبركات جمع بركة، وهي ثبوت الخير. وفيه دليل على أن الأزواج من

وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَمْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يسرعون إليه. وقال مجاهد: يهرولون، وقال الحسن: مشي بين مشيتين. قال شمر بن عطية: بين الهرولة والجمز. ﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾، أي: من قبل مجيئهم إلى لوط، ﴿كَانُوا يَأْتُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ﴾. ﴿قَالَ﴾ لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان: ﴿يَقْوَرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ﴾، يعني: بالتزويج، وفي أضيافه بناته وكان في ذلك الوقت، تزويج المسلمة من الكافر جائزاً كما زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين. وقال الحسين بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، أراد [به] نساءهم وأضاف إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته. وفي قراءة أبي بن كعب: «النبي أزلني بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم». وقيل: ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على [سبيل] التحقيق، أي: لا تسوؤوني ولا تفضحوني في أضيافي. ﴿أَلَيْسَ يَنْكَرُ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، صالح سديد. قال عكرمة: رجل يقول لا إله إلا الله. وقال ابن

﴿لُوطًا﴾، على صورة غلمان مرد حسان الوجوه، ﴿بِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ﴾، أي: أي: حزن لوط بمجيئهم [يقال] سوءته فسيء، كما يقال: سررته فسر. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، أي: قلباً. يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، أي: شديد لأنه عصب به الشر والبلاء، أي: شد.

قال قتادة والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فاتوا لوطاً نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها. وقيل: إنه كان يحتطب. وقد قال الله تعالى للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم إلى منزله، فلما مشى ساعة قال لهم: ما بلغكم أمر أهل هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً، يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله.

وروي: أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمرّ على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي أشر خلق الله، ثم مرّ على قوم آخرين، فغمزوا، فقال مثله، ثم مرّ بقوم آخرين فقال مثله، فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا، حتى أتى منزله.

أهل البيت. ﴿إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، فالحميد: المحمود في أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجيد الرفعة.

﴿٧٤﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾، الخوف، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَى﴾، ياسحاق ويعقوب، ﴿يَجِدُونَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، فيه إضمار، أي: أخذ وظل بجادلنا. قيل: معناه يكلمنا لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربّه عزّ وجلّ إنما يسأله ويطلب إليه. وقال عامة أهل التفسير: معناه يجادل رسلنا، وكانت مجادلته أنه قال للملائكة أرايتم لو كان في مدائن لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا، قال: أرايتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قال: لا، قال لهم إبراهيم عند ذلك: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لنتجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين.

﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ شَيْبٌ﴾، قال ابن جريج: وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف، فقالت الرسل عند ذلك لإبراهيم.

﴿٧٦﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال، ﴿إِنَّهٗ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّوْكٌ﴾، عذاب ربك وحكم ربك، ﴿وَأَنبَأَهُمْ آتِيَهُمْ﴾، نازل بهم، ﴿عَذَابٌ عَزِيزٌ مَّرْثُومٌ﴾، أي: غير مصروف عنهم. ﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، يعني: هؤلاء الملائكة،

إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، يا لوط، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: لسن أزواجاً لنا فنستحقهنّ بالنكاح. وقيل: معناه ما لنا فيهنّ من حاجة وشهوة. ﴿وَأَنَّكَ لَتَكُنَّ مِمَّنْ يَبْغُونَ﴾، من إتيان الرجال.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط عند ذلك: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أراد قوة البدن أو القوة بالاتباع، ﴿أَوْ آوَىٰ إِلَيَّ زُرِّيٰ شَدِيدٌ﴾، أي: أنضمّت إلى عشيرة مانعة. وجواب ﴿لَوْ﴾ مضمّر، أي: لقاتلناكم وحلنا بينكم وبينهم، قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبياً إلا في منعة من عشيرته.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو اليمان، أنبأ شعيب بن أبي حمزة، أنبأنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد».

قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسوّر الجدار، فلما رأَت الملائكة ما يلقي لوط بسببهم.

﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾، إن رُكنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربّه عزّ وجلّ في عقوبتهم، فأذن له،

فقام في الصورة التي يكون فيها فشر جناحه وعليه وشاح من دُرّ منظوم، وهو براق الثنايا، أجلى الجبين، ورأسه حبك مثل المرجان، كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضرة، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم، فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرونا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فستري ما تلقى منا غداً، يوعدونه. فقال لوط للملائكة: متى موعد إهلاكهم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن، فقالوا: ﴿الْيَسَّ الْيَسَّ بَقَرِيٍّ﴾، ثم قالوا: ﴿فَأَسْرِبْ﴾، يا لوط، ﴿بِأَهْلِكَ﴾، قرأ أهل الحجاز: «فأسر وإن أسر» بوصل الألف حيث وقع في القرآن من سرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري. ومعناها واحد وهو المسير بالليل ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل. وقال الضحّاك: ببقية. وقال قتادة: بعد مضيّ أوله. وقيل: إنه السحر الأزل. ﴿وَلَا يَلْقَوْنَ مِنكُمْ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا نَّكَتَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «امراتك»، برفع التاء على الاستثناء من الالتفات، أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت،

وقالت: يا قوماه فأدركها حجر فقتلها. وقرأ الآخرون بنصب التاء على استثناء من الإساءة، أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها، فإن هَوَاهَا إليهم، وتصديقه قراءة ابن مسعود: ﴿فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْقَوْنَ مِنكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿الْيَسَّ الْيَسَّ بَقَرِيٍّ﴾.

﴿قوله﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن، وفيها أربعمائة ألف. وقيل: أربعة آلاف ألف، فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب. فلم يكفأ لهم إناء ولم يتبته نائم، ثم قلبها فجعل عليها سافلها. ﴿وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أي على شذاذها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، ﴿حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: (سك) وكل) فارسي معرب. وقال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿لَنُرْسِلَنَّ عَلَيْكُمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]. قال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين. وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشدت. وقال الضحّاك: يعني الأجر. وقيل: السجيل اسم السماء

والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف.
وقال مجاهد: ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ﴾، أي:
طاعة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾، بأن ما عندكم من رزق الله
وعطائه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾،
بوكيل. وقيل: إنما قال ذلك لأنه لم
يؤمر بقتالهم.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾،
من الأوثان. قال ابن عباس
رضي الله عنهما: كان شعيب عليه
السلام كثير الصلاة، لذلك قالوا
هذا. وقال الأعمش: يعني
أقراءك.

﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾،
أو أن تترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء
من الزيادة والنقصان. وقيل: كان
شعيب عليه السلام قد نهاهم عن قطع
الدنانير والدراهم، زعم أنه محرم
عليهم فقالوا: أو أن نفعل في أموالنا ما
نشاء من قطعها.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾،
قال ابن عباس رضي الله عنهما:
أرادوا السفية الغاوي، والعرب
تصف الشيء بضده فتقول: للديع
سليم وللفلانة مفازة. وقيل: قالوه
على وجه الاستهزاء. وقيل: معناه
الحليم الرشيد بزعمك. وقيل: هو
على الصحة أي إنك يا شعيب فينا
حليم رشيد، لا يجعل بك شق عصا
قومك ومخالفة دينهم، وهذا كما قال
قوم صالح عليه السلام: ﴿قَدْ كُنْتُ
فِيْنَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢].

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَنْفُورُ آدَمُ يَشْتَرُ إِنْ كُنْتُ

هذه الأمة، والله ما
أجار الله منها ظالماً بعد.
وفي بعض الآثار: ما من
ظالم إلا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة
إلى ساعة. زوي: أن
الحجر أتبع شذاهم
ومسافرهم، أين كانوا في
البلاد، ودخل رجل منهم
الحرم فكان الحجر معلقاً
في السماء أربعين يوماً
حتى خرج فأصابه
فأهلكه.

﴿٨٩﴾ قوله عز وجل:
﴿وَالِإِن مِّنْ﴾، أي: وأرسلنا
إلى ولد مدين، ﴿أَنَاهُرُ
شُعَيْبًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنَ إِلَهٍ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا إِلَهَكُمْ
وَالْمِيزَانَ﴾، أي: لا تبخسوا، وهم
كانوا يطففون مع شركهم، ﴿إِنِّي
أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾، قال ابن عباس:
موسرين في نعمة. وقال مجاهد: في
خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة،
وغلاء السعر وحلول النعمة، إن لم
يتوبوا. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾، يحيط بكم فيهلككم.

﴿٩٠﴾ وَيَنْفُورُ أَوْفُوا إِلَهَكُمْ
وَالْمِيزَانَ﴾، أتموهما، ﴿وَالْأَنْسَابَ﴾،
بالعدل. وقيل: بتقويم لسان الميزان،
﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾، لا تنقصوا،
﴿الْأَنَامَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْوُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: يعني ما أبقى الله
لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَائِلَهَا وَأَمْرًا نَاعَلَهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّضُورٍ ﴿٨٧﴾ مَسْؤَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعَبِيدٍ ﴿٨٨﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ
شُعَيْبًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرِهِ
وَلَا تَنْقُصُوا إِلَهَكُمْ الْيَمِينَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَنْفُورُ
أَوْفُوا إِلَهَكُمْ الْيَمِينَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
الْأَنَامَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٩٠﴾
يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيظٍ ﴿٩١﴾ قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَنْفُورُ آدَمُ يَشْتَرُ
كُلُّهُ عَلَى بَيْتِهِ مَن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ
أَخَالَفَكَ إِلَّا مَا أَنهَنَّاكُمْ عَنهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٩٣﴾

الدنيا. وقيل: هو جبال في السماء،
قال الله تعالى: ﴿وَيُرْوَدُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣].
قوله ﴿مَّضُورٍ﴾، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: متتابع يتبع بعضه
بعضاً مفعول من النضد، وهو وضع
الشيء بعضه فوق بعض.

﴿٩٢﴾ ﴿مَسْؤَمَةٌ﴾، من نعت
الحجارة وهي نصب على الحال،
ومعناها معلمة. قال ابن جريج:
عليها سيما لا تشاكل حجارة
الأرض. وقال قتادة وعكرمة: عليها
خطوط حمراء على هيئة الجزع. وقال
الحسن والسدي: كانت مختومة
عليها أمثال الخواتيم. وقيل:
مكتوب على كل حجر اسم من رمى
به. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ﴾، يعني:
تلك الحجارة، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾،
أي: من مشركي مكة، ﴿بِعَبِيدٍ﴾،
وقال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي

عَلَىٰ يَتَّبِعُوهُ، بصيرة وبيان، ﴿يَنْزِلُ رَبِّي
وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، حلالاً.
وقيل: كثيراً. كان شعيب عليه
السلام كثير المال. وقيل: الرزق
الحسن: العلم والمعرفة. ﴿وَمَا أَرِيدُ
أَنْ أَخْلُقَكُمْ إِلَّا مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ﴾،
أي: ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم
أرتكبه. ﴿إِنْ أَرِيدُ﴾، ما أريد فيما
أمركم به وأناهاكم عنه، ﴿إِلَّا الْإِحْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾،
والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد
وتسهيل سبيل الخير والطاعة، ﴿عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ
أَرْجَعُ فِيهَا يَنْزِلُ بِي مِنَ النَّوَابِغِ.
وقيل: في المعاد.

﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، لا
يحملنكم، ﴿شِقَاقِي﴾، خلافي ﴿أَنْ
يُصِيبَكُمْ﴾، أي: على فعل ما
أنهاكم عنه [فيصيبكم]، ﴿يَنْزِلُ مَا
أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ
قَوْمَ هُودٍ﴾، من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ
صَالِحٍ﴾، من الضيحة، ﴿وَمَا قَوْمٌ
لُوطٍ يَنْتَهُمُ يَجِيدُونَ﴾، وذلك أنهم
كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط.
وقيل: معناه وما دار قوم لوط منكم
ببعيد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم
لوط.

﴿وَأَسْتَفْرِئُوا رَيْبَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا
إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، والودود
له معنيان، أحدهما: أنه محب
للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى المودود
أي: المحبوب للمؤمنين. وجاء في
الخبر: إن شعيباً عليه السلام كان
خطيب الأنبياء عليهم السلام.

﴿قَالُوا يَسْتَعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾،

[أي: ما نفقهم، كثيراً
يَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنُرِيكَ يَمِينًا
ضَعِيفًا﴾، وذلك أنه كان
ضريب البصر، فأرادوا
ضعف البصر، ﴿وَلَوْلَا
رَهْطُكَ﴾، عشيرتك وكان
في منعة من قومه،
﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾، لقتلناك.
والرجم: أتبع القتل.
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا﴾، عندنا،
﴿بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرَهْطِي
أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾،
أي: أمكان رهطي أهيب
عندكم من الله، إن تركتم

فتلني لمكان رهطي فالأولى أن
تحفظوني في الله. ﴿وَأَخَذْنَاهُ وَرَاءَهُ
ظَهْرًا﴾، أي: نبذتم أمر الله وراء
ظهوركم وتركتموه، ﴿إِنِّي رَبِّي يَمَا
تَعْمَلُونَ مُخِيطٌ﴾.

﴿وَيَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ
مَكَائِكُمْ﴾، أي: على تودتكم
وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على
مكانته إذا عمل على تودة وتمكن.
﴿إِنِّي عَزِيزٌ﴾، على تمكني، ﴿سَوْفَ
تَعْلَمُونَ﴾، أئنا الجاني على نفسه
والمخطيء في فعله، فذلك قوله:
﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِبه﴾، يذله،
﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾، قيل: ﴿مَنْ﴾
في محل النصب، أي: فسوف
تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع،
تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه
ويذوق وبال أمره. ﴿وَأَرْسَلْنَا
وَأَنْتَظَرُوا الْعَذَابَ﴾، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ

﴿وَيَقُولُوا لَئِمَّا كُنَّا لَأَجْمِرَنَّكُمْ
رَبَّنَا بِمَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ بِمَا صَالِحٌ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ يَنْتَهُمُ
بِعِيسَىٰ ۗ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَفْرِئُوا رَيْبَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَسْتَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنُرِيكَ يَمِينًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرَهْطِي - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ
اللَّهِ وَأَخَذْنَاهُ وَرَاءَ ظَهْرٍ إِنَّ رَبِّي يَمَا تَعْمَلُونَ
مُخِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَائِكُمْ إِنِّي عَزِيزٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِبه وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مَعْكُمْ رَبِّي ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَهُ
أَمْرًا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي رِجْلِهِمْ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾
كَانَ لَرِجْلِهِمْ فِيهَا آتَمَّ الْعَمَلِينَ كَمَا بَدَأْتِ سُوءَهُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلِك فِرْعَوْنَ
وَمَا لَا يُعْمَلُ بِغَيْرِهِ وَأَنْتَ فَرْعَوْنَ وَمَا أَشْرَفُوعُونَ بِرِشِيدٍ ﴿٩٧﴾

رَبِّي، متظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرًا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾، قيل: إن
جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
فخرجت أرواحهم. وقيل: أنتهم
صيحة من السماء فأهلكتهم.
﴿فَأَصْبَحُوا فِي رِجْلِهِمْ جَحِيمٌ﴾،
ميتين.

﴿كَانَ لَمْ يَمْتَرًا﴾، [أي: كان
لم يقيموا] ولم يكونوا، ﴿فِيهَا آتَمَّ
بَدَأَهُ﴾، هلاكاً، ﴿لَيْتَنِي كَمَا بَدَأْتَ﴾،
هلكت ﴿سُوءَهُ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة
بيته.

﴿إِن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَبَوْا
أَنْ يُرْسَلُوا وَمَا أَشْرَفُوعُونَ بِرِشِيدٍ﴾،
بسدید.

بالياء، ﴿إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ﴾، [أي:] معلوم عند الله [تعالى].

﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾، قرىء بإثبات الياء وحذفها، ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أي: لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِأُذُنِهِ فَيَنْهَرُ﴾ سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري، أنبأنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنبأنا إسحاق بن

إبراهيم بن عباد الدبري، أنبأنا عبد الرزاق، أنا [معر عن منصور، عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا على جنازة فينا نحن بالبيع إذ خرج مخصرة علينا رسول الله ﷺ وبيده مخصرة فجاء فجلس ثم نكت بها الأرض ساعة، ثم قال: «ما من نفس متفوسة إلا وقد كتبت مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة». قال: فقال رجل: أفلا نتكل

على كتابنا يا رسول الله وندع العمل؟ قال: «لا، ولكن اغملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة»، قال: ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١٠٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠٤﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ﴿١٠٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿١٠٢﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠١﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

والهلاك، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، عذاب ربك، ﴿وَمَا زَادَهُمْ عِزًّا تَنَبَّسُوا﴾، أي: غير تخسير، وقيل: تدمير.

﴿وَكَذَلِكَ﴾، وهكذا، ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة بن الفضل، أنبأنا أبو معاوية، أنبأنا يزيد بن أبي بردة، [عن أبي بردة] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ الآية.

﴿١٠٧﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعبرة، ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، أي: يشهده أهل السماء والأرض.

﴿وَمَا يُؤَخِّرُهُ﴾، أي: وما يؤخره تؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة. قرأ يعقوب: وما يؤخره

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٠٦﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرَىٰ نَفْثُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٨﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ عِزًّا تَنَبَّسُوا ﴿١٠٩﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١١١﴾ وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿١١٢﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَأَنْتَكُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأُذُنِهِ فَيَنْهَرُ شَقِيًّا وَسَعِيدٌ ﴿١١٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنُفِيَ النَّارُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا مَا مَدَّ أَيْدِيهِمْ وَالْأَرْضُ لِأَمَّا سَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ قَدِيرٌ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنُفِيَ الْجَنَّةُ عَنْهُمْ فَمَا مَدَّ أَيْدِيهِمْ وَالْأَرْضُ لِأَمَّا سَاءَ رَبُّكَ عَطَاةٌ غَيْرُ مَجْدُوفٍ ﴿١١٥﴾

﴿١٠٨﴾ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ، يتقدمهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾، فأدخلهم، ﴿النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي: بس المدخل المدخول فيه.

﴿١٠٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ، [أي: في هذه الدنيا] ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَرْفُودُ﴾، أي: العون المعان. وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة.

﴿١١٠﴾ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرَىٰ نَفْثُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ، عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب. وقيل: منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف. وحصيد، أي: انمحي أثره. وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر، وحصيد بمعنى محصود.

﴿١١١﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ، بالعذاب

﴿قوله﴾: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره إذا رذده في جوفه. وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.

﴿١٧﴾ ﴿خَلِيلِكَ فِيهَا﴾، لابشين مقيمين فيها، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الضحاك: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك فأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض. وقال أهل المعاني: هذا عبارة عن التأييد على عادة العرب، يقولون: لا آتيك ما دامت السموات والأرض، ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار، يعنون أبداً. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من الموحدين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس، لأن الذين أخرجوا من النار سعداء ثم استثناهم الله من جملة الأشقياء، وهذا كما:

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد [المليحي، أنبأنا أحمد] بن عبد الله النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن

عمر، ثنا هشام، عن قتادة، عن أنس: عن النبي ﷺ قال: «لِيُصِيبَنَّ أَوْقَاماً سَفَعُ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبِ أَصَابُوهَا، عَقُوبَةٌ ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيَقَالُ لَهُمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ».

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، قال: أنا أحمد بن عبد الله النعمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مُسَدَّد، أخبرنا يحيى، عن الحسن بن ذكوان، أنبأنا أبو رجاء، حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيَسْمَوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ».

وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة. وقيل: إلى ما شاء ربك من الفريقين من تعميمهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار، يعني: هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار. وقيل: معنى إلا ما شاء ربك [أي] سوى ما شاء ربك، معناه: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، وكما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا. وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء

في النار وهؤلاء في الجنة؛ كقوله: ﴿بَلَّغْنَا لَكُمُ الْبَرَاقِطَ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]، أي: ولا الذين ظلموا. وقيل: معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود. وقال الفراء: هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله؛ كقولك: والله لأضربك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿سُودُوا﴾، بضم السين وكسر العين، أي: رُزِقُوا السعادة، وسعد وأسعد بمعنى واحد. وقرأ الآخرون بفتح السين قياساً على ﴿شَقُّوا﴾ [هود: ١٠٦]. ﴿فَقَبِيحٌ الْمَنَةُ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال الضحاك: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة. قال قتادة: الله أعلم بنيةاه. ﴿عَطَّةٌ غَيْرَ مَجْدُوفَةٍ﴾، أي: غير مقطوع. قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَّةٌ غَيْرَ مَجْدُوفَةٍ﴾، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله. ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل

وأمرت، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، أي: ومن آمن معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

أخبرنا الإمام الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أنا والذي إملأه، ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن العلاء ابن كريب، ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقيفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنْتُ بالله ثم استقم».

﴿وَلَا تَطْفُوا﴾، لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني. وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيته. ﴿إِنَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَيْرٌ﴾، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيتني هوذا وأخواتها».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد السلام بن مطهر، ثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يَشَادَ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ،

ونافع وأبو بكر: ﴿وَرَأَى كَلًّا﴾، ساكنة النون على تخفيف إن الشقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿لَمَّا﴾ شددها هنا وفي يس والطارق، ابن عامر وعاصم وحمزة. ووافق أبو جعفر ههنا، وفي الطارق وفي الزخرف، بالتشديد عاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف، فمن شدد [قال: الأصل فيه ﴿وَرَأَى كَلًّا﴾ لمن ما، فوصلت من الجارة بما، فانقلبت النون ميماً للإدغام، فاجتمعت ثلاث

ميمات فحذفت إحداهن، فبقيت لما بالتشديد، و﴿ما﴾ ههنا بمعنى من، هو اسم لجماعة من الناس، كما قال تعالى: ﴿فَأَكْبَهُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: 3]، أي: من طاب لكم، والمعنى: وإن كلاً لمن جماعة ليوفيتهم. ومن قرأ بالتخفيف قال: ﴿ما﴾ صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة اجتماعهما، والمعنى: وإن كلاً ليوفيتهم. وقيل ﴿ما﴾ بمعنى من، تقديره: لمن ليوفيتهم، واللام في ﴿لما﴾ لام التأكيد، [التي تدخل على خبر إن]، وفي ليوفيتهم لام القسم، [والقسم مضمراً] تقديره: والله، ﴿يُؤَيِّنُهُمْ رَبُّكَ أَغْمَلَهُمْ﴾، أي: جزاء أعمالهم، ﴿إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾.

﴿فَأَسْتَقِمُ﴾ قوله عز وجل: ﴿فَأَسْتَقِمُ كَمَا أَمَرْتُ﴾، أي: استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما

فَلَا تَكُ فِي مَرْيَبٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبدُونَ إِلَّا لَكَ يَبْدُ ءَابَاءَهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴿١٠٩﴾ تَصِيْبُهُمْ عَذَابٌ مِّن مِّنَّا وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ وُكُوفًا لِّكَلِمَةٍ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُوصِ بَيْنَهُمْ وَأَنذِرْهُمْ لَعَلَّكَ بِنَاءِ رَبِّكَ تَرْسِدٌ ﴿١١٠﴾ وَإِن كَلَّلْنَا لَنُؤَيِّنَهُمْ رَبُّكَ أَغْمَلَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْفُوا إِنَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَيْرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسِكُمُ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ طَرَفُ النَّهْرِ وَإِنَّمَا بَيْنَ السَّيْلِ وَالْأَحْسَنِتِ بَدْوٌ مِّنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ رَوَوْا وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٤﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ ءَأْمَنَّا مِنْهُمْ وَأَتَّخِذُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرُوا وَيُؤَيِّنُ وَكَانُوا يُجْرِمُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُغَيِّرَ الْقُرْآنَ بِلُغَتِهِمْ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴿١١٦﴾

الإيمان. وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً.

﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيَبٍ﴾، فسي شك، ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾، أنهم ضلال، ﴿مَا يَعْبدُونَ إِلَّا لَكَ يَبْدُ﴾، فيه إضمار، أي: كما كان يعبد، ﴿ءَابَاءَهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ تَصِيْبُهُمْ﴾، حظهم من الجزاء. ﴿غَيْرَ مَنُوفٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾، فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن، يُعزِّي نبيته ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿لَقُوصِ بَيْنَهُمْ﴾، أي: لغذبوا في الحال وفرغ من عذابهم وإهلاكهم، ﴿وَأَنذِرْهُمْ لَعَلَّكَ بِنَاءِ رَبِّكَ تَرْسِدٌ﴾، موقع في الريبة والتهمة.

﴿وَرَأَى كَلًّا﴾، قرأ ابن كثير

فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». **﴿١١٣﴾** قوله عز وجل: **﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الْآيِنِ عَلَى كُهُوبٍ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا. والركون: هو المحبة والميل بالقلب. وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم. قال السدي: لا تدهنوا الظلمة. وعن عكرمة: لا تطيعوهم، وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا. **﴿فَتَسْكَبُوا﴾**، فتصيبكم، **﴿فَأَنزَلْنَا وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ آيَاتٍ﴾**، أي: أعوان يمنعونكم من عذابه، **﴿فَتَرَى لَآئِنُ صُورَةٍ﴾**.

﴿١١٤﴾ قوله عز وجل: **﴿وَأَنزَلْنَا الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾**، أي: الغداة والعشي. يعني: صلاة الصبح والمغرب قال مجاهد: طرفا النهار صلاة الصبح والظهر والعصر. **﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾**، صلاة المغرب والعشاء. وقال مقاتل: صلاة الفجر والظهر طرف، وصلاة العصر والمغرب طرف، وزلفاً من الليل يعني صلاة العشاء. وقال الحسن: طرفا النهار الصبح والعصر، وزلفاً من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: طرفي النهار الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح والمغرب. قوله: **﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾**، أي: ساعاته واحدها زلفة وقرأ أبو جعفر: **﴿زُلْفَا﴾** بضم اللام. **﴿إِنَّ لِحَسَنَاتِكُمْ يَدَّيْنِ السَّيِّئَاتِ﴾**، يعني: إن الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات.

وروي أنها نزلت في أبي اليسر، قال: أتتني امرأة تبتاع تمرأ فقلت لها: إن في البيت تمرأ أطيب منه،

فدخلت معي في البيت، فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وثب، فأتيت عمر رضي الله عنه فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وثب، فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا، حتى ظن أنه من أهل النار؟ فأطرق رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه: **﴿وَأَنزَلْنَا الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾** الآية، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: «بل للناس عامة».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا قتيبة بن سعيد، ثنا يزيد بن زريع، عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ لِحَسَنَاتِكُمْ يَدَّيْنِ السَّيِّئَاتِ﴾**، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني أبو الطاهر، وهارون بن سعيد الأيلي قالوا: حدثنا ابن وهب، عن أبي

صخر، أن عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا [أبو] محمد الحسن بن أحمد المخلد أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحاق [السراج] أنبأنا قتيبة، أنبأنا الليث وبكر بن مضر عن ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».

قوله عز وجل: **﴿وَاللَّذَكْوَاتِ﴾**، أي: ذلك الذي ذكرنا. وقيل: هو إشارة إلى القرآن، **﴿وَذَكَّرْنَا﴾** عظة **﴿لِللذَّكِرَاتِ﴾**، أي: لمن ذكره.

﴿١١٥﴾ **﴿وَأَمَّا مَن﴾** يا محمد على ما تلقى من الأذى. وقيل: على الصلاة، نظيره: **﴿وَأَمَّا مَنكَ﴾** بالصلاة **﴿وَأَمَّا مَنَّا﴾** [طسه: ١٣٢]. **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيحُ لِحَسَنَاتِكُمْ﴾**، فسي أعمالهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني المصلين.

﴿١١٦﴾ قوله عز وجل: **﴿وَلَوْلَا﴾**، فهلا، **﴿كَانَ مِنَ النَّارِ﴾**، التي أهلكتناهم، **﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾**، الآية للتوبيخ، **﴿وَلَوْلَا بَعَثْنَا﴾**، أي: أولو

للاختلاف. وحاصل الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون، فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف.

﴿وَمَنْ حَكَمَ رَبُّكَ﴾، وتم حكم ربك، ﴿وَلَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَا تَقْصُ عَيْنُكَ عَنْ آيَاتِ الرَّسُولِ﴾، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من آيات الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أمهم نقصها عليك، ﴿مَا تَثْبُتُ بِهِ فُؤَادُكَ﴾، لثبت به فؤادك، لثبتك يقيناً ونقوي قلبك، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾، قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا. وقال غيرهما: في هذه السورة. وهذا قول الأكثرين، خص هذه السورة تشريفاً، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾، أي: وجاءتك موعظة، ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، أمر تهديد ووعيد، ﴿إِنَّا عَمِلْنَا﴾.

﴿وَأَنْظُرُوا﴾، ما يحل بنا من رحمة الله، ﴿إِنَّا نُنظُرُونَ﴾، ما يحل بكم من نعمة الله.

﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: [علم] ما غاب عن العبادة فيهما، ﴿وَاللَّهُ يَرِجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾، فسي المعاد. قرأ نافع وحفص: ﴿يَرْجِعُ﴾

بضم الياء وفتح الجيم، أي: يرد. قرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم، أي:

ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة. ﴿وَكَاؤُوا﴾، كافرين.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أي: لا يهلكهم بشركهم، ﴿وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ﴾، فيما بينهم يتعاطون الأنصاف ولا يظلم بعضهم بعضاً، وإنما يهلكهم إذا تظالموا.

وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على دين واحد، ﴿وَلَا يُرَاؤُونَ مَخْلَفِينَ﴾، على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك.

﴿وَلَا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ﴾، معناه:

لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِلَّذِينَ خَلَفَهُمْ﴾، قال الحسن وعطاء: وللأختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير. وقال أبو عبيدة: الذي اختاره قول من قال: خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم. وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يُرَاؤُونَ مَخْلَفِينَ ﴿١١٧﴾ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَقْصُ عَيْنُكَ عَنْ آيَاتِ الرَّسُولِ مِمَّا تَثْبُتُ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلْنَا ﴿١٢٠﴾ وَأَنْظُرُوا إِنَّا نُنظُرُونَ ﴿١٢١﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلِيلٍ ﴿١٢٢﴾

سُورَةُ الْاٰنۡعَامِ ﴿١٢٢﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّبُّكَ اَبْنٰتُ الْكٰتِبِ الْمَشِيۡنِ ﴿١﴾ اِنَّا اَنْزَلْنٰهُ قُوَّةً نَّاعْرِیۡنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوۡنَ ﴿٢﴾ مَنۡ نَّقْضُ عَلَیۡكَ اَحْسَنَ النَّقْضِیۡنِ یَمَّا اَوْحٰیۡنَا اِلَیۡكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ اِنْ وَاِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهٖ لَمِنَ الْغٰفِلِیۡنَ ﴿٣﴾ اِذۡ قَالَ یٰۤاِسۡهٰبُ لَا یَبِیۡهَتۡ اِنِّیۡ رَاۤیْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَّالسَّمۡسُ وَالْقَمَرُ رَاۤیۡتُهُمَا لِيۡ سَجْدَیۡنِ ﴿٤﴾

١٢٥

تمميز. وقيل: أولو طاعة. وقيل: أولو خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير. معناه: فهلاً كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهي عن الفساد في الأرض؟ وقيل: معناه أولو بقية من خير. يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة.

﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يقومون بالتهني عن الفساد، ومعناه جحد، أي: لم يكن فيهم أولو بقية. ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن قليلاً، ﴿يَتَمَنَّ أَجْبَتًا يَنْهَهُمْ﴾، وهم أتباع الأنبياء كانوا ينهون عن الفساد في الأرض. ﴿وَأَتَّبِعَ الْأَدْبِثَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا﴾، نَعَمُوا، ﴿فِيهِ﴾، والمترف: المنعم. وقال مقاتل بن حيان: حُولُوا. وقال الفراء: عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا، أي: واتبع الذين ظلموا

يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون للخلق أمر.

﴿فَأَنبِئْهُمْ وَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وثق به، ﴿وَمَا رَزَقَ يَتَفَلَّحًا عَمَّا تَمَلَّؤْنَ﴾، قرأ أهل المدينة وأهل الشام وحفص ويعقوب: ﴿تَمَلَّؤْنَ﴾ بالتاء ههنا وفي آخر سورة النمل. وقرأ الآخرون بالياء فيهما. قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة سورة هود.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو كريب محمد بن العلاء، ثنا معاوية بن هشام، عن شيبان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت، فقال ﷺ: «شيبني هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وعمُّ يتساءلونُ، وإذا الشمسُ كورتُ». ويروى: «شيبتني هودٌ وأخواتها».

سورة يوسف

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الرَّ يُلُوكَ يَأْتِيكَ الْكَاتِبُ
الَّذِينَ﴾، أي: البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه. قال قتادة: مبين والله بركته وهده ورشده، فهذا من بان أي: ظهر. وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من

الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، يعني الكتاب، ﴿وَرَوَاهُ عَنْ رَبِّنَا لِمَلَكِكُمْ مَعْقُولَاتٍ﴾، أي: أنزلناه بلغتكم، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه.

﴿مَعْنَى نَفْسُ عَلَيْكَ﴾، أي: نقرأ، ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه، معناه: نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان. وقيل: المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سمّاها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والممالك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء. وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد. قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم عليهم السلام يتفكّهما بهما أهل الجنة في الجنة. وقال ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح لها. قوله عز وجل: ﴿يَمَا

أَرْتَجِبًا إِلَيْكَ﴾، ﴿مَا الْمصدر، أي: بإيحائنا إليك، ﴿هَذَا الْفُرْعَانُ﴾، ﴿وَأَن كُنْتَ﴾، [أي]: وقد كنت، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: من قبل حيننا، ﴿لَمَن الْفَتِيلَانِ﴾، لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها.

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ لَقَائِبٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، فقالوا: يا

رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَعْنَى نَفْسُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، أي: اذكر إذ قال يوسف لأبيه، ويوسف اسم أعجمي، ولذلك لا يجري عليه الإعراب. وقيل: هو عربي، سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف، فقال: الأسف في اللغة الحزن، والأسيف العبد، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسُمي به.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد التليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النجمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، قال: قال عبد الله بن محمد، ثنا عبد الصمد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ قال: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

﴿يَأْتِي﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿يَا أَبَتُ﴾ بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه، وقرأ الآخرون: ﴿يَأْتِي﴾ بكسر التاء لأن أصله: يا أبتُ والجزم يحرك إلى الكسر. ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَمَدَ عَشْرِ كَوَاكِبٍ﴾، أي: نجماً من نجوم السماء ونصب الكواكب على التفسير، ﴿وَأَلْمَسَ وَأَلْقَمَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدٍ﴾،

يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن أبي رزين العقيلي قال:

قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا جزء من أربعين أو ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر فإذا حدث بها وقعت»، وأحسبه قال: «لا تحدث بها إلا حيباً أو ليبياً».

① قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ﴾، يصطفيك ربك، بقوله: يعقوب ليوسف عليهما السلام، أي: كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا، فكذلك يصفيك ربك، ﴿رُبُّكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يريد تعبير الرؤيا سمي تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه، والتأويل ما يؤول إليه عاقبة الأمر، ﴿رُبُّكَ يَمْتَنُّ عَلَيْكَ﴾، يعني: النبوة، ﴿عَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾، أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء، ﴿كَمَا أَتَمَّتْهَا عَلَيَّ أَبُوؤُكُ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ﴾، فجعلهما نبيين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وقيل: المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة. وقيل: إنجازه من النار، وعلى إسحاق إنجازه من الذبح. وقيل: بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر أبويه وإخوته إليه أربعون سنة، وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة. فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف [عليه السلام] حسدوه، وقالوا: ما رضي أن تسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فيبغوه وحسدوه.

⑦ يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ

إذا سمعوا حسدوه فأمره بالكتمان، ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، فيحتالوا في إهلاكك لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدونك، واللام في قوله: ﴿لَكَ﴾ صلة؛ كقوله تعالى: ﴿لِرَبِّهِمْ إِزْهَاتُوا﴾ [الأعراف: ١٥٤]. وقيل: هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، أي: يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة.

أخبرنا عبد الواحد بن

أحمد المليحي، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنبأنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال: سمعت أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا تهمني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله تعالى، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان وليتئل ثلاثاً ولا يحدث به أحداً فإنها لن تضره».

وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن

قَالَ يَسُوقُ لَا تَقْضُ رُبُّكَ عَلَيْكَ لِحُوتِكَ فَيَكِيدُ وَأَلَّكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ⑤ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُ بِمَنَّمَةٍ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّتْهَا عَلَيَّ أَبُوؤُكُ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑥ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⑧ أَتَقُولُوا يُونُسَ أَوْ طَرْحَةَ أَوْ زُلَيْكَةَ لَكُمْ رَبًّا أَيْسَرُ لَكُمْ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِعَدُوِّهِمْ قَوْمًا صَالِحِينَ ⑩ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْسَ فِي عَيْنَيْهَا لِيَلْقَى بَعْضَ السَّيَّارِ وَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِمْ أَثَامُهُمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ⑫ أَرْسَلَهُ مِمَّا عَادَا يَرْزُقُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑬ قَالَ إِنِّي لَمَحْرُومٌ أَنْ تَذْهَبُوا أَيُّهَا وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ⑭ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ⑮

ولم يقل رأيتها ساجدات، والهاء والميم والياء والنون من كتابات من يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من [يعقل] عبر عنها بكتابة من يعقل؛ كقوله تعالى: ﴿يَكِيدُهَا النَّكُوتُ أَخْتَلُوا مَكِيدَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وكان النجوم في التأويل أخواته، وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه والقمر أمه. قال قتادة وقال السدي: القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت. وقال ابن جريج: القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكرة، وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقيل: رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قضها على أبيه.

⑤ ﴿قَالَ يَسُوقُ لَا تَقْضُ رُبُّكَ عَلَيْكَ لِحُوتِكَ﴾، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن الأخوة

في يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ، أي: في خبره وخبر إخوته، وأسمائهم روبييل، وقيل روبيين بالنون وهو أكبرهم، وشمعون ولاوى ويهوذا وزيلون. وقيل: زيلون وأشر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام، ولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفة والأخرى يلهمه أربعة أولاد، دان ونفتالي، وقيل: نفتولي وجاد وأشير، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وقيل: وابن يامين فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلاً. ﴿أَيُّتُّ﴾، قرأ ابن كثير ﴿آيَةً﴾ على التوحيد أي عظة وعبرة. وقيل: عجب، وقرأ الآخرون: ﴿أَيُّتُّ﴾ على الجمع. ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام. وقيل: سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر. فذكر لهم قصة يوسف جميعها، فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه، فهذا معنى قوله: ﴿أَيُّتُّ لِلسَّائِلِينَ﴾. [أي: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ]. وقيل: آيات للسائلين] ولمن لم يسأل؛ كقوله: ﴿سُورَةٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، وقيل: معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن، وما آل أمره من الملك، وتشتمل

على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما آل أمره من الوصول إلى المراد، وغير ذلك من الآيات.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾، السلام فيه جواب القسم تقديره: والله ليوسف، ﴿وَأَخُوهُ﴾، بنيامين، ﴿أَحَبُّ إِلَيْكَ أَيْتَانَا مِنَّا﴾، كان يوسف [عليه السلام] وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة، ﴿وَوَحْنٌ عُصْبَةٌ﴾، أي: جماعة وكانوا عشرة. قال الفراء: العصبه هي العشرة فما زاد. وقيل: العصبه ما بين الواحد إلى العشرة. وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال مجاهد: ما بين العشرة إلى الخمسة عشرة. وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط. ﴿إِنَّا أَبْنَا لِيُوسُفَ مِثْلَ مِثْلَيْهِ﴾، أي خطأ بين [في] إيثاره يوسف وأخاه علينا، وليس المراد منه الضلال عن الدين، ولو أرادوه لكفروا به، بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع له في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف، فنحن أولى بالمحبة منه، فهو مخطيء في صرف محبته إليه.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، اختلفوا في قائل هذا القول، فقال وهب: قاله شمعون. وقال كعب: قاله دان. ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، أي: إلى أرض تبعد عن أبيه. وقيل: في أرض تأكله

السباع، ﴿يَعْتَلُ لَكُمْ﴾، يخلص لكم ويصف لكم، ﴿وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، عن شغله بيوسف، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾، من بعد قتل يوسف، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، تائبين، أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم [جرمكم]. وقال مقاتل: صالحين: يصلح أمركم فيما بينكم وبين أيكم. ﴿فَقَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، هو يهوذا، وقال قتادة: روبييل، وكان ابن خالة يوسف، وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً. والأول أصح، نهاهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿وَالْقَوْلُ فِي عَيْبَةِ النَّبِيِّ﴾، قرأ أبو علي جعفر ونافع (غيبات العجب) [على] الجمع في الحرفين، وقرأ الباقر (غيبات العجب) على الواحد، أي: في أسفل العجب وظلمته والغيبية كل موضع ستر عنك الشيء وعيبه والعجب البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطرؤ ﴿بِالنَّقْطَةِ﴾، يأخذه، والالتقاط أخذ الشيء من حيث لا يحسبه الإنسان، ﴿بَعْضُ النَّبِيَّاتِ﴾، أي: بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى [من نواحي الأرض] فتستريحوا منه، ﴿إِن كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ﴾، أي: إن عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء بعد. وقيل: لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَفْرِزْنَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٩٧]، والصغير لا ذنب له.

وقال محمد بن إسحاق: اشتمل

بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً. وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخباراً عن يوسف، أي: يرعى المشاية كما نرعى نحن. ﴿وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب: ﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾، يحزنني ذهابكم، والحزن ههنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَأَخَاؤُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام كأن ذنباً شد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال هذه المقالة:

﴿١٤﴾ ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، عشرة، ﴿إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونَ﴾، عجرة ضعفاء.

﴿١٥﴾ ﴿قَلَّمَا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا﴾، أي: عزموا، ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾، يلقوه، ﴿فِي عَيْتِ الْمَطِيِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾، هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليه؛ كقوله تعالى: ﴿قَلَّمَا أَشْلَمْنَا وَنَلَّمَا لَلْعَبِيِّينَ وَتَدَبَّرْتَهُ﴾ [الصفات: ١٠٣ - ١٠٤]، أي: ناديناه، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله وإعلامه إياه ذلك، قاله مجاهد. وقيل: معناه: وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم [له] منكرون، وذكر وهب وغيره أنهم أخذوا يوسف عليه السلام بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه، فلما برزوا إلى البرية ألقوه [وطرحوه] وجعلوا يضرّبونه، فإذا

الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة من غير إمحاض ليعلم أن أصله لا تأمناً بنونين على فعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية]، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ ﴿وَأَنَا لَهُ لَنَنْصُحُونَ﴾، قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾، فقال أبوهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: ﴿يَتَأَنَّى مَا لَكَ لَا

تَأَنَّىا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصُحُونَ﴾، النصح ههنا القيام بالمصلحة. وقيل: البرّ والعطف، معناه: وإنا عاطفون عليه قائلون بمصلحته نحفظه حتى نردّه إليك.

﴿١٦﴾ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾، إلى الصحراء، ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين من «رتع»، وقرأ يعقوب: «رتع» بالنون، «ويَلْعَبُ» بالياء، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في «يرتع» يعني يوسف، وقرأ الآخرون «نرتع» النون «ويلعب» بالياء، والرتع هو الاتساع في الملاذ. يقال: رتع فلان في ماله إذا أنفق في شهوته. [يريد ينعم ويأكل ويلهو ويبسط]. وقرأ أهل الحجاز: ﴿يَرْتَعُ﴾ بكسر العين وهو يفعله من الرعي، ثم ابن كثير قرأ

﴿١١﴾ ﴿قَلَّمَا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عَيْتِ الْمَطِيِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَجَاءَهُمْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يُبْكُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَأَنْذَرْتَنَا رَبِّي أَنْ يَأْكُلَ ذَنْبَنَا وَيُؤْمِنَ مِنَّا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَجَاءَهُ وَعَلَى قَعْبِهِ يَدِيرُ كَذِبًا﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٥﴾ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلُوا دَلْوَهُمْ قَالَ يَبِئْسَ شِرْكٌ هَذَا غُلْمٌ وَسَأْرُهُ يُضَعُّ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَسَأْرُهُ يَمْرُؤٌ بَخِيسٌ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن بَعْضِ الْأُمَمَرَاءِ كَرِهَى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَمَهُ أَوْ يَخْتَدِمَهُ وَلَكِنَّ لِإِيسُوفَ فِي الْأَرْضِ وَاعِلِمَهُ مِنْ نَارِيبِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ أَمْرُهُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْمِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾

فعلهم على جرائم من قطعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعون، وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله تعالى.

وسئل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا «نلعب» وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده يضرّبون من الخيل.

﴿١١﴾ ﴿قَالُوا﴾ ليعقوب، ﴿يَتَأَنَّى مَا لَكَ لَا تَأَنَّىا عَلَى يُوسُفَ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿تَأَنَّىا﴾ بلا إشمام، [وهو رواية عن نافع، وقرأ الباقون: ﴿تَأَنَّىا﴾ بإشمام الضمة في النون

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾، زينت، ﴿لَكُمْ أَنفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، معناه: فأمرني صبر جميل أو فعلي صبر جميل. وقيل: فصبر جميل اختاره. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون. وفي القصة: أنهم جاؤوا بذنب وقالوا هذا الذي أكله، فقال له يعقوب: يا ذنب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي، فأنطقه الله عز وجل فقال: تالله ما رأيت وجه ابنك قط. قال: كيف وقعت بأرض كنعان؟ قال: جئت لصلة قرابة فصادني هؤلاء، فمكث يوسف في البئر ثلاثة أيام.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهم القوم المسافرون سُموا سيارة لأنهم يسرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان ماؤه مالحة فعذب حين ألقى يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلُوا وَرِيدَهُمْ﴾، والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرضية والدلاء، ﴿فَأَدَّىٰ دَلْوَهُ﴾، أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوها إذا أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون.

قال النبي ﷺ: «أعطني يوسفُ شطر الحُسن».

بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام.

﴿وَجَاءَهُمْ عِشَاءٌ يَكُونُونَ﴾، قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب. ورؤي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج، وقال: مالكم يا بني هل أصابكم في غمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم وأين يوسف؟

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، أي: نترامى ونتنزل، وقال السدي: نشد على أقدامنا. ﴿وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْعَانَا﴾، أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. ﴿فَأَكَلْنَا الَّذِي نَبُؤْنَا أَنَّكَ يَمْزِينَ لَنَا﴾، بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾، وإن كنا، ﴿صَادِقِينَ﴾، فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل: معناه إنك تهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا عليه في الابتداء واتهمتنا في حقه. وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل [لنا] على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

﴿وَجَاءَهُمْ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، أي: بدم [هو] كذب لأنه لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم. وفي القصة: إنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم،

ضربه واحد منهم استغاث بالآخر فضربه الآخر، فجعل لا يرى منهم رحماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا أن يقتلوه قال لهم يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه، وكان ابن اثنتي عشرة سنة. وقيل: ثماني عشرة سنة، فجاؤوا به إلى بئر على غير الطريق واسعة الأسفل ضيقة الرأس. قال مقاتل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام. قال كعب: بين مدين ومصر. وقال وهب: بأرض الأردن. وقال قتادة: هي بئر بيت المقدس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه زدوا عليّ القميص أتواري به في الجب، فقالوا: ادع الشمس والقمر والكواكب تواريك، قال: إني لم أر شيئاً، فألقوه فيها. وقيل: جعلوه في دلو وأرسلوه فيها حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها. وقيل: إنهم لما ألقوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن أن رحمة أدركتهم، فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام، وبقي فيها ثلاث ليال، ﴿وَأَوْجِنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾. والأكشرون على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشره بالخروج، ويخبره أنه ينبتهم

ويقال: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن. قال ابن إسحاق: ذهب يوسف وأمه بثلاثي الحسن فلما رآه مالك بن ذعر، **﴿قَالَ يَبْئُثْرِي﴾**، قرأ الأكثرون هكذا بالالف وفتح الياء، بشر المستقي أصحابه يقول: أبشروا، وقرأ أهل الكوفة: **﴿قَالَ يَبْئُثْرِي﴾** بغير إضافة يريد نادي المتقي رجلاً من أصحابه اسمه بشرى. **﴿هَذَا عَلَّمَ﴾**، وروى ابن مجاهد عن أبيه: أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرج منها. **﴿وَأَسْرُوهُ﴾**، أخضروه، **﴿يَضْمُهُ﴾**، قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هو بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة. وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هو عبد لنا أبى قال الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَكْمُلُونَ﴾**، فأتى يهودا يوسف بالطعام [على عادته] فلم يجده في البئر، فأخبر بذلك إخوته، فطلبوه فإذا هم بمالك [بن ذعر] وأصحابه نزولاً فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد أبى مئاً. ويقال: إنهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله. وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله عز وجل:

﴿٢٠﴾ وَشَرَّوهُ﴾، أي: باعوه، **﴿يَسْتَحِبُّ بَيْعِينَ﴾**، قال الضحاك ومقاتل والسدي: حرام لأن ثمن الحر حرام، وسُمِّيَ الحرام بخساً لأنه مبخوس البركة. وعن ابن عباس

وابن مسعود: بخس أي زيوف. وقال عكرمة والشعبي: بثمان قليل. **﴿دَرَّهْمٌ﴾**، بدل من الثمن، **﴿مَعْدُودَةٌ﴾**، ذكر العدد عبارة عن قلته. وقيل: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً، إنما كانوا يعدونها عدداً فإذا بلغت أوقية وزنها. واختلفوا في عدد تلك الدراهم، فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة: عشرون درهماً فاقسموها درهمن درهمن. وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً. وقال عكرمة: أربعون درهماً. **﴿وَكَاثِرًا﴾**، يعني: إخوة يوسف، **﴿فِيهِ﴾**، أي: في يوسف **﴿وَبَنِ الْزَّاهِدِينَ﴾**، لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله. وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تباعد يوسف عن أبيه، ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف، فتبعهم إخوته يقولون: استوثقوا منه لا يأتى، قال: فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير، قاله ابن عباس. وقيل: إظفير صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز، وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالقة. وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات ويوسف حي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين ديناراً

وزوج نعل وثوبين أبيضين. وقال وهب بن منبه: قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع، فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً، وكان وزنه أربعمائة رطل، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فابتاعه قطفير من مالك بن ذعر بهذا الثمن، فذلك قوله تعالى:

﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾، واسمها راعيل. وقيل: زليخا، **﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾**، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة. وقيل: أكرمه في المطعم والملبس والمقام. وقال قتادة وابن جريج: منزلته. **﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾**، أي: نبيعه بالريح إن أردنا البيع أو يكفيننا إذا بلغ بعض أمورنا، **﴿أَوْ نَنْجِدَهُ وَلَدًا﴾**، أي: نبتاه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حيث قال لامراته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا، وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لأبيها في موسى عليه السلام: يا أبت استأجره، وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه. **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾**، أي: في أرض مصر، أي: كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب، كذلك مكننا له في الأرض فجعلناه على خزائنها. **﴿وَالْيَمَلِكُ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**، أي: مكننا له في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا.

وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتُ وَرَفَّتِ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَطَلَّقَتْ الْأَقْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُلْقِيهِ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰهَمَتْ يَوْمَهُم بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبُّهُ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْبَةَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَسْتَقْبَا الْآيَاتِ وَقَدَّتْ قَيْصُومُ مِن دُبُرِهَا فَاسْتَبَدَّهَا لَدَا الْآيَاتِ فَأَتَىٰ مَاجِرَاءَ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءَ إِلَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ أَوْعَاذُكَ إِلَهًا ﴿٢٤﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ وَشَهِدَ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيْصُومُ قَدْ مَن قَبْلُ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَيْصُومُ قَدْ مَن دُبُرُهَا فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصُومُ قَدْ مَن دُبُرُهَا قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ أَنْ كِيدَنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ يُوشَعُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَفْرَىٰ لِذِيكَ بِأَنَّكَ كُنْتُمْ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَدِينَةِ أُمَّرَاتُ الْعَزِيزِ رَبُّهُ فَفَتَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ فَدَشَقَهَا سِجَا إِنْهَا لَرَبِّي فِي سَكَلِ يُبِينِ ﴿٢٩﴾

٢٢٨

أي: هلم وأقبل، قرأ أهل الكوفة والبصرة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء جميعاً، وقرأ أهل المدينة والشام: ﴿هَيْتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وضَمَّ التاء، وقرأ السلمي وقتادة: ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ بكسر الهاء وضَمَّ التاء مهموزاً على مثال جئت، يعني: تهياتُ لك، وأنكره أبو عمرو [و] الكسائي، وقالوا: لم يحك هذا عن العرب. والأول هو المعروف عند العرب.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾، قيل: الهاء في أمره كناية عن الله تعالى، يقول: إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يردُّ عليه حكمه راذ. وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستولٍ على أمر يوسف بالتدبير والحيطة لا يَكِلُهُ إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما الله به صانع.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته. قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين سنة. وقال السدي: ثلاثين سنة. وقال الضحاك: عشرين سنة. وقال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وسئل مالك رحمه الله عن الأشد قال: هو الحلم. ﴿وَأَيَّتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين. وقيل: حكماً يعني إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا. وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم هو الذي يعلم الأشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجب العلم، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمنين، وعنه أيضاً: المهتدين. وقال الضحاك: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتُ وَرَفَّتِ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾، يعني: امرأة العزيز. والمرادة: طلب الفعل، والمراد ههنا أنها دعت إلى نفسها ليوافقها، ﴿وَطَلَّقَتْ الْأَقْرَابَ﴾، أي: أطبقتها وكانت سبعة، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾،

الظالمون، يعني: إن فعلت هذا فحنته في أهله بعد ما أكرم مشواي فأننا ظالم ولا يفلح الظالمون. وقيل: لا يفلح الظالمون أي لا يسعد الزناة.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْمَهُمْ بِهَا﴾، ولهم هو المقارنة من الفعل من غير دخول فيه، فهتتها: عزمها على المعصية والزنا، وأما همته: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حلَّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن. وعن مجاهد قال: حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن. وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليدي الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: قد أنكر قوم هذا

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرأني النبي ﷺ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: قال أبو عبيدة: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها: تعال. وقال عكرمة: هي أيضاً بالحوارانية هلم. وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء. قال أبو عبيدة: إن العرب لا تشني ﴿هَيْتَ﴾ ولا تجمع ولا تؤنث وإنها بصورة واحدة في كل حال. ﴿قَالَ﴾ يوسف لها عند ذلك: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني إليه، ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾، يريد أن زوجك قطفير سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، أي: أكرم منزلي هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد أن الله تعالى ربِّي أحسن مَثْوَايَ، أي أواني ومن بلاء العجب عافاني. ﴿إِنَّهُ لَا يُلْقِيهِ

القول، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم. وقال السدي وابن إسحاق: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتثر من جسدي، قالت: ما أحسن عينيك، قال: هي أول ما تسيل على وجهي في قبري، قالت: ما أحسن وجهك، قال: هو للتراب يأكله، وقيل: إنها قالت إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي، قال: إذا يذهب نصيبي من الجنة، فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل، وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به، وهم بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وقال: تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُهَا﴾، ثم ابتداء الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: ﴿وَهُمْ يَهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، [على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه] لهم بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم، وأنكره النحاة، وقالوا: إن العرب لا تؤخر لولا عن الفعل، فلا تقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد لَقُمْتُ. وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهم بها يوسف أي: تمتى أن تكون له زوجة. وهذا التأويل وأمثاله غير

مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم. وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام. ورؤي أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة، قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَيُّ لَمْ أُخْتَهُ بِالْقَبْرِ﴾ [يوسف: ٥٢]، قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣]. وقال الحسن البصري: إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء عليهم السلام في القرآن ليعتبرهم، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم، ولثلا ييأس أحد من رحمته. وقيل: إنه ابتلاههم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية. وقيل: ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الإيأس من المغفرة والعفو. وقال بعض أهل الحقائق: الهم همّان، هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا

عبد الرزاق، ثنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها».

قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، اختلفوا في ذلك البرهان، قال قتادة وأكثر المفسرين: إنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضاً على أصبعه. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: مثل له يعقوب عليه السلام فضرب يده في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال السدي: نُودي يا يوسف تواقعها وإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه.

عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَهُمْ يَهَا﴾، قال: حلّ سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فإذا بكف قد

بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها: ﴿وَرَأَى عَلَيْهِمُ الْخُوطِينَ كِرَامًا كَثِيرِينَ يَمْشُونَ مَا نَحْمَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوباً عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فظهر فرأى تلك الكف مكتوباً عليها: ﴿وَأَتَتْهُا يَوْمًا رَبِّمُوتٌ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فقام هارياً وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عليه السلام عاضاً على أصبعه، يقول: يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في [ديوان] الأنبياء. وروى أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله.

وقال محمد بن كعب القرظي: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم بها فرأى مكتوباً في حائط البيت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك.

وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة ومسترته بشوب، فقال لها يوسف: لِمَ فعلت

هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية، فقال يوسف: أنتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فانا أحق أن أستحي من ربي الذي هو يسمع ويبصر ويفقه ثم تولى عنها هارياً. قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَاهُنَّ رَبُّهُنَّ﴾، جواب لولا محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية. ﴿كَذَلِكَ يَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحِشَةَ﴾، فالسوء الإثم. وقيل: السوء القبيح والفحشاء: الزنا. ﴿إِنَّهُ مِنَ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والكوفة: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون ﴿مُخْلَصًا﴾ في سورة مريم [٥١] عليها السلام ففتحوا. ومعنى ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ المختارين للنبوة. دليله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُمْ بِاللَّيْلِ ذِكْرًا لِّلَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ﴾ [٤٦]، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله بالطاعة والعبادة.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، وذلك أن يوسف [عليه الصلاة والسلام] لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارياً وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه [من] خلفه فحذبتة إليها حتى لا يخرج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾، أي: فسقته ﴿مِنْ دُبُرِهِ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقياً العزيز، وهو قوله: ﴿وَأَلْقَىا سَيْحَهَا لَدَى الْبَابِ﴾، وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالساً مع ابن عم راعيل فلما رآته هابتة و﴿وَقَالَتْ﴾ سابقة بالقول لزوجها: ﴿مَا جَرَأَكَ مِنْ

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، يعني: الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله [ولم تبلغ منه مارباً]، فقالت: ﴿إِلَّا أَنْ يَسْتَجِنَّ﴾، أي: يحبس، ﴿أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾، أي: ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها. قيل: ما كان يريد يوسف أن يذكره، فلما قالت المرأة «ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً» ذكره، فقال: هي راودتني عن نفسي. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، وحكم حاكم، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبياً في المهد أنطقه الله عز وجل.

وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلّم في المهد أربعة وهم صغار، ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام».

وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة. وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبياً ولكنه كان رجلاً حكيماً ذا رأي. قال السدي: هو ابن عم راعيل فحكم فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرِي﴾، أي: من قدام، ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَرَأَى أَنَّ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرِي﴾، فكذبت وهو من الصادقين.

﴿فَلَمَّا رَمَاهَا﴾، قطفير، ﴿قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرِي﴾، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام،

فَلَمَّا سَجَمْتُمْ بِمَكْرِهِمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْبُرْجَانَ وَأَعْنَدْتُ لِمَنْ مَشَاكَوَأَمَاتَتْ
 كُلَّ وَجْهٍ مِّنْهُمْ سَبِكًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْرَهَتْ
 وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
 كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَاهُ عَنْ
 نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ لَهُ وَلِيْلَهُمْ يَفْعَلُ مَا هُم بِالْمُجْسِمِينَ وَلَا يَكُونُوا
 مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
 إِلَيْهِ وَلَا أَنْصُرْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّهُ مَبْرُورٌ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّهُ مَبْرُورٌ
 الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ حُجَّتُهُمْ
 حَاجِبِينَ ﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
 إِنِّي أَرَأَيْتَ إِعْرَافَ عَصْرٍ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَأَيْتَ أُحْمِلَ فَوْقَ
 رَأْسِي حَبْرًا تَأْكُلُ الطَّرِيفَ مِنِّي نَبْتًا يَأْتِيهِ يَدِيلُهُ ثُمَّ نِزَالُكَ مِنْ
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا يَا بَيْتُكَمَا طَعَامٌ يُؤْتَاؤُنِي فَإِنِّي بِآيَاتِكُمَا
 بَيِّنٌ وَبَدِيلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ كَمَا مَعَا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
 مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٨﴾

وهو رؤوسها. ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي سَخْلٍ
 تُبِينٍ﴾، أي: خطأ ظاهر. وقيل:
 [معناه] إنها تركت ما يكون على
 أمثالها من العفاف والستر.

﴿فَلَمَّا سَجَمْتُمْ﴾، راعيل،
 ﴿بِمَكْرِهِمْ﴾، بقولهنّ وحديثهن، قاله
 قتادة والسدي. وقال ابن إسحاق:
 إنما قلن ذلك مكرأ بها لتريهن
 يوسف الذي سلبها العقل، وكان
 يوصف لهنّ حسنه وجماله. وقيل:
 إنها أفشت لهن سرها واستكتمتن
 فافشين ذلك، فلذلك سمّاه مكرأ.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ﴾، قال وهب: اتخذت
 [راعيل] مآدبة ودعت أربعين امرأة
 منهنّ هؤلاء اللاتي غيرنّها.
 ﴿وَأَعْنَدْتُ﴾، أي: أعدت، ﴿لِمَنْ
 مَشَاكَو﴾، أي: ما يتكا عليه. وقال ابن

عباس وسعيد بن جبير والحسن
 وقتادة ومجاهد: متكا أي: طعاماً
 سمّاه متكأ لأن أهل الطعام إذا
 جلسوا يتكؤون على الوسائد، فسمي
 الطعام متكأ على الاستعارة. يقال:
 اتكأنا عند فلان، أي: طعمنا.
 ويقال: المتكأ ما اتكأت عليه
 للشرب أو الحديث أو الطعام،
 ويقرأ في الشواذ «متكأ» بسكون
 التاء. واختلفوا في معناه، فقال ابن
 عباس: هو الأترج. وقد روي عن
 مجاهد مثله. وقيل: هو الأترج
 بالحيشة. وقال الضحاك: هو
 الراورد الزماورد. وقال عكرمة: هو
 كل شيء يقطع بالسكين. وقال أبو
 زيد الأنصاري: كل ما يجزّ بالسكين
 فهو عند العرب متك، والتمت
 والبتك بالميم والباء: القطع، فزيت
 المآدبة بالوان الفواكهة والأطعمة،

عليه، وإنما قال من
 الخاطئين ولم يقل من
 الخاطئات، لأنه لم يقصد
 به الخبر عن النساء بل
 قصد به الخبر عن من يفعل
 ذلك، تقديره: من القوم
 الخاطئين؛ كقوله تعالى:
 ﴿وَكُنْتُمْ مِنَ الْفٰتِنٰتِ﴾
 [التحریم: ١٢]، بيانه
 قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ مِنْ
 قَوْمٍ كٰفِرِيْنَ﴾ [النمل:
 ٤٣].

﴿قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾
 ﴿وَقَالَ يَسُوَّةٌ فِي الْمَدِيْنَةِ﴾
 الآية، يقول: شاع أمر
 يوسف والمرأة في المدينة

مدينة مصر. وقيل: مدينة عين
 شمس، وتحدث النساء بذلك وقلن
 وهنّ خمس نسوة، امرأة حاجب
 الملك، وامرأة صاحب الدواب،
 وامرأة الخباز، وامرأة الساقية،
 وامرأة صاحب السجن، قاله مقاتل.
 وقيل: هنّ نسوة من أشرف مصر،
 ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيْزِ تَرْوِيْهُ فَنَهَا﴾، أي:
 عبدها الكنعاني، ﴿عَنْ نَفْسِيْهِ﴾،
 أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿فَدَفَّ
 سَعْفَهَا حُبًّا﴾، أي: علقها حباً. قال
 الكلبي: حجب حبّه قلبها حتى لا
 تعقل سواه. وقيل: أحبته حتى دخل
 حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها.
 قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة
 على القلب، يقول دخل الحب
 الجلد حتى أصاب القلب. وقرأ
 الشعبي والأعرج: ﴿سَعْفَهَا﴾ بالعين
 غير المعجمة، معناه: ذهب الحب
 بها كل مذهب، ومنه شغف الجبال

﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُ﴾، أي: هذا
 الصنيع، ﴿بِئْسَ كَيْدٌ إِنَّ كَيْدَكُنَّ
 عَظِيْمٌ﴾، وقيل: إن هذا من قول
 الشاهد، ثم أقبل قطفير على
 يوسف.

﴿فَقَالَ﴾: ﴿يُؤَسِّفُ﴾، أي: يا
 يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنِّ هَذَا﴾، أي: عن
 هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا
 يشيع. وقيل: معناه لا تكثر به فقد
 بان عذرك وبراءتك، ثم قال
 لامرأته: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدَيْكِ﴾، أي:
 توبي إلى الله، ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنْ
 الْفٰطِيْنِ﴾، من المذنبين. وقيل: إن
 هذا من قول الشاهد ليوسف
 ولراعيل، أراد بقوله: واستغفري
 لذنبك، أي: سلي زوجك أن لا
 يعاقبك ويصفح عنك، ﴿إِنَّكَ
 كُنْتِ مِنَ الْفٰطِيْنِ﴾، من
 المذنبين حتى راودت شاباً عن نفسه
 وخبّت زوجك، فلما استصم كذبت

والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ﴾، أمل إليهن وأتابعهن، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبوا صبواً وصبواً وصبواً إذا مال واشتاق إليه. ﴿وَأَنْ يَنْ لَكُمَّيْلَيْنِ﴾، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة.

﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لدعائه العليم بمكرهن.

﴿فَرَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾، يعني: للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض. ثم بدا لهم أن يحبسوه. ﴿هُنَّ بِمَدَامَا رَأَا أَلَيْسِي﴾، الدالة على براءة يوسف من قذ القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن. ﴿أَلَيْسِيئُهُمْ حَتَّى جِيئَ﴾، إلى مدة يرون فيه رأيهم. وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. قال عكرمة: سبع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه، فإما أن تاذن لي أن أخرج فاعتذر إلى الناس، وأما أن تحبسه، فحبسه وذكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف عليه السلام من همته بالمرأة. قال ابن عباس: عثر يوسف [عليه الصلاة والسلام] ثلاث عثرات حين هم بها فسجن، وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال للإخوة إنكم لسارقون، فقالوا:

هذا، ﴿إِلَّا مَلِكٌ﴾، من الملائكة، ﴿كَرِيمٌ﴾، على الله تعالى.

﴿وَقَالَتْ﴾، يعني: راعيل، ﴿فَقَدْ لَكُنَّ الَّذِي لُعْتَنِي بِهِ﴾، أي: في حبه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ فَأَشْتَمَنَّهُ﴾، أي: فامتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطع مولاتك. فقالت راعيل: ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا نَأْمُرُهُ﴾، ولئن لم يطاوعني فيما دعوته إليه، ﴿يَسْتَجِنُّ﴾، أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿وَلِكُونَا يَنْ أَصْغُرُونَ﴾، من الأذلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف. فالوقف على قوله: ﴿يَسْتَجِنُّ﴾، بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله: ﴿وَلِكُونَا﴾ بالألف لأنها مخففة، وهي شبيهة بنون الإعراب في الأسماء؛ كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت [قلت]: رأيت رجلاً بالألف، ومثله: ﴿لَتَسْمَعُنَّ بِالْأَنْبِيَاءِ﴾ [العلق: ١٥]، فاختر يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

﴿قَالَ رَبِّي﴾، أي: يا رب، ﴿الْيَحْيَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجاً من التصريح إلى التعريض. وقيل: إنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن، قرأ يعقوب وحده: بفتح السين. وقرأ العامة بكسرهما وانفقوا على كسر السين في قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ﴾ [يوسف: ٣٦]. وقيل: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يتل بالسجن،

ووضعت الوسائد ودعت التسوة. ﴿وَوَاتَتْ﴾، أعطت، ﴿كُلَّ وَجِدَةٍ يَتَنَّهُنَّ يَكِينًا﴾، فكن يأكلن اللحم حزناً بالسكين. ﴿وَقَالَتْ﴾ ليوسف: ﴿اخرُجْ عَلَيْنَ﴾، وذلك أنها كانت أجلسه في مجلس آخر، فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم.

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء [فإذا] يوسف كالقمر ليلة البدر».

قال إسحاق بن أبي فروة: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالاً وجهه على الجدران. ﴿هَلَاكَ رَأَيْتَهُ أَكْبَرُهُ﴾، أعظمه، قال أبو العالية: هالهن أمره وهتهن. وقيل: أكبرته أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح. ﴿وَقَطَّنَ﴾، أي: حزنن بالسكاكين التي معهن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأثرج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسن إلا بالدم. وقال قتادة: إنهن أبصن أيديهن حتى ألقىنها. والأصح [أنه] كان قطعاً بلا إبانة، وقال وهب: ماتت جماعة منهن. ﴿وَقُلْنَا حَسْبُ اللَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾، أي: معاذاً الله أن يكون هذا بشراً، قرأ أبو عمر: [حاشى الله بإبانات الياء] في الوصل على الأصل، وقرأ الآخرون بحذف الياء لكثرة دورها في الألسن وإتباعاً للكتاب. وقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾، نصب بنزع حرف الصفة، أي: ليس هذا ببشر، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، أي: ما

إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.

﴿قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ الْيَتِيمَ فَتَكَانَ﴾﴾، وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليقي ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالاً ليسماً الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم إن الساقى نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسمّ الطعام، فلما أحضروا الطعام والشراب، قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز: لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقى: اشرب [منه] فلم يضره، وقال للخباز: كل من الطعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلكت، فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه [على من في السجن]، ويقول: إني أعير الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: هلم فلنجرّب هذا العبراني، فترأى له فسأله من غير أن يكون رأياً شيئاً، [قال ابن مسعود: ما رأياً شيئاً] وإنما تحالماً ليحرباً يوسف [فيما يقول]، وقال قوم: بل كان رأياً حقيقة، فرأى يوسف وهما مهمومان فسألها عن شأنهما، فذكرتا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤياً قد غمتهما، فقال يوسف: قُصَا عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمَا، فَقُصَا عَلَيْهِ فـ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾، وهو

صاحب الشراب، ﴿إِنِّي أَرْنَيْتُ أَصْبُرُ حَمْرًا﴾، أي: عنباً سمي العنب حمراً باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الأجر، أي: يطبخ اللبن للأجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال إني رأيت كاني في بستان، فإذا أنا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾، وهو الخباز: ﴿إِنِّي أَرْنَيْتُ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشن وينهب من. ﴿يَتَأْوِيلُهُ﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿إِنَّا نَرْنَيْكَ مِنَ الْمُتَحَيَّرِينَ﴾، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم. ورؤي أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: ﴿إِنَّا نَرْنَيْكَ مِنَ الْمُتَحَيَّرِينَ﴾، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه [بالتعهد]، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له وإذا احتاج إلى شيء جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً قد اشتدّ بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، ففعل يَسْلِيهِمْ وجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، فيقولون: بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وخديتك، لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا

فتى؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: يا فتى والله لو استطعت لخلّيت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك [تسكن في أي البيوت من السجن شئت]. ورؤي أن الفتيين لما رأيا يوسف قالوا له: لقد أحببناك حين رأيناك، فقال لهما يوسف: أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء، لقد أحببني عمتي فدخل علي بلاء، ثم أحبني أبي فألقيت في الحب، وأحببني امرأة العزيز فحبست، فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لِمَا علم في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِي﴾، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتیکما طعام ترزقانه في نومكما، ﴿إِلَّا يَتَأْتِيَكُمَا بِنَآئِيلِهِ﴾، في اليقظة، وقيل: أراد به في اليقظة يقول: لا يأتیکما طعام من منازلكما ترزقانه تُطعمانه وتأكلانه إلا نباتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، قيل أن يصل إليكما، وأني طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرَجُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فقالا: هذا فعل العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن

وإنما ﴿ذَلِكُمْ﴾، العلم، ﴿وَمَا عَلَّمِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرار ﴿هُمْ﴾ على التأكيد.

﴿٣٨﴾ وَأَنْبِئْتُ مِلَّةَ مَا بَاءَ عِزِّيهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أظهر أنه من أولاد الأنبياء، ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾، ما ينبغي لنا، ﴿أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد والعلم، ﴿وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، بما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

﴿٣٩﴾ يَصْخَبِي السِّجْنِ، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما قال لسكان الجنة: أصحاب الجنة، ولسكان النار: أصحاب النار، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد، وهذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، متباينون لا تضرب ولا تنفع، ﴿حَبِيرٌ أَرَأَى اللَّهَ الْوَجْدَ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال:

﴿٤٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِي، أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للثنتين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على [مثل حالهما من أهل الشرك]، ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُوهَا﴾، آلهة وأرباباً خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء، ﴿أَشْرَوْا بِهَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾، ما القضاء والأمر والنهي،

﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم فسر رؤياهما، فقال:

﴿٤١﴾ يَصْخَبِي السِّجْنِ أَمَا أَسْأَلُكَ، وهو صاحب الشراب، ﴿فَيَسْقِي رَبِّهِ﴾، يعني الملك، ﴿حَمْرًا﴾، والعنقيد الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويردّه إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾، يعني: صاحب

الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسلال الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يخرج به، ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الظُّلْمُ مِنْ رَأْيَيْهِ﴾، قال ابن مسعود: لما سمعنا قول يوسف [عليه الصلاة والسلام ذلك لهم] قالوا: ما رأينا شيئاً إنما كنا نلعب، قال يوسف: ﴿فَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، أي: فُرج من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به، رأيتما أولم تريا.

﴿٤٢﴾ وَقَالَ، يعني: يوسف عند ذلك ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾، [أي]: علم ﴿أَنْتُمْ نَجِجٌ وَمُهْتَمِجٌ﴾، وهو الساقى، ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، وقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً طال حبسه، ﴿فَأَنْسَنِي الشَّيْطَانُ وَكَرَّرَ رَبِّيهِ﴾، قيل: أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه

سورة يوسف

الآيات ٣٨ - ٤٢

وَأَنْبِئْتُ مِلَّةَ مَا بَاءَ عِزِّيهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْخَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَبِيرٌ أَرَأَى اللَّهَ الْوَجْدَ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُوهَا أَنْشُرُوا بِهَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْخَبِي السِّجْنِ أَمَا أَسْأَلُكَ مَا كَانَتْ لَنَا يَنْبَغِي لَنَا، أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، ﴿فَيَسْقِي رَبِّهِ﴾، يعني الملك، ﴿حَمْرًا﴾، والعنقيد الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويردّه إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾، يعني: صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد

١٤٠

الشیطان ذكره لربه. وقال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه حين ابتغى الفرج، من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان. ﴿فَلَيْتَ﴾، فمكت، ﴿فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِجْنِي﴾، واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع. وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة. وقال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وتربك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختنصر فحول في السبع سبع سنين. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك، قيل له: يا يوسف

قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلَكُمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٣﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنَ الْعُجُقِ إِنِّي نَأْوِي إِلَيْكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
 فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٤﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلُكَيْتٍ خُضْرٍ
 وَأُخْرٍ يُاسِبَتُ أُمَّلِي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ
 نَزَّوْنُ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سُبُلِهِمْ لَّا
 قِيلَإَ مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ بَاقِيَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ دَابًّا كُنَّ
 مَأَقَاتٍ لِمَنْ لَّا قِيلَإَ مِمَّا حَصَصُوا ﴿٤٧﴾ ثُمَّ بَاقِيَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَبْغَاكُمُ النَّاسُ وَيُؤَيِّدُكُمْ بِصَبْرٍ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُورِي
 بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَنَّهُ مَا بَابُ
 الْيَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ لَهَا الْيَهُودُ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ قَالَ
 مَا حَطَبُ لِمَنْ أَذَى زُرُونَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ مَقْلُوبٌ حَسْبُ لِلَّهِ
 مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّ الَّذِي مَحَصَّنَ
 الْعَمَى أَنَا زُرُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ مِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ ﴿٥١﴾

تأويل الرؤيا؟ قال: الله، قال: فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بأدمي مثلك؟ فلما انقضت سبع سنين، قال الكلبي: فهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبل ذلك، ودنا فرج يوسف فرأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة حالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجت من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال، فابتلعت العجاف

اللام في الماضي وضمها في الغابر حلاماً وحلاماً، مثقلاً ومخففاً. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا﴾، من القتل، ﴿سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾، من الفئتين وهو الساقى، ﴿وَأُخْرٍ يُاسِبَتُ أُمَّلِي﴾، أي: تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك، ﴿بَعْدَ أُمَّوٍ﴾، أي: بعد حين وهو سبع سنين، ﴿ثُمَّ بَاقِيَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ دَابًّا كُنَّ مَأَقَاتٍ لِمَنْ لَّا قِيلَإَ مِمَّا حَصَصُوا﴾، وذلك أن الغلام [الساقى] جثا بين يدي الملك، وقال: [أيها الملك] إن في السجن رجلاً يعبر الرؤيا، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، وفيه اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن. قال ابن عباس: ولم يكن السجن في المدينة.

﴿ثُمَّ بَاقِيَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ دَابًّا كُنَّ مَأَقَاتٍ لِمَنْ لَّا قِيلَإَ مِمَّا حَصَصُوا﴾، يعني: يا يوسف، ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، والصديق الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلُكَيْتٍ خُضْرٍ وَأُخْرٍ يُاسِبَتُ أُمَّلِي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾، أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، تأويل الرؤيا. وقيل: لهم يعلمون منزلتك في العلم، فقال لهم يوسف معبراً ومعلماً: أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب، والبقرات العجاف والسنبلات [اليابسات]، فالسنون المجدية، فذلك قوله تعالى إخباراً عن يوسف.

﴿قَالَ نَزَّوْنُ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾، هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة، والدأب: العادة. وقيل: بجذ واجتهاد. وقرأ عاصم برواية حفص: ﴿دَابًّا﴾، بفتح الهمزة، وهما لغتان،

السمان فدخلن في بطونهن، فلم ير منهن شيء ولم يتبين على العجاف منها شيء، ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخرى يابسات قد استحصدت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولم يبق من خضرتها شيء، فجمع السحرة والكهنة والحازة والمعبرين وقص عليهم رؤياه.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلُكَيْتٍ خُضْرٍ وَأُخْرٍ يُاسِبَتُ أُمَّلِي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾﴾، ثم قال لهم: ﴿يَأْتِيَا الْمَلَأَ أَتُورِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلَكُمْ﴾ أخلاط أحلام مشتبهة [أهاويل] واحدها ضفت، وأصله الحزمة من أنواع الحشيش، والأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا، والفعل منه [أحلم] بفتح

اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال: يا رب أنسي قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ولن أعود. وقال الحسن: دخل جبريل على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال له: أأنا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين؟ فقال له جبريل: يا طاهر [يا بن] الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين، فوعزتي وجلالي لأبشرك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: وهو في ذلك عتي راضٍ؟ قال: نعم، قال: إذا لا أبالي.

وقال كعب: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول من خلقك؟ قال: الله، قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البشرا؟ قال: الله، قال: فمن علمك

﴿ وَمَا أَرْبَىٰ نَفْسٌ إِلَّا عَلَىٰ شَاةٍ بِالشُّبُهَةِ الْأَمَارِجِمِ ﴾
 رَبِّيَ إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِوَأَسْتَحْلِسُهُ
 لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٨﴾ قَالَ
 أَحْمَلُنِي عَلَىٰ خَرَابِينَ مِنَ الْأَرْضِ فَإِنِّي حَافِظٌ عَلَيْكَ ﴿٥٩﴾ وَكَذَلِكَ
 مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ يَسُوًّا وَمِنهَا حَيْثُ بَشَاءُ نُصِيبُ
 بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَالْأَجْرُ
 الْآخِرُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٦١﴾ وَكَانَ إِخْوَتُهُ
 يُوْسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُهُ وَهَمُّهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا
 جَهَرُوا لَهُمْ بَصَاهُ رَبِّهِمْ قَالَ أَتَنْتَنِي بِأَجْرِكُمْ مِّنْ أَيْدِيكُمْ أَتَنْتَنُونَ
 أَيُّ أَوْفَىٰ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرٌ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٣﴾ فَإِنَّ لَهُ تَأْتِي بِهِ فَلَا
 كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَنْزِيلٍ ﴿٦٤﴾ فَأَلَا سَأَرْتُمْ عَذَابَ
 رَبِّكَ الْغُلُوقُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِذَا انْشَرُّوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾
 فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا مَنَّكَ عَلَيْنَا كَيْلَ
 فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَحْقَابًا تَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٧﴾

[٤٤]

فعلت من ردي رسول الملك إليه، ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز، ﴿أَيُّ لَمْ أَخْتَهُ﴾، في حال زوجته، ﴿وَالْيَتِيمِ﴾، أي: في حال غيبته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمُنَافِقِينَ﴾، قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَدَدْتُكَ عَنْ نَفْسِي﴾ من غير تمييز لمعرفة السامعين. وقيل: فيه تقديم وتأخير، معناه: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب، قيل: لما قال يوسف هذه المقالة، قال له جبريل عليه السلام: ولا حين هممت بها؟ فقال يوسف عند ذلك: وما أبرئ نفسي. وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف؟، فقال يوسف [عند ذلك]:

﴿ وَمَا أَرْبَىٰ نَفْسٌ ﴾، ممن

ثم، ﴿قَالَ﴾ للرسول: ﴿أَتَجْعَلُ لِي رِبًّا﴾، يعني: سيدك الملك، ﴿فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ الشُّبُهَةِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدياً واحتراماً.

قال النبي ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

﴿إِنَّ رَبِّي يَكِيدُ الْعَالِمِينَ﴾، أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن يعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة،

ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز.

﴿قَالَ﴾ لهن: ﴿مَا خَطَبُكُنَّ﴾، ما شأنكن وأمركن، ﴿إِذْ رَدَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾، خاطبهن والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعاً، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾، معاذ الله، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، خيانة، ﴿فَوَالَّتِي أَمْرَاتُ الْمُرْزِقِينَ﴾، الكفن حصص الحق ظهر وتبين.

وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنها فأقرت، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت وقالت: ﴿أَنَا رَدَدْتُكَ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّمَا كُنَّا نَسْتَدِينُ﴾، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال:

﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي

يقال: دأبت في الأمر أدياً ودأباً إذا اجتهدت فيه. ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونِي فِي سَبِيلِهِ﴾، أمرهم بترك الحنطة في السبلة لتكون أبقى على [طول] الزمان ولا تفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَكُونُونَ﴾، أي: تدرسون قليلاً للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر والأكل بقدر الحاجة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، ستمى السنين المجيدة شداداً لشديتها على الناس، ﴿يَأْكُلُنَّ﴾، أي: يفتنين ويهلكن، ﴿مِمَّا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، أي: يوكل فيهن ما أعددتن لهن من الطعام أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسيع، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْمِلُونَّ﴾، تخرزون وتدخرون للبذر.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾، أي: يمطرون من الغيث، وهو المطر. وقيل: يتقذون من قول العرب اشتغث فلاناً فأغاثني، ﴿وَفِيهِ يَصِيرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿تصرون﴾، بالياء لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمرأ والزيتون زيتاً والسمسم دهنأ وأراد به كثرة النعم والخير. وقال أبو عبيدة: ﴿يَصِيرُونَ﴾، أي: ينجون من الكرب والجذب [الذي كانوا فيه]، والعصر: النجاة والملجأ.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِوَأَسْتَحْلِسُهُ﴾، وذلك أن الساتي لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال: اتنوني به، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، وقال له: أجب الملك أبي أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته

الخطأ والزلل فأزكيها، ﴿إِنَّ الْفَسَّ
لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْبِ﴾، بالمعصية ﴿إِلَّا مَا
رَحِمَ رَبِّي﴾، أي: إلا من رحم ربي
فعضمه، و﴿مَا﴾ بمعنى من؛ كقوله
تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾
[النساء: ٣]، أي: من طاب لكم،
وهم الملائكة، عصمهم الله عز
وجل فلم يركب فيهم الشهوة.
وقيل: إلا ما رحم ربي إشارة إلى
حالة العصمة عند رؤية البرهان.
﴿إِنَّ رَبِّيَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلما تبين
للملك عذر يوسف عليه السلام
وعرف أمانته وعلمه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ بِهَذَا اسْتَلْضَمُّهُ
لِنَفْسِي﴾، أي: أجعله خالصاً لنفسي،
﴿فَلَمَّا كَلَّمْتَهُ﴾، فيه اختصار تقديره:
فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب
الملك الآن.

رُوي أنه قام ودعا لأهل السجن
فقال: اللَّهُمَّ عطف عليهم قلوب
الأخيار ولا تعتم عليهم الأخبار، فهم
أعلم الناس بالأخبار في كل بلد،
فلما خرج من السجن كتب على بابه
هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان
وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء،
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثياباً حسناً وقصد الملك. قال
وهب: فلما وقف بباب الملك قال:
حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي
من خلقه عز جاره وجل ثناؤه
ولا إله غيره، فلما نظر إليه الملك
سلم عليه يوسف بالعربية، فقال له
الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان
عمي إسماعيل ثم دعا له بالعبرانية
فقال له: ما هذا اللسان؟ قال: هذا
لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين

اللسانين. قال وهب: وكان الملك
يتكلم بسبعين لساناً، فكلما تكلم
بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان
وزاد عليه بلسان العربية والعبرانية،
فأعجب الملك ما رأى منه مع حداثة
سنه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين
سنة، فأجلسه و﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا
مُرْكَبٌ﴾، المكانة في الجاه،
﴿أَيُّنْ﴾، أي: صادق.

ورُوي أن الملك قال له: إنني
أحب أن أسمع رؤياي منك شفها،
فقال له يوسف: نعم أيها الملك
رأيت سبع بقرات سمان شهب غرَّ
جسَّان، كشف لك عنهنَّ النيلُ
فطلعنَّ عليك من شاطئه تشخب
أخلافهن لبناً فبينما أنت تنظر إليهن
ويعجبك حُسنهنَّ إذ نضبَ النيلُ فغار
ماؤه وبدا يسسه، فخرج من حماته
سبع بقرات عجافٍ شعثٍ غُبرٍ
متقلصات البطون، ليس لهن ضروع
ولا أخلاف، ولهن أنياب وأضراس
وأكف كأكف الكلاب، وخراطيم
كخراطيم السباع، فافترسن السماء
افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقنَّ
جلودهن، وحطمن عظامهنَّ
وتمششن مخهن، فبينما أنت تنظر
وتتعجب إذا سبع سنابل خضر وسبع
أخر [يابسات] سود في منبت واحد
عروقهن في الثرى [والماء فبينما أنت
تقول في نفسك أي شيء هؤلاء؟
خضر مشمرات وهؤلاء سود
يابسات]، والمنبت واحد وأصولهنَّ
في الماء، أذهبث ريح فذرت
الأوراق من اليابسات السود على
الخضر المشمرات فاشتعلت فيهن
النار، فأحرقتهن فصرن سوداً فهذا ما

رأيت؟ ثم انتبهت من نومك
مذعوراً، فقال الملك: والله ما شأن
هذه الرؤيا وإن كانت عجيبة بأعجب
مما سمعت منك، فما ترى في
رؤياي أيها الصديق؟ فقال يوسف
عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام
وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين
المخصبة، وتجعل الطعام في
الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب
والسنبل علفاً للدواب والحب طعاماً
للناس، وتأمر الناس فيرفعون من
طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام
الذي جمعته لأهل مصر ومن
حولها، ويأتيك الخلق من [سائر]
النواحي للميرة لتبيع منهم الطعام
وتأخذ ثمنه فيجتمع عندك من الكنوز
ما لم يجتمع لأحد [قبلك]، فقال
الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه
ويبيعه ويكفيني الشغل فيه؟

﴿فَقَالَ﴾ يوسف: ﴿اجْعَلْنِي
عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، الخزائن: جمع
خزانة وأراد خزائن الطعام والأموال،
والأرض أرض مصر، أي: خزائن
أرضك. [وقال الربيع بن أنس: أي] على
خراج مصر ودخله، ﴿إِنِّي
حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾، أي: حفيظ للخزائن
عليم بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ
عليم، أي: كاتب حاسب. وقيل:
حفيظ لما استودعتني عليم بما
وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم
باللسن أعلم لغة من يأتيني. وقال
الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين
الخصبة في الأرض الجدية عليم
بوقت الجوع حين يقع [في] الأرض
الجدب، فقال له الملك: ومن أحق
به منك؟! فولاه ذلك وقال له: إنك

اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الفننجوي، ثنا مخلد بن جعفر الباقرجي، ثنا الحسن بن علوية، ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنته آخره لذلك سنة فأقام في بيته سنة مع الملك».

[قال]: وبإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرفت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكلل بالدر والياقوت، وضرب عليه حلة من استبرق، وطول السرير ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشاً وستون مقرمة، ثم أمره أن يخرج متوجاً ولونه كالثلج ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير، ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه. قال

ابن إسحاق، وقال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه وجعل أمره وقضاه نافذاً، قالوا: ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوّج الملك

يوسف راعيل امرأة قطفير، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين مني؟ فقالت: أيها الصديق لا تلمني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتني نفسي وقويت علي شهوتي ولم أتمالك عقلي في محبتي فيك، ففرب منها يوسف فوجدها عذراء فأصابها فولدت له ولدين أفرائيم وميشا ابني يوسف. واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل وأحبّه الرجال والنساء، فذلك قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: أرض مصر ملكناه، ﴿يَتَّبِعُوا﴾، أي: ينزل أيّ مِمَّنَّا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، ويصنع فيها ما يشاء. قرأ ابن كثير وحده: ﴿نشأ﴾ بالنون رداً على قوله: ﴿مَكَّنَّا﴾، وقرأ الآخرون بالياء رداً على قوله: ﴿يَتَّبِعُوا﴾. ﴿فَصَبَّحنا بِرُوحِنَا﴾، أي: بنعمتنا، ﴿مِن نَّشَأٍ وَلَا فُضَيْعٍ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس وهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، فهذا في أمر الدنيا.

﴿وَلَا جُرِّ الْأَخْرَةَ﴾، ثواب الأخررة، ﴿حَيْرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، وبنى الحصون والبيوت

الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخضبة ودخلت السنون المجدة بهول لم يعهد الناس بمثله. ورؤي أنه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنأدى يا يوسف الجوع [الجوع]، فقال يوسف: هذا أوان القحط، ففي السنة الأولى من سني الجذب هلك كل شيء أعذوه في السنين المخضبة، فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام، فباعهم في أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه، وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق [بمصر] في يد أحد عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضياح والعقار والدور حتى احتوى عليها [أجمع]، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى استرقهم، ولم يبق بمصر حرّ ولا حرّة إلا صار عبداً له، فقال الناس: ما رأينا يوماً كالיום ملكاً أجلاً ولا أعظم من هذا، ثم قال يوسف للملك: كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في ذلك؟ قال الملك: الرأي رأيك والأمر إليك ونحن لك تبع، قال:

فإنني أشهد الله وأشهدك أنني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم. وروي أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام، فقيل له: تجوع ويبدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف إن شبت أن أنسى الجائع، وأمر يوسف عليه السلام طبأخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين، فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار. قال: وقصد الناس مصر من كل أوب يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم، وإن كان عظيماً أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس، وتزاحم الناس عليه فأصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل يعقوب ما نزل بالناس [من الضيق والجهد في المعيشة]، فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخوا يوسف لأمه.

﴿٥٨﴾ فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾، وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا واذهبوا [إليه] ليشترؤا منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، على يوسف، ﴿فَعَرَّفَهُمْ﴾، يوسف عليه السلام. قال ابن عباس ومجاهد: عرفهم بأول ما نظر إليهم، وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا

إليه، ﴿وَهُمْ لَمْ يُكْرُؤْ﴾، أي: لم يعرفوه. قال ابن عباس: وكان بين أن قذفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، فلذلك أنكروه. وقال عطاء: إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك. وقيل: لأنه كان بزوي ملوك مصر عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب، فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق يقال له: يعقوب نبي من أنبياء الله، فقال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبنائنا، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبنائنا لأنه أخو الذي هلك من أمه، فأبونا يتسلى به، فقال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى أتوني بأخيكم الذي من أبيكم، فاقترعوا [حينها] [على من يدعوه عنده] بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف،

فخلفوه عنده. فذلك قوله عز وجل: ﴿٥٩﴾ ﴿رَكْنَا جَهَنَّمَ يَمَازِجَهُمْ﴾، أي: حمل لكل واحد بعيراً بعدتهم، ﴿قَالَ أَتَأْتُونَ بِآخِ لَكُمْ بَيْنَ أَيْكُمُ﴾، يعني: بنيامين، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَرْفِي الْكَيْلَ﴾، أي: أتته ولا أبخس الناس شيئاً فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، ﴿وَأَنَا خَيْرَ الْمُنزِلِينَ﴾، قال مجاهد: أي خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم.

﴿٦٠﴾ ﴿فَإِنْ لَرَأَى أَتَوْنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، أي: ليس لكم عندي طعام أكيله، ﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾، أي: لا تقربوا داري وبلادي بعد ذلك، وهو جزم على النهي.

﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنْهُ آيَاتِهِ﴾، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿وَأَنَا لَنَقُولُونَ﴾، ما أمرتنا به.

﴿٦٢﴾ ﴿وَقَالَ لِيَفْتِيهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿لِيَفْتِيهِ﴾، بالالف والنون، وقرأ الباقر: «لفتيته» بالتاء من غير ألف، يريد غلمانته، وهما لغتان مثل الصبيان والصبية، ﴿اجْمَلُوا بِضَعْتَهُمْ﴾، [أي]: ثمن طعامهم وكانت دراهم. وقال الضحاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم. وقيل: كانت ثمانية جرب من سوق المقل. والأول أصح [في يالم]، [أي]: أوعيتهم، وهي جمع رحل، ﴿لَمَلَأَهُمْ بِعَرُوفَتِهَا إِذَا أَنْكَبُوا﴾، انصرفوا، ﴿إِلَّا أَلْفَهُمْ لَمَلَأَهُمْ بِعَرُوفَتِهَا﴾، واختلصوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البز

﴿١٩﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا يَضَعَتَّهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِغِي هَذِهِ يَضَعُنَّا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَدَادًا كَيْلٌ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٢١﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَئِنِّي بِهِ لَأَكْفُرُ أَنْ يَمَسَّ بِكُمْ فَلَمَّا آتَاهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ يَتَىٰ الَّذِي دَخَلْنَا مِن بَابِ وَجِدٍ وَادْخَلْنَا مِن آوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا عَنَىٰ عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنْ أُنكِرْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغَيِّبُهُمْ مِن اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوُّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَىٰ أَخِي أَخَاهُ قَالَ إِنْ آتَانَا أَخْرُكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

والإحسان ليكون أدعى لهم إلى العود لعلهم يعرفونها أي كرامتهم علينا. وقيل: رأى لوماً [أي] أخذ [ثمن] الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فردّه عليهم من حيث لا يعلمون تكزماً. وقال الكلبي: تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى. وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة نفياً للغلط ولا يستحلّون إمساكها.

﴿٢٦﴾ ﴿لَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا﴾ ، إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقرووه مني السلام، قولوا له: إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا: ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة، فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية، وقضوا عليه القصة، وقالوا: يا أبانا ﴿مُتَّعَ مِنَّا الْكَيْلَ﴾ ، قال الحسن: معناه يمنع منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا. وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد منا حملاً ويمنع منا الكيل لبنيامين، والمراد بالكيل الطعام لأنه كان يسكال، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَاهُ﴾ بنيامين، ﴿نَكْتَلُ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يكتل﴾ بالياء، يعني: يكيل لنفسه كما نحن نكتال، وقرأ الآخرون: ﴿نَكْتَلُ﴾ بالسنون، يعني: نكتل وهو الطعام. وقيل: نكتل له، ﴿وَرَأَىٰ لَمْرًا كَحِفْظُونَ﴾ .

﴿٢٧﴾ ﴿وَزَدَادًا﴾ ، على أحمالنا، ﴿كَيْلٌ بَعِيرٌ﴾ ، أي: حمل بعير يكال لنا من أجله، لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير، ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ، أي: ما حملنا قليل لا يكفيننا وأهلنا. وقيل: معناه وزداد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة. وقال مجاهد: البعير ها هنا الحمار كيل بعير، أي: حمل حمار، وهي لغة، يقال للحمار: بعير. وهم كانوا أصحاب حمر. والأول أصح [أنه البعير المعروف].

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي مَوْثِقًا﴾ ، أي: ميثاقاً وعهداً، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ، والمعهد الموثوق: المؤكّد بالقسم. وقيل: المؤكّد بإشهاد الله على نفسه، ﴿لَئِنِّي بِهِ لَأَكْفُرُ﴾ ، وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين، ﴿إِلَّا أَنْ يَمَسَّ بِكُمْ﴾ ، قال مجاهد:

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾ ، الذي حملوه من مصر، ﴿وَجَدُوا يَضَعَتَّهُمْ﴾ ، [أي]: ثمن الطعام، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِغِي﴾ ، أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحو المتاع وجدوا البضاعة، قالوا: يا أبانا ما نبغي، ﴿هَذِهِ يَضَعُنَّا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ ، أي: شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل وردّ علينا الثمن، أرادوا تطيب نفس أبيهم، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ ، أي: نشترى لهم الطعام فنحمله إليهم. يقال: مار أهله يميز ميراً إذا حمل إليهم الطعام من بلد إلى بلد آخر. ومثله أمتار يمتار امتياراً. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين، أي: مما تخاف عليه.

إلا أن تهلوكوا جميعاً. وقال قتادة: إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك. وفي القصة: أن الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا شد الجهد، فلم يجد يعقوب بدأ من إرسال بنيامين معهم. ﴿لَمَّا آتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ﴾، أعطوه عهدهم، ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَرَكِبَ﴾، شاهد. وقيل: حافظ. قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الله عز وجل: وعزتي [وجلالتي] لأردن عليك كليهما بعدما توكلت علي.

﴿وَقَالَ﴾ له يعقوب: لَمَّا أرادوا الخروج من عنده، ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ رَّجِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ﴾، وذلك أنه خاف عليهم [من] العين لأنهم كانوا أعطوا جمالاً وقوةً وامتداد قامه، وكانوا ولد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لثلا يصابوا بالعين، فإن العين حق.

وجاء في الأثر: «إِنَّ الْعَيْنَ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ».

وعن إبراهيم النخعي أنه قال ذلك لأنه كان يرجو أن يروا يوسف في التفرق. والأول أصح. ثم قال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِرَّةَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، معناه: إن كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين، فإن المقدور كائن والحذر لا ينفع عن القدر، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾، ما يعقوب أموره إلى الله، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾، أي: من الأبواب المتفرقة. وقيل: كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة أبواب، فدخلوها من أبوابها، ﴿مَّا كَانَتْ تُغْنِي﴾، يدفع ﴿عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، صدق الله تعالى يعقوب فيما قال، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾، مراداً، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَيْنَا﴾، أشفق عليهم إشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الأمر عليه، ﴿وَرَأَىٰ﴾، يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿لِذُو عِلْبَرٍ﴾، يعني: كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل، ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾، أي: لتعليمنا إياه. وقيل: إنه لعامل بما علم. قال سفيان: من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالماً. وقيل: إنه لذو حفظ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يعلم يعقوب لأنهم لم يسلكوا طريق إصابة العلم. قال ابن عباس: لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْسُفَ﴾، قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به، فقال: أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، ثم أنزلهم فأكرم منزلتهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه، فقال يوسف: لقد بقي أخوكم هذا وحيداً فأجلسه معه على مائدته فجعل يؤاكله فلَمَّا كان الليل أمر لهم بمثل [ذلك]، وقال [لهم]: لينم كل أخوين منكم على مثال، فبقي بنيامين

وحده، فقال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فنام معه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح، وجعل رويين يقول: ما رأينا مثل هذا، فلما أصبح، قال لهم: إني أرى هذا الرجل ليس معه ثمان فساؤمه إلي فيكون منزله معي، ثم أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام، وأنزل أخاه لأمه [معه]، فذلك قوله تعالى: ﴿مَا أَوْتَىٰ إِلَيْكَ أَخَاكَ﴾، أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به قال [له]: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: وما بنيامين؟ قال: ابن المشكل، وذلك أنه لما ولد هلكت أمه قال: وما اسم أمك؟ قال: راحيل، قال: راحيل بنت لاوي، قال: فهل لك من ولد؟ قال: نعم عشرة بنين، قال: فهل لك من أخ لأمك، قال: كان لي أخ فهلك، قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، فقال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عند ذلك وقام إليه وعانقه، وقال [له]: ﴿قَالَ إِنَّهُ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، أي: لا تحزن، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك، ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بغيراً بغيراً ولبنيامين بغيراً باسمه، ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين.

قال السدي: جعل السقاية في رحل أخيه، والأخ لا يشعر، وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا

أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال [له] يوسف: قد علمت اغتنام والدي بي وإذا حبستك ازداد غمّه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع وأنسبك إلى ما لا يحمد، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال: فإني أدسُّ صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقه ليهيأ لي ردك بعد تسريحك، قال: فافعل كما تريد.

﴿٧٧﴾ فذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ جَهَرَهُم بِمَهَازِمِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها. قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، وجعلها يوسف مكيالاً لثلاث يكال بغيرها، وكان يشرب منها. والسقاية والصواع واحد، فجعلت في وعاء طعام [أخيه] بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً. وقيل: حتى خرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، نادى منادٍ، ﴿إِنْتَهَا الْعِيرُ﴾، وهي القافلة التي فيها الأحمال. قال مجاهد: كانت العير حميراً. قال الفراء: كانوا أصحاب إبل. ﴿إِنكُمْ لَسَّرُونَ﴾، قفوا. قيل قالوه من غير أمر يوسف. وقيل: قالوه بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قالوه على تأويل أنهم سرقوا يوسف من أبيه، فلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفقكم

كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، قالوا: وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقذناها، ولا نتهم عليها غيركم.

﴿٧٨﴾ فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَقِيلُوا لَهُمْ﴾، عطفوا على المؤذن وأصحابه، ﴿مَآذًا تَقْبُدُونَ﴾، ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجد.

﴿٧٩﴾ ﴿قَالُوا تَقْبُدُونَ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جَدِّ بِعِيرٍ﴾، من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، كفييل، يقوله المؤذن.

﴿٨٠﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿تَأَلَّفَهُ﴾، أي: والله، خضت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفِيسَ فِي الْأَرْضِ﴾، لنسرق في أرض مصر، فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ قيل: قالوا قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحداً شيئاً فأسألوا عتاً من مررتنا به، هل ضررنا أحداً. وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها. وقيل: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كتموا أفواه ذويهم كيلا تتناول شيئاً من حروث السناس، ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: بنيامين وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، يعني: ما جزاء السارق، ﴿إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾، في قولكم: ما كنا سارقين.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿جَزَاؤُهُ مَن يُجِد فِي رَحْلِهِ فَهُوَ﴾، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه فيسرقه سنة، وكان ذلك ستة آل يعقوب في حكم السارق، وكان [أي] حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعف قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم.

﴿٧٨﴾ ﴿كَلَّمَآ جَهَرَهُم بِمَهَازِمِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، يعني: ما جعل يوسف من سرقه مال الغير، فقال الرسول عند ذلك: لا بد

من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها. ورؤي أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه [واحداً واحداً].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾، لإزالة التهمة، ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، فكان يفتش أوعيتهم واحداً واحداً. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمناً مما قد فهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين، قال: ما أظن هذا أخذه، فقال إخوته: والله لا نترك حتى تنظر في رحله فإنه أطيّب لنفسك ولأنفسنا، فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، وإنما أتت الكناية في قوله: ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾، والصَّوَّاعُ مذكر، بدليل قوله: ﴿وَلَمَنْ جَاءَهُ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٧٢]، لأنه رذ الكناية ههنا إلى السقاية. وقيل: الصَّوَّاعُ يذكر ويؤنث، فلما أخرج الصَّوَّاعُ من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصَّوَّاعُ، فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية والله قد وضع هذا الصَّوَّاعُ في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكُم، فأخذوا بنيامين رقيقاً. وقيل: إن ذلك الرجل أخذه برقبتة ورده إلى يوسف كما يرد السراق، ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا يُوسُفَ﴾، والكيد

ههنا جزء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، فكذبا ليوسف في أمرهم. والكيد من الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقيل: كدنا ألهمنا. وقيل: دبرنا. وقيل: أردنا. ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته [وذلك قوله]: ﴿مَا كَانَ لِأَخْتِكَ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِهَا﴾، فيضمه إلى نفسه، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي: في حكمه. قال قتادة وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كذبنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على السنة الإخوة أن جزء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتِكَ فَنَشَاكَ﴾، بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب «يرفع» و«يشاء» بالياء فيهما، [وإضافة «دَرَجَتِكَ» إلى «مَنْ» في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى. وقد تقدم ذكره في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قرؤوا: ﴿دَرَجَتِكَ﴾ بالتنوين، ومن سواهم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، الواقع أيضاً هو الله تعالى. ﴿وَتَوَقَّ كَلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾. قال ابن عباس: فوق

كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ﴾، يريدون أخاً له من أمه يعنون به يوسف، واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف [عليه السلام]، فقال سعيد بن جبيرة وقاتدة: كان لجدته، أبي أمه، صنم يعبده فأخذه سراً، كسره وألقاه في الطريق لثلا يعبد. وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلاً. وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء.

وذكر محمد بن إسحاق: أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحاق بعد موت أمه راحيل، فحضنته عمته وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه، فأتاها وقال: يا أختاه سلمى إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قالت: لا والله، فقال: والله ما أنا بتاركة، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك فعمدت [عمته] إلى منطقة لإسحاق كانوا يتوارثونها بالكبر، فكانت عندها لأنها كانت أكبر ولد إسحاق، فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لسلم لي، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك

فَقَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا أَظْلَمْنَا لَلْظُلُمَاتِ ﴿٧٨﴾ قَلَّمَا اسْتَخْلَسْنَا مِنْهُ خَلَاصًا وَمَعَاذَ اللَّهِ كَيْ يَرْهَبَكُم أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ أَخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَقَ بَيْنَ يَوْسُفَ فَلَنْ أُنْبِخَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي آيٌ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٩﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ قَوْلُوا إِنَّا بَنَاتُكَ ابْنَتُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٠﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْلَمْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨١﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ حَسِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٢﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَقِطُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِيئْتُمْ عِيَثًا مِنَ الْعَرْزِ فَهُوَ كَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ قَالُوا أَنَا لَنَأْتِيَنَّكَ فَتَقْوَاهُ كَفَرْتُمْ حَرْمًا أَوْ تَكُونُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَاتِي وَخَافِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾

من يذر يعقوب، فقال يوسف: مَنْ يعقوب؟ وزوي أنه غضب ثانياً فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال: أنتم يا معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم؟ فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا: يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً يحبه، فخذ أهدنا مكانه، بدلاً منه، إنا نرىك من الموحنين، في أفعالك.

فهو سلم لك، فأمسكته حتى ماتت، فذلك الذي قال إخوة يوسف: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَكَ مِنْ قَبْلُ»، «فَأَسْرَهَا»، أضمرها «يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ»، وإنما أنت الكناية لأنه عَنَّا بها الكلمة وهي قوله: «قَالَ أَنتُمْ سَرَّ مَكَانًا»، ذكرها سراً في نفسه ولم يصرح بها، يريد أنتم شر مكاناً أي منزلاً عند الله ممن رميتموه بالسرقه في صنيعكم بيوسف، لأنه لم يكن من يوسف سرقه حقيقية وخيانتم حقيقة، «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ»، تقولون.

﴿٧٨﴾ «قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخًا كَبِيرًا»، وفي القصة أنهم غضبوا غضباً شديداً لهذه الحالة، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبييل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وإذا صاح ألقَت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها، وكان مع هذا إذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه. وقيل: كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب. وزوي أنه قال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ فقالوا: عشرة، فقال: اكفوني أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك، أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال روبييل: لتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقي بمصر امرأة حامل إلا ألقَت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبييل فخرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير: قم إلى جنب روبييل فمسه. وزوي: خذ بيده فأتني به، فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه. فقال روبييل: إن ها هنا ليدراً

جعل نعتاً كالعدن والزور، ومثله النجوى يكون اسماً ومصدراً، قال الله تعالى: «وَلَا تُمْ جَوْرًا» [الإسراء: ٤٧]، أي: متناجون. وقال: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» [المجادلة: ٧]، وقال في المصدر: «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ» [المجادلة: ١٠]. «قَالَ كَيْ يَرْهَبُكُمْ»، يعني: في العقل والعلم لا في السن. قال ابن عباس والكلبي: هو يهوذا وهو أعقلهم. وقال مجاهد: هو شمعون، وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال قتادة والسدي والضحاك: هو روبييل، وكان أكبرهم في السن، وهو الذي نهى الإخوة عن قتل يوسف. «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبَانَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا»، عهداً، «مِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَقَ بَيْنَهُمْ»، قُضِرْتُمْ «فِي يَوْسُفَ»، واختلّفوا في محل «مَا»، قيل: هو نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: ألم

وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون: إن فعلت ذلك كنت من المحسنين.

﴿٧٩﴾ «قَالَ» يوسف: «مَعَادَ اللَّهِ»، أعوذ بالله، «أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ»، ولم يقل إلا من سرق تحرزاً من الكذب، «إِنَّا إِذَا أَظْلَمْنَا»، إن أخذنا بريئاً بمجرم.

﴿٨٠﴾ «قَلَّمَا اسْتَخْلَسْنَا مِنْهُ خَلَاصًا»، أي: أسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه. وقال أبو عبيدة: استياسوا استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم. «خَلَاصًا حَيْثُ»، أي: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم. والنجوى يصلح للجماعة كما قال هُنا ويصلح للواحد كقوله: «وَقَرَيْتَهُ حَيْثُ» [مريم: ٥٢]، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر

تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف .
وقيل: وهو في محل رفع على
الابتداء وتم الكلام عند قوله: ﴿يَرْبُكُ
اللَّهُ﴾، ثم قال: ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾، هذا
تفريطكم في يوسف. وقيل: ﴿مَا﴾
صلة، أي: ومن قبل هذا فرطتم في
يوسف، ﴿فَلَنْ أُنَبِّئَكَ الْآرْضَ﴾، التي أنا
بها وهي [أرض] مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ
لِيَوْمِ﴾، بالخروج منها يدعوني،
﴿أَوْ يَخُوكُمُ اللَّهُ لِي﴾، برد أخي إلي أو
بخروجي وترك أخي. وقيل: أو
يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم
وأسترد أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ الْمُرْكِبِينَ﴾،
أعدل من فصل بين الناس.

﴿٨١﴾ ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ﴾، يقول
الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا
إلى آبائكم، ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ
أَبْنُكَ﴾، بنيامين، ﴿سَرِقٌ﴾، وقرا ابن
عباس والضحاك [سُرِق] بضم السين
وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب
إلى السرقة، كما يقال خَوَّنته أي
نسبته إلى الخيانة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا
بِمَا عَلَّمْنَا﴾، يعني: ما قلنا هذا إلا
بما علمنا فإننا رأينا إخراج الصاع من
متاعه. وقيل: معناه وما شهدنا إلا
بما علمنا أي ما كانت متا شهادة في
عمرنا على شيء إلا بما علمنا،
وليست هذه شهادة متا إنما هو خبر
عن صنيع ابنك بزعمهم. وقيل: قال
لهم يعقوب عليهم السلام: ما يدري
هذا الرجل أن السارق يُؤخذ بسرقة
إلا بقولكم، فقالوا: ما شهدنا عند
يوسف بأن السارق يسترق إلا بما
علمنا، وكان الحكم ذلك عند
يعقوب وبنيه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَافِظِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: ما

كنا نعلم إن ابنك سيسرق ويصير
أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا ونحفظ
أخانا مما لنا إلى حفظه عنه سبيل.
وعن ابن عباس: ما كنا لليلة ونهاره
ومجيئه وذهابه حافظين. وقال
عكرمة: وما كنا للغيب حافظين
فلعلها دُست بالليل في رحله.

﴿٨٢﴾ ﴿وَسَتِلُّ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا
فِيهَا﴾، أي: أهل القرية وهي مصر.
قال ابن عباس: هي قرية من قرى
مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر.
﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، أي: القافلة
التي كنا فيها. وكان أصحابهم قوم من
كنعان من جيران يعقوب. قال ابن
إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر
أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما
كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم
أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم، ﴿وَرَأَى
لَصَدِيقَيْنِ﴾، فإن قيل: كيف استجاز
يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم
يخبر بمكانه وحس أخاه مع علمه
بشدة وجد أبيه عليه؟ وقيل: معنى
العقوب: قطيعة الرحم وقلة الشفقة؟
قيل: قد أكثر الناس فيه [من
الأقوال]. والصحيح أنه عمل ذلك
بأمر الله سبحانه وتعالى، وأمره به
ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له
الأجر ويلحقه في الدرجة بأبائه
الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه
لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في
أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه، والأول
أصح.

﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، فيه اختصار معناه:
فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما
قال كبيرهم، فقال يعقوب: ﴿بَلْ

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، أي: حمل
أخيك إلى مصر لطلب نفع عاجل،
﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا﴾، يعني: يوسف
وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر،
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾، بحزني ووجدي
على فقدم، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في تدبير
خلقه.

﴿٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾،
وذلك أن يعقوب عليه السلام لما
بلغه خبر بنيامين فقام حزنه وبلغ
جهده، وهيج حزنه على يوسف
فأعرض عنهم، ﴿وَقَالَ يَا سَأْتِي﴾، يا
حزنه، ﴿عَلَىٰ يُوْسُفَ﴾، والأسف
أشد الحزن، ﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ
الْحُزْنِ﴾، يعني: غمي بصره. قال
مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين،
﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي: مكظوم مملوء
من الحزن ممسك عليه لا يشه. قال
قتادة: تردّد حزنه في جوفه ولم يقل
إلا خيراً. وقال الحسن: كان بين
خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم
التقى معه ثمانون عاماً لا تجفّ عينا
يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ
أكرم على الله من يعقوب [عليه
الصلوة والسلام].

﴿٨٥﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد
يعقوب، ﴿تَاللَّهِ تَفْتَرُوا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ
حَتَّىٰ﴾، أي: لا تزال تذكر يوسف، لا
تفتري من حبه، يقال: ما فتىء يفعل
كذا، أي: ما زال يفعل، و﴿لَا﴾
محذوفه من قوله: ﴿تَفْتَرُوا﴾، يقال:
ما فتىء يفعل كذا، أي: ما زال؛
كقول امرئ القيس:

فقلت يمين اللّه أبرح قائماً
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

مدخل المذنبين وأنت أطيّب الطيبين ورأس المقرّبين وأمين رب العالمين؟ قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله تعالى يطهّر البيوت بطهر النبيّين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأراضين، وأن الله تعالى قد طهّر بك السجن وما حوله يا طاهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين، قال: كيف لي باسم الصديقين وتعذني من المخلصين الطاهرين، وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين؟ قال جبريل: لأنه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك لذلك سمّاك الله في الصديقين، وعدك من المخلصين، وألحقك بأبائك الصالحين، قال يوسف: هل لك علم يعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم، قال: فكم قدر حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: أجر مائة شهيد، قال: أفتراني لقيه؟ قال: نعم، فطابت نفسه، وقال: ما أبالي بما لقيت إن رأيته. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

رُوي أن ملك الموت زار يعقوب [عليه الصلّاة والسّلام] فقال له: أيها الملك الطيّب ريحه، الحسن صورته، هل قبضت روح ولدي في الأرواح؟ قال: لا، فسكن يعقوب وطمع في رؤيته، وقيل: وأعلم أن رؤيا [ولدي] يوسف صادقة وإني وأنتم سنسجد له.

بصرك وقوس ظهرك؟ فقال: أذهب بصري بكائي على يوسف، وقوس ظهري حزني على أخيه؟ فأوحى الله إليه: أتشكوني فوعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني، فعند ذلك قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي لو كانا ميّتين لأخرجتهما لك، وإتما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيء، وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء، ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع إليه المساكين، فصنع طعاماً ثم قال: من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب. ورُوي أنه كان بعد ذلك إذا تغذى أمر من ينادي: من أراد الغداء فليأت يعقوب، وإذا أنظر أمر من ينادي: من أراد أن يفطر فليأت يعقوب: فكان يتغذى ويتعشى مع المساكين وعن وهب بن منبه قال: لما أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لِمَ عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا [يا إلهي قال]: لأنك قد شويت عناقاً وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه.

ورُوي: أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهي تخور. وقال وهب والسدي وغيرهما: أتى جبريل إلى يوسف في السجن فقال [له]: هل تعرفني أيها الصديق؟ قال: أرى صورة طاهرة وريحاً طيبة، قال: إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين، قال: فما أدخلك

أي: لا أبرح. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا﴾، قال ابن عباس: دفناً. قال مجاهد: الحرّض ما دون الموت، يعني: قريباً من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسداً لا عقل لك، والحرّض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائباً من الهمّ. ومعنى الآية: حتى تكون ذينف الجسم مخبول العقل. وأصل الحرّض: الفساد في الجسم، والعقل من الحزن أو الهم، أو العشق أو الهمّ، يقال: رجل حرّض وامرأة حرّض، ورجلان وامرأتان حرّض، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع [الحال و] الاسم. ﴿أَنْزَلَ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْهَلِكِينَ﴾، أي: من الميّتين.

﴿٨٦﴾ قال ﴿يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، والبث أشدّ الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي يظهره، وقال الحسن: بثي أي: حاجتي. يروي أنه دخل على يعقوب جازّ له فقال [له]: يا يعقوب ما الذي غير حالك ما لي أراك قد تهشمت وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا ربّ خطيئة أخطأتها فاغفرها لي، فقال: قد غفرتها لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، ورُوي أنه قيل له: يا يعقوب ما الذي أذهب

الذئب، فذهبت عيناى من البكاء عليه، ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به وإنك حسبه وزعمت أنه سرق، وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته إلى [أقر الله عينيك ولا أحزن قلبك] وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابى من ولدك، فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره، فظهر نفسه على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْفُرُجُ وَجِئْنَا بِضَعْفٍ مُرْتَجِدٍ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَوْلَا نَأْتِيكَ لَأَنَّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَارْتَأَى أَنَّ لَمْ يَصْبِحْ مِنْ أُمَّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلُوكَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَأْتِرِبْ عَلَيْنَا الْيَوْمَ بِتُفْرَأُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَفْوَهْ عَلَى وَجْهِ أَوْ يَأْتِ بِصَبْرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَبَ الْعِبرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُؤْتِنُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ الْفَكْرِ دِيرِ ﴿٩٥﴾

بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْفُرُجُ وَجِئْنَا بِضَعْفٍ مُرْتَجِدٍ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَوْلَا نَأْتِيكَ لَأَنَّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَارْتَأَى أَنَّ لَمْ يَصْبِحْ مِنْ أُمَّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلُوكَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَأْتِرِبْ عَلَيْنَا الْيَوْمَ بِتُفْرَأُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَفْوَهْ عَلَى وَجْهِ أَوْ يَأْتِ بِصَبْرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَبَ الْعِبرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُؤْتِنُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأْتِيكَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ الْفَكْرِ دِيرِ ﴿٩٥﴾

﴿٨٧﴾ [قوله]: ﴿بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾، تخيروا واطلبوا

الخبير، ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس بالحاء والجيم [لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا أن التحسس بالحاء في الخير وبالجميم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة]. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾، ولا تقنطوا، ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، أي: من الرحمة. وقيل: من فرج الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا على [يوسف، فلما دخلوا عليه]، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْفُرُجُ﴾، أي: الشدة والجوع، ﴿وَجِئْنَا بِضَعْفٍ مُرْتَجِدٍ﴾، أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها، وأصل الإزجاع [فيها]

وقال السدي: لما أخبره ولده بسيرة الملك أحست نفس يعقوب فطمع وقال لعله يوسف، فقال: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه.

وروي عن عبد الله بن يزيد بن أبي فروة: أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد، فإننا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فشئت يده ورجلاه وألقي في النار، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فشئت يده ورجلاه ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادي إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، فقالوا: قد أكله

المفسرين، وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برد أخينا اليننا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبيتنا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، يريد أن الصدقة كانت حلالاً لهم. وروي أن الحسن سمع رجلاً يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا تصدق وإنما تصدق من يبغى الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي.

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته

الرقعة فارفض دمه فباح بالذي كان يكتبه منهم. وقال الكلبي: إنما قال ذلك حين حكى لإخوته أن مالك بن ذعر قال: إني وجدت غلاماً في بئر من حاله كيت وكيت، فابتعته بكذا [وكذا] درهماً، فقالوا: أيها الملك، نحن بعنا ذلك الغلام [منه]، فغاض يوسف ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم، فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يحزن ويكيى لفقد واحد منا حتى كف بصره، فكيف إذا أتاه قتل بنيه كلهم؟ ثم قالوا له: إن فعلت ذلك فابعت بامتعتنا إلى أبينا فإنه بمكان كذا وكذا، فذلك حين رحمهم ويكى، وقال ذلك القول. وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذنبون عاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب. فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم [ضرراً] إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حسبه؟ قيل: قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيراً. وقيل: لما كانا من أم واحدة وكانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يَوْسُفَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: ﴿إِنَّكَ﴾ على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام. قال ابن إسحاق: كان يوسف يتكلم من وراء ستر، فلما قال يوسف: هل علمتم ما فعلتم، كشف عنهم الغطاء ورفع الحجاب، فعرّفوه.

وقال الضحاك عن ابن عباس: لما قال هذا القول تبسم يوسف فأروا ثنياه كاللؤلؤ المنظوم فشبّهوه بيوسف، فقالوا استفهاماً أنك لأنت يوسف؟

وقال عطاء عن ابن عباس: إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها وإسحاق مثلها ولسارة مثلها شبه الشامة، فعرّفوه فقالوا: أنك لأنت يوسف، وقيل: قالوه على التوقم حتى، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، بنيامين، ﴿قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، نعم الله علينا بأن جمع بيننا، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿وَصَبِرَ﴾، عمّا حرّم الله عزّ وجلّ عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر على العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿قَالَ اللَّهُ لَا بُشَيْعٌ أَجْرَ الْمُشْكِينِ﴾.

﴿قَالُوا﴾، معتردين، ﴿تَأَلَّه لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾، أي: [وما كنا في صنعنا بك إلا] مخطئين مذنبين. يقال: خطى خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

﴿قَالَ﴾ يوسف وكان حليماً: ﴿لَا تُرْسِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، لا تعبير عليكم اليوم ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلما عزّفهم يوسف

نفسه سألمهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدى؟ قالوا: ذهب عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه، وقال:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، أي: يعد بصيراً. وقيل: [يأتيني] بصيراً لأنه كان قد دعاه.

قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله عزّ وجلّ. قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة.

وعن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم عليه السلام، وذلك أنه جرد من ثيابه وألقي في النار عرياناً فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم عليه السلام، فلما ملت [إبراهيم] ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة وسدّ رأسها وعلّقها في عنقه [فجعل مخزناً] لما كان يخاف عليه من العين، وكان لا يفارقه فلما ألقى في البئر عرياناً جاء جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه، ففي ذلك الوقت جاء جبريل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وقال له: أرسل إلى أبيك ذلك القميص، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي [لوقته]، فدفع يوسف ذلك القميص إلى أخوته وقال: ألقوه على وجه

البشير إلى يعقوب مائتي راحلة [و] جهازاً كثيراً ليأتوا بيعقوب وأهله وأولاده، فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة. وقال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين، فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه، فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر، قال: لا هذا ابنك، [قال]: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان. ورؤي أنهما نزلا وتعانقا. وقال الثوري: لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال يوسف: يا أبت بكيت [علي] حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعا؟ قال: بلى يا بني ولكن [فارتك وأنت صغيراً، فخشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك.

﴿٩٩﴾ فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْسُفَ ءَاوَيْتُ إِلَيْهِ﴾، أي: ضم إليه، ﴿أَبُوهُ﴾، قال أكثر المفسرين: هو أبوه وخالته لينا، وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين. قال الحسن: هو أبوه وأمّه وكانت حيّة. وفي بعض التفاسير: أن الله عزّ وجلّ أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر. ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

ءَاوِينَ﴾، فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، فكيف قال ادخلوا مصر بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر، وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله، كما قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَحْرَمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَاوِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقيل: ﴿إِنْ﴾ ههنا بمعنى إذ، يريد إذ شاء الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي: إذ كنتم مؤمنين.

﴿١٠٠﴾ ﴿رَزَقَ أَبُوهُ عَلَى الْغَرَسِ﴾، أي: على السرير، أجلسهما [عليه]. والرفع: هو النقل إلى العلو. ﴿وَحَرُّوا لَهُ سَجْدًا﴾، يعني: يعقوب وخالته وإخوته وكانت تحية الناس يومئذ [لملوكهم] السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع. وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزاً في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة.

ورؤي عن ابن عباس أنّه قال:

معناه خزوا لله عزّ وجلّ سجداً بين يدي يوسف. والأول أصح. ﴿وَقَالَ﴾ يوسف عند ذلك: ﴿يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا﴾، وهو قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ لِي﴾، [ربي]، أي: أنعم عليّ، ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل من الحبّ مع كونه أشدّ [بلاء] من السجن استعمالاً للكرم لكيلا يخجل إخوته بعدما قال لهم: ﴿لَا تَتُوبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، ولأنّ نعمة الله عليه في إخراجهم من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الحبّ صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأنّ وقوعه في البشر كان لحسد إخوته [له]، وفي السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلّة كانت منه. ﴿وَمِمَّا يَكُنُ مِنَ الْبَدْوِ﴾، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيئهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال: بدأ يبدؤ [بدؤاً] إذا صار إلى البادية. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾، أفسد، ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، بالحسد والبغض، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾، أي: ذو لطف، ﴿لَمَّا يَشَاءُ﴾، وقيل: معناه بمن يشاء. وحقيقة اللطيف الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق، ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، قال أهل التاريخ: أقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعاً وعشرين سنة في أغبط حال وأهنأ عيش، ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه

يدفونه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إلى جميعهم. وقال عكرمة: دفن في الجانب الأيمن من النيل، فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر، فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر، فدفنوه في وسطه. وقدر ذلك بسلسلة فأخصب الجانبان جميعاً إلى أن أخرجه موسى فدفنه بقرب آباءه بالشام.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرته، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْقَيْمُ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ﴾، إذ أجمعوا أمرهم، أي: عزّموا على إلقاء يوسف في الجب، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾، يوسف.

﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يا محمد، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، على إيمانهم. زوي أن اليهود وقرشاً سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي ﷺ، فقيل له: إنهم لا يؤمنون ولو حَرَصْتَ على إيمانهم.

﴿وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿مِنْ آجُرٍ﴾، [أي]: جعل جزاء، ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿وَلَا ذِكْرٌ﴾، عظة وتذكير، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَتَى﴾، وكـم، ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾، عبرة ودلالة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُوتُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا﴾

ومتولي أمري، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾، يقول: اقبضني إليك مسلماً، ﴿وَالْحَقْفَى بِالْمَنْجَلِيِّينَ﴾، يريد بأبائي النبيين. قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف [عليه السلام]. وفي القصة: لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربّه عز وجل فقال هذه المقالة. قال الحسن: عاش بعد هذا سنين كثيرة. وقال غيره: لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي. واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه، فقال الكلبي: اثنتان وعشرون سنة. وقيل: أربعون سنة. وقال الحسن: ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة. وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد: أفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب [المبتلى] عليه السلام. وقيل: عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة. وقيل: أكثر. واختلفت الأقاويل فيه. وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، فدفنوه في النيل في صندوق من رخام، وذلك أنه لما مات تشاح الناس فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلّتهم رجاء بركته، حتى همّوا بالقتال، فرأوا أن

وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجُرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾
وَكَيْفَ أَتَى مِنَ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُوتُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٣﴾ أَفَأَمْرٌ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَيْبَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللهِ أَدْعُو إِلَى اللهِ عَنِ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسَبِّحْنَا اللهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلِمَاتُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٦﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ نَحْنُ نَحْمِلُ خَطِيئَتَهُمْ أَمْ أَعْيُنُهُمْ أَغْمِيَتْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافِيَّةً ﴿١٠٧﴾ وَلَقَدْ كُنَّا فِي فِصْمِهِمْ عِزَّةً لَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا حَيَاتًا يَفْتَرَعُونَ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٨﴾

يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك، ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف إلى مصر. وقال سعيد بن جبير: نُقِلَ يعقوب عليه السلام في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، فوافق ذلك اليوم الذي مات فيه العيص فدفنوا في قبر واحد، وكانوا وليدًا في بطن واحد، وكان عمرهما مائة وسبعاً وأربعين سنة، فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حُسن العاقبة، فقال:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾، يعني: ملك مصر، والملك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يعني: تعبیر الرؤيا. ﴿فَاطِرُ﴾، أي: يا فاطر، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما، ﴿أَنْتَ وَلِيُّهُنَّ﴾، أي: مُعِينِي

مُعْرِضُونَ»، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿١٠٦﴾ «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»، فكان من إيمانهم إذا سُئِلُوا: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون.

وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تليبتهم: لتيك اللهم لتيك، لتيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْتُمْ لِصِيحْتِكُمْ يَوْمَ دَعَوْتُمْ آلَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [يونس: ٢٢] الآية، ﴿وَإِذَا رَجَعْتُمْ فِي الدُّنْيَا فَادْعُوا آلَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وغير ذلك من الآيات.

﴿١٠٧﴾ «أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ»، أي: عقوبة مجللة، قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٥]. قال قتادة: وقية. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع. ﴿أَمْ تَأْمِنُ السَّاعَةُ بِنِعْمَتِي﴾، فسجأة، ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرْ﴾، بقيامها. قال ابن عباس: تهيج [الصيحة] بالناس وهم في أسواقهم.

﴿١٠٨﴾ «قُلْ يَا مُحَمَّدٌ هَلْؤُورٌ»

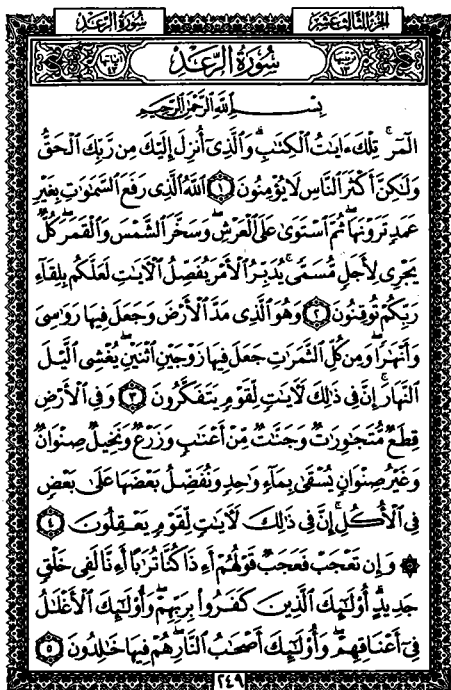
الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، ﴿سَبِيلِي﴾، سُنتي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: إلى دينه. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، على يقين. والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتِي﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضاً يدعو إلى الله، هذا قول الكلبي وابن زيد. قالوا: حق على من أتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، ثم استأنف: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي﴾، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من أتبعني. قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن. قال عبد الله بن مسعود: من كان مُسْتَنَافاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، [قوم] اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، ولا تبعوهم على آثامهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. قوله تعالى: ﴿وَشِعْنِ اللَّهِ﴾، أي: وقل سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٠٩﴾ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِلَّا رِجَالًا»، [لا] ملائكة،

﴿تُوحِي إِلَيْهِمْ﴾، قرأ حنفس: ﴿تُوحِيهِ﴾ بالنون وكسر الحاء، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء. ﴿مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ﴾، يعني: من أهل الأمصار دون أهل البوادي لأن أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم وأحلم. [قال الحسن لم يبعث الله نبياً من بدو ولا من الجن ولا من النساء، وقيل: إنما لم يبعث من أهل البوادي لغلظهم وجفائهم. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: هؤلاء المشركين المكذبين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ﴾، آخر أمر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: الأسم المكذبة فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، يستقول جل ذكره هذا فعلنا بأهل [ولابتنا] طاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب، وما في الدار الآخرة خير لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه. قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، قيل: معناه ولدان الحال الآخرة [خيراً]. وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمُرْحَى الْيَوْمِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وكقولهم: يوم الخميس وربيع الآخر. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، فتؤمنون.

﴿١١٠﴾ «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَوَقَلْتُمْ أَنَّهُمْ كَذِبُوا كَذِبًا مِمَّنْ نَقَرْنَا»، [أمرنا].

اختلف السُّؤْلَةُ في قوله: ﴿كَذِبُوا﴾، فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: ﴿كَذِبُوا﴾، بالتخفيف، وكانت عائشة تنكرو هذه القراءة. وقرأ الآخرون بالتشديد، فمن شدده قال: معناه حتى إذا استيأس،



قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العذاب.

وروي عن ابن عباس: أن معناه ضعف قلوب الرسل، يعني: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، وكانوا بشراً فضعفوا ويشسوا وظنوا أنهم أخلصوا، ثم تلا: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، أي: جاء الرسل نصرنا. ﴿فَتَجِيءَ مِنْ نَشَأٍ﴾، قرأ العامة بنونين، أي: نحن

ننجي من نشاء. وقرأ ابن عامر وحزمة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة، فيكون محل ﴿مَنْ﴾ رفعاً على هذه القراءة، وعلى القراءة الأولى يكون نصباً، فتجيب من نشاء عند نزول العذاب، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿وَلَا يَرْدُ بِأَسْنَانًا﴾، عذائنا، عن القرآن ﴿الْقَوْمِ الْمَكْرُوبِينَ﴾، أي: المشركين.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾، أي: في خبر يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾، يعني: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُقْرَأُ﴾، أي: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِنْ نَصَدِيقَ الَّذِي﴾، أي: ولكن كان تصديق الذي، ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما يحتاج العباد إليه من

الرسول من إيمان قومهم روي عن مجاهد أنه قرأ: وقد كذبوا بفتح الكاف والذال مخففة ولها تاويلان: أحدهما معناه أن القوم المشركين ظنوا أن الرسل قد كذبوا والثاني معناه أن الرسل ظنوا - أي علموا - أن قومهم قد افترروا على الله بكفرهم من إيمان قومهم وظنوا: أي أيقنوا - يعني الرسل - أن الأمم قد كذبوهم تكديباً لا يرجى بعده إيمانهم، والظن بمعنى اليقين، وهذا معنى قول قتادة. وقال بعضهم: معناه حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يُصدقوهم، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النظر. ومن قرأ بالتخفيف قال: معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا، أي: ظن

الحلال والحرام والأمر والنهي، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، بياناً ونعمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [والله تعالى أعلم].



سورة الرعد

مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: ٣١]، إلى قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]، وهي ثلاث وأربعون آية.

﴿الرعد﴾ قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، وهذا القرآن الذي أنزل إليك، ﴿مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون محل الذي رفعاً على الابتداء و﴿الحق﴾ خبره، وقيل: محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتداء الحق يعني ذلك الحق.

وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ومعناه هذه آيات الكتاب يعني القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمداً يقوله من تلقاء نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عز من قائل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، يعني: السوراري

واحدتها عمود مثل أديم وأدم، وعمد أيضاً جمعه مثل رسول ورسل، ومعناه نفي العمدة أصلاً وهو الأصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها. قال إياس بن معاوية: السماء مقببة على الأرض مثل القبة. وقيل: ترونها راجعة إلى العمدة، معناه: لها عمدة ولكن لا ترونها، وزعم: أن عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، علا عليه، ﴿وَسَخَّرَ الْمَنَسَّ وَالْقَمَرِ﴾، ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﴿كُلُّ بَيْرٍ﴾، أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتها ومنازلها يتهيان إليها ولا يجاوزانها، ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾، يقضيه وحده، ﴿يُقْضَى الْأَيَّامُ﴾، يبين السدلات، ﴿لَقَلَّمُ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْتُونَ﴾، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾، بسطها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالات ثابتة، واحدها: راسية.

قال ابن عباس: كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض، ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾، أي: وجعل فيها أنهاراً. ﴿وَمِنَ كُلِّ الْأَنْهَارِ جَمَلٌ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، أي: صنفين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً، ﴿يَتَّبِعُوا آيِلَ النَّهْرِ﴾، أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

فيستدلون. والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ﴾، متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الريح وهذه كثيرة الريح، ﴿وَجَنَّاتٌ أَيْ: بساتين﴾، ﴿مِنَ الْأَشْجَارِ وَزَيْتُونٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ﴾، رفعها كلها ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب عطفاً على الجنات، وجرها الآخرون نسقاً على الأعتاب، والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿وَعِزُّ صِنَوَانٍ﴾، هي النخلة المنفردة بأصلها.

وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو.

ومنه قول النبي ﷺ في العباس: ﴿إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ﴾ ولا فرق في الصنوان والقنوان بين التثنية والجمع إلا في الإعراب وذلك أن النون في التثنية مكسورة غير منونة وفي الجمع منونة، ﴿يَسْتَقِي يَمْلَأُ وَجِدٍ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «يسقي» بالياء أي يسقي ذلك كله بماء واحد، وقرأ الآخرون بالياء لقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ ولقوله تعالى من بعد ﴿وَيُقْضَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ﴾، ولم يقل بعضه، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، [لا لون له فيلون بلون إنائه] ﴿وَيُقْضَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ﴾، في الثمر والطعم، قرأ حمزة والكسائي «ويفضل» بالياء، لقوله تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ يُقْضَى الْأَيَّامُ﴾. وقرأ

الآخرون بالنون على معنى ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل.

وجاء في الحديث [عن النبي ﷺ]: ﴿وَيُقْضَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾، قال «الفارسي والدقل والحلو والحامض» قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد.

قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعاً متجاوزة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يُسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو، قال الحسن: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا فَخَرْنَا بِهِ لَئِيْلَ الْكٰفِرِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الْظٰلِمِيْنَ اِلَّا خَسٰرًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِن تَجَهَّ بَعْضُ قَوْمٍ﴾، العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ، ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق [فالعجب أمرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق] من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن إعادة أهون من الابتداء، فهنا موضع العجب.

الهادي هو الله تعالى .

٨ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر ﴿وَمَا تَوَيْضُ الْأَرْحَامَ﴾، أي ما تنقص ﴿وَمَا تَزَادُ﴾ .

وقال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقتة باستمساك الدم .

وقيل: إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر ظاهراً فإن رأت خمسة أيام دمًا وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة . وقال الحسن: غيضاها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر .

وقيل: النقصان السقط والزيادة تمام الخلق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد يُولد المولود لهذه المدة ويعيش .

واختلفوا في أكثرها فقال قوم: أكثرها ستان وهو قول عائشة رضي الله عنها، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن أكثرها أربع سنين وإليه ذهب الشافعي رحمه الله . قال حماد بن سلمة: إنما سمي هرم بن حيان هرمًا لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين، ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِنْدُ

الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْقَابِهِمْ﴾، يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

١ قوله: ﴿يَسْتَجِيبُكَ بِالسِّفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾، الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته والسيئة هنا هي العقوبة، والحسنة: العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر

علينا حجارة من السماء أو أتتنا بعذاب اليم . ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات، والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم الشاء مثل صدقة وصدقات . ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَقْفُورٌ لِّلنَّاسِ عَلَيَّ ظَلِيمَةٌ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ أَلْعَابِ﴾ .

٧ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾، ﴿مُخَوِّفٌ﴾، ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة . وقال عكرمة: الهادي محمد ﷺ يقول: إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبيرة:

وَسَمِعْتُمْ لَوْلَاكَ بِالسِّفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَقْفُورٌ لِّلنَّاسِ عَلَيَّ ظَلِيمَةٌ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ أَلْعَابِ ﴿٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَوَيْضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ غَنٍّ عِنْدَ رَبِّهِ بِعِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عِنْدَ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمَعَالِ ﴿٩﴾ سِوَاهُ مِنْكُمْ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالْأَيْلِ وَسَارِيئًا بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعْقِبْتُمْ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَهُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلَاءٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ حَتَّى تَوَكَّفْتُمْ عَلَيْهَا وَإِذْ تَسْتَعِيبُونَ الشَّرَابَ إِذْ لَأَلْتَمَسْتُمْ مِنَ الْمُدِّ مُدًّا وَغَدَّكُمْ بِعَدُوِّهِمْ فَصَحَّوهُمْ بِهِمْ وَبَشَّرْتُكُمْ مِنْ خِفْيِهِمْ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ الَّتِي نَسُفُّ بِهَا مَنَاسِكَكُمْ وَمَنْ يُجَادِلْكُمْ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٢﴾

٢٥٠

وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع ألهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضاً من قولهم، ﴿هَذَا كُنَّا نَزَّلًا﴾، بعد الموت ﴿هَذَا لِيُخَلِّقَ جَدِيدًا﴾، أي: نعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت .

قرأ نافع والكسائي ويعقوب ﴿هَذَا﴾ مستفهماً «إننا» بتركه، على الخبر، ضله: أبو جعفر وابن عامر، وكذلك في سبحان [٤٩ - ٩٨] في موضعين والمؤمنون [٨٢] وآلم السجدة [١٠]، وقرأ الباقر بالاستفهام فيهما وفي الصفات في موضعين هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعاً في أول الصفات فيقدم الاستفهام ويعقوب لا يستفهم الثانية ﴿هَذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَاكُمُ وَعَظَمْنَا أَوْلَانَا كَلِيدُونَ﴾، قال

بِمَقْدَارٍ، أي: بتقدير واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالْغُهِبَةِ الْكَبِيرِ﴾، الذي كل شيء دونه، ﴿الْمَتَعَالِ﴾، المستعلي على كل شيء بقدرته.

﴿قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ يَنْكَرُ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، أي: يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَتِيلٍ﴾، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾، أي: ذاهب في سرية ظاهراً، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه.

قال ابن عباس في هذه الآية: هو صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتتمته، وسارب بالنهار أي متوار داخل في سرب.

﴿لَمْ تُعْقِبَتْ﴾، أي: الله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب: العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقب، ثم جمع الجمع معقبات كما قيل: ابناوات سعد ورجالات بكر.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب، عن مالك

عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَنْ خَلْفِهِ﴾، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه: من وراء ظهره، ﴿بِحَفْظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله ما لم يجيء القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي: مما أمر الله به من الحفظ عنه.

قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريد به إلا قال وراءك! إلا شيء يأذن الله فيه فيصيه.

قال كعب الأحبار: لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن. وقال عكرمة: الآية في الأمراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم. وقيل: الآية في الملكين القاعدتين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَوُّ التَّائِبِينَ عَنْ آلِيَيْنِ وَرَنْ أَسْمَاءٍ وَيُؤَدِّقُ﴾ [ق: ١٧]، وقال ابن جريج: معنى يحفظونه أي يحفظون

عليه من أمر الله يعني الحسنات والسيئات. وقيل: الهاء في (له) راجعة إلى رسول الله ﷺ.

روى جويرير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: له معقبات يعني لمحمد ﷺ حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار.

وقال عبدالرحمن بن زيد: نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل، وأريد بن ربيعة.

وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه، فدخلوا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور وكان من أجمل الناس، فقال رجل: يا رسول الله: هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: «دعه فإن يرد الله به خيراً يهده» فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين»، قال: تجعل لي الأمر بعدك، قال: «ليس ذلك إليّ إنما ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء»، قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: «أجعل لك أعة الخيل تغزو عليها»، قال: أوليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أوصى إلى أريد بن ربيعة

من الصاعقة، طمعاً في نفع المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى والمشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة. وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وإيانه، والطمع إذا كان في مكانه وإيانه، ومن البلدان إذا مطروا قحطوا وإذا لم يمتطروا أخصبوا. ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت، والسحاب جمع واحدتها سحابة، قال علي رضي الله عنه: السحاب غربال الماء.

﴿وَيَسْجِعُ الرِّعْدَ يَحْمَدُوهُ﴾، أكثر المفسرين على أن الرعد اسم لملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه، قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعليّ دية. وعن عبدالله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى: «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد». وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وأن بحور الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سبح لا يبقى ملك في

الموت، ويقول الشعر، ويقول اللات والعزى لئن أبصرت محمداً وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برمحي، فأرسل الله ملكاً فلطمه بجناحه فأرداه في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله ﷺ، فقتل

عامر بالطن وأريد بالصاعقة، وأنزل الله عز وجل في هذه القصة قوله: ﴿سَوَاءٌ مَنكُم مَّن أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿لَمْ مَعَقَتُنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يعني لرسول الله ﷺ معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله، وفيه تقديم تأخير، وقال لهذين: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَا يَفْقَهُونَ﴾، من العافية والنعمة، ﴿حَقٌّ يُعَذِّبُ مَا يَنْفُسُهُمْ﴾، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَمُ سَوْءًا﴾، أي: عذاباً وهلاكاً ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾، أي: لا راد له، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾، أي: ملجأ يلجؤون إليه، وقيل: وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآبَاتِ﴾ قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآبَاتِ﴾، قيل: خوفاً

﴿لَمُدَّعَوْهُ لَمَقَى وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ يُنَالُهُمْ وَمَا هُوَ بِيَلْبِقُهُ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُنَّاهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْحَابِ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَعْبُدُكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ لَأَقْسِمُ بِمَا تُنْفَعُونَ مِنْ قُلْ هَلْ نَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورَ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الرَّزَّاقُ الْغَنِيُّ﴾ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ وَبِهِ لَقِيبٌ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَالْبَاطِلَ فَمَا الزَّيْدُ بِقَدْرِهِمْ جِفْلَقٌ وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ يَمَكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْأَشْجَالَ﴾ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالذِّكْرُ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوْلَا أَنَّهُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَيَسْأَلُهُمْ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِأَوْدِيَةِ أَوْلِيَائِهِمْ لَمْ يَسْأَلُوا لِحِسَابِ وَمَا وَدَّعْتُمْ جَهَنَّمَ وَيُفْسِنُ لِلنَّهَارِ﴾ ﴿١٥﴾

إذا رأيته أكله فذُر من خلفه فاضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أريد من خلف النبي ﷺ ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله تعالى عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أريد وما يصنع بسيفه [في علاجه]، فقال: «اللهم أكفنيهما بما شئت»، فأرسل الله على أريد صاعقة في يوم صحو قاتظ فأحرقته وولى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أريد والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مردأ، فقال النبي ﷺ: «يمنعك الله تعالى من ذلك، وابنا قبيلة يريد الأوس والخزرج»، فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء، ويقول: ابرز لي ملك

السما إلاً رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته. وقيل: أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعواناً فهم خائفون خاضعون [متذللون] طائعون.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾، جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾، كما أصاب أريد بن ربعة. وقال محمد بن علي الباقر: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكِر، ﴿وَهُمْ يُجِدُّونَ﴾، يخاصمون، ﴿فِي اللَّهِ﴾، نزلت في شأن أريد بن ربعة حيث قال للنبي ﷺ: مِمَّ رَبِّكَ أَمِنْ دُرَّ أَمْ مِنْ يَاقُوتٍ أَمْ مِنْ ذَهَبٍ؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته.

وسئل الحسن عن قوله عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ الآية، قال: كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي ﷺ نقرأ يدعوونه إلى الله ورسوله. فقال لهم: أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني إليه مِمَّ هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس، فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى على الله منه، فقال: «ارجعوا إليه» فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى، وقال: أجييب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه؟ فانصرفوا وقالوا: يا رسول الله ما زادنا على [مثل] الأولى

وأخبث فقال: «ارجعوا إليه» فرجعوا إليه فبينما هم جلوس عنده ينازعونه ويدعونوه وهو يقول هذه المقالة إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت ويرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس [عنده]، فجاؤوا يسعون ليخبروا رسول الله ﷺ فاستقبلهم قوم من أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم احترق صاحبكم، فقالوا: من أين علمتم فقالوا أوحى الله إلى النبي ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجِدُّونَ فِي اللَّهِ﴾.

﴿وَهُوَ مُبْدِي الدَّعْوَى﴾، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول. وقال الحسن: شديد الحقد^(١). وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

﴿لَهُ دَعْوَةُ اللَّحِقِ﴾، أي: الله دعوة الصديق. قال علي رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر، ﴿إِلَّا كَتِيبٌ كَثِيرٌ إِلَى اللَّهِ يَلْتَمِعُ فَأَهُوَ بِإِذْنِهِ﴾، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقباض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء،

كذلك الذي يدعو الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الذي يريد الماء من بعيد فهو يشير بكفه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً فهذا معنى قول مجاهد. ومثله عن علي وعطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعوون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء.

وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطاً كفيه، مثل ضربه الله لخبيبة الكفار. ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾، أصنامهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه كما قال: ﴿وَحَسَدٌ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤] وقال الضحاك عن ابن عباس وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً﴾، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وَكُفْراً﴾، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿وَيَطَّلِنُهُمْ﴾، يعني: ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً تسجد لله عز وجل طوعاً. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره. ﴿وَالْقُدُورِ وَالْأَسْمَالِ﴾، يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه

ظله، والآصال: جمع «الأصل» و«الأصل» جمع «الأصيل» وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس. وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكر والعشايا. وقيل: سجود الظل تذليله لما أريد له.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾، أي: خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله، لأنهم يقولون بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض فإذا أجابوك فقل أنت أيضاً يا محمد (الله).

وروي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله عز وجل فقال [له] ﴿قُلْ اللَّهُ﴾، ثم قال الله لهم الزموا للحجة: ﴿قُلْ أَنَا خَلَقْتُ مِنَ ذَرِيَّتِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، معناه: إنكم مع إقراركم بأن الله خالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ لِيُنذِرَهُمْ نَقْمًا وَلَا ضَرًّا﴾، فكيف يملكون لكم؟ ثم ضرب لهم مثلاً فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، وكذلك لا يستوي الكافر والمؤمن].

﴿أَمْ هَلْ سَوَّيْنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿سَوَّيْنَا﴾ بآلاء، وقرأ الآخرون بالتاء لأنه لا حائل بين الفعل والاسم الموثق. ﴿الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، أي: كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلْنَا﴾، أي: جعلوا، ﴿يَوْمَ نُزِّلْنَا خَلْقًا كَخَلْقِهِ فَشَبَّهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق

الله وما خلق آلهتهم ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كَيْ تَنْبُرُ وَهُوَ الْأَزِيدُ الْفَازُ﴾، ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل.

﴿١٧﴾ فقال عز وجل: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ يعني الله عز وجل، ﴿بِإِنِّ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَسَالَتْ﴾، من ذلك الماء، ﴿أَوْدِيَةً يَقْدَرُهَا﴾، أي: في الصغر والكبر، ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿زَيْدًا رَابِيًا﴾، الزيد الخبث الذي يظهر على وجه الماء، وكذلك على وجه القدر، رابياً أي عالياً مرتفعاً فوق الماء فالماء الصافي الباقي هو الحق، والذاهب والزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل.

وقيل: قوله ﴿أَنْزَلْنَا بِإِنِّ السَّمَاءَ مَاءً﴾ هذا مثل للقرآن، والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن، فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل.

فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤَدُّونَ عَلَيْهِ فِي الْأَنْبَاءِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يُؤَدُّونَ﴾ بآلاء لقوله تعالى: ﴿مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، ولا مخاطبة ههنا، وقرأ الآخرون بالتاء «ومما توقدون»، أي: ومن الذي توقدون عليه في النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليزوب، ﴿أَبْغَاةٌ حَبِيزَةٌ﴾، أي لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة؛ لأن الحلية تطلب منهما، ﴿أَوْ مَتَاعٌ﴾، أي: طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس، والرصاص، والصفير، تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿زَيْدًا يَنْفُلُهُ﴾

كذلك يَصْرُبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، أي: إذا أذيب فله أيضاً زيد مثل زيد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزيد الذي لا ينتفع به مثل الباطل، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾، الذي علا السيل والفلز، ﴿فَيَذَهُبُ جَفَاءً﴾، أي: ضائعاً باطلاً، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقدر إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفا إذا ألقى غشاه، وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء، معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل. وقيل: جفأ أي: متفرقاً. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، يعني: الماء والفلز من الذهب والفضة والصفير والنحاس، ﴿يَتَذَكَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يبقى ولا يذهب، ﴿كَذَلِكَ يَصْرُبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، جعل الله هذا مثلاً للحق والباطل، يعني: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع، والحق كالماء والفلز يبقى في القلوب. وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئاً وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَلْبِئِينَ السَّاجِدِينَ﴾، أجابوا، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾، فأطاعوه، ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ لَوْ أَنَّ لَكُمْ مَاءٌ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدَمُوا بِهِ﴾، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداءً من النار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ سُوءُ الْحَسَابِ﴾. قال إبراهيم النخعي: سوء

أَمَّنْ يَقُولُ إِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَبُّهُ أَزْوَاجُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ ﴿١٩﴾

أَمَّنْ يَقُولُ إِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَبُّهُ أَزْوَاجُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ ﴿٢٠﴾

أَمَّنْ يَقُولُ إِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَبُّهُ أَزْوَاجُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ ﴿٢١﴾

ربه عز وجل: «أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي اسماً فمن وصلها وصلته ومن قطعها بهته».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا ابن أبي أويس، قال: حدثني سليمان بن بلال عن معاوية بن أبي مزرود، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له من شيء، ﴿وَمَا وَدَّعْتُمْ فِي الآخرة جَهَنَّمَ وَنَسَّ لِلْهَآءِ﴾، الفرائس، أي: بنس ما مهد لهم.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَقُولُ إِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿كَنْ هُوَ أَمَّنْ﴾، عنه لا يعلمه ولا يعمل به.

قيل: نزلت في حمزة وأبي جهل. وقيل: في عمار وأبي جهل، فالأول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو الأعمى، أي: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه. ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ، ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

﴿٢٠﴾ ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾، بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه، ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾، قيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه.

﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلُوا﴾، قيل: أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسول ولا يفرقون بينهما، والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا ابن أبي شيبه، ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري عن أبي سلمة أن عبد الرحمن بن عوف عاد أبا الدرداء فقال يعني عبد الرحمن سمعت رسول الله ﷺ [يقول] فيما يحكي عن

والرحم تنادي ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن ينسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا شعبة، عن عيينة بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي يحدث عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب أحرى أن

رسول الله قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك»، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني، أنبأنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا كثير بن عبدالله الشكري، ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة: القرآن يحاج العباد، له ظهر ويطن، والأمانة،

يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعه الرحم».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الزيادي، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، ثنا أحمد بن إسحاق الصيدلاني، أنا أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا عمرو بن عثمان قال: سمعت موسى بن طلحة يذكر عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ في مسير له فقال: أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يعلى وأبو نعيم قالوا: ثنا قطر، عن مجاهد، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها».

رواه محمد بن إسماعيل عن محمد بن كثير عن سفيان عن قطر

وقال: «إذا قطعت رحمه وصلها».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَطَعْتُمْ رِجْلًا مِّنْهُمَا فَاتُخَذَتِ لَهُمَا سَبِيلًا مِّنْهُمَا وَمَا تَحْتَهَا لَهُمْ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله عز وجل. وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي. ﴿أَيُّفَنَّا وَبِمَوَازِينٍ﴾، طلب تعظيمه أن يخالفوه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، يعني يؤدون الزكاة، ﴿وَيَذَرُونَ الْمَغْنَمَ الَّذِينَ﴾، زوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصلح من العمل السيء من العمل، وهو معنى قوله: ﴿إِنِ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها، السر بالسر والعلانية بالعلانية».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، حدثنا أبو الخير، أنه سمع عقبه بن عامر رضي الله عنه: يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت عنه حلقة، ثم عمل أخرى فانفكت أخرى، حتى يخرج إلى الأرض».

وقال ابن كيسان: معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير. وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنة. وقال قتادة: ردوا عليهم معروفًا ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَابَبَهُمُ الْكُفْرَانُ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال الحسن: إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا. قال عبدالله بن المبارك: هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية أبواب الجنة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ﴾، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بين فقال:

﴿حَتَّىٰ عَمَلُوا﴾، بساتين إقامة، ﴿يَدْخُلُونَ مِن مَّخْلَبٍ مِّن مَّاءٍ فِيهَا يُنْفَخُونَ﴾ وقيل: من أبواب القصور.

﴿سَلَمًا طَائِفًا﴾، أي: يقولون سلام عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافون منها قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات، معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل، يقولون سلام عليكم، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فِيمَ عِنَى الدَّارِ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن بنية بن الوليد حدثني أوطاة بن

المنذر قال: سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال [له] أبو الحجاج يقول: جلست إلى أبي أمامة فقال: إن المؤمن ليكون متكاً على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل المملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالمملك يستأذن فيقول للذي يليه [هذا] ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه: ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن، فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلى المؤمن: ائذنوا له، ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف.

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، هذا في الكفار. ﴿وَيَقْفَرُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُصَلُّوا﴾، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض.

وقيل: يقطعون الرحم، ﴿وَيُؤَسِّدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿أَوَّلَيْكَ لَمْ آتِ السَّمْعُ وَكَمْ سَوْءَ الدَّارِ﴾، يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس ذورهم.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ السَّمَاءَ لَكُمْ لِيَنْ يَنْتَهِ وَيَقْدِرَ﴾، أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، ﴿وَيَفْرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: مشركي مكة أشروا ويطروا، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام. ﴿وَمَا لِحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ أي: قليل

ذاهب. قال الكلبي: كمثل السكرجة والقصة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من أهل مكة، ﴿أَوَلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا﴾ قل إنك الله يبيد من يشاء ويهوي إليه من أناب. أي: يهدي إليه من يشاء بالإجابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلب.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، في محل نصب، بدلاً من قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، ﴿وَقَطَعْنَا﴾، تسكن،

﴿قُلُوبُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ﴾، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين.

قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرَبُّهُمُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ابتداءً، [وقوله] ﴿طُوبَى

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَىٰ آلَهُمْ ﴿٢٥﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحِيسًا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ يَا رَحْمَنُ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَأَلُوا بِرَبِّهِمْ أَوْفَظْتَ بِهِ الْأَرْضَ وَنُفُوسَهُمْ بِرَبِّهِمْ أَتَمَنَّا عَلَىٰ الْأُمَمِ جَمِيعًا فَأَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ نَبِيًّا إِلَّا تَوَسَّىٰ تَسْوًى اللَّهِ لَهْدَىٰ النَّاسَ سَبِيلًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِ الْأَعْيَانَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأُ بِرُسُلِهِ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَمْ أَخَذْتَهُمْ كَيْفَ كَانَ عِقَابٌ ﴿٢٨﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَابِئًا عَلَىٰ نَفْسِهِ يَمْسِكُ وَيُجْعَلُوهَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يُعَلِّمُونَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَطَّيَّرُونَ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَأْتَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾

لَهُمْ﴾ خبره، واختلفوا في تفسير ﴿طُوبَى﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرح لهم وفرح عين.

وقال عكرمة: نغم ما لهم. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال معمر عن قتادة: هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل: طوبى لك أي أصبت خيراً. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. قال الفراء: أصله من الطيب والواو فيه لضمه الطاء، وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب. ﴿وَحَسُنَ مَا أَتَىٰ﴾ أي: حسن المنقلب.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحشبية. وقال الربيع: هو البستان بلغة الهند. قالوا: ورؤي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها [من كبرها]. وقال عبيد بن عمير: هي شجرة في

جنة عدن أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسيل.

قال مقاتل: كل ورقة منها تظلُّ أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها».

وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: «طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت بالحلي والحلل وإن أغصانها لثرى من وراء سور الجنة».

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَيُظِلُّ مَذْرُورًا﴾ [الواقعة: ٣٠] فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام [والإنجيل على عيسى] والقرآن على محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب حقة أو

جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هراً، إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

وبهذا الإسناد عن عبدالله بن المبارك عن معمر عن الأشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله عز وجل لها تفتحي لعبدي عما شاء فتفتحي له عن فرس بسرجه ولجامه وهيته كما شاء وتفتحي له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيتها كما شاء وعن الثياب.

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ أَيْ: كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة، ﴿وَقَدْ خَلَقْتَ﴾، مضت، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ أُمَّةٌ لَتَنْتَلُوا﴾، لتقرأ، ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم، فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها.

أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الجحر يدعو «يا الله يا رحمن»

فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وروي الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: «اسجدوا للرحمن»، قالوا: وما الرحمن؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته، ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت ﴿وَلِئَلَيْهِ تُنَاجُونَ﴾، أي: توتي ومرجعي.

﴿٢٦﴾ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا سَوَّيْتُمْ بِهِ الْجِبَالَ﴾، الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية؛ جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي ﷺ فاتأهم فقال له عبدالله بن أبي أمية: إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تفسخ، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً لنغرس فيها الأشجار ونزرع، ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبيح معه، أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا، فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت، ولست بأهون على ربك من سليمان، وأحيي لنا جدك قصياً أو من شئت من آياتنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول

أم باطل؟، فإن عيسى كان يحيي الموتى، ولست بأهون على الله منه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سُورَةَ يٰٓأَحْيَآءِ﴾، فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿أَوْ قُطِعَتْ يٰٓأَرْضُ﴾، أي: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كَلِمَ يٰٓمَوْتٍ﴾.

واختلفوا في جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مزاده وتقديره لكان هذا القرآن كقول الشاعر:

فأقسم لو شيء أنا رسوله
سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً
أراد لرددناه، وهذا معنى قول قتادة قال: لو فعل هذا بقرآن قبل قرأتكم لفعل بقرأتكم. وقال آخرون: جواب لو مقدم وتقدير الكلام: وهم يكفرون بالرحمن ﴿وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سُورَةَ يٰٓأَحْيَآءِ﴾، كأنه قال: لو سيرت به الجبال ﴿أَوْ قُطِعَتْ يٰٓأَرْضُ﴾ أو كَلِمَ يٰٓمَوْتٍ لكنتفروا بالرحمن ولم يؤمنوا، لما سبق من علمنا فيهم، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَيْنَا إِلَهُمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْكُوفُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلۡمِزُونَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ثم قال: ﴿بَلۡ يَلۡوُا۟ يَلۡوُا۟ الْأَمۡرَ جَمِيعًا﴾، أي: في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿أَفَلَمۡ يَأۡتِصۡبِ الْذَرِيۡتِ ؕأَمۡرًا﴾.

قال أكثر المفسرين: معناه أفلم يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿أفلم يتبين الذين آمنوا﴾، وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم أنه لم يسمع أحداً

من العرب يقول بثست، بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمّر.

وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوا فيؤمنوا فنزل: ﴿أَفَلَمۡ يَأۡتِصۡبِ الْذَرِيۡتِ ؕأَمۡرًا﴾ يعني: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء، أي ألم يياسوا علماً، وكل من علم شيئاً يش من خلافه، يقول: ألم يشههم العلم، ﴿أَن لَّوۡ يَشَآءُ اللَّهُ لَهۡدَكَ النَّآسَ جَمِيعًا وَلَا يَرِآلَ إِلَٔيۡنَ كَفَرُوا۟ تَصِيبُهُمۡ يَمَآ صَعۡوًا﴾، من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةً﴾ أي: نازلة وبداية تفرعهم من أنواع البلاء، أحياناً بالجذب، وأحياناً بالسلب، وأحياناً بالقتل والأسر.

وقال ابن عباس: لراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله ﷺ يبعثهم إليهم، ﴿أَوْ تَحُلَّ﴾، يعني: السرية أو القارعة، ﴿قَرِيبًا مِّنۡ دَارِهِمۡ﴾.

وقيل: أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريباً من ديارهم، ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعَدُ اللَّهِ﴾، قيل: يوم القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخۡلِفُ ٱلۡوَعۡدَ﴾، وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلياً لنيه ﷺ.

﴿وَلَقَدۡ أَشۡهَرۡنَا رِٔسَالِنَا مِنۡ قَبۡلِكَ﴾، كما استهزؤوا بك، ﴿فَأَمَلِيتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أمهلتهم وأطلت لهم المدة، ومنه «المملون»: وهما الليل والنهار، ﴿ثُمَّ أَخَذۡنَاهُمۡ﴾ عاقبتهم في

الدنيا بالقتل وهي الآخرة بالنار، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، أي: عقابي لهم.

﴿أَفَمَنۡ هُوَ أَقۡبَرُ عَلَىٰ كُلِّ قَعۡبٍ مِّمَّا كَسَبَتِ﴾، أي: حافظها ورازقها، وعالم بها، ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف، تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَوۡمَهُمۡ﴾ يتنوا أسماءهم. وقيل: صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تبعيد؟ ﴿أَمْ تَتَّخِذُونَ﴾ أي: تخيرون الله تعالى: ﴿يَمَآ لَا يَلۡمُ فِى ٱلۡأَرْضِ﴾، فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا في الأرض إلهاً غيره، ﴿أَمْ يَظُنُّوۥا۟﴾ يعني: أم تتعلقون بظواهرها، ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ مستمعون وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزاثل من القول قال الشاعر:

وعبرني الواشون أني أحبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
أي: زائل، ﴿بَلۡ زَيۡنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكۡرَهُمۡ﴾، كيدهم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿وَصَدُّوۥا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: صرفوا عن الدين.

قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿وَصَدُّوۥا۟﴾ وفي حم المؤمن ﴿وَصَدُّوۥا۟﴾ بضم الصاد فيهما وقرأ الآخرون بالفتح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصَدُّوۥا۟ عَنِ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوۥا۟ عَنِ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٨٨]. ﴿وَمِنۡ يَضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾، بخذلانه إياه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ حَآوٍ﴾.

﴿لَمۡ يَكُنۡ فِي ٱلۡحَيۡوةِ ٱلۡدُنْيَا﴾، بالقتل والأسر، ﴿وَلَعَنَابِ ٱلۡآخِرَةِ﴾

إليك الحكم والدين عربياً، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب.

وقيل: نظم الآية كما أنزلت الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا عليك الكتاب حكماً عربياً. ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الملة. وقيل: في القبله، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْوَامٍ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَبٍ وَلَا وَاقٍ﴾، يعني: من ناصر ولا حافظ.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، روي أن اليهود. وقيل: إن المشركين قالوا إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسكرون، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، هذا جواب عبدالله بن أبي أمية.

ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه [ووقت يقع فيه وقيل لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه]. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه.

﴿٣٦﴾ ﴿بِمَسْحَرٍ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر، وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة: يمسحوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما

الكتب﴾ يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿وَمِنْ الْأَحْزَابِ﴾ يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، هذا قول مجاهد وقتادة.

وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في

التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسلمية الكذاب، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْكِرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦] ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] وإنما قال ﴿بَعْضَهُمْ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّمَا أُرْسِتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِتِيهِ أَدْعَاؤُا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾، أي: مرجعي.

﴿٣٧﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، يقول كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا

﴿٣٨﴾ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا لَيْسَ فِيهَا كُفْرٌ مِنَ النَّارِ﴾ وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُرْسِتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِتِيهِ أَدْعَاؤُا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْوَامٍ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَبٍ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٩﴾ يَمَسْحَرُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ مَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي يُودُّهُمْ أَوْ نُوَفِّقُكَ لِمَا نَشَاءُكَ الْبَلْعُ وَوَعَيْتَنَا الْحِسَابَ ﴿٤١﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا آتَيْنَا الْأَرْضَ نَقْضًا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٢﴾ وَوَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُونَ كَاتِبٌ كُلِّ نَفْسٍ وَسِعْمَةُ الْكُفْرِ لِمَنْ عَقِيَ النَّارُ ﴿٤٣﴾

أشقى، أشد، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [أي] مانع يمنعهم من العذاب.

﴿٣٥﴾ قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] أي: الصفة العليا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها.

وقيل: مثل «صلة» مجازها الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿وِظُلُمَاتُهَا﴾ أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿تَلْكَ عَقِي﴾ أي: عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: الجنة، ﴿وَعَقَى الْكُفْرِينَ النَّارُ﴾.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ﴾

يشاء منها فلا ينسخه .

وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة .

وروينا عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أم أنسى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص». وعن عمر وابن مسعود أنهما قالوا: يمحو السعادة والشقاوة أيضاً، ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء .

رُوي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الشقاوة فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. ومثله عن ابن مسعود .

وفي بعض الآثار: إن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام، والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمُد إلى ثلاثين سنة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن

أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهم في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت» .

وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب. مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول الضحاك والكلبي. وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله، فيموت وهو في طاعة الله عز وجل فهو الذي يثبت .

وقال الحسن: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ» أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله إلى يوم أجله .

وعن سعيد بن جبير قال: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها .

وقال عكرمة: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله

تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقال السدي: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ» يعني القمر «وَيُثَبِّتُ» يعني الشمس بيانه قوله تعالى: ﴿فَمَحَّوْنَا بِآيَةِ الْكَلْبِ وَحَمَلْنَا آيَةَ الْتَّارِ مَجْمُوعَةً﴾ [الإسراء: ١٢] وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد بقاءه موته محاه فأمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] الآية. «وَعِنْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ»، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير .

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء .

وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله تعالى لو حأ محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت، لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ» وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ ﴿١﴾ .

وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب؟ فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون .

﴿١﴾ ﴿وَإِنَّمَا تَرِيَّتَكَ بَعْضَ الَّذِي﴾، من العذاب قبل وفاتك، ﴿أَوْ تَرَوَيْتَكَ﴾، قبل ذلك، ﴿وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾، ليس عليك إلا ذلك، ﴿وَعَلَيْتَ الْإِسَابُ﴾، الجزاء يوم القيامة .

﴿وَاللَّهُ بِكُمْ لَاحِقٌ لَّا مُمْقِبَ لِكُمْبُوءٍ﴾، لا راد لقصائه ولا ناقض لحكمه، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿٤١﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، ﴿فَبَلَّغْنَا الْمَكْرَ جَمِيعًا﴾، أي: عند الله جزاء مكرهم.

وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعاً بيده الخير والشر وإليه النفع والضّر، أفلا يضر مكر أحد أحداً إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعْتُمُ الْكُفْرَ﴾.

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «الكافر» على التوحيد وقرأ الآخرون «الكفار» على الجمع. ﴿لَمَن عَفَىٰ أَلْدَارَ﴾ أي: عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُّرْسَلًا﴾ [أي لست رسولاً إلينا] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، إني رسوله إليكم ﴿وَمَن عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يريد مؤمني أهل الكتاب يشهدون أيضاً على ذلك.

قال قتادة: هو عبدالله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة.

وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿وَمَن عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل

وقال عطاء وجماعة: نقصانها موت العلماء. وذهب الفقهاء.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً

ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وقال الحسن: قال عبدالله بن مسعود: موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله.

وقال علي رضي الله عنه: إنما مثل الفقهاء كمثل الأكف إذا قطعت كف لم تعد. وقال سليمان: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس.

وقيل لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم.

سورة الرعد

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُّرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤١﴾

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَعَاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾

اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَأْفِكِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٣﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْسِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخْرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُحْذِرَ الْبَشَرَ إِذْ يَبْسُوتُ لَهُمْ قُيُوسًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَيَهْتَدُونَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَآمَنَ مِنْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَرِهْتُم بِآيَاتِنَا اللَّهُ إِنَّهُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٤٦﴾

﴿٤١﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ يعني: أهل مكة الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات، ﴿أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ نَقَضًا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقص من ديار الشرك، يقول: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ﴾ نقصدها ﴿نَقَضًا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فنفتحها لمحمد أرضاً بعد أرض حوالى أرضهم [وبلادهم]، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وقاتدة وجماعة.

وقال قوم: هو خراب الأرض معناه أولم يروا أنا نأى الأرض فتخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك؟

وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها. وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَحْسَنَكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُؤُمُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ① وَإِذْ قَالَتْ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ② وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ③ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ④ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑤ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑦ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑧ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑨ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ⑩

الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد، ﴿الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِثْلًا لِكُفْرِهِمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

① ﴿الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ﴾ يختارون، ﴿الْحَبْرَةَ الَّتِي تَأْتِي عَلَى الْأَخْرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: يمنعون الناس عن قبول دين الله، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يطلبونها زيغاً وميلاً، يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد.

وقيل: الهاء راجعة إلى

الدنيا، ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، أي: لجهة الحرام. ﴿أُولَئِكَ فِي سَكَلٍ بَعِيدٍ﴾.

② قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَأْتِيَنَّكَ قَوْمِهِ لِئُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، بلغتهم ليفهموا عنه [ما يليه إليهم] فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟ قيل: بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم، ثم بعث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل وترجمون لهم بالستهم، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

③ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْتَ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان بالدعوة، ﴿وَنَكَّرْتُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾، قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة: نعم الله.

يدل عليه قراءة عبدالله بن عباس، «ومن عنده» بكسر الميم والبدال [أي: من عند الله عز وجل].

وقرأ الحسن وسعيد بن جبير «ومن عنده» بكسر الميم والبدال [عَلَّمَ الْكُتُبَ] على الفعل المجهول، دليل هذه القراءة: ﴿وَعَلَّمْتَهُ مِنْ آدَمًا عَلِيمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وقوله: ﴿الزَّحْنَونَ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿﴾ [الرحمن: ١-٢].

سورة إبراهيم

مكية وهي إحدى وخمسون آية إلا آيتين من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] إلى قوله: ﴿فَأَذَىٰ مِيعَدَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

يَسُبُّوا اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ① ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، يا محمد يعني القرآن، ﴿يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، ﴿يُؤَيِّدُ رِبِّيَّهُمْ﴾، بأمر ربهم. وقيل: يعلم ربهم، ﴿إِلَّا يَصِرْطُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أي: إلى دينه و«العزيز» هو الغالب و«الحميد» هو المستحق للحمد.

② ﴿اللَّهُ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «اللَّهُ» بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعد.

وقرأ الآخرون بالخفض نعتاً للعزيز الحميد، وكان يعقوب إذا وصل خفض، وقال أبو عمرو:

وقال مقاتل: بوقائع الله [كما] في الأمم السالفة. يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، «الصبار»: الكثير الصبر، و«الشكور»: الكثير الشكر، وأراد: لكل مؤمن، لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين.

① ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَحْسَنَكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُؤُمُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، قال الفراء: العلة الجالبة لهذه الروايات أن الله تعالى أخبرهم أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التدبيح، وبالتدبيح، وحيث طرح الروايات في «يذبحون» و«يقتلون» أراد

يستوتونهم بذلك. وقيل: إن الأيدي بمعنى النعم معناه ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعماً في أفواههم أي: بأفواههم يعني بالاستتيم. ﴿وَقَالُوا﴾ يعني الأمم للرسول، ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لِي سِئَاتِي مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، موجب للريبة موقع للثمة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾، هذا استفهام بمعنى نفى ما اعتقدوه، ﴿فَأَطِيعُوا أَمْرَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالفهما، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: ذنوبكم و﴿مِنْ﴾ صلة، ﴿وَيُؤَيِّدُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا﴾، للرسول، ﴿إِن آتَيْنَاكُمْ مَا نَحْنُ بِرَسُولٍ أَلَّا نَبْرَأَ مِنَ الْإِنسَانِ﴾، في الصورة والجسم ولستم ملائكة وإنما، ﴿ثَرِيدُونَ﴾، يقولكم، ﴿أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا سُطُلَانًا مِّمَّيْنِ﴾، حجة بينة على صحة دعواكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، بالنسبة والحكمة ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد عرفنا أن لا ينالنا شيء إلا بقضائه وقدره، ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾، بين لنا الرشد وبيصرتنا طريق النجاة. ﴿وَلَنصَبِرَنَّ﴾، اللام لام القسم مجازة، والله لنصبرن، ﴿عَلَىٰ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ﴾، خبر الذين، ﴿مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني: من كان بعد قوم نوح و عاد و ثمود.

روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه [قرأ هذه الآية ثم قال] كذب النسابون.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم إلا الله تعالى.

وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم، وكذلك في حق النبي ﷺ لأنه لا يعلم أولئك الأبناء أحد إلا الله عز وجل. ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظاً كما قال: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَابِلَ مِنَ الْفَتِيلِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبتة. وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم، أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن استكثروا. وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ ﴿وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي بِلَدِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَشَأْكُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ وَلَا نَبْغِيكُمْ﴾ ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿مِن رَّبِّهِمْ جَهَنَّمَ وَتُسْفِنُ مِنْ مَّاءٍ صَٰدِرٍ﴾ ﴿يَنْجَرُّهُمُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُمْ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِيَّاعِينَ وَمِن رَّبِّهِمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ أُسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَلِيمُ﴾

تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، يتركوهن أحياء ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾، أي: أعلم، يقال: أذَّن وتأذَّن بمعنى واحد، مثل أوعد وتوعد، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمتي فأمنتم وأطعتم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ في النعمة.

وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود.

وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الشواب. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾، نعمتي فنجهدتموها ولم تشكروها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوحَّىٰ إِنْ تَكَفَّرُوا لِي مِن فِي الْأَرْضِ جِيعًا فَإِنَّكَ اللَّهُ لَغَفِيْرٌ حَمِيدٌ﴾، أي: غني عن خلقه، حميد محمود في أفعاله، لأنه فيها متفضل وعادل.

لَتُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
وَالْيَتِيمَ، يعنون، إلا أن ترجعوا، أو
حتى ترجعوا إلى ديننا، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَسَنُكِنُّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾
أي: [من] بعد هلاكهم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ
خَافَ مَقَابِلِي﴾ أي: خاف قيامه بين
يدي كما قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَانًا﴾ [الرحمن: ٤٦]، فأضاف
قيام العبد إلى نفسه.

كما تقول: ندمت على ضربك
أي على ضربي إياك، ﴿وَحَافٍ وَعَبِيدٍ﴾
أي عقابي.
﴿١٨﴾ قوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحِرُّ﴾ أي:
استنصروا.

قال ابن عباس ومقاتل: يعني
الأمم وذلك أنهم قالوا: اللهم إن
كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا،
نظيره قوله تعالى: ﴿وَرَأَى قَالُوا اللَّهُمَّ
إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾
[الأنفال: ٣٢].

وقال مجاهد وقتادة: واستفتحو
يعني الرسل وذلك أنهم لما يسوا من
إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على
قومهم بالعذاب، كما قال نوح عليه
السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
الْكَافِرِينَ دَيْبَارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال
موسى: ﴿رَبَّنَا أَلِّمْنَا عَلَى أُمَّوَالِهِمْ وَأَشْدِّدْ
عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ﴾ [يونس: ٨٨]، الآية.

﴿وَحَابٍ﴾، وخسر. وقيل: هلك،
﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ﴾ والجبار:
الذي لا يرى فوقه أحداً. والجبرية:
طلب العلو بما لا غاية وراءه. وهذا
الوصف لا يكون إلا لله عز وجل.
وقيل: الجبار: الذي يجبر الخلق

على مراده، والعنيد: المعاند للحق
ومجانبه. قاله مجاهد، وعن ابن
عباس: هو المعرض عن الحق.
وقال مقاتل: هو المتكبر.

وقال قتادة: العنيد الذي أبي أن
يقول لا إله إلا الله.

﴿١٩﴾ ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: أمامه
كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذُرِّيَّتُهُم مَائِكَ﴾
[الكهف: ٧٩] أي أمامهم. قال أبو
عبيدة: هو من الأضداد.

وقال الأخفش: هو كما يقال هذا
الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك،
وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه.

وقال مقاتل: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَهَنَّمَ﴾
أي بعده، ﴿وَسُقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾
أي: من ماء هو صديد وهو ما يسيل
من أبدان الكفار من القيح والدم.
وقال محمد بن كعب: ما يسيل من
فروج الزناة يسقاه الكافر.

﴿٢٠﴾ ﴿يَجْرَعُهُمْ﴾ أي: يشحساه
ويشربه لا بمرّة واحدة بل جرعة
جرعة لمرارته وحرارته، ﴿وَلَا
يَكَادُ يُسِيغُهُمْ﴾، ويكاد صلة أي
لا يسيغه، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْدُ
رِيحًا﴾ [النور: ٤٠] أي: لم يرها،
قال ابن عباس: لا يجيزه. وقيل:
معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي
في جوفه.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي
توبة: أنا محمد بن أحمد بن
الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب
الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا
إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا
عبدالله بن المبارك، عن صفوان بن
عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن
أبي أمامة رضي الله عنه عن

النبي ﷺ في قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ جَهَنَّمَ﴾
وَسُقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿يَجْرَعُهُمْ﴾،
قال: «يقرب إلى فيه فيتركه فإذا
أدنى منه شوي وجهه ووقعت فروة
رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى
يخرج من دبره»، يقول الله عز
وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ويقول:
﴿وَلَنْ يَسْتَيْسِرُوا بَعْقَاؤَ مِائِهِمْ كَالْمُهْلِ
يَتَوَرَّى الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ﴾، يعني: يجذهم الموت
والمه من كل مكان من أعضائه.

قال إبراهيم التيمي: حتى من
تحت كل شعرة من جسده.

وقيل: يأتيه الموت من قدامه
ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن
يمينه وعن شماله، ﴿وَمَا هُوَ
بِعَوِيذٍ﴾، فيستريح قال ابن جريج:
تعلق نفسه عند حنجرته ولا تخرج
من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها
من جوفه فتفتعه الحياة. نظيرها ﴿لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣]،
﴿زَمِنَ ذُرِّيَّتِهِ﴾، أمامه، ﴿عَذَابٌ
غَلِيظٌ﴾، شديد.

وقيل: العذاب الغليظ الخلود في
النار.

﴿٢١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
أَعْتَلَهُمْ﴾ يعني: مثل أعمال الذين
كفروا بربهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وَيُوهَبُهُمْ مَسُودَةً﴾ [الزمر: ٦٠].
أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله
مسودة، ﴿كَمَا أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي
يَوْمِ عَاصِفٍ﴾، وحسب اليوم

بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فردت الخزانة عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فردت الخزانة عليهم [قالوا]:

﴿كَادِعُوا وَمَا دَعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠] فلما يمشوا مما عند الخزانة نادوا ﴿يَعْنَيْكَ لَيْقُصْ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] سألو الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فلما أيسوا مما قبله قال بعضهم لبعض إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهللوا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم، فأجمعوا على الصبر، فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِبٍ﴾ أي: من منجاة. قال فقام إبليس عند ذلك فخطبهم.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكَمُ وَعَدَّ لِحَقِّي﴾ الآية، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا ﴿لَمَعَتْ لَنَا نَارٌ مِنْ أَسْفَلَ نَصْبَأُ بِأَيْدِينَا نَعْمَلُ الْإِيمَانَ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، قال فنادوا الثانية ﴿فَاتَّجَعْنَا نَمَلًا صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ فرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] الآيات، فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَاهُنَا وَإِنَّ فِتْنَةَ الرَّسُولِ كَبِيرٌ﴾ فرد

﴿وَالْحَقِّي﴾ أي: لهم يخلقهما باطلاً وإنما خلقهما لأمر عظيم، إن يسأ يسأ يذهبكم ويأت يخلق جديد، سواكم أطوع لله منكم.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة ولا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم.

قوله تعالى:

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي:

خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعاً،

﴿الضَّمَعَتُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلًا﴾، يعني القادة للمتبعين، ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَهْدًا﴾، أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِبٍ﴾، مهرب ولا منجاة.

قال مقاتل: يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم الجزع، ثم يقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، فحينئذ يقولون ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِبٍ﴾.

قال محمد بن كعب القرظي:

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلًا﴾، يعني القادة للمتبعين، ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا لَهْدًا﴾، أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِبٍ﴾، مهرب ولا منجاة.

بالعصوف، والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيها، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه في يوم عاصف الريح، فحفذ الريح لأنها قد ذكرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُونَ فِي ذَلِكَ الْقَوْمَ عَمَلُهُمْ﴾، يعني: الكفار ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾، في الدنيا، ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، في الآخرة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، قسراً حمزة والكسائي «خالق السموات والأرض» وفي سورة النور «خالق كل دابة» مضافاً، وقرأ الآخرون «خلق» على الماضي «والأرض» وكل بالنصب،

عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّن قَبِلَ مَا لَكُمْ مِنْ رِزَالِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٤] الآيات، ثم نادوا الرابعة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا مَدِينًا عَمَّا كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُنزِّلْ فِيهَا مَائِدًا مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا تَلْحَمُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠٥-١٠٨] فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم، فأقبل بعضهم على بعض ينفخ بعضهم في وجوه بعض وأطبقت عليهم النار.

﴿قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال مقاتل: يوضع له منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار بالأمة فيقول لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ﴾، فوفى لكم به، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

وقيل: يقول لهم قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ولاية.

وقيل: لم أتكم بحجة فيما دعوتكم إليه، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن ﴿دَعَوْتُكُمْ﴾

فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسِكُمْ﴾، بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾، بمغِيثِكُمْ، ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾، بمغِيثِي.

قرأ الأعمش وحمة «بمصرخي» بكسر الياء، وقرأ الآخرون بالنصب لأجل التضعيف، ومن كسر فلا لقاء الساكنين، حركت إلى الكسر لأن الياء أخت الكسرة، وأهل النجوم لم يرضوه، وقيل: إنه لغة بني يربوع. والأصل «بمصرخيني» فذهبت النون لأجل الإضافة، وأدغمت ياء الجماعة في ياء الإضافة ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كفرت بجعلكم إياي شريكاً في عبادته وتبرأت من ذلك، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، ثنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، أخبرني عبدالرحمن بن زياد، عن دخين الحجري، عن عقبه بن عامر - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة ذكر الحديث ثم قال: «يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبي الأمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي من أطيب ریح شمها أحد حتى أتى ربي عز وجل فيشفعني

ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظهر قدمي، ثم يقول الكفار: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فيقولون ما هو غير إبليس، هو الذي أضلنا، فيأتونه فيقولون له قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا، فيقوم فيثور من مجلسه أتت ریح شمها أحد، ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ﴾ الآية.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِيهَا يَأْتِيهِمْ تَغْيِيثُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، يسلم بعضهم على بعض، وتسلم الملائكة عليهم. وقيل: المجيبي بالسلام هو الله عز وجل.

﴿قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، ألم تعلم، والمثل قول سائر لتشبيه شيء بشيء. ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، هي قون: لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمر.

وقال طيبان عن ابن عباس: هي شجرة في الجنة، ﴿أصلها ثابت﴾، في الأرض، ﴿وروعها﴾، أعلاها، ﴿في السكك﴾، كذلك أصل هذه الكلمة: راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بها عرجت، فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿لِيَأْتِيَنَّكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَا يَصْلِحُ﴾ [فاطر: ١٠].

تشبه الإنسان في أنها لا تحمل إلا بالتلقيح ولأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام.

ولذلك قال النبي ﷺ: «أكرموا عمتكم» قيل: ومن عمتنا؟ [يا رسول الله] قال: «النخلة» وَيَتَّعِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ، وهي الشرك، ﴿كَنْجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، وهي الحنظل. وقيل: هي الثوم. وقيل: [هي] الكشوث وهي العشقة، ﴿أَجْتَنَّتْ﴾، يعني اقتلعت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِي الْأَخِرَةِ﴾، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل: في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر، وفي الآخرة عند البعث. والأول أصح.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الوليد، ثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، فذلك قوله

بل تصل إليه في كل وقت. والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان... لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقني، أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنبأنا عبدالله بن عمر

الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حُجر، ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا عبدالله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي؟» قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» قال عبدالله فذكرت ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب إلي من كذا وكذا.

وقيل الحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الأشجار أن النخلة [من دون سائر الأشجار] أشبه الأشجار بالإنسان من حيث أنها إذا قطع رأسها يبست وسائر الأشجار تشعب من جوانبها بعد قطع رؤوسها ولأنها

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَعَلُّوا قُلُوبَهُمْ دَارًا لِلرِّجَالِ ﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مِنْ مَخَرِّ الْقَرَارِ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾ قُلْ لِمَ دُعِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤْمِنُوا بِالْغَنَاءِ وَيُفْقَرُوا وَمَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَلَا غَلِيظًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَبِيعٍ فِيهِ وَلَا جِلْدٌ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِبُوا فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾، تعطى ثمرها، ﴿كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا﴾، والحين في اللغة هو الوقت، وقد اختلفوا في معناه هنا فقال مجاهد وعكرمة: الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر كل سنة.

وقال سعيد بن جبيرة وقتادة والحسن: ستة أشهر من وقت إطلاعها إلى صرامها. وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: أربعة أشهر من حين ظهورها إلى إدراكها.

وقال سعيد بن المسيب: شهران من حين تؤكل إلى الصرام.

وقال الربيع بن أنس: كل حين أي كل غدوة وعشية، لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاءً، إما تمراً أو رطباً أو بسرّاً، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً،

تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي﴾ قال: نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك فيقول ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي﴾ الآية.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عياش بن الوليد، ثنا عبد الأعلى، ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، أنه ملكان فيقعدانه، فيقولان [له] ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره - ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس،

فيقال له: لا دريت ولا تلبت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، ثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، ثنا عبد الله بن سعيد، ثنا أسد بن موسى، ثنا عنبة بن سعيد بن كثير، حدثني جدي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يسمع جسس النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين، ثم يجلس ويوضع كفه في عنقه ثم يسأل».

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قبر الميت أنه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان [له] ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً أو كافراً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتثم عليه، فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

وروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن وقال: «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيبثته الله عز وجل، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي، ثنا إبراهيم بن موسى الفراء أبو إسحاق، ثنا هشام بن يوسف ثنا عبد الله بن يحيى عن هانئ مولى عثمان عن عثمان قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل».

وقال عمرو بن العاص في سياق الموت وهو يبكي: فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتوني فسنوا علي التراب سناً ثم أقيموا

وَمَا أَنْتُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ مُتَمَوِّعُونَ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَسَمَ اللَّهُ
لَأَحْضِبُنَّهَا رَبُّكَ الْإِنْسَانَ لَطَلُّومٌ كَقَارٍ ﴿٢٨﴾ رِذَّ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٩﴾ رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
فَمَنْ يَتَّبِعِ فَإِنَّهُمْ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٠﴾
رَبَّنَا إِنِّي أَشْكْتُ مِنْ دُرَيْتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْحَرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَى الَّتِيْمِ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّرْعِ إِنَّ لَهُمْ شُكْرًا ﴿٣١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
عَلَى الْكِبَرِ إِسْتِغْوِيلًا وَإِسْحَاقَ وَإِنِّي لَسَمِيعٌ الْدَّاعِيَ ﴿٣٣﴾
رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاةَ ﴿٣٤﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣٦﴾

وقال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله. ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: البوار يوم بدر، قوله: ﴿بَدَلُوا بَيْتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] أي: غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعته الله منهم ﴿كَفَرُوا﴾ كَفَرُوا بِهِ ﴿وَأَحْلُوا﴾ أي: أنزلوا قومهم وممن تابعهم على كفرهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي: الهلاك، ثم بين دار البوار فقال.

﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها ﴿وَيُنْسَى الْقَرَارَ﴾، المستقر وعن علي كرم الله وجهه: الذين بدلوا نعمة الله كفراً هم كفار قريش نحروا يوم بدر.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أمية، أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

﴿وَمَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾، أمثالاً وليس لله تعالى ند، ﴿لِيُضِلُّوا﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وكذلك في الحج [٩] وفي سورة لقمان [٦] والزمر [٨] ﴿لِيُضِلُّوا﴾ وقرأ الآخرون بضم الياء على معنى ليضلوا الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ قُلُومٌ تَمْتَمُوا﴾، عيشوا في الدنيا، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُلُومٌ لِيَعْبُدُوا الَّذِينَ مَأْسُوا يُقِيمُوا﴾

حول قبري قدر ما ينحرج جזור ويقسم لحمه حتى أستانس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الْفَالِطِينَ﴾ أي: لا يهدي الله المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر ﴿وَيَقْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا بَيْتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] الآية.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا بَيْتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: هم والله كفار قريش.

الصَّلَاةَ، قال الفراء: هذا جزم على الجزاء، ﴿وَيُقْفَرُوا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾، مخاللة وصدقة، قرأ ابن كثير، وابن يعقوب: لا بيع فيه وخلال، بالنصب فيهما على النفي العام. وقرأ الباقون لا بيع ولا خلال، بالرفع والتنوين.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، بإذنه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾، ذلها لكم، تجرونها حيث شئتم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾، يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس دؤوبهما في طاعة الله عز وجل، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَلَّ وَالْقَهَارَ﴾، يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ مُتَمَوِّعُونَ﴾، يعني: أتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فحذف الشيء الثاني اكتفاءً بدلالة الكلام، على التبعيض.

وقيل: هو على التشكير نحو قولك: فلان يعلم كل شيء، وآتاه كل الناس، وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى: ﴿فَتَحَا عَلَىهَا أَيُّوبَ كُلِّي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقرأ الحسن ﴿بَيْنَ كُلِّي﴾ بالتنوين ﴿مَا﴾ على النفي يعني من كل ما لم تسأله، يعني: أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها،

﴿وَإِنْ تَسُدُّوا نَمَتَ اللَّهِ﴾، أي: نعم الله، ﴿لَا تَحْصُومُوا﴾، أي: لا تطيقوا عدوها ولا القيام بشكرها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، أي: ظالم لنفسه بالمعصية، كافر بربه عز وجل. في نعمته وقيل: الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه، والكافر: من يجهل منعمه.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾، يعني: الحرم، ﴿ءَايَاتًا﴾ ذا أمن يؤمن فيه، ﴿وَأَجْنِبْنِي﴾، أبعدني، ﴿وَرَبِّ أَنْ تَتَّخِذَ الْأَصْنَامَ﴾، يقال: جنبته الشيء وأجنبته جنباً وجنبته تجنبياً، واجتنبته اجتناباً بمعنى واحد. فإن قيل: قد كان إبراهيم معصوماً من عبادة الأصنام، فكيف يستقيم السؤال؟ وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟ قيل: الدعاء في حق إبراهيم لزيادة العصمة والثبوت، وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمناً من بنيه.

﴿٣٦﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي أُنذِرُكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني: ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكُفْرُ الْيُحَرِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخوفكم بأوليائه. وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأنهن سبب فيه، كما يقول القائل فتنتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة. ﴿فَمَنْ يَّعْبُدْ فَإِنَّمَا يَبُوءُ﴾، أي: من أهل ديني وملتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ﴾، قال السدي:

معناه ومن عصاني ثم تاب، وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك. وقيل: قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك.

﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن دُرِّيْحٍ﴾، أدخل «من» للتبويض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولدأ، ﴿وَبَوَّأَ عَيْرٍ ذِي زَرْعٍ﴾، وهو مكة؛ لأن مكة وإد بين جبلين، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن محمد، ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن أيوب السختياني وكثير ابن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبيرة قال: قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفل إبراهيم منطلقاً، فبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك

بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن دُرِّيْحٍ بَوَّأَ عَيْرٍ ذِي زَرْعٍ﴾، حتى بلغ ﴿بَشُورًا﴾، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلبط أو قال يتلوى، وانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها -، ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا، أو جعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تغرف من الماء في

مُهَيَّبُونَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيُّمُ الصَّدَائِقُ يُفْقَرُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آخِلٍ قَرِيبٍ يُجِيبُ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ أُولَٰمَ تَكْفُرُوا أَفَسْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ ذُرِّيٍّ أُولَٰمَ تَسْكَنُونَ فِي مَسَٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٣٩﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٠﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَائِفًا فِي دَعْوَاهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَرَبُّنَا لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٢﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٣﴾ سَرَابٍ مُّهِينٍ يَمُوتُ مِثْلَ نَجْمٍ يُفْجَرُ وَيُجْرَمُ النَّارُ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٥﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّهَا رُءُوسُ الْوَالِدِ وَرَبُّنَا لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٦﴾

وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وكان أتقنهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته. ذكرنا تلك القصة في سورة البقرة. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾، الأفئدة جمع الفؤاد ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾،

﴿٣٨﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾، أعطاني على كبر السن، ﴿إِسْتَيْبِلَ وَاسْتَحَقَّ إِنَّ رَبِّي لَسَيِّحُ الدُّعَاءِ﴾، قال ابن عباس: وُلد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة. وقال سعيد بن جبیر: بُشِّرَ إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة.

﴿٣٩﴾ ﴿رَبِّ اجْعَلْهُ مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، يعني: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَهُ﴾، أي عملي وعبادتي، سُمي العبادة دعاءً، وجاء في الحديث: «الدعاء مخ العبادة» وقيل: معناه استجب دعائي.

﴿٤١﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل قد قيل إن أمه أسلمت، وقيل: أراد إن أسلما وتابا، وقيل: قال ذلك قيل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة [١١٤]. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: واغفر للمؤمنين كلهم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، أي: يبدو ويظهر. وقيل: أراد يوم يقوم الناس للحساب، فاكتمى بذكر الحساب لكونه مفهوماً.

﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾. الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور [وفي] الآية تسلية للمظلوم وتهديداً للظالم، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيُوزِنَ تَشَخُّصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ﴾، أي لا تغمض من هول ما ترى في ذلك

تشتاق وتحن إليهم. قال السدي: معناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضوع، قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند. وقال سعيد بن جبیر: لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: «أفئدة من الناس» فهم المسلمون. ﴿وَأَرْزُقَهُمْ مِّنَ الشَّمْرَاتِ﴾، ما رزقت سكان القرب ذوات الماء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُحْفِي وَمَا نُؤْمِنُ﴾، من أمورنا. وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بوادٍ غير ذي زرع. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، قيل: هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله. وقال الأكثرون: يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

سقاها فكانت زرم عيناً معيناً». قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله، يبينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عاثفاً، فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء، ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريئاً أو جريئين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل

اليوم، وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها.

﴿٤٣﴾ ﴿مُهَطِّبِينَ﴾، قال قتادة: مسرعين. قال سعيد بن جبيرة: الإهطاع التسلان كعدو الذئب، قال مجاهد: مديمي النظر.

ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم، ﴿مُنْفِي رُؤُوسِهِمْ﴾، أي: رافعي رؤوسهم.

قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل بصره على ما بين يديه.

وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ هَوَاءً﴾، أي: خالية.

قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم، لا تخرج عن أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فالأفتدة هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من الخوف.

وقال الأخفش: جوفاء لا عقول لها. والعرب تسمي كل أجوف حاوٍ هواء. وقال سعيد بن جبيرة: وأفنتهم هواء أي: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، وحقيقته المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾، خوفهم، ﴿يَوْمَ﴾، أي: يوم، ﴿يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمْنَا﴾، أشركوا، ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾، أملنا، ﴿إِلَىٰ أَجْلِ قَرْيَةٍ﴾،

هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا، أي: ارجعنا إليها، ﴿يَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾، حلفتهم في دار الدنيا، ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾، عنها أي: لا تبعثون. وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

﴿٤٥﴾ ﴿وَسَكَّنتُمْ﴾، في الدنيا، ﴿فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بالكفر والعصيان، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. ﴿وَوَيْتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، ﴿وَوَصَّيْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾، أي: بينا مثلكم كمثلمهم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، أي: جزاء مكرهم، ﴿وَإِن كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾، قرأ علي وابن مسعود: ﴿وَإِن كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ بالذال، وقرأ العامة بالنون.

﴿لَتَزُولَ مِنهُ الْجِبَالُ﴾، قرأ العامة «لتزول» بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، معناه: وما كان مكرهم قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال.

وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي: «لتزول» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلاً يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد ﷺ.

قال قتادة: معناه وإن كان شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلِكَا﴾ [مريم: ٩٠ - ٩١].

ويحكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية: أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه، وذلك أنه قال: إن كان ما يقول إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أصعد السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتاً وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل، وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت، وجعل على رؤوسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور، وخلأها فطرن وصعدن طمعاً في اللحم حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء، فقال نمرود لصاحبه: افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربناها، ففتح الباب ونظر فقال: إن السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها؟ ففعل، فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوماً آخر، وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريدي؟ قال عكرمة: كان معي في التابوت غلام قد حمل معي القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخاً بدم سمكة فذقت نفسها من بحر في الهواء. وقيل: طائر أصابه السهم، فقال: كيف شغل إله السماء، قال: ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم، ففعل، فهبطت النسور بالتابوت، فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور، ففزعت وظنت أنه

قد حَدَّثَ حَدَّثَ حَدَّثَ من السماء، وأن الساعة قد قامت، فكادت تزول عن أماكنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَى كَأَن مَّكَرَهُم لَيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ وَرُسُلَهُ﴾، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسن الله مخلف رسله وعده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدثني أبو حازم [سلمة] بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرِصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ».

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن خالد هو ابن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبِزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّوْهَا الْجِبَارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّوْ أَحَدَكُمْ خَبِزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزَلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ».

وعن ابن مسعود في هذه الآية قال: تبديل الأرض بأرض كفضة

بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تبديل الأرض من فضة والسماء من ذهب.

وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير: تبديل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه.

وقيل: معنى التبديل جعل السموات جناناً وجعل الأرض نيراناً.

وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة أخرى، وهي تسيير جبالها، وطم أنهارها وتسوية أوديتها، وقلع أشجارها، وجعلها قاعاً صافصفاً، وتبديل السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار نجومها، وكونها مرة كالدهان، ومرة كالمهل.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر، عن داود وهو ابن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط».

وروي عن ثوبان أن حبراً من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبديل الأرض غير الأرض؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر».

وقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُوا﴾، خرجوا

من قبورهم، ﴿لِلَّهِ الرَّزِيقُ أَفْهَارُ﴾، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

﴿٤٩﴾ ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾، مشدودين بعضهم ببعض، ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾، في القيود والأغلال واحداً صفاً، وكل من شدته شداً وثيقاً فقد صدفته.

قال أبو عبيدة: صدف الرجل فهو مصفود وصفدته بالتشديد فهو مصفد.

وقيل: يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: ﴿أَحْسَبُ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَآذَنُوا لَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]، يعني: قرناءهم من الشياطين وقيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاً والقيود، ومنه قيل للجنبل قرن.

﴿٥٠﴾ ﴿سَرَّابَهُمْ﴾، أي: قُمْصِهِمْ، واحداً سربال. ﴿مَنْ قَطْرَانٌ﴾ هو ما تهنأ به الإبل، وقرأ عكرمة ويعقوب ﴿مَنْ قَطْرَانٍ﴾ على كلمتين منونتين، والقطر النحاس والصفير المذاب، والآن الذي انتهى حبره، قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتُونُ﴾ [الرحمن: ٤٤]. ﴿وَقَفَّتْ وَجُوهُهُمْ آتَاؤُنَ﴾، أي: تعلقوا.

﴿٥١﴾ ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، من خير وشر، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿هَذَا﴾، أي: هذا القرآن، ﴿بَلِّغْ﴾، أي: تبليغ وعظة، ﴿لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا﴾، وليخوفوا، ﴿بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَحِيدُ﴾، أي: ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله، ﴿وَلِيَذَكَّرُوا آلَاءِ اللَّهِ﴾، أي: ليتعظوا أولو العقول.

سورة الحجر

مكية وهي تسعة وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر﴾ قيل معناه أنا الله أرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب، ﴿وَقُرْآنٍ﴾ أي: وآيات قرآن، ﴿ثِيَابٍ﴾، أي: بين الحلال من الحرام والحق من الباطل، فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال ﴿وَقُرْآنٍ ثِيَابٍ﴾ وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض. وقيل: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب.

﴿رُبَّمَا﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها، وهما لغتان، ورُبُّ للتقليل وكم للتكثير، ورُبُّ تدخل على الاسم، وربما على الفعل، يقال: رب رجل جاعني، وربما جاعني رجل، وأدخل ما ههنا للفعل بعدها. ﴿يُودُّ﴾، يتمنى، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، واختلفوا في الحال التي يتمنى الكافر فيها الإسلام، قال الضحاك: حالية المعايينة. وقيل: يوم القيامة. والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

وروي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم

إسلامكم وأنتم معنا في النار، قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيغفر الله لهم بفضل رحمته، فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها، فيحتشد يود الذين كفروا لئلا كانوا مسلمين».

فإن قيل: كيف قال «ربما» وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟ قلنا: قد تذكر «ربما» للتكثير أو أراد أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم أحيانا.

﴿ذُرِّهِمْ﴾، يا محمد يعني الذين كفروا، ﴿يَأْكُلُوا﴾ في الدنيا، ﴿وَيَسْتَحْمُونَ﴾، من لذاتها ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾، يشغلهم، ﴿الْأَمْلَ﴾، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والبطاعة، ﴿فَسَوْفَ يَمْلَأُونَ﴾، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تهديد ووعد.

وقال بعض أهل العلم: ذرهم تهديد وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَمْلَأُونَ﴾، تهديد آخر، فمتى بهنأ العيش بين تهديدين. والآية نسختها آية القتال.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ﴾، أي: من أهل قرية، ﴿إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ، أي: أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتهم العذاب حتى يبلغوه ولا يتأخروا عنه.

﴿مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ ثِيَابٍ ﴿١﴾ وَمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذُرِّهِمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَحْمُونَ وَيَلْبَسُونَ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَمْلَأُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ أَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُزِّلَ الْمَلَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كُنَّا إِذَا نُنزِرُ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّنَا الَّذِي أَلْزَمْنَا لَهُ الْكُفْرَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْأَلُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَسَوْفَ عَلِمْتُمْ أَهْلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَهِمْنَا عَلَيْهِمْ يَا بَنِي آدَمَ فَطَوَّلْنَا فِيهِ يَعْزِرُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أُنثَى زَانِلٍ إِذْ حَمَلَ إِذْ حَمَلَ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

من صلة أي: ما تسبق أمة أجلها، ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب. وقيل: الأجل المضروب.

﴿وَقَالُوا﴾ يعني: مشركي مكة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، أي: القرآن، وأرادوا به محمدا ﷺ، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء.

﴿أَوْ مَا﴾، هـ ﴿يَأْتِيهَا بِالْمَلَكِ﴾، شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إنك نبي.

﴿مَا نُزِّلَ الْمَلَكُ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين «الملائكة» ونصب، وقرأ أبو بكر بالتاء وضمتها وفتح الزاي ويرفع «الملائكة»، وقرأ الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي ورفع

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَاتًا لِّلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾
 وَحَافِظَاتٍ لِّهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ۝ إِنَّمَا أَسْرَأُ السَّمَاءَ
 فَأَتَّبِعُهُ لِيَمَّاتٍ تُبَدِّلُهَا ۝ وَأَلْأَرْضُ مَدَدٌ ذَهَبٌ وَإِلْتِنَافٌ فِيهَا
 رُؤُوسٌ مِن بَاطِنِهَا ۝ مِن كُلِّ قَعْدٍ مَّوْرُودٌ ﴿١٨﴾ ۝ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْمٍ
 مَّعِيشًا وَمِنَ السَّمَاءِ لَمُوزِقِينَ ﴿١٩﴾ ۝ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا أَعَدْنَا
 خِزْيَانَهُ وَمَا تُرَاهُ إِلَّا أَيْدِي مَعْلُومِينَ ﴿٢٠﴾ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
 لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُعْذِرِينَ ﴿٢١﴾ ۝ وَإِنَّا لَنَنصِفُ ۝ وَتُبِّيتُ رَحْمَتُ الرَّزِيقُونَ ﴿٢٢﴾
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِن مَّنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِرِينَ ﴿٢٣﴾
 وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
 مِن صَلْصَلٍ مِن حَمَلٍ مُّسْتَوٍ ﴿٢٥﴾ ۝ وَرَبَّانًا عَلَّمْنَا مِنْ قَبْلُ ۝ إِنَّا
 السَّمُورُ ﴿٢٦﴾ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن
 صَلْصَلٍ مِن حَمَلٍ مُّسْتَوٍ ﴿٢٧﴾ ۝ إِذْ أَسْمَعُ رَوَّادِعَاتٍ يُؤْمِنُونَ
 رُوحِي فَفَعَلُوا لِمَ أُسْمِعِينَ ﴿٢٨﴾ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنَ آدَمَ ۝ فَكَفَرَ فَكُن مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٠﴾

الآيات [المائدة: ٦٧].

﴿١٦﴾ قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾،

أي: رسلاً، ﴿فِي شَيْخِ

الْأَوَّلِينَ﴾، أي: في الأمم

والقرون الماضية والشعبة

هم القوم المجتمعة المتفقة

كلمتهم على رأي واحد.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا أَكْفَرُوا بِهِ،

يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما فعلوا

بك ذكره تسلياً للنبي ﷺ.

﴿١٨﴾ ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاكُمْ

أَي: كما سلطنا الكفر

والتكذيب والاستهزاء

بالرسل في قلوب شيخ

الأولين كذلك نسلكه: ندخله، ﴿فِي

قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾، يعني مشركي مكة

قومك، وفيه رد على القدرية.

﴿١٩﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: لا

يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَدْ

خَلَقْتَ﴾، مضت، ﴿سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾،

أي: وقائع الله تعالى بالإهلاك فيمن

كذب الرسل من الأمم الخالية،

يخوف أهل مكة.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، يعني:

على الذين يقولون لو ما تأتينا

بالملائكة، ﴿بِأَيِّ مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ

يَعْرُضُونَ﴾ أي فظلت الملائكة

يعرجون فيها، وهم يرونها عياناً،

هذا قول الأكثرين. وقال الحسن:

معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه

أي: يصعدون. والاول أصح.

﴿٢١﴾ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾، سُدت،

﴿أَبْصَارُنَا﴾، قاله ابن عباس. وقال

الحسن: سُحِرَتْ وقال قتادة أخذت،

وقال الكلبي: عميت.

وقرأ ابن كثير «سُكِّرَتْ»

بالتخفيف، أي: حُبِسَتْ ومُنَعَتْ

النظر كما يسكر النهر لحبس الماء،

﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّشْهُورُونَ﴾، أي: عمل

فينا السحر فسحرنا محمد - ﷺ ..

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، والبروج هي

النجوم الكبار، مأخوذة من الظهور،

يقال: تبرجت المرأة إذا ظهرت،

وأراد بها: المنازل التي تنزلها

الشمس، والقمر، والكواكب

السيارة، وهي اثنا عشر برجاً:

الحمل، والثور، والجوزاء،

والسرطان، والأسد، والسنبلة،

والميزان، والعقرب، والقوس،

والجدى، والدلو، والحوت. وقال

عطية: هي قصور في السماء عليها

الحرس، ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾، أي: السماء

بالشمس والقمر والنجوم.

﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَحَافِظَاتٍ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

رَّجِيمٍ﴾، مرجوم. وقيل: ملعون،

قال ابن عباس: كانت الشياطين لا

يحجبون عن السموات وكانوا

يدخلونها، ويأتون بأخبارها فيلقون

على الكهنة ما سمعوا فلما ولد

عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث

سماوات، فلما ولد محمد ﷺ

منعوا من السموات أجمع، فما

منهم من أحد يريد استراق السمع

إلا رُمي بشهاب، فلما منعوا من

تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس،

فقال: لقد حدث في الأرض

حدث، قال: فبعثهم [ينظرون ما

الخبر] فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو

«الملائكة». ﴿إِلَّا يَأْتِيهِمْ﴾ أي:

بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة

لعجلوا بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا

مُظْهِرِينَ﴾ أي: مؤخرين وقد كان

الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً

فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم

لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار

الإمهال وعذبوا في الحال.

﴿١﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، يعني

القرآن، ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي:

نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا

فيه، أو ينقصوا منه، أو يبدلوا،

قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطُحُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]

والباطل: هو إبليس، لا يقدر أن يزيد

فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما

هو منه. وقيل: الهاء في ﴿لَهُ﴾

راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لمحمد

لحافظون ممن أراه بسوء كما قال

جل ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ

القرآن، فقالوا: هذا والله ما حدث. ﴿١٨﴾ «لَا مَن أَسْرَقَ السَّمْعَ»، لكن من استرق السمع، ﴿فَأَتَبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾، والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً، فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تخبله فيصير غولاً يضل الناس في البوادي.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا - بعضهم فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فخرقها وبدد بين أصابعه - فيسمع أحدهم الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها إلى الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد حدثنا ابن أبي مريم، ثنا الليث، ثنا ابن جعفر، عن محمد بن عبدالرحمن، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحي إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي ﷺ ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ، وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساساً لنبوته عليه السلام.

وقال يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق: إن أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف، وإنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج، وكان أهدى العرب، فقالوا له: ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهي - والله - طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها، وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الأمر أراد الله تعالى بهذا الخلق.

قال معمر قلت للزهري: أكان

يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرايت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِسْمَاعِيلَ﴾ [الجن: ٩] الآية؟ قال: غلظت وشدت أمرها حين بعث النبي ﷺ.

وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعثه - ﷺ - ولكن لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه. وقيل: إن النجم ينقض فيرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه، والله أعلم.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطانها على وجه الماء، يقال: إنها مسيرة خمسمائة عام في مثلها دحيت من تحت الكعبة. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جباًلاً ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال، ﴿وَأَلْبَسْنَا فِيهَا﴾، أي: في الأرض، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾، مقدر معلوم.

وقيل: يعني في الجبال، وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها، حتى الزرنبيخ والكحل كل ذلك يوزن وزناً. وقال ابن زيد: هي الأشياء التي توزن وزناً.

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيَشًا﴾، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس. وقيل: ما يعيش به آدمي في الدنيا، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾، أي: جعلنا فيها معاش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام، أي: جعلناها لكم وكفيناكم رزقها ﴿وَمَنْ﴾ في الآية بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿فَيُنْزِلُ مِنْ سَّمَاءٍ مَّن يَبْتِئُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النور: ٤٥]، وقيل: «من»

في موضعها؛ لأنه أراد الممالك مع الدواب. وقيل: «من» في محل خفض عطفًا على الكاف والميم في «لكم».

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: وما من شيء، ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، أي مفاتيح خزائنه. وقيل: أراد به المطر، ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، لكل أرض حد مقدر، ويقال: ما تنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها [إلى] حيث يريد الله عز وجل ويشاء، وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ الَّرِّيحِ لَوْحٍ﴾ أي: حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لائحة، يقال: ناقة لائحة إذا حملت الولد. قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمزر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر. وقال أبو عبيدة: أراد باللوائح الملايح واحدها ملقحة، لأنها تلتقح الأشجار، قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المباشرة فتقم الأرض قماً ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاماً، ثم يبعث اللوائح فتلقح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه والشمال تجمععه، والجنوب تدره، والديبور تفرقه، وفي الخبر: أن اللقح رياح الجنوب. وفي بعض الآثار: ما

هبت ريح الجنوب إلا وانبعثت عيناً غدقة. وأما الريح العقيم: فإنها تأتي بالعذاب ولا تلقح.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا من لا أتهم، ثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه، وقال: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً».

قال ابن عباس: في كتاب الله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]. وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ الَّرِّيحِ لَوْحٍ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال: ﴿رُيُسُ الرِّيحِ الَّرِّيحِ الَّتِي نَبِّئُوكَ﴾ [الروم: ٤٦]. ﴿فَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُفِّتْنَا بِهِمُ الكُوفَةَ﴾، أي: جعلنا المطر لكم سقياً، يقال: أسقى فلان فلاناً إذا جعل له سقياً: وسقاه: إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان لسقيه، فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ودوابه تقول: أسقيته. ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِمُعْذِرِينَ﴾، يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم، وقال سفيان: بمانعين.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، بأن نميت جميع الخلاق، فلا يبقى حي سوانا، والوارث من صفات الله عز وجل، قيل الباقي بعد فناء الخلق. وقيل: معناه أن مصير الخلق إليه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنْكُمْ﴾

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾، قال ابن عباس: أراد بالمستقيمين الأموات وبالمستأخرين الأحياء.

قال الشعبي: الأولين والآخرين، وقال عكرمة: المستقدمون من خلق الله، والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ. وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطون عنها. وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها.

وذلك أن النساء كن يخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال، فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال ليقرب من النساء، ومن النساء من كانت في قلبها ريبة فتتقدم إلى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال. فنزلت هذه الآية.

وقال النبي ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها». وقال الأوزاعي: أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره. وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال، وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، على ما علم منهم. وقيل: يميت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين.

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، أنا أبو سعيد الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا

قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَمْ اَكُنْ لَاسْجِدًا لِّبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَٰوٰتٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْثُوْرٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا اِنَّكَ رَجِيْمٌ ﴿٢٨﴾ وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَعْنَةَ اِيَّ يَوْمٍ اَلَّذِيْنَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ اَنْظِرْ لِيْ يَوْمَ يَمُوتُوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِيْنَ ﴿٣١﴾ اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ يَا اَعُوْبِيْ لِيْ اَرْضِيْنِ لَهْمٌ فِي الْاَرْضِ وَاَعُوْبِيْتَهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٣٣﴾ اِلَآ اَعْبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِيْنَ ﴿٣٤﴾ قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيْمٌ ﴿٣٥﴾ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَنْ اَتَمَّكَ مِنَ الْغٰيْبِيْنَ ﴿٣٦﴾ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْءُوْدَةٌ اَجْمَعِيْنَ ﴿٣٧﴾ لَهَا سَعَةٌ اَنْوَابٌ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُوْمٌ ﴿٣٨﴾ اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّٰتٍ وَعِيْنٌ ﴿٣٩﴾ اَسْأَلُوْهَا سِلْكًا يَوْمَئِذٍ ﴿٤٠﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُوْرِهِمْ مِنْ ذَّلٍّ اِخْرَجْنَا عَنْ شُرُوْبٍ مُّقْبِلِيْنَ ﴿٤١﴾ لَآ يَشْتَبُهٗمْ فِيْهَا نٰسٌ وَّمَا هُمْ بِمُسْتَعْرَبِيْنَ ﴿٤٢﴾ نِعْمَ عِبَادِيْ اِنَّ اَنَا الْعَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٤٣﴾ وَاَنْ عِبَادِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ ﴿٤٤﴾ وَبَيَّنَّاهُمْ عَنْ حَبِيْبِيْ اِبْرٰهِيْمَ ﴿٤٥﴾

الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. ﴿٢٦﴾ من آثار السموم، والسموم ربح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله. يقال: السموم بالنهار والحرور بالليل. وعن الكلبي عن أبي صالح: السموم نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب، فإذا أراد الله أن يحدث أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به، فالهدة التي تسمعون في

أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه».

﴿٢٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ﴾، يعني: آدم عليه السلام سمي إنساناً لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿٢٧﴾ «مِنْ صَلَٰوٰتٍ»، وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتاً. قال ابن عباس: هو الطين الحر الطيب، الذي إذا نضب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تقعقع. وقال مجاهد: هو الطين الممتن. واختاره الكسائي، وقال: هو مِنْ صَلِّ اللَّحْمِ وَأَصْلُ، إذا أنتن، ﴿٢٨﴾ «رَجِيْمٌ»، والحمأ: الطين الأسود، ﴿٢٩﴾ «مِنْ مَّسْثُوْرٍ»، أي: متغير. قال مجاهد وقتادة: هو الممتن المتغير. وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سنتت الماء إي صببته.

قال ابن عباس: هو التراب المبتل الممتن، جعل صلصلاً كالفخار. وفي بعض الآثار: إن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود، ثم خلق منه آدم عليه السلام.

﴿٢٧﴾ «وَلَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلُ»، قال ابن عباس: هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس خلق قبل آدم.

ويقال: الجن: أبو الجن وإبليس أبو الشياطين، وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون، ويموتون إذا مات إبليس.

وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة

خرق ذلك الحجاب. وقيل: نار السموم لهب النار. وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم.

وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم، وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنهم خلقوا من النور.

﴿٢٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَاِنَّ عَلَيْكَ رَنْكًا لِّمَلٰٓئِكَةٍ اِيَّيْ خَلِقُوْا بِشَرٰٓءٍ﴾، أي: سأخلق بشراً، ﴿٢٩﴾ «مِنْ مَّسْثُوْرٍ»، أي: متغير.

﴿٣٠﴾ «فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِيْنَ»، عدلت صورته، وأنمت خلقه، ﴿٣١﴾ «وَقَفَّحَتْ يَوْمَ يَوْمٍ رُجِيْمٌ»، فصار بشراً حياً، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان، أضاف الروح إلى نفسه تشريفاً، ﴿٣٢﴾ «فَقَعُوْا لَمْ يَسْجُدِيْنَ»، سجدوا تحية لا سجدوا عبادة.

﴿٣٣﴾ «فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ»، الذين

أمروا بالسجود، ﴿٣٤﴾ «كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ»، فإن قيل: لم قال ﴿كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ﴾ وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً، وذكر المبرد أن قوله: ﴿سَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله: ﴿اَجْمَعُونَ﴾.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: إن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة: اسجدوا لآدم، فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم قال لجماعة أخرى: اسجدوا لآدم، فسجدوا.

﴿٣٤﴾ «اِلَّا اِبْلِيسَ اِنَّهُ اَدْبٰٓءٌ مَّعَ السَّٰجِدِيْنَ».

﴿٣٥﴾ «قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ».

﴿٣٦﴾ «قَالَ لَمْ اَكُنْ لَاسْجِدًا لِّبَشَرٍ».

خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْئُورٍ، أراد
إني أفضل منه لأنه طينني وأنا ناري
والنار تأكل الطين.

﴿٣٤﴾ قَالَ فَاصْرُخْ فِيهَا أَي: من
الجنة ﴿إِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، طريد.

﴿٣٥﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِذْ بَوَّأَ
آذِينَ، قيل: إن أهل السموات
يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض
فهو ملعون في السماء والأرض.

﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ، أراد الخبيث أن لا
يموت.

﴿٣٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.

﴿٣٨﴾ إِذْ يَوْمَ أُلْقِيَ الْمَثُورِ،
أي: الوقت الذي يموت فيه الخلاق،
وهو النفخة الأولى. ويقال: إن مدة
موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين
النفختين، ويقال: إنه لم تكن
إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراماً
له، بل كانت زيادة في بلائه وشقائه.

﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُو تَارُوتَ بْنِ مَرْيَمَ،

أضللتني. وقيل: خيبتني من
رحمتك، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾،
حب الدنيا ومعاصيك، ﴿وَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾،
أي: لأضلنهم، ﴿أَجْمُوعِينَ﴾.

﴿٤٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
الْمُخْلِصِينَ، المؤمنين الذين اخلصوا
لك الطاعة والتوحيد، ومن فتح اللام
أي: من اخلصته بتوحيديك فهديته
واصطفيته.

﴿٤١﴾ قَالَ، الله تعالى، ﴿هَذَا
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾، قال الحسن:
معناه صراط [إلي] مستقيم وقال
مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى،
وعليه طريقه، لا يعوج عليه شيء.

وقال الأخفش: يعني عليّ الدلالة

على الصراط المستقيم. قال
الكسائي: هذا على التهديد والوعيد
كما يقول الرجل لمن يخاصمه:
طريقك عليّ، أي: لا تغلت مني،
كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ
لِيَالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. وقيل:
معناه على استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية، وقرأ ابن سيرين،
وقتادة، ويعقوب: «عليّ» من العلو
أي: رفيع، وعبر بعضهم عنه: رفيع
أن ينال مستقيم أن يمال.

﴿٤٢﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
شَأْنٌ، أي: قوة. قال أهل
المعاني: يعني على قلوبهم. وسئل
سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال:
معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم
في ذنب يضيّق عنه عفوي ومغفرتي.
وهؤلاء ثنية الله الذين هدامهم
واجتباهم. ﴿إِلَّا مَنْ أَمَّنَّكَ مِنَ
الْفَاوِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ،
يعني موعد إبليس ومن تبعه.

﴿٤٤﴾ هَلَّا سَمِعَتْهُ آذَانٌ، أطباق.
قال علي كرم الله وجهه: تدرّون
كيف أبواب النار هكذا ووضع إحدى
يديه على الأخرى، أي: سبعة أطباق
بعضها فوق بعض، وإن الله وضع
الجنان على العرض ووضع النيران
أطباق بعضها فوق بعض. قال ابن

جريج: النار سبع دركات أولها
جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم
السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم
الهاوية. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ
مَّقْسُومٌ﴾، أي: لكل دركة قوم
يسكنونها. وقال الضحاك: في

الدركة الأولى أهل التوحيد الذين
أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم
يخرجون، وفي الثانية النصارى،
وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة
الصابئون، وفي الخامسة المجوس،
وفي السادسة أهل الشرك، وفي
السابعة المنافقون، فذلك قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرَابِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وروي عن ابن عمر عن النبي
ﷺ: «ولجهنم سبعة أبواب باب منها
لمن سل السيف على أمّتي أو قال
على أمة محمد».

﴿٤٥﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي
جَهَنَّمَ وَعِشْوِينَ﴾، أي: في بساتين
وأنهار.

﴿٤٦﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، أي: يقال لهم
بسلامة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾، من الموت
والخروج والآفات.

﴿٤٧﴾ وَوَرَعْنَا، أخرجنا، ﴿مَا فِي
شُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾، هو الشحنة
والعداوة والحقد والحسد،
﴿إِخْوَانًا﴾، نصب على الحال، ﴿حَلَّ
سُرِيرٍ﴾ جمع سرير ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾،
يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد
منهم إلى قفا صاحبه. وفي بعض
الأخبار: إن المؤمن في الجنة إذا ودَّ
أن يلقى أخاه المؤمن سار سرير كل
واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان
ويتحدثان.

﴿٤٨﴾ لَا يَمَسُّهُمْ، لا يصيبهم،
﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾، أي: تعب [ومشقة]
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، هذه أنص
آية في القرآن على الخلود.

﴿٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا عِبَادَكَ﴾
إِنَّا أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ﴾، قال ابن عباس: يعني لمن تاب منهم.

وروي أن النبي ﷺ خرج يوماً على نفر من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «أنضحكون وبين أيديكم النار»، فنزل جبريل بهذه الآية وقال: «يقول لك ربك يا محمد لم تقط عبادي من رحمتي».

﴿٥٠﴾ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَكَادِبُ الْأَلِيمُ﴾.

قال قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه لبيع نفسه».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يياس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار».

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: عن أضيافه وهم الملائكة والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر

والمؤنث، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط.

﴿٥٢﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْنَا عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، قال ابن عباس: «سَلِّمْنَا عَلَيْكَ بِمُكَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، قال ابن عباس: «سَلِّمْنَا عَلَيْكَ بِمُكَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، قال ابن عباس: «سَلِّمْنَا عَلَيْكَ بِمُكَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

﴿٥٣﴾ ﴿قَالَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنِّي أَنبَأْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ﴾، قال ابن عباس: «سَلِّمْنَا عَلَيْكَ بِمُكَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، قال ابن عباس: «سَلِّمْنَا عَلَيْكَ بِمُكَلِّمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

﴿٥٤﴾ ﴿قَالَ ابْتَزَّمْتُمُونِي﴾ أي: بالولد ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّيْتُ الْكَبِيرَ﴾، أي: على حال الكبير، قاله على طريق التعجب، ﴿فَوَيْلٌ لِلْبَشَرِ﴾، فبأي شيء تبشرون؟ قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أي: تبشرون، وقرأ ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أي تبشرونني، ادغمت نون الجمع في نون الإضافة، وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها.

﴿٥٥﴾ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْظَالِمِينَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بكسر النون والآخرون بفتحها وهما لغتان قِنَطٌ يَقْنَطُ وَقِنَطٌ يَقْنَطُ أي: يياس، ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾، أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكروه.

﴿٥٧﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم، ﴿فَمَا

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْنَا عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنِّي أَنبَأْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنِّي أَنبَأْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾

خَطَبْتُمْ﴾، ما شأنكم، ﴿إِنِّي أَنبَأْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ اللَّهِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ نُجْرِيَّتٍ﴾، مشركين.

﴿٥٩﴾ ﴿إِلَّا مَا لُوطٌ﴾، أتباعه وأهل دينه، ﴿إِنَّا لَنَجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، خفف الجيم حمزة والكسائي وشدهه الباقون.

﴿٦٠﴾ ﴿إِلَّا أُمَّرَأَةً﴾، أي: امرأة لوط، ﴿فَدَّرْنَا﴾، قضينا، ﴿إِنِّي لَمِنَ الْمُتَنبِّئِينَ﴾، الباقيين في العذاب، والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهاككين، قرأ أبو بكر «قدردنا» ههنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال. والباقون بتشديدها.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ مَا لُوطٌ الْمُرْسَلُونَ﴾.

محمد ﷺ، وما أقسم الله تعالى
بِحياة أحد إلا بحياته.

﴿٧٦﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُثْرِقِينَ﴾،
أي: حين أضاعت الشمس، فكان
ابتداء العذاب حين أصبحوا وتمامه
حين أشرقوا.

﴿٧٧﴾ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّئِينَ﴾، قال ابن عباس:
للسناظرين. وقال مجاهد:
للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين.
وقال مقاتل: للمتفكرين.

﴿٧٩﴾ ﴿وَأَنبَأَهَا﴾ يعني قرى قوم
لوط، ﴿لَيْسَبِيلٍ مُّبِينٍ﴾، أي: بطريق
واضح، وقال مجاهد: بطريق معلم،
ليس بخفي ولا زائل.

﴿٨٠﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿وَلَإِن كَانَ﴾، وقد كان
﴿أَحْسَبُ الْآيَاتِ كَذِبًا﴾، الغيضة،
﴿ظُلَّالِينَ﴾، لكافرين، واللام
للتأكيد، وهم قوم شعيب عليه
السلام كانوا أصحاب غياض وشجر
ملتحف، وكانت عامة شجرهم الدوم،
وهو المقل.

﴿٨٢﴾ ﴿فَأَنقَضْنَا بِئِهِمْ﴾، بالعذاب،
وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة
أيام ثم بعث سحابة فالتجؤوا إليها
يلتمسون الروح، فبعث عليهم منها
ناراً فأحرقتهم، فذلك قوله تعالى:
﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَّوْمٍ أَلَّطَلَّةِ﴾ [الشعراء:
1189] ﴿وَأَنبَأْنَا﴾ يعني مدينتي قوم لوط
وأصحاب الأيكة ﴿لِيَأْمُرَ الْمُتَّبِعِينَ﴾،
لبطريق واضح مستبين.

هَذُولًا﴾، يدل عليه قراءة
عبدالله: «وقلنا له إن ذاب
هؤلاء» يعني أصلهم،
﴿مَقْطُوعٍ﴾، مستأصل،
﴿مُصْبِحِينَ﴾، إذا دخلوا في
الصبح.

﴿٨٣﴾ ﴿وَجَاءَ أَقْلُ
الْمَدِينَةِ﴾، يعني مدينة
سدوم، ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾،
بأضياف لوط أي: يبشر
بعضهم بعضاً طمعاً في
ركوب الفاحشة منهم.

﴿٨٤﴾ ﴿قَالَ﴾، لوط
لقومه، ﴿إِنَّ هَذُولًا
سَيِّئِينَ﴾، وحق على الرجل
إكرام ضيفه، ﴿فَلَا

تَفْضَحُونَ﴾، فيهم.
﴿٨٥﴾ ﴿وَأَلْقَا أَللَّهُ وَلَا تَحْزُونَ﴾، ولا
تُخْجَلُونَ.

﴿٨٦﴾ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَك عَن
الْمُنْكَرِ﴾، أي: ألم تنهك عن أن
تضيف أحداً من العالمين. وقيل:
ألم تنهك أن تدخل الغرباء بالمدينة،
فإننا نركب منهم الفاحشة.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالَ هَذُولًا بَنَانٍ﴾ أزوجهن
إياكم إن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا
الحرام، ﴿إِن كُنتُمْ قَبِيلِينَ﴾، ما
أمركم به. وقيل: أراد بالبنات نساء
قومه لأن النبي كالوالد لأمته.

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿أَمْرًا لِّي
مُحَمَّدُ أَي وَحْيَاتِكَ﴾، ﴿إِنَّمَا لِي
سَكْرِينٌ﴾، حيرتهم وضلالتهم،
﴿يَعْمَهُونَ﴾، يترددون، وقال قتادة:
يلعبون. روي عن أبي الجوزاء عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:
ما خلق الله نفساً أكرم عليه من

قَالَ هَذُولًا بَنَانٍ إِن كُنتُمْ قَبِيلِينَ ﴿٨٧﴾ أَمْرًا لِّي سَكْرِينٌ
يَعْمَهُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُثْرِقِينَ ﴿٨٩﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٩٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّئِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنبَأَهَا لَيْسَبِيلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِن كَانَ أَحْسَبُ الْآيَاتِ كَذِبًا لِّظَالِمِينَ ﴿٩٤﴾
فَأَنقَضْنَا بِئِهِمْ وَلِيَأْمُرَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحْسَبُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٩٦﴾ وَمَا أَنبَأْتَهُمْ مَا بَيْنَنَا وَكَانُوا ضَالِّينَ مَعْزِينَ
﴿٩٧﴾ وَكَانُوا يَسْتَحِزُّونَ مِنَ الْغِيَالِ يَوْمَ أُوتِيَ سِدْمًا ﴿٩٨﴾ فَأَخَذْتَهُمُ
الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٩٩﴾ مَا أَفْضَحُوا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١٠٠﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّمْعَ الْغَاطِلَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْمُخَلِّقُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ أَنبَأْتَكَ سَبْعَ مِائَةِ الثَّمَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ﴿١٠٣﴾ لَأَنبَأَنَّ عَيْنَكَ إِنْ مَا مَعْتَابَهُ أَرْضًا حَايَتْهُ
وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَانِحَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقُلْ لِي
أَنَا الضَّالُّ الْمُدْبِئُ ﴿١٠٥﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٧﴾ ﴿قَالَ﴾، لوط لهم، ﴿إِنَّمَا
قَوْمٌ شُكْرُونَ﴾ أي: أنا لا أعرّفكم.

﴿١٠٨﴾ ﴿قَالُوا بَلْ يَحْسَبُكَ بِمَا كَانُوا
فِيهِ يَمْعُرُونَ﴾، أي: يشكون في أنه
نازل بهم، وهو العذاب لأنه كان
يوعدهم بالعذاب فلا يصدقونه.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَأَنبَأْتَكَ بِالْحَقِّ﴾، باليقين.
وقيل: بالعذاب، ﴿وَأَنَا لَمَدْبُؤُونَ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿فَأَسْرِبْ بِأَعْيُنِكَ يَفْطَحُ مِّنَ الْغَيْبِ
وَأَتَّبِعْ أَذْيَبَهُمْ﴾ أي سر خلفهم، ﴿وَلَا
يَلْتَفِتُ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، حتى لا يرتاعوا
من العذاب إذا نزل بقومهم. وقيل:
جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من
آل لوط، ﴿وَأَمْشُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ﴾،

قال ابن عباس: يعني الشام. وقال
مقاتل: يعني زَعْر. وقيل: الأردن.

﴿١١١﴾ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾،
أي: فرغنا إلى آل لوط من ذلك
الامر، أي: أحكمنا الأمر الذي أمرنا
في قوم لوط، وأخبرناه ﴿أَنْتَ دَابِرٌ

لأن الله تعالى استثنأها وادخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم.

وقال أبو زيد البلخي: سميت مثاني لأنها تُثني أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني. وقيل: لأن أولها ثناء.

وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: إن السبع المثاني هي السبع الطوال، أولها سورة البقرة، وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلددي، أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد وعبدالله بن محمد بن مسلم قالا: أنبأنا هلال بن العلاء، ثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بن [أبي] كثير، عن شداد بن عبدالله، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني الميثين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفضل».

وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي النبي ﷺ السبع الطوال، وأعطي موسى ستاً فلما ألقى الألواح رفع ثنتان وبقي أربع. قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخير والشر والعبر والمخبر ثنيت فيها. وقال طائوس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: «اللَّهُ زَكَّىٰ أَحْسَنَ

وَرَكَّ السَّاعَةَ»، يعني: القيامة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿فَأَصْفَحْ وَاصْفَحْ الْجَبِيلَ﴾، فأعرض عنهم واعف عفواً حسناً نسختها آية القتال.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ لَمَلَأُكُمُ الْعِلْمَ﴾ بخلقه.

﴿وَلَقَدْ مَاءَنَّاكَ سِيبًا مِّنَ الْمُنَاقِبِ﴾، قال عمر وعلي: هي فاتحة الكتاب. وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبيرة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب، ثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، وعن ابن مسعود قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم: هو سائر القرآن، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها تُثني في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء.

كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين».

وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة، ومر بالمدينة، كل مرة معها سبعون ألف ملك.

وقال مجاهد: سميت مثاني

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَدِينِ﴾، وهي مدينة ثمود قوم صالح، وهي بين المدينة والشام، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، أراد صالحاً وحده.

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مَّا يَتَّبِعُونَ﴾، يعني: الناقة وولدها والبشر، فالآيات في الناقة، خروجهما من الصخرة، وكبيرها، وقرب ولادها، وغزارة لبنها، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُمِرِّينَ﴾.

﴿وَكَاذِبًا يَنفَحُونَ مِنَ الْجِبَالِ مِيثًا مَّائِينَ﴾، من الخراب ووقوع الجبل عليهم.

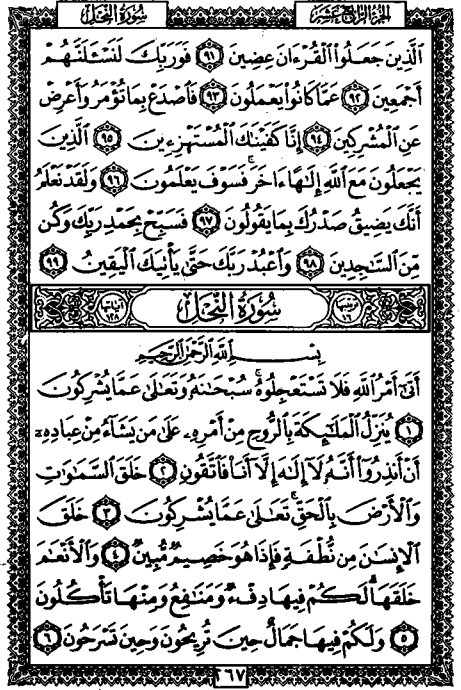
﴿فَأَخَذْتُمُ الْعَصِيَّةَ﴾، يعني: صيحة العذاب، ﴿مُصْحِحِينَ﴾، أي: داخلين في وقت الصبح.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الشرك والأعمال الخبيثة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، ثنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر عن الزهري، أنا سالم بن عبدالله، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه لما مر بالحجر قال «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، قال: وتفتح بردائه وهو على الرحل.

وقال عبدالرزاق عن معمر: «ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي».

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ



لِلْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا [الزمر: ٢٣]. وسمي القرآن مثنائي لأن الأنبياء والقصاص ثبتت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم. وقيل: الواو مقحمة، مجازة: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تَقْدَنَّ عَيْنَيْكَ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّ مَا مَنَعَنَا بِهِمْ أَرْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الكفار متمنياً لها، نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن العنزي ثنا عيسى بن

نصر، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنا جهم بن أوس، قال سمعت عبدالله بن أبي مريم - ومز به عبدالله بن رستم في موكبه، فقال لابن أبي مريم: إنني لأشتهي مجالستك وحديثك، فلما مضى قال ابن مريم: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «لا تغبن فاجراً بنعمته فإنك لا تدري ما هو لاق بعد موته، إن له عند الله قاتلاً لا يموت» قبل ذلك وهب بن منه فأرسل إليه

وهب أبا داود الأعمور، قال: يا أبا فلان ما قاتلاً لا يموت؟ قال ابن أبي مريم: النار.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري السرخسي، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، ثنا أبو الحسن بن إسحاق، ثنا إبراهيم بن عبدالله العبسي، أنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا. زوي أن سفيان بن عيينة - رحمه الله - تأول قول النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي: من لم يستغن

بالقرآن. فتأول هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي لين جناحك ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، وارفق بهم، والجناحان من ابن آدم جانباه.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْغَنِيُّ﴾

الغنيث. ﴿كَمَا أُنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال الفراء: مجازة أنذرهم عذاباً كعذاب المقتسمين، حكى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: هم اليهود والنصارى.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، جزؤوه: فجعلوه أعضاء فأمناو ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه. وقيل: «المقتسمون»: قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: شعر، وقال بعضهم: كذب. وقال بعضهم: أساطير الأولين.

وقيل: الاقتسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا: ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا أعقاب مكة وأطرافها وقعدوا على أنقابها، يقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا، وتقول طائفة منهم: إنه مجنون وطائفة: إنه كاهن وطائفة: إنه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكماً فإذا سئل عنه قال: صدق أولئك يعني المقتسمين.

قوله: ﴿عِضِينَ﴾ قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت

الشيء تعضية، إذا فرقته، ومعناه: أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل برة وبيرين وعزة وعزين، وأصلها: عضة ذهبت هاؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها: شفة، بدليل أنك تقول في التصغير شفيهة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان. وقيل: المراد بالعضين العضة، وهو السحر، يريد أنهم سمو القرآن سحراً.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾،

﴿عَمَّا كَانُوا يَمَلُّونَ﴾ في الدنيا قال محمد بن إسماعيل: قال عدة من أهل العلم: عن لا إله إلا الله. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الرحمن: ٣٩]، قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ اعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعمال وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الرحمن: ٣٩]، يعني: استعمالاً. وقوله: ﴿لَتَسْفِهَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: توبيخاً وتقريعاً. وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها، نظير ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنطَلِقُونَ﴾

[المرسلات: ٣٥]، وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

﴿قوله تعالى: ﴿فَأَسْبَغَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، قال ابن عباس: أظهره. ويروى عنه: امضه. وقال الضحاك: أعلم. وقال الأخفش: افرق، أي: افرق بالقرآن بين الحق والباطل. وقال سيبويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصدع الفصل، والفرق: أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. وروي عن عبد الله بن عبيدة [أن النبي ﷺ] كان مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، نسختها آية القتال.

﴿إِنَّا كُنَّا لَنَسْتَبِينَ﴾، يقول الله تعالى لتبنيه ﷺ: فاصدع بأمر الله ولا تخف أحداً غير الله عز وجل، فإن الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزين.

وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم والعاظ بن وائل السهمي والأسود بن عبدالمطلب بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى بن زمة، وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال: اللهم أعم بصره واثكله بولده، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس بن الطلالة فأتى جبريل النبي ﷺ، والمستهزون يطوفون بالبيت، فقام جبريل وقام النبي ﷺ إلى جنبه، فمزم به الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد كيف تجد هذا فقال: بشس

عبدالله، فقال: قد كفيته، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر برجل من خزاعة نبال يريش نبلاً له وعليه بردة يمانى وهو يجزر إزاره فتعلقت شظية من النبل بإزاره فمنعه الكبر أن يطأطأ رأسه، فمزلت تضرب ساقه، فخدشته، فمرض منها فمات. ومزم به العاص بن وائل فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «بشس عبدالله»، فأشار جبريل إلى أخصم رجله، وقال: قد كفيته فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعباً من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخصم رجله فقال: لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئاً وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه. ومزم به الأسود بن المطلب فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء» فأشار بيده إلى عينيه، وقال: قد كفيته، فعمي. وقال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك.

وفي رواية الكلبي: أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال غلامه: لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك، حتى مات، وهو يقول قتلتني رب محمد، ومزم به الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «بشس عبدالله على أنه ابن خالي»، فقال: قد كفيته، وأشار إلى

بطنه فاستسقى بطنه فمات حيناً.

وفي رواية للكلبى أنه خرج من أهله فأصابه السُّموم فاسود [جلده] حتى عاد حبشياً فأتى أهله فلم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب حتى مات، وهو يقول: قتلني رب محمد، ومز به الحارث بن قيس فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «عبد سوء» فأوماً إلى رأسه وقال: قد كفيته فامتخط قبحاً فقتله. وقال ابن عباس: إنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى أنقذ بطنه فمات، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، بك وبالقُرآن.

﴿٩٦﴾ ﴿الَّذِينَ يَمْلُؤُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَمْلُؤُونَ﴾ وقيل استهزأهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزأ هذا في سورة البقرة، وهذا في سورة النحل، وهذا في سورة العنكبوت.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَمَلَّأْنَاكَ بَعِيضُ مَدْرَكِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فسبح بحمد ربك، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، من المصلين المتواضعين، وقال الضحاك: «فسبح بحمد ربك» قل سبحان الله ويحمده «وكن من الساجدين»، يعني: من الصلّين. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

﴿٩٩﴾ ﴿وَأَعِدُّوا لَكُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أي الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم:

﴿وَأَرْسَلْنَا بِالضَّلَازِلِ وَالرِّكَازِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالحى، أنا عبدالله [بن] محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، ثنا أمية بن محمد الصوف البصري، ثنا محمد بن يحيى الأزدي، ثنا أبي والهيثم بن خارجة قالوا: ثنا إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أوحى الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، وابد ربك حتى يأتيك اليقين».

وروي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلّة شراها، أو شربت له، بمائتي درهم، فدعاه حبّ الله ورسوله إلى ما ترونه». والله أعلم.



سورة النحل

مكية مئة وثمان وعشرون آية إلا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عَاقِبْتُهُمْ فَأَيُّهَا يَمُنُّ مَا عُوِّبْتُهُ بِهِ﴾ إلى آخر السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾

﴿١﴾ ﴿أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا وَوَدَّعَاكَ وَوَدَّعَاكَ وَوَدَّعَاكَ﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعداً ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقوعاً، ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. وقال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً [مما تخوفنا به] فنزل قوله ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، فأشفقوا، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا وَوَدَّعَاكَ وَوَدَّعَاكَ وَوَدَّعَاكَ﴾، ورفع الناس رؤوسهم [إلى السماء] وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا. والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه.

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار بأصبعيه - وإن كادت لتسبقني».

قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشرط الساعة ولما مز جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة.

وقال قوم: المراد بالأمر ههنا: عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك

وَتَحْمِيلَ أَثْقَالِكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّيْسَ لَكُمْ فِيهَا مِنَّا شَيْءٌ
 الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالخَيْلَ وَالْإِبَالَ
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا زِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
 وَعَلَى اللَّهِ قَسْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
 شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبَشِّرُ لَكُمْ
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي أَيْلِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ مِنَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ
 سُجُورًا بِأَمْرِ رَبِّي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا إِنَّكُمْ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
 سَخَّرَ الْخَيْلَ لِكُمْ لِجَائِدَاتِكُمْ لِحِمَارِكُمْ وَفَسَخَّرَ لَكُمْ
 فِيهَا جَلِيلًا لِّتَسْوِيُوا بِهَا أَسْوَاقَ النَّاسِ وَلِيُحْضَرُوا
 مِنَهَا لِكُلِّ شَيْءٍ فَسَخَّرَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً
 لِّقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١٤﴾

حَلَقَهَا، يعني الإبل
 والبقر والغنم، ﴿لَكُمْ﴾
 فيها ذفء، يعني: من
 أوبارها وأشعارها
 وأصوافها ملابس ولحفاً
 تستدفئون بها،
 ﴿وَمَنْفَعٍ﴾، بالنسب والدر
 والركوب والحمل
 وغيرها، ﴿وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ﴾، يعني
 لحومها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا
 جَمَالٌ﴾، زينة، ﴿حِينَ
 تَرْحَلُونَ﴾، أي: حين
 تردونها بالعشي من
 مراعيها إلى مباركها التي

تأوي إليها، ﴿وَجِيءَ تَرْحَلُونَ﴾، أي:
 تخرجونها بالغداة من مراعيها إلى
 مسارحها، وقدم الرواح لأن المنافع
 تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها
 يكون أعجب بها إذا راحت.

﴿وَتَحْمِيلَ أَثْقَالِكُمْ﴾،
 أحمالكم، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾، آخر غير
 بلدكم. قال عكرمة: البلد مكة، ﴿لَّيْسَ
 لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ﴾، أي: بالمشقة والجهد. والشق:
 النصف أيضاً أي: لم تكونوا بالغيه
 إلا بنقصان قوة النفس وذهاب
 نصفها. وقرأ أبو جعفر «بشق» بفتح
 الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل.
 ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، بخلقه
 حيث جعل لكم هذه المنافع.

﴿وَالخَيْلَ﴾، يعني: وخلق
 الخيل، وهي اسم جنس لا واحد له
 من لفظه كالإبل والنساء، ﴿وَالْإِبَالَ
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا زِينَةً﴾، يعني:

فأمطر علينا حجارة من السماء،
 فاستعجل العذاب، فنزلت هذه
 الآية. وقتل النضر يوم بدر صبراً.
 ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،
 معناه تعظم بالأوصاف الحميدة عما
 يصفه به المشركون.

﴿يَزِيلُ السَّمَكَةَ﴾، قرأ العامة
 بضم الباء وكسر الزاي، ﴿السَّمَكَةَ﴾
 نصب. وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها
 وفتح الزاي و﴿السَّمَكَةَ﴾ رفع،
 ﴿يَزِيلُ السَّمَكَةَ بِالرَّحْمَةِ﴾ بالسوحي،
 سماه روحاً لأنه يحيى به القلوب
 والحق. قال عطاء: بالنبوة. وقال
 قتادة: بالرحمة. وقال أبو عبيدة:
 بالروح يعني مع الروح وهو جبريل.
 ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ
 أَنْزِلُوا﴾، أعلموا، ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وقيل: معناه مروهم
 بقول لا إله إلا الله منذرين مخوفين
 بالقرآن إن لم يقولوا. وقوله
 ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي: فخافون.

﴿حَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾
 بِالرَّحْمَةِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أي:
 ارتفع عما يشركون.

﴿حَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾
 فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ، جدل بالباطل،
 ﴿ثُمَّ يَنْزِلُ فِي أَبِي بَنِي خَلْفِ
 الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم
 رميم فقال [يا محمد]: اتقول إن الله
 تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم؟ كما
 قال جل ذكره ﴿وَمَرَّبْنَا لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
 حَلَقَتُمْ﴾ [يس: ٧٨] نزلت فيه أيضاً.
 والصحيح أن الآية عامة، وفيها بيان
 القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من
 جحد نعم الله مع ظهورها عليهم.
 ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ قوله تعالى:

وجعلها زينة لكم مع المنافع التي
 فيها. واحتج بهذه الآية من حرم
 لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس،
 وتلا هذه الآية، فقال: هذه
 للركوب، وإليه ذهب الحكم،
 ومالك، وأبو حنيفة، وذهب جماعة
 إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول
 الحسن، وشريح، وعطاء،
 وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي،
 وأحمد، وإسحاق، ومن أباحها
 قال: ليس المراد من الآية بيان
 التحليل والتحریم بل المراد منه
 تعريف الله عباده نعمه وتبهيهم على
 كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما.
 أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
 المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن
 حرب، ثنا حماد بن زيد عن عمرو -
 هو ابن دينار - عن محمد بن علي

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
 لَمَّا كُمْتُمْ تَسُدُونَ ﴿١٠﴾ وَعَلَّمْنَاهُ جَدْرًا وَأَنْبَعًا يَبْهَثُونَ ﴿١١﴾
 أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ
 نَعُدُّوهُ آيَةً إِنَّ اللَّهَ لَعَنُوهُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ تَنْتَظِرُونَ
 أَحْيَاءًا وَمَيِّتَةً أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ كَذِبٌ أُولِي
 الْعُقُبِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوقُهُمْ مُنكَّرَةٌ وَهُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا
 كَفَرُوا ﴿١٦﴾ لَأَجْرَمَ أَنْتُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا بَدَّلْتُمْ
 لَأَيْحُتِ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
 قَالُوا أَسْطُورٌ الْأُولِيَّةُ ﴿١٩﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
 سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَأَنَّ اللَّهَ بَدَّلَ كَيْدَهُمْ فِي الْأَوَّالِينَ فَحَزَّ عَلَيْهِمْ السَّعْفُ
 مِنْ قَوْفِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾

وفي النار لأهلها، مما لم
 تراه عين ولم تسمعه أذن
 ولا خطر على قلب بشر.
 وقال قتادة يعني: السوس
 في النباتات والدود في
 الفواكه.

٩ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ جَدْرًا﴾
 أي: علمناه طريق الهدى من
 الضلالة. وقيل: بيان
 الحق بالآيات والبراهين،
 والقصد: الصراط
 المستقيم. ﴿وَأَنْبَعًا يَبْهَثُونَ﴾
 يعني: ومن السبيل جانر
 عن الاستقامة معوج،
 فالقصد من السبيل دين

الإسلام، والجائر منها دين اليهودية،
 والنصرانية، وسائل ملل الكفر. قال
 جابر بن عبدالله: «قصد السبيل» بيان
 الشرائع والفرائض. وقال عبدالله بن
 المبارك وسهل بن عبدالله: قصد
 السبيل السنة. ومنها جائر الأهواء
 والبدع، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَالْبُحُورُ وَلَا تَكْفُرُوا
 فِي السُّبُلِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ﴿وَلَوْ سَئَأَ
 قَدْرُكُمْ أَهْمُومٌ﴾، نظيره قوله
 تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
 هَدًى﴾ [السجدة: ١٣].

١٠ قوله عز وجل: ﴿مَنْ الْأُولَى﴾
 أنزل من السماء ماء لكر بينه
 شراب، تشربونه، ﴿وَمَنْهُ
 شَجَرٌ﴾، أي: من ذلك الماء شراب
 أشجاركم، وحياة نباتكم، ﴿يَبُوءُ﴾
 يعني: في الشجر، ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾،
 ترعون مواشيكم.

١١ ﴿يَبْهَثُ لَكَ يَبُوءُ﴾ أي:

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى
 النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر
 ورخص في لحوم الخيل».

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن
 إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم
 حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو
 أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، ثنا
 الحسن بن الفرج، ثنا عمرو بن
 خالد، ثنا عبدالله بن عبدالكريم، عن
 عطاء بن أبي رباح، عن جابر، أنهم
 كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد
 رسول الله ﷺ، ونهى عن لحوم
 البغال والحمير.

روي عن المقدم بن معدي كرب
 عن خالد بن الوليد «أن
 رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم
 الخيل والبغال والحمير» وإسناده
 ضعيف.

١٢ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَحْسُرُونَ﴾، قيل:
 يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها،

ينبت الله لكم به، يعني بالماء الذي
 أنزل، إليكم وقرأ أبو بكر عن عاصم
 «نُتِبَتْ» بالنون. ﴿الزَّبْعُ وَالزَّبْرُونَ
 وَالنَّجِيلُ وَالْأَغْنَبُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾.

١٣ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾، ذلل لكم
 ﴿الْجِبَالَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ
 سَخَّرْتُمْ﴾، مذللات، ﴿بِأَمْرِهِ﴾
 أي: بإذنه وقرأ حفص عن عاصم
 ﴿الشُّجُومَ سَخَّرْتُمْ﴾ بالرفع على
 الابتداء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْتَبِرُونَ﴾.

١٤ ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾، خلق،
 ﴿لَكُمْ﴾، لأجلكم، أي: وسخر
 ما خلق لأجلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾،
 من الدواب والأشجار والشمار
 وغيرها، ﴿مَخْلُوقًا﴾، نصب على
 الحال، ﴿الَّذِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾، يعتبرون.

١٥ ﴿وَهُوَ الْأَوَّلَى سَخَّرَ الْبَحْرَ
 لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني:
 السمك، ﴿وَأَسْتَمْتُمْهَا مِنْهُ طَبْخًا
 تَلَسُّونَهَا﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان،
 ﴿وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَاجِرَ يَبُوءُ﴾،
 جوارى فيه. قال قتادة: مقبله ومدبرة
 وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل
 والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة.
 قال الحسن: ﴿مَوَاجِرَ﴾ أي:
 مملوءة. وقال الفراء والأخفش:
 شواق تشق الماء بجناحيها. قال
 مجاهد: تمخر السفن الرياح. وأصل
 المخر: الرفع والشق.

وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم
 البول فليستمخر الريح» أي: لينظر
 من أين مجراها وهبوبها، فليستدبرها
 حتى لا يرد عليه البول. وقال أبو

عبيدة: صوائخ، والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها، ﴿وَلَتَسْتَفْتُوا مِنْ قِطْلِهِمْ﴾ يعني: التجارة، ﴿وَأَمَّا كُمْ فَشَكَرْتُمْ﴾، إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

﴿١٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّيْتُمْ أَنْ يُشِيرُوا بِكُمُ أَيُّ نَجْمٍ يَكُونُ فِي يَدَيْهِمْ﴾ أي: لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: ميّد، قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: أن هذه غير مقرّة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة من خلقت الجبال، ﴿وَأَنْهَرْنَا مِنْ أَيْسَرِ الْجِبَالِ﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة، ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ﴾، إلى ما تريدون فلا تضلون عنه.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِمُعَظَّمِينَ﴾ يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: ههنا تم الكلام ثم ابتداء، ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَمًّا وَلَا قِبْرًا وَلَا أَمْوَالًا فِي السُّبُلِ﴾ قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات النجوم والجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به. قال السدي: أراد بالنجوم الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجدي، يهتدى بها إلى الطرق والقبلية. وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء، لتكون زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين. فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ يعني: الله تعالى، ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، يعني:

الأصنام، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿أَمْ تَأْتُونَ اللَّهَ بِعَبْرَةٍ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿أَمْ تَأْتُونَ اللَّهَ بِعَبْرَةٍ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَهُكُمْ اللَّهُ﴾﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿لَا جِنَّةَ﴾، حقاً ﴿أَنْتَ اللَّهُ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب ﴿بَدْعُونَ﴾ بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، أنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن سخته، أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري، ثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا شعبة، عن أبيان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن

قيس، عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

﴿٢٤﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها، إذا سأل الحاج: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكَ قَالُوا اسْتِطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم.

﴿٢٥﴾ ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾، ذنوب أنفسهم، ﴿كَايِلَةً﴾، وإنما ذكر الكمال لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئاً، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ومن أوزار الذين يؤمنونهم بغير علم، بغير حجة فيصدونهم عن الإيمان، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾، ما يحملون.

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة

الطرق عنه فيقولون: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون، ولو لم تلقه خير لك، فيقول السائل: إنا شر وقد

إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فآلقاه، فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث.

﴿٢٦﴾ فلذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ﴾ يعني: أنزل خيراً، ثم ابتداء فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، كرامة من الله.

قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر. وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، أي ولـدارُ الحال الآخرة، ﴿خَبَرٌ وَلَيْسَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾، قال الحسن: هي الدنيا؛ لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها.

﴿٢٧﴾ فقال: ﴿جَنَّتٌ وَعَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسُّهَا فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم. وقيل: معناه إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾، وقيل: معناه يبلغونهم سلام الله، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم،

وَأَنْذَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، من مأمنهم.

﴿٣٠﴾ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْزِيهِمْ﴾، يهينهم بالعذاب، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾، تخالفون المؤمنون فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع السنون من ﴿تُشْفِقُونَ﴾ على الإضافة، والآخرون بفتحها. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْآيَةَ﴾، وهم المؤمنون، ﴿إِنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى﴾، أي: ﴿الْيَوْمِ وَالْأَشْوَءِ﴾، أي:

العذاب، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. ﴿٣١﴾ ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه.

قرأ حمزة «يتوفاهم» بالياء وكذا ما بعده، ﴿ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾، بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿فَأَقْرَأُوا السُّورَةَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُورَةٍ﴾، شرك فقال لهم الملائكة، ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار بيد.

﴿٣٢﴾ ﴿فَادْخُلُوا﴾ أي: يقال لهم ادخلوا ﴿أَنْتَوْبَ حَتَمَ خَلِيلِكَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، عمن الإيمان، ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء سأل الذين قعدوا على

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ إِنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَقْرَأُوا السُّورَةَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُورَةٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ فَادْخُلُوا أَنْتَوْبَ حَتَمَ خَلِيلِكَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٢﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَيْسَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّةٌ وَعَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسُّهَا فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ إِذْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ أَنْ يَمُرُّ بِكَ كَذَلِكَ هَلْ يَلْعَبُ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ وَهُمْ ظَالِمَةٌ لَلَّهِ وَلَكِنْ مَكَاوَأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَظْلِمُونَ ﴿٣٥﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٦﴾

كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ﴾، وهو نمروذ بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع.

وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت رأسه في البحر، وخرّ عليهم الباقي وهم تحته، ولما سقط الصرح تبلبت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل.

وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ مِنَ الْفُؤَادِ﴾ أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ يعني: أعلى البيوت ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

يهدي الله من أضله .
وقيل: معناه لا يهتدي من
أضله الله، وقرأ الآخرون
بضم الياء وفتح الدال
يعني من أضله الله فلا
هادي له كما قال: «مَنْ
يُضِلَّ اللَّهُ فَكَلَّا هَادِي لَمْ
[الأعراف: ١٨٦]، «وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ» أي:
مانعين من العذاب.

﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اشْتَرُوا نَفْسَهُمْ
أَلَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَا مَبِئَاتُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
شَيْءٍ، يعني في البحيرة، والسائبة،
والوصيلة، والحام، فلولا أن الله
رضيها لنا لغير ذلك وهدانا إلى
غيرها، ﴿كَذَلِكَ قَوْلَ الَّذِينَ يَنْ
قَلِبَهُمْ فَهَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِغُ
الْمُبِينُ﴾، أي: ليس إليهم الهداية
وإنما إليهم التبليغ.

﴿٣٨﴾ وَقَلَّدَ بَعْثًا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
رَسُولًا، أي: كما بعثنا فيكم، ﴿أَنْ
أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وهو
معبود من دون الله، ﴿وَيَتَّبِعُوا مَن
هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداة الله إلى دينه،
﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾
أي: وجبت [عليه الضلالة] بالقضاء
السابق حتى مات على كفره،
﴿سَيَرُوا فِي الْأَرْضِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْفِرِينَ﴾، أي: سألك
أمرهم، وهو خراب منازلهم بالعذاب
والهلاك.

﴿٣٩﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَنْ هُدْيَتِهِمْ، يا
محمد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن
يُضِلُّ﴾، قرأ أهل الكوفة «يهدي»
بفتح الياء وكسر الدال أي: لا

سورة النحل

سورة النحل

﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اشْتَرُوا نَفْسَهُمْ
أَلَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
وَلَا مَبِئَاتُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
شَيْءٍ قَوْلَ الَّذِينَ يَنْقَلِبَهُمْ فَهَلَ عَلَى
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿٣٨﴾
وَقَلَّدَ بَعْثًا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ رَسُولًا
أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيَرُوا فِي الْأَرْضِ
فَاَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْفِرِينَ ﴿٣٩﴾ إِنْ
تَحَرَّضَ عَنْ هُدْيَتِهِمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَصِيرَةٍ ﴿٤٠﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ
بَلْ
وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لِيَمُنَّ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّهُمْ
كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ
إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
لَنَنُوتَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ
لِأَكْثَرِ كَاذِبِينَ ﴿٤٤﴾ يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٦﴾

١٧١

عبدني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه
إتاي أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا،
وأما شتمه إتاي أن يقول اتخذ الله
ولداً، وأنا الصمد، لم الذ، ولم
أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

﴿٤١﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، عذبوا
وأودوا في الله.

نزلت في بلال، وصهيب،
وخباب، وعمار، وعابس، وجبر،
وأبي جندل بن سهيل، أخذهم
المشركون بمكة فعذبوهم. وقال
قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم
أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم
حتى لحق منهم طائفة بالحبيشة ثم
بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها
لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً
من المؤمنين. ﴿لَنَنُوتَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
حَسَنَةً﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة.

﴿٤٢﴾ ﴿لِيَمُنَّ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ
فِيهِ﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما
يختلفون فيه، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾.
﴿٤٣﴾ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ
أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يقول الله
تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى لا
تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء
مما يحدث إنما نقول له: كن
فيكون.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي،
أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن
محشم الزيادي، أنا أبو بكر
محمد بن الحسين القطان، ثنا
أحمد بن يوسف السلمي، ثنا
عبدالرزاق، أنا معمر، عن همام بن
منبه، ثنا أبو هريرة قال: قال
رسول الله ﷺ: «قال الله: كذبني
عبدني، ولم يكن له ذلك، وشتمني

وحشمه، ويقال: هذه لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيرهم مثل ما أصابهم. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، حين لم يعجل بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قرأ حمزة والكلبي بالثناء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت ١٩ و ٦٧، والآخرون بالياء خبراً عن الذين

مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل، ﴿يَتَّقِيُوا﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء. والآخرون بالياء. ﴿ظَلَّلَهُ﴾، أي: تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله، فميلانها ودورانها: سجودها لله عز وجل.

ويقال للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء، أي: رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت. قوله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله.

وقال الكلبي: الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك، وكذلك إذا غابت، فإذا طلعت كان من قدامك، وإذا ارتفعت كان عن يمينك، ثم بعده كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك، فهذا

يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿بِالْيَسِينِ وَالزُّبُرِ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله ﴿بِالْيَسِينِ﴾ قيل: هي راجعة إلى قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾، والا بمعنى غير.

مجازه: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يُوحى إليهم ولم نبعث ملائكة.

وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يُوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مبيناً للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة، ﴿وَعَلَّمَهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾، عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره من الكفار، ﴿أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾، بالعذاب ﴿فِي تَقْلِيْبِهِمْ﴾، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ سابقين الله.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾، والتخوف: التنقيص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئاً بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه: إذا نقصه وأخذ ماله

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَسَاءَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِالْيَسِينِ وَالزُّبُرِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيْبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ يَتَّقِيُوا ظَلَمَوا ظُلْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرْبِهِمْ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يُوْمَرُونَ﴾ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ مِنْهُمُ اللَّهُ وَبِحَدِّ قَائِلِي فَاذْهَبُوا﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُتَذَكِّرِينَ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ وَاصِبًا أَقْبَرُ اللَّهُ نَفْسُونَ﴾ ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ تَعْمَقِهِمْ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَزَالِيَهُ يَتَحَرَّوْنَ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

روي أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية.

وقيل: معناه لنحسنن إليهم في الدنيا. وقيل: الحسننة في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿وَلَا تُجْزَى الْآخِرَةُ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في الله على ما نابهم، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً، ﴿فَتَسَاءَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،

بِالَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ فَتَنُوا أَفْسُوفَ قَلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَمْلِكُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ قُلُوبًا لَّعْنَتَانِ عَمَّا كُتِبَ
فَعَنُونِ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سَيِّئَاتٍ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُمْ بِالذَّلِيلِ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَرِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَزَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِمْ ابْتِغَاءً لِمَا يَكْفُرُونَ
أَتَرُدُّهُمْ فِي التَّرَابِ الْأَسَاةَ مَا يَخْتَكُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعْمَةِ وَلِلَّهِ الْأَعْيُنُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ رَدُّوهُنَّ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُهُمْ فَاتَرَاهُ عَيْنًا مِنْ دُونِهَا وَلَكِنْ
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَيَصِفُ السَّبِيحَةَ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ اللَّسَانَ لَاجِرًا كَأَنَّهُمْ
لَمْ يَتَارَكُوا أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ وَاللَّهُ لَقَدِ اسْرَتْنَا إِلَى الْاَسْرَمِينَ
قَبْلَكَ فَرَيْنَ لَمْ نَشِئْ لِنَ أَعْمَلْهُمْ فَهَوُوا لِيَوْمِ الْيَوْمِ وَلَكِنَّ
عَذَابَ الْاَلْمِ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها. وقيل: أراد: والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ بِمَنْ أُولُو رَيْبٍ مِّن قَوْلِهِمْ، كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا محمد بن [محمد بن]

تفيؤه وتقلبه وهو سجوده. وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله.

وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإن قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائل؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَظَلَّ سَمُورِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله: ﴿يُغْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ ولفظ «ما» واحد والشمائل: جمع يرجع إلى المعنى. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾، صاغرون.

﴿٥٦﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْتَجِدُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، إنما أخبر بما لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿مِن دَابَّوْهُ﴾، أراد من كل حيوان يدب.

ويقال: السجود: الطاعة، والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى: ﴿فَالنَّارُ أَقْبَىٰ عَلَىٰ طَائِفَتِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسُخِّرَتْ له. وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشريفاً ورفعاً لشأنهم.

وقيل: لخروجهم من الموصوفين

تَنَزَّلُوا إِلَى الْاَلْمِينَ اثْنِينَ إِثْمًا هُوَ إِلَهُ إِلَهُ رَجِدٍ فَإِنِّي قَاتِلُهُمْ.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلاَ الَّذِينَ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾، دائماً ثابتاً، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل، فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَعْبُدُ﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

﴿٥٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِكُمْ مِّنْ نَّمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، أي: وما يكن بكم من نعمة فمن الله، ﴿فَرُدُّوهُنَّ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُهُمْ فَاتَرَاهُ عَيْنًا مِنْ دُونِهَا وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: تأخرون، تصجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

﴿٥٨﴾ ﴿فَرُدُّوهُنَّ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُهُمْ فَاتَرَاهُ عَيْنًا مِنْ دُونِهَا وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: تأخرون، تصجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

﴿٥٩﴾ ﴿فَرُدُّوهُنَّ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُهُمْ فَاتَرَاهُ عَيْنًا مِنْ دُونِهَا وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وهذه اللام تُسمى

سمعان، ثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ثنا عبيد الله بن موسى العبسي، ثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تثنط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك يُمجد الله، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفُرُشَاتِ، ولصعدتم إلى الصعدت تجارون»، قال أبو ذر: «يا ليتني كنت شجرة تعضد». رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن أبي أحمد الزبيري، عن إسرائيل وقال: «الإمام واضح جبهته ساجداً لله».

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَقَدِ اسْرَتْنَا إِلَى الْاَسْرَمِينَ قَبْلَكَ فَرَيْنَ لَمْ نَشِئْ لِنَ أَعْمَلْهُمْ فَهَوُوا لِيَوْمِ الْيَوْمِ وَلَكِنَّ عَذَابَ الْاَلْمِ﴾، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿فَتَتَّبِعُوا﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لَنَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، له حقاً أي: الأصنام، ﴿تَهْيِئًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، من الأموال، وهو ما جعلوا للأوثان من حرثهم وأنعامهم، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿تَاللَّهِ لَنَشْتَأَنَّ﴾، يوم القيامة، ﴿عَمَّا كُتِبَ قَٰرُونَ﴾، في الدنيا.

﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى. ﴿سَبَّحْتَهُنَّ وَلَهُنَّ مَا يَشْتَهُونَ﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فتكون «ما» في محل نصب، ويجوز أن يكون على الابتداء فتكون «ما» في محل الرفع.

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا بَيَّرَ بِأَعْيُنِهِمْ ظُلَّ وَجْهَهُمْ مُّسَوِّدًا﴾، متغيراً من الغم والكراهية، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلىء حزناً وغيظاً، فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

﴿٥٩﴾ ﴿يَتَوَزَّى﴾، أي: يختفي، ﴿مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُيِّرَ بِهِ﴾، من الحزن والعار، ثم يتفكر ﴿أَيْمِسِكُمْ﴾، ذكر الكناية رداً على «ما» ﴿عَلَى هُرْبٍ﴾ أي: هـوان، ﴿أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾، أي: يخفيه منه فيئده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميمًا كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفاً من الفقر

عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها، تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئر في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: «انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَيْمِسِكُمْ عَلَى هُرْبٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾ وكان صعصعة عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجهه إلى والد البنت إبلاً يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به:

وعمي الذي منع الوائدات
فأحيا الوثيد فلم تؤاد
﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بشس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: ﴿الْكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِكُمْ عَدَاوَةً﴾ [النجم: ٢١]، وقيل: بشس حكمهم وأد البنات.

﴿٦٠﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون الله البنات ولأنفسهم البنين ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الإناث وقتلهن خوف الفقر، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن

عباس: «مثل السوء» النار، و«المثل الأعلى» شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يَوَٰعِزُّ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿فَمَا تَرَكَ عَلَيْنَا﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿مِنَ ذَاكَ﴾، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك في زمن نوح، فأهلك من على الأرض، إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام. روي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بشس ما قلت: إن الحبارى تموت في وكراها بظلم الظالم. وقال ابن مسعود: إن الجعل لتعذب في جحرها بذنب ابن آدم. وقيل: إن معنى الآية لو يؤخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق في الأرض أحد. ﴿وَلَكِنْ يُوَجِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿مُسْتَعْتَبٍ﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾.

﴿٦٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿وَصَيْفٌ﴾، أي: تقول، ﴿أَلَسِنْتَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْقِسْمُ﴾، يعني البنين محل «إن» نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسنى: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقاً بالوعد في البعث. ﴿لَا جَزْمَ﴾، حقاً. قال ابن عباس: بلى، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾، ففي الآخرة، ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، قرأ نافع بكسر الراء أي:

مسرفون، وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: مبعدون وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلى النار. قال الفراء: مقدّمون إلى النار.

ومنه قوله ﷺ: «أنا قرطكم على الحوض» أي: متقدمكم.

﴿١٦﴾ «تَاللّٰهِ لَآءَدَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿١﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿٢﴾ قُرَيْشًا لَّهُمْ الشَّيْطَانُ أَخْلَاهُمْ ﴿٣﴾، الخبيشة، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾، ناصرهم، ﴿الْيَوْمَ﴾، وقرينهم، سماه ولياً لهم، لطاعتهم إياه، ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ الْآلِمِ﴾، في الآخرة.

﴿١٧﴾ «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿١﴾، من الدين والأحكام، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ﴾.

﴿١٨﴾ «وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿١﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَنبَأَ بِهِ الْأَرْضَ﴾، بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، بيبوستها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سمع القلوب لا سمع الأذان.

﴿١٩﴾ «وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴿١﴾، لعظة، ﴿شَتِيرَةً﴾، بفتح النون ههنا وفي المؤمنين [٢١]، قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان. ﴿بِمَا فِي بُطُونِهِ﴾، قال الفراء: رد الكناية إلى

التَّعْمِ، والتَّعْمِ والأنعام واحد، ولفظ التعم مذكر، قال أبو عبيدة والأخفش: التعم يذكر ويؤنث، فمن أنث فلمعنى الجمع، ومن ذكر فلحکم اللفظ. قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج. الكناية مردودة إلى البعض والجزء، كأنه قال: نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس لكلها لبن، واللبن فيه مضمّر، ﴿وَبَيْنَ بَيْنِ قَرْيَتَيْنِ﴾، وهو ما في الكرش من الثقل، فإذا خرج منه لا يُسمى قرناً،

﴿وَدَرٍ لِّبَنَاتِهَا﴾، من الدم والفرت، ليس عليه لون دم ولا رائحة فرت، ﴿مَائِهَا لِلشَّارِبِينَ﴾، هنيئاً يجري على السهولة في الحلق. وقيل: إنه لم يغص أحد باللبن قط. قال ابن عباس: إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسلفه قرناً، وأوسطه اللبن، وأعلاه الدم، والكبد مسلطة عليها تقسمها، بتقدير الله تعالى، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع ويبقى الفرت كما هو.

﴿٢٠﴾ «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ﴿١﴾، يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿تَنخِذُونَ مِنْهُ﴾، والكناية في ﴿مِنْهُ﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، قال قوم: «السكر» الخمر، والرزق «الحسن» الخل، والزبيب

سورة النحل

سورة النحل

﴿١﴾ «وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأَ بِهِ الْأَرْضَ بِعَدْمَتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ وَإِنَّ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرَ بِهَا ﴿٢﴾، ﴿فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْيَتَيْنِ وَمِنْ بَنَاتِهَا لِمَا سَابَغَ اللَّشْدِيرَ ﴿٣﴾، ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ النَّخْلِ أَنْ اطَّيَّرْ مِنْ أَلْحَابِ يَوْمَآ وَرَمِ السَّجْرَ وَمِمَّا يَرْمِشُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ مَكَّنَّا لَهُ مِنَ الشَّجَرِ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ الَّذِي فَضَّلْنَا لَكَ فِيهِ الرِّزْقَ وَمِمَّا يَصْرِفُونَ ﴿٦﴾ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُرْسِلُ الرِّزْقَ فَتَأْكُلُونَ ﴿٧﴾ وَاللّٰهُ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ السَّمَاءَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ فَذُرِّيَّتًا لِّكُلِّ لُحْيَةٍ لَّا يَعْزِمُ الْعُدَّيْنِ بِمَا عَصَيْنَا إِنْ لَمْ نُطِيقَنَّ الْفِتْرَةَ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَمَا أَلَيْسَ فَضْلًا بَرًّا بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَهَمَزِيهٍ سَوَاءٌ أَوْ فَرِحْتُمْ أَوْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَجَّلَ لَكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَيْنَ وَرَثَتِكُمْ مَنْ أَرَادَ الْأَقْرَبَ مِنَ الْأَقْرَبِ لِيُطِيقَنَّ الْفِتْرَةَ عَلَيْهِمْ يُكْفُرُونَ ﴿١١﴾

٢٧٤

والتمر والرُّبِّ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود، وابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول النبيذ ومن حرمه يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿تَنخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ منسوخ، وروي عن ابن عباس قال: السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل. وقال أبو عبيدة: السكر الطعام يقال هذا سكر لك أي: طعام، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَرْسَىٰ رُكْبَهُ إِلَى الْفَلَكِ﴾، أي: ألهمها وقذف في أنفسها، ففهمته، والنحل: زنابير العسل واحدها نحلة. ﴿إِنَّ أَلْيَدَ مِنَ الْيَدِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ يَوْمًا يَعْرِشُونَ﴾، يبنون، وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهي تآوي إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

﴿فَمَنْ كَفَىٰ مِنْ كُلِّ الْأَشْرَارِ﴾، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. ﴿عَسَلَكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذللة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة متقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، ﴿بِحُجُوجٍ مِنْ بَطُونِهَا شَرِبَتْ﴾، يعني: العسل ﴿تَحْتَلِفُ أَلْوَانُهُ﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: في العسل. وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن مثنى، أنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً»، فسقاه ثم جاء فقال: إني

سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: «اسقه عسلاً»، قال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً»، فسقاه فبرأ.

وقال عبدالله بن مسعود: العسلُ شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور. وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيعتبرون.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾، صبياناً أو شباناً أو كهولاً، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْزُقُ إِيَّكَ تَزْوِجَ الْوَعْدِ﴾، أردته، قال مقاتل: يعني الهرم. وقال قتادة: أرذل العمر تسعون سنة. روي عن علي قال: أرذل العمر خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة. ﴿لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا هارون بن موسى أبو عبدالله الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، بسط على واحد وضيق

على آخر وقلل وكثر. ﴿فَمَا آتَيْتُمْ فَخِلًا يُرَادِي يَرْفَعُهُمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من العبيد، ﴿فَهَمَّ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك، يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم وماليكم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله أفتعدلون بالله خلقه وعبياده ﴿فَأَيُّ عَمَلٍ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، بالإشراك به، وقرأ أبو بكر بالنساء لقوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، والآخرون بالياء لقوله: ﴿فَهَمَّ فِيهِ سَوَاءٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يعني: النساء، خلق من آدم زوجته حواء، وقيل: «من أنفسكم» أي: من جنسكم أزواجاً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ﴾، قال ابن مسعود والنخعي: الحدفة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضاً أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات، تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة، والحسن، والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أعانك فقد حقدك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل، الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مَهْنَةٌ يمتنونهم ويخدمونكم من أولادكم. وقال الكلبي ومقاتل: «البنين»

الصغار والحفدة». كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله. وروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: أنهم ولد الولد. وروى العوفي عنه: أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، من النعم والحلال، ﴿أَفَأَبْطِلُ﴾، يعني الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَتَعَبَّ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، يعني التوحيد والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة، والسائبة، و«بنعمة الله» أي: بما أحل الله لهم يكفرون يجحدون تحليله.

﴿٧٦﴾ وَيَسْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ، يعني المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعني النبات، ﴿شَيْئًا﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق، معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً. وقال الفراء نصب «شيئاً» بوقوع الرزق عليه، أي لا يرزق شيئاً، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ولا يقدرُونَ على شيء، يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر.

﴿٧٧﴾ فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ، يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شركاء فإنه واحد لا مثل له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم ضرب [الله] مثلاً للمؤمن الكافر، فقال جل ذكره.

﴿٧٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيراً، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، هذا مثل

المؤمن أعطاه الله مالا، فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضا الله سرًّا وجهرًا، فأتاه الله عليه الجنة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل هل يستويان لمكان «من» وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالجمع لأجل «ما». معناه هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع. وروى ابن جرير عن عطاء في قوله تعالى:

﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾، أي: أبو جهل بن هشام.

﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ثم قال: ﴿الْمَعْدِلُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يقول ليس الأمر كما يقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه، إنما الحمد الكامل لله عز وجل، لأنه المنعم [المتفضل] والخالق والرازق، (ولكن أكثر [الناس]): الكفار (لا يعلمون) ثم ضرب [الله] مثلاً للأصنام فقال:

﴿٧٩﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَانِهِ، كل ثقل ووبال ﴿عَلَى مَوْلَانِهِ﴾ ابن عمه وأهل ولايته، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ﴾، يرسله، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، هذا مثل

سورة النحل

سورة النحل

وَيَسْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَانِهِ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ عَشِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ حِكْمًا مِنْ بَطْنِ أُمِّهِتِكُمْ لَتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ اللَّهُ يَرْزُقُ إِلَى الطَّيْرِ مُسْحَرَاتٍ فِ جَوْ السَّمَاءِ مَا يَتَسَكَّنُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهُ فِي ذَلِكَ لَا يَدْبُرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾

٧٧٥

الأصنام، لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَانِهِ﴾ عابده، يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، يعني: الله فإنه قادر، متكلم، يأمر بالتوحيد، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال الكلبي: يعني يدلكم على صراط مستقيم. وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

وقيل: كلا المثلين للمؤمن والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس. وقال عطاء: الأبيكم: أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ.

وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه، كان عثمان ينفق عليه،

الإبل والغنم والعييد والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، «ومتاعاً»، بلاغاً ينتفعون بها، «إلى حين» يعني الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ (٧٧) «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ» ولذلك تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الأبنية والأشجار، «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»، يعني: الأسراب، والغيران، واحداً كنّ «وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ» قمصاً من الكتان والقز والقطن والصوف، «تَقِيكُمْ»، تمنعكم، «الْحَرَّ»، قال أهل المعاني: أراد الحر والبرد واكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه.

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بِالْحَرْبِ﴾، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم، «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ بِمَنْعَتِهِ عَلَيْكُمْ لِمَلَأَكُمْ سُلُوكَ»، تخلصون له الطاعة، قال عطاء الخراساني: إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال: وجعل لكم من الجبال أكناناً وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال: «وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ أَصَوْفَاهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا» لأنهم كانوا أصحاب وير وشعر، وكما قال: «وَيُرْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرِّ» [النور: ٤٣] وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج. وقال: «تَقِيكُمْ الْحَرَّ» وما تقي من البرد أكثر، ولكنهم كانوا أصحاب حر.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، فإن أعرضوا

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله: «وَيَعْبُدُونَ» [النحل: ٧٣]. «إِلَى الظُّبَيْرِ مُسَخَّرَاتٍ»، مذللات، «فِي جَوِّ السَّمَاءِ» وهو الهواء بين السماء والأرض، عن كعب الأحبار أن الطير ترتفع اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق هذا، وفوق الجو السكاك، وفوق السكاك السماء «مَا يُسْكِنُ» في الهواء «إِلَّا اللَّهُ» إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ بُيُوتِكُمْ﴾ (٧٨) التي هي من الحجر والمدن، «سُكَّاءَ» أي: مسكناً تسكنونه، «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا»، يعني الخيام، والقباب، والأخبية، والفساطيط من الأنطاع والادم، «تَنْتَحِفُونَهَا» أي: يخفف عليكم حملها، «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ»، رحلتكم في سفركم، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين، والآخرون بفتحها، وهو أجزل اللغتين، «يَوْمَ إِقَاتِكُمْ»، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، «وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ أَصَوْفَاهَا وَأَوْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا»، يعني أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، والكنايات راجعة إلى الأنعام، «أَنْشَاءً»، قال ابن عباس: مالا. قال مجاهد: متاعاً. قال القتيبي: الأثاث المال جميعه من

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَاتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَمَّتْ وَنَمَّتْ إِلَى جِبِينَ﴾ (٧٩) «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِالْحَرْبِ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ بِمَنْعَتِهِ عَلَيْكُمْ لِمَلَأَكُمْ سُلُوكَ ﴿٧٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا عَايَنَّا الْبَالِغَ الثَّيْبِينَ ﴿٧٩﴾ عَرَفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ فَشَرُّكُمْ رِئْيَاءً وَأَكْثَرُهُمْ كُفْرًا ﴿٨٠﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا إِنَّهُ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا لَهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨١﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَ هُنَّ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاءُنَا الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ إِنَّهُمْ يَأْتُونَ اللَّهَ بِأَلْفِ مَوْءُودٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ سَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩١﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٦﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٧﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٨﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٩٩﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٠٠﴾

وكان مولاه يكره الإسلام.

﴿وَاللَّهُ عَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٧٧) وَمَا أُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، في قرب كونها، «إِلَّا كَلِمَاتٍ نَزَّلَتْ لِشَيْءٍ أَوْ كُنُوزٍ أَوْ نُورٍ» إذا قال له: «كن» فيكون، «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ»، بل هو أقرب، «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، قرأ الكسائي (بطون أمهاتكم) بكسر الهمزة.

وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم، «لَا تَقْمَرُونَ شَيْئًا»، تم الكلام، ثم ابتداء فقال جل وعلا، «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ»، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، «لِمَلَأَكُمْ شُكْرًا»، نعمة الله.

فلا يلحق في ذلك عتب ولا سمة تقصير، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ قال السدي يعني: محمداً ﷺ، ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، يكذبون به. وقال قوم: هي الإسلام.

وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عدّ لهم من النعم في هذه السورة، يقرون أنها من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدقوا وامتشلوا أمر الله فيها، ينكرونها فيقولون: ورثناها من آبائنا.

وقال الكلبي: هو أنه لما ذكر لهم هذه النعم قالوا: نعم، هذه كلها من الله ولكنها بشفاعه آلهتنا. وقال

عوف بن عبدالله: هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا، ﴿وَكَذَّبْتُمْ أَكْفُورًا﴾، الجاحدون.

﴿٨٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولا ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيكُمُ الْبُرْهَانُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي، في الاعتذار.

وقيل: في الكلام أصلاً، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْبُرْهَانِ﴾، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة المعنى في الاستعجاب أنه التعرض لطلب الرضا، وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار.

﴿٨٨﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿الْعَذَابَ﴾، يعني جهنم، ﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ فَرْجٌ وَلَا مَهْرَجَةٌ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾،

يوم القيامة، ﴿شُرَكَاءَ هُنَّ﴾، أو ثانهم، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾، أرباباً ونعبدهم، ﴿قَالُوا﴾، يعني الأوثان، ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، أي: قالوا لهم، ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في تسميتنا إلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

﴿٩٠﴾ ﴿وَالْقَوْمَ﴾، يعني المشركين ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّارِعُونَ﴾، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم

شيئاً، ﴿وَضَلَّ﴾، وزال، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، من أنها تشفع لهم.

﴿٩١﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، منعوا الناس عن طريق الحق ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا قَوْفًا عُثْبًا﴾، قال عبدالله: عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال. وقال سعيد بن جبیر: حيات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة يجد صاحبها حرها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار، وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. وقيل: يضاعف لهم العذاب. ﴿يَمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾، في الدنيا بالكفر وصد

سورة النحل

سورة النحل

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا قَوْفًا عُثْبًا ﴿٩١﴾ ﴿يَوْمَ نَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَرِجْسًا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَرِجْسًا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ لِكُلِّ قَوْمٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ لَلْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ وَإِلَيْهِ رُجُوعُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغِي يُعْطَاكُمْ لِمَأْكُلِكُمْ تَذَكُّرًا ﴿٩٤﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بِمَدِّ تِلْكَ يَدَايَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ كَالْقَوِيَّةِ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضَتْ عَهْدَ اللَّهِ مِنْكُمْ بَعْدَ مُقَابَلَتِهِمْ أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا إِنَّا أَكُنَّا بِعَهْدِكُمْ نَافِلِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لِكُلِّ قَوْمٍ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي لِكُلِّ قَوْمٍ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي لِكُلِّ قَوْمٍ سَبِيلًا ﴿٩٩﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي لِكُلِّ قَوْمٍ سَبِيلًا ﴿١٠٠﴾﴾

الناس عن الإيمان.

﴿٩٢﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني نبيا من أنفسهم، لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها. ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾، يا محمد، ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾، الذين بعثت إليهم ﴿وَرِجْسًا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ لِكُلِّ قَوْمٍ وَهَدَىٰ﴾، يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿وَهَدَىٰ﴾، من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرًا﴾، بشارة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿٩٣﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ لَلْعَدْلُ﴾، بالإنصاف، ﴿وَالْإِحْسَانُ﴾، إلى الناس وعن ابن عباس: «العدل»: التوحيد «والإحسان»: أداء الفرائض. وعنه أيضا: «الإحسان»: الإخلاص في التوحيد.

وذلك معنى قول النبي ﷺ:

يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقص جميع ما غزلن فهذا كان دأبها، ومعناه أنها لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كفت عن النقص، فكذاكم أنتم إذا نقضتم العهد لا

كففتن عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتن به، ﴿أَنْكُتْنَا﴾، يعني أنقضاً واحداً نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلاً كان أو حبلاً. ﴿تَنْخُدُونَ

وخيانة وخديعة، و«الدخل» ما يدخل في الشيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويبطن النقص. ﴿أَنْ تَكُونُ﴾ أي: لأن تكون، ﴿أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ قال مجاهد:

وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه طلبتم العز بنقض العهد، بأن كانت أمة أكثر من أمة، فنهاهم الله عن ذلك. ﴿إِنَّمَا يَبُذُّكُمْ اللَّهُ بِرِءٍ﴾، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، في الدنيا.

﴿١٧١﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُبَدِّلُ مَنْ يَشَاءُ﴾، بخذلانه إياهم عدلاً منه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، بتوفيقه إياهم فضلاً منه، ﴿وَلَتَسْتَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يوم القيامة.

﴿١٧٢﴾ ﴿وَلَا تَنْخُدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾، خديعة وفساداً، ﴿بَيْنَكُمْ﴾، فنفرون بها الناس، فيسكنون إلى أيمانكم،

ابن أخي أعد فأعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمعقد، وما هو بقول البشر.

﴿١٧٣﴾ قوله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾، والعهد ههنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة اليمين، ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، تشديدها فتحثوا فيها، ﴿وَقَدْ جَمَعْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾،

شهاداً بالوفاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا تَكْفُرُونَ﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاماً، قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد.

﴿١٧٤﴾ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَّصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُرُونٍ﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه. قال الكلبي ومقاتل: هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها: «ربيعة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم»، وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة، وكانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتامر جواربها بذلك، فكن

وَلَا تَنْخُدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزِيلَهُمْ فَذَمُّهُمُ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَتَذَوُّقِ الشَّوْءِ بِمَا صَدَّقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَدَابَ عَظِيمًا ﴿١٧١﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ يُجْزِيَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا زَكَرْنَا أَنْ نَأْتِيَهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٤﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٧٥﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَدْعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَدْعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا بِآيَةٍ مَكَاتٍ آيَاتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٩﴾

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.

وقال مقاتل: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: العفو عن الناس، و«رَبِّي أَيُّ ذِي الشَّرَفِ»، صلة الرحم، ﴿وَيَتَّبِعْ عَنِ النَّصَلَةِ﴾، ما قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، ﴿وَالْبَغْيِ﴾، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة: «العدل» استواء السريرة والعلانية، و«الإحسان» أن تكون سريرته أحسن من علانيته، و«الفحشاء» و«المنكر» أن تكون علانيته أحسن من سريرته، ﴿يُعِظُّكُمْ لِمَنْ لَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، لعلمكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية.

وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ إلى آخر الآية فقال له: يا

ويأمنون، ثم تنقضونها، ﴿فَنَزَلْنَا قَدَمًا بِدُونِهَا﴾، فتهلكوا بعدما كنتم آمنين، والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلت قدمه، ﴿وَتَذُقُوا أَسْوَأَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، ﴿وَلِكُلِّ عَذَابٍ عَظِيمَةٍ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَدْرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عَرَضًا قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ﴾، من الشواب لكم على الوفاء بالعهد، ﴿خَيْرٌ لَّكَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فضل ما بين العوضين، ثم بين ذلك.

﴿٩٦﴾ فقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾، أي الدنيا وما فيها يفنى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ يُزَيَّفَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الوفاء في السراء والضراء، ﴿أَجْرُهُمْ يَأْتِيهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدينه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى».

﴿٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْقِرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾، قال سعيد بن جبيرة وعطاء: هي الرزق الحلال. وقال الحسن: هي القناعة. وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة. قال أبو بكر الوراق: هي حلالة الطاعة. وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة. ﴿وَلَنُحْيِيَنَّهٗمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٩٨﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، أي: إذا أردت قراءة القرآن ﴿فَاسْتَمِعْ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ لُجُجٌ مِّنْ أَلْفِ مَقْعَدٍ﴾، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَتْ إِلَى الْمَكَلَّةِ فَأَقْبِلُوا﴾ [المائدة: 6]، والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن، وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة. وقال أبو هريرة: بعدها، ولفظها أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت عاصماً عن ابن جبيرة بن مطعم، عن أبيه أنه رأى النبي ﷺ يصلي، قال: فكبر، فقال: «الله أكبر كبيراً، ثلاث مرات، والحمد لله كثيراً، ثلاث مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثلاث مرات، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه

ونفخه ونفثه». قال عمرو: ونفخه: الكبير، ونفثه: الشعر، وهمزه: الموتة، والموتة الجنون، والاستعاذة بالله هي الاعتصام به.

﴿٩٩﴾ ﴿إِنَّمَا لَيْسَ لَكَ سُلْطٰنٌ﴾، حجة وولاية، ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

﴿١٠٠﴾ ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَكُمْ﴾، يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِمَشْرُوكٍ﴾، أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية راجعة إلى الشيطان، ومجازة الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانًا مَّآوِيَةٍ﴾، يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَرَكُونَ﴾، أعلم بما هو أصلح لخلقهم فيما يغير ويبدل من أحكامه، ﴿فَالْوَالُونَ أَنَا بَنُو مُحَمَّدٍ﴾، مختلق، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه، قال الله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ من المنسوخ.

﴿١٠٢﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿رُوحٌ الْقُدُسِ﴾، جبريل عليه السلام، ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، بالصدق، ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: يثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويقيناً، ﴿وَهُدًى وَمُشْرَكَ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ فقال: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، لا محمد ﷺ، فإن قيل: قد قال: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فما معنى قوله:

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، قيل: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ﴾ إخبار عن فعلهم، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهري أنا جدي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص، ثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، [ثنا أبو زياد يزيد بن عبد الملك] ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قلت: يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك، قال قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قلت: المؤمن يكذب؟ قال: لا، قال الله ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية، وصهيياً، وبلاً، وخباباً، وسالمأ، فعذبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء فبُلِّها بحرية فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلوا في

يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني، عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب.

وقال عبدالله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار، ويكنى «أبا فكيهة»، ويقال للآخر «جبر»، وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، وربما مرّ بهما النبي ﷺ، وهما يقرآن التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك:

وكان النبي ﷺ إذا أذاه الكفار يقعد إليهما ويستروح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية، قال الله تعالى تكذيباً لهم. ﴿لِسَاثُ الْآذِي يُلْجُدُونَ إِلَيْهِ﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أَعْجَبِينَ﴾، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً، ﴿وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ ثَبِيثٌ﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه.

﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿وَمَلَئَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون.

سورة النحل
وَلَقَدْ تَمَلَّكَ أَهْمَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِينَ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ثَبِيثٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرًا أَهْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ جَاءُواكَ مِنْ بَعْدِهِمْ فَسَوْفَ نَجْتَبِهُمُ أَصْحَابًا وَمَصْرُورًا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَلُّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٠﴾

﴿١٠٦﴾ ﴿وَلَقَدْ تَمَلَّكَ أَهْمَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، آدمي وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه «بلعام» وكان نصرانياً أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه «بلعام».

وقال عكرمة: كان النبي ﷺ يُقرىء غلاماً لبني المغيرة يقال له «يعيش» وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه يسار، ويعيش.

وقال الفراء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمي اللسان.

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما

بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقوله حتى يقتل كان أفضل. واختلف أهل العلم في طلاق المكره، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع.

﴿١٠٧﴾ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا** أتروا، **الْحَيَاةَ** الدنيا على الآخرة **وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**، لا يرشدكم.

﴿١٠٨﴾ **أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**، عما يراد بهم.

﴿١٠٩﴾ **لَا جَرَمَ لَهُ**، [أي حقاً] **أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ**، أي المغبونون.

﴿١١٠﴾ **ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا قَسَمُوا**، عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنتهم المشركون، **ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا** على الإيمان والهجرة والجهاد، **إِنَّكَ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا**، من بعد تلك الفتنة والغفلة **لَنُفَعِّرَنَّ رَجِيئَهُمْ**، نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبدالله بن أبي أسيد الثقفي، فتنتهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا.

بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقوله حتى يقتل كان أفضل. واختلف أهل العلم في طلاق المكره، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع.

﴿١٠٧﴾ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا** أتروا، **الْحَيَاةَ** الدنيا على الآخرة **وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**، لا يرشدكم.

﴿١٠٨﴾ **أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**، عما يراد بهم.

﴿١٠٩﴾ **لَا جَرَمَ لَهُ**، [أي حقاً] **أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ**، أي المغبونون.

﴿١١٠﴾ **ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا قَسَمُوا**، عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنتهم المشركون، **ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا** على الإيمان والهجرة والجهاد، **إِنَّكَ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا**، من بعد تلك الفتنة والغفلة **لَنُفَعِّرَنَّ رَجِيئَهُمْ**، نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبدالله بن أبي أسيد الثقفي، فتنتهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا.

﴿١١١﴾ **وَأَمَّا عِمَارٌ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُم مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مَكْرَهُاً**.
قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك، وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال: «كلا، إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلف الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، [أي] نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف وجدت قلبك» قال: «مطمئناً بالإيمان»، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعذ لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية.

الإسلام [رضي الله عنهما]، وأما عمار: فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً.

قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك، وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال: «كلا، إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلف الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، [أي] نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف وجدت قلبك» قال: «مطمئناً بالإيمان»، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعذ لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية.

قال مجاهد: نزلت في ناس من أهل مكة، آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أن هاجروا، فإننا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين.

وقال مقاتل: نزلت في جبر، مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرهاً، **وَقَبَلَهُمْ مُّطَمِّنِينَ بِالْإِيمَانِ**، ثم أسلم مولى جبر وحسن إسلامه، وهاجر جبر مع سيده، **وَلَكِنْ مَن شَرَّ بِالْكَفْرِ صَدْرًا** أي: فتح صدره للكفر بالقبول واختاره، **فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ رَّيْبٌ** **اللَّهُ وَلَهُ عَدَابٌ عَظِيمٌ**.
وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول

وقال الحسن وعكرمة: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستتره الشيطان، فلهق بالكفار، فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله، فاستجاره عثمان رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه فانزل الله هذه الآية.

وقرأ ابن عامر «فتنوا» بفتح الفاء والتاء، ورده إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين.

﴿١١١﴾ **يَوْمَ تَأْتِي نَفْسٌ** **نَفْسًا**، بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، **وَتُوقَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ**. روي أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: خوفنا، قال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل

أصابهم من الهزال والشحوب وتغير
ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل
كاللباس لهم، ﴿وَالْحَرُوفُ﴾، يعني:
بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت
تطيف بهم. ﴿يَمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾،
محمد ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ
وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِنَّا زَوْجَكُمْ اللَّهُ
حَلَّالٌ طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالْدَّمَ وَكَمَّ الْخَيْزِرِ وَمَا أَوْلَىٰ لِغَيْرِ اللَّهِ
يَدٌ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَيْتَ اللَّهُ عَقُورٌ رَّجِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَيْدِيكُمُ الْكَذِبَ﴾، أي: لا
تقولوا لوصف الأيدي الكذب أو لأجل
وصفكم الكذب أنكم تَحْلُونَ
وتَحْرَمُونَ لأجل الكذب لا لغيره،
﴿هَذَا حَلَّلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، يعني
البحيرة والسائبة، ﴿لَيْقَاتُوا عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ﴾، فتقولون إن الله أمرنا
بهذا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾، لا ينجون من
عذاب الله.

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾، يعني: الذي
هم فيه متاع قليل، أو لهم متاع قليل
في الدنيا. ﴿وَلَمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في
الآخرة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا
فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني في سورة
الأنعام. وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي
ظُلْفَرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿وَمَا

لهما مثلاً [فقال وإنما
مثلكما مثل] أعمى ومقعد
دخل حائطاً فيه ثمار
فالأعمى لا يبصر الثمر،
والمقعد يرى ولا يناله،
فحمل الأعمى المقعد
فأصابا من الثمر فعليهما
العذاب.

﴿قوله تعالى:
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ آمِنَةً﴾، يعني:
مكة كانت آمنة لا يهاج
أهلها ولا يغار عليها،
﴿مُطْمَئِنَّةٌ﴾، قازة بأهلها،
لا يحتاجون إلى الانتقال
للانتجاع كما يحتاج إليه

سائر العرب، ﴿بِأَيْدِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ﴾، يُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ نظيره: ﴿يَجِيءُ إِلَيْهِ تَمْرٌ كُلِّ
مَنْقَةٍ﴾ [القصص: ٥٧]. ﴿فَعَكَّرَتْ
بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾، جمع النعمة، وقيل:
جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس،
﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ﴾،
ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين،
وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر
رسول الله ﷺ حتى جهدوا فأكلوا
العظام المحرقة، والجيف والكلاب
الميتة، والعهن وهو الوبر يعالج
بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى
السماء فيرى شبه الدخان من الجوع،
ثم إن رؤساء مكة كلّموا
رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هَبَكَ
عَادِيَتِ الرِّجَالِ فَمَا بِالنِّسَاءِ
وَالصَّبِيَّانِ؟ فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِلنَّاسِ بِحَمْلِ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بَعْدَ
مَشْرُوكُونَ، وذكر اللباس لأن ما

ثُرُونَ رَبِّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوبَ بِمَهَلَّةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا عَقُورٌ رَّجِيمٌ ﴿١١٢﴾
إِنْ أَنْزَيْتَهُ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَيْفًا وَرَبِّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١١٣﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١١٤﴾ وَوَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١١٥﴾ ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْعِ مِلَّةَ إِزْهِيمَةَ حَيْفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٦﴾ إِنَّمَا جُمِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٧﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمُرُوعَةِ الْحَسَنَةِ وَرَحِدْ لَهُمْ بِالَّذِي هُوَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾
وَإِنَّ عَاقِبَتَهُ لَفَعَالٌ لِيُغِيثَ مَا عُوذْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَدْرُكُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢١﴾

سبعين نبياً لآتت عليك ساعات وأنت
لا تهملك إلا نفسك، وإن لجهم زفرة
لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل
منتخب إلا وقع جاثياً على ركبته،
حتى إبراهيم خليل الرحمن، يقول:
يا رب لا أسألك إلا نفسي، وإن
تصديق ذلك الذي أنزله الله عليكم
﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلَةٌ عَنْ
نَفْسِهَا﴾، وروى عكرمة عن ابن عباس
في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة
بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم
الروح الجسد فتقول الروح: يا رب
لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل
أمشي بها ولا أعين أبصر بها، فنجني
وعذبه، ويقول الجسد يا رب [حيث
كنت معدوم الروح] لم تبطش يدي
ولم تمش رجلي ولم تبصر عيني،
فجاء هذا كشماع النور، فبه نطق
لساني وأبصرت عيني وبطشت يدي
ومشت رجلي، قال: فيضرب الله

ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريم ذلك عليهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرمنا عليهم ببيغهم.

﴿١١٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَهْدِلُهُمْ كَمَا يُبَدِّلُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَنصَحُوا﴾ يعني بالإصلاح: الاستقامة على التوبة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾، أي: من بعد الجهالة، ﴿لَنُفَعِّرَنَّ بَرِيئًا﴾.

﴿١٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن مسعود، الأمة معلم الخير، أي: كان معلماً للخير يأتهم به أهل [الخير في] الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة، قال مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار. وقال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه. ﴿فَأَنبَأْنَا يَاقُوبَ﴾ مطيعاً لله. وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً مستقيماً على دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿وَوَدَّ يَلَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٢١﴾ ﴿مَنَاصِكًا لِأَنفُسِهِمْ أَجِنَّةً﴾ اختاره، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: إلى دين الحق.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَهَاتَيْنِ فِي الذِّكْرِ حَسَنَةً﴾، يعني الرسالة والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن حيان: يعني الصلاة عليه في قول هذه الأمة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم. ﴿وَوَدَّعَهُ فِي الآخِرَةِ لِيُنزِلَ فِي الصَّالِحِينَ﴾، مع آبائه الصالحين في الجنة. وفي الآية

تقديم وتأخير مجازة: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

﴿١٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّد، ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، حاجاً مسلماً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال أهل الأصول كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعاً [له].

﴿١٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُمِلَ الْأَشْيَاءُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَمَلُوا فِيهَا﴾ أي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقيل: معناه ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه، يعني: اليهود، فقال قوم: هو أعظم الأيام لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سبت يوم السبت. وقال قوم: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأن الله تعالى ابتداء فيه خلق الأشياء فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم، وقد فرض الله عليهم تعظيم يوم الجمعة.

قال الكلبي: أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة، فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم، وستة أيام لصناعتكم، فأبوا وقالوا: لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه، من الخلق يوم السبت، فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة، فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا - يعنون اليهود -

فاتخذوا الأحد، فأعطى الله الجمعة لهذه الأمة لقبولها وبورك لهم فيه.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، أنبأنا عبد الرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تبع، فاليهود غداً والنصارى بعد غداً».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُمِلَ الْأَشْيَاءُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَمَلُوا فِيهَا﴾. [قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرّمه بعضهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿١٢٥﴾ ﴿أَتَعْ إِكَّ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾، بالقرآن، ﴿وَالرُّعُوفَةِ الْمُسْنَةِ﴾، يعني مواعظ القرآن.

وقيل: الموعدة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغيظ ولا تعنيف، ﴿وَعَلِّدْ لَهُم بِأَلْسِنَتِهِم مِّنَ الْحَقِّ﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرض عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَهْلَهُ بِمَنْ صَدَّقَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾.



بِاللَّهِ، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَتَكَبَّرُونَ﴾، أي: فيما فعلوا من الأفاعيل، قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل [٧٠] «ضيق» بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة: هما لغتان مثل رطل ورطل، وقال أبو عمرو: الضيق بالفتح الغم، وبالكسر الشدة.

وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح. وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة كأنه قال: ولا تك في أمر ضيق من مكرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، المناهي، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِرُونَ﴾ بالعون والنصرة [والله تعالى أعلم].



سورة الإسراء

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، سبحان الله تنزيهه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، وتكون سبحان بمعنى التعجب «أسرى» بعبده، أي: سيره، وكذلك أسرى به، والعبد هو: محمد ﷺ، ﴿وَبَرَكِ الْمَسْجِدِ الْأَحْرَبِ﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة.

رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً، إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده النار»، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال النبي ﷺ: «رحمة الله عليك، فإنك ما علمتكم إلا فعلاً للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من

أفواج شتى، أما والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَأَى عَاقِبَتَهُ فَعَاقِبُوا﴾ الآية.

﴿وَلَكِن صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: «بل نصبر» وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه.

قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز [الله] الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية، وقال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية محكمة نزلت في من ظلم بظلامه، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبيه ﷺ:

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا

﴿١٢٦﴾ ﴿وَرَأَى عَاقِبَتَهُ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد، وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون، والمثلة السيئة، حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم، ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبدالمطلب، وقد جدعوا أنفه وأذنيه، وقطعوا مذاكيره، وبقروا بطنه، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى

روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»، فذكر حديث المعراج.

وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب، ومعنى قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: من الحرم.

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في شهر رمضان. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني: بيت المقدس، وسُمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ذكر «السميع» لينبه على أنه [هو] المجيب لدعائه، وذكر «البصير» لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه. والأكثرون على أنه أسرى بجسده [وروحه] في اليقظة، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد بن المليحي، أنا أبو حامد

أحمد بن عبدالله النعمي، أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريزي، ثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا هدية بن خالد، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة (ح) قال البخاري: وقال لي خليفة العصفري: ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد وهشام. قال: ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، حدثهم عن ليلة أسري به، (ح) قال البخاري: ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: وكان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (ح)، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا أبو الحسن عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: - دخل حديث بعضهم في بعض -.

قال أبو ذر: إن رسول الله ﷺ قال: «فُرج عني سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب مملوءة بحكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه».

وقال مالك بن صعصعة: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان»، وذكر بين رجلين «فأتيت بطست من

ذهب مملوءة بحكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مرق البطن، واستخرج قلبي فغسل ثم ملئ، وقيل حشي، ثم أعيد».

وقال سعيد وهشام: «ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيماناً وحكمة، ثم أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، [يقع] حافره عند منتهى طرفه، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح له الباب، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال لي: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح».

وفي حديث أبي ذر: «علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، إذا نظر قيل يمينه ضحك، وإذا نظر قيل شماله بكى، فقال مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نَسَمُ بنه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله

أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن قبل شماله بكى، ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت إذا بيحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت فردا عليّ السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت، فإذا يوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: هذا يوسف فسلمت عليه، فسلمت عليه فردت علي، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا بإدريس، قال: هذا إدريس فسلمت عليه، فسلمت عليه، فردت ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟

قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، [ففتح] فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلمت عليه، فسلمت عليه فردت ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح له، فلما خلصت فإذا بموسى، قال: هذا موسى فسلمت عليه فسلمت عليه، فردت ثم قال: مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح، فلما جاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال:

نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه فسلمت عليه فردت السلام ثم قال: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

وقال ثابت عن أنس: «فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت

المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان القيلة، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات. وأوحى إلي ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال الله تعالى: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك، فقلت:

سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، قال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة».

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ: «أتي بالبراق ليلة أسري به ملجماً مسرجاً، فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبعث محمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فافرض عرقاً».

وقال ابن بريدة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه فخرق بها الحجر وشدَّ بها البراق».

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمود، أنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيتُ موسى، قال: فنتعت، فإذا هو رجل - حسبته قال مضطرب -، رَجُلُ الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنتعت النبي ﷺ فقال:

«ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس، يعني: الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بإناءين: أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة وأصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك».

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَكْرَمِيكَ إِلَهٍ أُرِيكَ إِلَّا إِيَّاتَهُ لِلنَّاسِ﴾، قال: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس. قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَكُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: هي شجرة الزقوم.

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبدالله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم.

فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء

تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده.

وساق حديث المعراج بقصته. فقال: فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، قال: هذا النيل والفرات، [يطردان] عنصرهما واحد، ثم مضى به إلى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك. وساق الحديث، وقال: «ثم عُرج بي إلى السماء السابعة».

وقال: قال موسى: ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحدًا، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة، وقال: فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبس موسى عند الخمس.

فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه، فأمتك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، وكل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: «يا رب إن أمتي ضعفاء

أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنهم»، فقال الجبار [جل جلاله]: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا بيدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فقال موسى: ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً.

فقال رسول الله ﷺ: «قد والله استحيت من ربي مما اختلفت إليه»، قال: فاهبط بسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام. وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيسلي، عن ابن وهب، عن سليمان بن بلال.

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل، ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا، وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبدالله، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشر سنة قبل الهجرة بسنة، وفيه أيضاً: أن الجبار دنا فتدلى. وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام.

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عز وجل قبل الوحي، بدليل آخر الحديث، قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً

لرؤياه من قبل، كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧].

وروي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذي طوى قال: «يا جبريل إن قومي لا يصدقوني»، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق.

قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبي»، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل استفدت من شيء؟ قال: «نعم إنني أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قال: «ثم أصبحت بين ظهرائنا»، قال: «نعم»، فلم ير أبو جهل أنه ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدث قومك بما حدثتني به؟ قال: «نعم»، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، قال: فانقضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك بما حدثتني، قال: «نعم إنه أسري بي الليلة»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم»، قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقته،

وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوقد قال ذلك؟ قال: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدق أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنني لأصدق به ما هو أبعد من ذلك، أصدق به بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق، قال: وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: «نعم»، قال: «فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت»، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد، وأنا أنظر إليه»، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهي أمم إلينا، فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: «نعم مررت على غير بني فلان، وهي بالروحاء وقد أضلوا بغيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح من ماء فعضت فأخذته فشرته ثم وضعته كما كان فأسألوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه»، قالوا: هذه آية، قال: «ومررت بغير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى، فنفر بغيرهما مني فرمى بفلان، فانكسرت يده، فسألوهما عن ذلك»، فقالوا: وهذه آية، قالوا: فأخبرنا عن غيرنا نحن متى تجيء؟ قال: «مررت بها بالتنعيم»، قالوا: فما عدتها وأعمالها

وهيتها ومن فيها، فقال: «نعم هيتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورك عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس»، قالوا: وهذه آية، ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون: والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كدى، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورك فيها فلان وفلان كما قال لهم، فلم يؤمنوا، ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفات: ١٥].

أنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا حُجْر بن المثنى أنبأنا عبدالعزيز - وهو ابن أبي سلمة - عن عبدالله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن سراي، فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، قال: فكربت كرياً ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود

الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فجاءت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، بأن لا، ﴿تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا﴾، رباً وكفياً قرأ أبو عمرو «لا يتخذوا» بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالياء، يعني قلنا لهم لا تتخذوا.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾، قال مجاهد: هذا نداء يعني يا ذرية من حملنا، ﴿مَعَ نُوحٍ﴾، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسمي عبداً شكوراً، أي: كثير الشكر.

قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْنَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ الآيات.

روى سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن ربي بن خراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر، وكان الله ملكه سبعمائة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصروها وفتحها، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها وأولاد الأنبياء، وسلب حلّي بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف

عجلة من حلّي»، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال: «أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وقضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهباً، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين، يأتونه بهذه الأشياء في طرفه عين، فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمناً، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار «كورش» لبني إسرائيل وأخذ حلّي بيت المقدس حتى رده إليه، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكاً يقال له «أنطيانوس» فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي، فعادوا، فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له «فاقس بن أستيانوس»، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلّي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ: هذا من صفة حلّي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، هو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين».

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم

محسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام، أن ملكاً منهم كان يدعى صُدَيْقَة وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدده ويرشده [وكان] لا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها، فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعياً بن أصفيا، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وشعياً هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام، فقال: أبشري أورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً طويلاً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعياً معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل، معه ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض وفي ساقه قرحة، فجاء النبي شعياً وقال له: يا ملك بني إسرائيل إن «سنجاريب» ملك بابل قد نزل بك، هو وجنوده بستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده، فقال: لم يأتي وحي، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياً النبي أن اتت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف - على ملكه من يشاء من أهل بيته، فأتى شعياً ملك بني

إسرائيل «صُدَيْقَة» فقال له: إن ربك قد أوحى إليّ أن أمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت، فلما قال [ذلك] شعياً لصُدَيْقَة أقبل على القبلة فصلى ودعا ويكي، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص:

«اللهم ربّ الأرباب، وإله الآلهة، يا قدوس المتقدس، يا رحمن، يا رحيم، يا رؤوف، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملتي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني، سرّي وعلانيتي لك وأنت الرحمن».

فاستجاب له وكان عبداً صالحاً فأوحى الله تعالى إلى شعياً أن تخبر صُدَيْقَة أن ربه قد استجاب له ورحمه، وأخر له أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنجاريب، فاتاه شعياً فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الحزن، وخرّ ساجداً لله، وقال: «يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي»، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياً أن قل للملك صُدَيْقَة فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله في قرحته

فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل وشفي، وقال الملك لشعياً: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا. قال الله لشعياً قل له: إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر، فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة، يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك، فاخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنجاريب في القتلى فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خرّ ساجداً لله من حين طلعت الشمس إلى [وقت] العصر، ثم قال: يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنجاريب له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ولم يلقني في الشقوة إلا ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال صُدَيْقَة، الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك على ربك، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلكم، ولدمك

ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها، قال الله قل لهم فإن الجدارَ ديني وإن القصر شريعتي وإن النهر كتابي وإن القيم نبيني، وإن الغراس هم وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وإنه مثل ضربته لهم يتقربون إليّ بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا أكله ويدعون أن يتقربوا إليّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها، ويشيدون لي البيوت مساجداً، ويظهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون إلى المساجد، ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها بأي حجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها، يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلينا فلم يرفع تنور صلاتنا وتصدقنا، فلم تُزك صدقاتنا، ودعونا بمثل خنين الحمام ويكينا بمثل عواء الذئب، في كل ذلك لا يستجاب لنا، قال الله: فاسألهم ما الذي يعني أن أستجيب لهم؟ ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقوله الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادي ويستهك محارمي؟ أم كيف

لسانه بالوحي، فقال: يا سماء اسمعي وبا أرض انصتي، فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فأوى شاردتها، وجمع ضالتها، وجبر كسرهما، وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كبير، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أني جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار لما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجعه وأن الثور مما يذكر المرح الذي سمن فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الألباب العقول، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه وقل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواءً زماناً خراباً أمواتاً لا عمران فيها، وكان لها ربٌ حكيم قوي، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي، أو أن يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصوراً وأنبط نهراً وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعاب واللوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً، فلما اطلعت جاء طلوعها خروباً. قالوا بثست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدرانها وقصرها ويدفن نهراً ويقبض قيمها

ولدم من معك أهون على الله من دم قراد، لو قتلت. ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى السجن والقتل فأوحى الله إلى شعيا عليه السلام أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ شعيا الملك ذلك ففعل الملك صديقة ما أمر به، فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا، [ولم تسمع قولنا] وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله، تذكرة وعبرة، ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات واستخلف بختنصر، ابن ابنه، على ما كان عليه جده يعمل عمله، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة، فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً، ونبيهم شعيا معهم ولا يقبلون منه [أمراً ونهياً]، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك حتى أوحى على لسانك، فلما قام النبي شعيا انطق الله على

وأنا ذو الفضل العظيم، فلما فرغ شعياً من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إيّاها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستحلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له «ناشية بن أموص»، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً، وكان من سبط هارون بن عمران.

وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء، سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتّر خضراء، فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم، فأوحى الله إلى أرمياء أن اتق قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم، فقال أرمياء: يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرنني، قال الله تعالى: أولم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها [أقول] عن الله تعالى: وإني حلفت بعزتي لأفيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جباراً

أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، وإني باعث لذلك نبياً أمياً أميناً ليس أعمى من عميان ولا ضالاً من ضالين ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للحنأ أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لياسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقولة، والصدق والوفاء طبيعته، والعدو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشته وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي وإيماناً [لي] وإخلاصاً لي يصلون [لي] قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، ويقاثلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنابهم ومثاومهم، يكبرون يهللون ويقدمون على رؤوس الأشرف، ويطهرون لي الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب على الأنصاف، قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، وذلك فضلي أوتيته من أشاء

تزكى عندي صدقاتهم [وهم] يتصدقون بأموال غيرهم إنما أجر عليها أهلها المغصوبين؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولهم بالسنتهم، والفعل من ذلك بعيد، إنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين، يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي: أنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحدِيث مثله فعلوا، ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب مما يوحي إليهم الشياطين اطلعوا، وأني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبتته وحثمته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه، أو في أي زمان يكون؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدير أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجرء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم به، ومن

اقتلهم، قال: شأنكم بهم، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ذلك، فلما قرَّبوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا: يا رب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني إسرائيل: أرايتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين [قتلت مَنْ هم]؟ وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله، وهؤلاء أهله، كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم، وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم، يكرمهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكتهم الله وسلط عليهم غيرهم، فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك بيني إسرائيل، قال: فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي، فإني قد فرغت من [ملوك الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق، قال: لتفعلنَّ أو لأقتلنكم عن آخركم، فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه، ليُري الله العباد قدرته، وينجي الله من بقي من بقي من بني إسرائيل في يديه، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا

شيئاً أصابه، فأنساه الله الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها فقالوا: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وتأويلها لأنزعن رؤوسكم عن أكتفاكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه، فأعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه، فجأزوه وقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخر، وركبته وفخذه من نحاس، ويطنه من فضة وصدرة من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبتك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها، قال: صدقتم، قال: فما تأويلها؟ قالوا: تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً، الفُخار أضعفه، ثم فوقه النحاس أشد منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته [هو] نبي يبعثه الله من السماء فيدق الملوك أجمع ويصير الأمر إليه. ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر: أرايتم هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم، فأخرجهم من بين أظهرنا أو

قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرميا: إني مهلك بني - إسرائيل بياض، وياض من أهل بابل - على ما ذكرنا في سورة البقرة، فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطيء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا ذلك حتى ملأوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَنْ في بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، فقسمهم بين الملوك الذي كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وفزق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثاً أقر بالشام، وثلثاً سبي وثلثاً قتل وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله بيني إسرائيل بظلمهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] يعني: بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجيبته وكان إذ رأى

أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدق، فقتلناه فهذا دمه، فقال لهم بيورزاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال الآن صدقتموني، لمثل هذا انتقم ربكم منكم، فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خرّ ساجداً وقال لمن حوله: اغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش، وخلا في بني إسرائيل [ثم] قال: يا يحيى بن زكريا قد علم ربّي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم، فاهداً بإذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحداً فهداً الدم بإذن الله، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره، وقال لبني إسرائيل: إنّ خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكريه، وإنني لست أستطيع أن أعصيه، فقالوا له: افعل ما أمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق [وجميعه] من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكريه أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل، ثم انصرف إلى بابل، وقد أفضى بني إسرائيل أو كاد أن يفنيهم، وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿لَنُقَسِّدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، فكانت الواقعة الأولى

ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل، فقال: إني كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أنني لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يُقربون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه، فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، قالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، ولقد قربناه منذ ثمانمائة سنة والقربان يتقبل منا إلا هذا، فقال: ما صدقتموني، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم، فلم يهدأ [غليانه] فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني، واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار أنثى ولا ذكر إلا قتلته، فلما رأوا الجهد منه وشدة القتل صدقوا الخبر، فقالوا: إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أننا أطعناه فيها لكان

حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه. ويزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلقحوا بهم، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت، وكان عزيز من السبایا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس [واعترلهم فيمنما] هو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال: يا عزيز ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا، الذي لا يصلح أمر دنيانا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ قال: ارجع فصم وتطهر، وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً، فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه، فأناه ذلك الرجل بإناء فيه ماء، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى [عليهم السلام]، وكانوا من بيت آل داود، فمات زكريا وقيل قتل زكريا، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما

بختنصر وجنوده، والأخرى خردوش وجنوده، وكانت أعظم الوقتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن سبيانوس الرومي، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعمّره المسلمون بأمره. وقال قتادة: بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرّب **﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾** [الإسراء: ٦] يعني في زمان داود، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرّب، ثم قال: **﴿مَنْ زَكَّرَ أَنْ يَرْمِكَ﴾** [الإسراء: ٨] فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرّ ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نعمته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال: **﴿وَإِذَا تَأَذَّتْ رِجَّتْ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ إِلَى يَوْمِ قُورَيْشٍ وَمِنْ لَدُنْهُمْ سُوْرَةُ الْمَدَّابِ﴾** [الأعراف: ١٦٧]، فهم في العذاب إلى يوم القيامة. وذكر السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل ليسأل عنه

حتى نزل على أمه وهو يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر بهذا طعاماً وشراباً، فاشتري بدرهم لحماً، وبدرهم خبزاً، وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا، وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك، ثم قال: إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً في الدهر [وصرت من ملوك الأرض]، فقال [له] أتسخر مني؟ فقال: إني لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكتب له أماناً وقال: رأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قسبة فأعرفك، فكتب له وأعطاه، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويذني مجلسه وأنه هوي بنت امرأته. وقال ابن عباس: ابنة أخته، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رفاقاً حمراً، وطيبتها وألبستها الحلّي وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه الخمر، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت ذلك، فلما أرادها قال: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، قال: فما تسأليني؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في هذا الطست، فقال: ويحك سليماني [شيئاً] غير هذا، فقالت: ما أريد إلا

هذا فلما أبت عليه [هاجت شهوته وهو في خمرته] فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم، ويقول: ويل لك لا تحل لك ويكرر ذلك، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم يعني سعد الدم يغلي، ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صحابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه في مدائنهم، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: تريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم، قد طال مقامي وجاع أصحابي، قالت: رأيت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا [اللهم] إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فإنها سوف تتساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كف يديك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، فلما سكن قالت: كف الآن يدك فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله، فأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن

أهل بيته، فخرّب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعان على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه، فحسداهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا له: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك، فسألهم فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبد، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر الملك بخدّ فخدّ لهم فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم بسبع ضار ليأكلهم، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخذش منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فقال: ما [كان] هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في صورة الوحش ومسّخه الله سبع سنين.

وذكر وهب: أن الله مسّخ بختنصر نسرأ في الطيور ثم مسّخه ثوراً في الدواب، ثم مسّخه أسداً في الوحوش، فكان مسّخه سبع سنين، وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم ردّ الله إليه ملكه فأمن. فسئل وهب أكان مؤمناً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرق بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته. وقال السدي: إن بختنصر لما رجع

إلى صورته بعد المسّخ وردّ الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسداهم المجوس، وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشرباً فأكلوا وشربوا، وقال للبواب انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فإن قال [لك] أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني بذلك، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شدّ عليه، فقال: ويحك أنا بختنصر، فقال: كذبت بختنصر أمرني فضربه فقتله، هذا ما ذكره في «المبتدأ»، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزى بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير، بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزى بني إسرائيل عن قتلهم شعيا في عهد أرميا، ومن وقت أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربعمئة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصيهيد ببابل من قبلي بهمن بن إسفنديار سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وستون سنة. والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق.

❶ قوله عز وجل: ﴿وَقَعَيْنَا إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي:

أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه يكون أمراً كقوله: ﴿وَقَعْنَى رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويكون حكماً كقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٩٣] ويكون خلقاً كقوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَنَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال ابن عباس وقاتة: يعني وقضينا عليهم، و«إلى» [ههنا] بمعنى «على»، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ﴿لَقَدْ سِدْنَا﴾ اللام لام القسم مجازه والله لتفسدن، ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّاتٍ﴾، بالمعاصي، والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا﴾ ولتستكبرن ولتظلمن الناس، ﴿عَلَّمْنَا كَيْدًا﴾ أي استكباراً وظلماً كبيراً.

❷ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا﴾، يعني أولى مرتين، قال قاتة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركوب المحارم. وقال محمد بن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل شعيا بين الشجرة وارتكابهم المعاصي. ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾، قال قاتة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو الذي قتله داود [وذكرنا قصته في البقرة]. وقال سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينوى. وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر. ﴿أُولَىٰ بَابِ﴾، ذوي بطش ﴿شَدِيدِ﴾، في الحرب، ﴿فَجَاسُوا﴾، أي: فطافوا وداروا، ﴿خَلَلْنَا الْأَيَّامَ﴾، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم، والجوس طلب الشيء

بالاستقصاء. قال الفراء: جاسوا قتلوكم بين بيوتكم. ﴿وَكَاكَ وَعَدَا مَقُولًا﴾، قضاء كائنًا لا خلف فيه.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾، يعني: الرجعة والدولة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَنْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالِ رَبِّئِكَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، عددًا، أي: من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان.

﴿إِنَّ أَحْسَنَ مَا كَسَبْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾، أي: لها ثوابها، ﴿وَأَنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، أي: فعليتها [عقاب الإساءة]، كقوله تعالى: ﴿سَلَكْتُ لَكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك. وقيل: فلها الجزاء والعقاب، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾، أي: المرة الأخيرة من

إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَسْخَرُوا مِنِّي وَيَكْفُرُوا﴾، أي: تحزن وجوهكم، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن، قرأ الكسائي ويعقوب: «لنساء» بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا﴾ [الحجر: ٦٦] ﴿وَبَعَثْنَا﴾ [المائدة: ١٢] وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة [على التوحيد]، أي: ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم، وقرأ الباقر بالياء وضم الهمزة على الجمع، أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد وجوهكم ﴿وَلِيَلْجَأُوا

السَّجِدَ﴾، يعني: بيت المقدس ونواحيه، ﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَاسْتَبْرَأُوا﴾، وليهلكوا، ﴿مَا عَلَوْا﴾، أي: غلبوا عليه من بلادكم ﴿تَنْبِيْرًا﴾ [هلاكا].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، يا بني إسرائيل، ﴿أَنْ يُرْحِمَكُم﴾، بعد انتقامه منكم، فيرد الدولة إليكم، ﴿وَأَنَّ عُدَّتُمْ عِدَّاتَكُمْ﴾، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة. قال قتادة: فعداوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ فهم

يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، سجنًا ومحبسًا من الحصر وهو الحبس. قال الحسن: حصيرا أي: فراشًا. وذهب إلى الحصير الذي يسط ويفرش.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ﴾، أي: إلى الطريقة التي هي أحسن وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَيُنَبِّئُ﴾، يعني: القرآن، ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ [قولا] وفعلاً على سنة نبيها، ﴿أَنْ تَمَّ﴾، بأن لهم ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾، وهو الجنة.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وهو النار.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْبَعُ الْإِنْسَانُ﴾، حذف الواو لفظاً لاستقبال

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُرْحِمَكُمَ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدَّتَنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ تَمَّ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ وَيَدْبَعُ الْإِنْسَانُ بِالْغُرُوحِ غَاوًا مِمَّا وَكَّنَ الْإِنْسَانُ جَحِيلًا ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْآيَاتِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ فَحَسْبُ آيَةَ الْآيَاتِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ سِجْرَةً لِلْبَغَاةِ قِطْعًا لَنْ يُرْحَمُوا وَلَعَلَّهُمْ أَعَدَّتْ الصَّابِرِينَ وَالْجِبَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ وَقَضَيْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا بِكُرْبِهِمْ فِي حَقِّهِمْ ثُمَّ فَخَرْنَا لِيَوْمِ الْعِقَابِ كِتَابًا بِآيَاتِهِمْ مَشُورًا ﴿٢٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَلِمَ تَقْبَلُكَ الْيَوْمَ مِنْ حَيْثُ أَبَدْنَا مَنْ آهَتْنِي فَلَمَّا بَدَأْتُكَ لِنَفْسِي وَمَنْ سَلَ لِمَا يَبْدُؤُا عَلَيْهَا وَلَا يُزِدُ وَزَادَ آخِرِينَ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿٢٤﴾ وَإِذَا أَرَأَوْا أَنَّ تَكْفِيرَهُمْ قَرِيبًا مَفْرَقًا فَاسْتَوَىٰ بِهَا حَتَّىٰ عَلَيَا الْقَوْلَ فَنَدَّتْ بِهَا تَدْمِيمًا ﴿٢٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ قَوْمِكَ بِصِيرًا ﴿٢٦﴾

اللام الساكنة كقوله ﴿سَتَجِدُ الرَّايَةَ﴾ [العلق: ١٨]، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى، ومعناه: يدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿وَالشَّرَّ﴾، فيقول عند الغضب: اللهم العنه واهلكه ونحوهما، ﴿دَعَاةُ الْخَيْرِ﴾، أي: كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضلها، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ جَحِيلًا﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضجرًا، لا صبر له على السراء والضراء.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ﴾، أي: علامتين دالتين على وجودنا ووجدانيتنا وقدرتنا، ﴿فَحَسْبُ آيَةَ الْآيَاتِ﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً،

ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس، وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور. وسأل ابن الكواء علياً [رضي الله عنه] عن السواد الذي في القمر؟ قال: هو أثر المحو. ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر به، ﴿لِنَبْتَعُوا قَضَابًا مِّن رَّيْحِكُمْ وَلِنَعْلَمُوا عَدَدَ آيَاتِكَ وَلِنَحْسَبُ﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل النهار ولم يدر الصائم متى يفطر، ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الأجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا نَفْصِيلاً﴾.

﴿١٣﴾ قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْفَرًا فِي عُنُقِهِ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمنه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد.

وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وسمي طائر على عادة العرب فيما كانت تتفاهل وتتشاهم به من سوانح الطير وبوارحها.

وقال أبو عبيدة والقتيبي: أراد بالطائر حظه من الخير والشر، من قولهم: طار سهم فلان بكذا،

وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجري على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، ﴿وَيُخْرِجُ لَكَ﴾، يقول الله تعالى ونحن نخرج له، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب «ويُخْرِجُ له» بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً. وقرأ أبو جعفر «يُخْرِجُ» بالياء وضمها وفتح الراء، ﴿يَلْقَنَهُ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «يُلْقَاهُ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقي الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقون بفتح الياء وخفيفة [القاف] أي يراه ﴿مُنشُورًا﴾، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة.

﴿١٤﴾ ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾، محاسباً. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

﴿١٥﴾ ﴿مَنْ آمَنَنَّا فَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ﴾، لها ثواب، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّمَا يُجِزِلُ عَلَيْهِ﴾، لأن عليها عقابه، ﴿وَلَا تَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُ وَذُرِّيَّاتِهِ﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إقامته للحجة وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل.

﴿١٦﴾ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَوْمًا أَمْرًا مُّتْرَفِيًّا﴾، قرأ مجاهد: «أمرنا» بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقاتدة ويعقوب «أمرنا» بالمد، أي: أكثرنا. وقرأ الباقون [مقصوراً مخففاً]، أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثروهم الله.

وفي الحديث: «خير المال مهرة مأمورة» أي كثيرة النسل. ويقال: منه أمر القوم يأمرون أمراً إذا كثروا، وليس من الأمر بمعنى الفعل، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة. ﴿مُتْرَفِيًّا﴾ منعميةا وأغنياءها ﴿فَفَسَّخُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكر، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثت عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب فقلت: يا

رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبث».

١٧ قوله: ﴿كُنْ أهلكنا من القرون﴾ أي: المكذبة، ﴿هون بعد فرج﴾، يخوف كفار مكة، ﴿كأن يريك يذوب بياضه خيراً بغيراً﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القرن مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة.

وزوي عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً» قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

١٨ ﴿من كان يريد العاجلة﴾، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، ﴿عجلنا لهم فيها ما نشاء﴾، من البسطة والتقتير، ﴿ولمن نريد﴾، أن نعمل به ذلك أو إهلاكه، ﴿فجرعنا لهم﴾ في الآخرة، ﴿جهنم يصلونها﴾، يدخل نارها، ﴿مذموماً مذخوراً﴾، مطروداً مبعداً.

١٩ ﴿ومن أراد الآخرة وسعنا ما سمعها﴾، عمل عملها، ﴿وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾، مقبولاً.

٢٠ ﴿كلا نريد هؤلاء وهؤلاء﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿هون عطف ريك﴾، أي: يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المال، ﴿وما كان عطاء ريك﴾، رزق ريسك، ﴿مظخوراً﴾،

ممتوعاً عن عباده فالمراد من العطاء: العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة.

٢١ ﴿انظر﴾، يا محمد، ﴿كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾، في الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب العاجلة وطلب الآخرة، ﴿والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾.

٢٢ ﴿لا تجعل مع الله﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها

الإنسان مع الله إلاهاً آخر فنعمد مذموماً مخذولاً من غير حمد مخذولاً من غير نصر.

٢٣ قوله عز وجل: ﴿وقضى ربك﴾، وأمر ريك، قاله ابن عباس وقاتدة والحسن. قال الربيع بن أنس: وأوجب ريك. قال مجاهد: وأوصى ريك.

وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها: «ووصى ريك». وقال: إنهم الصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً، ﴿لا تقبلاً إلا إياه وبالذين أحسننا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً برأ بهما وعطفاً عليهما.

٢٤ ﴿إنا يبلغن عندك الكبر﴾، قرأ حمزة والكسائي بالالف على الشنية فعلى هذا قوله: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: ﴿هم صموا وصموا كثيراً يتهم﴾ [المائدة: ٧١] وقوله:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٧] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [١٩] ﴿كَلَّا نُبَدِّلُ هَذِهِ لَآئِدَةً وَهَذِهِ لَآئِدَةٌ مِثْلَ رِيكِ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠] ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [٢١] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [٢٢] ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّا بَيْنَهُنَّ عِنْدَكَ الْكُبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا آتَى وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] ﴿وَأَنْخِضْ لَهُمَا نَجَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [٢٤] ﴿وَيُكْرَهُمُ أَنْ يَمُوتَا فِي تَوْحُودٍ كَمَا تَوْحَدُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُمْ كَانَ لَأَكْثَرُهُمْ عَاقِبَةً﴾ [٢٥] ﴿وَمَا ذَا الْقُرْفِيِّ حَقَّهُ وَالْوَسْكَانِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبَدِّرُ تَبْدِيرًا﴾ [٢٦] ﴿إِنَّ الْبَلِيدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [٢٧]

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] وقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] ابتداء وقرأ الباقون «يبلغن» على التوحيد، ﴿فلا تقل لهما أفي﴾، فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر، ونافع، وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية، قال أبو عبيدة: أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: «الأف» ما يكون في المغابن من الوسخ، و«التف» ما يكون في الأصابع. وقيل: «الأف» وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار. وقيل: «الأف» وسخ الظفر و«التف» ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير. ﴿ولا تنههما﴾، ولا تزجرهما،

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، حسناً جميلاً لينا.

قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد اللفظ. وقال مجاهد: لا تسميهما، ولا تكنهما، وقل: يا أبتاه يا أماه.

وقال مجاهد: في هذه الآية أيضاً إذا بلغا عندك من الكبر ما يولان فلا تتقدرهما، ولا تقل لهما أف حين تميظ عنهما الخلاء والبول كما كانا يميظانه عنك صغيراً.

﴿٢٤﴾ ﴿وَإخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾، أي: أَلْنِ جَانِبِكْ لَهُمَا وَاخْضَعْ لَهُمَا. وقال عروة بن الزبير: أَلْنِ لَهُمَا حَتَّى لَا تَمْتَنِعَ عَنْ شَيْءٍ أَحْبَابَهُ ﴿مِنْ أَرْحَمَتِهِ﴾، من الشفقة، ﴿وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا﴾، أراد إذا كانا مسلمين. وقال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن - يعني - السلمي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيع».

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي الزراد، أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني، أنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني،

أنا حسن بن سفيان، ثنا يحيى بن حبيب بن عدي، ثنا خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي، ثنا عبدالله بن مسلمة، ثنا عبدالعزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مئان، ولا عاق، ولا مُدْمُنُ خمر».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن بامويه الأصفهاني، أنا أبو سعيد أحمد [بن محمد] بن زياد البصري، أنا الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح، ثنا ربيع بن عُليّة، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَتَى عَلَيْهِ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبُوهُ الكَبِيرَ فَلَمْ يَدْخُلْهُ الجَنَّةَ».

﴿٢٥﴾ ﴿رَبُّكُمْ أَظَلُّ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾، من برِّ الوالدين وعقوقهما، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾،

أبراراً مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿إِنَّكُمْ كَانُوا لِلذَّيْبِ﴾، بعد المعصية ﴿عَفْوًا﴾.

قال سعيد بن جبیر في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه، لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به. وقال سعيد بن المسيب: «الأواب» الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبیر [هو] الرجّاع إلى الخير.

وعن ابن عباس قال: هو الرجّاع إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: هُمُ الْمَسْبُوحُونَ، دليله قوله: ﴿يَسْجَلُ أَرْوَى مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]. قال قتادة: هم المصلون، قال عوف العجلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الرّوّقي الطوسي، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو بكر بن أبي شيبّة، ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستواثي، عن قتادة، عن القاسم بن عوف، عن زيد بن أرقم قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى، فقال: «صلاة الأوابين. إذا رمضت الفصل من الضحى».

وقال محمد بن المنكدر: الأواب [الذي] يصلي بين المغرب والعشاء. وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين.

وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُنَّ إِتِبَاعَهُنَّ وَرُجُوعَهُنَّ لَكُمْ قَوْلًا مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا جَعَلَ يَدَكُم مَّغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكُمْ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٧﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مِّنْ رَّزُقُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا لَنَفْسِهِمْ كَانَ عِظَمًا كَبِيرًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ قُرْشًا وَنِسَاءً سَيِّئًا ﴿٢٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِيسَالِهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَرْوَاهُمَا الْمَهْدِينَ الْمَهْدَكَاتِ مَسْرُوكًا ﴿٣١﴾ وَأَرْوَاهُمَا الْكَلْبَ إِذَا كُتِمَ وَرَبُّوهُمَا بِالْقَصْطِ إِنَّ السَّمْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُودًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَنفِسْ فِي الْأَرْضِ مَرْمَأَتِكَ لَن نَّفْرُقَ الْأَرْضَ وَلَا نَبْلُغَ الْمَبَالَغَ طُولًا ﴿٣٤﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِندَ رَبِّكَ مَكْرَهُمًا ﴿٣٥﴾

قال جابر: أتى صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعاً، ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه، فقال للصبي: «من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فعُد إلينا وقتاً آخر»، فعاد إلى أمه فقالت: قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره فنزع قميصه وأعطاه إياه وقعد عزيباً فأذن بلال بالصلاة، فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب أصحابه، فدخل عليه بعضهم فرآه

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُنَّ إِتِبَاعَهُنَّ وَرُجُوعَهُنَّ لَكُمْ قَوْلًا مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون. [وأ] عن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿وَالْيَتِيمِينَ وَالنَّسِيلَ وَلَا يُبْدِرُ تَبْدِيرًا﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو انفق الإنسان ماله كله [في الحق ما كان] تبديراً ولو أنفق مداً في باطل كان تبديراً وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه. قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجص وآجر، فقال: هذا التبذير، وفي قول عبدالله: إنفاق المال في غير حقه.

﴿إِنَّ الْيَتِيمِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، جحوداً لنعمه.

﴿وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُنَّ﴾، نزلت في مهجع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحيين ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول، فنزل ﴿وَمَا تَرْضَيْنَ عَنْهُنَّ﴾، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم، ﴿إِتِبَاعَهُنَّ وَرُجُوعَهُنَّ لَكُمْ قَوْلًا مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتىكم، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وهي العدة، أي: عذمه وعداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول: يرزقنا الله وإيتاك.

﴿وَمَا تَجْعَلُ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

عزيباً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

يعني: ولا تمسك يدك عن الففقة في الخير كالمغلوله يده لا يقدر على مداها، ﴿وَلَا تَبْسُطُهَا﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ الْبَسِطِ﴾، فتعطي جميع ما عندك، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾، يلومك سائلوك بالإمسك إذا لم تعطهم، والملموم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره، ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة. وقال قتادة ﴿مَّحْسُورًا﴾ نادماً على ما فرط منك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾، يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: يقتر ويضيق، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مِّنْ رَّزُقِهِمْ وَإِنَّا كُنَّا لَنَفْسِهِمْ كَانَ عِظَمًا كَبِيرًا﴾، فقرر، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا كَانَ عِظَمًا خَطِيئَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ قُرْشًا وَنِسَاءً سَيِّئًا﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر «خطأ» بفتح الخاء والطاء مقصوراً. وقرأ ابن بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الخاء وجزم الطاء، ومعنى الكل واحد، أي: إنتما كبيراً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ قُرْشًا وَنِسَاءً سَيِّئًا﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وحقها ما روينا.

أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها».

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِهِ سُلْطٰنًا﴾، أي: قوة وولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخير، فإن شاء استقاد منه، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا عنه. ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «فلا تسرف» بالتاء يخاطب ولي القتل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل.

واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ولي القتل، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: معناه [و] لا يقتل غير القاتل، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه.

وقال سعيد بن جبیر: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَظْلُومًا﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية.

وقيل في قوله: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يتعدى بالقتل بغير الحق،

فإنه إن فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

﴿٣٤﴾ ﴿لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاه عما نهى الله عنه.

وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَثْوًى لَكُمْ﴾، وقال السدي: كان مطلوباً.

وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فيم نقضت، كالموودة تسأل فيم قُتلت.

﴿٣٥﴾ ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص «بالقسطاس» بكسر القاف والباقون بالضم، وهما لغتان وهو الميزان صغراً أو كبيراً أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبان. قال مجاهد: هو رومي.

وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿الْمُسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: عاقبة.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره، وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلم. وقال مجاهد: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم. قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلاناً أفقوه وقفيته وأقفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافة لتتبعهم الآثار. قال القتيبي: هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفائها يتبعها

ويتعرفها. وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده.

وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء. وقوله: ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ﴾ أي كل هذه الجوارح والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع أولئك إلى أربابها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسين، أنا أبو علي حامد بن محمد الرقء، ثنا أبو الحسن علي بن عبدالعزیز، أنا الفضل بن دكين، ثنا ابن أوس العبسي، حدثني بلال بن يحيى العبسي، أن شتير بن شكّل أخبره عن أبيه شكّل بن حميد قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علمني تعويداً أتعوذ به، قال: فأخذ بيدي ثم قال: «قل اللهم إني أعوذ بك من شرّ سمعي، وشرّ بصري، وشرّ لساني، وشرّ قلبي، وشرّ ميني» قال: فحفظتها قال سعد: والمني ماؤه.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَمًا﴾، أي بطراً وكبراً وخيلاء، وهو تفسير المشي، فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْعَىٰ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك، معناه: أن الإنسان لا ينال بكبره ويطره شيئاً، كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءآخَرَ فَلَنْقَلِبَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٦﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ
 بِالْبَيْنِ وَآخِذًا مِنَ الْمَلِكِ كَمَا إِتْنَا إِلَهُكُمْ لَقُولُوا قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٢٨﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ سَبِيلٍ
 ءآخَرَ لِيُحْكَمُوا فِيهِ مِمَّا كَانُوا فِي شَكٍّ ﴿٢٩﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَسَّجُّدٌ سَاجِدٌ لِّكُنْ
 لَا تَلْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيبًا أَفْهَمُوا ﴿٣١﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ فَاصْنَعْ صَنِيعَكَ لِغَيْرِكَ مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَاهِلًا
 مُّسْتَوِرًا ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ كِتَابًا أَنْ يَقْرَأُوا فِيهَا وَمَا يَذَكَّرُ
 قَوْلًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَلَّغُوا الْمُرْسَلِينَ وَصَدِّقُوا وَعَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا
 ﴿٣٣﴾ مَن آتَاهُمَا يَسْتَعِينُوا بِهِمَا فَاعْتَدُوا لِلنَّارِ كَمَا دُرُّهُمْ يُجْرَىٰ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا رَجُلًا كَذَبًا ﴿٣٤﴾ أَنْظُرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَقَالُوا أَوَلَا كُنَّا عِظَمًا لِّرَفِئَاتٍ أَتَا لَمُسْعُورُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٦﴾

[٢٦]

فِي هَذَا الْقُرْآنِ، يَعْنِي الْعَبْرَ
 وَالْحُكْمَ، وَالْأَمْثَالَ، وَالْأَحْكَامَ،
 وَالْحُجْجَ، وَالْإِعْلَامَ، وَالتَّشْدِيدَ
 لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّكْرِيرِ، ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ أَي:
 لِيَتَذَكَّرُوا وَيَتَعَطَّوْا، وَقَرَأَ حَمْزَةَ
 وَالْكَسَائِي بِاسْكَانِ الذَّالِ وَضَمِ الْكَافِ
 وَكَذَلِكَ فِي الْفُرْقَانِ: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾،
 تَصْرِيفِنَا وَتَذَكِّرِنَا وَتَكْرِيرِنَا، ﴿إِلَّا
 نُفُورًا﴾، ذَهَابًا وَتَبَاعُدًا عَنِ الْحَقِّ.

﴿قُلْ﴾، يَا مُحَمَّدَ لِهَوْلَاءِ
 الْمُشْرِكِينَ، ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا
 يَقُولُونَ﴾، قَرَأَ حَفْصٌ وَابْنُ كَثِيرٌ
 «يَقُولُونَ» بِالْيَاءِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالِتَاءِ،
 ﴿إِذًا لَآتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، لَطَلَبُوا يَعْنِي الْآلِهَةَ
 ﴿إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، لِلْمُغَالَبَةِ
 وَالْقَهْرِ لِيُزِيلُوا مَلِكَهُ [وَيُضَادُوا مَا
 يَفْعَلُهُ مِنَ الْإِبْجَادِ وَالْإِعْدَامِ]، كَفَعَلَ
 مَلُوكَ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ. وَقِيلَ:
 مَعْنَاهُ لَطَلَبُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 [طَرِيقًا] بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. قَالَ قَتَادَةُ:

كقوله: ﴿وَمَا تَذَكَّرْتُمْ﴾ [الإسراء: ٢٦]
 ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾
 [الإسراء: ٢٤] وغير
 ذلك، وقرا الآخرون
 «سيئة» منصوبة منونة
 يعني: كل الذي ذكرنا من
 قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَوْلَدُنَا﴾
 إلى هذا الموضع سيئة لا
 حسنة فيه، إذ الكل يرجع
 إلى المنهني عنه دون
 غيره، ولم يقل مكروهة
 لأن فيه تقدماً وتأخيراً
 تقديره: وكل ذلك كان
 مكروهاً سيئة. وقوله:
 ﴿مَكْرُوهًا﴾ على التكرير لا

على الصفة، مجازه كل ذلك كان
 سيئة وكان مكروهاً، أو رجع إلى
 المعنى دون اللفظ، لأن السيئة
 الذنب وهو مذكور.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكر، ﴿مِمَّا
 أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، وكل ما
 أمر الله به أو نهى الله عنه فهو
 حكمة. ﴿وَلَا جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءآخَرَ﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه
 الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فَلَنْقَلِبَ فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، مطروداً مبعداً
 من كل خير.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَأَصْفَكَ
 رَبُّكُمْ﴾، أَي: اخْتَارَكُمْ فَجَعَلَ لَكُمْ
 الصَّفْوَةَ وَلِنَفْسِهِ مَا لَيْسَ بِصَفْوَةٍ، يَعْنِي
 اخْتَارَكُمْ، ﴿بِالْبَيْنِ وَآخِذًا مِنَ الْمَلِكِ
 كَمَا إِتْنَا﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة
 بنات الله، ﴿إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا
 عَظِيمًا﴾، يخاطب مشركي مكة.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك
 لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على
 عقبيه ومرة على صدره قديمه، فقيل
 له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت
 على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولاً
 إن مشيت على صدر قديمك.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن
 عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو
 القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا
 أبو الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى
 الترمذي، ثنا سفيان بن وكيع، ثنا
 أبي، عن المسعودي، عن عثمان بن
 مسلم بن هرمز، عن نافع بن
 جبير بن مطعم، عن علي قال: كان
 رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ
 تكفؤاً، كأنما ينحط من صيب.

أخبرنا أبو محمد [عبدالله بن
 عبدالصمد] الجرجاني، أنا أبو
 القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن
 كليب، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا
 قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن
 أبي يونس، عن أبي هريرة رضي الله
 عنه قال [ما] رأيت شيئاً أحسن من
 رسول الله ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي
 فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي
 مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا
 الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ، إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا
 وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مَكْتَرٍ.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ
 بَرَفْعِ الْهَمْزَةِ وَضَمِ الْهَاءِ عَلَى
 الْإِضَافَةِ، وَمَعْنَاهُ كُلُّ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ
 قَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 إِنَّا﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿كَانَ سَيِّئُهُمْ﴾
 أَي: سَيِّءٌ مَا عَدَدْنَا عَلَيْكَ عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا لِأَنَّهُ قَدْ عَدَّ أَمْوَرًا حَسَنَةً

لعرفوا الله بفضلهم وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح، ثم نزه نفسه.

﴿فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «تقولون» بالتاء [وقرأ] الآخرون بالياء، ﴿عَلَّوْا كَبِيرًا﴾. ﴿سُبْحَانَكَ لَكَ الْبَرَكَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب «تسبح» بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للمحائل بين الفعل والتانيث، ﴿وَلَنْ يَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات، وقال عكرمة: الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح. وعن المقدم بن معد يكرب قال: إن العراب يسبح ما لم يتبل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركذ ترك التسبيح، وإن الوحش والطيور تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح. وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف.

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله، حياً كان أو ميتاً أو جماداً وتسبحها سبحان الله وبحمده.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثني، أنا أبو أحمد الزبير، أنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسبح تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن الله تعالى [أودع] علما في الجمادات لا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه. ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا قَرَأَتْ الْقُرْآنَ جَمَلًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَبَابًا مَسْتُورًا﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مریم: ٦١] مفعول بمعنى الفاعل. وقيل: مستورا عن أعين الناس فلا

يرونه. وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة.

كما روي عن سعيد بن جبیر أنه لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر، والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر، ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله، قال: «لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني».

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، «أَنْ تَفْقَهُوهُ»، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿وَدَفَّ مَا نَاهِيَهُمْ وَقَرَأَ﴾، ثقلاً لئلا يسمعه. ﴿وَلَا إِذَا دُكِّرَتْ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّثُ﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّ عَلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْقُرْآنَ لَمَلَأْنَاهُمْ فِي الْقُرْآنِ عُقُوبًا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، جمع «نافر» مثل قاعد، وقعود، وجالس، وجلوس، أي نافرين.

﴿مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، قيل: «به» صلة أي: يطلبون سماعه، ﴿إِذَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَلَا تُمْ تَحْمِلُ﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذرو نجوى، فبعضهم يقول: هذا مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿إِذَا يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا﴾، مطبوياً. وقال مجاهد: مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٥٨﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾ صُدُورًا فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٦٠﴾ فَسَيَقُولُونَ إِلَيْكَ رُدُّوهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٦١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَحْمُودٍ ﴿٦٢﴾ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٦٤﴾ وَتَذَكَّرْ أَتَى بِنِشْأِ رَبِّكُمْ وَأَنْ يَنْشَأَ يَعْبُدُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَاكَ دَاوُدَ وَزُكْرًا ﴿٦٦﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جُوعًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتغُونَ إِلَيْكَ رِجَالًا أَوْ سِجِلًا أَنِّي مَأْمُورٌ ﴿٦٨﴾ رَحْمَتُهُمْ وَمَغْفِرَتُهُمْ غَدَاةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّكَ كَانَتْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٦٩﴾ وَإِنَّ مِنْ قَرِيبٍ لَأَنْزِعَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْوَيْسِلَةَ أَتِيماً قَرِيبًا وَيَرْحَمَهُمْ وَيَغْفِرَ لَهُمْ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَاكَ دَاوُدَ وَزُكْرًا ﴿٦٦﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جُوعًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتغُونَ إِلَيْكَ رِجَالًا أَوْ سِجِلًا أَنِّي مَأْمُورٌ ﴿٦٨﴾ رَحْمَتُهُمْ وَمَغْفِرَتُهُمْ غَدَاةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّكَ كَانَتْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٦٩﴾ وَإِنَّ مِنْ قَرِيبٍ لَأَنْزِعَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْوَيْسِلَةَ أَتِيماً قَرِيبًا وَيَرْحَمَهُمْ وَيَغْفِرَ لَهُمْ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَاكَ دَاوُدَ وَزُكْرًا ﴿٦٦﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جُوعًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتغُونَ إِلَيْكَ رِجَالًا أَوْ سِجِلًا أَنِّي مَأْمُورٌ ﴿٦٨﴾ رَحْمَتُهُمْ وَمَغْفِرَتُهُمْ غَدَاةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّكَ كَانَتْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٦٩﴾

رُدُّوهُمْ، أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾، أي: السبعث والقيامة، ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾، أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿تَسْتَجِيبِينَ بِمَحْمُودٍ﴾، قال ابن عباس: بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدون حين لا ينفعهم الحمد. وقيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين [له] ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْنَا فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْقُبُورِ، إِلَّا قَلِيلًا﴾، لأن الإنسان لو مكث ألفاً من السنين في الدنيا أو في القبور، عد ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال الكلبي: كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُوا﴾ للكافرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولا يكافؤوهم بسفهمهم. قال الحسن: يقول له يهديك الله.

يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلاً له سحر، والسحر: الرثة، أي إنه بشر مثلكم معلن بالطعام والشراب يأكل ويشرب. قال الشاعر: أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب أي: يغذى ويعلل.

﴿أَنْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ صَبَرُوا لَكَ الْإِيمَانُ﴾، الأشباه، فقالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿فَضَّلْنَا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيحًا﴾ أي: وصولاً إلى طريق الحق.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا عِظَمًا لَوَدَّعْنَا﴾ بعد الموت ﴿وَرَدَّعْنَا﴾ قال مجاهد: تراباً. وقيل: حطاماً. والرفات: كل ما يكسر ويبلى من كل شيء كالفتات والحطام.

﴿أَوَّانًا لَنَبْعَثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾. ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُونَ فِي صُدُورِكُمْ﴾، قيل: السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم، ﴿سَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾، من يبعثنا بعد الموت، ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾، خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿فَسَيَقُولُونَ إِلَيْكَ

وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالغفر.

وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخصلة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يفسد ويلقي للعداوة بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ظاهر العداوة.

﴿وَتَذَكَّرْ أَتَى بِنِشْأِ رَبِّكُمْ وَأَنْ يَنْشَأَ يَعْبُدُكُمْ﴾، يوفقكم فتؤمنوا [فيشيكم على الإيمان]، ﴿أَوْ إِن يَنْشَأَ يَمْدُبْكُمْ﴾، يميثكم على الشرك فتعدبوا، قاله ابن جريج.

وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم، ﴿وَمَا

عَذَابُهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٦﴾، أي يطلب منه الحذر. وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم الجنيتون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود «الذين تدعون» بالباء.

﴿٥٦﴾ **وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ لِيَخْرُجُوا مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مَحْذُورٌ عَلَيْهِمْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالضُّلَمَاءَ ۖ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ۚ لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا ۚ وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا ۚ وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا ۚ**

قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها. «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ»، في اللوح المحفوظ، «مَسْطُورًا»، مكتوبًا. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال [له] اكتب، قال: ما أكتب؟ قال القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد».

﴿٥٧﴾ **قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا﴾**

قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ إن شئت أن أستأنى بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيتهم ما سألو فأفعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم من

تنكروا تفضيل النبي فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم.

﴿٥٨﴾ **قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا﴾**

يَلِكُوتَ كَفَتْ أَغْزَىٰ، القحط والجوع، «عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا»، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

﴿٥٩﴾ **﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَهُكَ الْوَسِيلَةَ﴾**، يعني الذين يدعونهم المشركون أهله [و] يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: هم عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، يبتغون أي يطلبون إلى ربهم «الوسيلة»، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله: «يَبْتَغُونَ إِلَهُكَ الْوَسِيلَةَ»، أي القربة، وقيل: الوسيلة الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله: «يَبْتَغُونَ إِلَهُكَ الْوَسِيلَةَ»، أي القربة، وقيل: الوسيلة الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

﴿٥٩﴾ **﴿وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ لِيُرِيَهُمْ أَهْلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا لَعَلَّ يَسْتَفِئُوا مِنْهَا وَيَكْتُمُوا﴾**

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٨﴾ حَفِظًا وكفيلًا. قيل: نسختها آية القتال.

﴿٥٩﴾ **﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾**، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم، «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ الْأَبْنَاءِ عَلَى بَعْضٍ»، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض. قال قتادة في هذه الآية: اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا، وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً كما قال: «وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا»، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل، ليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، ومعناه: إنكم لم

الأمم، فقال النبي ﷺ: «لا بل تستأني بهم»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾. التي سألتها كفار قومك ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأُولَى﴾ فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم، لأن من ستنا في الأمم إذا سألتها الآيات، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها، أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: ﴿يَلِي السَّاعَةَ مَوْلَاهُمْ وَآلِ سَاعَةَ أَهْلُهَا وَأَمْشِ الْقَوْمَ﴾ [الفرق: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَأَنبَأْنَا نُوحَ الْفَالِقَ الْيَمِينِ﴾، مضيئة بينة، ﴿فَقَلَّمُوا بِهَا﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ يَطْلُبُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، للعباد ليؤمنوا قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِذْ رَأَيْتَ حَاطًا بِالنَّارِ﴾، أي: هم في قبضته، لا يقدر على الخروج عن مشيئته، فهو حافظك وامنعك منهم، فلا تهيم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا آيَاتِنَا الَّتِي أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قِسْمًا لِلنَّاسِ﴾، فالأكثر على أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس:

هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ. وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، والأكثرين. والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكروا بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان: رؤية بالعين، ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديدية أنه دخل مكة هو وأصحابه، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون، فرجع إلى المدينة، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧]، ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازة والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كربه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين.

أحدهما أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الحجر.

والثاني: أن عبداً بن الزبيري قال: إن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزيد والتمر.

وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات [٦٢]. وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتجففه، يعني الكشوث، ﴿وَتَخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، التخويف، ﴿إِلَّا طَفِينًا كِيدًا﴾ أي: تمردا وعتوا عظيماً:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: خلقته من طين أنا جئت به، وذلك ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبتها ومالحتها، فخلق منه آدم، فمن خلقه من العذب فهو سعيد وإن كان ابن كافر، ومن خلقه من المالح فهو شقي وإن كان ابن مؤمنين.

﴿قَالَ﴾، يعني إبليس، ﴿أَرَأَيْتَكَ أَطَاعَ وَإِنِّي لَأَكْفِرُ﴾ أي: أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فضلتني علي: ﴿لَئِن لَّمْ يَؤْمُرْ بِي﴾ أمهلني ﴿إِن يَأْمُرْ بِالتَّوْبَةِ لَأَتُوبَنَّ﴾ أي: لأستأصلنهم بالإضلال، يقال احتك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها: إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها [به]، أي لا تؤذونهم كيف شئت. وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني المعصومين الذين

استثناهم الله عز وجل في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: جزاؤك وجزاء أتباعك، ﴿جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾، وافرأ مكملأ، فتقول: وفرته أوفره وقرأ.

﴿قَالَ﴾ وقوله: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ [أي] استخفف [واستزل] واستجهد ﴿مِنْ أَسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ﴾، أي: من ذرية آدم، ﴿بِصَوْتِكَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله، وكل داغ إلى معصية الله فهو من جند إبليس. قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزههم به إلى جانبك، أي: تستخفهم. وقال مجاهد: بالغناء والمزامير، ﴿وَأَلْبَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلًا وَرَجُلًا﴾، قيل: اجمع عليهم مكايذك وخيلك، يقال: «أجلبوا» و«أجلبوا» إذا صاحوا، يقول: صخ بخيلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء، [و] قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم، والخيل: الركبان، والرجل: المشاة.

قال أهل التفسير: كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس.

وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس وهو كل من يقاتل في المعصية، والرجل والرجالة والراجلة واحد، يقال: راجل ورجل، مثل تاجر وتجر، وراكب وركب.

وقرأ حفص «ورجلك» بكسر

الجيم وهما لغتان، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فالمشاركة في الأموال: كل ما أصيب من حرام، أو أنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لأهنتهم. وأما المشاركة في الأولاد زوي عن ابن عباس: أنها المموؤدة. وقال مجاهد: والضحاك: هم أولاد الزنا. وقال الحسن وقتادة: هو أنهم هودوا أولادهم، ونصروهم ومجسوهم. وعن ابن عباس [في] رواية أخرى: هو تسميتهم الأولاد عبدالحارث، وعبد شمس، وعبدالعزى، وعبدالدار، ونحوها. وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل «بسم الله» أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل.

وروي في بعض الأخبار «إن فيكم مغربين» قيل: وما المغربون؟ قال: «الذين يشارك فيهم الجن».

وروي أن رجلاً قال لابن عباس إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار، قال: ذلك من وطء الجن.

وفي الآثار: أن إبليس لما أخرج إلى الأرض، قال: يا رب أخرجني من الجنة لأجل آدم فسَلَطَنِي عليه وعلى ذريته، قال: أنت مسلط، فقال: لا أستطيعه إلا بك فزدني، قال: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ الآية، فقال آدم: يا رب

سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه، فقال: زدني، قال: الحسنه بعشر أمثالها والسيئة بمثلها، قال: زدني، قال: التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد، فقال: زدني، قال: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية.

وفي الخبر: أن إبليس قال: يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: [قرأتك] الشعر، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: ومن زسلي؟ قال: الكهنة، قال: وأين مسكني؟ قال: الحمامات، قال: وأين مجلسي؟ قال: الأسواق، قال: أي شيء مطعمي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي، قال: ما شرايبي؟ قال: كل مسكر، قال: وما جبالي؟ قال: النساء، قال: وما أذاني؟ قال: المزامير. قوله عز وجل: ﴿وَيَعِدُهُمْ﴾، [أي: مَنَّهُم] الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق، فإن قيل: كيف يذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: ﴿إِنَّكَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]؟ قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: ﴿أَتَمَلُّوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقول القائل: افعل ما شئت فسترى.

﴿قَالَ﴾ قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، أي حافظاً بمن يوكل الأمر إليه.

١٦ قوله عز وجل: **رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيكُمْ لَكُمْ الْفَلَكَ** أي: يسوق ويجري لكم الفلك، **فِي الْبَحْرِ** لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ، لتطلبوا من رزقه، **إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**.

١٧ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ**، الشدة وخوف الغرق، **فِي الْبَحْرِ ضَلَّ**، أي: بطل وسقط، **مَنْ تَدْعُونَ**، من الآلهة، **إِلَّا إِلَاهًا**، إلا الله فلم تجدوا مغيثاً سواه، **فَلَمَّا يَنْجَرُكُم**، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، **إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ** [أغمضتم] عن الإيمان والإخلاص والطاعة، كفراً منكم لنعمه، **وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**.

١٨ **أَفَأَنْتُمْ**، بعد ذلك، **أَنْ يَحْيِفَ بِكُمْ**، يغور بكم، **جَانِبَ الْبَرِّ**، ناحية البر وهي الأرض، **أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**، أي: يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصا الصغار، **ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا**، قال قتادة: مانعاً [يمنع عنكم ما فعلنا بكم].

١٩ **أَمْ أَنْتُمْ** أن يُبِيدَكُمْ فِيهِ، يعني في البحر، **تَارَةً** مرة، **أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ**، قال ابن عباس: أي: عاصفاً وهي الريح الشديدة. وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدفه وتحطمه. وقال القتبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، **فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ يُبِيحًا**، ناصرًا

ولا ثائراً، وتبيع بمعنى تابع أي [تابعاً مطالباً بالثأر]. وقيل: من يتبعنا بالإنكار قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم»، بالنون فيهن، لقوله «علينا» وقرأ الآخرون بالياء لقوله: **إِلَّا إِلَاهًا** وقرأ أبو جعفر ويعقوب «فتغرقكم» بالثاء يعني الريح.

٢٠ قوله عز وجل: **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون

بالأيدي، وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال باللحي، والنساء بالدواب.

وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس. **وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، **وَوَدَّعْنَاهُمْ مِنْ أَلْيَيْنَ**، يعني: لذيد الطعام والشراب.

قال مقاتل: المسمن، والزبد، والتمر، والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى [عليكم من التبن والعظام وغيرها] **وَوَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**، وظاهر

وَأَذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنَ الْإِلَهِاتِ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا يَنْجَرُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ١٦ أَفَأَنْتُمْ أَنْ يَحْيِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ١٧ وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ ١٧ وَمَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا يَنْجَرُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ أَجَابَ دُعَاءَكُمْ وَأَنْجَاكُمْ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ وَأَخْرَجَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ كَفَرًا مِنْكُمْ لِنِعْمِهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ١٨ أَفَأَنْتُمْ أَنْ يَحْيِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا كَمَا أَمَطَرَ عَلَى قَوْمِ لُوطَ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَتِيبِيُّ: الْحَاصِبُ الرِّيحُ الَّتِي تَرْمِي بِالْحَصْبَاءِ وَهِيَ الْحَصَا الصَّغَارُ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ١٩ أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يُبِيدَكُمْ فِيهِ ١٩ يَعْنِي فِي الْبَحْرِ تَارَةً مَرَّةً أُخْرَى فَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ عَاصِفًا وَهِيَ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ الرِّيحُ الَّتِي تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ أَيُّ تَدْفَعُهُ وَتَحْطِمُهُ وَقَالَ الْقَتِيبِيُّ: هِيَ الَّتِي تَقْصِفُ الشَّجَرَ أَيُّ تَكْسِرُهُ فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ يُبِيحًا نَاصِرًا

الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل. وقال قوم: فُضِّلُوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فُضِّلُوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأشباههم.

وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف، فقال قوم: فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ**، إلى قوله تعالى: **وَكَثُرَتْ كَذِبَاتٌ** [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣] أي: كلهم.

وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا

ولنا الآخرة، فقال تعالى: «لا أجعل من خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كن فكان». والأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، وروي عن أبي هريرة [رضي الله عنه] أنه قال: المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

﴿٧١﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم. وقال: أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضاً: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية، ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسْمِعْهُ﴾، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَنبِيَائِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَكْفُرُونَ لِكُلِّ أَكْثَرٍ﴾ [القصص: ٤١]، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن كعب: ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾، قيل: يعني بأسمائهم، [قيل] فيه ثلاثة أوجه من الحكمة

أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني لشرف الحسن والحسين، والثالث لثلاثا يفتضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسْمِعْهُ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَطْلُمُونَ قَسِيلاً﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل. ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾،

اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمْ الْغَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿تَقْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٢١ و٧٠] يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين [وشاهد] أعمى، ﴿فَهُوَ فِي﴾، أمر، ﴿الْآخِرَةِ﴾، التي لم يعاين ولم ير، ﴿أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾، يروي هذا عن ابن عباس، وقال آخرون: هي راجعة إلى الدنيا، يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أي أشد عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أي أخطأ طريقاً.

وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

وقال الحسن: ومن كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني [يعني] فهو في الآخرة أشد عمى لقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

﴿٧٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَتَنَبَّؤَنَّكَ عَنِ اللَّيْلِ أَوْحِينَآ إِلَيْكَ﴾

الآية، اختلفوا في سبب نزولها. قال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فممنعته قريش، وقالوا: لا ندعك حتى تلم بالكهتنا وتمسها، فحدث نفسه [وقال]: ما عليّ أن أفعل ذلك، والله تعالى يعلم أنني لها كاره، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود. وقيل: طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحث نفسه بذلك، فأنزل الله هذه الآية.

قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال، قال: «وما هن؟» قالوا: أن لا ننحني في الصلاة، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات [والعزى] سنة من غير أن نعبدها، فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية يعني اللات - والعزى - فإني غير متمتع بها»، فقالوا: يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؟ فسكت رسول الله ﷺ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ لِيَصْرِفُونَكَ عَنِ اللَّيْلِ أَوْحِينَآ إِلَيْكَ لِيَفْتَرِي﴾، لتختلق، ﴿عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا﴾، لو فعلت ما دعوك إليه ﴿لَأَخَذَنَّكَ خِيَلًا﴾ أي: والوك وصافوك.

﴿٧٣﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَكَ﴾، على

وَلَا يَسْتَفِرُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٥﴾ سُنَّةٌ مِّنْ قَدِّ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَى
الْفَصْلَةَ يَدُلُّوكَ لَلشَّمْسِ الْغَاسِقِ الْآيِلَ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَرَامٌ مَّشْهُودًا ﴿٧٧﴾ وَمِنَ الْآيِلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٨﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَدِّخِنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
أَدْنِكَ سُلْطَنًا نَّاصِرًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٠﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا
وَرَحْمَةً لِّلْمُتَدَبِّرِينَ وَلَا نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً شَرَكًا ﴿٨١﴾ وَإِذَا
أَصْمَعْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ وَجَاهُ وَمَوَلَّىٰ مَن لَّمْ يَخْشَ اللَّهَ لَأَصْحَابِهِ
﴿٨٢﴾ قُلْ كَلِمَةٌ عَلَىٰ شَاكِلِيهِمْ فَمَنْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٣﴾ وَسَتَلُونَكَ مِنَ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أوتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَنَجْعَلَ لَكَ بَدِيلًا وَنَعْلَمَ بِمَا كَيْدُكَ ﴿٨٥﴾

هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم فأنت الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الخليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَالْأَرْضُ﴾ هنا هي المدينة.

الحق بعصمتنا، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ أي: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أي: قريباً من الفعل، فإن قيل: كان النبي ﷺ معصوماً فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟ قيل: كان ذلك خاطر قلب، ولم يكن عزمًا وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم لا تكلمني إلى نفسي طرفة عين». والجواب الصحيح وهو: أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئِنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ وقد ثبته الله فلم يركن [إليهم] وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. [وقد تفضل فلم يتبعوا].

﴿٧٥﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: «الضعف» هو العذاب، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْهِمْ نَصِيرًا﴾، أي: ناصرًا يمنعك من عذابنا.

﴿٧٦﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَفِرُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾، اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية.

قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما

بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول: الأول مدة حياتهم، وعلى الثاني: ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا بيد. ﴿٧٧﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُنَّةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا، فانصب بحذف الكاف، وسنة الله في الرسل إذا كذبهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبينهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبينهم من بين أظهرهم عذبهم. ﴿وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، أي تبديلاً.

﴿٧٨﴾ قَوْلُهُ: ﴿أَفَرَأَى الْفَصْلَةَ يَدُلُّوكَ لَلشَّمْسِ الْغَاسِقِ﴾، اختلفوا في الدلوک: روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الدلوک هو الغروب، وهو قول إبراهيم النخعي، ومقاتل بن حيان، والضحاک، والسدي، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر: هو زوال الشمس، وهو قول عطاء، وقيادة،

وقال مجاهد وقيادة: الأرض أرض مكة. والآية مكية، هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه [ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه]. وهذا اليتق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية. وقيل: هم الكفار كلهم، أرادوا أن يستفزه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه، فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾ أي: بعدك، قرأ ابن عامر وحمزة والکسائي وحفص ويعقوب «خلافك» اعتباراً بقوله تعالى: ﴿فَرَجَّ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، ومعناها واحد. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يلبثون

ومجاهد، والحسن، وأكثر التابعين، ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل، إذا زالت أو غربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر، ﴿إِنَّ عَسَىٰ أَلَّيْلٌ﴾ يتناول المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هو صلاة الصبح.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ عَسَىٰ أَلَّيْلٌ﴾ أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدؤ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، يعني صلاة الفجر، سمي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب «قرآن» من وجهين؟ أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإجراء أي وعليك قرآن الفجر، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُورًا﴾، أي: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، ثم

يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُورًا﴾.

﴿٧٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعدما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ فِي سُبْحَانَكَ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ وَارْكَعْ سَاجِدًا﴾ [المزمل: ١ - ٢]، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: ﴿فَأَقْرِبُوا مَا يَتَّبِعُونَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ. وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هن علي فريضة، وهن سنة لكم: الوتر والسواك وقيام الليل».

قوله عز وجل: ﴿كَافَّةً لَّكَ﴾ أي: زيادة لك، يريد فريضة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك. وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافذة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: ﴿كَافَّةً لَّكَ﴾ ولم يقل عليك، فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ؟ قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم، والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب

فتبقى له زيادة في رفع الدرجات. أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخراعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالوا: ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال: قام النبي ﷺ؟ حتى انتفخت قدماء، فقيل له: أنتكف هذا وقد غفر [الله] لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن عبدالله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عبدالله بن قيس بن مخزومة، أنه أخبره عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأرمن صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فتوسدت عتبه أو فسطاطه، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف

كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قال: فقالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، أنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمرو بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج»، وبعضهم يزيد على بعض.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبد الرحمن بن منيب، أنا يزيد بن هارون، أنا حميد

الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ من الليل مصلياً إلا رأيناه، وما نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وقال: وكان يصوم [من] الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ عسى من الله تعالى واجب، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأمرته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، أنا عبد الله بن يزيد المقرئ، أنا حياة عن كعب بن علقمة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فمَنْ صَلَّى عليّ صلاة صلي الله عليه بها عشرًا، ثم الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عباس، ثنا سعيد بن أبي حمزة، عن محمد بن

المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة».

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوة مستجابة وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً».

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل قال: وقال الحجاج بن منهال، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال، فيقول: لست هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب وأكله من الشجرة، وقد نهي عنها - ولكن اتنوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون

نوح فيقول: لست هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب، سؤاله ربه بغير علم - ولكن اتنوا إبراهيم خليل الرحمن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هناكم - ويذكر ثلاث كذبات كذبهن - ولكن اتنوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا. قال: فيأتون موسى، فيقول: إني لستُ هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس - ولكن اتنوا عيسى عبدالله ورسوله، وروح الله وكلمته. قال: فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن اتنوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً قَدَعَنِي ما شاء الله أن يدعني، فيقول ارفع رأسك يا محمد وقلُ تسمع واشفع تشفع، وسل تعطه. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه. قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج، أدخلهم الجنة». قال قتادة: وسمعت أيضاً يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار فأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت رأسك يا ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقلُ تسمع واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته

وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد وقلُ تسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وقد سمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن»، أي وجب عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ».

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، ثنا معبد بن هلال قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة، بمعناه، وقال: «فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فانطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً وذكر مثله، وقال: فيقال لي: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من الإيمان، قال: فانطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، وذكر مثله، ثم يقال: انطلق فأخرج من

كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فانطلق فأفعل» فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث إلى هذا الموضع، فقال: هيه، قلنا لم يزدنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم، ثم قال: «أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول يا ربي أتأذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

وروي عن عبدالله بن عمر قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم.

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن باصويه، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا محمد بن حيوية، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا منصور بن أبي الأسود، ثنا الليث، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا

شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ مثور».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني الحكم بن موسى، ثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني عبدالله بن فروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

وُروي عن يزيد بن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأيي من رأي الخوارج، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصابة نريد أن نحج، فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ، وذكر حديث الجهنبيين، فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كَلَّمَآ آرَادُوآ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فقال لي: يا فتى أنقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم قال: فإنه مقام محمد

المحمود الذي يخرج الله به من النار من يخرج، ثم نعت وُضِع الصراط ومرّ الناس عليه، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها، قال: فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟

وُروي عن أبي وائل عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم حبيب الله وأكرم الخلق على الله»، ثم قرأ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَكْرُومًا﴾.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَكْرُومًا﴾، قال: يجلسه على العرش. وعن عبدالله بن سلام قال: يقعده على الكرسي.

قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقِي وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقِي﴾ المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه.

فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق» المدينة، «وأخرجني مخرج صدق» من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق» من مكة آمناً من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق» مكة ظاهراً عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق [الجنة]، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب عليّ من حقها، مخرج صدق.

وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة، وأخرجني

مخرج صدق من مكة. وقيل: أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي. وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجهياً عند الله.

ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢٦]. ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ أَدْنِكَ سُلْطٰنًا قٰصِيْرًا﴾، قال مجاهد: حجة بيّنة. وقال الحسن: ملكاً قوياً تنصرتني به على من ناوتني وعزاً ظاهراً أقيم به دينك، فوعده الله لينزعنّ ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له. قال قتادة: علم نبي الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسطان نصير، فسأل سلطاناً نصيراً: كتاب الله، وحدوده، وإقامة دينه.

قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَهَنَّمَ أَكْبَرُ﴾، يعني القرآن، ﴿وَرَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، أي [ذهب] الشيطان، قاله قتادة، وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ذاهباً، يقال: زهقت نفسه أي خرجت.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، ثنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة بن الفضل، ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن

يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، ففقت، فلما انجلى عنه الوحي وقال: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وفي رواية «وما أوتوا من العلم إلا قليلاً». قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه [وأخبروهم بخبره وما ادعاه وانظروا ما يقولون في أمره] فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول، ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها وما خبره؟ وعن الروح؟، فسألوه، فقال النبي ﷺ: «أخبركم بما سألتهم غداً» ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي، قال مجاهد: اثني عشرة ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً. وقال عكرمة: أربعين يوماً - وأهل مكة - يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نخبرنا بشيء، حتى حزن النبي ﷺ من مكث

سَهُ الشَّرِّ، الشدة والضر، ﴿كَانَ يُؤَسِّرًا﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يش ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة، وإن تأخرت فإدع الدعاء.

﴿٨٤﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ كَلَّ يَمَعَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته. قال الحسن وقتادة: على نيته. وقال مقاتل: على خليفته. قال الفراء على طريقته التي جبل عليها. وقال القتيبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل: كل امرئ يشبهه فعله. ﴿وَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾، أوضح طريقاً.

﴿٨٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، الآية. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قيس بن حفص، ثنا عبدالواحد يعني ابن زياد، ثنا الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله [بن مسعود] قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا

مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».

﴿٨٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَمِيمًا وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: ﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض، ومعناه: ونزل من القرآن ما كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف، ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، هو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِذَا أَعْمَتْنَا عَلَى الْأَنْسَانِ أَعْرَضًا﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿وَنَنَا بِحَاكِلِيهِ﴾، أي تباعد منا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «وناء» مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿وَلِذَا

وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُهُ
الْيَهُودُ وَلَا كَمَا يَقُولُهُ
النَّصَارَى، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ
الرُّوحُ الْمُرَكَّبُ فِي الْخَلْقِ
الَّذِي يَحْيِي بِهِ الْإِنْسَانَ،
وَهُوَ الْأَصْحَحُ. وَتَكَلَّمَ فِيهِ
قَوْمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ
الدَّمُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَيَّوَانَ
إِذَا مَاتَ لَا يَفْضُوتُ مِنْهُ
شَيْءٌ إِلَّا الدَّمُ؟ وَقَالَ
قَوْمٌ: هُوَ نَفْسُ الْحَيَّوَانَ،
بَدَلِيلٌ أَنَّهُ يَمُوتُ بِاحْتِسَابِ
النَّفْسِ. وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ
عَرَضٌ. وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ
جِسْمٌ لَطِيفٌ. وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: الرُّوحُ مَعْنَى

الرُّوحِ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ
أَهْلُ
مَكَّةَ، ثُمَّ نَزَلَ جَبْرِئِيلُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَبْدًا﴾
[الكهف: ٢٣]، وَنَزَلَ فِي الْفَتِيَّةِ
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾،
وَنَزَلَ فِيهِمْ بَلْغُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
﴿وَنَسُوتُكَ عَنْ ذِي الْقُرُونِ﴾، وَنَزَلَ
فِي الرُّوحِ ﴿وَنَسُوتُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.
وَاخْتَلَفُوا فِي الرُّوحِ الَّذِي وَقَعَ
السُّؤَالُ عَنْهُ، فَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:
أَنَّهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ قَوْلُ
الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ، وَرُوي عَنْ عَلِيٍّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ مَلَكٌ لَهُ
سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ لِكُلِّ وَجْهٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ لِسَانَ يَسْبُحُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّهَا.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: خَلَقَ عَلَى صُورِ بَنِي
آدَمَ، لَهُمْ أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَرُؤُوسٌ،
وَلَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ، وَلَا نَاسٍ، يَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: لَمْ
يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقًا أَعْظَمَ مِنَ
الرُّوحِ غَيْرِ الْعَرْشِ، لَوْ شَاءَ أَنْ يَتَلَعَّ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ
وَمَنْ فِيهَا بِلِقْمَةٍ وَاحِدَةٍ لِفِعْلٍ، صُورَةٌ
خَلَقَهُ عَلَى صُورَةِ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ
وَصُورَةِ وَجْهِهِ عَلَى صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ،
يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ
وَهُوَ أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
الْيَوْمَ عِنْدَ الْحُجُبِ السَّبْعِينَ، وَأَقْرَبُ
إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مِمَّنْ يَشْفَعُ
لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَلَوْلَا أَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَلَائِكَةِ سِتْرًا مِنْ نُورٍ لَأَحْتَرَقَ أَهْلُ
السَّمَاوَاتِ مِنْ نُورِهِ. وَقِيلَ: الرُّوحُ
هُوَ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ عَيْسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ،

﴿وَلَكِنْ شِئْنَا
لِنُدْهِبَنَّ بِآلِذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يَعْنِي
الْقُرْآنَ، مَعْنَاهُ: إِنَّا كَمَا مَنَعْنَا عِلْمَ
الرُّوحِ عَنْكَ وَعَنْ غَيْرِكَ، لَوْ شِئْنَا
لِنُدْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَعْنِي
السُّقْرَانَ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عِلْمًا
وَكَذِبًا﴾، أَي: مَنْ يَتَوَكَّلُ بِرَدِّ الْقُرْآنِ
إِلَيْكَ.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، هَذَا
اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مَعْنَاهُ: وَلَكِنْ لَا نَشَاءُ
ذَلِكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ. ﴿إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، فَإِنْ قِيلَ:
كَيْفَ يَذْهَبُ الْقُرْآنُ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ؟ قِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ مَحْوُهُ مِنَ
الْمَصَاحِفِ وَإِذْهَابُ مَا فِي الصُّدُورِ.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: اقْرَؤُوا
الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ، فَإِنَّهُ لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى يَرْفَعَ. قِيلَ: هَذِهِ
الْمَصَاحِفُ تَرْفَعُ فَكَيْفَ بِمَا فِي
صُدُورِ النَّاسِ؟ قَالَ: يَسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا

اجْتَمَعَ فِيهِ النُّورُ وَالطَّيِّبُ وَالْعِلْمُ
وَالْعِلْمُ وَالْبِقَاءُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ
مَوْجُودًا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مَوْصُوفًا
بِجَمِيعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَإِذَا خَرَجَ
ذَهَبَ الْكُلُّ، وَأَوْلَى الْأَقَاوِيلِ: أَنْ
يُوكَلَّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ
قَوْلُ أَهْلِ السَّنَةِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
بَرِيدَةَ: إِنْ اللَّهُ لَمْ يَطْلُغْ عَلَى الرُّوحِ
مَلَكًا مُقْرَبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا. وَقَوْلُهُ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾
قِيلَ: مِنْ عِلْمِ رَبِّي، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَي: فِي جَنْبِ
عِلْمِ اللَّهِ قِيلَ: هَذَا خُطَابٌ لِلرُّسُولِ
ﷺ. وَقِيلَ: خُطَابٌ لِلْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَقُولُونَ أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْعِلْمُ
الكَثِيرُ. وَقِيلَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُ
مَعْنَى الرُّوحِ، وَلَكِنْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَدًا
لِأَنَّهُ تَرَكَ إِخْبَارَهُ بِهِ كَانَ عِلْمًا لِتَبَوُّثِهِ.
وَالأَوَّلُ أَصَحُّ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ.

فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون [منه] شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب مَالِكٌ وهو أعلم؟ فيقول: يا رب أَتَلَى ولا يعمل بي.

﴿٨٨﴾ قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ﴾، لا يقدرون على ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِيَعْنِ ظُهُورَهُ﴾، عوناً ومظاهراً، نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

﴿٨٩﴾ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، جحوداً.

﴿٩٠﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ اللَّهُ﴾، لن نصدقك، ﴿حَتَّى تَقْضَى نَأْيَ مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب «تفجر» بفتح التاء وضم الجيم مخففاً، لأن الينبوع واحد، وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير، واتفقوا على تشديد قوله: ﴿فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارُ خِلْفَهَا تَفْجِيرًا﴾، لأن الأنهار جمع، والتشديد يدل على التكثير، ولقوله: «تفجيراً من بعد».

رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمروني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن قبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» فقالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا بلاداً ولا أشد منا عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صدقك صدقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت، فقد بلغتكم ما أرسلت به، فإن قبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه [عليّ] أصبر لأمر الله»، قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك، واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتسمه، فقال: «ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً»، قالوا: فأسقط السماء كما زعمت، إن ربك لو شاء فعل، فقال: «ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم

وروي عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث، وأبا البختری بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبیهاً ومنبهأ ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومك ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف سؤدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك ربي تراه حتى قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، وكانوا يسمون التابع من الجن: الرثي، فقال

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَهْتَدٍ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُضِلَّهُمْ أُولَئِكَ
 مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابٌ
 وَصِيًّا وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا
 ذَلِكَ جَزَاءُنَا وَإِنَّا كَفَرْنَا لَنَرْجِعُنَّ إِلَىٰ رَبِّنَا فَأَمَّا الْكُفْرُ
 الَّذِي يَلْقَىٰ الْكُفْرَ الْأَوَّلَ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا
 وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّنَا لَعَلَّنا نُنصَرَفُ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ يَرْوُونَ أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَآلُ كُفْرًا ﴿٩٢﴾
 قُلْ أَلَمْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ حَرْبَ لَيْلٍ رَحِمَةً رَبِّي إِذْ أَنَا لَكُمْ خَشِيئَةٌ
 أَلَيْسَ الْبَرْقُ قَتْلٌ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمِينُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٩٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلْ
 هَؤُلَاءِ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَرَأَىٰ لَظْفِكَ
 يَنْزِعُ عَثَرَكَ مَسْحُورًا ﴿٩٤﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٩٥﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
 اسْكُتُوا الْأَرْضَ فَإِذْ جَاءَهُ وَعَدَّا الْآخِرَ وَجَنَّا بَعْضًا لِمِثْلِهِمَا ﴿٩٦﴾

[٩٦]

الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم سؤالهم.

﴿٩١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ الْقَائِمِ أَنْ يُؤْمِرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، جهلاً منهم، ﴿أَمَسَّ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾، أراد: أن الكفار كانوا يقولون لنؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله تعالى:

﴿٩٢﴾ ﴿قُلْ أَلَمْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ حَرْبَ لَيْلٍ رَحِمَةً رَبِّي إِذْ أَنَا لَكُمْ خَشِيئَةٌ أَلَيْسَ الْبَرْقُ قَتْلٌ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمِينُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، من جنسهم، لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

﴿٩٣﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِرَبِّي شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أي رسول الله إليكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِصَادِقِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

﴿٩٤﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَهْتَدٍ﴾

[٩٥] «كسفا» بالفتح، حفص، وفي الروم [٤٨] ساكنة أبو جعفر، وابن عامر. ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾، قال ابن عباس: كقبيلاً، أي يكفولون بما تقول. وقال الضحاك: ضامنأ. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. وقال قتادة: عيانأ، أي: تراهم القابلة أي معاينة. وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلانأ قبلاً، وقبيلأ أي معاينة.

﴿٩٦﴾ ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتَّىٰ مِنْ ثَغْرِي﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرَقَّى﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبد الله بن أبي أمية، ﴿وَأَنْ تَأْتِيَنَّ رِيقِيكَ﴾، لصعودك، ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر «قال» يعني محمداً، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿مَنْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾، أمره بتزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتهم في طوق البشر.

﴿٩٧﴾ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، بستان ﴿بَيْنَ جَبَلَيْنِ وَعَسَىٰ فَتَقَعِرَ الْأَشْجَارُ إِذْ هِيَ إِخْلَالٌ فَتُجَارُ﴾، تشقيفاً.

﴿٩٨﴾ ﴿أَوْ تَسُوِّطُ السَّمَاءَ كَمَا رَضَعْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعاً وهي جمع «كسفة»، وهي القطعة والجانب، مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقاتاً واحداً. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء [٨٧] وسبأ

فعله، وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً، فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيتها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك، فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لما رأى من مباحدتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة ﴿بِئْتُوا﴾ أي: عيوناً.

﴿٩٩﴾ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، بستان ﴿بَيْنَ جَبَلَيْنِ وَعَسَىٰ فَتَقَعِرَ الْأَشْجَارُ إِذْ هِيَ إِخْلَالٌ فَتُجَارُ﴾، تشقيفاً.

﴿١٠٠﴾ ﴿أَوْ تَسُوِّطُ السَّمَاءَ كَمَا رَضَعْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعاً وهي جمع «كسفة»، وهي القطعة والجانب، مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقاتاً واحداً. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء [٨٧] وسبأ

وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ يَنْدُوهُمْ، يهدونهم، ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا الحسين بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصل، ثنا أنبأنا أبو بكر بن الهيثم، ثنا جعفر بن محمد الصائغ، ثنا حسين بن محمد، ثنا سفيان عن قتادة عن أنس [ابن مالك] أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على وجهه».

وجاء في الحديث: «إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»، ﴿عَمِيًا وَيُكَا وَصَمًا﴾، فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: ﴿رَزَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿ذَعْوًا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] وقال: ﴿يَعْمُرُوا لَهَا قَاصِدًا رَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر، قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم. وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يساقون إلى الموقف [يقال لهم: ﴿أَنْشُرُوا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُونَ﴾] [المؤمنون: ١٠٨] فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً

وصماً، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كَمَا خَبَتْ﴾، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن ليهيها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يَفْرَقُهُمْ عَلَيْهِمُ﴾ [الزخرف: ٧٥]، وقيل: [كلما خبت] أي أرادت أن تخبو، ﴿رَذْنَهُمْ سَعِيرًا﴾، أي: وقوداً، وقيل: المراد من قوله ﴿كَمَا خَبَتْ﴾ أي نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا إلى ما كانوا عليه، وزيد في تفسير النار لتحرقتهم [وتؤلمهم].

﴿فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذَٰلِكَ جَزَائِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْدَا كَمَا عَطَلْنَا رَوَاقَنَا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ فأجابهم الله تعالى.

﴿١٦﴾ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، في عظمتها وشدها، ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ يَخْلُقُ﴾، في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٧٥]. ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾، وقتاً لعذابهم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، ﴿فَأَنَّى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا﴾، أي: جحوداً وعناداً.

﴿١٧﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿إِنَّا لَأَسْكَنُكُمْ﴾، لبخلتم وحبستهم، ﴿خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاق، يقال: أنفق الرجل أي

أملق وذهب ماله ونفق الشيء، إذا ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَفُورًا﴾، بخيلاً: مسكاً عن الإنفاق.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَسْعَ مَائِدَتِهِ يَبِينَتِي﴾، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع.

قال ابن عباس والضحاك: هي العصا، واليد البيضاء، والعقدة التي كانت بلسانه فحلها، وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وقال عكرمة وقاتدة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي: الطمس، والبحر بدل السنين، ونقص من الثمرات، وقال: فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجيرين، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً.

وقال بعضهم: هن آيات الكتاب. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد الشقفي، أنا هارون بن محمد بن هارون العطار، أنبأنا يوسف بن عبدالله بن ماهان، ثنا [أبو] الوليد الطيالسي، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن مسلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل نبي فإنه لو سمع

صارت أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِتْرًا مَّا يَبْتِغِيهِمْ وَلَا تَشْكُرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَمْشُوا بِالْبُرْيِ إِلَىٰ سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْرِفُوا، وَلَا تَقْدِفُوا الْمُحَصَّنَةَ، وَلَا تَفْرُوا مِنَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ الْيَهُودُ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ، فِقَبْلًا يَدُهُ، قَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ قَالَا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تَبْعَانَا أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودَ.

قوله عز وجل: ﴿فَسْتَلِّ﴾، يا محمد، ﴿بَيْتِ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، أي: مطبوعاً مسحوراً، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق. وقال الفراء وأبو عبيدة: ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل. وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحره.

﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ الكلبي بضم التاء، ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو علم لآمن، ولكن موسى هو الذي علم، وقال ابن

عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْتَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وهذه القراءة، وهي نصب التاء، أصح في المعنى وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي ورفع التاء، لأنه يروى عن رجل من مراد عن علي، وذلك أن الرجل مجهول، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي، ﴿هَذَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ

﴿هذه الآيات التسع، ﴿الْأَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾، جمع بصيرة أي يبصر بها، ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَسْحُورًا﴾، قال ابن عباس: ملعوناً. وقال مجاهد: هالكا. وقال قتادة: مهلكاً. وقال الفراء: أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير. يقال: ما تبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ﴾، أي: أراد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل، أي يخرجهم، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾، ونجينا موسى وقومه.

﴿وَقُلْنَا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي من بعد هلاك فرعون، ﴿لِيَتَّبِعُوا آسَاتِنَا﴾، يعني أرض مصر والشام، ﴿وَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿جِنَانًا يَكْفُرًا﴾، أي: جميعاً إلى موقف القيامة.

سورة الكهف

﴿وَالْحَقِّي أَنزَلْنَاهُ وَالْحَقِّي تَزَلُّ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿وَرَوَّاهَا وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ لِسَانِكَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿قُلْ أَمْشُرُوا بِرَبِّكُمْ أَمْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّا كُنَّا أَعْيُنٌ عَلَىٰ رَبِّكُمْ مُّخْتَلِفَةً وَأَنْفُ الْبَشَرِ لَشَاتِرَةً﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿وَقُلْ أَمْشُرُوا بِرَبِّكُمْ أَمْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّا كُنَّا أَعْيُنٌ عَلَىٰ رَبِّكُمْ مُّخْتَلِفَةً وَأَنْفُ الْبَشَرِ لَشَاتِرَةً﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَقُلْ أَمْشُرُوا بِرَبِّكُمْ أَمْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّا كُنَّا أَعْيُنٌ عَلَىٰ رَبِّكُمْ مُّخْتَلِفَةً وَأَنْفُ الْبَشَرِ لَشَاتِرَةً﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿وَقُلْ أَمْشُرُوا بِرَبِّكُمْ أَمْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّا كُنَّا أَعْيُنٌ عَلَىٰ رَبِّكُمْ مُّخْتَلِفَةً وَأَنْفُ الْبَشَرِ لَشَاتِرَةً﴾ ﴿١٢٠﴾

﴿سورة الكهف﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿سورة الكهف﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿سورة الكهف﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿سورة الكهف﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿سورة الكهف﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿سورة الكهف﴾ ﴿١٢٠﴾

واللفيف: الجمع الكثير، إذا كانوا مختلفين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلفوا، وجمع القيامة كذلك، فيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر. وقال الكلبي: فإذا جاء وعد الآخرة: يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم ليفياً أي: النزاع من كل قوم من ههنا وههنا لفوا جميعاً.

﴿وَالْحَقِّي أَنزَلْنَاهُ وَالْحَقِّي تَزَلُّ﴾، ﴿١١٥﴾ يعني القرآن، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ ﴿١١٦﴾ للمطيعين، ﴿وَنَذِيرًا﴾، للعاصين. ﴿وَرَوَّاهَا وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ لِسَانِكَ﴾، قيل: أنزلناه نجوماً، لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: ﴿وقرأناً فرقتاه﴾ بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصلناه. وقيل: بيناه. وقال الحسن: معناه فرقنا به بين الحق والباطل. ﴿وَلِنُقَرِّهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مَكْتَبٍ﴾، أي: على تودة وترتيل وترسل في ثلاث وعشرين سنة،

﴿وَرَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [أي رتلناه ترتيلاً].

﴿قُلْ مَا يَتَّبِعُونَكُمْ﴾

هذا على طريق الوعيد والتهديد،

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَعْدَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، قيل:

هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين

كانوا يطلبون الدين قبل مبعث

رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه،

مثل زيد بن عمر بن نفيل، وسلمان

الفارسي، وأبي ذر وغيرهم. ﴿إِنَّا

يَسْئَلُكَ عَلَيْهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿يَحْزُرُونَ

لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان،

قال ابن عباس: أراد بها الوجوه،

﴿سَجْدًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ

وَعَدَ رَبُّنَا لَمَفْعُولًا﴾، أي: كأننا

واقعا.

﴿وَيَحْزُرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ﴾،

أي: يقعون على الوجوه يبكون،

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾، نزول القرآن،

﴿خُشُوعًا﴾، خضوعاً لربهم، نظيره

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُنزِّلُ الْوَيْلَ مَائِكُتِ الرَّحْمَنِ

خَرُوفًا سَجْدًا تَرَكُّبًا﴾ [مريم: ٥٨].

أخبرنا أحمد بن عبد الله

الصالح، أنا أبو عمرو بن بكر بن

محمد المزني، ثنا أبو بكر

محمد بن عبد الله الجنيدي، ثنا

الحسن بن الفضل البجلي، أنا

عاصم بن علي بن عاصم، ثنا

المسعودي، هو عبد الرحمن بن

عبد الله، عن محمد بن عبدالرحمن

مولي آل طلحة، عن عيسى بن

طلحة عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله ﷺ: «لا يبلج النار من

بكى من خشية الله حتى يعود اللبن

في الضرع، ولا يجتمع غبار في

سبيل الله ودخان جهنم في منخري

مسلم أبداً.

أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن

هوازن القشيري، أنا أبو القاسم

عبدالخالق بن علي بن عبدالخالق

المؤذن، أنا [أبو] أحمد بكر بن

محمد بن حمدان، ثنا محمد بن

يونس الكديمي، أنبأنا عبدالله بن

محمد الباهلي، ثنا أبو حبيب القنوي

ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«حرمت النار على ثلاث أعين: عين

بكت من خشية الله، وعين سهرت

في سبيل الله، وعين غضت عن

محارم الله».

﴿قوله جلّ وعلا﴾: ﴿قُلْ أَدْعُوا

اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾.

قال ابن عباس: سجد

رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل

يبكي ويقول في سجوده: «يا الله يا

رحمن» فقال أبو جهل: إن محمداً

ينهاننا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين،

فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعناه أنهما اسمان لواحد، ﴿أَيُّ

مَا تَدْعُونَ﴾، «ما» صلة معناه أي تَدْعُو

من هذين الاسمين ومن جميع

أسمائه، ﴿فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا وَلَا

يَجْهَرُونَ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، أنا يعقوب بن

إبراهيم، حدثنا هشيم، ثنا أبو بشر،

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُونَ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾ قال: نزلت

ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان

إذا صلى بأصحابه رفع صوته

بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا

القرآن ومن أنزله ومن جاء به،

فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَجْهَرُ

بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءة تك فيسمع

المشركون فيسبوا القرآن، ولا

تخافت بها عن أصحابك فلا

تسمعهم ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

وبهذا الإسناد عن محمد بن

إسماعيل قال: ثنا مسدد عن هشيم،

عن أبي بشر بإسناده مثله وزاد

﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أسمعهم،

ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن.

وقال قوم: نزلت الآية في

الدعاء، وهو قول عائشة رضي الله

عنها، والنخعي، ومجاهد

ومكحول.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا

أحمد بن عبدالله النعمي، أنا

محمد بن يوسف، ثنا محمد بن

إسماعيل، ثنا طلق بن غنم، ثنا

زائدة عن هشام عن أبيه، عن عائشة

رضي الله عنها [في قوله تعالى]

﴿وَلَا يَجْهَرُونَ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾،

قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

وقال عبدالله بن شداد: كان

أعراب من بني تميم إذا سلم النبي

ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا مالا وولداً

فيجهرون بذلك، فأنزل الله هذه

الآية: ﴿وَلَا يَجْهَرُونَ بِصَلَاتِكَ﴾.

أي: لا ترفع صوتك بقراءة تك أو

بدعائك ولا تخافت بها، والمخافتة

خفض الصوت والسكوت، ﴿وَأَبْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: بين الجهر

والخفاء.

لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضرك بأيهن بدأت».



سورة الكهف

مكية وهي مائة عشر آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ الْكِتَابَ﴾، أتى الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخص رسوله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿وَلَقَدْ يَجْعَلُ لَكُمْ آيَاتٍ﴾.

﴿سَمَاءًا﴾، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً ﴿سَمَاءًا﴾ أي مستقيماً. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء: قيماً على الكتب كلها أي: مصداقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً. ولم يكن مختلفاً، على ما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا عَرَبِيٌّ غَرَبِيٌّ ذِي عَرَبٍ﴾ [الزمر: ٢٨] أي: غير مخلوق. ﴿إِنِّي نَزَّيْتُ بِأَسْمَاءٍ شَدِيدًا﴾، أي [لينذر] ببأس شديد، ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾، أي من عنده، ﴿وَيُنزِّلُ الْوَحْيَ الْوَحْيَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالْمَلَكُوتِ إِنَّ لَهُمْ أَعْمَارًا كَثِيرًا﴾، أي الجنة.

سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا عبدالرزاق ثنا معمر عن قتادة أن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده».

أخبرنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد الأنصاري، أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «إن أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا زهير، ثنا منصور عن هلال بن بشار عن الربيع بن عميلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الخزاعي، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمود بن غيلان، ثنا يحيى بن إسحاق، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن أبي رباح الأنصاري، عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك، فقال: إني أسمعت من ناجيت، فقال: ارفع قليلاً، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك، فقال: إني أوقظ الؤسنان وأطرد الشيطان، فقال: اخفض قليلاً».

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الشناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمَلَكُوتِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَوَلِيٍّ مِنَ الْأَدَلِّ﴾، قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به، ﴿وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا﴾، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصّغاني، ثنا نصر بن حماد أبوالحارث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت

على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقيم: الكتابة.

وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي، وهو جانبه.

وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

﴿١٥﴾ فقال: ﴿إِذْ آتَى الْيَتِيمَ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال

محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له «دقيانوس» عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت أو قتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي «أفسوس»، فلما نزلها كبر على أهل الإيمان، فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه، وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها، يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى «دقيانوس»،

والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى.

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة، وهم زينة الأرض. وقيل: أراد به العلماء والصلحاء.

وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: ﴿حَقٌّ إِذَا أَتَيْتِ الْأَرْضَ زُفْرُفَهَا وَأُزَيْتَتْ﴾ [يسونس: ٢٤]، ﴿يَبْلُغُهُمْ﴾، لنختبرهم، ﴿أَيْهِمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي أصلح عملاً. وقيل: أيهم أترك للدنيا.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، ﴿جُرُزًا﴾ يابساً أملس لا ينبت شيئاً يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم. و«الكهف»: هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه

تَالَهُمْ يَوْمَ يَعْلَمُونَ وَلَا يُبَالِيهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٨﴾ فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا ﴿٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِمَنْ يَبْلُغُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١٠﴾ وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿١١﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٢﴾ إِذْ أَوَى الْيَتِيمَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن تَدْوِينِكَ رَحِمَةٌ وَحَقٌّ لَّنَا مِن أَمْرِنَا رَشْدًا ﴿١٣﴾ فَصَرَّيْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبِ أَحْسَنُ لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ﴿١٥﴾ لَمَّا نَفَسَ عَلَيْكَ تِبَاهُمُ بِالْحَيِّ إِيَّتِهِمْ فَخَيَّبْنَا مَأْمُورِيهِمْ وَوَدَّعْتُهُمْ هُدًى ﴿١٦﴾ وَوَدَّعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا الْقَدْلُنَا إِذَا سَطَطْنَا ﴿١٧﴾ هَذُلًا قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٨﴾

﴿٢﴾ ﴿مُكَيِّبِينَ فِيهِ أَعْدَاءَ﴾ أي: مقيمين فيه.

﴿١﴾ ﴿وَنَذِيرَ الْيَتِيمِ﴾ قَالُوا أَتُحَدِّثُ اللَّهُ وَاوَدًا؟

﴿٥﴾ ﴿مَا لَهُمْ مِنْ يَلِيٍّ وَلَا لِأَبَائِهِمْ﴾، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كَثُرَتْ﴾، أي: عظمت، ﴿كَلِمَةٌ﴾، نصب على التمييز، يقال تقديره: كبرت الكلمة كلمة.

وقيل: من كلمة، فحذف من فانتصب، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: تظهر من أفواههم، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾، ما يقولون، ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ﴾ قاتل نفسك ﴿عَلَى آثَرِهِمْ﴾، من بعدهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ﴾، أي: القرآن، ﴿آسَفًا﴾، أي حزناً وقيل غضباً.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنْ﴾، فإن قيل: أي زينة في الحيات

فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة فيعبدهم ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسادهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناً شديداً، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء.

وكانوا من أشرف الروم، وكانوا ثمانية نفر، بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً إن عبدنا غيره، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك، فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم، وهم سجدوا على وجوههم، يكون ويتضرعون إلى الله، فقالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى «دقيانوس»، فقالوا: تجمع الناس للذبح لألهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك، فلما سمع بذلك بعث إليهم، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معرفة وجوههم بالتراب. فقال لهم: «ما منعكم أن تشهدوا الذبح لألهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات أهل مدينتكم؟

فاختاروا إما أن تذبحوا لألهتنا، وإما أن أقتلكم، فقال «مكسلمينا» وهو أكبرهم سناً، إن لنا إلهاً ملا السموات والأرض عظمة، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسال النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك».

وقال أصحاب «مكسلمينا» «لدقيانوس» مثل ما قال «مكسلمينا»، فلما قالوا ذلك أمر فترع عنهم لبوساً كانت عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: «سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنني أراكم شباناً حديثه أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فترعت عنهم».

ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق «دقيانوس» إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجهم بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم وأن يعذبهم فأتروا بينهم أن يأخذ كل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له «بخلوس»، فيمكثون فيه ويعبدون الله، حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذه نفقة فتصدق

منها، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف، فلبثوا فيه. قال كعب الأحبار: مروا بكلب فتبعهم فطرده فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب: يا قوم ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي، أنا أحب أحب الله، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس: هربوا ليلاً من دقيانوس، وكانوا سبعة فمروا برع معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعه كلبه، فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد.

قال ابن إسحاق: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والضيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له «تمليخا» فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً وكان من أحملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً ويتجسس لهم الخير هل ذكر هو وأصحابه بشيء، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا.

ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت، ففرغ من ذلك أهل الإيمان، وكان «تمليخا» بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة

ففرزوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة .

ثم إن «تمليخا» قال لهم: يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا، وذلك [مع] غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم .

فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعضهم: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا ألهتي .

فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مرده عصاة قد كنت أجلت لهم أجلاً، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا .

فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم، فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني وتوعدهم بالقتل فقالوا له: أما نحن فلم نعصك، فلم تقتلنا بقوم مرده قد ذهبوا بأموالنا، فأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى «بخلوس» .

فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم،

وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها. وأن الله يبعث من في القبور، فأمر «دقيانوس» بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم .

وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانها اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر «روناس»، اتتمرا أن يكتبوا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلهما في تابوت من نحاس، ويجعلوا التابوت في البنيان، وقالوا: «لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ونبا عليه فبقي «دقيانوس» ما بقي .

ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتية ثمانية مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب، وأخرجوا معهم ألهتهم التي يعبدونها، وقد

قذف الله [في] قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه، فقالوا في أنفسهم: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرأه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك، ثم خرج الآخر فاجتمعوا إلى مكان، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وكل واحد يكتم صاحبه إيمانه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتى فيخلو بصاحبه ثم يفشي واحد منكم سره إلى صاحبه، ففعلوا فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض: **هَاتُوا إِلَيَّ الْكُفَّ** يَشْتَرُ لَكُمْ رِزْقَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم .

فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان ابن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك .

وقالوا: ليكون لهذا شأن، ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن. وقال وهب بن منبه: جاء حوارى عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة

فكان يؤاجر نفسه من الحمامي، ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبير السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه، وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد.

وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فغيره الحواري، وقال: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه؟ فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى.

فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إلى مقالته حتى دخلا معاً فماتا في الحمام، وأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه وهرب.

فقال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه، وقالوا: نبئت هنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فأراد رجل منهم الدخول [عليهم] فأرعب فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل منهم: أليس لو قدرته عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعاً [وعطشاً]، ففعل.

قال وهب: فغير زمان بعد زمان، بعدما سدوا عليهم باب الكهف، ثم

إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر لكان حسناً، فلم يزل يعالجه حتى فتحه ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا.

وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له «بيدروس»، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وستين سنة، فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فجعل «بيدروس» يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وأنهم أئمة في الخلق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحوارين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته زماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرع إلى الله تعالى ويبكي.

ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه. ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويقم نعمته عليه، وأن

يجمع من كان تبدد من المؤمنين. فالتقى الله في نفس رجل من [أهل] ذلك البلد الذي فيه الكهف، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة وبينان تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبههم الله عن الناس بالرعب، فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرائي الكهف. فجلسوا فرحين، مسفرة وجوههم، طيبة أنفسهم، فسلم بعضهم على بعض، كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم.

ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيتهم حين رقدوا، وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم، فلما قضوا صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقاتهم: أنبأنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد تخيل لهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك في أنفسكم يسير.

فقال لهم تلميذا: التمستم في المدينة فلم توجدوا، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت

أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسلمينا: يا إخوانه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لتلميخا: انطلق إلى المدينة فتسّمع ما يقال لنا بها، وما الذي يذكر عند دقيانوس، وتلطف ولا تشعروا بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فالتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به، فقد أصبحنا جيعاً.

ففعل تلميخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتكر فيها وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضربت بطابع دقيانوس، فكانت كخفاف الربيع، والربيع أول ما ينتج من ولد الضأن في الربيع، فانطلق تلميخا خارجاً فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة متزوجة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبالي بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً يصد عن الطريق مخافة أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة.

فلما أتى تلميخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان [أمراً] الإيمان ظاهراً فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناساً كثيراً مُحدّثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران.

ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري ما هذا؟ أما عيشة أمس، كان المسلمون يخبثون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلي نائم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهرتي سوقها فيسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك فرحاً ورأى أنه حيران.

فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عيشة أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الخدأة فاسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، والله ما أعلم مدينة أقرب [من] مدينتنا، فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال اسمها «أفسوس»، فقال في نفسه: لعل بي مسأ أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرٌّ فأهلك ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أيسر بي.

فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلاً منهم، فقال بعني بهذه الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل آخر من أصحابه

فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل. ويتعجبون منها. ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كترأ خبيثاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم تلميخا يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم «دقيانوس»، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: افضلوا عليّ قد أخذتم وربي فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به.

فقالوا له: من أنت يا فتى؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدت كترأ من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه عتاءً فانطلق معنا وأرنا وشاركتنا فيه. نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك»، فلما سمع قولهم قال في نفسه: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، فقالوا: «يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت».

فجعل تلميخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما وجد ما يخبر إليهم شيئاً، فلما رآوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة صغيرهم وكبيرهم حتى سمع به من فيها، فسألوه ما الخبر؟ فقيل: هذا رجل عنده كنز، وقيل: فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: والله

ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه قط، فجعل تملیخا لا يدري ما يقول لهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم. وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيوان ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها اللذين يديران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما «أريوس» واسم الآخر «طنطوريوس».

فلما انطلق به إليهما ظن تملیخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار، فجعل يلتفت يمينا وشمالاً وجعل الناس يسخرون منه كما يسخر من المجنون، وجعل تملیخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علي صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت يا ليتهم ولو أنهم يعلمون يأتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا تواقفاً لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً، وكنا تواقفاً أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يحدث به نفسه تملیخا، فما يخبر أصحابه حين يرجع إليهم، حتى انتهى إلى الزجلين الصالحين أريوس وطنطوريوس، فلما

رأى تملیخا أنه لا يذهب به إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء، فأخذ أريوس وطنطوريوس الورق فنظرا إليها وعجباً منها ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال تملیخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم.

فقال أحدهما: فمن أنت؟ فقال: تملیخا أما أنا فكنت أرى أنني من أهل هذه المدينة، فقالوا: ومن أبوك ومن يعرفك فيها؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تبئنا بالحق، فلم يدر تملیخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي يتقلت منكم.

فقال له أحدهما و[قد] نظر إليه نظراً شديداً: أتظن [يا هذا] أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبليك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة، وإنما أنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ كما ترى، وحوالك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإني لأظنني سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته.

فلما قال ذلك قال لهم تملیخا: أنبئوني عن شيء أسألکم عنه فإن

فعلتم صدقتکم عما عندي، قالوا: سل لا نکتک شيئاً، قال لهم: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة.

فقال تملیخا: إني إذا لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية على دين واحد وهو الإسلام وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري له طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي بجبل «بخلوس» أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول تملیخا، قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأسليوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تملیخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرايبهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس، فبيئما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تملیخا فإنه الآن بين يدي

الجبار ينتظر متى نأتيه، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم تمليحاً فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سأله عن شأنه فأخبرهم، وقصّ عليهم القصة والنبا كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تمليحاً أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما: أن مكسلميئا، ومخشمليئا، وتمرليخا، ومرطونس، وكشطونس، وبيرونس، وديموس، ويطيوس، والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من مهلكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتتهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلما قرأوه عجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية البيع فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبحة ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخر أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً

وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس من إكراههم على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت وإخفاء إيمانهم منه وهروبهم إلى الكهف، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك، وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله وذهب عنه غمه، فقال: أحمدك الله رب السموات والأرض، وأعبدك، وأسبح لك، تطولت علي ورحمتي فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لأبائي وللعبد الصالح اسطنطينوس الملك.

فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخرّوا سجداً على وجوههم، وقام بيدروس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ثم قال الفتية لبيدروس: نستودعك الله إيمانك وخرواتيم أعمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شرّ الإنس والجن، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم. وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم

عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أسى ونام أتوه في المنام، فقالوا له: إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه.

فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبههم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: إن تمليحاً لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد، وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة، فدعا باللوح وقد نظر في أسمائهم فإذا هو من أولئك القوم، وذكر أسماء الآخرين فقال تمليحاً هم أصحابي.

فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليحاً: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم، فإنهم إن رأوكم معي أرحبتموهم، فدخل فبشروهم، فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا إليهم مرة ثانية، وذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَوْى إِلَيْهِمْ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: صاروا إلى الكهف، يقال: أوى فلان إلى

وَأِذَا عَزَلْتُمْوَهُمْ وَمَا يَسْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَئِكَ إِلَى الْكَهْفِ
يُنشَرُ لَكُمْ رُزُقُكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَهِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
﴿١٥﴾ وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُرْنَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَعُودَهُمْ مَهْمًا
يُضِلُّ لَنْ يُجِدَ لَهُمْ لَبًّا شَرِيدًا ﴿١٦﴾ وَتَحْسِبُهُمْ نَبْطًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكُلُّهُمْ
بِئْسَ ظُرُوعًا وَبِئْسَ لَوْ صِيدُوا لُوطُغَةً عَلَيْهِمْ لَوْلِيَّتٌ مِنْهُمْ
فَإِذَا كَانُوا لِيَمِينِهِمْ وَرُبَمَا كَانُوا لِيَسْأَلُوكَ لِأَيِّهِمْ
إِسَاءَةٌ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا قَابِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْسَ قَالُوا لِنِسَاءِ
يَوْمًا أَوْ بَعْضِ يَوْمٍ قَالُوا رُبَّمَا نَبِئْتُمْ فَاسْتَوْسَوْا
أَمَدَكُمْ يَوْمَ يَرْفُكُمْ هَذِهِ طِيلُ الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقِ يَوْمِهِ وَلِيَسْمُرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْقُرْآنَ بِرُوحِ
أَوْعِيْدُوكُمْ فِي مَلَاتِهِمْ وَلَنْ نُفْلِحُوا إِلَّا بِكَاءِ ﴿١٨﴾

وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعزلوا عبادته، ﴿فَأُولَئِكَ إِلَى الْكَهْفِ﴾، فالجاءوا إليه، ﴿يُنشَرُ لَكُمْ﴾، يسقط لكم، ﴿رُزُقُكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «مرفقا» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد، وهو ما يرتفع به الإنسان.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُرْنَ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب «تَرَوُرْنَ» بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تحمر، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعبد، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: جانب اليمين، ﴿وَإِذَا

بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وفروا بدينهم إلى الكهف، ﴿إِذَا قَامُوا﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبَّنَا انكسرت والأرض كن قدعوا من دونيه إليها﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا﴾، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططنا، قال ابن عباس:

جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

﴿١٥﴾ هَذِهِ لَبًّا شَرِيدًا، يعني أهل بلدهم، ﴿أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾، أي: من دون الله، ﴿وَاللَّهْم﴾، يعني الأصنام يعبدونها، ﴿لَوْلَا﴾، أي: هلا، ﴿يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: على عبادتهم، ﴿يَسْأَلُونَكَ بَيْنَ﴾، بحجة واضحة [تبين وتوضح أن الأصنام تستحق العبادة من دون الله] ﴿فَكَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَقُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وزعم أن له شريكاً أو ولداً.

﴿١٦﴾ ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذَا عَزَلْتُمْوَهُمْ﴾، يعني قومهم، ﴿وَمَا يَسْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قرأ ابن مسعود «وما يعبدون من دون الله»، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان، يقولون: وإذا اعتزلتموهم

موضع كذا أي: اتخذه منزلاً إلى الكهف، وهو غار في جبل «بخلوس» واسم الكهف «حريم».

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَهْمَةٌ﴾. ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وَهِيَ لَنَا﴾، يسر لنا، ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا﴾، أي: ما نلتبس من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة.

﴿١٦﴾ فَصَرَيْنَا عَلَى آذَانِهِمْ، أي: أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿فِي الْكَهْفِ سِينِيكَ عَدَدًا﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة.

﴿١٧﴾ فَنُرِّبُهُمْ، يعني من نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾، أي: علم المشاهدة، ﴿أَيُّ الْحَزِينِينَ﴾، أي الطائفتين، ﴿أَحْسَنُ لِمَا يَسْتَوْا أَمَدًا﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله: ﴿أَحْسَنُ لِمَا يَسْتَوْا﴾ [أي] أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً [أمداً] أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً. نصبه على التفسير.

﴿١٧﴾ فَخَن نَفَسٌ عَلَيْكَ نَقَرًا عَلَيْكَ ﴿تَبَاهُمْ﴾، خبر أصحاب الكهف ﴿وَالْحَيَّ﴾، بالصدق ﴿إِنَّمَا هِيَ﴾، شبان، ﴿مَأْتُوا بِرَبِيهِمْ وَرَدُّنَاهُمْ هُنْدَى﴾، إيماناً وبصيرة.

﴿١٨﴾ وَرَبَّنَا، وشددنا، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، بالصبر والتثبيت وقوتناهم

عَرَبَتْ فَرَضَهُمْ، أي: تركهم وتعذر عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، وأصل القرض القطع، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرها وتغير ألوانهم، وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه. وقل بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ﴾، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُم مَّا رِزْقًا﴾، معينا، ﴿مُرْسِدًا﴾.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَحْسِبُهُمْ﴾ أَيْفَاطًا، أي: منتبهين جمع يقظ، ﴿وَهُمْ رُؤُودٌ﴾، نيام، جمع راقد مثل قاعد وقعود، وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحي الأعين يتنفسون ولا يتكلمون، ﴿وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جنب لثلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل كان يوم عاشوراء يوم قلبهم. وقال أبو هريرة كان لهم في كل سنة

تقلبان، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب. وروي عن ابن جريج: أنه كان أسداً وسمي الأسد كلباً.

فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، فافترسه أسد، والأول أصح، قال ابن عباس: كان كلباً أغر. ويروى عنه أنه: فوق القلطي ودون الكردي، والقلطي كلب صيني. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرظي: كانت شدة صفرتة تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر. قال ابن عباس: كان اسمه قطمير. وعن علي: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: بتور. وقال السدي: تور. وقال كعب: سهيلة وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام. قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال مجاهد والضحاك: «الوصيد» فناء الكهف.

وقال عطاء: عتبة الباب. وقال السدي: «الوصيد» الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة، كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم، وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وركد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى وركد عليها. ﴿لَوْ أَطْلَقْتِ

عَلَيْهِمْ﴾، يا محمد، ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيوظفهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿وَلَمَلَيْتِ مِنْهُمْ رُضْبًا﴾، خوفاً، قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها. واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة، كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام، وقيل: لكثرة شعورهم وطول أظفارهم، وتقلبهم من غير حس ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لثلا يراهم أحد، وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمرنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال ابن عباس رضي الله عنهم: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال ﴿لَوْ أَطْلَقْتِ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم رعباً فأخرجتهم.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾، أي: كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان، وكذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت، ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾، ليسأل بعضهم بعضاً، واللام فيه لام العاقبة، لأنهم لم يبعثوا للسؤال، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾، وهو رئيسهم مكسلينا، ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ﴾، في نومكم؟ وذلك

﴿١٥﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿١٦﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿١٧﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿١٨﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿١٩﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿٢٠﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿٢١﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** ﴿٢٢﴾

﴿١٥﴾ **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿١٦﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿١٧﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿١٨﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿١٩﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿٢٠﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿٢١﴾** **إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَا يُرْجَوْنَ** **﴿٢٢﴾**

أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، **﴿قَالُوا لَيْسَ بِنَوْمٍ﴾**، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فانتبهوا عشية فقالوا لبنا يوماً، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: **﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾**، فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، **﴿قَالُوا رَبَّنَا أَخْلِصْ لَنَا لِقَاءَ رَبِّنَا إِنَّ رَبَّنَا بِهِ يَعْلَمُ مَا نَلْمُهُمْ﴾**، وقيل: إن رئيسهم مكلمنا لما سمع الاختلاف، بينهم قال: دعوا الاختلاف، ربكم أعلم بما لبثتم، **﴿كَاتِبُوا عَلَيْكُمْ يُرَاقِبْكُمْ هَذِهِ﴾**، يعني تمليخا، قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر «بورقكم» ساكنة الراء والباقون بكسرهما، ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. **﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾**، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أنسوس فسموها في الإسلام طرسوس، **﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتِنَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾** أي: أحل طعاماً حتى لا يكون من غضب أو سبب حرام، وقيل: أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاماً. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاماً. وقال عكرمة أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاماً. **﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾**، أي: قوت وطعام تأكلونه، **﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾**، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، **﴿وَلَا يُشْوِرُونَ﴾**، ولا يعلمن، **﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾**، من الناس.

﴿٢١﴾ **سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**، روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد - وكان يعقوبياً - كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى، فقال: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾**، أي: ظناً وحداً من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: **﴿وَقُولُوا﴾** يعني: المسلمين، **﴿سَمِعْتُمْ وَتَأْمِنْتُمْ كَلْبَهُمْ﴾**، واختلفوا في الوالو في قوله **﴿وَتَأْمِنْتُمْ﴾** قيل: تركها وذكرها سواء.

إذا اطلعت عليه، وأعشرت غيري، أي: اطلعت، **﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾**، يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث، **﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنِّيهِمْ أَمْرُهُمْ﴾**، قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال: المسلمون: بنى عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: بنى عليهم بنياناً لأنهم من أهل نسيبنا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح معاً، وقال قوم: للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم. **﴿فَقَالُوا أَبْنَاؤُهُمْ يَتَّبِعُهُمْ آخَرُهُمْ﴾** قال الذين غلبوا على أمرهم، بيدروس الملك وأصحابه، **﴿لَتَنَجِّدَنَّكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾**.

وقيل: هي واو الحكم والتحقيق، كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ ثم حقق هذا القول بقوله: ﴿وَأَقَامَهُمْ كَتَابَهُمْ﴾ والثامن لا يكون إلا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعدّ فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانيه، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِالشَّرْكِ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا إِتْرَابًا﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في أزواج النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ أَرْوَاحًا خَيْرًا لَّكَ مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَمُنِيتِي تَبَيَّنَتِ غَيْبَاتِ سَبْعِينَ نَجِيَّةً وَأَنكَارًا﴾ [التحرريم: ٥]. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾، أي: بعددهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: أنا من القليل كانوا سبعة.

وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية. وقرأ: ﴿وَأَقَامَهُمْ كَتَابَهُمْ﴾ أي: حافظهم، والصحيح هو الأول. وروي عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، وبيونس، وساريتونس، وذو نوانس، وكشفيطنونس، وهو الراعي، والكلب قطمير. ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿إِلَّا مَرَّةً ظَهَرَ﴾، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول حسبك ما قصصنا عليك فلا تزد عليه وقف عنده، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، من أهل الكتاب، ﴿أَحَدًا﴾

أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غداً شيئاً فلا تقل فاعل غداً، حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآية. ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنى، وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلاً بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدي، ثنا أبو العباس السراج، ثنا قتيبة، ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها». ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾، أي: يشبثني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئاً، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من

ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل، حيث أتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحججة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله: «إن شاء الله» إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً.

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلِيُثَبِّتُ فِي كَهْفِهِمْ﴾، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خيراً من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثَبِّتُوا﴾ وجه، وهذا قول قتادة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم» ثم رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثَبِّتُوا﴾ وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح، وأما قوله: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثَبِّتُوا﴾ فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبههم، وقل: الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بقولنا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فردّ الله عليهم وقال: ﴿قُلْ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَهْدِ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٦﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ نَآئِمًا فَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ شَرِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِن يَسْتَعِثِبُوا بَعَاثُوا أَيَّامًا كَاللَّيْلِ يَسْئُرُونَ الْوُجُوهَ بِنُفُسِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مَرْتَفَقًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَمْرًا مِّنْ أَحْسَنِ عَمَلًا ﴿٢٩﴾ أَوَلَيْكَ لَمْ جَعَلْنَا مَدَنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَخْرُجُنَّ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِينَ فِيهَا عَلِ الْأَرَايِكِ نَحْمُ الثَّرَابِ وَسَوَّيْنَا مَرْتَفَقًا ﴿٣٠﴾ وَأَمْثَرْنَا لَهُمْ مَنَازِلَ يُنَازِلُونَهَا فِيهَا جَنَّاتٌ جَانِبُهَا جَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَافًا يُسْقَوْنَ فِيهَا قَدْحَاتٍ مِّنَ لَّيْلِ لَيْلًا وَسَوَّيْنَا قَنَاةَ إِسْرَافٍ وَأَمَّا الْكَلْبِيُّ: قال من يضع سنين في موضع سنة. وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة. ﴿وَأَزْدَادُوا تَبَعًا﴾، قال الكلبي: قالت نصارى نجران أما ثلاثمائة فقد عرفنا، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت.

يشرك الله في حكمه أحداً. وقيل: «الحكم» هنا علم الغيب، أي لا يشرك في علم غيبه أحداً. ﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: واقرا يا محمد، ﴿مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، واتبع ما فيه، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال الكلبي: لا مغير للقرآن. وقيل: لا مغير لما أوعده بكلماته أهل معاصيه، ﴿وَلَنْ يَّعْدَّ﴾، أنت، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿مُتَّكِلًا﴾، قال

الله أَتَمَّ يَمَّا لَيْثُوا﴾ يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله. قوله تعالى: ﴿تَلَكَّ يَأْتِرُ سِينِكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي «ثلاثمائة» بلا تنوين، وقرأ الآخرون بالتنوين، فإن قيل: لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة؟ قيل: نزل قوله: ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ تَلَكَّ يَأْتِرُ﴾، فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت ﴿سِينِكَ﴾، قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة. وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة. ﴿وَأَزْدَادُوا تَبَعًا﴾، قال الكلبي: قالت نصارى نجران أما ثلاثمائة فقد عرفنا، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت.

ابن عباس رضي الله عنهما: حرزاً. وقال الحسن: مدخلا. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: مغديلاً. وقيل: مهرباً. وأصله من الميل.

﴿٢٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية. نزلت في عيينة بن حصن الفزاري، أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء، فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها، ويده خوصة يشققها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشراقها، فإن أسلمنا أسلم الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾، أي: يسريدون الله، لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، ويصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

﴿٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾، أي: يسريدون الله، لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، ويصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

﴿٣١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾، أي: يسريدون الله، لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، ويصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

﴿٣٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾، أي: يسريدون الله، لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، ويصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

﴿٣١﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ أَتَمُّ يَمَّا لَيْثُوا﴾ وروي عن علي أنه قال: عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية، والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في الثلاثمائة تسع سنين، فلذلك قال: ﴿وَأَزْدَادُوا تَبَعًا﴾. ﴿لَمْ يَغِبْ أَلْسُنَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراكك، والله عز وجل لا يغيب عن إدراكه شيء. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه ويصره شيء، ﴿مَّا لَمْ﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي من دون الله، ﴿مِنْ وَلِيِّ نَاصِرٍ﴾، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «ولا تشرك» بالثناء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي: لا

خلف، ﴿وَأَتَّعِ هَوَاهُ﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وَكَاثَ أَمْرٍ قُرْطًا﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع عمره وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد. وقيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس، وهذا إفراط عظيم.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أي ما ذكرناه من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان، ويده الهدى والضلال، ليس إلي من ذلك شيء. ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقيل معنى الآية. وقل الحق من ربكم، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتكم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، أعدنا وهيأنا، من الإعداد، وهو العدة، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهُمْ مُّرْدِفُهَا﴾، «السرادق»

الحجرة التي تطيف بالفساطيط.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة».

قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة. وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَمْسٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]. ﴿وَإِنْ يَسْتَفِئُوا﴾، من شدة العطش، ﴿يَعَاثُوا يَمَاءً كَأَمْهَلٍ﴾.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد، ثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَمَاءٌ كَأَمْهَلٍ» قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه.

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ

مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو القيقح والدم.

وسئل ابن مسعود عن المهمل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهمل، ﴿يَسْوَى الْوُجُوهُ﴾، ينضح الوجوه من حره، ﴿بَشَسِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ﴾ النار، ﴿مُرْتَفَقًا﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء: مقراً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل «المرتفق» المتكأ.

﴿٢٩﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَجْنُ عَذَبَ نَجْمِي﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

﴿٣٠﴾ فقال: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَجْنُ عَذَبَ﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَدَ فلان بالمكان إذا أقام به، سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها، ﴿نَجْمِي﴾ من نَجْمٍ الْأَنْهَارِ يُجَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِدَ مِنْ ذَهَبٍ، قال سعيد بن جبيرة: يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور، واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿وَيَلْبَسُونَ نِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ﴾، وهو مازق من الديباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج

بالذهب، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾، في الجنان، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر في الحجال، واحدها أريكة، ﴿يَعْمُ الْكُؤُوبَ﴾، أي يغمم الجزاء، ﴿وَحَسَنَاتٍ﴾، الجنان ﴿مُتَرَفِّقًا﴾ أي: مجلساً ومقرأ.

﴿وَآتَرْتِ لَمْ مَثَلًا رَبِّانِي﴾ الآية، قيل: نزلت في آخرين من أهل مكة من بني مخزوم، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عبد ياليل، وكان زوج أم سلمة قبل النسبي ﷺ والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل. وقيل: هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وأصحابه شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: تملينا، والآخر كافر واسمه قطروس، وقال وهب: قطفير، وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات [٥٠ - ٥١].

وكانت قصتهما على ما حكى عبدالله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكين، لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسمها، فعمد أحدهما فاشتري أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشتري أرضاً بألف دينار، فإني اشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال

هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني اشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بذلك. ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار. فتصدق بألف دينار، ثم اشتري صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني اشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مر به في حشمة، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ فقال: أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتصينيني بخير، فقال: ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقص عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده فقصي لهما أن توفيا، فنزل فيهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال قائل: وتهم إني كان لي قرين، وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعله يطوف به ويريه أموال نفسه، فنزل فيهما: ﴿وَآتَرْتِ لَمْ مَثَلًا رَبِّانِي﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنِينَ﴾، بستانيين، ﴿مِن أَعْتَابٍ وَحَقَّقْنَا لَهُمُ الْبَخْلَ﴾، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحفاف: الجانب، وجمعه أحفة، يقال: حف به القوم، أي طافوا بجوانبه، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبَابًا﴾، أي: جعلنا حول

الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع. وقيل: «بينهما» أي بين الجنتين زرعاً، يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ مَاتت﴾، أي: أعطت كل واحدة من الجنتين، ﴿أَكْلَهُمَا﴾، ثمها تاماً، ﴿وَلَكَّ ظَلِيمًا﴾، لم تنقص، ﴿وَنَدَّ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾، قرأ الحامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خَلَلَهُمَا نَهْرًا﴾ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

﴿وَكَانَ لَهُمُ﴾، لصاحب البستان، ﴿ثَمْرًا﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب: ثمر بفتح التاء والميم، وكذلك «بشمره»، وقرأ أبو عمرو: بضم التاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمن قرأ بالفتح فهو جمع ثمرة، وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهري: الثمرة تجتمع على ثمر، ويجمع الثمر على ثمار، ثم تجتمع الثمار على ثمر. ﴿فَقَالَ﴾، يعني صاحب البستان، ﴿لِصَّاحِبِهِ﴾، المؤمن، ﴿وَهُوَ يُجَاوِرُهُ﴾، يخاطبه ويجاوبه، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ آتَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩].

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعني

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَرَّتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ كَرِهُنَا أَوْلَىٰ مِنْكُمْ مَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَبِّهِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٠﴾ فَجَسَسْنَا فِيهَا مِنْ ثَمَرٍ مِنْهَا فَصَبَّحُوا بِبَشَافٍ مِنْهَا مُشْتَبِهًا ﴿٤١﴾ وَذُكِّرُوا بِهَا خَيْرَاتٍ لِيَكُونَ لَهُمْ عِلْمٌ فِيمَا كَانُوا ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَصَابُوا مَجْدِبًا فَسَقَوْا فِيهَا مِنْ ثَمَرٍ مِنْهَا وَلَمْ يَحْسُبُوا ﴿٤٣﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ خَيْرٌ بِأَلْسِنَتِهِ لَسَاءَ الَّذِي كَفَرَ عَنِ اللَّهِ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٤﴾

وَوَلَدًا ﴿٣٦﴾ و«أنا» عماد، ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني أقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعاطمت علي.

﴿٣٧﴾ ﴿فَجَسَسْنَا رَبِّي﴾، فلعل ربي، ﴿أَنْ يُؤَيِّنِي﴾، يعطيني في الآخرة، ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَرَبِّسَلْ عَلَيْهَا﴾، أي على جنتك، ﴿حَسْبَانَا﴾، قال قتادة: عذابا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: نارا. وقال القتيبي: مراقي. ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدها «حسانة»، ﴿فَصَبَّحُوا صَبِيحًا زَلَقًا﴾، أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملا هائلا.

﴿٣٨﴾ ﴿أَوْ يَصِيحُ مَاؤُهَا غُورًا﴾، أي: غائرا منقطعاً ذاهباً لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، و«الغور» مصدرٌ وضع موضع الاسم، مثل زور وعدل، ﴿فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا﴾، يعني: إن طلبته لم تجده.

﴿٣٩﴾ ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِيرِهِ﴾، أي: أحاط العذاب بشمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها نارا فأهلكتها وغار ماؤها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، صاحبها الكافر، ﴿يَقْبَلُ كَفْبًا﴾، أي يصفق بيديه الواحدة على الأخرى، ويقلب كفيه ظهرا لبطن، تأسفاً وتلهفان، ﴿عَلَىٰ مَا أَفْقَقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾، أي ساقطة، ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، سقوفها، ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿٤٠﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً﴾، جماعة، ﴿بِصُرُورِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يمنعونه من عذاب الله، ﴿وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾، ممتنعاً منتقماً أي لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا

خيراً منها، فإنه لم يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾، المسلم، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، آكرت بالذي خلقك من تراب، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ثُمَّ﴾، من خلقك، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾، أي: عدلك بشراً سوياً ذكراً.

﴿٣٨﴾ ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب لكننا بالالف في الوصل، وقرأ الباقون بلا الف، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله: «لكن أنا»، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف، لكثرة استعمالها ثم ادغمت إحدى النونين في الأخرى.

﴿٣٩﴾ قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازة: لكن الله هو ربي، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾، أي: هلا إذ دخلت جنتك، ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمرة، أي ما شاء الله كان، وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله.

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم قال: ﴿إِنْ كَرِهْنَا أَوْلَىٰ مِنْكُمْ مَا لَا

الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أنمارها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، بكفره، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾، تهلك، ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾، قال أهل المعاني: راقه حسنها وغرته زهرتها، فتوهم أنها لا تفتنى أبداً، وأنكر البعث.

﴿٣٦﴾ فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، كائنة، ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، وقرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون «منها» أي: من الجنة التي دخلها، ﴿مُنْقَلَبًا﴾، أي: مرجعاً، فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾، وهو منكر البعث؟

قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي - على ما تزعم أنت - يعطيني هنالك

يقدر على رد ما ذهب منه.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾،

يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي «الولاية» بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالة والنصرة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال القتيبي: يريد أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

وقيل: بالفتح: الربوبية وبالكسر:

الإمارة، ﴿الْحَقِّ﴾ برفع القاف: أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي: «هنالك الولاية الحق لله»، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: ﴿فَمُرُّوهُمْ إِلَىٰ آلِهِمْ مَوْلَانَهُمْ نَحْوَ﴾ [الأنعام: ٦٢]

﴿هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يشيب، ﴿وَعَقِبًا﴾، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم «عقبًا» ساكنة القاف، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ﴾،

يا محمد لقومك: ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَالْمَاطَرِ﴾، ﴿فَأَخْتَلَفْتُمْ بَيْنَ تَنَابُثِ الْأَرْضِ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، عن قريب، ﴿هَشِيمًا﴾، يابساً. قاله ابن عباس وقال الضحاك: كسيراً. والهشيم: ما ييس وتفتت من النباتات فأصبح هشيمًا، ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحَ﴾، قال ابن عباس: تشره الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي تنسفه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، قادرًا.

﴿٤٦﴾ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾،

التي يفتخر بها عبته وأصحابه الأغنياء، ﴿زِينَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿وَالْبَيْعَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقد روينا أن النبي ﷺ قال:

«أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، أنبأنا أحمد بن عبدالجبار العطاردي، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنبأنا أبو جعفر محمد بن

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَيْعَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرًا أَمْلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نَسُفُ السَّيَالُ وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسَرْتُمْ فَمَ تَفَارِقْتُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُعْجَرِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَعْبُدُكُمْ رَبُّكُمْ وَلَا كَبِيرٌ إِلَّا أَحْسَنُهَا وَرَبُّدًا وَمَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكُمْ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَعُدُّونَ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ الْعُظْمَاءِ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَحَدُوا بِهِمْ ثُمَّ قَالَ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّ الْمُتَعْرِضِينَ لَشَرِّ النَّارِ لَفُظُوهُنَّ مُوَافِعُوهُنَّ لَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُنَّ مَصْرَفًا ﴿٥٣﴾

[٤٦]

أحمد بن عبدالجبار، أنبأنا حميد بن زنجويه، ثنا عثمان عن أبي صالح، ثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وقال سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم: «الباقيات الصالحات» هي الصلوات الخمس. ويرى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا﴾، أي جزاء، المراد ﴿وَمَثَرٌ أَمْلًا﴾، أي ما يأمله الإنسان.

قال: والنساء قالت: قلت يا رسول الله نستحي، قال: «يا عائشة الأمر أشد من ذلك أن يهتهم أن ينظر بعضهم إلى بعض».

﴿٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾، يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس، في إيمانهم وشمانلتهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله تعالى. ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾، خائفين، ﴿وَمِمَّا فِيهِ﴾، من الأعمال السيئة، ﴿وَقَوْلُونَ﴾، إذا رأوها، ﴿يَبُولِنَّا﴾، يا هلاكنا، و«الويل» و«الويل» الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس: «الصغيرة» التبسم و«الكبيرة» القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة اللحم واللحم والقبله، والكبيرة الزنا [ونحوه]. ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، عدّها، قال السدي: كتبها وأثبتها. وقال مقاتل بن حيان: حفظها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي، ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن أبي حازم قال: لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا كَمِ

وإثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبیت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان، حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِنكُمْ مُحْشَرُونَ حِفَاءَ عِرَاءَ غَرَلًا»، ثم قرأ، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَرْيُومَ الْكَلِيمَةَ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨].

أخبرنا أبو الحسن [محمد بن محمد] السرخسي، أنا [أبو علي] زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن المغلس ببغداد، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، أنبأنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغيره، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عِرَاءَ حِفَاءَ»، قالت: قلت والنساء؟

﴿٤٧﴾ ﴿يَوْمَ نُشِيرُ الْجِبَالَ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «نُسِيرُ» بالتاء وفتح الياء الجبال رفع دليله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، «الجبال» نصب، وتسير الجبال: نقلها من مكان إلى مكان، ﴿وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، أي ظاهرة، ليس عليها شجر، ولا جبل، ولا نبات، كما قال: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: ١٠٦ - ١٠٧]، قال عطاء: هو بُرُوز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهراً، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾، جميعاً إلى الموقف والحساب، ﴿فَلَمْ تَقَاوَرْ يَوْمَ يَوْمِهِمْ﴾، أي فلم نترك منهم، ﴿أَحَدًا﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وَعَرِضْنَا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، أي صفاً صفّاً، فوجاً فوجاً، لا أتهم صف واحد. وقيل: قياماً، ثم يقال لهم يعني الكفار: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعني أحياء، وقيل: فُرَادَى كما ذكر في سورة الأنعام [٩٢]. وقيل: عرأة وقيل: غرلاً. ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ جَبَلَ لَكَ مَوْعِدًا﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا معلى بن أسد، ثنا وهيب عن ابن طاوس، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهبين،

ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعمود، وجاء هذا بعمود، فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموقفات.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾، مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿وَلَا يَظُنُّرُ رَبُّكَ آمَلًا﴾، أي: لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً. وقال الضحاك: لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله.

وقال عبدالله بن قيس: تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجداً ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله. ورفع بعضهم عن أبي موسى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، يقول واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خُلِقُوا من نار السموم. وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. ﴿فَسَقَّ﴾، أي خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، عن طاعة ربه، ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ﴾، يعني يا بني آدم ﴿وَوَدُّرْتَهُ أُولِيكَا مِنْ دُونِ وَهَمَّ لَكُمْ عُدُوًّا﴾، أي أعداء.

وروي مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك لعرس ما شهدته، ثم ذكرت

قوله تعالى: ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيكَا مِنْ دُونِ﴾، فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. وقال قتادة: يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض، فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين. وقال مجاهد: من ذرية إبليس «لايس» و«ولهان»، وهما صاحبا الطهارة والصلاة، و«الهفاف» و«مزة» وبه يكنى، و«زلنبور» وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع، و«ثبر» وهو صاحب المصائب يزين للناس خمس الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، و«الأعور» وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، و«مطوس» وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً، و«داسم» وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يحتسب موضعه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم، فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان. فاتقوا وسواس الماء».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا

محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن خلف الباهلي، أنبأنا عبدالأعلى عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتقل عن يسارك ثلاثاً»، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني.

وأخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو كريب محمد بن علاء، أنبأنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». قال الأعمش أراه قال: «فيلتزمه».

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلِزُّمُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، قال قتادة: بشس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا

مهلكاً، قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو واد في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم. وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيات مثل البغال الدهم، قال ابن الأعرابي: كل حاجز بين شيئين فهو موق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه أي أهلكه، قال الفراء: وجعلنا توصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَقَعُ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من قرأ بالرفع. ﴿وَرَزَا الْمُرْجُونَ النَّارَ﴾، أي المشركون، ﴿فَقَنُوا﴾، أيقنوا، ﴿أَنْتُمْ مُؤْفِقُوهُمْ﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، معدلاً، لأنها أحاطت بهم من كل جانب. ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾، بينا، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي ليتذكروا ويتعظروا، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾، خصومة في الباطل. قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن. قال الكلبي: أراد به أبي بن خلف الجمحي. وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: ﴿وَيَجِدُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح.

﴿وَمَا نَرَى مِنَ الْقَوْمِ الْعَادِلِينَ﴾ [الأنعام: ٩٤]، قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿وَسَتَقْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾، يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْآخِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، أو يأتيهم العذاب قبلاً، قال ابن عباس: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة «قبلاً» بضم القاف والياء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

﴿وَمَا نَرَى مِنَ الْقَوْمِ الْعَادِلِينَ﴾ [الأنعام: ٩٤]، قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿وَسَتَقْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾، يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْآخِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، أو يأتيهم العذاب قبلاً، قال ابن عباس: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة «قبلاً» بضم القاف والياء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٢] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَسَتَقْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [٥٣] ﴿وَمَا نَرَى مِنَ الْقَوْمِ الْعَادِلِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آلِ الْبَنِيِّ مَثَلًا لِمَنْ هُوَ أَهْوَى مِنْ أَطْرَمٍ وَمَنْ ذَكَرْتَابِتَ رَيْمًا فَعَرَضْنَا عَنْهَا وُسْيًا مَا قَدِمَتْ بِهِ إِذْ نَاحُوا عَنِ قُلُوبِهِمْ أَكْفَنَهُ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آفَاتِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْ أَبَدْنَا﴾ [٥٤] ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ نَوَّجْنَاهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْنَاهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا﴾ [٥٥] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَمْكَنَهُمْ لَمَا طَغَوْا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [٥٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَا آتِيَكُمُ الْحَقُّ مِنْ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [٥٧] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَبِيًّا أَحْوَجْتَهُمَا فَاغْتَذِيبَهُمَا فِي الْبَحْرِ سِرًا﴾ [٥٨]

أشهدناهم» بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَشْيِهِمْ﴾، يقول: ما أشهدتهم خلقاً فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً، أي: أنصاراً وأعاوناً.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ [٥٧] ﴿قَدْ أَهْلَكْتُم بِلِغَتِي﴾ [٥٨] ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٥٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٢] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمَرُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَسَتَقْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [٥٣] ﴿وَمَا نَرَى مِنَ الْقَوْمِ الْعَادِلِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آلِ الْبَنِيِّ مَثَلًا لِمَنْ هُوَ أَهْوَى مِنْ أَطْرَمٍ وَمَنْ ذَكَرْتَابِتَ رَيْمًا فَعَرَضْنَا عَنْهَا وُسْيًا مَا قَدِمَتْ بِهِ إِذْ نَاحُوا عَنِ قُلُوبِهِمْ أَكْفَنَهُ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آفَاتِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذْ أَبَدْنَا﴾ [٥٤] ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ نَوَّجْنَاهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْنَاهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا﴾ [٥٥] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَمْكَنَهُمْ لَمَا طَغَوْا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [٥٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَا آتِيَكُمُ الْحَقُّ مِنْ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [٥٧] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَبِيًّا أَحْوَجْتَهُمَا فَاغْتَذِيبَهُمَا فِي الْبَحْرِ سِرًا﴾ [٥٨]

اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا [الإسراء: ٩٤].
 وَلَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
 الْقَرِيظِينَ عَظِيمٍ [الزخرف: ٣١]، وما
 أشبهه. ﴿لِيَذُحَّضُوا﴾، ليبطلوا، ﴿بِهِ
 لَتَلَقَّ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد
 ليزيلوا به الحق، ﴿وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا
 أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، فيه إضمار يعني وما
 أنذروا به وهو القرآن، هزوا أي
 استهزاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ﴾،
 وعظ، ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾،
 تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها،
 ﴿وَرَبِّيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي ما عمل
 من المعاصي من قبل، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى
 قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَنْ
 يَفْقَهُوهُ﴾، أي: يفهموه يريد لثلا
 يفهموه، ﴿وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا﴾، أي
 صمماً وثقلًا، ﴿وَإِنْ نَدَعُهُمْ﴾، يا
 محمد ﴿إِلَى الْهَدْيِ﴾، إلى الدين
 [الحق]، ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدْنَا﴾،
 وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا
 يؤمنون.

﴿وَرَبُّكَ الْمَغْفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾،
 ذو النعمة ﴿لَوْ يُؤَايِدُهُمْ﴾، يعاقب
 الكفار، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾، من الذنوب
 ﴿لَعَجَلْ لَّهُمُ الْعَذَابَ﴾، في الدنيا، ﴿بَلْ
 لَّهُمْ مَوْعِدٌ﴾، يعني البعث والحساب،
 ﴿لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا﴾، ملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْأَفْرُوسُ أَهْلَكْتُمُهَا﴾،
 يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
 وغيرهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾، كفروا،
 ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾، أي
 أجلاً، قرأ أبو بكر «لمهلكهم» بفتح
 الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم
 وكسر اللام، وكذلك في النمل [٤٩]

«مهلك» أي وقت هلاكهم، وقرأ
 الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي:
 لإهلاكهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ
 مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أُنَبِّئُكَ حَقَّ نَبِيِّ
 مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾، عامة أهل العلم
 قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال
 بعضهم: هو موسى بن ميثا من
 أولاد يوسف. والاول أصح.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
 المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي،
 ثنا سفيان، ثنا عمرو بن دينار،
 أخبرني سعيد بن جبيرة، قال: قلت
 لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن
 موسى صاحب الخضر ليس هو
 موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس:
 كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب
 أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن
 موسى قام خطيباً في بني إسرائيل،
 فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا،
 فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه،
 فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع
 البحرين، هو أعلم منك، قال
 موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال:
 تأخذ معك حوتاً فتجعلها في مكث
 فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم،
 فأخذ حوتاً فجعله في مكث ثم انطلق
 وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى
 إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما
 فناما، واضطرب الحوت في المكث
 فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ
 سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله
 تعالى عن الحوت جرية الماء فصار

عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي
 صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا
 بقية يومهما وليتتهما حتى إذا كان من
 الغد، فلما جاوزا قال موسى لفتاه أتنا
 غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً،
 قال: ولم يجد موسى النصب حتى
 جاوز المكان الذي أمره الله به، وقال
 له فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى
 الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِيْتُ الْكُفُوتِ وَمَا أُنشِينِي إِلَّا
 الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرُ وَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
 عَجْبًا﴾، قال: فكان للحوت سرباً
 ولموسى وفتاه عجباً، وقال موسى:
 ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ نطلبه ﴿فَارْتَدَّا عَلَى
 آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، قال: رجعا
 يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى
 الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم
 عليه موسى، فقال الخضر عليه
 السلام وأتى بأرضك السلام، فقال
 له: أنا موسى، قال: موسى بني
 إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك
 لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك
 لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني
 على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه
 أنت، وأنت على علم من علم الله
 علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى:
 ستجدني إن شاء الله صابراً ولا
 أعصي لك أمراً، فقال له الخضر:
 فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى
 أحدث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان
 على ساحل البحر، فمرت سفينة
 فكلموهم أن يخملوهم، فعرفوا
 الخضر فحملوهم بغير نول، حتى إذا
 ركبا في السفينة لم يضح إلا والخضر
 قد قلع لوحاً من ألواح السفينة
 بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد
 حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم

صُنِجِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عِلْمًا * فَأَنْطَلِقًا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبَرَأَ أَنْ يَعْصِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآكَامَهُمْ قَالَ: كَانَ مِثْلًا،

فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَخَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وَوَدِدْنَا أَنْ مُوسَىٰ كَانَ صَبِيرًا

حتى يقص علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين».

وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قام موسى رسول الله فذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إلى الله قيل: بلى عبدنا الخضر، قال: يا رب وأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: رب اجعل لي علماً أعلم بك منه، قال: خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح،

وفي رواية قيل له: تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكمل».

رجعنا إلى التفسير قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ﴾، يوشع بن نون، ﴿لَا آتِيحُ﴾، أي لا أزال أسير ﴿حَقَّقْ أَتْلُجَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾، قال قتادة: بحر فارس وبحر الروم، مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أبي بن كعب: أفريقية. ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حَقْبًا﴾، أي دهرأ طويلاً وزماناً، وجمعه أحقاب، والحُقب: جمع الحُقب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملاً خبزاً وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حي، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكمل وعاشت ودخلت البحر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿بِمَجْمَعِ بَيْنَهُمَا﴾، أي: بين البحرين ﴿بَيْنِيَّ﴾، تركيا، ﴿حَوْثَهُمَا﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع [بن نون]، وهو الذي نسيه، وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا، وإنما حملة واحد منهم، ﴿فَأَخَذَ﴾، أي الحوت، ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، أي مسلماً.

وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «انجاب

فَلَمَّا جَاؤَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنِّي آتَاكُمْ مَعَهُمَا سَفَرًا هَذَا صَبْرًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا السَّمِيطُ أَنْ أَذْكَرُمْ وَأَخَذْتُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ آتَانَهُمَا قَصَصًا ﴿٦٣﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبَدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مَنْ لَدُنَّا عَلِيمًا ﴿٦٤﴾ قَالَ لَهُمُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُمُكَ عَلَىٰ أَنْ تَكْفُرَ مِنِّي وَإِنِّي لَأَكْفُرُ بِمَا كُنْتُ عَلَىٰ مِنْكُمْ إِذْ لَمْ تَكُنْ بِمَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٥﴾ وَكَيْفَ صَبْرُكَ عَلَىٰ مَا رَحِمْتَهُ بِمِثْرًا ﴿٦٦﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٨﴾ فَأَنْطَلِقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَنْ تَسْطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧١﴾ فَأَنْطَلِقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَا عُلَيْنَا فَتَنَّمَا قَالَ أَفَتَلَكَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِمَا نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٢﴾

فخرقتها لتغرق أهلها؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَنْ تَسْطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، قال: وقال النبي ﷺ: فكانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نفرة فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم [الله] إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقبله بيده وقتله، فقال له موسى: ﴿أَفَتَلَكَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِمَا نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَنْ تَسْطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنِ شَيْءٍ بِمَدَّهَا فَلَا

حتى يقص علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين».

وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «انجاب

الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر، قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرة، وقال الكلبي: توضع يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه، فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس. وقد روينا أنهما لما انتھيا إلى الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرياً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ [موسى] نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد.

﴿قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاؤَا﴾﴾، يعني ذلك الموضوع وهو مجمع البحرين، ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لِفَتْنَةٍ﴾، أَي طعنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أي تعباً وشدة وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

﴿قَالَ﴾ له فتاه وتذكر ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود، قال معقل بن زياد: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ آلِهَتِي﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت

قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صلبا الظهر من الغد. قيل في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿وَمَا أَسْتَيْبُهُ إِلَّا أَن تَقُولَ أَن أذكرُ﴾، أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقرأ حفص: «أنسانيه»، وفي الفتح [١٠] ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ بضم الهاء. وقيل معناه أنسانيه لثلا أذكره، ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قيل هذا من قول يوشع، يقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكاً فعجبت من ذلك عجباً. وروينا في الخبر: كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وقيل: هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر سرباً، قال له موسى: عجباً، كأنه قال: أعجب عجباً. قال ابن زيد: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه جهراً ثم صار حياً بعدما أكل بعضه.

﴿قَالَ﴾. موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾، أي: نطلب، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْنَا آثَارَهَا فَمَصَّ﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه بيتغيانه، فوجدوا عبداً من عبادنا، قيل: كان ملكاً من الملائكة، والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ أنه الخضر، واسمه بلييا بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا، والخضر لقب له سمي بذلك لما.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن

محمد بن مجمش الزيايدي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتت تحته خضراء».

قال مجاهد: سمي خضراً لأنه إذا صلى اخضر ما حوله.

ورويانا: أن موسى رأى الخضر مسجى بشوب فسلم عليه فقال الخضر: وأتى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً.

وفي رواية أخرى لقيه مسجى بشوب مستلقياً على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجليه.

وفي رواية لقيه وهو يصلي. ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر.

﴿قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾﴾، أي نعمة، ﴿مَنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، أي علم الباطن الإلهاماً ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ﴾ يقول جئت لأتبعك وأصحبك، ﴿عَلَّمَ أَن تُلْمَعْنَ مِنَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «رشداً» بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صواباً. وقيل: علماً ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وبيني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى:

يقول: لا تضيق على أمري، وعاملني باليسر، ولا تعاملني بالعسر.

﴿فَأَطْلَقَا حَتَّىٰ إِذَا نَفَا غُلَامًا﴾ (٧٤) وفي القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان، فمرا بغلمان يلعبون، فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال السدي: كان أحسنهم وجهاً وكان وجهه يتوقد حسناً. وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده. وروى عبدالرزاق هذا الخبر: وأشار بأصابعه الثلاثة الإبهام والسبابة والوسطى، وقلع برأسه. وروى أنه رضخ رأسه بالحجارة. وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله. قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث، وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زكية إلا وهو صبي لم يبلغ، وقال الحسن: كان رجلاً. وقال شعيب الجبائي: كان اسمه حيسور. وقال الكلبي: كان فتي يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبيه. وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد [الفارسي] أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج أنبأنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب ثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقية بن مصقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير

لججوا البحر أخذ الخضر فأسماً فخرق لوحاً من السفينة» فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ﴾، له موسى، ﴿أَخْرَقَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي: «لِيُغْرَقَ» بالياء وفتحها وفتح الراء، «أهلها» بالرفع على اللزوم، وقرأ الآخرون [لِيُغْرَقَ] بالياء ورفعها وكسر الراء «أهلها» بالنصب على أن الفعل للخضر، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: أَمِرَ القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي ﴿إِمْرًا﴾ أي عجباً. وروي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وروي أن موسى لما رأى ذلك [من الخضر] أخذ ثوبه فحشى به الخرق. وروي أن الخضر أخذ قدحاً من زجاج ورفق به خرق السفينة.

﴿قَالَ﴾، العالَم وهو الخضر، ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لَا تُؤَلِّخُنِي بِمَا نَيْبْتُكَ﴾، قال ابن عباس: إنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، فكأنه نسي شيئاً آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك، والنسيان: الترك. وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً». ﴿وَلَا تُرْفِقُنِي﴾، ولا تغشني، ﴿وَمِنَ أَمْرِي عُسْرًا﴾، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أَرَهَقْتَهُ عُسْرًا، أي كلفته ذلك،

إن الله أمرني بهذا فيحيتي.

﴿قَالَ﴾، له الخضر، ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكراً، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر.

﴿قَالَ﴾، فقال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ تُحْمَلُ بِهِ خَبْرًا﴾، أي علماً.

﴿قَالَ﴾ [له] موسى، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، [و] إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

﴿قَالَ﴾، الخضر، ﴿إِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾، فإن صحبتني، ولم يقل: اتبعني، ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطاً فقال، ﴿فَلَا تَتَنَلَّيْ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون وقرأ الآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿عَنْ مَوْءُؤٍ﴾ عمله فيما تكره و[لا تعترض عليه]، ﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، حتى ابتدئ لك بذكره فأبين لك شأنه.

﴿فَأَطْلَقَا﴾، يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانهما، فوجدوا سفينة فركبها، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكنني أرى وجوه الأنبياء.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «مرت بهم سفينة فكلمهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما

عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهبك أبويه طغياناً وكفراً».

﴿قَالَ﴾. موسى، «أَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةٌ»، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: «زاكية» بالالف، وقرأ الآخرون «زكية»، قال الكسائي والفرء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الزاكية» التي لم تذب قط، و«الزكية» التي اذنبت ثم تابت، ﴿بِمَعْرِ تَقْرِينِ﴾، أي لم تقتل نفساً بشيء وجب به عليها القتل، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، أي: منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الإمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا «نكراً» وفي سورة الطلاق [٨] بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

﴿قَالَ﴾، يعني الخضر: ﴿أَنْتَ أَقَلُّ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قيل: زاد لك لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه.

﴿قَالَ﴾، موسى، «إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا [أي] بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، ﴿فَلَا تُصِحِّبْنِي﴾»، وفارقني، وقرأ يعقوب: «فلا تصحبني» بغير ألف من الصحبة. ﴿قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي

عَذْرًا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر «مِن لَدُنِّي» خفيفة النون، وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد أعذرت فيما بيني وبينك. وقيل: قد حذرتني أنني لا أستطيع معك صبراً. وقيل: واتضح لك العذر في مفارقتي.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد [الفارسي]، أنبأنا محمد بن عيسى

الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن عبد الأعلى القيسي، ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه عن رقية، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى»، وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه، «لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: ﴿إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِحِّبْنِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا﴾ فلو صبر لرأى العجب».

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني «أنطاكية». وقال ابن سيرين: هي «الأيلة» وهي أبعد الأرض من

﴿قَالَ أَنْتَ أَقَلُّ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِحِّبْنِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٥﴾ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَخَّدْتَ عَلَيْهِ جِدَارًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَذَا لِرَأْفِ بْنِ وَيَّكَ سَأَيْتُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِسَيِّدِكُنَّ يَمْعَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٨﴾ وَأَمَا الْقُلُوبُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرُفِقَهُمَا طَافَيْنَا فِي الْبُقَاعِ فَأرَدْنَا أَنْ نُبَدِّلَهُمَا مِن مَّحَلٍّ غَيْرٍ ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ وَتَمَّتْ لَدُنْكَ عَزَى الْقُرْآنِ الَّذِي أَنزَلْنَا عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ذِكْرًا ﴿٨١﴾

السماء. وقيل: «برقة». وعن أبي هريرة: بلدة بالاندلس. ﴿اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما». وروي أنها طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف. وروي عن أبي هريرة قال: أطعمتها امرأة من أهل بربير بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما. فدعا لئسائهم ولعنا رجالهم. قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّهَا إِذَا رَأَىٰ يَوْمَئِذٍ أَنَّ يُنْقَضُ﴾، أي يسقط، وهذا من معجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من السقوط، كما تقول

العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. ﴿فَأَقَامَهُ﴾، أي سواه.

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ «قال الخضر بيده فأقامه».

وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار بيده فاستقام. وروي عن ابن عباس: هدمه ثم قعد بينيه. وقال السدي: بل طينا وجعل بيني الحائط. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «لَتَّخَذْتَ» بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون «لَتَّخَذْتَ» بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، ﴿أَجْرًا﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت أننا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا، فلو أخذت على عملك أجرًا.

﴿قَالَ﴾ الخضر، ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر «بين» تأكيداً. ﴿سَأَتَّبِعُكَ﴾، أي سوف أخبرك ﴿بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بشويه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقتي.

﴿قَالَ﴾: ﴿أَنَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾، قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسة زمني، وخمسة يعملون في البحر.

وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذ لم يقم ما يملكه بكفايته، ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ أي يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَسِيبَهَا﴾، أجعلها ذات عيب، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾، أي أمامهم، ﴿مَلِكٌ﴾، كقوله: ﴿مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦]، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح، يدل عليه قراءة ابن مسعود ﴿وكان أمامهم ملك﴾ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، أي كل سفينة صالحة غصباً وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، فخرقها وعبثها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب، وكان اسمه الجلندي وكان كافراً. وقال محمد بن إسحاق اسمه «متوله بن جلندي الأزدي». وقال شعيب الجبائي اسمه «هُدُدُ بْنُ بُدْدُ».

وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن «الملك» الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعييبها، فإذا جاوزوه أصلحوها فانتفعوا بها. وقيل: سدوها بقارورة. وقيل: بالفار.

﴿قَالَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آبَاءَهُ مُؤْمِنِينَ فَخَسَبْنَا﴾، أي فعلمنا، وفي قراءة ابن عباس «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا» أي فعلمنا، ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾، يغشيهما، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿طَفِقْنَا وَكُنَّا﴾، قال

سعيد بن جبير: خشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعه على دينه.

﴿قَالَ﴾ ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد ههنا وفي سورة «التحریم» [٥] والقلم [٣٢]، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، وفرق بعضهم فقال: «التبديل» تغيير الشيء، أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، و«الإبدال» رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾، أي صلاحاً وتقوى، ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾، قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بضم الحاء والباقون بجزمها، أي: عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقربة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه. وقال الكلبي: أبدلها الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً، فهدى الله على يديه أمة من الأمم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلها الله جارية ولدت سبعين نبياً. وقال ابن جريج: أبدلها بغلام مسلم. قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل.

ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يجب.

﴿قَالَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وكان اسمها أصرم وصرم، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، اختلفوا في ذلك الكنز.

روي عن أبي السرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهباً وفضة».

وقال عكرمة: كان مالا. وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفاً فيها علم.

وعن ابن عباس: أنه قال: كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه: «عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح! عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل! عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب! عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب! عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي الجانب الآخر مكتوب: «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه [وويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه]».

وهذا قول أكثر المفسرين. وروي ذلك أيضاً مرفوعاً. قال الزجاج: الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال، ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما. «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا»، قيل: كان اسمه كاسح وكان من الأتقياء. قال ابن عباس حفظاً بصلاح أبيهما، وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما

دام فيهم. قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. قوله عز وجل: «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا» ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة. «وَسَتَرْنَا مَا كُنْزُهُمَا رَحْمَةً»، نعمه، «مِنْ رُبِّكَ وَمَا قَلْبُهُ عَنْ أَمْرِي»، أي باختراري ورأيي، بل فعلته بأمر الله والإمامه، «ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا نَرُ سَطَعَ عَلَيْهِ صَبْرًا»، أي لم تطق عليه صبراً، و«استطاع» و«اسطاع» بمعنى واحد، وروي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له: أوصني، قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به. واختلفوا في أن الخضر حي أم ميت؟ قيل: إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان في كل سنة بالموسم.

وقيل: وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة. وكان الخضر على مقدمة عسكر ذي القرنين فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وتوضأ وشرب وصلى شكراً لله عز وجل، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد. وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّينَ قَبْلِكَ الْخَلْدَ» [الأنبياء: ٣٤].

وقال النبي ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حي على ظهر الأرض أحد».

ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده.

قوله تعالى: «وَرَبُّكَ لَعَلَّ يَكْفُرُونَ» [٨٣] ذي القرنين قل سأتلوا عليكم آياته ذكراً، خبراً، واختلفوا في نبوته فقال بعضهم: كان نبياً. وقال أبو الطفيل مثل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً أم ملكاً؟ فقال: لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله، ناصح الله فناصحه الله. وروي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال تسميتهم بأسماء الأنبياء فلم ترضوا حتى تسميتهم بأسماء الملائكة. والأكثرون على أنه كان ملكاً عادلاً صالحاً. واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين، قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقيل: لأنه كان ملك الروم وفارس. وقيل: لأنه دخل النور والظلمة. وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس. وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان. وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة. وروي أبو الطفيل عن علي أنه قال: سمي ذا القرنين لأنه أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات، فأحياه الله، واختلفوا في اسمه قيل: اسمه «مرزيان بن مرزية اليوناني» من ولد يونان بن يافث بن نوح. وقيل: اسمه «الإسكندر بن فيلفوس بن ياملوس الرومي».

﴿٨٧﴾ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ أَي كَفْرٍ، ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾، أي: نقتله، ﴿ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى رَبِّهِ﴾، في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَئِيمًا﴾ أي: منكرًا يعني: بالنار، والنار أنكروا من القتل.

﴿٨٨﴾ وَأَمَا مِنْ أَمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنِيِّ، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: «جزاء» منصوباً ممنوناً أي: فله الحسنى «جزاء» نصب على المصدر، وهو مصدر وقع موقع الحال، أي فله الحسنى مجزياً بها وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، فالحسنى الجنة وإضاف الجزاء إليها كما قال: ﴿وَلَذَارُ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩]، والدار هي الآخرة.

وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. أي له جزاء الأعمال الصالحة. ﴿وَسَقُولُكَ لَمِنْ أَمْرِنَا بِالسَّرِّ مِنْ أَمْرِنَا﴾، أي نلين له القول ونعامله بالسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسراً أي معروفاً.

﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا، أي سلك طرقاً ومنازل.

﴿٩٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ، أي موضع طلوعها، ﴿وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا﴾، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معابشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يتراءون كالبهائم. وقال الكلبي: هم قوم عراة يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

﴿٩١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

التاء: قيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الألف فمعناه: أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سبباً أي طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً.

﴿٩١﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْبٍ حَتَّىٰ، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر «حامية» بالألف غير مهموزة، أي حارة،

وقرأ الآخرون «حمسة» مهموزاً بغير الألف أي ذات حماة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعباً كيف تجدد في التوراة أين تغرب الشمس؟ قال: أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطنين. وقال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فِي عَيْبٍ حَتَّىٰ﴾ أي عندها عين حمئة أو في رأي العين. ﴿وَجَدَهَا تَقْرُبُ قَوْمًا﴾، أي عند العين أمة، قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب. ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِّقَيْنِ﴾، استدل بها من زعم أنه كان نبياً فإن الله تعالى خاطبه، والأصح أنه لم يكن نبياً والمراد منه الإلهام، ﴿إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ﴾، يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿وَلَمَّا أَنْ تَنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيره الله بين الأمرين.

﴿٨٤﴾ إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَوَدَعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْبٍ حَتَّىٰ وَجَدَهَا تَقْرُبُ قَوْمًا فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِّقَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَلَمَّا أَنْ تَنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَئِيمًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَا مِنْ أَمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنِيِّ وَسَقُولُكَ لَمِنْ أَمْرِنَا إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٨﴾ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِمْ خَيْرًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩١﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٢﴾ قَالُوا يَدَّبُّوا الْقُرْآنَ لِإِثْمِ أَجْرٍ وَمَأْجِرٍ مُتْسِدِّدِينَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَيْرًا مِمَّا أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَبِيلًا ﴿٩٣﴾ قَالَ مَا مَكَّنَّا فِيهِ رَبِّي خَيْرَ فَأَعِينُونِي بِشَيْءٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٤﴾ آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَّيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلْنَا نَارًا قَالُوا آتُونِي أَفْنِجْ عَلَيْهِ وَقَطِّرْنَا ﴿٩٥﴾ فَمَا أَسْأَلُكُمْ أَنْ يَظْهَرُوا وَمَا أَنَسْتَأَلُكُمْ لَمَّا لَقِيتُمْ ﴿٩٦﴾

﴿٨٤﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾، أو طأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخر له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب ويسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلل له طرقها. ﴿وَوَدَعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: أعطيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، ﴿سَبَبًا﴾، أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير له في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

﴿٨٥﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا، أي: سلك وسار طريقاً، قرأ أهل الحجاز والبصرة «ثم اتبع» موصولاً مشدداً، وقرأ الآخرون بقطع الألف وجزم

﴿وَكَذَلِكَ﴾، قيل: معناه ما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند مطلع الشمس، ﴿وَقَدْ أَحْطَأْنَا بِمَا كَذَّبُوا حَتَّى﴾، يعني: بما عنده ومعه من الجند، والعدة، والآلات «خبراً» أي علماء.

﴿١٦٦﴾ - ﴿١٦٧﴾ ﴿مَنْ أَنْعَمَ سَيِّئًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص «السدين» و«سداً» ههنا بفتح السين ووافق حمزة والكسائي في «سداً» وقرأ الباقون بضم السين وفي [سورة] يس ﴿سَكَّاءً﴾ بالفتح: حمزة والكسائي وحفص، وقرأ الباقون بالضم، منهم من قال هما لغتان معناهما واحد. وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح، وما كان من صنع الله فهو سُد بالضم. وقاله أبو عمرو. وقيل: «السُد» بالفتح مصدر وبالضم اسم، وهما هنا جيلان، سُد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وَجَدَّ مِنْ ذُوْنِهِمَا قَوْمًا﴾ يعني: أمام السدين. ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قرأ حمزة والكسائي «يفقهون» بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

﴿١٦٨﴾ ﴿قَالُوا يَا نَذَا الْفَرِّقِينَ﴾، فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون؟ قيل: تكلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: «لا يكادون يفقهون قولاً» قال الذين من دونهم يا ذا

القرنين ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، قرأهما عاصم مهموزين وذلك في الأنبياء «فتحت يأجوج ومأجوج»، وقرأ الآخرون بغير همز في السورتين، وهما لغتان أصلهما من أجيح النار، وهو ضوؤها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وقيل: بالهمز من أجيح النار وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل هارون وماروت، وهم من أولاد يافث بن نوح. قال الضحاک: هم جيل من الترك. قال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت فضرب ذو القرنين السد، فبقيت خارجه، فجميع الترك منهم. وعن قتادة: أنهم اثنان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك، سموا الترك لأنهم تركوا خارجين. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة، ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس في رواية عطاء: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء.

وروي عن حذيفة مرفوعاً: إن يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم، يسرون إلى خراب الدنيا. قلت: «هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، شجر بالشام، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء

عشرون ومائة ذراع في السماء، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»، وعن علي أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول. وقال كعب: هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم.

وذكر وهب بن منبه: أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجز، فلما بلغ كان عبداً صالحاً.

قال الله له: إني باعك إلى أمم مختلفة السنتم، منهم أمتان بينهما طول الأرض: إحداهما عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والأخرى عند مطلعها، يقال لها منسك، وأمتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فقال ذو القرنين: يا رب بأي قوة أكابرههم؟ وبأي جمع أكابرههم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ قال الله عز وجل: إني سأقويك وأبسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولتك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك الثور والظلمة وأجعلهما من جنودك،

يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك، فانطلق، حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله.

فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله وعبادته، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فوجد من أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك، ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها ووجد منها جنوداً كفعله في الأمتين، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله [فيما قبلها]، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض.

فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش، لهم أنياب وأضراس كالسباع، يأكلون الحيات والعقارب، وكل ذي روح، خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم، ولا شك أنهم سيملؤون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

ثم قال: أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم

على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع، ولهم هذب من الشعر في أجسادهم ما يواريههم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين ففاس ما بينهما فحفر له الأساس حتى بلغ الماء، وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس، يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض.

قوله تعالى: ﴿تَشِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض الذين شكوهم إلى ذي القرنين فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً.

وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس. وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾، قرأ حمزة والكسائي «خراجاً» بالألف، وقرأ الآخرون «خرجاً» بغير ألف وهما لفتان بمعنى واحد، أي جعلاً وأجرأ من أموالنا. قال أبو عمرو: و«الخرج» ما تبرعت به، و«الخراج» ما لزمك أداؤه.

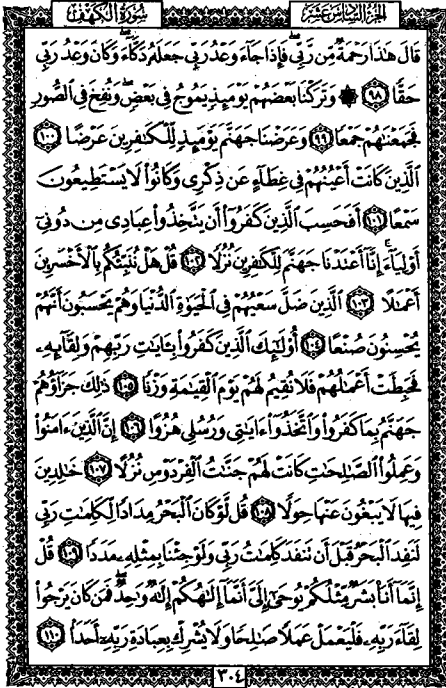
وقيل: «الخراج» على الأرض و«الخرج» على الرقاب. يقال: أذ خَرَجَ رأسك وخراج مدينتك. ﴿عَلَىٰ

أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سَدًا﴾، أي حاجزاً فلا يصلون إلينا.

﴿قَالَ﴾، لهم ذو القرنين، ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾، قرأ ابن كثير «مكنني» بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قوانى عليه، ﴿رَبِّي خَيْرٌ﴾، من جعلكم، ﴿فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، أي سداً، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا: وما تلك الآلة؟ قال:

﴿أَتُونِي﴾، أعطوني وقرأ أبو بكر «اتنوني» أي جيتوني، ﴿زُبُرٌ لِّحَدِيدٍ﴾، أي: قطع الحديد، واحدها زُبْرَةٌ، فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والداد، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحهما، وهما الجبلان، «ساوى» أي: سوى بين طرفي الجبلين. ﴿قَالَ أَنُغْرَاقُ﴾.

وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال: انفخوا يعني في النار، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾، أي صار الحديد ناراً، ﴿قَالَ أَتُونِي﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلأ، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، أي آتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب،



كهيفة الدم فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أفتانهم فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن مهران الرازي، ثنا

فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس.

قال قتادة: هو كالبرد المحبّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، من أسفله لشدته وصلابته. وقرأ حمزة «فما استطاعوا» بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء.

﴿قَالَ﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هَذَا﴾، أي السد، ﴿رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾، قيل: [يوم] القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، قرأ أهل الكوفة «دكاء» بالمد والهمز، أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مد أي: جعله مذكوكاً مستويّاً مع وجه الأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

وروي قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه «أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى فيعودون إليه وهو كهيبته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها

الشام والعراق، فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فائتوا» قلنا: يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله وما إسراره في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، قال: فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك

الوليد بن مسلم، ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النّوّاس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، قال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم؟ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه اليمنى طافية كأنني أشبهه بعبدالعزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين

فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فيبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فيبينا هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم فيصبحون فرس كموث نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ونتاجهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فطرحهم حيث شاء الله، ثم

يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلف، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك، ورتدي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرُّسُل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللحقة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللحقة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فيبينا هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون [فيها] تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

وبهذا الإسناد حدثنا مسلم بن الحجاج، ثنا علي بن حجر السعدي، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله: لقد كان بهذه مرة ماء - ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون لقد قلنا لمن في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً.

وقال وهب: إنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الخشب والشجر، ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أحمد، أنبأنا أبي أنبأنا إبراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبدالله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

وفي القصة: أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور. وذكر بعضهم: أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة.

﴿١٠١﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج، أي: يدخل بعضهم في بعض، كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم، وقيل: هذا عند قيام الساعة، يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيهم خياري، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، ﴿يَجْمَعُهُمُ جَمَاعًا﴾، في صعيد واحد.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَعَرَضْنَا﴾، أبرزنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾، حتى يشاهدوها عياناً.

﴿١٠٣﴾ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ﴾، أي غشاء، والغطاء ما يغطي به الشيء ويستتره، ﴿عَن ذِكْرِي﴾، عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. ﴿وَكَاؤُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، أي سمع القبول والإيمان، لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل:

كانوا لا يستطيعون [سمعاً] أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً لعداوته.

﴿١٠٧﴾ **﴿أَفَحَسِبَ﴾**، أفظن، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء، أرباباً، يريد بالعباد عيسى والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سماها عباداً، كما قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَتَاهُمْ﴾** [الأعراف: ١٩٤]، وجواب هذا الاستفهام محذوف. وقال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول: أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم. وقيل: أفظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. **﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِكُلِّ فِتْنَةٍ نَزْلاً﴾**، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزول ما يهبأ للضيف، يريد: هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

﴿١٠٨﴾ **﴿قَالَ عَزَّ وَجَلَّ﴾** **﴿قُلْ هَلْ لَكُمْ﴾** **﴿لِئَلَّكُمْ﴾** **﴿بِالْأَمْثَلِينَ﴾** **﴿أَمْثَلًا﴾**، يعني الذين أتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً، فنالوا هلاكاً وبواراً، كمن يشتري سلعة يرجو بها عليها ربحاً فخرس وخاب سعيه. واختلفوا فيهم، وقال ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

﴿١٠٩﴾ **﴿الَّذِينَ﴾** حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. **﴿صَلَّ سَعِيمٌ﴾**، بطل عملهم واجتهادهم، **﴿فِي لَيْلَةِ الدُّنْيَا﴾** **﴿وَمَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيَوْنَ سُتْمًا﴾**، أي: عملاً.

﴿١١٠﴾ **﴿أَوَلَيْكَ﴾** **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** **﴿بَيْنَاتٍ رَبَّهُمْ﴾** **﴿وَلَقَائِهِمْ﴾** **﴿فَحِطَّتْ﴾**، بطلت، **﴿أَعْلَمَهُمْ﴾** **﴿فَلَا تُؤْتِيهِمْ لَهْمَ﴾** **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** **﴿وَنَزَّ﴾**، أي لا نجعل لهم خطراً وقدراً، تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن أي قدر لخصته.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا أحمد عن محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن عبدالله، ثنا سعيد بن [أبي] مريم، أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: [افروا] **﴿فَلَا تُؤْتِيهِمْ لَهْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** **﴿وَنَزَّ﴾**.

قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: **﴿فَلَا تُؤْتِيهِمْ لَهْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** **﴿وَنَزَّ﴾**.

﴿١١١﴾ **﴿ذَلِكَ﴾** الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتداء فقال: **﴿جَزَاءُكُمْ﴾** **﴿جَهَنَّمَ﴾** **﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾** **﴿وَأَعْتَدْنَا﴾** **﴿آيَاتِي﴾**، يعني القرآن، **﴿وَرِزْقِي﴾** **﴿مُرْزَأً﴾**، أي: سخيرية ومهزوءاً بهم.

﴿١١٢﴾ **﴿قوله﴾** **﴿تعالى﴾**: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْآزْدِيِّ﴾**

روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

[و] قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

وقال قتادة: «الفردوس» ربة الجنة وأسطها وأفضلها وأرفعها. قال كعب: «الفردوس» هو البستان الذي فيه الأعتاب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل: هي التي تنبت ضرباً من النبات، وجمعه فراديس، **﴿نَزَّ﴾**، أي منزلاً. وقيل: ما يهبأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى «كانت لهم» أي في علم الله قبل أن يخلقوا.

﴿١١٣﴾ **﴿خَلَّيْنِ﴾** **﴿فِيهَا﴾** **﴿لَا يَبْغُونَ﴾**، لا يطلبون، **﴿عَنَّا﴾** **﴿جَوْلًا﴾**، أي تحولاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى.

﴿١١٤﴾ **﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾**

النبي ﷺ: «من سَمِعَ سَمِعَ الله به، ومن يُرَائِي يُرَائِي الله به».

وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ثنا

أبي وشعيب قال: ثنا الليث، عن ابن الهاد، عن عمرو، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء، عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء وهو للذي عمله».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا حفص بن عمر، ثنا همام، عن قتادة حدثنا سالم بن [أبي] الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال».

وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر [محمد بن أحمد بن عبدالجبار] الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو الأسود،

يكتبون، والبحر يمدهم لنفد [ماء] البحر ولم تنفد كلمات الله، ولو جئنا بمثله، [أي] البحر في كثرته مداً وزيادة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلُدٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبِحُرٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَتَ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ﴾، قال ابن عباس: علم الله رسوله التواضع

لثلا يزهو على خلقه، فأمره أن يقر فيقول: «إني آدمي مثلكم، إلا إني خُصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد لا شريك له»، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً، قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كائنٌ
ولا كل ما ترجو من الشر واقعٌ
فجمع بين المعنيين، ﴿فَلْيَمْلِكْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يَتْرِكْ بِيَعَابَةِ رَبِّهِ أَهْلًا﴾، أي: لا يُرَائِي بعمله.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو نعيم، أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال: سمعت جندباً يقول: قال



قال ابن عباس: قالت اليهود: يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: لما نزلت: ﴿وَمَا أُوتِشْرَ مِنْ أَلِيمٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ سمي المداد مداً لإمداد الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء.

قال مجاهد: لو كان البحر مداً للقلم والقلم يكتب، ﴿لَتَبْدَأَنَّ الْبَحْرَ﴾، أي ماؤه، ﴿قِيلَ أَنْ تَفْدَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «ينفد» بالياء لتقدم الفعل، والباقون بالتاء، (كلمات ربي)، أي علمه وحكمه، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِبِئَلِهِ مَدْدًا﴾، معناه لو كان الخلائق

الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأخبار. وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه

يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرث بنو عمه ماله، والمعنى: أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان يشاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته، ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿وَأَجَعَلَهُ رَبِّي رَبِّياً﴾**، أي بَرّاً تقياً مرضياً.

٧ قوله عز وجل: **﴿يَرْزُقْنَا﴾** إنا نبشرك، **﴿يُنْقِلِر﴾**، بولد ذكر، **﴿أَسْمُهُ يَصِيحُ﴾** كَمْ يَجْعَلُ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَيِّئاً، قال قتادة الكلبي: لم يسْمُ أحد قبله يحيى.

وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شياً ومثلاً، كما قال الله تعالى: **﴿هَلْ تَقَلَّرُ لَمْ سَيِّئاً﴾** [مريم: 65]، أي مثلاً، والمعنى: أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط. وقيل: لم يكن له ميل في أمر النساء، لأنه كان سيدياً وحسوراً.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولداً. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها، لأن الخليل والكلبيم كانا قبله وهما أفضل منه.

٨ **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾**، من أين،

هذا الذي نتلوه عليك ذكر **﴿رَبِّكَ﴾**، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر ربك، **﴿عَبِيدُ زَكْرِيَّا﴾**، برحمته.

٩ **﴿إِذْ نَادَى﴾**، دعا، **﴿رَبِّم﴾**، في محرابه، **﴿يَدَاةَ حَوِيَّتَا﴾**، دعا سراً من قومه في جوف الليل.

١٠ **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنٌ﴾**، ضعف ورق، **﴿أَلْمَطْمُ مِي﴾**، من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، **﴿وَأَشْتَمَلَ الرَّأْسُ﴾**، أي ابيض شعر الرأس، **﴿مَتَيْباً﴾**، شمطاً، **﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيحاً﴾**، يقول عوذتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبيني. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت. ولم أشق بترك الإيمان.

١١ **﴿وَأِنِّي خِفْتُ الْغَنَاءَ﴾**، والموالي: بنو العم. [و] قال مجاهد: العصبه. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة. **﴿مِنْ وَرَثَةٍ﴾** من بعد موتي، قرأ ابن كثير: «من وراثي» بفتح الياء، والآخرين بإسكانها. **﴿وَمَا كُنْتُ أَمْرًا قَائِرًا﴾**، لا تلسد، **﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾**، أعطني من عندك، **﴿وَأَنَا﴾**، ابنأ.

١٢ **﴿يُرِيحُنِي وَيُرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ﴾**، قرأ أبو عمرو والكلبيم بجزم الناء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الباقر بالرفع على الحال والصفة، يعني ولياً وارثاً، واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث ما لي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة. وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم. وقيل: أراد إرث

ثنا ابن لهيعة، عن زياد، عن سهل - هو ابن معاذ - عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء» [والله أعلم].

سورة مريم

مكية وهي ثمان وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١ قوله عز وجل:
﴿كَهَيَمَ﴾، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، ضده ابن عامر، وحزمة، وبكسرهما الكسائي وأبو بكر، والباقر بفتحهما، ويظهر الدال عند الذال من صاد، «ذكر» ابن كثير، ونافع، وعاصم ويعقوب، والباقر بالإدغام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله:
﴿كَهَيَمَ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هادي، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. قال الكلبي: معناه كافٍ لخلقها، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببيئته، صادق في وعده.

٢ **﴿ذَكَرُ﴾**، رفع بالمضمر أي

يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٣﴾
 وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَوْ
 يَكْفُرُ جِبَارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ
 مِن آهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٧﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ
 أَنزَلْنَا بِالرُّوحِ مِن مِّنكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا وَلَمْ أَكُ عَابِقًا ﴿٢١﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيمٌ هَدِيدٌ وَلْيَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
 بِهِ مَكَانًا قَوِيًّا ﴿٢٣﴾ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ لِأَن يَخْرُجَ الْفَتْرَ
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٢٤﴾
 فَوَدَّعْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَحْزَنَ قَد جَمَل رَبُّكَ حَمَلُكَ سِرًّا ﴿٢٥﴾
 وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِعِزِّ الْفَخْلِ تَسْوِطٌ عَلَيْكَ رَبُّنَا جَنِينًا ﴿٢٦﴾

باس ولا خرس.

قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض. وقيل: ثلاث ليال سويتا أي متتابعاً، والأول أصح.

وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿فَخَجَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون، إذ خرج عليهم

زكريا متغيراً لونه فأنكروه، فقالوا: مالك يا زكريا فأوماً إليهم، ﴿فَأَرْجَى إِلَيْهِمْ﴾ قال مجاهد: كتب لهم في الأرض، ﴿أَن سَيَحُوا﴾، أي صلوا لله، ﴿بِكُرَّةٍ﴾، غدة، ﴿وَمَشِيًّا﴾ معناه أنه كان يخرج على قومه بكرةً وعشيياً فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام حتى خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

﴿١٢﴾ قوله عز وجل: ﴿يَبْيِغِينَ﴾، قيل: فيه حذف ومعناه: ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى، ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، بجد، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوة، ﴿سَبِيًّا﴾، وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيًّا.

﴿١٢﴾ ﴿وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا﴾، رحمة من

عندنا.

قال الحطيثة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تَحْتَنُّ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فإِن لِّكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أي: ترخّم. ﴿وَزَكَاةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص. وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك، ومعنى الآية

وآتيناه: رحمة من عندنا وتحنناً على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص. قال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبيه، ﴿وَزَكَاةً تَقِيًّا﴾، مسلماً ومخلصاً مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها.

﴿١٤﴾ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾، أي باراً

لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿وَلَوْ يَكْفُرُ جِبَارًا عَصِيًّا﴾، «الجبار» المتكبر، وقيل: الجبار الذي يضرب، ويقتل على الغضب، و«العصي» العاصي.

﴿١٥﴾ ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ﴾، أي: سلامة

له، ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم يولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث حياً فيرى نفسه في محشر لم ير مثله، فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن.

﴿١٦﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي

الْكِتَابِ﴾، في القرآن، ﴿مَرْيَمَ إِذِ

يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قَائِرًا﴾ أي وامرأتي عاقراً ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِن الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، أي ييساً، وقال قتادة: يريد نحول العظم، يقال: عتا الشيخ يعتو عتياً وعسياً، إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاس إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف. قرأ حمزة والكسائي: «عتياً وبكياً وصلياً وجثياً» بكسر أوائلهن، والباقون برفعها، وهما لغتان.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ سَبِيْرٌ﴾، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «خلقناك» بالنون والالف على التعظيم، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾، أي من قبل يحيى، ﴿وَلَوْ تَكُفُّرًا شَيْئًا﴾.

﴿١٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، دلالة على حمل امرأتي، ﴿قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، أي صحيحاً سليماً من غير ما

أَنْبَدَّتْ، تنحت واعتزلت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، من قومها، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، أي مكاناً في الدار مما يلي المشرق، وكان يوماً شاتياً شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذ النصراني المشرق قبلة.

﴿١٧﴾ فَأَخَذَتْ، فضربت، ﴿مِنْ دُونِهِمْ حِمَابًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترأ. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل.

قال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد، فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت، إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سوي الخلق، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ يعني جبريل عليه السلام، وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. والأول أصح، فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

﴿١٨﴾ فـ ﴿قَالَتْ إِنَّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا﴾، مؤمناً مطيعاً، فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت إنني أعوذ بالرحمن منك إن كنت نفيّاً؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، وكذلك ههنا

معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعاً لك من الفجور.

﴿١٩﴾ قَالَ، لها جبريل، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ، قرأ نافع وأهل البصرة: «لأهب لك» أي لأهب لك ربك، وقرأ الآخرون: «لأهب لك» أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به، ﴿عَلَّمَا زَكِيًّا﴾، ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب.

﴿٢٠﴾ قَالَتْ، مريم، ﴿أَنِّي، من أين، ﴿يَكُونُ لِي عُلْمٌ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا﴾، لم يقربني زوج، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، فاجرة، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

﴿٢١﴾ قَالَ، جبريل، ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، وقيل هكذا قال ربك، ﴿هُوَ عَلَى هَيْئٍ﴾، أي: خلق ولد بلا أب، ﴿وَلَيَنجِمَنَّهٗ آيَةً﴾، علامة، ﴿لِلنَّاسِ﴾، ودلالة على قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، ونعمة لمن تبعه على دينه، ﴿وَكَاثِرًا﴾، ذلك، ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، محكوماً مفروغاً منه لا يرد ولا يبدل.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾، قيل: إن جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبسته. وقيل: مذهب جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب. وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها. وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال، ﴿فَأَنْبَدَّتْ بِهِ﴾، أي: فلما حملته انتبذت به [تحت

بالحمل، وانفردت، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾، أي بعيداً من أهلها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج، واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة. وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء. وقيل: كان مدة [حملها] ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولدت لسته أشهر. وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت قد حاضت حيضتين قيل أن تحمل بعيسى.

﴿٢٣﴾ فَأَلَمَّأَهَا، أي ألجأها وجاء بها، ﴿الْمَخَاضِ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿إِنَّ جَنحَ النَّخْلَةِ﴾، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف.

وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتمسك بها على وجع الولادة، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، تمنيت الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾، قرأ حمزة وحفص «نسيا» بفتح النون، والباقون بكسرها، وهما لغتان، وهو الوتر والوتر والجسر والجسر، وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما ألقى ونسي ولم يذكر لحقارته،

فَكَلِمًا وَأَشْرِيًّا وَفَرِيًّا عَيْنًا فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٤﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلَهُ فَأَلَاوُا يَمْرُؤَهُ لَقَدْ جَنَّبَ مَشِيْعًا
فَرِيًّا ﴿٢٥﴾ تَأَخَّتْ هَـرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَشَارَتْ بِإِيْنِهِ فَأَلَاوُا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْأَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٩﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيٍّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبْرًا سَقِيًّا ﴿٣٠﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْكَافِي
الَّذِي فِيهِ يَمَتُّوْنَ ﴿٣٢﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْجِذَ مِنْ وَلَدٍ مِثْلَهُ
إِذْ أَقْبَضَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ أَنْ يَكُنْ وَكَانَ وَرُدُّهُ
فَاعْبُدُوْهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ
بَيْتِهِمْ قَوْلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُّشْرِكِيٍّ عَظِيْمٍ ﴿٣٤﴾ أَمَّعِيَّ يَوْمَ
وَأَبْصَرَ يَوْمَ يَا نُوْتْنَا لَكِنِ الْفَالِقِيْمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾

٢٧

﴿مَسِيًّا﴾، أي: متروكاً قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

﴿فَأَدْبَهَا مِنْ تَحِيًّا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص «من تحتها» بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة، وجبريل وراء الأكمة تحتها فنادها، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء، وأراد جبريل عليه السلام أيضاً، نادها من سفح الجبل.

وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه نادها، ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾، وهو قول مجاهد والحسن، والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي، وقاتدة، والضحاك، وجماعة: أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها نادها ألا

تَحْزَنِي، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبِّي تَحْتِكَ سَرِيًّا﴾، والسري: النهر الصغير.

وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك، إن أمرته أن يجري جرى، وإن أمرته بالإمساك أمسك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام. ويقال [ضرب] عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض، فظهرت عين ماء عذب وجرى. وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله

سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سرياً يعني عيسى وكان والله عبداً سرياً، يعني ربيعاً.

﴿وَهَزَى إِلَيْكَ﴾، يعني قيل لمريم حزكي ﴿يَجْنَعُ الْخَلْقَ﴾، تقول العرب: هزه وهز به، كما تقول: حز رأسه وحز برأسه، وأمدد الحبل وأمدد به، ﴿سَقِطَ عَلَيْكَ﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، يعني تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطباً، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره.

وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تُفَاعِلُ، وتساقط بمعنى أسقط، والتانيث لأجل النخلة، وقرأ يعقوب «يساقط»

بالباء مشددة رده إلى الجذع، ﴿رَطْبًا جَنِيًّا﴾، مجتنباً. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه.

قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

﴿قوله سبحانه وتعالى﴾: ﴿فَكَلِمًا وَأَشْرِيًّا﴾، أي: فكلية يا مريم من الرطب، واشربي من ماء النهر، ﴿وَفَرِيًّا عَيْنًا﴾، أي: طيبي نفساً وقيل: قري عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، ففقر عينك من النظر إلى غيره. وقيل: أقر الله عينه يعني أنامها، يقال: قر يقر إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً، فمن هذا قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه.

﴿فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾، أي تري، فدخل عليه نون التأكيد، فكسرت الياء للالتقاء الساكنين، معناه: فيما ترين من البشر أحداً فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، يعني: صمتاً، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه، والصوم في اللغة الإمساك عن الطعام والشراب والكلام.

قال السدي: كان في بني إسرائيل من إذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام، كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي. وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة. وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقاً، ثم تمسك عن الكلام بعده،

﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْبِيَاءُ﴾، يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

﴿٢٧﴾ ﴿فَأَتَتْ بِهَا قَوْمَهَا صَحَابًا﴾، وقيل: إنها ولدته ثم حملته إلى قومها في الحال. وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى عليهما السلام إلى غار، ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلما عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أمه أبشري فإني عبدالله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَنَا شَيْئًا مَّكَرًا﴾، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري.

قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»، يعني عمله.

﴿٢٨﴾ ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل.

وروي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبهوها [به] على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، أي أشباههم.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا

محمد بن عيسى، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن عبدالله بن نمير، ثنا بن إدريس، عن أبيه، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأبيائهم والصالحين قبلهم».

وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى، لأنها كانت من نسله كما يقال للتيمي يا أخا تميم.

وقيل: كان هارون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبها به.

﴿٢٩﴾ ﴿مَا كَانَ آيُوبُ﴾، عمران، ﴿أَنرًا سَوُوءَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّلِي﴾، حنة، ﴿بَيْتًا﴾، أي: زانية فمن أين لك هذا الولد؟

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَشَارَتْ﴾، مريم، ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما لم تكن لها حجة أشارت إليه، ليكون كلامه حجة لها.

وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا؟ ثم، ﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو في المهد، وهو [في] حجرها.

وقيل: هو المهد بعينه، ﴿كَانَ﴾ بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: «كان» صلة أي كيف نكلم صبياً في المهد، وقد يجيء «كان» خشواً في الكلام لا معنى له كقوله: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بِشْرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

﴿٣١﴾ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وقال وهب: أناها زكريا عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لثلاً يتخذ إلهاً، ﴿مَاتَنِّي الْكَيْبُ وَجَعَلَنِي يَتِيمًا﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً. وقيل: هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ.

كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد».

وقال الأكرتون أوتني الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن: أنه قال ألهم التوراة وهو في بطن أمه.

﴿٣٢﴾ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي نفاعاً حيث منا توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أذعو إلى الله وإلى توحيدهِ وعبادته. وقيل: مباركاً

وَأَنْذَرَهُمْ آلَ عَمْرٍو إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ بِهِمْ فِي عَقْلِهِمْ وَأَنْذَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَنْتَ نَزَّاتُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ ﴿٣٧﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا أَنَّم بِأَبَتِكَ فَاتَّبَعْتَنِي أَهْدِيكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٣٩﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٠﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُتَّكَبَّرَ عَنَابُكَ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ رِجَالًا ﴿٤١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْإِسْمِ يَا إِبْرَاهِيمَ لِمَ لَمْ تَرَ تَنبَأْ لِرَبِّكَ وَأَهْجُرْ فِي مِلَّةِ آبَائِكَ قَالَ سَلَّمْتُ مِلَّةَ آبَائِي وَأَنَا سَمِعْتُ مَلَكًا يَقُولُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ كَانَتْ فِي حَقِيقَةٍ ﴿٤٢﴾ وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا أَعَزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُ الرِّسَالَ حَقًّا وَيَقُولُونَ كَلَّجْنَا نَبِيًّا ﴿٤٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا رَجُلًا لَهُمْ لِسَانٌ صَدِيقٌ عَلِيمًا ﴿٤٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَوْسَىٰ إِذْ كَانَ مُخْلِصًا وَمَا كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٤٦﴾

التي يتكلم فيها الصبيان .

﴿٣٦﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، قال الزجاج : أي ذلك الذي قال إني عبدالله عيسى ابن مريم ، ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾ ، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب : «قول الحق» بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي : قال : قول الحق ، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتَّرُونَ﴾ أي : يختلفون ، فقاتل يقول هو ابن الله ، وقاتل يقول هو ساحر كذاب . وقرأ الآخرون برفع اللام يعني

هو قول الحق ، أي هذا الكلام هو قول الحق ، أضاف القول إلى الحق ، كما قال : حق اليقين ، ووعد الصدق ، وقيل : هو نعت لعيسى ابن مريم ، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الحق [والحق] هو الله ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتَّرُونَ﴾ يشكون ، ويختلفون ويقولون غير الحق ، ثم نفى عن نفسه الولد ، ثم عظم نفسه فقال :

﴿٣٧﴾ «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» ، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد . وقيل : اللام منقولة أي ما كان لله أن يتخذ من ولد ، ﴿سُبْحَانَكَ أَيُّهَا الْمَلَأُؤُونَ﴾ ، إذا فزع أمرًا ، إذا أراد أن يحدث أمرًا ، ﴿فَاتَّخَذْنَا قَوْلَ لَهْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

﴿٣٨﴾ «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» ، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «أن الله» بفتح الألف يرجع إلى قوله : ﴿وَأَوْصِيَنِي بِالزَّكَاةِ وَالزُّكُورِ﴾ ، وبأن الله ربي وربكم ، وقرأ أهل الشام

والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستشفاف . ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ .

﴿٣٧﴾ قوله : ﴿فَاتَّخَذْنَا الْأَخْرَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ ، يعني النصارى ، سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى ، النسطورية ، والملكانية ، واليعقوبية . ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ ، يعني يوم القيامة .

﴿٣٨﴾ «أَتَمَّعَ يَوْمَ وَأَبْصِرَ» ، أي : ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا يفهمهم السمع والبصر ، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا . قال الكلبي : لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة : ١١٦] الآية . ﴿يَوْمَ يَا تُوتِجَتَا لِكَيْ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ، أي : في خطأ بين .

﴿٣٩﴾ «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ» ، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وذبح الموت .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي ، أنا محمد بن يوسف ، أنا محمد بن إسماعيل ، أنا عمر بن حفص بن غياث ، أنا أبي ، أنا الأعمش ، أخبرنا أبو صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يوتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشربون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رأه [ثم ينادي : يا

على من تبعني : ﴿وَأَوْصِيَنِي بِالزَّكَاةِ وَالزُّكُورِ﴾ ، أي أمرني بهما ، فإن قيل : لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل : معناه بالزكاة لو كان لي مال . وقيل : أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة . وقيل : بالاستكثار من الخير . ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .

﴿٣٩﴾ «وَبَرًّا بِرَبِّكَ» أي : جعلني براً بوالدتي ، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ، أي عاصياً لربه . وقيل : الشقي الذي يذنب ولا يتوب .

﴿٤٠﴾ «وَأَلْسَلْتُمْ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ» ، أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان . ﴿يَوْمَ أُمِرْتُ﴾ ، أي عند الموت من الشرك ، ﴿وَيَوْمَ أُهْبِتُ حَيًّا﴾ ، من الأهوال ، فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ، ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة

أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رأه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن النضر بن إسماعيل، عن الأعمش بهذا الإسناد، وزاد: «فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحاً».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا معاذ بن أسد، أنا عبدالله، أنا عمر بن محمد بن زيد، عن أبيه أنه حدثه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، أنا أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أماء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة».

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا الحسين بن الحسن، أنا ابن المبارك، أنا يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: فما ندمه يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع».

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ﴾، لا يصدقون.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْنَا﴾، أي نमित سكان الأرض ونهلكهم جميعاً، ويبقى السرب وحده فيشرئبهم، ﴿وَالَّذِينَ يُرْحَمُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِيَّاهُمْ إِنَّهُمْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. و«النبي»: العالی في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ﴾، إبراهيم، أزر وهو

يعبد الأصنام، ﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾، صوتاً، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾، شيئاً، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾، أي لا يكفيك، ﴿شَيْئاً﴾.

﴿يَتَأْتَى إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْوَيْلِ﴾، بالله والمعرفة، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّعَنِي﴾، على ديني، ﴿أَهْدِكَ سَبِيلًا سَوِيًّا﴾، مستقيماً.

﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ﴾، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، عاصياً، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

﴿يَتَأْتَى إِيَّيْ أَخَافُ﴾، أي أعلم، ﴿أَنْ يَسْكَ﴾، يصيبك، ﴿عَذَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، إن أقمت على الكفر، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ رَايَا﴾، قريناً في النار.

﴿قَالَ﴾، أبوه مجيباً له، ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئِ يَنْزِعِينَ لِمَ تَنْتَهُ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك ألهتنا وشتمك إياها، ﴿لَأَرْحَمَنَّكَ﴾، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشمتك ولأبعدتك عني بالقول القبيح. قال ابن عباس: لأضربنك. وقال عكرمة: لأقتلك بالخجارة. ﴿وَأَهْرَجَنِي مَلِكًا﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلاً. وقال مجاهد وعكرمة: حيناً، وقال سعيد بن جبير: دهرأ. وأصل «الحين» المكث، ومنه يقال: مكثت حيناً، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالمأ: وقال ابن عباس: اعتزلني سالمأ لا تصيبك مني معزة، يقال: فلان ملي بأمر كذا إذا كان كافياً.

من مدين ورأى النار نودي ﴿أَنْ يَتُوحَّشَ لِرَبِّهِ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْمَكِينِ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿وَقَرَّبْتَهُ نَبِيًّا﴾، أي: مناجياً، النجي المناجي، كما يقال: جلس ونديم. قال ابن عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا نَهَاءَ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: ﴿وَجْعَلْ لِي وَرِثًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي [طه: ٢٩، ٣٠]، فأجاب الله دعاه وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هبة له.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾، وهو إسماعيل بن إبراهيم جد النبي ﷺ ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئاً إلا وفق به.

وقال مقاتل: وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل.

وقال الكلبي: انتظره حتى خال عليه الخول ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾، إلى جرحهم، ﴿نَبِيًّا﴾، مخبراً عن الله عز وجل.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بِالسَّلَوةِ وَالزَّكَاةِ﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفة التي افترضت علينا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، قائماً لله بطاعته وقيل: رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته.

منها إلى الأرض المقدسة، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾، أي أعبد ربي، ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاؤِ رَبِّي شَرِيًّا﴾، أي عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام. وقيل: عيسى أن يعيبي إذا دعوته ولا يعيبي.

﴿فَلَمَّا اعْتَرَفْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ذهب مهاجراً ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ بعد الهجرة ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، آتسنا وحشته من فراقهم، وأقرنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ يعني إسحاق ويعقوب.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: نعمتنا. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا معناه: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، يعني ثناء حسناً ربيعاً في كل أهل الأديان، كلهم يتولونهم، ويشنون عليهم.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْهِيَ كَانَتْ مَخْلُصًا﴾، غير مرء، أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل. قرأ أهل الكوفة «مخلصاً» بفتح اللام أي: مختاراً اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله من الدنس. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَنَدَبْتُهُ مِنْ بَيْنِ الْأَطْوَارِ﴾، يعني يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال اسمه الزبير، وذلك حين أقبل

وَنَدَبْتُهُ مِنْ بَيْنِ الْأَطْوَارِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتَهُ بَيْنَنَا ﴿٥٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا نَهَاءَ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٧﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٨﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالسَّلَوةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٩﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْهِيَ كَانَتْ صِدْقًا نَبِيًّا ﴿٦٠﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٦١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ جَعَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ يَلِدُ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا إِذْهِيَ كَانُوا نَاطِقِينَ ﴿٦٢﴾ مَا يَنْتَظِرُكَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ لَا تَبْتَلِيهِ ﴿٦٣﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ خَلْفًا أَصَاغِرًا وَالصَّلَوةِ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاثًا ﴿٦٤﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَنْتَظِرُ الْوَعْدَ الَّذِي لَمْ يَنْظُرُوا لَهُمْ ﴿٦٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُمْ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُّومًا ﴿٦٦﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا مَنْ أَمَّنَا وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ رِفْقٍ لَهُمْ فِيهَا بَازُورَةٌ وَعِشْيَانٌ ﴿٦٧﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ نَبِيًّا ﴿٦٨﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَائِدَاتُ الْيُدَيِّ وَأَمْخَلَقْنَا وَمَائِدَاتُ الْيَدَيْنِ وَمَا خَلَقْنَا وَمَائِدَاتُ الْيَدَيْنِ ﴿٦٩﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾، أي سلمت مني لا أصيبك بمكرهه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام بز ولفظ، وهو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: ﴿وَلِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلِّمُوا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾، قيل: إنه لما أعياه أمره ووعد أنه يراجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه: سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَمِيحًا﴾، بزاً لطيفاً. قال الكلبي: عالماً يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

﴿وَأَعَزَّتْكُمْ وَمَا نَدَعُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي اعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقه من «كوثي»، فهاجر

قوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو جدّ أبي نوح، واسمه أخنوخ، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب.

وكان خياطاً وهو أول من خطّ بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الثياب المخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب ﴿إِنَّهُ كَانَ صَيِّفًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قيل: هي الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: هو إله رفع إلى السماء الرابعة.

روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج.

وكان سبب رفع إدريس على ما قاله كعب وغيره، أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب أنا مشيت يوماً واحداً، فأصابني المشقة الشديدة من وهج الشمس وأضرّني حرّها ضرراً بليغاً، فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها وحرّها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لم يعرف. فقال: يا رب ما الذي قضيت فيه؟ حتى خففت عني ما أنا فيه؟ قال: إن عبدي إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرّها فأجبتة، فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس، فكان يسأله إدريس، فقال له

أيوماً إنني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر، أجلي، فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: لي حاجة إليك، فقال: وما هي؟ قال: صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذلك إليّ ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت، فيقدم لنفسه، فقال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً.

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى.

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربّه عزّ وجلّ في زيارته، فأذن له فاتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه،

ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له [إدريس] في الليلة الثالثة: إنني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربّي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما وهي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وودها إليه بعد ساعة [بإذن الله تعالى]. قال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعداداً له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله [له] في رفعه، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً أن يفتح لي أبوابها فأرُدّها ففعل، ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرّك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد ذُقته، وقال: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَأَرْدُهُمْ﴾ [مريم: ٧٨]، وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِنَبِيٍّ يُنصَرِّحِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فلست أخرج، [حين دخلتها] فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة

وبأمري لا يخرج، فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾، أي إدريس ونوحاً، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه [من] ولد سام بن نوح، ﴿وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿وَأِسْرَةَ بِلَ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَنَبَّيْنَاهُ﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿إِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا مِنَ السَّمَاءِ جَمْعًا سَاجِدًا وَبِكِيًّا﴾، سجداً جمع ساجد وبكياً جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِ النَّبِيِّينَ الْمَذْكُورِينَ خَلْفٌ﴾، أي من بعد النبيين المذكورين خلف، وهم قوم سوء والخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿فَاتَّبَعُوا الْأَصْلَوةَ﴾ أي: تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: آخروها عن وقتها. وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس، ﴿وَأَتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، أي المعاصي وشرب الخمر [والزنا]، أي أثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون

في آخر الزمان ينزرو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة. ﴿فَسَوَّفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾، قال وهب: الغي نهر في جهنم، بعيد قعره، خبيث طعمه.

وقال ابن عباس: الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعذب من حره، أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولأكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولداً، وقال عطاء: الغي واد في جهنم يسيل قيحاً ودماً. وقال كعب: هو واد في جهنم أبعدا قرأ، وأشدها حرأ، فيه بثر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البثر فتستعر بها جهنم.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك عن هشيم بن بشير، أنا زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي، أو قال صخرة تهوي عظمها كحشر عشراوات عظام سمان، فقال له مولى لعبدالرحمن بن خالد بن الوليد: هل تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم غي وأنام.

وقال الضحاك: غياً خسراًناً. وقيل: هلاكاً. وقيل: عذاباً. وقوله: ﴿فَسَوَّفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ ليس

معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملاسة مع الرؤية.

﴿٦٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

﴿٦١﴾ ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ أَلَى وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْآثِمِ﴾، ولم يروها، ﴿إِنَّهُ كَانَ وَدُدٌ مَأْتِيًّا﴾، يعني آتياً مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل آتياً لأن كل من أتاك فقد آتيته، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت علي خمسون سنة وبين قوله: آتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إلي الخير ووصلت إلى الخير [و] قال ابن جرير: وعده أي موعدوه، وهو الجنة «مأتياً» يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

﴿٦٢﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿لَقَرًا﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاماً أي قولاً يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿وَلَمْ يَرَوْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل، بإرخاء

الحجب، وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عز وجل جنته بذلك.

﴿٦٣﴾ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا** أي نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، **مَنْ كَانَ تَقِيًّا**، أي المتقين من عباده.

﴿٦٤﴾ **وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ**.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا خالد بن يحيى، أنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: **﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ آيِدِيًا وَمَا خَلَقْنَا﴾** الآية.

قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ.

وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: «إني كنت أشوق إليك منك»، ولكن عبد مأمور إذا بُعثت

نزلت وإذا حُبست احتبست، فأنزل الله **﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾** وأنزل: **﴿وَالصَّحْحَى وَالْبَيْلَ إِذَا سَجَى﴾** ما ودعك ربك **﴿وَمَا قَلَّ﴾**.

﴿لَمْ يَكُنْ آيِدِيًا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي له علم ما بين أيدينا، وما خلفنا واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل: **﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَنَا﴾** من أمر الآخرة والشواب والعقاب، **﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾** ما مضى من الدنيا **﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** ما يكون من

هذا الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: **﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَنَا﴾** من أمر الآخرة **﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾** من أمر الدنيا **﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: **﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَنَا﴾** ما بقي من الدنيا **﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾** ما مضى منها، **﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** مدة حياتنا. وقيل: **﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَنَا﴾** بعد أن نموت **﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾** قبل أن نخلق **﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** مدة الحياة. وقيل: **﴿مَا بَيْنَ آيِدِيَنَا﴾** من الأرض إذا أردنا النزول إليها، **﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾** السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عز وجل فلا تقدر على شيء إلا بأمره. **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾**، أي ناسياً، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

﴿٦٥﴾ **رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ** أي اصبر على

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ ﴿٦٥﴾ هَلْ تَقَارَؤُكُمْ سَمِيًّا ﴿٦٦﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا سَمِيًّا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنُنَزِّرَنَّ مِنْهُمْ قُرُونًا وَلَنَنْزِعَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُرُونًا وَمَا يُبَدِّلُ اللَّهُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَإِذَا نَزَّلْنَاهُ مِنْ سَمَوَاتِنَا قَالَ الْإِنْسَانُ كَذِبًا ﴿٧٠﴾ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرُونًا يَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ مِنَّا وَرَبًّا ﴿٧١﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَسُدُّ لَهُ السَّمْعَ لِمَا حُذِرَ وَإِنَّمَا يُوَدُّونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِنَّا لِلَّهِ عُتَقَارٌ ﴿٧٢﴾ وَأَصْحَفُ حُنْدًا ﴿٧٣﴾ وَزَيْدٌ لِلَّهِ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى ﴿٧٤﴾ وَالْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٥﴾

نبيه وأمره. **﴿هَلْ تَقَارَؤُكُمْ سَمِيًّا﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما [هل تعلم له مثلاً]. وقال سعيد بن جبير: عدلاً. وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمى الله «غيره».

﴿٦٦﴾ **﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾**، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث، قال: **﴿أَوَدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾**، من القبر، قاله استهزاء وتكديماً للبعث.

﴿٦٧﴾ قال الله عز وجل: **﴿أَوَّلًا يَذْكَرُ﴾**، أي يتذكر ويتفكر، قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم ويعقوب (يذْكَرُ) خفيف، **﴿الْإِنْسَانُ﴾**، يعني أبي بن خلف **﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِكَ سَمِيًّا﴾**، أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

﴿٦٨﴾ **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾** أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين

المتكرين للبعث، ﴿وَالشَّيْطَانِينَ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُخْرِجَنَّكُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، قيل في جهنم ﴿جَنَّتًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾، لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، عتوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جراً. وقال مجاهد: فجوراً يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قاندهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرمًا وأشد كفرًا. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكرف فالأكرف، ورفع «أيهم» على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً. وقيل: على الاستثناف، ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شعبة.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَعْلَمَ وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا﴾، أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صلياً مثل لقي يلقى لقياً، وصلى يصلي صلياً مثل مضى يمضي مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرّها.

﴿وَإِن يَنْكُرُوا لَآ وَارِدَهَا﴾، أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم فيه مضمّر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة

المكان، واختلفوا في معنى الورود هنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿وَإِرْدَاهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول الأكثرين؛ معنى الورود ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون:

﴿بِقَدْمِ قَوْمِهِ يَوْمَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي النَّارِ﴾ [همود: ٩٨]، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ماري ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، تلا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله، أنا وأنت سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل يخرجك منها بتكذيبك.

وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢]، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: ﴿وَإِن يَنْكُرُوا لَآ وَارِدَهَا﴾، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أراد به الحضور،

وقال عكرمة. الآية [في الكفار] فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها. وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: ﴿وَإِن يَنْكُرُوا لَآ وَارِدَهَا﴾ يعني القيامة والكناية راجعة إليها. والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَنبِيءُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت، وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرين بالتشديد، والدليل على هذا ما. أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبدالرحيم بن منيب، أنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»، وأراد بالقسم قوله: ﴿وَإِن يَنْكُرُوا لَآ وَارِدَهَا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد [بن عبدالله] النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا هشام، أنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير».

وقال أبان عن قتادة: «من إيمان»

مكان «خير».

أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعى، أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني، أنا أبو عثمان عمرو بن عبدالله البصري، أنا محمد بن عبدالوهاب، أنا محمد بن الفضل أبو النعمان، أنا سلام بن مسكين، أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان، فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبيدي هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبيكون، قال: فرجع [جبريل] فأخبر ربه عز وجل، قال: اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال: فجاء به، قال [الله]: يا عبيدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شرّ مكان ومقيل، قال: ردوا عبيدي، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذ أخرجتني منها، قال الله تعالى لملائكته: دعوا عبيدي».

وأما قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] فقيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيها يجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعو حسيها ويجوز أن لا يسمعو حسيها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها عليهم برداً وسلاماً.

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار [قبل أن ندخل الجنة]، فيقال: بلى

ولكنكم مررتم بها، وهي خامدة.

وفي الحديث «تقول النار للمؤمن جزأ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي». وروي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَنْكَرَ إِلَّا وَأَرْدُهَآ﴾ قال: من حُمّ من المسلمين فقد وردها.

وفي الخبر «الحمى كير من جهنم، وهي حظ المؤمن من النار». أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن المثني، أنا يحيى، عن هشام، أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبرودها بالماء».

﴿كَانَ عَلَى رَيْكٍ حَتَّى مَقْصِيَّةً﴾، أي كان ورودكم جهنم حتماً لازماً مقضياً قضاء الله عليكم.

﴿ثُمَّ نَتَجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي اتقوا الشرك، قرأ الكسائي «ننجي» بالتخفيف، والباقون بالتشديد، ﴿وَتَكْدُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّةً﴾، جميعاً. وقيل: جائين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين. وهم المشركون.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في القمر

ليلة البدر ليس دونه سحب»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب»، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاتنا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا [فيدعوهم] ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوق بعمله، ومنهم من يخرط ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل لنا، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، [فيخرجون من النار] فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تثبت الحبة في حميل السيل [ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد]، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل الأرض دخولاً إلى

الجنة مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبنني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تعالى: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه [فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة] فيقول: تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أمينته، قال الله تعالى: تمن كذا وكذا أقبل يُذكره ربه: حتى إذا انتهت به الأمانى، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد لأبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: «قال [الله تعالى لك] ذلك وعشرة

أمثاله» قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك: «ومثله معه»، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول «ذلك لك وعشرة أمثاله».

ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان، أنا عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة بمعناه، قال: «فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمماً ثم تدرکہم الرحمة، قال: فيُخرجون فيُطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبون كما تبت القثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا هناد بن السري، أنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن

عبدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار [خروجاً من النار] رجل يخرج منها زحفاً فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: تمن، فيتمنى، فيقال له: إن لك الذي تمنته وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا أبو معاوية، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بداراً والحديبية» قال: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا مِنْهَا وَإِذْ هُمْ عَلَيْكَ رَاكِعُونَ﴾ [مريم: ٧١]؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿مَنْ تَجِيَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً﴾ [مريم: ٧٢].

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ أَنبَتًا يَنْتَوِي﴾، واضحات، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش،

﴿لَيْلِينَ مَمَرًا﴾، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثانة، وكان المشركون يَرَجُلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾، منزلاً ومسكناً، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: «مقاماً» بضم الميم أي [موضع الإقامة]، ﴿وَأَحْسَنُ نَيْكًا﴾، أي مجلساً، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿٧٤﴾ ﴿وَكَلَّ أَهْلَكَا قَلْبَهُم مِّن قَرِينٍ هُمْ أَحْسَنُ أُنثَا﴾، أي متاعاً وأمواً. قال مقاتل: لباساً وثياباً، ﴿وَرِيكًا﴾، قرأ أكثر القراء بالهمز، أي منظراً من الرؤية، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع غير ورش «رياً» مشدداً بغير همز، وله تفسيران أحدهما هو الأول، بطرح الهمزة والثاني من الري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعّم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

﴿٧٥﴾ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا آنَدَابِ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿رَبَّاتَا السَّاعَةِ﴾، يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿تَسْتَمَلُونَ﴾، عن ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، منزلاً، ﴿وَأَضَعُفٌ جُدًّا﴾، أقل ناصرأ أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا ردٌ عليهم في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَيْكًا﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ آهَتَدُوا

هُدًى﴾، أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم، ﴿وَالَّذِينَ تَصَلَّحْتِ﴾، الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ عاقبة ومرجعاً.

﴿٧٧﴾ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، أنا أبي،

أنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، حدثنا خباب قال: كنت قيناً، فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث فلا، قال: واني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: [و] إنه سيكون لي ثم مال وولد فأفضيك، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿أَطَّلَعَ الْآيِينَ﴾، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم [علم] الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟ ﴿أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني قال لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني عمل عملاً صالحاً قدمه. وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة؟

﴿٧٩﴾ ﴿أَفَرَأَيْتِ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنكَ مَالًا وَّوَلَدًا أَطَّلَعَ الْآيِينَ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَرَأَيْتَهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿٨١﴾ ﴿وَأَخَذُوا مِنَ ذُوبِ اللَّهِ الْهَاءَ لِيَكُونُوا لِمَنْ عَزَا﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿الَّذِينَ أَنزَلْنَا آلْسَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسَّلُوا﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿فَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا عَظْمُهُمْ عَنَّا﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿وَسَوْفَ نُجْزِيهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿لَا يَسْتَلْجُونَ الشَّجْعَةَ إِلَّا مَن أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالُوا لَأَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّوا لِلْحَيْلِ مَدًّا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿أَن دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿وَمَا يُبْلِغِي الرَّحْمَنُ أَنْ يَنْجِدَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عِمَّا﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿لَقَدْ أَحْضَرْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٦﴾

﴿٧٩﴾ ﴿كَلَّا﴾، ردٌ عليه يعني لم يفعل ذلك، ﴿سَنَكْتُبُ﴾، سنحفظ عليه، ﴿مَا يَقُولُ﴾، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾، أي نزيدة عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

﴿٨٠﴾ ﴿وَرَأَيْتَهُ مَا يَقُولُ﴾، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالاً وولداً في الآخرة، أي لا نعطيهِ ونعطي غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: ﴿وَرَأَيْتَهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، يوم القيامة بلا مال ولا ولد.

﴿٨١﴾ ﴿وَأَخَذُوا مِنَ ذُوبِ اللَّهِ

ءَالِهَةً ﴿ يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿يَكُونُوا لَمْ عَزَاءً﴾، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

﴿٨٦﴾ ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِبَادِيَتِهِمْ﴾، أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم، كما أخبر الله تعالى [عنهم] ﴿تَرَانَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَا بَسُوت﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

﴿٨٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي سلطانهم عليهم وذلك حين قال لإبليس: ﴿وَأَسْتَفْرِزْ مَنِ اسْتَلَمْتَ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، الآية، ﴿تَوَّزَّهُمْ أَكًّا﴾، ترعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، و«الأز» والهز» التحريك، أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي.

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا تعجل بطلب عقوبتهم، ﴿إِنَّمَا نَقْدُ لَهُمْ عَذَابًا﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم.

﴿٨٩﴾ قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن، أي إلى جنته وقداً، أي جماعات، جمع وافد، مثل راكب وركب، وصاحب وصحب. وقال ابن عباس: ركبنا.

وقال أبو هريرة: على الإبل.

وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق، رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت.

﴿٩٠﴾ ﴿وَسَوْفَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الكافرين الكاذبين، ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ وَبُذًا﴾، أي: مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والورذ جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد العطش.

﴿٩١﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني: لا إله إلا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، يعني المؤمنين، كقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن.

﴿٩٢﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكلبي «وُلُدًا» بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف [٨١] وسورة نوح [٢٧]، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، [والباقون بفتح الواو اللام]، وهما لغتان مثل العَرَبُ والعُرْبُ والعَجَمُ والعُنجم.

﴿٩٣﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾، قال ابن عباس منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل: لقد قلتُم قولاً عظيماً. والإد في كلام العرب أعظم الدواهي.

﴿٩٤﴾ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾، قرأ

نافع والكلبي «يكاد» بالياء ههنا وفي ﴿حَدَّ عَسَقٍ﴾ [الشورى: ١ - ٢] لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنَّةً﴾، هاهنا وفي «حم عسق» بالنون من الانفطار قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وفاق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] و«السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾ [المزمل: ١٨]، وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناها واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق. ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ اللَّيَالِ هُدًّا﴾، أي: تنكسر كسراً. وقيل: تنشق الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم ﴿وَتَخِرُّ اللَّيَالِ هُدًّا﴾ أي تنطبق عليهم.

﴿٩٥﴾ ﴿إِن دَعَا﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿الرَّحْمَنَ وَلَدًا﴾، قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

﴿٩٦﴾ ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

﴿٩٧﴾ ﴿إِن كُئِلَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ﴾، أي إلا آتية يوم القيامة، ﴿عِبَادًا﴾ ذليلاً خاضعاً يعني [أن] الخلق كلهم عبيده.

﴿٩٨﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
 الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٥﴾ فَإِنَّمَا يَتَرَفَعُ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ
 الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ
 مِّن قَرْنٍ هَل يُحْسِنُونَ ﴿٩٧﴾ وَمِن أَعْيُنِ النَّاسِ مَن يُرَىٰ فِيهَا
 ضَمِيرٌ وَإِن مَّا يُرَىٰ إِلَّا كَيْفَ نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ ﴿٩٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِيَتَّقِيَكَ الْإِنسِيَّةَ
 الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ مِّنْ عِشْرَةِ آلٍ لَّيْسَ لَهُمْ شِرْكٌ
 بِاللَّهِ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَكفُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَادَ يَنصُرُ
 ذُرِّيَّتَهُ إِنَّهُ لَكَنصِيرٌ ﴿٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالَّذِي لَا يَأْتِي
 الْبَشَرَ إِلَّا كَيْفَ نَشَاءُ ﴿٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِنَا لَعَلَّكَ تَنصُرُ
 مَن يَشَاءُ ﴿٥﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَادَ يَنصُرُ ذُرِّيَّتَهُ إِنَّهُ لَكَنصِيرٌ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
 نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالَّذِي لَا يَأْتِي الْبَشَرَ إِلَّا كَيْفَ نَشَاءُ ﴿٧﴾ وَكَذَٰلِكَ
 نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِنَا لَعَلَّكَ تَنصُرُ مَن يَشَاءُ ﴿٨﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَادَ يَنصُرُ
 ذُرِّيَّتَهُ إِنَّهُ لَكَنصِيرٌ ﴿٩﴾ وَكَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالَّذِي لَا يَأْتِي
 الْبَشَرَ إِلَّا كَيْفَ نَشَاءُ ﴿١٠﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِنَا لَعَلَّكَ تَنصُرُ
 مَن يَشَاءُ ﴿١١﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَادَ يَنصُرُ ذُرِّيَّتَهُ إِنَّهُ لَكَنصِيرٌ ﴿١٢﴾

مجاهد: «الألد» الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة: «الألد» الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

﴿٩٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ مِّن قَرْنٍ هَل يُحْسِنُونَ، هل ترى، وقيل: هل تجد، ﴿٩٧﴾ مِّن مِّن أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا، أي صوتاً، والركز الصوت الخفي، قال الحسن: أي بادوا جميعاً فلم يبق منهم عين ولا أثر.

عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء. ﴿٩٦﴾ وَكُلُّهُمْ مَّآتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [أي] وحيداً ليس معه من الدنيا شيء.

﴿٩٥﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحببهم إلى عباده المؤمنين.

أنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك.

قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم.

﴿٩٧﴾ ﴿فَاتِمَّا يَنْزَرُكَ بِلِسَانِكَ﴾ أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني المؤمنين، ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ شداداً في الخصومة، جمع الألد. وقال الحسن: صماً عن الحق. قال

سورة طه

مكية وهي مائة وأربعة، وقيل: خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا ابن أبي أويس، حدثني أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى [عليه السلام]، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها، والبقرة من كثر تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة».

﴿١﴾ قرأ أبو عمرو بفتح

الطاء وكسر الهاء، ويكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل بن حيان: معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله عز وجل بطوله وهدايته. قال سعيد بن جبيرة: الطاء افتتاح اسمه الظاهر، والهاء افتتاح اسمه هاد.

قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كله، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف عن نفسه فقال:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ .

وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة فقالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ أي لتتعني وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء.

﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَن يَخْشَى﴾، أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تفكرة لمن يخشى.

﴿تَزِيلًا﴾، بديل من قوله تذكرة، ﴿مَمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى﴾، يعني العالية الرفيعة، وهي جمع العليا كقولهم كبرى وكبر، وصغرى وصغر.

﴿الْحَزَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، يعني الهواء، ﴿وَمَا تَحْتَهُ الْكُرُورِيُّ﴾، والشرى هو التراب النندي [و] قال الضحاك: يعني ما وارى الثرى من شيء.

وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون، والنون على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها، وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان فتكن في صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عز وجل، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحراً واحداً سالت في جوف

ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يست.

﴿وَإِن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾، أي تعلن به، ﴿فَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَأَخْفَى﴾، قال الحسن: «السر» ما أسر الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما تسر في نفسك «أخفى» من السر: ما يليق به الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما شربه اليوم ولا تعلم ما تسر به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر به غداً. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «السر» ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمل. وقال مجاهد: «السر» العمل الذي تسرون من الناس، وأخفى الوسوسة. وقيل: السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره عن عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحد نفسه، فقال:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ .

﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثُ مُوسَى﴾، أي وقد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾، وذلك أن موسى استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء، فأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام، وامراته في

سقمها، لا تدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطرقها، فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق ففدح زنده فلم يور.

وقيل: إن موسى كان رجلاً غيوراً وكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار، لثلاث ترى امرأته، فأخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية، لما أراد الله عز وجل من كرامته [وإظهار رسالته]، فجعل يقدح الزند فلا يورى، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ [لزوجته] ﴿أَتَكْفُرُونَ﴾، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص [٢٩]، ﴿إِنِّي ءَأَسْتُ﴾، أي أبصرت، ﴿نَارًا لَعَلِّي ءَأِيكُرُ بِهَا يَفْقِينَ﴾، [أي شعلة] من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود من معظم النار، ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، أي أجد عند النار من يديني على الطريق.

﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾، رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوا ما يكون، فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار. قال ابن مسعود: كانت الشجرة سمرة خضراء. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت من العوسج. وقال وهب: كانت من العليق. وقيل: كانت شجرة العناب، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه

وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَجِبْ لِمَا تُوْحَى ﴿١٢﴾ إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٣﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُخْرِجَنَّهُ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٤﴾ فَلَا تَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَآيُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٥﴾ وَمَا تَلَكَ بِسَمِيْرِكَ بِمُوسَى ﴿١٦﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنِيَّتِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَتَّبِعُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَتَعْبَهُنَّ فَإِذَا هِيَ حِجَابٌ مُسْتَعْتَبٌ ﴿١٩﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهُمَا لِيَوْمَ الْأُولَى ﴿٢٠﴾ وَأَسْمُوكَ بِذَلِكَ إِلَىٰ جَنَلِكِ مَمْرُجٌ بِيضَةٌ مِنْ عَيْرٍ سَمُوهُمَا آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢١﴾ لَأُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْأُخْرَى ﴿٢٢﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ مُطْرَقٌ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ أَسْحَبْ لِي صَدْرِي ﴿٢٤﴾ وَجِزْ لِي أَمْرِي ﴿٢٥﴾ وَأَسْحَبْ عَقْدَةَ ذِي قَبْلِ لِي ﴿٢٦﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ﴿٢٧﴾ خُذْهَا أُخْرَى ﴿٢٨﴾ أَشَدُّ بَوْدًا أَرْضِي ﴿٢٩﴾ وَأَشْرَكَ لِي أَمْرِي ﴿٣٠﴾ كُنْ سَاحِلَهُ كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَتَذَكَّرْهُ كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِبَاصِرٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَذُرْنِي أُرِيْتُ سَوْءَ مَا تَعْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ مَتَّعْنَاكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٥﴾

ومجاهد: أمر بخلع النعلين لياشر بقدمه تراب الأرض المقدسة، فتتاله بركتها لأنها قدست مرتين، فخلعهما موسى والقاهما من وراء الوادي ﴿إِنَّكَ بِالْأُولَى الْمُقَدَّرِينَ﴾، أي المطهر، ﴿طَوَى﴾، وطوى اسم الوادي، قرأ أهل الكوفة والشام: «طوى» بالتثنية ههنا وفي سورة الشازعات [١٦]، وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول به عن طاور فلما كان معدولاً عن

موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عز وجل، وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما. وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما:

روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي القصة أن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا ثأث منه النار، وإذا نأى دنت، فوقف متحيراً فسمع تسبيح الملائكة، وألقيت عليه السكينة، ﴿تُوْدَى يَتَمَوْسَى﴾.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، و«أني» بفتح الألف على معنى نودي بأني، وقرأ الآخرون بكسر الألف أي نودي، فقيل: إني، أنا ربك، قال وهب: نودي من الشجرة، فقيل: يا موسى، فأجاب سريعاً لا يدري من دعاه، فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك ومعك، وأمامك و خلفك، وأقرب إليك من نفسك، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله فأيقن به، قوله عز وجل: ﴿فَأَخْلَعْنَا نَعْلَيْكَ﴾، وكان السبب فيه:

ما روي عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله: ﴿فَأَخْلَعْنَا نَعْلَيْكَ﴾، قال: «كانتا من جلد حمار ميت». ويروي «غير مدبوغ». وقال عكرمة

أنا قتادة عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»، ثم قال: سمعته يقول بعد ذلك: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾، قيل: معناه إن الساعة آتية أخفيها، «أكاد»: صلة، وأكثر المفسرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي، وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق»، وفي بعض القراءات «فكيف أظهرها لكم» وذكر ذلك على عادة العرب إذا بلغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سر من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء، والله تعالى لا يخفى عليه شيء، وقال [الأخفش] أكاد: أي أريد ومعنى

وجهه كان مصروفاً عن إعرابه، مثل عَمَرَ وَزَقَّرَ، وقال الضحاك: «طوى» واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾، اصطفتك برسالاتي، قرأ حمزة «وأنا» مشددة النون، اخترناك على التعظيم. ﴿فَأَسْتَجِبْ لِمَا تُوْحَى﴾، إليك.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، ولا تعبد غيري، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وقال مجاهد: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فأقمها.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله الحفيد، أنا الحسين بن الفضل البجلي، أنا عفان، أنا همام،

الآية: إن الساعة آتية أريد أخفيها، والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف، لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن [أخفيها] بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، قوله تعالى: ﴿لِنَجْزِيَنَّ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى﴾، أي بما تعمل من خير وشر.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾، فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿فَتَرَدَّى﴾، أي فتهلك.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾، سؤال تقرير، والحكمة في هذا السؤال: تنبيهه وتوفيقه على أنها عضا حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

﴿قَالَ هِيَ عَصَاي﴾، قيل: وكان لها شعبتان وفي أسفلها سنان، ولها محجن، قال مقاتل: اسمها نبعة، ﴿أَتَوَكَّرُ عَلَيْهَا﴾، اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عيبت وعند الوثبة، ﴿وَأَهْمُّ بِهَا عَلَيَّ عَنِّي﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة «وأهم» بالسين غير المعجمة. أي أزجر بها الغنم، والهس زجر الغنم،

﴿وَلَوْ فِيهَا مَتَارِفٌ آخَرَى﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع مارية بفتح الراء [ووضمها]، ولم يقل آخر لرووس الآي، وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك.

وروي عن ابن عباس: أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاهه، فجعلت تماثيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصناً كالشجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه.

﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿أَلْقَاهَا يَمُونًا﴾، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

﴿فَأَلْقَاهَا﴾، على وجه الرفض ثم خانت منه نظرة، ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿سَعَى﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [القصاص: ٣١] وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مَيْمًا﴾

[الأعراف: ١٠٧]، وهي أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحية فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها، فإنها كانت حية على قدر العصا، ثم كانت تتورم وتتفخ حتى صارت ثعباناً، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وخفة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتها شديدين لها، والمحجن عنقاً لها وعرفاً تهتز كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الإبل، فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها صريف عظيم، فلما عاين ذلك موسى ولّى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نُودي أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

﴿قَالَ خُذْهَا﴾، بيمينك، ﴿وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهُكَ سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، هيبتها الأولى أي نردها عصاً كما كانت، وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدها فلما قال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ لَفَّ طرف المدرعة على يده، فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها، وذكر بعضهم: أنه لما لَفَّ كم المدرعة على يده قال له ملك: رأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت،

فكشف عن يده ثم وضعها [في فم الحية] فإذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكلأ. قال المفسرون: أراد الله عز وجل أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لثلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون. وقوله: ﴿سِيرَتَهَا﴾ نصب بحذف «إلى»، يريد إلى سيرتها الأولى.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَضْمْتُمْ يَدَكَ لِأَنْ جَاهِكَ﴾، يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿تَخْرُجُ بَيْضَةً﴾، نيرة مشرقة، ﴿بَيْنَ عَيْرِ سَوْءٍ﴾، من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

﴿٢٣﴾ ﴿لِزَيْكٍ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾، ولم يقل الكبير لرؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار معناه لزريك من آياتنا [الآية] الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

﴿٢٤﴾ قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿رَبِّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي﴾، وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون

خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدره بما كُلف من مقاومة فرعون وخده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون مع شدة شوكته وكثرة جنوده.

﴿٢٦﴾ ﴿وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي﴾، يعني سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَعْلَلْ عُنُقَهُ بَيْنَ لَسَانِي﴾، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمته وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميز. وفي رواية أن أم موسى لما فطمته رده، فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يرببانه، واتخاذاه ولدًا، فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله، فقالت [له] آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجره إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى فأراد [موسى] أن يأخذ الجواهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعتها على النار فأخذ جمرة فوضعتها فيه فأحرقت لسانه وصارت عليه عقدة.

﴿٢٨﴾ ﴿بِقَهْرٍ قَوْلِي﴾، يقول أحلل العقدة كي يفهوا كلامي.

﴿٢٩﴾ ﴿وَأَجْمَلْ لِي وَزِيرًا﴾، معيناً وظهيراً، ﴿مَنْ أَنَّى﴾، والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بين من هو فقال:

﴿٣٠﴾ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، وكان أفصح منه لساناً وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أفنى أجعد.

﴿٣١﴾ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَرِي﴾، قسوة ظهره.

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَشْرِكْ لِي أَمْرِي﴾، يعني في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر «أشدد» بفتح الألف «وأشركه» بضمها على الجواب، حكاية عن موسى، يعني أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ويَبِّرْ لِي أَمْرِي.

﴿٣٣﴾ ﴿كَيْ تُسَيِّدَ كَيْبَرًا﴾، قال الكلبي: نصلي لك كثيراً.

﴿٣٤﴾ ﴿وَتَذَكَّرَ كَيْبَرًا﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾، خيراً عليماً.

﴿٣٦﴾ ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾، أعطيت، ﴿سُؤْلَكَ﴾، جميع ما سألت، ﴿بِنُصُوحٍ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾، أنعمنا عليك، ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾، يعني قبل هذه المرة وهي:

سعيد بن جبير: أنّ الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم القاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناوله الجمره بدل الدرّة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفًا. فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى «فتناك» خلصناك من تلك المحن، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه، والفتون مصدر، «فَلَيْتُ»، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبت، «سَيِّئٌ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ»، يعني ترعى الأغنام [لشعيب] عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى.

وقال وهب: لبث عند شعيب عليه السلام ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر [ابنته «صفيرا»] شعيب، وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له، «ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَبُوءُونَ»، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء إليّ فيه. وقال عبدالرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على

وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك [لبه في محبته]، فذلك قوله تعالى: «وَأَلَيْتُ عَلَيْكَ حَبِيَّةً يَتَّى»، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحظة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه. «وَلْيَضَعُ عَلَى عَيْنِي»، أي لثرتي بمرآي ومنظر مني، قرأ أبو جعفر «ولتضع» بالجزم.

﴿٣٨﴾ «إِذْ تَشَى لَحْتَاكَ»، واسمها مريم متعرفة خبره، «فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ»، أي على امرأة ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا: نعم، فجاءت بالأمر [فضمته وألتمته ثديها] فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: «فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا»، بلقائك، «وَلَا تَحْزَنَ»، أي ليذهب عنها الحزن.

«وَقُلْتُ نَسَا»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذ ذاك ابن اثنتي عشر سنة، «فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ»، أي من غم القتل وكرهه، «وَوَضَعْنَاكَ قَرِينًا»، قال ابن عباس رضي الله عنه اختبرناك اختباراً. وقال الضحّاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً.

وعن ابن عباس في رواية

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَدْفِنِي فِي التَّابُوتِ فَأَدْفِنِي فِي الْبَيْتِ فَلْيَلْقِنِي الْمَيِّمَ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّكَ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبِيَّةً يَتَّىٰ وَيَضَعُ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَشَى لَحْتَاكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٤٠﴾ وَقُلْتُ نَسَا فَنَسَا فَجَعَلْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتِنًا فُوتِنًا فَلَيْتُ سَيِّئٌ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَبُوءُونَ ﴿٤١﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لَبَسًا ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا تَوَكَّلَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ يَدٌ أَنْ يَضْحَكُ ﴿٤٥﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِرَأْسِ الْمَدْيَنَ وَارْتَأَيْنَاكَ ﴿٤٦﴾ قَالَ لَأَنبَأَنَّكَ بِمَعْكَ مَا أَسْمِعُ وَارْتَأَيْنَاكَ ﴿٤٧﴾ فَأَيُّهَا قَوْلًا إِنَّا رَسُولٌ رَزَقْنَاهُ مَعْنَانِي إِسْرَءِيلَ وَلَا نُمَدُّهُمْ قَدْ جَحَنَّاكَ بِمَا تَرَىٰ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنْ أَسْبَغَ الْمُنَىٰ ﴿٤٨﴾ إِنَّا قَدْ أَرْجَمْنَاكَ وَالْمَدْيَنَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَرَوَّىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ فَمَنْ رَزَقْنَا يَبُوءُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥٢﴾

﴿٣٨﴾ «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ»، وحي إلهام، «مَا يُوحَىٰ»، ما يليهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال:

﴿٣٩﴾ «أَنْ أَدْفِنِي فِي التَّابُوتِ»، يعني ألهمناها أن اجعليه في التابوت، «فَأَدْفِنِي فِي الْبَيْتِ»، يعني نهر النيل، «فَلْيَلْقِنِي الْمَيِّمَ بِالسَّاحِلِ»، يعني شاطئ النهر، لفظه أمر ومعناه خير، مجازة حتى يلقيه اليم بالساحل، «يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّكَ»، يعني فرعون، فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ملحوجاً ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ التابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه

الموعود الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

﴿٤١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُقِيبَ﴾، أي اخترتك واصطفيتك لرحيبي ورسالتي، يعني لتتصرف على إرادتي ومحبي، وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبيه، قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كإني الذي أقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم.

﴿٤٢﴾ ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَخَوَّكَ يَتَابِعِي﴾، بدلالاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿وَلَا تَبَيَّأُ﴾، ولا تضعفاً، وقال السدي: لا تفترأ. وقال محمد بن كعب: لا تقصراً، ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز: «النفسي اذهب»، «وذكرني اذهباً»، وإن قومي اتخذوا، «ومن بعدي اسمه» بفتح الياء فيهن وافقهم أبو بكر: «من بعدي اسمه»، وقرأ الباقون بإسكانها.

﴿٤٤﴾ ﴿فَقَوْلًا لَّمْ يُولَا إِلَيْنَا﴾، يقول: داريه وارقا به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعنفا في قولكما [له]، وقال السدي وعكرمة: كنياه فقولا يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد، وقال مقاتل: يعني بالقول اللين: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكِّيَ وَأَهْدِيكَ إِلَيْنَا فَتَخْفِي﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩]، وقيل: أمرهما باللطفة في القول لما له من حق التربية. وقال

السدي: القول اللين أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شيئاً لا يهرم معه، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً، أنت رب، تريد أن تكون مربوباً؟ وأنت تُعبد تزيد أن تُعبد، فقلبه عن رأيه، وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فلتقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحى إليه، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، أي يتعظ ويخاف فيسلم، فإن قيل: كيف قال ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهباً على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو يتصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش إذا رأى بري والطفاني بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية. وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: لعل من الله واجب، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين ألجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين، وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: فقالا له قولاً لينا، فبكي يحيى، وقال: إلهي

هذا رفك بمن يقول، أنا الإله، فكيف رفك بمن يقول أنت الإله؟!

﴿٤٥﴾ ﴿قَالَ﴾، يعني موسى وهارون، ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يجعل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكرهه، وفرط منه أمرٌ أي يدرّ وسبق، ﴿أَوْ أَنْ يَفْجُرَ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَتَمَّحُ وَأَرْزُقُ﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاء كما فاجيبه. وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما.

﴿٤٧﴾ ﴿فَأَنبَأَهُمْ قَوْلًا إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، أرسلنا إليك، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي خل عنهم وأطلقهم عن أعمالك، ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ لا تتعذبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده، لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِمَّن آتَبَعَهُ﴾، ليس المراد منه التحية؟ إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، أي إنمنا يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، من الإلهما الذي أرسلكما.

﴿٥٠﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه ثم

قَالَ عَلِمَهَا عِنْد رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْصُلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاهُ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَبَاتٍ شَقٍ ﴿٥٢﴾ كَلُوا
وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ وَمِنهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ
أَرْزَيْنَا مَا بَيْنَنَا كُلَّمَا كَفَّابًا وَإِنِّي ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجَعَلْنَا تَخْرُجَنَا
مِن أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَبْسُومِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا أَنْتَبَكِ بِسِحْرِهِ مَثَلَهُ
فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ ﴿٥٧﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
﴿٥٨﴾ فَتَوَكَّلْ فِرْعَوْنَ فَجَمَعَ كَيْدَهُمْ أَنَّى ﴿٥٩﴾ قَالَ لَهُمْ
مُوسَى وَيَلَيْكُمُ اللَّعْنَةُ أَعْلَى اللَّهُ كَيْدًا بِفِسْخِكُمْ بَعْدَ بَرِّ
وَقَدْ خَابَ مِنْ آفَتِي ﴿٦٠﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا
التَّجْوِي ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّ هَذِينَ لَسَاحِرُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ
مِن أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمْ وَهُمْ أَوْلَىٰ حَبَابٍ يُقَدِّمُكُمُ الْمَلَكُ ﴿٦٢﴾ فَأَجْمَعُوا
كَيْدَهُمْ ثُمَّ اسْتَوْصَفُوا وَقَدْ أَقْبَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَعْلَنَ ﴿٦٣﴾

هده لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته، لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان، ثم هده إلى منافع من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع. وقال سعيد بن جبير: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» يعني زوج، للإنسان المرأة، وللبيوع الناقة وللفرس الرمكة، وللحمار الأتان، ثم هدى أي ألهمه كيف يأتي الذكر الأنثى.

﴿٥١﴾ قَالَ فِرْعَوْنَ، وَمَعْنَى الْبَالِ الْحَالِ، أَي مَا حَالِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَالْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ فِيمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوْثَانَ وَتَتَكَبَّرُ الْبَعَثُ.

﴿٥١﴾ قَالَ، مُوسَى، «عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي»، أَي أَعْمَالَهُمْ مَحْفُوظَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَجَازِي بِهَا. وَقِيلَ: إِنَّمَا رَدَّ مُوسَى عَلِمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّوْرَةَ أَنْزَلَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ. ﴿فِي كِتَابٍ﴾، يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، «لَا يَبْصُلُ رَبِّي»، أَي لَا يَخْطِئُ. وَقِيلَ: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَغِيبُ عَنِ شَيْءٍ، «وَلَا يَنْسَى»، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حَتَّى يَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَقِيلَ: لَا يَنْسَى أَي لَا يَتْرُكُ الْإِتْقَامَ، فَيَنْتَقِمُ مِنَ الْكَافِرِ وَيَجَازِي الْمُؤْمِنَ.

﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا، قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: «مَهْدًا»، ههنا وفي الزخرف [١٠] فيكون مصدرًا أي فرشًا، وقراء الآخرون: «مهادا»، كقوله تعالى: «أَلَّا يَجْعَلَ الْأَرْضَ يَهْدًا» [النبا: ٦٠] أي فرشًا وهو اسم لما يفرش كالبساط اسم لما يبسط، «وَسَوَّاهُ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا» السلك إدخال الشيء في الشيء، والمعنى ادخل في الأرض لأجلكم طرقًا تسلكونها.

قال ابن عباس: سهل لكم فيها طرقًا تسلكونها، «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»، يعني المطر. تم الإخبار عن موسى ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ»، بذلك الماء «أَزْوَاجًا»، أصنافًا، «مِن تَبَاتٍ شَقٍ»، مختلف الألوان والطعوم

والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

﴿٥٣﴾ «كَلُوا وَارْعَوْا»، أَي وَارْتَعُوا، «أَنْفُسَكُمْ»، تقول العرب: رعيت الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترعى، «إِنَّ فِي ذَلِكَ»، الذي ذكرته، «لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»، لذوي العقول، واحدها نبيه سميت نبيه لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم، قال قتادة: لذوي الورع.

﴿٥٤﴾ «وَمِنهَا خَلَقْنَاكُمْ»، يعني أبابكم آدم. وقال عطية الخراساني: إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن [فيه] فيذره على النطفة فيخلق الله من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى: «مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ»، أي عند الموت والدفن، «وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»، يوم البعث.

﴿٥٥﴾ قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْزَيْنَا»، يعني فرعون، «مَا بَيْنَنَا كُلَّمَا»، يعني الآيات التسع التي أعطاهما الله موسى، «فَكَذَّبَ»، بها وزعم أنها سحر، «وَإِنِّي»، أن يسلم.

﴿٥٦﴾ «قَالَ»، يعني فرعون «أَجَعَلْنَا تَخْرُجَنَا مِنْ أَرْضِنَا»، يعنى أرض مصر، «بِسِحْرِكِ يَبْسُومِينَ»، أي أتريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها.

﴿٥٧﴾ «فَلَمَّا أَنْتَبَكِ بِسِحْرِهِ مَثَلَهُ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا»، أي فاضرب بيننا وبينك أجلًا وميقانًا، «لَا نُخْلِفُهُ»، قرأ أبو جعفر «لا نخلفه» جزماً، لا

نجاوزه. ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوءٍ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: «سوى» بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عُدى وَعُدَى وَطَوَى وَطَوَى، قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك. وعن ابن عباس: ونصفا، ومعناه تستوي [فيه] مسافة الفريقيين إليه. قال أبو عبيدة والقتبي: وسطاً بين الفريقين. قال مجاهد: منصفاً. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ سُجًى﴾، أي وقت الضحوة نهراً وجهاراً ليكون [أبعد] من الريبة.

﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ، مكره وحيلته وسحرته، ﴿فَمِمْ أَنَّى﴾، إلى الميعاد.

﴿٦١﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى، يعني للسخرة الذين جمعهم فرعون، وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحد حبل وعضا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب [الأحبار]: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِمَدَائِدِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «فيسحتكم» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال

قتادة: فيستأصلكم، ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ آفَاتِنَا﴾.

﴿٦٢﴾ فَتَنَزَّلُوا أَنزَلَهُمْ بَيْنَهُمْ، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السخرة في أمر موسى سراً من فرعون. قال الكلبي: قال سراً إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى [ويلكم] لا تفتروا على الله كذباً، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، أي المناجاة، يكون مصدرأ أو اسماً.

﴿٦٣﴾ ثُمَّ: ﴿قَالُوا﴾، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرَانٌ كَذِبٌ﴾، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: «إن» بتخفيف النون، «هذان» أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: ﴿وَإِنْ تَطَّلُنَا لَيَنْ كَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، وشدد ابن كثير النون من «هذان»، وقرأ أبو عمرو «إن» بتشديد النون «هذين» بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: «إن» بتشديد النون، «هذان» بالالف، واختلفوا فيه، فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين: أنه خطأ من الكتاب. وقال قوم: هولغة الحارث بن كعب، وخضع، وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالالف، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألف، [كما في التثنية]، يقولون: كسرت يدها وركبت علاه،

يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم: تزود مني بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم يريد بين أذنيه. وقال آخر: إن أيها وأبا أيهاها قد بلغنا في المجد غايتها قيل: تقدير الآية أن هذان، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف «أن» ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان. روي أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرمه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إن وصاحبها، أي: نعم. وقال الشاعر:

بكرت علي عواذلي
يلحنيني فالومهته
ويقلن شيب قد علا
ك. وقد كبرت فقلت إنه
أي: نعم. ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾، مصر، ﴿بِخَيْرِهِمَا وَيَدَّهَا يَطْرِيقُكُمْ النَّعْنَ﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم، ﴿النَّعْنَ﴾ تأنيت الأمثل وهو الأفضل، حدث الشعبي عن علي، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. وقال قتادة: طريقتهم المثلى، كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عدداً وأموالاً، فقال عدو الله: يريد أن يذهب بهم لأنفسهم. وقيل: ﴿يَطْرِيقُكُمْ﴾ يستنكم ودينكم الذي أنتم عليه، و﴿النَّعْنَ﴾ نعت الطريقة، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على الهدى المستقيم. ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ﴾، قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح

﴿مَا صَنَعُوا﴾، قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾، أي الذي صنعوا، ﴿كَيْدٌ سِحْرٍ﴾، أي حيلة سحر، هكذا قرأ حمزة والكسائي: بكسر السين بلا ألف، وقرأ الآخرون «ساحر» لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنْ﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ مَجْذَأًا قَالُوا﴾ ﴿ءَأَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿قَالَ ءَأَمْسَ لَكُمْ قَوْلَ أَنِ ءَأَدَنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾، لرئيسكم ومعلمكم، ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا تُطْعَمُونَ أَيِّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبِيكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾، أي على جذوع النخل، ﴿وَلَقَعَلَّمْنَا إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾، يعني على إيمانكم به، أو رب موسى على ترك الإيمان به، ﴿وَأَبْقَى﴾، أي أدوم.

﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿كُنْ نُؤْفِرُكَ﴾، لن نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا. وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا. وقيل: من البينات يعني من اليقين والعلم. حكى عن القاسم بن أبي بزة أنه قال: إنهم لما ألقوا سجداً ما رفعوا رؤوسهم [من السجود] حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها، ورأوا منازلهم في الجنة، فعند ذلك قالوا: ﴿كُنْ نُؤْفِرُكَ﴾

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿بَلِ الْقَوْمِ﴾، أنتم أولاً، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، وفيه إضمار، أي فآلقوا فإذا حبالهم، ﴿وَعَصِيْبُهُمْ﴾، جمع العصا، ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالياء رد إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿وَمِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّمَا تَسْعَى﴾، حتى تظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطحوا حبالهم وعصيتهم بالزئبق، فلما أصابه حز الشمس

انهمست واهتزت فظن موسى أنها تقصده وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى وهو قوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

﴿٦٧﴾ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه، قيل: طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعوه.

﴿٦٨﴾ ﴿قُلْنَا﴾، لموسى، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

﴿٦٩﴾ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْبِنِكَ﴾، يعني العصا، ﴿تَلْقَفُ﴾، تلتقم، وتبتلع،

﴿٦٥﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلِ الْقَوْمِ إِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّمَا تَسْعَى﴾ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْبِنِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنْ﴾ ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ مَجْذَأًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿قَالَ ءَأَمْسَ لَكُمْ قَوْلَ أَنِ ءَأَدَنَّ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا تُطْعَمُونَ أَيِّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبِيكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَقَعَلَّمْنَا إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْفِرُكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُكَفِّرَ مَا كَفَرْنَا مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيَّوِينَ السِّحْرَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَبْقَى﴾ ﴿إِنَّهُمْ مِنْ بَنِي رَبِّهِمْ يَجْرِمُونَ﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿وَمَنْ بَأْسُهُمْ مُمُوتًا فَقَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ﴿حَدَّثَ عَلَيْهِمْ جِبْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿٦٦﴾

الميم، من الجمع، أي لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به، بدليل قوله: فجمع كيده وقرأ الآخرون بقطع الألف وكسر الميم فقد قيل: معناه الجمع أيضاً، تقول العرب: أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد، والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم، ﴿ثُمَّ أَثَرُوا صَفًّا﴾ أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف المجمع، ويسمى المصلى صفّاً، معناه ثم اتوا المكان الموعود صفّاً، ﴿وَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَقْلَى﴾، أي فاز من غلب.

﴿٦٥﴾ ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿يَسْمُوعَى إِنَّمَا أَنْ تَلْقَى﴾، عصاك، ﴿وَمَا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾، عصاه.

وَقِيلَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ، ﴿٧٣﴾ وَالَّذِي فَطَرَنَا، أي لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿فَأَنْصَبْ مَا أَنْتَ قَائِلٌ﴾، فاصنع ما أنت صانع، ﴿إِنَّمَا قَضَىٰ هَذِهِ لَكَيْفَةً أَذْنًا﴾، أي: أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَلِيئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، فإن قيل: كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعهة فرعون أن لهم الغلبة؟ قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، وقال عبدالعزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا [وأكرههم على السحر]، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً وأبقى عذاباً، وقال محمد بن كعب خير منك ثواباً إن أطيع وأبقى منك عذاباً إن عصي، وهذا جواب لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَرُ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِي رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾، قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى،

وقيل: من تمام قبول السحرة مجرماً أي مشركاً يعني من مات على الشرك، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾، فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾، حياة ينتفع بها.

﴿٧٦﴾ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع، ﴿مُؤْمِنًا﴾، أي: من مات على الإيمان، ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾، أي

الرفيعة، والعلی جمع العليا والعليا تأنث الأعلى.

﴿٧٧﴾ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾، يعني تطهر من الذنوب. وقال الكلبي: أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عبيد الله السمسار، أنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس الدهقان، أنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أنا أبو معاوية عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء».

﴿٧٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، يعني: سر بهم ليلاً من أرض مصر، ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾، يعني اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، ﴿بَيِّنًا﴾، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيسس لهم الطريق في البحر، ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾، قرأ حمزة «لا تخف» بالجزم على النهي، والباقون بالالف والرفع على النهي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفرقك البحر من أمامك.

﴿٧٩﴾ ﴿فَأَتَيْنَهُمُ﴾، فلحقهم، ﴿فَرَعُونَ يَجْتُودُونَ﴾، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم، ﴿فَنَشِيبَهُمْ﴾، أصابهم، ﴿بِئْسَ الْأَلِيمُ مَا عَشِيبَهُمْ﴾، وهو الغرق. وقيل:

غشيهم علاهم وسترهم بعض ماء اليم لا كله. وقيل: غشيهم من اليم ما يغشى قوم موسى ففرقوا هم ونجا موسى وقومه.

﴿٧٩﴾ وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَذَيْنِ، يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿٨٠﴾ قَوْلُهُ: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ قَدَ أَجْبَنَتْكَ مِنْ صَدُوكُ﴾، فرعون، ﴿وَوَعَدْتَكُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَانَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنجيتكم» و«واعدتك» و«رزقتكم»، بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ونزلنا لأنه مكتوب بالألف، ﴿وَلَا تَطْفَؤْا﴾ فيه، قال ابن عباس: لا تظلموا، وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا ظالمين طاغين.

وقيل: لا تنفقوا في معصيتي. وقيل: لا تدخروا، فادخروا فتدود، ﴿فِيحِلِّ﴾، قرأ الأعمش والكسائي «فيحل» بضم الحاء، «ومن يحلل» بضم اللام، يعني ينزل، وقرأ الآخرون بكسرها يعني يجب، ﴿عَلَيْكُمْ عَصِيٌّ وَمَنْ يَمْلِكْ عَلَيْهِ عَصِيٌّ فَعَدَّ هَوِيٌّ﴾، هلك وتردى في النار.

﴿٨٢﴾ ﴿وَلِي لِنَفَارٍ لِمَنْ تَابَ﴾، قال ابن عباس تاب من الشرك، ﴿وَمَنْ﴾، وحذ الله وصدقه، ﴿وَمَعْمَلٌ صَالِحًا﴾، أدى الفرائض، ﴿مُّمَّ أَهْتَدَى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله تعالى. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم

الإسلام حتى مات عليه، وقال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم أن لذلك ثواباً. وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل. وقال الضحاك: استقام [له]. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة.

﴿٨٣﴾ ﴿وَمَا أَصْغَلَكُ﴾، أي ما حملك على العجلة، ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الطور، ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه عز وجل، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: ﴿﴿وَمَا أَصْغَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿قَالَ﴾، مجيباً لربه تعالى: ﴿﴿هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى﴾﴾، يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدي، ﴿﴿وَعَصَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِارْتَضَى﴾﴾، لتزداد رضاً.

﴿٨٥﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً ﴿﴿وَمِنْ بَعْدِكَ﴾﴾ أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل، ﴿﴿وَأَضَلُّمُ السَّامِرِيُّ﴾﴾، أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه.

﴿٨٦﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، حزيناً. ﴿﴿قَالَ يَقْوَرُ لَمْ يَبْدِكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾﴾، صدقاً أنه يعطيكم التوراة، ﴿﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾﴾، مدة مفارقتي

إياكم، ﴿﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾﴾، أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يوجب عليكم الغضب من ربكم، ﴿﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾، قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: «بملكنا» بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرها أي ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن قرأ بالضم فمعناه، بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه، ﴿﴿وَلَكِنَّا كُفِلْنَا﴾﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب «كُفِلْنَا» بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا حملها، ﴿﴿أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقُورَى﴾﴾، من حلي قوم فرعون، سماها أوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارفة فلم يردوها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حلياً من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون [وقومه] نبذ البحر حليهم فأخذوها، فكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان، فسامها أوزاراً لذلك، ﴿﴿فَقَدَّفْتَهَا﴾﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون إن تلك غنيمة لا تحل، فاحفروا حفيرة فآلقوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى فيها رايه، ففعلوا. قوله: ﴿﴿فَقَدَّفْتَهَا﴾﴾ أي

طرحناها في الحفرة، ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾، ما معه من الحلى فيها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوقد هارون ناراً وقال: اقدفوا ما معكم فيها، فألقوه فيها] ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. قال قتادة: كان [قد] صر قبضة من ذلك التراب في عمامته.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُمْ خَوَّراً فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا بَرَعْنَا لَهُمْ الْبَعْرَ إِذْ يَرَوْنَ أَنَّا نَعْمَلُ الْعِجْلَ لَهُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ﴾، أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْراً وَلَا نَقَعاً﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى [السامري] التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا قُتِلَ بِدَمِي وَإِنَّمَا فُتِنْتُ بِدَمِي﴾، ابتليتم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَ الرَّحْمَنُ فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمِي أَجْزَأُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَن تَضِلُّوا﴾، أي لسن نزال، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، على عبادته،

﴿عَلَيْهِمْ﴾، مقيمين، ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنِينَ﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً ومن الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع الصباح والجلية وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَنَا الْوَجْهَ الَّذِي نَرَىٰ وَإِلَىٰ ذُنُوبِنَا فَهَلْ يُعَذِّبُنَا بِذُنُوبِنَا إِذْ نَبُذُوهَا وَهَلْ يُعَذِّبُنَا بِذُنُوبِنَا إِذْ نَبُذُوهَا﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا بَرَعْنَا لَهُمْ الْبَعْرَ إِذْ يَرَوْنَ أَنَّا نَعْمَلُ الْعِجْلَ لَهُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ﴾، أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْراً وَلَا نَقَعاً﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى [السامري] التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا قُتِلَ بِدَمِي وَإِنَّمَا فُتِنْتُ بِدَمِي﴾، ابتليتم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَ الرَّحْمَنُ فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمِي أَجْزَأُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَن تَضِلُّوا﴾، أي لسن نزال، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، على عبادته،

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَنَا الْوَجْهَ الَّذِي نَرَىٰ وَإِلَىٰ ذُنُوبِنَا فَهَلْ يُعَذِّبُنَا بِذُنُوبِنَا إِذْ نَبُذُوهَا وَهَلْ يُعَذِّبُنَا بِذُنُوبِنَا إِذْ نَبُذُوهَا﴾، أي تركه موسى ههنا وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا بَرَعْنَا لَهُمْ الْبَعْرَ إِذْ يَرَوْنَ أَنَّا نَعْمَلُ الْعِجْلَ لَهُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ﴾، أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرْراً وَلَا نَقَعاً﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى [السامري] التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا قُتِلَ بِدَمِي وَإِنَّمَا فُتِنْتُ بِدَمِي﴾، ابتليتم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَ الرَّحْمَنُ فَأَنْبِئُونِي بِعِلْمِي أَجْزَأُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَن تَضِلُّوا﴾، أي لسن نزال، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، على عبادته،

أخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا، قرأ حمزة والكسائي «ما لم تبصروا» بالياء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء على الخبر، ﴿فَقَبَضْتُ تَرَابَ آثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ﴾، أي القيتها في فم العجل، وقال بعضهم: إنما خار لهذا [السبب] لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل، فإن قيل: كيف عرف ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي كان فوعون يقتل فيها البنين

أي: أن تبغني و﴿لَا﴾ صلة أي [أن] تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أنني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم. وقيل: أن لا تبغني أي ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلاتهم، فتكون مفارقتك لإياهم تقریباً وزجراً لهم عما أتوه، ﴿أَفَصَبَّأْتِ آمُرِي﴾، أي خالفت أمري.

﴿قَالَ يَبْنَؤُكُمْ لَا تُؤْخَذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾، لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً، ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزاباً يتقاتلون، فتقول: أنت فرقت بين بني إسرائيل، ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك

إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَسِجَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا،
وسع علمه كل شيء.

﴿٩٧﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدَّ سَبَقَ، وَمَنْ أَنْبَأَكَ مِنْ لَدُنَّا
قَدْ سَبَقَ، من الأمور، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ
مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

﴿٩٨﴾ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ، أي عن
القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما
فيه، ﴿فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ زُجْرًا﴾،
حملًا ثقیلاً من الإثم.

﴿٩٩﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا، مقيمين في
عذاب الوزر، ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
جَلَدًا﴾، أي بشس ما حملوا على
أنفسهم من الإثم كقرأ بالقرآن.

﴿١٠٠﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، قرأ أبو
عمرو «نفتح» بالنون وفتحها وضم
الفاء لقوله: ﴿وَنَحْشُرُ﴾ وقرأ الآخرون
بالباء وضمها وفتح الفاء علي غير
تسمية الفاعل، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾،
المشركين، ﴿بِوَيْمِزٍ زُرْقًا﴾، والزرقة
هي الخضرة، في سواد العين،
فيحشرون زرق العيون سود الوجوه.
وقيل: زرقاً أي عمياً. وقيل:
عطاشاً.

﴿١٠١﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ، أي
يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية،
﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾، أي ما مكثتم في
الدنيا، ﴿إِلَّا عَتْرًا﴾، أي عشر
ليال. وقيل: في القبور. وقيل: بين
النفختين، وهو أربعون سنة، لأن
العذاب يرفع عنهم بين النفختين
استقصروا مدة لبثهم لهول ما
عابنوا.

﴿١٠٢﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَعْلَمَ
بِمَا يَقُولُونَ﴾، أي يتشاورون بينهم،

وإذا من [أحد من غيرهم
أحداً منهم] حما جميعاً
في الوقت، ﴿وَأَنَّ لَكَ﴾،
يا سامري، ﴿مَوْعِدًا﴾،
لعذابك، ﴿لَنْ تَخْلَفَهُ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب: «لن تخلفه»
بكسر اللام. أي لن تغيب
عنه ولا مذهب لك عنه
بل توافيه يوم القيامة،
وقرأ الآخرون بفتح اللام
أي لن تكذبه ولن
يخلفك الله، ومعناه
أن الله تعالى يكافئك على
فعلك فلا تفوته، ﴿وَأَنْظَرَ

إِلَّا إِلَهَكَ﴾، بزعمك، ﴿الَّذِي
ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾، أي ظلمت
ودمت عليه مقيماً تعبد، والعرب
تقول: ظلمت افعل كذا بمعنى
ظلمت، ومسئ بمعنى مسئت
﴿لَنَحْرِقَنَّهُ﴾ بالنار، وقرأ أبو جعفر
بالتخفيف من الإحراق، ﴿ثُمَّ
لَنَسْفَعُنَّهُ﴾، لنذرينه، ﴿فِي آيَةٍ﴾، في
البحر، ﴿سَفَا﴾.

روي أن موسى أخذ العجل
فذبحه فسأل منه دم، لأنه كان قد
صار لحماً ودماً ثم حرقه بالنار، ثم
ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن:
«لنحرقته» بفتح النون وضم الراء
لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد
المحرق. وقال السدي: أخذ موسى
العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم
ذراه في اليم.

﴿١٠٣﴾ إِنْ كُنَّا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدَّ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٧﴾ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ زُجْرًا
﴿٩٨﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جَلَدًا ﴿٩٩﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِيزٍ زُرْقًا ﴿١٠٠﴾ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَتْرًا ﴿١٠١﴾ مَن أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٢﴾ وَسْئَلُوكَ مِنَ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٣﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٤﴾
لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٥﴾ يَوْمِيزٍ يَتَّبِعُونَ الذِّعَابَ
لَا يَعِيبُوهَا وَأَعْيُنُهُمْ الْغُرُوبُ ﴿١٠٦﴾ فَلَا تَسْمَعُ فِيهَا لَهُمْ
مَسْمَعًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمِيزٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ﴿١٠٨﴾ تَعَاوَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَوَعَدَ اللَّهُ لِيَتَّخِذَ الْكَاذِبِينَ
عِلْمًا ﴿١٠٩﴾ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَكُمْ فِي الصُّورِ قُرْآنٌ مَن
حَمَلْتُمْ أُولَئِكَ مِنْ الصَّلَاةِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذَرُونَ ﴿١١٢﴾

وضعته في كهف حذراً عليه من
فرعون فبعث الله جبريل ليربيه لما
قضى على يديه من الفتنة. ﴿وَكَذَلِكَ
سَوَّاتُ﴾، أي زينت، ﴿إِلَى نَفْسِي﴾.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي
الْحَيَاةِ﴾، أي ما دمت حياً، ﴿أَنْ
تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، أي لا تخالط أحداً
ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني
إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه.

قال ابن عباس: لا مساس لك
ولولئك، والمساس من المماسمة
معناه لا يمس بعضنا بعضاً، فصار
السامري يهيم في البرية مع الوحوش
والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه
أحد، فعاقيه الله بذلك، وكان إذا
لقي أحداً يقول: «لا مساس»، أي لا
تقربني ولا تمسني، وقيل: كان إذا
مس أحداً أو مسه أحد حتماً جميعاً
حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك،

﴿إِذْ يَقُولُ أَتَأْتُهُمْ طَرِيفَةً﴾، أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿إِنْ لَيْتَنِّي إِلَّا يَوْمًا﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

﴿١٠٥﴾ قوله: ﴿وَسَتَلَوْنَاكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقَلَّ يَسْفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله هذه الآية. والنسف هو القلع يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثوراً.

﴿١٠٦﴾ ﴿فَيَذَرُهَا﴾، أي فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿فَأَمَّا صَفْصَفًا﴾، يعني أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الأملس.

﴿١٠٧﴾ ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، قال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً. قال الحسن: والعوج ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من الروابي، أي لا ترى وادياً ولا رابية. قال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول أيها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿لَا عِوَجَ لَكُمْ﴾، يعني

لدعائه، وهو من المقلوب، يعني لا عوج لهم عن دعاء الداعي، لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعاً، ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَجْحَنِ﴾، يعني سكنت وذلت وخضعت، ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَسَاءً﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، والهمس الصوت الخفي كصوت اخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير نطق.

﴿١٠٩﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾، يعني لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، يعني إلا من أذن له الله أن يشفع، ﴿وَرَجَىٰ لَهُمْ قَوْلًا﴾، يعني ورضي قوله. قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله، فهذا يدل على أنه لا يُشفع لغير المؤمن.

﴿١١٠﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي، أي يعلم الله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما خلفوا من أمر الدنيا. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من [أمر] الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الأعمال، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، قيل: الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة

إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً.

﴿١١١﴾ ﴿وَعَسَىٰ أَلْوَجْهُ لِلَّهِ الْقَيُّومِ﴾، أي ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير: عان. وقال طلق بن حبيب: هو [ما قدم من] السجود على الجبهة للحلي القيوم، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك.

﴿١١٢﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾، قرأ ابن كثير «فلا يخف» مجزوماً على النهي جواباً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾، وقرأ الآخرون «فلا يخاف» مرفوعاً على الخبر، ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد [عليه في] سيئاته ولا أن ينقص من حسناته. قال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء. وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها، وأصل الهضم النقص والكسر، ومنه هضم الطعام.

﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما بينا في هذه السورة، ﴿أَنْزَلْنَا﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، يعني بلسان العرب، ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنْ الْأَرْبَعِ﴾، أي صرفنا القول فيه بذكر السوعيد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿أَوْ يُخَوِّثَ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عتاب الله للآم الخالية.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ﴿١١٧﴾﴾
 ﴿وَلِرَوْحِكَ﴾، حواء، ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبيز. وعن سعيد بن جبير: قال: أبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقى رجوعاً به إلى آدم لأن تعبته أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رؤوس الآي. ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا﴾، أي في الجنة ﴿وَلَا تَقْرَى﴾.

﴿وَأَنَّكَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقاً على قوله: ﴿أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا﴾ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ﴾، لا تعطش، ﴿فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾، يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴿١١٨﴾﴾
 ﴿يَتَفَادَمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً، ﴿وَمَلَكَ لَأَ يَبُكَّ﴾، لا يبس ولا يفنى.

﴿فَأَكَلَا﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿وَمِنَّا فِدَّتْ لِمَا سَوَّاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رَوْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾، [بأكله من] الشجرة، ﴿فَنَوَى﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد

ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني إيماناً و يقيناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهَدْنَا لَكَ مَا دَمَ مِن قَبْلُ﴾، يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣]، ﴿فَتَنَى﴾، فترك الأمر، والمعنى أنهم [أن] نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي،

﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، قال الحسن لم نجد له صبراً عما نُهي عنه، وقال عطية العوفي: حفظاً لما أمر به. وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم وحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عثاً، وقيل: نسي عقوبة الله ووطن أنه نهاه تنزيهاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، أن يسجد.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٥﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٦﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٧﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٨﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١١٩﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾
 ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١٢١﴾

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [أي] جل الله عن إلحاد الملحدين وعمما يقوله المشركون، ﴿وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾، أراد النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾، أي لا تعجل بقراءته، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وقرأ يعقوب: «نقضي» بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء «وحيه» بالنصب، وقال مجاهد وقتادة: معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى نبين لك معانيه، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علماً إلى ما علمت. وكان

واصطفاه، ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾،
 بالعفو، ﴿وَهَدَى﴾، هذه
 إلى التوبة حين قالوا ربنا
 ظلمنا أنفسنا.
 ﴿قَالَ أَهْطَا مِنْهَا
 جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ
 اتَّبَعَ هُدَايَ﴾، يعني الكتاب
 والرسول، ﴿فَلَا يَضِلَّ وَلَا
 يُشْقَى﴾، روى سعيد بن
 جبير عن ابن عباس قال:
 من قرأ القرآن واتبع ما فيه
 هداه الله في الدنيا من
 الضلالة، ووقاه يوم القيامة
 سوء الحساب، وذلك
 بأن الله يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ
 هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى﴾. وقسال
 الشعبي عن ابن عباس: أجاز الله
 تعالى تابع القرآن من أن يضل في
 الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه
 الآية.
 ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾،
 يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه،
 ﴿فَأَن لَّكُمْ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا﴾، ضيقاً،
 روي عن ابن مسعود، وأبي هريرة،
 وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا: هو
 عذاب القبر. قال أبو سعيد: يضغط
 حتى تختلف أضلاعه.
 وفي بعض المسانيد مرفوعاً.
 «يلتئم عليه القبر حتى تختلف
 أضلاعه فلا ينزال يعذب حتى
 يبعث». وقال الحسن: هو الزقوم
 والضريع والغسلين في النار. قال
 عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك:
 هو الكسب الخيث. وعن ابن عباس
 قال: الشقاء.

بأكل ما نهي عن أكله، فخاب ولم
 ينل مراده. وقال ابن الأعرابي: أي
 فسد عليه عيشه وصار من العز إلى
 الذل، ومن الراحة إلى التعب. قال
 ابن قتبية: يجوز أن يقال عصى آدم
 ولا يجوز أن يقال آدم عاص، لأنه
 إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل
 المعصية، كالرجل يخيطن ثوبه ويقال
 خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى
 يعاود ذلك ويعتاده.

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد
 الحنفي، أنا أبو معاذ الشاه [بن]
 عبدالرحمن المزني، [حدثنا] أبو بكر
 عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري
 ببغداد، أنا يونس بن عبدالأعلى
 الصدفي، أنا سفيان بن عيينة، عن
 عمرو بن دينار عن طاوس، سمع أبا
 هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ:
 «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا
 آدم أنت أبونا [خيبتنا] وأخرجتنا من
 الجنة، فقال آدم: يا موسى
 اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة
 بيده، أفتلومني على أمر قدره الله
 عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟
 فحج آدم موسى».

ورواه عبدالرحمن الأعرج عن أبي
 هريرة وزاد: «قال آدم يا موسى بكم
 وجدت الله كتب التوراة قبل أن
 أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً،
 قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى
 آدم ربه فعوى؟ قال: نعم، قال:
 أفتلومني على أن عملت عملاً
 كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن
 يخلقني بأربعين سنة؟ قال
 رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى».

﴿ثُمَّ لَمَجِّنِي رَبِّي﴾، اختاره

وروي عنه أنه قال: كل مال
 أعطي العبد قل أم كثير فلم يتبق فيه
 فلا خير فيه، وهو الضنك في
 المعيشة، وإن أقواماً أعرضوا عن
 الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا
 مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً،
 وذلك أنهم يرون [أن] الله ليس
 بمخلف عليهم فاشتدت عليهم
 معاشيهم من سوء ظنهم بالله عز
 وجل، قال سعيد بن جبير: يسلبه
 القناعة حتى لا يتشبع، ﴿وَتَحْشُرُهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، قال ابن
 عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد:
 أعمى عن الحجّة.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى
 وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾،
 بالحجّة.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾، أي كما
 ﴿أَنَّكَ آيَاتُنَا قَسِيمًا﴾، فتركتها
 وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ

تَسْقَى، تترك في النار. قال قتادة: نسوا من الخير ولم يُنسوا من العذاب.

﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك، ﴿تَجْرِي مَن أَسْرَفَ﴾، أشرك، ﴿وَلَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿وَأَبْقَى﴾، وأدم.

﴿أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، بيّن لهم القرآن يعني كفار مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾، ديارهم ومنازلهم [إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين] من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعُورِ﴾، لذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديمه: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو [يوم] القيامة لكان لزماً، أي لكان العذاب لازماً لهم [في الدنيا] كما لزم القرون الماضية الكافرة.

﴿فَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، نسختها آية القتال، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صلّ بأمر ربك. وقيل: صلّ لله بالحمد له والشأن عليه، ﴿فَبَقِيَ طُلُوعَ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَبَقِيَ غُرُوبَهَا﴾، صلاة العصر، ﴿وَمِنَ مَّانَاهِ النَّيْلِ﴾،

ساعاتها واحدها إنى، ﴿فَسَبِّحْ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾، يعني صلاة الظهر، وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو [طرف] النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء، وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب، ﴿لَعَلَّكَ تَرْتَضَى﴾، أي ترضى ثوابه في المعاد، قرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ترضى أي يرضاك الله

تعالى، كما قال: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء، أنا إبراهيم بن عبدالله السعدي، أنا يزيد بن هارون، أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ترون ربكم

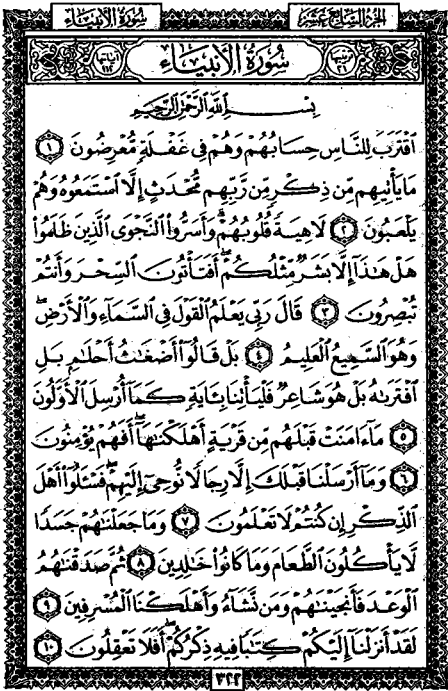
كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: «قل له إن رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق وأسلمني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لئن باعني وأسلمني لقصيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، لا تنظر، ﴿إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾، أعطينا، ﴿أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿مَّتَّعْنَا زَهْرَةَ الْغَيْوَةِ﴾، أي زينتها وبهجتها، قرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهَا﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً، ﴿وَوَرِّدْ رَبِّكَ﴾، في المعاد يعني في الجنة، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال أبي بن كعب: من لم يعتز بعز الله تقطت نفسه حشرات، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه.

﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالسَّلْوَةِ﴾، أي



هـ — **﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾**، يدعونا، إلى لقاء يوم القيامة، **﴿فَنَتَّبِعُ مَائِكَ﴾** من قَبْلِ أَنْ نَدُولَ وَنَحْزَرَ، بالعذاب والذل: الهوان والخزي والافتضاح.

﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَضٍ﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا نتريص بمحمد حوادث الدهر، فإن مات تخلصنا، قال الله تعالى: **﴿فَرَضُوا﴾**، فانتظروا، **﴿فَسَتَلْمِزُون﴾**، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة،

﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾، المستقيم، **﴿وَمَنْ أُمَّتُنَا﴾**، من الضلالة نحن أم أنتم؟

سورة الأنبياء

مكية وهي مائة واثنان عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾، قيل: اللام بمعنى من، يعني اقترب من الناس حسابهم، أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، **﴿وَهُمْ فِي عَفْفَةٍ مُعْرِضُونَ﴾**، عن التأهب له.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾، يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله

قومك. وقيل: من كان على دينك. كقوله تعالى: **﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾** [مريم: ٥٥]، **﴿وَأَصْطَلِرُ عَلَيْهَا﴾**، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾، لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملاً، **﴿تَحْنُ رِزْقًا وَالْمَعِيَّةَ﴾**، الخاتمة الجميلة المحمودة، **﴿لِلتَّقْوَى﴾**، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: يعني الذين صدقوك واتبعوك واتفقوا.

وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ: كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني المشركين، **﴿لَوْلَا بَأْتِنَا بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾**، أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، **﴿أَوَلَمْ نَأْتِيهِمْ بَيِّنَةً﴾**، قرأ أهل المدينة والبصرة

وحفص عن عاصم: «تأتهم» [بالتاء] لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقديم الفعل، ولأن البينة هي البيان فرد إلى المعنى، **﴿بَيِّنَةً مَا فِي الصُّحُوفِ الْأُولَى﴾**، أي بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية: وقيل: أولم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من أبناء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾، يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، **﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾**

الامر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواظب سوى [ما في] القرآن، وأضافه إلى الرب عز وجل لأنه قال بأمر الرب، **﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾** وهم يلمعون، يعني استمعوه لآعين لا يعتبرون ولا يتعظون.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ساهية غافلة، **﴿قُلُوبُهُمْ﴾**، معرضة عن ذكر الله، وقوله: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** نعته تقدم الاسم، ومن حق النعته أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدم النعته الاسم فله حالتان: فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى: **﴿حُشَعًا أَبْصَرُوهُمْ﴾** [القمر: ٧]، **﴿وَدَائِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾** [الإنسان: ١٤]، و**﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾**، وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله، **﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ الْأَعْلَى﴾** [النساء: ٧٥].

وَكَمْ قَسَمْنَا مِن قَرِيبٍ كَأَنَّ ظِلْمَهُمُ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا تَمَرَّقْتُمْ فِيهِ وَمَنْ يُكَلِّمْكُمْ
 تَسْتَلُون ﴿١٣﴾ قَالُوا بَلْ إِنَّمَا آتَانَا كَمَا آتَيْنَاكُمْ فَمَنْ رَأَىٰ
 دَعْوَاهُمْ حَقًّا جَعَلْنَاهُمْ حِصِيدًا خَبِيدِينَ ﴿١٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ﴿١٥﴾ لَوَإِذَا نُنَادِيكُمُ
 لَأَتَّخِذَنَّ مِنْكُمْ لُذُنًا بَلْ تَقْدِفُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ تَقْدِفُونَ أَلَمْ يَكُنْ
 عَلَى الْبَطْلِ قِدْمَةٌ فَاذْهَبُوا وَرُحُوا وَلَكُمْ فِي الْوَيْلِ مَا تَعْجَبُونَ ﴿١٧﴾
 وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٨﴾ يُسَبِّحُونَ آيَاتِ الْفَجْرِ
 لَا يَغْفُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرِكُونَ
 ﴿٢٠﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ
 عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْتَعْلِفُ مِمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَفُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكَذِّبُكُمْ
 وَذُرِّمَتْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٣﴾

قرأ حمزة والكسائي وحفص: «قال ربي»، على الخبر عن محمد ﷺ، «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أي لا يخفى عليه شيء، «وَهُوَ السَّمِيعُ»، لأقوالهم، «الْعَلِيمُ»، بأفعالهم.

﴿١١﴾ «بَلْ قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلِبُ»، أباطيلها وأهاويلها رأها في النوم، «بَلْ أَقْتَرْنَا»، [أي] اختلقه، «بَلْ هُوَ شَاعِرٌ»، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله: فقال بعضهم: أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو فرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿١٢﴾ «فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَرْكُضُونَ»، إن كان صادقاً ﴿١٣﴾ «قَالُوا بَلْ إِنَّمَا آتَانَا كَمَا آتَيْنَاكُمْ»، من الرسل بالآيات. ﴿١٤﴾ «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ»، أي قبل مشركي مكة، «مِن قَرِيبٍ»، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، «أَهْلَكْنَاهُمْ»، أهلكناهم بالتكذيب، «أَفْهَمُ يُؤْمِنُونَ»، إن جاءتهم آية، معناه: [إن] أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء.

﴿١٥﴾ «لَوَإِذَا نُنَادِيكُمُ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْكُمْ لُذُنًا بَلْ تَقْدِفُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْبَطْلِ قِدْمَةٌ فَاذْهَبُوا وَرُحُوا وَلَكُمْ فِي الْوَيْلِ مَا تَعْجَبُونَ»، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، «أَهْلَكْنَاهُمْ»، أهلكناهم بالتكذيب، «أَفْهَمُ يُؤْمِنُونَ»، إن جاءتهم آية، معناه: [إن] أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء.

﴿١٦﴾ «بَلْ تَقْدِفُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْبَطْلِ قِدْمَةٌ فَاذْهَبُوا وَرُحُوا وَلَكُمْ فِي الْوَيْلِ مَا تَعْجَبُونَ»، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، «أَهْلَكْنَاهُمْ»، أهلكناهم بالتكذيب، «أَفْهَمُ يُؤْمِنُونَ»، إن جاءتهم آية، معناه: [إن] أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء.

﴿١٧﴾ «وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ آيَاتِ الْفَجْرِ لَا يَغْفُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْتَعْلِفُ مِمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَفُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكَذِّبُكُمْ وَذُرِّمَتْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٣﴾»

الَّذِكْرِي، يعني أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرأ، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسالمتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن أراد: فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، «إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

﴿١٨﴾ «يُسَبِّحُونَ آيَاتِ الْفَجْرِ لَا يَغْفُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْتَعْلِفُ مِمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَفُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكَذِّبُكُمْ وَذُرِّمَتْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٣﴾»

﴿٢٠﴾ «لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْتَعْلِفُ مِمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَفُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكَذِّبُكُمْ وَذُرِّمَتْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٣﴾»

﴿٢١﴾ «لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكَذِّبُكُمْ وَذُرِّمَتْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٣﴾»

﴿٢٢﴾ «لَوْ كَانَ فِيهَا مَا يُلْمَهُ إِلَّا اللَّهُ لَنَسَفْتَنَّهُمْ جَنَّتِ الْوُجُوهُ الْعَرْضُ عَمَّا يُصْرَفُونَ ﴿٢٣﴾»

النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا»، يعني أشركوا، قوله: «وَأَسْرُوا»، فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: والذين ظلموا أسروا النجوى. وقيل: محل الذين رفع على الابتداء، معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: وهم الذين ظلموا. وقيل: رفع على البدل من الضمير في أسروا. قال المبرد: هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله، على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ»، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، «فَأَنْتَأْتُوا السِّحْرَ»، يعني أتحضرون السحر وتقبلونه، «وَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ»، تعلمون أنه سحر.

﴿٢٣﴾ «رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»،

﴿وَأَشَانَا بِدَهْمَا﴾، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿فَوَمَّا آخِرِينَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَا﴾، يعني: وأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ يَنْتَبِهُونَ﴾، يعني يسرعون هارين.

﴿١٨﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، يعني قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا لا تذهبوا، ﴿وَأَرْجِعُوا إِلَيَّ مَا أَرْفَقْتُمْ فِيهِ﴾، يعني نعمتم به، ﴿وَمَسْكِكُمْ لَمَلَكُمْ تَشَلُّونَ﴾، قال ابن عباس: عن قتل نبيكم. وقال قتادة: من دنياكم شيئاً، نزلت هذه الآية في أهل حضوراء، وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب، بعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهمزوا، فقالت الملائكة لهم استهزاء، لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون، قال قتادة: لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم فتعطون من شتمتم وتمنعون من شتمتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، يقولون ذلك استهزاء بهم، فاتبعهم [عسكر] بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿قَالُوا يَا بُولَلَاءَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويرددونها، ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾، بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿خَوِيلِينَ﴾، ميتين.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ﴾، أي عبثاً وباطلاً.

﴿١٧﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ لَهْرًا﴾، واختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطاء يسمى لهواً في اللغة، والمرأة محل الوطاء. ﴿لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾، يعني من عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصراري لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا ردّ الله عليهم بهذا وقال: ﴿لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره، ﴿إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: «إن» للنفي، معناه: ما كنا فاعلين. وقيل: «إن» كُنَّا فَعَالِينَ للشرط أي [إن] كنا ممن يفعل ذلك لا نتخذناه من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

﴿١٨﴾ ﴿بَلْ﴾، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿تَقْزِفُ﴾، نرمي ونسلط، ﴿بِالْإِيمَانِ﴾، بالإنسان، ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾، على الكفر، وقيل: الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾، يعني يهلكه، وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَلِإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق

حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿وَلَكُمْ أَوْلِيَاءُ﴾، يا معشر الكفار. ﴿مِمَّا يَصِفُونَ﴾، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.

﴿١٩﴾ ﴿وَلَكِنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾، يعني الملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، لا يعيون، يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيأ. وقال السدي: لا يقطعون عن العبادة.

﴿٢٠﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيرًا وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، لا يضعفون ولا يسامون، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالتنفس لبني آدم.

﴿٢١﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾، يعني الجحد أي لم يتخذوا، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، ﴿فَهُمْ يَنْتَرُونَ﴾، يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإتمام بأبلغ وجوه النعم.

﴿٢٢﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾، يعني في السماء والأرض، ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني غير الله، ﴿لَفَسَدَتَا﴾، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿فَسَبَّحْتَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

﴿٢٣﴾ ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ﴾، ويحكم في خلقه لأنه الرب ﴿وَمَنْ يَسْتَأْذِنُ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ آيَاتِنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُشْكِرُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا أَلْقَابًا وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْملُونَ ﴿٢٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّتِي إِلَهٌ مِنْ دُونِي فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ أَوْلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِيسًا أَنْ نَبَيِّدَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُكًا لِمَنْ هُمْ يُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَيْتَ وَالنَّارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ أَخْذًا أَفَأَيْنِمْتَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴿٣٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْعُورِ وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْغَيْرِ فِتْنَةً وَالنَّارُ تَرْتَجُونَ ﴿٣٤﴾

نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله، ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

﴿أَوْلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير «ألم يَر» بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم، معناه: أولم يعلم الذين كفروا، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله

عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزمتين، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب [الأحبار]: خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحتها بها. قال مجاهد والسدي: كانت السموات مرتفعة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرض كانت مرتفعة طبقة واحدة ففتقتها وجعلها سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. وإنما قال: ﴿رَتْقًا﴾ على التوحيد وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع ونحوهما، ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وخلقنا، ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء. والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «نوحى» بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٥٤]، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وخذون.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾، نزه نفسه عما قالوا، ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿مُشْكِرُونَ﴾.

﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا أَلْقَابًا﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْملُونَ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، [أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ﴾، قال ابن عباس: لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: إلا لمن رضي [الله] عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، [أي] خائفون لا يأمنون مكروه.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّتِي إِلَهٌ مِنْ دُونِي﴾، قال قتادة: عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة

أي الخلق يسألون، عن أفعالهم وأعمالهم لأنهم عبيد.

﴿أَوِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِي آلِهَةً﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، يعني حججتكم على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن. ﴿ذِكْرٌ مِنْ مَعِي﴾، فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَذِكْرٌ﴾، خبر، ﴿مَنْ قَبْلُ﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً، ﴿بَلْ أَكْذَرُ لَمْ يَعْلَمُوا لَقْفًا فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً
 وهذا الذي يدركه الهتكم وهم يدركون
 هم كفورون ﴿٣١﴾ خلق الإنسان من عجلٍ وأمرهم
 ما أتيت فلا تستعجلون ﴿٣٢﴾ وتقولون متى هذا الوعد
 إن كنتم صادقين ﴿٣٣﴾ لو يعلم الذين كفروا حين
 لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا
 هم بصرون ﴿٣٤﴾ بل تأتيهم بغتة فتنبههم فلا
 يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴿٣٥﴾ ولقد استنزلنا
 برسل من قبلك فآخى بالذين سخرنا منهم ما كانوا
 يستزيرون ﴿٣٦﴾ قل من يكفونكم آلئيل والنهارين
 الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴿٣٧﴾ أم
 لهم مالهة تمنعهم من دونهما ألا يستطيعون نصر
 أنفسهم ولا هم يتأخضون ﴿٣٨﴾ بل منعنا هؤلاء
 وآياتهم حتى طال عليهم الأمر أفلا يرون آياتنا
 الأرض نقصها من أطرافها أفهم الغالون ﴿٣٩﴾

٢٢٥

يعقل، والفلك مدار
 النجوم الذي يضمها،
 والفلك في كلام العرب
 كل شيء مستدير، وجمعه
 أفلاك، ومنه فلك
 المغزل.

وقال الحسن: الفلك
 طاحونة كهيئة فلكة
 المغزل، يريد أن الذي
 يجري فيه النجوم مستدير
 كاستدارة الطاحونة. قال
 الضحاك: فلکها مجراها
 وسرعة سيرها. قال
 مجاهد: كهيئة حديد
 الرحي. وقال بعضهم:
 الفلك السماء الذي فيه

من الماء. كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ
 كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، قال
 أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل:
 قد خلق الله بعض ما هو حي من
 غير الماء؟ قيل: هذا على وجه
 التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في
 الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه
 بالماء، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَواسي﴾،
 أي جبالاً ثوابت، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾،
 لئلا تميد بهم، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾، في
 الرواسي، ﴿وَجِبَالًا﴾، طرقاً
 ومسالك، والفتح الطريق الواسع بين
 الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقاً
 [ومسالك] كي يهتدوا [بها] إلى
 مقاصدهم، ﴿سُبُلًا﴾، تفسير
 للفجاج، ﴿أَعْلَمَهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا
 مَحْفُوظًا﴾، من أن تسقط، دليله قوله
 تعالى: ﴿وَنَسِيتُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى
 الْأَرْضِ إِلَّا بَادِيَةً﴾ [الحج: ٦٥]،
 وقيل: محفوظاً من الشياطين
 بالشهب، دليله قوله تعالى:
 ﴿وَحَافِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَاجٍ﴾
 [الحجر: ١٧]، ﴿وَهُمْ﴾، يعني
 الكفار، ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾، أي عن ما
 خلق الله فيها من الشمس والقمر
 والنجوم وغيرها، ﴿مُعْرِضُونَ﴾، لا
 يفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾،
 يجرون ويسيرون بسرعة كالسباح في
 الماء، وإنما قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾، ولم
 يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل
 لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من
 الجري والسبح، فذكر على ما

ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري
 في السماء الذي قدر فيه، وهو معنى
 قول قتادة.

وقال الكلبي: الفلك استدارة
 السماء.

وقال آخرون: الفلك موج
 مكفوف دون السماء تجري فيه
 الشمس والقمر والنجوم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا
 لِإِسْرَارِكَ مِنَ الْقُلُوبِ﴾، دوام البقاء
 في الدنيا، ﴿أَفَأَنْتَ مِنَ الْفَاهِمِينَ﴾، أي أفهم الخالدون إن
 مت، قيل: نزلت هذه الآية حين قال
 مشركو مكة تترىص بمحمد ريب
 المنون.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
 ﴿وَيَلْوَكُمْ﴾، نختبركم ﴿بِالْآثَرِ﴾
 والآثر، بالشدة والرخاء والصحة
 والسقم والغنى والفقر، وقيل: بما

تحبون وما تكرهون، ﴿وَتُنْتَهَى﴾،
 ابتلاءً لنظر كيف شكركم فيما
 تحبون، وصبركم فيما تكرهون،
 ﴿وَأَلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ
 هُزُوًا﴾، سخرياً، قال السدي: نزلت
 في أبي جهل مربه النبي ﷺ
 فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد
 مناف، ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾، أي يقول
 بعضهم لبعض أهذا الذي، ﴿يَدْعُوكُمْ
 إِلَى اللَّهِ﴾، أي يعيها، يقال: فلان
 يذكر فلاناً أي يعيه، وفلان يذكر الله
 أي يُعَظِّمُهُ وَيَجْلِسُهُ، ﴿وَهُمْ يَدْعُونَ
 الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وذلك أنهم
 كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا
 مسيلمة [الكذاب]، وهم الثانية
 صلة.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾،

السياط، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾،
 يمتنعون من العذاب، وجواب لو في
 قوله: ﴿تَوْبِعَلَمَ الَّذِينَ﴾ محذوف
 معناه: لو علموا لما أقاموا على
 كفرهم، ولما استعجلوا [العذاب]،
 ولا قالوا متى هذا الوعد.

﴿بَل تَأْتِيهِمْ﴾، يعني
 الساعة ﴿بَغْتَةً﴾، فجأة،
 ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾، أي تحيرهم، يقال
 فلان مبهوت أي متحير، ﴿فَلَا
 يَسْتَظِيلُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾،
 يمهلون.

﴿وَلَقَدْ أَسْرَيْنَا لِيُرْسِلَ مِن
 قِبَلِكِ فَأَنزَلْنَا﴾، نزل، ﴿بِالْبُرُجِ
 سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي
 جزاء استهزائهم.

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ﴾،
 يحفظكم، ﴿بِالْيَلِيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾،
 إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس:
 من يمتنعكم من عذاب الرحمن، ﴿بَلْ
 هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾، عن القرآن
 ومواعظ الله، ﴿مُفْرِسُونَ﴾.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، أي: صلة فيه،
 وفي أمثاله ﴿أَلِهَةٌ تَنْعَمُهُمْ مِن
 دُونِنَا﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره:
 أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم
 وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى:
 ﴿لَا يَسْتَظِيلُونَ قَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، منع
 أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم،
 ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يَصْحَبُونَ﴾، قال ابن
 عباس: يمتنعون. وقال عطية: عنه
 يجارون، تقول العرب: أنا لك جار
 وصاحب من فلان، أي مجير منه.
 وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون.

يعني آدم من تعجيل في
 خلق الله إياه، لأن خلقه
 كان بعد خلق كل شيء
 في آخر النهار يوم
 الجمعة، فأسرع في خلقه
 قبل مغيب الشمس. وقال
 مجاهد: فلما أحيا الروح
 رأسه قال: يارب
 استعجل بخلقى قبل
 غروب الشمس. وقيل:
 بسرعة وتعجيل على غير
 ترتيب خلق سائر الآدميين
 من النطفة ثم العلقة ثم
 المضغة وغيرها. وقال
 قوم: من عجل أي من

طين قال الشاعر:

والنوع في الصخرة الصماء منتبة
 والنخل ينبت بين الماء والعجل
 ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾،
 [هذا خطاب للمشركين]، نزل هذا
 في المشركين كانوا يستعجلون
 العذاب، ويقولون أمطر علينا حجارة
 من السماء، وقيل: نزلت في
 النضر بن الحارث، فقال تعالى:
 ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي مواعيد عذابي
 فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا
 العذاب من [قبل] وقته، فأراهم يوم
 بدر، وقيل: كانوا يستعجلون
 القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،

﴿فَقَالَ تَعَالَى﴾ ﴿تَوْبِعَلَمَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾، لا
 يدفعون ﴿عَنْ وُجْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ
 ظُهُورِهِمْ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّعُورُ الدُّعَاءَ إِذَا
 مَا يَنْذَرُونَ﴾ ﴿وَلَكِنْ سَسْتُهُمْ نَفْحَةً مِنَّ عَذَابِ رَبِّكَ
 لِيُقُولُوا يَنبُؤُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿وَضَعُوهُ السُّورِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 مِنفِقًا خَبِيرًا مِّنْ حَرْدٍ لَّا نُنْصِبُهَا وَكُنَّا بِبَنِي حَسِبِينَ
 ﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
 لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ
 السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ
 تُشْكُرُون﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
 بِهِ عَلِيمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمِ لِيُؤْتُوا
 انْتِمَالَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿قَالُوا وَيَسْأَلُونَ أَتَمَّا مَا هَذَا وَعَدِيبِكِ
 قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْرَاءَ إِنَّمَا أَتاكم فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿قَالُوا
 أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلِيمٌ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٢٤﴾
 ﴿وَاتَّخَذَ لَكُمْ بَدَنًا أَصْنَعُكُمْ بَعْدَ تَوَلَّوْا مَدِينِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

اختلفوا فيه، فقال قوم: معناه أن
 بينته وخلقته من العجلة وعليها طبع،
 كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] قال سعيد بن
 جبير والسدي: لما دخلت الروح في
 رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة،
 فلما دخلت في جوفه اشتهى الطعام،
 فوثب قائماً قبل أن تبلغ الروح إلى
 رجليه عجلأ إلى ثمار الجنة، فوقع،
 ف قيل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾،
 والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده
 العجلة، والعرب تقول للذي يكثر
 من الشيء: خلقت منه، كما تقول
 العرب: خلقت من لعب وخلقته من
 غضب، تريد المبالغة في وصفه
 بذلك، يدل على هذا قوله تعالى:
 ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:
 ١١]، وقال قوم: معناه خلق الإنسان

وقال قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

﴿٤٤﴾ **بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ**، الكفار، **وَوَآبَاءَهُمْ**، في الدنيا أي أمهلتناهم. وقيل: أعطيتناهم النعمة، **حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعَمُرُ**، أي امتد بهم الزمان فاغتروا، **أَفَلَا يَرْجِعُونَ** **إِنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**، أي ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً، **أَفَهُمْ أَغْلِيْبُونَ**، أم نحن.

﴿٤٥﴾ **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالرَّحْمَةِ**، أي أخوفكم بالقرآن، **وَلَا يَسْمَعُ الْكُفْرُ الدُّعَاءَ**، قرأ ابن عامر [تسمع] بالتاء وضمها وكسر الميم، **الْكُفْرُ** نصب، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، **الْكُفْرُ** رفع، **إِنَّمَا مَا يُنذِرُكُمْ**، يخوفون.

﴿٤٦﴾ **وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ**، أصابتهم **نَفْحَةٌ**، قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصيب، من قولهم نفع فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظاً ونصيباً منه. وقيل: ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها، **مَنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا إِنَّا كُنَّا غُلَامِينَ**، أي بإهلاكنا إنا كنا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

﴿٤٧﴾ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**، أي ذوات القسط والقسط العدل، **لِيُؤْتِيَ الْقَيْمَةَ** فلا تظلم نفس شيئاً، أي: لا ينقص من ثواب حسناتها ولا يزداد

على سيئاتها، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان وكفتان. روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة [قدراً] ما بين المشرق والمغرب، فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ قال: يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة، **وَلَكِنْ كَانَتْ**، الشيء، **مِثْقَالَ حَبَّةٍ**، أي زنة مثقال حبة، **مِنْ خَرْدَلٍ**، قرأ أهل المدينة «مثقال» برفع اللام ههنا وفي سورة لقمان [١٦]، يعني وإن وقع مثقال حبة من خردل، ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة [أي زنة حبة] من خردل، **إِنَّمَا يَهَيِّئُ** أحضرناها لنجازي بها.

﴿٤٨﴾ **وَكَفَرْنَا بِمَا كُفَيْتُمْ**، قال السدي: مُحْصِينَ، والحسب معناه: العدل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه.

﴿٤٩﴾ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ** **الْفُرْقَانَ**، يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ** [الأنفال: ٤١]، يعني يوم بدر لأنه قال **وَضِيئَةٌ**، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضيء، وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: **وَضِيئَةٌ**، زائدة مقحمة، معناه: آتينا التوراة ضياءً، وقيل: هو

صفة أخرى للتوراة، **وَوَكَّرْنَا**، تكبيراً، **لِلْمُؤْمِنِينَ**.

﴿٥٠﴾ **الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** **بِالْغَيْبِ**، أي يخافونه ولم يروه، **وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**، خائفون.

﴿٥١﴾ **وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ**، يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير، **أَفَأَنْتُمْ**، يا أهل مكة، **لَهُ مُبْكِرُونَ**، جاحدون، وهذا استفهام توبيخ وتعير.

﴿٥٢﴾ **قوله عز وجل: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ»**، قال القرطبي: أي صلاحه، **«مَنْ قَبْلِي»**، يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: **«وَأَنْتَ أَتَيْنَا لَكُمْ صَيِّبًا»** [مريم: ١٢]، **«وَكُنَّا بِرَبِّهِمْ عَلِيمِينَ»**، أنه أهل للهداية والنبوة.

﴿٥٣﴾ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ** **الْأَصْنَامُ**، أي الصور، يعني الأصنام **«إِنِّي آنسُ لَهَا عَظِيمُونَ»**، يعني على عبادتها مقيمون.

﴿٥٤﴾ **«قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ»**، فافتدنا بهم.

﴿٥٥﴾ (قال)، إبراهيم، **«لَقَدْ كُنْتُمْ** **أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»**، خطأ بين عبادتكم إياها.

﴿٥٦﴾ **«قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ** **اللَّائِيِينَ»**، يعنون أصادق أنت فيما تقول أم لاجب؟

عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه، وقال إني سقيم، يقول: أشتكى رجلي فلما مضوا نادى إبراهيم في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس، ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانُكُمْ﴾ فسمعوا منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه، والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه

﴿٥٦﴾ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني من المجرمين.

﴿٥٧﴾ ﴿قَالُوا﴾ يعني [الضعفاء] الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لأكيدن أصنامكم، ﴿سَمِعْنَا فَمَنْ يَدُّكُمُ﴾، يعيهم ويسبهم، ﴿يَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾، هو الذي نظن أنه صنع هذا، فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه.

﴿٥٨﴾ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَيْنَ آتَايُنَا﴾، قاله نمرود يقول جيثوا به ظاهراً بمرأى من الناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، عليه أنه الذي فعله، وكرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، قال الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد بن إسحاق ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا﴾ له ﴿هَآءَ آتَتْ فَكَلَّتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، غضب من

إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد برّكت الآلهة في طعامنا أكلنا [منه]، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم على طريق الاستهزاء: ألا تأكلون، فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تتلقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج، فذلك قوله عز وجل.

﴿٦١﴾ ﴿قَالَ يَا رَبِّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرْتَهُمْ﴾، خلقهن، ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

﴿٦٢﴾ ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانُكُمْ﴾، لأمكرن بها، ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم. قال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم هذا سراً من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأنشاه عليه، وقال إنا سمعنا فمَنْ يذكركم يقال له إبراهيم.

قال السدي: وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى

﴿٥٦﴾ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَيْنَ آتَايُنَا﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿قَالَ يَا رَبِّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرْتَهُمْ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾

كالحظيرة. وقيل: بنوا أتوناً بقرية يقال لها كوئي ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً [في دينها]. قال ابن إسحاق: كانوا يجمعون الحطب شهراً فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار [فيه] واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها [فتخطفه] فيحترق من شدة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام.

روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلمهم عمل المنجنيق [ليتوصلوا إلى إلقائه فيها] فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة [وضجت ضجة عظيمة]، أي ربنا إبراهيم خليلك يلقي في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته، فقال الله عز وجل: إنه خليلي ليس لي غيره خليل، وأنا إلهه وليس له إله غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما

عقولهم، ﴿فَقَالُوا﴾، ما نراه إلا كما قال، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾، يعني بعبادتكم من لا يتكلم [ولم تشعر بمن آذاه]. وقيل: أنتم الظالمون لهذا الرجل [في] سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها.

﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ زُوسِيهَةٍ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ زُوسِيهَةٍ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَبْطُقُونَ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام.

﴿قَالَ﴾، لهم، ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً﴾، إن عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، إن تركتم عبادته.

﴿أَيُّ لَكُمْ﴾، يعني تباً وقذراً لكم، ﴿وَلَمَّا تَبَدَّدتْ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يعني اليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَاصْرَوْا إِلَهُكُمْ﴾، يعني إن كنتم ناصرين لها، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي قال هذا رجل من الأكراد. وقيل: إن اسمه هيزن فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، قيل: قاله نمروذ، فلما أجمع نمروذ وقومه على إحراق إبراهيم عليه السلام، حبسوه في بيت، وبنوا له بنياناً

أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منهم فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَتَشَاوَهُمْ إِنْ كَانُوا يَبْطُقُونَ﴾، حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل المنطق شرطاً للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره، أنا فعلت، وروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ﴾ ويقول معناه فعله من فعله، والأول أصح.

لما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتان منهن في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ﴾، وقوله على سارة «هذه أختي».

وقيل في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] أي سأسقم، وقيل: سقيم القلب أي مغتم بضلالتكم، وقوله على سارة: هذه أختي أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأولى هو الأول للحديث فيه، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حتى أمر مناديه [أن ينادي] فقال لإخوته: ﴿إِنِّي أَنَا إِلَهُ أَبِيكُمْ لَسَرْقُونَ﴾ [يوسف: ٤٧]. ولم يكونوا سرقوا.

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، أي: فتفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى

أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال [الله] إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل.

وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: [إبراهيم] أنا إليك فلا، فقال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي.

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يظفيء عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبيد الله بن موسى أو ابن سلام عنه، أنا ابن جريج عن عبدالحميد بن جبير، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: «كان ينفخ النار على إبراهيم».

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفتت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم

يقبل وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً. قال السدي: فأخذت الملائكة بضمعي إبراهيم فأقعده على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس.

قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام. قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

قال ابن يسار: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعذ فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قال وبعث الله جبريل إليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي، ثم نظر نمرود

وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناده يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته، أن حال بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله إليّ ربي ليؤنسني فيها، فقال نمرود: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً

لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملتي وملكي. ولكن سوف أذبحها فذبحها له نمرود ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه.

قال شعيب الجبائي: ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة.

قولـه: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله عز وجل أرسل على نمرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

قولـه عز وجل: ﴿وَجَبَّحْتُهُ وُلُوطًا﴾، من نمرود وقومه من أرض العراق، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. وقال أبي بن كعب: سماها [الله] مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي بيت المقدس.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن قتادة، أن عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها

مهاجر رسول الله ﷺ وقبره، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين إن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن اليزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الديري، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فخير الناس إلي مهاجر إبراهيم».

وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمrod وملته وآمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له تاخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عم إبراهيم فخرج من كوثي من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا لَوْ لَوْطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَيْبَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي بيرة الشام، ونزل لوط بالمؤتفة وهي من السبع

على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب، فبعثه الله نبياً فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَمَيِّنُنَّهُ وِلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء. وقال الحسن والضحاك: فضلاً. وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقاتدة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب

لأن الله عز وجل أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠]، وزاد يعقوب وهو ولد الولد، والنافلة الزيادة، ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

﴿٧٧﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعو الناس إلى ديننا، ﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ﴾، يعني العمل بالشرائع، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، يعني المحافظة عليها، ﴿وَأَنشَأَ الزَّكَاةَ﴾، إعطاءها، ﴿وَوَكَّلْنَا عِبْدِينَ﴾، موحدين.

﴿٧٨﴾ ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ﴾، يعني وآتيناه لوطاً، وقيل: واذكر لوطاً آتيناه، ﴿حُكْمًا﴾، يعني الفصل بين الخصوم بالحق، ﴿وَعَلَّمْنَا مِنْ

سورة الأنبياء

الأنبياء

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَكَانُوا تَوْكَّافِينَ عِبْدِينَ ﴿٧٧﴾ وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرْتَبِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ لِقَبْرِ أَبِي هَامَانَ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَتَسْفِين ﴿٧٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٠﴾ وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَافِرِينَ ﴿٨١﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْغَرِّ إِذْ نَفَثَ فِيهِمْ غَمٌّ مِنَ الْقَوْمِ وَسَيِّئَاتِهِمْ ﴿٨٢﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَاطِينَ فَهَدَّيْنَاهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ إِذْ جَاءَ وَكَلَّمْنَا سُلَيْمَانَ مَعَ دَاوُدَ إِذْ جَاءَ بِالسُّبْحِ وَالطُّيْرِ وَكَلَّمْنَا فَاخِلِينَ ﴿٨٣﴾ وَطَلَّمْنَا صَعْنَةَ لُؤْلُؤًا مِنْ لَكُمُ الْمُحْسِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَسُلَيْمَانَ إِذْ جَاءَ بِالسُّبْحِ وَالطُّيْرِ وَكَلَّمْنَا فَاخِلِينَ ﴿٨٥﴾ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

٢٣٨

الْقَرْتَبِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ لِقَبْرِ أَبِي هَامَانَ، يعني سدوماً وهي القرية التي كان أهلها يأتون الذكران في أديارهم ويتضارطون في أنديةهم مع أشياء أخر، كانوا يعملونه من المنكرات، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى﴾، دعاء، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، يعني من قبل إبراهيم ووط، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء، والكرب، أشد الغم.

﴿٨٠﴾ ﴿وَنَصْرَنَاهُ﴾، منعناه، ﴿مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: يعني على القوم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا﴾ فأغرقناهم أجمعين.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين: كان الحرث كرمًا قد تدلت عناقيدُه. وقال قتادة: كان زرعاً، ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ﴾، يعني رعته ليلاً فأفسدته، والنفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، يعني كان ذلك بعلمنا وبمراى منا لا يخفى علينا علمه. قال الفراء: [هو] جمع اثنين، فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَيِّهِمْ أَلَشُّهُمْ﴾ [النساء: ١١]، وهو يريد آخرين.

قال ابن عباس وقاتة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن هذا انفلتت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت [بينكما] بغير هذا.

وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي؟ ويروي أنه قال [له]: بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتي بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدها ونسلها وصفوها ومنافعها ويتر صاحب الغنم لصاحب الحرث

مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيته يوم أكل دفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك. وقيل: إن سليمان يوم حكم بذلك كان ابن إحدى عشرة سنة، وأما حكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أسدت الماشية المرسله بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها، وما أسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فقضى رسول الله ﷺ «أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أسدت المواشي بالليل ضمانه على أهلها».

وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلاً كان أو نهاراً.

﴿٧٩﴾ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، أي علمناه القضية وألمناها سليمان، ﴿وَوَكَّلْنَا﴾، يعني داود وسليمان، ﴿ءَأَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص،

وكذلك حكم سليمان، فقال بعضهم: فعلاً بالاجتهاد. وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين، إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا: يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه، فأما العلماء فلمهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة، فإذا أخطأوا فلا إثم عليهم، فإنه موضوع عنهم، لما:

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي، أنا عبدالعزيز بن محمد، عن يزيد بن عبدالله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بشر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر».

وقال قوم: إن داود وسليمان حكما بالوحي، فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود، وهذا القائل يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، وقالوا لا يجوز الخطأ على الأنبياء، واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة

كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى.

وقوله عليه السلام: «وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذ لم يأل جهده.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري أنا أبو الزناد، عن عبدالرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود ف قضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرته فقال: اتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنتها ف قضى به للصغرى».

قوله تعالى: «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ»، أي وسخرنا الجبال والطيور يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان [داود] يفهم تسبيح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوب بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يُسمعه الله تسبيح الجبال

والطيور لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. «وَكُنَّا قَائِلِينَ» [يعني] ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، المراد باللبوس ههنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملابس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت [الدروع] من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾، لتحركم وتمنعكم، ﴿وَمِنَ بَأْسِكُمْ﴾، أي من حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: «لتحصنكم» بالباء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: «وعلمناه» وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل لللبوس، وقيل: ليحصنكم الله عز وجل، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

﴿وَلَسَّاتِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسن بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رُخَاءُ والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ

إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾، يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو إلى الخضوع لربه عز وجل.

قال وهب بن منبه: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره، وكان امرأ غزاة قل ما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك [إلا] أنه حتى يذله، فكان فيما يزعمون أنه إذا أراد الغزو وأمر بمعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد، وكانت تمر بمعسكره الريح الرخاء وبالمرزعة فما تحركها ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزلناه وما بنيناه مبنياً وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راثعون منه إن شاء الله فبائثون بالشام.

قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ

ألا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحدها عن الفئدة وجيش الجن إنني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد ﴿٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَسْجُدْ وَبَيْنَهُمْ رَكَبَاتٌ﴾ يعني الشياطين، يعني يسخرنا له من يدخلون تحت الماء يخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني دون الغوص، وهو ما ذكر الله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا تَشَاءُونَ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْثِيْلٍ﴾ [سبأ: ١٣] الآية. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِيْنَ﴾، حتى لا يخرجوا عن أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا.

وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملاً، قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه. ﴿٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، يعني دعا ربه. قال وهب بن منبه: كان أيوب [عليه السلام] رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه ويسط عليه الدنيا، وكانت له البشيرة من أرض الشام كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله، من البقر والإبل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة، وكان له خمسمائة

كيف يشاء، فكان يغدو من إبلية فيقبل باصطخر، ثم يروح ومنها فيكون رواحها يبابل.

وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش.

وروي أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقال بمدينة مرو، وصلى العصر بمدينة بلخ، تحمله وجنوده الريح، وتظلمهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاز بهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم [عطف] يمتة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار، وخرج منها إلى أرض مكران وكerman، ثم جاوزها [حتى أتى] أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها، فقال بكسكرك ثم راح [إلى الشام] وكان مستقره بمدينة تدمر، وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفي ذلك يقول النابتة:

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفُوسُوكَ لَمْ يَفُوسُوكَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِيْنَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى سَمَّى الصُّرُورَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمُ مَن مَّعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا ذَكَرْنَاكَ لِلْعَالَمِيْنَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلًّا مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمْرِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٨٨﴾ وَرَكَعًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِيْنَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيَمَانَ وَاسْمَعْنَا لَهُ رَجْمَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا إِسْرَارِيْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَعْتَوْنَ رُكَبَنَا وَنَحْنُ بِهِمْ وَأَكْفَارًا فَخِشْرِيْنَ ﴿٩٠﴾

ذهباً في إيريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب فضة، ويقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح.

وعن سعيد بن جبيرة قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس الإنس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح.

وقال الحسن: لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب الله عز وجل ففقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرع الريح تجري بأمره

فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة، وفوق ذلك وكان الله عز وجل أعطاءه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برأ تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويكفل الأراذل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له: اليقن ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما يلدو والآخر صافر وكانوا كهولاً وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات، فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، فلو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شركك وعبادتك، ولخرج من طاعتك، قال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن

ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة؟ ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار وأحرقت كل شيء أتى عليه، قال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها، فأتى الإبل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فأحرقتها ورعاتها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري، فقال أيوب: الحمد لله الذي هو [أعطاني إياها] وهو أخذها، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: فإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها، منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ذلك ليشتت به عدوه ويفجع صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود في التراب، وعرياناً أحشر إلى الله، ليس لك أن تفرح حين أعارك ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك، الله

أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأخرك، قال عفريت: عندي من القوة ما [إذا] شئت صحت صبيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، فقال إبليس فات الغنم ورعاتها، فانطلق حتى توسطها ثم صاح صبيحة فتجشمت أمواتاً عن آخرها ومات رعاؤها، ثم جاء إبليس متملاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول فردّ عليه مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه [خاستاً] فقال ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء أتى عليه، قال فات الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف، فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم جاء إبليس متملاً بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأول فردّ عليه أيوب، مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء والقدر، ووطن نفسه بالصبر على البلاء، حتى لم يبق له مال. فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله صعّد إلى السماء فقال إلهي إن أيوب يرى منك أنك ما متعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده، فإنها المعصية [العظمى التي لا تقوم لها] قلوب الرجال.

قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقض عدو الله إبليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل ينطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين، ثم انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة [وهو جريح مخدوش الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره]، وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك [عليهم]، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال:

يا ليت أمني لم تلدني، فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، صعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده، فقال الله عز وجل: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلمه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله

عبرة للصابرين [من بعده] وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب، فانقض عدو الله إبليس سريعاً فوجد أيوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه فأناه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه تآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحكها بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأتزن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة من كناساتهم وجعلوا له فيها عريشاً فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة ابنة أفرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه ويقويه ويلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه [الذين آمنوا به] وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به.

وكان من حضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلت، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول

حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آناه الله ما آناه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه [الله] بها، ولأن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحليم أن يعتزل أخاه عند البلاء، ولا أن يعيره بالمصيبة ولا أن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه، ويدل على مرأشده أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن الله عباداً أسكتهم خشية من غير عي ولا بك، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت

قلوبهم، وطاشت عقولهم، إعظاماً وإجلالاً لله عز وجل، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وأنهم لأبرار نزهاء براء، ومع المقصرين المفرطين وأنهم لا كياس أقوياء.

فقال أيوب: إن الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا، لم تسقط منزلته عند الحكماء، وهم يرون من الله عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه، فقال رب أي شيء خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت به وجهك الكريم عني، لو كنت أمتي فألحقتني بأبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي، ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً، إلهي، أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء عرضاً، وللفتنة نصباً، وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟ وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن

يحتاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلا نظر إلي فيرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي، فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عز وجل يقول: ها، أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فادل بعذرك، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرك، وقم مقام جبار يخاصم جبار إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا شبه لي، لقد مننتك نفسك يا أيوب أمراً ما تبلغه بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل كنت معي تمد بأطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم على شيء وضعت أكتافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً [محفوظاً] في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تستير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبعت الأنهار وسكرت البحار، أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ

الجبال؟ هل تدري على أي شيء أوسيتها أو بأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطبيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشئت السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج، أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل، وأين خزائن الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال، ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لمملكه وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأنني وكلّ لساني وعقلي ورائي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض عليّ يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وتديبر حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، أو ليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرنني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت مني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعود بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني، وأستغيث بك من عقابك فأغثنني، وأستعين بك

على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك، وقرب عن أصحابك قرباناً فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته لتلمسه في مضجعه [على العادة] فلم تجده ووجدت مكانه رجل أحسن ما كان من الرجال فقامت كالوالهة متلدة ثم قالت: يا عبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه، ثم تبسم وقال، أنا هو: فعرفته بضحكه فاعتنته. قال ابن عباس فوالذي نفس عبدالله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرّ بهما كل مال لهما وولد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾، واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله أني مسني الضر وفي مدة بلائه.

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه «أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة». وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوماً.

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كنانة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرات تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة، صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما حزنك؟ قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم أدع له مالا ولا ولداً فلم يزد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كنانة [من مزابل بني إسرائيل] لا يقربه إلا امرأته، [فلم يكن عنده جنز]. فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكك به من مضي؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليّ قالوا: نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك في أيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيا وليس أحد يقربه غيرها، قال أصبتم: فانطلق حتى أتى امرأته وهي تتصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمع مقالتها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه [الآن] من

الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً، قال الحسن: فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك الصحيح، اذبح هذه السخلة [على اسم عبد من عباد الله أتانيها وأنت تبرأ مما فيك من البلاء] واسترح، فقال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك ويملك أرايت ما تبكيين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمنذ كم ابتلانا، قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال: ويملك ما أنصفت إلا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام وحرام عليّ أن أدوق [منه] شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فأعربي عني، فلا أراك فطردها فذهبت، فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً لله وقال رب: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين [ماء] فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرّب منها فلم يبق في جوفه داء إلا

خرج فقام صحيحاً وكسي حُلَّةً، قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد ضاعفه الله [له] حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جراداً من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: أرايتك إن كان أيوب طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً ويضع فتأكله السباع، لأرجعن إليه. فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريدان يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل [به] فقال أيوب: ما كان [هو] منك فبكت، وقالت: بعلي، قال: فهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد [بعله إذا] رآه، ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه فرد علي ما ترين.

وقال وهب بن منبه: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض

امرأته في هيئة ليست كههيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى، قالت: نعم، قال: فهل تعرفيني قالت: لا قال: أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد الله إله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إليهم بطن الوادي الذي لقيها فيه، قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم.

وفي بعض الكتب: إن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنهما مائة جلدة، وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر، ثم إن الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عليها وأراد أن يبرئ يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿وَعِذُّ يَدِكَ ضِغْثًا فَاتْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

وروي أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية وقعد على طريق

امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت: يا شيخ إن لي مريضاً أفتداويه؟ قال: نعم والله لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيت أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال هو إبليس قد خدعك، ثم حلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة. وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليه البلاء وسمتها الناس ولم يستعملها أحد التمسست يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من رأسها، فباعته برغيف فأنته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فحيتنئذ قال: ﴿مَسَّنِيَ الْكُفْرُ﴾، وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدودة إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر.

وقال حبيب بن أبي ثابت: لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء:

أحدها: قدم عليه صديقان [له] حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه ورأيا امرأة عظيماً فقالا: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا.

والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت إليه طعاماً.

والثالث: قول إبليس إني أداويه على أن يقول أنت شفيتني. وقيل: إن إبليس [لعنه الله] وسوس إليه أن امرأتك زنت. فقطع ذؤابتها فحيتنئذ عيل صبره، فدعا [وقال مسني الضر] وحلف ليضربنهما مائة جلدة. وقيل: معناه مسني الضر من شماتة الأعداء.

حتى روي أنه قيل له بعدما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء. وقيل: قال كذلك حين وقعت دودة من فخذة فردها إلى موضعها. وقال: كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان. فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أَيُّ سَيْئٍ أَضْرُّهُ﴾، و﴿أَيُّ سَيْئٍ الشَّيْطَانُ يُضَيِّبُ﴾ [ص: ٤١]، قيل ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَزَبٍ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك [كل] من أظهر الشكوى إلى الخلق وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً.

كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً».

وقال لعائشة حين قالت وارسأه: «بل، أنا وارسأه».

قوله ﴿وَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾، وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهرة، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب

منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم. ﴿وَمَا تَكُنُّ لَهُمْ مَّهْمٌ﴾، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود، وقتادة، وابن عباس، والحسن، وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياءهم الله [له] وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن. وقال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله إليه وأهله، يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله عز وجل رد على المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. قال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين. قال ابن يسار: كان له سبعة بنين وسبع بنات.

وروي عن أنس يرفعه: «أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله عز وجل سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض».

وروي «أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال له: إن ربك يقربك السلام بصبرك فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال: هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته».

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف

السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عرياناً [إذ] خرّ عليه جراداً من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك».

وقال قوم: أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا.

قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا قال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿وَذِكْرًا لِّلْعَالَمِينَ﴾، أي عظة وعبرة لهم.

قوله ﴿وَأَسْمِعِ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿وَأَذِينِ﴾، وهو أخنوخ، ﴿وَذَا الْكِنْفِ كُلِّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل.

فقال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه: أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل

ذلك، فقام شاب: فقال: أتكفل لك بهذا فتكفل، ووقى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل.

قال مجاهد: لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر [إليه] كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث استخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فقام رجل تزديه العين، فقال: أنا، فردّه ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فردّه ذلك اليوم، فاستخلفه فأثاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال الشيخ: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا وفعلوا، فجعل يطول حتى حضر الرواح، وذهبت القائلة، فقال له: إذا رحمت فائتني حتى أخذ حقلك، فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يبتغيه فلما كان من الغد جلس يقضي بين الناس ينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه آتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم ففتح [له الباب] فقال: ألم أقل لك إذا عدت فائتني؟ قال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقلك وإذا قمت جحدوني، قال فانطلق فإذا رحمت فائتني، ففاتته

القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله لا تدعن أحداً يقرب من هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء [إليه] فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم أمرك [أن لا تدخل عليّ أحداً] فقال: أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت، فقام: إلى الباب فإذا هو مغلق كما هو أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت فقال: أتنام والخصوم ببابك، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعييتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني، فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوئى به.

وقيل: إن إبليس جاءه وقال: إن لي غريماً يملطني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه، فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب. وروى: أنه اعتذر إليه. وقال: إن صاحبي هرب، وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه [هل] كان نبياً، فقال بعضهم: كان نبياً. وقيل: هو إلياس. وقيل: [هو] زكريا. وقال أبو موسى: لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً.

﴿وَأَذَلَّنْهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾، يعني ما أنعم الله عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿إِنَّهُمْ رَبَّنَا صَلْتُونَ﴾. ﴿وَوَدَّ الْأَثْنُونَ﴾، أي واذكر

صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا﴾، اختلفوا في معناه فقال الضحاك: مغاضباً لقومه، وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس، قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسيب منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطاً ونصف، فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيل الملك، وقل له حتى يوجه نبياً قوياً فأني ألقى هيبة في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملك فمن ترى، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال يونس: فإنه قوي أمين فدعا الملك بيونس أمره أن يخرج، فقال له يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، فهنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك، ولقومه فأتى بحر الروم فركبه.

وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جببر وجماعة: ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما وعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به [رفع] العذاب [عنهم]، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله تعالى، وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي وعدهم فيه فغضب، والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي

تكون من واحد، كالمسافرة والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أي غضبان.

وقال الحسن: إنما غضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص إلىهم، فقيل له: إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلا أن يأخذ نعلًا يلبسها فلم ينظره. وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضباً. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، فقال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة.

وقال وهب بن منبه: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿تَأْسِيرٌ كَمَا صَبَرْتُ أُزْلُوا الْعَزِيرَ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] [وقال]: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُونِ﴾ [القلم: ٤٨]. قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لسن نقضي عليه العقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قدر الله الشيء تقديراً، وقدر يقدر قدراً بمعنى واحد، ومنه قوله: ﴿مَنْ قَدَّرْنَا بِتَنَكُّرِ الْأَنْوَتِ﴾ [الواقعة: ٦٠] في قراءة من قرأها بالتخفيف دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبدالعزيز

والزهري: «فظن أن لن نقدر عليه» بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نصيق عليه الحبس، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، أي يضيق.

وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه.

وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف. وعن الحسن قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه واستنزله الشيطان حتى ظن لن نقدر عليه، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة.

وقال عطاء: سبعة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه تعالى في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته، والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه وللملك، ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً: «أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر

سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة»، وفي رواية: «صوتاً معروفاً من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم ليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: ﴿فَنَذَرْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَائِرٌ﴾ [الصفات: ١٤٥].

﴿فَنَذَرْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ أي: أجبناه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَرَاءِ﴾، من تلك الظلمات، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا، قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر: «نجي» بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، واختلف النحاة في هذه القراءة، فذهب أكثرهم إلى أنها لحن لأنه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع «المؤمنين»، ومنهم من صوبها، وذكر الفراء لها وجهاً آخر وهو إضمار المصدر، أي نجا النجاة المؤمن [ونصب المؤمنين] كقولك: ضرب الضرب زيدا، ثم يقول ضرب زيدا بالنصب على إضمار المصدر، وسكن الياء في «نجي» كما يسكنون في بقي ونحوها.

قال القتيبي: من قرأ بنون واحدة

وَالَّذِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَحَمَلْنَاهَا وَابْتَهَا عَالِيَةَ الْعَلَمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٠﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلَّ الْإِنْسَانُ رَجُوعًا ﴿٩١﴾
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَكَ كَاتِبُونَ ﴿٩٢﴾ وَحَرِّمْنَا عَلَى قَرِيبٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٣﴾ حَتَّى إِذَا فُجِّعَتْ
بِأَجْرٍ وَمَأْجُوجٍ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٤﴾
وَاقْرَبِ الْوَعْدَ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِئُونِلَهُمْ أَنَّ قُرْبَانَ وَعْدَهُمْ وَإِنَّا لَبَدِّلُ
ظُلُمَاتٍ ﴿٩٥﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٦﴾ لَوْ كَانَتْ
هَتُوكَآءَ آلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٧﴾
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَفِيهَا قُرْبَانٌ ﴿٩٨﴾ إِنَّا الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٩﴾

٢٢٢

الأنبياء الذين ستمهم في هذه السورة، ﴿كَاثُرًا﴾ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَبِّيًا، طمعاً، ﴿وَرَهْبًا﴾، خوفاً، رغباً من رحمة الله، ورهباً من عذاب الله [عز وجل]، ﴿وَكَاثُرًا لَنَا خَشِيعُونَ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

﴿وَالَّذِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا﴾، حفظته من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا

مِنْ رُوحِنَا﴾، أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام: ﴿وَحَمَلْنَاهَا وَابْتَهَا عَالِيَةَ الْعَلَمِينَ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية. كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فعل.

﴿قوله﴾: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾، أي ملتكم ودينكم. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي ديناً واحداً وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، ونصب أمة على القطع. ﴿وَأَنَّا رُبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.

والتشديد إنما أراد تنجي من التنجية إلا أنه أدمغ وحذف نوناً طلباً للخفة ولم يرضه النحويون لبعده مخرج النون من الجيم، والإدغام يكون عند قرب المخرج، وقرأ العامة «نجي» بتونين من الإنجاء، وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلا حذفوا النون من إن لخفائها، واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة والصفات، ﴿فَنَبِّئْنَاهُ بِالْحَقِّ﴾، ثم ذكر بعده: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِآيَاتِنَا فَكذبوا﴾ [الصفات: ١٤٧]، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يُوسُفُ لَكِيمٌ النَّبِيِّينَ ﴿١٠١﴾ إِذْ أَيْنَ إِلَىٰ أَفْئِكِ الْمَسْخُورِ﴾ [الصفات: ١٣٩ - ١٤٠].

﴿٨٩﴾ قوله عز وجل: ﴿رُوكَّيًّا﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، أي دعا ربه، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، وحيداً لا ولد لي وارزقني وارثاً، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْكَرِيمِينَ﴾، ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حياً.

﴿٩٠﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾، ولهداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها الله بأن رزقها حسن الخلق. ﴿إِنَّهُمْ﴾ الأنبياء، يعني

﴿٩١﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا وأحزاباً، قال الكلبي: فرقوا دينهم بينهم، يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿كَلَّ الْإِنْسَانُ رَجُوعًا﴾، فنجزهم بأعمالهم.

﴿٩٢﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾، [أي] لا يُجحد ولا يبطل عمله بل يُشكر ويُشاد عليه، ﴿وَأَنَّا لَكَ كَاتِبُونَ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة، ومعنى الكفران ترك المجازاة.

﴿٩٣﴾ ﴿وَحَرِّمْنَا عَلَى قَرِيبٍ﴾ [أي أهل قرية] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿وحرم﴾ بكسر الحاء بلا ألف، وقرأ الباقون بالألف «حرام» وهما لغتان مثل حلّ وحلال، قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية،

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكتناهم ﴿أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، إلى الدنيا، وقال الزجاج: معناه وحرام على أهل قرية أهلكتناهم أي حكمنا بهلاكهم أن تقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾، ثم ذكر هذه الآية عقبيه وبين أن الكافر لا يقبل عمله.

﴿٩٦﴾ قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: «فتحت» بالتشديد على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، يريد فتح السد عن يأجوج [وماجوج]، ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ﴾، أي نشز وتل، والحذب المكان المرتفع، ﴿يَسْلُوتُنَّ﴾، يسرعون النزول من الآكام والتلال كسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عني بها يأجوج وماجوج بدليل ما:

روينا عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يبعث الله يأجوج وماجوج [وهم] من كل حذب ينسلون».

وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم، يدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدت بالجيم والثاء كما قال: ﴿فَإِذَا

هُم مِّنَ الْأَمْثَانِ إِنْ يَرَوْهُمْ سَلُوتٌ﴾ [يونس: ٥١].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو خيثمة زهير بن حرب، أنا سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج وماجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

﴿٩٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ أَزْوَاجَهُ﴾، يعني [يوم] القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله «واقترب» مقحمة معنا حتى إذا فتحت يأجوج وماجوج اقترب الوعد الحق، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْلَهُمُ لِلْيَمِينِ﴾ وَتَدْبَّرْتَهُمْ أَنْ يَتَّيْبَرُوا ﴿الصفات: ١٠٣﴾ أي نادينا.

والدليل عليه ما روي عن حذيفة قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة.

وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله يا ويلنا، فيكون مجاز الآية. حتى

إذا فتحت يأجوج وماجوج واقترب الوعد الحق، قالوا: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قول: ﴿فَإِذَا هُمْ شَخَصَةٌ أَبْصَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله: «هي» ثلاثة أوجه أحدها أنها كناية عن الإبصار. ثم أظهر الإبصار بياناً معناه فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا. والثاني أن هي تكون عماداً كقوله: ﴿فَإِنَّمَا لَا مَمْنَى الْآبَصِرُ﴾ [الحج: ٤٦]، والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿هِيَ﴾، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتدا: ﴿شَخَصَةٌ أَبْصَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازة أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون: ﴿يَتَوَلَّوْنَا قَدْ كُنَّا فِي عَفْوَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾، يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن: الحطب. وقال عكرمة: هو الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء، وأصل الحصب الرمي، قال الله عز وجل: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَامِيًا﴾ [القمر: ٣٤] أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي بن أبي

الزبير السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبدالله: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبير: أنت قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ؟﴾ قال: نعم، قال: ليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح، وينو مليح تعبد الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: ببل هم يعبدون الشياطين، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، يعن عزيراً والمسيح والملائكة، ﴿أُولَئِكَ عَنَّا مَبْعُدُونَ﴾، وأنزل في ابن الزبير: ﴿مَا صَبَّوهُ لَكَ إِلَّا جَدًّا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

طالب: «حطب جهنم»، «أنتز لها وردت»، أي فيها داخلون.

﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاةً﴾، يعني الأصنام، ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة، ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾، أي ما دخل عابدها النار، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يعني العابدين والمعبودين.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى، عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره، ثم استثنى فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، قال بعض أهل العلم: «إن» ههنا بمعنى «إلا» معناه: إلا الذين سبق لهم منا الحسنى، يعني السعادة والعدّة الجميلة بالجنة، ﴿أُولَئِكَ عَنَّا مَبْعُدُونَ﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبق لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره.

وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، الآيات الثلاثة، ثم قام فأقبل عبدالله بن

الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُنزِلُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]. قال الحسن: حتى يؤمر بالعبد إلى النار. قال ابن جريج: حين يذبح الموت ويُنَادِي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وقال سعيد بن جبيرة والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يُخرج الله منها من يريد أن يخرجهم. ﴿رَتَّلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤنهم، ويقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَطْوَى السَّمَاءُ﴾، قرأ أبو جعفر: «تطوى السماء» بالثاء وضمها وفتح الواو، «والسما»، رفع على المجهول، وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو،

﴿يَوْمَ تَطْوَى السَّمَاءُ﴾، قرأ أبو جعفر: «تطوى السماء» بالثاء وضمها وفتح الواو، «والسما»، رفع على المجهول، وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو،

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيْسَهُمَا﴾، يعني صوتها وحركة تلبيها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحنس والحنيس الصوت الخفي، ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، مقيمون كما قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُي الْأَنْفُسُ وَتَكْتَدُ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: الفرع

«والسما» نصب، ﴿كَلِمَاتٍ آلَتْ حَبْلِ الْجَنْبِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع، وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد، واختلفوا في السجل، فقال السدي: السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي: كطي السجل الكتب كقوله: ﴿رَدِّقْ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب معناه [هو] كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتب، والطي الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْتِي يُعِيدُونَ﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدَيْنِ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: [إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً]، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْتِي يُعِيدُونَ وَعَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، يعني الإعادة والبعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر

التوراة. وقيل: الزبور زيور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَائِكَ﴾ [الكهف: ٧٩]: أي أمامهم، ﴿وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنًا﴾ [النازعات: ٣٠] أي: قبله، ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ﴾، يعني أرض الجنة، ﴿بَرِّئْنَا عِبَادِيَ الضَّالِّينَ﴾، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَسَدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّمُ وَأَوْزَانُ الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٧٤] وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرض المقدسة.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾، أي في هذا القرآن، ﴿لِبَلَّغَاءَ﴾، وصولاً إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب. وقيل: بلاغاً أي كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبُلغَة أي كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾، أي مؤمنين الذين يعبدون الله [عز وجل]. وقال ابن عباس: عالمين. قال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. وقال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم.

وقد قال النبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

﴿قُلْ إِنَّمَا يُرِيدُ إِلَهُكُمُ أَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي أسلموا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾، أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا، ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾، يعني إنذار بين مستوى في علمه لا استيذاناً به دونكم لتتأهبوا لما يُراد بكم، يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل لتستووا في الإيمان به، ﴿وَإِنْ أَدْرَيْتَ﴾، يعني وما أعلم. ﴿أَقْرَبُ أَمْ يُبْعِدُ مَا قُوِّدُونَ﴾، يعني القيامة.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّكُمْ﴾، يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿فِتْنَةً﴾، اختبار، «لكم»، ليرى كيف صنعكم وهو أعلم، ﴿وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾، يعني تمتعون إلى انقضاء آجالكم.

﴿قُلْ رَبِّ أَسْحَرُ بِالْحَقِّ﴾، قرأ حفص عن عاصم: «قال رب احكم»، وقرأ الآخرون: «قل رب احكم» يعني أفصل بيني وبين من كذبني بالحق، فإن قيل كيف قال احكم بالحق [والله لا يحكم إلا بالحق]؟ قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال أهل المعاني: معناه رب

حَمَلِي حَمَلَهَا، أَي :
تسقط ولدها من هول
ذلك اليوم، قال الحسن :
تذهل المرضعة عن ولدها
بغير فطام وتضع الحامل
ما في بطنها لغير تمام،
وهذا يدل على أن هذه
الزلزلة تكون في الدنيا لأن
بعد البعث لا يكون
حمل. ومن قال : تكون
في القيامة، قال هذا على
وجه تعظيم الأمر لا على
حقيقته، كقولهم : أصابنا
أمر يشيب منه الوليد يريد
به شدته. ﴿وَتَرَى النَّاسَ
سَكَرَى وَمَاهُمْ يَسْكُرُونَ﴾، قرأ
حمزة والكسائي «سكرى وما هم
بسكرى» بلا ألف وهما لغتان في
جمع السكران مثلى كسلى وكسالى،
قال الحسن : معناه وترى الناس
سكارى من الخوف وما هم بسكارى
من الشراب. وقيل : معناه وترى
الناس كأنهم سكارى، ﴿وَلَكِنَّ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

احكم بحكمك الحق فحذف الحكم
وأقيم الحق مقامه، والله تعالى يحكم
بالحق طلب منه أو لم يُطلب،
ومعنى الطلب ظهور الرغبة من
الطالب في حكمه الحق، ﴿وَيَبِّئْنَا
الْكَاذِبِينَ الَّتِي كَانُوا عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾، من
الكذب والباطل.

سورة الحج

مكية [غير آيات من قوله :
﴿هَذَانِ حَصَنَانِ﴾ [١٩ - ٢٥] إلى
قوله ﴿وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ لِلْيَعِيدِ﴾].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا
رَبِّكُمْ﴾، أي : احذروا عقابه
بطاعته، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ﴾، والزلزلة والزَّلْزَالُ شدة
الحركة على الحالة الهائلة،
واختلفوا في هذه الزلزلة، فقال
علقمة والشعبي : هي من أسراط
الساعة. قيل : قيام الساعة. وقال
الحسن والسدي : هذه الزلزلة تكون
يوم القيامة. وقال ابن عباس :
زلزلة الساعة قيامها فتكون معها.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾، يعني
الساعة، وقيل : الزلزلة، ﴿تَذْهَلُ﴾
قال ابن عباس : تشغل، وقيل :
تنسى، يقال : ذهلت عن كذا إذا
تركته واشتغلت بغيره عنه. ﴿كُلُّ
مُرْضِعَةٍ مَعًا أَرْضَعَتْ﴾، أي : كل
امراة معها ولد ترضعه، يقال : امراة
مرضع بلا هاء إذا أريد به الصفة مثل
حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل
أدخلوا الهاء. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

يوم القيامة : يا آدم قم فابعث بعث
النار، قال فيقول : لبيك وسعديك
والخير [كله] في يدك، يا رب وما
بعث النار؟ قال : فيقول : من كل
ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال :
فحينئذ يشيب المولود وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد، قال : فيقولون :
وأيننا ذلك الواحد؟ فقال
رسول الله ﷺ : «تسعمائة وتسعة
وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم
واحد» [قال] فقال الناس : الله أكبر،
فقال رسول الله ﷺ : «والله إنني
لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة،
والله إنني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل
الجنة، والله [إنني] لأرجو أن تكونوا
نصف أهل الجنة، قال : فكبير
الناس، فقال رسول الله ﷺ : ما أنتم
يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن
محمد القاضي، أنا أبو طاهر
محمد بن [محمد بن] محمش
الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن
عمر بن حفص التاجر، أنا
إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير
الكوفي العبسي، أنا وكيع عن
الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي
سعيد الخدري قال : قال
رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل

في الشور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض.»

وروي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما: أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة [تبوك] وقيل في [غزوة بني المصطلق ليلاً] فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقراها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضرّبوا الخيام ولم يطبخوا قدراً، والناس ما بين باك أو جالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله عز وجل لأدم قم فابعث بعث النار من ولدك، قال: فيقول آدم: من كل كم؟ فيقول الله عز وجل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجوا إذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه بأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي، وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير والرقمة في الذراع

الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب، فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم، [أو قال: اللهم اجعله منهم]، فقام رجل [من الأنصار] [فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم] فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة.»

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، كان كثير الجدل وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً. قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ فِي جِدَالِهِ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، كَلَّ شَطَطِي مَرِيدِي، والمريد المتمرد الغالي العاتي والمستمر في الشر.

﴿كَيْبَ عَلَيْهِ﴾، أي: قُضِيَ على الشيطان، ﴿أَنْتُمْ مَن تُولَّاهُ﴾، اتبعه ﴿فَأَنْتُمْ﴾، يعني الشيطان: ﴿يُضِلُّهُ﴾، أي: يضل من تولاه، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ آتِّعِيرٍ﴾، ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يَتَّابِعُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّكُمْ﴾، يعني: في شك، ﴿مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾، يعني: أباسم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿مِن رَّبِّكُمْ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، يعني: ذريته والنطفة هي المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطف، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾، وهي الدم

الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ثُمَّ مِنْ مَّضْغٍ﴾، وهي لحمه قليلة قدر ما يمضغ، ﴿مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مَّخْلُوقَةٍ﴾، قال ابن عباس وقتادة: مخلقة أي تامة الخلق، وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة، يعني السقط. وقيل: «المخلقة» الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير «المخلقة» السقط.

وروي عن علقمة عن عبدالله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال: أي رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال غير مخلقة قذفها الرحم دماً ولم تكن نسمة، وإن قال مخلقة، قال الملك: أي رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ ما العمل ما الأجل ما الرزق وبأي أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته. ﴿إِنِّي نَسِيتُ لَكُمْ﴾، كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل: لنبين لكم ما تأتون وما تزدرون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿وَيُقَرَّرُ فِي الْأَنْصَارِ مَا نَشَأُ﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إِنَّ أَجَلَ شَيْءٍ﴾، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ أي: صغاراً، ولم يقل أطفالاً، لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ثُمَّ لِيَتَلَفَّوْا أَشْهُكُمْ﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقِ وَأَنَّ عِيَّ الْمُتَّقِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ فَإِنِّي عَظَمْتُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَعْنَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي الدُّنْيَا خِرَافٌ وَنُذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَاللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِن أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْفِلْتَعَلَ عَلَيْهَا وَجْهٌ خَرَسٌ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ مَتَّعِيًّا لِنَاسٍ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِمَّا كَفَرُوا وَكَانَ مُعْتَدًا ﴿١١﴾ وَمَا لِيَافِعَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَدَّلُوا بِحَبْلِ الْحَبْلِ حَبْلًا آخَرَ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ مَتَّعِيًّا لِنَاسٍ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِمَّا كَفَرُوا وَكَانَ مُعْتَدًا ﴿١٢﴾ وَإِن يَدْعُوا إِلَى دَعْوَانَا لَنَسْتَعِينَنَّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الرِّسَالَ وَرَوَّيْنَا لَكُمْ رَسُولًا اللَّهُ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ مَتَّعِيًّا لِنَاسٍ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِمَّا كَفَرُوا وَكَانَ مُعْتَدًا ﴿١٣﴾ وَمَا لِيَافِعَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَدَّلُوا بِحَبْلِ الْحَبْلِ حَبْلًا آخَرَ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ مَتَّعِيًّا لِنَاسٍ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِمَّا كَفَرُوا وَكَانَ مُعْتَدًا ﴿١٤﴾ وَإِن يَدْعُوا إِلَى دَعْوَانَا لَنَسْتَعِينَنَّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الرِّسَالَ وَرَوَّيْنَا لَكُمْ رَسُولًا اللَّهُ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ مَتَّعِيًّا لِنَاسٍ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِمَّا كَفَرُوا وَكَانَ مُعْتَدًا ﴿١٥﴾

ابن جريج: يعرض عن الحق تكبراً. والعطف: الجانب، وعطفاً الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ أَنَّهُ يَبْعَثُ رَسُولًا نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا مَا كَانُوا يَعِيبُونَ﴾ [القمان: ٧]،

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ أَنَّهُ يَبْعَثُ رَسُولًا نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا مَا كَانُوا يَعِيبُونَ﴾ [القمان: ٧]، وعن سبيل الله، عن دين الله، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا

يعني: الكمال والقوة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْفِكُ﴾، من قبل بلوغ الكبر، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ لَكَ إِذْ لَمْ أَكُنْ لَهُ مَلَأً مِنْهُ﴾، أي: الهرم والخرف، ﴿لِيَكِيلًا﴾، أي: يعلم من بعد علم شيئاً، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئاً ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَائِلَةً﴾، أي: يابسة لا نبات فيها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾، المطر، ﴿فَأَخْرَجَتْ﴾، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿وَرَوَّيْنَا﴾، أي: ارتفعت وزادت، وقرأ أبو جعفر: «وربات» بالهمزة، وكذلك في حم السجدة أي: ارتفعت وعلت، قال المبرد: أراد اهتزت بإنباتها فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتز النبات أي: طال وإنما أنت لذكر الأرض. وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ رَيْحًا﴾، أي: صنفت حسن بيهج به من رآه أي: يسر، فهذا دليل آخر على البعث.

﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾، أي: لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿وَأَنَّ عِيَّ الْمُتَّقِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٧﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾،

﴿٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿وَلَا هُدًى﴾، بيان ﴿وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿٩﴾ فَإِنِّي عَظَمْتُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَعْنَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي الدُّنْيَا خِرَافٌ وَنُذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾، قال مجاهد وقتادة: لأوي عنقه. قال عطية وابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه تكبراً. قال

رماكه وقل مأله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي [القائم] عليه غير مستقر، قيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وأصله كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر، يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه

حرفي، عذاب وهوان هو القتل ببدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً. ﴿وَنُذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿١٠﴾ وَيَقَالُ لَهُ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَاللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبيده، فحكمه عدل وهو غير ظالم.

﴿١١﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبَدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه وتنتج بها فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله، قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت

دون قلبه. ﴿فَإِنْ أَسَأَبَهُ خَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿أَطْمَأَنَّ بِرَبِّهِ﴾، أي: رضي وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَسَأَبَهُ فَنَدَمَ﴾، بلاء في جسده، وضيق في معيشته، ﴿أَنْقَلَبَ عَلَيَّ وَجْهِي﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار. قرأ يعقوب «خاسر» بالالف «والآخرة» جرّ. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَسْرَانُ الْمَيْبُتُ﴾ [أي]: الظاهر.

﴿١٧﴾ ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾، إن عصاه ولم يعبيده، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن أطاعه وعبده، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [يعني البعيد] عن الحق والرشد.

﴿١٨﴾ ﴿يَدْعُوا لَكِنْ صَرَّهُ أَوْ رَبِّ مِنْ نَفْعِهِ﴾، هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في الآية السابقة ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾ وقال ههنا: ﴿يَدْعُوا لَكِنْ صَرَّهُ أَوْ رَبِّ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فكيف التوفيق بينهما؟ قيل قوله في الآية الأولى ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾ أي: لا يضره ترك عبادته، وهو قوله: ﴿لَكِنْ صَرَّهُ أَوْ رَبِّ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال: «لمن ضره أقرب من نفعه» ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون إما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] أي: لا رجع أصلاً، فلما كان نفع

الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً، قيل: ضره أقرب من نفعه، لأنه كائن. السؤال الثالث: قوله: ﴿لَكِنْ صَرَّهُ أَوْ رَبِّ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ما وجه هذه اللام؟ اختلفوا فيه فقال بعضهم: هي صلة، مجازها «يدعو من ضره أقرب»، وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل: «لم ضره أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه. وقيل: يدعو بمعنى يقول، والخبر محذوف أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو إله. وقيل: معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى ولو قلت يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخيرة جاز. وقيل: على التوكيد معناه يدعو والله لَمَنْ ضره أقرب من نفعه. وقيل: ﴿يَدْعُوا مِنْ﴾ صلة قوله ذلك هو الضلال البعيد يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: «لمن ضره أقرب من نفعه» فيكون ﴿مِنْ﴾ في محل رفع بالابتداء وخبره، ﴿لَيْتَسَ الْمَوْتُونَ﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْتَسَ الْعَشِيرُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمي الزوج عشيراً لأجل المخالطة.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿مَنْ كَانَتْ يَدُهُ أَوْ بِيْتُهُ مَبْنُوعًا مِمَّا بَنَى الْبَنَاءَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَمِزْهُمُ اللَّهُ بِمَبْنُوعِهِمْ سَبُّهُمُ بِمَا بَنَوْا لِنَفْسِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [ق: ٢٠] أي: ليسد حبلاً في سقف بيته

فليختنق به حتى يموت، ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ الْحَبْلَ بَعْدَ الْاِخْتِنَاقِ﴾. وقيل: «ثم ليقطع» أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُمْ﴾، صنعه وحيلته، ﴿مَا يَغِيظُ﴾ «ما» بمعنى المصدر، أي: هل يذهبن كيده وحيلته غيظه، معناه: فليختنق غيظاً حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق الموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم ترض هذا فاختنق ومث غيظاً. وقال ابن زيد: المراد [من السماء] السماء المعروفة، ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله، فإن أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتي من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف، فقالوا: لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميروننا ولا يأووننا فنزلت هذه الآية.

وقال مجاهد: النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة إلى «من» ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، نزلت فيمن أساء الظن بالله عز وجل وخاف ألا يرزقه الله، فليمدد بسبب إلى السماء أي إلى سماء البيت، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغني، وهو خيفة أن لا يرزق، وقد يأتي

النصر بمعنى الرزق، تقول العرب: من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله، قال أبو عبيدة: تقول العرب: أرض منصورة، أي ممطورة، قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، ويعقوب ثم ليقطع، ثم ليقضوا» بكسر اللام، والباقون بجزمها لأن الكسل لام الأمر، زاد ابن عامر «وليوفوا ندورهم وليطوفوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللام فيهما، ومن كسر في «ثم ليقطع» وفي: «ثم ليقضوا» فرق بأن ثم مفصول من الكلام، والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء في قوله: «فلينظر».

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي ومثل ذلك يعني: ما تقدم من آيات القرآن، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾، يعني: القرآن ﴿بِأَيِّتٍ يَبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ أَشْرَكَوا﴾، يعني: عبدة الأوثان، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْعِلُ بَيْنَهُمْ﴾، يحكم بينهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلْتَرَى﴾، ألم تعلم، وقيل: ﴿أَلْتَرَى﴾ بقلبك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ﴾، قال مجاهد: سجودها تحول ظلالتها. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما

من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع له مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض ﴿فَالْتَأْتَيْنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال في وصف الحجارة ﴿وَلَيْدٌ يَنْهَاكُمَا يَهْبِطُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا مذهب حسن موافق [لقول أهل] السنة.

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، أي: من هذه

الأشياء كلها تسبح الله عز وجل «وكثير من الناس» يعني المسلمين. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالمهم لله عز وجل والواو في قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، واو الاستئناف. ﴿وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ﴾ أي: يهتد بالله ﴿فَمَا لَمْ يَمُنْ بِكُفْرِهِ﴾ أي: من يذله الله فلا يكرمه أحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشئته. قوله تعالى: ﴿هَذَانِ حَصْحَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره، والخصم اسم شبيه بالمصدر، فلذلك قال: ﴿أَخْضَمُوا﴾ بلفظ الجمع كقوله: ﴿وَهَلْ أُنْتَك تَبَوَّأَ الْخَصْمَ إِذْ سَوَّرُوا الْأَجْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، واختلفوا في هذين الخصمين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ بِآيَاتٍ يَبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ أَشْرَكَوا﴾
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْعِلُ بَيْنَهُمْ﴾
 ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
 ﴿أَلْتَرَى﴾
 ﴿يَسْجُدُ لَمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ﴾
 ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
 ﴿هَذَانِ حَصْحَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ﴾
 ﴿وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ﴾
 ﴿فَمَا لَمْ يَمُنْ بِكُفْرِهِ﴾
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
 ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾

٢٢٤

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا يعقوب بن إبراهيم، أنا هشيم، أنا أبو هاشم عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هَذَانِ حَصْحَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني أبي ربيعة، والوليد بن عتبة.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا حجاج بن منهال، ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي قال أنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة،

قال قيس وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ حَصَّانٍ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

قال محمد بن إسحاق خرج - يعني يوم بدر - عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، وعبدالله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا حين انتسبوا: أكفاء كرام، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب ويا علي بن أبي طالب، فلما دنوا قالوا من أنتم؟ فذكروا فقالوا: نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة، وعليّ الوليد بن عتبة، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه، ففكر حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فذقفا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه، وقد قطعت رجله ومخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألسنتُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً فعلم، أنا أحق بما قال منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهب عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله أمنا بنينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتهم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم.

وقال مجاهد: وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا. وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٦٩] الآية فجعل خمسة للنار وواحد للجنة.

﴿١٩﴾ فقله تعالى: ﴿هَذَانِ حَصَّانٍ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم. وقال عكرمة: هما الجنة والنار اختصمتا كما:

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا أبو بكر القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ؟» قال الله عز وجل للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار

فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، فهناك تمتلئ ويروي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ قال سعيد بن جبیر: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمى أشد حرّاً منه وسُمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من نار، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ والحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

﴿٢٠﴾ ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [من الأمعاء] يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أدبتهما، أصهرها صهراً، معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: يشوي حرها جلودهم [وما في بطونهم] فتساقط.

أخبرنا أبو بكر [محمد بن عبدالله بن أبي توبة، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة واسمه عبدالرحمن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى

يخلص إلى جوفه فيسلبت ما في جوفه حتى يثرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَفْعٌ مِنْ حديدٍ﴾، سباط من حديد واحدها مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجز من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً.

وفي الخير: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض».

﴿١٢﴾ ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ﴾، يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم ﴿أَعْيِدُوا فِيهَا﴾، يعني: ردوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقيمهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهون فيها سبعين خريفاً. ﴿وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، أي: تقول لهم الملائكة دوقوا عذاب الحرير، أي: المحرق مثل الأليم والوجيع، قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين.

وقال في الآخر هم المؤمنون. ﴿١٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الَّذِينَ يَكْفُرُ وَأَمْثَلَهُمْ وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ فَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، جمع سوار، ﴿وَلَوْلُؤُا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم «لؤلؤا» ههنا وفي سورة الملائكة [فاطر: ٣٣] بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤاً، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالالف، وقرأ الآخرون بالخفض

عطفاً على قوله: «من ذهب» وترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها فيها كما أثبتوا في: قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة، لأن الهمزة حرف من الحروف ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

أخبرنا عبدالواحد بن

أحمد المليحي، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن قتادة، عن داود السراج، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو».

﴿١٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ [الزمر: ٧٤] هدوا إلى صراط الحميد، إلى دين الله وهو الإسلام، والحميد هو الله المحمود في أفعاله [واقواله].

سورة الحج

سورة الحج

﴿١٥﴾ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّبِيلِ الْكَرِيمِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَكَفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَنَزَّلْنَاهُ فِيهِ بِالْحَكِيمِ يُظَلُّونَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾
﴿١٧﴾ ﴿وَذُوقُوا إِنَّا بَرَزْنَا بِكُمْ الْبَيْتَ أَنْ لَا تَشْرَفُوا بِهِ ذَيْبًا وَطَهَّرْنَا بِهِ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
﴿١٨﴾ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَنِيبٍ﴾
﴿١٩﴾ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلَّمُوا مَرْثَدًا وَطُغْرًا الْأَنْعَامِ الْقَوْمِ﴾
﴿٢٠﴾ ﴿ثُمَّ لَيَقْسُواُنَّفُسَهُمْ وَلْيُفَوِّقُوا ذُرْوَاهُمْ وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾
﴿٢١﴾ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا سَلَّ عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا الرَّحْمَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

٢٢٥

﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عطف المستقبل على الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٧]، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدم، ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون ﴿وَالسَّبِيلِ الْكَرِيمِ﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ﴾، قبله لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً كما قال: ﴿وَضَعِ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ﴿سَوَاءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: «سواء» نصباً بإيقاع الجعل عليه [لأن الجعل] يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستويماً فيه، ﴿الْعَنَكَفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتمازج الكلام عند قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ وأراد بالعاكف: المقيم

فيه، وبالبادي الطاريء المنتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم «سواء العاكف فيه والباد» يعني في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية: هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال آخرون المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به، ليس أحدهما بأحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يزجج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. قال عبدالرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم.

وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يخلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول - وهو الأقرب إلى الصواب - يجوز، لأن الله تعالى قال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَخْرُجُونَ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

فنسب [الديار إليهم نسبة] ملك، واشترى عمر داراً للمسجد بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها، وهذا قول طاووس وعمر بن دينار، وبه قال الشافعي. قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ أي: فسي المسجد الحرام ﴿يُلْحِكُمْ يُلْحِكُمْ﴾

وهو الميل إلى الظلم، والباء في قوله: ﴿يُلْحِكُمْ﴾ زائدة كقوله: ﴿تَلْتَلُتُ بِاللَّهْقِينِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، قال الأعشى: ضمنت برزق عيالنا أرماحنا، أي: رزق عيالنا. وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه أن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وعبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم، أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام من قتل صيد، أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: هو احتكار الطعام بمكة. وقال عبدالله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ يُلْحِكُمْ يُلْحِكُمْ يُرِدُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب عليه، ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم يقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو يبيلد آخر أذاه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلا أن يتوب. وروي عن عبدالله بن عمر [و] أنه كان له فسطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فستل عن ذلك فقال: كنا نحدث أن من

الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْبَيْتِ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾، أي: وطأننا، وقال ابن عباس: جعلنا وقيل: بينا. قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبدءاً لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء في زمن الطوفان، ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكتبت له ما حول البيت على الأساس. وقال الكلبي: بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي قدري فبنى عليه. قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿وَلِهَؤُلَاءِ نَبِيٌّ لِلْعَالَمِينَ﴾، أي: الذين يطوفون بالبيت [من دنس الذنوب]، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، أي: المصلين.

﴿٣٧﴾ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّبَاتِ﴾ أي: أعلم وناد في الناس، ﴿بِالْحَجِّ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم على المقام فارتفع [به] المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتاً فكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: ليك

اللهم ليبيك، قال ابن عباس: فأول من أجاب أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً.

وروي أن إبراهيم صعّد أبا قبيس ونادى. وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة، وزعم الحسن أن قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع.

وروي أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا».

قوله تعالى: ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ كَيْفٍ مِنْهَا عَلَىٰ رِجْلِهِمْ مَطْمَئِنِينَ﴾، أي: خشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وصائم وصيام، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَسَىٰ أَمْرُهُ أَنْ كُفِّرَ بَدَلًا وَسَءَ عَذَابًا﴾، أي: ركبانياً على كل ضامر، والضاامر: البعير المهزول. ﴿يَأْتُونَكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ عَرِيضِينَ﴾ أي: من كل طريق بعيد، وإنما جمع يأتين لمكان «كل» أراد النوق.

﴿لِيَشْهَدُوا﴾، ليحضروا، ﴿مَنْفَعٍ لَّهُمْ﴾، قال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي الباقر: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. قال مجاهد: التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة. ﴿وَيَذَكَّرُوا﴾، يعني أسم الله في أيام معلومته، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل: لها معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروي عن علي رضي الله عنه: أنها يوم

النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق [لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها]، ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما:

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله قال في قصة حجة الوداع: وقدم علي بدين من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة بيله ونحر علي ما بقي، ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر، فأكل من لحمها وحسبها من مرقتها.

واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل

منه شيئاً؟ مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَمَرُوا الْبَيْتَ أَلْفَيْنَ﴾، يعني: الزمن الفغير الذي لا شيء له والبياس الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

﴿ثُمَّ لَيَقْعُنَّهَا نَجْفُهُنَّ﴾، التفت: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لمن تستغفره: ما أنفك، أي أوسخك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره، فقضاء التفت: إزالة هذه الأشياء ليقضوا نفثهم، أي: يزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالتحلق، وقص الشارب، وتنف الإبط، والاستحداد، وقلم الأظفار، ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: «قضاء التفت»: مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج، وأخذ الشارب وتنف الإبط، وحلق العانة، وقلم الأظفار. وقيل: التفت ههنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا نعرف التفت ومعناه إلا

من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليطمئنها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذر ولم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وقى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر «وليؤفوا» بنصب الواو وتشديد الفاء، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم، وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أحمد هو ابن عيسى، أنا ابن وهب، أنا عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبدالرحمن بن نوفل القرشي [أنه] سأل عمرو بن الزبير فقال: قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة، ثم عمر مثل ذلك، ثم حج عثمان فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد

الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ «أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً ثم يصلي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعاً».

والطواف الثاني هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، ثنا أبي، أنا الأعمش، أنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: ما حاضت صافية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي ﷺ: «عقرى حلقى» أطافت يوم النحر؟ قيل: نعم، قال: فانفري».

ثبت بهذا أن [من] لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر، والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان عن سليمان الأحول، عن طاوس عن ابن

عباس قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض». والرمل مخصص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع.

قوله: ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ اختلفوا في معنى العتيق، قال ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وقتادة: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. قال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط، وقال الحسن وابن زيد: سمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال: دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من الغرق، فإنه رفع أيام الطوفان.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾، أي معاصي الله وما نهى [الله] عنه، وتعظيمها ترك ملابتها. قال الليث: حرمت الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمت ههنا: المناسك بدليل ما يتصل بها. من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمت ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام. ﴿فَوَّ حَيْرَ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، أي: تعظيم الحرمت، خير له عند الله في الآخرة. ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآفَاقُ﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿إِلَّا مَا

يُنْزَلُ عَلَيْكُمْ، تحريمه، وهو قوله في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْبَتُهُ وَالَّذِي﴾ [المائدة: ٣]، الآية، ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: عبادتها، يقول كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب، والرجس: بمعنى الرجز. وقال الزجاج: «من» ههنا للجنس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور.

وروي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله»، ثم قرأ هذه الآية.

وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾، مخلصين له، ﴿عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يُسمون حنفاء، فنزلت: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ﴾، أي: سقط، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، إلى الأرض، ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقر أهل المدينة «تخطفه» بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ﴾، أي: تميل وتذهب به، ﴿فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾، أي بعيد، معناه أن بعد من أشرك

بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل [إليه] بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرון على شيء منها.

﴿ذَلِكَ﴾، يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿وَمَنْ يَعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، قال ابن عباس: «شعائر الله» البُذُن والهدى، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدى، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: «شعائر الله» أعلام دينه، فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾، أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، «منافع»، في ذرها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إِلَّا أَجَلُ سَمِيٍّ﴾، وهو أن يسميها ويوجبها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وفتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها

حُنَفَاءَ لِلَّهِ عَبْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءَ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مِنْ نَفْعٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يُحْمَلُ إِلَىٰ بَيْتِ السَّبِيحِ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَكُلُوا مِنْهُمَا مِمَّا كَانَتْ مِنْهُ الْأَنفُسُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَمَنْ يَعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَرْغَبُوا عَنْ آلِهَتِهِمْ كَمَا كَانَ آلِهَتُهُمْ لِتَدِينَهُمْ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ ذَكَرَ اللَّهُ لِمَلَكَاتِهِ قُلُوبَهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا صَابَهُمْ وَالْمُهَيَّيِّسِينَ لِلنَّوَارِثِ وَرَفَقْتَهُمْ بِغُفْرَانٍ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَدْ عَلِمُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَسْأَلَهُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ ذَكَرَ اللَّهُ لِمَلَكَاتِهِ قُلُوبَهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا صَابَهُمْ وَالْمُهَيَّيِّسِينَ لِلنَّوَارِثِ وَرَفَقْتَهُمْ بِغُفْرَانٍ ﴿٣٩﴾ لَنْ يَخَالَ اللَّهُ سُوءَهَا وَلَا مَنَاقِبَهَا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ فَذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَأَنذَرْتَهُمْ جَوَارِحَهَا فَأَكْبَرُوا وَآمَنُوا بِهَا وَقَالُوا الْمَعْرُوفُ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾ لَنْ يَخَالَ اللَّهُ سُوءَهَا وَلَا مَنَاقِبَهَا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ فَذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَأَنذَرْتَهُمْ جَوَارِحَهَا فَأَكْبَرُوا وَآمَنُوا بِهَا وَقَالُوا الْمَعْرُوفُ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٢﴾

هدياً بأن تركوبها وتشربوا ألبانها عند الحاجة «إلى أجل مسمى»، يعني إلى أن تنحروها، وهو قول عطاء بن أبي رباح، واختلف أهل العلم في ركوب الهدى، فقال قوم: يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، لما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال [له] «اركبها»، فقال [يا رسول الله] إنها بدنة، فقال: اركبها، وملك، في الثانية أو الثالثة وكذلك قال له: «الشرب لبنها بعدما فضل عن زبي ولدها».

وقال أصحاب الرأي: لا يركبها.

وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه. وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهدة مكة، ﴿لَكَرَ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ بالتجارة والأسواق ﴿إِنَّ أَحْلَلَ مُسَى﴾، وهو الخروج من مكة. وقيل: ﴿لَكَرَ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ بالأجر والثواب في قضاء المناسك ﴿إِنَّ أَحْلَلَ مُسَى﴾، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثُمَّ حِجَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: ﴿فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله.

وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت ههنا ومئى كلها منحرف فانحروا في رحالكم».

ومن قال «الشعائر» المناسك قال معنى قوله: ﴿ثُمَّ حِجَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيادة يوم النحر.

﴿٣٤﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جَعَلْنَا مَنَاسِكَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع، يعني مذبحاً وهو موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: ﴿بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾

وقيدها بالثعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَآئِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، ﴿فَلَهُمْ أَشْرَافُ الْأَعْيُنِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. قال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّانِدِينَ عَلَىٰ مَا أَنصَابُهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿وَالْقَائِمِينَ صَلَواتُ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، أي: يتصدقون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْبُدْنَ﴾، جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بَدُنُ الرجل بدناً وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال بدن تديناً. قال عطاء والسدي: البدن الإبل والبقر أما الغنم لا تسمى بدنة. ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، من أعلام دينه، سميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لَكَرَ فِيهَا حَبِيرٌ﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فَاذْكُرُوا﴾

اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: عند نحرها، ﴿صَوَافٍ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها، وبدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن مسلمة، أنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أتاخ بدنة ينحرها، قال: ابعتها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ.

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث [قوائم]، وقرأ ابن مسعود «صوافن» وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف، وقرأ أبي الحسن ومجاهد: «صوافي» بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿فَإِذَا وَجِئْتَ جَوُوفَهَا﴾، يعني: سقطت بعد النحر ووقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغرب، ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا﴾، أمر بإساحة، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَةَ﴾، اختلفوا في معناها، فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: «القانع» الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطي ولا يسأل، و«المعتر» الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يتعرض ولا يسأل، والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من

القنعة، يقال: قنع قنعة إذ رضي بما قُسم له. وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: القناع الذي يسأل، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل، فيكون القناع من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل. وقرأ الحسن «والمعترى» وهو مثل المعتر، يقال: عره واعتبره وعراه واعتراه إذا أتى يطلب معروفه، إما سؤالاً وإما تعرضاً. وقال ابن زيد: «القناع»: المسكين، و«المعتر»: الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم. «وَكذلكَ سَخَرَهَا لَكُمْ» وصفاً من نحرها قياماً، «سَخَرَهَا لَكُمْ»، نعمة منا لتمكنوا من نحرها، «لَمَلَكُمْ تَكْفُرُونَ»، لكي تشكروا إنا على ما أنعمنا عليكم.

﴿٣٧﴾ «لَنْ يَبَالِ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا بِمَآئِهَا»، وذلك أن [أهل] الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله، فأنزل الله هذه الآية: «لَنْ يَبَالِ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا بِمَآئِهَا» قرأ يعقوب «تنال وتناله» بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء، قال مقاتل: لن يُرْفَع إلى الله لحومها ولا دماؤها، «وَلَكِنْ يَبَالِ التَّقْوَى مِنْكُمْ»، ولكن تُرْفَع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص وما أريد به وجه الله تعالى «كَذلكَ سَخَرَهَا لَكُمْ»، يعني: السبد، «لِشَاكِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ»، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول [أحدكم]: الله أكبر على ما هدانا

والحمد لله على ما أبلانا وأولاننا، «وَيَشْرِي الْمُحْسِنِينَ»، قال ابن عباس: الموحدون.

﴿٣٨﴾ قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا»، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «يدفع»، وقرأ الآخرون «يدافع» بالالف، يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم من المؤمنين.

﴿٣٩﴾ «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ»، يعني: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله

فجعلوا معه شريكاً وكفروا بنعمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

﴿٣٩﴾ «أَذِنَ»، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: «أذن» بضم الف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، «لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ»، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص «يقاتلون» بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد «يُقَاتِلُونَ» المشركين.

قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز

﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِظُرُوعِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَرَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَفَسَدْتُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَرَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَفَسَدْتُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَرَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَفَسَدْتُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَرَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَفَسَدْتُمْ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْكُمْ حَرَابٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَفَسَدْتُمْ

وجل هذه الآية، وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال ونزلت هذه الآية بالمدينة. وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في قوم بأعيناتهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمتنعون [من الهجرة إلى رسول الله] فإذا أذن الله لهم في قتال الكفار الذين يصنعونهم من الهجرة، «بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا»، يعني: بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، «وَلَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَقْدِيرٌ».

﴿٤٠﴾ «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ»، بدل من الذين الأولى «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ»، يعني: لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده، «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ»، بالجهاد وإقامة الحدود، «لَفَسَدَتِ»، قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والكثير والتشديد

وَسَتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَأَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عَصَدْتَكَ كَالَّذِينَ اسْتَفْتَوْا مَا نَقُودُ ﴿٤١﴾ وَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتَرَخْنَاهَا وَأَبَى الْعَصِيدُ ﴿٤٢﴾ فَلْيَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّمَا آتَاكَ كُرْهُنَّ يُجِيبُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْبَسَ مَا سَأَلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجْمِ ﴿٤٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا أَنْتَ مَعَهُ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّتَيْهِ فَجَسَّعَ اللَّهُ مَا يَلْفِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْحِكُ اللَّهُ مَا يَلْفِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٦﴾ لِيَجْعَلَ مَا يَلْفِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَ الْآخِرَةِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْفَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وَلَا تَزَالُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي رَيْبٍ مِمَّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ يُعْقَبُونَ ﴿٤٩﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿٤١﴾ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه ومعنى «مكناهم في الأرض»: نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا في البلاد، قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ. قال الحسن: هذه الأمة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ الْأَمْرُ﴾، يعني: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه، يعني يبطل كل ملك

سوى ملكه، فتصير الأمور [كلها] إليه بلا منازع ولا مدع.

﴿٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ﴾، يعزي نبيه ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُوحٌ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطٍ﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾، يعني: أمهلتهم وأخرت عقوبتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ﴾، عاقبتهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، يعني: إنكارى، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك، يخوف به من يُخَالِفُ النبي ﷺ ويكذبه.

﴿٤٥﴾ ﴿فَكَأَنَّمِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، بالتاء، هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون «أهلكناها» بالنون والألف على التعظيم، ﴿وَهُمْ ظَالِمَةٌ﴾، يعني: وأهلها ظالمون، ﴿فَتَرَخْنَاهَا﴾

ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهِمْ﴾، على سقوفها، ﴿وَيَبْرُ مُعْطَلُونَ﴾: يعني وكم بشر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم شاد بناءه إذا رفعه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء:

مجصص من الشيد، وهو الجص. قيل: إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر فعلى قلة جبل، والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، وبقي البئر والقصر خاليين. وروى أبو روق عن الضحاك: أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حضوراء، وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصلاح، نجوا من العذاب، أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضره مات صالح، فسمي حضرموت، لأن صالحاً لما حضره [الموت] مات فبنوا [القرية وسميت] حضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً فأقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا [بخالق الأرض والسموات] فأرسل الله إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان، وكان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق فأهلكهم الله، وعطلت بشرهم وخربت قصورهم.

﴿٤٦﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: كفار مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار

يختص بالكثير، ﴿صَوَامِعَ﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿وَبِيْعَ﴾، يعني: بيع النصراني جمع بيعة وهي كنيسة النصراني، ﴿وَصَلَوَاتَ﴾، يعني كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية صلوتا، ﴿وَمَسْجِدَ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ، ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض [بالمجاهدة وإقامة شرائع كل ملة] لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام فإنها لا تنقطع إذا دخل العدو عليهم. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، يعني: ينصر دينه ونبيه،

القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿فَأَنهَآ﴾، الهاء عماد، ﴿لَا تَمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ذكر التي في الصدور تأكيداً كقوله: ﴿يَطِيرُ بِمَنَاجِرِهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضرار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر: بلغة ومتمعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

﴿وَسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء. ﴿وَلَنْ يُغْلِبَ اللَّهُ وَعَدَّهُمْ﴾، فأنجز ذلك يوم بدر. ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: يعدون بالياء هنا لقوله: «يستعجلونك»، وقرأ الباقون بالياء لأنه أعم، ولأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين واتفقوا في تنزيل السجدة [٥] أنه بالياء، قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقداره خمسمائة سنة».

قال ابن زيد: ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هذه أيام الآخرة. وقوله: ﴿كَانَ يَمْدَادُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يوم

القيامة. والمعنى على هذا: أنهم يستعجلون بالعذاب في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة.

وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الشقل والاستطالة والشدة كآلف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار.

وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء، لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير، فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿وَكَايُنَ مِن قَرْيَةٍ آتَيْتُهَا﴾، يعني أمهلتها، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّمَا أَتَتْهَا وَإِنَّ لِرَبِّكَ لَمَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعَى لِي مِثْلُكُمْ فَأَلِّقُوا يَدِي وَأَعِزُّوا أَلْسِنَتِكُمْ لَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، الرزق الكريم: الذي لا ينقطع أبداً. وقيل: هو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَكِينِنَا﴾، يعني عملوا في إبطال آياتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «معجزين» بالتشديد هنا وفي سورة سبأ [٥] يعني مثبتين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرون «معاجزين» بألف أي يعني معاندين مشاقين.

وقال قتادة: معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، معنى

يعجزوننا، أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمُنُونَ بِنُوحٍ أَن يَسْفُتُونَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿أَوَلَيْتَ أَنَّكَ أَهْلُكَ بِمِثْلِهِمُ﴾، وقيل: معاجزين مغالبيين يريد كل واحد أن يظهر عجز بصاحبه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّاهُ﴾ ألقى الشيطان في أمميتهم، الآية.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين: لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحثتهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَأَنزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنِ وَالْقُرْآنِ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه: «تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى»، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطعا السجود.

بماتح عباده بما يشاء. ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾، أي: يُبطله ويذهبه، ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ أَلَيْنَهُمْ﴾، فيبشئها، ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَّةً﴾، أي: محنة وبليّة، شك ونفاق، ﴿وَالْقَائِيَةَ﴾، يعني: الجافية، ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، عن قبول الحق وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نُسخ ورفع فازدادوا عُتْواً، وظنوا أن محمداً يقوله من عند نفسه ثم يندم فيبطل، ﴿وَأَنَّكَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركين، ﴿لَقَدْ شَقَّيْنَا﴾ [أي] ضلال، بعيد أي: في خلاف شديد.

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَلْعَمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى، ﴿أَنَّهُمْ﴾، يعني: الذي أحكم الله من آيات القرآن هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِمْ﴾، أي: يعتقدوا أنه من الله، ﴿فَتَخَيَّرَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾، يعني: فتسكن [وتطمئن] إليه قلوبهم، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: [إلى] طريق قويم هو الإسلام.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي رَبِّهِمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يعني في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون: ما باله ذكر آلهتنا بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج: ﴿مِثْقَالَ﴾ [أي] من القرآن. وقيل: من الدين وهو الصراط المستقيم. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، يعني: [يوم] القيامة. وقيل: الموت، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ صَدَابُ يَوْمٍ عَجِيبٍ﴾، قال

مما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته يعني مراده. وعن ابن عباس قال: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سيلاً، وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه يتمن ولم يتمنى ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله ﴿سَمِعُوا﴾ يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ﴾، يعني في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تمتلى كتاب الله أوّل ليلة
وأخرها لاقى حمام المقادر

﴿٥٥﴾ واختلفوا في أنه هل كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة؟ فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين وقال جلّ ذكره في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ يعني إبليس؟ قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم: إن الرسول ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول الله ﷺ قرأه. وقال قتادة: أغفى النبي ﷺ إغفاءةً فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر، والأكثر قولوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نيهه الله عليه وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى والله تعالى

وتفرقت قريش وقد سزهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أنه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله عز وجل، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً فأنزل الله هذه الآية يعزيه، وكان به رحيماً، وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش. وقيل: [قد] أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائهم، وقالوا: هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً، فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك، وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه، وشدة على من أسلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً، ﴿وَلَا نُبَيِّنُ﴾ وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. ﴿إِلَّا إِنْكَارَ نَسِيٍّ﴾، قال بعضهم: أي: أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه

الضحك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة. والأشثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير، كالريح العقيم التي لا تأتي بغير سحاب ولا مطر، [والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا منع من الولد]، وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

﴿الْمَلِكُ يُوعِظُ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿يَلِيهِ﴾، من غير منازع، ﴿يَمُكِّمُ بَيْنَهُمْ﴾، ثم بين الحكم، فقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر «قتلوا» بالشديد ﴿يُنَزِّلْنَاهُمْ مِنْ سَّمَاءٍ حَسَنًا﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، ﴿وَأُولَٰئِكَ اللَّهُ لَهُمْ حَقِيرٌ الرَّزْقِينَ﴾ قيل: هو قوله: ﴿بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْوَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

﴿يُنزِّلْنَاهُمْ مِنْ سَّمَاءٍ حَسَنًا﴾، لأن لهم فيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين، ﴿وَأُولَٰئِكَ اللَّهُ

لَعَلَّيْهِمْ﴾، بنياتهم، ﴿حَلِيمٌ﴾، عنهم.

﴿ذَلِكَ﴾، يعني: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾، جازى الظالم بمثل ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ثُمَّ يُعَىٰ عَلَيْهِ﴾، يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني، ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى

مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال لأجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغية عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، قال الله تعالى: ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَعُوذٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، عفا عن مساوي المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

﴿ذَلِكَ﴾ يعني ذلك النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ [بأنه] القادر على ما يشاء، فمن قدرته بأنه، ﴿يُؤَلِّجُ النَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي النَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

الْمَلِكُ يُومِرُ بِاللَّهِ يَمُكِّمُ بَيْنَهُمْ كَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا يُنَزِّلْنَاهُمْ مِنْ سَّمَاءٍ حَسَنًا ﴿٥٨﴾ لِيُنزِّلْنَاهُمْ مِنْ سَّمَاءٍ حَسَنًا ﴿٥٩﴾ اللَّهُ لَهُمْ حَقِيرٌ الرَّزْقِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ لَمَعُوذٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَمَعُوذٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ يُولِجُ النَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي النَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا تَشْعُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَيَّرَ مِنَ الْأَرْضِ حَبًّا لِيَأْكُلُوا مِنْهُ وَمِنَ الْوَعْرِ أَعْنَابٌ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَآلِافًا مِنْ عَذَابٍ لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾

﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا تَشْعُرُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص: بالياء وقرأ الآخرون بالفاء، يعني المشركين، ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ﴾، العلي على كل شيء، ﴿الْكَبِيرُ﴾، العظيم الذي كل شيء دونه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَيَّرَ مِنَ الْأَرْضِ حَبًّا لِيَأْكُلُوا مِنْهُ وَمِنَ الْوَعْرِ أَعْنَابٌ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ لَآلِافًا مِنْ عَذَابٍ لَّا يَشْعُرُونَ﴾، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿حَبًّا﴾، بما في قلوب العباد واستخراج النبات من الأرض إذا تأخر المطر عنهم.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، عبيداً وملاكاً، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ الْعَذَابُ﴾، عن عباده، ﴿فَلْيَتَذَكَّرُوا﴾، في لعناله.

الْقُرْآنَ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَسَيَكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَبُّهُمُ الرَّحِيمُ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُهُ فَلَا تَنْتَرِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَمَلَ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلْتُمْ فَقُلِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَصِيدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقُوا بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا يَنْتَبِهُوا فَرِحُوا بِأَلْبَابِهِمْ كَفَرُوا الْفُكْرَ كَادُوا يَسْطُرُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُ ذِكْرِ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الْبَرِّ كَفَرُوا وَيَسُ الْصَّيْرُ ﴿٧٢﴾

موضع قربان يذبون فيه. وقيل: موضع عبادة. وقيل: مألفاً بالفنونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه «مناسك» الحج لشردد الناس إلى أماكن أعمال الحج. «فلا يَنْتَرِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ»، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء، وبشر بن سفيان، ويزيد بن خنيس، قالوا لأصحاب النبي ﷺ: مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما

قتله الله؟ قال الزجاج: معنى قوله: «فلا يَنْتَرِعَنَّكَ» أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز: لا يضرينك فلان وأنت تريد: لا تضربه، وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. «وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ»، إلى الإيمان بربك، «إِنَّكَ لَمَلَ هُدًى مُسْتَقِيمٍ». ﴿٦٧﴾ «وَلِنْ جَدَلْتُمْ فَقُلِ اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا تَعْمَلُونَ». ﴿٦٨﴾ «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف: ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر. ﴿٦٩﴾ «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ رَبِّهِ»، يعني وسخر لكم الفلك، «تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ رَبِّهِ»، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تركب في البر، والفلك التي تركب في البحر، «وَسَيَكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ»، لكيلا تسقط على الأرض، «إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَبُّهُمُ الرَّحِيمُ». ﴿٦٦﴾ «وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ»، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ»، عند انقضاء آجالكم، «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»، يوم البعث للشواب والعقاب، «وَلِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ»، لنعم الله [عز وجل]. ﴿٦٧﴾ «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُهُ»، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. وروي عنه أنه قال: عيداً. قال قتادة ومجاهد:

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ»، كله، «فِي كِتَابٍ»، يعني اللوح المحفوظ، «وَلِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ»، يعني: علمه لجميع ذلك، «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

﴿٧٠﴾ «وَصِيدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقُوا بِهِ سُلْطَنًا»، حجة وبرهاناً، «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ»، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، «وَمَا لِلظَّالِمِينَ»، المشركين، «مِنْ نَصِيرٍ»، مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿٧١﴾ «وَإِذَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا يَنْتَبِهُوا»، يعني: القرآن، «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ»، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، «بِكَادُوا يَسْطُرُونَ»، يعني: يقعون ويسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبسطون، «بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا»، يعني: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطابه، إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو القهر. «قُلِ»، يا محمد [لهم]، «أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُ ذِكْرِ النَّارِ»، يعني بشرٌ لكم وأكره إليكم من [هذا] القرآن الذي تستمعون، «النَّارِ»، يعني: هي النار، «وَعَدَّهَا اللَّهُ الْبَرِّ كَفَرُوا وَيَسُ الْصَّيْرُ».

﴿٧٢﴾ «يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ»، معنى: ضُرب، جعل، كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة، أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه، وشبه بي الأوثان،

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٍ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا إِلَاتِ الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
 وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئِدُوا مِنْهُ صَمْفَكِ
 الطَّلَبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا كَذَبَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ
 اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِيَّاكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٧﴾
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا وَاعْبَدُوا
 رَبَّهُمْ وَأَقَمُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٧٨﴾
 وَجَهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا حَصَلَ
 عَلَيْكُمْ فِي الْبَيْنِ مِنْ حَرَجٍ وَلَوْلَا إِذْ بَعَثْنَا مِنْكُمْ
 الْمَلْسَلِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لَمَا كُنَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
 وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
 وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٩﴾
 سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْفَتْحِ
 ٢٤١

قَدْرِهِ»، ما عظموه حق
 عظمته وما عرفوه حق
 معرفته، ولا وصفوه حق
 صفته إن أشركوا به ما لا
 يمتنع من الذباب ولا
 ينتصف منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ
 لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي،
 يعني يختار ﴿مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾، وهم
 جبريل وميكائيل وإسرافيل
 وعزرائيل وغيرهم، ﴿وَمِنَ
 النَّاسِ﴾، يعني: يختار من
 الناس رسلاً مثل إبراهيم
 وموسى وعيسى

أي: جعل المشركون الأصنام
 شركائي فعبدها ومعنى ﴿فَاسْتَمِعُوا
 لَهُمْ﴾، يعني: فاستمعوا حالها
 وصفتها، ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾،
 يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء
 والباقون بالتاء ﴿إِنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾،
 واحداً في صفه وقتله لأنها لا تقدر
 عليه، والذباب واحد وجمعه القليل:
 أذية والكثير: ذَبَان، مثل غراب
 وأغرية وغريسان، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا
 لَهُمْ﴾، يعني خلقه، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
 الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئِدُوا مِنْهُ﴾،
 قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام
 بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب
 فاستلب منه. وقال السدي: كانوا

يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع
 الذباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن
 زيد: كانوا يحلون الأصنام بالبواقيت
 واللاكيء وأنواع الجواهر، ويطيبنها
 بالوان الطيب فرما تسقط منها
 واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا
 تقدر الألهة على استردادها، فذلك
 قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾
 أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئاً
 مما عليها لا يقدر أن يستفدوه
 منه، ﴿صَمْفَكِ الطَّلَبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾،
 قال ابن عباس: «الطالب» الذباب
 يطلب ما يسلب من الطيب عن
 الصنم، و«المطلوب» الصنم يطلب
 الذباب منه السلب. وقيل: على
 العكس: «الطالب» الصنم
 و«المطلوب» الذباب. وقال
 الضحاك: «الطالب»: العابد
 و«المطلوب» المعبود.

﴿٧٦﴾ مَا كَذَبَ اللَّهُ حَقَّ

والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي:
 وحدوه، ﴿وَأَقَمُوا الْخَيْرَ﴾، قال ابن
 عباس: صلة الرحم ومكارم
 الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾،
 لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف
 أهل العلم في سجود التلاوة عند قراءة
 هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد
 عندها، وهو قول عمر وعلي، وابن
 عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وبه
 قال ابن المبارك، والشافعي، وأحمد،
 وإسحاق، واحتجوا بما أخبرنا أبو
 عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا
 أبو محمد عبد الجبار بن محمد
 الجراحي، أنا أبو العباس محمد بن
 أحمد المحبوبي، أنا أبو عيسى
 الترمذي، أنا قتيبة، أنا ابن لهيعة عن
 مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر
 قال: قلت يا رسول الله فضلت سورة
 الحج بأن فيها سجدتين؟ فقال: «نعم،
 من لم يسجدنهما فلا يقرأهما».

ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء
 لصلوات الله عليهم أجمعين، نزلت
 حين قال المشركون: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا
 الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، فأخبره أن الاختيار
 إليه، يختار من يشاء من خلقه،
 ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، يعني:
 سميع لقولهم بصير بمن يختاره
 لرسالته.

﴿٧٦﴾ مَا كَذَبَ اللَّهُ حَقَّ
 قال ابن عباس: ما قدموا، ﴿وَمَا
 خَلَفَهُمْ﴾، ما خلفوا. وقال الحسن:
 ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما عملوا ﴿وَمَا
 خَلَفَهُمْ﴾ ما هم عاملون من بعد.
 وقيل: ما بين أيدي ملائكته ورسله
 قبل أن يخلقهم وخلفهم أي ويعلم
 ما هو كائن بعد فنائهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا، يعني: صلوا،
 لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع

وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، [وعدد سجدة القرآن أربع عشرة سجدة عند] أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود. روي ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس، وبه قال مالك.

وقد صح عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في «أقرأ»، وإذا السماء انشقت.

وأبو هريرة من متأخري الإسلام. واختلفوا في سجود ص فذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود، ويروي ذلك عن ابن عباس وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها، يروي ذلك عن عمر، وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، فعند ابن المبارك وإسحاق وأحمد وجماعة سجود القرآن خمسة عشر سجدة فعدوا سجدة الحج وسجدة ص.

روى عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن.

٧٨ قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراخ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: ﴿يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حق عمله وابعده حق عبادته. وقال

مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال أكثر المفسرين: «حق الجهاد» أن يكون بنية صادقة خالصة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى. وقال عبدالله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد.

وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وأراد بالجهاد الأصغر الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس. «هُوَ أَحَبُّكُمْ» يعني: اختاركم لدينه، ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ضيق، معناه أن المؤمن لا يتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ذنب لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسع ذلك عليكم، حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر، والتيمم عند فقد الماء، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار بالسفر والمرض، والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي. وروي عن ابن عباس أنه قال: المَحْرَجُ ما كان على بني

إسرائيل من الأصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ أَزْهَمُ﴾، يعني كلمة أيكم، نصب بنزع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا ملة أيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبه إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقِهِ وَأَنْهَبْهُ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال النبي ﷺ: «إنما، أنا لكم مثل الوالد لولده»، ﴿هُوَ سَمْتَكُمْ﴾، يعني أن الله تعالى سماكم ﴿الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿رَبِّي هَذَا﴾ يعني: في الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد هو يرجع إلى إبراهيم [أي إن إبراهيم هو] سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ مِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿يَكُونُ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾، يوم القيامة أن قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا﴾، أنتم، ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، أن رسلهم قد بلغتهم، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي وَكَّلَ بِهَا مَنَاسِكَتَ الْبَنِي آدَمَ﴾، ثنوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. وروي

عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره. وقيل: معناه ادعوه ليثبتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿فَعَمَّ السُّورَى وَفَعَّ النَّصِيرَى﴾، الناصر لكم.

سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وثمانية عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
أخبرنا [أبو حامد] أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أحمد بن الحسين الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا عبدالرزاق، أنا يونس بن سليمان، أملى عليّ يونس صاحب أيلة، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عبدالقاري قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل علي رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة. وفي رواية: فنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات.

ورواه أحمد بن حنبل وعلي بن

المديني وجماعة عن عبدالرزاق، وقالوا: وأعطنا ولا تحرمنا وأرضنا وارض عنا.

﴿قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، «قد» حرف تأكيد، وقال المحققون (قد) تقرب الماضي من الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال، وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، والفلاح: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مختبون أذلاء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غرض البصر وخفض الصوت، والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبدن والبصر والصوت، قال الله عز وجل: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وعن عليّ رضي الله عنه: هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا. وقال سعيد بن جبير: هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعَةِ مُعَدِّلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَقِّقُونَ ﴿٥﴾ الْإِعْلَانَ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَشَقَّ وَرَدَّهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ذُرْعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الرُّؤُوفُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْبُورَ دُونَ هُمْ فِي مَا خَلَقُوا ﴿١١﴾ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي فَرْجِ رَجُلٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا مِنَ الْمُضْغَةِ عَلَقًا مَكْسُومًا وَالظُّلْمَ لَمَّا تَرَأَى أَنَّهُ أَخْلَقَ مَا خَرَقَ بَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ لَنَّاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَنَّاكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ تَعْمُرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَوْفَكَرًا سَمِعَ طَرِيقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْغَائِقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

٢٤٦

محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، أنا أبو الأحوص، أنا أشعث بن سليم، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد، أنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، أنا عبدالغفار بن عبيد الله الكريدي، أنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت أعرض عنه».

وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن

سيرين وغيره: هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك.

قال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبدالله، أنا يحيى بن سعيد، أنا ابن أبي عروبة، أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم».

وقال عطاء: هو أن لا تعبت بشيء من جسدك في الصلاة.

وروي أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبت بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومي، أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه».

وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سواها، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل ولهو وما لا يحمد من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتيم والسب: قال الله تعالى: ﴿وَلِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدّون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل. وقيل: الزكاة هنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفف عن الحرام.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾، أي: من أزواجهم، «على» بمعنى «من». ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، «ما» في محل خفض يعني أو مما ملكت أيماهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ والمرأة لا يجوز [لها] أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَذْرَ امْرَأَتِهِمْ﴾، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأني، وفي حال الحيض والنفس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

﴿فَمَنْ ابْتَدَىٰ زَوْجًا دُونَ ذَلِكَ﴾،

أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام، وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمةً كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾، قرأ ابن كثير «لأمانتهم» على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج [٣٢]، لقوله تعالى: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ والباقون بالجمع، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَعَهْدِهِمْ رَضُونَ﴾، حافظون، أي يحفظون ما اتتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من [بين العباد] كالودائع والصنائع فعلى العبدالوفاء بجميعها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «صلاتهم» على التوحيد، والآخرين صلواتهم على الجمع. ﴿يَحْفَظُونَ﴾، أي: يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

﴿أُولَٰئِكَ﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هُمُ الزَّٰكِرُونَ﴾، يرثون

منازل أهل النار من الجنة.

وزوي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» وذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. وقال مجاهد: لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي [له] في الجنة ويبني منزله الذي في النار. وقال بعضهم: معنى الورثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف، ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لا يموتون ولا يُخرجون.

وجاء في الحديث: «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يدخلها مدمن خمر، ولا ديوث».

﴿١٢﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: ولد آدم، والإنسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع، ﴿بَيْنَ سُلَيْمَانَ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو [الماء] يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالة، والولد سليلاً وسلالة لأنهما مسلولان منه قوله: ﴿بَيْنَ طَيْنٍ﴾،

يعني: طينة آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: من نطفة سُلت من طين، والطين آدم عليه السلام، وقيل المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿بَيْنَ سُلَيْمَانَ﴾ أي: سل من كل تربة.

﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿فِي قَلْبِهِ مَكِينٌ﴾، حريز، وهو الرحم مكن أي قد هيء لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «عظماً»، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾، أي الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقتين أربعون يوماً. ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾، أي البسناه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر.

وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكراً أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿فَتَبَارَكُ اللَّهُ﴾، أي: استحق التعظيم والشناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾،

المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع.

﴿١٥﴾ وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق [الطير من الطين] كما قال: ﴿أَنِّي أَنشَأْتُ لَكُمْ مِن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ثُمَّ إِنَّا جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٥]، والميت بالشديد، والمات الذي لم يمض بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هنا.

كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿١٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّا جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٦].

﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطابقها، وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة.

﴿وَمَا كُنَّا عَنْ الْمَلَائِكَةِ غَافِلِينَ﴾، أي [لم نحفظ] عن حرسهم بل [كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ كَالنَّجْمِ الَّذِي تَقَعُّ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يَأْتُونَكَ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي. وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

بفتحها، واختلفوا في معناه وفي
﴿هَيْبِينَ﴾ في قوله تعالى: **﴿طُورِ**
سِينٍ﴾ [التين: ٢] قال مجاهد: معناه
 البركة، أي: من جبل مبارك. وقال
 قتادة: معناه الحسن، أي من الجبل
 الحسن. وقال الضحاك: هو
 بالنبطية، ومعناه الحسن: وقال
 عكرمة: هو بالحشبية. وقال
 الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو
 شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة
 بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه
 أشجار مثمرة فهو سينا، وسنين بلغة
 النبط. وقيل: هو فيعال من السناء
 وهو الارتفاع. وقال ابن زيد: هو
 الجبل الذي نُودي منه موسى بين
 مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم
 حجارة بعينها أضيف الجبل إليها
 لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو
 اسم للمكان الذي فيه هذا الجبل،
﴿تَنْبِتُ بِالذَّهْنِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل
 البصرة ويعقوب «تنبت» بضم التاء
 وكسر الباء، وقرأ الآخرون بفتح التاء
 وضم الباء، فمن قرأ [تنبت] بفتح
 التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو
 الزيتون. وقيل: تنبت ومعها الدهن،
 ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه
 فمنهم من قال: الباء زائدة، معناه:
 تنبت الدهن، كما يقال: أخذت ثوبه
 وأخذت بثوبه، ومنهم من قال: نبت
 وأنبت لغتان بمعنى واحد، كما قال
 زهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم
 قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل
 أي: نبت، **﴿وَصَبَّحَ لِلْأَعْلَى﴾**،
 الصبغ والصباغ الإدام الذي يلون
 الخبز إذ غمس فيه ويتصبغ، والإدام

الجنة، من أسفل درجة من
 درجاتها، على جناحي
 جبريل، استودعها الله
 الجبال وأجراها في
 الأرض، وجعل فيها منافع
 للناس، فذلك قوله عزَّ
 وجل: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**
مَاءً يَدْرِي فَاسْكَنْهُ فِي
الْأَرْضِ﴾، فإذا كان عند
 خروج ياجوج وماجوج
 أرسل الله جبريل فرجع من
 الأرض القرآن، والعلم كله
 والحجر الأسود من ركن
 البيت، ومقام إبراهيم
 وتابوت موسى بما فيه،
 وهذه الأنهار الخمسة

فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك
 قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ**
لَقَدِيرُونَ﴾، فإذا رفعت هذه الأشياء من
 الأرض فقد أهلها خير الدين
 والدنيا.

وروي هذا الحديث الإمام
 الحسن بن سفيان، عن عثمان بن
 سعيد بالإجازة، عن سعيد بن سابق
 الإسكندراني، عن مسلمة بن علي،
 عن مقاتل بن حيان.

﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ
بِهِ﴾، يعني بالماء، **﴿جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا**
وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا﴾، في الجنات،
﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، شتاء
 وصيفاً، وخصّ النخيل والأعناب
 بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب.

﴿وَشَجَرَةٍ﴾ أي وأنشأنا لكم
 شجرة **﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾**، وهي
 الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو
 «سيناء» بكسر السين. وقرأ الآخرون

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَاسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَبٍ
 لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ
 طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبِتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّحَ لِلْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَإِن لَكُمْ فِي
 الْأَرْضِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمْ مَنَافِي بَطُونِهَا وَكَرْمِهَا تَسْبُغُ كَثِيرَةٌ
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ بَقُولُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضُلَ عَلَيْكُمْ وَوَسَّاءُ اللَّهُ أَنْزَلَ
 مَلَكًا مَنَسِمْعَانَ بَدَا فِي مَآبِئِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ قَدِ انْصَرَفَ بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
 بِمَا كُنْتُ دُونَهُ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْبِرْ فَالْفَالِكُ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحَّيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَكَرَ التَّائِبُونَ فَاسْتَلْكَ فِي بَيْنِ
 كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مَعْرُوفٌ ﴿٢٧﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾،
 يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما
 يكفيهم للمعيشة، **﴿فَاسْكَنْهُ فِي**
الْأَرْضِ﴾، يريد ما يبقى في الغدران
 والمستنقعات، ينتفع به الناس في
 الصيف عند انقطاع المطر. وقيل:
 فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها
 ينابيع، فماء الأرض كله من السماء،
﴿وَأِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾، حتى
 تهلوكوا عطشاً وتهلك مواشيكم
 وتخرب أراضيكم.

وفي الخبر: أن الله عزَّ وجلَّ أنزل
 أربعة أنهار من الجنة، سيحان،
 وجيحان، ودجلة، والفرات.

وروي مقاتل بن حيان عن عكرمة
 عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال:
 «إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنزل من الجنة
 خمسة أنهار: جيحون، وسيحون،
 ودجلة، والفرات، والنيل، أنزلها الله
 عزَّ وجلَّ من عين واحدة من عيون

كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصح به الخبز أو لا ينصح. قال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودُهناً، فالأدم: الزيتون، والذهن: الزيت، وقال: حُصّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: لأن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان.

٢٦ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْجُمِ لَبِيبَةٌ﴾، يعني: آية تعتبرون بها، ﴿شَفِيكُرًا﴾، قرأ العامة بالنون، وقرأ أبو جعفر ههنا بالثاء وفتحها، ﴿وَمَا فِي بَطُونِهَا وَلَكِنْ فِيهَا مَنِيَعٌ كَثِيرٌ وَمِنَافَا كُفُونٌ﴾.

٢٧ ﴿وَمَنْهَا وَمَنْ عَلَيَّ كُفُونٌ﴾، يعني: على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر.

٢٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ عِزَّةً﴾، معبود سواه، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

٢٩ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾، أن لا يعبد سواه، ﴿لَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا﴾، الذي يدعوننا إليه نوح في مآبِنَا الْأَوَّلِينَ، وقيل: ما سمعنا بهذا أي: بإرسال بشر رسولاً.

٣٠ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَىٰ﴾، يعني: جنون، ﴿فَفَرَقْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، يعني: ففصلنا بينه وبين من يعبدون، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ قَوْمِهِ لِيُذَيِّقَهُمْ وَلَهُمْ لَاقِنٌ غَلِيظٌ﴾، يعني: لم يكن له سلطان على قومه ليذيقهم، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا نِسْرٌ وَالْجَبَابُخَةُ الَّتِي يَكْفُرُونَ فِيهَا﴾، يعني: لهم في جبلها كفرة وفجوة عظيمة، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا جِبَابٌ شَاةٌ لِلَّذِينَ يُبْغُونَ ضِلَالًا عَلَىٰ سُبُلِ الْحَقِّ لِيُكْفِرُوا بِهِمْ﴾، يعني: لهم في جبلها ثياب مبيضة كالضباب للذين يريدون الضلال على سبل الحق ليكفروا به.

٣١ ﴿قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ مِن مَّكْرَتِ النَّاسِ وَالَّذِينَ فِي نُفُوسِهِمْ أَسِنَّةٌ مَّا هُمْ بِأَعْيُنِنَا﴾، يعني: اجنُبني وابني من مكرات الناس والذين في نفوسهم أسنات ما هم بأعيننا.

٣٢ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ نَبِّئْنَا وَنَبِّئِ ابْنَكَ وَمَنْ فِي الْبَيْتِ نَبِّئْنَا وَنَبِّئِ بَنِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَالْحَارِثَ وَنُبِّئْنَا بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُ﴾، يعني: وأوحينا إلى آل إبراهيم أن يصنع الفلك يا إبراهيم، انبئنا وانبئ ابنك ومن في البيت وانبئ بني إسماعيل والحرث وانبئنا بما كنت تعمل.

٣٣ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ آتِيكَ بِهِ خُشْيًا لَّئِن كَانَ عَدُوِّي مُغْلِبًا فَانصُرْنِي مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، يعني: وإذ قال إبراهيم رب انصُرني بما آتيتك به خشياً لأن كان عدوِّي مغلباً فانصُرني مع الكافرين.

٣٤ ﴿وَلَمَّا كَمَّتِ النُّجُومُ انقَضَتْ بِرَأْسِهِ السُّفِينُ فاجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ فَذَكَرَ إِذْ يَقُولُ اضْمُرْ أَعْيُنَكُمْ عَنْ هَذَا وَاذْكُرُوا اللَّهَ إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ فِي الْبَيْتِ الْعَمَامِ يُخَبِّرُ﴾، يعني: ولما كملت النجوم انقضت بالسفينة فاجتمعوا عليه فقالوا اضمر أعينكم عن هذا واذكروا الله إذ أنزل إليكم في البيت العام يخبر.

٣٥ ﴿وَلَمَّا أَصْبَحُ نَزَلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَجَاءَهُمُ الْمَلَأُ فَأَخَذُوا سُورَةُ الْإِنْشَاءِ ذِكْرًا وَمَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَهَا رِقْدًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِالْأَبْصَارِ أَنتَ بَصِيرٌ﴾، يعني: ولما أصبح نزلنا إلى بني إسرائيل فجاءهم الملأ فأخذوا سورة الإنشاء ذكراً وما يتبعها إلا الذين يدعونها رقاداً فاصبر لحكم ربك إنك بالأبصار أنت بصير.

٣٦ ﴿وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ لَدَيْهَا تُدْعَوْنَ أَنصُرُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا خَلْفَ الْأَدْبَارِ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، يعني: ولما نسوا ما كنتم لديها تدعون أنصروا للذين كفروا خلف الأدبار إنهم لكاذبون.

٣٧ ﴿وَلَمَّا فَصَّخَّرْنَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ يَخِفُّونَ مَلَكًا يَنْزِلُ﴾، يعني: ولما فصخخروا عليهم كأنهم يخفون ملكاً ينزل، ﴿وَأَن يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ فَيَقُولَ سَلْطَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَيَقُولُوا سَلْطَنٌ مِّمَّنْ كُنَّا كَاذِبِينَ﴾، يعني: وأن ينزل عليهم ملك فيقول سلطنة من ربكم فيقولوا سلطنة ممن كنا كاذبين، ﴿فَيُنزِّلْنَا حَبَابًا سَاقِطًا فَلْيَلْمُوا أَنفُسَهُمْ لَئِن كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا تَعْوِيلًا﴾، يعني: فننزلنا حباباً ساقطاً فليلموا أنفسهم لأن كانوا لا يفقهون إلا تعويلاً، ﴿فَلْيَقْضُوا الْخُقُوعَ لِغُرُوبِهِمْ وَلَا تَقِمْ لِحُكْمِهِمْ إِلَّا بِرَأْسِهِ إِنْ هُوَ إِلَّا جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْفَرُونَ﴾، يعني: فلْيقضوا الخقوع لغروبهم ولا تقم لحكمهم إلا برأسه إن هو إلا جهنم التي يكفرون.

وقد كنا. وقيل: وما كنا إلا مبتلين أي: مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم.

٣٨ ﴿مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ غُرُورًا﴾، يعني: ملأوا قلوبهم غروراً.

٣٩ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ لَدَيْهَا﴾، يعني: فلما نسوا ما كنتم لديها، ﴿فَجَاءَهُمُ الْمَلَأُ فَأَخَذُوا سُورَةَ الْإِنْشَاءِ ذِكْرًا وَمَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَهَا رِقْدًا﴾، يعني: فلما جاءهم الملأ أخذوا سورة الإنشاء ذكراً وما يتبعها إلا الذين يدعونها رقاداً، ﴿فَلْيَقْضُوا الْخُقُوعَ لِغُرُوبِهِمْ وَلَا تَقِمْ لِحُكْمِهِمْ إِلَّا بِرَأْسِهِ﴾، يعني: فلْيقضوا الخقوع لغروبهم ولا تقم لحكمهم إلا برأسه.

٤٠ ﴿فَلْيَقْضُوا الْخُقُوعَ لِغُرُوبِهِمْ وَلَا تَقِمْ لِحُكْمِهِمْ إِلَّا بِرَأْسِهِ﴾، يعني: فلْيقضوا الخقوع لغروبهم ولا تقم لحكمهم إلا برأسه.

٤١ ﴿وَلَمَّا كَمَّتِ النُّجُومُ انقَضَتْ بِرَأْسِهِ السُّفِينُ فاجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ فَذَكَرَ إِذْ يَقُولُ اضْمُرْ أَعْيُنَكُمْ عَنْ هَذَا وَاذْكُرُوا اللَّهَ إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ فِي الْبَيْتِ الْعَمَامِ يُخَبِّرُ﴾، يعني: ولما كملت النجوم انقضت بالسفينة فاجتمعوا عليه فقالوا اضمر أعينكم عن هذا واذكروا الله إذ أنزل إليكم في البيت العام يخبر.

٤٢ ﴿وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ لَدَيْهَا﴾، يعني: ولما نسوا ما كنتم لديها، ﴿فَجَاءَهُمُ الْمَلَأُ فَأَخَذُوا سُورَةَ الْإِنْشَاءِ ذِكْرًا وَمَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَهَا رِقْدًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِالْأَبْصَارِ أَنتَ بَصِيرٌ﴾، يعني: فلما جاءهم الملأ أخذوا سورة الإنشاء ذكراً وما يتبعها إلا الذين يدعونها رقاداً فاصبر لحكم ربك إنك بالأبصار أنت بصير.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَرَىٰ
 كُلَّ مَلَأَةٍ أُمَّةٍ رُسُلًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
 أَحَادِيثَ فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
 هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٣٩﴾ فَقَالُوا أَأَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
 وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدْوُونَ ﴿٤٠﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ الْمُنْكَرِينَ ﴿٤١﴾
 وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ وَجَعَلْنَا
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِسْرَائِيلَ وَيُوسُفَ نَبِيًّا وَوَضَعْنَا
 مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبَحْرِ فَأَنْجَيْنَاهُ لِيُنشِئَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَضَعْنَا
 عَصَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِ الْفٰرِثِينَ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
 تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ هَدْيَهُمُ الشُّكْرَ أُمَّةٌ وَجِدَّةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ
 فَاتَّقُونِ ﴿٤٤﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
 فَرِحُوا ﴿٤٥﴾ فَذَرَفُوا عَمْرَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَمِيمُ ﴿٤٦﴾ أَيْسَرِينَ إِنَّمَا
 حُدِّثُوا بِمُؤْمِنِي آلِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٧﴾ سَارِعًا لَمْ يَكُنْ فِي الْخَبَرِ إِلَّا يُسْمَعُونَ ﴿٤٨﴾
 إِنَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
 يَأْتِيَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ رَبَّهُمْ لَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾

صلة أي: وقت هلاكها، ﴿وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ﴾، وما يتأخرون عن وقت هلاكهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَرَىٰ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبعته بعضه بعضاً، وبين الخبرين هنيهة، واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بالتونين، ويعقوب بالالف، ولا يميله أبو عمرو في الوقف. [والالف] فيها كالالف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تونين، والوقف عندهم يكون بالياء ويميله الكسائي، وهو مثل قولهم غضبني وسكرني، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل التقوى والتكلان، ﴿كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهالك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمرأ وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هذا في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة، وإنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبِعَظَمَاتِ الْقَوَارِئِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ هِيَ﴾، يعنون الدنيا، ﴿إِلَّا حِكْمَانَا الَّذِي تَمُوتُ وَيَحْيَا﴾، قيل فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يعنون الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُتَعَمِّرِينَ﴾، بمششرين بعد الموت.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعنون الرسول، ﴿إِلَّا رِجْلٌ أَقْرَبَىٰ عَلَىٰ أَنَّهُ كَذِبًا وَمَا تَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين بالبعث بعد الموت.

﴿٣٩﴾ ﴿فَقَالَ رَبِّي اصْرَفِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾، قال عَمَّا قَلِيلٍ، أي: عن قليل «وما» صلة، ﴿بِصَّحْحٍ﴾، ليصيرون، ﴿تَلَوِّينَ﴾، على كفرهم وتكذيبهم.

﴿٤٠﴾ ﴿فَلَمَذَّبْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، يعني صيحة العذاب، ﴿وَالْحَقِّي﴾، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عُشَّةً﴾، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكى فبيسوا ببس الغناء من نبات الأرض، ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوَارِئِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٤١﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا مَلَكُونُ﴾، يعني: أقواماً آخرين. ﴿وَمَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾، يعني: ما تسبق أمة أجلها، «ومن»

﴿٤٢﴾ ﴿وَمَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾، يعني: ما تسبق أمة أجلها، «ومن»

تَرَاكًا وَعَظْمًا أَكْبَرَ تَخْرُجُونَ﴾، ممن قبوركم أحياء وأعاد أنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة عبدالله، نظيره في القرآن: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَنْ يُخَادِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُمُ جَهَنَّمَ خَلِيفًا فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٣].

﴿٤٣﴾ ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، قال ابن عباس: هي كلمة بُعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ أبو جعفر «هيات هيات» بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل ابن وكيف، ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء.

أي: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبيرة وجمعها زبر، ومنه: ﴿زَبْرًا لِّكَلْبِيٍّ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: صاروا فرقاً كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام «زبراً» بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد «زبراً» أي: كتباً يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة آمنوا بالبعث وكفروا بالبعث وحرفوا البعض، ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، أي: بما عندهم من الدين، ﴿فَرِحُونَ﴾، معجبون ومسرورون.

﴿فَذَرَهُمْ فِي عَذَابِهِمْ﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾، إلى أن يموتوا. ﴿إِنَّمَا يُدِثُّهُم بِرَبِّهِمْ نَارًا وَيَوْمَئِذٍ أَتَىٰ مَا نَعُطِيهِمْ وَنَجَعَهُ مَدَدًا لَهُمْ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ فِي الدُّنْيَا﴾.

﴿سَابِغٌ لِّمَنْ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، أي: نعجل لهم في الخيرات، ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿لَا يَشْرُونَ﴾، أن ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن

الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر.

﴿قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾، قال الحسن ومجاهد وقاتدة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿كُلُّوا مِنْ أَكْثَرِ الثَّمِينِ﴾، أي الحلات، ﴿وَأَصْلُوا صَالِحًا﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَنْ هَلِيوُا﴾ قرأ أهل الكوفة و«إن» بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقر بفتح الألف، وخفف ابن عامر النون وجعل «إن» صلة مجازه وهذه «أنتكروا»، وقرأ الباقر بتشديد النون على معنى ويأن هذا تقديره: بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، «أمة واحدة»، أي ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فاحذرون وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: واعلموا أن هذه أمتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾، دينهم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: تفرقوا فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿زُبْرًا﴾

فأنتكروا، تعظموا عن الإيمان، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا ظَالِمِينَ﴾، متكبرين قاهرين [غيرهم] بالظلم.

﴿فَقَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَتَأْتُونَ لِشُرَاقِيْنَ يَثْرِبَ﴾، يعنون: موسى وهارون، ﴿وَقَوْمَهُمَا لَنَا عِدَّةٌ﴾، مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان لملك عابداً له.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُتَكَذِّبِينَ﴾، بالفرق.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿وَمَا لَهُمْ يُبَدِّلُونَ﴾، لكي يهتدي به قومه.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه [جعلنا] شأنهما آية.

وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: ﴿كُنَّا لَبَنَاتَيْنِ إِذْ أَتَىٰ أَكْثَرَهُمَا﴾ [الكهف: ٣٣]. ﴿وَمَا أَوْثَقُوهَا إِلَّا رِبْوَةً﴾، الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلقت الأقوال فيها، فقال عبدالله بن سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحلك: غوطة دمشق. قال أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. قال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين. ﴿فَاتَّوَفَّرُوا﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿وَمَوْبِقٍ﴾، المعين الماء الجاري

«ينطق بالحق» يبين بالصدق، ومعنى الآية لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، إلا ما أطقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به وببينه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾، لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم، ثم ذكر الكفار.

﴿١٧﴾ فقال: ﴿يَلْقَوْنَهُمْ فِي عَذَابٍ﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿مِنْ هَذَا﴾، أي: من القرآن، ﴿وَلَهُمْ أَصْحَابٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي، والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ﴾، ﴿هُمُ لَهَا عِذْرُونَ﴾، لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة، هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين معناه وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر.

﴿١٨﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾، أي: أخذنا أغنيائهم ورؤساءهم، ﴿بِالْعَذَابِ﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر.

وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال:

«اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فابتلاهم الله عز وجل بالقحط حتى أكلوا الكلاب والحييف. ﴿إِذَا هُمْ يَخْتَارُونَ﴾ يضجعون ويجزعون

أخبرنا أبو سعيد [أحمد بن إبراهيم] الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن يوسف، أنا محمد بن حامد حدثنا محمد بن الجهم، أنا عبدالله بن عمرو، أنا وكيع عن مالك بن مغول، عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

قلت يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه».

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْقُرْآنِ﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿وَهُمْ قَاهٌ سَيِّفُونَ﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: ﴿لِمَا نَهَوْا﴾ [الأنعام: ٢٨] أي: إلى ما نهوا، ولما قالوا ونحوها، قال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى الخيرات.

﴿٢٠﴾ قوله: ﴿وَلَا تَكَلَّفْ قَسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً، ومن لم يستطع الصوم فليطهر، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾، وهو اللوح المحفوظ

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٧﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ يَحْطُوا بِهَا سُبْحَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الْعَرَبِيَّ لَا يَكْفِيكَ قَسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿١٨﴾
 يَلْقَوْنَهُمْ فِي عَذَابٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَصْحَابٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عِذْرُونَ ﴿١٩﴾
 حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَارُونَ ﴿٢٠﴾
 لَا يَخْتَارُوا الْيَوْمَ أَكْرَمًا لَأَنْصُرُونَ ﴿٢١﴾ فَكَذَّابَةٌ آيَاتُنِي أَنْتَلِيكُمْ فَبَشِّرْهُنَّ عَنَّا عِقَابًا ذُكَّرْتِكُنَّ رَجَعْتِكُنَّ يَدْرِيسُنَّ فَهَجَّرْنَ ﴿٢٢﴾
 أَفَلَا يَذَكَّرُونَ الْقَوْلَ أَرَجَاهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَرْسُلَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ هُمْ كَرِهُوا لَكُمْ وَيَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾
 فَجَعَلْنَا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَوْ أَرَادَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنبَتْنَاهُمْ بِيَدِكُنَّاهُمْ فَهَتَعُنَّ دُرُكِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٥﴾
 أَمْ تَقْتُلُهُمْ خُرَافًا فَتَرَىٰ رُؤُوسَهُمْ وَهُمْ حَيًّا لَا تَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ لَأَعْتَابًا ﴿٢٧﴾
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ لَأَعْتَابًا ﴿٢٨﴾

البصري: المؤمن من جمع إحساناً وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأماناً.

﴿٢٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ﴾، يصدقون.

﴿٣٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ﴾ لا يشركون.

﴿٣١﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا﴾، أي:

يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، روي عن عائشة أنها كانت تقرأ «والذين يأتون ما أتوا» أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أن ذلك لا ينتجهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، لأنهم موقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم.

ويستغيثون وأصل الجأ رفع الصوت بالتضرع.

﴿لَا تَجْتَرُوا عَيْنَكُمْ﴾، أي لا تضجوا، ﴿إِنَّكُمْ بِنَا لَا تُصْرُونَ﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي نُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ﴾ ترجعون القهقري تتأخرون عن الإيمان.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بَيْنَهُمْ﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فأظهر الأفاضل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذکور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام، وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة.

وقيل: مستكبرين به أي بالقرآن فلا يؤمنون به. والأول أظهر، [ان] المراد منه الحرم، ﴿سَجِرًا﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحد سامراً وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد ومعناه الجمع، كقوله: ﴿ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]، ﴿تَهْجُرُونَ﴾، قرأ نافع «تهجرون» بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخينا.

وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ

وأصحابه، وقرأ الآخرون «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم: هجر الرجل في منامه إذا هذى.

﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾، يعني يتذبروا، ﴿الْقَوْلَ﴾، يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، فأنكروا، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: لم يعني بل يعني جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا.

﴿أَرَأَيْتُمْ تَزْعَمُونَ رَسُولَهُمْ﴾، محمداً ﷺ، ﴿فَهُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ﴾، قال ابن عباس: ليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهد، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

﴿أَرَأَيْتُمْ يَقُولُونَ بِهٖ جِنَّةً﴾، جنون وليس كذلك، ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ﴿وَأَكْذَبْتُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي

وجماعة: «الحق» هو الله أي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْكَوتُ وَالْأَرْضُ﴾، وقال الفراء والزجاج: المراد بالحق القرآن أي: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْكَوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ﴿بَلْ آيَاتِهِمْ يَذْكُرُهُمْ﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخرهم وشرفهم، يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوِيكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾، يعني عن شرفهم، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَيْنَاهُمْ﴾، على ما جنتهم به، ﴿خُرُوجًا﴾، أجراً وجعلاً، ﴿فَنَخْرِجُ رِيكَ حَيْرًا﴾، يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْأَرْزَاقِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «خراجاً» فخراج كلاهما بالالف، وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف، وقرأ الباقون «خراجاً» بغير ألف فخراج بالالف.

﴿وَأَنَّكَ لَتَنْتَعِمَنَّ إِكَّ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾، أي عن دين

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ بِهَذَا﴾، السعد، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾، أي: وعد آباءنا قوم ذكروا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾، أكاذيب الأولين.

﴿قُلْ﴾، يا محمد مجيباً لهم، يعني أهل مكة، ﴿لَمِنَ الْأَرْضِ وَمِن فِيهَا﴾، من الخلق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَصْمُوتُونَ﴾، خالقها ومالكها.

﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن سَمَوَاتِكُمْ﴾، ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقولون أنها مخلوقة. ﴿قُلْ﴾ لهم إذا أقروا بذلك، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن سَمَوَاتِكُمْ﴾، قرأ العامة «الله» ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى، كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: فلان، أي، أنا لفلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيها «الله» وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وفي سائر المصاحف، مكتوب بالالف كالأول، ﴿قُلْ أَفَلَا تَنْقُرُونَ﴾، تحذرون.

﴿قُلْ مَنْ مَلِكُوتِ كَلْبٍ شَقِيْبٍ﴾، والملوكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة، ﴿وَمَوْجِيْحِيْرٍ﴾، أي: يؤمن من يشاء ﴿وَلَا يَجْأُرُ كَلْبِيُو﴾، أي: لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من سوء من يشاء ولا يمنع منه من أراد به سوء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَصْمُوتُونَ﴾، قيل: معناه أحيوا إن كنتم تعلمون.

﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن سَمَوَاتِكُمْ﴾، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته، والمعنى: كيف

خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، أي: لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر، وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿إِنَاهُمْ فِيَوْمٍ مَّيْسُوْنٌ﴾، آيسون من كل خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾، أي: الأسماع

﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: لم تشكروا هذه النعم.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، تبعثون.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ كَيْفَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفراء: جعلهما مختلفين، يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿أَفَلَا تَقْوَلُونَ﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّمَا هِيَ كَذِبُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون.

﴿قَالُوا أَوَآدَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْآنًا لَّنَبْعُوثَنَّ﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب.

﴿وَلَوْ رَعَيْنَهُمْ وَكُنْتُمْ مَاهِيْمٌ مِّن لَّجَرٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَاهُمْ فِيهِ مَيْسُوْنٌ﴾، وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، وهو الذي يحيي ويميت وله كيفات الليل والنهار أفلا تعقلون ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّمَا هِيَ كَذِبُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿قَالُوا أَوَآدَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْآنًا لَّنَبْعُوثَنَّ﴾، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ بِهَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿قُلْ لَمِنَ الْأَرْضِ وَمِن فِيهَا كُنْتُمْ تَصْمُوتُونَ﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن رَّبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن سَمَوَاتِكُمْ لَكُنْتُمْ أَصْحَابَ الْحَقِّ﴾، ﴿لَتَكُونُونَ﴾، لعادلون ماثلون.

﴿وَلَوْ رَعَيْنَهُمْ وَكُنْتُمْ مَاهِيْمٌ مِّن لَّجَرٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ولم يتزوعوا عنه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾.

وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف، فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال أنشدك الله والرحم، ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع [فأين الرحمة] فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أي: ما

بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ وَلَا نَهْمٌ لَكَذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدِهِ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الذَّهَبِ إِذَا لَدَّ كُلُّ لَدٍّ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا
بَعَثَهُمْ عَلَى بَعْضِ سَخْنِ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمٌ
الغيب والشهادة فتعلم مما يشركون ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ
إِنِّي نَذَرْتُ لِمَا بَدَعُوا رَبِّي قَلًّا فَتَجَمَعَنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ تَرْبِكَ مَا نَدَّعَاهُمْ لِغَيْرِ
أَدْفَعِ وَإِنِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ فَمَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٤﴾
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٥﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٦﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِي ﴿٩٧﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٨﴾ فإِذَا نَفَخَ
فِي الصُّورِ قَلَّا أَسْأَلُ بِبَعْضِ يَوْمِئِذٍ لَاسْتِأْذِينَ ﴿٩٩﴾
فَمَنْ تَلَّكَ مُوزِنًا مَّا وَكَّلَ بِكَ هُمْ أَلْمُفْحَرُونَ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مُوزِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ تَلْفَحُ وَجْهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٢﴾

يخيل لكم الحق باطلاً؟ ﴿٩٠﴾ قُلْ أَنْتُمْ بِالْحَقِّ ﴿٩١﴾ بالصدق
﴿وَأَنْتُمْ لَكَذِبُونَ﴾ فيما يدعون من
الشريك والولد.

﴿٩١﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنَ الذَّهَبِ، أي: من
شريك، ﴿إِذَا لَدَّ كُلُّ لَدٍّ بِمَا
خَلَقَ﴾، أي: تفرد بما خلقه فلم
يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى
غيره، وَمَنْعَ الْإِلَهِ الْآخَرَ عَنِ
الاستيلاء على ما خلق. ﴿وَلَمَّا
بَعَثَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي: طلب
بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك
الدنيا فيما بينهم، ثم نزه نفسه فقال:
﴿سَخْنِ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿٩٢﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴿٩٣﴾ قرأ
أهل المدينة والكوفة غير حفص:
«عالم» برفع الميم على الابتداء،
وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله
في سبحان الله، ﴿فَتَجَمَعَنِي عَمَّا
يُتْرَكُونَ﴾، أي: تعظم عما
يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن
يوصف بهذا الوصف.

﴿٩٤﴾ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾،
أي: إن أريتني، ﴿مَا بَدَعُوا رَبِّي﴾،
أي: ما أوعدتهم من العذاب.

﴿٩٥﴾ ﴿رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿وَلَمَّا
تَجَمَعَنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا
تهلكني بهلاكهم.

﴿٩٦﴾ ﴿وَإِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ تَرْبِكَ مَا نَدَّعَاهُمْ﴾،
من العذاب لهم، ﴿لِقَدَرٍ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿أَدْفَعِ وَإِنِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾،
أي: ادفع بالخصلة التي هي أحسن،
وهي الصفح والإعراض والصبر،
﴿السَّيِّئَةِ﴾، يعني أذاهم، أمرهم

بالصبر على أذى
المشركين والكف عن
المقاتلة، نسختها آية
السيف. ﴿فَمَنْ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ﴾، يكذبون
ويقولون من الشرك.

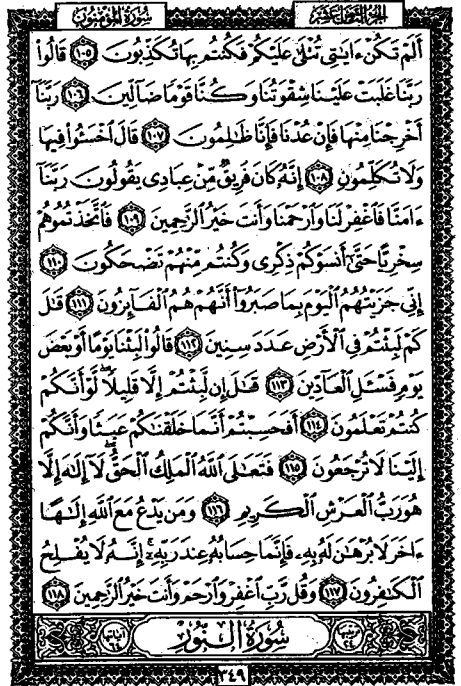
﴿٩٧﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ
بِكَ﴾، أي: امتنع واعتصم
بك، ﴿وَمِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيْطَانِ﴾، قال ابن
عباس نزغاتهم. وقال
الحسن: وساوسهم. وقال
مجاهد: نفخهم ونفثهم.
وقال أهل المعاني دفعهم
بالإغواء إلى المعاصي،
وأصل الهمز شدة الدفع.

﴿٩٨﴾ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِي﴾، في شيء من أموري،
وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا
حضره يوسوسه، ثم أخبر أن هؤلاء
الكفار الذين يتكرون البعث يسألون
الرجعة إلى الدنيا عند معاينة
الموت.

﴿٩٩﴾ فَقَالَ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِي﴾، ولم يقل
ارجعني، وهو يسأل الله وحده
الرجعة على عادة العرب فإنهم
يخاطبون الواحد بلفظة الجمع على
وجه التعظيم، كما أخبر الله تعالى
عن نفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ زَكَاةُ الْأَكْزَرِ
وَإِنَّا لَكُمُ لَحُفُوظُونَ﴾ [الحجر: ٩]،

ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا
الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون
روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم
استغاثوا أولاً بالله ثم رجعوا إلى
مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

﴿١٠٠﴾ قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، أي: ضيقت أن
أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل
بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن
يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع
الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن
تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله،
فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه
الكافر إذا رأى العذاب، ﴿كَلَّا﴾،
كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع
إليها، ﴿وَإِنَّمَا﴾ يعني: سؤاله
الرجعة، ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾، ولا
ينالها، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾، أي
أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إِلَى
يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، والبرزخ الحاجز بين
الشيئين، واختلفوا في معناه ههنا،
قال مجاهد: حجاب بينهم وبين
الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة:
بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ
ما بين الموت إلى البعث. وقيل:



مسعود «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون».

وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع، فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث «كل سبب ونسب ينقطع يوم

القيامة إلا نسي وسببي»؟ قيل: معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببه ونسبه، وهو الإيمان والقرآن، فإن قيل: قد قال ههنا «وَلَا يَسْأَلُونَ» وقال في موضع آخر: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصفات: ٢٧]؟ الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطنً ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون.

قوله: «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَلِحُّونَ».

«وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ».

«تَلْفَحُ وَرُجُومُهُمْ أُنَارٌ» أي: تسفع، وقيل: تحرق، «وَهُمْ فِيهَا

كَلِيلُونَ»، غابون.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمع، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «وهم فيها كالحوح، قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة».

وبهذا الإسناد عن عبدالله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم بن الأعرج قال: قال أبو هريرة: يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، فيصير خرسه مثل أحد، وشفاهم عند سررهم، سود زرق [خسر] مقبوحون.

قوله تعالى: «الَّذِينَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الرِّسَالُ»، يعني القرآن، تخوقون بها، «فَكَفَّرُوا بِهَا تَكْفِيرًا».

«قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا شِقْوَتَنَا»، قرأ حمزة والكسائي «شقاوتنا» بالالف وفتح الشين وهما لغتان أي: علمت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. «وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ»، عن الهدى.

«رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا»، أي: من النار، «فَإِنَّ عَذَابًا»، لما تكره «فَإِنَّا ظَالِمُونَ» [مستحقون العذاب].

«قَالَ أَخْشَرُوا»، أبعثوا، «فِيهَا»، كما يقال للكلب إذا طرد أخسأ، «وَلَا تَكَلِّمُونَ»، في رفع

هو القبر وهم فيه إلى يوم يعثون. «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَتَّبِعُهُمْ» واختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» [الزمر: ٦٨] «فَلَا أَنْسَابَ يَتَّبِعُهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ»، «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ» [الزمر: ٦٨] «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصفات: ٢٧].

وعن ابن مسعود: أنها النفخة الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم يتنادى مناو: هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، فيفرج المرء أن يكون له الحق على والده وولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن

يحفظون أعمال بني آدم ويحصرونها عليهم.

﴿فَكَلَّ إِن لَّيْتَنَّا﴾، أي: ما ليتم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة لأن لبثه في الدنيا وفي القبر متناه، ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قدر ليتم في الدنيا.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [أي] لعباً وباطلاً للاحكامه، وهو نصب على الحثالة، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: ﴿بِحَسْبِ الْإِنسَانِ أَنْ يُرَكَّبَ سَفْعًا﴾ [القيامة: ٣٦] وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿وَأَلَّكُمُ الْإِنسَانَ لَا تَرْجِعُونَ﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿أَخْبَرَنَا عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَلِيحِي، أَنَا أَبُو عَنَصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَمْعَانَ، أَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الرَّيَّانِي، أَنَا حَمِيدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ، أَنَا بَشْرُ بْنُ عَمْرٍ، أَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ لَهِيعة، أَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ هَبيرة، عَنْ حَنْشِ، أَنَّ رَجُلًا مَصَابًا مَرَّبَهُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَنَزَعَهُ فِي أذُنِيهِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ فَبَرَأَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿بِمَاذَا رَقِيتَ [المصاب] فِي أذُنِهِ؟ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي

التسخير والاستعباد بالفعل، واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حَتَّىٰ أَسْرُوكُمْ﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿وَذَكَرَىٰ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ نظيره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أَنْتُمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنهم» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

﴿قُلْ كَمْ لَيْتَنَّا﴾، قرأ حمزة والكسائي «قل» على الأمر. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة، إذ كان معناه مفهوماً، ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل يا أيها الكافرون، وقرأ ابن كثير: «قل كم» على الأمر قال «إن» على الخبر، لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون «قال» فيهما جميعاً أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث: كم ليتم؟ ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عِنْدَ سَيِّئِينَ﴾.

﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، نسوا مدة ليتم في الدنيا لعظم ما هم بصده من العذاب، ﴿فَسْئَلُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ

العذاب فإني لا أرفعه عنكم، [أبدأ] فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون، روي عن عبدالله بن عمرو: أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين عاماً ﴿يَسْئَلُكَ لِيَقُضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِن كَرِهْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزخرف: ٧٧] ثم ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ يدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم: ﴿أَخْسَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُنَا﴾، فلا ينس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق. وقال القرطبي: إذا قيل لهم «أخسروا فيها» ولا تكلمونا» انقطع رجاؤهم، وأقبل بعضهم ينج في وجه بعض وأطبقت عليهم [جهنم].

﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء في «إنه» عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾، وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَأْتِيكَ بِرَبِّينَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّبِّينِ﴾.

﴿فَأَعْتَدْتُمُ الْيَوْمَ﴾ و﴿يَوْمَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «سخرياً» بضم السين ههنا وفي سورة ص [٦٣]، وقرأ الباقون بكسرها واتفقوا على الضم في سورة الزخرف [٣٢]. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحرلجي، ولجني بضم اللام وكسرها، مثل كوكب ذري وديري، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى

بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال».

ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون.

فقال جل ذكره: ﴿فَتَمَنَّيَ اللَّهُ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيِّ﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ يَدْعُهُ﴾، أي: لا حجة ولا بينة له به لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿فَلَمَّا حَسَبْتُمْ﴾، جزأوه، ﴿رَبِّيَّ﴾. يجازيه بعمله كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمُ﴾ [الغاشية: ٢٦]، ﴿إِنَّهُمْ لَا يَسْلُبُ الْكُفْرُونَ﴾، لا يسعد من جحد وكذب.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعْتَفْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.



سورة النور

مدينة [وهي ثنتان أو أربع وستون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سورة﴾، أي: هذه سورة، ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر «وفرضناها» بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام والزمنات العمل بها. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود والفرص: التقدير، قال الله عز وجل: ﴿فَصَصِّفْ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَلَدَى

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥]، وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً، والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، واضحات، ﴿لَمَّا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

﴿الزانية والزاني﴾ قوله عز وجل: ﴿الزانية والزاني فليجلداً كل واحد منهما مائة جلدة﴾، أراد إذا كانا حرين عاقلين بالغين بكرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضرب جلده، كما يقال رأسه ويطنه، إذا ضرب رأسه ويطنه، وذكر بلفظ الجلد لثلا يبرح ولا يضر بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة [جلدة] ويغرب عاماً وهو قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، أي: رحمة ورقة، قرأ ابن كثير «رأفة» بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد أنها ساكنة لمجاورة قوله ورحمة، والرأفة معنى يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجموها ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن، قال

الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله [روي أن عبدالله بن عمر جلد جارية له زنت، فقال للجلاد: اضرب ظهرها ورجليها، فقال له ابنه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، فقال: يا بني إن الله عز وجل لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت]. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿وَلْيَحْضُرْ﴾، وليحضر، ﴿عَلَيْهِمَا حُدُومًا﴾ إذا أقيم عليهما ﴿طَائِفَةً﴾، نفر، ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه، وقال عكرمة وعطاء وجلان فصاعداً. وقال الزهري وقاتدة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

﴿الزاني لا ينجح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾، واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها.

فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاير، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقاتدة

والزهري والشعبي، ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهن تسع لهن إبايات كرايات البيطار يعرفن بها، منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تتفق عليه، فانزل الله هذه الآية.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكان بمكة بغى يقال لها عناق، وكانت صديقة له في الجاهلية، فلما أتى مكة دغته عناق إلى نفسها، فقال مرثد: إن الله حرم الزنا، قالت: فانكحتني، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئاً، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَازِنَةٌ﴾ إِنْ زَانِيَ أَوْ مُشْرِكٍ فِدْعَانِي النَّبِيِّ ﷺ فقرأها عليّ وقال لي: «لا تنكحها».

فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس. وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزنان أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبيرة والضحاك بن مزاحم. ورواه الواهبي عن ابن عباس.

قال يزيد بن هارون: إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك، وإن جامعها وهو مُحْرَمٌ فهو زان، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً. وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح المجلودة لا ينكحها إلا زان مَجْلُودٌ. وقال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكم الآية منسوخ، كان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فسسخها

قوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَازِنَةٌ﴾ [النور: ٣٢] فدخلت الزانية في أيامي المسلمين. واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج العظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، أنا الحسن بن الفرج، أنا عمرو بن خالد الحراني، أنا عبيد الله عن عبدالكريم الجزري، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن امرأتي لا تدفع يدَ لأميس؟ قال: طلقها، قال: فإني أحبها وهي جميلة، قال: استمتع بها. وفي رواية غيره «فأمسكها إذا».

وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامراً في زنا وحرص أن يجمع بينهما فأبى الغلام. قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُورَةُ النُّورِ مَكِّيَّةٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ آيَاتٍ بِبَيْتٍ لَعَلَّكَ تَلْذَكَّرُونَ
١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا جَاءَ بِهَذَا الذَّنْبِ أَرْبَعَةَ مِائَةِ سَلْطَةَ أَوْ مِائَةَ عَشْرٍ فِي يَوْمٍ أُخْرٍ وَلَا تُلْجَقُوا بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى الْكُفْرَانِ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ الرِّيحَ الَّتِي نَسُفُ السُّحُبَ بِهَا لَعَلَّ الْكُفْرَانَ يَصِيبُ لِيَوْمٍ يُرْمَى الَّذِينَ أَكْفَرُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
٢ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِصْيَانَ وَالْمَنَادِ الْمُؤَدِّبِينَ حَلِيبًا تَأْتِيهِمْ شَرِبَاتٌ وَسْوَءٌ مُتَسَلِّمًا لَهُمْ فِي يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ كُفِّرُوا وَلَا تُنقَلِبُ أَعْيُنُهُمْ إِلَىٰ ذُنُوبِهِمْ سِوَىٰ مَا هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
٣ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٤ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٥ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٦ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٧ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٨ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٠ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١١ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٢ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٣ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٤ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٥ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٦ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٧ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٨ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
١٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٠ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢١ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٢ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٣ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٤ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٥ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٦ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٧ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٨ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٢٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا
٣٠ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا وَلَهُمْ أَلْحَابٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْفِتْنِ أُولَئِكَ يَحْمِلُونَ كِفْلَهُمْ أَثْقَالًا

ثُمَّ لَزَّ بَأْتًا بِأَرْبَعَةِ شَهْلَةٍ فَلْيَلْوَثُوا شَتَيْنَ جِلْدَهُ، أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال له: زנית أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حراً وإن كان عبداً فيجلد أربعين، وإن كان المقدوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير، وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنى، حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره قذفه قاذف لا حد عليه. فإن أقر المقدوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف، لأن الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: يقذفون بالزنا المحصنات، يعني المسلمات الحررات

العفائف ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ مُّشَبَّهَةٍ ﴾ يشهدون على زناهم ﴿ فَأَجَابَهُمْ ثَلَاثِينَ جَلْدَةً ﴾، أي: اضربوهم ثمانين جلدَةً ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

﴿ ٥ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت توبته قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ وقالوا: الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق، فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق، يروى ذلك عن ابن عباس وعمر، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي. وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي، وقالوا: بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد، قال الشافعي: وهو قبل أن يحد شر منه حين يحد، لأن الحدود كفارات، فكيف يردونها في أحسن حاله ويقبلونها في شر حاله، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل. وعامة العلماء على أنه لا

يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط، كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ﴿ أَبَدًا ﴾ قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام هو مصرأ على قذفه لأن أبدأ كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً: يراد ما دام كافراً.

﴿ ٦ ﴾ قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْتُونَ أَنْ يَرْجِعُوا ﴾، يقدفون نساءهم، ﴿ وَرَبُّكَ يَكُنُّ لَكُمْ شَهَادَةً ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [أي] غير أنفسهم، ﴿ فَشَهَادَةُ أَحْيَاهُمْ أَرْبَعٌ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص «أربع شهادات» برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

﴿ ٧ ﴾ ﴿ وَالْفَوَاحِشُ أَلْفٌ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾، قرأ نافع ويعقوب «أن» خفيفة وكذلك الثانية «لعنة الله» رفع، ثم يعقوب قرأ «غضب» بالرفع، وقرأ نافع «غضب» بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي «الله» رفع، وقرأ الآخرون «أن» بالتشديد فيهما، «لعنة» نصب، و«غضب» بفتح الضاد على الاسم، «الله» جر، وقرأ حفص عن عاصم «والخامسة» الثانية نصب، أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى. وسبب نزول هذه الآية ما: أخبرنا أبو الحسن السرخسي،

أخبرنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: يا عاصم رأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي عن ذلك يا عاصم رسول الله ﷺ، قال: فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم لعويمر، لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها، فقال عويمر، والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فات بها»، فقال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغنا من تلاعناهما قال عويمر: كذبت عليهما يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ.

قال مالك قال ابن شهاب: فكانت تلك سنة المتلاعنين.

وقال محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق، أنا محمد بن يوسف، أنا

الأوزاعي، أنا الزهري بهذا الإسناد بمثل معناه وزاد: ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأكتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها»، فجاءت [به] على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر. فكان بعد ينسب إلى أمه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا محمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، أنا عكرمة، عن ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة والآ حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبريء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زُرُورًا زُرُورًا﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ﴾ فأنصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة، قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم

قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فضمت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن».

روى عكرمة عن ابن عباس: قال لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الزُّنُوبَ﴾ الآية. قال سعد بن عباد: لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي [أن] أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لأتني بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» قالوا: لا تلمه فإنه رجل غير ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها، فقال سعد: يا رسول الله بآبي أنت وأمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك، فقال النبي ﷺ: «فإن الله يأسى إلا ذلك»، فقال صدق الله ورسوله [إنها حق]، قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها، فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع امرأتي، رأيت بعيني وسمعت بأذني، ففكره رسول الله ﷺ ما أتاه به، وثقل

عليه حتى عرف ذلك في وجهه، فقال هلال: والله يا رسول الله إني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به، والله يعلم إني لصادق وما قلت إلا حقاً وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً، فهم رسول الله ﷺ بضربه [الحد] فقال: واجتمعت الأنصار فقالوا: ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته، وإنهم لكذلك، ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه التحد إذ نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه، حتى فرغ رسول الله ﷺ فأمسكوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الزُّنُوبَ﴾، إلى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا هلال فإن الله قد جعل لك فرجاً»، فقال لقد كنت أرجو ذلك من الله، فقال رسول الله ﷺ: أرسلوا إليها، فجاءت، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها [زوجك يرميك بالزنا] فكذبت، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ فقال هلال: يا رسول الله بآبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلا حقاً، فقال رسول الله ﷺ: لا عنوا بينهما، فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فقال له عند الخامسة: يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال هلال: والله لا

يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ، فشهد الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم قال للمرأة: اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقال لها عند الخامسة ووقفها: اتقي الله فإن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها، ثم قال رسول الله ﷺ: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه، فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورك، على الشبه المكروه، وكان بعد أميراً على مصر، لا يدري من أبوه.

وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل: لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الآية، فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك، إن رأيت رجلاً مثلاً مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة، وسماه المسلمون فاسقاً، ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومر؟ وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن، فأتى عويمر عاصماً وقال:

لقد رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة، فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى، فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فأخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بنو بني عم عاصم، فدعا رسول الله ﷺ بهم جميعاً، وقال لعويمر: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان» فقال: يا رسول الله أقسم بالله إنني رأيت شريكاً على بطنها وإنني ما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنها حبلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويمراً رجلٌ غيور وإنه رأيت وشريكاً نطيل السمر وتحدث فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله ﷺ لشريك: «ما تقول؟» فقال: ما تقوله المرأة كذب، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية، فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي الصلاة جامعة، فصلى العصر ثم قال لعويمر: قم، فقام فقال: أشهد بالله أن خولة لزانة وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية أشهد بالله إنني رأيت شريكاً على بطنها، وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة أشهد بالله إنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال

ثم أمره بالعودة وقال لخولة: قومي فقامت، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانة وإن عويمراً لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية: أشهد بالله أنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة: أشهد بالله إنني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة: أشهد بالله إنه ما رأيت قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة: غضب الله على خولة تعني نفسها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي، ثم قال: «تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أمهيب أتبيح يضرب إلى السواد فهو لعويمر، وإن جاءت به أورك جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو للذي رُميت به». قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك.

والكلام في حكم الآية: أن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه إن كانت محصنة، أو التعزير إن لم تكن محصنة، غير أن المخرج منهما مختلف، فإن قذف أجنبياً يقام الحد عليه، إلا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها، أو يقر به المقذوف فيسقط عنه حد القذف، وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لأحدهما يسقط عنه الحد، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً ربما لا يمكنه إقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان

حجة له على صدقه، فقال تعالى: ﴿فَشَهَدَةُ آمِيْرٍ اَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ وَاَقْرَبُ اِيْتِهٖ لِمَنْ اَلصَّادِقِيْنَ﴾، وإذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان، إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه. وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما يبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان، فيقول: قل أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا، وإن كان قد رماها برجل بعينه سماه باللعان، وإن رماها بجماعة سماهم، ويقول الزوج كما يلقنه الإمام وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو الحمل لمن الزنا وما هو مني، ويقول في الخامسة: علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة، وإذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة، فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأيد، وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف، ووجب على المرأة حد الزنا، إن كانت محصنة ترجم، وإن كانت غير محصنة تجلد وتغرب، فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج.

٨ قوله: ﴿وَيَدْرَأُ﴾، يدفع، ﴿عَنْهَا الْمَلَأَبَ أَنْ تَشْهَدَ اَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاَللّٰهِ اِيْتِهٖ لِمَنْ اَلْكٰذِبِيْنَ﴾.

٩ ﴿وَلَفَجَسَةَ اَنْ غَضَبَ اَللّٰهُ عَلَيْهَا اِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ﴾. وأراد بالعذاب الحد، كما قال في أول السورة: ﴿وَلْيَسْهَدْ عَلٰهُمَا طٰلِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾

أي: خدهما، ومعنى الآية: أن الزوج إذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن، فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم [لها] أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة علي غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به، ولا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان، وعند أصحاب الرأي: لا حد على من قذف زوجته، بل موجه اللعان، فإن لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن، وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البينة، وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب، وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً، وقضاء القاضي، وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبدة حتى لو كذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ما له، فيلزمه الحد ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأييد التحريم، وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا كذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها، وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم، وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به، فكل من صح يمينه صح

لعانه حرّاً [كان] أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً، وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن، وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم. وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي: لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرّين غير محدودين فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما، وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما، لأن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ اَرْوَاحَهُمْ﴾، ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال: ﴿وَالَّذِيْنَ يَظْهَرُوْنَ مِنْ نِسَابِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣]، ثم يستوي الحر والعبد هنا في الظاهر، ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته، ويغلب اللعان بأربعة أشياء: بعدد الألفاظ، والمكان، والزمان، وأن يكون بمحض جماعة من الناس، أما الألفاظ المستحقة فلا يجوز الإخلال بها، وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن إن كان بمكة فبين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعند المنبر، وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر، والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر، وأما الجمع فأقلهم أربعة، والتغليب بالجمع مستحب، حتى لو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز، وهل التغليب بالمكان والزمان واجب أو مستحب: فيه قولان.

١٠ قوله: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اَللّٰهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَاَنَّ اَللّٰهُ تَوَّابٌ حَكِيْمٌ﴾، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُم لِكُلِّ آتَمِي مِنْهُمْ مَا كَتَبَ مِنَ الْإِفْكِ وَالَّذِي يُؤْتِكُمْ بِهِ مِنْهُم لَمْ يَدَأْ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ أَوَلَا جَاءَهُ وَعَلَيْهِ بَآرِعَةٌ شَهَادَةٌ فَأَازَلَتْهُ بِأَتْوَرًا أَلْتُشْهَدَاءَ فَأُوتِيكَ عَنْدَ اللَّهِ هُتْمٌ أَلْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَقَوُّوهُ بِالْعَنَاءِ وَالسَّيْرَةِ وَقَفَّوْا لِيَأْفَواكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا كُنَّا لِنَأْتِيَ لَكُمْ بِشَيْءٍ هَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ بِإِذْنِ كُفْرًا مِّنكُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَهْدٌ وَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

الجيء فجت منازلهم وليس بها منهم ذاع ولا مجيب، فتمت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني وكان رأني قبل الحجاب، فاستيقظ باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أتاه راحته فوطئ على يدها فقامت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أبي بن سلول، قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يسم من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصابة، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُؤْتِكُمْ بِهِ﴾ عبدالله بن أبي ابن سلول، قال عروة: وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا

من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يُصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرغ بين أزواجه وأيهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه، قالت عائشة فأفرغ بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل

الحجاب، فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت، فالتمت عقدي فحسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتلموا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقه من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة اليهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر

باللعان، وإن الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات، سبب نزول هذه الآية ما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالعزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها

أشعر بشيء من ذلك، وهو يرييني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى وجعاً، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف، فذلك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصب وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت، أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عبيد بن المطلب، فأقبلت، أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسيين رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: أي هنتاه أو لم تستمعي ما قال؟ قالت فقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت له: أتأذن لي أن أتّي أباي؟ قالت: وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبّلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمّته ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوّني عليك فوالله لقل ما كانت

امرأة قط رضىة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيّق [الله] عليك [في أمر النساء] والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك الخير، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. [قالت] فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي ابن سلول وهو على المنبر، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ووالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي»، قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا

أمرك، قالت: وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، [قالت عائشة]: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد [بن معاذ] كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد بن عبادة: فقال: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحثيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت وأصبح أبواي عندي، قالت: وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أن البكاء فالتق كيدي فبينما أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، [قالت] فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم علينا ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأنني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه،

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأبي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت ولقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» [يوسف: ١٨]، ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم والله يعلم إني حينئذ بريئة وإن الله ميرثي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدّر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري

يا عائشة أما والله قد برأك الله، قالت: فقلت لي أمي قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله، قالت وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ يُنْكِرُونَ﴾ العشر الآيات، فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتِيكُ أَزْوَاجُ الْفُضْلِيِّ وَنَكَرُ وَالسَّعْوَةِ﴾ إلى قوله: ﴿عَوْرَةُ نَيْبَةٍ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك: قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل فيه ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله [عز وجل].

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير، أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله، وقال:

وإن كنت أئمت بذنب فاستغفري الله وتوبني إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، إلى قوله: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، فقال: صدقني رسول الله حتى أسقطوا [لها به]، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصانع على تير الذهب الأحمر.

وفيه قالت: وأنزل على رسول الله ﷺ، فزُفِع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك، فقال لي أبوي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمده ولا أحمد أحداً، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه.

أما تفسير قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ بالكذب، والإفك أسوأ الكذب، سُمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق، من قولهم: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿عُصْبَةٌ يُنْكِرُونَ﴾ أي جماعة منهم عبدالله بن أبي ابن سلول،

ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، زوجة طلحة بن عبيد الله، وغيرهم، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني: لا تحسبوا الإفك شرًّا لكم، ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِتْنًا﴾، لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُمْ﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَبَ مِنَ الْآيَاتِ﴾، أي: جزء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿وَالَّذِي قَوْلٌ كَبِيرٌ﴾، أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب «كبره» بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر، قال الكسائي: هما لغتان وقال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبدالله بن أبي ابن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة ﴿وَالَّذِي قَوْلٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ﴾ قالت: عبدالله بن أبي ابن سلول، والعذاب العظيم هو النار في الآخرة.

وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت: ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا متبذرين من الناس، فقال عبدالله بن أبي ريسهم: مَنْ هذِهِ؟ قالوا: عائشة قال: والله ما نجت منه وما نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها. وشرع في ذلك أيضاً حسان بن ثابت ومسطح وحمنة فهم الذين تولوا كبره.

وقال قوم: هو حسان بن ثابت. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا بشر بن خالد، أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحاك عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشب بآيات له وقال:

حسان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
فقال له عائشة: لكنك لست كذلك، قال مسروق فقلت لها: لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَوْلٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْكَ﴾؟ قالت: وأي عذاب أشد من العمى، وقالت: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

ويروى أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين.

قوله: ﴿وَلَوْلَا﴾، هلا، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾، بإخوانهم، ﴿خَيْرًا﴾ وقال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيْنَ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]. ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، أي: كذب بين.

﴿وَلَوْلَا جَاءَهُمْ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾ [أي] على ما زعموا، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالْبُحْبُوحِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فإن قيل: كيف يصيرون

عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبتي وعلمي.

﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرِثَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَّرَ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ﴾، خضتم، ﴿يَوْمَ﴾، من الإفك، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس أي: عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَوْلٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْكَ﴾ [النور: ١١]، وقد أصابه فإنه قد جلد وحُد.

وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر: عبدالله بن أبي، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُمْ﴾ تقولونه، ﴿بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضهم عن بعض وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقي الرجل فيقول [له] بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، [وكذا قرأه أبي بن كعب] وقال الزجاج: يلقيه بعضهم إلى بعض، قرأت عائشة «تلقونه» بكسر اللام وتخفيف القاف من اللوق وهو الكذب، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، في الوزر.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ تَلَّفَّتْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِهَذَا شَيْئًا﴾، هذا

بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَةِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَلَا يَأْتِلُ ءَأُولَآءِ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ءَأَن يُؤْتُوا ءَأُولَى ٱلْفَرْقِ وَٱلسَّكِينِ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيُصَفِّحُوا ءَأَلَا يُحِبُّونَ ءَأَن يُعْفَى ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْفَافِئَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ٱلسُّورَاتِ ٱلذِّيَّاتِ ٱلْآخِرَةِ وَهِنَّ عَدَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يُشَهِدُهُنَّ عَلَيْهِنَّ ٱلسَّيِّئَةُ وَٱلْيَدِيهِنَّ وَءَأَرْسُلُهُنَّ بَيِّنَاتٍ مَّا كَانُوا يَصْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ يُؤْمِرُ بَرُّوهُمُ ٱللَّهُ وَبَيْنَهُمُ ٱلْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ ءَأَن ٱللَّهُ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلسَّيِّئِ ٱلَّذِينَ ٱلْقَبِيلَاتِ ٱلْحَبِيثِينَ وَٱلْحَبِيثَاتِ ٱلْخَائِبَاتِ وَٱلطَّيْبَاتِ ٱلطَّيْبِينَ وَٱلطَّيْبُونَ ٱلطَّيِّبَاتِ ءَأُولَٰئِكَ مَمْدُودَةٌ مِّمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْمِعُوا ءَأَهْلَهَا ءَأَلَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾

وَالْآخِرَةَ، يعني عبدالله بن أبي وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَهُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، جواب محذوف يعني: لعاجلكم بالمعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً، وحسان بن ثابت وحمته.

﴿١٧﴾ قوله: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَةِ وَٱلْمُنْكَرِ﴾، يعني بالقبائح من الأفعال، ﴿وَالْمُنْكَرُ﴾، كل ما يكرهه الله عز وجل، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَآءُ﴾، ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، ﴿وَيُزَكِّي مَنِ يَشَآءُ﴾، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، ﴿أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾، يُطَهِّرُ، ﴿مَنِ يَشَآءُ﴾، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلُ﴾، يعني ولا يحلف، وهو يفتعل من الألية وهي القسم، قرأ أبو جعفر «يتأل» بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية وهي القسم. ﴿أُولَآءِ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾، يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿ءَأَن يُؤْتُوا ءَأُولَى ٱلْفَرْقِ وَٱلسَّكِينِ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بديراً ابن خالة أبي بكر.

[حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه حين قال ما قال في عائشة عند نزول براءتها] ﴿وَلِيَعْفُوا وَيُصَفِّحُوا﴾، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿ءَأَلَا يُحِبُّونَ﴾، يخاطب أبا بكر، ﴿ءَأَن يُعْفَى ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل [ولا امرأة] تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿٢٣﴾ قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ﴾، العفاف، ﴿ٱلْفَافِئَاتِ﴾، عن الفواحش، ﴿ٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: ﴿ءَأَمْسُوا﴾، عذبوا، ﴿فِي ٱلذِّيَّاتِ﴾، بالحد، ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾، بالنار، ﴿وَلَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال مقاتل: هذا خاص في عبدالله بن أبي المنافق.

اللفظ هنا بمعنى التعجب، ﴿هَذَا بَيِّنَةٌ عَظِيمَةٌ﴾، يعني كذب عظيم يبهت ويحير من عظمته. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية على وفق قوله.

﴿١٧﴾ ﴿يُعْطَى ٱللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿ءَأَن تَعُدُّوهُ لِيَلْبِغَهُ ءَأَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَيَسِّرِ ٱللَّهُ لَكُمْ ٱلْأَيْدِيَّ﴾، بالأمر والنهي، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿حَكِيمٌ﴾، حكم ببراءتهما.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ءَأَن يُعْفَى ٱلْفَاحِشَةُ﴾، يعني تظهر، ويذيع الزنا، ﴿فِي ٱلذِّيَّاتِ ءَأَمْسُوا لَهُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلذِّيَّاتِ﴾.

وروي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات.

روي عن العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة. ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَدْبَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النور: ٤-٥] فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة. وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَدْبَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٤-٥] فأنزل [الله] الجلد والتوبة.

﴿وَمَنْ تَشَهَّدْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدم الفعل وقرأ الآخرون بالياء، ﴿كَلِمَتِهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿وَأَلْسِنَتُهُمْ وَأَرْبَابُهُمْ﴾ [تنطق]، يروي أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد السنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، يبين لهم حقيقة ما كان

يعددهم في الدنيا. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبدالله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

﴿قوله سبحانه وتعالى:﴾
﴿الْمَخِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾، قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس. ﴿وَالْطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾، من الناس، ﴿وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثَاتِ﴾، من القول، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾، من الناس، ﴿وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثَاتِ﴾، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب من الناس، فعائشة لا يليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة رضي الله عنها فيضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ. ﴿أُولَئِكَ مَرْءُونَ﴾،

يعني: عائشة وصقوان ذكرهما بلفظة الجمع كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]. أي إخوان. وقيل: أولئك مبرؤون يعني الطيبين والطيبات منزهون، ﴿وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. وروي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها.

أن جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير، وقال: هذه زوجتك.

وروي أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكرة غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء.

﴿قوله﴾ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾، ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْمِعُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، قيل: معنى قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: حتى تستأذنوا.

وكان ابن عباس يقرأ حتى «تستأذنوا» ويقول: «تستأنسوا» خطأ من الكاتب.

وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، والقراءة المعروفة «تستأنسوا» وهو

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَبِحِفْظِ أَرْوَاحِهِمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَبِحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِجُمُوحِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

أَبَائَةِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِ بَنَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتِبَاعِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ سَلِيمٌ ذُو الْعَرْشِ ﴿٣١﴾

دخلت على النبي ﷺ فلم أسلم ولم أستاذن، فقال النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم أدخل.

وروي عن ابن عمر أن رجلاً أستاذن عليه فقال: أدخل؟ فقال ابن عمر: لا، فأمر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فأذن له.

وقال بعضهم: إن وقع بصره على إنسان قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان، ثم سلم.

وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة: يستأذن على ذوات المحارم،

ومثله عن الحسن، إن كانوا في دار واحدة يتنحج ويتحرك أدنى حركة.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: سلم عبدالله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فأرسل عمر في إثره فقال: لم رجعت؟ فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع». قال عمر: لتأتين علي ما تقول بيينة وإلا لأفعلن بك كذا وكذا غير أنه قد أوعده، قال: فجاء أبو موسى ممتقماً لونه وأنا في حلقة جالس، فقلنا: ما شأنك؟ فقال:

سلمت على عمر، فأخبرنا خبره، فهل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم كلنا قد سمعنا، قال: فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره بذلك.

ورواه بسر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري، وفيه: قال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع».

قال الحسن: الأول إعلام والثاني مؤامرة، والثالث استئذان بالرجوع.

قوله: ﴿إِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، أي إن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾، يعني إن كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازماً، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، يعني الرجوع أطهر وأصلح لكم، قال قتادة: إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فإن للناس حاجات، وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز. وكان ابن عباس يأتي باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن، فيخرج الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني، فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم. وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردوداً.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين بن محمد بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور، أنا

بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأنس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه مني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: ﴿عَاشَتْ نَارًا﴾ أي: أبصرت. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان.

واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسَاسُؤُوا وَقِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ والأكثرون على أنه يقدم السلام فيقول: سلام عليكم أدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود. وروي عن كلدة بن حنبل قال:

عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلاً اطلع على النبي ﷺ من ستر الحجرة في يد النبي ﷺ مدري، فقال: «لو علمت أن هذا ينظرنني حتى آتية لطنعت بالمدري في عينيه، وهل جعل الاستئذان إلا من أجل البصر».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن امرأة أطلعت عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح».

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ عَلَيْهِ﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

﴿٣٠﴾ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْئَلُكَ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، أي: بغير استئذان، ﴿فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾، يعني منفعة لكم، واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الحانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأوا إليها ويؤوا وامتعتهم إليها، جاز دخولها بغير استئذان، والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة.

قال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وكان ابن

سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أدخل؟ ثم يلج.

وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط.

وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لثلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُدْعُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿٣١﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَعْيُنِهِمْ﴾، أي: عن النظر إلى ما [لا] يحل النظر إليه. وقيل: «من» صلة يعني يغضوا أبصارهم.

وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والمحرم، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ غَضِّ بَصَرِهِمْ لِحِفْظِ الْفُرُوجِ كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا﴾، يعني خبير لهم وأطهر، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، يعني عليهم بما يفعلون.

روي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».

وروي عن جرير بن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة

فقال: «أصرف بصرك».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا زيد بن الحباب، عن الضحاك بن عثمان قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يقضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تقضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

﴿٣٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِينَ مِنْ أَعْيُنِهِنَّ﴾، عما لا يحل، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، عمن لا يحل. وقيل أيضاً: يحفظن فروجهن يعني يسترنها حتى لا يراها أحد.

وروي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله اليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفعميان أنتما ألستما تبصرانه؟»

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْسُوْنَ زِينَتَهُنَّ﴾، يعني لا يظهرن زينتتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلال والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها،

ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، أراد به الزينة الظاهرة، اختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأراد بها الثياب [وقال الحسن: الوجه والشياب]. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر وإنما رُخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره. قوله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾، يعني: ليلقين بمقانعهن، ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأوّل لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاخترن بها. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجنبي وهو ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِمُؤَلِّمَاتِهِنَّ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لأزواجهن، ﴿أَوْ مَا بَيْنَهُنَّ أَوْ مَا بَيْنَهُنَّ أَوْ أُنثَاءً بَعْضُهُنَّ أَوْ

إِخْوَانَهُنَّ أَوْ نِسَاءً يُؤَلِّمُنَّ أَوْ نِسَاءً أُخْرَاهُنَّ﴾، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة [من المرأة] ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَسَاءَلُونَ﴾ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها. اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ يَسَاءَلُونَ﴾ والكافرة ليست من نساتنا ولأنها أجنبية في الدين، كانت أبعد من الرجل الأجنبي، وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات. قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبدالمراة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن. وروي ذلك عن عائشة وأم سلمة.

وروي ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قتعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال:

«إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك».

وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإمام دون العبيد، وعن ابن جريح أنه قال ﴿أَوْ يَسَاءَلُونَ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ لأنه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها. قوله: ﴿أَوْ التَّائِبَاتِ عَلَىٰ آلِهَتِهِنَّ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن ﴿التَّائِبَاتِ﴾ معرفة و﴿عَلَىٰ﴾ نكرة. وقيل: [إن «غير»] بمعنى «إلا» فهو استثناء معناه: يبدن زينتهن للتابعين إلا إذا الإرية منهم فإنهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا إرية. وقرأ الآخرون بالجر على نعت ﴿التَّائِبَاتِ﴾ والإرية والأرب الحاجة، والمراد ﴿أَوْ التَّائِبَاتِ عَلَىٰ آلِهَتِهِنَّ﴾ وهم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحقق العينين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة المجبوب. وقيل هو المخنث. وقال مقاتل: هو الشيخ الهرم والعينين والخصي والمجبوب ونحوه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد بن

محمد بن معقل بن محمد الميداني، أنا محمد [بن] يحيى، أنا عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث، فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بشمان، فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكن هذا» فحجبهوه.

﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ عَزَاوَةً﴾، أراد بالطفل الأطفال، يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد. وقيل: لم يطبقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ﴿وَلَا يَتَّخِذْنَ مِنْهُ شَوْكَاً مَا يَخْفَيْنَ مِنْ بَنَاتِهِنَّ﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها [الأرض] لئلا يسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهت عن ذلك. ﴿وَتُؤْتَوْنَ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنَاتُ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُنَّ﴾، قرأ ابن عامر «آية المؤمنون» و«يا أيه الساحر» و«آية الثقلان» بضم الهاء فيهن، ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الآخرون بفتح الهاءات الثلاث على الأصل ويقف أبو عمرو والكسائي على الوصل

ويقف الباقر بن محمد بن علي الرسم. أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن [محمد بن سمعان]، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا وهب بن جرير، أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بردة أنه سمع الأغر يحدث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب [إلى ربي كل يوم] مائة مرة».

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن [محمد] الداودي، أنا [أبو] محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حريم الشاشي، أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الكشي، حدثني ابن أبي شيبة، أنا عبد الله بن نمير، عن مالك بن مغول، عن محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر قال: إن كنا لننعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم»، مائة مرة.

وجملة الكلام في بيان العورات: أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل، وعورته ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنة، وقال مالك وابن أبي ذئب: الفخذ ليس بعورة لما روي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: أجرى نبي الله ﷺ فرساً في زقاق خبير وإن ركبتك لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن

فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ.

وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة لما:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبي كثير عن محمد بن جحش، قال: مر رسول الله ﷺ على معمر وفخذه مكشوفتان، قال: «يا معمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة».

وروي عن ابن عباس وجرهد بن خويلد، كان من أصحاب الصفة أن النبي ﷺ قال: «إن الفخذ عورة».

قال محمد بن إسماعيل: حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط، أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرة فجميع بدنها في حق الأجنبي عورة لا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين، وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل، ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض، والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها. ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمتة التي تحل له، وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فإنه يكره النظر إليه، وإذا زوج الرجل أمتة حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الأجنبية.

وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إذا زوج أحدكم عبده أمتة فلا ينظر

وَأَنْكَحُوا الْأَيَّمَنَ مِنَ الضَّالِّينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
 وَاسْتَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ كَافِحًا حَتَّى يُعْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ،
 وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنْبَ وَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ فُكِّرُوا بِهِمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأُوْنُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَتُنْفِكُوا عَنْ الْغَدَاةِ الدُّنْيَا وَمِنْ يُكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
 وَقَدْ أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ تَوَّابٌ أَلَمَّ أَلَمًا
 وَالْأَرْضُ مِثْلُ نُورٍ، كَيْسُكُورِيهَا وَمِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي ضَاحَةِ
 الرَّجَاحَةِ كَأَنَّ نُورَهُ دَرِيٌّ يُوَقِدُونَ شَجَرَهُ وَيُشْرِكُونَ زَيْتُونَهُ
 لِأَشْرَفِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادِرُ بِهَا الْعَبِيبِيُّ، وَلَوْلَا تَمَسُّسُهُ نَارًا
 نُورُهُ لَمُنَّ نُورُهُ بِدِي اللَّهِ نُورُهُ مِنْ نِشَاءٍ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
 لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٌ ﴿٣٥﴾ فِي سُورَتِ أَنْ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُ
 وَيَذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ سُبْحَانَ لَهَا بِأَلْفَيْدُونَ وَأَلْصِقًا ﴿٣٦﴾

٢٥٤

الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تكشروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط [يوم القيامة]».

وقال ﷺ: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي، ومن ستي النكاح».

أما من لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة له أفضل من النكاح عند الشافعي رحمه الله، وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل. قال الشافعي: وقد ذكر الله تعالى عبداً كرمه فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنِيًّا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه، وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح. وفي الآية دليل على أن تزويج النساء الأيامي إلى الأولياء لأن الله تعالى خاطبهم به.

كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، لقوله تعالى: ﴿وَالضَّالِّينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ﴾، وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، روي ذلك عن عمر، وعلي، وعبدالله بن مسعود،

إلى ما دون السرة وفوق الركبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَّمَنَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾، الأيامي جمع أيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة، يقال رجل أيم وامرأة أيمة، وأيم. ومعنى الآية: زوجوا أيها المؤمنون [من لا زوج له] من أحرار رجالكم ونسائكم، ﴿وَالضَّالِّينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ﴾، وهذا الأمر أمر نذبه واستحباب. فيستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، لما:

أخبرنا أبو بكر محمد بن [محمد بن] علي بن الحسن الطوسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني، أنا أبو بكر محمد بن يزداد بن مسعود، أنا أبو عبدالله محمد بن أيوب البجلي، أنا محمد بن كثير، أنا سفيان، عن

وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبدالعزيز، وإليه ذهب الثوري، والأوزاعي، وعبدالله بن المبارك، والشافعي، وأحمد وإسحاق، وجوز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها، وقال مالك: إن كانت المرأة ذنينة جاز لها تزويج نفسها، وإن كانت شريفة فلا، والدليل على أن الولي شرط من جهة الأخبار ما:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا [أبو] محمد الحسن بن أحمد المخلددي، أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أنا قتيبة بن سعيد، أنا أبو عوانة، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سعيد بن سالم عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أبما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل - ثلاثاً - فإن أصابها فلها المهر بما استحلت من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له».

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الغنى ههنا القناعة. وقيل:

اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة.

وقال عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عز وجل يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وعن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالتفريق فقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا مِنْ بَيْنِ اللَّهِ كَفَالًا مِنْ سَعْتِي﴾ [النساء: ١٣٠].

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَسْتَ تَصِفُ أَلْيَانَ لِيَفْجُرُوا لَكَ كَلِمًا﴾ أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالاً ينكحون به للصدقات والنفقة، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ﴾، أي: يطلبون المكاتبه، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَلَابِقُوا فِيهِمْ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبدالعزيز سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكانت حويطب على مائة دينار، وهب له منها عشرين ديناراً فأذاها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالاً معلوماً، يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أدبت [ذلك] فأنت حر، يقبل العبد ذلك، فإذا أدى المال عتق، ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة، وإذا عتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال يكون له، ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء

المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه لهما:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، أنا عبدالله بن عمر كان يقول: المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء.

ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم».

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فَلَابِقُوا فِيهِمْ﴾ أمر إيجاب فيجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار.

ولما روي أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكتبه فتلكأ عنه فشكاه إلى عمر، فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكانت.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر نذب واستحب، ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي، لأنه عقد جوز إزفاقاً بالعبد، ومن تزمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل، فيحصل المقصود، كالدية في قتل الخطأ وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة، وجوز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة. قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، اختلفوا في معنى الخير، قال ابن عمر: قوة على

الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالاً، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالاً.

وروي أن عبداً لسلمان الفارسي قال له كاتبني، قال: ألك مال؟ قال: لا، قال: تريد أن تطعمني من أوساخ الناس، ولم يكتبه. قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيراً، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقاً وأمانة. قال طاوس، وعمرو بن دينار: مالاً وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو [محمد] الحسن بن علي بن شريك الشافعي، أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، أنا أبو بكر الجوربدي، أنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله».

وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغاً عاقلاً، أما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح، وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق. قوله

سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحط عن مكاتبته من مال كتابته شيئاً، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: «يحط عنه ربع مال الكتابة»، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعاً، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحط عنه الثلث.

وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي، قال نافع: كاتب عبدالله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم.

وقال سعيد بن جبير: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته، ويضع من آخر كتابته ما أحب، وقال بعضهم: هو أمر استحباب، والوجوب أظهر [وقال] قوم: أراد بقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ﴾ أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضة، بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَرْقَابٍ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهو قول الحسن وزيد بن أسلم، وقال إبراهيم: هو حث لجميع الناس على معونتهم، ولو مات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً، وترفع الكتابة، سواء ترك مالاً أو لم يترك، كما لو تلف المبيع

قبل القبض يرتفع البيع، وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت، وبه قال عمر بن عبدالعزيز، والزهرى، وقادة، وإليه ذهب الشافعي وأحمد، وقال قوم: إن ترك وفاة بما بقي عليه من الكتابة كان حراً، وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار، وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن، وبه قال مالك، والثوري، وأصحاب الرأي. ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء، وقد وجد وتبعه الأولاد والاكْتِسَابُ كما في الكتابة الصحيحة، ويفترقان في بعض الأحكام: وهي أن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم، ولا تبطل بموت المولى، ويعتق بالإبراء عن النجوم، والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال، حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى، ولا يعتق بالإبراء عن النجوم، وإذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة، ويثبت في الكتابة الفاسدة، فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته، وهو يرجع على المولى بما دفع إليه إن كان مالاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا مَيْتَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا﴾ الآية.

نزلت في عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق، كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة، وكان يكرهما على الزنا بالضرية يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت

معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين، فإن يك خيراً فقد استكثرتنا منه وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله هذه الآية.

وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببُرْدٍ وجاءت الأخرى بدينار، فقال لهما: ارجعا فازنيا، قالتا والله لا نفعل، قد جاء الإسلام وحرّم الزنا، فأتيا رسول الله ﷺ وشكّتا إليه، فأنزل هذه الآية.

﴿وَلَا تُكْرَهُوا مَيْتَاتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي [على] الزنا ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا﴾ أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصناً، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: [إنما] شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن، فإذا لم ترد التحصن بغت طوعاً، والتحصن التعفف، وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء. ﴿لِيُنْفِرُوا عَنِ الْبِقْرِ﴾ الآية: أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن ويبيع أولادهن، ﴿وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني للمكراهات، والوزر على المكروه. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: لهن والله لهن والله.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾، من الحلال والحرام، ﴿وَمَثَلًا لِمَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبَلِكُمْ، أي: شبيهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذابين، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر.

﴿٣٥﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ الْمَنُورَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون. وقال الضحّاك: منور السموات والأرض، يقال: نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء. وقال مجاهد: مدير الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزّين السموات والأرض، زّين السماء الشمس والقمر والنجوم، وزّين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار. وقيل: معناه الأنوار كلها منه، كما يقال: فلان رحمة أي منه الرحمة، وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل: «شعر»:

إذا سار عبدالله عن مرو ليلة

فقد سار منها نورها وجمالها

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي مثل

نور الله تعالى في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به، كما قال ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]،

وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل

نور قلب المؤمن، وكان أبي يقرأ: «مثل نور من آمن به» وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبیر والضحاك هو محمد ﷺ.

وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمي طاعة الله نوراً وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً، ﴿كَيْشْكُورٌ﴾، وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حيشية. قال مجاهد: هي القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج وأصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاج لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوؤه يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاج، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

قرأ أبو عمرو والكسائي «درىء» بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز، فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء، وهو الدفع، لأن الكوكب يدفع الشيطان من السماء، وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضواً وأنور، وقيل: ذري مكرر أي طالع، يقال درأ النجم إذا طلع وارتفع، ويُقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع متقبضاً فيتضاعف ضوؤه في ذلك الوقت. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ

حمزة، قال أكثر النحاة: هو لحن، لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين.

قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول من درأت مثل سبوح وقُدوس، وقد استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتيا وهو مفعول من عتوت، وقرأ الآخرون «ذري» بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة، نسب إلى الدر في صفاته وحسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكتفه يفضل الكواكب بضيائه، كما يفضل الدر سائر الحب. وقيل: الكوكب الدرّي واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد. وقيل: شبيهه بالكواكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿تَوَقَّدُ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب «تَوَقَّدُ» بالثاء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص «توقد» بالثاء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجية أي: نار الزجاجية لأن الزجاج لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفاً يعني المصباح، ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف

المضاف بدليل قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُنَا يُبْغِي﴾، وأراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجها إلى إعصار بل كل أحد يستخرجه.

وجاء في الحديث: «أنه مصحة من الباسور».

وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي، أنا أبو أمية الطرسوسي، أنا قبيصة بن عقبة، أنا سفيان الثوري، عن عبدالله بن عيسى، عن عطاء الذي كان بالشام، وليس بابن أبي رباح، عن أسد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّ وَلَا غَرْبِيَّ﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل

واحد منهما، وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة، هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي، والأكثرين. وقال السدي وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل.

وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿يَكَادُ زَيْتُنَا﴾، دهنها، ﴿يُبْغِي﴾، من صفاته، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿ثَوْرٌ عَلَى زَيْتُونَةٍ﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجة.

واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نُورِ كَيْشَكُورٍ﴾ قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار.

وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال: المشكاة جوف

محمد، والزجاجة قلبه، والمصباح النور الذي جعله الله فيه، لا شرقية ولا غربية، لا يهودي ولا نصراني، توقد من شجرة مباركة إبراهيم، نور على نور، قلب إبراهيم، ونور: قلب محمد ﷺ وقال محمد بن كعب القرظي: المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحاً كما سماه سراجاً، فقال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] توقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم، وسماه مباركاً لأن أكثر الأنبياء من صلبه، لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، لأن اليهود تصلي قِبَلِ المغرب والنصارى تصلي قِبَلِ المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار، تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه «نور على نور»، نبي من نسل نبي، نور محمد على نور إبراهيم. وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن.

روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر [فهي] خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك

المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور.

قال أبيّ فهو يتقلب في خمسة أنوار. قوله: «نور»، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة. قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهده في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدئاً على هدئ ونوراً على نور. قال الكلبي قوله: «نورٌ على نورٍ»، يعني إيمان المؤمن وعمله. وقال السدي: نور الإيمان ونور القرآن.

وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل للقرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة السوحى، «يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ» تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ، نور على نور: يعني القرآن نور من الله عز وجل لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور.

قوله تعالى: «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ»، قال ابن عباس رضي الله

عنهما: لدين الإسلام، وهو نور البصيرة وقيل القرآن «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ»، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

قوله: «فِي بُيُوتٍ أُورِنَ اللَّهُ»، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: توقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

وروى صالح بن حيّان عن ابن بريدة في قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُورِنَ اللَّهُ»، قال: إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ.

قوله: «أَن تَرَوُوهَ»، قال مجاهد أن تبني، نظيره قوله تعالى: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» [البقرة: ١٢٧] وقال الحسن: تعظم يعني لا يذكر فيها الحنا من القول. «وَيَذَكَّرُ فِيهَا أَسْمَاءَ» قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، «سُبْحَانَ»، قرأ ابن عامر وأبو بكر «يسبح» بفتح الباء على غير تسمية الفاعل، والوقف على هذه القراءة عند قوله: «وَالْأَصْحَابِ» [النور: ٣٦] وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلاً للرجال،

«سُبْحَانَكَ أَي: يصلي، «كَلِمَةٍ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَالْأَصْحَابِ»، أي بالغدوة والعشي. قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضة. فالتي تؤدي بالغدوة صلاة الصبح، والتي تؤدي بالأصباح صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصباح يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، أنا عبدالله بن رجاء، أنا همام عن أبي حمزة، أن أبا بكر بن عبدالله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من صلى البردين دخل الجنة».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التسبيح بالغدو صلاة الضحى.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا عبدالله بن يوسف، أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبدالرحمن [عن] أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجزه كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجزه كأجر المعتمر، وصلاة

رَجَالٌ لَا لَتْلِهِمْ جُنَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِزَيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ بَرُّقٌ مِنْ بَشَاءٍ بغيرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كِرَامٍ بَقِيعةً يَحْسَبُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَمِيماً إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْقَاً وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُمْ حِسَابَهُمُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 أَوْ كَلَّمْتِ فِي بَحْرِ لَيْحِي يَفْشِسُهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ. مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ. حَبَابٌ ظَلَمْتَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَحْرَجَ يَكْفُرُ بِكُلِّ ذِكْرٍ يَكْتُمُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَسَاءَ لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ التَّوْرَانُ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَطْيَرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتَهُمْ وَتَسْبِيحَهُمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ التَّوْرَانُ اللَّهُ يُتْرَجِي حَمَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ ذَكَاةً فَرَى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ. وَيُزِيلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرٍّ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُمْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٢٥٥

على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين.

٣٧ قوله: ﴿رَجَالٌ﴾، قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد، ﴿لَا لَتْلِهِمْ﴾، لا تشغلهم، ﴿بِحِزَّةٍ﴾، قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلوات والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء [وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا]، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ [الجمعة: ١١] يعني الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن حضور المساجد لإقامة الصلوات ﴿وَإِقَامِ﴾، أي: إقامة ﴿الصَّلَاةِ﴾، حذف الهاء وأراد

أدائها في وقتها، لأن من آخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقامة الصلاة حفظ المواقيت.

روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقت حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلة: ﴿رَجَالٌ لَا لَتْلِهِمْ حِزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾. ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أي: المفروضة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنتفتح الأبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هزله أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الإيمان أم من قبل الشك، وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته.

٣٨ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿وَبِزَيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿وَاللَّهُ بَرُّقٌ مِنْ بَشَاءٍ بغيرِ حِسَابٍ﴾، ثم ضرب [الله] لأعمال الكفار مثلاً.

٣٩ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كِرَامٍ بَقِيعةً﴾، «السراب» الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفضش فلم يَر شيئاً، والأول ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغدوات شبه الملاة [لأنه] يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلاً، والرقراق يكون بالعشايا، وهو ما تترقق من السراب، أي جاء وذهب. والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿يَحْسَبُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَمِيماً إِذَا جَاءَهُمْ﴾، أي يتوهمه العطشان، ﴿مَاءً حَمِيماً إِذَا جَاءَهُمْ﴾، أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿لَمْ يَجِدْهُ سَيْقَاً﴾، على ما قدره وحسه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافع فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ولا نفعه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ﴾، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم

على الله، ﴿لَوْئَلَهُ حَسَابَةٌ﴾، أي جزاء عمله، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَوْ كَظَلَمْتُمْ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم [روضالهم] فيها كظلمات، ﴿فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر معظمه، ﴿بِقَشْنِهِ﴾، يعلوه، ﴿مَوْجٍ مِّنْ قَوْيِهِ مَوْجٍ﴾، متراكم، ﴿مِّنْ قَوْيِهِ سَحَابٌ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس «سحاب» بالرفع والتنوين، «ظلمات»، بالجر على البدل من قوله: ﴿أَوْ كَظَلَمْتُمْ﴾.

وروي أبو الحسن البري عنه: ﴿سَحَابٌ ظَلَمْتُمْ﴾ بالإضافة، وقرأ الآخرون «سحاب ظلمات» كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله ﴿سَحَابٌ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿ظَلَمْتُمْ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ﴾، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، أراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه.

وقال أبي بن كعب: في هذه الآية الكافر يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار. ﴿إِذَا أُخْرَجَ﴾، يعني الناظر، ﴿يَكْدُرُ لَرَّ يَكْدُرُ بِرَبِّهَا﴾، يعني لم

يقرب من أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء «يكدر» صلة أي لم يرها، قال المبرد: يعني لم يرها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿وَمَنْ لَّرَّ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنه عام في جميع الكفار.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَوَّاتٍ﴾﴾، باسطات أجنحتهن بالهواء. قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض، ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ﴾ أي: كل مصلى ومسبح علم الله صلته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مصلى ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ﴾، يعني يسوق بأمره، ﴿سَحَابًا﴾، إلى حيث يريد، ﴿ثُمَّ يُزَلِّفُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُ رِجَالًا﴾، متراكماً بعضه فوق بعض، ﴿فَتَرَى الْوُدُكَ﴾، يعني المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ﴾، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع التجليل. ﴿وَتَرَى مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ مِّنْ بَرَدٍ﴾، يعني: ينزل البرد، و«من» صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، و«من» في قوله ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ صلة أي: ينزل من السماء جبلاً من برد. وقيل: معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبلاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو ذكر الله تعالى «من» ثلاث مرات في هذه الآية فقوله ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ لا ابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: ﴿مِنْ جِبَالٍ مِّنْ بَرَدٍ﴾ للتبعية لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿فَيُؤَيِّدُ بَرْدًا﴾، يعني بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿وَيَصْرِفُهُ مَن يَشَاءُ﴾، فلا يضره، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾، يعني ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهَبُ

يَقَابِلُ اللَّهُ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّا فِيهِمْ مِّن يَّمشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَّن
 يَّمشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَّمشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
 ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقًا مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَئِن يَكُنْ لَّخَلْفَ
 يَأْتُوا إِلَيْكَ مُّدْعِينَ ﴿٤٩﴾ إِنِّي فَتَوَيْتُ مَرَضٌ أَرَادُوا تَوَلَّاءُ مَخَافَتٌ
 أَن يَحِفَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْفُتُورُ ﴿٥٠﴾
 إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
 أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
 ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُرْسِلُوا لَيُخْرِضَنَّ قُلُوبَهُمْ
 لِأَنفُسِهِمْ طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾،

يعني دلالة لذوي العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى:﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾، قرأ

حمزة والكسائي «خالق كل» بالإضافة، وقرأ الآخرون «خلق كل» على الفعل، ﴿مِّن مَّا﴾،

يعني: من نطفة، وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأننا لا نشاهدهم. وقيل: أصل جميع الخلق من

الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها الجن، وبعضها طيناً فخلق منها آدم، ﴿فِيهِمْ مَّن يَّمشِي عَلَى بَطْنَيْهِ﴾، كالحيات والحيتان والديدان، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَّمشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، مثل بني آدم والطيور، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَّمشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾، كالبهائم والسباع، ولم يذكر من تمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنها في الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: ﴿مَّن يَّمشِي﴾، و«من» إنما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابة، فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾، إليك، ﴿هَاتِي﴾

تُسَبِّحِينَ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِنَّكَ صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ.

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

وَأَطَعْنَا. يعني المنافقين، يقولونه، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾، يعرض عن طاعة الله ورسوله، ﴿فِرْقًا مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أي من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

نزلت هذه الآية في بشر المنافق، كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، الرسول يحكم بحكم الله، ﴿إِذَا فِرْقًا مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، يعني عن الحكم. وقيل: عن الإجابة.

﴿وَلَئِن يَكُنْ لَّخَلْفَ يَأْتُوا إِلَيْكَ﴾

مُدْعِينَ، مطيعين منقادين لحكمه، يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق.

﴿إِنِّي فَتَوَيْتُ مَرَضٌ أَرَادُوا تَوَلَّاءُ﴾،

يعني شكوا، هذا استفهام ذم وتوبيخ، يعني هم كذلك، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾، يعني بظلم، ﴿أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْفُتُورُ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا﴾

وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، من شدة ضوئه وبريقه، وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الباء وكسر الهاء.

﴿يَقَابِلُ اللَّهُ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ﴾،

يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب النهار أو يأتي بالنهار ويذهب بالليل.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا الحميدي، أنا سفيان، أنا الزهري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «يؤذني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء،

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾، هذا ليس على طريق الخير ولكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخير واسمه في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا سِعَةً وَأَطَعْنَا﴾، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿وَأُوتِيَتْكُمُ الْمُقْلَبُونَ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ﴿وَوَخَشِيَ اللَّهَ﴾ على ما عمل من الذنوب. ﴿وَيَتَّقِدْ﴾، فيما بعده، ﴿فَأُوتِيَتْكُمُ الْقَائِرُونَ﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر «يتقه» ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر وقالون ويعقوب، كما في نظائرها ويشبهاها الباؤون كسراً، وقرأ حفص «يتقه» بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتز طعاماً بسكون الراء.

﴿٥٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وجهد اليمين أن يحلف بالله، ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿لَنْ أَمْرَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، وإن أقمت أقمتنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿لَا تُقْسِمُوا﴾، لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر

عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: لئكن منكم طاعة معروفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾، يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ جُرْحُ﴾، يعني على الرسول

ما كُلف وأمر به من تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿وَإِن طَئِفَةٌ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْغَيْثِ﴾، أي التبليغ البين.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بعد الوحي بمكة عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يصيحون ويمسحون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله هذه الآية.

﴿٥٤﴾ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ جُرْحُ اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن طَئِفَةٌ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْغَيْثِ ﴿٥٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتُمُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن نَّاصِرٍ ﴿٥٦﴾ تَبَايَعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَوِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَمْلِكُوا الْهَيْمَانَ مِنكُمْ فَذَلِكَ مَرْثَةٌ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِن ثِيَابِكُمْ مِن الظَّاهِرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُن طَوَّفُوكَ عَلَيْكُمْ أَعْظَمَ عَلَى بَعْضِكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾

أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله ليستخلفتهم أي ليورثتهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ قال قتادة: «كما استخلف» داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث أهلكت العجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾، أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان،

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغير حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿مَنْ بَعْدَ حَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونِي﴾، آمنين، ﴿لَا يَشْكُرُونَ بِي شَيْئًا﴾، فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمناً ووسطاً في الأرض.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن الحكم، أنا النضر، أنا إسرائيل، أنا سعيد الطاهري، أنا محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال: بينا، أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبثت عنها، قال: «فإن طالت بك حياة فلتريّن الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد؟ «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، لئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة» وليس بينه وبينه ترجمان يترجم، فليقولن له ألم أبعث إليك

رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»، قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج [الرجل] ملء كفه.

وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وإمامة الخلفاء الراشدين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أخبرني حماد هو ابن سلمة بن دينار، عن سعيد [بن] جمهان، عن سفينة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً». ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشرًا، و[خلافة] عثمان اثنتا عشر، و[خلافة] علي ستة، قال علي: قلت لحماد: سفينة القائل لسعيد أمسك؟ قال: نعم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان

رضي الله عنه، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن [أبي] نصر، أنا أبو الحسن خيشمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي، أنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن حميد بن هلال قال: قال عبدالله بن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم، فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً، فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجزم لا يد له، وإن سيف الله لم يزل مغموداً عنكم، والله لئن قتلتموه ليسلته الله ثم لا يغمده عنكم، إما قال: أبداً، وإما قال إلى يوم القيامة، فما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً.

﴿٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي اعملوها على رجاء الرحمة.

﴿٥٧﴾ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ [ابن] عامر وحمزة «لا يحسبن» بالياء، أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم، ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون بالياء يقول لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَدَّعْتُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

﴿قوله تعالى: ﴿وَالْقَرِيذُ مِنْ الْإِسْكَاءِ﴾، يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر، فلا يلدن ولا يحضن، واحدها قاعد بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿الَّتِي لَا يُرِيحُونَ نِكَاحًا﴾، أي لا يردن الرجال لكبرهن.

قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعدة إذا كبرت، لأنها تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هن العجّز اللواتي إذا رآهن الرجال استقذروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، عند الرجال، يعني يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع، الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبى بن كعب «أن يضعن من ثيابهن»، ﴿عَرَّ مَتْرَجَتٍ بَرِيئَةٍ﴾، أي من غير أن يردن بوضع الجلباب، والرداء إظهار زينتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره، ﴿وَأَنْ يَسْتَفِفْنَ﴾، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿حَدَّ لَهْرٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، الآية، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَطْلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمن والعمي [والعرج]، وقالوا الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل. والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية، وعلى هذا التأويل يكون «على» بمعنى «في» أي ليس في الأعمى، يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض.

وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزّهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم، ويقول الأعمى: ربما أكل أكثر، ويقول الأعرج ربما أخذ مكان الاثنين، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد نزلت الآية ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية، كان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك الطعام ويقولون أذهب بنا إلى بيت غيره؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما

في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.

قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ كلام منقطع عما قبله. وقيل: لما نزل قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ﴾ [النساء: ٢٩]، قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب بيوت الأولاد إلى الآباء.

كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»، ﴿أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَعْوَابِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَعْمِيَّتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ عَنَتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيُوتِ حَكَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاحِكُهُنَّ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر.

وقال الضحاك: يعني من بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزان، لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾

أكل، هذا قول قتادة
والضحاك وابن جريج .

وقال عطاء الخراساني

عن ابن عباس رضي الله

عنهما: كان الغني يدخل

على الفقير من ذوي قرابته

وصداقته فيدعوه إلى

طعامه، فيقول: والله إني

لأجنع أي أتحرج أن أكل

معك وأنا غني وأنت

فقير، فنزلت هذه الآية .

وقال عكرمة وأبو

صالح: نزلت في قوم من

الأنصار كانوا لا يأكلون إذا

نزل بهم ضيف إلا مع

ضيفهم، فرخص لهم أن

يأكلوا كيف شاؤوا «جميعاً»

[مجتمعين] «أو أشتاناً» متفرقين، ﴿فَإِذَا

دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾، أي

ليسلم بعضهم على بعض، هذا في

دخول الرجل بيت نفسه يسلم على

أهله ومن في بيته، وهو قول جابر

وطاوس والزهري وقاتدة والضحاك

وعمر بن دينار، قال قتادة: إذا

دخلت بيتك فسلم على أهلك فهو

أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتاً

لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى

عباد الله الصالحين. حُذِّنَا أَنْ

الملائكة ترد عليه. وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال: إن لم يكن في

البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

السلام علينا وعلى عباد الله

الصالحين، السلام على أهل البيت

ورحمة الله .

وروي عمرو بن دينار عن ابن

عباس رضي الله عنهما في قوله

[الأنعام: ٥٩] ويجوز أن يكون الذي
يفتح به، وقال عكرمة: إذا ملك
الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس
أن يطعم الشيء اليسير .

وقال السدي: الرجل يولي طعامه
غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل
منه . وقال قوم «ما ملكتم مفاتحه» ما
خزنتموه عندكم . قال مجاهد
وقتادة: من بيوت أنفسكم مما
أحرزتم وملكتم، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾،
الصديق الذي صدقك في المودة .

قال ابن عباس: نزلت في
الحارث بن عمرو رضي الله عنه،
خرج غازياً مع رسول الله ﷺ
وخلف مالك بن زيد على أهله .
فلما رجع وجدته مجهوداً فسأله عن
حاله فقال تحرجت أن أكل طعامك
بغير إذنك فأنزل الله هذه الآية .

وكان الحسن وقاتدة يريان دخول
الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من
غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية،
والمعنى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا﴾، من منازل هؤلاء إذا
دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير
أن تتزودوا وتحملوا. قوله: ﴿لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ
أَشْتَاتاً﴾ .

نزلت في بني ليث بن عمرو،
وهم حي من بني كنانة كان الرجل
منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً
يأكل معه، فربما قعد الرجل والطعام
بين يديه من الصباح إلى الرواح،
وربما كانت معه الإبل الحفل فلا
يشرب من ألبانها حتى يجد من
يشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً

سورة النور

النور

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَم يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْتُونَكَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِذَا اسْتَأْذِنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا يَحْمِلُونَ أَسْرًا الرَّسُولُ
يَسْتَأْذِنُكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكُمْ لَوْ آذَنَ لِقَدْ حَذَرَ الَّذِينَ يُحَالِقُونَ عَنْ أَسْرِهِمْ
أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
﴿٦٥﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُحِمَتْ قَدِيرًا ﴿٦٦﴾

٢٥١

تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ
أَنفُسِكُمْ﴾ قال: إذا دخلت المسجد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين. ﴿حَيْثُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾،
نصب على المصدر أي تحيون
[أنفسكم] تحية، ﴿مُبَشِّرَةً
مُطِيبَةً﴾، وقال ابن عباس رضي الله
عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر
البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب
والأجر. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿٦٧﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾،
يجمعهم من حرب حضرت، أو صلاة
أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور
في أمر نزل، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم يتفرقوا
عنه، لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من
الأمر، ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا﴾ .

وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٦٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ
أَقْرَبُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٦٤﴾ وَقَالُوا اسْطِغْثُوا آلَ لَيْلَىٰ أَسْتَنْبِهَا فَمِنْ شَمَلٍ
عَلَيْهِ بُعْثَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٦٥﴾ فَلَا أَنْزَلَ إِلَهُ الَّذِي يَمْلِكُ الْبَرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا
مَا لَ هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْسَىٰ فِي الْأَمْثَالِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦٧﴾ أَوْ يُنذِرُ
إِنَّهُ كَذُوبٌ أَوْ تَكُونُ لَهُمْ حَنَّةٌ يُأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَخِيَّبُواكَ الْإِرْجَاءُ فَتَتَّبِعُوا ﴿٦٨﴾ أَنْظِرْ
كَفَيْ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٦٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ
رَبِّهِ فَتُحْيِي بِهِ الصِّفَاتِ الْأَنْهَارَ وَجَمَلُكَ فَصُورًا ﴿٧٠﴾ كُلُّ
كَلِمَةٍ مِنَ السَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٧١﴾

أي أمره، و«عن» صلة. وقيل: معناه
يُعرضون عن أمره وينصرفون عنه
بغير إذنه. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي
لثلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء
في الدنيا، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾، وجيع في الآخرة. وقيل: ثم
عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم
عظم نفسه، فقال:

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاةَ
الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُوعًا
بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، قال ابن
عباس رضي الله عنهما:
يقول احذروا دعاء الرسول
عليكم إذا أسخطتموه فإن
دعاه موجب للنزول البلاء
بكم ليس كدعاء غيره.
وقال مجاهد وقتادة: لا
تدعوه باسمه كما يدعو

تدعوه باسمه كما يدعو
بعضكم بعضاً: يا محمد، يا عبدالله:
ولكن فحُومُه وشرفوه، فقولوا: يا
نبي الله، يا رسول الله، في لَيْلَىٰ
وتواضع، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْأَلُونَ﴾، أي: يخرجون ﴿بَيْنَكُمْ
لِوَادًا﴾، يستتر بعضهم ببعض ويروغ
في خيفة، فيذهب، واللواد مصدر
لَاوَدَ يَلَاوِدُ مَلَاوِدَةً، ولوادا، وقيل:
كان هذا في حفر الخندق فكان
المنافقون ينصرفون عن
رسول الله ﷺ مختلفين.
قال ابن عباس رضي الله عنهما:
«لوادا» أي: يلوذ بعضهم ببعض،
وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم
المقام في المسجد يوم الجمعة
واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا
يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من
المسجد في استتار، ومعنى قوله:
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ للتهديد بالمجازاة،
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾،

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو
إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن
محمد بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن
محمد بن [أبي] شيبة حدثنا محمد بن
أحمد الكرابيسي حدثنا سليمان بن
توبة أبو داود الأنصاري، أنا محمد بن
إبراهيم الشامي، ثنا شعيب بن إسحاق
عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
[رضي الله عنها] قالت: قال
رسول الله ﷺ: «لَا تُنْزِلُوا النِّسَاءَ
الْغُرَفَ، وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ
وَعَلْمُوهُنَّ الْغَزْلَ، وَسُورَةَ النُّورِ».

سورة الفرقان

مكية [وهي سبع وسبعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
﴿تَبَارَكَ﴾، تفاعل، من
البركة، وعن ابن عباس: معناه جاء

قال المفسرون: كان
رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم
الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من
المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج
حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ
حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام
ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.

قال مجاهد: وإذا الإمام يوم
الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم:
وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون
مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه
إلا بإذن، وإذا استأذن فلإمام إن شاء
أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم
يكن له سبب يمنعه من المقام، فإذا
حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون
في المسجد فتحيض منهم امرأة، أو
يجنب رجل، أو يعرض له مرض فلا
يحتاج إلى الاستئذان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَدْرِكُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَوْمُئِثْرُكَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ إِذَا اسْتَدْرِكُواكَ لِيُغِيبُوا عَنْكَ أَلْبَابَهُمْ﴾،

بكل بركة، دليله قول الحسن: مجيء البركة من قبله، وقال الضحاک: تعظم، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ﴾، أي القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِيهِ﴾، محمد ﷺ. ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَنْحَدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿فَقَدَرَهُ نَفْيَارًا﴾، فسوّاه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق. قوله عز وجل:

﴿وَأَخَذُوا﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾، يعني: الأصنام، ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ مَرَاتًا وَلَا حِسَابًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَرَاتًا وَلَا حِسَابًا﴾، أي إماتة وإحياء، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾، أي بعثاً بعد الموت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المشركين، يعني النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أِنْفَاكٌ﴾، كذب، ﴿أَفْتَرِينَاهُ﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿وَأَعَانَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُوتٌ﴾، قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر، ويسار، وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن

محمداً ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾، يعني قائلني هذه المقالة، ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾، أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركاً وكذباً بنسبتهم كلام الله تعالى إلى الإفك والافتراء.

﴿وَقَالُوا أَتَطَّلِبُ الْأَوْلَادَ﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار، اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿فَهِيَ تَكُنُّ عَلَيْهِ﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتتبها، ﴿بُكَرَةً وَأَصِيلًا﴾، غدوة وعشياً. قال الله عز وجل رداً عليهم:

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ عَفْوَكَ رَجِيًّا.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَسُولٌ﴾، يعنون محمداً ﷺ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، كما نأكل نحن، ﴿وَيَسْتَبِيهِ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة، وكانوا يقولون له لست أنت بملك [ولا بملك]، لأنك تأكل والملك لا يأكل، ولست بملك لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتتبدل. وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدمياً، ومشي في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوة. ﴿وَلَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ

مَلَكٌ﴾، فيصدق، ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾، داعياً.

﴿أَوْ يُنَزَّلُ إِلَيْهِ كُتُبًا﴾، أي: ينزل عليه كثر من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش، ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [أي] بستان، ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي «نأكل» بالنون أي نأكل نحن منها، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

﴿أَنْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ صَرَّفُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، يعني الأشياء، فقالوا: مسحور محتاج وغيره، ﴿فَصَلُّوا﴾، عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَعِينُونَ سَبِيلًا﴾، إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾، الذي قالوا، أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش، ثم بين ذلك الخير فقال: ﴿جَنَّتِ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾، بيتاً مشيدة، والعرب تسمي كل بيت مشيد قصراً، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم برواية أبي بكر، «ويجعل» برفع اللام، وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزء في قوله: ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، أنا أبو طاهر محمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي،

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يُبِيدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١١﴾ وَإِذَا أَلْفَاةٌ مِنْهَا مَكَانًا خَبِيرًا مَقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٢﴾ لَئِنْ دَعَوْا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاذَعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٣﴾ قُلْ أَذْلاكَ خَيْرٌ أَمْ جَزَاءُ الْخَلْدِ الَّذِي وَعِدَ الْمُنْفِقُونَ كَأَنْتَ لَمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٤﴾ لَمْ فِيهَا مَا يَشَاءُ نَفْسٌ خَلِيدٌ كَانَتْ عَلَى رَيْكٍ وَعِدَاتُكَ لَوَالِيًا ﴿١٥﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ هَ أَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَوَعَايَا هُمْ حَتَّى سَأَلُوا الْكُفْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ نَفْسَهُ يَرْجُ عَذَابًا كَثِيرًا ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ صَاحِبُونَ وَكَانَ رَيْكٌ بِصِيرًا ﴿١٩﴾

رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك، وفي رواية ابن عباس: فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقلت: نبياً عبداً» قالت: فكان رسول الله ﷺ بعد

ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

١١ قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْآيَاتِ﴾، بالقيامة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالْآيَاتِ سَوِيرًا﴾، ناراً مستعرة. ١٢ ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يُبِيدُ﴾، قال الكلبي والسدي: من مسيرة عام. وقيل: من مسيرة مائة سنة. وقيل: خمسمائة سنة.

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً». قالوا: وهل لها من عيينين؟ قال: نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يُبِيدُ﴾.

وقيل إذا رأتهم زبانيتهما. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾ غلياناً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتاً، فإن قيل: كيف يسمع

التغيظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر:

ورأيت زوجك في السوغي متقلداً سيفاً ورمحاً
أي وحاملاً رمحاً. وقيل: سمعوا لها تغيظاً أي: صوت التغيظ من التلهب والتوقد. قال عبيد بن عمير: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه.

١٣ ﴿وَإِذَا أَلْفَاةٌ مِنْهَا مَكَانًا خَبِيرًا﴾، قال ابن عباس: يضيق عليهم الزج في الرمح، ﴿مَقْرَبِينَ﴾، مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل، ﴿وَدَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، قال ابن عباس: ويلاً. وقال الضحاك: هلاكاً.

١٤ وفي الحديث: «إن أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول: يا ثبوره، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادون: يا ثبوره وينادي: يا ثبورهم، فيقال لهم: ﴿لَئِنْ دَعَوْا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَاذَعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، فادعوا أدعية كثيرة.

١٥ قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَذْلاكَ خَيْرٌ أَمْ جَزَاءُ الْخَلْدِ الَّذِي وَعِدَ الْمُنْفِقُونَ كَأَنْتَ لَمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا﴾، مرجعاً.

١٦ ﴿لَمْ فِيهَا مَا يَشَاءُ نَفْسٌ خَلِيدٌ﴾

أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن حدثني عبيد الله بن زخر، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، - وقال ثلاثاً - أو نحو هذا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، أنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، أنا أبو يعلى، ثنا محمد بن بكار، ثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري، عن عائشة قالت: قال

عنه، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾، يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له باثر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم مصدر كالزور، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿١٦﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، هذا خطاب مع المشركين، أي: كذبكم المعبودون، ﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾، إنهم آلهة، ﴿فَمَا سَتَلِفْتُمْ﴾، قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني: الآلهة. ﴿صَرَفًا﴾ يعني صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿وَلَا تَصْرَفًا﴾ يعني ولا نصر أنفسهم. وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكم، وقيل: الصرف الحيلة، ومنه قول العرب: إنه ليصرف أي يحتال، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ﴾، يشرك، ﴿بِمَنِّكُمْ نِقْمَةٌ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

وقيل: نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الرضيع قد أسلم قبله أنف، وقال: أسلم بعده فيكون له عليّ السابقة والفضل؟! فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتاحان بعضهم ببعض، وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، والوليد بن عقبة، والعاص بن ائيل، والنضر بن الحارث. وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر، وابن مسعود، وعماراً، وبلالاً، وصهيباً، وعامر بن فهيرة، وذوهم، قالوا: نسلم فنكون مثل هؤلاء؟

وقال مقاتل: نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش، كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً من موالينا وأرادلنا، فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين: ﴿أَنْصِرُونِ﴾ يعني على هذه الحال من الفقر والشدة والأذى، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا﴾، بمن صير وبمن جزع.

﴿١٧﴾ ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا﴾، مطلوباً، وذلك أن المؤمنين سألو ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنة خلد وعداً، وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسالمتهم إياه ذلك. وقال محمد بن كعب القرظي: الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨].

﴿١٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص: «يحشرهم» بالياء، وقرأ الباقون بالنون، ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال مجاهد: من الملائكة والجن والإنس وعيسى وعزير. وقال عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام ثم يخاطبهم، ﴿فَتَقُولُ﴾، قرأ ابن عامر بالنون والآخرين بالياء، ﴿هَآأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، أخطأوا الطريق.

﴿١٨﴾ ﴿فَقَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، زهوا الله من أن يكون معه آله، ﴿هَآ كَأَن يَلْبَسُنِي لَنَّا أَن تَنْجِدَ مِن دُونِكَ مِن أَوْلِيَاءَ﴾، يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر «أن نتخذ» بضم النون وفتح الخاء فتكون «من» الثاني صلة، ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَهَآئِهِمْ فِي الدُّنْيَا بَطُولَ الْعَمْرِ وَالصَّحَّةَ وَالنَّعْمَةَ﴾، ﴿حَقَّقْ لَنَا الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ﴾، وقيل: تركوا ذكرك وغفلوا

﴿١٩﴾ ﴿فَقَالَ رَبُّنَا﴾، يعني ما، أنا إلا رسول وما كنت يدعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام، ﴿وَيَمَسُّونَ فِي الْأَسْرَارِ﴾. وقيل: معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَوْلَىٰ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نُنزِّلُ رَبًّا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبًّا مَّتَشْوِرًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نَسْفُقُ السَّمَاءَ بَدَلًا لِلْمَلَائِكَةِ نَزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مِنَ الرَّمْلِ مِثْلًا ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ لَيْلِي لَيْتِي لِمَ أَخَذْتُ فَلَا تَأْخِيَلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَصْلَيْتُ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنَّ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَىٰ أَنْ نُنزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

كبيراً. قال مجاهد: عتوا طغوا قال مقاتل: عتوا غلوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم، وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، للكافرين، وذلك أن الملائكة يشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا

«الهباء» قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار، فلا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، و«المنثور» والمتفرق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتدره من التراب وحطام الشجر.

وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: «الهباء المنثور» ما يرى في الكوة و«الهباء المنبث» هو ما تطيره الرياح من سناك الخيل.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَرًا﴾ أي: من هؤلاء المشركين المستكبرين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، موضع قاتلة يعني [أن] أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القاتلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقرأ «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم» هكذا كان يقرأ.

وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله. وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة:

قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ والجنة لا نوم فيها. ووروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشُر المؤمنون. ﴿وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرية. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون، قالوا حجراً محجوراً، فهم يقولونه إذا عابنوا الملائكة، قال مجاهد: يعني عوداً معاذاً يستعيدون به من الملائكة.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَدِمْنَا﴾، وعمدنا، ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبًّا مَّتَشْوِرًا﴾، أي باطلاً لا ثواب له، لأنهم لم يعملوه لله عز وجل. واختلفوا في

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن، الحيرى أنا أبو العباس الأصم، ثنا زكريا بن يحيى المروزى، ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم».

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي لا يخافون البعث، قال الفراء: «الرجاء» بمعنى الخوف، لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون الله عظمة. ﴿أَوْلَىٰ أَنْ نُنزِّلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾، فتخبرنا أن محمداً صادق، ﴿أَوْ نُنزِّلُ رَبًّا﴾، فيخبرنا بذلك، ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي تعظموا. ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾، بهذه المقالة، ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ وَالْفُتُوحِ﴾، أي عن الغمام، الباء وعن يتعاقبان، كما يقال رميت عن القوس وبالقوس، وتشقق بمعنى تشقق، أذغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا، وفي سورة «ق» [٤٤] بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿زُلْزِلَتِ السَّمَاوَاتُ زَلِيلًا﴾، قرأ ابن كثير «وتنزل» بتوئين خفيف ورفع اللام، «الملائكة» نصب.

قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون سادة الملائكة وهم المقربون ثم حملة العرش.

﴿٢٦﴾ ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾، شديدا فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا.

وجاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون

عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوا في الدنيا».

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الْأَعْمَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط.

وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشرف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما فدعا الناس [على عادته] ودعا رسول الله ﷺ، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف، فلما أخبر أبي بن خلف قال له: يا عقبة صبا؟ قال: لا والله ما صبا، ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له أنه رسول الله فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتبزيق في وجهه، ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام: «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوث وأسك بالسيف» فقتل عقبة يوم بدر صبورا، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد بيده.

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خده، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت.

وقال الشعبي: كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك

حرام إن بايعت محمدا، فكفر وارتد فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الْأَعْمَىٰ﴾ يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن مناف على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه.

قال عطاء: يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنتبان ثم يأكلهما هكذا كلما نبت يده أكلهما تحسرا على ما فعل ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ﴾، في الدنيا، ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، ليشني اتبعت محمدا ﷺ واتخذت معه سبيلا إلى الهدى، قرأ أبو عمرو «يا ليتني اتخذت» بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.

﴿٢٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا سَبِيلًا﴾، يعني أبي بن خلف.

﴿٢٩﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾، عن الإيمان والنقرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ يعني الذكر مع الرسول، ﴿وَوَكَّانَ السَّيِّطُونَ﴾، وهو كل متمرد عات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾، أي تاركاً يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآيات عام في حق كل متحابين اجتماعا على معصية الله [عز وجل].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن العلاء، أنا أبو أسامة، عن يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَبِيلًا ﴿٣٠﴾
 الَّذِينَ يُحْسِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ
 مَكَانِنَا وَأَحْسَلُ سَيْلًا ﴿٣١﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مِنْ الْكِتَابِ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزُورًا ﴿٣٢﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٣﴾ وَقَوْمُ
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٤﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُنَّا تُرَاتِبِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا نوحًا الرِّسَالَ
 الَّتِي آمُرُكَ بِهَا أَنْ تَقُولَ لِلنَّاسِ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْتَدُّونَ
 كُنُوفًا لَا يُرْجُونَ شُورًا ﴿٣٧﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُرُودًا أُنْهَدًا وَإِلَىٰ بَيْتِ اللَّهِ رُغُودًا ﴿٣٨﴾ إِنَّكَ كَادٌ
 لِيُضِلَّنَا عَنْ الْهَيْبَتِ لَوْلَا أَنَّ صِدْقًا عَلَّمْنَا هَا وَسُوقًا
 يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مِنْ أَحْسَلِ سَيْلًا ﴿٣٩﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ فَأَنطَقَهُ لِقَوْمٍ يُكْفَرُونَ ﴿٤٠﴾

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن كساب النيسابوري، أنا أبو العباس الأصم، ثنا حميد بن عياش الرملي، أنا مؤمل بن إسماعيل، ثنا زهير بن محمد الخراساني، ثنا موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال».

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ ﴿٣٠﴾

يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: ﴿يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، يعني متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه.

وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان، والقول السيء، فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد. وقيل: قال الرسول يعني محمداً ﷺ يشكو قومه إلى الله يا رب: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى [في الأمم السالفة] فقال:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول لا يكبرن عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم، فاصبر لا مري كما صبروا فإنني ناصرك وهاديك، ﴿وَكُنْ﴾

بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا *.

﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴿٣١﴾، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾، فعلنا، ﴿لِنُنزِّلَ بِهِ فَوَادًا﴾، يعني أنزلناه مفرقاً ليقوي به قلبك فتعيه وتحفظه، فإن الكتب أنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، قال ابن عباس بيناه بياناً، والترتيل التبيين في ترسل وثبتت. وقال السدي: فصلناه تفصيلاً. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن وقتادة: فرقناه تفريقاً، آية بعد آية.

﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾، يا محمد يعني هؤلاء المشركين، ﴿بِمَثَلٍ﴾، يضربونه في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله [عليهم]، فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً، وسمي ما يدفع به الشبه حقاً، ﴿وَأَحْسَنَ قَبِيلًا﴾، يعني بياناً وتفصيلاً، والتفسير تفصيل من الفسر وهو كشف ما قد غطي. ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

﴿الَّذِينَ﴾، أي: هم الذين، ﴿يُحْسِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، فيساقون ويجرون، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ

قال: «مثل المجلس الصالح والسوء، كحامل المسك وناقخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتناخ منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، وناقخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما تجد منه ريحاً خبيثة».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، [أبنا] محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن حياة بن شريح، أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري - قال سالم أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

كُنَّاكَ، أي مكانة ومنزلة، ويقال منزلاً ومصيراً، «وَأَمْسَلُ سَيْلًا»، أخطأ طريقاً.

﴿٤٥﴾ «وَلَقَدْ آتَيْنَا مَرْثِيَ الْعَجِثِ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَفَادَ هَنُوتَ زَبْرًا» [أي] معيناً وظهيراً.

﴿٤٦﴾ «فَلَقْنَا أَدَمًا إِلَى الْقَرْيَةِ الذَّرِيَّةِ كَذِبًا بِعَائِنَا»، يعني القبط، «فَدَمَّرْنَاهُمْ»، فيه إضممار، أي: فكذبوهما فدمرناهم، «فَوَمِرًا»، [أي] أهلكتناهم إهلاكاً.

﴿٤٧﴾ «وَقَرَّمُ نُوْحٍ لَمَّا كَذَبَ الرَّسُولَ»، أي: الرسول، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. «أَفَرَّقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً»، أي لمن بعدهم عبرة، «وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ»، في الآخرة، «عَذَابًا أَلِيمًا»، سوى ما حل بهم من عاجل العذاب.

﴿٤٨﴾ «وَعَادًا وَثَمُودًا»، أي وأهلكنا عاداً وثمود، «وَأَمْسَبَ الْأَرْنَؤَمَ»، اختلفوا فيهم.

قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وأصحاب مواشٍ يعبدون الأصنام، فوجه الله إليهم شعبياً يدعوهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم وانكبابهم على عبادة الأوثان وفي أذى شعيب عليه السلام، فبينما هم حوالي البئر في منازلهم فانهارت بهم البئر فخسف الله بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعاً، والرس: البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والأجر فهو رس.

وقال قتادة والكلبي: «الرس» بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل، وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: «رَبِّئِمْ مَعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ» [الحج: ٤٥]. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى.

وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس [اسم] بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس.

وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه، وأوقدوا فيه ناراً وكانوا يلقون فيه من آمن بالله. وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم في بئر فمات فأهلكهم الله. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، «وَرُؤُودًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا»، أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وأصحاب الرس.

﴿٤٩﴾ «وَسَعْلًا مَرَّتًا لَ الْأَمْسَلِ»، أي الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار، «وَسَعْلًا تَرَّتًا تَنْبِيرًا»، أي أهلكنا إهلاكاً. وقال الأخفش: كسرنا تكسيراً. قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته.

﴿٥٠﴾ «وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْهَيْهَاتُ مَطَرًا كَثِيرًا»، يعني الحجارة، وهي قريات قوم لوط، وكانت خمس قرى، فأهلك الله

أربعاً منها، نجت واحدة، وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، «أَنْتُمْ يَكْفُرُونَ بِرَبِّكُمْ»، إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتذكروا إنما فعل بهم لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند سفرهم إلى الشام، «بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ»، لا يخافون، «فَنُفِّرُوا» بعثاً.

﴿٥١﴾ قوله عز وجل: «وَلَا رَأْيَ لَنَا بَنِي إِدْرَؤَمَ» يعني: ما يتخذونك، «إِلَّا هُرُؤًا»، يعني مهزوءاً به، نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئاً «أَهْلَكَ الَّذِي بَكَتَ اللَّهُ رُسُولًا».

﴿٥٢﴾ «إِنْ كَادَ لَيَكُونُنَا» يعني قد قارب أن يضلنا، «عَنْ ءَالِهَتِنَا لِوَلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا»، يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، «وَسَوَاءٌ يَسْتَوُونَ بَيْنَ الْعَدَابِ مِنَ أَهْلِ سَبِيلًا»، من أخطأ طريقاً.

﴿٥٣﴾ «أَفَأَنْتَ مِنَ الْهَادِينَ» وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبده.

وقال ابن عباس: رأيت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندي؟ «أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ بِحَبِؤِ رَبِّكَ»، يعني حافظاً، يقول أفأنت عليه كفيلاً تمنعه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله؟ أي لست كذلك. قال الكلبي: نسختها آية القتال.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِیَسَاءَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِيَدْفَعَنَّ بِأَيْدِي رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنَحْيِي بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُحْفِيَهُ وَمَتَّخِذِينَ أَنْعَامًا وَأَنْبَاءً كَبِيرًا ﴿٤٩﴾ وَقَدَّرْنَا فِيهِمُ الْيَدْرُكُورَ فَأَنَّى أَكْفَرُ النَّاسِ إِلَّا الْكُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ثُورًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِيْنَ وَحَدَّيْهِمْ بِهِ جَهَنَّمَ كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ لَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

[الواقعة: ٣٠] لم يكن معه شمس. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾، أي: دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهب الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس. وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سمي فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، يعني على الظل ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾، يعني الظل، ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾، بالشمس التي تأتي عليه، و«القبض» جمع المنبسط من الشيء، معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءاً فجزءاً قبضاً يسيراً أي: خفياً.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِیَسَاءَ﴾، أي سترأ تستترون به، يريد أن ظلّمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابس، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾، راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل السبت القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾، أي يقظة وزماناً، تنتشرون فيه لابتغاء الرزق وتتشرون لأشغالكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا﴾

﴿بِيَدِي رَحْمَتِي﴾، يعني المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسخر به، والفظور اسم لما يفطر به، والدليل عليه ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».

وأراد به المطهر فالماء مطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة، كما قال في آية أخرى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطْهَرَكُمْ﴾ [الأنفال: ١١] فثبت به أن التطهير يختص بالماء، وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، كالخل وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها.

وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما يتكرر منه التطهير، كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر، والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر، وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء الذي توضع به مرة.

وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته؟ نظر: إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه، كالطين والتراب وأوراق الأشجار، لا يزول، فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره، وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالطه، كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به، لأن تغيره للمجاورة لا للمخالطة.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾، ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾، ما يعاينون من الحجج والإعلام، ﴿إِنْ هُمْ﴾، ما هم ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، لأن البهائم تهتدي لمراعها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون [شيئاً من ذلك بل يؤثرون السجود إلى ما ينتهون من الأحجار على السجود لله الواحد القهار].

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾، معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً لأنه ظل لا شمس معه، كما قال: «في ظل الجنة»، ﴿وَيَطَّلِي تَتَدِيرُ﴾

وإن كان شيئاً يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما يزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به.

وإن لم يتغير أحد أوصافه نُظر إن كان الواقع فيه شيئاً طاهراً لا تزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع فيه شيئاً نجساً نظر [فيه] فإن كان الماء قليلاً أقل من القلتين ينجس الماء.

وإن كان قدر قلتين فأكثر [ولا تغير به] فهو طاهر يجوز الوضوء به، والقلتان خمس قُرب ووزنها خمسمائة رطل، والدليل عليه ما:

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبد الرحيم بن المنيب، أنا جرير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة من الأرض وما يرد من الدواب والسياب فقال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث».

وهذا قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وجماعة من أهل الحديث: أن الماء إذا بلغ هذا الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري [وبه قال مالك] واحتجوا بما:

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري، ثنا أبو محمد الحسين بن محمد بن حكيم، ثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه، ثنا صدقة بن الفضل، أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظي عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بشر بضاعة؟ وهي بشر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن، فقال رسول الله ﷺ: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء».

① قوله عز وجل: ﴿لِيُخَيَّرَ بِرِيحٍ﴾، أي: بالمطر، ﴿بَلَدَةً مَّيْتَةً﴾، ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ﴿وَلِيُخَيَّرَ مِمَّا خَلَقْنَا أُمَّتَكُمُ﴾ [أي] نسقي من ذلك الماء أنعاماً، ﴿وَأَنْبِئْ كَثِيرًا﴾، أي بشرأ كثيراً، والأناسي جمع أنسي، وقيل جمع إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل الياء عوضاً عن النون.

② ﴿وَلَقَدْ صَرَّفَنَّا فِيهَا مَطَرًا﴾، يعني المطر، مرة يبيلد ومرة يبيلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعاً «ما من ساعة من ليل أو نهار إلا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء».

وذكر ابن إسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها

في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكييل معلوم ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياضي والبحار». وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وإبلاً وطلاً ورذاذاً ونحوها. وقيل: التصريف راجع إلى الريح. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى، ﴿فَأَنذَرْنَا أَنبِيَاءَ لِأُمَّتِكُمْ﴾، جحوداً، وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا [معتقدين أن النوء هو الفعال].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

③ قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ظُنُورًا﴾، رسولاً يندرهم، ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة

ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلمت إلىه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما

يدعوننا إليه فلا تتبعه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا سَبِيلًا﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإفناق

من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجراً ولكن لا أمتنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى

جنته.

﴿وَوَكَّلَ عَلَى آيَاتِي الَّذِينَ لَا يُعْمِتُونَ لِحُجَّتِهِمْ﴾، أي: صل له شكراً على نعمه. وقيل: قل سبحان الله، والحمد لله، ﴿وَوَكَّلَ عَلَيْهِ يَدُوبِهِ حَيْرًا﴾، عالماً بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ حَيْرًا﴾، أي: الرحمن.

قال الكلبي: يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش. وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصداقاً به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى «عن»: أي: فاسأل عنه خبيراً وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام.

يُنَبِّئُهُمَا بِرَبِّكَ﴾ أي: حاجزاً بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿وَجِجْرًا تُجْجِرًا﴾ أي: سترأ ممنوعاً فلا

يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ الْبَشَرَ﴾، من النطفة، ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ لَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: جعله ذا نسب وذا صهر.

قيل: النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه، فالنسب ما

يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها.

وقيل: - وهو الصحيح - النسب من القرابة، والصهر: الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، وقد ذكرنا أن الله تعالى حزم بالنسب سبباً وبالسبب سبباً في قوله: ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

﴿وَسَبِّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن عبده، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن تركوه، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾، أي: معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي. وقال الزجاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان.

وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيراً، أي هيناً ذليلاً كما يقول الرجل: جعلني بظهير أي جعلني هيناً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ آمَنَ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا سَبِيلًا ﴿٥٢﴾ وَوَكَّلَ عَلَى آيَاتِي الَّذِينَ لَا يُعْمِتُونَ لِحُجَّتِهِمْ وَسَبِّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادَهُمْ يُجَادِبُونَ عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ حَيْرًا ﴿٥٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٥٤﴾ نَسَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٥٦﴾ وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ عَنِ الْأَرْضِ هَتُونَ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا اسْلَمَا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ رَبِّهِمْ سُجُدًا وَقِيَامًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٥٩﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦١﴾

جميعها، لتستوجب بصبرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

﴿فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم، ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [أي] شديداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرح، وأصل المرح الخلط والإرسال.

يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء، ﴿هَذَا عَذَبٌ مُرَاتٍ﴾، شديد العذوبة والفرات أعذب المياه، ﴿وَهَذَا يَلُحُّ أَلْجَاجٌ﴾، شديد الملوحة.

وقيل: أجاج أي مر، ﴿وَجَعَلَ

﴿وَلَيْلًا قَبِيلَ لَهْمُ اسْتَجِدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [أي] ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسليمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿اسْتَجِدُّ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾. قرأ حمزة والكسائي «يا أمرنا» بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، «وزادهم» يعني زادهم قول القائل لهم: ﴿اسْتَجِدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ ﴿فَقُرْئَا﴾، عن السدي والإيمان.

﴿قوله عز وجل: ﴿نَسَاكَ الْوَيْ جَمَلٌ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: البروج هي النجوم الكبار، سميت بروجاً لظهورها. وقال عطية العوفي: «بروجاً» أي قصوراً فيها الحرس، كما قال: ﴿وَأُو كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والاسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلاثات، فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة ترابية

والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. ﴿وَجَمَلٌ فِيهَا بَرَكِيًا﴾ يعني الشمس كما قال: ﴿وَجَمَلٌ الشَّمْسُ بَرَكِيًا﴾ [نوح: ١٦] وقرأ حمزة والكسائي «سُرْجًا» بالجمع يعني النجوم. ﴿وَقَمَرًا مُّثِيرًا﴾، والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة [نوع شرف].

﴿رَوَى الْوَيْ جَمَلٌ أَيْلٌ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً﴾، اختلفوا فيه قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعوضاً، يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر.

قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله عز وجل: ﴿جَمَلٌ أَيْلٌ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ﴾.

قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ﴾، قرأ حمزة بتخفيف الذال والكاف وضمها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديد أي يتذكر ويتعظ ﴿أَرَادَ شُكْرًا﴾، قال مجاهد:

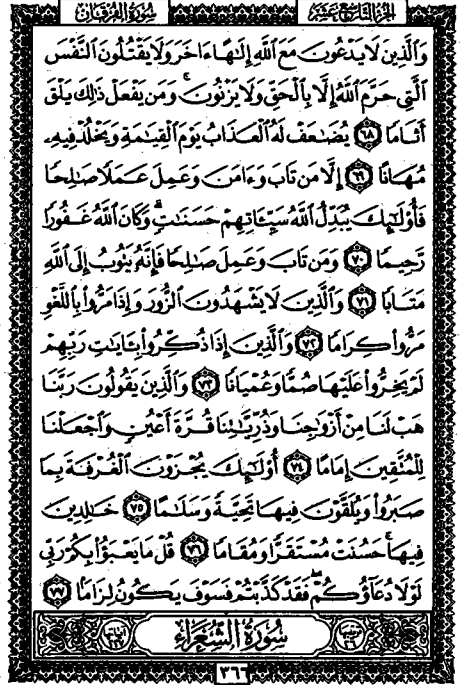
أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ﴾، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿الَّذِينَ يَسْئَلُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا، والهنون في اللغة الرفق واللين، ﴿وَلَيْلًا خَالِبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾، قال مجاهد: سداداً من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروي عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عز وجل: ﴿وَلَيْلًا سَكِينًا لِلنَّفْسِ أَهْرَظُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنْ نَأْتِيَنَّكُمْ أَمْ نَكُرُ سَلَامًا﴾ [القصص: ٥٥]، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمروا بالقتال، ثم نسختها آية القتال.

وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ يَسْئَلُونَ لِزَيْهَتِهِمْ سَخِمًا وَفَرِحًا﴾، قال: هذا وصف ليلهم.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْئَلُونَ لِزَيْهَتِهِمْ﴾، يقال لمن أدرك الليل: بات، نام أو لم ينم، يقال:



«والإقتار»: التقصير عما لا بد منه، وهذا معنى قول إبراهيم [قال] لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف، ﴿وَكَانَ يَبْكُ ذَلِكَ قَوْمًا﴾، قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار، حسنة بين السيتين.

وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية: أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا [لا] يأكلون طعاماً للتعلم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكتمهم من الحر والقر. قال عمر بن الخطاب: كفى سرقاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.

﴿٦٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، أنا هشام بن يوسف [أن] ابن جريج أخبرهم قال: قال يعلى - وهو يعلى بن مسلم - أن سعيد بن جبيرة أخبره عن ابن عباس، أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملناه كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، ونزل: ﴿قُلْ يَمُودَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا، يعني ملحاً دائماً لازماً غير مفارق من عذب به من الكفار، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته إياه. قال محمد بن كعب القرظي: سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه، فبقوا في النار، وقال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلا جهنم. «والغرم»: الشر اللازم، وقيل: غراماً هلاكاً.

﴿٦٦﴾ ﴿إِنَّهَا﴾، يعني جهنم، ﴿سَاءتْ مُسْقَرًا وَمَقَامًا﴾، يعني بش موضع قرار وإقامه.

﴿٦٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «يقترُوا» بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم التاء، وكلها لغات صحيحة. يقال: أقتَر وتقتَر بالتشديد، و«قتَر» بفتح الياء، واختلَفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: «الإسراف» النفقة في معصية الله وإن قلت، و«الإقتار» منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج، وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم: «الإسراف»: مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير

بات فلان قلقاً، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿سَجَدًا﴾، على وجوههم، ﴿وَقِيَمًا﴾ على أقدامهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً. وقائماً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عثمان بن حكيم، عن عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة كأنما صلى الليل كله».

﴿٦٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ﴾

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي شيئاً من هذه الأفعال، ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾، يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: الأثام العقوبة.

وقال مجاهد: الأثام واد في جهنم، يروى ذلك عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

ويروى في الحديث: «الغني والآثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار».

﴿٦٩﴾ ﴿يُضَعَّفَ لَهُ الْعَمَلَاتُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَحْتَدُّ فِيهِ مَكَانًا﴾، قرأ ابن عمر وأبو بكر «يضاعف» و«يخلد» برفع الفاء والذال على الابتداء، وشدد بنُ عامر «يضعّف»، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والذال على جواب الشرط.

﴿٧٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه، وآمن بزبه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله، ثنا [محمد بن] موسى بن محمد، ثنا موسى بن هارون الحمالي، ثنا إبراهيم بن محمد الشافعي، ثنا عبدالله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية، ثم نزلت: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط كفرحه بها وفرحه بـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح: ١ - ٢].

﴿تَأْتِيهِمْ رِزْقٌ غَيْرَ كَيْفٍ لَّهُمْ﴾ فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا. قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والسدي، والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً. وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب، ومكحول، يدل عليه ما: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن

عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو عمار الحسين بن خريت، ثنا وكيع، ثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ويخيا عنه كبارها، فيقال [له] عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها، فيقال أهطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: رب إن لي ذنوباً ما أراها ههنا»، قال أبو ذر: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

وقال بعضهم: إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال بعض أهل العلم: هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحاً أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿فَلَنَنبِئَنَّ إِلَى اللَّهِ﴾، أي يعود إليه بالموت، ﴿مَنْ تَابَ﴾، حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: ﴿يُنَبِّئُ إِلَى

اللَّهُ خَيْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، أَي: لِيَتَّبِعْ إِلَى اللَّهِ.

وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، قال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك. وقال علي بن [أبي] طلحة: يعني شهادة الزور. وكان عمر بن الخطاب: يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخّم وجهه ويطوف به في السوق. وقال ابن جريج: يعني الكذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل النوح وقال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون الله والغناء.

وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهّم أنه حق، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغْوِ مَرًّا كَرَامًا﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد. ونظيره قوله: ﴿وَإِذَا سَكَبُوا لِللُّغْوِ عَرُضًا عَتًّا﴾ [القصص: ٥٥]، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: «اللغو»: المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا﴾، لم يقعوا ولم

يسقطوا، ﴿عَلَيْهَا صَبًا وَمَعْيَانًا﴾، كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوا وعمي لم يروها.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذُرِّيَّتِنَا﴾، قرأ بغير ألف: أبو عمرو، وحزمة والكسائي، وأبو بكر، وقرأ الباقر بالألف على الجمع، «قرة أعين»، يعني أولاداً أبراراً أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين فقرر أعيننا بذلك.

قال القرظي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن، ووجد القرة لأنها مصدر، وأصلها من البرد، لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد، وتذكر قرة العين عند السرور، وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قرة الأعين: أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة. كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقيل: أراد أئمة كقوله: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَذْرَىٰ فَاتٍ﴾ [الشعراء: ٧٧] يعني أعداء، ويقال أميرنا هؤلاء، أي أمرائنا وقيل: لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال أم إماماً كما يقال قام قياماً، وصام صياماً. قال الحسن: نفتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا

أئمة هداة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْتُمُونَ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [القصص: ٤١]، وقيل: هذا من المقلوب يعني واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مؤتمنين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

﴿أُولَئِكَ يَجْرَبُونَ﴾، يعني ينالون، ﴿الْفَرْقَةَ﴾، يعني الدرجة الرفيعة في الجنة، والغرفة: كل بناء مرتفع عال. وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد [والياقوت] في الجنة، ﴿يَسَاءَ سَبْرًا﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف، كما قال فسوف يلقون غياً. وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال: ﴿وَأَلْقَاهُمْ نَقْرًا وَسَرُورًا﴾، وقوله: ﴿عَجَبَةً﴾، أي ملكاً وقيل بقاء دائماً، ﴿وَمَلَكًا﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم [بعضاً] بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلاماً أي سلامة من الآفات.

﴿خَلِيلِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، أي: موضع قرار وإقامة.

﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُرْبِيِّ﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي ما يصنع وما يفعل بكم، قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئاً أي لم أعدّه، فوجوده وعدمه سواء، مجازة: أي وزن وأي

مقدار لكم عنده، ﴿لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إتياءه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناه قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إتياءه يعني إنه خلقكم لعبادته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِيُنَافِكُوا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقال قوم: قل ما يعبا [بكم ربي] ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وقيل: ما يعبا بعذابكم لولا دعاؤكم إتياءه في الشدائد، كما قال: ﴿إِنَّمَا رُكِبُوا فِي الْفَالِكِ دَعْوًا لِلَّهِ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال: ﴿فَأَخَذْتَهُم بِالْأَسْبَاطِ وَالْفِئْرَةَ لَأَمْلَهُمْ بَسْمَرَتُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]. وقيل: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتهم الرسول ولم تجيبوه. ﴿سَوَّوْا يَكُونُ لِرِزَامًا﴾، هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاماً، قال ابن عباس موتاً. وقال أبو عبيدة: هلاكاً. وقال ابن زيد: قتالاً. والمعنى: يكون التكذيب لازماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جريج

عذاباً دائماً وهلاكاً مقيماً يلحق بعضهم ببعض واختلفوا فيه، فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وهو قول عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل، يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة، لازماً لهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا

عمر بن حفص بن غياث، أنا أبي، أنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام، ﴿سَوَّوْا يَكُونُ لِرِزَامًا﴾ وقيل: اللزام عذاب القبر.

سورة الشعراء

مكية إلا أربع آيات من آخر السورة.

من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَارُ﴾ [٢٢٤ - ٢٢٧] وهي مائتان وسبع وعشرون آية.

وروي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿طس﴾، قرأ حمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿طس﴾ نَكَدَ الْكِتَابَ الْبُيُوتِ ﴿٢﴾ لَمَّا كَفَرَ بِحَقِّكَ الْأَيْكُورُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ لَنَا لَأَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ فَاخْتَضِعُوا لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُبَدِّئًا لِأَكَاوُاعِهِمْ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لِمَنْ أَنْزَلْنَا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهِئِنَّا مُبْدِئُهَا بِرِجِّحٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمِ فَرعونَ الَّذِينَ قَوْمُهُ قَالُوا رَبِّيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١١﴾ وَيُضِيقُ صُدْرِي وَلَا يَبْطِئُ لِسَانِي فَأُرْسِلُ إِلَى هَارُونَ ﴿١٢﴾ وَلَكُمْ عَلَنَّا فَخَافَ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٣﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَابًا وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَوِّعُونِ ﴿١٤﴾ فَأَيُّ الْفِرْعَوْنَ قَوْلًا أَتَى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ أَنْ أُرْسِلَ مَعَايِي لِرَبِّي بَلِّغْ ﴿١٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ فُتِنَا لِدَاؤِ لَيْسَانَ فَمَنْ غَرَبْتُمْ مِنْهُمْ وَسِغَمَ لُحْيِهِ وَمَنْ عَمَلَتْ لِي مَعَالِكُ الْوَالِي فَعَمَلَتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾

والكسائي وأبو بكر ﴿طس﴾ و﴿طس﴾ [النمل: ١] و﴿حم﴾ [غافر: ١] و﴿يس﴾ [يس: ١] بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر، وقرأ الآخرون بالفتح على التفعيم، وأظهر النون من السين عند الميم في طسم أبو جعفر وحمزة، وأخفاها الآخرون.

وزوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: طسم عجزت العلماء عن تفسيرها.

وروي علي بن طلحة الوالي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله ببطوله وسنائه وملكه.

﴿١﴾ ﴿طس﴾، أي هذه ﴿نكتة﴾ الكتابين.

﴿تَمَكَّ بَنِيخُ﴾، قاتل، ﴿تَمَكَّ﴾
أَلَا يَكْفُرُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [أي] إن لم
يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة
فشق عليه وكان يحصر على
إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
آيَةٌ فَلَمَّ أَتَيْنَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، قال
قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية
يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه
إلى معصية الله. وقال ابن جريج:

معناه: لو شاء الله لأراهم أمراً من
أمره، لا يعمل أحد منهم بعده
معصية. وقوله عز وجل:

﴿خَاضِعِينَ﴾ ولم يقل خاضعة وهي
صفة الأعناق، وفيه أقاويل أحدها:
أراد أصحاب الأعناق، فحذف
الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم،
لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها
خاضعون، جعل الفعل أولاً
للأعناق، ثم جعل خاضعين

للرجال. وقال الأخفش: ردُّ
الخضوع على المضمر الذي أضاف
الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة
لمجاورتها المذكر، وهو قولهم على
عادة العرب في تذكير المؤنث إذا
أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر
إذا أضافوه إلى مؤنث. وقيل: أراد

فظلوا خاضعين فعبر بالعنق عن
جميع البدن، كقوله ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ
يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] و﴿الزَّيْنَةُ طَلَبُورٌ
فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣]. وقال

مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء
والكبراء، أي: فظلت [رؤساءهم]
كبرائهم [لها] خاضعين. وقيل: أراد
بالأعناق الجماعات، يقال: جاء
القوم عنقاً عنقاً أي جماعات

وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين
على وفاق رؤوس الآي ليكون على
نسق واحد.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾، وعظ
وتذكير، ﴿مَنْ أَلْحَقْنِ مُحَمَّدًا﴾، أي

محدث إنزاله، فهو محدث في
التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء
من القرآن بعد شيء فهو أحدث من
الأول، ﴿إِلَّا كَأَنَّهُمْ مُمْرِسِينَ﴾، أي
عن الإيمان به.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ﴾، أي:
فسوف يأتيهم، ﴿أَنْبِيَاءُ﴾، أخبار
وعواقب، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهٍ كَرَاهٍ
فِيهَا مِنْ كُلِّ رَافِعٍ﴾، صنّف وضرب،
﴿كِرِيمٍ﴾، حسن من النبات مما يأكل
الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة
إذا طاب حملها، وناقعة كريمة إذا كثرت
لبنها. قال الشعبي: الناس من نبات
الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم،
ومن دخل النار فهو لثيم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، السذي
ذكرت، ﴿لَايَةً﴾، دلالة على
وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي،
﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين،
أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا
يؤمنون. وقال سيبويه: كان ههنا
صلة، مجازة: وما أكثرهم مؤمنين.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾،
العزیز بالنقمة من أعدائه، ﴿الزَّيْمِ﴾،
ذو الرحمة بأوليائه.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَإِذْ نَادَى
رَبُّكَ مُوسَى﴾، واذكر يا محمد إذ نادى
ربك موسى حين رأى الشجرة
والنار، ﴿أَنْ أَنْتَ الْغَلَّالِيُّنَ﴾،
يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر

والمعصية، وظلموا بني إسرائيل
باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

﴿قَوْمٌ فَرَعُونَ آلَا يَنْقُوتُونَ﴾، ألا
يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله
بطاعته.

﴿قَالَ﴾، يعني موسى، ﴿رَبِّ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم
إيائي، ﴿وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي﴾، قال: هذا
للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ
يعقوب «ويضيق»، «ولا ينطلق»
بنصب القافين على معنى وأن
يضيق، وقرأ العامة برفعها رداً على
قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾، ﴿فَأَرْسِلْ لِي
هَارُونَ﴾، ليوازي ويظاهرنني على
تبليغ الرسالة.

﴿وَلَمَّ عَلَى ذَنْبٍ﴾، أي دعوى
ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿فَأَخَافُ أَنْ
يَقْتُلُونِي﴾، أي يقتلونني به.

﴿قَالَ﴾، الله تعاللي،
﴿كَلَّا﴾، أي لن يقتلوك، ﴿فَأَذْهَبَا
يَتَابِعْتَنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾، سامعون
ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع،
وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة.
وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل
نسجم ما يجيئك فرعون.

﴿فَأَيُّا فَرَعُونَ قَقُولًا إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل رسولا
رب العالمين، لأنه أراد بالرسالة،
أنا ذو رسالة رب العالمين، كما
قال كثير:

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول
أي بالرسالة، وقال أبو عبيدة:
يجوز أن يكون الرسول بمعنى
الائتين والجمع، تقول العرب: هذا

﴿٢٦﴾ **قَالَ**، فرعون - حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب - تكبراً عن الحق:

﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرَ لَجَعَلْنَاكَ مِنْ آتِسَجِيبِينَ﴾، أي: المحبوسين، قال الكلبي: كان سجنه أشد من القتل، لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً من عمقه، يهوي [به] في الأرض.

﴿٢٧﴾ **قَالَ** له موسى حين توعده بالسجن **أَوَلَوْ جِئْتُكَ** أي: وإن جئتك، **يَسْتَوْثِقِينَ**، بآية مبينة، ومعنى الآية أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان.

﴿٢٨﴾ **قَالَ** له فرعون، **فَأْتِ بِبَيِّنَةٍ**، فإنما لن نسجنتك حينئذ، **إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ**.

﴿٢٩﴾ **فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ** فإذا هي **ثُمَّبَانٌ ثِيْبِيْنٌ** فقال: وهل [من آية] غيرها.

﴿٣٠﴾ **وَرَفَعَ**، موسى، **يَدَهُ** فإذا هي **بَصْبَاءٌ لِّلنَّطْرِينَ**.

﴿٣١﴾ - **قَالَ** فرعون. **لِللَّيْلِ حَوْلَهُ** إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ عَلَيْكَ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُ قَالَوَا أَرْنَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ **يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ**.

﴿٣٢﴾ **فَجَمَعَ السَّحَرَةُ** ليبيقت يفر مقلوب، وهو يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة لو كان

العلويون، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي؟ يستوصفه إله الذي أرسله إليه بـ «ما» وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام يذكر أفعاله التي يعجز [الخلق] عن الإتيان بمثلها.

﴿٣٣﴾ **قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** إن كنتم مؤمنين، أنه خلقهما. قال أهل المعاني: أي كما توفقون هذه الأشياء التي تعابونها فأيقنوا أن إله

الخلق هو الله عز وجل، فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى.

﴿٣٤﴾ **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ**، ممن أشراف قومه. قال ابن عباس: كانوا خمس مائة رجل عليهم الأسورة، قال لهم فرعون استبعاداً لقول موسى، **أَلَا تَسْمَعُونَ**، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى في البيان.

﴿٣٥﴾ **قَالَ رَجُلٌ مِّنْ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**.

﴿٣٦﴾ **قَالَ**، يعني فرعون، **إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**، يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان.

﴿٣٧﴾ **قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا** إن كنتم تقولون.

لَمَّا تَدَّبَّ السَّحَرَةُ إِنَّ كَانُوا هُمُ الْفٰلِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِن لَّنَا لِأَجْرٌ إِنْ كُنَّا مِنَ الْفٰلِقِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِن كُمْ إِذًا لِّمَنْ الْمَقْرِبِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلَمْ نَأْتِكُمْ مِّن قَبْلُ قَالُوا بَلَىٰ فَرعونَ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا لِبِعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَنَّانِيَّةِ ﴿٣٧﴾ فَأَلْفَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٣٨﴾ فَأَلْفَىٰ السَّحَرَةُ مَسْجِدَ مُحَمَّدٍ ﴿٣٩﴾ قَالُوا أَمْ نَارِبُ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤١﴾ قَالَ أَمْ مُنْتَحَلَةٌ قَبْلَ أَنْ أَدَّ لَكُمْ إِقَامٌ لِّكِبْرِكُمْ الَّتِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرُ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تَطْمَئِنُّ بِيَدِكُمْ وَأَرْضُكُمْ مِنْ خَلْفِي وَلَا صَلَاتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَأَضْرِبْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَمَلِّينَ ﴿٤٣﴾ إِنْ نَأْتِنَا بِهَذَا فِرْعَوْنَا وَرَبِّنَا فَخَلِّينَا أَنْ نَكْفُرَ أَوْ نُؤْمِنَ إِنْ كُنَّا مِنْكُمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴿٤٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أْمُرْ بِبَنِي إِسْرٰءِيلَ أَنْ يُخْرِجُوا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ هُوَ لَذُو نِعْمَةٍ قَالُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغٰٔطُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حٰكِرُونَ ﴿٤٨﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٩﴾ وَكَنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ﴿٥٠﴾ كَذٰلِكَ وَأَوْثَقْنَاهُم بِرِيسْرِ يَدَيْهِمْ فَتَشَبَّهُوا مَثَرُوقِينَ ﴿٥١﴾

وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق أي: أتركني، يقول تمن علي أن ربيتي، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ أو يريد: كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أمين قومه ذل، فتعييدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي، وقيل: معناه تمن علي بالتربية. وقوله: **﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرٰءِيلَ﴾** أي: باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دفعت إليك حتى ربيتي وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم، فأني نعمة لك علي؟ قوله **﴿عَبَدْتُ﴾** أي اتخذتهم عبيداً، يقال عبدت فلاناً وأعبدته وتعبدته واستعبدته، أي اتخذته عبداً.

﴿٥٢﴾ **قَالَ فِرْعَوْنَ وَمَا رَبُّ**

يوم عيدهم] وهو يوم النيروز.

﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾، لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة.

﴿٤٠﴾ هَلْآتَا نَبِيْعَ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا مِنْكُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾، لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٩﴾ هَلْآتَا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِيَزَعَنَّ أَيْنَ نَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا مِنْكُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لِينَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَفَرَأَى مَا أَنْتُمْ تُفْعَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْفَا جَاءَكُمْ وَبَصَّيْتُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِكَ يَزَعُونَ إِنَّا لَنَعْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ فَرَأَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْفَى السَّحَرَةَ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ آدَنَّ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرَةٌ الَّتِي عَلَيْكُمْ الْيَحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَقْطَعَنَّ يَدَيْكُمْ وَأَحْمِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ، ﴿٥١﴾ لَنَا إِنْ رَبَّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لَنَا رَبَّنَا مَخَلِبِينَ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾، من أهل زماننا.

﴿٥٥﴾ وَوَجَّعْنَا إِيَّكَ مُوسَى أَنْ أَمَرَ بِسَادَتِهِ إِذْ كَرُّوا مُجْتَمِعُونَ ﴿٥٥﴾، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر. وروي عن ابن جريج قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت، ثم ادبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم، فإني سأمر الملائكة فلا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وسأمرها

فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر، فيأتيك أمري ففعل ذلك. فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه، قتلوا أبقارنا من أنفسنا، وأخذوا أموالنا، فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في الكرسي العظيم.

﴿٥٦﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَائِكَةِ حَاشِرِينَ ﴿٥٦﴾، يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى يجمعوا له الجيش، وذكر بعضهم: أنه كان له ألف مدينة واثنان عشرة ألف قرية. وقال لهم:

﴿٥٧﴾ إِنَّ هَذِهِ لَبِئْرُكُمْ ﴿٥٧﴾، عصابة ﴿٥٨﴾ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾، والشردمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شرادم. وقال أهل التفسير: كانت الشردمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف. وعن ابن مسعود قال: كانوا ستمائة وسبعين ألفاً ولا يحصي عدد أصحاب فرعون [إلا الله].

﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٩﴾، يقال غاظه وأغاظه وغيطه إذا أغضبه، والغيط والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبقارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها، وخرجهم من أرضنا بغير إذن منا.

﴿٦٠﴾ وَإِنَّا لَجِئُكَ حَذِرُونَ ﴿٦٠﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة «حذرون» و«فرهين» [الشعراء: ١٤٩] بغير ألف، وقرأ الآخرون «حاذرون»

و«فارهين» بألف فيهما، وهما لغتان. قال أهل التفسير: حاذرون أي مؤدون ومقرون، أي: ذو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومعنى حذرون أي خائفون شرهم. وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر المتيقظ. وقال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلا حذراً. والحذر اجتناب الشيء خوفاً منه.

﴿٦١﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ ﴿٦١﴾، وفي القصة [أن] البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل ﴿٦٢﴾ ونهراي جارية.

﴿٦٣﴾ وَكَذَّبُوا ﴿٦٣﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، قال مجاهد سماها كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط حق الله منها فهو كنز، وإن كان ظاهراً، قيل: كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب، ﴿٦٤﴾ وَتَقَابُرٍ كَثِيرٍ ﴿٦٤﴾، أي مجلس حسن.

قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المنابر. وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد [فرعون] على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مخصصة بالذهب.

﴿٦٥﴾ كَذَّالِكَ ﴿٦٥﴾ [أي] كما وصفنا، ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴿٦٦﴾، بئس إسرؤيل ﴿٦٧﴾، وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل

فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٢﴾
 وَأَرْقَيْنَا لَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَوْحَيْنَا مُوسَىٰ مِنْ مَعَهُ أَجْمِينَ ﴿٦٤﴾
 ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ
 نَبَأٌ بَرِهَةٌ ﴿٦٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا
 تَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ مَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧١﴾ أَوْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَحِطُّونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ مَا بَعَدْنَا
 وَإِنَّا بَكُمْ لَأَقْدَمُونَ ﴿٧٤﴾ فَأَنذَرْتُمُوهُمُ الْيَوْمَ النَّارَ الَّتِي
 لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ بِهَا فَيَكْفُرُوا بِهَا لَكُمْ وَكَانُوا فِيهَا مِنًا ﴿٧٥﴾
 وَالَّذِي خَلَقْتُمْ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِينِ
 ﴿٧٧﴾ وَإِذَا مَرِضْتُمْ فَهُوَ يُشْفِيكُمُ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي يُسْقِيكُمُ ثَمَرَ
 التَّيْنِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي أَمْطَعَكُمْ أَنْ يَقُولُوا خَلَقْتَنِي يَوْمَ أَلْقَيْتُ
 الرَّسْمَ ﴿٨٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨١﴾

﴿٦٠﴾ وَأَوْحَيْنَا مُوسَىٰ مِنْ مَعَهُ
 أَجْمِينَ ﴿٦١﴾

﴿٦٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٣﴾
 فرعون وقومه. وقال سعيد بن
 جبير: كان البحر ساكناً قبل ذلك
 فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب
 فجعل يمد ويجزر.

﴿٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا مُوسَىٰ مِنْ مَعَهُ
 أَجْمِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ أي من أهل مصر،
 قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا
 آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن
 [الذي يكتب إيمانه]، ومريم بنت
 مأمويا التي دلت على عظام يوسف
 عليه السلام.

﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ
 رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ العزيز في الانتقام من
 أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين
 أنجاهم [من عدوهم].

﴿٦٩﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿٧٢﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ أي: شيء تعبدون.

﴿٧٤﴾ فَأَنذَرْتُمُوهُمُ الْيَوْمَ
 النَّارَ الَّتِي لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ بِهَا
 فَيَكْفُرُوا بِهَا لَكُمْ وَكَانُوا فِيهَا
 مِنًا ﴿٧٥﴾ يعني نقيم على عبادتها.

قال بعض أهل العلم: إنما قال:
 ﴿فَنظَّلْنَا﴾ لأنهم كانوا يعبدونها
 بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل
 كذا إذا فعل بالنهار.

﴿٧٦﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾

﴿٧٩﴾ وَالَّذِي خَلَقْتُمْ فَهُوَ
 يَهْدِينِ ﴿٨٠﴾ أي: هل يسمعون دعاءكم،
 قال ابن عباس يسمعون لكم.

﴿٨١﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي
 بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾ أي: قـيـل
 بالرزق، ﴿أَوْ يَحِطُّونَ﴾، إن تركتم
 عبادتها.

﴿٨٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨٤﴾ معناه إنها لا تسمع قولاً،

قطعة من الماء، ﴿كَالطَّوْدِ
 الْعَظِيمِ﴾، كالجبل
 الضخم، قال ابن جريج
 وغيره: لما انتهى موسى
 إلى البحر هاجت الرياح،
 والبحر يرمي بيموج مثل
 الجبال، فقال يوشع: يا
 مكلم الله أين أمرت فقد
 غشينيا فرعون والبحر
 أمامنا؟ قال موسى: ههنا،
 فخاض يوشع الماء وجاز
 البحر، ما يوارى حافر
 دابته الماء وقال الذي
 يكتب إيمانه يا مكلم الله
 أين أمرت؟ قال: ههنا،
 فكبح فرسه بلجامه حتى

طار الزيد من شذقيه، ثم أقحمه
 البحر فارتسب في الماء وذهب القوم
 يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا،
 فجعل موسى لا يدري كيف يصنع.
 فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك
 البحر، فضربه فانفلق، فإذا الرجل
 واقف على فرسه لم يتبل سرجه ولا
 ليله.

﴿٦٠﴾ وَأَرْقَيْنَا لَهُمُ الْآخِرِينَ
 ﴿٦١﴾ يعني وقربنا ﴿نَمَّ﴾

﴿الْآخِرِينَ﴾، يعني قوم فرعون، يقول
 الهلاك، وقال أبو عبيدة: ﴿وأرقنا﴾:

جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة
 الجمع. وفي القصة أن جبريل كان

بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون
 وكان يسوق بني إسرائيل، ويقولون

ما رأينا أحسن سياقة من هذا
 الرجل، وكان يزع قوم فرعون،

وكانوا يقولون ما رأينا أحسن زعة
 من هذا.

إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه،
 فأعطاهم جميع ما كان لفرعون
 وقومه من الأموال والمساكن.

﴿٦١﴾ فَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّكَ
 نَارًا كَالشَّمْسِ، يعني
 لحقوهم في وقت إشراق الشمس،
 وهو إضاءتها، أي أدرك قوم فرعون
 موسى وأصحابه وقت شروق
 الشمس.

﴿٦٢﴾ فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانَ، يعني
 تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه،

وكسر حمزة الراء من تراءى وفتحها
 الآخرون. ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

لَمُدْرِكُونَ﴾، يعني سيدركنا قوم فرعون
 ولا طاقة لنا بهم.

﴿٦٣﴾ قَالَ﴾، موسى ثقة بوعد الله
 إياه ﴿كَلَّا﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

سَيَهْدِينِ﴾ يدلني على طريق النجاة.

﴿٦٤﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ
 أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾، يعني فضربه
 فانفلق فانشق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾،

وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٥﴾ وَاجْعَلْ مِنْ دُونِ هَذَا
 الْبَصِيرَ ﴿٧٦﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
 يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾ وَيَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٧٩﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٠﴾ وَأَلْقَيْتُ الْحَسَنَةَ لِلسَّقِيَّةِ ﴿٨١﴾ وَرَزَيْتُ الْبَصِيرَ لِلْغَافِلِينَ ﴿٨٢﴾
 وَقُلْ لِمَ أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ دُونِ هَذَا بَصِيرَاتٍ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ نَحْنُ بِرَبِّكُمْ
 أَوْ يُنصِرُونَ ﴿٨٤﴾ نَكْبِكُوكُمْ فِيهَا هُمْ وَالْغَافِلُونَ ﴿٨٥﴾ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ
 إِذْ تُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ فَالْوَارِعُ هُمْ بِمَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٨٧﴾ تَأْتِيهِمْ كَمَا تَأْتِي
 صَلَائِلُ بُيُوتٍ مَسْكُونَةٍ إِذْ يَسْتَوِيكُمْ رَبُّ الْمَطْلُوعِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا أَصَلْنَا
 إِلَّا الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٩﴾ نَمَاتَانَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالصِّدْقُ فِي حَيْمٍ ﴿٩١﴾
 فَلَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا رَكَعُ الْمُزْمِرُ الرَّجِيمُ ﴿٩٤﴾ كَذَّبَتْ
 قَوْمُ بُوَيْحِ التَّمْرِيِّينَ ﴿٩٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ رُوْحُ الْأَنْفَرُونَ ﴿٩٦﴾
 إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا ﴿٩٧﴾ فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٩٨﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ جَاءَ الْأَعْلَانَ رَبَّ الْمَطْلُوعِينَ ﴿٩٩﴾ فَاقْبَلُوا اللَّهَ
 وَاطِيعُونَ ﴿١٠٠﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَتَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٠١﴾

والشراب، فهو رازقي ومن عنده رزقي.

﴿٧٥﴾ وَلَا تَأْتِي مَرِيضًا،

أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً

لحسن الأدب كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَسِيبَهَا﴾

[الكهف: ٧٩]، وقال:

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿فَهُوَ بِشَفِيعٍ﴾، أي

يبرئني من المرض.

﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَرَهُ﴾

يبيِّن، أدخل ﴿ثَمَرَهُ﴾

ههنا للتراخي أي يمينتي في الدنيا ويحيني في الآخرة.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾، [أي]

أرجو، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الْيَوْمِ﴾، أي خطاياي يوم الحساب. قال مجاهد: هو قوله

﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]،

وقوله لسارة: هذه أختي، و زاد

الحسن وقوله للكواكب: ﴿هَذَا رَبِّي﴾

[الأنعام: ٧٧].

وأخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر،

أنا عبدالقاهر بن محمد الفارسي، أنا

محمد بن عيسى الجلودي، أنا

إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا

مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن

أبي شيبة، ثنا حفص بن غياث، عن

داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: قلت يا رسول

الله: ابن جدعان كان في الجاهلية

ولا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضرراً لكن اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في الدين.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا كَانَتْ

تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ أَنْتُمْ وَمِآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٧﴾

الأولون. ﴿٧٧﴾ ﴿لِيَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يعني

أعدائي، ووحده على معنى أن كل

معبود لكم عدو لي، فإن قيل: كيف

وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدو لي

لو عيبتهم يوم القيامة، كما قال

تعالى: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ

عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]، وقال

الفراء: هو من المقلوب، أراد

أتولاهم عدو لهم، لأن من عاديته

فقد عاداك. وقيل: «فإنهم عدو لي»

على معنى إنني لا أتوهم ولا أطلب

من جهتهم نفعاً كما لا يتولى العدو

ولا يطلب من جهته النفع، قوله:

﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، اختلفوا في هذا

الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع،

كانه قال: فإنهم عدو لي لكن رب

العالمين وليي [واناصري]. وقيل:

إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله،

فقال إبراهيم: كل من تعبدون

أعدائي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. وقيل:

إنهم غير معبود لي إِلَّا رَبَّ

العالمين، فلإني أعبدُه وقال

الحسين بن الفضل: معناه إِلَّا من

عبد رب العالمين، ثم وصف معبوده

فقال:

﴿وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾،

أي يرشدني إلى طريق النجاة.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾،

أي يرزقني ويغذيّني بالطعام

يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخباؤه أنه لا تصلح للإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال. ﴿رَبِّي هَبْ لِي حُكْمًا﴾،

قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم والعلم. وقال الكلبي: النبوة، ﴿وَأَلْحَقِي بِالصَّالِحِينَ﴾، بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي ثناء حسناً، وذكراً جميلاً، وقبولاً عاماً في الأمم التي تحيء بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه

ويشنون عليه خيراً ويؤمنون به. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول

أشهد لسمعت جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان، وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي [في النار]: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

قال الحسن: استكشروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْمُزِيرُ الرَّجِيمُ﴾، العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيز، وهو في وصف عزته رحيم.

﴿قوله عز وجل: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيًّا مُرْسِلًا﴾، قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرايت قوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيًّا مُرْسِلًا﴾ و﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسِلِينَ﴾ و﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيًّا مُرْسِلًا﴾ [الشعراء: ١٤١]، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ﴾، في النسب لا في الدين، ﴿نَبِيًّا مُرْسِلًا﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الوحي.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، بطاعته وعبادته، ﴿وَأَطِيعُوا﴾، فيما أمركم

﴿وَتَحُذِرُوا لَيْسَ أَلْمُومِينَ﴾، وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس. ويقال: ذريته.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال الغاوير للشياطين والمعبودين، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضاً.

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِذْ سَأَلْتِكُمْ﴾، نعدلكم، ﴿رَبِّيَ الْعَالِينَ﴾، فنعدكم.

﴿وَمَا أَهْلْنَا﴾ أي: ما دعانا إلى الضلال، ﴿إِلَّا الْخٰٔرُونَ﴾. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: الأولون الذين اقتدينا بهم.

وقال أبو العالية وعكرمة: يعني: إبليس، وابن آدم الأول، وهو قابيل، لأنه أول من سنّ القتل، وأنواع المعاصي.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾، أي: من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، أي قريب يشفع لنا، يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، ثنا محمد بن الحسن اليقطيني، أنا أحمد بن عبدالله [بن] يزيد العقيلي، ثنا صفوان بن صالح، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا من سمع أبا الزبير يقول

على الاستعارة لأن القول يكون به.

﴿وَلَيْسَ مِنِّي جِنَّةٌ نِّيِّيرٌ﴾، أي ممن تعطيه جنة النعيم.

﴿وَأَفْزِرُ لَأَيْتٍ إِيَّاهُ كَانَ مِنَ الْقَنَازِينِ﴾، قال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة.

﴿وَلَا تُخْفِي﴾ [أي] لا تخفني ﴿يَوْمَ يُعْتَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾،

أي خالص من الشرك والشك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين، وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] قال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المظلمة على السنة.

﴿وَأَرْزَقْتِ﴾ قربت ﴿جَنَّةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وَوَرَّزْتِ لِلْجَمِيمِ لِقَاوِينَ﴾، أظهرت، ﴿الْجَمِيمِ لِقَاوِينَ﴾، للكافرين.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَاكُمْ﴾، يمنعونكم من العذاب، ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ لأنفسهم.

﴿تَكْبِكُوا فِيهَا﴾، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد:

ذُهِرُوا. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجاج: طرح بعضهم على بعض.

وقال القتبي: ألقوا على رؤوسهم. ﴿هُمْ وَالْقَاوِينَ﴾، يعني الشياطين، قال قتادة ومقاتل والكلبي: كفر الجن.

به من الإيمان والتوحيد.

﴿١٠٩﴾ وَمَا أَسْتَلْتُمْ عَلَيْهِ مِن آبٍ إِذْ
 أَجْرَى، ثوابي ﴿١٠٩﴾ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ.

﴿١١٠﴾ فَأَنْقَرُوا اللَّهَ بِطَاعته وعبادته
 ﴿١١٠﴾ وَأَطِيعُوا.

﴿١١١﴾ قَالُوا أَأُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
 الْأَرْذَلُونَ، قرأ يعقوب: «وأتباعك
 الأردلون» السفلة. وعن ابن عباس
 قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاكة
 والأسافة.

﴿١١٢﴾ قَالُوا، نوح، ﴿١١٢﴾ وَمَا عَلِمَ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ، أي ما أعلم أعمالهم
 وصنائعهم، وليس علي من دناءة
 مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت
 أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر
 أمرهم.

﴿١١٣﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ، ما حسابهم،
 ﴿١١٣﴾ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ، لو تعلمون
 ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال
 الزجاج: الصناعات لا تضر في
 الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم
 أن الله يهديهم ويضلكم ويوقفهم
 ويخذلكم.

﴿١١٤﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ.

﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَشْرُجُ،
 عما تقول: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرُوكِينَ﴾،
 قال مقاتل والكلبي: من المقتولين
 بالحجارة. وقال الضحاك: من
 المشتمين.

﴿١١٦﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
 كَذَّبُونِ فَأَقْنِعْ، فاحكم، ﴿يَبْنِي وَيَنْهَى
 فَتَمَّ﴾، حكماً، ﴿وَتَجِبِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١١٧﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ

الْمَشْحُورِ، الموقر
 المملوء من الناس والطير
 والحيوانات كلها.

﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدُ
 الْبَالِقِينَ، أي أفرقتنا بعد
 إنجاء نوح، وأهله من بقي
 من قومه.

﴿١١٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ
 وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ.

﴿١٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

﴿١٢١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
 ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الَّذِينَ
 أَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِقَدْحِهِمْ أَنَّهُمْ
 لَكُونُوا غُلَامًا كَوَّاسًا يُصْالُونَ
 فِي لُحَاهِم مِمَّا مَلَأُوا بِهِ
 أَعْيُنَهُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ
 فَاتَّبَعُوهُمْ أَكْثَرًا
 فَجَاءَهُمْ سَيْلٌ مِمَّا
 بَدَّوْنَهُمْ فَمَنْ يَمُنُّ
 بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فَهُوَ
 لَدُنَّ رَبِّهِ مُجْتَبِيٌّ
 وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ فَمَقَّبْنَا
 لَمَنِ السُّيُوفَ وَجَعَلْنَا
 جَنَّاتٍ مِّن دُونِهَا
 نَجَّاتٍ لِّمَنْ يَرْتَدَّ
 وُجُوهَهُ عَدُوًّا
 لِّمَا كَفَرَ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا لَهُمْ أَجْرٌ
 غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿١٢٢﴾ قَالَ وَمَا عَلِمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي
 لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا لَيْنَ لَرْتَنَّهُ يَشْرُجُ ﴿١٢٥﴾ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرُوكِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَأَقْنِعْ يَبْنِي وَيَنْهَى فَتَمَّ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُورِ ﴿١٢٨﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدُ الْبَالِقِينَ ﴿١٢٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الَّذِينَ أَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِقَدْحِهِمْ أَنَّهُمْ لَكُونُوا غُلَامًا كَوَّاسًا يُصْالُونَ فِي لُحَاهِم مِمَّا مَلَأُوا بِهِ أَعْيُنَهُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ فَاتَّبَعُوهُمْ أَكْثَرًا فَجَاءَهُمْ سَيْلٌ مِمَّا بَدَّوْنَهُمْ فَمَنْ يَمُنُّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فَهُوَ لَدُنَّ رَبِّهِ مُجْتَبِيٌّ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَقَّبْنَا لَمَنِ السُّيُوفَ وَجَعَلْنَا جَنَّاتٍ مِّن دُونِهَا نَجَّاتٍ لِّمَنْ يَرْتَدَّ وُجُوهَهُ عَدُوًّا لِّمَا كَفَرَ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

هود اتخذها [واللعب بها] بدليل
 قوله: ﴿تَبْتُونَ﴾، أي تلعبون، وهم
 كانوا يلعبون بالحمام. وقال أبو
 عبيدة: الرُّبُع المكان المرتفع.

﴿١١٦﴾ وَتَشْحُونُ مَصَانِعَ، قال ابن
 عباس: أبنية. وقال مجاهد: قصوراً
 مشيدة. وعن الكلبي: أنها
 الحصون. وقال قتادة: مأخذ الماء
 يعني الحياض، وإحدتها مصنعة،
 ﴿لَمَلَكُمْ تَحْلُدُونَ﴾، أي كأنكم تبقون
 فيها خالدين [لا تموتون]، والمعنى:
 أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم
 لا يموتون.

﴿١١٧﴾ وَإِنَّا بِطَشْتُمْ، أخذتم
 وسطوتم، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، قتلاً
 بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار
 الذي يقتل ويضرب على الغضب.

﴿١١٨﴾ فَأَنْقَرُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

﴿١١٩﴾ وَأَنْقَرُوا الَّذِينَ أَمَدُّرُ بِمَا
 تَمَلَّكُونُ، أي أعطاكم من الخير ما

﴿١٢٠﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، على
 الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل
 الرسالة فكيف تهمني اليوم.

﴿١٢١﴾ فَأَنْقَرُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا.

﴿١٢٢﴾ وَمَا أَسْتَلْتُمْ عَلَيْهِ مِن آبٍ إِذْ
 أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿١٢٣﴾ أَنْتَبُونَ يَكُلُّ رِيحَ، قال
 الوالي عن ابن عباس: بكل شرف.
 وقال الضحاك ومقاتل والكلبي: بكل
 طريق، وهو رواية العوفي عن ابن
 عباس، وعن مجاهد قال: هو الفج
 بين الجبلين. وعنه أيضاً: أنه المنظر
 ﴿مَاءَهُ﴾ علامة ﴿تَبْتُونَ﴾، بمن مرَّ
 بالطريق.

والمعنى: أنهم كانوا يبنون
 المواضع المرتفعة ليشرفوا على
 المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعبثوا
 بهم. وعن سعيد بن جبير ومجاهد:
 هذا في بروج الحمام أنكروا عليهم

﴿١٥٥﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَافَةٌ لَهَا شِرْبٌ ،
 حظ ونصيب من الماء ، ﴿وَلَكُرْ شِرْبٌ
 يَوْمَ مَثْوًى﴾ .
 ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَسْهَوْا بِسُوءٍ ، بعقر ،
 ﴿فِي أَخْذِكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ .
 ﴿١٥٧﴾ تَعْمَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَدِيمِينَ ،
 على عقرها حين رأوا العذاب .
 ﴿١٥٨﴾ فَالْخِذْمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾
 ﴿وَلَنْ رَّبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
 الرَّحِيمُ﴾ .
 ﴿١٦٠﴾ - ﴿١٦١﴾ قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ
 قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطُهُمْ
 لُوطُ أَلَا نَتَّقُونَ * إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا *
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ عَنِّي رَبِّ
 الْمَلَكِينَ * اتَّاتَوْهُ الذُّكْرَانَ ، قال
 مقاتل : يعني جماع الرجال . ﴿هُنَّ
 الْمَلَكِينَ﴾ [يعني] من بني آدم .
 ﴿١٦٢﴾ ﴿وَتَذَكَّرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
 أَرْزَاقِكُمْ﴾ ، قال مجاهد : تركتم آقبال
 النساء إلى أدبار الرجال ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ، معشدون مجاوزون
 الحلال إلى الحرام .
 ﴿١٦٣﴾ ﴿قَالُوا لَنْ لَرْتَنَّهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ، من قرنتنا .
 ﴿١٦٤﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَمِثْلُكَ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ،
 المبعضين ، ثم دعا فقال :
 ﴿١٦٥﴾ ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي مِمَّا
 يَعْمَلُونَ﴾ ، من العمل الخييث .
 ﴿١٦٦﴾ - ﴿١٦٧﴾ قال الله تعالى :
 ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ * إِلَّا عَجْرًا فِي
 النَّدِيِّ * وهي امرأة لوط ، بقيت في
 العذاب والهلاك .

﴿١٦٧﴾ - ﴿١٦٨﴾ ﴿قَدْ دَرَّتَا
 الْآخِرِينَ﴾ ، أي : أهلكناهم ،
 ﴿وَأَطْرَفْنَا عَلَيْكُمْ مَطْرًا فَمَنَّا مَطْرُ
 النَّدِيِّ﴾ ، قال وهب بن
 منبه : الكبريت والنار .
 ﴿١٦٩﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ .
 ﴿١٧٠﴾ ﴿وَلَنْ رَّبِّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .
 ﴿١٧١﴾ قوله عز وجل :
 ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ
 الْمُرْسَلِينَ﴾ ، وهم قوم
 شعيب عليه السلام ، قرأ
 العراقيون : «الأيكة» ههنا
 وفي ص [١٣] بالهمزة

﴿١٦٨﴾ ﴿قَدْ دَرَّتَا
 الْآخِرِينَ﴾ * إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطُهُمْ لُوطُ أَلَا نَتَّقُونَ *
 إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَلَكِينَ *
 اتَّاتَوْهُ الذُّكْرَانَ مِنَ الْمَلَكِينَ * وَتَذَكَّرُونَ مَطْرًا لَكُمْ رَبُّكُمْ
 مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ لَرْتَنَّهُ يَلُوطُ
 لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لَمِثْلُكَ مِنَ الْقَالِينَ *
 رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ *
 إِلَّا عَجْرًا فِي النَّدِيِّ * ثُمَّ دَرَّتَا الْآخِرِينَ * وَأَطْرَفْنَا عَلَيْهِمُ
 مَطْرًا فَمَنَّا مَطْرُ النَّدِيِّ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُّؤْمِنِينَ * وَلَنْ رَّبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ
 لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنَّ لَكُمْ
 رَسُولًا أَمِينًا * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَلَكِينَ * وَأَنْتُمْ أَلْكَالُ وَلَا
 تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزَيْنَا وَالْقِسْطَ مِنَ الْمُسْتَقِيمِ *
 وَلَا تَبْتَخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَهْتَفُوا بِ الْأَرْضِ مُسْتَقِيمًا *

على صيغة واحدة لاتفاقهم على
 الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص
 في العبادة والامتناع من أخذ الأجر
 على الدعوة وتبليغ الرسالة .
 ﴿١٦٩﴾ ﴿وَأَنْتُمْ أَلْكَالُ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
 الْمُخْسِرِينَ﴾ ، الناقصين لحقوق الناس
 بالكيل والوزن .
 ﴿١٧٠﴾ - ﴿١٧١﴾ ﴿وَزَيْنَا بِالْقِسْطِ
 الْمُسْتَقِيمِ﴾ * وَلَا تَبْتَخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
 وَلَا تَمْتَرُوا فِي الْأَرْضِ مُسَيِّدِينَ * وَأَنْتُمْ
 الَّذِينَ خَلَقْتُمْ وَالْجِبِلَّ ، الخليفة ،
 ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ، يعني الأمم المتقدمين ،
 والجبل : الخلق ، يقال : جبل أي
 خلق .
 ﴿١٧٢﴾ - ﴿١٧٣﴾ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمُسْحَرِينَ﴾ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
 وَإِن نُّنْفِثُكَ لَيُنْ كَذَّبِينَ * فَاصْفِطْ
 عَلَيْنَا كَيْفَا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ * قَالَ رَجُلٌ عَلَّمٌ بِمَا
 تَعْمَلُونَ . أي من نقصان الكيل

وسكون اللام وكسر التاء ، وقر
 الآخرون : «ليكة» بفتح اللام والتاء
 غير مهموز ، جعلوها اسم البلد ،
 وهو لا ينصرف ، ولم يختلفوا في
 سورة الحجر [٧٨] وق [١٤] أنهما
 مهموزان مكسوران ، والأيكة :
 الغيضة من الشجر الملتف .
 ﴿١٧٧﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ، ولم
 يقل أخوهم لأنه لم يكن من
 أصحاب الأيكة في النسب ، فلما
 ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان
 منهم ، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه
 أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة ،
 ﴿أَلَا نَتَّقُونَ﴾ .
 ﴿١٧٨﴾ - ﴿١٧٩﴾ ﴿إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا﴾ *
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
 الْمَلَكِينَ ، وإنما كانت دعوة هؤلاء
 الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم

وَأَقْرَأُوا الَّذِي حَقَّقْتُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴿١٩٠﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا نَسْفَةٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَكِنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩١﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩٢﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ يَوْمَ عَذَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا جَعَلْتَ يَوْمَ عَذَابِ بَنِي الْأَدَمِ إِذْ كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَصِيهِمْ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّهُ لَكَلِمَ رَبِّي الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٠١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٠٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٧﴾ أَفَعَذَابُنَا لَيْسَ أَسْفَعِلُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١٠﴾

الأمين» برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزل الله به جبريل، لقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿عَلَيَّ قَلِيلًا﴾، يا محمد حتى وعيته، ﴿لِيُكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، قال ابن عباس: لسان قريش ليفهموا ما فيه.

﴿وَإِنَّهُ﴾، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿لِكَلِمَ رَبِّي الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةٌ﴾، قرأ ابن عامر: «تكن» بالياء «آية» بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿آيَةٌ﴾ نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل، كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه وإننا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، يعني يعلم

والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، وذلك أنه أخذهم حرّاً شديداً، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشد حرّاً فخرجوا، فأظلمت سحابة، وهي الظلة، فاجتمعوا تحتها [ليتقوا الحر] فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمِ عَصِيهِمْ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٩٦﴾ - قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن. ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزل به الروح الأمين، قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، وحفص: «نزل» خفيف، «الروح

محمد ﷺ، ﴿عَلَّمْتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قال عطية: كانوا خمسة عبدالله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد.

﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾، يعني القرآن، ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾، بغير لغة العرب، ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عز وجل: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أفئة من أتباعه.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد: أدخلناه [أي] الشرك والتكذيب [في قلوب المجرمين].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، أي بالقرآن، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، يعني عند الموت.

﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾، يعني العذاب، ﴿بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، به في الدنيا.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾، أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى

توعدنا بالعذاب، ومتى هذا العذاب؟ قال الله تعالى:

﴿٢٠٤﴾ - ﴿٢٠٥﴾ ﴿أَفَعَدَلْنَا بِمُنْتَهَىٰ أَعْيُنِنَا﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾، كثيرة في الدنيا، يعني كفار مكة ولم نهلكهم.

﴿٢٠٦﴾ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني بالعذاب.

﴿٢٠٧﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمْتُونَ﴾، به في تلك السنين. والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغني عنهم طول التمتع شيئاً، ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

﴿٢٠٨﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا لَمَّا مِئْزَرُونَهُ﴾، رسل يندرونهم.

﴿٢٠٩﴾ ﴿ذَكَرَىٰ﴾، محلها نصب أي يندرونهم، تذكره، وقيل: رفع أي: تلك ذكرى، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعدنا إليهم.

﴿٢١٠﴾ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا بِهِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فقال جل ذكره: ﴿وَمَا نَزَّلْنَا﴾ به أي بالقرآن الشياطين.

﴿٢١١﴾ ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَكُمْ﴾، أن ينزلوا بالقرآن، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ذلك.

﴿٢١٢﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي عن استراق السمع من السماء، ﴿لَمَعْمُورُونَ﴾، أي محجوبون بالشهب مرجومون.

﴿٢١٣﴾ ﴿فَلَا نَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتُمْ مِنَ الْمَعْدِنِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحذر به غيره،

يقول: أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك. ﴿٢١٤﴾ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

روى محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعائي

رسول الله ﷺ فقال: «يا علي إن الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصممت عليها حتى جاءني جبريل، فقال لي: يا محمد لا تفعل ما تؤمر [به] بعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس رضي الله عنهما، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته فجت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم، فشقها بأستانه ثم ألقاها

﴿٢٠٤﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا لَمَّا مِئْزَرُونَهُ﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿أَفَعَدَلْنَا بِمُنْتَهَىٰ أَعْيُنِنَا﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿كثيرة في الدنيا﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿يعني كفار مكة ولم نهلكهم﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿يعني بالعذاب﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمْتُونَ﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿به في تلك السنين﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغني عنهم طول التمتع شيئاً﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا لَمَّا مِئْزَرُونَهُ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿رسل يندرونهم﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿ذَكَرَىٰ﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿محلها نصب أي يندرونهم﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿تذكره﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿وقيل: رفع أي: تلك ذكرى﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعدنا إليهم﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا بِهِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿ذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿فقال جل ذكره﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿به أي بالقرآن الشياطين﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَكُمْ﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿أن ينزلوا بالقرآن﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿ذلك﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿أي عن استراق السمع من السماء﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿لَمَعْمُورُونَ﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿أي محجوبون بالشهب مرجومون﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿فَلَا نَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتُمْ مِنَ الْمَعْدِنِ﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿قال ابن عباس رضي الله عنهما﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿يحذر به غيره﴾ ﴿٢١٣﴾

في نواحي الصحيفة، ثم قال: «كلوا باسم الله» فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: «استي القوم» فجتهم بذلك العس، فشرىوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم [بما أوحى إليه ربه] بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، [فلما كان الغد قال لعلي] «يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فعذ لنا من الطعام مثل ما صنعت بالأمس ثم اجمعهم» ففعلت ثم جمعتهم فدعاني بالطعام فقربته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشرىوا ثم تكلم

شيئاً، يا صفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليلي ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن عياض بن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، وإنه قال: إن كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَّتْهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن الله تعالى أمرني أن أخوف قريشاً، فقلت: يا رب إنهم إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وقد أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه في المنام واليقظة، فاغزهم نغزك، وأنفق نفاقك عليك، وابتعث جيشاً تمددك بخمسة أمثالهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، ثم قال أهل الجنة ثلاثة: إمام مُقسط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق، وأهل النار خمسة:

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمر بن حفص بن غياث، ثنا أبي، ثنا الأعمش، حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، وقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغيّر عليكم أكنتم مصدقني؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١ - ٢].

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله

رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبدالمطلب إنني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يوازني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصيتي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فسكتوا عن آخرهم فقلت وأنا أحدثهم سناً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه». قال: فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت «وأنذر عشيرتكم الأقربين ورهطك منهم المخلصين» خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا فاجتمعوا إليه فقال: «أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقني؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام. فنزلت «تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» هكذا قرأ الأعمش يومئذ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

الضعيف الذي لا دين له، الذين هم فيكم تبع لا يتبعون بذلك أهلاً ولا مالاً، ورجل إن أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك، ورجل لا يخفي له طمع وإن دق إلا ذهب به، والشنظير الفاحش». وذكر البخل والكذب.

﴿٢١٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَخْفَضْ جَنَاحَكَ﴾، يعني أزل جانبك، ﴿لِنَبِّئَ أَتَمَّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٢١٦﴾ ﴿فَإِنَّ عَصْرَكَ قَالَ لِنَبِّئْنَا مَنَّا تَمَلُّونَ﴾، من الكفر وعبادة غير الله.

﴿٢١٧﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «فتوكل» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو «وتوكل»، ﴿عَلَى الْمَرْبِزِ الرَّجِيمِ﴾، ليكفيك كيد الأعداء.

﴿٢١٨﴾ ﴿الَّذِي بَرَّبَكَ بَيْنَ قَوْمٍ﴾، إلى صلاتك، عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت. وقيل: حين تقوم لدعائهم.

﴿٢١٩﴾ ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾، يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة. وقال مجاهد: يرى تقلب بصرك في المصلين، فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

زاهر بن أحمد، أنا إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلي ههنا فوالله ما يخفي عليّ خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري».

وقال الحسن: «وتقلبك في الساجدين» أي تصرفك وذهابك ومجيتك في أصحابك المؤمنين.

وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء [عليهم السلام] من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء.

وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

﴿٢٢٠﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ﴿٢٢١﴾ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾، [هل] أخبركم، ﴿عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾، هذا جواب قولهم: «تنزل عليه شيطان». ثم بين فقال:

﴿٢٢٢﴾ ﴿نَزَّلَتْ﴾، أي تنزل، ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَقَائِكَ﴾، كذاب، ﴿أُتِيرُ﴾، فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عز وجل:

﴿٢٢٣﴾ ﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ﴾، أي يستمعون من الملائكة مستقرين فيلقونه إلى الكهنة، ﴿وَأَكْفَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾، لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً.

﴿٢٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَةَ يَنْبَغُهمُ الْقَاوُونَ﴾. قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ وذكر مقاتل

أسماءهم، فقال: منهم عبدالله بن الزبيرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومشافع بن عبد مناف. وأبو عزة بن عبدالله الجمحي، وأمينة بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل على رسول الله ﷺ، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه، ويروون عنهم وذلك قوله: ﴿وَالشُّعْرَةَ يَنْبَغُهمُ الْقَاوُونَ﴾، هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاؤون هم الشياطين.

وقال الضحاک: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء فزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس.

﴿٢٢٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾، من أودية الكلام، ﴿يَهَيِّئُونَ﴾، جائرون وعن طريق الحق جائرون، والهائم: الذاهب على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام، كما يقال، أنا في وادٍ وأنت في وادٍ. وقيل: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهَيِّئُونَ﴾ أي على كل حرف من

حروف الهجاء يَصُوغُونَ القوافي .

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، أي: يكذبون في شعرهم، يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة .

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً» .

ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون الكفار، وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأتما ترمونهم به نَضْحَ النَّبْلِ» .

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن

أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا إسحاق بن منصور، أنا عبدالرزاق، أنا جعفر بن سليمان، ثنا ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه و[هو] يقول:

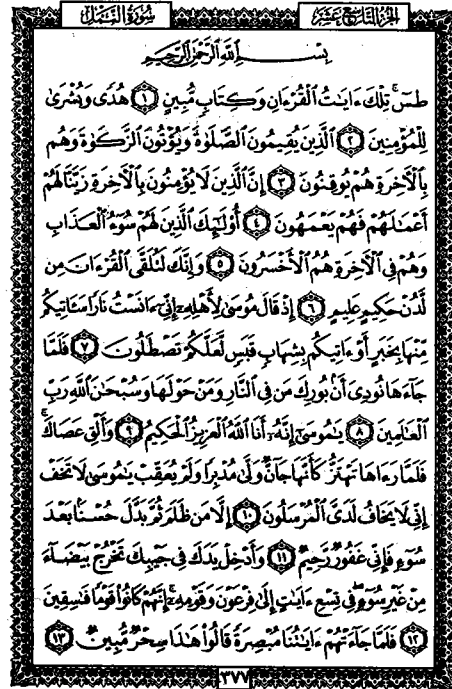
خَلُّوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خَلُّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضج الثبل» .

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حجاج بن منهال، ثنا شعبة، أخبرني عدي أنه سمع البراء قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك» .

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا إسماعيل بن موسى الفزاري وعلي بن حجر، المعنى واحد، قالوا: ثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو [قالت] ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يُؤيد حسانَ

بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله» .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبدالملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي، ثنا خالد بن يزيد حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «اهجُوا قريشاً فإنه أشدَّ عليها من رشق النبل»، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم»، فهجاهم فلم يُرض، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفريتهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي»، فأناه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، قال حسان:



آخرها، وهي قريبة من سبعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة.

﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾،

أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، قال مقاتل انتصروا من المشركين لأنهم بدؤوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿وَسِعَ عَرَاكُ الْيَتِيمِ ظَلَمُوا﴾، أشركوا وهجوا رسول الله ﴿أَيُّ مُقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، أي مرجع

هجوت محمد فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزء هجوت محمداً براً حنيفاً رسول الله شيمته الوفاء فإن أبي والذتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن عبدالرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أبي كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة».

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الشعر كلام، فمته حسن، ومنه قبيح، فخذ الحسن ودع القبيح.

وقال الشعبي: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان علي رضي الله تعالى عنه أشعر الثلاثة [رضي الله عنهم] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشه القصيدة التي قالها وهي: «أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر» فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة إلى

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [أي] يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لأربابها، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْيُنَهُمْ﴾، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿فَهُمْ يَرَوْنَ سَوَاءً﴾ أي يترددون فيها متحيرين.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، شدة العذاب في الدنيا بالقتل والأسر بيد، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾، أي توتى القرآن وتلقن، ﴿مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، أي وحياً من عند الله الحكيم العليم.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَخِي هَارُونَ﴾، أي واذكر يا محمد إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر، ﴿إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا﴾، أي أبصرت

يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم.

سورة النمل

مكية وهي ثلاث وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿طَسَّ﴾، قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿بِكَ أَيَّتُهَا الْقُرْآنُ﴾، أي هذه آيات القرآن، ﴿وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾، يعني وآيات كتاب مبين.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ﴾، أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها،

ناراً، ﴿سَيَأْتِكُمْ رِيحٌ مِّنْ جَنَّةٍ﴾، أي امكثوا مكانكم سأتىكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿أَوْ آتِيَكُمْ بِسَحَابٍ مِّمَّنْ﴾، قرأ أهل الكوفة «بشهاب» بالتونين، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة من النار، ﴿لَمَّا كَثُرَتْ سُفُوفٌ مِّنَ الْبَرَدِ﴾، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنَّهُ بُورُكٌ مِّنَ النَّارِ وَرَبَّنَّ حَوْلَهَا﴾، أي بورك على من في النار أو فيمن في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هم الملائكة.

وذلك أن النور الذي رآه موسى [عليه السلام] كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسييح، ومن حولها [هو] موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: من في النار ومن حولها جميعاً الملائكة. وقيل: «من في النار» موسى «ومن حولها» الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها، كما يقال: بلغ فلان المنزل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار.

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه أن بورك في النار.

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: سمعت أبيتاً يقرأ: «أن بورك في النار ومن حولها»، و﴿مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ فِي النَّارِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فِيهِمْ مَّنْ يَشْتَرِي عِلْمَ بَطِيئَةٍ﴾ [النور: ٤٥]، و«ما» قد تكون صلة في الكلام، كقوله ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ [ص: ١١]، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها، وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمى النار مباركة كما سمي البقرة مباركة فقال: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْبُرُكَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن في قوله: ﴿بُورُكٌ مِّنَ فِي النَّارِ﴾، يعني قدس من في النار، وهو الله، عني به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

كما روي: أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعين، واستعلى من جبال فاران، فمجئته من سيناء: بعثة موسى منها،

ومن ساعين بعثة المسيح منها، ومن جبال فاران بعثة المصطفى منها، وفاران مكة. وقيل: كان ذلك نوره عز وجل. وقال سعيد بن جبيرة: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى.

كما جاء في الحديث: «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جل ذكره. ﴿وَسَيَحْنَكُنَّ أَهْلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

﴿يَسُوعَىٰ يَسُوعَىٰ ۗ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والهاء في قوله ﴿إِنَّهُ﴾ عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن، أي: المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

﴿وَأَنزِلْنَا عَلَيْكَ الْمَاءَ زَمْزَأً﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها، ﴿وَلَوْلَا نُفُرُكُ﴾، وهرب من الخوف، ﴿وَلَوْلَا يُعِيقُ﴾، ولم يرجع، يقال: عقب فلان إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عز وجل: ﴿يَسُوعَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُكَ لَدَى الْمَرْسُوفِ﴾، يريد إذا أمنتهم لا يخافون، أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم.

قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله». ﴿وَقَوْلُهُ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، اختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: رب

إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له.

قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفك لقتلك النفس. وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة، وفي الآية متروك استغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بذل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم.

قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلا من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبذل حسناً بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: إلا ههنا بمعنى لا، يعني: لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، والجيب حيث جيب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فإذ هي تبرق ﴿تَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، من غير برص، ﴿فِي تَبَعٍ مَلِيئَةٍ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن، ﴿إِنَّ رُحُونَ قَوْمِهِمْ إِتَمَّ كَأَنَّهُمْ قَوْمًا أَلْفِينًا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْهَرَةً﴾، بينة واضحة يبصر بها، ﴿فَأَلَّوْا هَذَا مُبْتَدِئًا﴾، ظاهر.

﴿وَصَحَدُوا بِهِ﴾، أي أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله، ﴿وَأَسْتَفْتَنَاهَا أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿غُلَّتْ أَرْوَاحُهُمْ﴾، يعني شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسييح الجبال، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ الَّذِي فَعَلْنَا بِالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَى كَبِيرٍ مِنْ عِبَادِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَوَرِيثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ﴾، نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده،

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، والجيب حيث جيب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فإذ هي تبرق ﴿تَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾، من غير برص، ﴿فِي تَبَعٍ مَلِيئَةٍ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن، ﴿إِنَّ رُحُونَ قَوْمِهِمْ إِتَمَّ كَأَنَّهُمْ قَوْمًا أَلْفِينًا﴾.

وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى، ﴿وَقَالَ يَبْنَؤُا النَّاسِ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ﴾، سمي صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس. روي عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول لدوا للموت وابئسوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول كما تدين تدان،

وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول من لا يرحم لا يرحم، وصاح صرد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول استغفروا الله يا مذنبين، قال: وصاحت طيطوى، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، فإنها تقول: كل حي ميت وكل حديد بال، وصاح خطاف، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قَدُمُوا خيراً تجدوه، وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه، وصاح قمري، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى، قال: والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله، والبقعة تقول: من سكت سلم، والبيغاء تقول: ويل لمن الدنيا [أكبر] همه، والصفدع يقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والصفدعة تقول: سبحان [ربي] المذكور بكل لسان، وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان، فقال: هل تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى، و[روي] عن فرقد السَّبَخِي قال مرَّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ فقالوا: الله ونبيه أعلم، قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء فإن أخبرتنا آمنة وصدقنا، قال: سلوا تفقهاً ولا تسألوا تعتاً، قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر في صغيره، والديك في صغيقه، والصفدع في نقيقه، والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله، وماذا يقول الزرزور والدراج؟ قال: نعم، أما القنبر فيقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأما الديك فيقول: اذكروا الله يا غافلين، وأما الصفدع فيقول: سبحان [الله] المعبود في لبحج البحار، وأما الحمار فيقول: اللهم العن العشار، وأما الفرس فيقول: إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فيقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق، وأما الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، قال: فأسلم اليهود وحسن إسلامهم.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم، عش ما شئت [فإن] آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي محمد [وآل محمد]، وإذا صاح الخطاف قرأ: الحمد لله رب العالمين، ويمد الضالين كما يمد القاريء. قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يُؤْتِي الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة.

وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا.

وروي أن سليمان عليه السلام أعطى ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر، ملك جميع أهل الدنيا من الجن والإنس والدواب والطيور والسباع، وأعطى على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة.

﴿٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَحِثِرَ لِشَيْئِينَ﴾، وجمع لسليمان، ﴿جُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مسير له، ﴿فَهُمْ يُرْتَضُونَ﴾، فهم يكفون.

قال قتادة: كان على كل صف من جنوده وزعة ترد أولها على آخرها، لثلاثا يتقدموا في السير، والوازع الحابس، وهو النقيب، وقال مقاتل: يوزعون يساقون، وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون. وأصل الوزع الكف والمنع، قال محمد بن كعب القرظي: كان معسكر سليمان مائة فرسخ، وخمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطيور، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة زوجة، وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو بين السماء والأرض، إني قد زدتك في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلاق بشيء إلا جاءت به الريح، فأخبرتكم.

﴿قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَوَا عَنَّا وَآلِ الْأَنْعَامِ﴾، روي عن وهب بن منبه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابض يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كل قدر عشر جزائر، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناماً تُعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي، والأصنام تُعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه أن لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يذفون إليك ذيف النور إلى وكورها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشياطين، ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير وإد من الطائف، فأتى على وادي النمل، هكذا قال كعب: إنه وإد بالطائف.

وقال قتادة ومقاتل: هو أرض بالشام. وقيل: واد كان يسكنه الجن، وأولئك النمل مراكبهم. وقال نوف الحميري: كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب. وقيل: كالبخاتي. والمشهور: أنه النمل الصغير. وقال الشعبي: كانت تلك النملة ذات جناحين. وقيل: كانت نملة عرجاء فنادت، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾، ولم تقل ادخلن لأنه لما جعل لهم قولا كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾، لا يكسر نكمتكم، ﴿سَيَمِّنَنَّ وَجُودُكُمْ﴾، والحطم الكسر، ﴿وَمَنْ لَا يَشْعُرَنَّ﴾، فسمع سليمان قولها، وكان لا يتكلم [أحد من] خلق [الله] إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان، قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، وقال الضحاك: كان اسم تلك النملة طاحية، وقال مقاتل: كان اسمها جرمي، فإن قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟ قيل: كان جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم. وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان: قال أهل التفسير: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم. ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم.

ويروى أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم.

﴿قوله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ ضَالِكًا مِنَ قَوْلِهَا﴾، قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التسم. وقوله: ﴿ضَالِكًا﴾ أي متبسماً وقيل: كان أوله التسم وآخره الضحك.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، أنا عمرو، وهو ابن الحارث، أنا أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبدالله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً، لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ ارزُقْنِي﴾، ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْمَتَ عَلَيَّ وَرَزَقَنِي وَأَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ فِي صَلَاتِكَ رِزْقَهُ وَأَدْعِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْكَافِرِينَ﴾، أي أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشروني في زميرهم.

قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

ومن بعدهم من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك من عبادك الصالحين.

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾، أي: طلبها ويحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير، ﴿فَقَالَ مَالِكٌ لَوْ أَنِّي آهَدْتُ النَّعْمَ أَن يَأْتِيَنِي مِنَ الْمَدْيَنَةِ﴾، أي ما للهدد لا أراه، تقول العرب: مالي أراك كثيراً؟ أي مالك؟ والهدد: طائر معزوف، وكان سبب تفقد الهدد وسؤاله عنه، قيل: إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً يظله وجنوده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس، من موضع الهدد، فنظر فراه خالياً.

وروي عن ابن عباس: أن الهدد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف مواضع الماء ويرى الماء تحت الأرض، كما يرى في الزجاج، ويعرف قربه وبعده فيقر الأرض، ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء [منه]. قال سعيد بن جبيرة: لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: يا وصالف انظر ما تقول في الهدد، إن الصبي مئاً يضع الفخ ويحنو عليه التراب فيجيء الهدد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فكيف يبصر ما في الأرض من الماء. فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر. وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر. فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا، فتفقد الهدد ليدل على الماء، فقال: مالي

لا أرى الهدد، على تقرير أنه مع جنوده، وهو لا يراه، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفٰكِّينَ﴾، يعني أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

﴿٢٦﴾ ﴿لَاَعْدِيَّتُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، واختلفوا في العذاب الذي أوعده به، فأظهر الأفاويل [أن عذابه] أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً، لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض. وقال مقاتل بن حيان: لأظليته بالقطران ولأشمسته وقيل: لأودعته القفص. وقيل: لأفرقن بينه وبين إلفه. وقيل: لأحبسته مع ضده. ﴿أَوْ لَأَذِيعْتُمْ﴾ [أي] لأقطعن حلقة، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾، بحجة بينة في غيبته، وعذر ظاهر، قرأ ابن كثير «ليأتيني» بنونين، الأولى مشددة، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة، وكان سبب غيبة الهدد على ما ذكر العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم المكي، فتجهز للمسير، واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فحملتهم الرياح، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشرف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، يخرج آخر الزمان يعطى النصر على جميع من ناواه،

وتبلغ هيئته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: يدين بدين الحنيفية البيضاء، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام [سليمان] بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهر خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك فنظر يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبليقيس، فمال إلى الخضرة [والرياحين] فوقع فيه فإذا هو بهدد فهبط عليه، وكان اسم هدد سليمان يعفور واسم هدد اليمن «عنفير» فقال «عنفير» اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت وأين تريد، قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، فقال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، فهل أنت

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَجَدْتُنَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَغْتَابَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَيْسَ جَدُّوا لِلَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُهْلِكُونَ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾ قَالَ سَتُنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ كَذَا فَأَلْفَقَهُ لِيَوْمَ ثُمَّ قَوْلَ عَنَّمْ فَانظُرْ مَاذَا تَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لِكُنُوزِكُمْ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُم مِّنْ شَيْطَانٍ وَرَأْفَتِيسِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَأْمُرُوا قَوْمَ الْمَدْيَنَ أَنْ يَقْرَأُوا الصِّدْقَ فَانظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا نَكَحُوا قرَبَاتِي أَهْلَسُوهُنَّ وَجَعَلُوا بَعْضَهُنَّ رِجْسًا لِّبَنِي آدَمَ وَبِئْسَ مَا تَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾

٢٢٩

للبلدة، ومن أجره جعله اسم رجل. فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشام أربعة». ﴿٢٢﴾، بخبر ﴿٢٣﴾، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

﴿٢٢﴾ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفوآلي، وأبى أن يتزوج فيهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، ولم يكن له ولد غيرها.

وجاء في الحديث: «إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً» فلما مات أبو

الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ قالوا: بلى قال: «أو ليأتيني بسلطان مبین»، قال: [لهم]: نجوت إذا، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ [سليمان] برأسه فمده إليه وقال: أين كنت؟ لأعذبك عذاباً

شديداً، فقال الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه، ثم سأله فقال: ما الذي أبطأ بك عني؟ فقال الهدهد: ما أخبر الله عنه في قوله:

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَتْ﴾ قرأ عاصم ويعقوب «فمكت» بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿غَيْرَ يَبِيٍّ﴾، أي غير طويل، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿وَيَحْتَسِبُ مِنَ سَيِّئِهِ﴾ قرأ أبو عمرو، والبزري عن ابن كثير «من سبأ» و«السبأ» في سورة سبأ [١٥] مفتوحة الهمزة، وقرأ القواص وعن ابن كثير ساكنة بلا همزة، وقر الآخرون بالجر، فمن لم يجره جعله اسم

منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء [فإنني دليل مائه]، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وما رجع إلى سليمان إلا في وقت العصر، قال: فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء، فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا [به] فتفقد الطير ففقد الهدهد، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، ما أرسلته مكاناً، فغضب عند ذلك سليمان، وقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال: علي بالهدهد الساعة، فرجع العقاب نفسه صوب السماء حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم، ثم التفت يمينا وشمالاً فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب نحوه يريده، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده، فقال: بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، قال فوالى عنه العقاب، وقال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعكسر تلقاه النسر والطير، فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا، ولقد توعدك نبي الله بالعذاب، وأخبراه بما قال، فقال

بلقيس ولم يكن له عقب يورث الملك غيرها طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها قوم آخرون، فملكوا عليهم رجلاً، وافترقوا فرقتين، كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه، فلما رأت ذلك بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك، وقال: ما منعتني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك، فقالت: لا أرغب عنك كفو كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا: ألا تراها تفعل هذا، فقال لهم: إنها ابتدأتني وأنا أحب أن تسمعوا قولها فجاؤوها، فذكروا لها ما كان من الملك، فقالت: نعم أحببت الولد. فزوجها منه، فلما زفت إليه خرجت في أناس كثير من حشمها، فلما جاءت واجتمعت به سقته الخمر حتى سكر، ثم جرت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب دارها، فعلموا أن تلك المناכה كانت مكرراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وقالوا: أنت بهذا الملك أحق من غيرك، فملكوها الملك وبايعوها بأجمعهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

محمد بن إسماعيل، أنا عثمان بن الهيثم، أنا عوف عن الحسن عن أبي بكره رضي الله عنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ مِنْ كَلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، ﴿وَلَمَّا عَزَّ عَظِيمٌ﴾، سرير ضخم كان مضرورياً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً [في ثمانين] وطوله في السماء ثمانين ذراعاً. وقيل: كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

﴿وَبَدَدْتَهَا وَفَرَمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَلَا يَسْجُدُونَ﴾، قرأ [أبو جعفر] والكسائي: «ألا يسجدوا» بالتخفيف، وإذا وقفوا يقفون «ألا يا» ثم يبتدون: «اسجدوا»، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة «يا» عليها، وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألا يا ارحمونا، يريدون ألا

يا قوم، وقال الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بنت بكر
وإن كان [حاناً عدأ] آخر الدهر
يريد: ألا يا هند اسلمي، وعلى هذا يكون قوله «ألا» كلاماً معترضاً من غير القصة، إما من الهدهد وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني: يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ الآخرون: «ألا يسجدوا» بالتشديد بمعنى، وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿اللَّيْلِ يُخْرِجُ الْغَبَّ﴾، أي الخفي المخبأ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي ما خبأت. قال أكثر المفسرين:

خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات. وفي قراءة عبدالله: «يخرج الخبء من السموات والأرض»، و«من» و«في» يتعاقبان، تقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم، يريد: منكم. وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم غيب السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، قرأ الكسائي، وحفص، عن عاصم: بالثاء فيهما، لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف الآ، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل، تم هنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

﴿قَالَ﴾، سليمان للهدهد ﴿سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾، فيما أخبرت،

﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فدلهم الهدهد على الماء، فاحتفروا [ولمؤوا] الركايا، وروى الناس [منه] والدواب، ثم كتب سليمان كتاباً من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فلا تعلموا عليّ وأتوني مسلمين.

قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء كانت تكتب جملاً لا يظليون ولا يكثرن، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه.

﴿٢٨﴾ فقال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ إِلَيْهِمْ﴾، قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، ساكنة الهاء ويختلسها أبو جعفر، ويعقوب وقالون كسراً [والباقون بالإشباع كسراً]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، تنح عنهم فكن قريباً منهم، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾، يردون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، [من الجواب]، ثم تول عنهم، أي انصرف إليّ فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها: مأرب من صنعاء على ثلاثة [أميال فوافها] في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها، فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على

نحرها، هذا قول قتادة، وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فزفر ساعة والناس ينظرون إليه، حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها، وقال ابن منبه وابن زيد: كانت لها كوة مستقبلية الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد الكوة فسددها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب، وكانت قارئة، فلما رأته الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، فجاءت حتى قعدت على سرير مملكتها وجمعت الملا من قومها، وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل. وعن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف، قيل: كان مع كل مائة ألف [مقاتل]، والقيل الملك دون الملك الأعظم. وقال قتادة ومقاتل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف، قال: فجاؤوا وأخذوا مجالسهم.

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَتْ﴾، لهم بلقيس، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾، وهم أشرف الناس وكبرؤهم ﴿إِنَّ إِلَهِي لَعَلَّ كُنْتُمْ كَرِيمًا﴾، قال عطاء والضحاك: سمته كريماً لأنه كان مختوماً.

ورى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كرامة الكتاب ختمه».

وقال قتادة ومقاتل: «كتاب كريم» أي حسن، وهو اختيار الزجاج، وقال حسن ما فيه.

وروي عن ابن عباس: «كريم» أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مصدراً بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت ممن الكتاب.

﴿٣٠﴾ فقالت: ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئَانِ﴾، وبينت المكتوب [فيه] فقالت، ﴿وَرَأَيْتُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَلَوْا عَلَيَّ﴾، قال ابن عباس: أي لا تكبروا عليّ. وقيل: لا تتعظموا ولا تترفعوا عليّ. وقيل: معناه لا تمتنعوا عليّ من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، مؤمنين طائعين. قيل هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾، قاضيةً وفاصلةً، ﴿إِنَّكُمْ حَتَّى تَتَّبِدُوا﴾، أي تحضرون.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالُوا﴾، مجيبين لها، ﴿مَنْحَهُمْ أُولُوا قُوَّةٍ﴾، في القتال، ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا، ﴿وَالْأَخْرَجُوا إِلَيْهِ﴾، أيتها الملكة في القتال وترككم، ﴿فَانظُرِي﴾ [أيتها الملكة] من الرأي، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، تجدين لأمرك مطيعين.

﴿قَالَتْ﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، ﴿إِنَّ الْكُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، عنوة، ﴿أَفْسَدُوهَا﴾، خربوها، ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا آدَةً﴾، أي أهانوا أشرفها وكبراءها، كي يستقيم لهم الأمر، تحذرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها ههنا، فصدّق الله قولها فقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، أي كما قالت هي يفعلون.

﴿ثُمَّ قَالَتْ﴾: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾، والهدية هي: العطية على طريق الملاحظة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسله إليهم أي إلى سليمان وقومه، بهدية أصانعه بها عن ملكي وأختيره بها أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه مثا إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَظَرْتُهُ يَوْمَ يُبْعَثُ الْمُرْسَلُونَ﴾، فأهدت إليه وصفاء ووصائف، قال ابن عباس: ألبست لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال مجاهد: ألبست الغللمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغللمان، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبير: أرسلت إليه لبنة من ذهب في حرير وديباج. وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح من الذهب في أوعية الديباج. وقيل: كانت أربع لبنات

من ذهب. وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الغللمان لباس الجوارى، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنرفاً مرصعات بأنواع الجواهر، [وألبست الجوارى لباس الغللمان، الأقبية والمناطق]، وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة، والغللمان على خمسمائة برذون، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود الألنوج، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه، رجلاً من قومها أصحاب رأي وعقل، وكتبت معه كتاباً بنسخة الهدية، وقالت فيه إن كنت نبياً فميز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقباً مستوياً، وأدخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغللمان فقالت: إذا كلمكم فكلّموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت

عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولك منظره، فإنما أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله، ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن أن يضرّبوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة [ففعلوا ذلك]، ثم قال: أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر؟ قالوا: يا نبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقطعة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، فقال: عليّ بها الساعة، فأثّروا بها، فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة، وألقوا لها علوفتها فيها، ثم قال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان [وعن] يساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثله عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفواً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبين الذهب والفضة،

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَا لِي فَأَمَّا أَنِّي وَاللَّهِ فَخَيْرٌ مِّنَّا
 مَا تَنكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِّثْلِي فَخَرُّوا ۗ ﴿٣٦﴾ أَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَيْدُونَهُمْ
 يَجُودُوا لَا يَقُولُ لَكُمْ بِهَا وَلَا تُخْرِجُهُمْ مِّنْهَا أَذَلُّكُمْ مِّنْكُمْ مَّنْزُورٌ ۗ ﴿٣٧﴾ قَالَ
 يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَيْمُنُ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا
 قَالَ جَعَلْتُم مِّنَ الْجِنِّ أَنَا وَالرَّكِبُ بِهِ قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا
 عَلَيْهِمْ لِقَاءُ أَيْمُنٍ ۗ ﴿٣٨﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ مَقَالِيدُ مَقَالِيدِ الْكِتَابِ أَنَا وَالرَّكِبُ
 بِهِ قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا قُلْ لِمَا لِي بِهَا
 مِّنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْفُؤَنَّ شَاكِرِينَ أَشْكُرُكُمْ أَشْكُرُكُمْ أَشْكُرُكُمْ أَشْكُرُكُمْ أَشْكُرُكُمْ
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ لِرَبِّي فَعَنِّي عَزِيمٌ ۗ ﴿٣٩﴾ قَالَ تَكَرُّوا لِمَا عَرَفْتُمْ
 نَظَرَ أَنبِيَاءُ أَمْ تَكْفُرُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۗ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا كَانَتْ قِيلَ
 أَهْكَذَا عَرَضَ عَلَيْكَ قَالَتْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْكِتَابِ
 ۗ ﴿٤١﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَصُدُّهُنَّ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهُنَّ كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ
 ۗ ﴿٤٢﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
 سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ مَرْحٌ مَُّرْوَى فَوَارِعَ رِيقًا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 طَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلرَّوْبِ الْعَاقِلِينَ ۗ ﴿٤٣﴾

٢٨

في الثقب على أن يكون
 رزقي في الصفصاف،
 فجعل لها ذلك، فأخذت
 الخيط بفيها ودخلت
 الثقب وخرجت من
 الجانب الآخر، ثم قال:
 من لهنه الخزرة فيسلكها
 في الخيط؟ فقالت دودة
 بيضاء: أنا لها يا
 رسول الله، فأخذت
 الدودة الخيط في فيها
 ودخلت الثقب حتى
 خرجت من الجانب
 الآخر، فقال لها سليمان:
 [سليني] ما حاجتك؟
 فقالت: تجعل رزقي في

تقاصرت نفوسهم ورموا بما معهم
 من الهدايا، وفي بعض الروايات أن
 سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبينات
 الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على
 طريقهم موضعاً على قدر موضع
 اللبنيات التي معهم، فلما رأى الرسل
 موضع اللبنيات خالياً وكانت الأرض
 مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك
 فطرحوا ما معهم في ذلك المكان،
 فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر
 عجيب، ففزعوا، فقالت لهم
 الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم،
 فكانوا يملون على كردوس كردوس
 من الجن والإنس والطير والهوام
 والسياب والوحوش، حتى وقفوا بين
 يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان
 نظراً حسناً بوجهه طلق، وقال: ما
 وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما
 جاؤوا له وأعطاه كتاب الملك فنظر
 فيه، ثم قال: أين الحقبة؟ فأتى
 فحركها وجاء جبريل فأخبره بما في
 الحقبة، فقال: إن فيها درة ثمينة غير
 مشقوية، وجزعة مشقوية معوجة
 الثقب، فقال الرسول: صدقت،
 فأتقتب الدرة، وأدخل الخيط في
 الخزرة، فقال سليمان: من لي بثقبها
 فسأل سليمان الإنس ثم الجن فلم
 يكن عندهم علم ذلك ثم سأل
 الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرضة
 فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في
 فيها فدخلت فيها حتى خرجت من
 الجانب الآخر، فقال لها سليمان ما
 حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في
 الشجرة، فقال لك ذلك.

وروي أنها جاءت دودة تكون في
 الصفصاف فقالت: أنا أدخل الخيط

أعطني الله من الثبوة والدين
 والحكمة والملك، ﴿خَبْرٌ﴾ أفضل،
 ﴿يَسَاءَ مَا تَنكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِّثْلِي فَخَرُّوا﴾،
 لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة
 بها، فخرحون بإهداء بعضكم إلى
 بعض، فأما، أنا فلا أفرح بها،
 وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله
 تعالى قد مكنتني فيها وأعطني منها ما
 لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني
 بالدين والثبوة، ثم قال للمنذر بن
 عمرو أمير الوغد:

﴿أَرَجَعَ إِلَيْهِمْ﴾، بالهدية،
 ﴿فَلَمَّا أَيْدُونَهُمْ يَجُودُوا لَا يَقُولُ لَكُمْ بِهَا وَلَا تُخْرِجُهُمْ مِّنْهَا﴾، لا
 طاقة لهم، ﴿عِيبًا وَاللَّخْرِجَتَهُمْ مِّنْهَا﴾، أي
 من أرضهم وبلادهم وهي سبأ،
 ﴿أَذَلُّكُمْ مِّنْكُمْ مَّنْزُورٌ﴾، فظلمون لأن لم
 يأتيوني مسلمين، قال وهب وغيره
 من أهل الكتيب: فلما رجعت رسل
 بلقيس إليها من عند سليمان قالت:
 قد عرفت والله ما هنا بملك وما لنا

الفراخ، قال: لك ذلك، ثم ميز بين
 الجوارى والغلمان، بأن أمرهم أن
 يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت
 الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى
 يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم
 تضرب به الوجه، والغلام كما يأخذه
 من الآنية فيضرب به وجهه، وكانت
 الجارية تصب النماء على بطن
 ساعدها والغلام على ظهر الساعد،
 وكانت الجارية تصب النماء صباً
 وكان الغلام يحدر الماء على يديه
 حدرأ، فميز بينهم بذلك، ثم رد
 سليمان الهدية.

﴿٣٦﴾ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا
 جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَا لِي﴾، قسراً
 حمزة ويعقوب «أتملوني» بنون
 واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ
 الآخرون بنونين خفيفتين، ويشب
 الياء أهل الحجاز والبصرة،
 والآخرون يحذفونها، ﴿فَمَا آتَيْنَهُ

به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعلت في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيك، ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها يؤذنه بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف، قيل: من ملوك اليمن، تحت يد كل قيل ألوف كثيرة.

قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه، فرأى وهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان، وكان على مسيرة فرسخ من سليمان، قال ابن عباس: وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حيثئذ على جنوده.

﴿٣٨﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، أي مؤمنين، وقال ابن عباس: طاعينين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد [أن] يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليُرَبِّها قدرة الله وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة لأنه

أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتتكيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

﴿٣٩﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِمَّنَ الْيَمَنِ، وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كودي، وقيل: ذكوان، قال ابن عباس: العفريت الدهاية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، وقال الفراء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجني، وكان بمنزلة الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكِ﴾، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له [في] كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار، ﴿وَأَيُّ عَلِيٍّ﴾، أي على جملة ﴿لَقَوِيٍّ أَمِينٍ﴾، على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

﴿٤٠﴾ فَـ قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام.

وقال أكثر المفسرين: هو أصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

وروي جويبر، ومقاتل، عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أصف قال لسليمان حين صلى: مَدَّ عَيْنِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ، فمدَّ سليمان عينيه، فنظر نحو اليمين، فدعا أصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض

يخدون به خدأً حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان.

وقال الكلبي: خرَّ أصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين.

واختلفوا في الدعاء الذي دعا [به] أصف، فقال مجاهد ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حي يا قيوم. وروي ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت اتتني بعرشها. وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل أتاه الله علماً وفهماً. ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال: سليمان هات، قال أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مَدَّ بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مَدَّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاستاً. قال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك، ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾، يعني رأى سليمان العرش، ﴿مُسْتَقْبِراً عِنْدَهُ﴾، محمولاً إليه من مَأْرَبٍ إِلَى

كثيرين ﴿﴾، هذا استثناف أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس.

١١٠ قوله: ﴿قِيلَ لِمَا أَتَيْنَاكَ مِنَ الْغُرُوحِ﴾ الآية، وذلك أن سليمان عليه السلام أراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها، لما قالت الشياطين: إن رجلينا كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصرأ من زجاج، وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً وقيل: الصرح صحن الدار، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس وقيل: اتخذ صحناً من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصفيات، فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَّتْ لُبًّا﴾، وهي معظم الماء، ﴿وَكُنْتِ عَنْ سَائِقِيهَا﴾، لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قديماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنه وناداه، ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّزَوَّرٌ﴾، محلست مستو، ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان: دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح

عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل اشتبه عليها أمر العرش، لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت: ﴿وَأُوتِينَا الْفِطْرَ﴾، بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسول، ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾، من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، متقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: ﴿قوله وأوتينا العلم من قبلها﴾ قاله سليمان، يقول: يشاء من قبل هذه المرأة، وكنا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله [عز وجل].

١١١ قوله عز وجل: ﴿وَصَدَّقَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو عبادة الشمس، أن تعبد الله، أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل تكون «ما» في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً بل ما كانت تعبد من دون الله. وقيل: معناه وصلها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي: منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل «ما» نصباً، ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ

الشام في قدر ازتداد الطرف، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ قِبَلِ رَبِّي لَوْلَا إِيَّاكُمْ لَشِئْرْتُمْ﴾، نعمه، ﴿إِنَّمَا أَكْفَرْتُمْ﴾، فلا أشكرها، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيّد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي قَوِيٌّ﴾، عن شكره، ﴿كَرِيمٌ﴾، بالإفضال على من يكفر نعمه.

١١٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرُؤًا لِمَا عَزَمْتَهَا﴾، يقول: غيروا سيرها إلى حال تنكره إذا رآته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزداد فيه وينقص منه. وروى أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿تَنْظُرُ أَنْتَبِدِينَ﴾، إلى عرشها فتعرفه، ﴿أَمْ تَكْرُؤًا مِنْ﴾، الجاهلين، ﴿الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، إليه.

وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساؤوا الشئاء عليها ليزهدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

١١٣ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾، لها، ﴿أَمْ كُنَّا عَرَشَكُ قَالَ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، قال مقاتل: عرفته [و] لكنها شبهت

شعر ساقبها، فسأل الإنس ما يذهب هذا [الشعر]؟ قالوا: الموصى، فقالت المرأة: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان الموصى، وقال: إنها تقطع ساقبها، قال الحسن: فسأل الجن فقالوا: لا ندرى، ثم سأل الشياطين فقالوا: إنا نحثال لك حتى يكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النور والحمامات من يومئذ، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً، وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين ويسنون وعمدان، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام، يبتكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وولدت له فيما ذكر.

فأجابت [سليمان] ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت: ربّ إنني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أخلصت له التوحيد، وقيل: إنها لما بلغت الصرح فظنته لجة، قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يفرقني، وكان القتل عليّ أهون من هذا، فقولها «ظلمت نفسي» يعني بذلك الظن، واختلفوا في أمرها بعد إسلامها.

فقال عون بن عبدالله: سألت رجل عبد الله بن عتبة: هل تزوجها سليمان؟ فقال: انتهى أمرها إلى قولها: أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، يعني لا علم لنا وراء ذلك. وقال بعضهم: تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة

ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سلحين ويسنون وعمدان، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام، يبتكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وولدت له فيما ذكر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئْرَانٌ يَحْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقُولُونَ لَا نَسْمَعُ لَكُمْ بِالسِّبَةِ قَبْلَ الْحَسْبَةِ لَوْلَا نَسْتَعْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطَّرْنَا بَابَكَ وَبَيْنَ مَعَكَ قَالَ طَرَقَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْثَةٌ رَهْطٌ يُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُضِلُّوهُمْ ﴿٤٨﴾ قَالُوا فَاسْمُوا يَا اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْلَا أَنَّهُمْ آمَنُوا فَآذَنَّا مَهْلِكُكُمْ أَهْلِيهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مُّكْرِهِمْ أَنَا دَرَسْتَهُمْ وَقَوْمَهُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ فَبَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا آيَاتِ لِقَوْمِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ لَمْ يَأْمُرْنَا بِالْحَسْبَةِ لَكُنَّا لَكُمْ أَضْحَىٰ مِنَ الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ وَأَنْتُمْ كَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا لِّمَنْ دُونَ النَّاسِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿٥٥﴾

رووي [عن] وهب قال: زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك أزوجه، قالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان، قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحزمي ما أحل الله لك، فقالت: زوجني إن كان لا بدّ من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه، ثم ردها إلى

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئْرَانٌ يَحْتَصِمُونَ﴾، وحده، ﴿فَإِذَا هُمْ فِئْرَانٌ﴾، مؤمن وكافر، ﴿يَحْتَصِمُونَ﴾، في الدين، قال مقاتل: واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الْأَرْضَ فَسَبَّوْا مِنْ قَوْمِهِ لِالَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾، إلى قوله: ﴿يَنْصَلِحُ النَّاسَ يَمَا تَوَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٧].

﴿٤٦﴾ فَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالسِّبَةِ وَالْبَلَاءِ وَالْعُقُوبَةِ، ﴿قَبْلَ الْحَسْبَةِ﴾، العافية والرحمة، ﴿لَوْلَا﴾، هلا ﴿نَسْتَعْفِرُونَ اللَّهُ﴾، بالتوبة من كفرهم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. ﴿٤٧﴾ قَالُوا أَطَّرْنَا بَابَكَ، أي تشاءمنا، وأصله تطيرنا، ﴿بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ﴾،

قيل : إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم . وقيل : لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا ، فقالوا : أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك ، **﴿ قَالَ طَئِبَتْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾** ، أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره ، وهو مكتوب عليكم ، سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان ، فإنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم ، قال ابن عباس : الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم . وقيل طائركم أي عملكم عند الله ، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء . **﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَتَّبِعُونَ ﴾** ، قال ابن عباس : تختبرن وبالخير والشر ، نظيره قوله تعالى : **﴿ وَيَتْلُوكُم بِالنَّجْمِ وَالْقَمَرِ فَتَنَةً ﴾** [الأنبياء : ٣٥] ، وقال محمد بن كعب القرظي : تعذبون .

﴿ ٤٨ ﴾ قوله تعالى : **﴿ وَكَانَ فِي الدِّينَةِ ﴾** يعني مدينة ثمود وهي الحجر ، **﴿ يَتَمَنَّوْنَ رَقِيعًا ﴾** ، من أبناء أشرافهم ، **﴿ يُتَيْدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾** ، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ، وهم غواة قوم صالح ، ورأسهم قدار بن سالف ، وهو الذي تولى عقرها ؛ كانوا يعملون بالمعاصي .

﴿ ٤٩ ﴾ **﴿ تَنَاسَلُوا بِاللَّهِ ﴾** ، تحالفوا ، يقول بعضهم لبعض : احلفوا بالله أيها القوم ، وموضع تقاسموا جزم على الأمر ، وقال قوم : محله نصب على الفعل الماضي ، يعني أنهم تحالفوا وتوآفقوا ، تقديره : قالوا متقاسمين بالله ، **﴿ لَتَنِيَّتَهُ ﴾** أي : لنقتله نياتاً أي : ليلاً ، **﴿ وَأَعْلَانَهُ ﴾** أي قومه الذين أسلموا معه ، وقرأ

الأعمش وحزمة والكسائي «لتنيته» و«لتقولن» بالثاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب ، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل ، **﴿ نَعْتَرُ لِنَقُولَنَّ لِرَبِّهِ ﴾** ، أي لسولي دمه ، **﴿ مَا شِئْنَا ﴾** ، ما حضرنا ، **﴿ مَهْلِكِ أَهْلِهِمْ ﴾** ، أي إهلاكهم ، ولا ندري من قتله ، ومن فتح الميم فمحنه هلاك أهله ، **﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾** ، في قولنا ما شهدنا ذلك .

﴿ ٥٠ ﴾ **﴿ وَمَكْرًا مَكْرًا ﴾** غدروا غدراً حين قصدوا

تبييت صالح والفتك به ، **﴿ وَمَكْرًا مَكْرًا ﴾** ، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم ، **﴿ وَمَنْ لَا يَشْعُرْ ﴾** .

﴿ ٥١ ﴾ **﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا ﴾** ، قرأ أهل الكوفة «أنا» بفتح الألف رداً على العاقبة ، أي [كانت العاقبة] ، أنا دمرناهم ، وقرأ الآخرون «إننا» بالكسر على الاستئناف ، **﴿ دَعَرْتَهُمْ ﴾** أي أهلكناهم التسعة . واختلفوا في كيفية هلاكهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه ، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم ، فرتمهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة ، فقتلهم . قال مقاتل : نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح ، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم ،

﴿ فَكَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِمْ الْآيَاتُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فأنزل الله آياته عليهم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تعملون ، **﴿ وَأَعْلَانَهُ إِلَّا أَمْرًا مَكْرَهُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** ، وأعلنهم عليهم مطراً فسأه مطراً المتلددين ، **﴿ قُلْ لِمَسَدٍ لِّقَوْمِكُمْ ﴾** ، أي عذابهم ، **﴿ أَصْطَفَى مَاءَهُمْ مِمَّا شِئْتُمْ ﴾** ، أي من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنزلنا به حذائق فأتى بهجوماً فكان لكم أن تشتموا شتمها أوله مع الله بل هم قوم خصمون ، **﴿ أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَمَكَلَّ جَلَالُهَا أَهْلَهَا وَعَمَلَهَا رُؤُوسًا وَمَكَلَّ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَّلَهُ مَعَ الْأَوْبِلِ أَعْرَضْتُمْ وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ ﴾** ، **﴿ أَمِنْ حَيْثُ الْمَضْطَرُ لِدَاعَةِ وَيَكْرِيئُ الشَّرَّ وَيَعْمَلُكُمْ تَفْهُمًا أَلْأَرْضُ أَوْلَى ﴾** مع الله قليلاً ما لا تدريون ، **﴿ أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ مِنْ رِجَالِ الرَّيْحِ يَنْزِلُ رَيْحًا ﴾** ، **﴿ وَرَبِّهِمْ أَوْلَى مَعَ الْعُقُودِ اللَّهُ حَكَامٌ يُدْرِكُونَ ﴾** .

﴿ وَرَوْمَهُمْ أَعْيُنَ ﴾ ، أهلكهم الله بالصيحة .

﴿ ٥٢ ﴾ **﴿ فَيَأْتِكُ يَوْمَهُمْ خَازِئَةٌ ﴾** ، نصت على الحال أي خالية ، **﴿ يَمَّا ظَلَمُوا ﴾** ، أي بظلمهم وكفرهم ، **﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ﴾** ، لسعيرة ، **﴿ لِقَوْمٍ يَمْلُؤُونَ ﴾** ، قذرتنا .

﴿ ٥٣ ﴾ **﴿ وَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾** ، يقال : كان الناجون منهم أربعة آلاف .

﴿ ٥٤ ﴾ قوله تعالى : **﴿ وَوَلَّيْنَا إِذْ فَكَانَ لِقَوْمِهِمْ أَنَّمَا آتَوْتَ فَالْحَافِظَةَ ﴾** ، وهي الفعلة القبيحة ، **﴿ وَأَنْتَ تُبْصِرُونَ ﴾** ، أي تعلمون أنها فاحشة . وقيل : معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتواً منهم .

﴿ ٥٥ ﴾ **﴿ أَلَيْسَ لِكُلِّ شَيْءٍ دُونِ إِلَهٍ ﴾** ، أي تعلمون أنها فاحشة .

﴿ ٥٦ ﴾ **﴿ فَكَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِمْ ﴾** ،

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرُدُّكُم مِّنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ
 أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا تَوْابِعُنَا مِنْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يَبْعَثُهُمْ ﴿١٧﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَمَا أَفَّاؤُنَا أَنبَاءُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ لَقَدْ وَجَدْنَا
 هَذَا نَحْنُ وَمَا آفَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٠﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢١﴾
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَتَسَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَوْلَا أَنَّهُ
 لَدُونَ فَسَدَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ صِدْقُهُمْ وَمَا يُلْقُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ عَلَيْهِ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَذَا لَلْقُرْآنَ
 يَتَّبِعُ عَلَى نَبِيِّ أَسْرَهُ بَلْ أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَتَفَتَّرُونَ ﴿٢٨﴾

أصحاب محمد ﷺ .

وقال الكلبي: هم أمة محمد ﷺ . وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين، ﴿الله خَيْرُ أُمَّةٍ يُشْرِكُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم: «يشركون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة، وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار، يقول الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها؟ والمعنى: أن الله ينجي

مَنْ عَبَدَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَالْأَصْنَامَ لَمْ تَعْنِ شَيْئًا عَنْ عَابِدِيهَا عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ .

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، معناه ألهمكم خير أم الذي خلق السموات والأرض، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِمِ حَدَائِقَ﴾، بساتين جمع حديقة، قال الفراء: الحديقة البستان المحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ذَٰلِكَ بِهَجْوَةٍ﴾، أي منظر حسن، والبهجة: الحسن يبتهج به من يراه، ﴿فَمَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُبَشِّرُوا شُجْرَهُمْ﴾، أي ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون عليها. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾، استفهام على طريق الإنكار أي هل معه معبود

سواه يعينه على صنعه بل ليس معه إليه. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ كَفَّارٌ﴾، يعني كفار مكة، ﴿يَتَدَلَّلُونَ﴾، يشركون.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، لا تميد بأهلها، ﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا﴾، وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾، تتردد بالمياه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالاً ثوابت، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب والمالح، ﴿حَاجِرًا﴾، مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، توحيد ربهم وسلطانه.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾، المكروب المجهود، ﴿إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، الضر، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلُقًا أَرْضِينَ﴾، سكانها يهلك قرناً ونشياً آخر. وقيل: يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ﴾، إذا سافرتهم، ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِبَيْتِكُمْ بِإِذْنِ رَحْمَتِهِ﴾، أي قدام المطر، ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، بعد الموت، ﴿وَمَنْ يَرُدُّكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات. ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا تَوْابِعُنَا مِنْكُمْ﴾، حججكم على قولكم أن مع الله إلهاً آخر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا مَا لَوْ طُوبَى مِّنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾، من أدبار الرجال.

﴿فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَعْلَاهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْتَنَاهَا﴾، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿وَمِنَ الْفَتَوَاتِ﴾، أي الباقيين في العذاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾، وهو الحجارة، ﴿نَسْفَةً﴾، فبئس، ﴿مَطَرٌ الْمُنْدَرِينَ﴾.

﴿قُلْ لَعَلَّكُمْ لِي﴾، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية. وقيل: على جميع نعمه. ﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اسْتَطَفُوا﴾، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، دليله قوله عز وجل: ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِينَ﴾ [الصفات: ١٨١]، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم

وَالْأَرْضِ الْفَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»، نزلت في المشركين حيث سألو النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا نَارًا﴾، متى، ﴿يَعْتُونَ﴾.

﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: «أدرك» على وزن أفعل أي: بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد: ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا يتفهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّكَ مِنَ الْيَوْمِ﴾، يعني هم اليوم في شك من الساعة، وقرأ الآخرون بل «إدراك» موصولاً مشدداً مع ألف بعد الدال المشددة، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق. وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنة، وهم في شك منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه، قراءة ابن عباس «بلى» بإثبات الياء، «أدراك» بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك، وفي حرف أبي «أم تدارك علمهم»،

والعرب تضع بل موضع «أم» و«أم» موضع «بل»، وجملة القول فيه أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الشواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا، وذكر علي بن عيسى [الرماني] أن معنى «بل» هنا: «لو» ومعناه: لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا.

قوله عز وجل ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّكَ مِنَ الْيَوْمِ﴾، بل هم اليوم في شك من الساعة. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّكَ مِنَ الْيَوْمِ﴾، جمع عم وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول هم جهلة بها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿أَوَدَا كُنَّا تَرَاً وَأَبَاؤُنَا أَيْبَاءً لَمُتْرُونَ﴾، من قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة «إذا» غير مستفهم، «أثنا» بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي «إذا» بهمزتين «إنا» بنونين، وقرأ الآخرون بالاستفهام [فيهما].

﴿لَقَدْ وُعدْنَا هَذَا﴾، أي هذا البعث، ﴿نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾، أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا ﴿إِلَّا أَسْطِيزُ الْأُولِينَ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك،

﴿وَلَا تَكُنْ فِي شَكِّكَ بِمَا يَمْكُرُونَ﴾، نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ صَعَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفًا﴾،

أي دناءة وقرب، ﴿لَكُمْ﴾، وقيل تبعكم، والمعني ردفكم، أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] قال الفراء: اللام صلة بزايدة، كما تقول: نقدته مائة، ونقدت له بعض الذي تستعملون من العذاب، فحل بهم ذلك يوم بدر.

﴿وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَنَّكَ فَضَلْتَ عَلَىٰ النَّاسِ﴾، قال مقاتل: على أهل مكة

حيث لم يعجل عليهم العذاب، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ذلك.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ﴾، تخفي، ﴿صُدُّوهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا مِنْ حَافِيَةٍ﴾، أي جملة غائبة من مكتوم سر، وخفي أمر، وشيء غائب، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، أي في السروح المحفوظ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتْلُو عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي ببين لهم، ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً

يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن بيان ما اختلفوا فيه.

﴿وَلَا تَكُنْ﴾، يعني القرآن ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

بالعربية، فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل الكوفة «أن الناس» بفتح الألف أي بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، أي إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: «تَكَلَّمَهُمْ» بفتح التاء وتخفيف اللام من التَكَلَّمَ وهو الجرح.

وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية «تَكَلَّمَهُمْ أَوْ تَكَلَّمَهُمْ» قال: كل ذلك تفعل، تَكَلَّمَ المؤمن وتكلم الكافر.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل البخري، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال وذابة الأرض وخاصة أحدكم وأمر العامة».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالله، أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبدالله بن

برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع.

﴿وَمَا آتَى بِهَيْدَى الْعَمَى﴾، قرأ الأعمش، وحمزة: «تهدي» التاء وفتحها على الفعل

«العمى» بنصب الياء ههنا وفي الروم. وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم، «العمى»، بكسر الياء، «عَنْ ضَلَلْتَهُمْ»، أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، «إِنْ تَسْمِعْ»، ما تسمع، «إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا»، إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، «فَهُمْ مُسْتَلْسِمُونَ»، مخلصون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نَقَعُ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة إذا غضب الله عليهم، «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ»، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن، وتقول لآخر هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، قال مقاتل تكلمهم

وَأَنَّهُ هَدَىٰ وَوَحَمَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ آلَتِكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٠﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْيِينَ ﴿٨١﴾ وَمَا آتَىٰ بِهَيْدَىٰ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّا نَقَعُ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزُونَ ﴿٨٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ لَآ يُطْفِقُونَ ﴿٨٦﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْيَتِيمَ لِيَتَّخِذُوا فِيهِ وَالْتِهَارَ مُبْصِرًا لِّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾ وَيَوْمَ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ فَيَفْرَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ لَأَمِنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرَةٌ ﴿٨٨﴾ وَرَبِّي الْجَبَّالُ تُحْسِبُهَا جَودَةً وَهِيَ تَمْرُزُ السَّحَابَ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَأَنْفَعُ كُلِّ فَوْجٍ وَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٧٨﴾ «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي»، [يفصل] «بَيْنَهُمْ»، أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة، «بِحُكْمِهِ»، الحق، «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ»، بالمنيع فلا يرد له أمر، «الْعَلِيمُ»، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء.

﴿٧٩﴾ «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ»، البين.

﴿٨٠﴾ «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ»، يعني الكفار، «وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الدُّعَاءَ»، قرأ ابن كثير: «لا يسمع» بالياء وفتحها وفتح الميم «الصم» رفع وكذلك في سورة الروم [٥٢]، وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم، الصم نصب. «إِنَّا وَلَّوْنَا مَدْيِينَ»، معرضين، فإن قيل ما معنى قوله: «وَلَّوْنَا مَدْيِينَ»، وإذا كانوا صماً لا يسمعون سواء ولَّوا أو لم يولوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع

عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً».

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن فتجوية، أنا أبو بكر بن خزيمة، أنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي، أنا هشيم بن حماد، أنا عمرو بن محمد العبقرى، عن طلحة بن عمرو، عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي عن أبي الطفيل عن أبي سريحة الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خزيمة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «فيئنا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل - يعني المسجد الحرام - لم يزعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» كذا قال ابن عمرو ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فافرض الناس عنها وثبتت لها عصاية عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يفوتها

هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسبه في وجهه، فيتجاوز الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، ويقال للكافر: يا كافر.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد، أنا أبو بكر بن مالك القطيعي، أنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أنا أبي، ثنا يزيد، ثنا حماد هو ابن أبي سلمة، أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان ليجمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر».

وروي عن علي [رضي الله عنه] قال: ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنها رجل، والأكثر على أنها دابة.

وروي ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الشور وعينها عين الخنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخصرتها خصرة هر، وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده بعضا موسى نكته بيبضاض يضيء لها وجهه،

ولا يبقى كافر إلا نكتت [في] وجهه بخاتم سليمان فيستود لها وجهه، حتى إن الناس يستبليعون في الأسواق: بكم يا مؤمن؟ بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، فلذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَرَوْنَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد العرجاني الفقيه، أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، أنا أبو كريب الأشجعي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صلع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

ويه عن محمد بن جرير الطبري قال: حدثني عصام بن داود بن الجراح، حدثنا أبي [حدثنا] سفيان بن سعيد، أنا منصور بن المعتمر، عن ربيعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يا رسول الله من أين تخرج؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى [عليه الصلاة والسلام] يطوف بالبيت ومعها المسلمون، إذ تضرب الأرض تحتهم وتشق الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وریش، لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تُسمي الناس مؤمناً وكافراً، أما المؤمن فتترك وجهه

كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه كافر».

وروي عن ابن عباس: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه.

وعن عبدالله بن عمرو، قال: تخرج الدابة من شعب [بالأجياد] فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا، فتمر بالإنسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك، فتخطمه.

وعن ابن عمر قال: تخرج الدابة ليلة جمع، والناس يسيرون إلى منى.

وعن سهيل بن صالح عن [أبيه] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب شعب أجياد»، مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فنصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين».

وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون.

﴿٨٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾، أي: من كل قرن جماعة، ﴿مَنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾، وليس من ههنا للتبعض، لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿فَهُمْ يُرْضَوْنَ﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار.

﴿٨٧﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوْا﴾، يوم القيامة، ﴿قَالَ﴾، الله لهم،

﴿كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَمًا﴾، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿فَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتهم بآياتي غير عالمين بها، ولم تفكروا في صحتها بل كذبتهم بها جاهلين؟.

﴿٨٥﴾ ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾، [أي] بما أشركوا، ﴿فَهُمْ لَا يَطْفِئُونَ﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَاطْفِئُونَ ﴿١﴾ وَلَا يُؤَدُّنَهُ لِمَنْ قَبْلَهُمْ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم محتومة.

﴿٨٦﴾ قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾، خلقنا، ﴿الْأَيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، مضيئاً يبصر فيه، ﴿وَاللَّيْلَ لِيَكُونُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون فيعتبرون.

﴿٨٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وقال الحسن: الصور هي القرن، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿فَفَرِّجْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي فصعق، كما قال في آية أخرى: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقي عليهم الفرع إلى أن يموتوا، وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفرع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء.

روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ﴾، قال: «هم الشهداء متقلدون أسياهم حول العرش».

وروي سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفرع إليهم.

وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله عز وجل. أي الذين استثناهم الله تعالى.

وقال الكلبي، ومقاتل: يعني جبريل، ومكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة، ثم يقبض الله روح ميكائيل، [ثم روح إسرافيل] ثم روح ملك الموت، [ثم روح جبريل] فيكون آخرهم موتاً جبريل عليه السلام.

وروي أن الله تعالى يقول لملك الموت: خذ نفس إسرافيل، ثم يقول من بقي يا ملك الموت؟ فيقول سبحانه ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم، فيقول [الله] من بقي؟ فيقول: سبحانه ربي تباركت وتعاليت، بقي جبريل وملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت فيموت، فيقول: يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني، قال فيقول: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيروي أن فضل خلقه على خلق ميكائيل

كالطود العظيم على ظرب من الظرب.

ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش، فيقبض روح جبريل وميكائيل، ثم أرواح حملة العرش، ثم روح إسرافيل، ثم روح ملك الموت.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب».

وقال الضحّاك: هم رضوان، والحدور، ومالك، والزبانية. وقيل: عقارب النار وحياتها. قوله عز وجل: «وكل» أي كل الذين أحيوا بعد الموت، «أتوه» قرأ الأعمش وحمزة وحفص «أتوه» مقصوراً بفتح التاء على الفعل أي جاؤوه، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى: «وكلهم إليه يوم القيامة» فَرَدًّا [مريم: ٩٥]، «دخّرين»، صاغرين.

قال الله تعالى: «وَرَوَى لِمَجَالٍ

تَحَسُّبًا جَائِدَةً»، قائمة واقفة، «وَبِهِ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ»، أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض. فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة ويعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمتها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر، «شِعَّعَ اللَّهُ»، نصب على المصدر، «الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ

شَيْءٍ»، يعني أحكم، «إِنَّهُ خَيْرٌ نَبَأًا تَقَعُّونَ»، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

﴿٨٨﴾ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ»، بكلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثنى: أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة: بالإخلاص.

وقيل: هي كل طاعة «فَلَهُ خَيْرٌ نَبَأًا»، قال ابن عباس: فمنها يصل الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا، لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إله إلا الله.

وقيل: فله خير منها يعني رضوان الله، قال تعالى: «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» [التوبة: ٧٢]، وقال محمد بن كعب: وعبدالرحمن بن زيد: «فله خير

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ نَبَأًا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمِينُونَ ﴿٨٨﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَوَكَيْتُ وَجُوهَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يَخْرُجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَكُمْ حُكْلٌ مِّنْهُ وَأَمْرُهُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَنْ تَأْتُوا الْقُرْآنَ مِمَّنْ أَسْتَدَىٰ وَإِنَّمَا يَتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩١﴾ وَقُلْ لِحَسْبِ اللَّهِ سَعِيدٌ كَرِيمٌ فَذَرُونَهُمَا وَارْتَبِكُمْ حَتَّىٰ يَمُوتُوا فَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّوْا ﴿١﴾ تَكَ أَيْتُ الْكُتُبِ الْمَبِينِ ﴿٢﴾ تَتَلَوْا عَلَيْكَ مِنْ تَبَاؤُمُومٍ وَفَرَعُونَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنْ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضَوُّونَ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يَدْعُونَ بِأُمَّةٍ هُمْ وَيَسْتَعِينُ بِإِسَاءَةٍ هُمْ أَنفَعُونَ كَذَلِكَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْاُذُنَ بَك ﴿٥﴾

منها» يعني الأضعاف، أعطاه الله تعالى بالواحدة عشراً فصاعداً، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص، منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سبيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف، ولا مطمع للخصوم في الأضعاف، ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، «وَمِمَّنْ فَرَجَ يَوْمَئِذٍ أَمِينُونَ»، قرأ أهل الكوفة «من فزع» بالتنوين «يومئذ» بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

﴿١﴾ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ»، يعنى الشرك، «فَوَكَيْتُ وَجُوهَهُمْ فِي النَّارِ»، يعني ألقوا على وجوههم، يقال:

وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبَّرَ يُرْعَوُونَ وَهَذَا يُعَدُّ لَهَا مِنْهُمْ ثَمَّ مَكَانًا يُبْتَدُونَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ الْأَرْضِ حِيثُهَا إِذْ أَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ مَا لَيْدِي فِي السِّبْرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُم إِلَيْكَ وَإِعَابُ لَوْ مِنْ التَّمْرِ لَسَابِ ﴿٥٢﴾ فَالْقَطْعُ مِنَ الْأَرْضِ يُعَدُّ لَهَا عَذَابًا وَحَزْنًا إِنَّ يُرْعَوُونَ وَهَذَا يُعَدُّ لَهَا مَكَانًا يُبْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَقَالَتْ أُمَّرَأَةٌ مِّنْهُنَّ لَأَرْتُنَّكَ بِهَذَا عَيْبٍ مِّنْ رَبِّي وَاِنَّكَ لَافْتَنُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ مَدِينًا وَلِيْلَهُمْ لَآئِسُ رَبِّهِمْ ﴿٥٤﴾ وَأَسْبَحَ فُؤَادُ أُمَمٍ مِّنْ قُرْعَانَ كَمَا تَدَّبَعُوا لِيُذِيعَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَّبَّنَا عَلَّمَهَا لَآتَيْنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَتْ لِأَخِيهِ أَفَتُؤْمِنُ بِمَا كَذَّبَتْ بِهٖ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ ﴿٥٧﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمَمِهِ لِيُنْفِرْ مِنْهُمْ لِيُزَكِّيَهُمْ فَلَمَّا تَلَوَّا آيَاتِ اللَّهِ وَعَدَا اللَّهُ حُكْمَ رَبِّهِمْ لَأَسْمَلُونَ ﴿٥٨﴾

علي إلا البلاغ، نسختها آية القتال.

﴿٥١﴾ وَقَالَ لَقَدْ لَعَنَّاهُ، على نعمه، ﴿سَأُزِيكُم مَّا لَيْدِي﴾، يعني يوم بدر، من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله عز وجل: ﴿سَأُزِيكُم مَّا لَيْدِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقال مجاهد: سيزيكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكم، كما قال: ﴿سَأُزِيهَهُ مَائِنَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]،

﴿فَتَعَرَّفُونَهَا﴾، يعني تعرفون الآيات والدلالات، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وعدلهم بالجزاء على أعمالهم.

سورة القصص

مكية لإقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ﴾، إلى قوله: ﴿لَا يَنْفِي الْكَاهِنِينَ﴾ [٥٢ - ٥٥].

وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْ مَعَادٍ﴾ [٨٥]. [وهي ثمان وثمانون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ طسّـة.

﴿٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ.

﴿٣﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأٍ مَّوَدَّ

﴿فَرَعُونَ بِالْحَقِّ﴾، بالصدق، ﴿لِقَوِيرٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون بالقرآن.

﴿١﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا، استكبر وتجبّر وتعظم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر، ﴿وَيَعْلَىٰ أَهْلِهَا شَيْمًا﴾، فرقا وأصنافا في الخدمة والتسخير، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾، أراد الطائفة بني إسرائيل، ثم فسّر الاستضعاف فقال: ﴿يَذْبَحُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَضْعِفُ سِبْطَهُمْ﴾. سمي هذا استضعافا لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿٥﴾ وَزُرِّيْدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ، يعني بني إسرائيل، ﴿وَيَجْعَلُهُمْ آيَةً﴾، قادة في الخير يقتدى بهم. وقال قتادة ولاية ملوكا دليله قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَكُمْ مَّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. ﴿وَيَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم.

﴿١﴾ وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، نوطن لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه، ﴿وَرَبَّرَ يُرْعَوُونَ﴾، قرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي، «يرى» بالياء وقتحتها، ﴿فَرَعُونَ وَهَذَا يُعَدُّ لَهَا مَكَانًا يُبْتَدُونَ﴾، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمها، وكسر الراء، ونصب الياء ونصب ما بعده بوقوع الفعل عليه، ﴿وَمِنْهُمْ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، والحذر هو التوقي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا

كَبَّتْ الرجل إذا القيته على وجهه فانكب وأكب، وتقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشرك.

﴿٥١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أمـرت، ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَٰذِهِ الْبَلَدَةَ﴾، يعني جعلها الله حرما آمنا، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلى خلاها، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ﴾، خلقا وملكا، ﴿وَأَمْرُهُ أَنْ آكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لله.

﴿٥٢﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾، يعني وأمرت أن أتلو القرآن، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾، أي نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾، عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، من المخوفين فليس

على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحلرون.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مُوسَىٰ﴾، وهو وحي إلهام لا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأم موسى يوخاند بنت لاوى بن يعقوب، ﴿أَنَّ أَرْضِيحِيَّةَ﴾، واختلّفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿فَإِذَا خَفَّتْ عَلَيْهِ،﴾ يعني من الذبح، ﴿كَأَلْفَيْهِ فِي أَلْيَسِي﴾، واليسم: البحر وأراد ههنا النيل، ﴿وَلَا تَخَافِي﴾، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾، على فراقه، ﴿إِنَّا رَأَوْنَهُ لِإِيَّاكَ وَمَا طَوُّهُ مِنَ الْمَرْسِيَاتِ﴾.

روى غطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر، استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي، ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر، فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوههم إلى أن أنجاهم الله على يدي نبيه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بحبالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى، فلما حزنها الطلق أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فلينفعنني حيك إني اليوم، قالت: فعالجت قبالتها، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نورٌ بين عيني موسى. فارتعش كل مفصل منها، ودخل حب موسى قلبها. ثم قالت

لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك فإني أراه غدونا، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى في خرقة ووضعته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التنو مسجور، ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا لها: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى:

فأين الصبي؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته، قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتاً فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتترت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها النجار: ما تصنعين بهذا التابوت، قال: ابن لي أخبثه في التابوت، وكرهت الكذب، قال ولم تقل: أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمم أم موسى، فلما هم بالكلام

أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده فلم يدرك الأمانة ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمانة فلما هم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه فوق في واد يهوى فيه حيران، فجعل الله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان، فعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخر الله ساجداً، فقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدلّه الله عليه، فخرج من الوادي فأمن به وصدقته، وعلم أن ذلك من الله عز وجل.

وقال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حيلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوايل وتقدم إليهن يفتشن النساء تفتيشاً لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يظهر لبنها، فكانت القوايل لا يتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها «أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم» الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها، لا يبكي ولا يتحرك، فلما

خافت عليه عملت تابوتاً له مطبقاً ثم ألقته في البحر ليلاً.

قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فظفروا في أمرها فقالوا له: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر، يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت ابنة فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون: إن هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجرة إيتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدرُوا عليه وعالجوا كسره فلم يقدرُوا عليه، فذنت منه آسية فماتت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده، وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصه لبناً فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون فلما [أخرجوه] من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه

فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه [من] بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر خوفاً منك فاقتله، فهم فرعون بقتله، فقالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه.

قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها».

ف قيل لآسية: سميه فقالت: قد سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر فموسى هو الماء وسى هو الشجر، فذلك قوله عز وجل.

﴿فَالْقَلْبَ أَلْ يُرْوَعُونَ﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة والكسائي «حزناً» بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي، وهما لغتان، ﴿إِنَّ يَرْوَعُونَ وَهَمَزْنُ وَحُزْنُهُمَا كَأَثَرِ خَنْطِوَيْنَ﴾، عاصين آثمين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَأَكْبَرُ﴾، قال وهب: لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجد فيه موسى فلما نظر إليه قال عبراني من الأعداء

فعاظه ذلك، وقال: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أمماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾، وروي أنها قالت له: إنه أتانا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَمًا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَكِنْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أن هلاكهم على يديه، فاستحياه فرعون، وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته: عسى أن ينفعك، فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله، ولكنه أبي، للشقاء الذي كتبه الله عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ قُورَاقًا أُرْمِيًّا قُرْبًا﴾، أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهمه، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن: فارغاً، أي ناسياً للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في اليوم ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقته في البحر، وأغرقت، ولما أتتها الخبر

بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها.

وقال أبو عبيدة: فارغاً أي فارغاً من الحزن، لعلها بصدق وعد الله تعالى، وأنكر القتيبي هذا، وقال كيف يكون هذا والله تعالى يقول: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّاكَ عَلَىٰ قَلْبِنَا﴾، والأول أصح، قوله عز وجل: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾، قيل الهاء في «به» راجعة إلى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول وابناه.

وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر، خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها، وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب: موسى بن فرعون، فشق عليها، وكادت تقول: بل هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده إليها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَظُنَّاكَ عَلَىٰ قَلْبِنَا﴾، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَأَوُوهَ إِذْ يُبَيِّنُ﴾.

﴿وَوَالَّتِ لِأَخْتِيهِ﴾، أي لمريم أخت موسى ﴿فَضِيحَةً﴾، اتبعي أثره حتى تعلمي خيره، ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ حُجُبٍ﴾، أي عن بعد، وفي القصة أنها كانت تمشي جانباً وتنظر اختلاصاً تري

أنها لا تنتظره، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أنها أخته وأنها ترقبه.

قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها في الدنيا أن تجد له مرضعة، وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله عز وجل:

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، والمراد من التحريم المنع، والمراضع: جمع المرضع، ﴿مِنْ قَبْلِ مَجِيئِ أُمِّ مُوسَى﴾،

فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم: هل أدلكم؟

وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثدياً ويصيح وهم في طلب مرضعة له، ﴿فَقَالَتْ﴾، يعني أخت موسى، ﴿هَذَا أَدْلَكُ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ﴾، أي يضمونه ﴿لَكُمْ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه، ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، والنصح ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأتينا بها.

قال ابن جريج والسدي: لما قالت أخت موسى: «وهم له ناصحون» أخذوها وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله. فقالت: ما أعرفه، وقلت هم للملك ناصحون.

وقيل: إنها قالت إنما قلت هذا

وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُمْ وَأَسْرَىٰ بِأَيْدِيهِمْ حُكَّامًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ ذَلِكَ وَذَلِكَ مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ النَّفْسَ فَاعْفُرْ لِي فَقَفَّرْتُ إِلَيْكَ كَرِهًا ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَفْعَمْتُ عَلَىٰ فَلْنِ أَكْرَمْتَ ظَهَرَ لَكَ لَعْنَتِي مِنْ ﴿١٤﴾ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِهَا آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ فَإِنَّا لَآتِينَ بِسَبْعِ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنَجْوَىٰ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْشُونَ عَلَىٰ آبِدَانٍ فَتَتَلَقَىٰ كَمَا أَفْعَمْتَ عَلَىٰ فَلْنِ أَكْرَمْتَ وَجَاءَتْ رَجُلًا مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرْبُوبًا وَقَالَ يُبْسُونَ لَكَ الْبَلَاءَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنَجْوَىٰ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

رغبة في سرور الملك واتصالنا به، وقيل إنها لما قالت: «هل أدلكم على أهل بيت» قالوا لها من؟ قالت: أمي، قالوا: أو لأمك ابن؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها ولدان، قالوا [لها]: صدقت فأتينا بها، فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم، فلما وجد الضبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمضه حتى امتلأ جنتها ريباً.

قال السدي: كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آيَتِهِ كَىٰ نَقَرَّ عَيْنَهُمَا﴾، برد موسى إليها، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، أي لشلا تحزن، ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ أُنْتِ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، برده إليها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن الله وعددها إليه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُمْ﴾، قال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة

سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿وَأَسْرَىٰ﴾، أي بلغ أربعين سنة، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شيا به والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَدَّخَلَ الْبَلَدِينَةَ﴾، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر.

وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها طابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، ﴿وَدَّخَلَ جِبْنَ عَقْلَةَ مِنَّ أَهْلِهَا﴾، وهو وقت القافلة واشتغال الناس بالقيولة.

وقال محمد بن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء. واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت.

قال السدي: وذلك أن موسى عليه السلام كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدرکه المقييل بأرض منف قد دخلها نصف النهار، وليس في طرفها أحد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَوَدَّخَلَ الْبَلَدِينَةَ عَلَٰنَ جِبْنَ عَقْلَةَ مِنَّ أَهْلِهَا﴾، قال محمد بن إسحاق: كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق

فرعون وقومه فخالقهم في دينه حتى كثر ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخيفاً فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها.

وقال ابن زيد: لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره، فأراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير، فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده ﴿وَوَدَّخَلَ الْبَلَدِينَةَ عَلَٰنَ جِبْنَ عَقْلَةَ مِنَّ أَهْلِهَا﴾، يعني عن ذكر موسى، أي من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعدهم عهدهم [به]، وروي عن علي في قوله: ﴿جِبْنَ عَقْلَةَ﴾ كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم، ﴿فَوَدَّ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾، يختصمان ويتنازعان، ﴿هَٰذَا مِنَّ شِيعَتِهِ﴾، من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنَّ عَدُوِّيهِ﴾، من القبط، قيل: الذي كان من شيعة السامري، والذي من عدوه من القبط، قيل: طباخ فرعون اسمه فلتثون. وقيل: هذا من شيعة وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر، وكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى، لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، ﴿فَأَسْتَشَنَّتُهُ الَّذِي مِنَّ شِيعَتِهِ عَلَٰنَ الَّذِي مِنَّ عَدُوِّيهِ﴾،

فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثه: طلب الغوث، فغضب موسى واشتد غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاة من أم موسى، فقال للفرعوني خل سبيله، فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه، فقال الفرعوني: لقد هممت أن أحمله عليك، وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش، ﴿وَوَكَّرَهُ مُوسَىٰ﴾، وقرأ ابن مسعود «فلكرهه موسى»، ومعناها واحد، وهو الضرب بجميع الكف. وقيل: «الوكز» الضرب في الصدر «واللكز» في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد، وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع.

وفي بعض التفاسير: عقد موسى ثلاثاً وثمانين وضربه في صدره، ﴿فَفَقَضَ عَلَيْهِ﴾، أي قتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفعه في الرمل، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنَّ حَبْلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، أي بين الضلالة.

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿فَأَغْفِرْ لِي فَعَفَرَ لَكَ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَٰنَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾، ﴿فَلَنَ أَكْرَمَ ظَهْرَكَ﴾، عوناً، ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أماته موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، وقال قتادة:

لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستن فابتلي به في اليوم الثاني.

﴿فَأَصْحَبُ فِي الْمَدِينَةِ﴾، أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِهَا﴾، من قتله القبطي، ﴿يَرْقُبُ﴾، ينتظر سوءاً، والترقب: انتظار المكروه، وقال الكلبي: ينظر متى يؤخذ به، ﴿فَإِذَا آتَىٰ اسْتَصْرَبْ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخْ﴾، يستغيثه ويصيح به من بُعد.

قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن يقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً [آخر] فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ﴾، للإسرائيلي، ﴿إِنَّكَ لَتَوَقَّؤُا مِثِينَ﴾، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه؟ وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك، والأول أصوب، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

﴿فَلَمَّا أَنْ آرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، وذلك أن موسى أدركته الرقة بالإسرائيلي فمد يده لبيطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله: إنك لغوي مبين، ﴿فَقَالَ يَهُوسُفُ أَتَيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾

كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ﴾، ما تريد، ﴿وَلَا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، بالقتل ظلماً، ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى.

قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون المذبحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْكِدَكَ بِعَدُوِّ هَاتِيهِ عَلَيَّ أَنْ تَأْخُذَ بِنَفْسِي﴾، من شيعه موسى، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الدَّبِّيَّةِ﴾، أي من آخرها، قال أكشر أهل التأويل: اسمه خزقيل مؤمن كل فرعون، وقيل: اسمه شمعون، وقيل: شمعان، ﴿وَسَتَىٰ﴾، أي يسرع في مشيه، فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى، فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر، ﴿فَقَالَ يَهُوسُفُ إِنَّكَ أَلَمَلًا يَا تُرُوفُ يَاكَ﴾، يعني أشرف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ قال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، ﴿فَأَخْرَجَ﴾، من المدينة، ﴿إِنِّي لَأَك مِنَ النَّاصِحِينَ﴾، في الأمر لك بالخروج.

﴿فَخَرَجَ وَمِنَ﴾، موسى، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِهَا﴾، أي ينتظر الطلب، ﴿قَالَ رَبِّ بِنِعْمَتِي مِنَ الْقُرَىٰ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين، وفي القصة: أن فرعون بعث في طلبه حين أخبر بهرية فقال اركبوا ثنيات الطريق فإنه لا يعرف كيف الطريق.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عِنْدَ رَبِّكَ أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ الْمَسْكِينِ﴾، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ الْقُرَىٰ يَسْتَفْتُونَ﴾، ﴿وَوَجَدَهُمْ يَصْطَلُونَ وَوَدِعْنَاهُمُ الْوَقِينَ فَنُذِرْنَ نَضْوَإَهُمْ﴾، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْقُرَىٰ لَآ تَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَالْبُيُوتَ﴾، ﴿سَبَّحْتَ كَثِيرًا﴾، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا قَهْرًا تَوَلَّىٰ إِلَى الْبُطْحَلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ إِذَا مِنْ خَيْرٍ فَبَدَّلْتَهُمَا تَمِيمًا تَمِيمًا﴾، ﴿لَمَّا تَمَّ إِحْدَاهُمَا تَنَبَّأَ عَلَىٰ اسْتِخْبَارِهِ قَالَ تَارِكُ أَيُّ يَدْعُوكَ لِتَجْرِبَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَتْهُ قَهْرًا وَقَهْرًا الْقَصَصَ قَالَ لَآ تَخَفْ نَبَوَّاتُ مِنَ الْقُرَىٰ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿قَالَتَ إِحْدَاهُمَا يَا بِنْتُ آسْتَفْتُونَكَ خَيْرٌ مِنْ آسْتَفْتُونَكَ الْوَقِينَ الْوَقِينَ الْأُوَيْنَ﴾، ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِدَكَ بِعَدُوِّ هَاتِيهِ عَلَيَّ أَنْ تَأْخُذَ بِنَفْسِي﴾، ﴿فَإِنْ آتَمَّتْ وَعَشْرًا فَمِنْ عَمْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْكِدَكَ بِعَدُوِّ هَاتِيهِ عَلَيَّ أَنْ تَأْخُذَ بِنَفْسِي﴾، ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَصَدِيقْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَكَيْفَ﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾، أي قصد نحوها ماضياً إليها، يقال: داره تلقاء دار فلان، إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء. قال الزجاج: أي سلك الطريق التي يلقي مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم، سميت البلدة باسمه، وكان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاه ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿قَالَ عِنْدَ رَبِّكَ أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ الْمَسْكِينِ﴾، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قبل: فلما دعا جاء ملك بيده عذرة فانطلق به إلى مدين.

قال المفسرون: خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل، حتى كان يرى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خفق قدغيه. قال ابن

عباس: وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلَمَّا وَدَّ مَلَأَهُ مَنًّا﴾، وهو بشر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿وَبِعَدَّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ﴾، جماعة، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، مواشيهم، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾، أي الجماعة [وقيل بعيداً عن الجماعة بجانب عنهم]، ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾، يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، وقال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله، ﴿وَوَالَّتِ﴾، يعني موسى للمراتين، ﴿مَا حَطَبْنَا﴾، ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس، ﴿فَالنَّاسُ لَا يَسْقِي﴾، أغنامنا، ﴿حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّجَالَ﴾، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر «يصدر» بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال، أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والرعاء جمع راع، مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء، لأننا امرأتان لا نطيع أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا [وتولوا] سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض [من الماء]، ﴿وَأَوَّكَأَ سَيْحٌ كَبِيرٌ﴾، لا يقدر أن يسقي مواشيه، ولذلك احتجنا نحن إلى

سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك، والسدي والحسن: [هو] شعيب النبي عليه السلام.

وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو بثرون بن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كُفَّ بصره، فدفن بين المقام وزمزم، وقيل: رجل ممن آمن بشعيب، قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس. وقال ابن إسحاق: إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين.

ويروى: أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر، فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين. ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة، فروى منه جميع الغنم، فذلك قوله:

﴿سَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾، ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ من طعام، ﴿فَقِيرٌ﴾، قال أهل اللغة اللام بمعنى «إلى» يقال: هو فقير له، وفقير إليه، يقول إنني لما أنزلت إلي من خير، أي طعام، فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه.

قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه. قال محمد [بن علي] الباقر: لقد قالها وإنه

لمحتاج إلى شق تمره. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمره. وقال مجاهد: ما سأله إلا الخبز، قالوا: فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان، قال لهما: ما أعجلكما [أنتما قبل الرعاة] قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه لي.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَأَمَّا أَنَّهُ بِعَدْنُهُمَا تَشَى عَلَى أَسْتَيْحَالِهِ﴾.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسلفع من النساء خزاجة ولاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء، ﴿قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال أبو حازم سلمة بن دينار: لما سمع ذلك موسى أراد أن لا يذهب، ولكن كان جائعاً فلم يجد بدأ من الذهب، فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها، فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، فلما دخل على شعيب إذ هو بالعشاء مهياً فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال موسى: أعوذ بالله، فقال شعيب: ولم ذلك ألتست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإننا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال له

وروي عن أبي ذر مرفوعاً: إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى؟ فقل خيرهما وأبرهما، وإذا سئلت بأي المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت، فقالت: يا أبت استأجره، فتزوج أصغرهما وقضى أوفاهما.

وقال وهب: أنكحه الكبرى.

روي عن شداد بن أوس مرفوعاً: بكى شعيب النبي ﷺ حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فقال الله: ما هذا البكاء؟؟ أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: لا يا رب، ولكن شوقاً إلى لقاءك، فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهنيئاً لك لقاءي يا شعيب، لذلك أخذتكم موسى كليماً.. ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، واختلفوا في تلك العصا.

قال عكرمة: خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه.

وقال آخرون: كانت من آس الجنة، حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته، فصارت من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، وكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى.

وقال السدي: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك [في] صورة رجل، [قال] فأمر ابنته أن تأتيه

بأجرك أي أثابك، والحجج السنون، واحدها حجة، ﴿إِن آتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، أي إن آتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عليك، ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾، أن ألزمتك تمام العشر إلا أن تبرع، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ السَّالِمِينَ﴾، قال عمر رضي الله عنه: يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾، يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج إحداهما فلي، والأمر بيننا، تم الكلام، ثم قال: ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾، يعني أي الأجلين و«ما» صلة «قضيت» آتممت أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا ظلم علي بأن أطلب بأكثر منها، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا قَوْلُكُمْ وَكَيْلُكُمْ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك. وقيل: حفيظ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن عبدالرحيم، أنا سعيد بن سليمان، أنا مروان بن شجاع، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن جبير، قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس فسأله، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل.

شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى وأكسل. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله، ﴿قَالَ لَا تَحْفَظْ بِحَيَاتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

﴿٧٩﴾ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْ لِي﴾، اتخذه أجييراً ليرعى أغنامنا، ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجِرَّتْ الْقَوْمُ الْأَمِينُ﴾، يعني خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل إلا أربعون رجلاً، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك.

﴿٨٠﴾ ﴿قَالَ﴾ شعيب عند ذلك، ﴿إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾، واسمها «صفورة» و«ليا» في قول شعيب الجبائي وقال ابن إسحاق: «صفورة» و«شرقا» وقال غيرهما الكبرى صفراء والصغرى صفراء. وقيل زوجة الكبرى، وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها «صفورة» وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿عَلَيْكَ أَنْ تَأْجُرَنِي فَمِنِّي حِجَجٌ﴾، يعني أن تكون أجييراً لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني تجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثماني حجج، تقول العرب: أجرك الله

﴿أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ﴾، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث لغات، قرأ عاصم «جذوة» بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذئي، ﴿لَمَلَكُمْ تَصْطَلُوتُ﴾، تستدفنون.

﴿قَلَّمَ أُنْهَى نُورِي﴾، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾، لموسى، جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبياً. وقال عطاء: يريد المقدسة، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، من ناحية الشجرة.

قال ابن مسعود: كانت سُمرة خضراء تبرىق.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عوسجة، قال وهب: من العليق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنها العُثَابُ، ﴿أَنْ يَكْتُمُونَ﴾، ﴿إِنَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، ﴿وَلَنْ مُدْبِرًا﴾، هارباً منها، ﴿وَلَمْ يَعْقُبْ﴾ ولم يرجع [إليها] فنودي، ﴿يَكْتُمُونَ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

﴿أَسْأَلُكَ﴾، أدخل ﴿بِكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَّجَ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْمٍ﴾، برص، فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَمَلَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: بضم الراء وسكون الهاء وبفتح الراء

أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم، فطلبت من أبيها [شعيب] فقال شعيب: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها.

وقيل: أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته [في غنمه] إكراماً له وصلةً لابنته، فقال له إنني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستسقى الأغنام، فضرب موسى

بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم [شعيب] أن ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامراته فوقى له بشرطه وسلم الأغنام إليه.

قوله عز وجل: ﴿قَلَّمَ قَتْنَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾، يعني أتمه وفرغ منه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾، قال مجاهد: لما قضى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر، فأذن له، فخرج بأهله إلى جانب مصر، ﴿عَائِسُ﴾، يعني أبصر، ﴿مِنَ جَانِبِ الطُّورِ تَكَارُثًا﴾، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا لَعَلِّي مَأْيِكُمْ مِّنْهَا حَيْرِي﴾، يعني عن الطريق، لأنه كان قد أخطأ الطريق،

﴿قَلَّمَ قَتْنَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ إِنَّكَ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ تَكَارُثًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا لَعَلِّي مَأْيِكُمْ مِّنْهَا حَيْرِي أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوتُ﴾
﴿قَلَّمَ أُنْهَى نُورِي﴾
﴿مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكْتُمُونَ﴾
﴿إِنَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكْتُمُونَ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾
﴿أَسْأَلُكَ بِكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَّجَ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْمٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَمَلَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾
﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكْتُمُونَ أَقِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾
﴿وَأَخَى هَارُونَ﴾
﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مَعَهُ رَدْمًا يُصْدِقُ فِي إِيَّائِي خَافَ أَنْ يَكْذُوبَ﴾
﴿قَالَ سَنَدُدُّ عَصَاكَ بِأَيْدِيكَ وَنَجْمَلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا إِنَّا إِنَّا أَنشَأْنَا مِنْ آتِجِكُمَا الْعَنْبِيُونَ﴾

بعصا، فدخلت فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها: ردي هذه العصا [فإنها ودیعة عندي]، وآتیه بغيرها فآلقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلا هي، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت ودیعة [عندي أعطيتها لغيري]، فذهب في أثره وطلب أن يرد العصا فأبى موسى أن يعطيه. وقال: هي عصاي فرضيا أن يجعلها بينهما أول رجل يلقاها فلقيهما ملك في صورة آدمي فحكم أن تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ لياخذها فلم يطقها، فأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ، ثم إن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته إليه.

قال موسى للمرأة: اطلبي من

حفص، وقرأ الآخرون بفتحهما، وكلها لغات بمعنى الخوف، ومعنى الآية: إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبيك تعد إلى حالتها الأولى، والجناح اليد كلها. وقيل: هو العضد.

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم: أمره الله بضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقال: ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقال مجاهد: كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع [وما يجد من الخوف]، وقيل: المراد من ضم الجناح السكون، أي سكن روعك واخفض عليك جانبك، لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: ﴿وَخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، يريد الرفق [بهما]، وقوله: ﴿وَلَخِفِضَ جَنَاحَكَ لِيَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي ارفق بهم وألن جانبك لهم، وقال الفراء: أراد بالجناح العصا، معناه: أضمم إليك عصاك.

وقيل: «الرهب» الكم بلغة حمير، قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: أعطني ما في رهبك، أي [ما] في كمك، معناه واضمم إليك يدك وأخرجها من الكم، لأنه تناول العصا [حين صارت حية] ويده في كمه، ﴿فَذَرِكْ﴾، يعني العصا واليد البيضاء، ﴿بُرْهَتَانِ﴾، آيتان، ﴿مِنَ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَصِيقًا﴾.

﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ.

﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا،

وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه، ﴿فَأَرْسَلَهُ مِنِّي رِدَاءً﴾، عوناً، يقال ردأته أي أعنته، قرأ نافع «ردأ» بفتح الدال من غير همز طلباً للخفة، وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً، ﴿بَصِدْقِي﴾، قرأ

[عاصم] وحمزة: برفع القاف على الحال، أي رداءً مصدقاً، وقرأ الآخرون بالحزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع، قال مقاتل: لكي يصدقني فرعون، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾، يعني فرعون وقومه.

﴿٣٥﴾ قَالَ سَتُنَدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ،

أي تقويك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا﴾، أي لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما، ﴿أُنثَىٰ وَمِنْ أَتْبَعِكُمَا فَتِلْهُونَ﴾، أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ، واضحات، ﴿قَالُوا مَا هَذَا

فَلَمَّا جَاءَهُمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَابُ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي مَآبِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا بِالْهَيْدَىٰ مِنْ عِبَادِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَزِيزٍ فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَكُنَّ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ الْإِنسَانَ ﴿٣٨﴾ وَإِلَهُ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأظنُّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَسْتَغِيثُ بِالرَّبِّ هَارُونَ وَدُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَا عَمِلُوا فطَوَّأْتُهُمُ الْإِنسَانَ لَا يَرْضَوْنَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَهَارُونَ وَدُونَهُمْ فَسَدَّ لَهُمْ فِي الْبَرِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْكُرْبِيِّينَ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ لَا يَرْضَوْنَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ، مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، بالذي تدعوننا إليه، ﴿فِي مَآبِنَا الْأُولَىٰ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾، قرأ أهل مكة [قال موسى] بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا بِالْهَيْدَىٰ مِنَ عِبَادِي﴾، بالمحق من المبطل، ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، يعني العقيبى المجمودة في الدار الآخرة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الكافرون.

﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَزِيزٍ فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَكُنَّ عَلَى الطَّيْنِ﴾، يعني فاطبخ لي الأجر، وقيل: إنه أول من اتخذ الأجر وبنى به، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾، قصرأً عالياً، وقيل: منارة. قال أهل التفسير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع

وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع

إليه وأقف على حاله،
﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَهْلَ مَدْيَنَ﴾، يعني قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل
موسى، ﴿بَصَاكِرَ لِلنَّاسِ﴾، يعني
ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به،
﴿وَهُدَى﴾، من الضلال لمن عمل
به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، لمن آمن به،
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بما فيه من
المواعظ والبصائر.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد
﴿بِحَاجِبِ الْغَيْبِ﴾، يعني: بجانب
الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي،
وقال الكلبي: بجانب الوادي
الغربي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:
يريد حيث ناجى موسى ربه، ﴿إِذْ
فَضَيْبًا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرِ﴾، يعني عهدنا
إليه وأحكامنا الأمر معه بالرسالة إلى
فرعون وقومه، ﴿وَمَا كُنْتَ مِن
الشَّاهِدِينَ﴾ [أي] الحاضرين ذلك
المقام فتذكره من ذات نفسك.

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾، خلقنا
أمماً من بعد موسى عليه السلام،
﴿فَنَطَّأُوا عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ﴾، أي طالت
عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه
وتركوا أمره.

وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى
موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ
والإيمان به، فلما طال عليهم العمر
وخلقت القرون بعد القرون نسوا
تلك العهود وتركوا الوفاء بها، ﴿وَمَا
كُنْتَ قَاوِيًا﴾، مقيماً، ﴿وَمِنَ
أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، كمقام موسى وشعيب
فيهم، ﴿تَنَلُّوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾،
تذكروهم بالوعد والوعيد، قال
مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين
فتقرأ على أهل مكة خبرهم، ﴿وَلَكِنَّا

إليه وأقف على حاله،
﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَهْلَ مَدْيَنَ﴾، يعني
موسى، ﴿مِنَ
الْكَاذِبِينَ﴾، في زعمه أن
للأرض وللخلق إليها
غيري، وأنه رسوله.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ
وَيُشْرِكُوهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني
الحق وظنوا أنهم إيتنا لا
يُرْجَعُونَ﴾، قرأ نافع،
وحمزة، والكسائي،
وبعقوب: «يرجعون»
بفتح الياء وكسر الجيم،
والباقون بضم الياء وفتح
الجيم.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَخُرُّهُ فَسَدَّ نُهُمُ﴾،
فألقيناها، ﴿فِي النَّارِ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾، قادة
ورؤساء، ﴿يَكْفُرُونَ إِلَى الْكَاثِرِ وَيَوْمَ
الْعَذَابِ لَا يُصْرُونَ﴾، لا يمنعون من
العذاب.

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا
لِقَعَابٍ﴾، خزيًا وعذاباً، ﴿وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾، أي
المبعدين الملعونين، وقال أبو
عبيدة: من المهلكين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما
[قال]: من المشوهين بسواد الوجوه
وزرقة العيون، يقال: قَبَحَ الله
وقَبَحَهُ إذا جعله قبيحاً، ويقال: قبحه
قبحاً، وقبوحاً، إذا أبعد من كل
خير.

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَايَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

﴿وَمَا كُنْتَ بِحَاجِبِ الْغَيْبِ﴾، يعني قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل
موسى، ﴿بَصَاكِرَ لِلنَّاسِ﴾، يعني
ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به،
﴿وَهُدَى﴾، من الضلال لمن عمل
به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، لمن آمن به،
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بما فيه من
المواعظ والبصائر.

خمسون ألف ببناء سوى الأتباع
والأجراء، ومن يطبخ الأجر والجص
وينجر الخشب ويضرب المسامير،
فرعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم
يلغنه بنيان أحد من الخلق، أراد الله
عز وجل أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا
منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابه
[فوضعها في القوس] فرمى بها نحو
السماء فردت إليه وهي ملطخة دماً،
فقال: قد قتلت إله موسى، وكان
فرعون يصعد على البراذين فبعث الله
جبريل جنح غروب الشمس فضربه
بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت
قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت
منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب، ولم
يبق أحد ممن عمل فيه بشيء إلا
هلك، لذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي
يَهَنَّتْ عَلَى الظِّلْمِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا
لَعَلِّي أُطِيعُ إِلَهَ إِلَهُ مُوسَى﴾، أنظر

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦) الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَمْذُبُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا نَادَى عَلَيْهِمْ
 قَالُوا أَمَّا بَيْنَنَا وَمَنْ لَنَا مِنْ رَّبِّنَا إِنَّا نَأْتِيهِمْ مَسْئِلِينَ ﴿٤٨﴾
 أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَدَقُوا وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ
 السَّيِّئَةَ وَمَضَىٰ رِقَابُهُمْ مُّسْفُوتُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
 أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْرَضْنَا وَكَلِمَتُنَا لَكُمْ أَهْلًا لَّكُمْ عَلَيْهِمْ
 لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِيَانِ ﴿٥٠﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا إِن
 تَتَّبِعِ الْمَدَىٰ مَعَكَ فَتُخْفَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُنْمِكُنْ لَهُمْ
 حُرْمَاتٍ وَمَا كَانَ بَيْنَ الَّذِينَ هُمْرٌ كُلِّ غَنٍّ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
 بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَيَأْتِيكَ مِنْهُمْ لَوْ شِئْنَا مِنْ مَعُونَةٍ
 إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكًا
 الْفَرِّقِينَ حَقَّ بَعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا لِيُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا
 كُنَّا مُهْلِكِي الْفَرِّقِ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٤﴾

مِنْ تَدْرِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴿٤٦﴾
 يعني أهل مكة، ﴿لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ﴾.
 ﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ
 مُّصِيبَةٌ﴾، عقوبة ونقمة،
 ﴿وَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من
 الكفر والمعصية، ﴿فَقُولُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أَرْسَلْتَ
 إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
 وَتَذَكَّرُونَ مِمَّنَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾،
 وجواب لولا محذوف أي
 لعاجلناهم بالعقوبة،
 [بكفرهم]، يعني لولا أنهم
 يحتجون بترك الإرسال
 إليهم لعاجلناهم بالعقوبة
 بكفرهم. وقيل: معناه لما

كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾، أي أرسلناك
 رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه
 الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك
 لما علمتها ولم تخبرهم بها.
 ﴿٤٧﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّورِ﴾،
 بناحية الجبل الذي كلم الله عليه
 موسى، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾، قيل: إذ ناديتنا
 موسى خذ الكتاب بقوة.
 وقال وهب: قال موسى يا رب
 أرني محمداً، قال: إنك لن تصل
 إلى ذلك، وإن شئت ناديت أمته
 وأسمعتك أصواتهم، قال: بلى يا
 رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد
 فأجابه من أصلاب آبائهم.
 وقال أبو زرعة بن عمرو بن
 جرير: نادى يا أمة محمد قد أجبتكم
 قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن
 تسألوني.

بالمدينة، فسألوهم عن محمد
 فأخبروهم أن نعته في كتابهم
 التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول
 اليهود، فقالوا: «سحران تظاهرا»،
 وقوا الآخرون: «ساحران» يعنون
 محمداً وموسى عليهما السلام، لأن
 معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه
 منه بالكسب، ﴿وَقَالُوا إِنَّا يَكْتُلُ
 كُفْرُونَ﴾.
 ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد،
 ﴿فَأَنزَلْنَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ
 مِنهَا﴾، يعني من التوراة والقرآن،
 ﴿أَتَقَعُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.
 ﴿٥٠﴾ ﴿فَإِن لَّرَّ مَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾،
 أي: [لأن] لم يأتوا بما طلبت،
 ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُفَعِّمُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
 مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
 ﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾،
 قال ابن عباس رضي الله عنهما:

بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم
 لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
 الرسل.
 ﴿٤٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ
 عِندِنَا﴾، يعني محمداً ﷺ،
 ﴿قَالُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿لَوْلَا﴾،
 هلا، ﴿أَوْفَى﴾، محمد، ﴿مَثَلَمَا
 أَوْفَىٰ مُؤْتَفِقٌ﴾، من الآيات كالسيد
 البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أوتي
 موسى كتاباً جملة واحدة. قال الله
 تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُؤْتَفِقٌ
 مِّن قَبْلُ﴾، أي فقد كفروا بآيات
 موسى كما كفروا بآيات محمد،
 ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، قرأ أهل
 الكوفة: «سحران» أي: التوراة
 والقرآن، «تظاهرا» يعني: كل سحر
 يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى
 السحرين على الاتساع.
 قال الكلبي: كانت مقالاتهم تلك
 حين بعثوا إلى رؤوس اليهود

وروي عن ابن عباس رضي الله
 عنهما ورفع بعضهم، قال الله: يا أمة
 محمد فأجابه من أصلاب الآباء
 وأرحام الأمهات: «ليكن اللهم ليك،
 إن الحمد والنعمة لك والملك لا
 شريك لك»، قال الله تعالى: يا أمة
 محمد إن رحمتي سبقت غضبي
 وعفوي سبق عقابي، قد أعطيتكم من قبل
 أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل
 أن تعصوني، من جاءني يوم القيامة
 بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 عبدي ورسولي دخل الجنة، وإن
 كانت ذنوبه أكثر من زيد البحر. قوله
 تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾
 أي ولكن رحمتناك رحمة بإرسالك
 بالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار
 الغائبة عنك، ﴿إِشْخَرُوا قَوْمًا مَا أَنْتُمْ

بيننا، قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بيننا لكفار مكة ما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقيل من قبل القرآن، ﴿هُمْ يَدْرُسُونَ﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه.

وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فاتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِرُونَ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من [أهل] الحبشة، وثمانية من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

﴿وَإِذَا بَلَغَ لِقَاءَهُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾.

وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مَسْلُوبِينَ﴾، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿وَمَا سَبَّوْا﴾، على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو عبدالله محمد بن حفص الجويني، أنا أحمد بن سعيد الدارمي، أنا عثمان، أنا شعبة، عن صالح، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده».

قوله عز وجل: ﴿وَيَدْرُسُونَ﴾ بِالْمَسْنَةِ الْمَسْبُوتَةِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك، قال مقاتل: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة، ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِرُونَ﴾، في الطاعة.

﴿وَإِذَا سَكُمُوا الْفَوْقَ﴾، القبيح من القول، ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني

أهل الكتاب ويقولون تبأ لكم تركتم دينكم، فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُكُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مَسْلُوبِينَ﴾، لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ﴾، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة، معناه سلمتم منا لا نعاوضكم بالشتم والقبيح من القول، ﴿لَا يَتَّبِعِي الْجَاهِلِينَ﴾، أي دين الجاهلين، يعني لا تحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي أحببت هديته. وقيل: أحببت لقرابته، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، قال مجاهد ومقاتل: بمن قدر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهَيْدَى مَعَكَ تَنَحَّطَفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾، مكة.

نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة.

وهو معنى قوله: ﴿تَنَحَّطَفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾، والاختطاف: الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾، وذلك أن

العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا، لحرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداق، ﴿يَجِيءُ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب: ﴿تجبي﴾، بالتاء لأجل الشمرات، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي يجلب ويجمع، ﴿إِلَيْكَ﴾، يقال: جبيت الماء في الحوض أي جمعته، قال مقاتل: يحمل إلى الحرم، ﴿فَرَرْتُ كَلِمَةَ رَبِّي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكَ عَذَابٌ أَكْرَهْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أن ما يقوله حق.

٥٨ قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَتَلَكُمَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي من أهل قرية، ﴿بَطَرْتُمُوهَا مَيْسَرْتَهَا﴾، أي فسي معيشتها، أي أشرت وطغت، قال عطاء: عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿فَلْيَاكُفُّوا أَلْسِنَتَهُمْ لَرَّ شُكُّهُمْ مِنْ بَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافرون وماز الطريق يوماً أو ساعة، معناه لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً.

وقيل: معناه لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب، ﴿وَكَمْ أَتَلَكُمُ الْكُرُورِيُّونَ﴾، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠].

٥٩ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾، أي القرى الكافر أهلها، ﴿حَتَّى يَمَسَّ فِي أَهْلِهَا رَسُولًا﴾، يعني في أكبرها وأعظمها رسولاً [أي] ينذرهم، وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها، لأن الرسول يبعث إلى الأشراف،

والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أم ما حولها، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ مَا نَزَّلْنَا﴾، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَعْلَاهَا ظَلَمْتُمْ﴾، مشركون، يريد أهلكم بظلمهم.

٦٠ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لِيُعَلِّمُوا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا﴾، تنمحنون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾،

أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة القرءاء: ﴿تعقلون﴾، بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء.

٦١ ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي الجنة، ﴿فَهُوَ لَنُفِيقَهُ﴾، مصيبه ومدركه وصائر إليه، ﴿كَمْ نَمُغِّنُهُ مِنْ بَيْنِ الْعَيْتِ وَالْعَيْتِ﴾، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، النار، قال قتادة: يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل.

وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة.

٦٢ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعِمُونَ﴾، فسي الدنيا أنهم شركائي.

٦٣ ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، وجب عليهم العذاب وهم رؤوس

وَمَا أَوْتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلٍ كَثِيرٍ لَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنُفِيقَهُ كَمْ نَمُغِّنُهُ مِنْ بَيْنِ الْعَيْتِ وَالْعَيْتِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ فَجَاءَ قَوْمَنَا أَوَّلَنَا بِالْبَأْسِ أَهُمْ أَوْ بَدُّوا أَوْلَىٰ بِالْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٠﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعِمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ فَجَاءَ قَوْمَنَا أَوَّلَنَا بِالْبَأْسِ أَهُمْ أَوْ بَدُّوا أَوْلَىٰ بِالْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٣﴾ قَالُوا الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ فَجَاءَ قَوْمَنَا أَوَّلَنَا بِالْبَأْسِ أَهُمْ أَوْ بَدُّوا أَوْلَىٰ بِالْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٤﴾ قَالُوا الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ فَجَاءَ قَوْمَنَا أَوَّلَنَا بِالْبَأْسِ أَهُمْ أَوْ بَدُّوا أَوْلَىٰ بِالْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٥﴾ قَالُوا الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ مِنْهُمْ لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ فَجَاءَ قَوْمَنَا أَوَّلَنَا بِالْبَأْسِ أَهُمْ أَوْ بَدُّوا أَوْلَىٰ بِالْإِيمَانِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٦﴾

الضلالة، ﴿رَبَّنَا كَذَلِكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي دعوناهم إلى الخي وهم الأتباع، ﴿أَفَوْضَلَتُمْ كَمَا عَصَيْتُمْ﴾، أضللتناهم كما ضللتنا، ﴿بَدَّلْنَا آيَاتِنَا﴾، منهم، ﴿مَا كَانُوا إِذَا نَزَّلْنَا آيَاتِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، برى بعضهم من بعض وصاروا أعداءه، كما قال تعالى: ﴿الْأَخْيَارَ يَوْمَئِذٍ بِغَضَبٍ يَخْفَىٰ عَنِ الْعَيْنِ﴾ [الزخرف: ٦٧].

٦٢ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعِمُونَ﴾، أي الأصنام لتخلصكم من العذاب، ﴿فَدَعَوْهُمُ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْعُرُونَ﴾، وجواب (لو) محذوف على تقدير: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

٦٣ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾، أي يسأل الله الكفار، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾،

٦٤ ﴿فَقَمِيَّتْ﴾، خفيت

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ أَفْلا تَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيَالٍ تَشْكُرُونَ
 فِيهِ أَفْلا تَبْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ رَحِمْتُمْ جَعَلَ لَكُمْ الْبَيْتَ
 وَالنَّهَارَ لِتَسْكُرُوا وَيَوْمًا لَتُبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يَوْمَ لَعْنَتِكُمْ تَشْكُرُونَ
 ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ
 تَزْعُمُونَ ﴿٧٠﴾ وَنَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿٧١﴾ إِنْ قَرَأْتَ مِنْ قُرْآنٍ مَوْجِدٍ مِنْ دُونِ
 عَلَيْهِمْ وَءَانْتَه مِنْ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَقَاصِدُ لِنَسُوا بِالْمُضْبَكَةِ
 أَوْلَى الْقَوْلِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْعَلْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْفَرِحِينَ
 ﴿٧٢﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ
 نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
 وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٣﴾

ويختار الله ما كان لهم
 الخيرة، أي: يختار ما هو
 الأصلح والخير. وقيل:
 هو للنفي أي ليس إليهم
 الاختيار، أو ليس لهم أن
 يختاروا على الله كما قال
 تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا
 مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾
 [الأحزاب: ٣٦]،
 والخيرة: اسم من الاختيار
 تقام مقام المصدر، وهي
 اسم للمختار أيضاً كما
 يقال: محمد خيرة الله من
 خلقه، ثم نزه نفسه فقال:

﴿سُحْنَدَ اللَّهُ وَتَكَلَّمَ عَمَّا يَشْكُرُونَ﴾
 ﴿٦٧﴾ ﴿وَرَبُّكَ بِعَلْمِ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
 وَنَا يَعْلَمُونَ﴾، يظهرون.
 ﴿٦٨﴾ ﴿وَقَوْلُ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْعَدَدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، بحمده
 أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في
 الآخرة في الجنة، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾،
 فصل القضاء بيني الخلق، قال ابن
 عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل
 طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته
 بالشقاء، ﴿وَاللَّيْلُ تُجْعَلُونَ﴾.

﴿٦٨﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾، إن
 دائماً، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لا نهاز
 معه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
 بِضِيَاءٍ﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة،
 ﴿أَفْلا تَسْمَعُونَ﴾، سماع فهم
 وقبول.

واشتبهت، ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾، أي
 الأخبار والأعداء، وقال مجاهد:
 الحجج، ﴿يَوْمِيذٍ﴾، فلا يكون لهم
 عذر ولا حجة، ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾:
 لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتاجون،
 وقيل: يسكنون لا يسأل بعضهم
 بعضاً.

﴿٦٩﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 فَسَوْفَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾، من
 السعداء الناجين.

﴿٧٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، نزلت هذه الآية
 جواباً للمشركين حين قالوا: لولا نزل
 هذا القرآن على رجل من القريتين
 «عظيم» يعني: الوليد بن المغيرة، أو
 عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله
 تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم.
 قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ
 لِحْيَةٌ﴾، قيل: «ما» للثبات، معناه:

﴿٧١﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ
 سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، لا ليل
 فيه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
 بِلَيَالٍ تَشْكُرُونَ فِيهِ أَفْلا تَبْصُرُونَ﴾، ما
 أنتم عليه من الخطأ.

﴿٧٢﴾ ﴿وَمَنْ رَحِمْتُمْ جَعَلَ لَكُمْ الْبَيْتَ
 وَالنَّهَارَ لِتَسْكُرُوا فِيهِ﴾، أي في الليل،
 ﴿وَلَتُبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، بالنهار، ﴿وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ﴾، نعم الله عز وجل.

﴿٧٣﴾ ﴿وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
 شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، كرر
 ذكر النداء للمشركين لزيادة التفرع
 والتوبيخ.

﴿٧٤﴾ ﴿وَنَرَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مِنْ
 كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولهم
 الذي أرسل إليهم كما قال: ﴿فَكَيْفَ
 إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾
 [النساء: ٤١]، ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا
 بُرْهَانَكُمْ﴾، حججتكم بأن معي شريكاً.
 ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾، التوحيد، ﴿لِلَّهِ
 وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، في
 الدنيا.

﴿٧٥﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنْ قَرَأْتَ مِنْ
 قُرْآنٍ مَوْجِدٍ مِنْ دُونِ عَلَيْهِمْ﴾، كان ابن
 عمه، لأنه قارون بن يصر بن
 قاهث بن لاري بن يعقوب عليه
 السلام، وموسى بن عمران بن
 قاهث.

وقال ابن إسحاق: كان قارون عم
 موسى وكان أخا عمران، وهما ابنا
 يصر، ولم يكن في بني إسرائيل
 أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق
 كما نافق السامري، ﴿فَبَدَّلَ عَلَيْهِمْ﴾،
 قيل كان عاملاً لفرعون على بني
 إسرائيل، فكان يبغني عليهم

ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال. وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقال شهر بن حوشب: زاد في طول ثيابه شبراً.

وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من جز ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو، ﴿وَمَا يَنْتَهُ مِنَ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ وهي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتيحه خزائنه،

كما قال: ﴿وَيَسْتَدْرِجُ مَتَائِجَ الْقَبَائِبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي خزائنه، ﴿لَنْتَرُوا بِالْمُصْبَكِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾، لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال

أبو عبيدة: هذا من المقلوب، تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلاً، واختلفوا في عدد العصبة، فقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلاً. وقيل: سبعون.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال. وقال جرير عن منصور عن خيشمة: قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقرستين بغلاً ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز، ويقال: كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من

خشب، فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الإصبع، وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ [أي] قال لقارون قومه من بني إسرائيل، ﴿لَا تَقْرَجْ﴾، لا تبطر ولا تأسر ولا تمرح، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، الأشريرين البطريرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

﴿وَأَيْتِجْ فِيهَا مَا تَتْلِكُ اللَّهُ لِكُلِّ الْأُمَّةِ﴾ [أي] اطلب فيما أعطاك الله

من الأموال والنعمة والجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتفقه في رضا الله تعالى، ﴿وَلَا تَسْكُ فُصَيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، قال مجاهد، وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للأخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للأخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم، وقال علي: لا تنس صحتك [وقوتك] وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان، أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي، أنا الحسين المروري، أنا عبدالله بن المبارك، أنا جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولَٰئِكَ بِمَلَمَاتِكُمْ أَنَّهُ قَدَ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ وَتَهُ قُوَّةٌ وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْتَعْرَبُ عَنْ دُؤُوبِهِمْ الْمَخِيرُونَ ﴿٧٧﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٧٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّونَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لِلنَّاسِ إِذْ يَمُنُّونَ أَشَدُّ مُبْدِينًا ﴿٨٥﴾

خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك....».

الحديث مرسل.

قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: ﴿وَلَا تَسْكُ فُصَيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: قوتك وقوت أهلِكَ، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، ﴿وَلَا تَبْتَغِ﴾، ولا تطلب، ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ [أي] قال رسول الله ﷺ، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي على

ففضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره، وقيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: ﴿عَلَىٰ عَلَيْهِ عِدَّةٌ﴾ بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَهْتَكُمُ اللَّهُ فَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، الكفافة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمًّا﴾، لأموال، ﴿وَلَا يُشْتَأَىٰ عَنْ دُونِهِمْ النَّجْرُونَ﴾، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم. وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تفرغ وتوبيخ.

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، قال إبراهيم النخعي، خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر، وقال ابن زيد في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. وقال مجاهد: على برازين بيض عليها سرج الأرجوان. قال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلبي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب، ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا

أوتوا قَدَرُونَ لِنَافِعِهِمْ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾، من المال. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمُوعًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأحبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة، قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا. ﴿وَيَلْعَنُكُمُ اللَّهُ يَوْمَ أَخْرَجَ خَيْرَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿لَمَنْ ءَامَنَ﴾، وصدق بتوحيد الله، ﴿وَجَعَلَ صُلَيْمًا﴾، مما أوتي قارون في الدنيا، ﴿وَلَا يَلْعَنُهَا إِلَّا الْمَكِيدُونَ﴾، قال مقاتل: لا يؤتاها، يعني الأعمال الصالحة. وقال الكلبي: لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله: «ويلكم ثواب الله خير» إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

﴿٨٠﴾ قوله عز وجل: ﴿فَسَقْنَا بِهِ يَدَايِهِ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

قال أهل العلم بالأخبار: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقراهم للتوراة وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكروني به إذا نظروا إلى السماء، ويعلمون أنني منزل منها كلامي، فقال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً، فإن بني إسرائيل تحقر هذه الخيوط، فقال له ربه: يا موسى إن الصغير من أمري

ليس بصغير، فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، فدعاهم موسى عليه السلام وقال: إن الله يأمركم أن تجعلوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يميزوا عن غيرهم، فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون، وهي رياسة المذبح، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك في نفسه وأتى موسى فقال: يا موسى لك الرسالة وهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا، فقال له موسى: ما، أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له، فقال قارون: والله لا أصدقك حتى تريني بيانه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيكم، فحزمتها وألقاها في قبتة التي كان يعبد الله فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل قارون موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً

ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملا من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على درهم، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل فقال لهم: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيشوا بفلانة البغي، فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعاها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طسباً من ذهب، وقيل: قال لها إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهام، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام [فيهم] فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افتري جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة،

والسلام في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهما فانطبقت عليهما الأرض، فأوحى الله إلى موسى ما أعلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغشه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغشته.

وفي بعض الآثار: لا أصعب الأرض بعدك طوعاً لأحد. قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامته وجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿حَسَبْنَا بِهِ وَيَارِ الْأَرْضِ﴾، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ فَتْرٍ﴾، جماعة، ﴿يَضْرِبُونَ دُورَ اللَّهِ﴾، يمنعونه من الله، ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَمَنِّينَ﴾، من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَالَهُ بِالْأَيْمِينَ﴾، صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتنمون على ذلك التمني، والعرب تعبر عن الصبرورة بأضحى وأمسى وأصبح، تقول: أصبح فلان عالماً، وأضحى معدماً، وأمسى حزيناً، ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ﴾، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد: ألم تعلم، وقال قتادة: ألم تر. قال الفراء: هي كلمة تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وذكر أنه

ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال: ادعوها فإن قالت، فهو كما قالت، فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها القسم وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق، وقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول الله ﷺ، فقالت: لا، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاعضب لي، فأوحى الله تعالى إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهما، فأخذت الأرض بأقدامهم. وفي رواية: كان [قارون] على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره، ثم قال: يا أرض خذيهما فأخذتهم إلى الراكب، ثم قال: يا أرض خذيهما فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهما فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى، عليه

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴿٨٦﴾، أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين، وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿رَأَدَكَ إِلَيَّ مَعَاوُءُ﴾، إلى مكة، وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مجاهد، قال القتيبي: معاد الرجل: بلده، لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده، وذلك.

أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فاتاه جبريل وقال: اشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ إِلَهِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ رَأَدَكَ إِلَيَّ مَعَاوُءُ﴾ وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكة ولا مدينة.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لراذك إلى معاد إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾، أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ إنك لفي ضلال، فقال الله عز وجل: قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يعني المشركين ومعناه [الله] أعلم بالفرقين.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾، أي يوحى

بشأنه من عباده ويقدر﴾، أي يوسع ويضيق، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾، قرأ حفص ويعقوب: بفتح الخاء والسين، وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿وَيَكْفُرُوا لَا يَفْقَهُوا الْكُفْرُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿رَأَدَكَ إِلَيْكَ الْأَجْرَةَ جَمْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استكباراً عن الإيمان، وقال عطاء: «علواً» استطالة على الناس

وتهاوناً بهم. وقال الحسن: لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطان.

وعن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. وقال ابن جريج ومقاتل: العمل بالمعاصي، ﴿وَالْمَرْفُوعَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه. وقال قتادة: الجنة للمتقين.

﴿قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ

سُورَةُ الْقَصَصِ

سُورَةُ الْعَجْرِ كِتَابٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَدَكَ إِلَيَّ مَعَاوُءُ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عِبَادٌ أُفْرِطُوا فِي إِلْفِكَ وَأَذْمُوكَ وَإِن تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا اللَّهُ لَا هُوَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهَالِكِ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكُرُوكُ وَالْيَهُودُ حُجْرُونَ ﴿٨٩﴾

سُورَةُ الْعَجْرِ كِتَابٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَدَكَ إِلَيَّ مَعَاوُءُ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عِبَادٌ أُفْرُطُوا فِي إِلْفِكَ وَأَذْمُوكَ وَإِن تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا اللَّهُ لَا هُوَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهَالِكِ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكُرُوكُ وَالْيَهُودُ حُجْرُونَ ﴿٨٩﴾

سُورَةُ الْعَجْرِ كِتَابٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَدَكَ إِلَيَّ مَعَاوُءُ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عِبَادٌ أُفْرُطُوا فِي إِلْفِكَ وَأَذْمُوكَ وَإِن تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا اللَّهُ لَا هُوَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهَالِكِ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْكُرُوكُ وَالْيَهُودُ حُجْرُونَ ﴿٨٩﴾

أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال: وكأنه وراء البيت، يعني أما تربته وراء البيت. وعن الحسن: أنه كلمة رقيق: هو تنبيه بمنزلة ألا وقال قطرب «ويك» بمعنى وي لك حذف اللام منه كما قال عنترة:

ولقد شفني وأبرأ سقمها

قول الفوارس ويك عنتر أقدم أي وي لك، و«أن» منصوب بإضمار، واعلم أن الله، وقال الخليل: «وي» مفصولة من «كان» ومعناها التعجب، كما تقول وي لم فعلت ذلك! وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي! متندمين على ما سلف منهم، وكان معناه أظن ذلك وأقدره، كما تقول: كان الفرج قد أتاك، أي أظن ذلك وأقدره، ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ

إليك القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ريك رحمتك فأعطاك القرآن، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ﴾، أي معينا لهم على دينهم. وقال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين أبائه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه.

﴿٢٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، يعني القرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادَّعُوكَ لِنِكَ﴾، إلى معرفته وتوحيده، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي: لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم.

﴿٢٨﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، أي إلا هو، وقيل: إلا ملكه، وقال أبو العالية: إلا ما أريد به وجهه، ﴿وَلَا تُحْكَمُ فِي الْقَضَاءِ﴾، وتردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ أَلَمْ أَحْسِبْ أَنْتَأْتَنِي، أظن الناس، ﴿أَنْ يَرْكَبُوا﴾، غير اختبار ولا ابتلاء، ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾، أي بأن يقولوا، ﴿عَمَّا كَانُوا لَا

يَقْتَضُونَ﴾، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم؟ كلا لنتخبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية. قال الشعبي: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا يقبل منكم إقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله هاتين الآيتين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما [قال]: وأراد الناس الذين آمنوا بمكة: سلمة بن هشام، وعياش بن [أبي] ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر وغيرهم.

وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر، كان يعذب في الله عز وجل.

وقال مقاتل: نزلت في مهجع بن عبدالله مولى عمر، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يَقْتَضُونَ﴾ بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان، ثم فرض عليهم الصلاة، والزكاة، وسائر الشرائع، فشق على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ﴿١﴾

يعني الأنبياء والمؤمنين، فمنهم من نشر بالمشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿فَلْيَمَنَّ اللَّهُ الْذُرِّيَّةَ صَدَقًا﴾، في قولهم: آمننا، ﴿وَلْيَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾، والله عتلم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومته [الذي فيما نزله]، وقال مقاتل: فليرين الله. وقيل: ليميز الله كقولهم: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٢٨].

﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، يعني المشرك، ﴿أَنْ يَسْتَفْتِنُوا﴾، يمجزوننا ويغفوننا، فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي بس ما حكموا حين ظنوا ذلك.

﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: من كان يطمع في ثواب الله، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾، يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني يوم القيامة لكائن. ومعنى الآية أن من يخشى الله أو يأمله فليستعد له، وليعمل لذلك اليوم، كما قال: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١١] الآية، ﴿وَمَوْءَاظِعًا كَاتِبِينَ﴾.

﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ، له ثوابه، «والجهاد»: هو

الصالحين، وهم الأنبياء والأولياء،
وقيل: في مدخل الصالحين، وهو
الجنة.

﴿٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مِن
يَقُولُ مَا كُنَّا بِاللَّهِ قَادِرًا أُذَىٰ فِي اللَّهِ﴾،
أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ
فَتَنَةَ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ﴾، أي:

جعل أذى الناس وعذابهم
كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع
من عذاب الناس ولم يصبر عليه،

فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف
[من] عذابه، هذا قول السدي وابن

زيد، قالوا: هو المنافق: إذا أذى
في الله رجع عن الدين كفر، ﴿وَلَمَّا
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني هؤلاء
المنافقين للمؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا

مَعَكُمْ﴾، على عدوكم وكنا مسلمين
وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا،
فكذبهم الله فقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ

يَأْتِلُمْ بِمَا فِي صُدُورِ الْمُتَّقِينَ﴾، من
الإيمان والنفاق.

﴿٨﴾ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾،
صدقوا فثبتوا على الإسلام عند
البلاء، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، بترك
الإسلام عند نزول البلاء. واختلفوا

في [سبب] نزول هذه الآية.

قال مجاهد: نزلت في ناس كانوا
يؤمنون بالسنتهم فإذا أصابهم بلاء من
الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتوا.

وقال عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما: نزلت في الذين
أخرجهم المشركون معهم إلى

بدر، وهم الذين نزلت فيهم: ﴿إِن
الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُتَلَبِّطَةَ ظَالِمِينَ انْفُسِهِمْ﴾

[النساء: ٩٧].

سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه وهو

سعد بن مالك [أبو]

إسحاق الزهري وأمه حمنة

بنت أبي سفيان بن

أمية بن عبد شمس لما

أسلم، وكان من السابقين

الأولين، وكان باراً بأمه

قالت له أمه: ما هذا الدين

الذي أحدثت؟ والله لا

أكل ولا أشرب حتى

ترجع إلى ما كنت عليه،

أو أموت فتعير بذلك أبد

الدهر، فيقال: يا قاتل

أمه، ثم إنها مكثت يوماً

وليلة لم تاكل ولم تشرب

ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت

ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تاكل

ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال:

يا أماه لو كانت لك مائة نفس

فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني

فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما

أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله

تعالى هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه

والإحسان إليهما وأن لا تطعهما في

الشرك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ

جَاهَدَكَ لِتَشْرِكْ فِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تَطْعَمْهُمَا﴾.

وجاء في الحديث: «لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق»، ثم

أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إِنَّ

مَرْحَمَكُمْ فَأَنْتُمْ مَكْرَهُ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

أخبركم بمصالح أعمالكم وسيئها

فأجازيكم عليها.

﴿٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، في زمرة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْحَمَتِكَ فَأَنْتُمْ مَكْرَهُ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ الَّذِينَ مِن يَقُولُ مَا كُنَّا بِاللَّهِ قَادِرًا أُذَىٰ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فَتَنَةَ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَلَمَّا نَصَرَ مِن رَّبِّكَ يَقُولَنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُتَّقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ صَلَاحَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ ﴿١٢﴾ وَمِنَ الَّذِينَ مِن
قَوْلِهِ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا
مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ
﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَمَّتْ فِيهِمُ الْآفَافُ فَسَاءَ
الْأَحْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾

الصبر على الشدة، ويكون ذلك في
الحرب، وقد يكون على مخالفة
النفس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ عَنِ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾،
عن أعمالهم وعباداتهم.

﴿٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، لنبتليها،
يعني: حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل،
والتكفير: إذهاب السيئة بالحسنة،

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،
أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة،
وقيل: نعطيتهم أكثر مما عملوا

وأحسن، كما قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ عَشْرُ أَثْقَالٍ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾، أي برأ بهما
وعطفاً عليهما، معناه ووصينا
الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن.

نزلت هذه الآية والتي في سورة
لقمان [١٤] والأحقاف [١٥] في

وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وقال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدينة وباقى السورة مكة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم. وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش «اتبعوا سبيلنا»: ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، فذلك قوله: ﴿وَلَتَحْمِلَ خَطِيئَتِكُمْ﴾ أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر ومعناه جزاء، مجازه: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كقوله: ﴿فَلْيَتْلُو آيَاتِهِ وَالسَّابِقِ﴾ [طه: ٣٩]، وقيل: هو جزم على الأمر، كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُحْسِنِينَ﴾ من خطيئتهم تين شجرة إثمهم لكذبهم، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قوله عز وجل: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُبْغِلُونَهُمْ بَغِيرَ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، سؤال توبيخ وتقرع.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيًّا﴾ ما فاعلهم الطوفان،

ففرقوا، ﴿وَمِمَّنْ ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: مشركون. ﴿فَأَجْنِبْتَهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾، يعني من الغرق، ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني السفينة «عابية»، أي عبرة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾، فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة [لمن بعدهم]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى

كثر الناس وفشوا، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي وأرسلنا إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾، أطبعوا الله وخافوه، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصناماً، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذباً، قال مجاهد: تصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها آلهة، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرُونَ أن يرزقوكم، ﴿فَاتَّبِعُوا﴾، فاطلبوا، ﴿عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إليه تُعْبَدُونَ.

﴿وَإِن تَكْذِبُوا فَعَدَبٌ عَلَيْنَا مِمَّنْ قَبْلِكُمْ﴾، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿فَأَجْنِبْتَهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَا يَلْمِزُوكُمْ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ نُوْحًا أَنِ امْلِكْ صَبْرًا وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّهُ كَفَرُوا بِآيَاتِهِ فَذَكَّرْنَا عِبَادَ اللَّهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ يَقُولُونَ كَيْفَ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ آلُوهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿قُلْ صِرَاطِي الْأَرْضِ فَاطْرُوقًا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَن يَشَاءُ مَن يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ غَنِيٌّ غَنِيًّا﴾ ﴿وَمَا أَشْرِكُ بِمُجْرِبَاتِي فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَتَّبِعُ اللَّهُ وَلَا يُفَايِسُ اللَّهُ أُولَٰئِكَ يَلْبَسُونَ أَلْسِنَةً يُنَادُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقه ثم مضغه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة عند البعث ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿قُلْ صِرَاطِي الْأَرْضِ فَاطْرُوقًا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبدأ لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النشأة» بفتح الشين ممدودة حيث وقعت، وقرأ الآخرون يسكون الشين مقصورة نظيرها الرافة والرافة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَن يَشَاءُ مَن يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ غَنِيٌّ غَنِيًّا﴾، تردون.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَمِنَهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِّبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ ﴿٢٣﴾ فَامَّا لَمْ لَوْطَ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ لَمَّا عَلَّمْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَوَأْتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الَّذِي نَادَىٰ رَبَّهُ فِي الْأَخْرَ لَمَّا لَمَّ الضَّالِّينَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٢٦﴾ فَاسْتَفْتَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَيُّكُمْ لَأَنذِرُ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَأَيُّكُمْ كَفَرُوا﴾ ﴿٢٢﴾ يَا بَنِيَّ اللَّهُ وَرِجَالَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَبِالْبَيْتِ، ﴿أُولَئِكَ يَجِئُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾، ﴿وَأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جل ذكره:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَمِنَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾، وجعلها عليه برداً وسلاماً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾،

في ذلك يصدقون.

﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم لقومه، ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب: «مودة» رفعاً بلا تنوين، «بينكم» خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي مودة بينكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة، وحفص: «مودة» نصباً بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الباقون «مودة» منصوبة منونة «بينكم» بالنصب، معناه إنكم [إنما] اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، فإن قيل ما وجه قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع آدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء أراد من يمدحه ومن ينصره فأضمر «من»، يريد لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول الرجل [للرجل] لا يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة، أي ولا بالبصرة لو كان بها، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي.

بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾، تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة، ﴿وَمَا أُوثِنُكُمْ﴾، جميعاً العابدون والمعبودون، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ﴾.

﴿فَمَا لَمْ لَوْطَ﴾، يعني صدقه، وهو أول من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه، (وقال) يعني إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾، فهاجر من كوثي، وهو من سواد الكوفة، إلى حران ثم إلى الشام، ومعه لوط وامرأته سارة، وهو أول من هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ لَمَّا عَلَّمْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله، ﴿وَوَأْتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الَّذِي نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، وهو الشاء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى مكانه في الجنة، ﴿وَأَلَّمْنَا فِي الْأَخْرَ لَمَّا لَمَّ الضَّالِّينَ﴾، أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس مثل آدم ونوح.

﴿وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: «أنكم» بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿لَأَتُونَ النَّجْحَةَ﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿مَا سَبَقْتُمْ فِيهَا مِن أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَيُّكُمْ لَأَنذِرُ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾، وذلك أنهم

وَمَا جَاءَتْ رُسُلَنَا إِلَّا بَشِيرًا قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾
 قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَكْبَرُ مِنْ فِيمَا تَنْجِيئُهُ
 وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرًا قَدِ كُنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا
 أَنْجَاهَتْ رُسُلْنَا لُوطًا مَاتَ بِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أَمْرًا كَدِ
 كُنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا مَنَّا لُوطَ عَنْ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَجَزَاءَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٣﴾ وَقَدْ رَكَّعْنَا مِنْهَا آيَةً يَسْتَكْفِرُونَ بِقَوْلِهِمْ
 وَاللَّيْلِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَدُكُمْ
 اللَّهُ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُسَيِّدِينَ
 ﴿٣٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ جثثين ﴿٣٥﴾ وَكَذَلِكَ أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ
 لَكُمْ مِنْ مَنَّا كَيْفَهُمْ وَزَكَّاهُمْ لَكُمْ الشَّيْطَانُ
 أَعْتَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٦﴾

الإزار، والصفير،
 والحذف، واللوطية، ﴿فَمَا
 كَانَتْ جَوَابَ قَوْلِهِمْ﴾،
 لما أنكز عليهم لوط ما
 يأتونه من القبائح، ﴿إِلَّا أَنْ
 قَالُوا﴾، له استهزاء ﴿أَتَيْنَا
 بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ﴾، أن العذاب
 نازل بنا، فعند ذلك.

﴿وَقَالَ﴾، لوط،
 رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
 الْمُفْسِدِينَ، بتحقيق قولي
 في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
 إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرَةِ﴾، من الله
 بإسحاق ويعقوب، ﴿قَالُوا﴾

إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، يعني
 قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿إِنْ أَهْلَهَا
 كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ﴾، إبراهيم للرسول،
 ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾، قالت
 الملائكة: ﴿نَحْنُ أَكْبَرُ مِنْ فِيمَا
 تَنْجِيئُهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي
 ويعقوب: ﴿تَنْجِيئُهُ﴾ بالتخفيف،
 وقرأ الباقون بالتشديد، ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا
 أَمْرًا كَدِ كُنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، أي
 الباقين في العذاب.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا
 لُوطًا﴾، ظن أنهم من الإنس،
 ﴿مَاتَ بِهِمْ﴾، [حزن بهم]،
 ﴿وَصَافَ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَحْفَ﴾، من قومك علينا،
 ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، بإهلاكنا إياهم، ﴿إِنَّا
 مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أَمْرًا كَدِ كُنْتَ
 مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، قرأ ابن كثير،
 وحمزة، والكسائي، وأبو بكر،

كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم
 من المسافرين، فترك الناس الممر
 بهم. وقيل: تقطعون سبيل النسل
 بإيثار الرجال على النساء، ﴿وَتَأْتُونَ
 فِي تَكَايِبِكُمْ الْمُنْكَرَ﴾، السنادي،
 والندی، والمنتدي، مجلس القوم
 ومتحدثهم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو
 إسحاق الثعلبي، أنا أبو العباس بن
 سهل بن محمد المروزي، أنا جدي
 لأمي أبو الحسن المحمودي، أنا
 محمد بن إسحاق بن خزيمة، أن
 بشر بن معاذ حدثهم: أنا يزيد بن
 زريع، أنا حاتم بن أبي صغيرة، عن
 سيماء بن حرب، عن أبي صالح
 مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن
 أم هانئ قالت: سألت
 رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَتَأْتُونَ
 فِي تَكَايِبِكُمْ الْمُنْكَرَ﴾، قلت: ما
 المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال:
 «كانوا يحذفون أهل الطرق
 ويسخرون بهم».

وروي أنهم كانوا يجلسون في
 مجالسهم، وعند كل رجل منهم
 قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر
 سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولى
 به. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه
 وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم
 قاض بذلك، وقال القاسم بن
 محمد: كانوا يتضارطون في
 مجالسهم. وقال مجاهد: كان يجامع
 بعضهم بعضاً في مجالسهم. وعن
 عبدالله بن سلام قال: كان يبيزق
 بعضهم على بعض. وعن مكحول
 قال: كان من أخلاق قوم لوط مضغ
 العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل

ويعقوب: «مُنْجِيُكَ» بالتخفيف،
 وقرأ الآخرون بالتشديد.

﴿إِنَّا مَنَّا لُوطَ عَنْ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾، قرأ ابن
 عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون
 بالتخفيف، ﴿عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
 وَجَزَاءَ﴾، عذاباً، ﴿مَاتَ بِهِمْ
 وَصَافَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾،
 قال مقاتل: الخسف والحصب،
 ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَقَدْ رَكَّعْنَا مِنْهَا آيَةً
 يَسْتَكْفِرُونَ بِقَوْلِهِمْ
 وَاللَّيْلِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا﴾، من
 قريات لوط، ﴿آيَةً يَسْتَكْفِرُونَ﴾، عبرة
 ظاهرة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْتَلُونَ﴾، يتدبرون
 الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن
 عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم
 الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة
 التي أهلكوا بها أبواقها الله حتى
 أدركها أرائيل هذه الأمة. وقال
 مجاهد: هي ظهور الماء الأسود
 على وجه الأرض.

﴿وَاللَّيْلِ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾،
 أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً،

وروي عن أنس قال: كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبته، فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال: «إن صلواته تنهاه يوماً» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم إن صلواته تنهاه يوماً».

وقال ابن عون: معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ [الإنشاء: ١١٠] أي بقراءتك. وقيل: أراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهيه عن الفحشاء والمنكر.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه قراءته».

وفي رواية قيل: يا رسول الله إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلواته لثردعه».

قوله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي ذكر الله أفضل الطاعات.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران ببغداد، أنا أبو علي الحسين بن صفوان البرادعي، أنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، أنا هارون بن

معروف، أنا أبو علي الضريير، أنا أنس بن عياض، ثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن أبي بحرئة، عن أبي الدرداء رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك [يا رسول الله] قال: «ذكر الله».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا [أبو] منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو الأسود، أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي السمح، عن [أبي] الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ [أنه] سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً» فقالوا: يا رسول الله و[من] الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً، لكان الذاكر لله كثيراً أفضل منه درجة».

وروي أن أعرابياً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله».

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن

سفيان، أنا مسلم بن الحجاج القشيري، أنا أمية بن بسطام العيشي، أنا يزيد بن زريع، أنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ علي جهل يقال له جُمندان، فقال: «سيروا هذا جُمندان سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً والذاكرات».

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا خلاد بن أسلم، ثنا النضر، أنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال قوم: معنى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي «ذكر الله إيساكم أفضل من ذكركم إياه». ويروي ذلك عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة.

ويروي ذلك مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وقال عطاء في قوله: ﴿إِنَّ الْمَسْكُوتَةَ تَنْعَنُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكُرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية. ﴿وَاللَّهُ

وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقاً لم تكذبوه.

(٤٧) قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَعْنِي﴾ كما أنزلنا إليهم الكتاب، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكُتُبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمَنْ هَكَذَا﴾، يعني أهل مكة، ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، وهم مؤمنو أهل مكة، ﴿وَمَا يَحْمَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحودوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

(٤٨) ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾، يا محمد، ﴿مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾، يعني من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب، ﴿وَلَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، يعني ولا تكتب قبل يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿إِذَا لَأَزَبَ الْمَبْطُلُونَ﴾، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: «المبطلون» هم اليهود، ومعناه: إذا لشكوا فيك واتهموك، وقالوا إن الذي نجد نعتة في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

(٤٩) ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، قال الحسن يعني القرآن آيات بينات، ﴿فِي صُورِ الْذِّبْرِ أَوْفُوا أَلِيمَةً﴾، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما

ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل علينا وأنزل إليكم، ﴿وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَمْ نُسَلِّمْهُنَّ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا عثمان بن عمر، أنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب

يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل علينا» وما أنزل إليكم.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري، أنا ابن أبي نملة الأنصاري، أن أباه أبا نملة الأنصاري أخبره: أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من اليهود ومزمّ بجنائزته، فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنائز؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم،

وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَمْ نُسَلِّمْهُنَّ ﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكُتُبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ هَكَذَا مِنْ قَبْلِهِ وَمَا يَحْمَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْتَفُ بِمِيسِينِكَ إِذَا لَأَزَبَ الْمَبْطُلُونَ ﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الْذِّبْرِ أَوْفُوا أَلِيمَةً وَمَا يَحْمَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا تَوَلَّىٰ تَوَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوْ لَوْ يَكْفُرُونَ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُثَلِّثُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لَرَحِمَهُ وَذَكَرَ لِيَقُومَ بِؤْمُوتِهِ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِأَعْيُنِنَا وَالْبَاطِلُ يُكَفِّرُ وَبِاللَّهِ أَوْلِيَّةٌ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾

يَعْلَمُ مَا تَصْعُقُونَ»، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

(٤٧) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، لا تخاصموهم، ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي: أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية إلا الذين ظلموكم، لأن جميعهم ظالم بالكفر. وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: ﴿فَتَلَبَّثُوا الْذِّبْرَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]. ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يريد إذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه،

وقتادة: بل هو - يعني محمداً ﷺ - ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم، ﴿وَمَا يَحْكُمُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن رَّبِّنَا﴾، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر آية على التوحيد، وقرأ الآخرون آيات من ربه. قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَئِنَّمَا أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ مِنْهُ الْأَنْهَارُ لَنَنفُثَنَّ فِيهَا مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ خَلِيلِينَ﴾، وهو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها، ﴿وَلِنَمَّا أَنَا بِذِيئْرِئِثٍ﴾، أنذر أهل المعصية بالثار، وليس إنزال الآيات بيدي.

﴿٥١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾، هذا الجواب لقولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُنزِّلُ عَلَيْنَا آيَةً مِّن رَّبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٧] قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في إنزال القرآن، ﴿رَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِرُونَ﴾، أي تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به.

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾، أي رسوله وهذا القرآن كتابه، ﴿يَسْأَلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾، قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان، ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أَوْلِيَّاءَ لِّمُؤْمِنِيهِمْ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وَسَمِعْجُلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء،

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، قال ابن عباس: ما وعدتكم أني لا أعذب قومك ولا أستاصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة كما قال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] وقال الضحاك: مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿لِجَمَّةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾، يعني العذاب وقيل الأجل، ﴿وَلِيَأْتِيَهُمْ﴾، يعني لا يشعرون، ﴿بِآيَاتِنَا﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿وَسَمِعْجُلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلِئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها.

﴿٥٥﴾ ﴿يَوْمَ يَبْسُفُوفُ﴾، يصيبهم، ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾، يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم، كما قال: ﴿لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، ﴿وَيَقُولُ دُوقُوا﴾، قرأ نافع، وأهل الكوفة: «ويقول» بالياء، أي: ويقول لهم الموكل بعذابهم: ذوقوا وقرأ الآخرون بالنون، لأنه لما كان بأمره نسب إليه، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: جزاء ما كنتم تعملون.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِسْعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فأخرجوا منها إلى

﴿وَسَمِعْجُلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَمَّةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾، ﴿وَلِيَأْتِيَهُمْ﴾، ﴿بِآيَاتِنَا﴾، ﴿وَلِئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، ﴿يَوْمَ يَبْسُفُوفُ﴾، ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾، ﴿وَيَقُولُ دُوقُوا﴾، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَيَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِسْعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَاصْتَبَرُوا مِنْ حَتْمِهَا الْأَنْهَارَ خَلِيلِينَ﴾، ﴿بِمَا أَعْمَلُوا الصَّالِحِينَ﴾، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ إِذَا وَلَّوْا عَلَىٰ ظَهْرِهَا لَرِيضَةٌ بِرِزْقِهَا وَأَحْبَبَ إِلَىٰ ظَهْرِهَا الرَّزْقَ الَّذِي رَزَقْنَاهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَالَّذِينَ سَأَلُوا اللَّهَ بِرِزْقِهِم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ فَإِن تَوَكَّلُونَ﴾، ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَسَيُجَدُّ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ لِكُلِّ ذَنْبٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَالَّذِينَ سَأَلُوا اللَّهَ بِرِزْقِهِم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿لِيَقُولَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أرض المدينة، إن أرضي [يعني المدينة] واسعة آمنة، قال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فأخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا: نخشى، إن هاجرنا، من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله: [إن] أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فأخرجوا.

﴿٥٧﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، خوفهم بالموت ليَهْوُونَ عليهم الهجرة، أي: كل واحد ميت أينما

كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، ﴿ثُمَّ إِنَّا رُجِعُوا﴾، فنجزيتكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: «يرجعون» بالياء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، بالثاء ساكنة من غير همز، يقال: ثوى الرجل إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وتشديد الزاو وهمزة بعدها أي لننزلنهم، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عَرَفًا﴾، علالي، ﴿بِحُورٍ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَنْ أَمَرَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم، ﴿وَعَلَىٰ رَيْبِهِمُ يَوْكُورٌ﴾، يعتمدون.

﴿وَكَايُنَ مِن دَابَّةٍ لَّا حَمِيلٌ رِّزْقَهَا﴾.

وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: «كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟» فأنزل الله: ﴿وَكَايُنَ مِن دَابَّةٍ﴾ ذات حاجة إلى غداء، ﴿لَّا حَمِيلٌ رِّزْقَهَا﴾ أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطيور، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، حيث كنتم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْكَلِيمُ﴾، السميع لأقوالكم: لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم، وقال سفيان عن علي بن الأقرم: «وكاين من دابة لا تحمل رزقها»، قال: لا تدخر شيئاً لغد. قال سفيان: وليس شيء من

خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة.

أخبرنا [أبو سعيد] أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني أبو عبدالله الحسين بن محمد الثقفي، أنا عبدالله بن عبدالرحمن الدقاق، أنا محمد بن عبدالعزيز، أنا إسماعيل بن زرارة الرقي، أنا أبو العطف الجراح بن منهال، عن الزهري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ حائطاً من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: «كل يا ابن عمر»، قلت: لا أشتهيها يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه»، وهذه صبح رابعة منذ لم أطمع طعاماً ولم أجد، فقلت إنا لله، الله المستعان، قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطيني مثل ملك كسرى وقصر أضعافاً مضاعفة، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبثون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت هذه الآية: ﴿وَكَايُنَ مِن دَابَّةٍ لَّا حَمِيلٌ رِّزْقَهَا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أنا أبو العباس السراج، أنا قتيبة بن سعيد، أنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، أن النبي ﷺ: كان لا يدخر شيئاً لغد.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله

لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً».

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبدالله الملك المظفري، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، أنا أبو نصر بن حمدويه المطوعي، أنا أبو الموجه محمد بن عمرو، أنا عبدان عن أبي حمزة عن إسماعيل هو ابن أبي خالد، عن رجلين أحدهما زيد الياامي، عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته».

وقال هشيم عن إسماعيل عن زيد [الياامي] عن أخبره عن ابن مسعود.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَالَّذِينَ سَأَلْتَهُم﴾، يعني كفار مكة، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَنَنْ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَأَلْتَهُم مِّن نَّبَلِكُمْ سَأَلْتَهُمْ مَاءً فَآخَا بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ

مَوَدِّهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِّ الْأَحْمَدُ لِلَّهِ،
على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله،
﴿بَلْ أَكْذَرُ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وقيل:
قل الحمد لله على إقرارهم ولزوم
الحجة عليهم، ﴿بَلْ أَكْذَرُ لَا
يَعْقِلُونَ﴾، ينكرون التوحيد مع
إقرارهم بأنه الخالق لهذه الأشياء.
قوله تعالى:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ
وَلَعِبٌ﴾، اللهو: هو الاستمتاع بلذات
الدنيا، واللعب: العبث، سميت بها
لأنها فانية، ﴿وَلَا تَأْتِي الدُّنْيَا الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَوةُ﴾، أي الحياة الدائمة الباقية،
«والحيوان»: بمعنى الحياة أي فيها
الحياة الدائمة، ﴿لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

﴿قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْفُلِّ﴾، وخافوا الغرق، ﴿دَعَوْا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وتركوا الأصنام،
﴿فَلَمَّا بَجَدْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ﴾، هذا إخبار عن عنادهم
وأهم عند الشدائد يقررون أن القادر
على كشفها هو الله عز وجل وحده،
فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال
عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا
البحر حملوا معهم الأصنام فإذا
اشتدت بهم الرياح ألغوا في البحر
وقالوا: يا رب يا رب.

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾،
هذه لام الأمر، ومعناه التهديد
والوعيد، كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾
[فصلت: ٤٠]، أي ليجحدوا
نعمة الله في إنجائه إياهم،
﴿وَلِيَسْمَعُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي
[وابن كثير وقالون] ساكنة اللام،
وقرأ الباقون بكسرهما نسفاً على قوله:

«ليكفروا»، ﴿فَقَوْفٌ
يَعْلَمُونَ﴾، قيل: كسر اللام جعلها لام كي
وكذلك في «ليكفروا»،
والمعنى لا فائدة لهم في
الإشراك إلا الكفر والتمتع
بما يستمتعون به في
العاجلة من غير نصيب في
الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
حَرَمًا مَأْمُومًا وَبَخَّصْنَا النَّاسَ
مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، يعني العرب،
يسي بعضهم بعضاً، وأهل
مكة أمنون، ﴿أَيُّهَا الْبَاطِلُ﴾،
بالأصنام والشيطان،
﴿يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِنَةُ اللَّهُ﴾،

بمحمد والإسلام، ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا﴾، فزعم أن الله شريكاً وأنه
أمر بالفواحش، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾،
بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ
فِي حُجَّتِمْ مَتَّوِيًّا لِلْكَافِرِينَ﴾، استفهام
بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا
الكافر المكذب ماوى في جهنم.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾، الذين
جاهدوا المشركين لنصرة ديننا،
﴿لِنَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، لنثبتنهم على ما
قاتلوا عليه، وقيل: لنزيدنهم هدى كما
قال: ﴿وَزَيْدُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا
هُدًى﴾ [مریم: ٧٦]، وقيل: لنوفقنهم
لإصابة الطريق المستقيمة، والطريق
المستقيمة هي التي توصل إلى
رضا الله عز وجل. قال سفيان بن
عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما
عليه أهل الشفور، فإن الله قال:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾،

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَرَأَيْتَ الدُّنْيَا الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كُنَّا أَتَمَّ لَعَلَّمْنَا الْآخِرَةَ لَوَلَّاهُ الْبَرِّ إِذَا هُمْ
يُشْرِكُونَ﴾، ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْمَعُوا قَسْوَفٌ
يَعْلَمُونَ﴾، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُومًا وَبَخَّصْنَا
النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَيُّهَا الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَيُؤْمِنَةُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي حُجَّتِمْ مَتَّوِيًّا لِلْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

وقيل: المجاهدة هي الصبر على
الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد
مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن
عياض: والذين جاهدوا في طلب
العلم لنهديتهم سبل العمل به. وقال
سهل بن عبدالله: والذين جاهدوا في
إقامة السنة لنهديتهم سبل الجنة.

وروي عن ابن عباس: والذين
جاهدوا في طاعتنا لنهديتهم سبل
ثوابنا. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾،
بالنصر والمعونة في دينهم وبالثواب
والمغفرة في غفابهم.

سورة الروم

مكية [وهي ستون آية، وقيل:
تسع وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ الرُّومَ

فِي آدَقِّ الْأَرْضِ»، سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون.

أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم، لأن أهل فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس، لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليها رجلاً يقال له شهريراز، وبعث قيصر جيشاً [وأمر] عليهم رجلاً يدعى بخنسن، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا فوالله ليظهرن على فارس على ما أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال: كذبت، فقال: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أناجيبك عليه، والمناحية: المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت إنما

البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزيده في الخطر وماذه في الأجل»، فخرج أبو بكر ولقي أبيتاً، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا، فتعال أزايدك في الخطر وأماذك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، قال: قد فعلت، فلما خشى أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفل له ابنه عبدالله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبدالله بن أبي بكر فلزمه، فقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحة رسول الله ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديدية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجتهم. وقيل: كان يوم بدر.

وقال الشعبي: لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحية بين أهل مكة، وفيها صاحب قمارهم أبي بن خلف، والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار، حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداخن وبنوا الرومية فقمر أبو بكر أبيتاً وأخذ مال الخطر من ورثته، فجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «تصدق به».

وكان سبب غلبة الروم فارساً على ما قال عكرمة وغيره: أن شهريراز بعدما غلبت الروم لم يزل يطأهم

ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، فبينما أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب إذ قال لأصحابه: لقد رأيت كائي جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهريراز إذا أتاك كتابي [هذا] فابعث إلي برأس فرخان، فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان إن له نكاية وصوتاً في العدو، فلا تفعل البتة، فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل علي برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث يريد إلى أهل فارس أني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان الملك، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل شهريراز، وقال: إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه، فلما قرأ شهريراز، الكتاب قال سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان ورفع إليه الصحيفة [فلما قرأها] قال اتنوني بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه، فقال: لا تعجل علي حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد، فرد الملك إلى أخيه، وكتب شهريراز إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف، فآلقتني، ولا تلقني إلا في خمسين رومياً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق، وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيون

وَعَدَ اللَّهُ لِيَحْلُقَ أَفْئِدَةً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْمَعُوا سَوَاءً مَّا نَدَّبُوا بِآيَاتِنَا إِلَّا فِي غَمٍّ مِّنْهُم مَّنْ يَكْفُرُ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَكْفُرُ بِهِ كَثِيرًا مِّنْ أَهْلِ الْإِنْسَانِ ۗ

﴿١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ

﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُوا صَعُرًا مِّمَّا عَصَوْا وَهُمْ عَادُوْنَ ۗ

﴿٤﴾ وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُوا صَعُرًا مِّمَّا عَصَوْا وَهُمْ عَادُوْنَ ۗ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلُّوهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿٥﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا سُوءًا ۗ لَنَكُونَنَّ أَنكَارًا ۗ لَئِن كُنَّا إِلَّا نَدْمًا عَلَيْهِمْ تُنَادِيكُمُ الْمَلَائِكَةُ نَقُتِّلُتُم مِّنْ دُونِهِمْ فَمَا تُنصِرُونَ ۗ

﴿٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ إِلَّا قُلُوبًا حَامِيَةً ۗ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۗ

﴿٧﴾ وَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۗ

﴿٨﴾ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۗ

﴿٩﴾ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۗ

ومعنى الآية: الم، غلبت الروم فارساً في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبون يغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والأول أصح وهو قول أكثر المفسرين. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فأى الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمَوْتُونَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿يَضْرِبُ مَنِ يَنْكُرُهُ وَهُوَ الْأَكْمَرُ﴾، الغالب، ﴿الزَّجِرُ﴾، بالمؤمنين. ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾، نصب على المصدر أي: وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس، ﴿لَا يَحْلُقُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٧﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني أمر معاشهم كيف يكتبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، وقال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطيء وهو لا يحسن أن يصلي ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، ساهون عنها جاهلون

أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً، ثم بسط لهما فالتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، ومع كل واحد منهما سكين، فدعوا بترجمان بينهما، فقال شهريراز: إن الذين خربوا مدائنك، أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك، قال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا ترجمان معاً بسكينهما، فأديلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم، ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية فرح ومن معه [بذلك] فذلك قوله عز وجل: ﴿لَتَرَنَّ عَلَيَّ الرُّومَ فِي آدَانِ الْأَرْضِ﴾.

أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ﴾، أي الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾، فارساً.

﴿١﴾ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، [وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع]. وقيل: ما دون العشرة. وقرأ عبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غلبت» بفتح الغين واللام، «سيغلبون» بضم الياء ويفتح اللام، وقالوا نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارساً،

بها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

﴿٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي لوقت معلوم إذا انتهت إليه فנית، وهو [يوم] القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

﴿١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ﴾، حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿وَجَعَلُوا صَعُرًا مِّمَّا عَصَوْا﴾، أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُظِلُّوهُمْ﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿فَمَا

من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع أهل سبع سموات صلواتهم وتسيحهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي البعث يوم القيامة، ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْتَصِرُونَ﴾.

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَسُبْحٰنَ اللَّهِ﴾، أي سبحوا الله [وقيل] معناه صلوا الله، ﴿وَعِشْيَا رَبِّهِمْ﴾، أي تدخلون في المساء، وهو صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَعِشْيَا رَبِّهِمْ﴾، أي تدخلون في الصباح، وهو صلاة الصبح.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له، ﴿وَعِشْيَا رَبِّهِمْ﴾، أي صلوا لله عشياً يعني صلاة العصر، ﴿وَعِشْيَا رَبِّهِمْ﴾، أي تدخلون في الظهرية وهو الظهر، قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقبتها.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن شمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله ويحمده [في كل يوم] مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زيد البحر».

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش

ثم يعيدهم بعد الموت أحياء، ولم يقل يعيدهم، رده إلى الخلق، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيجزئهم بأعمالهم، قرأ أبو عمرو وأبو بكر: «يرجعون» بالياء والآخرين بالثاء.

﴿١٩﴾ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾، قال يئيش المجرمون، قال قتادة، والكلبي: يياس المشركون من كل خير. وقال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. وقال مجاهد: يفتضحون.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ شِرْكائِهِمْ شَفَعًا وَلَا وَكَّالًا﴾، جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتبرأ منهم.

﴿٢١﴾ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِرُ بَنَفَرَاتٍ﴾، أي يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل: ينفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً.

﴿٢٢﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة، ﴿يُحْبَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يكرمون. وقال مجاهد وقتادة: يُتَعَمَّرُونَ. وقال أبو عبيدة يسرون، والحيرة السرور، وقيل: «الحيرة» في اللغة، كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: تحيرون هو السماع في الجنة. وقال الأوزاعي: إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، وقال: ليس أحد

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْتَصِرُونَ ﴿١٧﴾ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَعِشْيَا رَبِّهِمْ ﴿١٨﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا رَبِّهِمْ ﴿١٩﴾ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْآيٰتِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ الْآيٰتِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ الْآيٰتِ خَلْقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ النَّبِيَّكُمْ وَأَوْلٰكُمْ أَنْزَلَ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّلْعٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ الْآيٰتِ مَا نَزَّلَ بِالنَّجْمِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتًا وَأَمْزَجَ مِنْ قَبْلِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنَ الْآيٰتِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافِظًا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾

كان الله ليظلمهم، بنقص حقوقهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، بيخس حقوقهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾، أي أساءوا العمل، «الشواتر»، يعني الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: «السواى» اسم لجهنم كما أن «الحسنى» اسم للجنة، «أن كذبوا»، أي لأن كذبوا، وقيل تفسير «السوء» ما بعده، وهو قوله «أن كذبوا» يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿بِآيٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: «عاقبة» بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

﴿٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، أي يخلقهم ابتداءً

الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، ثنا السري بن خزيمة الأبيوردي، ثنا المعلى بن سعد، أنا عبدالعزيز بن المختار، عن سهيل، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله، ويحمده مائة، مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد [عليه]».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة بن سعيد، أنا محمد بن فضيل، أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا علي بن المديني، أنا ابن عيينة عن محمد بن عبدالرحمن مولى آل طلحة قال: سمعت كريياً أبا رشدين يحدث عن ابن عباس عن جويريه بنت الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوّله رسول الله ﷺ وسماها جويرية، وكره أن يقال خرج من عند برة، فخرج وهي في

المسجد ورجع بعدما تعالى النهار فقال: ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد؟ قالت: نعم، فقال: «لقد قلت بَعْدَكَ أربع كلمات ثلاث مرات لو [وزنت بكلماتك] لوزنتهن: سبحان الله ويحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، ورتبة عرشه، ومداد كلماته».

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾، قرأ حمزة

والكسائي «تُخْرِجُونَ» بفتح التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ مُتَسَلِّطُونَ﴾، تنسلطون في الأرض.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق حواء من ضلع آدم، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾، في عظمة الله وقدرته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية

سورة الروم

سورة الروم

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَلَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَمْ يَخْلُقْنَاكُمْ وَأَنْتُمْ خَائِفُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ مَخَافَتُهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿بَلِ اتَّخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ أَضَلِّ أُمَّةٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿مُسْبِحِينَ لِلَّهِ وَأَقْبَهُ وَالصُّلُوَّةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شُرَيْكًا كُلَّ حَرْبٍ يَمْلِكُهُمْ فَيُجْرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

٤٧

وغيرهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، قرأ حفص: «للعالمين» بكسر اللام.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَاطُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي منامكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾، سماع تدبر واعتبار.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْآيَاتِ الْخُوفَى﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿وَكَمَعًا﴾، للمقيم في المطر. ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ﴾، يعني بالمطر، ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي بعد يبسها وجدوبتها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ

وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي». قال ابن مسعود: قامت على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ بَنِ الْأَرْضِ»، قال ابن عباس: من القبور، «إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ»، منها، وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَكُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهِ قَانُونَ﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً. وعن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ، يَخْلُقُهُمْ أَوْلَىٰ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْبَعثِ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، قال الربيع بن خيثم، والحسن وقتادة، والكلبي: أي: هو حين عليه وما شيء عليه بعزير، وهو [في] رواية العوفي عن ابن عباس، وقد يجيء أفعال بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول أي عريضة طويلة. وقال مجاهد وعكرمة: «وهو أهون عليه» أي أيسر، ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندكم. وقيل: هو أهون عليه، أي: على الخلق، يقومون بصيحة واحدة، فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً ثم

مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء، وهذا معنى رواية ابن حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، «وَلَكُمْ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ»، أي الصفة العليا «فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثلته شيء، وقال قتادة هي أنه لا إله إلا الله هو «وَهُوَ الْكَرِيمُ»، في ملكه، «الْحَكِيمُ»، في خلقه.

﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ، أي بين لكم شياً بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال: «هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، أي عبيدكم وإمائكم، «مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاهُمْ»، من المال، «فَأَنْتُمْ»، وهم، «فِيهِ سَوَاءٌ»، أي [فيما] شرع [سواء] أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ»، أي: تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمره، وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يجب أن ينفرد به.

قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من مماليتكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم، فكيف رضيت أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي؟ ومعنى قوله: «أَنْفُسِكُمْ» أي أمثالك من الأحرار كقوله: «ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» [النور: ١٢] أي بأمثالهم، «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلِ اتَّخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، أشركوا بالله، «أَهْوَاءَهُمْ»، في الشرك، «بِغَيْرِ عِلْمٍ»، جهلاً بما يجب عليهم، «فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ»، أي أضله الله، «وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ»، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل.

﴿٣٠﴾ قوله تعالى: «فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ»، أي أخلص دينك لله، قال سعيد بن جبير، وإقامة الوجه: إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان، ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده، «خَفِيفًا»، مثلاً مستقيماً عليه، «فَطَرَتْ اللَّهُ»، دين الله وهو نصب على الإغراء، أي إلزم فطرة الله، «الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»، أي خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة: الدين، وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن [محمد بن] محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُولد يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا

أنتم تجدعونها»، قالوا: يا رسول الله أفأرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ورواه الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير، وزاد: ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

قوله: «من يولد يولد على الفطرة» يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله: ﴿الَّتِ اسْتُ بِرِيكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار، وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]،

وقالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل، ألا ترى أنه يقول: «فأبواه يهودانه»، فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم».

ويحكي [معنى] هذا عن الأوزاعي وحماد بن سلمة. وحكي عن عبدالله بن المبارك أنه قال: معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته، أي على خلقته التي جُبل عليها في علم الله تعالى من السعادة أو الشقاوة، فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها [وعامل]

في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه - لشقائه - على اعتقاد دينهما، وقيل: معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات

النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى وأتباعهم لأبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة، ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه. قوله: ﴿لَا بُدَّ لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، فهو خبر بمعنى النهي، أي لا تبدلوا دين الله، قاله مجاهد وإبراهيم، ومعنى الآية الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك، ﴿ذَلِكَ أَلِيبُ الْآلِيبِ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل لا تبديل لخلق الله أي: ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة لا يبدل، فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً. وقال عكرمة

وَأِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِمْ وَإِذَا أَقْبَهُمُ مِنَّهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِقَ مَتَمَّ بِرِيحِهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتُّوا وَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطٰنًا فَهَؤُلَاءِ كَلِمَتٌ مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ مُّسِيَةٌ يَأْتِهَا آيَاتُنَا إِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ فَتَابَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَرَأَىٰ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمُ نَبَأًا لَّيْسَ بِأَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مَّا كَانُوا يُرِيدُونَ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يُضْمَبُونَ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَرْجِعْكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ لَعِندَ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾ طَهَّرَ السَّادِقِينَ فِي النَّارِ وَالْحَرِيمَ كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾

ومجاهد: معناه تحريم إخصاء البهائم.

﴿مُبِينِينَ﴾ أي: فاقم وجهك أنت وأمتك مبينين إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ يدخل معه فيها الأمة كما قال: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا طَلَعَتِ الْإِسْلَامَ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿مُبِينِينَ إِلَيْهِ﴾، أي: راجعين إليه بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة، ﴿وَأَتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ﴾ أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، ﴿كُلِّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾، أي راضون بما عندهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾، قحط وشدة، ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ﴾، مقبلين إليه بالدعاء، ﴿فَتَابَ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنَّهُ رَحْمَةً﴾، خصباً

عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمونون، إذا هزلت أو سمت إب لهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَعَاكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُجْزِيكُمْ هَذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿ظَهَرَ السَّادُّ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات، وأراد بالبر البوادي والمفاوز، وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية.

قال عكرمة: العرب تسمى المصر بحراً، تقول: أجذب البر وانقطعت مادة البحر، ﴿يَمَا كَسَبَتْ آيَاتِي النَّاسِ﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، وقال عطية وغيره: «البر» ظهر الأرض من الأمصار وغيرها، و«البحر» هو البحر المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلوا أجواف الأصداف [لأن الصدف] إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤاً، وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: الفساد في البر: قتل أحد ابني آدم أخاه، وفي البحر: غضب الملك الجائر السفينة، وقال الضحاك: كانت الأرض خضرة موقنة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة، وكان ماء البحر عذباً وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم، فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زعافاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً.

أعطيتم، ومن قصر فمعناه: ما جئتم من ربا، ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما تقول: أتيت خطأ، وأتيت صواباً، فهو يوول في المعنى إلى قول من مد: ﴿لِيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي: لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ﴾، في أموال الناس أي: في اختطاف أموال الناس واجتذابها.

واختلفوا في معنى الآية.

فقال سعيد بن جبیر، ومجاهد، وطاوس، وقاتدة، والضحاك، وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيب أكثر منها فهذا جائز حلال، ولكن لا يثاب عليه في القيامة، وهو معنى قوله عز وجل ﴿فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْمَتْرِ: [المدثر: ٦]، أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله.

وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لوجه الله، فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾، أعطيتم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْضِعُونَ﴾، يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة

ونعمة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ رَّيْبَهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَتَكَفَّرُوا بِمَا آتَيْتَهُمْ﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿فَتَتَمَوَّاْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، حالكم في الآخرة.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حجة وعذراً، وقال قتادة: كتاباً، ﴿فَهُوَ بِتِلْكَ﴾، ينطق، ﴿يَمَا كَانُوا بِهٖ يَشْكُرُونَ﴾، أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

﴿وَلِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾، أي الخصب وكثرة المطر، ﴿فَوَجَّحُوا بِهَا﴾، يعني فرح البطر، ﴿وَلِإِنْ ضُيِّبَتْهُمْ سَيْئَةً﴾، أي: الجذب وقلة المطر، ويقال الخوف والبلاء ﴿يَمَا قَدَّمْتُمُ الْبِرِّ﴾، من السيئات، ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾، يياسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْتُونَ﴾.

﴿قوله تعالى﴾: ﴿وَمَا يَذَّاقُونَ حَمَلَهُ﴾، من البر والصلة، ﴿وَالْمُتَكِبِينَ﴾، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾، يعني المسافر، وقيل: هو الضيف، ﴿ذَلِكَ حَمَلٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا﴾، قرأ ابن كثير: «أتيتم» مقصوراً، وقرأ الآخرون بالمد، أي

قال قتادة: هذا قبل مبعث النبي ﷺ، امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، فلما بعث الله محمداً ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي، يعني كفار مكة، ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

﴿٤٢﴾ قُلْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ، لَتَرُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةً، كَانُوا أَكْثَرَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ، فَاهْلَكُوا بِكُفْرِهِمْ.

﴿٤٣﴾ فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني يوم القيامة، لا يقدر أحد على رده ممن الله، ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ بَصَدْعُونَ﴾، أي: يتفرقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، أي ويسأل كفره، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَهْدُونَ﴾، يوطنون المضاجع ويسوونها في القبور.

﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليشبههم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِيطُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، تبشر بالمطر، ﴿وَلِيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي فِيهِمْ كُفْرًا﴾، أي ينشره، ﴿فَيَسْطُرُ فِي سُبُلِهِمُ السَّمَاءَ كَمَا يَسْطُرُ فِي سُبُلِ الْيَوْمِ الَّذِي كَفَرُوا فِيهِ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء، ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا﴾، قطعاً متفرقة،

من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

﴿٤٧﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات الواضحات على صدقهم، ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْ الَّذِينَ آجَرُوا﴾، عذبنا الذين كذبوهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وإنجاؤهم من العذاب، ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، قال الحسن: أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا أحمد بن زنجويه، أنا أبو شيخ الحراني، أنا موسى بن أعين عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يرده عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرده عنه نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٤٨﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُنْفِثُ سَحَابًا، أي ينشره، ﴿فَيَسْطُرُ فِي سُبُلِهِمُ السَّمَاءَ كَمَا يَسْطُرُ فِي سُبُلِ الْيَوْمِ الَّذِي كَفَرُوا فِيهِ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء، ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا﴾، قطعاً متفرقة،

سورة الروم

سورة الروم

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ، كَانُوا أَكْثَرَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ، فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ، قُلْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ، لَتَرُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةً، كَانُوا أَكْثَرَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ، فَاهْلَكُوا بِكُفْرِهِمْ.

﴿٤٢﴾ قُلْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ، لَتَرُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةً، كَانُوا أَكْثَرَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ، فَاهْلَكُوا بِكُفْرِهِمْ.

﴿٤٣﴾ فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني يوم القيامة، لا يقدر أحد على رده ممن الله، ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ بَصَدْعُونَ﴾، أي: يتفرقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، أي ويسأل كفره، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَهْدُونَ﴾، يوطنون المضاجع ويسوونها في القبور.

﴿٤٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليشبههم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِيطُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، تبشر بالمطر، ﴿وَلِيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي فِيهِمْ كُفْرًا﴾، أي ينشره، ﴿فَيَسْطُرُ فِي سُبُلِهِمُ السَّمَاءَ كَمَا يَسْطُرُ فِي سُبُلِ الْيَوْمِ الَّذِي كَفَرُوا فِيهِ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء، ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا﴾، قطعاً متفرقة،

٤٩

﴿فَذَرَى الْوَدْقَ﴾، المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَابِهِ﴾، وسطه، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَتَذَكَّرْهُ أُوْحِيَ إِلَيْهِ فَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يفرحون بالمطر.

﴿٤٩﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ كَانُوا كَانُوا كَانُوا، وقد كانوا، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، أي آيسين، قيل: وإن كانوا أي وما كانوا إلا مبلسين، وأعاد قوله «من قبله» تأكيداً، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر والثانية إلى إنشاء السحاب.

وفي حرف عبدالله بن مسعود: «وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين»، غير مكرر.

﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ، هكذا قرأ أهل الحجاز، والبصرة، وأبو بكر، وقرأ الآخرون: «إلى آثار رحمة الله»، على الجمع، أراد برحمة الله: المطر، أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، قال

لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وقدره بدليل قوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور، وقيل: «في كتاب الله» أي «في حكم الله»، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين [أوتوا العلم] في كتاب الله والإيمان: لقد لبستم إلى يوم البعث، يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرأوا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ بَرَّخُوا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أي: قالوا للمنكرين لقد لبستم، «إلى يوم البعث فهكذا يوم البعث»، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، «وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل:

﴿قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ﴾، يعني عذرهم، «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ»، لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة، قرأ أهل الكوفة: «لا ينفع» بالياء ههنا وفي «حم» المؤمن [وافق نافع في حم المؤمن]، وقرأ الباقون بالياء فهما.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ حَسَبَتْمْ بَيَاتِهِ لِقَوْلٍ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾، ما أنتم إلا على باطل.

﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ توحيد الله.

﴿فأصبر إن وعد الله حق ولا

ضللناهم إن سئع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾.

﴿الله الذي خلقكم بين ضعفٍ﴾، قرىء بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة، يريد من ذي ضعف، أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠]، «نثر جعل من بعد ضعف قوة» أي من بعد ضعف الطفولة شباباً وهو وقت القوة،

﴿نثر جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ [هرماً] «وشيبة يخلق ما يشاء»، من الضعف والقوة والشباب والشيبة، «وهو العليش»، بتدبير خلقه، «القدير»، على ما يشاء.

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾، يحلف المشركون، «ما لبثوا»، في الدنيا، «عبر ساعة»، إلا ساعة، استقلوا أجل الدنيا لما عابنوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا.

قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين

﴿وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا بِحَافِرِهِ مُمْضِرًا أَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾
﴿فَأَنكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ النُّصْرَةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِينًا﴾
﴿وَمَا أَنتَ بِبَعْدِ الْعَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾
﴿الله الذي خلقكم بين ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعفٍ قوةً ثم جعل من بعد قوةً ضعفاً وشيبةً يخلق ما يشاء وهو العليش القدير﴾
﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعةٍ كذلك كانوا يؤفكون﴾
﴿وقال الذين أُوتوا العلمَ والإيمانَ لقد لبستم في كتابِ اللهِ إلى يومِ البعثِ فهكذا يومِ البعثِ ولَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾
﴿ولقد صرَبنا للناسِ في هذا القرآنِ من كلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ حَسَبَتْمْ بَيَاتِهِ لِقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾
﴿كذلك يطبع اللهُ على قلوبِ الذين لا يعلمون﴾
﴿فأصبر إن وعدَ اللهُ حقٌّ ولا تُؤفكون﴾

مقاتل: أثر رحمة الله أي: نعمته وهو النبات وإخراج الشمر منه، «كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ ذَلِكَ لَمُنْجِي الْمَوْتَى»، يعني أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحي الموتى، «وهو على كلِّ فنٍّ قديرٌ».

﴿ولين أرسلنا ببحارها مضرة فافسدت الزرع، فرأوه مضمراً﴾ أي رأوا النبات والزرع مصفراً بعد الخضرة، «أظلموا»، لصاروا، «من بعده» من بعد إصفرار الزرع، «يَكْفُرُونَ»، يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

﴿فَأَنكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ النُّصْرَةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِينًا﴾.

﴿وما أنت بعد العمي عن



التأويل، من يشتري ذات
لهو أو ذا لهو الحديث.

أخبرنا أبو سعيد
الشريحي، أنا أبو إسحاق
الشعبي، أنا أبو طاهر
محمد بن الفضل بن
محمد بن إسحاق
المزكي، ثنا جدي
محمد بن إسحاق بن
خزيمة، أنا علي بن
حجر، أنا مشعل بن
ملحان الطائي، عن
مطرح بن يزيد، عن عبيد
الله بن زجر، عن علي بن
يزيد، عن القاسم بن
عبد العزيز، عن أبي أمامة

بَسْتَجَفَّنَكَ، في نصرتك وإظهارك
على عدوك ﴿وَلَا بَسْتَجَفَّنَكَ﴾، ولا
يستجهلنك، معناه: لا يحملك
الذين لا يوقنون على الجهل
واتباعهم في الغي، وقيل لا يستخفن
رأيك وحلمك، ﴿الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾، بالبعث والحساب.

سورة لقمان

مكية وهي أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ التَّوِيلَ تِلْكَ آيَاتُ
الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٣﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ قرأ حمزة ﴿ورحمته﴾
بالرفع على الابتداء، أي هو هدى
ورحمته، وقرأ الآخرون بالنصب على
الحال ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ
وَيُوَدُّونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
﴿٧﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُّ الْمُفْلِحُونَ.

﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ
الْحَدِيثِ، الآية. قال الكلبي
ومقاتل: نزلت في النضر بن
الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي
الحيرة ويشترى أخبار العجم
فيحدث بها قريشاً، ويقول: إن
محمدأ يحدثكم بحديث عاد
وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم
واسفنديار وأخبار الأكاسرة،
فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن، فأنزل الله هذه الآية، وقال
مجاهد: يعني شراء القيان
والمغنيين، ووجه الكلام على هذا

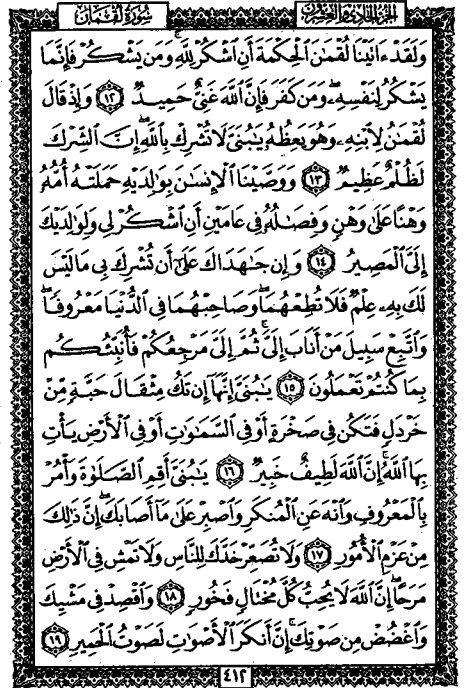
قال مكحول: من اشترى جارية
ضاربة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً
عليه حتى يموت لم أصل عليه،
إن الله يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي
لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ الآية.

وعن عبدالله بن مسعود، وابن
عباس، والحسن، وعكرمة،
وسعيد بن جبير قالوا: «لهو
الحديث» هو الغناء والآية نزلت فيه،
ومعنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ
الْحَدِيثِ﴾ أي يستبدل ويختار الغناء
والمزامير والمعازف على القرآن،
قال أبو الصبأ البكري سألت ابن
مسعود عن هذه الآية فقال: هو
الغناء، والله الذي لا إله إلا هو،
يردها ثلاث مرات.

وقال إبراهيم النخعي: الغناء يثبت
النفاق في القلب، وكان أصحابنا
ياخذون بأفواه السكك يخرقون
الدفوف. وقيل: الغناء زُقية الزنا.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل
تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن
حرام»، وفي مثل هذا أنزلت هذه
الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ
الْحَدِيثِ لِيُفِطِلَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وما
من رجل يرفع صوته بالغناء إلا
بعث الله عليه شيطانين: أحدهما
على هذا المنكب والآخر على هذا
المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت».

أخبرنا عبدالرحمن ابن عبدالله بن
أحمد القفال، أنا أبو منصور
أحمد بن الفضل البروجدي، أنا أبو
أحمد بكر بن محمد بن حمدان
الصيرفي، أنا محمد بن غالب بن
تمام، أنا خالد بن أبي يزيد، عن
هشام هو ابن حسان، عن محمد هو
ابن سيرين، عن أبي هريرة أن
النبي ﷺ «نهى عن ثمن الكلب
وكسب الزمارة».



خَلْقَيْنِ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِعَشْرِ عَشْرٍ رُوحًا
وَاللَّهُ فِي الْأَرْضِ رَؤُوسَى أَنْ
تَعْبُدَ بِكُمْ مِنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
دَانٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
كَرِيمٍ ﴿٨﴾

﴿٧﴾ هَذَا، يعني
الذي ذكرت مما تعينون،
﴿خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوَفَ مَاذَا
خَلَقَ اللَّيْلِ مِنْ دُونِهِ﴾،
من ألهمتكم التي تعبدونها،
﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ
بُيِّنٍ﴾.

﴿٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

ءَاتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، يعني العقل
والعلم والعمل به والإصابة في
الأمور، وقال محمد بن إسحاق،
وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن
تارخ وهو آزر. وقال وهب: إنه كان
ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر أنه
كان ابن خالة أيوب.

قال الواقدى: كان قاضياً في بني
إسرائيل. واتفق العلماء على أنه كان
حكيماً، ولم يكن نبياً، إلا عكرمة
فإنه قال: كان لقمان نبياً، وتفرّد بهذا
القول. وقال بعضهم: خير لقمان
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة.

وروي أنه كان نائماً نصف النهار
فئسودي يا لقمان هل لك أن
يجعلك الله خليفة في الأرض لتحكم
بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت
فقال: إن خيرني ربي [بين العافية
والبلاء] قبلت العافية ولم أقبل

البلاء، وإن عزم علي فسمعاً وطاعة،
فإني أعلم إن فعل ذلك بي أعاني
وعصمني، فقالت الملائكة بصوت
لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: لأن
الحاكم بأشد المنازل وأكدرها،
يفشاه الظلم من كل مكان أن يعدل
[فيخذل أو يعان] فبالأحرى أن
ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة،

ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن
يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على
الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب
الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن
منطقه، فنام نومة فأعطي الحكمة،
فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نُودي داود
بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه
لقمان، فهوى في الخطيئة غير مرة،
كل ذلك يعفو [الله] عنه، وكان
لقمان يؤازره بحكمته.

وعن خالد الربيعي قال: كان
لقمان عبداً حبشياً نجاراً. وقال
سعيد بن المسيب: كان خياطاً.
وقيل: كان راعي غنم.

فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم
بالحكمة فقال: ألسنت فلاناً الراعي
[قال: نعم قال]: فيم بلغت ما
بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء
الأمانة وترك ما لا يعنيني. وقال
مجاهد: كان عبداً أسود عظيم
الشفقتين مشقق القدمين. قوله عز
وجل: ﴿إِنْ أَشْكُرَ اللَّهُ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَلَيْمًا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
عَنِّي حَمِيدٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَقْمَانُ لِإِبْنِهِ﴾،
واسمه أنعم ويقال مشكم، ﴿وَهُوَ

وقال ابن جريج: هو الطبل. وعن
الضحاك قال: هو الشرك. وقال
قتادة: هو كل لهو ولعب، ﴿لِيُضِلَّ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَشْرِ عَشْرٍ﴾، يعني يفعله
عن جهل، قال قتادة: بحسب المرء
من الضلالة أن يختار حديث الباطل
على حديث الحق. قوله تعالى:
﴿وَيَخِذْهَا هُزْؤًا﴾، أي: يتخذ
آيات الله هزواً. قرأ حمزة،
والكسائي، وحفص، ويعقوب:
«ويتخذها» بنصب الدال عطفاً على
قوله: «ليضل» وقرأ الآخرون بالرفع
نسقاً على قوله: «يشترى»، ﴿أُولَئِكَ
كُمُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَأَيْتُنَا وَلَّى
مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ
وَقَرَأَ فَبِشْرَةِ يَدَابِ أَلِيمٍ﴾.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا أَمْرًا
وَعَمَلًا الصَّالِحِينَ لَمْ يَجِدْ أَلَيْمٌ﴾

عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وأمنت به؟ قال: نعم، هو صادق، فآمنوا به، ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام، أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، يعني أبا بكر، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنشِئُكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه، وقد مضت القصة وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

﴿١٧﴾ ﴿يَبْنَؤُ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، يعني من الأذى، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى فيهما، من الأمور الواجبة التي أمر الله بها وهي من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «ولا تصعر» بتشديد العين من غير ألف، وقرأ الآخرون: «تصاعر» بالألف. يقال: صعر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبراً، ورجل أصعر: أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول: لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبراً. وقال الربيع بن أنس وقناة: لا تحقرن الفقراء لكن الفقر والغنى عندهك سواء، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَدًا﴾، خيلاء تكبراً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، في مشيه ﴿فَخَوِرْ﴾، على الناس.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَقْبِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، أي ليكون مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وأمنت به؟ قال: نعم، هو صادق، فآمنوا به، ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام، أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، يعني أبا بكر، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنشِئُكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه، وقد مضت القصة وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

﴿١٧﴾ ﴿يَبْنَؤُ إِهْمًا إِنْ تَكُ يُثْقَالُ حَبِيءٌ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ الكناية في قوله: ﴿إِهْمًا﴾ راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿يَبْنَؤُ إِهْمًا إِنْ تَكُ يُثْقَالُ حَبِيءٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾، قال قتادة تكن في جبل. وقال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها.

قال السدي: خلق الله الأرض على حوت - وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿تُثْقَلُونَ﴾ [القلم: ١] - والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفة على ظهر ملك، والملك على صخرة، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، والصخرة على الريح. ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾، باستخراجها، ﴿خَيْرٌ﴾، عالم بمكانها، قال

يُعْظَمُ يَبْنَؤُ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَكْبَرُ لَطَلُؤٌ عَظِيمٌ﴾، قرأ ابن كثير: «يا بني لا تشرك بالله» بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، «يا بني إنها» بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، ﴿يَبْنَؤُ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ﴾ [لقمان: ١٧] بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

﴿١٨﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. وقال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف. ﴿وَفِصْلَةٌ﴾، أي فطامه، ﴿فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْصَّيْرُ﴾، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

﴿١٩﴾ ﴿وَلِإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَلِحْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، أي: دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن

والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة، والباطنة: إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وقال سهل بن عبدالله: الظاهرة اتباع الرسول، والباطنة محبته. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأميه بن خلف، وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وجواب لو محذوف، ومجازه: يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُدْعِي إِلَى عَذَابِ اللَّهِ﴾، أي: الله، يعني يخلص دينه لله ويفوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، في عمله، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُوهٖ﴾، ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿نُنَبِّئُهُمْ لِقَالًا﴾، أي: نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿فَمَنْ نَّظَرْتُمُوهُمْ﴾، ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿إِنَّ عَذَابَ عَلِيمٍ﴾، وهو عذاب النار.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ

إليه شاة أخرى، وقال: اذبحها واثني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب، فسأله مولاة [عن ذلك]، فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَرَا أَنَ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ حَقَّهُ﴾، أتم وأكمل، ﴿نِعْمَةً﴾، قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، وحفص: «نعمه» بفتح العين وضم الهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منونة على

الواحد ومعناه الجمع أيضاً كقوله: ﴿إِن تَسُدُّوا نِيَمَتَ اللَّهِ لَا تَحْضُرْهَا﴾ [إبراهيم: ١٤]، ﴿ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة. وقال الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، والباطنة، المعرفة. وقال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق، والرزق، والإسلام، والباطنة [ما ستر من الذنوب]، وقال الربيع: الظاهرة: بالجوارح، والباطنة: بالقلب، وقيل: الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة: الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة: تمام الرزق والباطنة: حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء،

الزُّرُّوٓا۟ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمِنَ يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُوهٖ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ لِقَالًا ثُمَّ نَنْظُرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ مَالِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ مِدْقٌ مِّن بَعْدِهِ سَبَعَةُ الْبَحْرِ مَانِذَرَةً لَّخَلْقِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكِبْكُمْ إِلَّا كَفَرِينَ وَإِن لَّآلِهَةٌ مِّمَّن يَدْعُونَ أَن تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَأَكْفُرُوا بِاللَّهِ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَنِ الصُّرُورِ ﴿٢٨﴾

هَوَاتًا [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ﴾، اخفض صوتك، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، ﴿لَصَوْتُ اللَّيْلِ﴾، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار.

وقال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ اللَّيْلِ﴾، قال: صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار. وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ اللَّيْلِ﴾ قال: هي العطسة القبيحة المنكرة. قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم [ومن] حكمه.

قال خالد الربيعي: كان لقمان عبداً حبشياً فدفع مولاة إليه شاة وقال: اذبحها واثني بأطيب مضغتين منها، فأتاه باللسان والقلب، ثم دفع

لَهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

﴿٢٧﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ الْآيَةَ﴾

قال المفسرون: نزلت بمكة، قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسْتَأْتُونَكَ مِنَ الْوُجُوهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ الْبَيْتِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أخبار اليهود فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» أفعنيتنا أم قومك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: كَلَّا قَدْ

عنيت، قالوا: ألسنت تتلوا فيما جاءك، أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله ما إن علمتم به انتفعتم»، قالوا: يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فكيف يجتمع هذا، علم قليل وخير كثير؟ فانزل هذه الآية. وقال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فينقطع، فنزلت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ أي بريت أقلاماً، ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُودُ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «والبحر» بالنصب عطفًا على «ما»، والباقون بالرفع على الاستئناف ﴿يَمْدُودُ﴾ أي يزيده، وينصب فيه ﴿مِنْ بَمَدٍ﴾ من خلفه، ﴿سَبْعَةَ أَجْحُرٍ مَا نُقِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾، وفسي

الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية، وعلى قول غيره مكية، وقالوا: إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم.

﴿٢٧﴾ ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا

بَعَثْتُمْ إِلَّا لِكَيْفٍ رَحِمُوا﴾، أي [إلا] كخلق نفس واحدة، وبعثها لا يتعذر عليه شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿٢٩﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَالِكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾، إن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾، عجائبه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾، على أمر الله، ﴿شَكُورٍ﴾، لنعمة.

﴿٣١﴾ ﴿وَلِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَاطِلٌ﴾، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: [والسدي]: كالسحاب. والظلل

الزَّوْجَانِ وَاللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَمَلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَالِكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٠﴾ وَلِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَاطِلٌ دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْتَنِبُهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ آخِزٌ عِنْدَ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُودُ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الرِّيحَ وَهُوَ مَعَىٰ الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٣﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٤١٤

جمع ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها، وجعل الموج، وهو واحد، كالظلل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْتَنِبُهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾، أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني: ثبت على إيمانه. نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاهتهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولاضعن يدي في يده، فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه.

وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول مضمّر للكفر.

وقال الكلبي [فمنهم] مقتصد في القول: أي من الكفار، لأن بعضهم كان أشد قولاً وأعلى في الافتراء من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ - ﴿أَمْرٌ بِأَمْرٍ﴾ تَنْزِيلُ
 الْكُتُبِ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ
 الْمَلَكِينَ ﴿٢﴾، قال مقاتل: لا شك فيه
 أنه تنزيل من رب العالمين.

﴿٣﴾ ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون
 ﴿أَقْرَبَهُ﴾، وقيل الميم صلة أي
 يقولون افتراه؟ استفهام توبيخ،
 وقيل: «أم» بمعنى الواو، أي
 ويقولون افتراه. وقيل: فيه إضمار
 مجاز فهل يؤمنون، أم يقولون
 افتراه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني
 القرآن، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدْرٍ قَوْمًا مَا
 أَنْتُمْ﴾، يعني: لم يأتهم، ﴿بِشَيْءٍ
 نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، قال قتادة: كانوا
 أمة أمية لم يأتهم نذير قبل
 محمد ﷺ. وقال ابن عباس،
 ومقاتل: ذلك في الفترة التي كانت
 بين عيسى عليه السلام وبين
 محمد ﷺ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿٤﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي يحكم
 الأمر وينزل القضاء والقدر، ﴿وَمَنْ
 أَسْمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وقيل: ينزل
 الوحي مع جبريل من السماء إلى
 الأرض، ﴿ثُمَّ يَمْرُجُ﴾، يصعد،
 ﴿إِلَيْهِ﴾، جبريل بالأمر، ﴿فِي يَوْمٍ
 كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِثْلَ تَدْوِينِ﴾،
 أي في يوم واحد من أيام الدنيا
 وقدره مسيرة ألف سنة، خمسمائة
 نزوله، وخمسمائة صعوده، لأن ما
 بين السماء والأرض خمسمائة عام،
 يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم

امرأتي جبلي، فمتى تلد؟
 وقد علمت أين ولدت؟
 فبأي أرض أموت؟
 فانزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ
 اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
 وَيُرْسِلُ الرِّيحَ وَبَيِّنَاتٍ
 مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْهَى مَا فِي سِتِّ
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
 مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
 شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾
 ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى
 الْأَرْضِ ثُمَّ مَرَّتْ أَلْفَ سَنَةٍ
 مِثْلَ تَدْوِينِ﴾ ﴿ذَلِكَ
 عَلِيمٌ الْقَبِيحِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ
 خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ
 طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُمْ مِنْ
 سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ رَدَّهُ
 بِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَجَعَلَ لَكُمُ
 الْفُلْجَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَنفَ قِيلًا
 مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي
 الْأَرْضِ أَإِنَّ لَنَا مِنْ اللَّهِ آلَافَ
 حَقَبَةٍ أَجِدِبُ لَكُمْ كُفْرًا﴾ ﴿فَلْيَتُوبُوا
 إِلَى اللَّهِ أَسْمَاءُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ
 يَتُوبُ إِلَى رِجْلِ الْمَرْءِ مَن
 يَتُوبُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
 ضَالِّينَ يَتَخَفَتُهُمْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
 وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ
 هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
 كُفْرُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ
 لَا يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ضَالِّينَ يَتَخَفَتُهُمْ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿ذَلِكَ
 يَوْمَئِذٍ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُغْنِي
 عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

أخبرنا عبد الواحد [ابن]

أحمد [المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
 محمد بن إسماعيل، أنا
 عبدالعزيز بن عبدالله، أنا إبراهيم بن
 ساعدة، أنا ابن شهاب، عن سالم بن
 عبدالله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ
 قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله
 عنده علم الساعة، وينزل الغيث،
 ويعلم ما في الأرحام، وما تدري
 نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري
 نفس بأي أرض تموت»، ﴿إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

سورة السجدة

مكية [وهي ثلاثون آية].

قال عطاء: إلا ثلاث آيات من
 قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْتَمِرًا﴾ [١٨] إلى
 آخر ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكُتُبِ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ
 ﴿٢﴾ ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدْرٍ قَوْمًا
 مَا أَنْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ مَرَّتْ
 أَلْفَ سَنَةٍ مِثْلَ تَدْوِينِ﴾ ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْقَبِيحِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ رَدَّهُ بِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَجَعَلَ لَكُمُ الْفُلْجَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَنفَ قِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥﴾
 ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّ لَنَا مِنْ اللَّهِ آلَافَ حَقَبَةٍ أَجِدِبُ
 لَكُمْ كُفْرًا﴾ ﴿فَلْيَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ أَسْمَاءُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ إِلَى رِجْلِ
 الْمَرْءِ مَن يَتُوبُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ضَالِّينَ يَتَخَفَتُهُمْ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا
 يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُوا
 إِلَى اللَّهِ ضَالِّينَ يَتَخَفَتُهُمْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿ذَلِكَ
 يَوْمَئِذٍ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

بعض، ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَدَايِنَا إِلَّا كُلَّ
 خَطَايَا كُفْرًا﴾، والختر أسوأ الخدر.

﴿٣﴾ ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ أَتَقْوَى رَبَّكُمْ
 وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾، لا يقضي
 ولا يغني، ﴿وَالِدٌ عَنْ وَدِيدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ
 هُوَ جَائِزٌ﴾، مفسن، ﴿عَنْ وَالِدِهِ
 مَتِيئًا﴾، قال ابن عباس: كل امرئ
 تهمة نفسه، ﴿إِنَّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
 تَعْتَرِكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْتَرِكُمْ
 بِاللَّهِ الْفَرُورُ﴾، يعني الشيطان. قال
 سعيد بن جبيرة: هو أن يعمل
 المعصية ويتمنى المغفرة.

﴿٤﴾ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
 السَّاعَةِ﴾، الآية.

نزلت في الحارث بن عمرو بن
 حارثة بن محارب بن حفصة، من
 أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن
 الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا
 أجلبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت

لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعونه في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله: ﴿تَمْشِي الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل، والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله «إليه» أي إلى الله.

وقيل: على هذا التأويل [أي] إلى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه.

وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة، يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي: يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره ألف سنة، وهو يوم القيامة، وأما قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا».

وقال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا

إخبار عن شدته وهوله ومشقته. وقال ابن أبي مليكة: دخلت أنا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة؟ فقال له ابن عباس: أيام سماها الله لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم.

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْقَلِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾، يعني ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السموات والأرض، عالم ما غاب عن [عبان] الخلق وما حضر، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿الَّذِي أَمْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة «خلقته» بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي أحسن خلق كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسنه. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه. ﴿وَيَدَأُ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾، يعني آدم.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾، يعني ذريته، ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾، نطفة، سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، أي ضعيف وهو نطفة الرجل.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾، وسوى خلقه، ﴿وَوَضَعَهُ فِي بطنٍ مَّهِينٍ﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿وَجَعَلَ

لَكُمْ﴾، بعد أن كتتم نطفاً، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحلوته.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿أَوَإِذَا ضَلَلْنَا﴾، هلكتنا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، وصرنا تراباً، وأصله من قولهم: ضل الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿أَوَإِن لَّمْ يَخْلُقْ جَدِيدًا﴾، استفهام إنكار. قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَّهُمْ يَلْفَافَةٌ يَوْمَ كَفُرُوا﴾، أي بالبعث بعد الموت.

﴿قُلْ يَتَوَفَّنَاكُمْ﴾، يقبض أرواحكم، ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾، أي وكل يقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد، [المضروب للخلق في الأزل]، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت.

وروي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة، فهو يقبض أنفوس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب [فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين].

وقال ابن عباس: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب.

وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء.

وفي بعض الأخبار: أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فيندرج أعوانه وروح الإنسان فإذا بلغ ثغره نحره قبضه ملك الموت.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانزِعْنَا نَعْمَلًا صَالِحًا إِنَّمَا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى بَٰهَا وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا يَٰ مُؤْمِنُونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُورًا وَسَجَدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمُونِ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَسْأَلُونَ عَذَابَ النَّارِ كُلَّمَا أَذُوا بِهَا فَأُجِبُوا بِهَا بِعَذَابٍ مُّثْلٍ وَغَيْرِهَا وَلَٰكِن يُدْرِكُ الْيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ عَذَابُكَ ﴿٢٠﴾

مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾، وجواب لو مضمرة مجازة لرأيت العجب.

﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى بَٰهَا، ورشدها وتوفيقها للإيمان، ﴿وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وهو قوله لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن يَتَّبِعُكَ مِنْ أَجْمَعِينَ﴾، ثم يقال لأهل النار، وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة.

﴿١٤﴾ فَذُوقُوا يَٰ مُؤْمِنُونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا، أي تركتم الإيمان به في الدنيا، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ عَذَابَ الْخَالِدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والتكذيب.

﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا، سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: صلوا بأمر ربهم، وقيل: قالوا سبحان الله وبحمده، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان والسجود له.

﴿١٦﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، جمع مضجع، وهو الموضع الذي يضطجع عليه، يعني الفرش، وهم المتهجدون بالليل، الذين يقومون للصلاة.

واختلفوا في المراد بهذه الآية. قال أنس: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ.

وعن أنس أيضاً قال: نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء.

وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر، وقالوا: هي صلاة الأوابين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين. وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة. وعن أبي الدرداء، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم: هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة.

وروي أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون

وروي خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال: الآن تزار بك سكرات الموت. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، أي تصيرون إليه أحياء فيجزيك بأعمالكم.

﴿١٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ الْمُشْرِكُونَ، نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ، مطأطؤ رؤوسهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، حياة منه ولدماً، ﴿رَبَّنَا﴾، أي يقولون ربنا، ﴿أَبْصَرْنَا﴾، ما كنا به مكذبين، ﴿وَسَمِعْنَا﴾، منك تصديق ما آتتنا به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿فَأَجْمَعْنَا﴾، فارددنا إلى الدنيا، ﴿تَعْمَلُ صَالِحًا إِنَّمَا

ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً.

وأشهر الأقاويل أن المراد منه: صلاة الليل، وهو قول الحسن، ومجاهد، ومالك، والأوزاعي، وجماعة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: «لقد سئلت عن أمرٍ عظيم، وإنه ليسير علي من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿حِزَّةً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، قال: فأخذ بلسانه فقال: اكفف عليك هذا، فقلت: يا

رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «تلك أمك يا معاذ وهل يُكذب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد المخلدي، أنا محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حمد بن زنجويه، أنا عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهارة عن الإثم».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا روح بن أسلم، أنا حماد بن سلمة، أنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته»، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقاً مما معه عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهمز مع أصحابه، فعلم ما عليه في

الانهزام وما له في الرجوع، فرجع فقاتل حتى أهرق دمه، فيقول الله لملائكته: «انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أهرق دمه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا قتيبة بن سعيد، أنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن حميد بن عبدالرحمن الحميري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين بن محمد الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن معانق، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إصبخ، أخبرني عبدالله بن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، أن الهيثم بن أبي ستان، أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أخاً لكم لا يقول



﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق بن نصر، أنا أبو أسامة عن الأعمش، أنا أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرأ بله ما اطلعت عليه»، ثم قرأ

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَفَاسِقًا أَلَا يَسْتَوُونَ﴾، نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتبية، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَفَاسِقًا أَلَا يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل: لا يستويان، لأنه لم يرد مؤمناً واحداً

وفاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

﴿١٨﴾ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰءِ، الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿ثَرَاً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَنُدْبِقَهُم مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْآكِرِ﴾، [أي سوى العذاب الأكبر]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قال أبي بن كعب، والضحاك، والحسن، وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسمائها، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر، وهو قول قتادة والسدي، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْآكِرِ﴾ يعني عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إلى الإيمان، يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القسط.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني المشركين، ﴿مُنْتَلِمُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِيهِ﴾، يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره.

الرفث، يعني بذلك عبدالله بن رواحة، قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
ببيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
قوله عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُبْذِرُونَ﴾، قيل أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: [هو عام] في الواجب والتطوع.

﴿٢٣﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾، قرأ حمزة ويعقوب «أخفي لهم» ساكنة الياء أي، أنا أخفي لهم، ومن حجته قراءة ابن مسعود «نخفي» بالنون، وقرأ الآخرون بفتحها، ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، مما تقر به أعينهم،

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا غندر، عن شعبة، عن قتادة رحمة الله قال: وقال لي خليفة، أنا يزيد بن زريع، أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قال: أنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربعاً مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه.

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن، أنا عبدالله المحاملي، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم البزار، أنا محمد بن يونس، أنا عمر بن حبيب القاضي، أنا سليمان التيمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما سُري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره».

وروي في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة، وقال السدي: «فلا تكن في مرية من لقائه» أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول، «وَعَمَلَنَّهُ»، يعني الكتاب وهو التوراة، وقال قتادة: موسى، «هُدَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ».

﴿٢٤﴾ «وَعَمَلْنَا مِنْهُمْ» يعني من بني إسرائيل، «أَيَّمَةً» قادة في الخير يقتدى بهم، يعني الأنبياء

الذين كانوا فيهم. وقال قتادة: أتباع الأنبياء، «يَهْدُونَ»، يدعون، «بِأَثَرِنَا لَمَّا صَبَرُوا»، قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم، أي حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، «وَكَاثُرًا بِعَائِنَنَا يُؤَفِّرُونَ».

﴿٢٥﴾ «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِقَسْبِ يَقْضِي، «بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

﴿٢٦﴾ «أَوَلَمْ يَهْدِ»، لم يتبين، «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَفَلَا يَسْمَعُونَ»، آيات الله وعظاته فينتظون بها.

﴿٢٧﴾ «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا لَهُمُ الْأَرْضَ الْبَارِئَةَ مِنَ الْيَابِسَةِ الْغَلِيظَةَ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، قال ابن عباس: هي أرض باليمن. وقال مجاهد: هي أرض بابين، «فَنُفِخَ فِيهِ زَيْفًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ»، من العشب والتبن، «وَأَنْفُسُهُمْ»، من الحبوب والأقوات، «أَفَلَا يَحْشُرُونَ».

﴿٢٨﴾ «يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد.

قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم. وقال الكلبي: يعني فتح مكة.

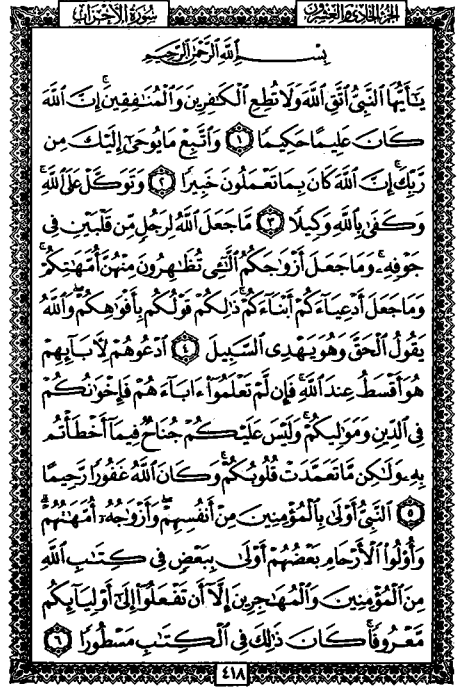
وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا

عليكم، فيقولون متى هذا الفتح. ﴿٢٩﴾ «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ»، يوم القيامة، «لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ»، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ»، لا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا.

﴿٣٠﴾ «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ»، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، «وَأَنْظَرُوا لَهُمْ مَتَّظِرُونَ»، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم متظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فهم فإنهم متظرون ذلك.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو نعيم، أنا سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عبدالرحمن بن هرم، عن أبي هريرة أنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١ - ٢]، و﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [الإنسان: ١].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو نعيم، أنا سفيان، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١ - ٢]، و﴿يَتَذَكَّرُ الْأَبْيَدُ الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١].



سورة الأحزاب

مدينة [وهي ثلاث وسبعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ .

نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر الكهنتا، اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في

قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ .

أي دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ههنا أي اثبت قائماً. وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة يعني أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، من أهل المدينة، عبدالله بن أبي وعبدالله بن سعد وطعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾، بخلقه، قبل أن يخلقهم، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَمْلُونَ خَبِيرًا﴾، قرأ أبو عمرو «يعملون خبيراً» و«يعملون بصيراً» بالياء فيهما وقرأ غيره بالناء.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ثق بالله، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً لك، وقيل كفيلاً برزقك.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُودِهِ﴾ .

نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله

قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما لك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلتي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده.

وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتنبئ ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ الَّتِي تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أَهْتِكُمْ﴾، قرأ أهل الشام والكوفة «اللاتي» ههنا وسورة الطلاق [٤] بياء بعد الهمزة، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ الباقون بتلين الهمزة، وكلها لغات معروفة، ﴿تَطْهَرُونَ﴾ قرأ عاصم بالألف وضم التاء وكسر الهاء مخففاً، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففاً، وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء، وقرأ الآخرون بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولن لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها إن

شاء الله تعالى في سورة المجادلة ٣ - [٤]. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾، يعني من تبنيتموه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾، فيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له، يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه.

وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني، ﴿ذَلِكَمُ قولكم بأقربهم﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾، يعني قوله الحق، ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، أي يرشد إلى سبيل الحق.

﴿٥﴾ ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾، الذين ولدوهم، ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾، أعدل، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا معلى بن أسد، أنا عبدالعزيز بن المختار، أنا موسى بن عقبة، حدثني سالم، عن عبدالله بن عمر، أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال: ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاُولَئِكَ﴾، يعني فهم إخوانكم، ﴿فِي الَّذِينَ

﴿وَمَوْلَايَكُمْ﴾، إن كانوا محررين وليسوا ببنيتكم، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليكم أي أولياءكم في الدين، ﴿وَكَلَسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك، ومحل «ما» في قوله تعالى: ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ خفض رداً على «ما» التي في قوله: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا غندر، أنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكره وكان قد تسور حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام».

﴿٦﴾ قوله عز وجل: ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من [طاعة] أنفسهم. وقال ابن زيد: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما

قضى فيهم، كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه. وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن محمد، أنا أبو عامر، أنا فليح، عن هلال بن علي عن عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا، أنا أولى به في الدنيا والآخرة» اقرأوا إن شئتم ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيا مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاه.

قوله عز وجل: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾، وفي حرف أبي (وأزواجه وأمهاتهم وهو [أب] لهم» وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأيد، لا في النظر إليهن والخلو بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَثَةٍ جَاهِلَةٍ﴾، ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن أخواتهن، هم أخوال المؤمنين وخالاتهم.

قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر، وهي أخت أم المؤمنين، ولم يقل هي خالة المؤمنين، واختلفوا في أنهن هل كن

ويبشر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعو إلى عبادته ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم، ﴿وَمِنك﴾ يرث بالإيمان والهجرة، فنسخت هذه الآية الموارثة بالماخاة والهجرة وصارت بالقرابة.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَعْمَلُوا﴾ إلى أوليائكم معروفاً، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه.

وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمه لحق الإيمان والهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي: لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً، يعني إلا أن توصوا لذوي قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي آلِ كَتَيْبٍ مَسْطُورًا﴾، أي كان الذي ذكرت من أن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرظي: في التوراة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين عن صدقهم يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، بتكذيب من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسال الصادقين عن عملهم لله عز وجل. وقيل: ليسال الصادقين

رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾، يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، فنسخت هذه الآية الموارثة بالماخاة والهجرة وصارت بالقرابة.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَعْمَلُوا﴾ إلى أوليائكم معروفاً، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه.

وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمه لحق الإيمان والهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي: لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً، يعني إلا أن توصوا لذوي قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي آلِ كَتَيْبٍ مَسْطُورًا﴾، أي كان الذي ذكرت من أن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرظي: في التوراة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ مَرَّمُوا وَآخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْتَأْذِنَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَمَبَّتِ الْقُلُوبُ الْأَحْسَابُ وَظَنُّوا بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هَذَا كَأَنَّ الْأَبْلِيَّ الْمُؤْمِنُونَ وَذَلَّلُوا زَلْزَلًا لَا شَكَّ فِيهَا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُبَشِّرُونَ وَالْمُبَشَّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا أَوْ سَمِعْتُمْ فَرِيضًا مِّنْهُمْ قَالُوا لَنْ نَقُولَ بِانْ يَوْمَئِذٍ إِنْ هِيَ إِلَّا رِيْضَةٌ مِّنْ رَبِّنَا لَنْ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَخَافُ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزِلُنَّهَا مَا تَأْتِيهَا إِلَّا الْغَيْبُ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عِندَ مَا أَنَّهُ مِنَ قَبْلِ لَا يُولُونَ إِلَّا ذِكْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٤﴾

أمهات النساء المؤمنات؟ قيل: كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً. وقيل: كن أمهات المؤمنين دون النساء.

وروي الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أمه! فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم، فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن. قوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة.

قال الكلبي: أخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكم الله، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، السديين أخى

بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم.
﴿وَأَمَّا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

① قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَذْكُرُوا إِنَّمَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وذلك حين حُوصِرَ المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، إذ جاءكم جُودٌ، يعني الأحزاب، وهم قريش، وخطفان، ويهود قريظة والنضير، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾، وهي الصبا.

قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني نصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا آدم، أنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ».

قوله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثُ لَكُمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردةً فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفات النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال.
﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، ومن لا أتهم، عن عبدالله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم في بعض: أن نفرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهودة بن قيس وأبي عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ.

خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا منكم معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد، فديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منهم، قالوا: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نِسِيًّا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْفَعُونَ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْ بِمَنَّهُمْ سَعِيدًا﴾ [النساء: ٥١] - [٥٥]، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس غيلان، فدعوههم إلى ذلك وأخبروههم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن

قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في [بني] فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسمود بن ربيعة بن نيرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلما سمع [بهم] رسول الله ﷺ وما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخذق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حز، فقال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حصرنا خندقنا عليها، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الأصبهاني، أنا محمد بن جعفر الطبري، ثنا حماد بن الحسن، ثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا كثير بن عبدالله، عن عمرو بن عوف، حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان أهل البيت.

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن

محمد، أنا معاوية بن عمرو، أنا أبو إسحاق، عن حميد، قال: سمعت أنساً يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا: مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء [بن عازب] قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه أو اغبر بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بَغَوْا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا. ورفع بها صوته أبيتنا.

رجعنا إلى حديث ابن إسحاق قال [فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياح من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل

ورقى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: «أرأيتم ما يقول سلمان؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا»، فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعده صدق وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ قال فنزل القرآن: ﴿هَلْ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وأنزل الله في هذه القصة: ﴿هَلْ أَلهَمَ مَلَكُ الْمَلِكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن

المازني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرتنا حتى إذا كنا بجانب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقى سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا، حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق [والتسعة على شق الخندق]، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير [فتح] كبر [مع] المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية [فصدعها] وبرق عنها، برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون [مع]، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون [مع]، فأخذ بيد سلمان

نجد، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراير فُرِفِعُوا فِي الْأَطَامِ، وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بِحَيِّي بن أخطب أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه حبي فأبى أن يفتح له فناده حبي: يا كعب افتح لي، فقال: وَيَحْكُ يَا حَيِّي إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشُومٌ وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وِفَاءً وَصِدْقًا، قَالَ: وَيَحْكُ افْتَحْ لِي أَكَلِمِكَ، قَالَ: مَا، أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَغْلَقْتُ دُونِي إِلَّا عَلَى جَشِيشتِكَ أَنْ أَكُلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَأَحْفَظُ الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيَحْكُ يَا كَعْبُ جِئتُكَ بَعْزِ الدَّهْرِ وَبِبحرِ طَامِ، جِئتُكَ بِقَرِيشِ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، وَبَغْطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِذَنْبِ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، وَقَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ: جِئتُكَ وَاللَّهِ بِذَلِكَ الدَّهْرِ وَبِجِهَامِ قَدْ هَرَأَقَ مَاؤُهُ بِرَعْدٍ وَبِرَقٍّ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَدَعَانِي وَمُحَمَّدًا وَمَا أَنَا عَلَيْهِ فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِنْ

محمد إلا صدقاً ووفاءً، فلم يزل حبي بن أخطب يكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً ووفاءً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، [فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ السخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ ساعد بن معاذ، أحد بني عبد الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد أحد بني ساعدة، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبدالله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهراً للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دغ عنك مشاتمهم فإن ما بيننا وبينهم أرى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا: عَضَلُ وَالقَارَةُ [أي] لئدر عضل والقارة بأصحاب

رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وحتى قال أوس بن قيطي، أحد بني حارثة بن قيطي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملاء من رجال قومه، فائذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عمر، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح على ذلك، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ، وسعد بن عباد، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا يد لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: [لا] بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أنني رأيت

العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبدها ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأخذوا منا ثمرة واحدة، إلا قري أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: فانت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: ليجهدوا علينا. فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم، [ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود، أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيزة بن أبي وهب المخزوميان، ونوفل بن عبدالله وضراز بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر، قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا: تهيثوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة

التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتيين إلا أخذت منه إحداهما، قال: أجل، فقال له علي بن أبي طالب: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال: ولم يا ابن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك، قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعفره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا، فقتله علي، فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقتل مع عمرو رجلان منه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبدالدار أصابه سهم، فمات منه بمكة، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي، وكان [قد] اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قتله أحسن من هذا، فنزل إليه علي فقتله، فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسد وثمنه، فشانكم به، فخلّى بينهم وبينه. [قالت عائشة أم المؤمنين: كنا يوم الخندق في حصن، بني حارثة، وكان من أحرز

حصون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمّر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة وهو يقول شعر:

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل
لا بأس بالموت إذا خان الأجل
فقال له أمه: الحق يا بني فقد والله أجزت، قالت عائشة فقلت لها: يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسخ مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فرمي سعد يومئذ بسهم وقطع منه الأكل، رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عزق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي من أن أجاهدهم من قوم هم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.]

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع، حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمّر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة،

فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذا أتانا أت، قالت: فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى، يطيف بالحصن وإني والله لم آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل إليه فاقته، فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب، والله، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجرت، ثم أخذت عموداً، ونزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتله، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمتعني من سلبه [لا] لأنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب.

قالوا: أقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمسنني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم:

يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عهدنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهروهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونسأؤكم، لا تقدرن على أن تحولوا عنه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان، أموالهم وأبناؤهم ونسأؤهم بعيدة، إن رأوا نهزةً وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى تناجزوه، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أمرٌ رأيت أن حقاً علي أن أبلغكم نصيحاً لكم، فاكتبوا علي، قالوا: نعمل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد تيمروا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد تدمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان، رجلاً من أشرفهم فتعطيكمهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً

واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يدمعشو غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تثمتموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتبوا علي، قالوا: نعمل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان [ذلك] مما صنع لرسول الله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورووس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فقال لهم بنو قريظة: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث بعضهم فيه حديثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن صرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بذلك الذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمن والله أن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم

إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قلوبهم وتطرح آتيتهم، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

روى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وروى غيره عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله رأيت رسول الله ﷺ وصحبتهم، قال: نعم يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم، وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون

ورفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، فلم يكن لي بدٌّ من المقام إليه حين دعاني، فقلت: لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتته، وإن جنبي ليضطربان فمسح رأسي ووجهي، ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي، وشدت عليّ سلاحي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام، فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً [وجنود] الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقتر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً [قال] وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعت في كبد قوسي فأردت أن أرميه، ولورميته لأصبتها، فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع إلي فرددت سهمي في كنتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقتر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، قام فقال: يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فلينظر من هو، [قال]: فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت، فقال: سبحان الله أما تعرفني، أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، أي من فوق الوادي من قبل المشرق، وهم أسد، وغطفان، وعليهم مالك بن عوف النصرى، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، يعني من بطن الوادي، من قبل المغرب، وهم قريش وكنانة، عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان الذي جر غزوة - الخندق - فيما قيل، إجماعاً رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿وَإِذْ رَأَوُا الْعَبْرَةَ﴾،

مالت وشخصت من الرعب، وقيل: مالت عن كل شيء فلم تنظر [إلا] إلى عدوها، ﴿وَلَيْكِلَى الْقُلُوبُ الْخَائِجِرُ﴾، فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع، والحنجرة: جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء: معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره، ﴿وَتَطَّنُونَ أَيُّهَا الظُّنُونَا﴾، أي اختلقت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر: الظنونا، والرسولا، والسيلا، بإثبات الألف وصلًا ووقفًا، لأنها مشتة في المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف في الحاليين على الأصل، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس الآي.

﴿مَتَالِكِ أُنْبُلَى﴾، أي عند ذلك اختبر، ﴿الْمُؤْتُونَ﴾، بالحصص والقتال، ليتبين المخلص من المنافق، ﴿وَرَزِقُوا رِزْقًا شَدِيدًا﴾، حركوا حركة شديدة.

﴿وَلَا يَقُولُ الْتَفْتُونَ﴾، معتب بن قشير، وقيل: عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك وضعف اعتقاد، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا

يستطيع أن يجاوز وحله، هذا والله الغرور.

﴿وَلَا تَأْتِ تِلْكَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾، أي من المنافقين، وهم أوس بن قيطي وأصحابه، ﴿بِمَا هَلْ يَاقُرُّ﴾، يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب [اسم أرض]، مدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض الأخبار:

أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: «هي طابة»، كانه كره [هذه اللفظة] ﴿لَا مَقَامَ لَكَ﴾، قرأ العامة بفتح الميم، أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿فَاتَّجِرُوا﴾ إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ، وقيل: عن القتال إلى مساكنكم، ﴿وَسَتَّيْنِ قَرِيْبٍ مِّنْهُمْ أُنْثَى﴾، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿بِقَوْلِهِمْ إِنَّا يُؤْتَوْنَ عُورًا﴾، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشي عليها السراق، وقرأ أبو رجاء العطاردي «عورة» بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق إليها، فكذبهم الله فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِن يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾، أي ما يريدون إلا الفرار.

﴿وَلَوْ كُنْطَ عَلَيْهِمْ﴾ أي لو دخلت عليهم المدينة، [يعني] هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب، ﴿مِنْ أَقْبَامًا﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ثُمَّ سَلُّوا أَلْقِنَةً﴾، أي الشرك، ﴿لَا تَوْفَا﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصوراً، أي لجأؤها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿وَمَا تَلَبَّوْا

بِهَا﴾، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿لَا يَسِيرًا﴾، وأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَلَّهِ مِن قَبْلُ﴾، أي من قبل غزوة الخندق، ﴿لَا يُولُونَ الْآيْتُونَ﴾، من عدوهم أي لا يهزمون.

قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة، هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، فساق الله إليهم ذلك.

وقال مقاتل والكلبي: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: «اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة»، قالوا: قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم.

وهذا القول ليس بمرضي، لأن الذين بايعوا محمداً ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفرًا، لم يكن فيهم شك ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد، ﴿وَكَانَ عَهْدُ

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَتَمَنَّوْنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّنِينَ مِنْكُمُ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجْتُمْ هَلُمَّ لِنِسَاءٍ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ لِقَافُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْنِقُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْقَافُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَيْحَةَ عَلَى الْحَيِّرِ أَوْ لَيْكَةَ لَمْ يَوْمُوا فَحَبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ حَسْبُكُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنْ يَأْتِ الْأَعْرَابُ يَوَدُّوا أَنْ أَلَّوْنَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ نِسَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

الله متسولاً، أي مسولاً عنه.

﴿١٦﴾ قُلْ، لهم ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾، الذي كتب عليهم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿وَإِذَا لَا تَمَنَّوْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلا مدة أجالكم وهي قليل.

﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ، أي يمنعكم من عذابه، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾، هزيمة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، نصرة، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾، أي قريباً ينفعهم، ﴿وَيَا وَلَا نَصِيرًا﴾، أي ناصرأ يمنعهم.

﴿١٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّنِينَ مِنْكُمُ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجْتُمْ هَلُمَّ لِنِسَاءٍ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي ارجعوا إلينا، ودعوا محمداً، فلا تشهدوا معه الحرب، فإننا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة:

هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يشبطون أنصار النبي ﷺ ويقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحمأ لانتهمهم، أي: ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا الرجل فإنه هالك، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلت إلى المنافقين، وقالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في

هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً، وإننا نشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا، فأقبل عبدالله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحداً ما ترجون من محمد؟ ما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا هنا، انطلقوا بنا إلى إخواننا، يعني اليهود، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً. قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾، الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، رياء وسمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

﴿١٩﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ﴾، بخلاء بالنفقة في سبيل الله (والنصرة)، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة، وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَ لِقَافُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، في الرؤوس من الخوف والجبن، ﴿كَالَّذِي يُغْنِقُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أي كدوران الذي يغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿وَإِذَا ذَهَبَ لِقَافُ سَلَفُوكُمْ﴾، أدركم ورموكم في حالة الأمن، ﴿بِالسِّنَةِ جِدَادٍ﴾، ذرية، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان: مبلق ومصلق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا السننهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال، فليستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿أَيْحَةَ عَلَى الْحَيِّرِ﴾، أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، ﴿أَوْ لَيْكَةَ لَمْ يَوْمُوا فَحَبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿٢٠﴾ حَسْبُكُمْ الْأَعْرَابُ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿الْأَعْرَابُ﴾، يعني قريشاً وغطفان اليهود، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم ينصرفوا عن قتالهم جنباً وفرقاً وقد انصرفوا، ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَعْرَابُ﴾، أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿يَوَدُّوا أَنْ أَلَّوْنَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ نِسَائِكُمْ﴾، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوة، إذا خرج إلى البادية.

﴿يَسْتَأْذِنُ عَنْ نِسَائِكُمْ﴾، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: «يساءلون» مشددة بمدودة أي

يتساءلون، ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، تعديراً، أي يقاتلون قليلاً، يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا. قال الكلبي: إلا قليلاً أي رمية بالحجارة. وقال مقاتل: إلا رمية وسمعة من غير احتساب. قوله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، قرأ عاصم: «أسوة» حيث كانت بضم الهمزة، والباقون بكسرها، وهما لغتان، أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الائتساء، كالقدوة من الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت ربيعة وجهه، وقتل عمه وأودي بضروب من الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستنوا بسنته، ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾، بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله، ﴿وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ﴾، أي يخشى يوم البيعة الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَوَكَّرَ اللَّهُ كَيْدًا﴾، في جميع المواطن على السراء والضراء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

﴿وَلَمَّا رَمَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا﴾، تسليماً لأمر الله وتصديقاً لوعده، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَعَوَّلْنَا وَصَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾، وعد الله إياهم ما

ذكر في سورة البقرة [٢١٤]: ﴿أَمْ حِينَتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْحَكَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرْبًا﴾، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْتِنًا وَسُلَيْمًا﴾، [أي تصديقاً لله وتسليماً لأمر الله].

﴿قوله عز وجل:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أي قاتلوا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿فَإِنَّهُمْ مِّنْ قَضَىٰ حَجْبَةٍ﴾، أي فرغ من نذره، ووفى بعهده، فاضرب على الجهاد حتى استشهد، والنحِب: النذر، والنحِب: الموت أيضاً، قال مقاتل: «قضى نحبه» يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نحب فلان في سببه يومه وليلته أجمع إذا مذلم ينزل، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [يعني] الشهادة.

وقال محمد بن إسحاق: «فمنهم من قضى نحبه» من استشهد يوم بدر وأحد، «ومنهم من ينتظر» يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين، إما الشهادة أو النصر،

سورة الأحزاب

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِعِدَّتِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يُرِيدُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوَّيْضًا غَيْرًا ﴿٢٣﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُمُ هُمُوزًا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُوا فَرِيقًا ﴿٢٤﴾ وَأَوْفَىٰ بِكُمْ أَوْفَاهُمْ وَوَدَّعَهُمْ وَآمَنَهُمْ وَآمَنَ بِكُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا الْيَدَ الْأَيْمَنَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مَكْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْبَةَ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ وَلَا يَتَّبِعُوا أَمْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٨﴾

[٤٢]

﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾، عهدهم «تبدلاً».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سعيد الخزاعي، أنا عبدالأعلى عن حميد قال: سألت أنساً.

(ح) وحدثني عمرو بن زرارة، أنا زيادة حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر

إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، قال أنس: كنا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشبائه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر الآية.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد بن حماد، أنا [أبو] معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكننا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجله خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجله شيئا من الإذخر، قال: و[منا] من أينعت له ثمرته فهو يهدبها».

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر، أنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأذربلسي، أنا محمد بن سليمان الجوهرى بأنطاكية، أنا مسلم بن إبراهيم، أنا الصلت بن

دينار، عن أبي نصر، عن جابر بن عبد الله قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة بن عبيد الله فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحوه فلينظر إلى هذا».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن أبي شيبه، أنا وكيع بن إسماعيل، عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقي بها النبي ﷺ يوم أحد.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء بالعهد، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُتَّقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قريش وغطفان، ﴿يَغْطِبُهُمْ﴾، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا، ﴿لَرَبِّ تَبَاوَأُ خَيْرًا﴾، ظفرا، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، بالملائكة والريح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾، قويا في ملكه عزيزا في انتقامه.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿مِنَ صَيِّبِهِمْ﴾، حصونهم ومعقلهم، واحدا صيبية، ومنه قيل للقرن ولشوكه الديك والحاقة صيبية.

وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف

الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، وعليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غلست شقه، فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم.

وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺ يمسح الغبار عن وجهه وعن فرسه، فقال [جبريل]: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهد إليهم فإنني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال ولبلال، فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن: أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إليهم، وابتدراها الناس فسار علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم، أظنك سمعت لي منهم أدنى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا، فلما دنا

رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، ومز رسول الله ﷺ على أصحابه بالصَّوْرَيْنِ من قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: هل مز بكم أحد؟ قالوا: نعم يا رسول الله مز بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال عليه السلام: ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة يلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم، فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بشر من آبارها في ناحية من أموالهم [يقال لها بشر أثناء]، فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عتفهم به رسول الله ﷺ.

قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يتأجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم، قالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا

الرجل ونصدقه فوالله إنه لقد تبين لكم أنه مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال كعب: فإذا أبيتتم هذه فلهتم فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد [وأصحابه] رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلأً يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك [نهلك] ولن نترك وراءنا شيء نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء، فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمثوا فيها فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً؟ قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه فرق لهم، فقالوا [له]: يا أبا لبابة أتري لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، قالوا: ماذا يفعل بنا إذا نزلنا؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت

قدماي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته، وقال: لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله أن لا يسطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه، قال: أما لو قد جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ يضحك فقلت: مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: ألا أبشره بذلك يا رسول الله؟ فقال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال: فثار الناس عليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مز عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى [صلاة] الصبح أطلقه، قال: ثم إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزل فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي

فمَرَّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة، فلما وآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سُعدي، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، فقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني من عشرات الكرام ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل قد نجاه الله بوفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برزمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة لا يدري أين ذهب، فقال فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة، والله أعلم. فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثب الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسألهم إتياءه عبد الله بن أبي ابن سلول، فوجههم إتياءه فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟» قالوا: بلى، قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ»، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها ربيعة

في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فاحتلموه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إثمًا ولآك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة من قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه»، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولآك موالك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبى الذراري والنساء.

[قال] فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من

فوق سبعة أرقعة»، ثم استنزلوا فحيسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخذق بها خندقاً ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيسا القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة إلى تسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون أما ترون الداعي لا ينزع وإن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي ﷺ وأتى حيي بن أخطب عدو الله عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة لثلاث يسلبها مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله [كتاب] وقدره وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها عندي تتحدث معي وتضحك ظهراً وبتظناً، ورسول الله ﷺ لم يزل يقتل رجالهم

بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة قالت: أنا والله هي، قالت: قلت ويملك مالك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: حدثت أحدثته، قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

قال الواقدي: وكان اسم تلك المرأة شباية امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد، رمث عليه رحى فدعا رسول الله ﷺ بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد، قال: وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، كان قد من علي ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعث، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله، فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك» فأناه فقال له إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة، فأنى ثابت

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أهله وماله؟ قال: هم لك فأناه فقال: إن رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك، فأنى ثابت رسول الله ﷺ فقال: ماله يا رسول الله؟ قال: هو لك، قال: فأناه فقال إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك، فقال: أي ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه مرآة مضيئة تتراعى فيها عذارى الحي كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا عزال بن شموتيل؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر حتى ألقى الأجابة فقدمه ثابت فضرب عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأجابة، قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً. قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أتيت منهم، ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعزل في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منهما الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سهمان وللفراس سهم، وللراجل ممن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً

وكان أول فيء وقع فيه السهمان، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك. فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك في أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لشعلة بن شعبة يبشرنني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسر ذلك.

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال: اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك، فانفجر كلّمه فرجع رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فولدني نفسي بيده، إني لأعرف بكاه

عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي، قالت [عائشة]: وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رَمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالله بن محمد، أنا يحيى بن آدم، أنا إسرائيل، سمعت أبا إسحاق يقول، سمعت سليمان بن صرد يقول، سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا قتيبة، أنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده».

قال الله تعالى في قصة بني قريظة: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيحًا تَقْتُلُونَ﴾، وهم الرجال يقال كانوا ستمائة، ﴿وَتَأْمُرُهُمْ فَرِيحًا﴾، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: تسعمئة.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيحًا تَقْتُلُونَ﴾، بعد، قال

ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَأَنْزِيلِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَرِيحَتَهَا فَمَعَالِكُكُمْ أَمْحَقُّكُمْ﴾، متعة الطلاق، ﴿وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُخَلِّصِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وأذينه بغيره بعضهن على بعض، فهجرهن رسول الله ﷺ وألى أن لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه؟ وكانوا يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقال عمر: لأعلمن لكم شأنه، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «نعم إن شئت»، قال: فقامت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، قال: فكنت، أنا استنبطت ذلك

الأمر، وأنزل الله آية التخيير.

وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضوان الله عليهن، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك. قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءَ مِنْ بَعْدِ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغفار بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا زهير بن حرب، أنا روح بن عبادة، أنا زكريا بن إسحاق أخبرنا أبو الزبير عن جابر بن عبدالله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه ولم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن [فأذن] له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، فقال: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة

سألني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول لا تسألن رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيَنَّكَ قُلُوبٌ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ بُعْدِ عَائِشَةَ فَاصْبِرْ إِنَّهَا وَبَشَاحَتُهَا فِيكَ﴾، حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ مِنَكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك»، قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله وأختار الدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يعطني معتناً ولا متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على نساءه شهراً، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله ﷺ فقلت حين بدأ بي: يا رسول الله إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في تسع

وعشرين أعدهن؟ فقال: «إن الشهر تسع وعشرون».

واختلف العلماء في هذا الخيار أنه هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن، وقتادة، وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: ﴿فَقَالَتِ أَمْرُؤُكُمْ وَإِمرُؤُكُمْ مَرَكَبًا جَمِيلًا﴾، بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك»، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقاً.

واختلف أهل العلم في حكم التخير: فقال عمر وابن مسعود وابن عباس: إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلاقاً واحدة، وهو قول عمر بن عبدالعزيز، وابن أبي ليلى، وسفيان، والشافعي، وأصحاب الرأي، إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلاقاً بائنة إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية، وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج تقع طلاقاً واحدة، وإذا اختارت نفسها فثلاث، وهو قول الحسن وبه قال مالك.

وروي عن علي أيضاً [أنها] إذا اختارت زوجها تقع طلاقاً واحدة وإن اختارت نفسها فطلاقاً بائنة، وأكثر

العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن حفص، أنا أبي، أنا الأعمش، أنا مسلم، عن مسروق، عن عائشة قالت: خيرنا رسول الله ﷺ فاختارنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُ النَّبِيَّ مَن يَأْتِي مِنكُمُ وَيُفَضِّلُ شَيْئًا﴾، بمعصية ظاهرة، قيل: هي كقوله عز وجل: ﴿لَئِن أَسْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] لا أن متهمين ممن أتت بفاحشة. وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق.

﴿يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عمر: «نضعف» بالنون وكسر العين وتشديدها، «العذاب» نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين «العذاب» رفع، وهما لغتان مثل بعد وباعد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ هِينًا وَتَضَعِيفَ عَقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه

وَمَنْ يَنْتَ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَمَلَّ مِنْهَا نَزْفًا لَجَرَّهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ نَيْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَمْنَ بِالْقَوْلِ فَطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلَنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرَنَ فِي يَبُوتِكُنَّ وَلَا تَبْرَحْنَ نَبِيْحَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكَرْتَ مَا يَتَلَى فِي يَبُوتِكُنَّ إِنِّي آيَدْتُ اللَّهَ وَالْحِمَى فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُحْسِنَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل: هو الأصح أنه أمر من الوقار، كقولهم من الوعد: عدن، ومن الوصل: صلن، أي كن أهل وقار وسكون، من قولهم وفر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمان، ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ﴾ قال مجاهد وقتادة: التبرج هو التكسر والتنجح، وقال ابن أبي نجیح: هو التبخر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، ﴿نَبِيْحَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، اختلفوا في الجاهلية الأولى. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ.

وقال أبو العالية هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط من الجانبين فيرى خلفها فيه. وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمروذ الجبار، كانت المرأة تتخذ الدرغ من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق وليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وأن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل واتجر نفسه منه، فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزرع به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله، فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون إليه،

يقول: كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْرُؤُا بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ لَدُوْنَهُ حَيْرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ﴿إِنْ أَتَيْتُنَّ﴾، الله فاطعتنه، ﴿فَلَا تَحْضَمْنَ بِالْقَوْلِ﴾، لا تلبن بالقول للرجال ولا ترقفن الكلام، ﴿فَطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، أي: فجور وشهوة، وقيل نفاق، والمعنى: لا تقلن قولاً

يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع، ﴿وَقَلَنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، لوجه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

﴿وَقَرَنَ فِي يَبُوتِكُنَّ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم «وقرن» بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها فمن فتح القاف فمعناه: اقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قرأ ويقال قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان، فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم: في ظلمت ظلت، قال الله تعالى: ﴿فَطَلَّتُنَّ تَكْفُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿ظَلَّتْ عَلَيْكَ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر، معناه قررن بكسر الراء،

إشارة إلى أنهم أشرف نساء العالمين. ﴿وَمَنْ يَنْتَ﴾، يطع، ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ يعقوب: «من تات منكن، وتقتت» بالثاء فيهما، وقرأ العامة بالياء لأن «من» أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وَتَمَلَّ مِنْهَا نَزْفًا لَجَرَّهَا مَرَّتَيْنِ﴾، أي: مثلي أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة. وقرأ حمزة والكسائي: «يعمل يوتها» بالياء فيهما نسقاً على قوله: «ومن يأت، ويقنتت» وقرأ الآخرون «تعمل» بالثاء، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، حسناً، يعني الجنة.

﴿نَيْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي، وثوابكن أعظم لدي، ولم

فاتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى: ما ذكرنا، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وقيل: قد تذكر الأولى إن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَأَلَّهَ أَمَّاكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى: ﴿وَأَقَمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل.

وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال قتادة: يعني السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك، وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وتلا قوله:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُرُ فِي يَوْمِئِذٍ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [وهو قول عكرمة ومقاتل]، وذهب أبو سعيد الخدري، وجماعة من التابعين، منهم مجاهد، وقاتدة، وغيرهما: إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين.

ثنا أبو الفضل زياد بن محمد

الحنفي، أنسا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري، أنا أبو بكر محمد [بن] يحيى بن محمد بن صاعد، أنا أبو همام الوليد بن شجاع، أنا يحيى بن زكريا بن [أبي] زائدة، أنا أبي عن مصعب بن شببة، عن صفية بنت شببة الحجبية، عن عائشة أم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مَرَجُلٍ من شعر أسود، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي، أنا [أبو] عبدالله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب [ثنا] الحسن بن مكرم، أنا عثمان بن عمر، أنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: في بيتي أنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»، قالت: فقلت يا رسول الله، أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله».

قال زيد بن أرقم: أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُرُ فِي

يَوْمِئِذٍ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾، أي القرآن، ﴿وَالصَّلَاةَ﴾، قال قتادة: يعني السنة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواظبه. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، أي لطيف بأوليائه خبيراً بجميع خلقه.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله، إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا يقبل الله منا طاعة، فأنزل الله هذه الآية. قال مقاتل: قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه. [إنا] نخشى أن لا يكون فيهن خير. فنزلت هذه الآية.

وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الخبيثة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأنت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: «ومم ذلك»؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُطَهَّرِينَ﴾، المصطفيين ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾، في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم، ﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقَاتِ﴾، على ما أمر الله به، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ﴾، المتواضعين، ﴿وَالصَّادِقَاتِ﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت،

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِسَاءَ وَطَرًا وَرَحْنًا كَمَا لِيَ كَلَّا لَيْسَ كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا اقْتَضَى وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْرُوفًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَنْصُرْهُمْ وَلَا يَخُونْهُمْ أَجْرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ جَاهِلًا فَكَانَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ وَذَكَرُوا كَثِيرًا ﴿٤٠﴾ وَسِعْهُ بُكْرًا وَأَصِيلًا ﴿٤١﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٢﴾

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾،

ومن صان نفسه عن

الكذب فهو داخل في

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ومن صبر

على الطاعة، وعن

المعصية، وعلى الرزية:

فهو داخل في قوله:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾،

ومن صلى فلم يعرف من

عن يمينه وعن يساره فهو

داخل في قوله:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾،

ومن تصدق في كل أسبوع

بدرهم فهو داخل في

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ومن صام من كل شهر

الأيام البيض، الثالث عشر، والرابع

عشر، والخامس عشر، فهو داخل

في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾،

ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو

داخل في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾،

ومن صلى الصلوات

الخمس بحقوقها فهو داخل في

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً

وَأَجْرًا﴾.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، الآية.

نزلت في زينب بنت جحش

الأسدية، وأخيها عبدالله بن جحش،

وأمهما أمية بنت عبدالمطلب عمه

النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ

زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان

رسول الله ﷺ اشتري زيندا في

الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما

خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت

وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت

أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة

عمتك يا رسول الله فلا أرضاه

لنفسى، وكانت بيضاء جميلة فيها

حدة، وكذلك كره أخوها ذلك،

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ

لِمُؤْمِنٍ﴾، يعني عبدالله بن جحش،

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني اخته زينب، ﴿إِذَا

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾، أي إذا

أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح

زينب لزيد، ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ﴾.

قرأ أهل الكوفة «أن يكون» بالياء

للحائل بين التانيث والفعل، وقرأ

الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من

أمرهم، والخيرة الاختيار، والمعنى

أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما

أمر الله ورسوله به، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾، أي

أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعا ذلك

رضيا بذلك وسلما، وجعلت أمرها

بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها،

فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل

بها وساق رسول الله ﷺ إليها عشرة

دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً

وإزاراً وملحفة وخمسين مداً من

طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

﴿قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ

عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، الآية.

نزلت في زينب [بنت جحش]

وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوج

زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، مما رزقهم الله،

﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، عما لا يحل،

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قال مجاهد: لا يكون

العبد من الذاكرين لله كثيراً حتى

يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

وروي أن النبي ﷺ قال: «سبق

المفردون»، قالوا: وما المفردون يا

رسول الله؟ قال: «الذاكرون لله كثيراً

والذاكرات».

قال عطاء بن أبي رباح: من

فوض أمره إلى الله عز وجل فهو

داخل في قوله: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ومن أقر بأن الله ربه

ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبه

لسانه، فهو داخل في قوله:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ومن

أطاع الله في الفرض، والرسول في

السنة: فهو داخل في قوله:

إن رسول الله ﷺ أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درج وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها، فقال: سبحان الله مقلب القلوب وانصرف، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد، فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: «ما لك أرابك منها شيء؟» قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذي بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك» [يعني زينب بنت جحش]، ﴿وَإِنِّي أَنفَسُ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، في أمرها، ثم طلقها زيد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، بِالْإِسْلَامِ «وَأَنْصَبْتُمْ عَلَيْهِ» بِالْتَرِيَةِ وَالْإِعْتَاقِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، «أَسْبِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، يعني زينب بنت جحش، ﴿وَإِنِّي أَنفَسُ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، أي تسر في نفسك ما الله مظهره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها.

وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ود أنه طلقها. ﴿وَمَخَشَى النَّاسَ﴾، قال ابن عباس والحسن: تستحيهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها. و﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَنَّهُ﴾.

قال [ابن] عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كنتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية: ﴿وَمَخَشَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

وروي سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَمَخَشَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَنَّهُ﴾؟ قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، [ثم قال]: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له: «أمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمت أنك ستكون من أزواجك.

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: ﴿زَوِّجْنَاكَهَا﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها [لكان] أظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد [إن] التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول الحسن مرض، وإن كان القول الآخر

وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر. وقوله: ﴿أَسْبِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَإِنِّي أَنفَسُ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَنَّهُ﴾، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق.

فإنه عليه السلام قد قال: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم [له]»، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَتْنَهَا وَكَرَّهَا﴾، أي حاجة من نكاحها، ﴿زَوِّجْنَاكَهَا﴾، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها.

قال أس: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلي بهن: جدي وجدك واحد، وإنني أنكحتك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج حدثنني محمد بن حاتم بن ميمون، أنا بهز، أنا سليمان بن

﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾، يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَيِيًّا﴾، حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه.

﴿٤١﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلد لهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين.

فإن النبي ﷺ قال للحسن: «إن ابني هذا سيد؟».

قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم [الذي لم يلد له]، ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، ختم الله به النبوة.

وقرأ ابن عامر وعاصم: «خاتم» يفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً. وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

موسى الصيرفي، أنا أبو العباس الأصم، أنا محمد بن هشام بن ملاس النمري، أنا مؤزبان الفزاري، أنا حميد عن أنس قال: أولم رسول الله ﷺ حين ابنتى زينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزاً ولحمًا.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُنَّ لَآ يَكُونَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، إنهم، ﴿فِي أَرْجَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا شَأْنَهُمْ وَطَرًا﴾، والأدعياء جمع الدعي وهو المتبني، يقول: زوجتك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لتعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني، وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، أي كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

﴿٧٨﴾ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، أي فيما أحل الله له، ﴿مُسْتَهًّا لِلَّهِ﴾، أي كسنة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي الزموا سنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾، أي في الأنبياء الماضيين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم. قال الكلبي ومقاتل: أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هو هوبها فكذلك جمع بين محمد ﷺ وبين زينب.

وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام. وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا﴾، قضاء مقضياً كائناً ماضياً.

المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فأذكرها علي»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم، حتى امتد النهار، فخرج الناس وبقوا رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حُجْرَ نَسَاءِهِ يَسْلَمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقْلُنَّ: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري، أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخله معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا سليمان بن حرب، أنا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة.

أخبرنا محمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن

يَعْلَمُ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ فَلِلذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ بِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ أي بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبداً.

﴿وَسَيُخَوِّذُكُمْ﴾، أي صَلَّوْا لَهُ، ﴿بِكُرَّةٍ﴾، يعني: صلاة الصبح،

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخدشاهي، أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبكر الجويري، أنا يونس بن عبدالأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل الأنبياء [قبلي] كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لينة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللينة لا يعيرون سواها، فكنت أنا سدوت موضع اللينة، ختم بي النبيان وختم بي الرسل».

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا علي بن أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومي، وغير واحد قالوا، أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبیر بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي».

﴿يَتَذَكَّرُ اللَّهُ بِكُمْ﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حداً معلوماً أعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً يُنتهى إليه، ولم

﴿وَأَصِيلًا﴾، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلاً صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني: قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ﴿ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، فالصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار للمؤمنين، قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إنني أصلي وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله [الرحمة وقيل الصلاة من الله] على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في

عباده. وقيل: الشاء عليه. قال أنس: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية. قوله: ﴿لِيُخَيِّرَكَ مِنَ الْأُمَّلِكِ إِلَى النَّبِيِّ﴾، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني: أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿يُخَيِّرُهُمْ﴾، أي تحية المؤمنين، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾، أي يرون الله، ﴿سَلَامٌ﴾، أي يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات. وروي عن البراء بن عازب قال: «تحتيتهم يوم يلقونه» يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه.

﴿يَتَذَكَّرُ اللَّهُ بِكُمْ﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حداً معلوماً أعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً يُنتهى إليه، ولم

وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم، ﴿وَأَعَدُّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، يعني الجنة.

﴿٤٥﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: شاهداً للرسول بالتبليغ، ومبشراً لمن آمن بالجنة، ونذيراً لمن كذب [بآياتنا] بالنار.

﴿٤٦﴾ ﴿وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى توبيخه وطاعته، ﴿يَذِيرُهُمْ﴾، بأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، سماه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ فَمَنْ مَنَ اللَّهُ فَضْلًا كَثِيرًا﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ﴾، قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً.

﴿٤٩﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ نُرٌّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق، وقال كل امرأة أنكحها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق، وهو قول علي وابن عباس، وجابر، ومعاذ، وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب، وعروة، وشريح،

وسعيد بن جبير، والقاسم، وطاوس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وسليمان بن يسار، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم، وبه قال الشافعي، وروي عن ابن مسعود: أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم التخعي، وأصحاب الرأي، وقال ربيعة ومالك والأوزاعي: إن عتبت امرأة يقع، وإن عم فلا يقع.

وروي عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، إن كان قالها فزلة من عالم في [أن] الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ نُرٌّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾، ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد الديموري، أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة، أنا الربيع بن سليمان، أنا أيوب بن سويد، أنا ابن أبي ذئب عن عطاء، عن جابر [قال]: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق قبل النكاح».

قوله عز وجل: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَمْسُوهُمْ﴾، تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعَدُّوهُنَّ﴾، تحصونها بالأقراء والأشهر، ﴿فَمَتَّيْمُوهُنَّ﴾، أي أعطوهن ما يستمتعن به.

قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة، فإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها. وقال قتادة:

هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَتَصِفُ مَا قَوَّضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقيل: هذا أمر ندب، فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر. وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضار.

﴿٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ زَوْجَكَ النَّبِيَّ ءَأَتَيْتَ أَجُورَهُمْ﴾، أي مهورهن، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾، رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له [إبراهيم]، ﴿وَنَوَاتٍ عَلَيْكَ وَنَوَاتٍ عَيْنِكَ﴾، يعني نساء قرش، ﴿وَنَوَاتٍ خَالِكَ وَنَوَاتٍ خَالَكَ﴾، يعني نساء بني زهرة، ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، إلى المدينة فمن لم تهجر منهن معه لم يجز له نكاحها.

وروي أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له، لأنني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء.

ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل، ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه.

واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي ﷺ نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر؟ فذهب جماعة إلى أنه كان لا

يحئل له ذلك، لقوله: ﴿وَأَمْرًا مِّنْهُمْ﴾، وأول بعضهم الهجرة في قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ على الإسلام أي أسلمن معك، فيدل ذلك على أنه لا يحئل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح يتعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالزيادة على الأربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه ولا مشاركة لأحد معه فيه. واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج، وهو قول سعيد بن المسيب، والزهرري، ومجاهد، وعطاء، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه يتعقد بلفظ الهبة والتملك، وهو قول إبراهيم النخعي، وأهل الكوفة، ومن قال لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي ﷺ، فذهب قوم إلى أنه كان يتعقد في حقه بلفظ الهبة، لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذهب آخرون إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق الأمة لقوله عز وجل: ﴿إِنِ ارَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَنْكِحَ﴾، وكان اختصاصه ﷺ في ترك المهر لا في لفظ النكاح.

واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ وهل كانت عنده امرأة منهن، فقال عبدالله ابن عباس،

ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين.

وقوله: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا﴾ على طريق الشرط والجزاء، وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة.

واختلفوا فيها، فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية، يقال لها: أم المساكين. وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث. وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل: هي أم

شريك بنت جابر من بني أسد. وقال عروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم من بني سليم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي أوجبنا على المؤمنين، ﴿فِي أَرْوَاحِهِمْ﴾، من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي: أحللتنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿٥١﴾ ﴿تَرْجِي﴾، تؤخر، ﴿مِنْ نَّفْسَاءِ يَتِيحْنَ وَيَتَوَقَّؤْنَ﴾، أي تنضم، ﴿إِلَيْكَ مِنْ نَّفْسَاءِ﴾، اختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القسم

﴿٥١﴾ ﴿تَرْجِي مِنْ نَّفْسَاءِ يَتِيحْنَ وَيَتَوَقَّؤْنَ إِلَيْكَ مِنْ نَّفْسَاءِ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ يَمَنَ عَزَلْتَ فَلِجَاحِ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِيَتْ بِمَا أَلَيْتَهُنَّ كَمَا لَمْ يَسْأَلْهُنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ ﴿لِيَحْلِلَ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مِنْ أَرْوَاحٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهَا إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا عَلِيمًا﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَبِيٍّ مِنْهُ وَتَكُونُوا عِشْمَ فَإِذَا دَخَلْتُمْ فَلَا تَصَوِّغُوا لَهُمْ قَائِمًا وَلَا تَسْتَقْسِمُوا عَلَيْهِمْ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يَؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجُ مِنَ الْعَاقِلِينَ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَائِهِنَّ بِطَوَّابٍ وَلَا تَطْهَرْنَ لَكُمْ وَأَنْ تَكُونُوا أَرْوَاحًا وَمَا كُنْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ حَافِظِينَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِنْ يَدْرَأَكُمُ اللَّهُ يَدْرَأَكُمُ اللَّهُ عَظِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿إِنْ تَبَدُّوا فَأَحْسِبُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٥﴾

بينهن، وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبا عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن.

قال أبو رزين، وابن زيد: نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة، فهجرهن النبي ﷺ شهرا حتى نزلت آية التخيير، فأمره الله عز وجل أن يخيلهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن، ويرجي من يشاء، فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهن دون بعض، أو فضل لبعضهن في النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف

يشاء، وكان ذلك من خصائصه
فرضين بذلك واختارنه على هذا
الشرط.

واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً
منهم عن القسم، فقال بعضهم: لم
يخرج أحداً، بل كان رسول الله ﷺ
مع ما جعله الله له من ذلك، يسوي
بينهن في القسم إلا سودة فإنها
رضيت بترك حقها من القسم،
وجعلت يومها لعائشة، وقيل: أخرج
بعضهن.

روى جرير عن منصور عن أبي
رزين قال: لما نزلت آية التخيير
أشفقن أن يطلقهن، فقلن:
يا نبي الله اجعل لنا من مالك
ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا،
فنزلت هذه الآية، فأرجى
رسول الله ﷺ بعضهن وأوى إليه
بعضهن، وكان ممن أوى إليه
عائشة، وحفصة، وزينب، وأم
سلمة، فكان يقسم بينهن سواء،
وأرجى منهن خمساً: أم حبيبة،
وميمونة، وسودة، وصفية،
وجويرية، فكان يقسم لهن ما شاء.

وقال مجاهد: «ترجي من تشاء
منهن» يعني تعزل من تشاء منهن بغير
طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل
بلا تجديد نكاح. وقال ابن عباس:
تطلق [من تشاء] منهن وتمسك من
تشاء.

وقال الحسن: تترك نكاح من
شئت وتتكح من شئت من نساء
أمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا
خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها
حتى يتركها رسول الله ﷺ.

وقيل: تقبل من تشاء من

المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن لك
فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا
تقبلها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
التيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا
محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن
سلام، أنا ابن فضيل، أنا هشام عن
أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من
اللاتي وهين أنفسهن للنبي ﷺ
فقال عائشة: أما تستحي المرأة أن
تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت:
﴿تَرَجَىٰ مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ﴾، قلت: يا
رسول الله ما أرى ريك إلا يسارع
في هواك.

قوله تعالى: ﴿وَمَن ابْتَغَىٰ مِنَّ
عَزَّتْ﴾، أي طلبت وأردت أن تؤوي
إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم،
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لا إثم عليك،
فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه
ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ
من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد
إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على
سائر الرجال، ﴿وَذَلِكَ أَذْفَىٰ أَن تَقَرَّ
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾، أي التخيير
الذي خيرتك في صحبتهم أقرب إلى
رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل
لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله
عز وجل، ﴿وَرَضِيَتْ يَمًا أَبْتَهَنَّهُنَّ﴾،
أعطيتهن، ﴿كَلْمُهُنَّ﴾، من تقرب
وارجاء وعزل وإيواء، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
فِي قُلُوبِكُمْ﴾، من أمر النساء والميل
إلى بعضهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَلِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ
الْأَنْسَاءَ مِن بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ

أَنْزَلِجَ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «لا
تحل» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من
بعد يعني «من بعد» هؤلاء التسع
اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن
النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله
ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه
النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن
وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن
عباس وقتادة.

واختلفوا في أنه هل أبيع له النساء
من بعد؟

قالت عائشة: ما مات
رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء
سواهن.

وقال أنس: مات على التحريم.

وقال عكرمة والضحاك: معنى
الآية لا يحل لك النساء إلا اللاتي
أحللنا لك وهو قوله: ﴿إِنَّا أَطَّلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية، ثم
قال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءَ مِن بَعْدِ﴾ إلا
اللاتي أحللنا لك بالصفة التي تقدم
ذكرها. وقيل لأبي بن كعب: لو
مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له أن
يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك؟
قيل: قوله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ
الْإِنْسَاءَ مِن بَعْدِ﴾، قال: إنما أحل الله
له ضرباً من النساء [من بعد النساء]،
فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْكُفْرُ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ثم قال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءَ مِن
بَعْدِ﴾، قال أبو صالح: أمر أن لا
يتزوج أعرابية ولا عربية، ويتزوج من
نساء قومه من بنات العم والعمة
[والخال] والخاله إن شاء ثلاثمائة،
وقال مجاهد: معناه لا يحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات بعد

المسلمات ولا أن تبدل بهن، يقول أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى، يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلا ما ملكت يمينك، أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن.

وروي عن الضحاك: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ﴾ أي ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حيالك أزواجاً غيرهن بأن تطلقن فتتكح غيرهن، فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين، وحرمن علي غيره حين اخترته، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَنْزَلِ﴾، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك، وأبادلك بامرأتي، تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَنْزَلِ﴾، يعني لا تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [أي] لا بأس أن تبدل بجارتك ما شئت، فأما الحرائر فلا.

وروي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: دخل عبيدة بن حصن على النبي ﷺ بغير إذن، وعنده عائشة، فقال له النبي ﷺ: «يا عبيدة فأين الاستئذان؟» قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين، فقال عبيدة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن

هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم ذلك»، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذا أحرق مطاع وإنه على ما تورين لسيد قومه».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ أَحَدًا مِنْ نِسَائِكَ وَتَنَكَحَ بِدَلِّهَا أُخْرَى وَلَوْ أَعْجَبَكَ جَمَالُهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي أَسْمَاءَ بِنْتَ عَمِيْسِ الْخَثْعَمِيَّةِ امْرَأَةَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا اسْتَشْهَدَ جَعْفَرُ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَخْطُبَهَا فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَلَكَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَارِيَةَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَؤُوفًا رَحِيمًا﴾، حَافِظًا. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ النَّظَرِ إِلَى مَنْ يَرِيدُ نِكَاحَهَا مِنَ النِّسَاءِ.

روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل».

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوريني قال: أنا أحمد بن حرب، أنا أبو معاوية عن عاصم وهو ابن سليمان عن بكر بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة، فقال لي النبي ﷺ: «هل نظرت إليها؟ قلت: لا، قال: «فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا عبد الله بن حامد، أنا حامد بن محمد، أنا بشر بن موسى، أنا الحميدي، أنا سفيان، أنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»، قال الحميدي يعني الصغر.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، الآية. قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا يحيى بن بكير، أنا الليث بن عقيّل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، قال: وكانت أم هانئ تواظبني على خدمة النبي ﷺ، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، فكنيت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل، في مبتدئ رسول الله ﷺ بزيّيب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمضى النبي ﷺ ومشييت

حتى جاء [عبئة] حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا، فرجع النبي ﷺ، ورجعت معه حتى إذا بلغ عبئة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الشتر، وأنزل الحجاب.

وقال أبو عثمان، واسمه الجعد، عن أنس قال: فدخل رسول الله ﷺ البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة، وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِلُ مِنَ الْحَقِّ﴾.

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ يقول إلا أن تدعوا، ﴿إِنَّ طَعَامَهُ﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿فَغَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾، غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال أتى الحميم: إذا انتهى حره، وإتى أن يفعل ذلك إذا حان، إتى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحها مددت فقلت الإناء، وفيه لغتان إنى يأنى، وأن يئين مثل حان يخين، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طُعِمْتُمْ﴾، أكلتم الطعام، ﴿فَاتَّبِعُوا﴾، تفرقوا وأخرجوا من منزله، ﴿وَلَا تُسْتَفْسِدِينَ كَلِمَاتِي﴾، ولا طالسبين الأنس

للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فنهوا عن ذلك، ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِلُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِلُ مِنَ الْحَقِّ﴾، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة [من نساء] رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة، ﴿ذَلِكَ لِكَيْ لَا تَطَّهَّرُوا بِكُلْمَتِهِمْ وَأُولَئِكَ يَكُونُ لَكُمْ سَبَبًا لِلْجَبَابِ﴾، وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما:

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا يحيى بن بكير، أنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا عبدالرحيم بن منيب، أنا يزيد بن هارون، أنا حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقني ربي في ثلاثة، قلت: يا رسول الله

لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى [فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى]، وقلت: يا رسول الله إنه يدخل عليك الزُّبُرُ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما أدى به رسول الله ﷺ نساؤه، قال: فدخلت عليهن فجعلت أستقريهن واحدة واحدة، قلت: والله لئن تهنهن أو لبيدلتن الله أزواجاً خيراً منك، حتى أتيت على زينب فقالت: يا عمر ما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، قال: فخرجت فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [أي] ليس لكم آذاه في شيء من الأشياء، ﴿وَلَا أَنْ يَتَّخِذُوا أَرْوَاحَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾.

نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة.

قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله، فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرم، وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾، أي ذنباً عظيماً.

وروي معمر عن الزهري، أن العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له، وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيماً﴾، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد

رسول الله ﷺ، وقيل: قال رجل من الصحابة: ما بالناس يمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضاً نكلمهن من وراء الحجاب؟

﴿٥٥﴾ فأنزل الله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِكُمْ وَلَا أَبْنَائِكُمْ وَلَا إِخْوَانِكُمْ وَلَا نِسَاءِكُمْ فِي تَرْكِ الْإِحْتِجَابِ مِنْ هَؤُلَاءِ، قِيلَ أَرَادَ بِهِ النَّسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، حَتَّى لَا يَجُوزَ لِلْكَتَابِيَّاتِ الدَّخُولَ عَلَيْهِنَّ، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌ فِي الْمُسْلِمَاتِ وَالْكَتَابِيَّاتِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَلَا نِسَاءِكُمْ﴾، لِأَنَّهُنَّ بَيْنَ أَجْنَاسِهِنَّ، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وَاجْتَلَفُوا فِي أَنَّ عِبْدَ الْمَرْأَةِ هَلْ يَكُونُ مُحْرَمًا لَهَا أَمْ لَا؟ فَقَالَ قَوْمٌ يَكُونُ مُحْرَمًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ كَالْأَجَانِبِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْإِمَاءُ دُونَ الْعَبِيدِ، ﴿وَأَقْرَبِينَ إِلَيْكُمْ﴾، أَنْ يَرَاكُنَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾، مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ﴿شَهِيدًا﴾.

﴿٥٦﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَكَانَتْ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ يَدْعُونَ إِنْ اللَّهُ يَرْحَمُ النَّبِيَّ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لَهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: «يَصَلُونَ» يَتَبَرَّكُونَ. وَقِيلَ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْاسْتِغْفَارِ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِمْ﴾، أَي ادْعُوا لَهُ بِالرَّحْمَةِ، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أَي حَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ.

وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه

عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا [أبو] عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد، أنا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، أنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، أنا عبدالواحد بن زياد، أنا أبو فورة، حدثني عبدالله بن عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، سمع

عبدالرحمن بن أبي ليلى يقول: لعقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ قلت: بلى فاهدها لي، قال: سألتنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمرو بن سليمان الرزقي، أنه قال: أخبرني أبو حميد الساعدي

لَجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِكُمْ وَلَا أَبْنَائِكُمْ وَلَا إِخْوَانِكُمْ وَلَا نِسَاءِكُمْ فِي تَرْكِ الْإِحْتِجَابِ مِنْ هَؤُلَاءِ، قِيلَ أَرَادَ بِهِ النَّسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، حَتَّى لَا يَجُوزَ لِلْكَتَابِيَّاتِ الدَّخُولَ عَلَيْهِنَّ، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌ فِي الْمُسْلِمَاتِ وَالْكَتَابِيَّاتِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَلَا نِسَاءِكُمْ﴾، لِأَنَّهُنَّ بَيْنَ أَجْنَاسِهِنَّ، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وَاجْتَلَفُوا فِي أَنَّ عِبْدَ الْمَرْأَةِ هَلْ يَكُونُ مُحْرَمًا لَهَا أَمْ لَا؟ فَقَالَ قَوْمٌ يَكُونُ مُحْرَمًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ كَالْأَجَانِبِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْإِمَاءُ دُونَ الْعَبِيدِ، ﴿وَأَقْرَبِينَ إِلَيْكُمْ﴾، أَنْ يَرَاكُنَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾، مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ﴿شَهِيدًا﴾.

[أنهم] قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

أخبرنا ابن عمرو محمد بن عبدالرحمن النسوي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن يعقوب، أنا العباس بن محمد الدوري، أنا خالد بن مخلد القطواني، أنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبدالله بن كيسان أخبرني عبدالله بن شداد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة».

أخبرنا أبو عبدالله [محمد] بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن

علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حُجر، أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه [بها] عشرًا».

أخبرنا أبو بكر [محمد] بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم [بن] عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن سليمان مولى الحسن بن علي، عن عبدالله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه جاء ذات يوم والبشر [يرى] في وجهه، فقال: «إنه جاءني جبريل فقال [إن ربك يقول] أما يرضيك يا محمد، أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صلّيت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن عاصم هو ابن عبيد [الله] قال: سمعت عبدالله [بن عامر] بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من صلى علي صلاة صلّت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل العبد من ذلك أو ليكثر».

حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أنا [جناح] بن نذير المحاربي بالكوفة، أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أنا أحمد بن حازم، أنا عبدالله بن موسى وأبو نعيم، عن سفيان، عن عبدالله بن السائب، عن زاذان، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام».

٥٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون، فأما اليهود فقالوا: عزيز ابن الله ويد الله مغلولة، وقالوا إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه.

وروي أن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى: شتمني عبيد، يقول اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

وروي عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمم ألقب الليل والنهار».

وقيل: معنى «يؤذون الله» أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة هم أصحاب التصاوير.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا

محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن العلاء، أنا ابن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة».

وقال بعضهم: يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿وَتَكْفُرُ الْفَرِيقَةُ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي أهل القرية.

وروي عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وقال من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة».

ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وإرتكاب معاصيه، ذكره علي ما يتعارفه الناس بينهم، والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد، وإيذاء الرسول، قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلم مجنون.

٥٨ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَسَبُوا﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرعونهم بغير جرم، ﴿فَقَدْ أَحْضَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا بُهْتَانٌ﴾.

وقال مقاتل: نزلت: في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة.

وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقصاء حوائجهن، فيغمزون المرأة

فإن سكنت اتبعوها وإن زجرتهم اتبها عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحررة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً، يخرجن في درع وخمارة الحررة والأمة كذلك، فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

٥٩ فقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ أَدْرَاكُمْ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ بَنِيكُمْ﴾ جمع الجلاب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وعبيدة: أمر نساء المؤمنات أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر، ﴿ذَلِكَ أَدْعَى أَنْ يُصْرَفْنَ﴾، أنهن حرائر، ﴿فَلَا يُؤَدُّنَّ﴾، فلا يتعرض لهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متفنة فعلاها بالدرع، وقال يا لكاع أنتشبهين بالحرائر، ألقى القناع.

٦٠ قوله عز وجل: ﴿لَيْنَ لَرِّ يَدَيْهِ الْمُتَّقِينَ﴾، عن نفاقهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِرْرٌ﴾، فجور، يعني الزناة، ﴿وَالْمُرْجُطُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، بالكذب.

وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانهمزموا، ويقولون قد أتاكم العدو ونحوها.

وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿تُفْرِيَتَكَ بِهِمْ﴾، لنحرتك بهم ولنسلطتك عليه، ﴿فُدًّا لَا يُجَاوِرُكَ فِيهَا﴾، لا يسكنوك في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطتك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

٦١ مطرودين، نصب على الحال، ﴿أَيُّنَا تُفْقَوْنَ﴾،

وجدوا وأدركوا، ﴿أُخْذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾، أي الحكم فيهم هذه على جهة الأمر به.

٦٢ ﴿سِنَّةَ اللَّهِ﴾، أي كسنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، من المنافقين والذين فعلوا مثل [ما فعل] هؤلاء، ﴿وَلَنْ يُحَدِّثَ إِسْتَعْتَابَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

٦٣ قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُ النَّاسَ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ﴾، أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

٦٤ - ٦٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكُفْرِينَ وَأَهْدَىٰ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَيْ لَا يُحَدِّثُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، ظهر أبطن، حين يسحبون عليها، ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، في الدنيا.

٦٦ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾

يَسْتَأْذِنُ النَّاسَ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكُفْرِينَ وَأَهْدَىٰ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿٦٥﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَيْ لَا يُحَدِّثُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا عَامِمٌ مِنْهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَمَلُ لَمَّا كَبِيرًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آمَدُوا وَمَنْ سَأَلَ فَبِرَأَةِ اللَّهِ يَسْأَلُوا وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ حُجُبٌ مُبْشِرَةٌ وَسَوَاءٌ أَلْيَسًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأُفْرِقَنَّ عَنْكُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَرِحْتُمْ بِكَفَرِكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَتُغْفَرُ لَهُمْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَاهِلًا ﴿٧١﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٢﴾

قرأ أبو عامر ويعقوب ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، ﴿وَكِرِهْنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾.

٧٠ ﴿رَبَّنَا عَامِمٌ مِنْهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾، أي ضعفي عذاب غيرهم. قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ لَمَّا كَبِيرًا﴾، قرأ عاصم «كبيراً» بالياء قال الكلبي أي عذاباً كثيراً، وقرأ الآخرون بالتاء كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

٧١ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آمَدُوا وَمَنْ سَأَلَ فَبِرَأَةِ اللَّهِ يَسْأَلُوا﴾، فطهره الله مما قالوا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾، أي

كريمًا ذًا جاء، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجهه، إذا كان ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة. وقيل: كان محبباً مقبولاً. واختلفوا فيما أودى به موسى.

فأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق بن إبراهيم، أنا روح بن عبادة، أنا عوف، عن الحسن ومحمد وخلص عمن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياءً فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما تستر موسى هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدره [وإما آفة]، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده ليغتسل فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدًا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، ويراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً». فذلك قوله عز وجل: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا

قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً».

وقال قوم: إيذاؤهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله، فبرأه الله مما قالوا.

وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتتخذ موسى بنفسها على رأس الملاء فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو الوليد، أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبدالله قال: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقَسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتَ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبْرًا».

قوله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَعًا اللَّهُ وَقَوْلًا سَدِيدًا»، قال ابن عباس: صواباً. وقال قتادة: عدلاً. وقال الحسن: صدقاً. وقيل: مستقيماً. وقال عكرمة هو: قول لا إله إلا الله.

قوله تعالى: «يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْيُنَكُمْ»، قال ابن عباس: يتقبل حسنتكم. وقال مقاتل: يزكي أعمالكم، «وَيُضَيِّرْ لَكُمْ دُونَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ

فَوْزًا عَظِيمًا»، أي ظفر بالخير كله.

قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ»، الآية. وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أذوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس.

وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال، والميزان، وأشد من هذا كله الودائع. وقال مجاهد: الأمانة الفرائض. وحدود الدين. وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا عنه. وقال زيد بن أسلم: هو الصوم والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها، فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له. وقال بعضهم: هي أمانات الناس والوفاء بالعهد، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن

ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمّل. وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني، في قوله وحملها الإنسان قولان، فقالوا: إن الله اتّمتن آدم وأولاده على شيء واتّمتن السموات والأرض والجبال على شيء، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض، والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له. وقيل: قوله: ﴿فَأَيُّكُمْ أَنْ يَحْمِلَهَا﴾ أي أذبن الأمانة. يقال: فلان ليم يحتمل الأمانة أي لم يخن فيها وحملها الإنسان أي خان فيها، يقال: فلان حمل الأمانة أي أتم فيها بالخيانة. قال الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلِكُمْ أَقْلَامُكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، إنه كان ظلوماً جهولاً، حكى عن الحسن على هذا التأويل: إنه قال: وحملها الإنسان يعني الكافر والمنافق، حملاً الأمانة أي خاناً. وقول السلف ما ذكرنا.

﴿٧٣﴾ قوله عز وجل: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُتُوفِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ قال مقاتل: ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، ﴿وَيُؤْتِيَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وكان الله غفوراً رحيمًا، يهديهم ويرحمهم بما أذوا من الأمانة. وقال ابن قتبية أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.

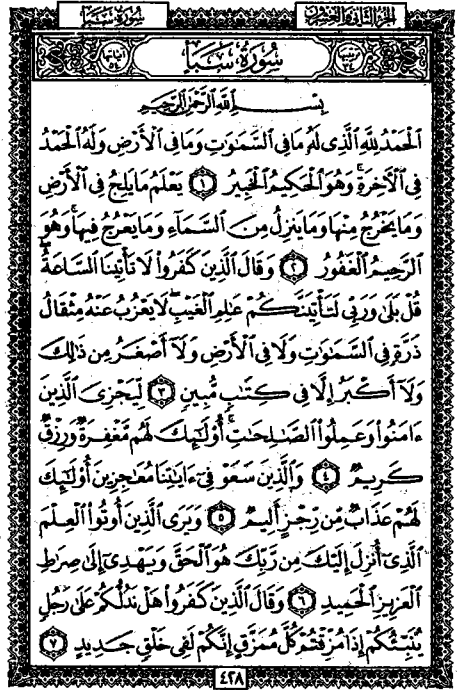


أنت أخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم، وقال [أحملها] بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى أما إذا تحمّلت فأسعيتك، أجعل لبصرك حجلاً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجاب، وأجعل للسانك لحيين وغلقاً فإذا خشيت فأغلق، واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك. قال مجاهد: فما كان بين أن تحمّلها وبين أن يخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر.

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مثّلت الأمانة كصخرة ملقاة، ودعيت السموات والأرض والجبال إلى [أحملها] فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطبق حملها، وجاء آدم من غير أن يدعى، وحرك الصخرة، وقال: لو أمرت بحملها لحملتها، فقلن له: احمّلها، فحملها إلى ركبته ثم وضعها، وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له: احمّلها فحملها إلى حقوه، ثم وضعها، وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له: احمّل، فحملها حتى وضعها على عاتقه، فأراد أن يضعها فقال الله: مكانك فإنها في عنقك وعتق ذريتك إلى يوم القيامة. ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ أَظْلُومًا جَهُولًا﴾، قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلوماً حين عصى ربه، جهولاً لا يدري ما العقاب في

عصيتن عوقبتن، فقلن: لا يا رب، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جلّ ذكره في السموات والأرض: ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ طُورًا أَوْ كَرِهًا قَالُوا أَنبَأْنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال للحجارة: ﴿وَلَنْ يَتَّخِذَ مِنْهَا حَمَلًا﴾ [البقرة: ٧٤] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْحَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّلَّالُ﴾ [الحج: ١٨] الآية.

وقال بعض أهل العلم: ركب الله عز وجل فيهنّ العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن، وقال بعضهم: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: ﴿وَمَسَلِي الْقَرْيَةِ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية. والأول أصح، وهو قول العلماء. ﴿فَأَيُّكُمْ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، أي خفن من الأمانة أن لا يؤدبنا فيلحقهن العقاب، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، يعني آدم عليه السلام، فقال الله: يا آدم إنني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطعها فهل



سورة سبا

مكية [وهي أربع وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ ﴿الْمَعْدَةُ الَّتِي لَمْ يَأْتِ فِيهَا السَّمَوَاتُ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَتْ
 فِي الْأَخِرَةِ وَهِيَ الْحَكِيمَةُ الْغَيْبُ ١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ
 الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
 قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مُقَالٌ
 ذَرِّفْ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْعُرُ مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٣﴾ لَيَجْرِي الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ٤ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا فَمَنَعْنَا مِنْهُمُ
 أَنْ يُكَلِّمُوا الْوَيْلَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْفًا مِمَّا
 الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
 الْمُرْتَبِيِّ الْحَمِيدِ ٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَهَلْ تَنْكُرُ عَلَىٰ رَسُولٍ
 يَبْتَلِيكُمْ إِنْ أَمْرٌ فَهَرَبْنَا كُلَّ مَرْغَبٍ لَكُمْ لِي خَلَقِي جَدِيدٍ ٦﴾

١ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من الماء والأموات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والأموات إذا حشروا، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار، ﴿وَمَا يَعْرَجُ﴾ يصعد، ﴿فِيهَا﴾ من

الملائكة وأعمال العباد، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ﴾.

٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، الساعة، ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «عالم» بالرفع على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب، أي ورثي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: «علام» على وزن فعال، وجر الميم، ﴿لَا يُعْرَبُ﴾، لا يغيب، ﴿عَنْهُ يُتَقَالُ ذَرِّفْ وَزَنْ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْعُرُ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي من البذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

٣ ﴿لَيَجْرِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن يعني في الجنة.

٤ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا﴾، في إبطال أدلتنا، ﴿مُنَعْنَا﴾، يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِنْ رِزْقِ رَبِّكَ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب: «اليم» بالرفع ههنا وفي الجاثية [١١] على نعت العذاب، وقرأ الآخرون بالمخفض على نعت الرجز، وقال قتادة الرجز سوء العذاب.

٥ ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِيِّ الْحَمِيدِ﴾، أي ويسرى الذين، ﴿أَوْفُوا أَلْفًا مِمَّا الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِيِّ الْحَمِيدِ﴾، يعني مؤمني

أهل الكتاب: عبدالله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾، يعني أنه من عند الله، ﴿وَيَهْدِي﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِيِّ الْحَمِيدِ﴾، وهو الإسلام.

٦ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منكرين للبعث متعجبين منه، ﴿هَلْ تَنْكُرُ عَلَىٰ رَسُولٍ يَبْتَلِيكُمْ﴾، أي يخبركم يعنون محمدا ﷺ، ﴿إِنْ أَمْرٌ فَهَرَبْنَا كُلَّ مَرْغَبٍ﴾، قطعتم كل تقطيع وفترتم كل تفرق وصرتهم تراباً ﴿إِنَّكُمْ لِي خَلْقِي جَدِيدٍ﴾، يقول لكم: إنكم لفي خلق جديد.

٧ ﴿أَفَتَرَى﴾، الف استفهام دخلت على الف الوصل ولذلك نصبت، ﴿عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾، يقولون أزعم كذباً أم به جنون، قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿بَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقَابِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، من الحق في الدنيا.

٨ ﴿أَفَأَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَكْفَرُ﴾، أي ما بين أيديهم وما خلقهم منكم السكوة والآرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها، وأنا القادر عليهم، ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾، قرأ الكسائي «نخسف بهم» بإدغام الفاء في الباء، ﴿أَوْ نَسُوِّطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «إن يشأ يخسف أو يسقط»، بالياء فيهن لذكر الله من قبل، وقرأ الآخرون بالنون فيهن ﴿إِنْ

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَبِيدِ ﴿٨﴾ أَفَرَأَى إِنْ مَاءٍ مِنْ أَيْدِيهِمْ
 وَجَاءَتْهُمْ مِنْ مَكَّ الشَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ شَاءَ نَحْنُصِفَ بِهِمْ
 الْأَرْضَ أَوْ نَقُطِعَ عَلَيْهِمْ كِفَايَتَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مَنَّا فَضْلًا
 بِنِجَالِ أُورُوشَلِيمَ وَالطُّبْرِ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
 سَبْعَ نَجْدَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا أَصْلِحَ الْهَبَاءِ بِمَا أَفْعَلُونَ
 بَعِيرٍ ﴿١١﴾ وَإِسْلِيمَ الرِّيحِ عُدُوها شَرٌّ وَرَوْحُها شَرٌّ
 وَأَسْلَمْنَا عَيْنَ الطُّبْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
 رَبِّهِ وَمَنْ يَرِجْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرٍ يَأْتِيهِمْ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
 يَعْمَلُونَ لِمَا يُشَاءُونَ مِنْ حُدُودٍ وَمَقْبَلِ وَخَطَانِ كَلِمَاتِ
 وَتَدْوِيرِ رَأْسِيَّتِ أَعْمَلُوا أَمَّا دَاوُدَ شَكَرَ أَوْ قَبْلَ مِنْ عِبَادِي
 الْفَكْرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَضْمِنَا عَلَيْهِ السَّوْتِ مَا دَلَّمْ مِنْ مَوْتِهِ
 الْإِدَابَةَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ وَيَسْأَلُهُ فَمَا خَرَّتْ يَدَيْهِ الْجِنُّ
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبِ مَا لَشَأَى الْعَذَابِ النَّهْمِ ﴿١٤﴾

٤٢٩

الأخبار: أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متكرماً، فإذا رأى رجلاً لا يعرفه يقدم إليه ويسأله عن داود فيقول له: ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه، ويقولون خيراً، فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله، فقال الملك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه، فزاع داود ذلك وقال: ما هي يا عبد الله؟

في ذلك، أي فيما ترون من السماء والأرض، ﴿آية﴾، تدل على قدرتنا على البعث، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾، كاتب راجع إلى الله بقلبه. ﴿٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مَنَّا فَضْلًا﴾، يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أوتي من حسن الصوت وتلويح الحديد وغير ذلك مما خص به، ﴿بِنِجَالِ أُورُوشَلِيمَ﴾، أي سبهي، ﴿مَعَهُ﴾، إذا سبح، [وقيل هو تفعيل من الإياب وهو الرجوع، أي رجعي معه]، وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله فينزل ليلاً [كانه قال أوبي النهار كله] بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحى معه، ﴿وَالطُّبْرِ﴾، عطف على موضع الجبال، لأن كل منادى في موضع النصب. وقيل: معناه: وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه. وقرأ يعقوب: ﴿وَالطُّبْرِ﴾ بالرفع رداً على الجبال، أي أوبي أنت والطير. وكان داود إذا نادى بالناحية أجابه الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه، فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك. وقيل: كان داود إذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح. وقيل: كان داود عليه السلام إذا لحقه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطاً له. ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾، حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة. وكان سبب ذلك على ما روي في

نسج الدروع، يقال لصانعه: السرد والزراد، يقول: قير المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاً فتفتلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال «السرد» للمسماير الحلقة، يقال: درع مسرود أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة، ﴿وَأَعْمَلُوا صِلِحًا﴾، يريد داود وآله، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَإِسْلِيمَ الرِّيحِ﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح، وقرأ أبو بكر عن عاصم «الريح» بالرفع أي [له تسخير] الريح، ﴿قُدُّوها شَرٌّ وَرَوْحُها شَرٌّ﴾، أي سير عُدُو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر، وسير رواجها مسيرة شهر، وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين. قال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقبل بإصطخر وكان بينهما مسيرة شهر،

قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، قال: فنثبته لذلك وسأل الله أن يعيب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فيتقوت منه ويطعم عياله، فالآن الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدرع، وإنه أول من اتخذها. ويقال: إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم، فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين. ويقال: إنه كان يعمل كل يوم درعاً يبيعهما بستة آلاف درهم، فيتفق ألفين منها على نفسه وعياله، ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني إسرائيل. قال رسول الله ﷺ: «كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده».

﴿١٠﴾ ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجْدَاتٍ﴾، دروعاً كوامل وأسمعت طوالاً تسحب في الأرض، ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾، والسرد

ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل: إنه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾، أي أدبنا له عين النحاس، والقِطْرُ النحاس.

قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان، ﴿وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْخِرُ رَيْبَهُ﴾، بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿وَمَنْ يَرْزُقْ﴾، أي يعدل، ﴿مِنْهُمْ﴾، من الجن، ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، ﴿ثُمَّ لَقَهُ مِنْ عَذَابِ النَّاسِِرِ﴾، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدُودٍ﴾، أي مساجد، والأبنية المرتفعة وكان مما عملوا [له] بيت المقدس ابتداءه داود ورفعته قدر قامة رجل، فأوحى الله إليه إنني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب إتمام بناء بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه لهم، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض من معادنه، وأمر ببناء

المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ريبضاً، وأنزل كل ريبض منها سبطاً من الأسباط، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفرقاً يأتيونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنه، فأتى من ذلك بشيء لا يحصىه إلا الله عز وجل، ثم أحضر الصناعيين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروز فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله عز وجل، وأن كل شيء فيه خالص لله، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

وروي عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعظاه الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده،

فأعطاه إياه، وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا أخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك».

قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فحرب المدينة وهدمها ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر، فحملة إلى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر. قوله عز وجل: ﴿وَتَبَيَّنَ﴾ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام.

وقيل: كانوا يصورون السباع والطيور. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، ولعلها كانت منبأحة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله. ﴿وَجَفَّانِ﴾، أي قصاع واحدها جفنة، ﴿كَالْجَوَابِ﴾، كالحياض التي يجبي فيها الماء، أي يجمع واحدها جابية، يقال: كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون [منها] وقدور راسيات] ثابتات لها قوائم لا تحركن عن أماكنهن لعظمنهن، ولا ينزلن ولا يعطلن، وكان يصعد عليها بالسلام، وكانت باليمن، ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، أي وقلنا اعملوا آل داود شكراً، مجازة: اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَن بَيْنِ وَسَمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَ بَدَلَهُ طَيْبَةً وَرَبُّكُمْ غَفُورٌ
﴿١٤﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِذِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ
جِئَانِ ذَوَاقٍ أَكَلُ كُلِّ حُمْطٍ أَقْلَى وَفِي يَوْمٍ سِدْرٍ لِّسَلِيلٍ
﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَهْلُ بُحَيْرَىٰ إِلَّا الْكُفْرَ ﴿١٦﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَلُمَةٌ
وَقَدَّرْنَا فِيهَا الشَّيْءَ سِيراً وَفِيهَا لِسَالَىٰ وَأَيُّهَا أَمِينٌ ﴿١٧﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بِنَائِنَا وَعَطْمَانَا وَظَلَمْنَا أَنفُسَنَا فَجَعَلْنَاهُمْ
أَعْدَابًا وَمَرْفَعَهُمْ كُلَّ مَرْفَعٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فِرْقَانًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا لِيَلْعَلَّ مَن يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ يَمُنَّ مَعَهُمْ فِي شَاكٍ وَرَيْبِكَ
عَلَىٰ كُلِّ فِتْنَةٍ وَحَافِظٌ ﴿٢٠﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ دَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لِيَلْسَنُ كُتُوبٌ يُقَالُ ذُرِّيَّةُ السَّمَوَاتِ وَآلِافِي
الْأَرْضِ وَمَالُهُمْ فِيهَا مِمَّا مَلَائِكَةٌ مَّرسُومَةٌ ﴿٢١﴾

٤٢٠

عصاه فمات قائماً وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه، وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، و[هم] ينظرون إليه يحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عصا سليمان، فخر ميتاً فعلموا بيموته. قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضة فماتت بالماء والطين في جوف الخشب.

الشُّكْرُ، أي العامل بطاعتي شكراً لتعمتي، قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته. وقال جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً يقول: كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي.

﴿فَلَمَّا قَصَيْنَا عَلَى الْمُوتِ﴾، أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخله في المرة التي مات فيها، وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع، فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت لذواء تركت، حتى نبتت الخروبة، فقال لها: ما أنت؟ قالت: الخروبة، قال: لأي شيء نبتت؟ قالت: لخراب مسجدك، فقال سليمان: ما كان الله ليخبره وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس! فنزعها وغرسها في حائط له، ثم قال: اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنسان أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكثراً على

الجن»، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون [الغيب] لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنسان ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس «تبينت الإنسان أن لو كانوا يعلمون الغيب، ما لبثوا في العذاب المهين» أي علمت الإنسان وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: «تبينت» بضم التاء [والباء] وكسر الباء أي أعلمت الإنسان الجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وتبين لازم ومتعد، وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه.

﴿قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾

روى أبو سيرة النخعي عن

فذلك قوله: ﴿مَا دَعَيْتُمْ عَلَىٰ مَوْزِيهِ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ﴾، وهي الأرضة التي، ﴿تَأْكُلُ مِن سَائِغِكُمْ﴾، يعني عصاه، قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو «منساته» بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز، وهما لغتان، ويسكن ابن عامر الهمز، وأصلها من نسات الغنم، أي زجرتها وسقتها، ومنه: نسا الله في أجله أي أخره، ﴿فَلَمَّا حَرَّ﴾، أي سقط على الأرض، ﴿تَبَيَّنَتِ اللَّيْلُ﴾، أي علمت الجن وأيقنت، ﴿أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، أي فسي التعب والشقاء، مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حياً، أراد الله بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم. وذكر الأزهري: أن معنى «تبينت»

فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: «كان رجلاً من العرب و[ولد] له عشرة من الولد، تيامن منهن ستة، وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا: فنكندة، والأشعريون، وأزد، ومذحج، وأنمار، وحمير، فقال رجل: وما أنمار؟ [فقال الذين منهم خشع وبجيلة وأما] الذين تشاءموا: فعاملة وجذام، ولخم، وغسان، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان». ﴿هِيَ مَسْكَنُهُمْ﴾، قرأ حمزة وحفص «مسكنهم» بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف، وقرأ الآخرون «ساكنهم» على الجمع، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، ﴿لَايَةٌ﴾، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: ﴿جَنَّاتٍ﴾، أي هي جنتان بستانان، ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل عن يمين من أتاهم وشماله، وكان لهم وادٍ قيل أحاطت الجنتان بذلك الوادي ﴿كُلُوا﴾، أي قيل لهم كلوا، ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، يعني من ثمار الجنتين، قال السدي ومقاتل: كانت المرأة تحمل مكلتها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ مكلتها من أنواع الفواكه من غير أن تمس شيئاً بيدها، ﴿وَأَشْكُرُوا لَكُمْ﴾، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى: اعملوا بطاعته، ﴿بِلَدَّةٍ طَيِّبَةٍ﴾، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة، قال ابن زيد: لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا

ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء، فذلك قوله تعالى: ﴿بِلَدَّةٍ طَيِّبَةٍ﴾، أي طيبة الهواء، ﴿وَرَبِّ غَفُورٍ﴾، قال مقاتل: ورؤيكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب.

﴿فَاعْرَضُوا﴾.

قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله وذكرهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف الله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحس هذه النعم عنا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق.

وقيل: كان ماء أحمر، أرسله الله عليهم من حيث شاء..

وقيل «العرم»: الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة، وقال ابن عباس، ووهب، وغيرهما: كان ذلك السد بنته بلقيس، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالعرم، وهو المستاة بلغة حمير، فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن، فاحتبس

السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الباب الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك، فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جناتهم وخرب أرضهم.

قال وهب: وكان مما يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم: أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرم فساورتها حتى استأخرت منها الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى أوهته للسيل، وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خدلاً فدخل فيه حتى قطع السد، وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل، فتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب، يقولون صار بنو فلان أيدي سبأ وأيادي سبأ أي تفرقوا وتبددوا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

قرأ العامة بالتنوين، وقرأ أهل البصرة: «أكل خمط» بالإضافة، الأكل: الشمر، والخمط: الأراك وثمره يقال له: البربر، هذا قول أكثر

المفسرين: وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله فخمط.

وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضيع، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به، فمن جعل الخمط اسماً للمأكول فالتنوين في «أكل» حسن، ومن جعله أصلاً وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ، تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم [وأعناب كرم]، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنها منه، «وَأَثَلِي وَتَقْوِي مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ»، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر [وهو شجر معروف]، شجر النبق ينتفع بورقه لغسل الرأس ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرأ برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصيروه الله من شر الشجر بأعمالهم.

﴿٧﴾ «ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ»، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزئناهم بكفرهم، «وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكُفْرُ»، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب «وهل نجازي» بالنون وكسر الزاي، «الكفور» نصب لقوله: «ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ»، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي، «الكفور» رفع، أي وهل يجازي مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مناجد: يجازي أي يعاقب. ويقال في العقوبة: يجازي، وفي المثوبة يجزي، قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في

نعمه. قال الفراء: المؤمن يُجزي ولا يجازي أي يجزي للشواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

﴿٨﴾ «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ هِيَ قَرْيَةُ الشَّامِ»، «قَرْيَةُ ظَهْرَةَ»، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقولون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، «وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ»، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار.

وقال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مغزلهما، وعلى رأسها مكتلها فتمتن بمغزلهما فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك، «سَيْرُوا فِيهَا»، أي وقلنا لهم سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانوا يسرون فيها، «لَيَالِي وَأَيَّامًا»، أي بالليالي والأيام أي وقت شتتم، «أَيَّامِينَ»، لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي.

﴿٩﴾ «فَقَالُوا رَبَّنَا بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»، فاجعل بيننا وبيننا الشام فلوات ومفاوز لتركب فيها الرواحل وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال

مجاهد: بطروا النعمة وشموا الراحة. قرأ ابن كثير. وأبو عمرو: بعد التشديد من التبعيد، وقرأ الآخرون (باعد)، بالالف، وكل على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب: «ربنا» برفع الباء، «باعده» بفتح العين والبدال على الخبر، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريية ويطروا وأشروا. «وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ»، بالبطر والطنيان.

قوله تعالى: «فَجَعَلْنَاهُمْ لِمَاذِبِهِمْ عِبْرَةً لِّمَن بَعْدَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا أَلْفًا مِّن مِّثْلِهِمْ»، «وَنَزَّلْنَاهُمْ كُلَّ مَمْزُوقٍ»، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق. قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، أما غسان فالحقوا بالشام ومز الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، ومز آل خزيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ»، لعبراً ودلالات، «لِّكُلِّ صَبَّارٍ»، عن معاصي الله، «فَكُورٍ»، لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبوراً على البلاء شاكراً للنعماء. قال مطرف: هو المؤمن إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر.

﴿١٠﴾ قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِينَ إِذِ اسْتَأْذَنُواكَ أَن يَقُولُوا إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ»، قرأ أهل الكوفة: «صدق» بالتشديد أي ظن فيهم ظناً حيث قال: «فَمِعْرُوكَ لِأَعْرَابِهِمْ أَعْيِينِ» [ص: ٨٢] «وَلَا تَجِدُ أَكْفَرَهُمْ شَاكِرِينَ» [الأعراف: ١٧] فصدق ظنه حقيقه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَهُ حَقٌّ إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢١﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَرِيقًا كَمَ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُخْرِفْنَا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَحْفَثُهُمْ شُرَكَاءَ كَلَابِلٍ هُواللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِنَاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لَكُمْ يَوْمَآدٌ بَعْدَ يَوْمِ لَأْتَسْتَعْرَضُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْتَعِدُّونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نُوَدِّعُ إِذ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ أَصْحَابُ الَّذِينَ اسْتَعْجَلُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مَوْتٌ ﴿٢٩﴾

[فيهم]. قال الحسن: إنه لم يسأل عليهم سيقاً ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومناهم فاغثروا.

﴿٢١﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، أي ما كان تسليطنا إياهم عليهم، ﴿إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُوْتِي بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ فِي شَكٍّ﴾، أي إلا لتعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾، رقيب.

﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ﴾، يا محمد لكفار مكة، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أنهم آلهة، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وفي الآية حذف أي: ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿لَا يَلْبِغُونَ يَتَّقَالُ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، من خير وشر ونفع وضر ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، يعني الآلهة، ﴿فِيهَا﴾، في السموات والأرض، ﴿مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾، أي شركاء، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾، أي وما لله، ﴿بَيْنَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، عون.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَهُ حَقٌّ﴾، الله في الشفاعة، قاله تكديباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحمزة

والكسائي: «أذن» بضم الهمزة، ﴿حَقٌّ إِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي [وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي] أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم: إنما يفزع عن قلوبهم من غشية نصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل.

وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد، أنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، أنا نعيم بن حماد، أنا أبو الوليد بن مسلم، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان قال: قال: رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من

وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿فَأَتَّبَعُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عِبَادُ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

قال ابن قتبية: إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله، قال لأعويتهم أجمعين ولأضلتهم، لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً فيهم، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه

يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سألته ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله.

وقال بعضهم: إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة.

قال مقاتل والكلبي والسدي: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، خمسمائة وخمسين سنة، وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيًا، فلما بعث الله محمداً ﷺ كُلم جبريل عليه السلام بالرسالة إلى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمداً ﷺ عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة، فلما انحدر جبريل جعل يمرّ بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم قالوا: قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير.

وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركون. وقال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار.

﴿قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يرزقكم مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالرزق من السموات المطر، ومن الأرض النبات، ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، أي إن لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلٌّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى، ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب.

وقال بعضهم: «أو» بمعنى الوار، والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، يعني: نحن على الهدى وأنتم في الضلال.

﴿قُلْ لَا تَسْتَأْذِنُ عَنَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تَسْأَلُ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾، يقضي، ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾، أي أعلموني الذين ألحقتهم به [شركاء] أي في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿كَلَّا﴾، لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَزِيدُ﴾، الغالب على أمره، ﴿الْمَكِينُ﴾، في تدبيره لخلقه

فأنى يكون له شريك في ملكه.

﴿قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾، يعني للناس [عامّة] أحمرهم وأسودهم، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، أي مبشراً ومنذراً، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة».

وقيل: كافة أي: كافاً يكفهم عمّا هم عليه من الكفر، والهاء للمبالغة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يعني [يوم] القيامة.

﴿قُلْ لَكُمْ يَوْمَ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾.

﴿أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص منه﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعني التوراة والإنجيل، ﴿وَلَوْ رزقناهم﴾، يا محمد، ﴿إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْفُورُونَ﴾، محبوسون، ﴿عند رَبِّهِمْ يَجْمَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدل، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا﴾، استحققوا وهم الاتباع، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، وهم القادة والأشراف، ﴿وَلَوْ أَنَّم كُنَّا مؤمنين﴾، أي أنتم منبعموناً عن الإيمان بالله ورسوله.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْ مَكْرًا مَكْرًا نَدَّكَ
عَنِ الْمَدِينِ بَعْدَ إِجَاءِ كَرِيمٍ كَثُرَ شَجْرًا مَكْرًا مَكْرًا لِلَّذِينَ
اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ إِذْ
تَأْمُرُونَ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَابَ فِي أَصْنَافٍ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُحْجِرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٤﴾
فَلِإِنَّ رَبِّي بَسِطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقْرِيحِكُمْ عِنْدَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَافِعُ مَن وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْفَضْلِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
ءَابِئَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْتَصِرُونَ ﴿٣٧﴾ فَلِ
إِنَّ رَبِّي بَسِطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٨﴾

أَصْنَافٍ الَّذِينَ كَفَرُوا، في النار الأتباع والمتبعين جميعاً. هَلْ يُحْجِرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الكفر والمعاصي في الدنيا.

﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا، رؤساؤها وأغنياؤها، إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، يعني

قال المترفون للفقراء الذين آمنوا، نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا، ولو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يحوّلنا

للمأموال والأولاد، ﴿٣٣﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

﴿٣٤﴾ فَلِإِنَّ رَبِّي بَسِطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحاناً لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، ﴿٣٥﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، أنها كذلك.

﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقْرِيحِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ، أي قري، قال الأخفش: زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقريكم عندنا تقريباً، ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ، لکن من آمن، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال ابن عباس: يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْفَضْلِ بِمَا عَمِلُوا﴾، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبعمئة قرأ يعقوب: «جزاء» منصوباً مثنوياً

﴿٣٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقْرِيحِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ، أي قري، قال الأخفش: زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقريكم عندنا تقريباً، ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ، لکن من آمن، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال ابن عباس: يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْفَضْلِ بِمَا عَمِلُوا﴾، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبعمئة قرأ يعقوب: «جزاء» منصوباً مثنوياً

﴿٣٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، أجابهم المتبعون في الكفر، لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْ مَكْرًا مَكْرًا نَدَّكَ عَنِ الْمَدِينِ بَعْدَ إِجَاءِ كَرِيمٍ كَثُرَ شَجْرًا مَكْرًا مَكْرًا، بترك الإيمان.

﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ إِذْ تَأْمُرُونَ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَابَ فِي أَصْنَافٍ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْجِرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أي مكرهم بنا في الليل والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام، كما قال الشاعر:

ونمت وما ليل المطى بنائم
وقيل: مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ﴾، وأظهروا «النَّدَامَةَ»، وقيل: أخضوا، وهو من الأضداد، ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَابَ فِي

خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا ابن أبي أريس، أنا عبدالعزیز بن محمد عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقةً من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا أبو الربيع، أنا عبدالحميد بن الحسن الهلالي، أنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه كتب له بها صدقة»، قلت: ما يعني [ما] وقى الرجل عرضه؟ قال: «ما أعطى الشاعر وذا اللسان للمتقى، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عز وجل».

قوله: «قلت ما يعني» يقول عبدالحميد لمحمد بن المنكدر.

قال مجاهد: إذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد، ولا يتأول هذه الآية. «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» [سبأ: ٣٩]، فإن الرزق مقسوم لعل رزقه قليل، وهو ينفق

نفقة الموسع عليه. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جِيماً﴾، قرأ يعقوب وحفص: «يحشرهم»، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، «جِيماً» يعني هؤلاء الكفار، «ثُمَّ يُقَرَّرُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُكَ إِيَّاكَ كَانُوا يُعْبَدُونَ»، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾

[مريم: ١١٦]، فتتبرأ منهم الملائكة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً لسك، «أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ»، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، «بَلْ كَانُوا يُعْبَدُونَ الْجِنَّ»، يعني الشياطين، فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكف وجه قوله: «يُعْبَدُونَ الْجِنَّ»، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله: «يُعْبَدُونَ» أي يطيعون الجن، «أَكْفَرْتُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ»، يعني مصدقون للشياطين.

ثم يقول الله: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعاً﴾، بالشفاعة، «وَلَا ضَرّاً» بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر، «وَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جِيماً﴾، قرأ يعقوب وحفص: «يحشرهم»، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، «جِيماً» يعني هؤلاء الكفار، «ثُمَّ يُقَرَّرُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُكَ إِيَّاكَ كَانُوا يُعْبَدُونَ»، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ١١٦]، فتتبرأ منهم الملائكة. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾، تنزيهاً لسك، «أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ»، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، «بَلْ كَانُوا يُعْبَدُونَ الْجِنَّ»، يعني الشياطين، فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكف وجه قوله: «يُعْبَدُونَ الْجِنَّ»، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله: «يُعْبَدُونَ» أي يطيعون الجن، «أَكْفَرْتُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ»، يعني مصدقون للشياطين. ثم يقول الله: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعاً﴾، بالشفاعة، «وَلَا ضَرّاً» بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر، «وَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

﴿وَلِإِذَا نزلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا سِتتِ قَالُوا مَا هَذَا﴾، يعنون محمداً ﷺ، ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْذُرَ عَلَيْنَا مِثْلَ بَسْمِئِ وَأَبَائِكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آيَاتُ مُقَرَّرَى﴾، يعنون القرآن، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَنَا جَاءَهُمْ وَإِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَيْنِ﴾، أي بين: ﴿وَمَا ءَأْتَيْنَاهُمْ﴾، يعني هؤلاء المشركين، «مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا»، يقرؤونها، «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ»، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب. ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم رسلنا، وهم: عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط وغيرهم، «وَمَا بَلَّغُوا» يعني هؤلاء المشركين، «وَمَسَارَ»، أي عشر، «وَمَا ءَأْتَيْنَاهُمْ»، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، «فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيفَ كَانَ

يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إنهم ضلالتني على نفسي، ﴿وَلَنْ أَهْتَدِيثُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾، من القرآن والحكمة، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ﴾، قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾، أي فلا يفوتوني كما قال: ﴿وَلَأَنْ جِنَّ مَكَسٍ﴾ [ص: ٣]، وقيل: إذ فرغوا [عند الموت] فلا فوت ولا نجاة، ﴿وَأُخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، قال الكلبي من تحت أقدامهم، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيشما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أبيزى خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمراً تعتبر به.

﴿٤٨﴾ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾، حين عاينوا العذاب، وقيل: عند اليأس. وقيل: عند البعث. ﴿وَأَنَّ﴾، من أين، ﴿لَهُمُ النَّسَاوِشُ﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: التناوش بالمد والهمزة، وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مد ولا همز، ومعناه التناول أي كيف لهم تناول ما بعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريباً في الدنيا فضيعوه، ومن همز قيل: معناه هذا أيضاً.

وقيل: التناوش بالهمز من النيش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشاً أي مبطناً متأخراً، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم

﴿ثُمَّ تَنفَكُّوْا﴾ أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتداء فقال ما بصاحبكم من جنة.

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ عليه، على تبليغ الرسالة، ﴿مِنْ أَمْرٍ﴾، جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فنتهموني، ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لم أسألكم شيئاً كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما

﴿إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَوِيْعٌ﴾، أي إنكاره وتغييره عليهم، يُحذِرُ كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ﴾، أي بخصلة واحدة، ثم بين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مَشْفِقِينَ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿فَرْدَيْنِ﴾، أي واحداً واحداً، ﴿ثُمَّ تَنفَكُّوْا﴾، جميعاً أي

تجتمعون فتنتظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس، وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَقُومُوا لِلَيْتَنِ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]. ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله

﴿الْبَاطِلُ﴾ الأصنام. ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾، وذلك أن كفار مكة [كانوا]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَطْلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٦﴾ قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَلَنْ أَهْتَدِيثُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَاقَ قُورَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَإِنَّا لَمُتَّائُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٩﴾ وَقَدْ كَفَرْنَا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَبِقُدُورَتِ الْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٠﴾ وَجِئِلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥١﴾

سُورَةُ قَطْفٍ ﴿٥٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَسَدٌ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرِيْمًا أُولُو الْأَيْمَانِ وُتِّي وَرَبِّعَ بَرِيْدِي لِقَائِكُمْ مَا بَدَأْتُمْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْجِعُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ وَلَا مَسْكٍ لَهُمَا وَمَا يَسْكُ فَلَا تُرْمَلُ مِنْ بَدْوٍ وَهُوَ الْغَرِيْبُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ تَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرًا وَابْتِغَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حُلَّ مِنْ خَلْقِ عِبَادِ اللَّهِ بَرِّقُكُمْ مِنَ السَّمَلَةِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا قُوَّتَهُ ﴿٣﴾

﴿٤٦﴾ أي إنكاره وتغييره عليهم، يُحذِرُ كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ﴾، أي بخصلة واحدة، ثم بين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مَشْفِقِينَ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿فَرْدَيْنِ﴾، أي واحداً واحداً، ﴿ثُمَّ تَنفَكُّوْا﴾، جميعاً أي تجتمعون فتنتظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس، وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَقُومُوا لِلَيْتَنِ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]. ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله

فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا، **مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**، أي من الآخرة إلى الدنيا.

﴿٥٣﴾ **﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهٖ مِنْ قَبْلُ﴾**، أي بالقرآن، وقيل: بمحمد **﴿وَيَقْدُرُونَ بِالْيَقِيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾**، قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمداً بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

﴿٥٤﴾ **﴿وَجِئِلَ لِيَنبَهُمْ وَيُنَبِّئَهُنَّ﴾**، أي الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها، **﴿كَمَا قَوْلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾**، يعني بنظرانهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار، **﴿مِنْ قَبْلُ﴾**، أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس، **﴿إِنَّمَا كَانُوا فِي سَبِيلِكَ﴾**، من البعث ونزول العذاب بهم، **﴿ثَوِيْبٍ﴾**، موقع لهم الريبة والتهمة.

سورة فاطر

مكية [وهي خمس وأربعون آية].
بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، خالقها ومبدعها على غير

مثال سبق، **﴿يَا عِيسَى الْمَسِيحَ رَبَّيْنَا أَوَّلَ آيَاتِهِ﴾**، ذوي أجنحة **﴿مَتَنَّى وَتَلَكَّ وَرَبَّيْنَى﴾**.

قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله: **﴿يَزِيدُ فِي الْفَاقِ مَا يَشَاءُ﴾**، وقال [عبدالله] بن مسعود في قوله عز وجل: **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** [النجم: ١٨]، قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وقال ابن شهاب في قوله: **﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾** قال: حسن الصوت. وعن قتادة قال: هو الملاحة في العينين. وقيل: هو العقل والتمييز. **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**.

﴿٢﴾ **﴿مَّا يَفْتِجُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾**، قيل: من مطر وورق، **﴿فَلَا تُسَبِّحُهَا﴾**، لا يستطيع أحد [على] حبسها، **﴿وَمَا يُسَبِّحُهَا إِلَّا مَنُورٌ مِّنْ رَبِّهِ﴾**، فيما أمسك **﴿الْمَكِّيْمِ﴾**، فيما أرسل من مطر وورق.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا عبدالله بن أسباط، أنا أبي [قال]: أنا عبدالملك بن عمير، عن وواد،

وَلَيْنَ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِيَ اللَّهُ رَحْمَةً الْأُمُورِ
﴿٣﴾ **﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ عَدَلِ الْوَحْيِ فَلَا تَعْرَفُكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا تَعْرَفُكُمْ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ﴾** **﴿٤﴾** **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حَزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** **﴿٥﴾** **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** **﴿٦﴾** **﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ مَوَدَّةٌ مِنْهُ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** **﴿٧﴾** **﴿وَاللهُ أَلَيْسَ أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ مَوْتًا مِمَّنْ قَدْ مَاتَ فَقَدْ مَتَّعْتَهُ إِلَىٰ بَدْمِيَّتٍ فَاحْتَبَاهُ الْأَرْضَ بِعَدْوٍ مَوْجِبًا كَذَلِكَ الشُّورُ﴾** **﴿٨﴾** **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَزَا فَلِيهِ الْغَزَا جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَكُرْهُوا إِلَيْكَ مُجْمِعِينَ﴾** **﴿٩﴾** **﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمِرُ مِنْ عُمرٍ وَلَا يُفْسِدُ مِنْ عُمرٍ مِمَّنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

عن المغيرة بن شعبة، أن رسول الله **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: **﴿لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجلد منك الجد﴾**.

﴿٣﴾ **﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نَسْتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾**، قرأ حمزة والكسائي «غير» بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن «من» زائدة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال: لا خالق غير الله، **﴿يُرِزُّكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾**، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذُوا لَهُ حِزْبًا﴾**.

﴿٤﴾ **﴿وَأَنَّ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾**، يعزى نبيه **﴿صلى الله عليه وسلم﴾**، **﴿وَأَنَّ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾**، يعزى نبيه **﴿صلى الله عليه وسلم﴾**، **﴿وَأَنَّ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾**، يعزى نبيه **﴿صلى الله عليه وسلم﴾**.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني وعد القيامة، ﴿فَلَا تَعْرَبْكُمْ لَعْنَةُ الَّذِينَ لَا يُفْرَقُكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُودُ﴾، وهو الشيطان.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾، أي أشياعه وأولياءه، ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم. فاما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ﴾ شبه وموه ﴿عليه﴾ وحسن ﴿لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي قبيح عمله، ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾، زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾، فيكون معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

وقال الحسين بن الفضل: فيه

تقديم وتأخير مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، وقرأ أبو جعفر: «فلا تذهب» بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئَ سَحَابًا فَسَقَنَّا إِلَىٰ بُرُوجِنَا فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ من القبور.

﴿قوله عز وجل﴾: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا»، قال الفراء معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي فليطلبه من عنده، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزيز كما قال الله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ كلاً [مریم: ٨١].

وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَانَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَتْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] [إليه]، أي إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني،

أنا أبو جعفر الرياني، أنا حميد بن زنجويه، أنا الحجاج بن نصر، أنا المسعودي عن عبدالله بن المحارق، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: إذا حدثتكم حديثاً أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل: ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه حتى صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقاتلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين، ومصداقه ذلك من كتاب الله عز وجل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، ذكره ابن مسعود. وقيل: «الكلم الطيب» ذكر الله. وعن قتادة: «إليه يصعد الكلم الطيب» أي يقبل الله الكلم الطيب. قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي يرفع العمل الصالح الكلام الطيب، فالهاء في قوله ﴿يَرْفَعُهُ﴾ راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وأكثر المفسرين. وقال الحسن وقاتدة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه زد كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وفر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح زد الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وجاء في الحديث: «لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية».

وقال قوم: الهاء في قوله «يرفعه» راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل: وقيل: الرفع من صفة الله عز وجل معناه: العمل الصالح يرفعه الله عز وجل. وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح [هوا]

الخالص، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله عز وجل: ﴿تَلْعَمَلْ عِبَادًا صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِمِيعَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠]، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال الكلبي: أي الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَكَبَّرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء، ﴿كَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُؤْرَدُونَ﴾، يطل ويهلك في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَسْلٍ﴾، أي آدم، ﴿ثُمَّ مِنْ نَفْسٍ وَنَسْلٍ﴾، يعني نسله، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، ذكرانا وإناثا، ﴿وَمَا يَحْتَسِبُ مِنْ أَنْتَ وَلَا تَضَعُ إِلَّا إِلَهًا بَدَلَهُ وَمَا يَحْتَسِبُ مِنْ عَمَلِهِ﴾، لا يطول عمره، ﴿وَلَا يَخْشَى مِنَ اللَّهِ عِشْرِينَ﴾، يعني من عمره آخره، كما يقال لفلان عندي درهم

ونصفه أي نصف درهم آخر، ﴿إِلَّا فِي كَيْسِيَّةٍ﴾، وقيل: قوله: «ولا ينقص من عمره» منصرف إلى الأول.

قال سعيد بن جبيرة: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره.

وقال كعب الأحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة: والله لو دعا عمر به أن يؤخر أجله

لأخر، فقبل له إن الله عز وجل يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. فقال: هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص، وقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، يعني: العذب والمالح، ثم ذكرهما فصال، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ﴾، طيب، ﴿سَائِحٌ شَرَابُهُ﴾، أي جائز في الحلق هنيء، ﴿وَهَذَا يَلْحُ الْأَجْحُ﴾، شديد الملوحة. وقال الضحاک: هو المجر. ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، يعني الجيتان من العذاب والمالح جميعا، ﴿وَيَسْتَخِرُونَ ظِلَّةً﴾، أي من المالح دون العذب «تَلْبَسُونَهَا»، يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ إليهما

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِحٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَلْحُ الْأَجْحُ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخِرُونَ ظِلَّةً تَلْبَسُونَهَا وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرُ لَيْسَتْ بِمِيزَانٍ وَمَا يَلْعَمَلْ عِبَادًا صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِمِيعَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾

لأنه يكون في البحر الأجاج، عيون عذبة تمتزج بالمالح فيكون اللؤلؤ من [مين] ذلك، ﴿وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرُ﴾، جوازي مقبلة ومدبرة بريح واحدة، ﴿لَيْسَتْ بِمِيزَانٍ﴾، بالتجارة، ﴿وَمَا يَلْعَمَلْ عِبَادًا صَالِحًا﴾، على نعمة.

﴿١٢﴾ ﴿بُولِجِ الْآبِلِ فِي النَّهَارِ وَيُولِجِ النَّهَارِ فِي الْآبِلِ وَيَجْرَى السَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ بِحُجْرَتِهِ لِأَجْلِ مَسْئَلِ ذَلِكَ اللَّهُ رِزْقَكُمْ لَهُ الْمَلَكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿مَا يَلْعَمَلْ عِبَادًا صَالِحًا﴾، وهو لفاضة النواة، وهي القشيرة الرقيقة التي تكون على النواة.

﴿١٣﴾ ﴿إِنْ تَدْعُهُمْ﴾، يعني إن تدعو الأصنام، ﴿لَا يَسْمَعُوا دَعْوَتَكَ وَلَا يَخَافُونَكَ﴾، ما اجابوكم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٌ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٠﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ مِّمَّا مَضَىٰ إِلَّا خَلَا، سلف، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾، نبي منذر.

﴿٢٢﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَلْبِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٣﴾ بِالْكِتَابِ النَّبِيِّ، الواضح كرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزير على طريق التأكيد.

﴿٢٤﴾ قُلْ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ تَكْوِينُ، أي إنكاره.

﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْبَعَابِ فَخَلَقْنَا النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ كُلَّ غَلْفٍ أَلْوَانٌ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْقَرُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ كِبَارًا كُنُّ بَصِيرًا ﴿٢٨﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَعْوَابَهُمْ وَيَرْزِقَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٩﴾

عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع [حمل شيء] حسبي ما علي.

﴿٣٠﴾ إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ، يخافون، ﴿رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروه. وقال الأخفش: تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى﴾، صلح وعمل خيرا، ﴿فَأَنَّمَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ﴾، لها نوابه، ﴿وَالَى اللَّهُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿٣١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ، يعني الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرك.

﴿٣٢﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، يعني الكفر والإيمان.

﴿٣٣﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: «الحرور» الريح الحارة بالليل، و«السموم» بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

﴿٣٤﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ، يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾، حتى يتعظ ويجيب، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٌ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾، يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يحيوا.

﴿٣٥﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ، ما أنت إلا منذر تحوِّفهم بالنار.

﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني.

﴿٣٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال أسود غريب، أي شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب، أي طرائق سود.

﴿٣٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْبَعَابِ فَخَلَقْنَا النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ كُلَّ غَلْفٍ أَلْوَانٌ كَذَلِكَ، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتم الكلام هنا ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني.

﴿٣٩﴾ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ [بْنِ أَحْمَدَ] الْمَلِيحِي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عمر بن

بشركمكم [أي] يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها، ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون. ﴿وَلَا يَبْتَئِكَ بِشَلِّ خَيْرٍ﴾، يعني: نفسه أي: لا ينبتك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، إلى فضل الله والفقير المحتاج، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٧﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤٨﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، شديد.

﴿٤٩﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٥٠﴾ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ ذُنُوبِهَا غَيْرَهَا، ﴿إِن جَمَلًا﴾، أي حمل ما عليها من الذنوب، ﴿وَلَا يَحْمِلُ مِتَّةً شَيْءٌ وَكَرَّ كَانِذَا قَرِينٌ﴾، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن

حفص، أنا أبي [ثنا] الأعمش، أنا مسلم، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»، وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاعتزاز بالله جهلاً.

وقال رجلٌ للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال الشعبي: إنما العالم من خشى الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

﴿قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾، يعني قرأوا القرآن، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفراء: قوله «يرجون» جواب لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾.

﴿﴿يُؤْتِيهِمُ أَجْرَهُمُ﴾، جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من الكتب، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، يعني الكتاب الذي أنزلناه إليك الذي ذكر في الآية الأولى، وهو القرآن، جعلناه ينتهي إلى: ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، ويكون «ثم» بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧]،

أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد، وقيل: «أورثنا» أي أخرجنا، ومنه الميراث لأنه أخرج عن الميت، ومعناه أخرجنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأهلتاكم له ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿فِيْنَهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

روي عن أسامة بن زيد في قوله عز وجل: ﴿فِيْنَهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، الآية قال: قال النبي ﷺ: «كلهم من هذه الأمة».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعبي أخبرني [أبو]

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يَجْتَوُونَ فِيهَا مِنَ الْأَشجارِ مِنْ ذَهَبٍ وَأُكُلُوا وَلا يَسأمهم فيها حريرٌ﴾ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنا ربنا لعفورٌ شكورٌ﴾ ﴿الَّذِي أَلْهَمَنَا دَارَ الْقَامَةِ مِنْ قَبْلِهِ لَئِيَسْتَأْذِنَ فِيهَا ناصِبٌ وَلا يَمَسُّنا فيها الضُّرُّ﴾ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقضى عليهم فيها موتٌ وَلا يَحْتَفَ عنهم من عذابها كذلك تجري كلُّ عُقُوبَةٍ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فيها ربنا أخرجنا نعمل مثلاً صاعداً الذي كنا نعمل أولاً ونعمركم ما نبدل حركته من تذكروا ما كنتم تنذرون فذوقوا أفعال الظالمين من نصير﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عليمٌ غيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

الحسين بن محمد بن فنجويه، أنا محمد بن علي بن الحسين بن النقاضي، أنا بكر بن محمد المرزوي، أنا أبو قلابة، [ثنا] عمرو بن الحصين، عن الفضل بن عميرة، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، الآية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»، قال أبو قلابة: فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه.

واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن

عيسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللهم ارحم غربتي، وأنس وحشتي وسق لي جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك، سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿لِمَ أَوْزَيْنَا الْكَذِبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فقال: «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسير، وأما الظالم لنفسه فيحاسبه [الله] في المقام حتى يدخله بهم، ثم يدخل الجنة» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا لَمَنَدَّ لِلَّهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّكُمْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل: ﴿لِمَ أَوْزَيْنَا الْكَذِبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا.

وقال مجاهد، والحسن، وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب

المشامة، ومنهم مقتصد وهم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم.

وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرآني، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره. وقيل: الظالم من وخذ الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وخذ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه. والسابق من وخذ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله.

وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارئ له العالم به، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبار والمقتصد أصحاب الصغار، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبدالله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل. قال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكمزه، وأن الظلم لا

يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لثلاث يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة. وقال أبو بكر الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قرية، فإن عصى دخل في حيز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين.

وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلفة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سابق إلى الجنة أو إلى رحمة الله «بالخيرات» أي بالأعمال الصالحات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بأمير الله وإرادته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، يعني إيراثهم الكتاب.

﴿٣٣﴾ ثم أخبر بشوابههم فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، يعنني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو «يدخلونها» بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿٣٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾، أي ويقولون إذا دخلوا الجنة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن الموت. النار. وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقلب القلب، وخوف العقاب، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير: هم الخبز في الدنيا. وقيل: هم المعيشة. وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن [محمد بن] الضحاک الخطيب، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائيني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أنا أبو العباس أحمد بن محمد الترابي، ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأنني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم،

ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا، نَارَ الْقَامَةِ﴾، أي الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَفْسٌ﴾، أي لا يصيبنا فيها عناء ومشقة، ﴿وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نُفُوسٌ﴾، إعياء من التعب.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُهَا، أي لا يهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، أي قتله.

وقيل: لا يقضى عليهم السموات فيموتوا، كقوله: ﴿وَنَادَىٰ بِكَ لِيَقْضَىٰ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] أي ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿وَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾، من عذاب النار، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾، كافر، قرأ أبو عمرو «يجزي» بالياء وضمها وفتح الزاي «كل» رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي، «كل» نصب.

﴿٣٧﴾ ﴿وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿فِيهَا﴾ وهم يفتعلون من الصراخ وهو الصياح يقولون، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، منها من النار، ﴿تَعْمَلْ صَنَائِعًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم: توبيخاً ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْدَكَّرُ فِيهِ مِن دَكَّرٍ﴾، قيل: هو البلوغ. وقال عطية وقاتدة والكلبي: ثمان عشرة

سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروي ذلك عن علي، وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبدالسلام بن مطهر، حدثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهاويه حدثنا الحسن بن عرفة، أنا المحاربي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك».

قوله: ﴿وَمَا كُمْ أَتَدْرُونَ﴾، يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة، وسفيان بن عيينة، ووكيع: هو الشيب معناه: أولم نعلمكم حتى شيبتم. ويقال: الشيبه نادير الموت. وفي الأثر: ما من شجرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد

هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمَنْ عَلَنَ يَسْتَبِئُ مِنْهُ لَوْلَا يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٩﴾ إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَسْكَمْتُمْ أَصْغَرَهُمْ عِلْمًا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَيْتَ جَاهَهُمْ نَذِيرًا لِكُلِّ مَنْ أَهْدَى مِنَ الْإِنْسَانِ لِحَدَى الْأُمَّمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَأْزَاتُهُمْ لَا نُفُورًا ﴿٤١﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَنْ يُجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يُجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٢﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا لَهُمْ قَدِيرًا وَمَا كَانُوا لِيُعْجِزُوا مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٣﴾

قال مقاتل: هل أعطينا كفار مكة كتاباً، ﴿فَهُمْ عَلَىٰ يَسْتَبِئُ مِنْهُ﴾، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وحفص «بينه» على التوحيد، وقرأ الآخرون «بينات» على الجمع، يعني دلائل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان. ﴿لَنْ يَنْزِلَ إِلَّا غُرُورًا﴾، أي ما يعيد، ﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾، والغرور ما يغر الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل:

﴿٣٨﴾ ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، نصب ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ على البذل من النفور، ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، يعني العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته.

قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة «مكر السيء» بسكون الهمزة تخفيفاً وهي قراءة الأعمش، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، أي لا يحل ولا يحيط المكر السيء، ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. والمعنى: إن وبال مكرهم راجع عليهم، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، ينتظرون، ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ﴾، إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار، ﴿فَلَنْ يُجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يُجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا لَهُمْ قَدِيرًا وَمَا كَانُوا لِيُعْجِزُوا مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ﴾، يعني ليفوت عنه، ﴿مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

يعني ما يعيد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل.

﴿٤١﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُعِصِّتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أي كيلا تزولا، ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَسْكَمْتُمْ مِنْ لَدُونِ عُنُقِكُمْ﴾، أي ما يمسخها أحد من بعده، أي أحد سواه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا غَفُورًا﴾، فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكها الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا لو

قرب الموت. قوله: ﴿فَدُورًا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَاصِرٍ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ﴾، أي يخلق بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها. ورات فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر به. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، أي عليه وبال كفره ﴿وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾، غضباً ﴿وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني: الأصنام، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾،

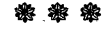
الكفار حيث قالوا:

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وهو خبر بعد خبر، أي إنه لمن المرسلين وإنه على صراط مستقيم.

وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿تَنْزِيلَ﴾ بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو تنزيل العزيز الرحيم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ ، من الجرائم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾ ، يعني على ظهر الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿مِن دَابَّتْهُ﴾ ، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿وَلَوْ كُنَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْذِنُ بَعْثُهُمْ فِيهَا﴾ ، [قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته].



سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَسْ﴾ ، و﴿س﴾ [القلم: ١]، قرأ بإخفاء النون فيهما: ابن عامر، والكسائي، وأبو بكر وقالون يخفي النون من ﴿يس﴾ ويظهرها من ﴿ن﴾، والباقيون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل ﴿يس﴾ حسب اختلافهم في حروف التهجي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: [هوا] قسم، ويروى عنه أن معناه: يا إنسان، بلغة طيء، يعني محمداً ﷺ، وهو قول الحسن، وسعيد بن جبير، وجماعة. وقال أبو العالية: [معناه] يا رجل. وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

﴿وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ﴾ ، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، أقسم الله بالقرآن أن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو رد على



وأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله تعالى بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يره حتى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه، لو دنوت منه لاكلني، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ أَغْلَالًا﴾.

قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، [بل] أراد: ومنعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً للملك، قال الفراء: معشله إذا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولًا إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] معناه لا تمسكها عن

﴿لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ﴾ ، قيل: ﴿ما﴾ للنفي أي: لم ينذر آبؤهم، لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل ﴿ما﴾ بمعنى الذي، أي: لتنذر قوماً بالذي أنذر آبؤهم، ﴿فَهُمْ غَفَلُونَ﴾ ، عن الإيمان والرشد.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ ، وجب العذاب، ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، هذا كقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ أَغْلَالًا﴾ ، نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين.

وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه بالحجر وهو يصلي، فاتاه يوماً وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، فلما عاد إلى أصحابه

أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن هشام بن ملاس النميري، حدثنا مروان الفزاري، حدثنا حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: أرادت بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة، فقال: «يا بني سلمة ألا تحسبون آتاكمم؟»، فأقاموا.

وأخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشي، والذي ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام».

﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ وَعَدَدْنَاهُ وَبَيْنَانَهُ﴾ ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾، يعني اذكر لهم شياً مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار، صاحب يس فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا:

﴿١٨﴾ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾، يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه، ﴿رَحِمَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ فَبَيِّنُهُ يَعْصِفُوهُ وَأَجْرِ كَبِيرٍ﴾، حسن وهو الجنة.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتُونَ﴾، عند البعث، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾، من الأعمال من خير وشر، ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾، أي ما سنا

من سنة حسنة أو سيئة.

قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً يَعْمَلُ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً يَعْمَلُ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَمِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

وقال قوم: قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانذَرْتَهُمْ﴾ أي: خطاهم إلى المساجد.

رُوي عن أبي سعد الخدري قال: شكك بنو سلمة بُعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانذَرْتَهُمْ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، حدثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي، حدثنا

وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٧﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِالنَّاسِ لِكَيْ يَقُولَ الْوَالِدَ إِتْيَاكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا مَا أَتَانَا لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا وَمَا نَرَى أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا إِنَّمَا بُعِثُوا بِمَنَافِعِ النَّاسِ لِيَلْمُوا الَّذِينَ أَضَلُّوا وَأَلَّا يَذَّكَّرُوا إِنَّ الْأَعْيُنَ رَأَتْهُمْ لَئِنْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُفَّوهُم مَثَرُ طَائِفَةٍ مِمَّنْ كَفَرُوا فَذَعَرْتُهُم بِآيَاتِنَا فَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِفْكٌ مِمَّنْ بَدَلَتْ وُجُوهُهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْفُسَهُمُ الْفَرَاسِيقِ ﴿٢١﴾ أَنْفِقُوا مِنْ لَدُنْكُمْ وَأَجْرُهُمْ فَهُمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كُنْ هَادِياً مُّبِيناً ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَدْعَى الْكُفْرَةَ فَكَفَرُوا ﴿٢٥﴾ فَأَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فَتَقَرَّرْنَا بِهِنَّ وَنُفِخَ فِي السُّورِ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فَتَقَرَّرْنَا بِهِنَّ وَنُفِخَ فِي السُّورِ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فَتَقَرَّرْنَا بِهِنَّ وَنُفِخَ فِي السُّورِ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نُنزِلُ الْقُرْآنَ فَتَقَرَّرْنَا بِهِنَّ وَنُفِخَ فِي السُّورِ ﴿٣٠﴾

النفقة. ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾، وهي كناية عن الأيدي - وإن لم يجر لها ذكر - لأن الغل يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، ﴿فَهُمْ مُّقْتَحُونَ﴾ والمقمح الذي رفع رأسه وغط بصره، يقال: بعير قامح إذا روى من الماء، فأقمح إذا رفع رأسه وغط بصره. قال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها.

﴿٣١﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبْأً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَبْأً﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سداً) بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمها، ﴿فَأَنشَيْنَاهُمْ﴾، فأعميناهم من التغطية وهي التغطية، ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، سبيل الهدى.

رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالوا: نعم، نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ ستين، قالوا: فانطلق بنا نطلع على حاله، فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه، فقام في الوقت - بإذن الله - صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهما ملك، - قال وهب: كان اسمه انطيوخس -، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قال: فانتهى الخبر إليه فدعاهما، فقال: من أنتما؟ قالوا: رسولا عيسى، قال: وفيم جئتما؟ قالوا: ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال لهما: ولكما إله دون آلهتنا؟ قالوا: نعم، من أوجدك وآلهتك؟ قال: قوماً حتى أنظر في أمركما، فتتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق. قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلأ إلى ملكها، وطال مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبراً وذكراً الله، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على إثرهما ليتصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات

يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضرتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالوا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا، فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالوا: ما تمناه فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زال يدعوهم بهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك، فقال الملك: ليس لي عنك سر [أسره إليك] إن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للمرسلين: إن قدر إلهكم الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنأ به وبكما، قالوا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا أخوته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه [وينظره]، وكان غائباً فجاءوا بالميت

وقد تغير وأروح فجعل يدعوهم بهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربه سرأ، فقام الميت، وقال: إني قدمت منذ سبعة أيام ووجدت مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه آمنوا بالله [حتى تنجوا منها]، ثم قال: فتحت لي أبواب السماء فظننت، وفرايت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله [قد] أثر في الملك أخبره بالحال، ودعاه إلى الإسلام فأمن الملك وآمن قوم كثير، وكفر [قوم] آخرون.

وقيل: إن ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت، فقال شمعون للملك: اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك، فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما في السر، فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت، وقالت: أسلموا فإنهما صادقان، قالت: ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يردها إلى مكانها فذرا ثراباً على رأسها وعادت إلى قبرها كما كانت.

وقال ابن إسحاق عن كعب وهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فيبلغ ذلك حبيباً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّبِينَ﴾، وقال وهب:

اسمهما يوحنا وبولس، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾، ﴿فَعَزَّزْنَا﴾، يعني فقوينا ﴿بِآيَاتِنَا﴾، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا، بالتخفيف والتثقل.

وقيل: أي فغلبناه كقولهم: من عز بز. وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى ﴿فَقَالُوا﴾، جميعاً لأهل أنطاكية، ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿١٥﴾ قَالُوا مَا آتَانَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

﴿١٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا بَعَثَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ لَمَرْسَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِّيرُنَا بِكُمْ، تشاء منا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: [ما] أصابنا هذا [إلا] بشؤمكم، [لئن لم تنتهوا لرتجتمكم]، لنقتلنكم، وقال قتادة: بالحجارة، ﴿وَأَمْسَكْنَا بِمَا عَدَاكُمُ إِلَهٌ﴾.

﴿١٩﴾ قَالُوا طَعْنَكُمْ مَعَكُمْ، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم، يعني أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿إِن دُكِّرْتُم﴾، يعني وعظمت بالله، وهذا استفهام محذوف، الجواب [مجازه]: إن

ذكرتم [و] وعظمت بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر أن بفتح الهمزة المدينة ذكرتم بالتخفيف، ﴿قُلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾، مشركون مجاوزون الحد.

﴿٢٠﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبِّهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسِيءُ﴾، وهو حبيب النجار، وقال السدي: كان قضاراً.

وقال وهب: كان رجلاً يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُوا اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿٢١﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَتَّبِعُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد ربه، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: أتسألون على هذا أجراً؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: ﴿يَتَقَوَّرُوا اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَتَّبِعُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديتنا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم؟

﴿٢٢﴾ فَقَالَ: ﴿وَمَا لِي لَّا أَتَّخِذَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب «مالي» بإسكان الياء، والآخرين بفتحها. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق. وقيل: إنه لما قال: اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه إلى

الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم على دينهم وتعبد آلهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِي لَّا أَتَّخِذَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، يعني وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾ تردون عند البعث فيجزئكم بأعمالكم.

﴿٢٣﴾ ﴿اتَّخِذْ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾، استفهام بمعنى الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلِهَةً، ﴿إِن يَرِذْنَ الرَّحْمَنُ يَصْرِفْ﴾، بسوء ومكروه، ﴿لَّا تَعْنِي عَنِّي﴾، لا تدفع عني، ﴿شَفَعَتْهُمْ شَيْئًا﴾ أي لا شفاعة لها أصلاً فتغني ﴿وَلَا يَتَّقُونَ﴾ من ذلك المكروه وقيل لا يتقذون من العذاب لو عذبن الله إن فعلت ذلك.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنِّي إِذَا لَبِيتُ صَلَّيْتُ تُبَّيِّنُ﴾ خطأ ظاهر.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنِّي إِذْ مَسَّكُمُ الرَّجْسُ فَاسْمَعْتُمْ﴾، يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. قال ابن مسعود: وطوره بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره. قال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي، حتى قطعوه وقتلوه. وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقة فعلقوه بسور من سور المدينة، وقبروه بأنطاكية فأدخله الله الجنة، وهو حي فيها يرزق.

﴿٢٦﴾ فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، فلما أفضى إلى الجنة، ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ قَوْمِي يَتَّبِعُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿يَا عَقْرَبِي رَبِّي﴾، أي بغفران ربي لي، ﴿وَيُحْطَى مِنَ الْمُكْرَبِينَ﴾، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين

الرسول، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم العقوبة، فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

﴿٢٨﴾ فذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ سَمَكٍ﴾، يعني الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي وما كنا نفعل هذا، بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي على قوم حبيب من بعد قتله ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنْ سَمَكٍ﴾ وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكتناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بين عقوبتهم.

﴿٢٩﴾ فقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ﴾، ميتون.

﴿٣٠﴾ ﴿يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِيَادِ﴾، قال عكرمة: يعني يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة: شدة الندامة.

وفيه قولان: أحدهما: يقول الله تعالى: ﴿يَحْضَرُونَ﴾ وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسول، والآخر أنه من قول الهالكين.

قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد. يعني الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم يفهمهم.

قال الأزهري: الحسرة لا تدعى، ودعاؤها تنبيه المخاطبين.

وقيل: العرب تقول: يا حسرتا ويا عجباً، على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكانه يقول: يا أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب، وثم بين سبب الحسرة والندامة، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ يَرْزُقْنَا﴾، ألم يخبروا يعني أهل مكة، ﴿كَرَّ أَهْلُكُنَّا بِقُلُوبِهِمْ﴾، والقرون: أهل كل عصر، سمووا بذلك لاقرانهم في الوجود، ﴿أَنَّهُمْ لِلَّيْمِ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون به.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَنَّا بَجِيعٌ﴾، قرأ عاصم وحزمة ﴿لَمَنَّا﴾ بالتشديد ههنا وفي الزخرف [٣٥] والطارق [٤]، وافق ابن عامر إلا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فمن شدد جعل ﴿إِنْ﴾ بمعنى المجدد، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا، تقديره: وما كل إلا جميع، ومن خفف جعل ﴿إِنْ﴾ للتحقيق و﴿لَمَّا﴾ صلة، مجازه. وكل جميع، ﴿لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَوَايَةَ لِمُنَّ الْأَرْضِ أَلْبَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا﴾، بالمطر، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾، ﴿٢٩﴾ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ﴾، ﴿٣٠﴾ ﴿يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِيَادِ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، ﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ يَرْزُقْنَا كَرَّ أَهْلُكُنَّا بِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ لِلَّيْمِ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ﴿٣٢﴾ ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَنَّا بَجِيعٌ لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ﴾، ﴿٣٣﴾ ﴿وَوَايَةَ لِمُنَّ الْأَرْضِ أَلْبَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَقًّا قَوْمًا كَاذِبِينَ﴾، ﴿٣٤﴾ ﴿وَحَمَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجْرًا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِیَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، ﴿٣٥﴾ ﴿سُجُنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كَلَّمَا وَنَاتَيْنَا تِلْكَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا لَأَعْلَمُونَ﴾، ﴿٣٦﴾ ﴿وَإِنَّا لَهُمْ لَئِيلٌ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ إِذَا هُمْ يَنْظُمُونَ﴾، ﴿٣٧﴾ ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ﴿٣٨﴾ ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرًا سَتَارٌ كَلَّا بَدَا لَعْنَةُ الْقَدِيرِ﴾، ﴿٣٩﴾ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِيلُ سَائِقٍ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿٣٤﴾، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما، ﴿فِيْنَهُ يَأْكُلُونَ﴾، أي من الحب.

﴿٣٥﴾ ﴿وَحَمَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ﴾، بساتين، ﴿مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجْرًا فِيهَا﴾، في الأرض، ﴿مِنْ الْعُيُونِ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، أي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «عملت» بغيرها، وقرأ الآخرون «عملته» بالهاء، أي: يأكلون من الذي عملته، ﴿أَيْدِيهِمْ﴾، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى ﴿مَا﴾ التي هي بمعنى الذي. وقيل: و﴿مَا﴾ للسففي في قوله ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا بمعنى قول الضحاك ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل

لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: «والشمس تجري لا مستقر لها»، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ﴾، أي قدرنا له، قرأ ابن كثير، ونافع، وأهل البصرة «والقمر» برفع الراء لقوله: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: ﴿قَدَرْتَهُ﴾ أي قدرنا القمر، ﴿مَنَازِلَ﴾، وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس [٥]، فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْقَدِيرِ﴾، العرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ، فإذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به.

﴿٣٧﴾ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾، أي: لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما

إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقياس الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقد صح عن النسبي رضي الله عنه أنه قال: «مستقرها تحت العرش».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا الحميدي، أنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي أخبرنا وكيع، محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن الأعمش عن إبراهيم [التيمي] عن أبيه عن أبي ذر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن

وَأَيُّهُ لَهَا مُسْتَقَرٌّ وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا كُلَّ نَفْسٍ بِسْمِ رَبِّهَا الْعَلِيمِ ﴿٣٦﴾ وَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ إِذَا تَوَلَّىٰ سَوَاءً فَإِنَّ لَهَا فِي الْعَرْشِ رَبَّهَا فَيَكُونُ لِهَا يُسُورَةٌ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ لِيَسْأَلَ سَأَلًا بِأَعْيُنِنَا إِنَّمَا تَدْرِكُهُ مِنَ الْبُحْرِ دُجَانًا وَمِمَّا يُغْتَبَضُّ فِيهَا النَّارُ وَالْقَمَرُ بِرُبْحَمَةٍ مُّجْرَبٌ وَسَاكِنٌ بِرِبْحَمَتِنَا أَكْبَادًا ﴿٣٩﴾ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾

دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾، نعمه الله.

﴿٣٦﴾ ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ جَنَاحًا بِجَنَاحِهَا﴾، أي الأصناف كلها، ﴿وَمِمَّا تُنِثُّ الْأَرْضُ﴾، من الشمار والحبوب، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني الذكور والإناث، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

﴿٣٧﴾ ﴿وَأَيُّهُ لَهَا مُسْتَقَرٌّ﴾، تدل على قدرتنا، ﴿أَيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾، ننزع ونكشط، ﴿وَبِئْتَهُ النَّهَارُ إِذَا هُمْ يُنْقَلِبُونَ﴾، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب بالنهار وتجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

﴿٣٨﴾ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، أي إلى مستقر لها، قيل:

صاحبه قامت القيامة. وقيل: ﴿لَا أَلْتَمَسُ بِنَبِيِّ لَمَّا أَنْ تَدْرِكَ الْآخِرَ﴾ أي تجتمع معه في فلك واحد ﴿وَلَا أَيْلُ سَائِقِ النَّهَارِ﴾ أي لا يتصل ليل ليل لا يكون بينهما نهار فاصل، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾، يجرون.

﴿٤١﴾ ﴿وَأَيُّهُمُ لَمَّا أَنَا حَلَمْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب ﴿وَذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بجمع، وقرأ الآخرون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، فمن جمع كسر التاء، ومن لم يجمع نصبها، والمراد بالذرية: الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، ﴿فِي أَلْفَاكِ السَّمَوَاتِ﴾، أي المملوء، وأراد سفينة نوح، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح، وكانوا في أصلابهم.

﴿٤٢﴾ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ نِجَاهِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾، قيل: أراد به السفن الصغار التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها. وقيل: أراد [به] السفن الصغار التي تجري في الأنهار، فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، هذا قول قتادة، والضحاك وغيرهما.

وروي عن ابن عباس: أنه قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ نِجَاهِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾، يعني الإبل، فالإبل في البر كالسفن في البحر.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَنْ نَسْأَلَ عَنْهُمْ فَلَا صَرِيحَ﴾، أي لا متخيث، ﴿لَمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾، ينجون من العرق. قال ابن عباس: ولا أحد يشقذهم من عذابي.

﴿٤٤﴾ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾، إلى انقضاء آجالهم، يعني:

إلا أن يرحمهم [الله] ويمتعمهم إلى حين انقضاء آجالهم.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾، قال ابن عباس: «ما بين أيديكم» يعني الآخرة، فاعملوا لها، وما «خلفكم» يعني من الدنيا، فاحذروها، ولا تغتروا بها. وقيل: «ما بين أيديكم» وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم عذاب الآخرة، وهو قول قتادة ومقاتل. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، والجواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا عرضوا عنه، دليله ما بعده.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِكَ رَبِّهِمْ﴾، أي دلالة على صدق محمد ﷺ، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ﴾، أعطاكم الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِقُوا﴾، أنرطق، ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَمْسَهُ﴾، وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من جروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعهم، أنرطق من لو يشاء الله أطعمه رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتنصك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من حرمه الله، وهذا الذي يزعمون باطل، لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء، فمتع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغني بالإففاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليبلو الغني

فيما فرض له من مال الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿إِنْ أَشَرَّ إِلَّا فِي سَكَلِكِ يُبِينُ﴾، يقول الكفسار للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطأ بين في أتباعكم محمداً وترك ما نحن عليه.

﴿٤٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الَّذِي أُوذِيَ﴾، أي القيامة والبعث، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿٤٩﴾ قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾، أي ما ينتظرون، ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿تَأْخُذْهُمْ وَمُمْ يَبْعَثُونَ﴾، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، قرأ حمزة ﴿يُخْصِمُونَ﴾ بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي يغلب بعضهم بعضاً بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد، أي يختصمون، أذغمو التاء في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء ينقل حركة التاء المدغمة إليها، ويجزمها أبو جعفر وقالون، ويروم فتحة الخاء أبو عمرو، وقرأ الباقون بكسر الخاء.

وروي أن النبي ﷺ قال: ﴿لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بِيَسْهُمَا فَلَا يَتْبَاعِيَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ رَجُلٌ أَكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا﴾.

﴿٥٠﴾ قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ قَوْمًا﴾، أي: لا يقبلون على الإيضاء. قال مقاتل: عجزوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

﴿٥١﴾ ﴿مَنْ وَأَزْوِجُهُ﴾، أي حلائلهم، ﴿فِي ظِلِّهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي «ظلل» بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ العامة ﴿فِي ظِلِّهِ﴾ بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾، يعني السرر في الحجال، واحدها أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿مُتَّكِنُونَ﴾، ذؤو اتكاء.

﴿٥٢﴾ ﴿لَمْ يَمُنُّوا بِهِمْ وَلَا شَرِهُوا عَذَابَ اللَّهِ﴾، أي يسلم الله عليهم قولاً. أي يقوله الله لهم قولاً.

﴿٥٣﴾ ﴿لَمْ يَمُنُّوا بِهِمْ وَلَا شَرِهُوا عَذَابَ اللَّهِ﴾، أي يسلم الله عليهم قولاً. أي يقوله الله لهم قولاً.

أخبرنا أبو سعيد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي الأصفهاني، أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني، أنا ابن أبي الشوارب، أنا أبو عاصم العباداني، أنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ عزَّ وجلَّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيرٍ﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه،

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار.

وقيل: قالت الملائكة لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. قال مجاهد: يقول الكفار: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدَانٍ﴾ فيقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنْ كَانَتْ﴾، ما كانت، ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِجِجِّ لَدَيْنَا مُخْتَصِرُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿قَالُوا لَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُحْزِرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «شغل» بسكون الغين والباقون بضمها، وهما لغتان، مثل الشحنت والشحنت، واختلفا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبيكار. وقال وكيع بن الجراح: في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: في ضيافة الله تعالى: ﴿فَكَهُونُ﴾، قرأ أبو جعفر «فكهون» حيث كان، وافقه حفص في المطففين؛ وهما لغتان مثل

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكُهُونُ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّهِ عَلَى الْأَرْيَاقِ مُتَّكِنُونَ ﴿٥٧﴾ لَمْ يَمُنُّوا بِهِمْ وَلَا شَرِهُوا عَذَابَ اللَّهِ ﴿٥٨﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيرٍ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا نِوَالُ الْيَوْمِ إِلَيْهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٠﴾ الرَّاعِفُ هَذَا إِلَيْكُمْ يَنْبَغِي مَا دَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكِرْعِدٌ مُؤْمِنٌ ﴿٦١﴾ وَإِنْ أَعْتَدْتُمْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ وَكَرِهَ جِلْدًا كَثِيرًا فَأَلَمَ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٤﴾ أَسْأَلُهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنفُثُ فِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْتُمُوهَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْزَلْنَاهُمْ فِيهَا رَجِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَمَعُوا مُصْتَبِيًا وَلَا يُرْجَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُعْمِرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

رَجِيمُونَ، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

﴿٥١﴾ ﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾، وهي [النفخة] الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَيْدَانِ﴾، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾، يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

﴿٥٢﴾ ﴿قَالُوا يَا بُولَاقًا مِمَّنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدَانٍ﴾، قال أبي بن كعب، وابن عباس، وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل.

وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عابنوا جهنم وأنواع عذابها، صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا:

فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».

وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة، يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

﴿وَأَمْتَرُوا أَيَّامَ النَّجْرُونَ﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاک: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار، فيكون فيه أبد الأبدین، لا يرى ولا يرى.

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ لَكُمْ بَنِيَّ آدَمَ﴾، ألم أمركم يا بني آدم، ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ﴾، ظاهر العداوة.

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾، أطيعوني ووجدوني، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿جِبَلًا﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ يعقوب ﴿جِبَلًا﴾ بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ [ابن] عامر، وأبو عمرو، بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام، وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة، ومعناها:

الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً، ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ﴾. ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لما دنوا من النار.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، بها في الدنيا.

﴿أَصَلُّوْهَا﴾، ادخلوها ﴿الْيَوْمَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿الْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن حفصويه السرخسي، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أنا عبدالجبار بن العلاء، أنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: سأل الناس رسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضاؤون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تضاؤون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «فالذي نفسي بيده لا تضاؤون في رؤية ربكم، كما لا تضاؤون في رؤية أحدهما» قال: فيلقى العبد قال فيقول: أي عبيد ألم أكرمك؟ ألم أسودك؟ ألم أزوجك؟ وألم أسخر لك الخيل والإبل وأتركك تترأس

وتترع؟ قال: بلى يا رب، قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا رب، قال: فالיום أنساك كما نسيتني قال: فيلقى الثاني، فيقول: ألم أكرمك، ألم أسودك، ألم أزوجك، ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك تترأس

وتترع؟ قال: فيقول: بلى يا رب، قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا رب - وقال غيره سفيان تراس وترع في الموضوعين - قال: فالיום أنساك كما نسيتني، قال: ثم يلقى الثالث، فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك وصمت وصليت وتصدقت، وبني وبنيخير ما استطاع، فيقال له: ألم نبعث عليك شاهداً؟ قال: فيفكر في نفسه من الذي تشهد عليه فيختم على فيه، ويقال لفخذه: أنطقي، قال: فتنتطق فخذ، ولحمه وعظامه بما كان يعمل، قال: وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي سخط الله عليه.

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل الصمد بن عبدالرحمن البزاز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الذبيري، أنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفم فأول ما يسأل عن أحدكم فخذ وكفه».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا

مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثني هاشم بن القاسم، أنا غيبد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عبيد المكتب، عن فضيل، عن الشعبي، عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون من أضحك؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا رب ألم تجزني من الظلم؟ قال: فيقول: بلى: قال: فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لَكُنُّ وسحقاً فَعَنَكُنْ كُنْتُ أناضل».

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] يقول كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، ﴿فَأَسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ﴾، فتبادروا إلى الطريق، ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عمياً يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس، وقتادة، ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن

غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾ ولم أفعل ذلك بهم؟ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِبِهِمْ﴾، يعني مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قومود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿فَمَا اسْتَبَقُوا صِرَاطَ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، قرأ عاصم وحمزة نكسه بالتشديد، وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضم الكاف مخففاً، أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق: وقيل: نكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

﴿قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾﴾، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكديباً لهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي ما يتسهل له ذلك، وما كان يتزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد الشقفي، أنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا يوسف بن

عبدالله بن ماهان، أنا موسى بن إسماعيل، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي ﷺ: كان يتمثل بهذا البيت:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً
فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً
فقال أبو بكر وعمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد، أنا شريك، عن المقدم بن شريح، عن أبيه قال: قلت لعائشة: أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة، قالت: وربما قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وقال معمر عن قتادة: بلغني أن عائشة سئلت: هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت أخي بني قيس، طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فجعل يقول: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا

رسول الله، فقال: «إني لست بشاعر ولا ينبغي لي».

﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني ما القرآن، ﴿وَلَا يُكْرَهُ﴾، موعظة، ﴿وَقُرْآنٌ ثَمِينٌ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿يُنذِرُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب «لتنذر» بالياء وكذلك في [سورة] الأحقاف، وافق ابن كثير في الأحقاف [١٢] أي: لتنذر يا محمد، وقرأ الآخرون بالياء أي: لينذر القرآن، «مَنْ كَانَ حَيًّا»، يعني مؤمناً حي القلب، لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ﴾، وتجب حجة العذاب «عَلَى الْكٰفِرِينَ».

﴿٧١﴾ قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَذِيماً﴾، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، «أَنعنا» فهم لها «مليكون»، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم.

﴿٧٢﴾ وهي قوله: ﴿وَدَلَّلْنَا لَهُمُ﴾، سخرناها لهم، ﴿فِيهَا رُكُوبُهُمْ﴾، أي ما يركبون هي الإبل، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [أي]: من لحمانها.

﴿٧٣﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿وَسَّارِيحُ﴾، من البانها، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾، زب هذه النعم.

﴿٧٤﴾ ﴿وَأَنذَرُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾، لعلهم يصرون، يعني: لمتنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

﴿٧٥﴾ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْهَمَ﴾. قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على

نصرهم ومنعم من العذاب. ﴿وَهُمْ لَمْ يُجِدُوا مُخْضَرُونَ﴾، أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تستطيع لهم نصراً. وقيل: هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني قول كفار مكة في تكذيبك، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ﴾، في

ضمايرهم من التكذيب، ﴿وَمَا يُبْلِغُونَ﴾، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بالسهم من الأذى.

﴿٧٧﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ﴾، جدل بالباطل، ﴿ثَمِينٌ﴾، بين الخصومة، يعني إنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة.

نزلت في أبي بن خلف الجمحي خصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم؟ فقال النبي ﷺ: «نعم وبيعتك ويدخلك النار»، فأنزل الله هذه الآيات.

﴿٧٨﴾ ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَةً﴾، بدء أمره ثم، ﴿قَالَ مَنِ ابْنِي الْعَظَمِ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، بالية، ولم يقل

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَذِيماً أَنعنا لهم لها ملكون ﴿٧١﴾ وَدَلَّلْنَا لَهُمُ فِيهَا رُكُوبَهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَسَّارِيحٌ بَلَابٌ شَكُورٌ ﴿٧٣﴾ وَأَنذَرُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُصْرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْهَمَ وَهُمْ لَمْ يُجِدُوا مُخْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يُبْلِغُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ ثَمِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَةً قَالَ مَنِ ابْنِي الْعَظَمِ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِن مَّاءٍ مَّثَلَهُمْ بَلْ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحٰنَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَكْرَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَابْتِءِمْ جَمْعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الضحى

رميمة، لأنه معدول عن فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمِّي بَوِيًّا﴾ [مريسم: ٢٨]، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية.

﴿٧١﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشأَهَا﴾، خلقها، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى العفار، فمن أراد متهم النار قطع منها غصنين مثل السواكين وهم خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما للنار ياقظ الله عز جل.

تقول العرب: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا

عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟» قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف».

وقيل: هم الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله بما يريد. وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١].

٢٠ قوله تعالى: ﴿فَالزَّجْرِيَّتِ﴾، يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح.

٢١ ﴿فَاللَّيْلِ ذِكْرٌ﴾، هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل. وقيل: هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به وموضع القسم:

٢٢ قوله: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، وقيل: فيه إضمار، أي ورب الصفات والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفار مكة قالوا: ﴿اجْعَلْ آلِهَةً إِلَهًُا مَعَنَا﴾ [ص: ٥]؟ فأقسم الله بهؤلاء إن إلهكم لواحد.

٢٣ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَسْتَرِقِ﴾، أي مطالع الشمس قبل أراد به المشارق والمغرب كما قال في موضع آخر ﴿فَلَا أُمِيتُ رَبِّي الْمَسْتَرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، فإن قيل: قد قال في موضع: ﴿رَبِّي الْمَسْتَرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وقال في موضع [آخر] ﴿رَبِّي الْمَسْتَرِقِ وَرَبِّي الْمَغْرِبِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وقال في

علي بن الحسين الدرايجردي، حدثنا عبدالله بن عثمان، أخبرنا عبدالله بن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان - وليس بالنهدي - عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا على موتاكم سورة يس».

ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك، وقال عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار.



سورة الصفات

مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢﴾ وَالزَّجْرِيَّتِ نَسْفًا ﴿٣﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، والحسن يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة.

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن العلاء أحمد اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، حدثنا عبدالله بن محمد النفيلي، حدثنا زهير قال: سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر بن سمرة في الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة

سورة الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١﴾ وَالزَّجْرِيَّتِ نَسْفًا ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣﴾ وَالزَّجْرِيَّتِ نَسْفًا ﴿٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٢٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٣٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٤٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٥٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٦٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٧٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٨٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٠﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩١﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٢﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٣﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٤﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٥﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٦﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿٩٩﴾ وَاللَّيْلِ نَسْفًا ﴿١٠٠﴾

العناب. ﴿فَأَذَا أَسْفَرَتْهُ تُوْقِدُونَ﴾، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان.

٨١ ﴿أَوَّلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ﴾، وقيل: يعقوب يقدر بالياء على الفعل، ﴿عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى﴾، أي: قل بلى هو قادر على ذلك، ﴿وَهُوَ الْخَلْقُ﴾، يخلق خلقاً بعد خلق، ﴿الْعَلِيِّ﴾ بجمع ما خلق.

٨٢ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

٨٣ ﴿تَسْبَحَنَ الَّذِي يَكْبُرُهُ مَلَكَوْتُ﴾، أي ملك، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَرَبِّهِ تَرْجُونَ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو الطاهر الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا

موضع: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩]، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

قيل: أما قوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق وثلاثمائة وستين كوة في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل: كل موضع شرت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد [به] رب جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت.

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الَّذِي زَيْنًا﴾ الكواكب، قرأ عاصم، برواية أبي بكر ﴿زَيْنًا﴾ منونة، ﴿الكواكب﴾ نصب أي بتزييننا الكواكب، وقرأ حمزة وحفص ﴿زَيْنًا﴾ منونة ﴿الكواكب﴾ خفضاً على البدل، أي بزينة بالكواكب، أي زينها بالكواكب. وقرأ الآخرون ﴿زَيْنًا﴾ الكواكب، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

﴿وَحَقَّقًا﴾ أي: حفظناها

حفظاً. ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّابُودٍ﴾، متمرد يرمون بها.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم، أي لا يسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿إِلَى النَّبْلِ الْأَعْلَى﴾، أي إلى الكتبة من الملائكة، «والملا الأعلى» هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملا الأعلى، ﴿وَيَقْدُفُونَ﴾، ويرمون، ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾، من كل أفاق السماء بالشهب.

﴿مُحُورًا﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحراً ودحوراً، إذ طرده وأبعده، ﴿وَقَوْمٍ عَذَابٌ وَاصٍ﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخبلون.

﴿إِلَّا مَنْ خَلَّفَ الْبُطْغَةَ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿فَأَتَمَّهُ﴾، لحقه [وأدركه] ﴿بِهَابٍ ثَائِقٍ﴾، كوكب مضيء قوي لا يخطئه بقتله، أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ونيل المراد، كراكب البحر، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمي به الشياطين ثاقباً لأنه يتقيهم.

﴿فَأَسْتَفِيمُ﴾، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿أَمْ أَسْدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾، يعني من السموات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد

خلقاً كما قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [عافر: ٥٧]، وقال: ﴿أَلَمْ أَسْدُ خَلْقًا أَمْ أَسْدُ خَلْقًا بَيْنَهُمَا﴾ [النزاعات: ٢٧]، وقيل: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يعني من الأمم الخالية، لأن من يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم، وقد أهلكناهم بذنوبهم، فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟ ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، يعني جيد حر لاصق يعلق باليد، ومعناه: اللازم أبدل الميم باء كأنه يلزم اليد [إذا وضعت فيه فيصبعها وتراكم عليها] وقال مجاهد والضحاك: عنت.

﴿بِكَلِّ عَجَبٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الأدميين، كما قال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقال عز وجل: ﴿سَخِرُوا لِلَّهِ فَتَسْبِيحُهُمُ﴾ [التوبة: ٦٧]، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا.

كما جاء في الحديث: «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة».

وجه في الحديث: عجب ربكم من سؤالكم وقتوطكم وسرعة إجابته إياكم، وسئل الجنيد عن هذه الآية، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: ﴿وَأَنْ تَعَجَّبَ فَعَجِبْ

مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿١٤﴾ وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا لَكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْتُونَ تَارِعَاتِ الْعَمِينِ ﴿١٦﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا تُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانُوا لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴿١٨﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿١٩﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنذَرْتُمْ ﴿٢٠﴾ فَأَعْرَضْتُمْ بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ أَنَّكُمْ تَأْتُونَنَا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّا كَذَبْنَا فَعْمَلُ الْكٰفِرِينَ ﴿٢٢﴾ إِنْتُمْ كَأُولَٰئِكَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْتِيَكُم بِآيَاتٍ الْهَرَبَاتِ إِنَّا نَسْأَلُكُمْ فِي الْيَوْمِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

﴿١٣﴾ ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يعني سحر بين.
 ﴿١٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَأْتِكُمْ نُبَأُ مَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي وأبأونا الأولون.
 ﴿١٥﴾ ﴿قُلْ نَسَمٌ﴾، تبعثون، ﴿وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾، صاغرون، والدخور أشد الصغار.
 ﴿١٦﴾ ﴿فَأَلَمَّا مِن﴾، أي قصة البعث أو القيامة، ﴿زَجْرَةٍ﴾، أي صيحة، ﴿وَزَيْدَةٍ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿فَأَلَمَّا مِن يَنْظُرُونَ﴾، أحياء.
 ﴿١٧﴾ ﴿وَقَالُوا يَا بُولَلَتْ إِيَّانَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَسْمَانُ﴾، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.
 ﴿١٨﴾ ﴿هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يوم المحسن والمسيء، ﴿الَّذِي كُفِّرُ بِهِ الْذُنُوبَ﴾.
 ﴿١٩﴾ ﴿أَحْضَرُوا إِلَيْنَا مَلَكًا﴾، أي: أشركوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾، أشباههم وأتباعهم وأمثالهم، قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر، مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: وأزواجهم المشركات. ﴿وَمَا كَانُوا بِعَيْدُنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني

إبليس وجنوده، واحتج بقوله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠].
 ﴿١٦﴾ ﴿فَأَنذَرْتُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيمِ﴾، قال ابن عباس: دلوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدموهم. والعرب تسمي السابق هادياً.
 ﴿١٧﴾ ﴿وَقَفُوهُمْ﴾، واحبسوهم، يقال: وقفته وقفاً فوقف وقوفاً. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حُسِّبوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقيل: وقفوهم ﴿إِنْتُمْ مَسْئُولُونَ﴾، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم. وروي عنه: عن لا إله إلا الله.
 وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة أشياء: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».

﴿١٤﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾، أي لا تنصرون، يقال لهم تويبياً: مالكم لا ينصر بعضكم بعضاً، يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حين قال يوم بدر: ﴿مَنْ جِئْتُمْ مِنْكُمْ فَيَمَسُّكُمْ فَمَا يَكُفُّهُ﴾ [القر: ٤٤].
 ﴿١٥﴾ ﴿فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ﴾﴾، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون، يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.
 ﴿١٦﴾ ﴿وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، أي الرؤساء والأتباع ﴿يَسْأَلُونَ﴾، يتخاصمون.

﴿١٣﴾ ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يعني سحر بين.
 ﴿١٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَأْتِكُمْ نُبَأُ مَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي وأبأونا الأولون.
 ﴿١٥﴾ ﴿قُلْ نَسَمٌ﴾، تبعثون، ﴿وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾، صاغرون، والدخور أشد الصغار.
 ﴿١٦﴾ ﴿فَأَلَمَّا مِن﴾، أي قصة البعث أو القيامة، ﴿زَجْرَةٍ﴾، أي صيحة، ﴿وَزَيْدَةٍ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿فَأَلَمَّا مِن يَنْظُرُونَ﴾، أحياء.
 ﴿١٧﴾ ﴿وَقَالُوا يَا بُولَلَتْ إِيَّانَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَسْمَانُ﴾، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.
 ﴿١٨﴾ ﴿هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يوم المحسن والمسيء، ﴿الَّذِي كُفِّرُ بِهِ الْذُنُوبَ﴾.
 ﴿١٩﴾ ﴿أَحْضَرُوا إِلَيْنَا مَلَكًا﴾، أي: أشركوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾، أشباههم وأتباعهم وأمثالهم، قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر، مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: وأزواجهم المشركات. ﴿وَمَا كَانُوا بِعَيْدُنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني

﴿١٣﴾ ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي هو كما تقول، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ: أي عجبتم من تكذيبهم إياك، ﴿وَلَمْ تَكُونُوا﴾، وهم يسخرون من تعجبك.
 قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أنكمل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولتم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.
 ﴿١٤﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾، يعني: إذا عطوا بالقرآن لا يتعظون.
 ﴿١٥﴾ ﴿وَإِنَّا لَأَنذَرْتُمْ﴾، قال ابن عباس ومقاتل يعني انشفاق القمر، ﴿يَسْخَرُونَ﴾، يسخرون ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية.

﴿وَالرَّاءِ﴾، أي الأتباع ﴿٢٨﴾ للرؤساء، ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَ عَنِ الْآيِينَ﴾، أي من قبل الدين فضلبونا عنه وترونا أن الدين ما تظلبونا به، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، كما أخبر الله تعالى عن إبليس: ﴿مَنْ لَأَبْشُرُهُ بِرَأْيِ آيِينِهِمْ وَبِعَنَافِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فليس عليه الحق. وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمضى قوله: ﴿تَأْتُونَ عَنِ الْآيِينَ﴾ أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقتا بها. وقيل: عن «اليمين» أي عن القوة والقدرة، كقوله: ﴿لَأَخْذًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، والمفسرون على القول الأول.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني الرؤساء للاتباع، ﴿بَلْ لَرَبِّكَوْنُوا مُؤْمِنِينَ﴾، لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه، أي إنما الكفر من قبلكم.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، من قوة وقدرة فنفهركم على متابعتنا، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ﴾، ضالين.

﴿فَحَى﴾، وجب، ﴿عَلَيْنَا﴾، جميعاً، ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾، يعني كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿إِنَّا لَنَاقِفُونَ﴾، العيذاب، أي أن الضال والمضل جميعاً في النار.

﴿فَأَقْوَيْتَكُم﴾، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه،

﴿إِنَّا كُنَّا غَائِبِينَ﴾، ضالين.

﴿٢٩﴾ قال الله عز وجل: ﴿فَأْتَمَّتْ بَعِيْرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [أي] الرؤساء والاتباع.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين جعلوا الله شركاء.

﴿٣١﴾ ﴿إِنْتُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، يتكبرون عن كلمة التوحيد، ويمتنعون منها.

﴿٣٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُلُ مِنَ الْمَهْتَبِ إِشْرَاعِي تَجْتُونَ﴾، يعنون النبي ﷺ.

﴿٣٣﴾ قال الله عز وجل رداً عليهم: ﴿بَلْ جَاءَهُ، مُحَمَّدٌ، بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّكُمْ لَدَائِبُهُمُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا يُعْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشرك.

﴿٣٦﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، الموحدين.

﴿٣٧﴾ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَرَوْا مَقْلُومٌ﴾، يعني بكرة وعشياً كما قال: ﴿وَلَمْ يَرَوْهُمْ فِيهَا بِكَرَّةٍ وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿٣٨﴾ ﴿فَوَرَكَةً﴾ جمع الفاكهة، وهي الشار كلها رطبها وبابسها، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت، ﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾، شواب الله.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُنْتَلِينَ﴾، لا يرى بعضهم قفا بعض.

﴿٤١﴾ ﴿نُطَافٍ عَلَيْهِمْ بِكَأْسِينَ﴾، إنباء فيه شراب ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إنباء،

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العينون.

﴿٤٢﴾ ﴿بَيْعَتَهُ﴾، قال الحسن: خمر أشد بياضاً من اللبن، ﴿لَذَّةً﴾، أي لذيلة، ﴿لِلشَّيْرِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿لَا فِيهَا عَرْوٌ﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. وقال الكلبي [ليس فيها] إثم. وقال قتادة: وَجِعُ البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة.

﴿٤٤﴾ ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُخْرَجُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة [١٩]،

وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيها فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكروا، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزوف إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينفذ شرابهم، يقال أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنت خمرته.

﴿٤٥﴾ ﴿وَصَدَقُوا قَوِيْرَتْ الطَّرِيقِ﴾، حابسات الأعين غاضبات العيون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿عِينٌ﴾، أي حسان الأعين، يقال: رجل لعين وامرأة عيناء ونساء عين.

﴿٤٦﴾ ﴿كَأَنَّ بَيْتًا﴾ جمع البيضة، ﴿تَكُونُ﴾، مصون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه

يَقُولُ أُوذِيَكَ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾ أَمْ دَامِنَا وَكُنَّا تُرَاكًا وَغَطَّلَنَا بِمَا لَمْ نَدْرِكْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَوَاهُ فِي سَوَاءِ الْحَبِيرِ ﴿٥٣﴾ قَالَ تَاللَّهِ لَكِدَّتْ لَأَرْوِيَنَّ ﴿٥٤﴾ وَلَوْلَا بِنِعْمَةِ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٥﴾ أَمَّا نَحْنُ بِعَبَتَيْنِ ﴿٥٦﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءِقُورٌ الْعَظِيمُ ﴿٥٨﴾ لِيُشَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٥٩﴾ أَدَاكَ حَبْرٌ زُلَّ أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ ﴿٦٠﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَبِيرِ ﴿٦٢﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُومٌ وَالشَّيْطَانِ طَائِفَةٌ ﴿٦٣﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ فِيهَا الْقَائِلِينَ مَتَى الْبُظُورُ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الشُّرُوكَ مِنْ حَبِيرٍ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْحَبِيرِ ﴿٦٦﴾ إِنَّهُمْ الْفَوَاقِرُ أَتَابَهُمُ اللَّهُ مُضْمَرًا لِيَوْمِ ﴿٦٧﴾ فَهُمْ عَلَىٰ نَارِهِمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذْرِبِينَ ﴿٧٠﴾ فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِبِينَ ﴿٧١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَنصُرْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٣﴾ وَتَجَنَّبْهُ وَاهْلِكْ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ لَهُمْ نِكَلًا رَّجُلِينَ﴾ [٣٢].

﴿يَقُولُ أُوذِيَكَ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، بالبعث.

﴿لَمَّا دَامِنَا وَكُنَّا تُرَاكًا وَغَطَّلَنَا أَوْ مَا لَمْ نَدْرِكْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.

﴿قَالَ﴾، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ﴾، إلى النار، وقيل: يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف منزلة أخي، فيقول أهل الجنة: أنت

أعرف به منا.

﴿فَأَطَّلَعَ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع هذا المؤمن، ﴿فَرَوَاهُ﴾ في سَوَاءِ الْحَبِيرِ، فرأى قبرينه في وسط النار، وإنما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه.

﴿قَالَ﴾، له، ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدَّتْ لَأَرْوِيَنَّ﴾ والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: [معناه] والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

﴿وَلَوْلَا بِنِعْمَةِ رَبِّي﴾، رحمته وإنعامه علي بالإسلام، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾، معك في النار.

﴿أَمَّا نَحْنُ بِعَبَتَيْنِ﴾ - ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾، في الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح

الموت: أما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْءِقُورٌ الْعَظِيمُ﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقبرنه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿لِيُشَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: ﴿أُوذِيَكَ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إلى ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿أَدَاكَ﴾، أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿حَبْرٌ زُلَّ أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ﴾، التي هي نُزُلُ أهل النار، والزقوم: [ثمره] شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمون على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ وقال ابن الزبير لصناديد قريش: إن محمداً يخوفنا بالزقوم، والزقوم بلسان بربر: الزيد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته، وقال: يا جارية زقمينا فأتتهم بالزيد والتمر، فقال: تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد.

﴿فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَبِيرِ﴾، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا.

رده إلى اللفظ. قال الحسن: [شبههن] ببعض [النعام لأن] النعام تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة ﴿بَيْضَةً﴾ مشربة صفرة، والعرب تشبهها بيضة النعام.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾، يعني من أهل الجنة، ﴿إِنِّي كَأَن لِّي فَرِيضٌ﴾، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهودا، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في

﴿١٥﴾ **طَلَمَهَا**، ثمها سمي طلماً لطلوعه، **كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبها، لأن الناس إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان، وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيات، والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطاناً. وقيل: هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية، تسميها العرب رؤوس الشياطين.

﴿١٦﴾ **فَأَيُّهُمْ لَئِيكُنَّ مِنَّا قَلْبًا مِّنَّا أَلْبُتُونُ**، والماء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه.

﴿١٧﴾ **وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ**، مسن الأمم الخالية.

﴿١٨﴾ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ** * **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ**، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب.

﴿١٩﴾ **إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ**، الموحدين نجوا من العذاب.

﴿٢٠﴾ **وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا**، دعا ربه على قومه فقال: **إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْقِصْ** [القمر: ١٠] **الْقَمَرِ**، نحن يعني أجبنا دعاه وأهلكنا قومه.

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هَرَمًا لِلْبَاقِينَ ﴿٢١﴾ **وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** ﴿٢٢﴾ **سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴿٢٣﴾ **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴿٢٤﴾ **إِنبُؤِينَ عِبَادَنَا الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٢٥﴾ **ثُمَّ أَخْرَقْنَا الْآخِرِينَ** ﴿٢٦﴾ **وَإِن مِّن شَيْعِيهِمْ لَإِيْزِهِيْمَ** ﴿٢٧﴾ **إِذْ جَاءَهُمْ رَيْبُ قَلْبِ سُلَيْمٍ** ﴿٢٨﴾ **إِذْ قَالَ لِأَيُّهِمْ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ** ﴿٢٩﴾ **أَيُّكُمْ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ** ﴿٣٠﴾ **فَمَا تَلَكُم مَّا كَرِهْتَ الْعَالَمِينَ** ﴿٣١﴾ **فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ** ﴿٣٢﴾ **فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَ رَأْسِ ثَمُودَ إِذْ سَأَلَهُ مَا هِيَ قَالَتْ إِذْ نَظَرْنَا بِأَلْبَابِنَا** ﴿٣٣﴾ **فَمَا كُنَّا نَسْمَعُ سَمْعَنَا وَلَا نَعْبُدُ عُتَبَانَ** ﴿٣٤﴾ **فَمَا كُنَّا نَعْبُدُ إِلَّا لِلَّهِ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ** ﴿٣٥﴾ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴿٣٦﴾ **قَالُوا إِنَّا تَبَتَّلْنَا فَالْتَقُوهُ فِي الْحِمِيمِ** ﴿٣٧﴾ **فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** ﴿٣٨﴾ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمِعِينَ** ﴿٣٩﴾ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴿٤٠﴾ **فَنَسِيتُهُ يَوْمَئِذٍ سُلَيْمٍ** ﴿٤١﴾ **فَمَا تَالَيْتَهُ مَعَهُ السَّمْعُ قَالَ يَبْتُؤُا إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آتًا يَأْتِيكُمْ فَانظُرُوا مَاذَا تَرَوْنَ** ﴿٤٢﴾ **يَا أَيُّهَا أَقْسَلُ مَا تَقُومُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴿٤٣﴾

﴿٢١﴾ **سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ**، أي سلام عليه منا في العالمين. وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

﴿٢٢﴾ **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

﴿٢٣﴾ **إِنبُؤِينَ عِبَادَنَا الْمُؤْمِنِينَ** **ثُمَّ أَخْرَقْنَا الْآخِرِينَ**، يعني الكفار.

﴿٢٤﴾ **وَإِن مِّن شَيْعِيهِمْ لَإِيْزِهِيْمَ**، أي من أهل دينه وملته وسنته، **إِذْ جَاءَهُمْ رَيْبُ قَلْبِ سُلَيْمٍ**، مخلص من الشرك والشك.

﴿٢٥﴾ **إِذْ قَالَ لِأَيُّهِمْ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ**، استفهام توبيخ.

﴿٢٦﴾ **أَيُّكُمْ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**، يعني أتأفكون إفاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

﴿٢٧﴾ **وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هَرَمًا لِلْبَاقِينَ**، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، قال سعيد بن المسيب، كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافت، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافت أبو الترك والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك.

﴿٢٨﴾ **وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**، أي أبقينا له ثناء حسناً وذكرآ جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ **ثُمَّ إِنِّي لَمُهْرٌ عَلَيْهِمْ لَشَوْؤُهُ**، خلطاً ومزاجاً، **مِّنْ جِيمٍ**، من ماء حار شديد الحرارة، يقال: لهم إذا أكلوا الزقوم: شربوا عليه الحميم، فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً له.

﴿٣٠﴾ **ثُمَّ إِنِّي مَرَجَهُمُ**، بعد شرب الحميم، **إِلَى الْجَحِيمِ**، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، يدل عليه قوله تعالى: **يَطْرُقُونَ بِإِنْبَاءِ بَيْنَ جِيمٍ آتٍ** [الرحمن: ٤٤]، وقرأ ابن مسعود: **ثُمَّ إِنِّي مَرَجَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ**.

﴿٣١﴾ **إِنبُؤِينَ عِبَادَنَا الْمُؤْمِنِينَ** **ثُمَّ أَخْرَقْنَا الْآخِرِينَ**، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

﴿٨٧﴾ ﴿مَا تَلَّكَ رَبِّي أَكْبَرِينَ﴾، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ قَوْمٌ يَتَعَاطُونَ عِلْمَ النُّجُومِ فَعَامَلَهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا [يَتَعَاطُونَ] لثَلَا يَتَكْرَهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكَايِدَهُمْ فِي أَصْنَامِهِمْ لِيَلْزِمَهُمُ الْحُجَّةَ فِي أَنَّهَا غَيْرُ مَعْبُودَةٍ، وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْغَدِّ عِيدٌ وَمَجْمَعٌ وَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ وَيَقْرَبُونَ لَهُمْ الْقَرَابِينَ، وَيَضَعُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الطَّعَامَ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ إِلَى عِيدِهِمْ، زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عَلَيْهِ فَإِذَا انصَرَفُوا مِنْ عِيدِهِمْ أَكَلُوهُ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ أَلَا تَخْرُجُ غَدًا مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا، فَنظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَطْعُونٌ، وَكَانُوا يَفْرُونَ مِنَ الطَّاعُونَ فَرَارًا عَظِيمًا. قَالَ الْحَسَنُ: مَرِيضٌ. وَقَالَ مَقَاتِلٌ: وَجَعٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: سَأَسْقُمُ.

﴿٩٠﴾ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

﴿٩١﴾ ﴿كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤْتِمُ﴾، مَالٌ إِلَيْهَا مِيلَةٌ فِي خَفِيَّةٍ، وَلَا يُقَالُ رَاغٌ حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُهُ مَخْفِيًا لَهَا بِهَيْبَةٍ وَمَجِيئِهِ، ﴿فَقَالَ﴾ اسْتَهْزَأَ بِهَا. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، يعني الطعام الذي بين أيديكم.

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ مَالٌ عَلَيْهِمْ ﴿صَرَبًا بِأَلْيَيْنَ﴾، أَي كَانَ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ

اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي بالقوة. وقيل: أراد به القسم أي القسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكْبِدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿٩٤﴾ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾، يعني إلى إبراهيم، ﴿يُرْفُونَ﴾، يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بالكهتيم فأسرعوا إليه ليأخذوه، وقرأ الأعمش وحزمة «يُرْفُونَ» بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابهم على الجد والإسراع.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ﴾، لهم إبراهيم على وجه الحجاج، ﴿أَتَمْتِدُونَ مَا نَتَجَرَّذُونَ﴾، يعني ما نتحذون بأيديكم [من الأصنام].

﴿٩٦﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، بأيديكم من الأصنام، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

﴿٩٧﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا لَمَّ بَيْنَنَا فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ﴾، معظم النار، قال مقاتل: بناؤه حائطاً من الحجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها.

﴿٩٨﴾ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، شراً وهو أن يحرقوه، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلَ﴾، أي المهقورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم وردة كيدهم.

﴿٩٩﴾ ﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾، أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي، قاله بعد الخروج من النار، كما قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]،

﴿سَيِّدِينَ﴾، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد. ﴿١٠٠﴾ ﴿قَالَ﴾: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾، يعني هب لي ولداً صالحاً من الصالحين.

﴿١٠١﴾ ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ﴾، قيل: غلام في صغره حلیم في كبره، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَةَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل.

وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم.

والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد، قالوا: هو العبادة لله تعالى، واختلفوا في سنه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين. قوله تعالى: ﴿قَالَ بَيْنَى إِلَيَّ أَرَأَيْتَ فِي الْمَنَارِ إِلَيَّ أَدْعَاكُ﴾.

واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، فقال قوم: هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، ومن التابعين وأتباعهم: كعب الأحبار، وسعيد بن جبيرة، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والزهري، والسدي، وهي رواية

عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وقالوا: وكانت هذه القصة بالشام.

وروي عن سعيد بن جبير قال: أَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ ذَبَحَ إِسْحَاقَ فِي الْمَنَامِ فَسَارَ بِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ أَتَىٰ بِهِ الْمَنْحَرِ بِمَنْىَ، فَلَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِذَبْحِ الْكَبْشِ ذَبَحَهُ وَسَارَ بِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي رُوحَةٍ وَاحِدَةٍ وَطَوَّيْتُ لَهُ الْأُودِيَةَ وَالْجِبَالَ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمَجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ بِهِ أَنَسٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ، وَالْكَلْبِيُّ وَهِيَ رِوَايَةُ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبِيعٍ، وَيُوسُفَ بْنِ مَاهِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْمَفْدِيُّ إِسْمَاعِيلُ، وَكَلَا الْقَوْلَيْنِ يَرُودُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ يُكَلِّمُ كَلِيمًا فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَةَ﴾ أمر بذبح من بشر به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود [٧١] ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ﴾، ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: ﴿وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الْأَخْيَارِ﴾ [الصافات: ١١٢]، دل على أن المذبوح غيره، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود [٧١]: ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ وَبِزَكَوٍ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فكما بشره بإسحاق

بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه. قال القرظي: سأل عمر بن عبدالعزيز رجلاً كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه، ويزعمون أنه إسحاق بن إبراهيم.

ومن الدليل عليه: أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القران في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة.

وعن ابن عباس قال: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وحش، يعني ييس.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه.

وأما قصة الذبيح قال السدي: لما دعا إبراهيم فقال: رب هب لي من الصالحين، وبشر به، قال: هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له: أوف بذرك، هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بذبح ابنه،

فقال عند ذلك لإسحاق: انطلق فاقرب قربانا لله تعالى فأخذ سكيناً وحياً فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال، فقال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ فقال: ﴿يَبْنَؤُاْ إِتَىٰ أَرْنَ فِي الْكَنَارِ أَيْ أَدْبَحَكَ فَأَنْظُرَ مَاذَا تَرَوُاْ قَالَ يَكَابُتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ﴾.

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حُمل على البراق فيغد من الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم جرماته، أمر في المنام أن يذبحه، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذيح ابنك هذا، فلما أصبح روي في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانياً، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل، فمن ثم سمي يوم عرفة، قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متواليات، فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه، فقال: ﴿يَبْنَؤُاْ إِتَىٰ أَرْنَ فِي الْكَنَارِ أَيْ أَدْبَحَكَ فَأَنْظُرَ مَاذَا تَرَوُاْ﴾.

قرأ حمزة والكسائي «ثري» بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته، وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يميل الراء، قال له ابنه: ﴿يَكَابُتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ﴾.

ذهب إبراهيم بانك؟ قالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله قد أمره بذلك، قالت: فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه، فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحتطب لأهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا أن يذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه فسمعاً وطاعةً، فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم عليه السلام فقال له: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، قال: والله إنني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال: إليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع إبليس بغیظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه بعون الله تعالى.

﴿١٠٣﴾ وروى أبو الطفيل عن ابن عباس، أن إبراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسأقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى

أتيت أمي فاقراً عليها السلام مني وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل عليه فقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن أيضاً يبكي، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين.

ويروي: أنه كان يجزر

الشفرة في حلقه فلا

تقطع، فشحذها مرتين أو ثلاثة بالحجر، كل ذلك وهي لا تستطيع. قال السدي: ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه، قالوا: فقال الابن عند ذلك يا أبت كني بوجهي إلى الأرض على جبيني فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدرتكت رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى، وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة على ففاه فانقلبت السكين ونودي: ﴿أَنْ يَكْبِرْهُ﴾ قَدْ صَدَّقَ الرَّؤُوفُ.

وروى أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قال: لما رأى إبراهيم ذبح ابنه قال الشيطان: لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً، فتمثل له الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام، فقال لها: هل تدرين أين

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأْتَى لَلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدْرِيَنَّهُ أَنْ يَكْبِرْهُ ۖ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤُوفُ يَا أَيُّهَا كَذَلِكَ يُجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّكَ هَذَا لَمَوْ الْبَيْتِ الْمُتَمِيمِ ﴿١٠٥﴾ وَقَدْ بَيَّنَّهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٧﴾ سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ أَزْهِرِهِ ﴿١٠٨﴾ كَذَلِكَ يُجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ وَتَشَرَّفْنَا بِإِسْحَاقَ وَيُصَافِرُونَ الصَّالِحِينَ ﴿١١١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعُقَاطِمٌ لِنَفْسِهِ مِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ مَنَعْنَا آلَ مَرْيَمَ هَرُونَ وَهَارُونَ ﴿١١٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٤﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٥﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٦﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمْنَاهُ عَلَى مَوْسَى وَهَارُونَ ﴿١١٩﴾ إِنَّكَ ذَٰلِكَ تُجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ إِلَهًا لَيَمُنُّ لِيَوْمَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لِلْقَوْمِ اذْهَبُوا لَا تَنْفَعُونَ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ بَعَلُوا وَتَدْرُسُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَكُوبٌ وَأَبَاطِكُمْ الْأُولَى ﴿١٢٥﴾

وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمديّة نطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر، ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، انقادا وخضعوا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿وَتَأْتَى لَلْجَبِينِ﴾، أي صرعه على الأرض. قال ابن عباس: اضجعه على جبينه على الأرض والجهة بين الجبينين، قالوا: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك وأسرع مَرَّ السكين على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد، وإذا

إبراهيم لأمر الله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَتَمْنَا وَتَقَرَّرَ لِلْجِبِينِ﴾.

(١٠٧) - (١٠٨) ﴿وَتَذَرْتَهُ﴾، الواو في وناديناه صلة مقحمة، مجازة ناديناه كقولته: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِي الْجَبَبِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥] أي أوحينا إليه، فنودي من الجبل، ﴿أَنْ يَكْتُمُوهُ إِذْ سَدَدْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده [كذلك] نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

(١٠٩) ﴿إِن كَذَلِكَ لَمَّا اتَّبَعْنَا الْإِبْرَاهِيمَ﴾، الاختيار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء ههنا النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا، وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصدقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا.

وقيل: كان [قد] رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم، فلذلك قال له: قد صدقت الرؤيا.

(١١٠) قوله: ﴿وَقَدَرْنَا يَنْبُحَ عَظِيمٍ﴾، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل، وكبر الكبش، وكبر إبراهيم، وكبر ابنه، فأخذ إبراهيم

الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه.

قال أكثر المفسرين: كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قره ابن آدم هابيل. قال سعيد بن جبير: حق له أن يكون عظيماً. قال مجاهد: سماه عظيماً لأنه متقبل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب. وقال الحسن: ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من نبير.

(١١١) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسناً.

(١١٢) - (١١٣) ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَتَرَكْنَاهُ يَاسْحَقَ يَبْنَا مِنْ الْعَالَمِينَ ﴿، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبي.

(١١٤) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿وَوَقَّعَ إِسْحَاقَ﴾، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتَيْهِمَا نَحْنُ﴾، أي مؤمن، ﴿وَعَالَمٌ لِّتَقْوَاهُ﴾، أي كافر، ﴿شِينٌ﴾، أي ظاهر الكفر.

(١١٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَعْنَا آلَ

مُوسَى وَهَارُونَ﴾، أنعمنا عليهم بالنبوة.

(١١٦) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ قَوْمَهُمَا﴾، بني إسرائيل، ﴿بِوَيْتِ الْعَزِيزِ الْعَظِيمِ﴾، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم. وقيل: من الغرق.

(١١٧) ﴿وَوَصَّيْنَاهُمْ﴾، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿فَكَانُوا هُمْ الْعُقَلْبِينَ﴾، على القبط.

(١١٨) ﴿وَوَجَّعْنَاهُمَا الْكُفْرَ﴾، أي المستبذ وهو التوراة.

(١١٩) - (١٢٠) ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا الصِّرَاطَ السَّيِّئَ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّمَا يَنْبَغِي عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿

(١٢١) قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ يَا لَمَنَ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾، روي عن عبدالله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين. وهذا قول عكرمة.

وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

وقال أيضاً محمد بن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخيار: لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام، عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من

يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لولته حين قتلوه ظلماً، وأكى على نفسه أنهما إن لم يتوبا على صنيعهما ويردا الجنيحة على ورثة مزدكي أن يهلكهما، يعني أحب وامراته في جوف الجنيحة، ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعري عظامهما من لحومهما، ولا يتمتعان بها إلا قليلاً.

قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته والجنيحة، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له: يا إلياس والله ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلاً وما أرى فلاناً وفلاناً سمي ملوكاً منهم قد عبدوا الأوثان إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون بمملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما ترى لنا عليهم من فضل.

قال: وهم الملك بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحسن إلياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه، فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك إلى عبادة بعل، وارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه.

ويقال: إنه بقي سبع سنين شريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره، فلما مضى سبع سنين أذن الله في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله عز وجل ابناً [كان] لأحب وكان أحب ولد إليه وأشبههم به، فأدنف حتى يمس منه فدعا صنمه بعلأ وكانوا قد فتنوا ببعل

منها، ويقبل على عمارتها ومرمتها، وكانت الجنيحة إلى جانب قصر الملك وامراته، وكانا يشرفان على تلك الجنيحة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقبلان فيها، وكان أحب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن إليه، وامراته أزييل تحسده لأجل تلك الجنيحة، وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها، وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً، ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته أزييل ذلك، فجمعت جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سب زوجها أحب فأجابوها إليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك إذا قامت عليه البيعة، فأحضرت مزدكي وقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور، فأمرت بقتله، وأخذت جنيحته، فغضب الله عليهم للعبد الصالح.

فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخير، فقال لها: ما أصبت ولا أراتنا نفلح بعده، فقد جاورنا منذ زمان فأحسننا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا، فختمت أمره بأسوأ الجوار، فقالت: إنما غضبت لك وحكمت فيه بحكمك، فقال لها: أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان، فبعث الله تعالى إلياس إلى أحب الملك وقومه، وأمره أن

دون الله، فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبياً وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة، ويؤي إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم، فأحل سبطاً منهم ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبياً، وعليهم يومئذ ملك يقال له: أحب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له: بعل، وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة وجوه، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك، فإنه صدقه وآمن به فكان إلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده، وكان لأحب الملك هذا امرأة يقال لها أزييل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها، وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة الأنبياء، يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتُم إيمانه، وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم، وكانت في نفسها غير محصنة، وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل، قتلتهم كلهم بالأغتيال، وكانت معمرة يقال أنها ولدت سبعين ولداً، وكان لأحب هذا جار [وهو] رجل صالح يقال له مزدكي، وكانت له جنيحة يعيش

وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن، فوكلوهم به وجعلوهم أنبياءه، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم، والأربعمائة يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشرية من الضلالة فيثونها للناس، فيعملون بها ويسمونهم أنبياء.

فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل، ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبههم، ومنع الله الشيطان فلم يتمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع إليه، فلما طال عليهم ذلك قالوا لأجب: إن في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلها تشفع لك إلى إلهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لأجابك.

قال: ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليماً وهو كافر بإلهك، قال آجب: وكيف لي أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني، وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع نقصده، فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فأقتله فأرضي إلهي، ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة إلى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفي ابنه، فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلهم.

وقال الله: لا تخف فإني

سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم، فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم: إن الله تعالى أرسلني إليكم وإلى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه، وقلوا له: إن الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا آجب أني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم، ورزقهم وأحياهم وأماتهم، فجهلك وقله علمك حملك على أن تشرك بي، وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت، إني حلفت باسمي لأغيظنك في ابنك ولأमितته في فورهِ هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً [من] دوني.

فلما قال لهم هذا رجعوا وقد مُلثوا منه رعباً، فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحط عليهم، وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده، عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا، فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب، فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا إليك، وقصوا عليه كلام إلياس.

فقال آجب: لا ننتفع بالحياة ما كان إلياس حياً وما يطاق إلا بالمكر والخديعة، فقيض له خمسين رجلاً من قومه ذوي القوة والبأس، وعهد إليهم عهده، وأمرهم بالاحتياط له والاحتياط به وأن يطعموه في أنهم قد

آمنوا به، هم ومن وراءهم ليستنهم إليهم [أي يسكن] ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس، ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون: يا نبي الله ابرز إلينا وامنن علينا بنفسك، فإننا قد آمننا بك وصدقناك، وملكنا آجب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك وجميع بني إسرائيل، يقرؤون إليك السلام ويقولون: قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت، فآمنّا بك وأجبنّاك إلى ما دعوتنا فهلّم إلينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فإننا ننقاد لما أمرتنا، وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا، فارجع إلينا.

قال: وكل هذا منهم مُمّاكرةً وخديعة.

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه، وطمع في إيمانهم، وخاف [من] الله إن هو لم يظهر لهم، فألهمه الله التوقف والدعاء، فقال: اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكنههم وارمهم بنار تحرقهم فما استتم قوله حتى حُصبوا بالنار من فوقهم، فاحترقوا أجمعين، قال: وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء، واحتال ثانياً في أمر إلياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي، فأقبلوا أي حتى توقّلوا، أي سعدوا قلل تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون: يا نبي الله إنا نعوذ

بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفينك مؤنتهم، فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وانتقم لنا ولك منهم. قال: فلما سمع إلياس مقاتلتهم دعا إلى الله بدعوته الأولى فأمطر [الله] عليهم النار، فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه.

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً على غضب وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه، إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه، فلم يمكنه فوجه نحو إلياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به إلياس فينزل معه، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً، وإنما أظهر له [ذلك] لما اطلع عليه من إيمانه، وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأي.

فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إن أراد التخلف عنهم، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به لم يروعه، ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له إنه قد أن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فهلك بدعوته، فانطلق إليه وأخبره إنا قد تبنا وأبنا، وأنه لا يصلحنا في توبتنا، وما نريد

من رضى ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا، يأمرنا ويهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا.

وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، وقال له: أخبر إلياس أنا قد خلعنا أللهتنا التي كنا نعبد، وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده، [قال:] وكان ذلك مكرماً من الملك.

فانطلق الكاتب والفئة حتى [أتى] علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداه فعرف إلياس صوته، فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقاً إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فالحقه، وجدد العهد به فبرز إليه وسلم عليه وصافحه، وقال له: ما الخبير؟ فقال له المؤمن: أنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه.

وقص عليه ما قالوا ثم قال: وإنني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني فمرني بما شئت [فإني] أفعله، إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك وإن شئت ترسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك، وإن شئت دعوت ربك فجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإن أحب إن أخبرته رسلته أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك، فلم يأمن أن يقتله، فانطلق معه فإني سأشغل عنكما أحب فأضاعف على ابنه البلاء، حتى لا يكون له هم غيره، ثم أميته

على شرِّ حال، فإذا مات هو فارجع عنه.

قال: فانطلق معهم حتى قدموا على آجب، فلما قدموا شدَّ الله تعالى الوجدع على ابنه وأخذ الموت يكظمه، فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن إلياس، فرجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقلَّ جزعه انتبه لإلياس، وسأل عنه الكاتب الذي جاء به، فقال له: ليس لي علم به شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه، ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه، فأعرض عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه، فلما طال الأمر على إلياس ملَّ السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أم يونس بن متى ذي النون، استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع، فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها، ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال فأحب للقوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه، فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها ففقدته.

ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها يونس حين فطمته، فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه، فوجدته وقالت له: إني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لفقدته بلائني، وليس لي ولد غيره،

فوصفته بوصفته فعرفوه، فقالوا ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم، ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به صُرُّ فآوته وأخفت أمره، فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع إلياس فأمن به وصدقه ولزمه.

وكان يذهب حيث ما ذهب وكان إلياس قد أسن فكبر واليسع غلام شاب، ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس: أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطيور والهوام بحبس المطر، فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال: يا رب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، فقيل له: نعم، جاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال: إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ودعوت [لكم] الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها، فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء.

ثم قالوا لإلياس: إنا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا، فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم

السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة [سبع سنين] إلا بشفاعتي، فإنهم لا يذللهم إلا ذلك.

قال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقى من ذلك، وإن كانوا ظالمين، قال: فست سنين، قال: أنا أرحم بخلقى من ذلك، قال: فخمس سنين، قال: أنا أرحم بخلقى من ذلك قال: فأربع سنين قال: أنا أرحم بخلقى من ذلك ولكني أعطيك ثارك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك.

قال إلياس: فبأي شيء أعيش؟ قال: أسخر لك جيشاً من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف [ومن] الأرض التي لم تقحط، فقال إلياس: قد رضيت، قال: فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً، وإلياس على حاله مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان، وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل شراً. قال ابن عباس: أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمَزَّ إلياس بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ قالت: نعم شيء من دقيق وزيت قليل.

قال: فدعا ربه ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقاً، وملأ خوابيها زيتاً، فلما رأوا ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مرَّ بي رجل من حاله كذا وكذا،

فأرحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني وإني قد تركته مسجى لم أدفته، وقد أخفيت مكانه.

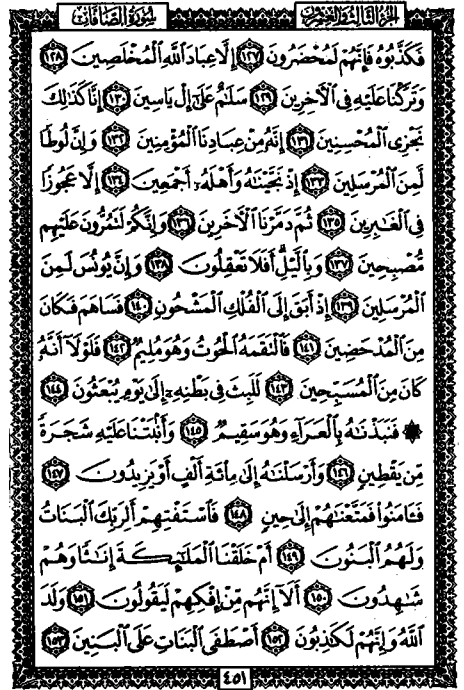
فقال لها إلياس: ليس هذا مما أمرت به، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي، فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب إلياس لها.

فقال لها: متى مات ابنك؟ قالت: منذ سبعة أيام فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها، فوجد ابنها ميتاً له أربعة عشر يوماً، فتوضأ وصلى ودعا، فأحيا الله تعالى يونس بن متى.

فلما عاش وجلس وثب إلياس وتركه وعاد إلى موضعه، فلما طال [عليه] عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعاً فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مهوود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه؟ أأنت أمينى على وحيي ووحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي؟ فسألني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

قال: تميمتي وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني، فأوحى الله تعالى إليه: يا إلياس ما هذا اليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحتها بك وبأشباهك، وإن كنتم قليلاً ولكن سلني فأعطك، قال إلياس: إن لم تمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل.

قال الله تعالى: فأني شيء تريد أن أعطيك؟ قال: تمكن من خزائن



فرفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فكساه الريش فكان إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم، فقتل آجب وامراته أزييل في بستان مزدكسي، فلمس تزل جيفتهما ملقاتين في تلك الجنيحة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما، ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولاً إلى

بني إسرائيل، وأوحى الله تعالى إلى اليسع وأيده، فأمنت به بنو إسرائيل فكانوا يعظمونه، وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقه اليسع.

وروى السري بن يحيى عن عبدالعزیز بن أبي رواد، قال: الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان بيت المقدس، ويوافقان الموسم في كل عام.

وقيل: إن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّيْسَانَ لَيِّنَ الرَّسُولِينَ﴾.

١٢٤ - ١٢٥ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ آلَا تَتَّقُونَ﴾ اتعبدون، ﴿بِمَلَا﴾ وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الرب بلغة أهل اليمن.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾، فلا تعبدونه.

١٢٦ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأُولَى﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ﴾ بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف.

١٢٧ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، في النار.

١٢٨ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، من قومه فإنهم نجوا من العذاب.

١٢٩ - ١٣٠ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سلم على آل ياسين، قرأ نافع وابن عامر «آل ياسين» بفتح الهمزة مشبعة، وكسر اللام مقطوعة، لأنها في المصحف مفصولة. وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة.

فمن قرأ «آل يس»، مقطوعة، قيل: أراد آل محمد ﷺ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد آل إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل.

واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياس لغة في إلياس مثل إسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين وميكال وميكايل.

وقال الفراء: هو جمع أراد [به] إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبدالله بن مسعود: سلام على إدراسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

١٣١ - ١٣٢ ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا نَبِيًّا رَبِّكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إنهم من عبادنا المؤمنين

ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم، وأحييت بلادهم، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه، فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقبل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا فخرج فيه إلى موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار، وقيل: لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق به الفرس فناداه اليسع: يا إلياس، ما تأمرني؟ فقفذ إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به،

وَلَوْ لَوْكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ بَحَّثْنَاهُ وَأَهْلَاهُ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا نَجْرًا فِي الْعَدِيدِينَ ﴿١٣٨﴾ أَي
الباقيين في العذاب.

﴿١٣٦﴾ نَمَّ دَمْرًا الْآخِرِينَ ﴿١٣٧﴾
والتدمير: الإهلاك.

﴿١٣٧﴾ وَوَلَّكَ لَمْرُونَ عَلَيْهِمْ ﴿١٣٨﴾ عَلَى
آثارهم ومنازلهم، ﴿مُضْجِحِينَ﴾،
[أي] وقت الصباح.

﴿١٣٨﴾ وَيَأْتِلُّ ﴿١٣٩﴾ يَريد تمررون
بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى
أسفاركم ورجعتم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾،
فتعتبرون [بهم].

﴿١٣٩﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ يُؤَسَّ كَيْفَ
الْمُرْسَلِينَ﴾، أَي من جملة رسل الله.

﴿١٤٠﴾ إِذْ أَبَى إِلَى الْفُلَاكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤١﴾
يعني هرب، قال ابن عباس رضي الله
عنهما ووهب: كان يونس وعد قومه
العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب
خشى على نفسه القتل فخرج
كالمشور منهم، فقصده البحر فركب
السفينة، فاحتبست السفينة فقال
الملاحون: ههنا عبد أبى من سيده،
فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس،
فاقترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس،
فقال يونس: أنا الأبى، وزج نفسه في
الماء.

وروي في القصة: أنه لما وصل
إلى البحر كانت معه امرأته وابنان
له، فجاء مركب فأراد أن يركب
معهم فقدم امرأته ليركب بعدها،
فحال الموج بينه وبين المركب ومز
المركب، ثم جاءت موجة أخرى
وأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ
الابن الأصغر، فبقي فريدها، فجاء
مركب آخر فركبه فقعده ناحية من

القوم، فلما مرت السفينة في البحر
ركدت، فاقترعوا، وقد ذكرنا القصة
في سورة يونس.

﴿١٤١﴾ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿سَاهَمَ﴾، فقارع، والمساهمة إلقاء
السهم على جهة القرعة، ﴿فَكَانَ بَيْنَ
الْمُنْحَصِبِينَ﴾، أي المقروعين.

﴿١٤٢﴾ فَالْقَمَّةُ الْكُوثُ ﴿١٤٣﴾ ابْتَلَعَهُ،
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أَي آت بما يلام عليه.

﴿١٤٤﴾ فَكَوَلَا أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ
الْمُسَيَّبِينَ﴾، من الذاكرين لله قبل

ذلك، وكان [عليه السلام] كثير
الذكر، وقال ابن عباس: من
المصلين. وقال وهب: من
العابدين. وقال الحسن: ما كانت له
صلاة في بطن الحوت ولكنته قدم
عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكر
الله تعالى له طاعته القديمة. وقيل:
«فلولا أنه كان من المسبحين» في
بطن الحوت. قال سعيد بن جبير:
يعني قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
[الأنبياء: ٨٧].

﴿١٤٥﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِيهِ إِلَى يَوْمِ
يَعْتُورُنَّ﴾، لصار بطن الحوت له قبراً
إلى يوم القيامة.

﴿١٤٦﴾ فَتَبَدَّدَهُ﴾، طرحناه،
﴿وَالْعَرَّةُ﴾، يعني على وجه الأرض،
قال السدي: بالساحل، والعراء
الأرض الخالية عن الشجر والنبات.
﴿وَهُوَ مَقِيمٌ﴾، عليل كالفرخ
المعط.

وقيل: كان قد بلي لحمه ورق
عظمه ولم يبق له قوة.

واختلفوا في مدة لبثه في بطن
الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة

أيام. وقال عطاء: سبعة أيام. وقال
الضحاك: عشرين يوماً.

وقال السدي والكلبي ومقاتل بن
سليمان: أربعين يوماً. وقال
الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

﴿١٤٧﴾ وَأَنْتَنَا عَلَيْهِ﴾، أَي لسه،
وقيل: عنده، ﴿شَجَرَةً بَيْنَ يَظْطِينَ﴾،

يعني القرع، على قول جميع
المفسرين، وقال الحسن ومقاتل:

كل نبت يمد ويتبسط على وجه
الأرض ليس له ساق ولا يبقى على

الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو
يقطين، قال مقاتل بن حيان: فكان

يونس يستظل بالشجرة، وكانت وعلة
تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة

وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره
وقوي، فنام نومة فاستيقظ وقد

بيست الشجرة فحزن حزناً شديداً
وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي،

فبعث الله تعالى إليه جبريل وقال:
أتحزن على شجرة ولا تحزن على

مائة ألف من أمتك وقد أسلموا
وتابوا، فإن قيل: قال ههنا: ﴿فَتَبَدَّدَهُ
وَالْعَرَّةُ﴾، وقال في موضع آخر:

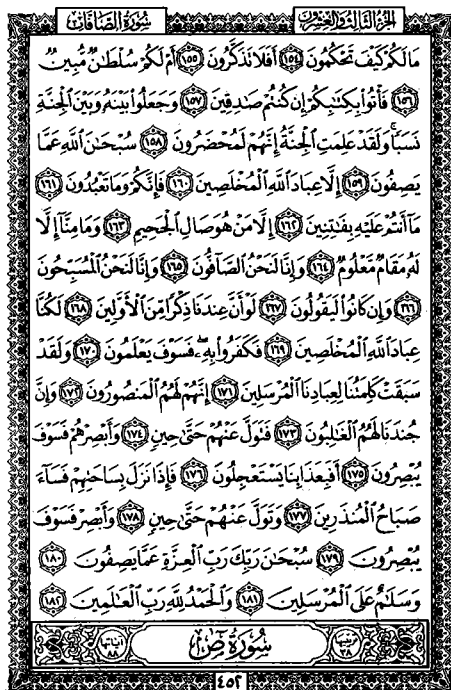
﴿وَلَا أَنْ تَذَكَّرُ صَمَةً مِنْ رَبِّهِ لَتُبَدَّ
بِالْعَرَّةِ﴾ [القلم: ٤٩] فهذا ما يدل

على أنه لم يبدد؟ قيل: «لولا» هناك
ترجع إلى الدم، معناه: لولا نعمة

من ربه لتبدد بالعراء وهو مدموم،
ولكن تداركه بالنعمة فبئذ، وهو غير
[مدموم].

﴿١٤٨﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى
يَاقَةَ الْغَيْبِ﴾، قال قتادة: أرسل إلى

أهل نينوي من أرض الموصل قبل
أن يصيبه ما أصابه، وقولته:
﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ أَي وقد أرسلناه، وقيل:



﴿فَأَسْمَأُ﴾، يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب، ﴿فَسْتَنْتَهُمْ إِلَىٰ جَيْنٍ﴾، أي حين انقضاء آجالهم.

﴿١٤٨﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَنْتَهُمْ﴾، فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿الرَّيْكَ الْبَنَاتُ وَالْهَمُّ الْبُسُوتُ﴾، وذلك أن جهينة وبني سلمة وبني عبدالدار زعموا أن الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - يقول: جعلوا لله البنات

كان إرساله بعد خروجه من بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، [قال ابن عباس: معناه: «ويزيدون» أو بمعنى السواو كقوله: ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ [المرسلات: ٦]] قال مقاتل والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال الزجاج: ﴿أَوْ﴾ ههنا على أصلها، ومعناه أو يزيدون على تقديركم وظنكم، كالرجل يرى قوماً فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين، والأكثرين على أن معناه ويزيدون. واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة، فقال ابن عباس ومقاتل: كانوا عشرين ألفاً. ورواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وقال الحسن: بضاً وثلاثين ألفاً. وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً.

﴿١٤٩﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أفلا تتعظون. ﴿لَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾، برهان بين على أن الله ولداً.

﴿١٥٠﴾ ﴿فَأَنَّا يَكْتُكِبُ﴾، الذي لكم فيه حجة، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، في قولكم. ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَبْأً﴾، قال مجاهد وقادة: وأراد بالجنة: الملائكة، سُموا لاجتنانهم عن الأبصار. وقال ابن عباس: [هم] حي من الملائكة يقال لهم الجن، منهم إبليس، قالوا: هم بنات الله. وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد كان زعم بعض قریش أن الملائكة بنات الله - تعالى الله -، فقال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن، وقال الحسن: معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾، يعني قائلها هذا المقالة، ﴿لَمُحَضَّرُونَ﴾، في النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

﴿١٥١﴾ ﴿لَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾، معناه: أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾، حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿١٥٢﴾ - ﴿آلَا إِنَّهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَيْهِمْ﴾، من كذبهم، ﴿لَيَقُولُنَّ وَلَئِن لَّا رَأَيْنَاهُمْ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ﴾، هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم لا يحضرون.

﴿١٥٣﴾ - ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ غَنَىٰ﴾، ﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾، من الأصنام.

﴿١٥٤﴾ ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ﴾، على ما تعبدون، ﴿بِقَبْتَيْنِ﴾، بمضلين أحداً.

ولأنفسهم البنين.

﴿١٥٥﴾ ﴿لَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾، معناه: أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾، حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿١٥٦﴾ - ﴿آلَا إِنَّهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَيْهِمْ﴾، من كذبهم، ﴿لَيَقُولُنَّ وَلَئِن لَّا رَأَيْنَاهُمْ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ﴾، هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم لا يحضرون.

﴿١٥٧﴾ ﴿أَصْطَفَىٰ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿لَكَذِبُونَ﴾ ﴿أَصْطَفَىٰ﴾ موصولاً على الخير عن قول المشركين، وعند الألف، وقراءة [العامة] بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل استكبرت ونحوها، ﴿أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار، أي سبق له في علم الله الشقاوة.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لَمْ يُعَلِّمْهُمْ﴾، يقول جبرائيل للنبي ﷺ وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

وروينا عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أُطِّبَ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَشْطُ، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

قال السدي: إلا له مقام معلوم في القرية والمشاهدة. وقال أبو بكر الوراق: إلا له مقام معلوم يعبد الله عليه، كالخوف والرجاء والمحبة والرضا.

﴿وَمَا لَتَعَنَّ السَّمَاوَاتُ﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

﴿وَمَا لَتَعَنَّ السَّمَاوَاتُ﴾، أي المصلون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح، وأنهم ليسوا بمتعبدين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾، أي وقد كانوا يعني أهل مكة،

﴿لِيَقُولُونَ﴾، [هذه] لام التأكيد.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾، أي كتاباً مثل كتاب الأولين.

﴿لَكِنَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ففكروا بيه فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، هذا تهديد لهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كَلِمَاتًا لِّمَآدِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، وهي قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿إِنَّمِ لَهُمْ الْمُصَوِّرُونَ﴾، ﴿وَلَا جُنْدًا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

﴿قَوْلٌ﴾، فأعرض، ﴿عَنَّهُمْ حَقٌّ حِينٌ﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم بدر وقال السدي: حتى يأمرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

﴿وَأَيُّرْتُمْ﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يَبُورُونَ﴾، ذلك فقالوا: متى هذا العذاب؟

﴿فَقَالُوا﴾، فقال الله عز وجل: ﴿أَفَعِمَّادِيَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَإِذَا نَزَلَ، يعني العذاب، ﴿يَسْأَلُونَ﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَذَرِّينَ﴾، فينس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي،

أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، أخبرنا مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خيبر، أتاه ليلاً وكان إذا جاء قوماً بليل لم يغز حتى يصبح، قال: فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكائنها، فلما رأوا النبي ﷺ، قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» ثم كرر ما ذكرنا تأكيداً لوعيد العذاب.

﴿وَتَوَلَّ عَنَّهُمْ حَقٌّ حِينٌ﴾ وَأَيُّرْتُمْ، العذاب إذا نزل بهم، ﴿فَسَوْفَ يَبُورُونَ﴾، ثم نزه نفسه.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ﴾، الغلبة والقوة، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، من اتخاذ الصاحبة والأولاد.

﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

﴿وَلَعَلَّهُ لِيَوْمِ الْعَلَمَاتِ﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهلوية، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية، عن أصبغ بن

وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم . وبين الجواب أفاصيص وأخبار كثيرة .

وقال القتيبي: بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم بـ«ص» والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق [و] خلاف وعداوة لمحمد ﷺ .

وقال مجاهد: ﴿ فِي عِزَّةٍ ﴾ معازين . ﴿ كَرَّ أَهْلَكَا بَيْنَ قَلْبِهِمْ مِنْ قَرِينٍ ﴾ ، يعني من الأمم الخالية، ﴿ فنادوا ﴾ ، استغاثوا عند نزول العذاب وحول النقمة، ﴿ وَوَلَاتَ جِبْنَ مَنَاسٍ ﴾ ، قوة، ولا فرار، و«المناس» مصدر ناص

ينوص، وهو الفوت والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر، وياص ييوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زيدت فيها التاء، كقولهم: رب وربت وثم وثمت، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاه، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائي بالهاء: «لاه»، وذهب جماعة إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم ابتدئ «تحين» وهو اختيار أبي عبيدة، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان، وهذا كقول أبي وجرة السعدي:

«العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما مطعم» وفي حديث ابن عمر، وسأله رجل عن عثمان، فذكر مناقبه ثم

ذِي الذِّكْرِ، أي ذي البيان، قاله ابن عباس ومقاتل، وقال الضحاك: ذي الشرف، دليبه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو قسم، واختلفوا في جوابه قيل: جوابه قد تقدم، وهو قوله ﴿ص﴾ أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق .

وقال الفراء: ﴿ص﴾ معناها وجب وحق، فهي جواب قوله: ﴿ وَالْقُرْآنَ ﴾ ، كما تقول: نزل والله، وقيل: جواب القسم

محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا، ﴾ وقال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا، ﴾ ، كما قال [ق] « وَالْقُرْآنَ الْجِيدَ بَلٍ عِجْرًا، ﴾ [ق: ١ و ٢] . وقيل:

فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا، ﴿ فِي عِزَّةٍ وَيَقِيْنًا، ﴾ والقرآن ذي الذكر .

قال الأخفش: جوابه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ ﴾ [ص: ١٤] كقوله: ﴿ تَأَلَّوْا إِن كُنَّا ﴾ [الشعراء: ٩٧]، وقوله: ﴿ وَالطَّارِقُ وَالطَّارِقُ وَمَا أُنذِرُكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ [التيمم: ١] . إن كل نفس، وقيل: جوابه قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا ﴾ [ص: ٥٤] .

وقال الكسائي: قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ فَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص: ٦٤]،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّ أَهْلَكَا بَيْنَ قَلْبِهِمْ مِنْ قَرِينٍ فَنادُوا وَوَلَاتَ جِبْنَ مَنَاسٍ ﴿٣﴾ وَعِجْرًا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ اجْعَلِ الْآيَةَ الْهَامَّةَ الْهَامًا إِنَّ هَذَا لَنَتِي عِجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَٰئِهِ الْهَيْكَلُ إِنَّ هَذَا لَنَتِي شِرْكَادٌ ﴿٦﴾ مَا صِغَرْنَا بِهَذَا فِي الْمِثْلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِذٌ ﴿٧﴾ أُنزِلَ عَلَٰيهِ الذِّكْرُ مِنْ بَنِيْنًا لَمْ يَمِسْ مِنْ ذِكْرِ بَلٍ لَّمْ يَأْتِدْ وَفَوَاعِلُ آبِ أَرْضُهُمْ عِزَّابٌ رِّحْمَةً رَبِّكَ الْعَزِيزِ الرَّوْعَابِ ﴿٨﴾ أَمْ لَمْ تُهْمَكُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا فَذُرِّيَّةً فِي الْأَسْتِيبِ ﴿٩﴾ جُنْدٌ مَا هَآءُكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ قَلْبَهُمْ قَوْمٌ بُوعٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١١﴾ وَشُعْرُبُ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْرَابُ ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٣﴾ وَمَا نُنْظَرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِغْرَةً وَجِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا لَرِزْقُنَا عِجْلًا لَمَّا قُنَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾

بنانة عن علي قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

سورة ص

مكية وهي ثمان وثمانون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ «ص»، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: «ص» مفتاح اسم الصمد، وصادق الوعد . وقال الضحاك: معناه صدق الله .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ، «وَالْقُرْآنَ

قال: «اذهب بها تلان إلى أصحابك، يريد الآن. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض: مناص، أي: اهربوا وخذوا حذرکم، فلما أنزل الله بهم العذاب ببدر قالوا: مناص، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ مَنْصِرِينَ﴾ أي ليس هذا حين هذا القول. ﴿وَجِبْرًا﴾، يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، «أَنْ جَاءَهُمْ سُورَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ»، يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم، ﴿وَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجْمَلَ الْآيَةَ إِلَهِهَا وَجَعَلَهَا﴾.

وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش، وفرح به المؤمنون.

فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سنناً الوليد بن المغيرة، فقال لهم: امشوا إلى أبي طالب، فأتوا أبا طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤاء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا يسألوني؟» قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال النبي ﷺ: «أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطيكها وعشر

أمثالها، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله» فنفروا من ذلك وقاموا، وقالوا: اجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحداً؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ عَجَابٌ﴾، أي عجيب.

والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكُرام، وكبير وكبار، وطويل وطُوال، وعريض وعراض.

﴿وَأَنطَلَقَ اللَّأْمُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى مَا إِلَيْهِمْ﴾، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب، ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ يُرَادُ﴾، أي لأمر يراد بنا.

وذلك أن عمر بن الخطاب لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

﴿وَمَا سَكَعْنَا بِهَذَا﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿فِي آيَةِ الْآخِرَةِ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، ﴿إِنَّ هَذَا لَأَلَّا تَخْلُقُوا﴾، كذب وافتعال.

﴿أَمْزِيلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، القرآن، ﴿مِنْ بَيْنَتَيْنَا﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي سَبْكِ يَنْ ذِكْرِي﴾، أي

وحياي وما أنزلت، ﴿بَلْ لَمْ يَذُوقُوا عَذَابِ﴾، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

﴿أَمْزِعْهُمْ﴾ أعندهم، ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾، يعني نعمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا، ونظيره ﴿أَمْزِ يَمْسُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أي نبوة ربك، ﴿الْمَرْزِقَ الْوَهَّابِ﴾، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ.

﴿أَمْزِ لَهُمْ تِلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، أي ليس لهم ذلك، ﴿فَلْيَرْجِعُوا فِي الْاَسْتِغْبَاةِ﴾، أي إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توييح وتعجيز.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك، و﴿مَا﴾ صلة، ﴿مَمْرُومٌ﴾ مغلوب، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، أي من جملة الأجناد يعني قريشاً، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال ﴿سَيُؤْتِيهِمُ الْوَيْلَ الَّذِي﴾ [القمر: ٤٥]، فجاء تأويلها يوم بدر، وهناك إشارة إلى بدر ومصارعتهم من الأحزاب، أي من جملة الأحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهرها وأهلكوا.

أَصْرَعْنَ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي إِذْ أَنزَلْنَاهُ آوَابًا ﴿١٧﴾
 إِنَّا نَسَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُمْ يُسَخِرْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ آوَابٌ ﴿١٩﴾ وَنَسَخَرْنَا مَا مَلَكَوهُمُ الْجِبَالُ وَالْحِجَابُ
 وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْحَضَمِ إِذْ سَوَّرُوا
 الْيَحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ تَخْلَوْنَ عَلَى دَاوُدَ فَفَرِحَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ
 حَضَمَانَ بَعْنِ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ
 وَأَهْدِنَا إِلَى سَوِيَّةِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً
 وَلَنْ نَجِدَهُ وَجِدَةً فَقَالَ أَكَلْتُمْنَاهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَيْنَا جَاءُوا وَإِنْ كُنَّا مِنْهُ لِنَحْتَلِهُ لَنَلْبِغِي
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لِرُفْعِي وَحَسَنِ مَنَاصِبِ
 ﴿٢٥﴾ نَبْدَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

٤٥٤

وهو رواية عطية عن ابن عباس .

وقال الكلبي ومقاتل: الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد، يشد كل يد ورجل منه إلى سارية، ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت .

وقال مجاهد ومقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض، ثم يشد يديه

ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه .

﴿١٧﴾ ﴿وَتَسْمُودُ وَقَوْمٌ لُّوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْلَىٰ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، الذين تحزبوا على الأنبياء، واعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب .

﴿١٨﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَا كَلَّ﴾، ما كل، ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِي﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي .

﴿١٩﴾ ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾، ينتظر، ﴿هَؤُلَاءِ﴾، يعني كفار مكة، ﴿إِلَّا صَبِيحَةً وَجِدَّةً﴾، وهي نفخة الصور، ﴿مَا لَهَا مِنْ فُوقٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿فُوقٍ﴾ بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: [معناه] من رجوع، أي ما يرد ذلك الصوت

﴿٢٠﴾ ثم قال معزياً لنبيه ﷺ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَرْوَاحِ﴾ قال ابن عباس، ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت، وقال القتيبي: تقول العرب: هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد .

وقال الأسود بن يعفر: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد .

وقال الضحاك: ذو القرة والبطش . وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني أنهم كانوا يقرون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي الوتد الشيء، وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضيرونها ويوتدونها في أسفارهم،

فيكون له رجوع . وقال مجاهد: نظرة . وقال الضحاك: مثنوية، أي صَزَفٌ وَرَدُّ، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف، وفرق بعضهم بين الفتح والضم .

فقال الفراء، وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، ذهب بها إلى إفاقة المريض من علته، والفُوق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن، فما بين الحلبتين فُوق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضاً مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة .

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجَلٌ لَّنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما نزلت في الحاقة [١٩ و ٢٥]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ يَسْمِيهِ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ يَشْمَلِيهِ﴾، قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب .

وقال سعيد بن جبير: يعنون حطنا ونصيينا من الجنة التي تقول . وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيينا من العذاب . وقال عطاء: قاله النضر بن الحارث، وهو قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَطِئْ عَلَيْنَا حِكْمَكَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ . وعن مجاهد قال: «قطنا» حسابنا، ويقال لكتاب الحساب «قط» . وقال أبو

عبيدة والكسائي: القَطِّ الكتاب بالجواز.

﴿١٧﴾ قال الله تعالى: ﴿وَأَسْمِرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، أي على ما يقولون الكفار من تكذيبك، ﴿وَأَذْكَرَ عَبْدَكَ دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامَ دَاوُدَ، وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةَ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ».

وقيل: ذو القوة في الملك. ﴿إِنَّهُ أَرْبَابٌ﴾، رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس مطيع. قال سعيد بن جبیر: مسیح بلغة الحبش.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾، كما قال: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. ﴿وَسَخَرْنَا﴾ بتسبيحه، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْإِشْرَاقُ﴾، قال الكلبي: غدوة وعشية، والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها، وفسره ابن عباس: بصلاة الضحى.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فننجويه، ثنا ابن أبي شيبه، ثنا الحسين بن بختويه، ثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، ثنا الحجاج بن

نصير، أنا أبو بكر الهذلي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْإِشْرَاقُ﴾، قال: كنت أمرّ بهذه الآية ولا أدري ماهي حتى حدثني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى، فقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق».

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالطَّيْرَ﴾، أي وسخرنا له الطير، ﴿مُحْشَرَةً﴾، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿كُلُّ لَهْرٍ أَرَابٌ﴾، مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أواب معه أي مسبح.

﴿٢٠﴾ ﴿وَسَدَدْنَا مَلَكُومَ﴾، أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا محمد بن خالد بن الحسن، ثنا داود بن سليمان، ثنا محمد بن حميد، ثنا محمد بن الفضل، ثنا داود بن أبي الفرات، عن علي بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام فقال أن هذا غصيني بقرأ، فسأله داود فجحد، فقال للآخر: البينة؟ فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه، فقال: هذه رؤيا

ولست أعجل حتى أثبتت، فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل، فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتبه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال: إن الله أوحى إلي أن اقتلك، فقال: تقتلني بغير بينة؟ قال داود: نعم والله لأنفذ أمر الله فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال له: لا تعجل حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فلذلك أخذت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتد به ملكه فلذلك قوله عز وجل: ﴿وَسَدَدْنَا مَلَكُومَ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿رَبِّ السَّمَاءِ الْعَلِيِّ﴾، يعني النبوة والإصابة في الأمور، ﴿وَقَصَلَّ لَيْطَابٍ﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: «فصل الخطاب» الشهود والأيمان، وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد» إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول من قاله داود عليه السلام.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ أَتَدْرِكُونَ﴾، هذه الآية من [قصة] امتحان داود عليه السلام، اختلف العلماء بأخبار

ذلك لأنه كان ذلك رغبة في الدنيا،
وازدباداً للنساء، وقد أغناه الله عنها
بما أعطاه من غيرها.

وروي عن الحسن في سبب
امتحان داود عليه السلام: أنه كان قد
جزأ الدهر أجزاء يوماً لنسائه، ويوماً
للعبادة، ويوماً للقضاء بين بني
إسرائيل ويوماً لبني إسرائيل يُذكروهم
ويذكرونه ويبيكهم ويبيكونه، فلما
كان يوم بني إسرائيل ذكروه فقالوا:
هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب
فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه
سيطيق ذلك. وقيل: إنهم ذكروا فتنة
النساء فأضمر داود في نفسه أنه إذا
ابتلي اعتصم، فلما كان يوم عبادته
أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه
أحد، وأكب على التوراة فبينما هو
يقرأ إذ دخلت عليه حمامة من ذهب
كما ذكرنا، قال: وكان قد بعث
زوجها على بعض جيوشه فكتب إليه
أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار
إليه قتل، ففعل فأصيب فتزوج
امرأته، قالوا: فلما دخل داود بامرأة
أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى
بعث الله إليه ملكين في صورة
رجلين في يوم عبادته، فطلبوا أن
يدخلا عليه، فمتهما الحرس فتسورا
المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي
إلا وهما بين يديه جالسين، يقال:
كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عزَّ
وجلَّ: ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبَتْ نَزْوَى الْخَصْمِ﴾،
خبر الخصم، ﴿إِذْ سَرَّوْا بِالْمِحْرَابِ﴾،
صعدوا وعلوا، يقال: تسورت
الحائط والسور إذا علوته، وإنما
جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم
اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع

حتى وقعت في كوة، فذهب
ليأخذها، فطارت من الكوة، فنظر
داود أين تقع فبعث من يصيدها،
فأبصر امرأة في بستان على شط بركة
لها تغتسل. هذا قول الكلبي وقال
السدي: رأها تغتسل على سطح لها
فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً،
فعجب داود من حسنها وحانت منها
التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها
فغطى بدنهما، فزاده ذلك إعجاباً بها
فسأل عنها، فقيل هي تيشايح بنت
شايع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها
في غزاة باللقاء مع أيوب بن سوريا
ابن أخت داود. وذكر بعضهم أنه
أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته،
فكان ذنبه هذا القدر.

وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى
ابن أخته أيوب أن أبعث أوريا إلى
موضع كذا، وقدمه قبل التابوت
وكان من قدم على التابوت لا يحل
له أن يرجع وراهه حتى يفتح الله
على يديه أو يستشهد، فبعثه وقدمه
ففتح له، فكتب إلى داود بذلك
فكتب إليه أيضاً أن يبعثه إلى عدو
كذا وكذا، فبعثه ففتح له، فكتب إلى
داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن يبعثه
إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً،
فبعثه فقتل في المرة الثالثة، فلما
انقضت عدة المرأة تزوجها داود،
فهي أم سليمان عليهما السلام.

وروي عن ابن مسعود رضي الله
عنه أنه قال: كان ذلك ذنب داود أنه
التمس من الرجل أن ينزل له عن
امرأته.

قال أهل التفسير: كان ذلك مباحاً
لهم غير أن الله تعالى لم يرض له

الأنبياء عليهم السلام في سببه، فقال
قوم: كان سبب ذلك أنه عليه السلام
تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه
إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل
ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه
من الفضل مثل ما أعطاهم.

فروى السدي والكلبي ومقاتل:
عن أشياخهم قد دخل حديثهم
بعضهم في بعض، قالوا: كان داود
قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوماً يقضي
فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة
ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله، وكان
يجد فيما يقرأ من الكتب فضل
إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا
رب أرى الخير كله قد ذهب به أبائي
الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه
أنهم ابتلوا ببلايا لم تتبل بها فصبروا
عليها، ابتلي إبراهيم بنمرود ويذبح
ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح ويذهب
بصره، وابتلي يعقوب بالحزن على
يوسف، فقال: رب لو ابتليتني بمثل
ما ابتليتهم صبرت أيضاً، فأوحى الله
إليه أنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم
كذا فاحترس، فلما كان ذلك اليوم
الذي وعده الله دخل داود محرابه
وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ
الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه
الشیطان قد تمثل في صورة حمامة
من ذهب فيها من كل لون حسن.

وقيل: كان جناحها لها من الدر
والزبرجد فوقعت بين رجله فأعجبه
حسنها، فمد يده ليأخذها ويريها بني
إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله تعالى،
فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من
غير أن تؤسه من نفسها، فامتد إليها
ليأخذها، فتنحت، فتبعها فطارت

والمذكر والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنین موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ صَدَقَ قَوْلُكُمْ كَمَا﴾ [التحریم: ٤].

﴿٢٢﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَتَزَعَّ مِنْهُمُ﴾، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما علي، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾، أي نحن خصمان ﴿بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ جئناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قالوا: ﴿بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معارضض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما ﴿فَأَعْرَضْنَا عَنْكَ وَالْحَقُّ وَلَا نُشِطُ﴾، أي لا تجر، يقال: شط الرجل شططاً وأشط إشطاطاً إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من شطت الدار وأشطت إذا بعدت. ﴿وَأَقْرَبْنَا إِلَى سَوَاءِ الْبَصِيرَةِ﴾، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلموا.

﴿٢٣﴾ فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، أي على ديني وطريقي، ﴿لَكَمْ تَبِعَ وَتَسَوَّنَ تَبِعَةً﴾، يعني امرأة، ﴿وَوَلَّى تَبِعَةً وَجِدَةً﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة.

قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نجاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً أو اشترى بكر داراً، ولا ضرب هنالك ولا شراء، ﴿فَقَالَ أَكْثَلِيًّا﴾، قال ابن عباس: اعطينها قال مجاهد: انزل لي عنها. وحققتها

ضمها إلي فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليها، والمعنى: طلقها لأزواجها، ﴿وَعَزَّنِي﴾، وغلبني، ﴿فِي الْخِطَابِ﴾، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. قال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني.

وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ﴾، أي قال داود: ﴿قَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالَ تَجَانِكَ إِكَّ بِمَا جِئْتَهُ﴾، أي بسؤاله نعتك ليضمها إلى نجاجه، فإن قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟- قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿وَإِنَّ كَيْدًا بَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾، الشركاء، ﴿إِنِّي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يظلم بعضهم بعضاً، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم لا يظلمون أحداً. ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾، أي قليل هم ﴿وَمَا﴾ صلة يعني الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿وَلَنْ دَاوُدَ﴾، أيقن وعلم، ﴿أَنَّمَا فُتِنْتَهُ﴾، إنما ابتليناه.

وقال السدي بإسناده: أن أحدهما لما قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ الآية قال

داود للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي نعجة واحدة وأنا أريد أن أخذها منه فأكمل نجاجي مائة، وهو كاره، قال: إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا، يعني طرف الأنف وأصله والجبهة، فقال: يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، ولك تسع وتسعون امرأة، فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته، فنظر داود فلم ير أحداً ففر ما وقع فيه.

وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة أن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله.

وقيل: كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته، فاجتنب لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، قال: ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافي بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدثني يونس بن

عبد الأعلى الصيرفي أنا ابن وهب
أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن
يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك
رضي الله عنه سمعه يقول: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «إن داود النبي
حين نظر إلى المرأة فهمم أن يجمع
على بني إسرائيل وأوصى صاحب
البعث، فقال: إذا حصر العدو فترب
فلاناً بين يدي التابوت، وكان
التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
وبمن قدم بين يدي التابوت، فلم
يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش
فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان
يقصان عليه قصته فظن داود فسجد
ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت
الزروع من دموعه على رأسه وأكلت
الأرض من جبينه. وهو يقول في
سجوده: ربّ زل داود زلة أبعد مما
بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم
ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من
بعده، فجاء جبريل من بعد أربعين
ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر
لك الهمم الذي هممت به، فقال
داود: إن الرب قادر على أن يغفر لي
الهمم الذي هممت به، وقد عرفت
أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان
إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب
دمي الذي عند داود، فقال جبريل:
ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت
لأفعلن، قال: نعم فخرج جبريل
وسجد داود، فمكث ما شاء الله ثم
نزل، فقال: سألت الله يا داود عن
الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود
إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول
له هب لي دمك الذي عند داود

فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن
لك في الجنة ما شئت وما اشتيت
عوضاً عنه».

وروي عن ابن عباس، وعن
كعب الأحبار، ووهب بن منبه،
قالوا جميعاً: إن داود لما دخل عليه
الملكان فقاضى على نفسه فتحولا
عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان
قاضى الرجل على نفسه، وعلم داود
أنه إنما عني به فخر ساجداً أربعين
يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت
صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً تمام
أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب،
وهو يبكي حتى نبت العشب حول
رأسه وهو ينادي ربه عز وجل،
ويسأله التوبة، وكان من دعائه في
سجوده: سبحان الملك الأعظم
الذي يتلى الخلق بما يشاء، سبحان
خالق النور، سبحان الحائل بين
القلوب، سبحان خالق النور، إلهي
أنت خلقت بيني وبين عدوي إبليس
فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان
خالق النور، إلهي أنت خلقتني وكان
من سابق علمك ما أنا إليه صائر،
سبحان خالق النور، إلهي الويل
لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال
هذا داود الخاطيء، سبحان خالق
النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم
القيامة، وإنما ينظر الظالمون من
طرف خفي، سبحان خالق النور،
إلهي بأي قدم أقوم أمامك وأقوم بين
يديك يوم القيامة، يوم تزل أقدام
الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي
من أين يطلب العبد المغفرة إلا من
عند سيده؟ سبحان خالق النور إلهي
أنا الذي لا أطيق حرّاً شمسك فكيف

أطيق حرّاً نارك، سبحان خالق النور،
إلهي أنا الذي لا أطيق صوت
رعدك، فكيف أطيق سوط جهنم؟
سبحان خالق النور، إلهي الويل
لداود من الذنب العظيم الذي
أصاب، سبحان خالق النور، إلهي
أنت تعلم سري وعلانيتي فأقبل
عذري، سبحان خالق النور، إلهي
برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني
من رحمتك لهوأي، سبحان خالق
النور، إلهي أعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي أوبقتني،
سبحان خالق النور، إلهي فررت
إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا
تجعلني من القانطين، ولا تخزني
يوم الدين، سبحان خالق النور.

قال مجاهد: مكث أربعين يوماً
ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت
المرعى من دموع عينيه وغطى
رأسه، فنودي: يا داود أجانع
فتقطع؟ أم ظمان فتسقى؟ أو عار
فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب.

قال: فنحب نوبة هاج لها العود
فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله
له التوبة والمغفرة.

قال وهب: إن داود أتاه نداء:
إني قد غفرت لك، قال: يا رب
كيف وأنت لا تظلم أحداً؟ قال:
أذهب إلى قبر أوريا فناده، فأنا
أسمعه نداءك فتحلل منه، قال:
فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس
عند قبره، ثم نادى يا أوريا، فقال:
لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي
وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما
جاء بك يا نبي الله؟ قال: [جئت]
أسألك أن تجعلني في حل مما كان

مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عرضتُك للقتل، قال: قد عرضتني للجنة فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود ألم تعلم أنني حكم عدل لا أقضي بالعنت، إلا علمته، إنك قد تزوجت امرأته، قال: فرجع إليه فناده فأجابه فقال: من هذا الذي قطع عليّ لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها، قال: فسكت فلم يجبه ودعاه فلم يجبه وعأوده فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل يحثو التراب على رأسه، ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، والويل لداود [ثم الويل له] إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل لداود له حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك، قال: يا رب كيف وصاحبني لم يعف عني؟ قال: يا داود أعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول له رضيت عن عبدي داود؟ فيقول: يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عرض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي، قال: يا رب الآن قد عرفت

أنك قد غفرت لي. فذلك قوله: ﴿فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّيَ وَحَرَّ رَأْيَا﴾، أي ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألتني عبدالله بن طاهر عن قوله: ﴿وَحَرَّ رَأْيَا﴾ هل يقال للراعي «حرٌّ»؟ قلت: لا، ومعناه فخر بعدما كان راعياً أي: سجد. ﴿وَأَدَابٌ﴾، أي رجوع وتاب.

﴿فَقَفَرْنَا لَمْ دَلَّكَ﴾، يعني ذلك الذنب، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾، بعد المغفرة، ﴿عِتْدًا﴾، يوم القيامة، ﴿لِرَأْفِئِكَ﴾، لقربة ومكانة، ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾، أي حسن مرجع ومنقلب. وقال وهب بن منبه: إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ولا نهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء في إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه

الحيثان ودواب البحر وطير الماء والسباع، فإذا أمسى رجع، فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده، فيدخل الدار التي فيها المحارِب فيسقط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي، فيجلسون في تلك المحارِب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، وترفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفُرْش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه، ثم يمسح بها وجهه، ويقول: يا رب اغفر لي ما ترى، فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله.

قال وهب: ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك: أول أمرك ذنب وآخره معصية، ارفع رأسك، فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلا بله بدموعه.

وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «إن مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماء، ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض».

قال وهب: لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ قال: فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما

نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾، قال ابن عباس: لا لشواب ولا لعقاب. ﴿ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآثَارِ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُتَّيِّبِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة من الخير ما تعطون، فنزلت هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ آمَنُوا كَالضَّالِّينَ﴾، أي المؤمنين كالكفار. وقيل: أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ، أي لا نجعل ذلك.

﴿كُنُوبٌ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ﴾، أي هذا الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مُبْرَكًا﴾، كثير خيره ونفعه، ﴿لِيَتَذَكَّرُوا﴾، أي ليتدبروا، ﴿عَالِمِينَ﴾، وليتفكروا فيها، وقرأ أبو جعفر ﴿ليتدبروا﴾ بناء واحدة وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته: اتباعه، ﴿وَلِيَتَذَكَّرُوا﴾، ليتعظ، ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾. ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ التَّكْوِينُ لِيَمَادُ﴾.

قال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين، فأصاب منهم ألف فرس. وقال مقاتل: ورث من أبيه داود ألف فرس. وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً أخرجت من البحر لها أجنحة. قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه

فعرضت عليه تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يُعلم بذلك [هيبه له] فاغتم لذلك هيبه لله، فقال: ردوها عليّ فردوها عليه، فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقريباً إلى الله عز وجل وطلباً لمرضاته، حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك مباحاً له وإن كان حراماً علينا كما أبيع لنا ذبح بهيمة الأنعام وبقي منها مائة فرس، فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء، [وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً. وعن عكرمة: كانت عشرين ألف فرس، لها أجنحة].

﴿٢٦﴾ قال الله تعالى: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ التَّكْوِينُ لِيَمَادُ﴾، والصفات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل، يقال: صفن الفرس بصفن صفوناً إذا قام على ثلاث قوائم، وقلب أحد حوافره.

وقيل: الصافن في اللغة القائم. وجاء في الحديث: «من سره أن يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ مقعده من النار». أي قياماً، والجياد الخيار السراع، واحدهما جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق.

﴿فَقَالَ إِنَّهُ أَحَبُّنَا حُمَّ﴾

الخير، أي أثرت حب للخير [عن ذكر ربي] وأراد بالخير: الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام، فتقول: ختلت الرجل وخترته، أي: خدعته، وسميت الخيل خيراً لأنه معقود بنواصيها الخير، الأجر والمغرم، قال مقاتل: يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿عَنْ ذَكَرَ رَبِّي﴾، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، أي توارت الشمس بالحجاب: أي استترت بما يحجبها عن الأبصار، يقال: الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سبعة، والشمس تغرب من ورائه.

﴿٢٧﴾ ﴿رَبُّوَمَا عَلَّمَ﴾، أي ردوا الخيل عليّ، فردوها، ﴿فَطَلِقَ سَمَكًا بِالشُّوقِ وَالْأَفْتَاكِ﴾، قال أبو عبيدة: طفق يفعل مثل ما زال يفعل، والمراد بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحاً له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر.

وقال محمد بن إسحاق: لم يعتقه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسبقاً على ما فاتته من فريضة ربه عز وجل. وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحاً وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته.

وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة. وقال الزهري وابن

كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده، يكشف الغبار عنها حباً لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول.

وحكي عن علي أنه قال في معنى قوله: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ يقول سليمان بأمر الله عز وجل للملائكة الموكلين بالشمس ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ يعني الشمس، فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها، وذلك أنه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو حتى توارت بالحجاب.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه.

وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، بها ملك عظيم الشأن، لم يكن للناس إليه سبيلاً لمكانه في البحر، وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء.

حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستولى واستفاد وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك، يقال لها جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحبه شيء من نساته، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها،

فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك.

قال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي.

فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل، حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله كبر سني ورق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني الذهاب، فقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم

بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى، فأثني على كل نبي ما فيه، فذكر ما فضله الله حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف، فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً [وغيظاً] فلما دخل سليمان داره أرسل إليه.

فقال: يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثنت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت تشني عليّ بخير في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري؟ فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: في داري؟ فقال: في دارك، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت ذلك إلا عن شيء بلغك، ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائها.

ثم أمر بشباب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا تغزلها إلا الأبقار ولا تنسجها إلا الأبقار ولا تغسلها إلا الأبقار لم تمسسها امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده فأمر برماد ففرش له،

ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بشيابه تذلل الله تعالى، وتضرعاً إليه يبكي ويدعو، ويستغفر مما كان في داره.

فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمانة، وكان إذا دخل مذهبها أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبها فأتاها الشيطان، صاحب البحر، واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: خاتمي [يا] أمانة فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمانة وقد غيرت حاله وهيته عند كل من رآه.

فقال: يا أمانة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه، ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيطان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكته بأرغفة وشوى

الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً عدة ما كان عبد الوثن في داره.

فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن فهل أنكرتن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلايته، فدخل على نسائه، فقال: ويحك هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن أشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء العبين، ثم خرج على بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في العامة، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقاذ الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم، فخرج سليمان بسمكته، فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذها فجعله في يده ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس، وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد أحدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين فقال:

اتنوني بصخر فطلبت الشياطين حتى أخذته فأتي به وجاؤوا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقاذ في البحر. هذا حديث وهب.

وقال الحسن: ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه.

وقال السدي: كان سبب فتنة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي أثر نسائه وأمنهن عنده، وكان يأتنها على خاتمه إذا أتى حاجته، فقالت له يوماً: إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل فابتلي بقوله لزوجه نعم.

فأعطاه خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذته وجلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت: ألم تأخذها؟ قال: لا، وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم حتى دخلوا على نسائه.

فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحرقوا به ونشروا التوراة فقرؤوها فطار من بين أيديهم، حتى وقع على شرفة، والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه،

فاستطعمه من صيده، وقال: إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعضا فشجه، فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مَدَّرَ عندهم، فشق بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهائه، وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان، فقاموا يعتذرون مما صنعوا.

فقال: ما أواخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كائن لا بد منه، فلما أتى مملكته أمر جنياً أتى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه، وأمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك حتى تقوم الساعة.

وفي بعض الروايات: أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة، فأتى آصف فقال لسليمان إنك مفتون بذبك، والخاتم لا يتماسك في يدك أربعة عشر يوماً، ففرّ إلى الله تائباً، وإني أقوم مقامك، وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك، ففرّ سليمان هارباً إلى ربه آخذاً آصف الخاتم، فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ فأقام آصف في ملكه يسير يسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن ردّ الله على سليمان ملكه، فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت.

وروي عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام؟ فلم تنظر في أمور عبادي؟ فابتلاه الله عز وجل. وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا.

وقيل: قال سليمان يوماً لأطوفن الليلة على نسائي كلهن فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعهن فما خرج له منهن إلا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله ونسي، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وإيم الله الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

وقال طاوس عن أبي هريرة: [قال سليمان] لأطوفن الليلة بمائة امرأة، قال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي. وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقى على كرسيه هو

صخر الجنى، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً فلما رجع.

﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّي آفَئِزْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَبْئِي لِي لَاحِدًا وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هب لي ملكاً لا تسلبنيه في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته في ما مضى من عمري. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاه. ورد إليه ملكه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكاً ولكنه أراد بقول: ﴿لَا يَبْئِي لِي لَاحِدًا وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا﴾ تسخير الرياح والطيور والشياطين، بدليل ما بعده.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، فردده خاسئاً».

﴿٣٦﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُكَّاتًا﴾، لينة ليست

بعاصفة، ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾، حيث أراد، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب، تريد أراد الصواب.

﴿٣٧﴾ ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾، أي سخرنا له الشياطين، ﴿كُلِّ بَنَاءٍ﴾، يبنون له ما يشاء من محاريب وتمائيل، ﴿وَعُرَاسٍ﴾، يستخرجون له اللالك من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

﴿٣٨﴾ ﴿وَأَخْرَجَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَعْمَادِ﴾، مشدودين في القيود، أي وسخرنا له آخرين يعني مرده الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

﴿٣٩﴾ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾، أي قلنا له هذا عطاؤنا، ﴿فَأَسْنَأُ رِزْقَ الْبَارِئِ﴾، المن هو الإحسان إلى من لا تستثنيه، معناه: أعط من شئت وأمسك عمن شئت، ﴿يَقْتَرِ حَيْبًا﴾، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان فإن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقتك لا تبعة عليك فيما تعاطاه.

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزُومًا وَحَسَنَ مَقَابٍ﴾.

﴿٤١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا أَوْبًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾، بمشقة وضر، قرأ أبو جعفر ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد. قال قتادة ومقاتل: بنصب في

الجسد، ﴿وَعَنَابٍ﴾، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه في سورة الأنبياء عليهم السلام.

﴿٤٢﴾ فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿أَكْفَى بِرَبِّكَ﴾، اضرب رجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿هَذَا مُنْتَقَلٌ﴾،

فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهرة، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها فذهب كل داء

كان بباطنه، قوله: ﴿هَذَا مُنْتَقَلٌ بَارِدٌ﴾، يعني الذي اغتسل منه بارد، ﴿وَسُرَّابٍ﴾ أراد الذي شرب منه.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَوَجَّأَ اللَّهُ أَهْلَهُ وَمَلَأَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً نَبَأًا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَ يَدِيكَ نَيْفًا﴾، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿فَأَضْرِبْ يَدَكَ وَلَا تَحْتَنَنْ﴾، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار، ويضربها ضربة واحدة، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِغًا يَمُومًا الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا﴾، قرأ ابن كثير ﴿عبادنا﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿عبادنا﴾ بالجمع، ﴿إِنِّي رَحِيمٌ وَرَحِيمٌ أُولَى الْأَنْبِيَاءِ﴾، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، ﴿وَالْأَبْصَرُ﴾ في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة

﴿٤٦﴾

﴿وَوَجَّأَ اللَّهُ أَهْلَهُ وَمَلَأَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً نَبَأًا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَ يَدِيكَ نَيْفًا فَأَضْرِبْ يَدَكَ وَلَا تَحْتَنَنْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِغًا يَمُومًا الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِنِّي رَحِيمٌ وَرَحِيمٌ أُولَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَبْصَرُ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَ الْبَلِّ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَأَذْكُرْ بِسْمِ اللَّهِ الْوَاسِعِ وَذَلِكَ الْكَيْفُ وَكُلٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِلَى الْمُنْتَقَلِ لَحْسَنٌ مَقَابٍ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿حَدَّثَ حَسَنٌ مُنْتَقَلًا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِكَلِمَةٍ كَثِيرَةٍ وَرَوَّابٍ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَعِنْدَهُ رِضْوَانٌ لَّطِيفٌ أَرْبَابٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿هَذَا مَا مَوْعِدُونَ لِأَيُّومِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزْقَ أَنَا وَمَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿هَذَا ذِكْرٌ لِلطَّالِفِينَ لَشَرِّ مَقَابٍ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَ فِيهَا لِمَا هَذَا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿هَذَا قَلْبُكَ وَقَدْ وَفَى جِزْمًا وَعَسَاءُ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْكُمْ آدَمَ هَذَا وَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَأْمَارًا يَمُرُّونَ بِهِمْ لَمَّا جَاءُوكُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿قَالَ أَيْلُ اسْتَرَلَا مَرْحَابًا بِكَ أَنْتَ قَدْ مَشِئْتُمْ إِنَّا فِئْتَسُ الْقَرَارِ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَ قَدَّمَ لَهَا هَذَا قَرْزَةً عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ ﴿٥٩﴾

ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وصبراً في الدين.

﴿٤٦﴾ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾، اصطفيناهم، ﴿بِخَالِصَةٍ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿بخالصة﴾ مضافاً، وقرأ الآخرون بالتثنية، فمن أصاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة، وأن يعملوا لها، والذكرى بمعنى الذكر.

قال مالك بن دينار: نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها.

وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل.

وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة.

وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

قال ابن زيد ومن قرأ بالتثنية:

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِيحًا لَا كُنَّا نَدْعُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٤٧﴾ أَخَذْتَهُمْ
 سِحْرِيًّا أَمْ أَزَاعَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارَ ﴿٤٨﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجَابِ أَعْلَى
 النَّارِ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ وَإِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥١﴾ قُلْ هُوَ يَوْمًا
 عَظِيمٌ ﴿٥٢﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٥٣﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّامِ الْأَخْرَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ يُوشِكُ إِلَى اللَّهِ الْآخِرُ أَنَا نُذِيرُكُمْ فِيهِ ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
 لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا أَلْمُوسِدِينَ ﴿٥٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَسْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ
 يَا بَلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَتَمَّ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٦١﴾ قَالَ فَخْرٌ مِنْهَا فَوَيْلٌ لَكَ مِنْ رَجِيمٍ ﴿٦٢﴾ وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَةُ الْيَوْمِ
 الَّذِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ
 الْمُنظَرِينَ ﴿٦٥﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٦٦﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَأَعْرِضَنَّهُمْ لَمُجْمَعِينَ ﴿٦٧﴾ أَلْعِيَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٤٧﴾ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾،
 قرأ ابن كثير ﴿يُوعَدُونَ﴾
 بالياء ههنا وفي «ق» أي:
 ما يوعد المتقون، وافق أبو
 عمرو ههنا، وقرأ الباقون
 بالياء فيهما، أي قل
 للمؤمنين: هذا ما
 توعدون، ﴿يُؤِيرُ الْحِسَابِ﴾،
 أي في يوم الحساب.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا
 لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ﴾، فنساء
 وانقطع.
 ﴿٤٩﴾ ﴿هَذَا﴾ أي الأمر
 ههنا ﴿وَأَنَّ لِلطَّغْيِينِ﴾،
 للكافرين، ﴿لَأَنْزُرَنَّ مَنَابِلَ﴾،

مرجع.
 ﴿٥٠﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها،
 ﴿يَنْزُرَنَّ الْمَنَابِلَ﴾
 ﴿هَذَا﴾ أي هذا العذاب،
 ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَبِيرَ وَغَسَاقٍ﴾، قال الفراء:
 أي هذا حميم وغساق فليذوقوه،
 و«الحميم» الماء الحار الذي انتهى
 حره «وغساق»، قرأ حمزة والكسائي
 وحفص «وغساق» حيث كان
 بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن
 شدد جعله اسماً على فعال نحو
 الخباز والطباخ، ومن خفف جعله
 اسماً على فَعَالٍ نحو العذاب.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ الْوَالِدُ﴾، فقال الأتياع
 للقيادة، ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾،
 والمرحب والرحب: السعة، تقول
 العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي
 أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً
 بك أي لا رحبت عليك الأرض.
 ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾، يقول الأتياع
 للقيادة: أنتم بدأتكم بالكفر قبلنا،
 وشرعتم وسنتتموه لنا، وقيل: أنتم

فمعناه بخلية خالصة، وهي ذكرى
 الدار، فيكون ذكرى الدار بدلاً عن
 الخالصة. وقيل: «أخلصناهم»:
 جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم
 من ذكر الآخرة.
 ﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ
 الْمُصَلِّينَ الْأَخْيَارِ﴾ وَأَذْكَرُ إِسْمَاعِيلُ
 وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ
 هَذَا ذِكْرٌ، أي هذا الذي تلي عليكم
 ذكر أي: شرف وذكور جميل تذكرون
 به ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَابِلَ﴾.
 ﴿٥٤﴾ ﴿حَسْبُ عَذَابِ الْمُفْسِدِينَ﴾ لَمْ
 الْوَالِدُ، أي أبوابها مفتحة لهم.
 ﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
 بِكُفْرِهِمْ كَثِيرًا وَتَرْكِبُهُمْ وَنَادُوا
 قَوْمَهُمْ الظُّرْفِي الْأَرْبَابِ﴾، مستويات
 الأسنان، بنات ثلاث وثلاثين سنة،
 واحداها ترب.
 وعن مجاهد قال: متواخيات لا
 يتباغضن ولا يتغايرن.

قدمتم هذا العذاب لنا، بدعائكم إيانا إلى الكفر، ﴿يَمَسُّ الْقَرَارُ﴾، أي فبئس دار القرار جهنم.

﴿قَالَ﴾، يعني الأتباع، ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾، أي شرعه وسنه لنا، ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا يُضَعَّفُ فِي النَّارِ﴾، أي ضعّف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيات وأفاعي.

﴿وَقَالُوا﴾، يعني صنديد قريش وهم في النار، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ﴾، في الدنيا، ﴿بَيْنَ الْأَشْرَافِ﴾، يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخبياً وصهياً وبلالاً وسلمان رضي الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

﴿أَفَعَدَّ اللَّهُ سِخْرِيًّا﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي: ﴿بَيْنَ الْأَشْرَافِ﴾ أَفَعَدَّ اللَّهُ سِخْرِيًّا وَضَلَّ، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني: القراءة الأولى أولى، لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخرياً فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى «بل»، ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾، قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب، ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾، أي مالت، ﴿عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاعت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين

دخلوها؟ وقيل: أم هم في النار لكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيراً منا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لِحَقِّ﴾ ثم بين فقال، ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، أي تخاصم أهل النار في النار لحق.

﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، مخوف، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾. قوله: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿نَزِيلًا عَظِيمًا﴾، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة كقوله: ﴿مَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْكَلِيمِ [النبا: ١ - ٢].

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ مَا كَانَتْ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّامِ الْأَكْفَرِ إِذْ يَتَّبِعُونَ ﴿يعني الملائكة، ﴿إِذْ يَتَّبِعُونَ﴾ يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيْكَ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿أنما﴾ في موضع رفع أي ما يوحي إلي إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحي إلي إلا أنني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: ﴿إنما﴾ بكسر الألف، لأن الوحي قول.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني،

ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال مر بنا خالد بن اللجلاج فدعاه مكحول فقال: يا أبا إبراهيم حدثنا حديث عبدالرحمن بن عائش، قال: سمعت عبدالرحمن بن عائش الحضرمي يقول: قال النبي ﷺ: ﴿رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ﴾ فقال: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أي رب، مرتين، قال: فموضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماء والأرض، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم قال: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات، قال: وما هن؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الضوء أماكنه في المكاره، قال: ومن يفعل ذلك يعيش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم بالليل والناس نيام، [ثم] قال: قل اللهم اني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتوب علي وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، فقال رسول الله ﷺ: تعلموهن فوالذي نفسي بيده إنهن لحق.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٧٢﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ
 مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
 ﴿٧٤﴾ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَتَمْلَأُنَّ نَارًا بَعْدَ حِينٍ ﴿٧٦﴾
 سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٧٧﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ آتَاكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٧٨﴾ آلَ
 اللَّهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِيًّا كَمَا
 مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ وُجُوهَهُمْ وَإِنَّ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ
 فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
 كَفَّارٌ ﴿٨٠﴾ لَوْ رَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٨١﴾
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَلَى النَّهَارِ
 وَيُكْوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي يَوْمٍ وَسْعَرِ السَّنَنِ وَالْقَمَرِ ﴿٨٢﴾
 كُلُّ يَوْمٍ يَلْعَبُ لِحُسْنَى الْأَمْوَالِ الْمَرْبُورِ الْفَقِيرِ ﴿٨٣﴾

الْمُتَكَلِّفِينَ»، المتقولين القرآن من تلقاء
 نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء
 نفسه فقد تكلفه.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا
 أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا
 محمد بن يوسف، ثنا محمد بن
 إسماعيل، ثنا قتيبة، ثنا جرير، عن

الأعمش، عن أبي الضحى، عن
 مسروق، قال: دخلنا على
 عبدالله بن مسعود فقال: يا أيها
 الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن
 لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من
 العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم،
 قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو،
 يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، موعظة،
 ﴿لِلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، للخلق أجمعين.

﴿وَلَتَمْلَأُنَّ﴾، أنتم يا كفار
 مكة، ﴿يَوْمًا﴾، خير صدقه، ﴿بَعْدَ
 حِينٍ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بعد
 الموت. وقال عكرمة: يعني يوم
 القيامة. وقال الكلبي: من بقي علم
 ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات
 علمه بعد موته. قال الحسن: ابن
 آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

سورة الزمر

مكية إلا قوله ﴿قُلْ يَحْيَايُ الَّذِينَ
 آمَنُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية،
 وهي خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ. وقيل: تنزيل

فيها. قال الحسين بن
 الفضل: هذا تأويل
 صحيح لأن إبليس تجبر
 وافتخر بالخلقة، فغير الله
 خلقته فاسود وقبح بعد
 حسنه. ﴿فَأِنَّكَ رَجِيمٌ﴾،
 مطرود.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ
 لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ
 رَبِّي فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
 يُعْتَبُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ﴿٨١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفَاةِ
 الْمَعْلُومِ، وهو النفخة
 الأولى.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ
 فِعْرًا لَكَ لِأَخْوَابِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَالْحَقُّ
 وَالْحَقُّ أَقُولُ، قرأ عاصم وحمزة
 ويعقوب: ﴿فالحق﴾ برفع القاف
 على الابتداء وخبره محذوف تقديره:
 الحق مني، ونصب الثانية أي: وأنا
 أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ
 الآخرون بنصبهما، واختلفوا في
 وجههما، قيل: نصب الأولى على
 الإغراء كأنه قال: الزم الحق،
 والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول
 الحق. وقيل: الأول قسم أي فبالحق
 وهو الله عز وجل، فانصب بنزع
 الخافض، وهو حرف الصفة،
 وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه.
 وقيل: الثاني تكرر القسم، أقسم الله
 بنفسه.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ
 وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ، على تبليغ الرسالة، ﴿وَمِن
 أَجْرٍ﴾، جـمـل، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُتَكَلِّفِينَ إِيَّيَ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ،
 يعني آدم عليه السلام.

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿فَإِنَّا سَوَّيْنَاهُ﴾، أتممت
 خلقه، ﴿وَوَضَعْتُهُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَوْمًا لَّهُ
 سَلِيمِينَ﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ
 أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ يَتَذَكَّرُ ﴿٨٠﴾ ألف
 استفهام دخلت على ألف الوصل،
 ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، المتكبرين
 استفهام توبيخ وإنكار، يقول:
 استكبرت بنفسك حتى أبيت
 السجود؟ أم كنت من العالمين الذين
 يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك
 منهم؟

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِنِي
 مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَنِي مِن طِينٍ﴾ قَالَ فَاصْرَجْ
 مِنهَا، أي من الجنة، وقيل: من
 السموات. وقال الحسن وأبو
 العالية: أي من الخلقة التي أنت

سَلْطَنُونَ ﴿ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى، كقوله تعالى: ﴿مَنَّا يَتَّبِعُ يَا بِيَادِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل، وإن كان يباردته، ﴿وَلَا تَنكُرُوا﴾، تؤمنوا بربكم وتطيعوه، ﴿وَرَبِّكُمْ لَكُمْ﴾، فيشيكم عليه، قرأ أبو عمر ﴿يرضه لكم﴾ ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة، والباقرن بالإشباع، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَيْكُم رِكْبُكُمْ تَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنَّا﴾ رَمَّ مُدْبِئًا إِلَيْهِ ﴿ واجعلنا إليه مستغنياً به، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا﴾، أعطاه نعمة منه، ﴿فَتَقِي﴾، ترك، ﴿مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾، أي ننسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ أَندَادًا﴾، جعلنا الأوثان، ﴿وَأَلَّخْنَا عَنْ سَبِيلِهِ﴾، لئلا يسرد عن سن دهن الله، ﴿فَلَمَّا﴾، لهذا الكافر، ﴿تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ لَيْلًا﴾، في الدنيا إلى أجلتك، ﴿إِنَّكَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ﴾، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وقيل: عام في كل كافر. ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيلٌ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وحمزة ﴿أمن﴾ بتخفيف

الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان، أحدهما: أن تكون الهم في ﴿أم﴾ صلة، فيكون معنى الكلام استفهاماً وجوابه محذوفاً، مجازة: أمن هو قانت كمين هو غير قانت؟ كقوله: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِنسَانِ﴾ [الزمر: ٢٢]، يعني كمين لم يشرح صدره. والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازة: الذي جعل الله أنداداً أخيراً أم [من] هو قانت؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على [من]، معناه: أهذا كالذي جعل الله أنداداً. وقيل: الألف في ﴿أمن﴾ بمعنى حرف النداء، وهو قوله: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أيني فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت ﴿إِنَّكَ أَلِيلٌ﴾، إنك من أهل الجنة قاله ابن عباس.

وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان. وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمارة وسلمان، والقائفة: المقيم على المظافة. قال ابن عمر: «القيوت» قراءة القرآن وطول القيام، وأبناء الليل: ساعاته، ﴿سَلَامًا وَقَائِمًا﴾، يعني في الصلاة، ﴿يَحْتَدَرُ الْآخِرَةَ﴾، يخاف الآخرة، ﴿وَوَجَّهًا

رَمَّةً زَوِيَّةً﴾، يعني كمن لا يفعل شيئاً من ذلك، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْكُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قيل الذين يعلمون عمار، والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُم﴾، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، أي آمنوا وأحسنوا العمل، ﴿حَسَنَةً﴾ يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الناحية حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿وَأَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ﴾، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء، وصبروا وهاجروا.

قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين، فإنه يحشى لهم حياً. ويروي في «يوتى» بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينكر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صواباً بغير حساب. قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، حتى يتعنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تفرض بالمقاريض

ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: «اللَّهُ زَلَّ بِعَبْدِهِ إِذْ أَخْبَرَهُ بِالْحَقِّ إِذْ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَتَىٰ قَلْبَهُ عِزٌّ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُصَدِّقُونَ لَوَعْدِهِ» يشبه بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا

اختلاف. ﴿هَتَائِي﴾، يُغْنَى فِيهِ ذِكْرُ الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام، ﴿تَقْشِرُ﴾، تضطرب وتشمئز، ﴿وَمِنَ الْجُلُودِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، والإشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجيل والخوف، وقيل: المراد من الجلود

القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم، ﴿ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِذْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾، أي لذكر الله، أي إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذَّكَّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشع من الخوف وتلين عند الرجاء.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، حدثنا موسى بن محمد بن علي، ثنا محمد بن غيدون بن كامل، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا عبد العزيز بن محمد بن يزيد بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أم كلثوم بنت العباس عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعرت جلد العبد من خشية الله

وأصفر وأخضر، ﴿ثُمَّ يَبُوحُ﴾، يبس، ﴿فَتَزِيدُ﴾، بعد خضرته ونضرتة، ﴿تُصَفِّرُكَ تَدْرُ بِجَمَلَةٍ حُلَّتًا﴾، فتأثراً متكرراً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: «اللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُوا أَن يُرَادُوا أَنَّ يُكْفَرُوا لَوْلَا أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عِزًّا لَجَنَّتْ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» وسعه لقبول الحق، ﴿هُوَ عَلَىٰ نُبْرٍ بَيْنَ زَيْدٍ﴾، ليس كمن ألقى الله قلبه.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا عبدالله بن محمد بن شيبه، ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يزيد الموصلي ببغداد، أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد، حدثني أبي عن أبيه، ثنا زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: «أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِبْرَاهِيمَ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ» قلنا: يا رسول الله كيف انشرح صدره؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت».

قوله عز وجل: ﴿قَوْلًا لِلْقِيَامَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتُكَ فِي صَلَاتِكَ مِيْنٍ﴾، قال مالك بن دينار: ما

﴿٢٣﴾ قوله عز وجل: «اللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُوا أَن يُرَادُوا أَنَّ يُكْفَرُوا لَوْلَا أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عِزًّا لَجَنَّتْ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» وسعه لقبول الحق، ﴿هُوَ عَلَىٰ نُبْرٍ بَيْنَ زَيْدٍ﴾، ليس كمن ألقى الله قلبه.

محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عبدالعزيز بن عبد الله، حدثني مالك عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: «اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ» أدخل ذلك الماء، ﴿يَنْبِيعٌ﴾، عيوناً وركابياً، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِوَسِيلَةٍ﴾، أي بالماء ﴿رَبًّا مَّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾، أحمر

تحاتت عنه ذنوبه كما يتحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا موسى بن إسحاق الأنصاري، ثنا محمد بن معاوية، ثنا الليث بن سعد، ثنا يزيد بن عبدالله بن الهادي بهذا الإسناد، وقال: «إذا اشعر جلد العبد من خشية الله حرّمه الله على النار».

قال قتادة: «هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البلع، وهو من الشيطان».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن قنويه، ثنا ابن شيبه، ثنا حمدان بن داود، ثنا سلمة بن شيبه، ثنا خلف بن سلمة، ثنا هشيم عن حصين عن عبدالله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ [عليهم] القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدع أمينهم وتقشعر جلودهم، قال فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرّ أحدهم مفضياً عليه، فقالت: أعرف بالله من الشيطان الرجيم.

ويه عن سليمان بن سلمة ثنا يحيى بن يحيى، ثنا سعيد بن عبدالرحمن بن الجمحي أنه ابن عمر مزمّ رجل من أهل العراق ساقطاً فقال:

ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سنع ذكر الله سقط، قال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما تسقط؟ وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدكم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ.

وذكر عند ابن سيرين: الذين يصرعون إذ قرئ عليهم القرآن، فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم، على ظهر بيت باسطاً رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق.

﴿ذَلِكَ﴾، يعنني أحسن الحديث، «هَذَا اللَّهُ يَهْدِي بِيَدِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَلاَ لَهُ مِنْ هَادٍ».

﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ مَوَجهَ الْعَذَابِ﴾، أي شدته، «يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال عطاء: يرمى به في النار منكوساً فأول شيء منه تمسه النار وجهه. قال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يده إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتغل النار في الحجر، وهو معلق في عنقه فخرّ ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده. ومجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟ «وَقِيلَ»، يعني تقول الخزنسة، «لِظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، أي وباله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة كذبوا الرسل، «فَأَنْتُمْ الْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لا

يَشْعُرُونَ﴾، يعني هم آمنون غافلون من العذاب.

﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهَ الْغَيبِي﴾ العذاب والنيران، «فِي الْمَوَجهِ النَّارِ وَالْعَذَابِ الْآخِرِ أَكْثَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

﴿وَلَقَدْ خَرَّيْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظرون.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، «فَمَنْ يَرَى صِجْرًا»، قال ابن عباس: غير مختلف. قال مجاهد:

غير ذي لبس. قال السدي: غير مخلوق. ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق. «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»، الكفر والتكذيب به.

﴿عَرَبِيًّا مَثَلًا لِكُلِّ كَاسِمٍ﴾، قال الكاسمي نصب رجلاً لأنه تفسير للممثل، «فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ»، متنازعون مختلفون شبهة أخلاقهم، يقال: رجل شكس شرس، إذا كان سيء الخلق مخالفاً للناس، لا يرضى بالإنصاف، «وَيَرْجُلًا سَلَامًا لِكُلِّ نَفْسٍ».

قرأ أهل مكة والبصرة «سالمًا» بالألف أي خالصاً له لا شريك ولا متنازع له فيه، وقنوة الآخرون «سالمًا» بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا يتنازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم، لا متنازع لك فيه. «هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟» هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن من الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار لا يستويان، ثم قال:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثُورًا لِّلْكَافِرِينَ ۗ وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۗ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ ذِكْرُ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ ۗ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۗ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۗ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۗ قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَصْلَابًا عَلَىٰ مَا كَانَكُمْ يُعْمَلُ لِيَعْلَمَ سِوَاكَ فَسَوْفَ نَعْلَمُوكَ ۗ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ ۗ﴾

عبدالله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه» قال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

وقال ابن عمر: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، قلنا: كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجهه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا.

وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا.

وعن إبراهيم قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا؟

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، ثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن

الحمد لله ﷻ أي الله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿يَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، أي سموت، ﴿وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾. أي سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميت بالتحفيف لم يموت وسموت، الميت بالتحفيف من فارقه الروح، ولذلك لم يخفف وهنا.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا ابن مالك، ثنا بن حنبل، حدثنا أبي، ثنا ابن نمير، ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن

عبد العزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضيل الخرقى، أنا أبو الحسن الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشمهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد كان شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته، قال: فإن فويت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طُرح في النار».

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾، فزعم أن له ولدًا وشريكًا، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثُورًا﴾، منزل ومقام، ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير.

﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ﴾

قال ابن عباس: والذي جاء بالصدق يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به الرسول أيضاً بلغة إلى الخلق.

وقال السدي: «والذي جاء بالصدق» جبريل جاء بالقرآن، «وصدق به» محمد ﷺ تلقاه بالقبول.

وقال الكلبي وأبو العالية: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدق به» أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدق به» هم المؤمنون، لقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقال عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الاتباع، وحينئذ يكون «الذي» بمعنى «الذين» كقوله تعالى: ﴿مَشَلُّهُمْ كَمَثَلِ الْوَيْدِ إِذْ يَسْقُوهُ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، ثم قال: «ذهب الله بشريهم» [البقرة: ١٧]. قال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الآخرة. وفي قراءة عبدالله بن مسعود: والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحكرو: ٣٠] الله عنهم أيواً الذي عملوا، يسترها عليهم بالمغفرة، ﴿وَلِيَجْزِيَهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال مقاتل: يجزئهم بما أحسن من أعمالهم ولا يجزئهم بالمساوي.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ﴾ يعني فحملنا ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحزمة والكسائي،

﴿عباده﴾ بالجمع بمعنى الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالنسبة كما قال: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِم لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥]، فكفاهم الله شر من عبادهم، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيكَ بِالذِّكْرِ مِنْ دُونِهِ﴾،

وذلك إنهم خذوا النبي ﷺ معادة الأوثان. وقالوا: لتكفئن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُبْدِلٍ﴾ [البقرة: ١٢٩] الله

يعزير ذي أنفاله، منيع في ملكه منتقم من أعدائه.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَقْرَبُ بِهِمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِسُوءٍ فَلَيْسَ بِي مُدْرِكٍ فَهُوَ كَاشِفُكَ عُقْبَةَ أَوْدَاقٍ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَاسَفَ لُجُنَّاتِ الْجَهَنَّمَ لَئِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَفَسَدَتَا وَلَهُ الْكِبْرُ بِمَا تَدْعُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] من ﴿عقوبته﴾ وروحه، بنصب الزمان والثناء وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الزمان والثناء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسيكتوا، فقال الله تعالى لهسؤاله ﷺ: ﴿قُلْ مَسْحِقٌ اللَّهُ﴾، وتعني به واعتمادي عليه، ﴿عَلَيْهِ يُؤَكَّدُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، يتقرب به للواتقون. ﴿٣٩﴾ ﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

إِنَّا أَنشَأْنَاهُ الْكَتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُ فَسَادٌ وَلَنْ نَجْعَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ نَبِيًّا وَلَمْ يَكُن لِرَبِّكَ إِلا الْحَقُّ قَوْلَ رَبِّكَ الَّذِي عَلَّمَكَ الْقُرْآنَ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ النُّجُومِ فَاسْتَعْصَمُوا وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَانِ فاسْتَعْصَمُوا وَإِن يَأْتِهِمْ جُنُودٌ مِنْ سَمَوَاتٍ مُتَمَازِلَةٍ فَاسْتَعْصِمُوا وَمِنْ أَصْحَابِ السَّمَوَاتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالْقُرْآنَ يُنزلُ بِهِ الْحَقَّ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ الَّذِينَ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَانِ فاسْتَعْصِمُوا وَمِنْ أَصْحَابِ السَّمَوَاتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالْقُرْآنَ يُنزلُ بِهِ الْحَقَّ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ الَّذِينَ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ﴿٣٩﴾

تَلْمُؤُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ، أي ينزل عليه عذاب دائم.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ أَحْدَثَ مِنْهُ فَسَادٌ وَمَنْ حَسَلَ قَلْبًا يُضِلُّ عَلَيْهِ﴾، [أي] وبال ضلالتة عليه، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، بحفيظ وريب [أي] لم توكل بهم ولا تواخذ بهم.

﴿٤١﴾ قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾، أي الأرواح، ﴿يَوْمَ مَوْجُوعًا﴾، فيلججها عند فناء أهلها وانقضيهما أهلها، وقوله: ﴿يَوْمَ مَوْجُوعًا﴾، يبرئ من صوف أجسادها. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَمُتُوا﴾، يبل بند يتوفى الأنفوس للمسيح العلم تملث، ﴿وَمِنْ مَتَابِعِهَا﴾، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والشمع، ولكل إنسان نفسان: إحداهما نفس للحياة وهي التي

تفارقة عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿فَيَسِيكُ أَلَىٰ قَعْنِ عَالِيكَ الْمَوْتِ﴾، فلا يردّها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي ﴿قُضِيَ﴾ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، ﴿الموت﴾ رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، ﴿الموت﴾ نصب لقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَكْفُسَ﴾. ﴿يَتَوَلَّى الْأَكْفُسَ﴾، ويرد الأخرى وهي التي لم يقض عليها الموت إلى الجسد، ﴿إِلَىٰ أَهْلِ أَبِي سُيَيْرٍ﴾، إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يُخرج النفس ويبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة. ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا عبدالله بن عمر، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أرى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بدخلة

إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث، يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث.

﴿أَرِ الْأَعْمَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ شِعْرَةَ قَلْبٍ﴾، بما محمد، ﴿أَوَلَوْ كَانُوا﴾، وإن كانوا يعني الآلهة، ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾، من الشفاعة، ﴿وَلَا يَقُولُونَ﴾، أنكم تعبدونهم، وجواب هذا محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تخذونهم.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشُّعْرَةُ جَمِيعًا﴾، قال مجاهد: لا يشفع أحد إلا بإذنه، ﴿لَمْ تَكُنِ الْأَمْشَرِيُّ وَالْأَنْزِيُّ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإنا ذكر الله وحده أَسْمَأَزَّتْ، نفرت، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد. وقال قتادة: استكبرت. وأصل الاستمزاز النفور والاستكبار. ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

﴿وَلِيْنَا ذِكْرُ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون.

قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة النجم فالتقى الشيطان في أمنيه: تلك الغرانيق

العلی، ففرح به الكفار.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم الإسفرائيني، أنا أبو عوانة، ثنا السلمي، ثنا النضر بن محمد، ثنا عكرمة بن عمار، أنا يحيى بن أبي كثير، ثنا أبو سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل؟ قالت: كان يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

﴿قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَنَا لَمَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة.

قال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بتعبادة الأهلثم فلما هوقوا عليها بدل لهم من الله ما لم يحتسبوا.

وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يدلوني ما لم أحتسب.

﴿وَيَذُرْكُمْ مَكَرَهُمْ﴾ أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأوليائه الله. ﴿وَكَلَّفَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ شدة، ﴿دَعَا نَجْوَىٰ إِفْرَاهٍ حَوْلَ الْكَنِيبَةِ﴾، أعطيناه، ﴿رِيحًا مِّنْ أَرْضِ مَكَّةَ أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي على علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علم الله عندي، وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام، ﴿جَلَّ جَهَنَّمَ﴾، يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية. وقيل: بل كلمته التي قالها فتنة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنه استدراج وامتحان.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾، قال مقاتل: يعني قارون فإنيته قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَيْنِي﴾ [القصص: ٧٨] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

﴿فَأَسَابِهِمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾، أي جزاؤها يعني العذاب، ثم أورد كفار مكة فقال: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي يوسع الرزق لمن يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يقتر على من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْتُونَ﴾.

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿قُلْ يَكِيدَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْظُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾.

روى سماعيل بن جبير عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعو إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى

يلقى أتاماً يضاعف له العذاب، وأنا قد فعلت ذلك كله، فأنزل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [مریم: ٦٠] فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [التنساء: ٤٨ و ١١٦]، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَكِيدُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْظُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، فقال وحشي: نعم هذا، فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة.

وروي عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا،

﴿وَيَذُرْكُمْ مَكَرَهُمْ﴾ أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأوليائه الله. ﴿وَكَلَّفَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ شدة، ﴿دَعَا نَجْوَىٰ إِفْرَاهٍ حَوْلَ الْكَنِيبَةِ﴾، أعطيناه، ﴿رِيحًا مِّنْ أَرْضِ مَكَّةَ أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي على علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علم الله عندي، وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام، ﴿جَلَّ جَهَنَّمَ﴾، يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية. وقيل: بل كلمته التي قالها فتنة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنه استدراج وامتحان.

فاقتنوا فكتنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء حسراً ولا عدلاً أبداً، وقوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه، فأنزل الله هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا.

وروي مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: ليس بشيء من حسناتنا إلا هي مقبولة حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا قلنا الكيِّبَاتِ وَالْفَوَاحِشِ، قال: فكتنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكفنا عن القول في ذلك، وكنا إذا رأينا أحداً

أصاب منها شيئاً خفتنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له.

وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر.

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر

النار والأغلال فقام على رأسه فقال: يا مذكر لم تقتط الناس؟ ثم قرأ:

﴿يَكِيدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم التبرابي، أنا أبو محمد عبدالله بن

أحمد الحموي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي، ثنا

عبدالله بن حميد، ثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن

منهال قالوا: ثنا حماد بن سلمة عن ثابت، عن شهر بن حوشب، عن

أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَكِيدُونَ

الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُورُ الدُّوَابَّ جَمِيعًا﴾

ولا يبالي.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

بشار، ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي،

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل

تسعاً وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله، فقال: هل

[لي من] توبة؟ فقال: لا، فقتله [فكمل به المائة] [وجعل يسأل] فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدرکه الموت فتأى بصدرة نحوها،

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه

أن تقيربي وأوحى إلى هذه أن تباعدني، وقال: قيسوا ما بينهما

فوجد إلى هذه أقرب به بشير فغفر له.

ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبري عن

معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الإسناد، وقال: «فدل على راهب

فأناه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله

وكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم،

فقال له: قتل مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه

وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله

فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق

حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة

الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم

حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فألى أيتها كان أدنى فهو له، فقاوسا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد،

فقبضته ملائكة الرحمة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق

إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك عن أبي الزناد

عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل - لم

يعمل خيراً قط - لأهله إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه

ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، قال: فلما مات فعلوا ما

أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له:

لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر له».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر

محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي،

أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن

المبارك عن عكرمة عن عمار، ثنا ضمضم بن جوس قال: دخلت

[مسجد] المدينة فناداني شيخ، فقال [لي]: يا يمانى تعال، وما أعرفه،

فقال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله

الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، قال

قلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو

لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين

كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنباً،

فجعل يقول له: أقصر عما أنت فيه، قال فيقول: خلني وربي، قال: حتى

وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي

أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله

الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي،

وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على

عبي رحمتي؟ فقال: لا يا رب، فقال: اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِلَّا هُوَ الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾.

أخبرنا عبدالرحمن بن أبي بكر القفال، أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الأصم، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، ثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ [النجم: ٣٢] قال رسول الله ﷺ:

«إن تغفر اللهم تغفر جما وأبي عبد لك لا ألما»
 قوله عز وجل: ﴿وَأَنْبِئُوا آلَ نَبِيِّكُمْ﴾، أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، وأخلصوا له التوحيد، ﴿وَمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَأَنْبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجنبه وذكر الأدون لثلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتثوره. قال السدي: الأحسن ما أمر الله به في الكتاب، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَقْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾، يعني لثلا تقول نفس، كقوله: ﴿وَأَلْفَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَبِيدَ بِكُمْ﴾ [القمان: ١٠] يعني لثلا تميد بكم، قال

المسبرد: أي يادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿بِحَضْرِكٍ﴾ يا ندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد يا حسرتي على الإضافة، لكن العرب تحول ياء الكناية ألفا في الاستغانة، فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، وربما أحقوا بها الياء بعد الألف لتدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا «حسرتاي»، وقيل: معنى قوله «يا

حسرتا» يا أيتها الحسرة هذا وقتك، ﴿عَلَى مَا قَرَأْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، قال الحسن: قصرت في طاعة الله. وقال مجاهد: في أمر الله. وقال سعيد بن جبير: في حق الله. وقيل: ضيعت في ذات الله. وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله. والعرب تسمى الجنب جانبا. ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

٥٧ - ٥٨ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
 أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ، عيانا، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، رجعة إلى الدنيا، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُخْبِرِينَ﴾، الموحدين.

٥٩ يقال لهذا القائل: ﴿بَلَىٰ قَدْ

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
 أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَمَا كُونُ مِنَ الْمُخْبِرِينَ
 بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ نَذْرٌ فَإِنَّ يَدَاكَ وَكُنْتُ عَلَى الْغَيْمَةِ
 وَأَسْتَكَبَتْ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ
 تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَهُمْ مُسْتَوْذِنُونَ
 فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
 وَيَسْتَعِجِلُّ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّعُورُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
 لَّهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّ إِلَهُهُمُ الْحَسْبُورُونَ
 قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ مَا مَرَّ مِنْ أَجْدَابِهَا
 الْجَاهِلُونَ
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ كَرِيمًا تَوْحِيدًا لَمَّا كُنْتُمْ لَمِيًّا
 لَمَّا كُنْتُمْ لَمِيًّا
 وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ مِنَ الْغَافِلِينَ
 بَلَىٰ اللَّهُ فَاعْتَدُوا
 وَمَنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا فَهُوَ قَدَرُهُ
 وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

جاءت تلك ما تقي، يعني القرآن، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾، وقلت إنها ليست من الله، ﴿وَأَسْتَكَبَتْ﴾، تكبرت عن الإيمان بها، ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، فزعموا أن له ولدا وشريكا، ﴿وَهُمْ مُسْتَوْذِنُونَ﴾، آتيس في جهنم مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ، عن الإيمان.

﴿وَيَسْتَعِجِلُّ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿بمفازاتهم﴾ بالألف على الجمع، أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون ﴿بمفازتهم﴾ على الواحد لأن المقازة بمعنى الفوز، أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرد: المقازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعداء.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ فِي الْأَرْضِ
 الْإِنَّمَنَ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِيَوْمِ نُظُورٍ
 ﴿٦٥﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
 بِالسَّاعِةِ وَالشُّهَدَاءُ وَوُضِعَ يَنْتَهُمُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
 ﴿٦٦﴾ وَوُضِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّاحًا إِذَا جَاءُوهَا
 فُجِعَتْ أُنُورُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
 يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
 هَذَا قَالُوا لَا إِنَّا وَكَلْنَاهُم بِالْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ
 ﴿٦٧﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا إِنَّمَا بُعِثْتُمُ
 الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٨﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ
 الْجَنَّةِ زُرَّاحًا إِذَا جَاءُوهَا وَفُجِعَتْ أُنُورُهَا وَقَالَ لَهُمْ
 خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يُطِئُونَ أَدْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٦٩﴾
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْفَىٰ نَا الْأَرْضِ
 نَعْمًا أَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٠﴾

الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ، والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله عز وجل لئيبه وتهديد لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشرك.

﴿٦٦﴾ وَاتَّكُفُّوا مِنْ الْمُكْفِرِينَ.

﴿٦٧﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعِلٌ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، لإتمامه عليك.

﴿٦٨﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ما عظموه حتى عظمته حين أشركوا به، أخبر عن عظمته فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال:

جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى

على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا للملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن فضيل بن عياض، عن منصور قال: «والجبال والشجر على إصبع، وقال [ثم] يهزه من هزاً، فيقول (أنا الملك أنا الله)».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن فنجويه، ثنا عمر بن الخطاب، ثنا

عبد الله بن الفضيل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن

عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله أخبرني عبدالله بن عيمر

قال: قيل رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟»

ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟»

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، ثنا محمد بن يعقوب

الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا

﴿لَا يَسْتَهْمُ الشُّومُ﴾، لا يصيبهم المكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿٦٩﴾ ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

﴿٧٠﴾ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها مقلاة، مثل مفتاح، ومقلبه مثل منديل

ومناديل. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السموات والأرض بالرزق والبرحة.

وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْتُمُونَ أَوْلِيَهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٧١﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَفَمَثَلِ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعِدُّنَا لِلْجَاهِلُونَ؟﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آباءه. قرأ أهل الشام

﴿تأمروني﴾ بنونين خفيفتين على

عبدالله بن المبارك، عن يونس، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوَّقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في الذين استثناهم الله عز وجل، وقد ذكرناهم في سورة النمل [٨٧]، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله وحده، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِمْ﴾، أي في الصور، ﴿أُتْرِكُوا﴾، أي مرة أخرى، ﴿فَإِذَا هُمْ بِقِيَامٍ يُنظَرُونَ﴾، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد، ثنا أبو معاوية [عن] الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه تركب الخلق يوم القيامة.

﴿١٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾، أضاءت، ﴿بِنُورٍ رَجِيٍّ﴾ بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فينا

يتفاضلون في نوره كما لا يتفاضلون في الشمس في اليوم الضحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، أي كتاب الأعمال، ﴿وَجَاءَتْ بِالْبَيْتَيْنِ وَالشَّهَادَةِ﴾، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة يدل عليه

قوله تعالى: ﴿وَمَكَتَ كُلُّ قَبْرٍ مَعَهَا سَائِرٌ وَشَيْدٌ﴾ [ق: ٢١]، ﴿وَوُضِعَ لِيَتَّبِعَهُم بِالْحَقِّ﴾، أي بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

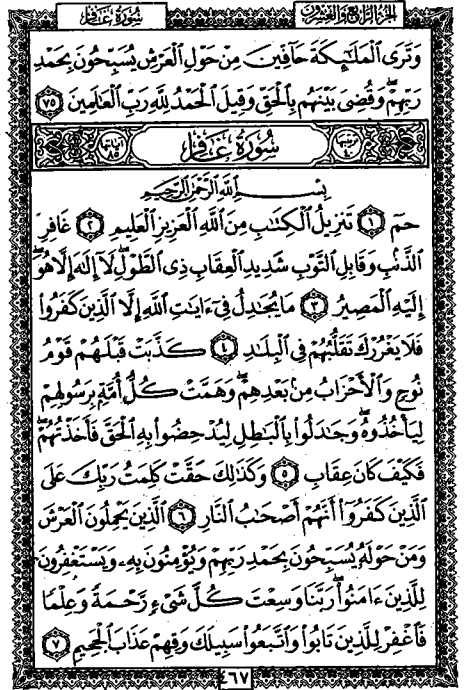
﴿١٩﴾ ﴿وَوُضِعَتْ كُلُّ قَبْرٍ مَنًا عَمِلَتْ﴾، أي ثواب ما عملت، ﴿وَهُوَ أَهْلُهَا يَمَّا يَقُولُونَ﴾، قال عطاء: يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

﴿٢٠﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سوقاً عيقاً، ﴿زُمراً﴾، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: زمراً أي جماعات في تفرقة، واحدها زمرة. ﴿حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا فَحُتَّتْ أَبْوَابُهَا﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة «فتحت، وفتحت» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، تويخاً وتقريباً لهم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، من أنفسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ

الْكٰفِرِيْنَ﴾، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٧].

﴿٢١﴾ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَسَبَتْ أَلْسِنُوكُمُ الْمُكْفِرِينَ﴾ وسبق الذين أنكفروا ربهم إلى الجنة زمراً حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، قال الكوليون: هذه الواو زائدة حتى تكون جواباً لقوله: ﴿حَوْجٍ إِذَا جَاءُوهَا﴾ كما في سوق الكفار، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيكَةَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] أي ضياء، والواو زائدة، وقيل: الواو واو والحال، مجازه: وقد فتحت أبوابها، فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفها في الآية الأولى أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فإذا لم تجعل الواو زائدة في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ اختلفوا في جواب قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ قيل: جوابه قوله: ﴿جاءوها﴾، وقال لهم خزنتها، والواو فيه ملغاة تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها.

وقال الزجاج: القول عندي أن الجواب محذوف، تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لِغَضَبِكُمْ﴾ دخلوها فحذف دخلوها لعلالة الكلام عليه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لِغَضَبِكُمْ﴾ يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون لطلبكم.



قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: «سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ بِئْسَ مَا دَخَلْتُمَا خَالِدِينَ». وروى عن علي عليه السلام قال: سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه، وتلقيهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

٧٤ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾، أي أرض الجنة: وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. ﴿نَسُوا﴾، نزل، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأَ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، ثواب المطيعين.

٧٥ ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، أي محدقين محيطين بالعرش، مطيفين بحوافيه أي بجوانبه، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد، لأن التكليف متروك في ذلك اليوم، ﴿وَرَضُوا يَلْتَمِتُمْ بِالْحَقِّ﴾، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول أهل الجنة: شكراً لله حين تم وعد الله لهم.



سورة غافر

مكية وهي خمس وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن موسى، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه

ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آك حم في القرآن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو محمد الرومي، ثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة، ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن [أبي] الجراح حدثه عن ابن عباس قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم.

وقال ابن مسعود: إذا وقعت في آك حم وقعت في روضات أتائق فيهن. وقال سعد بن إبراهيم: كن آك الحواميم يُسَمِّنُ العرائس.

١ قوله عز وجل: ﴿حَمِّ﴾، قد سبق الكلام في حروف التهجي.

قال السدي عن ابن عباس: حم اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال: «الرَّ» و«حَمِّ» و«نون»، حروف «الرحمن» مقطعة. وقال سعيد بن جبيرة وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان. وقال الضحاك والكسائي: معناه قضي ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه: حَمِّ، بالضم وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء، والباقون يفتحها.

٢ ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غافر الأديب، ساتر

الذنب، ﴿وَقَابِلِ الْتَوْبِ﴾، يعني التوبة مصدر تَاب يتوب توباً. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وخزومة وخوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿ذِي الطُّلُوعِ﴾، ذي الغنى عن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد: «ذي الطول» ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم. وقيل: ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُبْدِءُ الْمَعِيشَ﴾.

﴿مَا يَجِدُ فِي يَدَيْكَ أَكْثَرُ﴾، في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار، ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يَجِدُ فِي يَدَيْكَ أَكْثَرُ﴾، و﴿وَلَهُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُبَيِّنَ مَا بَيَّنَّا﴾ [البقرة: ١٧٦].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا عبدالله بن أحمد، ثنا محمد بن خالد أنا داود بن سليمان، أنا عبدالله بن حميد، ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن جدلاً في القرآن كفر».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد

الضفاري، ثنا أحمد بن منصور الوهمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر بن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما هلك من كان قلبكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه».

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمُرُّكُم مَّرَجَاتُ الْيَلْدِ﴾، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عز وجل: ﴿لَا يَمُرُّكُم مَّرَجَاتُ الْيَلْدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

﴿كَذَّبَتْ قَلْبُهُمْ قَوْلَ نوحٍ وَالْأَنْزَابِ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ﴾، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمى الأسير أخيداً، ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَيْتِ لِيُتَحْضَرُوا﴾، ليبتلوا، ﴿بِهِ لَعْنٌ﴾، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: ﴿إِنْ أَشْرَأْ لَأَبْتَرُنَّ بَيْنَنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، و﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الفرقان: ٢١] ونحو ذلك، ﴿فَأَخَذْتُم مِّنْكُمْ عِقَابٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِكُلِّ ظَالِمٍ لَّعْنَةُ اللَّهِ﴾، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت،

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قومك، ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْعَرْشَ مِثْنَ حَرْوَةٍ﴾، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمئة عام.

ويروي: أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى خبزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجلوت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان قدوس رب الملائكة والروح.

وقال مسيرة بن عروة: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم خرفت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها.

وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجاً من نور.

وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عني ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: إن ما بين القائمة

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عمر بن عبدالله الرقاشي، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا هارون بن رباب، ثنا شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، قال: وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم.

قوله عز وجل: ﴿وَسْتَقْرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿وَسَبَّحْتَ كُلَّ شَيْءٍ وَرَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، دينك. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، قال مطرف: أنصح عبادة الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

﴿رَبَّنَا وَأَذِلَّهُمْ جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾، آمن، ﴿وَمِنَ النَّبِيِّينَ وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ﴾، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم [الجنة].

﴿وَقِهِمُ السَّعْيَاتِ﴾، العقوبات، ﴿وَمَنْ تَقَى السَّعْيَاتِ﴾،

ما أعظمك وأجلتك أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كلهم لك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعو اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربع مائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من دُرٍّ أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين حجاباً من ياقوت أصفر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من لؤلؤ، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه، وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه إذا حركه، ليس لهم كلام إلا التسييح [والتسليم والتحميد والتكبير] والتمجيد. قوله عز وجل: ﴿سَيَحْنُونَ يَحْمَدُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يصدقون بأنه واحد لا شريك له.

رَبَّنَا وَأَذِلَّهُمْ جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ إِنَّكَ أُنْتِ السَّعْيَاتِ الْحَكِيمِ ﴿١٥﴾ وَقِهِمُ السَّعْيَاتِ وَمَنْ تَقَى السَّعْيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ إِنْ أَلْبَسْتُمْ كُفْرًا وَايْتَانُونَ لَمَقَاتِ اللَّهِ كَمَا كَفَرْتُمْ مَقَاتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُنْعَمُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا الثَّلَاثِينَ وَأَمِيتْنَا الثَّلَاثِينَ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ بِمَا عَصَيْتُمْ إِيَّاهُ إِذْ دَعَى اللَّهُ وَعْدَهُمْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْتُمِذُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٩﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُلِيبُ ﴿٢٠﴾ فَأَدْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢١﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ رِزْقَهُمْ يَوْمَ تَلْزَمُ النَّفْسُ الْبَاطِنَ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ إِنَّهُ أَلِيمٌ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ ﴿٢٢﴾

من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب [حجاب] من نور، وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة. وقال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلل هؤلاء وكبير هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سبحانك وبحمدك

أي ومن تقه السيئات يعني
اليعقوبات، وقيل: جزاء السيئات،
﴿يَوْمَهُمْ قَدْ رَحِمَهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾.

﴿١٠﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَدَوَّنُونَ﴾، يوم القيامة وهم
في النار وقد مَقَتُوا أنفسهم حين
عُرِضَتْ عليهم سيئاتهم، وعامِنُوا
العذاب، فيقال لهم: ﴿لَمَقَتُ اللَّهُ
أَكْبَرَ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَقُولُونَ
إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾، يعني
لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون
إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم
اليوم أنفسكم عند حلول العذاب
بكم.

﴿١١﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ
أَتَيْنَيْنِ﴾، قال ابن عباس - رضي الله
تعالى عنهما - وقادة والضحاك: كانوا
أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله
في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد
منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة،
فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله
تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال
السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في
قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في
قبورهم ثم أحيوا في الآخرة.
﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ
سَبِيلٍ﴾ أي من خروج من النار إلى
الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل
بطاعتك، نظيره: ﴿هَلْ إِلَى مَرَزٍ مِنْ
سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤].

﴿١٢﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ بِأَلْقَائِهِ
إِنَّا دُخِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾، فبسه

متروك استغني عنه لدلالة
الظاهر عليه، مجازة:
فأجيبوا أن لا سبيل إلى
ذلك، وهذا العذاب
والخلود في النار بأنكم إذا
دُخِيَ اللهُ وحده كفرتم، أي
إذا قيل لا إله إلا الله
أنكرتم، وقلتم: ﴿جَعَلَ
الْأَلَمَةَ إِلَهًا رِجْئًا﴾ [ص:
٥]، ﴿إِن يُشْرِكْ بِهِ﴾،
غيره ﴿تُؤْمِنُوا﴾، تصدقوا
ذلك الشرك، ﴿فَلَمَّكُمْ اللَّهُ
الْعَمَلِ الْكَبِيرِ﴾. النبي لا
أعلى منه ولا أكبر.

﴿١٣﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
آيَاتِهِ وَيُرْسِلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
رِيقًا﴾، يعني المطر الذي هو سبب
الأرزاق، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾، وما
يتعظ بهذه الآيات، ﴿لَا مَنْ
يُنْبِتُ﴾، يرجع إلى الله تعالى في
جميع أموره.

﴿١٤﴾ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ﴾، الطاعة والعبادة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾، رافع
درجات الأنبياء والأولياء في الجنة،
﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، خالقه ومالكه،
﴿يُنزِلُ الرُّوحَ﴾، ينزل الرُّوح، سماه
روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا
به الأبدان بالأرواح، ﴿هِيَ أَمْوَاتٌ﴾،
قال ابن عباس: من قضائه. وقيل:
من قوله. بوقال مقاتل: بأمره. ﴿هَلْ
مَنْ يَنْتَهِ عَنْ عِبَادِهِ يُنذِرُ﴾، أي لينذر
النبي بالوحي، ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، وقرأ
يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد

الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ يُرَى
اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ رَهِمَ يَوْمَ الْأَرْبَعَةِ قُلُوبُهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا كَظِيمِينَ مَا لَظَلَّ الَّذِينَ مِنْ حَيْوَةٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٤﴾ يَسْأَلُ عِلْمَ الْآخِرِينَ وَمَا خَفِيَ الشُّدُورُ ﴿١٥﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ
شَيْئًا وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
كَأَنَّهُمْ أَسَدٌ مُنْتَهَمٌ قُوَّةً وَإِنَّا فِي الْأَرْضِ لَآخِذِينَ بِاللَّهِ
يُدْعَوِينَ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ آتِهِمْ وَآيَاتِهِمْ شَيْءٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا قَاتِلِينَ رَسُولَهُمْ وَاللَّهُ يُدْعَى بِالْحَقِّ فَكُفِّرُوا بِلَدُنْهِ
اللَّهُ آخِذٌ بِذُنُوبِهِمْ قَوْلٌ شَدِيدٌ الْعِقَابِ ﴿١٧﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَدْرُونَ
فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا آيَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْتَدِلِينَ ﴿٢٠﴾

يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السموات
وأهل الأرض. قال قتادة ومقاتل:
يلتقي فيه المخلوق والخالق. قاله ابن
زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون بن
مهران: يلتقي الظالم والمظلوم
والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون
والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه المرء
مع عمله.

﴿١١﴾ ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُؤُهُمْ﴾، خارجون
من قبورهم ظاهرون لا يسترهم
شيء، ﴿لَا يَتَّقِي عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ﴾، من
أعمالهم وأحوالهم، ﴿هِيَ﴾،
ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد
فناء الخلق، ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾،
فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول،
﴿اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي قهر
الخلق بالموت.

﴿١٧﴾ ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ﴾، يُجْزَى الْمُحْسِنُ
بِحَسَنَاتِهِ، وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ، ﴿لَا

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٨﴾
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
 اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا
 فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
 يَعْتَدُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٠﴾ يَتَّبِعُونَ
 لَكُمْ الْمَلَائِكَةَ الْبُرُوقَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّكُمْ مِنْ
 بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَ فَأَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرَىكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
 أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَّبِعُونَ بِي
 لَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٢﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْسٍ يَرْتَجِحُ
 وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَامًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾
 وَيَتَّبِعُونَ بِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تُبَلَّغُونَ مَعْرَبِينَ
 مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ هَادٍ ﴿٢٥﴾

الاعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، يعني الأوثان، ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾، لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء.

قرأ نافع وابن عامر وتدعون، بالشاء، وقرأ الآخرون بالياء. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ عِتْمَةً قَوَّةً﴾، قرأ ابن عامر «منكم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿وَمَا نَارًا فِي الْأَرْضِ﴾، فلم ينفعهم ذلك. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، يدفع عنهم العذاب.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل بهم، ﴿يَأْتَهُمْ كَانَتْ تَأْنِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ﴾.

قال قتادة: هذا غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه

السلام أعاد القتل عليهم، فمعناه أعيدوا عليهم القتل. ﴿وَأَسْتَعْتِبُوا فِتْنَةً لَهُمْ﴾، ليصلوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرتة، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ﴾، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿إِلَّا فِي مَكَلِّ﴾، أي يذهب كيدهم باطلاً، ويحيق بهم ما يريد الله عز وجل.

﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لملته ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا، ﴿إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ﴾، أن يغير، ﴿وَدِينَكُمْ﴾، الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، قرأ يعقوب وأهل الكوفة ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾، وقرأ الآخرون ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾، وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يُظْهِرُ بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، ﴿الْفَسَادَ﴾ نصب لقوله: ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾، حتى يكون الفعلان على نسق واحد، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، ﴿الْفَسَادَ﴾، رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لما توعده فرعون بالقتل، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾، واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل

ظلم اليوم إنك الله سريع الحساب. ﴿٢٨﴾ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾، يعني يوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله عز وجل: ﴿أَرْزُقِ الْأَرْزَاقَ﴾ [النجم: ٥٧]، أي قربت القيامة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواهم فيموتوا ويستريحوا. ﴿كٰظِمِينَ﴾، مكرويين ممثلين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيْرٍ﴾، قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، فيشفع فيهم.

﴿٢٩﴾ ﴿يَسْأَلُ حَاطَةَ الْأَعْرَابِ﴾، أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: [هوا] نظر

والسدي: كان قبطياً ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿وَمَا رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمَعُ﴾ [القصص: ٢٠]، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء.

وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبران. وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً. ﴿أَفَقَتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، لأن يقول ربي الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي بما يدل على صدقه، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُمْ﴾، لا يضركم ذلك، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾، فكذبتموه وهو صادق، ﴿يُعِيبُكُمْ بِبَعْضِ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

قال أبو عبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب. قال الليث: بعض ههنا صلة يريد: يصيبكم الذي يعدكم.

وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال: أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليجب الكل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾، إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾، مشرك، ﴿كَذَّابٌ﴾، على الله.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

التميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَفَقَتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ﴾، غالبين في أرض مصر، ﴿فَمَنْ يَضُرُّكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، من يمنعا من عذاب الله، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب، وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾، من الرأي والنصيحة، ﴿إِلَّا مَا أُرِي﴾، لنفسي. وقال الضحاك: ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، ما أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَقَوَّمُ﴾، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّحَارِبِ﴾، ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَائِرُ الْقَوْمِ مِنَ الْعَرَبِ﴾، أي مثل عادتهم في الإقامة

على التكذيب حتى أتاهم العذاب، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، أي لا يهلكهم قبل اتخاذ الحجة عليهم.

﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾، يوم القيامة يُدعى كل أتاس بإمامهم وينادي بعضهم بعضاً، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب الأعراف، وينادي بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلوداً فلا موت، ويا أهل النار خلوداً فلا موت.

وقرأ ابن عباس والضحاك: «يوم التناد» بتشديد الدال أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض كما تنسد الإبل إذا شردت عن أربابها.

وقال الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار فندوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى الفكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهِمْ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقرئ: ﴿يَتَقَوَّمُ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسَانِ﴾، استكلمتم أن تتدلوا من أقطار السموات والأرض فاتفقوا [الرحمن: ١٣].

﴿يَوْمَ تُولَدُ مُدْرِينٌ﴾، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارين غير معجزين، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَلِيمٍ﴾، يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي سَكِّ
 وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقًّا إِذَا هَلَكَ فَلَنُورَنَ يَبْعَثُ اللَّهُ
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَتَتْهُمْ كَذْرُومًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
 يَطَّعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
 يَبْهَتِكُنَّ إِنِّي فِي صَرْحٍ أَلْعَلِّي أَتْلُوعُ الْأَسْتَكْبَ ﴿٣٦﴾ اسْتَبَّ
 السَّمَكُوتِ فَأَطْلِعِ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأظُنُّهُ كَذِبًا
 وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ
 وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا يَقْتُولُوا أَنَّى هُوَ سَيِّدُ الرَّسَادِ ﴿٣٨﴾
 يَقْتُولُوا إِنَّمَا هُوَ هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
 دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَنُ إِلَّا سِلْمًا
 وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿كَزْرَمَتًا﴾، أي كبر
 ذلك الجدال [عند الله]
 مقناً، ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطَّعُ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
 جَبَّارٍ﴾، قرأ أبو عمرو
 وابن عامر ﴿قلب﴾
 بالتنوين، وقرأ الآخرون
 بالإضافة، دليله قراءة
 عبدالله بن مسعود «على
 قلب كل متكبر جبار».

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالَ
 فِرْعَوْنُ﴾، لوزيره،
 ﴿يَبْهَتِكُنَّ إِنِّي لِي صَرْحًا﴾،
 والصرح البناء الظاهر الذي
 لا يخفى على الناظر وإن
 بعد، وأصله من التصريح

وهو الإظهار، ﴿لَعَلِّي أَتْلُوعُ
 الْأَسْتَكْبَ﴾، يعني طرفها وأبوها من
 السماء إلى سماء، ﴿فَأَطْلِعِ إِلَى اللَّهِ
 مُوسَى﴾، قراءة العامة برفع العين نسقاً
 على قوله: ﴿أَتْلُوعُ الْأَسْتَكْبَ﴾، وقرأ
 حفص عن عاصم بنصب العين وهي
 قراءة حميد الأعرج، على جواب
 «لعل» بالفاء ﴿وَإِنِّي لَأظُنُّهُ﴾، يعني
 موسى ﴿كَذِبًا﴾، فيما يقول أن له
 رباً غيري، ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سَوْءَ
 عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، قرأ أهل
 الكوفة ويعقوب ﴿وَصَدَّ﴾ بضم الصاد
 نسقاً على قوله: ﴿زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ﴾ قال
 ابن عباس: صدّه الله عن سبيل
 الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي صدَّ
 فرعون الناس عن السبيل. ﴿وَمَا
 كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾، يعني
 وما كيدته في إبطال آيات الله وآيات
 موسى إلا في خسران وهلاك.

﴿٣٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتُولُوا

أَنَّى هُوَ سَيِّدُ الرَّسَادِ﴾،
 طريق الهدى.

﴿٣٩﴾ ﴿يَقْتُولُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ
 الدُّنْيَا مَتَّعَ﴾، متعة تنتفون بها مدة
 ثم تنقطع، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
 الْقَرَارِ﴾، التي لا تزول.

﴿٤٠﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَنُ
 إِلَّا بِسِلْمًا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ
 ذَكَرٍ أَوْ أَنفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا
 بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قال مقاتل: لا تبعة
 عليهم فيما يعطون في الجنة من
 الخير.

﴿٤١﴾ ﴿وَيَقْتُولُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى
 التَّوْبَةِ﴾، يعني مالكم كما تقول
 العرب: مالي أراك حزينا؟ أي
 مالك؟ يقول: أخبروني عنكم؟ كيف
 هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من
 النار بالإيمان بالله، ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى
 النَّارِ﴾، إلى الشرك الذي يوجب
 النار، ثم فسر فقال:

﴿٤٢﴾ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ
 وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
 أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ﴾، العزيز
 في انتقامه ممن كفر، الغفار لذنوب
 أهل التوحيد.

﴿٤٣﴾ ﴿لَا جَبْرَ﴾، حقاً، ﴿أَتَمَّا
 تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، أي إلى الوثن،
 ﴿لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
 الْآخِرَةِ﴾، قال السدي: لا يسجيب
 لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني
 ليست له استجابة دعوة. وقيل:
 ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا
 لأن الأوثان لا تدعي الربوبية، ولا
 تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ
 من عابديها. ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾،

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾
 يعني يوسف بن يعقوب ﴿مِنْ
 قَبْلُ﴾، أي من قبل منسوسى،
 ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعني قوله: ﴿ءَأَزِيدُكُمْ
 سُورَةً خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
 [يوسف: ٣٩]، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي سَكِّ
 جَاءَكُمْ بِهِ﴾، قال ابن عباس: من
 عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿حَقًّا
 إِذَا هَلَكَ﴾، مات، ﴿فَلَنُورَنَ
 يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، أي
 أقمتهم على كفرهم ووظفنتهم أن الله لا
 يجحد عليكم الحججة، ﴿كَذَلِكَ
 يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ، مشرك،
 مُرْتَابٌ﴾، شك.

﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
 اللَّهِ﴾، قال الزجاج: هذا تفسير
 للمسرف المرتاب يعني هم الذين
 يجادلون في آيات الله أي: في
 إبطالها بالتكذيب، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ،
 حجة، أَتَتْهُمْ﴾، من الله،

موجعنا إلى الله فيجازي كلاً بما يستحق، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾، المشركين، ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾. ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾، إذا عاينتكم العذاب حين لا ينفعكم التذكير، ﴿وَأَنْزِلُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْمُكْرِمَاتِ﴾، يعلم المحق من المبطل، ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه. ﴿وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرَرُوا﴾، ما أرادوا به الشر، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطياً، ﴿وَمَقَّاقٍ﴾، نزل، ﴿يَقَالُ فِرْعَوْنُ سَوْءُ الْعَذَابِ﴾، الفرق في الدنيا والنار في الآخرة.

﴿وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّارِ﴾، هي رفع على البدل من السوء، ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة، ومقاتل، والسدي، والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشياً ما دامت الدنيا.

أخبرنا أبو الحسين السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال لهذا هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة.

ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: ﴿السَّاعَةَ﴾، ﴿أدخلوها﴾، بحذف الألف والوصل وبضمها في الابتداء وضم الخاء من الدخول، أي يقال لهم

أدخلوها يا آل فرعون أشد العذاب، وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال، أي يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يزيد أولاد العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أفرقوا.

﴿وَلَا يَتَخَلَّفُونَ فِي النَّارِ﴾، أي اذكروا يا محمد لقومك إذ يختصمون، يعني أهل النار في النار، ﴿فَيَقُولُ السُّفَهَاءُ لِلَّذِينَ أُسْتُكِرُوا إِنَّهَا كُنَّا لَكُمْ بيمًا﴾، في الدنيا، ﴿فَهَلْ أُنشِرُ مَغْفُورَ عَنَّا نُصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾، والتبع يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: جمع لا واحده، وجمعه أتباع.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُسْتُكِرُوا إِنَّهَا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْيَسَاءِ﴾، وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ، حين

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعَىٰ إِلَىٰ النَّارِ وَأَنَا مَعْرُوفٌ بِالْإِيمَانِ﴾، ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ وَالغَيْرِ الْعَمَلُ لِأَجْرِهِ﴾، ﴿أَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لِي دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾، ﴿وَأَنْ مَرَدًا إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ أَسْحَبُ النَّارِ﴾، ﴿سَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَنْزِلُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْإِسْرَارِ﴾، ﴿فَرَفَعَهُ اللَّهُ سَبْعَ مِائَاتٍ مَا مَكَرُوا وَمَقَّاقٍ﴾، ﴿يَقَالُ فِرْعَوْنُ سَوْءُ الْعَذَابِ﴾، ﴿النَّارِ يَعْضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، ﴿وَلَا يَتَخَلَّفُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ السُّفَهَاءُ لِلَّذِينَ أُسْتُكِرُوا إِنَّهَا كُنَّا لَكُمْ بيمًا فَهَلْ أُنشِرُ مَغْفُورَ عَنَّا نُصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُسْتُكِرُوا إِنَّهَا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْيَسَاءِ﴾، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَيْرِيَّةٍ جَهَنَّمَ أَدْعُورِيكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾

اشتد عليهم العذاب، ﴿لِيُخَزَّنَهُ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبِّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوا﴾، يعني خزنة جهنم لهم، ﴿أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَمَا دُعَاؤُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا رُبِّكُمْ، أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْمُظَلِمِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أي يبطل ويضل ولا ينفعهم.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال ابن عباس: بالخطبة والقهر، وقال الضحاك: بالهجة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فيهم منصورون بالهجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله

قَالُوا أَوْلَمْ نَكُتُ أَيُّكُمْ رَسُولَكُمْ بِالْيَسْتِ قَالُوا
بَلَى قَالُوا فَادْعُوا مَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
﴿٥٦﴾ إِنَّا لَنَعَصِرُ رُسُلَنَا وَالذُّرُوبَ أَمْثُوا فِي الْحَيَاتِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٨﴾ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى وَأَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٩﴾ هُدًى
وَزَكْرَى لِلأُولَى وَالْأَنْبِيَاءِ ﴿٦٠﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَرِ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانَهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَا هُمْ بِيَلْفِيهِ فَاسْتَخِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّكِينُ
الْبَصِيرُ ﴿٦٢﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُؤْمِنَةُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٦﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾، يا
محمد على أذاهم، ﴿إِنَّ﴾
وَعَدَ اللَّهُ، ﴿فِي﴾ إظهار
[دينك] وإهلاك أعدائك،
﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي:
نسخت آية القتال آية
الصبر، ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾
لِذَنْبِكَ، هذا تعبد
من الله ليزيده به درجة
وليصير سنة لمن بعده،
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾،
صلي شاكرًا لربك،
﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾، قال
الحسن: يعني صلاة
العصر وصلاة الفجر.
وقال ابن عباس:

الصلوات الخمس.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي﴾
﴿آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانَهُمْ إِنَّ فِي﴾
﴿صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم، والصدر
موضع القلب، فكنى به عن القلب
لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾، قال
ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك
إلا ما في صدورهم من الكبر
والعظمة، ﴿مَا هُمْ بِيَلْفِيهِ﴾، قال
مجاهد: ما هم ببالغني مقتضى ذلك
الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم.
قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا
تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن
يغلبوه ما هم ببالغني ذلك. قال أهل
التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم
قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا
المسيح بن داود - يعنون الدجال -
يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه
البر والبحر، ويرد الملك إلينا،
قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَخِذْ بِاللَّهِ﴾،

من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾
السَّكِينُ الْبَصِيرُ ﴿٥٧﴾

﴿٥٧﴾ ﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾،
مع عظمهما، ﴿أَكْبَرَ﴾، أعظم في
الصدور، ﴿بَيْنَ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي
من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ﴾
﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا﴾
﴿يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك
على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر
أي أعظم من خلق الدجال، ﴿وَلَكِنَّ﴾
﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني
اليهود الذي يخاصمون في أمر
الدجال.

وروي عن هشام بن عامر قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما
بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق
أكبر فتنة من الدجال».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد
الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن
عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن
زكريا العلافري، أنا إسحاق بن
إبراهيم الديري، ثنا عبدالرزاق، ثنا
معمر عن قتادة عن شهر بن
حوشب، عن أسماء بنت يزيد
الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ
في بيته فذكر الدجال.

فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين:
سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها،
والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك
السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي
نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها
كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى
ذات ظلف ولا ذات ضرس من
البهائم إلا هلك، وإن من أشد فتنته
أنه يأتي الأعرابي فيقول: رأيت إن
أحييت لك إيلك اليس تعلم أنني

بالقهر على من ناوأهم وإهلاك
أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا
بالانتقام من أعدائهم، كما نصر
يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به
سبعون ألفاً، فهم منصورون بأحد
هذه الوجوه، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾،
يعني يوم القيام يقوم الحفظة من
الملائكة يشهدون للرسول بالتبليغ
وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿٥٧﴾ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾
﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾، إن اعتذروا عن كفرهم
لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينعفهم،
﴿وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾، البعد من الرحمة،
﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، يعني جهنم.

﴿٥٨﴾ ﴿وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾،
قال مقاتل: الهدى من الضلالة،
يعني التوراة، ﴿وَأَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ﴾
الْعِتَابَ، التوراة.

﴿٥٩﴾ ﴿هُدًى وَزَكْرَى لِلأُولَى﴾
الْأَنْبِيَاءِ ﴿٦٠﴾

ريك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعاً وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: رأيت إن أحييت لك أباك وأخاك أألت تعلم أنني ريك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه. قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع القوم في اهتمام وغم مما حدثهم، قالت: فأخذ يلحمتي الباب فقال: مهيم أسماء؟ فقلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: «إن يخرج وأنا حي فأنأ حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن»، قالت أسماء فقلت: يا رسول الله والله إنا لنعجن عجناً فمأ نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتكديس».

وبهذا الإسناد أخبرنا معمر، عن ابن خيشم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ: «يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار».

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما

من نبي إلا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا جويرية عن نافع عن عبدالله قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنة طافية».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني، أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا علي بن حجر، ثنا شعيب بن صفوان عن عبدالملك بن عمير عن ربيعي بن حراش عن عقبه بن عمرو بن مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبه: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال؟ قال: «إن الدجال يخرج وإن معه ماء و ناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب» فقال عقبه: وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني إبراهيم بن المنذر، ثنا ابن الوليد، حدثنا ابن عمرو، وهو الأوزاعي، ثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومناق».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقني، أنا أبو الحسين علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل دُبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك».

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد البزار، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن [أبي] هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السيجان».

ويرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّأَرْبَابٍ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٥٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ يَلْتَكُونُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَكُمْ عَلَى نَفْسٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَذَلِكَ يُوَفِّكُمُ الْوَعْدَ كَمَا تَأْتِي تَابِعَاتُ اللَّهِ بِجَمْعٍ ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَزَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَمَصْرُورَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ وَوَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَسَاءَلُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَعْدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْيَتِيمَتُ مِنَ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّي الْمَلَائِكَةَ ﴿٦٤﴾

أَيْدٍ لَيْسَتْ كَأَيْدِي سَيِّدٍ خَلَقَكُمْ عَلَى نَفْسٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك، ﴿يُؤَفِّكُمُ الْوَعْدَ كَمَا تَأْتِي تَابِعَاتُ اللَّهِ بِجَمْعٍ﴾.

﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَزَارًا﴾، فراشاً، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، سقفاً كالقبة، ﴿وَصُورَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، قيل: هو من غير رزق الدواب ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَسَاءَلُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَعْدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال الفراء: هو خير وفيه إضمار الأمر، مجازة: فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَعْدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَزَارًا﴾، فراشاً، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، سقفاً كالقبة، ﴿وَصُورَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، قيل: هو من غير رزق الدواب ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَسَاءَلُونَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَعْدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال الفراء: هو خير وفيه إضمار الأمر، مجازة: فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَعْدَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان بن منصور عن زر عن يسيع الكندي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي الزرقعي، ثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد، ثنا محمد بن عبيد [الله] بن العلاء، ثنا أحمد بن بديل، ثنا وكيع، ثنا أبو المليح قال: سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدع الله غضب الله عليه».

وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر: ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ومعنى داخريين صاغرين ذليلين. ﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

كلهم ذو ساج وسيف محلى». ﴿٥٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَمَا كَفَرُوا﴾، قال الفراء: ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾، أي القيامة لآتية لا ريب فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿٦٠﴾ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي اعبدوني دون غيري أجيبكم وأتبكم وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابة. أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن [محمد بن] سمعان، ثنا أبو جعفر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَيُنْهَمُ مَنْ لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِحَاكِمَةٍ إِلَّا يَأْذَنَ اللَّهُ فَإِذَا حُكِمَ أَمْرٌ لِلَّهِ فَضِيَ الْيَقِينُ وَخَيْرَ
هَذَا لِكِ الْمُبْطِلِينَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْفُسَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْأَنْفُسِ تَحْمِلُونَ ﴿٨٠﴾ وَرُبَيْكُمْ أَيْتِيهِمْ فَأَيَّ آيَاتِنَا
أَلْفَوْا شُكْرُونَ ﴿٨١﴾ أَلَمْ يَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَعَزَّ فِي الْأَرْضِ فَمَا آخَرَهُمْ عَنْهُمَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُسُوعُ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنَ الْعَالَمِينَ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ فَسَجَدُوا ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ نَكْفُرُ بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَذَرِكْهُمْ إِنَّهُمْ يُبْتَلُونَ لِمَا رَأَوْا بَأْسًا سَلَّ
اللَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ خَيْرَ هَذَا لِكِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾

ما تقول، ﴿وَفِي عَادَاتِنَا وَقُرْ﴾، صمم
فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في
ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم
ولا يسمع، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ﴾، خلاف في الدين وحاجز
في الملة فلا نوافقك على ما تقول،
﴿فَمَا عَمَلٌ﴾، أنت على دينك، ﴿إِنَّمَا
عَمِلُونَ﴾، على ديننا. ﴿١﴾
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾،
يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما
دعوتكم، وهو قوله: ﴿يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا
لِلنَّاسِ لِلَّهِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾، قال الحسن:
علمه الله التواضع، ﴿فَأَسْتَسْتَمِعُوا
إِلَيْهِ﴾، توجهوا إليه بالطاعة ولا
تميلوا عن سبيله، ﴿وَأَسْتَمْتَرُوا﴾، من
ذنوبكم، ﴿وَقَدْ لِمُشْرِكِينَ﴾.



سورة فصلت

مكية وهي أربع وخمسون آية.
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ حَتَّى تَنْزِيلٍ مِنْ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال الأخفش:
تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل.
﴿٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَتْ أَيْتَهُمْ بَيْنَتْ
آيَاتِهِ ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا قَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾،
اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم
ما علموه نصب قرآناً يوقوع البيان
عليه أي: فصلناه قرآناً.
﴿٤﴾ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، نعتان للقرآن
أي بشيراً لأولياء الله ونذيراً لأعدائه،
﴿فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾،
أي لا يصغون إليه تكبراً.
﴿٥﴾ وَقَالُوا، يعني مشركي
مكة ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرٍ﴾، في
أغلبية، ﴿بِمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾، فلا نفقه

هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي
شيء أغنى عنهم كسبهم؟
﴿٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرِحُوا، رضوا، ﴿وَمَا عِنْدَهُمْ مِنْ
الْبَيِّنَاتِ﴾، قال مجاهد هو قولهم نحن
أعلم، لن نبعث ولن نعذب، سمي
ذلك علماً أعلى ما يدعونه ويرغمونه
وهو في الحقيقة جهل
﴿٧﴾ وَخَافَ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا إِنَّا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ نَكْفُرُ بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ
مُشْرِكِينَ، يعني تبرأنا مما كنا نعبد
بالله.
﴿٨﴾ فَذَرِكْهُمْ إِنَّهُمْ يُبْتَلُونَ لِمَا
رَأَوْا بَأْسًا، عذابنا، ﴿سَلَّ اللَّهُ﴾،
قيل نصبها بمنزلة الخافض، أي
كسنة الله. وقيل: على المصدر.
وقيل: على الإغراء أي احدثوا

العلون لأنه ينقص مئة الإنسان

وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب.

وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم [الأجر] كأصح ما كانوا يعملون فيه.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر بن عاصم بن أبي النجود عن خيشمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك المتوكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إلي».

﴿١﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يوم الأحد والاثنين، ﴿وَيَعْمَلُونَ لَهُمْ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٢﴾ ﴿وَيَعْلَمُ فِيهَا﴾ أي في الأرض، ﴿رُؤُوسَ جِبَالٍ ثَوبَاتٍ﴾، من فوق الأرض، ﴿وَيُرزَقُ فِيهَا﴾، أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والشمار، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا﴾.

قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك: قدر في كل بلدة ما لم يجعله في [البلدة] الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة

من بلد إلى بلد. قال الكلبي قدر الخبز لأهل قطر [والتمر لأهل قطر] والذرة لأهل قطر، والسمك لأهل قطر وكذلك أقواتها. ﴿وَيُرزَقُ أَزْوَاجَ آبَاتٍ﴾، يريد خلق ما في الأرض وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكير، كما تقول:

تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين وإحدهما هي التي تزوجتها بالأمس.

﴿سَوَاءٌ لِّلسَّالِئِلِينَ﴾ قرأ أبو جعفر ﴿سواء﴾ رفع على الإبتداء، أي هي سواء، وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: ﴿وَيُرزَقُ آبَاتٍ﴾، وقرأ الآخرون ﴿سواء﴾ نصب على المصدر استوت [سواء] استواء، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسدي: من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جواباً لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: عميد إلى خلق السماء، ﴿وَرُؤُوسَ مَطَائِرٍ﴾، وكان ذلك الدخان بخار الماء، ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضَ أَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أي ائتيا منا أمركما أي



افعله، كما يقال: ائت ما هو الأحسن، أي: افعله.

وقال طائوس عن ابن عباس: «ائتيا [طائعين] أعطيا [قالت أئتنا: أعطيتنا] يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد.

قال ابن عباس: قال الله عز وجل: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجني ثمارك ونباتك، وقال لهما أفعلما ما أمركما طوعاً وإلا أجاتكما إلى ذلك حتى تفعلها كرهاً فاجابتا بالطوع، ﴿أَيْنَا طَائِعِينَ﴾، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازة: أئتنا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَكَّاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الَّتِي يُصَدِّقُ بِهَا نَبِيُّكَ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ
الْقَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن
خَلْفِهِمْ أَلْتَعِدُّوهُنَّ إِلَى اللَّهِ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً مَسْكُورًا ﴿١٩﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبِّئَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ
لَا يَتُوبُونَ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْبَيْتِ فَخَلَقْنَاهُمْ صَاعِقَةً مِنَ الْعَذَابِ الْهَامُونَ يَمَّا كَانُوا فِي كَيْفِيَّتِهِمْ
﴿٢٢﴾ وَبَيْنَمَا أَزِيدُونَ آمَنُوا وَكَانُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْكَيْفِيَّةَ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمُ الْعَذَابَ يَوْمَ تُرْفَعُونَ ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ أَعْيَنَهُمْ مِنْهُمُ وَأَبْصَرْتَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ نَجْمًا كَانُوا يُبْصَرُونَ ﴿٢٤﴾

بالشعر والكهانة والسحر، فاتاه فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى علي أن كان كذلك أو لا، فاتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبدالمطلب؟ أنت خير أم عبدالله؟ فيم تشتم ألهتنا؟ وتفضل آباءنا؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك الرثنا فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش؟ وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغي أنت وعقبك من بعدك؟ ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَدَّثَنَا تَرْزِيلُ بْنُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَتَبَ قُصَيْدَةً مَائِتَةً﴾، إلى قوله ﴿فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، الآية فأسكت عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى دين محمد، وقد أصعبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبت على دين محمد وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً، وقال: والله لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالاً، ولكنني أتيتهم وقصصت

أعرضوا، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾، خوفتكم، ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، أي هلاكاً مثل هلاكهم، والصاعقة المهلكة من كل شيء. ﴿وَإِذْ جَاءَهُمْ﴾، يعني عاداً وثموداً، ﴿الرُّسُلَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ﴾، أراد بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الرسل الذين أرسلوا إلى آباءهم من قبلهم، ﴿وَمِن خَلْفِهِمْ﴾ يعني من بعد

الرسل الذين أرسلوا إلى آباءهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله ﴿وَمِن خَلْفِهِمْ﴾ راجعة إلى الرسل، ﴿أَلَا، بَانَ لَا، تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَسْكُورًا﴾، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، ﴿فَلَمَّا يَمَّا أَزِيدَنَّهُمْ بِكُفْرِهِمْ﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، ثنا عبدالله بن حامد الأصفهاني، ثنا أحمد بن محمد بن يحيى العيني، أنا أحمد بن محمد بن مجدة بن العريان، ثنا الحماني، ثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبدالله قال: قال الملا من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَكَّاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي أتمهن وفرغ من خلقهن، ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُنَّ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال قتادة السدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الَّتِي يُصَدِّقُ بِهَا نَبِيُّكَ﴾، كواكب، ﴿وَحِفْظًا﴾، لها ونصب حفظاً على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظاً من الشياطين الذين يمشقون السمع، ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكر من صنعه، ﴿تَقْدِيرُ الرَّزِيَّةِ﴾، في ملكه، ﴿العليم﴾، بخلقه. ﴿فَإِنِ﴾

عليه القصبة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: ﴿إِن أَمَرْتُمْ بِقُلِّ أَنْذَرْتُمْ صَوْفَةً يَثُلَ صَيِّفَةٌ كَمَا وَتَمُودٌ﴾ الآية فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فحفت أن ينزل بكم العذاب.

وقال محمد بن كعب القرظي: حَدَّثْتُ أَنَّ عْتَبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَحَدَّهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَكَلِمُهُ وَأَعْرُضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنِّي بَعْضُهَا، فَنُعْطِيهِ وَيَكْفُ عَنِّي، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حِمْرَةَ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْتُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَمَنْ إِلَيْهِ فَكَلِمُهُ، فَمَقَامُ عْتَبَةَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مَثْبُأٌ حَيْثُ عَلِمْتَ مِنَ الْبَسِطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكِيلِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، فَرَقَبْتَ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَهْتَ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَيْتَ أَلْهَتَهُمْ وَكَفَرْتَ مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمِعْ مِنِّي أَعْرُضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تَرِيدُ بِنَا جُنْتُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَهْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ [مِنْ] أَكْثَرِنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ شِرْفًا سُوِّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِكَ رِثْيًا تَرَاهُ لَا يَسْتَطِيعُ رَدَهُ طَلَبْنَا لَكَ الْعَلْبَ، وَلَعَلَّ هَذَا شَجَرٌ جَاشَ بِهِ صَدْرُكَ،

فإنكم لعجري بني عبدالمطلب تغلبون على ذلك قال لا يقدر عليه غيركم، حتى إذا فرغ ما عنده من سائر الأمور التي يزعم أنها تردّه عنّا يقول فقال له رسول الله ﷺ: أوقد فرغيت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: بالفعل، فقال ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿جَمْرٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَذَّبَتْ قَبْلَتْ إِكْرِيْمَ إِزْمِيلَ إِذْ رَأَوُنَا غُرُبًا كَاثِرًا ثُمَّ مَضَى فِيهَا يَاقَرًا فَلَمَّا سَمِعْنَا عَنَتَهُ أَنْصَتَ لَهُ وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ، حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُمْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَأَنْتَ وَذَلِكَ، فَمَقَامُ عْتَبَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: وَمَا وِرَاكُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ، مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا السَّجَرِ وَلَا الْكُهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي خَلَا مَا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ وَاعْتَزَلُوهُ، فَوَاللَّهِ لِيَكُونَ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأَ [عَظِيمٍ] فَإِنْ تَصَبَّه الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَيَّ الْعَرَبُ فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، فَانْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، فَقَالُوا: سَحْرُكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ وَاللَّهِ مَا سَحَرَنِي: هَذَا رَأْيِي لَكُمْ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ.

قوله جمر وجريل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ فَاسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ لُكْنٍ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وذلك أن هوداً

هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنّا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الْوَلِيُّ خَلَقَهُمْ وَهُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْبَرُ تَجَاوَزًا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، عاصفاً شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصبر وهو السرد، ﴿فِي آيَاتٍ كَسَاتٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب: ﴿نَحْمَاتٍ﴾ بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرهما أي: نكدات مشوِّحات ذات نحوس، وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، دأبت الرياح عليهم [عسرات] من غير مطر، ﴿لِيَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخُرْبِيِّ﴾، أي عذاب السهون والشذال، ﴿فِي كَلِمَةٍ آذِنًا وَعَذَابٍ آخِرٍ أَتَمٍّ﴾، أشد إهانة ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا تَمُودٌ فَهَدَيْتُهُمْ﴾، دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله ﴿هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿فَأَسْتَجَبُوا لِمَنْ عَلَى الْكُفْرِ﴾، فاختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَعَدْتُمْ صَوْفَةَ الْكَلْبِ﴾، أي مهلكة العذاب، ﴿الْمُونِ﴾، أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويجزبهم، ﴿وَمَا كَانُوا بِكَيْدِينِهِ﴾.

﴿وَيَجِيئُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ و﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاؤَهُ إِلَى الْكَلْبِ﴾، قرأ نافع ويعقوب:

وَقَالُوا لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلِقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ إِلَيْهِ رُجُوعُونَ ﴿١٦﴾
 وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ أَنِ اتَّعَمَلُونَ ﴿١٧﴾
 وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ فَاصِّبُكُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ فَإِنْ يَصَّبِرُوا قَالُوا فَاتَّبِعُوا مَثَلَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٩﴾ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَذَرُّوا قُرْآنَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيْبِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِئْتَاهُمْ قَلْبًا ﴿٢١﴾ فَلْيَدْعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَدَابًا شَدِيدًا وَلَنْ يُجِيبَهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ عَدْوَاهُ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِرَةِ لَمَّا كَانُوا هُنَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِي نَضِلُّ نَارًا مِنَ الْغَيْبِ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَجْعًا فَأَدَامَا لِكُلِّ كَوْمٍ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ﴿٢٤﴾

الجلود، ﴿وَالَّذِي رُجِعُونَ﴾. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ﴾، أي تستخفون عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد: تتفنون. وقال قتادة تظنون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، أنا سفيان، أنا منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

أحمد بن عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، أنا سفيان، أنا منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

منصور، عن مجاهد، عن ابني معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان قرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كِبَارَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

﴿نحشر﴾ بالنون، ﴿أعداء﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين ﴿أعداء﴾ رفع أي يجمع إلى النار، ﴿فهم مروعون﴾، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يجبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿حَوْجٌ إِذَا مَا جَاءَهُمْ﴾، جاؤوا النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾، أي بشراتهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلود الفروج. وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِمَلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام هنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْلَ مَرْوِّ﴾، وليس هذا من جواب

باسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿كَاوُوا يَمْلِكُونَ﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿جَزَاءُ أَعْمَلُوا اللَّهِي﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿وَالنَّارُ﴾، أي هو النار، ﴿يُكْرِمُ فِيهَا﴾ أي في النار، ﴿دَارُ الْقُلُودِ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿جَزَاءُ يَمَّا كَاوُوا بِمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي في النار يقولون، ﴿وَمَا آتَانَا مِن آسَافًا مِنَ الْمُنِّ وَالْإِنِّ﴾، يعطون إيليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأبهما سنا المعصية، ﴿يَجْمَعُهَا تَحْتِ أَقْيَامِنَا﴾، في النار ﴿يَلْبِكُوا مِنَ الْآسْفَالِيْنَ﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذاباً منا.

﴿٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ قَالُوا بِرَبِّنَا إِلَهُتُمْ أَنَسْتَحْسِبُوا﴾، سؤال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أنه لا تشرك بالله شيئاً.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: الخلو للعمل لله... وهو قال وعلي رضي الله عنه: أدون الفرائض.

وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال المنحسب استقاموا على أمر الله تعالى، فعملنا بطاعته واجتنبنا معصيته.

وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله.

وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا.

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

قوله عز وجل: ﴿سَنُرَدُّ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، قال ابن عباس: عند الموت.

وقال قتادة ومقاتل: إذا قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح: البشري

تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي النقص وهو عند البصحة، وإذا تخافوا، من الموت. وقال مجاهد:

لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمور الآخرة. ﴿وَلَا تَحْزَنْوْا﴾، عطيني مثله خلفكم من أهل بؤله، فإننا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإن أغفرها لكم، ﴿وَلَا تَحْزَنْوْا بِالْحَيَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿تَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ﴾، تقول لهم الملايكة الذين تشركون عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم أنصاركم وأحيائكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾ أي الآخرة في الدنيا والآخرة. وقال السدي: تقول الملايكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا تغاركم حتى تدخلوا الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مآلَ تَشْتَهُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، من المكملات

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿جَزَاءُ أَعْمَلُوا اللَّهِي﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿وَالنَّارُ﴾، أي هو النار، ﴿يُكْرِمُ فِيهَا﴾ أي في النار، ﴿دَارُ الْقُلُودِ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿جَزَاءُ يَمَّا كَاوُوا بِمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ﴾. ﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي في النار يقولون، ﴿وَمَا آتَانَا مِن آسَافًا مِنَ الْمُنِّ وَالْإِنِّ﴾، يعطون إيليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأبهما سنا المعصية، ﴿يَجْمَعُهَا تَحْتِ أَقْيَامِنَا﴾، في النار ﴿يَلْبِكُوا مِنَ الْآسْفَالِيْنَ﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذاباً منا. ﴿٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ قَالُوا بِرَبِّنَا إِلَهُتُمْ أَنَسْتَحْسِبُوا﴾، سؤال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أنه لا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: الخلو للعمل لله... وهو قال وعلي رضي الله عنه: أدون الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال المنحسب استقاموا على أمر الله تعالى، فعملنا بطاعته واجتنبنا معصيته.

واللذات، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿مآلَ تَشْتَهُونَ﴾، تمنون. روي عن قتادة: ﴿وَمِن عِبَادِهِ﴾، ﴿مَنْ رَزَقْنَا﴾، ﴿مِنْ عِبَادِهِ رَجِيمٌ﴾. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَمَزُوا﴾، ﴿تَمَّ إِلَهُ مَلَأَهُ﴾، التي طاعته الله، ﴿وَمِنْ جَعَلَ صَاحِبَاهُ﴾، ﴿وَقَالَ﴾، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال ابن سيرين والمنذري وابن عباس: هو رسول الله ﷺ نوحاً التي شجاعة أن لا إله إلا الله ﷻ قال الحسن: هو المؤمن الذي أطاع الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أحباب إليه، وعمل ما أحباهم، فني إيجابتها وقاله: نبي من المسلمين. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في عبد المؤمن وقاله: أبو أمة الجاهلي، وعيتم صالحيه على ركعتين بين الأذان والإقامة. وقاله: قاله في الصلاة بين الأذان والإقامة. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَرَى الْاَرْضَ خَشِيعَةً فَإِنَّا نُنزِلُ عَلَيْهَا اَلْمَاءَ
 اءَفْرَتًا وَّوَرَّتْ اِنَّ اَلَّذِيْنَ اءَحْرَاهَا لَمِنِي الْمَرْءَةِ اِنَّمَا عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قُوَّةً
 قَبِيْرًا ﴿٣٤﴾ اِنَّ اَلَّذِيْنَ يَلْحَدُوْنَ فِيْ تَاكِيْدِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا اَفَنُ
 اَلْقَن فِي النَّارِ سِرَامٍ مِّنْ بَايْنِ اَلْوَسْمَانِ اَلْقِيْمَةُ اءَعْمَلُوْا مَا شِئْتُمْ
 اِنَّمَا بِمَا سَعْتُمْ نَحْسِبُ ﴿٣٥﴾ اِنَّ اَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالَّذِيْ كُنَّا جَاءَهُمْ
 وَاَنَّهُ لَكِتٰبٌ عَرَبِيٌّ ﴿٣٦﴾ اَلْاَيَةُ اَلْبَطِيْلُ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَاَلْوَاوِيْنَ
 خَلْفَهُ يَنْزِيْلٌ مِّنْ حِكْمٍ حَمِيْدٍ ﴿٣٧﴾ مَا يَقَالُ لَكَ اَلَا مَا قَدِ جِيْلُ
 اَلرُّسُلِ مِّنْ قَبْلِكَ اِنَّ رَبَّكَ لَدُوْءٌ مَّغْفُوْرٌ وَّذُوْ عِقَابٍ اَلْيَسِيْرُ ﴿٣٨﴾
 وَاَنَّهُ جَمَلَةٌ فَرَسًا اَلْحَمِيْدُ اَلْقَاوُ اَلْوَاوِيْلُ فَصَلَّتْ اَلرَّبِّيَّةُ وَاَتَا حَمِيْدٌ
 وَّعَرَفُوْا قُلُوبُهُمْ اَلَّذِيْنَ مَاتُوْا اَهُدُوْا وَاَشْرَكَوْا وَاَلَّذِيْنَ
 لَا يُوْثِقُوْنَ فِيْ مَا قَاذَبُوْهُمُ وَّقَرُوْهُ وَاَهُدُوْا عَمَّا نُزِّلَتْ عَلَيْهِ
 يَتَّذَرُوْنَ مِّنْ مَّكٰلٍ مِّنْ حَمِيْدٍ ﴿٣٩﴾ وَاَقْدَمَ اَلنَّبِيُّ اَلْمَوِيْ اَلْكِتٰبِ
 فَاَشْرَفُوْا فَيُوْثِقُوْنَ وَاَلَا اَسْكَلْتُمْ سَمَقَتْ مِّنْ رَبِّكَ اَلْحَقُوْا
 بِيْنَهُمْ وَاَلَّذِيْنَ لَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شَرِيْكٌ مِّنْ دُوْنِهِ ﴿٤٠﴾ مِّنْ عَمَلٍ سَلَمًا
 فَاَلْقِيْهِمْ مِّنْ اَسْفَلِ سَمٰوٰتِنَا وَاَمَّا رَبُّكَ يَطَّلِمُ اَللَّحِيْدِ ﴿٤١﴾

لَكَسَنَةً وَلَا اَلنَّبِيْنَ، قال
 الفراء: ﴿لا﴾ هنا صلة،
 معناه: ولا تستوي الحسنة
 والسيئة، يعني الصبر
 والغضب، والحلم
 والجهل، والعمو
 والاساءة. ﴿ادفع بالتي هي
 احسن﴾، قال ابن عباس
 امر بالصبر عند الغضب،
 وبالحلم عند الجهل،
 وبالعفو عند الاساءة.
 ﴿فاذا الذي بينك وبينه
 عدو﴾، يعني اذا فعلت
 ذلك خضع لك عدوك،
 وصار الذي بينك وبينه
 مهاداة، ﴿كأنه وكي

اَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
 سَعْتُوا لِلنَّسِ اَلَّذِيْنَ اءَخْلَقَهُمْ، انما قال
 ﴿خلقهم﴾ بالتأنيث لانه اجراها على
 طريق جمع التكسير، ولم يجرها
 على طريق التغليب للمذكر على
 المؤنث، ﴿اذا كنتم اياته
 تعبدون﴾.
 ﴿فان انكروا﴾، عن
 السجود، ﴿فالنون عند ربك﴾،
 يعني الملائكة ﴿يستخونون لكم بايتل
 والنهار وهم لا يخشون﴾، لا يملون
 ولا يفترون.
 ﴿ومن اينز﴾، دلالتل
 قدرته، ﴿الله ترى الارض خشيعة﴾،
 باينة غيراه لا نبات فيها، ﴿فاذا انزلنا
 عليها الماء اءفرتت وورثت ان الذي اءخاها
 لشيء المروة انة على كل شئ قدير﴾.
 ﴿ان الذين يلحدون في
 اءايتنا﴾، يميلون عن الحق في اءلتنا،
 قال مجاهد: يلحدون في آياتنا
 بالمكاه والتصديا واللغو واللخط.
 قال قتادة: يكذبون في آياتنا. قال
 السدي: يعاندون ويشاقون. قال
 مقاتل: نزلت في ابي جهل ﴿لا
 يخفون علينا افن يلقن في الكار﴾، وهو
 ابي جهل، ﴿خير ام من ياتك اءايتنا
 يوم﴾، قيل: هو حمزة. وقيل:
 عثمان. وقيل: همار بن ياسر.
 ﴿اعملوا ما شئتم﴾، امر تهديد
 ووعيد، ﴿اانة بما تعلمون بصير﴾،
 علم فيجازيكم به.
 ﴿ان الذين كفروا بالاذكر﴾،
 بالقرآن، ﴿لما جاءهم﴾، ثم اخذ في
 وصف الذكر وترك جواب: ﴿ان
 الذين كفروا﴾، على تقدير الذين

حبيبا، كالصديق والغريب.
 قال مقاتل بن حيان: نزلت في
 ابي سفيان بن حرب، وذلك لانه لان
 للمسلمين بعد شدة عدوته
 بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين
 النبي ﷺ ثم اسلم فصار ولياً
 بالاسلام، حبيماً بالقرابة.
 ﴿وما يلقونها﴾، ما يلقى هله
 الفصلة وهي دفع السيئة بالحسنة،
 ﴿الا الذين صبروا﴾، على كظم الغيظ
 واحتمال المشكروه، ﴿وما يلقونها الا
 ذو حظ عظيم﴾، في الخير
 والشواب، وقيل قتادة: الحظ
 العظيم: الجنة، أي ما يلقاه الا من
 وجبت له الجنة.
 ﴿وانما يرغفك من الشيطان
 نزع فاستود بالله انة هو السميع﴾،
 لاستماعتك واقوالك ﴿الليم﴾،
 بافعالك واحوالك.
 ﴿قوله عز وجل: ﴿ومن اينز

محمد بن العباس الحميدي، انا ابو
 عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، ثنا
 ابو عبدالله الحسين بن الحسن بن
 ايوب الطوسي، ثنا ابو يحيى بن ابي
 مسرة، ثنا عبد الله ابن يزيد المقرئ،
 ثنا كهمس بن الحسن، ثنا
 عبدالله بن بريدة عن عبدالله بن
 الحنفلي قال: قال رسول الله ﷺ
 بين كل اءتين صلاة، ثلاث مرات
 ثم قال الثالثة: ﴿من شاء﴾.
 اخبرنا عبدالواحد بن احمد
 المليحي، انا ابو منصور السمعاني،
 ثنا ابو جعفر الرياني، ثنا حميد بن
 زنجويه، ثنا محمد بن يوسف، ثنا
 سفيان عن زيد العمي عن ابي اياس
 معاوية بن قرة عن انس بن مالك
 قال سفيان: لا اعلمه الا وقد رفعه
 الى النبي ﷺ قال: فلا يرذ الدعاء
 بين الاذان والاقامة.
 ﴿قوله عز وجل: ﴿ولا تستوي

﴿ولا تستوي﴾

كفروا بالذكر يجازون بكفرهم .
وقيل: خبره قوله من بعد: ﴿ أُولَئِكَ
يَتَادَرُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:
٤٤]. ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾، قال
الكلبي عن ابن عباس رضي الله
عنهما: كريم على الله: قال قتادة:
أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل
إليه سبيلاً .

﴿ ٤٦ ﴾ وهو قوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾، قال
قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان
لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو
ينقص منه . قال الزجاج: معناه أنه
محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه
الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه
الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى
«الباطل»: الزيادة والنقصان . وقال
مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب
التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب
فيبطئه، ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، ثم
عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم .

﴿ ٤٧ ﴾ فقال: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ، مَنْ
الْأَدَى، ﴿ إِلَّا مَا نَدَى قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ
قَبْلِكَ ﴾، يقول إنه قد قيل للأنبياء
والرسل قبلك سائح، كما يقال لك
وكذبوا كما كذبت، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَدَدٌ
مَغْفِرٌ ﴾، لمن تاب وآمن بك ﴿ وَذُرَّ
عِقَابٌ أَلِيمٌ ﴾، لمن أصر على
التكذيب .

﴿ ٤٨ ﴾ ﴿ وَوَجَعَلْنَا، أي جعلنا
هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس،
﴿ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا ﴾، بغير لغة للعرب،
﴿ لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصِلَتْ آيَاتُهُ ﴾، هلا بينت
آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿ أَعْجَبِيٌّ
وَعَرَبِيٌّ ﴾، يعني: أكتاب أعجمي
ورسول عربي؟ وهذا استفهام على

وجه الإنكار، أي أنهم
كانوا يقولون: المنزل عليه
عربي والمنزل أعجمي .
قال مقاتل: وذلك أن
رسول الله ﷺ كان يدخل
على يسار، غلام عامر بن
الحضرمي، وكان يهودياً
أعجمياً، يكنى أبا فكيهة،
فقال المشركون: إنما
يعلمه يسار فضربه سيده،
وقال: إنك تعلم محمداً،
فقال يسار: هو يعلمني،
فأنزل الله تعالى هذه
الآية .

﴿ قل ﴾، يا محمد،
﴿ هو ﴾، يعني القرآن،
﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرًا ﴾
هدى من الضلالة وشفاء، لما في
القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع،
﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾، قال قتادة: عموا
عن القرآن وطمسوا عنه فلا ينتفعون
بسه، ﴿ أُولَئِكَ يَتَادَرُونَ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ ﴾، أي أنهم لا يسمعون ولا
يفهمون كما أن من دعي [من] مكان
بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل
لقلة انتفاعهم بما يروعون به كأنهم
ينادون من حيث لا يسمعون .

﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
فَاخْتَلَفَ فِيهِ ﴾، فمصدق ومكذب
كما اختلف قومك في كتابك،
﴿ وَوَلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ،
في تأخير العذاب عن المكذبين
بالقرآن ﴿ لَقَضَى بَيْنَهُمْ ﴾، لفرغ من
عذابهم وعجل إهلاكهم، ﴿ وَأَنَّهُمْ
لَفِي شَكٍّ مِنْكَ، من صدقك،

٤٦

٤٧

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ وما تخرج من كُفْرَتِمْ مِنْ أَكْثَابِكُمْ
﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْفٍ وَلَا تَحْمِلُ إِلَّا وِجْهًا ﴾ وما تخرج من كُفْرَتِمْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ قَالُوا مَا أَذُنُكَ مَا مَوَاسِينُ شَهِيدٍ ﴿ ٤٦ ﴾ وَوَصَلَّ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطُغُوا مَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ ﴿ ٤٧ ﴾
لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاؤِ السُّعْتَرِ وَإِنْ سَأَلْتَهُ السُّعْتَرُ فَيُجِيبُ
قَوْلَهُ ﴿ ٤٨ ﴾ وَلَنْ آذَنَهُ رَحْمَةً وَنُافِرِينَ يَهُودِيَّةً سُنَّةً
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ إِنْ لِي عِنْدَهُ لَلْحَسَنُ فَالْمُنْتَهَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنْ يُنْفِخَهُمْ مِنْ عَذَابِ ظُلْمٍ ﴿ ٤٩ ﴾ وَإِذَا الْفِتْنَةُ سَاءَتْ لِلْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَأَى جَانِبَهُ وَإِنَّا مَسَّ السُّعْتَرُ فَنَدَى دُعَاؤَ حَمِيمٍ ﴿ ٥٠ ﴾
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ حَتْمٌ كَمَا تَزْمُ
بِهِمْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِنَ مَوْيٍ فِي شِقَاقِ بَعْرٍ ﴿ ٥١ ﴾ سَبَّحْتَهُ
مَا لَيْسَ بِالْأَفْأَقِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتْمٌ لَيْسَ لَهُمْ أَنَّهُ السُّعْتَرُ
أَوْ تَمَّ يَكُونُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ ٥٢ ﴾ الْإِنْسَانُ
فِي مِرْيَاتٍ مِنْ قَوْلِهِمْ رَبِّهِمْ أَلَّا يُرْسِلَ كُلَّ نَفْسٍ وَمَعْلُومٌ ﴿ ٥٣ ﴾

٤٨

﴿ ضرب ﴾، موقع لهم الرية .

﴿ ٤٦ ﴾ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ
أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ .

﴿ ٤٧ ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ، أي
علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا
يعلمه غيره، ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ كُفْرَتِمْ مِنْ
أَكْثَابِكُمْ، قرأ أهل المدينة والشام
وحفص: «نمرات»، على الجمع،
وقرأ الآخرون «نمرة» على
التوحيد، ﴿ مِنْ أَكْثَابِكُمْ أوعيتها،
واحدتها: كم . قال ابن عباس
رضي الله عنهما: يعني الكفري قبل
أن تنشق . ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْفٍ وَلَا
تَحْمِلُ إِلَّا وِجْهًا، إلا بإذنه، يقول:
يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم
الشمس والنجم . ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ،
﴿ ينادي الله المشركين، ﴿ إِنَّ
شُرَكَاءَكُمُ، الذين كتم تزعمون أنها
آلهة، ﴿ قَالُوا، يعني المشركين،

والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، يعني دين الإسلام.

وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من عند الله. وقيل: محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى. وقال عطاء وابن زيد: في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبيدع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، قال مقاتل: أو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ لَأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾، في شك من البعث، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ﴾، أحاط بكل شيء علماً.

سورة الشورى

مكية وهي ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾، سئل الحسين بن الفضل: لِمَ تَقَطَّعَ حَمَّ عَسَقٍ وَلَمْ يُقَطَّعَ كَهَيْعِصٍ؟ فقال: لأنها سور أوائلها حَمَّ، فجرت مجرى نظائرها فكان حَمَّ مبشداً وعسق خبره، ولأنهما عُدَا آيتين، وأخواتها مثل «كهيعص» و«المص» و«المر» عُدَّتْ آية واحدة.

وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في «كهيعص» وأخواتها

بعلمي وأنا محقوق بهذا، ﴿وَمَا أَطَّلَعُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتَ إِلَيَّ رَجِعَ إِنَّا لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾، يقول هذا الكافر: لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورددت إلى ربي أن لي عنده للحسنى، أي الجنة، أي كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿فَلْيَتَنَبَّأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَهِدُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لنفتنهم على مساوئ أعمالهم، ﴿وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ



غليظ

﴿وَإِذَا أَسْمَنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ﴾، كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

﴿هَلْ أَرَبَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ هَٰذَا الْقُرْآنُ كَذِبًا مِّن دُونِ عِنْدِ اللَّهِ فَمَنْ كَفَرْتُمْ بِهِ مِمَّنْ أَسْأَلُ بِمَنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيثٍ﴾، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم.

﴿سَرُّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منازل الأمم الخالية. ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ

﴿أَذْنَاكَ﴾، أعلمناك، ﴿هَامِيْنَا مِین شِهَابٍ﴾، أي من شاهد بأن لك شريكاً لما عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام.

﴿وَوَصَّلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾، يعبدون، ﴿مِن قَبْلِ﴾، في الدنيا ﴿وظنوا﴾، أيقنوا، ﴿هَامِ لَمْ تِین مَّجِیْرٍ﴾، مهرب.

﴿لَا يَسْتَعْمِلُ الْإِنْسَانُ﴾، لا يميل الكافر، ﴿مِن دَعَاؤِ الْخَبِيرِ﴾، أي لا يزال يسأل ربه الخير، يعني المال والغنى والصحة، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، الشدة والفقر، ﴿فِيؤُوسٍ﴾، من روح الله، ﴿قَنُوسٍ﴾، من رحمته.

﴿وَلَئِن أَدْقَنَّهُ رَمْعًا نَّعْنَا﴾، آتيناه خيراً وعافية وغنى، ﴿وَمِنْ بَعْدِ ضَرْبَةٍ مَّسَّتُهُ﴾، من بعد شدة وبلاء أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾، أي

أنها حروف التهجي لا غير .
واختلفوا في «حم» فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها حُم أي قضى ما هو كائن، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ح حلمه، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها .

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش، م مالك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سيء، يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه .
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه «حم عسق» .

فذلك قال: ﴿كَذَلِكَ يُرْحَمُ إِلَيْكَ﴾، وقرأ ابن كثير ﴿يُوحَى﴾ بفتح الحاء وحجته قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وعلى هذه القراءة قوله: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تبين للفاعل، كأنه قيل من يوحى؟ فقيل الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون ﴿يُوحَى﴾ بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب .

١ - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ كَذَا السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْ تَوْحِيهِمْ﴾، أي كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين: ﴿أَخَذَ اللَّهُ

وَلَدًا﴾ نظيره في سورة مريم [٨٨]: ﴿وَقَالُوا أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ كَذَا السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ سَائِغُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَنَسْتَفْتُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، من المؤمنين، ﴿إِلَّا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا فَهُوَ الْفَعُولُ الرَّحِيمُ﴾ .

٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِهِ أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ حَيْثُ هُمْ﴾، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُكَيِّدٍ﴾، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم .

٣ ﴿وَكَذَلِكَ﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾، مكة، يعني أهلها، ﴿وَمِنَ حَوْلِهَا﴾، يعني قرى الأرض كلها، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين، ﴿لَا رَبَّ فِئَةٍ﴾، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون . ﴿فَرِيقٌ فِي الْحَشَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، ثنا أبو منصور الخمشاذي ثنا أبو العباس الأصم، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي، ثنا بشر بن بكر، حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الزاهر، حدثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

قال الشعلي: وأخبرنا أبو

عبدالله بن فنجويه الدينوري، ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، [ثنا] هشام بن القاسم، ثنا ليث، حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصحبي، عن عبدالله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان، . فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله [إلا أن تخبرنا]، فقال «الذي في يده اليمين: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأضلاب، وقبل أن يستقروا نطفأخي الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأضلاب، وقبل أن يستقروا نطفأ في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، قال عبدالله بن عمرو: فقيم العمل إذا يا رسول الله؟ فقال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْحَشَّةِ﴾ فضل من الله، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ عدل من الله عز وجل» .

٤ قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ

فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمَلٌ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَسُنٌّ كَثِيرًا شَيْءٌ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ثُمَّ مَقَالِيدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿١٢﴾
 ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
 إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
 وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُهُ اللَّهُ
 يَجْتَبِي إِلَهُهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهُ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
 نُنزِّلُ إِلَّا لِأَمْرٍ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَعْدَ أَنْ قَامُوا الدِّينَ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَاقُ الْجِبِلِّ مَسْمُوعٌ لَفْظِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
 أُورِفُوا الْكِتَابَ مِنْ أَعْدِهِمْ لَنَبَى رَبَّهُمْ وَمَنْ تَرَى
 فَلَيْلًا كَافِرًا فَادْعُ وَأَسْقِمْ كَمَا آمُرْتَ وَلَا تَلْعَبْ قَوْلًا
 وَقَوْلًا آمَنْتَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتَ لِأَعْمَلِ
 بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا كُمْ
 لِأَحِبَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

الذي يحكم بين المختلفين هو، ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَرَأَيْتُ نَيْبٌ﴾. ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمَلٌ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، من مثل خلقكم حلال، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم. ﴿يُونِ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً ذكوراً وإناثاً، ﴿يَذُرُّكُمْ﴾، يخلقكم، ﴿فِيهِ﴾، أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: في هذا الوجه من الخلق. قال مجاهد: نسلًا بعد

الشرعية، قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد ديناً واحداً. ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، من القرآن وشرائع الإسلام، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار بالبطاعة له، فذلك دينه الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله: ﴿لَنْ أَمِيقُوا الَّذِينَ وَلَا نُنزِّلُ قَوْلًا فِيهِ﴾، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَهُهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، يصطفي لدينه من عباده من يشاء، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهُ مَنْ يُنِيبُ﴾، يقبل إلى طاعته.

نسل من الناس والأنعام. وقيل: «في» بمعنى الباء أي يذروكم به. وقيل: معناه يكشركم بالتزويج. ﴿لَنْ أَمِيقُوا الَّذِينَ وَلَا نُنزِّلُ قَوْلًا فِيهِ﴾، أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِبَيْتِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقيل: الكاف صلة، مجازة ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ﴿ثُمَّ مَقَالِيدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مفاتيح السموات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات ﴿يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأن مفاتيح الرزق بيده، ﴿إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَهُهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين: ﴿وَمَا كُنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ إِلَّا مِرَّةً وَمَا جَاءَهُمْ فَاعْمَلُوا ذَلِكَ، ﴿فَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾، أي للبعي، قال عطاء: يعني بغياً بينهم على محمد ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾،

لِحَسَنِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على دين واحد. وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي﴾، في دين الإسلام، ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾، الكافرون، ﴿فَمَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾، يدفع عنهم العذاب، ﴿وَلَا صَبِيرٍ﴾، يمنعهم من النار. ﴿إِنَّمَا اتَّخَذُوا أَلِيًّا مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، أي من دون الله، ﴿أُولَئِكَ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وليك يا محمد وولي من أتبعك، ﴿هُوَ يُجِيبُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، من أمر الدين، ﴿فَتَحْكُمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ﴾،

نسل من الناس والأنعام. وقيل: «في» بمعنى الباء أي يذروكم به. وقيل: معناه يكشركم بالتزويج. أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِبَيْتِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقيل: الكاف صلة، مجازة ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ﴿ثُمَّ مَقَالِيدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مفاتيح السموات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات ﴿يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأن مفاتيح الرزق بيده، ﴿إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَهُهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين: ﴿وَمَا كُنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ إِلَّا مِرَّةً وَمَا جَاءَهُمْ فَاعْمَلُوا ذَلِكَ، ﴿فَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾، أي للبعي، قال عطاء: يعني بغياً بينهم على محمد ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾،

وَالَّذِينَ يَحْمُرُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ مِنْهُمْ
 دَاجِئَةٌ عَذَابُهُمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْيَدِ الْيُسْرَى
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 الْآيَاتِ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِيَسْتَلْبِطُوا بِهَا
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِصَادِقِيهِمْ يَرْزُقُ مِنْ مَشَاءٍ وَهُوَ الْقُوَى الْمُغْنِي
 ﴿١٨﴾ مَنْ كَانَتْ رِيْدُ حَرْثِ الْآخِرَةِ نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
 كَانَتْ رِيْدُ حَرْثِ الدُّنْيَا نُزِذْ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 شَيْءٍ ﴿١٩﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ
 مَا لَهُمْ يَأْتُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ كَانَتْ أَلْفُ فَضْلِ نَفْسٍ بِدِينِهِمْ
 وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَاتٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
 هَمَّ مَائِشَاءُ وَنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢١﴾

وتبنيكم، فنحن خير منكم،
 فهذه خصومتهم، ﴿١٦﴾
 بعد ما استجيب لهم، أي
 استجاب له الناس فاسلموا
 ودخلوا في دينه لظهور
 معجزته، ﴿١٧﴾
 داجئة، خصومتهم
 باطلة، ﴿عند ربهم وعلمهم
 غضب ولهم عذاب
 شديد﴾، في الآخرة.

﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْيَدِ الْيُسْرَى،
 قال قتادة ومجاهد
 ومقاتل: العدل، وسمي
 العدل ميزاناً لأن الميزان
 آلة الإنصاف والتسوية.

﴿١٨﴾ فَلَيْذَلِكَ فَادْعُ، أي فإلى
 ذلك كما يقال دعوت إلى فلان
 ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى
 به الأنبياء من التوحيد، ﴿وَأَسْتَقِيمُ
 كَمَا أَمَرْتُ﴾، أي اثبت على الدين
 الذي أمرت به، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
 مَا آتَيْتُ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ،
 أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿وَأُوتِرْتُ
 لِأَعْمَلٍ بَيْنَكُمْ، أن أعدل بينكم،
 قال ابن عباس رضي الله عنهما:
 أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما
 افترض الله عليكم من الأحكام
 وقيل: لأعدل بينكم في جميع
 الأحوال والأشياء، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾، يعني
 إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل
 يُجازى بعمله، ﴿لَا حُمَّةَ﴾، لا
 خصومة، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، نسخنها
 آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر
 بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا
 يجيب خصومة، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ
 بَيْنَنَا﴾، في المعاد لفصل القضاء،
 ﴿وَالْيَوْمَ الْمَصِيرُ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:
 أمر الله تعالى بالوفاء، وتهى عن
 البخس، ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
 قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها
 غير حقيقي، ومجازه: الوقت
 قريب. وقال الكسائي: إتيانها
 قريب.

﴿١٧﴾ قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ
 الساعة ذات يوم وعنده قوم من
 المشركين، فقالوا تكذيباً: متى تكون
 الساعة فأنزل الله هذه الآية ﴿يَسْتَعْجِلُ
 بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، ظناً منهم
 أنها غير آتية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مُشْفِقُونَ﴾، أي خائفون، ﴿مِنْهَا
 وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾، أنها آتية لا ريب
 فيها، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾،
 يخاصمون وقيل تدخلهم المعرية
 والشك، ﴿فِي السَّاعَةِ لِيَسْتَلْبِطُوا
 بِهَا﴾.

﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِصَادِقِيهِمْ قَالَ

ابن عباس رضي الله عنهما: حفي
 بهم. قال عكرمة: بار بهم. قال
 السدي: رفيق. قال مقاتل: لطيف
 بالبرِّ والتاجر حيث لم يهلكهم جوعاً
 بمعاصيهم، يدل عليه قوله: ﴿يَرْزُقُ
 مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢]، فكل من
 رزقه الله من مؤمن وكافر وذو روح
 فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال
 جعفر بن محمد الصادق: اللطف
 في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه
 جعل رزق من الطيبات، والثاني أنه
 لم يدفعه إليك مرة واحدة. ﴿وَهُوَ
 الْقَوِيُّ الْمَعِزُّ﴾.

﴿١٩﴾ مَنْ كَانَتْ رِيْدُ حَرْثِ
 الْآخِرَةِ، الحسرة في اللغة:
 الكسب، يعني من كان يريد بعمله
 الآخرة، ﴿نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾،
 بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء
 من الزيادة، ﴿وَمَنْ كَانَتْ رِيْدُ حَرْثِ

﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَحْمُرُونَ فِي اللَّهِ فِي اللَّهِ،
 يخاصمون في دين الله تعالى
 نبيه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود
 قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا أَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِمْ جُرْأَلًا إِلَّا الْموَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَّهُ بِهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَ عَلَى اللَّهِ كِبْرًا فَإِن بَشَأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ يَكْتُبْنَاهُ عَلَىٰ نَسَمٍ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِصْمًا وَمَا يُدَارِيكَ عِلْمُ سَائِرَ الصُّلُوفِ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَاسْتَجِبْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٤﴾ وَلَوْ سَظَا أَنَّهُ الرِّزْقُ لِعَادُوا لِعَفْوِ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَزُول بِقَدَرٍ مَا بَشَأَ أَنَّهُ عِبَادُهُ ۗ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مَن يَهْدِ مَا قَطَعُوا وَنَشْرُوحْتُمْهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن دَأْبٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذْ يَبْسُؤُهُمْ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ مَّا يَكُن مِّنْهُ مَكْرُومًا كَسَمَتْ آيَاتِكُمْ وَيعْقُبُونَ كَثِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَمَا أُنشِرْتُمْ مِّنْ جُنْدٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٩﴾

٤٨١

﴿٢١﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الذِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُوا بِهِ﴾، يعني كفار مكة، يقول أم لهم آلهة سئوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ الْفَصْلِ﴾، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: ﴿يَكِلُ السَّاعَةَ مَوْلَاهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]،

﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، ﴿رَوَىٰكَ الظَّالِمِينَ﴾، المشركين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

﴿٢٢﴾ ﴿تَرَىٰ الظَّالِمِينَ﴾، المشركين يوم القيامة، ﴿مشفقين﴾، وجلين، ﴿مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾، جزاء كسبهم واقع بهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿ذَلِكَ الَّذِي﴾، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، بأنهم أهله، ﴿فَلَا أَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِمْ جُرْأَلًا إِلَّا الْموَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عبدالملك بن ميسرة قال: سمعت طواساً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْموَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، قال جببير: قريبي آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: عجلت أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

وكذلك روى الشعبي وطواس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿إِلَّا الْموَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي. وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك رضي الله عنهم، وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أذعوكم إليه أجرأ إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذابون.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، وهذا قول الحسن، قال: هو القريبي إلى الله، يقول إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جببير وعمرو بن شعيب.

واختلفوا في قرابته [وقيل هم] فاطمة الزهراء وعلي وابناهما وفيهم نزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وروينا عن يزيد بن حيان عن

الذَّيَّاتِ، يريد بعمله الدنيا، ﴿تَوَدُّوهُ يَتَّبِعَهَا﴾، قال قتادة: أي نوته بقدر ما قسم الله له، كما قال: ﴿صَلَّاتًا لَّهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ٤١٨]. ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِّن نَّصِيبٍ﴾، لأنه لم يعمل للآخرة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي، ثنا محمد بن يوسف الفريابي، ثنا سفيان عن المغيرة، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشرت هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب».

زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: من أهل بيته؟ قال: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن عبدالوهاب، ثنا خالد، ثنا شعبة عن واقد قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال: ارقبوا محمداً في أهل بيته.

وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفرقوا في جاهلية ولا في إسلام.

وقال قوم: هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه، فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحب الله عز وجل أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿وَمَا أَنتَلِكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنْ آجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٨٠]، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ آجِرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧]، فهي منسوخة بهذه الآية، ويقول: ﴿قُلْ مَا أَنتَلِكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [الزمر: ٨٦]، وغيرها من الآيات،

وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم، والحسين بن الفضل، وهذا قول غير مرضي، لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء. وقوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: لكنني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم.

كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «أذكركم الله في أهل بيتي». قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْقَرِ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾، أي: من يكتسب طاعة نزل له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، الذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾، للقليل من الحسنات حتى يضاعفها.

﴿إِنَّمَا يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني كفار مكة، ﴿إِنَّمَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَفِئِ اللَّهُ بِحَيْثُ عَلَيَّ فَلَئِكَ﴾، قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى يشق عليك إذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعّل به ما أخبر عنه في هذه الآية ثم ابتداء فنسأل: ﴿وَيَمْنَعُ اللَّهُ الْكَيْدَ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازة: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع، ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذف من قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء: ١٧]

[١١] و﴿سَخَّ الرَّبَابَةَ﴾ [العلق: ١٧] أخبر أن ما يقولون باطل يمحوه الله، ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ وَيَكْتُمُ السِّرَّ﴾، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ السُّدُورِ﴾، قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَشْتَكِرُ عَلَيْكُمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم الذين اتهموه: يا رسول الله [فإننا] نشهد أنك صادق.

﴿١٥﴾ فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، قال سهل بن عبدالله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ﴿وَتَقَبَّلُوا عَنْ سَيِّئَاتِهِ﴾، إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أنا حميد بن زنجويه، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة عن سليمان بن الأعمش عن عمارة بن عمير، عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبدالله أعوده، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل، أظنه قال: في يدوية مهلكة معه تراخته عليها طعامه وشرابه، فنزل فنام فاستيقظ وقد

ضَلَّتْ راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالوا: ثنا عمر بن يونس، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

﴿وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْوَيْدَانِ﴾ فيمحوها إذا تابوا. ﴿وَتَعَلَّمُوا مَا تَفْعَلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿تفعلون﴾ بالياء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ وبعده ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي ويجيب الذين آمنوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذا دعوه.

وقال عطاء عن ابن عباس:

ويشيب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال أبو صالح عنه: يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله. قال في إخوان إخوانهم. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾، قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمتيناها فأنزل الله عز وجل الآية ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِ﴾، ﴿لَبَعَثُوا﴾ لطفوا وعتوا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: بغيبهم طليهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس. ﴿وَلَكِنْ يُزِيلُ﴾، أرزاقهم، ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾، كما يشاء نظراً منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَيْرَ وَيُصِيرُ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الضالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، ثنا أبو بكر محمد بن عبدالله حفيد العباس بن حمزة، ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي، ثنا صدقة بن عبدالله، ثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال: يقول الله عز وجل من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت

له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومؤيداً، إن دعاني أحبته، وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إنني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إنني عليم خبير.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الصَّيْبَ﴾، المطر، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾، يعني من بعد ما يش الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته، ﴿وَيُنشِئُ رَحْمَتَهُ﴾، ييسط مطره، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾، لأهل طاعته، ﴿الْحَيَاتِ﴾، عند خلقه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ يَدَيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آبِدِيكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ﴿وَمَا كُنْتُمْ﴾، وغير فاء، وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل ﴿ما﴾ في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿وَتَعَفَّوْا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عشرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه، ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، ثنا بشر بن موسى الأسدي، ثنا خلف بن الوليد، ثنا مروان بن معاوية، أخبرني الأزهري بن راشد الباهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سُخَيْلَةَ قال: قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله ﷺ؟ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آبِدِيكُمْ وَتَعَفَّوْا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال: وسأفسرها لك يا علي: «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله عز وجل أكرم من أن يشني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفو».

قال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، أو درجة لم يكن الله ليلغها إلا بها.

﴿وَمَا أَتَتْهُمُ بَعْجَاتُ الْمَوَالِكِ وَالْمَرْثَى﴾، يعني لا تعجزوني حيث ما كنتم ولا تسبقوني، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ ذُوبٍ لِلَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾، يعني السفن، واحداثها جارية وهي السائرة، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَاقِ﴾، أي الجبال، قال مجاهد: القصور واحدها علم، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، التي تجريها، ﴿فَيُظَلِّلْنَ﴾، يعني الجواري، ﴿رَوَّادِكُمْ﴾، ثوابت، ﴿عَلَى ظَهْرِهِمْ﴾، على ظهر البحر لا تجري، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.

﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ﴾، يهلكهن ويغرقهن، ﴿فِيمَا كُنْتُمْ﴾، أي بما كسبت ركبانهما من الذنوب، ﴿وَتَعَفَّفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، من ذنوبهم فلا يعاقب عليها.

﴿وَتَعَلَّمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «ويعلم» برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة [١٥]: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَحَلَّلَ مِنْ يَشَأْ﴾، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَاقِ ﴿٣١﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلِّلْنَ رَوَّادِكُمْ عَلَى ظَهْرِهِمْ وَإِنْ يَشَأْ يُوقِفَهُنَّ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٢﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ فِيمَا كُنْتُمْ آبِدِيكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُجِدُونَ مِنَ الْمُنْجِبِينَ ﴿٣٣﴾ فَمَا أُرْسِلْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُّسَلِّمِينَ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ وَمَا غَدَاةُ الْحَيَاةِ إِلَّا الْحَسْبُ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ زَكَاةً يُؤْتُونَهَا بِكُرْهٍ وَإِذَا سَألُوا لِلْحَيَاةِ الْمُنْجَبِ لِيَأْتِيَهُمْ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْراً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْقُونَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنذَرْتَهُمْ الْبَأْسَ ثُمَّ يَنْصِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَصَا فَأَنْصَرْ وَأَنْصَرْ فَالْحَرَمُ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا لِحُبِّ الْفَالِاقِيِّينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظُنُّونَ النَّاسَ رِبْعِينَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ السُّقُوتَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَدَاةٌ آلِيَةٌ ﴿٣٧﴾ وَلَمْ يَصِدْ وَتَفَعَّلَ ذَلِكَ لَمَنْ عَزَا الْأُمُورَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ ضَلَّ لِلدُّنْيَا فَمَا لَهُ مِنَ قَوْلِيٍّ مِنْ عَدُوٍّ وَرَى الْفَالِاقِيِّينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَدَاتُ يَقُولُونَ هَذَا لِكُلِّ مَرْدٍ مِنْ سَبِيلِ ﴿٣٩﴾

﴿وَتَعَلَّمُ الْفَالِاقِيِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافاً وكرهية لتوالي الجزم: ﴿الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيٍّ﴾، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

﴿فَمَا أُرْسِلْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُّسَلِّمِينَ﴾، مسن رياش الدنيا، ﴿تَوَعَّفُوا لِحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ليس من زاد المعاد، ﴿وَمَا غَدَاةُ الْحَيَاةِ إِلَّا الْحَسْبُ﴾، من الثواب، ﴿خَيْرٌ وَأَقْنَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَيْبِهِمْ يُؤْتُونَكَ﴾، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فلذا صاروا إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن.

﴿وَالَّذِينَ يُجَدِّلُونَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿كثير الإنم﴾ على الواحد ههنا، وفي سورة النجم [٣٢] وقرأ الآخرون: ﴿كسائر﴾

وَرَدَّوهُمْ بِمَعْرُضُونَ عَلَيْهِمْ خَشِيعَةً مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَشِيعَةَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُقَبَّرٍ ﴿٣٨﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٣٩﴾ اسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ نَدَامٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ أَلْبَسْنَا وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَدَّبَهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنِينَ
 يَمَادِمْتَ أَيَدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤١﴾ اللَّهُ مَلِكٌ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْتَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً
 وَهَهُوَ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورُ ﴿٤٢﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا كَانَ
 لِإِنْسَانٍ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ لَآ وَجْهًا أَوْ يَنْزِيحًا أَوْ يَرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُبِينٍ ﴿٤٤﴾

في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكثهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

﴿٤٠﴾ وَيَزَوِّجُوا سِنِينَ سِنِينَ بِمِثْلَهَا، سمي الجزاء سينة وإن لم تكن سينة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل: يعني القصاص في الجراحات والدماء. قال مجاهد

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَنْ أَنْصَرَ بَدَّ ظَلْمِهِ﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه، ﴿فَأُولَئِكَ﴾، يعني المنتصرين، ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾، بعقوبة ومواخذة.

﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾، يبدؤون بالظلم، ﴿وَيَسْتَوُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، يعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿وَمَنْ صَبَرَ وَصَبَرَ﴾، فلم ينتصر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الصبر والتجاوز، ﴿لَيَنْ عَزِيزٌ أَمْرٌ﴾، حقها وحزمها. قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزمًا.

﴿٤١﴾ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَدِيِّ تَنْ بَعِيدٍ﴾، فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله، ﴿وَرَزَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾، يوم القيامة، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِنْ مَرَّرْنَا مِنْ سَبِيلٍ﴾، يسألون الرجعة في الدنيا.

﴿٤٢﴾ ﴿وَرَدَّوهُمْ بِمَعْرُضُونَ عَلَيْهِمْ﴾، أي على النار، ﴿خَشِيعَةً﴾، خاضعين متواضعين، ﴿مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾، خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلك في أنفسهم. وقيل: ﴿مَنْ﴾ بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف من الذل. وقيل: إنما قال: ﴿مِنَ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل: معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً والنظر بالقلب خفي. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ

والسدي: هو جواب القبيح إذا قال له أحد: أخزأك الله تقول أخزأك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي. قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الشوري ما قوله عز وجل: ﴿وَيَزَوِّجُوا سِنِينَ سِنِينَ بِمِثْلَهَا﴾؟ قال: أن يشتمك رجل فتشتمه، أو أن يفعل بك فتفعل به، فلم أجد عنده شيئاً فسألت هشام ابن حجير عن هذه الآية، فقال: الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه. ثم ذكر العفو فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، عن ظلمه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، بالعفو بينه وبين ظالمه، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين يبدؤون بالظلم.

بالجمع، وقد ذكرنا معنى الكباثر في سورة النساء. ﴿وَاللَّوْخِشَ﴾، قال السدي: يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحد. ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُواهُمْ يَفْفَرُونَ﴾، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون.

﴿٣٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أجاوبه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنزَلُوا سُورَاتٍ مِنْهُمْ﴾، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعملون ﴿وَمَا رَدَّوهُمْ يُنْفِرُونَ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِنَّا آسَأْنَاهُمُ الْبَيْتَ﴾، الظلم والعدوان، ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾، ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُواهُمْ يَفْفَرُونَ﴾، وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية. قال إبراهيم:

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تُصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٧﴾

سُورَةُ الشُّرَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥٨﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٥٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَنْبِيَاءِ لَعَلٌّ
لِعِلْمٍ حَكِيمٍ ﴿٦١﴾ أَفَصْرَبُ عَلَيْكُمْ الذِّكْرَ وَمَنْعَهَا
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا تُصْرِفُونَ ﴿٦٢﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦٣﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٤﴾
فَأَهْلَكْنَا أَسَدُودَهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٥﴾
وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ السَّمَوَاتُ الْعُلْيَا ﴿٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا أَسْبَابَ الْمَسَاكِينِ تَهْتَدُونَ ﴿٦٧﴾

قرأ نافع: ﴿أَوْ يُرْسِلُ﴾ برفع اللام
على الابتداء، ﴿فِيُوحِي﴾ ساكنة
الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام
والياء عطفًا على محل الوحي لأن
معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا أن يوحى إليه أو يرسل رسولا.
﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي كما أوحينا
إلى سائر رسلنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا
مِنْ أَمْرِنَا﴾، قال ابن عباس: نبوة.
وقال الحسن: رحمة. وقال السدي
ومقاتل: وحيًا. وقال الكلبي: كتابًا،
وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن
دينار: يعني القرآن. ﴿مَا كُنْتَ
تَدْرِي﴾، قبل الوحي، ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ﴾، يعني شرائع الإيمان
ومعامله.

قال محمد بن إسحاق بن
خزيمة: الإيمان في هذا الموضع
الصلاة، ودليله قوله عز وجل: ﴿وَمَا

﴿أَوْ يُرْسِلُهُمْ ذُرُوفًا
وَأَنْشَاءً﴾، يجمع له بينهما
فيولد له الذكور والإناث،
﴿وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ
عَقِيْبًا﴾، فلا يلد ولا
يولد له. قيل: هذا في
الأنبياء عليهم السلام
﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْشَاءً﴾
يعني لوطا لم يولد له ذكر
إنما ولد له ابنتان،
﴿وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ﴾، يعني إبراهيم
عليه السلام لم يولد له
أنثى، ﴿أَوْ يُرْسِلُهُمْ ذُرُوفًا
وَأَنْشَاءً﴾ يعني محمد ﷺ
ولد له بنون وبنات،
﴿وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَقِيْبًا﴾ بحسبى
وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما،
وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة
في حق كافة الناس. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ
غَيْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ
لِيُنزِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾، وذلك
أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا
تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما
كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم
ينظر موسى إلى الله عز وجل،
فانزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيُنزِرَ أَنْ
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ يوحى إليه في
المنام أو بالإلهام، ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي
جَهَابٍ﴾، يسمعه كلامه ولا يراه كما
كلمه موسى عليه الصلاة والسلام،
﴿أَوْ يُرْسِلُ رُسُولا﴾، إما جبريل أو
غيره من الملائكة، ﴿فِيُوحِي بِإِذْنِهِ
مَا يَشَاءُ﴾، أي يوحى ذلك الرسول
إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء،

الغيبات الَّذِينَ خَيْرًا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قيل: خسروا أنفسهم
بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن
صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿إِلَّا إِنْ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾.

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يَصْرُفُونَكَ مِنْ ذُرِّهِمْ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾، طريق إلى الصواب
وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا
والجنة في العقبى قد انسد عليهم
طريق الخير.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾، أجبوا
داعي الله يعني محمدا ﷺ، ﴿وَمَنْ
قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ
عَذَابِ اللَّهِ﴾، لا يقدر أحد على دفعه وهو
يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ
تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ
نَكِيرٍ﴾ من منكر غير ما بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾، عــــن
الإجابة، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
إِنْ عَنَيْتَ﴾، ما عليك، ﴿إِلَّا الْبَلَّغُ
وَأَنَا إِنَّمَا أَدْفَعُ الْإِنْسَانَ بِمَا رَحِمَهُ﴾،
قال ابن عباس: يعني الغنى
والصحة. ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِفَهُمْ
سَيِّئَةً﴾، فحط، ﴿يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾، أي لما تقدم
من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول
شدة جميع ما سلف من النعم.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ﴾، له التصرف فيهما بما
يريد، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ
إِنْشَاءً﴾، فلا يكون له ولد ذكر،
قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى
قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ
بالإناث، ﴿وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ﴾، فلا يكون له أنثى.

كَانَ اللَّهُ يُضَيِّعُ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا﴾ قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿تَهْدِي بِهِ﴾، نرشده به، ﴿مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، أي لتدعو، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني الإسلام.

﴿٥٣﴾ ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُن فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ آيَاتُ اللَّهِ تُصَدِّقُ الْأُمُورَ﴾، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.



سورة الزخرف

مكية وهي تسع وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْكُنِيِّنَ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قوله جعلناه أي صيرنا [قراءة] هذا الكتاب عربياً.

وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال: جعل فلان زبداً أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا اللَّمْتَكَةَ الْآيِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ لِئِنَّمَا﴾ [الزخرف: ١٩] وقوله: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾

[الحجر: ٩١]، وقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْمَآءِ﴾ [التوبة: ١٩]، كلها

بمعنى الوصف والتسمية.

﴿٤﴾ ﴿وَلِئَلَّكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فِي أُرْ الْكِتَابِ﴾، في اللوح المحفوظ قال قتادة: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله.

قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ ﴿وَلِئَلَّكُمْ فِي أُرْ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما

قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢]. ﴿لَعَلَّكُمْ حَكِيمٌ﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلني رفيع شريف محكم من الباطل.

﴿٥﴾ ﴿أَفَضْرِبَ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يقال: ضربت عنه

وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا عرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفترتك عنكم الوحي ونمستك عن إنزال القرآن فلا تأمركم ولا تنهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا تفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة:

والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائده ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله.

وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين.

قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طياً فلا تدعون ولا

توعظون. وقال الكلبي: أفترتككم سدى لا تأمركم ولا تنهاكم. قال مجاهد والسدي: أفعرض عنكم وترتككم فلا نعاقبكم على كفركم.

﴿٦﴾ ﴿أَنْ كُتِبَ قَوْمًا مَشْرُوفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقولهم: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم [قوماً] مسرفين مشركين.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاثُرًا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي وما كان يأتيهم، ﴿مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاثُرًا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كاستهزاء قومك بك، يعزى نبيه ﷺ.

﴿٩﴾ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، أي أقوى من قومك، يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي صفتهم وستهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الأهلاك.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾، أي سألت قومك، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْقَلِيمُ﴾، وأقروا بأن الله خلقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى ههنا تم الأخبار عنهم ثم ابتداً دالاً على نفسه بصنعه فقال:

﴿١١﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لِمَا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ﴾. إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. ﴿ فَأَنشَرْنَا، أحيينا، ﴿ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، ﴿ تَخْرُجُونَ، من قبوركم أحياء.

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ، أي الأصناف ﴿ كُلَّهَا. ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، في البر والبحر.

﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ، ذكر الكناية لأنه ردها إلى «ما» ﴿ ثُمَّ تَذَكَّرُوا رِيعَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ، يتسخير المراكب في البر والبحر، ﴿ وَقَوْلُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا لَوْلَا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، ﴿ وَمَا كُنَّا لَكُم مَّقْرِبِينَ مطيقين، وقيل ضابطين.

﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُقْتَلِبُونَ، لمتصرفون في المعاد.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن [محمد] الصفار، أنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن أبي إسحاق، أخبرني علي بن ربيعة أنه شهد علياً رضي الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله. فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً وكبر ثلاثاً، ثم قال: لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا

أنت، ثم ضحك، فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت: ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ قال: «العبد - أو قال: عجبت للعبد - إذا قال لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو».

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلُوا لَكُم مِّنْ عِبَادِهِ، أي نصيباً وبعضاً

وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل هنا الحكم بالشيء، والقول كما تقول: جعلت زيدا أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به، ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ، يعني الكافر، ﴿ لَكَفُورٌ، جحود لنعم الله، ﴿ مُبِينٌ، ظاهر الكفران.

﴿ أَوْ أَخَذَ مِنَّا مِثْلًا بِالنَّارِ، هذا استفهام توبيخ وإنكار، اتخذ ربكم لنفسه البنات، ﴿ وَأَصْفَنكُمْ بِالْبَيْتِينَ، كقوله: ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْتِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا [الإسراء: ٤٥].

﴿ وَإِذَا بُعْثِرَ أَعْدَهُمْ بِمَا صَرَِبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا، بما جعل الله شياً وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بُعْثِرَ أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل [٥٨]: ﴿ وَإِذَا بُعْثِرَ أَعْدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَلِيمٌ، من الغيظ والحزن.

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا رِيعَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَكُم مَّقْرِبِينَ ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُقْتَلِبُونَ ﴿ وَجَعَلُوا لَكُم مِّنْ عِبَادِهِ لِكُفُورٍ مُّبِينٍ ﴿ أَوْ أَخَذَ مِنَّا مِثْلًا بِالنَّارِ وَأَصْفَنكُمْ بِالْبَيْتِينَ ﴿ وَإِذَا بُعْثِرَ أَعْدَهُمْ بِمَا صَرَِبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَلِيمٌ ﴿ أَوْ مِّنْ يُنشِئُوا فِي الْحِلْمِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَصِيلَةِ ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَّتَابَ الْمَلَائِكَةِ شُهَدَاءَ هُمْ وَمَسْتَخْفُونَ ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا ضَلَّخْنَا بِهِنَّ مَائَهُمْ بَدَلًا مِن عِلْمِ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ أَمْ أَلَيْسَ لِكُلِّ أَفْئِدَةٍ مِّنْ قَبْلِهِ قَلْبٌ فَهَمَّ بِهِ مُسْتَسِيمُونَ ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِ وَإِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿

٤٩

﴿ أَوْ مِّنْ يُنشِئُونَ، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ ينشأون بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُرْتَبَى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، ﴿ فِي الْحِلْمِ، في الزينة يعني النساء، ﴿ وَهُوَ فِي الْحَصِيلَةِ عِزٌّ مُّبِينٌ، في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة: في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، ﴿ أَوْ مِّنْ، في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإهمار، مجازة: أو من ينشئ في الحليمية يجعلونه بنات الله، والخفض رداً على قوله: ﴿ مِنَّا يَخْلُقُ، وقوليه: ﴿ بِمَا صَرَِبَ.

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَّتَابَ، قرأ أهل الكوفة

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثِمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نُنذِرُكُمْ مُتَّقِدُونَ ﴿٢٠﴾
 قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْكُمْ وَأَنذَرْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢١﴾ فَانقَضْنَا بِغِيظِكُمْ فَذَٰلِكَ أَجْرُ الْمُكَذِبِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُجِدُنِي إِنْ شَاءَ رَبِّي فَأَعْبُدْهُ وَوَأَنذِرْكُمْ رَبِّي لَهُ إِنِّي أَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ تَبْيَضُّ بُيُوتُنَا مِنْ حَرِّ رَبِّكَ وَتُسَبَّحُنَا فِي السَّمَوَاتِ كُلِّ ذِي عَرْشٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَذَكَرْنَا فِي السَّمَاءِ بِمَا تَكْبَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَوَلَّوْنَا فِي السَّمَاءِ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَمَّا قَالَُوا لِخِدْمَةِ رَبِّنَا مَا لَنَا بِمَلَائِكَةٍ يُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٩﴾ أَهَلْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَن قَوْمٍ لَّمْ يَلْمُوا إِلَهُهُمْ فَرِحُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَٰخِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَأُولَٰئِكَ سَيُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ وَأُولَٰئِكَ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ كَفَرَ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقُوطًا مِّن فَضْلِهِ وَمَعَٰرِجَ عَلَيْهِمَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾

يدريكم أنهم إنا؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَادَتُهُمْ وَمُشَٰوَرَتُهُمْ﴾، عنها في الآخرة.

الآخرون ﴿قُلْ﴾ على الأمر، ﴿أُولَئِكَ جِئْتُمْكُمْ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿جئناكم﴾ على الجمع، والآخرون ﴿جئتمكم﴾ على الواحد، ﴿بأهدى﴾، بدين أصوب، ﴿وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾، قال الزجاج: قال لهم أتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتمكم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوه. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾. ﴿فَانقَضْنَا بِغِيظِكُمْ فَذَٰلِكَ أَجْرُ الْمُكَذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، أي بريء، ولا يشئى «البراء» ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت. ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُجِدُنِي، يرشدني لدينه.

﴿وَجَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بِمَا تَكْبَرُونَ﴾، يعني هذه الكلمة، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾، [في ذريته]، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله. قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرظي: يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها نبيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبَيْتِهِ وَيَعْقُبُونَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقال ابن زيد: يعني قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْكَلِيمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقرأ: ﴿هُوَ سَمَكُكُمْ السَّلِيلِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿لَمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم، وقال السدي:

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني الأوثان وإنما لم يجعل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتها: قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، فيما يقولون ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا بعبادتها، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

﴿أَمْ مَا يَنْصُرُكُمْ مِّن قَبْلِهِ﴾، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿فَهُمْ بِهِ سَائِسُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثِمَةٍ﴾، على دين وملة، قال مجاهد: على إمام. ﴿وَلَٰئِنَّا عَلَىٰ آثِمِهِمْ مُّتَّبِعُونَ﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آباؤهم الأولين مهتدين.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا أَغْنَاؤُنَا وَرُؤْسَاؤُنَا وَإِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثِمَةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثِمِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾، بهم.

﴿قُلْ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: ﴿قَالَ﴾ على الخير، وقرأ

وأبو عمرو ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقرأ الآخرون: ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] الآية: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة على ما يسم فاعله، ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا، وهذا كقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصفات: ١٥٠]، ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَادَتُهُمْ﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿وَمُشَٰوَرَتُهُمْ﴾، عنها.

قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما

لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَذِهِ أُمَّةً مِّنْ قَبْلِهِمْ لِنَبِّئَهُمْ أَن مَّآءَهُمْ شَوَّىٰ﴾ يعني المشركين في الدنيا، ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْمَوْتُ﴾، يعني القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. ﴿وَرَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾، يبين لهم الأحكام وهو محمد ﷺ، وكان من حق هذا الأنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا، وعصوا.

﴿٢٩﴾ وهو قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَبِّي لَآتَيْنَاكَ بِبَنَاتٍ مِّثْلَ بَنَاتِ هَارُونَ وَآلِ هَارُونَ مِمَّا جَعَلْنَا لِدُونِكُمْ مِّنْ بَنَاتٍ لِّكُلِّ قَوْمٍ ﴿٣٠﴾ يعني الوليد بن مغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن زبيعة من مكة، وابن عبدليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

﴿٣١﴾ قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَمْرٌ يَّقِينُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾، يعني النبوة، قال مقاتل: يقول: بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ ثم قال: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بِبَنَاتِنَا فِئْتَمُنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا مالكاً وهذا مملوكاً، فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفتينا بالرسالة من شئنا، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، بالغنى والمال، ﴿يَسْتَخَذُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، ليستخدم

بعضهم بعضاً فيسخروا الأغنياء بأموالهم الأجزاء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، هذا بماله، وهذا بأعماله، فليتشم قوام أمر العالم. وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضاً بالعبودية والملك. ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾، يعني الجنة، ﴿حَيْرٌ﴾، للمؤمنين، ﴿وَمَا يَجْمَعُونَ﴾، مما يجمع الكفار من الأموال.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي

لولا أن يصيروا كلهم كفاراً فيجتمعون على الكفر، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْمِنَهُمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو: ﴿سُقْفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف على الواحد، ومعناه الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَخَزَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، وقرأ الآخرون بضم السين والقاف على الجمع، وهي جمع سقف مثل زُهْنٌ وَزُهْنٌ، قال أبو عبيدة: ولا ثالث لهما. وقيل: هو جمع سقيف. وقيل: جمع سقوف جمع الجمع. ﴿وَمَعَارِجٍ﴾، مضاعف ودرجاً من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَطْفَرُونَ﴾، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلِيُؤْمِنَهُمْ آتُونَ﴾، من فضة، ﴿وَمِرْرًا﴾ أي جعلنا لهم سرراً من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَخْرُوتُ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلِيُؤْمِنَهُمْ آتُونَ﴾ وَمِرْرًا عَلَيْنَا يَخْرُوتُ ﴿٣٠﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُنَّا لَمَّا مَتَّعْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْ قَبْلِهِ مِثْلَ نِعْمَتِنَا لِنَبِّئَهُمْ أَن مَّآءَهُمْ شَوَّىٰ ﴿٣١﴾ وَمِنْ نِعْمَتِنَا نَقِصْنَا لَهُم مَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَمِن نِعْمَتِنَا نَقِصْنَا لَهُم مَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَمِن نِعْمَتِنَا نَقِصْنَا لَهُم مَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ وَمِن نِعْمَتِنَا نَقِصْنَا لَهُم مَّا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٥﴾ ﴿وَزُخْرَفًا﴾، أي وجعلنا مع ذلك لهم زخرفاً وهو الذهب، نظيره: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ﴾ [الإسراء: ٤٩٣]، ﴿وَإِن كُنَّا لَمَّا مَتَّعْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْ قَبْلِهِ مِثْلَ نِعْمَتِنَا﴾، قرأ حمزة وعاصم: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد على معنى: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا فكان: ﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا، وخففه الآخرون على معنى: وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: ﴿إِن﴾ للإبتداء، ﴿وَمَا﴾ صلة، يريد: إن هذا كله متاع الحياة الدنيا، يزول ويذهب، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، خاصة يعني الجنة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنا أبو بكر أحمد بن عمر بن بسطام، أنا أحمد بن سيار

يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب، وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

﴿فَأَنْتَ شَجِيحٌ أَفْسَرٌ أَوْ تَهْدِي أَلْفَمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ فِي صَكْلِهِ مُبِينٌ﴾، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

﴿إِنَّمَا تَذَهَبَنَّ بِكَ﴾، بأن نميتك قبل أن نعلبهم، ﴿إِنَّمَا يَنْتَهِمُ مُتَبِمُونَ﴾، بالقتل بعدك.

﴿أَوْ زُرِّيْتَكُمْ﴾، في حياتك، ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّمَا عَلَّمِيهِمْ مَقْتَدِرُونَ﴾، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة عليهم في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.

وروي أن النبي ﷺ أرى ما يُصيب أمته بعده فما زُني ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله لنفسه.

﴿فَأَسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كَلَّمْنَا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَأَنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿إِذْ ذُكِّرْتُ لَكَ﴾، أي لشرف لك، ﴿وَقَوْلِيكَ﴾، من قريش، نظيره:

بفتح الشين أي يعم، يقال: عشى يعشى عشيّاً إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿فَقَصَّ لَمْ سَطَطْنَا﴾، قرأ يعقوب: ﴿يقبض﴾ بالياء، والباقون بالنون، نسب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه. ﴿هُوَ لَمْ قَرِينٌ﴾، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني الشياطين، ﴿يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْصِفْ لَمْ سَطَطْنَا﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: ﴿جاءنا﴾ على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءنا، على الثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلنا في سلسلة واحدة. ﴿كَلَّ﴾، الكافر لقرينه الشيطان، ﴿وَبَيَّنَّا بَيْتِي لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العُمران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، ﴿فَقَبَسَ الْقَرِينُ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾، في الآخرة، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿ذَكَرَ فِي الْمَدَائِبِ مُشْرِكُونَ﴾،

القرشي، ثنا عبدالرحمن بن يونس أبو مسلم، ثنا أبو بكر بن منظور، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله أخبرنا محمد بن إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك، عن مجالد بن سعيد، عن قيس بن [أبي] حازم، عن المستورد بن شداد أخي بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها» من هوائها ألقوها، قال رسول الله ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشت إلى النار أشوش عشواً إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه، وملت إليه، وملت عنه.

قال القرظي: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف.

وقرأ ابن عباس: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾

﴿قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي شرفكم، ﴿سَوْفَ تُنْقَرُونَ﴾، عن حقه وأداء شكره.

روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك؟ لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا؟ قال: لقريش.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

وقال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبنو هاشم.

وقيل: «ذكر لك»: شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

﴿٤٥﴾ قوله عز وجل: ﴿مَثَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجْمَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ ؕ إِلَهُهُ يُبَدِّلُونَ﴾، اختلفوا في هؤلاء المسؤولين.

قال عطاء عن ابن عباس: لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال: يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت».

وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل.

وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ وهو قول ابن عباس في سائر الروايات، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتلين يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: «واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِإِسْمَانِيَّةٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ

﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٩﴾

﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَيِّنَاتٍ ۖ وَلَمْ يؤمنوا﴾ ﴿٤٩﴾

وَأَنذَرْتَهُمْ لَلسَّاعَةِ فَلَا تُنذِرُهُمْ بِهَا وَآتَمِعُونَهُمْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عِدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ وَلَسَاجِدَ عِيسَى بِالْإِنْسَانِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَنقَرُوا اللَّهُ وَأَطَاعُوا عِيسَى ﴿٥٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ وَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٣﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْبَاسِ ﴿٥٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ الْأَخْلَاقُ يَوْمَئِذٍ بِبَعْضِهَا لَيْسَ بِبَعْضِهَا إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ وَيَجَادِبُ لِأَخْوَفِ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٥٩﴾ طُفَّافٌ عَلَيْهِمْ يَصْحَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَآكَافٍ وَيُحِبُّونَهَا مَا تَشْتَهُهُ الْعُفَّاسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَخِيلُونَ ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٢﴾

﴿أم﴾ بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله ﴿أم﴾، وفيه إضمار مجازه: أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتداء فقال أنا خير، ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿وَلَا يَكَادِبُ عَلَيْكَ﴾ يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ﴾، إن كان صادقاً، ﴿أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾، قرأ حفص ويعقوب ﴿أسورة﴾

جمع سوار، وقرأ الآخرون ﴿أسورة﴾ على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سؤدوا رجلاً سؤوره بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب علينا طاعته. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾، متتابعين يقارن بعضها بعضاً يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾، أي استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالاً، وقيل: حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه عن رأيه، إذا حملة على الجهل وأزاله عن الصواب، ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾، على تكذيب موسى، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿أَنزَلْنَا لَنَا رِزْقًا يَمَّا عَهَدْنَا عِنْدَكَ﴾، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمتنا كشف عنا العذاب فأسأله يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾، مؤمنون، فدعى موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ﴾، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

﴿وَتَأْدَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يُعْوِرُ الْعَبْسَ لِي مُلْكٌ وَصَرَّ وَهَكَذَا الْأَنْهَارُ﴾، أنهار النيل، ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا قُصُورٌ﴾، وقال قتادة: يجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمرى. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، عظمتي وشدة ملكي.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ آتَا خَيْرٌ﴾، بل أنا خير،

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾، أغضبونا، ﴿أَنقَمْنَا مِنْهُمَا فَأَفْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجمعناهم سلفاً، قرأ حمزة والكسائي «سلفاً» بضم السين واللام.

قال الفراء: هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف، أي تقدم، وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس، وخادم وخدم، وراصد ورصد، وهما جميعاً الماضون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف، إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل: سلفاً لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن يجيء بعدهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبير مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي «يصدون» بضم الصاد، أي يعرضون، نظيره قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودَ﴾ [النساء: ٦١]، وقرأ الآخرون بكسر الصاد.

واختلفوا في معناه. قال الكسائي: هما لغتان مثل يعرضون ويعرضون، وشد عليه يشد ويشد، ونم بالحديث يتم وينم، وقال ابن

عباس: معناه يضحجون. وقال سعيد بن المسيب: يصيحون. وقال الضحّاك: يعجبون. وقال قتادة: ينجزعون. وقال القرظي: يضحجون: ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذة إلهاً كما عبت النصارى عيسى.

﴿وَقَالُوا مَا إِلَهُنَا غَيْرُ آدَمَ هُوَ﴾، قال قتادة: «أم هو» يعنون محمداً، فعبده ونطبعه وترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد «آدَمُ هُوَ» يعنون عيسى، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿مَا صَرَّوْهُ﴾، يعني هذا المثل، ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَسْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] هؤلاء الأصنام. ﴿بَلْ مَرْ قَوْمٌ حَٰصِرُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا أبو بكر عبدالرحمن بن عبدالله الحمشاري، أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا عبدالله بن نمير، ثنا حجاج بن دينار الواسطي، عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ مَرْ قَوْمٌ حَٰصِرُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ ثم ذكر عيسى فقال: ﴿إِن

هُوَ﴾، ما هو، يعني عيسى السلام، ﴿إِلَّا عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾، بالنسبة، ﴿وَمَعَلَنَّهُ مُتَلَكِّمًا آيَةً وَعِبْرَةً﴾، ﴿إِنِّي لِأَسْرَىٰ رَيْلٍ﴾، يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير أب.

﴿٦٠﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾، يكونون خلفاء منكم يعمرّون الأرض ويعبدوني ويطيعوني. وقيل: يخلف بعضهم بعضاً.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِنه﴾، يعني عيسى عليه السلام، ﴿لَوَلَمْ لَسَاعَةً﴾، يعني نزوله من أشراف الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقاتدة: ﴿وَإِنه لَوَلَمْ لَسَاعَةً﴾، بفتح اللام والعين أي أمانة وعلامة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام».

ويروى: «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه مصرتان، وشعر رأسه دهين، ويده حزية وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا ابن بكير، ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع بن مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»؟

وقال الحسن وجماعة: «وإنه» يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها. ويخبركم بأحوالها وأحوالها، ﴿فَلَا تَمَرَّتْ بِهَا﴾، فلا تشكن فيها، قال ابن عباس: لا تكذبوا بها، ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾، على التوحيد، ﴿هَذَا﴾، الذي أنا عليه، ﴿صَرَّوْهُ مُسْتَبِيرًا﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾، لا يصرفتكم، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، عن دين الله، ﴿وَإِنه لَكُرْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾، بالنسبة، ﴿وَالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهٖ﴾، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ﴾ هل ينتظرون، ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها، ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَشَعَةٌ﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿الْأَخْلَاقَ﴾، على المعصية في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، إلا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد، أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير، ثنا ابن عبد الأعلى، عن قتادة، ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي إسحاق أن علياً قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان و خليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أنني ملائكتك، يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليشن أحدكما على صاحبه، فيقول: نعم الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصحاب، قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أنني غير ملائكتك، فيقول بشن الأخ، وبشن الخليل، وبشن الصحاب.

﴿٦٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي فيقال لهم يا عبادي، ﴿لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

روي عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين

يبعثون ليس منهم أحد إلا فرح، فينادي مناد: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرجوها الناس كلهم فبتيبها.

﴿٦٩﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فيياس الناس منها غير المسلمين.

﴿٧٠﴾ فيقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾، تسرون وتنعمون.

﴿٧١﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾، جمع صحفة وهي القصعة الواسعة، ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، ﴿وَفِيهَا﴾، أي في الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص «تشتهيه»، وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الآخرون بحذف الهاء. ﴿وَتَكَذَّبُوا الْأَعْيُنَ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَخِلْدُونَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يذكره عن أبي أيوب، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون، قال: هانت والله - دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها

الإبل، فقال: «يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهدت نفسك ولذت عينك».

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة إلا نبت مكانها مثلاًها».

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾، المشركين، ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ ﴿لَا يَغُفَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسَوُونَ﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَدْرَأَ بِسَبْأَةَ﴾، يدعون خازن النار، ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾، ليمتننا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾، مقيمون في العذاب.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يذكره عن أبي أيوب، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون، قال: هانت والله - دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها

بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

﴿٧٨﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ أَمْ أُنذِرُكُمْ، أحكموا، ﴿أَنْتُمْ أَكْثَرُ﴾، في المكر برسول الله ﷺ، ﴿فَأَنَّا مُرْسِلُونَ﴾، محكمون أمراً في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادوا كدتهم مثله.

﴿٨٠﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ بَرْمَهُمْ وَجَحْوَتَهُمْ، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿بَلَى﴾،

نسمع ذلك ونعلم، ﴿وَرُسُلَنَا﴾، أيضاً من الملائكة يعني الحفظة، ﴿لَنَسِيْتُمْ يَكْتُمُونَ﴾، قل إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأننا

أول من عبده فأنه واحد لا شريك له ولا ولد. وروي عن ابن عباس:

﴿إِنْ كَانَ﴾ أي ما كان للرحمن ولد، فأننا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل: ﴿إِنْ﴾ بمعنى

الجحد: وقال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأننا أول من أعبدته بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل:

«العابدين» بمعنى الآنفين، يعني أنا أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم. ويقال: معناه أنا أول من غضب

للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد إذا أنف أو غضب عبداً. وقال قوم: قل ما يقال: عبد فهو عابد،

إنما يقال: فهو عبد.

﴿٨١﴾ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون من الكذب.

﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخْرُشُونَ، في باطلهم، ﴿وَيَلْمِزُونَ﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ، قال قتادة: يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم.

﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، قال قتادة: يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم.

﴿٨٦﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٨٧﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون «من» في محل الرفع، وقيل: «من» في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم.

﴿٨٨﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٨٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٠﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩١﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٢﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٨١﴾ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون من الكذب. ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخْرُشُونَ، في باطلهم، ﴿وَيَلْمِزُونَ﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة. ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ، قال قتادة: يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم. ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، قال قتادة: يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم. ﴿٨٦﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء. ﴿٨٧﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الشَّفَعَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون «من» في محل الرفع، وقيل: «من» في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم. ﴿٨٨﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء. ﴿٨٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء. ﴿٩٠﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء. ﴿٩١﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء. ﴿٩٢﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٣﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٤﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٥﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٦﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٧﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿٩٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ لَمَّا أَتَوْا مَكَّةَ وَجَدُوا وَقْفًا بِحَقِّ اللَّهِ لَيْسَ لِيَوْمَئِذٍ عُدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قرأ ابن كثير والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.



ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى»
 روى أبو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله يقضي الأفضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر. ﴿١﴾ «أمراً»، أي أنزلنا أمراً، ﴿٢﴾ «مِنْ عِنْدِنَا»، قال الفراء: نُصِبَ على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقاً وأمراً، أي تأمر أمراً ببيان ذلك. ﴿٣﴾ «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»، محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء. ﴿٤﴾ «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»،

قال ابن عباس: رافة مني بخلقها ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة، ﴿٥﴾ «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»، قرأ أهل الكوفة: ﴿رب﴾ جراً، رداً على قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، ورفع الآخرون رداً على قوله: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقيل: على الابتداء، ﴿٦﴾ «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ»، أن الله رب السموات والأرض.

﴿٧﴾ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، من هذا القرآن، ﴿٨﴾ «يَهْزُونَ بِهِ لَاهُونَ عَنْهُ». ﴿٩﴾ «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَشْفَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»، تقديره: هو عذاب إلهي، ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي: يقولون هذا عذاب أليم.

اختلفوا في هذا الدخان.

[واسمه مصعب] حدثه عن القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنساناً في قلبه شحنة أو مشركاً بالله». ﴿١٠﴾ «إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ».

﴿١١﴾ «فِيهَا»، أي في الليلة المباركة، ﴿١٢﴾ «يُفْرَقُ»، أي يفصل، ﴿١٣﴾ «كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»، محكم، وقال ابن عباس: يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما

هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والأجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة. وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقیل، عن ابن شهاب، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأحنس أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَ مُقْتَدِرٍ ﴿٨﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٩﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١٠﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ يَشْفَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا كَيْفَ عَذَابَ الْعَذَابِ إِنَّ أُمَّتَيْنِ أَلْمُومَتَيْنِ ﴿١٣﴾ أَنْ هُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا وَإِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْطَّسَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِضُونَ ﴿١٦﴾ وَقَدْ فُتِنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ عَادٍ وَرَعَوْا وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

[٤٩]

سورة الدخان

مكية وهي تسع وخمسون آية. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿٢﴾ حَمْدٌ ﴿٣﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٥﴾، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً في عشرين سنة. وقال آخرون: هي ليلة النصف من شعبان.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا الأصبغ بن الفرّج، أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن عبدالملك بن عبدالملك حدثه أن ابن أبي ذئب

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن كثير، عن سفيان، ثنا منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعتنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئاً [فأخبرته بغضب] فجلس؟ فقال: من علم فليتمل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان. فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فداع الله لهم، فقرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّا كُنَّا بِهَدْيِنَا﴾، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ بِلَاطَةِ السَّمَاءِ الْكِبْرِيَاءِ﴾، يعني يوم بدر، ولزاماً يوم بدر، ﴿الرَّحْمَةُ غَلِيظٌ الرَّؤْمُ﴾، إلى [قوله] ﴿سَيَقْفُلُونَ﴾، والروم قد مضى. ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش، قال قالوا:

﴿رَبَّنَا كَيْفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله قال: خمس قد مضين للزمم والروم والبطشة والقمر والدخان. وقال قوم: هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد، فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيد، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني، ثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، ثنا محمد بن جرير الطبري، حدثني عصام بن رواد بن الجراح، ثنا أبي، أنا أبو سفيان بن سعيد، ثنا منصور بن المعتمر عن ربيعي بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ «أول الآيات الدخان، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر ثقيل

معهم إذا قالوا»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فكمتمزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه وديبره».

﴿إِنَّ هُمْ لِلذَّكْرِ﴾، من أين لهم التذكر والاعتاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، أعرضوا عنه، ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾، أي يعلمه بشر، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾، أي عذاب الجوع، ﴿فَلْيَلَا﴾، أي زماناً يسيراً، قال مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾، إلى كفرهم.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ بِلَاطَةِ السَّمَاءِ الْكِبْرِيَاءِ﴾، وهو يوم بدر، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء، وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، بلونا، ﴿فَبَلَّغْتَهُمْ﴾، قبل هؤلاء، ﴿قَوْمٌ فَرِحُوا بِجَاءِ هُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على الله وهو موسى بن عمران.

﴿أَنْ أَدَّوْا إِلَيْكَ عِبَادَ اللَّهِ﴾، يعن بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، ﴿إِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الوحي.

وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ آيَةً أَيَكْرِ بِسُلْطَانِ رَبِّهِ ۗ وَإِنِّي عُدْتُ
 بِرَبِّي وَإِيكَانَ رَجْمُونَ ۚ وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ أَفْعَاءَ لِقَابِ رَبِّهِمْ أَفَنُفِرُّونَ ۗ فَذَعَا
 رَبَّهُ أَنْ هَتَّؤَلَّاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ۗ فَأَنزَلَ بِعِبَادِي لِيَلَّا أُنكَمُ
 مُتَّبِعُونَ ۗ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۗ كَذَرْتُمْ
 تَرْكُوا مِنْ جَنَّتِي وَعَجُونَ ۗ وَرُذُوعٌ وَمَقَابِرٌ كَرِيمٌ ۗ وَتَمَعُوا
 كَأَنؤُافِيهَا فَنكِهِينَ ۗ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۗ وَتَمَعُوا
 فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۗ وَلَقَدْ
 بَيَّنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْهِيينَ ۗ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُتَكْبِرِينَ ۗ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ
 الْعَالَمِينَ ۗ وَآيَاتِهِمْ مِنْ آيَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ لِمَنْ يُؤْتِي
 ۗ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَقَوْلُونَ ۗ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
 نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۗ فَأَنؤُافِيهَا بَابًا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ أَهَمْ
 حَرَامٌ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
 ۗ وَمَلَقْنَا السَّكُونِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا الْعِيبِ ۗ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا آلِحًا وَكَانَ آخِرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ

أنت وأصحابك، ﴿١٩﴾، ساكناً على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع، اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه اترك البحر راهياً أي ساكناً، فسعي بالمصدر، أي إذا رهو، وقال كعب: اتركه طريقاً. قال قتادة: طريقاً يابساً. قال قتادة: لما قطع موسى البحر وخرج بمن معه من بني إسرائيل فنظر إلى البحر فإذا هو على

حاله لم يلتئم، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقبل له: اترك البحر رهواً كما هو، ﴿٢٠﴾، أخبر [الله] موسى أنه يغرقهم ليطمنن قلبه في تركه [البحر] كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر. ﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ فقال: ﴿كذرتكم﴾، يعني بعد الغرق، ﴿بن جنتي ومقابر كريم﴾، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن. ﴿٢٣﴾ ﴿وتمعو﴾، ومتعة وعيش لين، ﴿كأنوا فيها فكهين﴾، ناعمين، وفاكهين: أشرين بطرين. ﴿٢٤﴾ ﴿كذلك﴾، قال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني، ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾، يعني بني إسرائيل. ﴿٢٥﴾ ﴿فما بك عليهم السماء والأرض﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين

﴿٢٦﴾ ﴿وأن لا تقولوا على الله﴾، أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته، ﴿إني أيكرب سلطاني بين﴾، ببرهان بين على صدق قلبي، فلما قال ذلك توعده بالقتل. ﴿٢٧﴾ فقال: ﴿إني عدت بربي وزيكر أن رجمن﴾، أن تقتلون، وقال ابن عباس تشتموني وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة. ﴿٢٨﴾ ﴿وان أرؤسوا لي فاعزبون﴾، فاتركوني لا معي ولا علي. وقال ابن عباس: فاعزلوا أذي باليد واللسان، فلم يؤمنوا. ﴿٢٩﴾ ﴿فدعا ربه أن هتؤلاء قوم مجرمون﴾، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري. ﴿٣٠﴾ فقال: ﴿فأتر يعادي لئلا﴾، أي بسني إسرائيل، ﴿إنكم متبعون﴾، يتبعكم فرعون وقومه. ﴿٣١﴾ ﴿أتترك البحر﴾، إذا قطعت

صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو عبدالله الفنجوي، ثنا أبو علي المقري، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أحمد بن إسحاق البصري، ثنا مكى بن إبراهيم، ثنا موسى بن عبيدة الربذي، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد إلا له في السماء بابان، باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقده وبكيا عليه»، ثم تلا: ﴿فما بك عليهم السماء والأرض﴾.

قال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها. قال السدي: لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها. ﴿وما كانوا منظرين﴾، لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

﴿٢٥﴾ ﴿ولقد بيننا بيني وبين العذاب الئهيين﴾، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿بن جنتي ومقابر كريم﴾، يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿على العالمين﴾، على عالمي زمانهم.

﴿٢٨﴾ ﴿وآياتهم من آياتنا ما فيه بلاء لمن يؤتي﴾، قال قتادة: نعمة بينه من فلق البحر وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، والنعمة التي أنعمها

عليهم. قال ابن زيد: ابتلاههم بالرخاء والشدة، وقرأ: ﴿وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَسَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ﴾، يعني مشركي مكة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، لأن هـ لا مَوْتَنَا الْأَوْلَى، أي لا مorte إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها، وهو قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾، بمبعوثين بعد موتنا.

﴿٣٧﴾ ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾، الذين ماتوا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنا نبعث أحياء بعد الموت، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُنَجِّجُ﴾، أي ليسوا خيراً منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة: هو تبع الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة، وبني سمرقند وكان من ملوك اليمن، سمي تبعاً لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى «تبعاً» لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير، فكذبوه.

وكان من خبره ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب أسعد بن مليك جاء بكرب حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها خلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة، فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن

هؤلاء لكرام فينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما: كعب وأسد من أحبار بني قريظة، عالمان وكانا ابني عم، حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك عاجل العقوبة. فإنها مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده مكة، وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي عدوهم.

قال تبع: من يقاتله وهو نبي؟ قالوا: يسير إليه قومه فيقتلون ههنا، فتناهى لقتولهما عما كان يريد بالمدينة، ثم إنهما دعوا إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن، فآثاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا: إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة، قال: أي بيت؟ قالوا: بيت بمكة، وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد قط بسوء إلا هلك، فذكر ذلك للأحبار، فقالوا: ما نعلم الله في الأرض بيت غير هذا البيت، فاتخذته مسجداً وانسك عنده وانحز واحلق رأسك، وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ما ناوأم أحد قط إلا هلك، فأكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله، فلما قللوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح، أو كسا

البيت الوضائل، وهو أول من كسا البيت، ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة، وأقام به [سنة] أيام وطاف به وحلق وانصرف.

فلما دنا من اليمن ليدخلها حاله حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكمنا إلى النار.

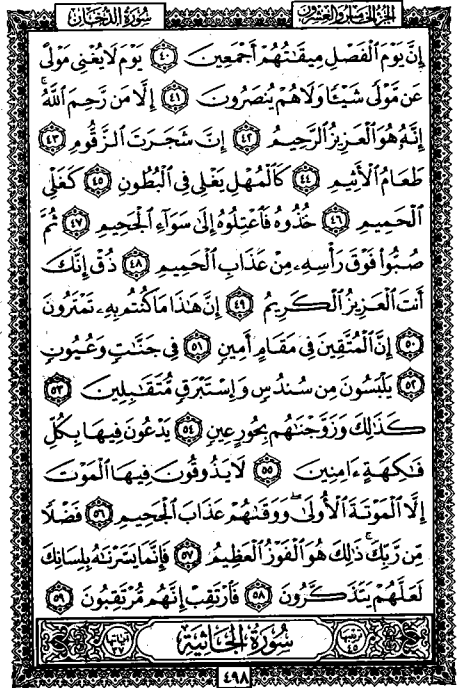
وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فأكلت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير.

وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، يتلوان التوراة تمرق جباههما لم تضرهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصهقت عند ذلك حمير على دينهما، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن.

وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال: كان أبو كرب أسعد الحميري من التبايعة آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة.

وذكر [لنا] أن كعباً كان يقول: ذم الله قومه ولم يذمه.

وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً.



«ما أدري تبع نبياً كان أو غير نبي».

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم الكافرة، ﴿أَهْلَكْتُمْ إِيَّاهُمْ كَأَنَّهُمْ تَجْرِمُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِبٍ﴾ * ﴿مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قيل: يعني للحق وهو الشواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَصْفِ﴾،

يوم يفصل الرحمن بين العباد، ﴿بِمَقْتُلِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرين.

﴿٤١﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتٌ عَنْ مَوْتٍ شَيْئاً﴾، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً، ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾، لا يمنعون من عذاب الله.

﴿٤٢﴾ ﴿إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ﴾، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾، في انتقامه من أعدائه، ﴿الرَّجِيمُ﴾، بالمؤمنين.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّزْقِ﴾ * ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾، أي ذي الإثم، وهو أبو جهل.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿كَأَلْهَيْلٍ﴾، هو دردي الزيت أسود، ﴿يَقْبَلُ فِي الْبَطُونِ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ﴿يَقْبَلُ﴾ بالياء، جعل الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، ﴿بِالْبَطُونِ﴾، أي بطون الكفار،

﴿كَفَلَى الْحَبِيرِ﴾، كالماء الحار إذا اشتد غليانه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو بكر العبدوسي، أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، ثنا سليمان بن يوسف، ثنا وهب بن جرير، ثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره».

﴿٤٧﴾ قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾، أي يقال للزبانية: خذوه يعني الأثيم، ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلا، إذا ساقه بالعنف والدفع والجدب، ﴿إِنَّ سَوَاءَ الْحَبِيرِ﴾، وسطه.

﴿٤٨﴾ ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ﴾، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فيثقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماء حميماً قد انتهى حره.

﴿٤٩﴾ ثم يقال له: ﴿ذُقْ﴾، هذا العذاب، ﴿وَأَنَّكَ﴾، قرأ الكمائي ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول: أنا العزيز الكريم، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، ﴿أَنَّ الْعَزِيزَ الْكَرِيمَ﴾، عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا حسن بن موسى، ثنا بن لهيعة، حدثنا أبو زرعة عمرو بن جرير عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن أبي شيبة، ثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني، ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري، ثنا عبدالرزاق، ثنا معمر عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فتقول له هذا خزنة النار على طريق الاستحقار والتوبيخ.

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَرُّونَ﴾، تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿في مقام﴾ بضم الميم على المصدر، أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، آمنوا فيه من الغير أي من الموت ومن الخروج منه.

﴿٥٧- ٥٨﴾ في جَنَّتٍ وَعُيُوبٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ، أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم، ﴿بحور عين﴾، أي قرناهم بهن، ليس من عقد التزويج، لأنه لا يقال: زوجته بامرأة.

قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً لهن كما يزوج البعل بالبعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، والحدود هن النساء النقيات البيضاء.

قال مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن.

وقال أبو عبيدة: الحور هن شديداً بياض العين الشديداً سوادها، واحدها حور، والمرأة حوراء، والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فِتْكَهَةٍ﴾، اشتهوها، ﴿إميين﴾، من نفاها ومن مضرتها. وقال قتادة: آميين من الموت والأوصاب والشياطين.

﴿٥٦﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا

المَوْتَ إِلَّا المَوْتَ الأولَى، أي سوى الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وبعدها وضع: ﴿إلا﴾

موضع سوى وبعده، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي سوى ما قد سلف، وبعده ما قد

سلف، وقيل: إنما استثنى الموت الأولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون

يصيرون بلطف [الله تعالى] إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابهم ومشاهدتهم إياها. ﴿وَقَدْ نَهَرْتُمْ مَدَابِلَ الْحَبِيرِ﴾، أي فعل ذلك بهم فضلاً منه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿٥٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَرْزِقُ، سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، على لسانك، ﴿لَقَدْ لِمْتُمْ بِتَنَكُّرٍ﴾، يتعظون.

﴿٥٩﴾ فَأَرْزَقْتُمْ، فانظر النصر من ربك. وقيل: فانظر لهم العذاب.

﴿إِنَّهُمْ مُرْتَابُونَ﴾، منتظرون قهرك بزعمهم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَوْرَةَ الْحَكِيمَةَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِي مَا إِنَّهُ لَعَوْرَةٌ ﴿٤﴾ وَمِنْ أَجْلِ النَّالِ وَالتَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَاهَا بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَصَرِفِ الرِّيحِ ؕ إِنَّ فِي لَعَوْرَةِ مَقَالُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا حَقِّي قُبَّانِي حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَنْ لِكُلِّ أَهْلِ الْبَيْتِ أُنْبِيًّا ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْقَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا فَاشْتَرَى بِعَدَابِ اللَّهِ لِيَمْلِكُنَّ لِوَالِدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَيَتَّقِينَ أَوْلِيَاءَهُمْ لَعَنَ اللَّهُ عَدَابَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ مَن ذَرَأْتُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنُفُ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُوهُمْ لِيَمْلِكُنَّ عَدَابَ اللَّهِ مِنْ رِزْقِ الْبَيْتِ ﴿١٠﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَى فِيهِ بِأَمْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاذْكُرُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَتَّعَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١٢﴾

فنجويه، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي، ثنا أبو هشام الرفاعي، ثنا زيد بن الحباب، ثنا عمر بن عبدالله بن أبي خثعم، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

سورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وهي سبع وثلاثون آية نزلت بعد الدخان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَوْرَةَ الْحَكِيمَةَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِي مَا إِنَّهُ لَعَوْرَةٌ ﴿٤﴾ وَمِنْ أَجْلِ النَّالِ وَالتَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَاهَا بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَصَرِفِ الرِّيحِ ؕ إِنَّ فِي لَعَوْرَةِ مَقَالُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا حَقِّي قُبَّانِي حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَنْ لِكُلِّ أَهْلِ الْبَيْتِ أُنْبِيًّا ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْقَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا فَاشْتَرَى بِعَدَابِ اللَّهِ لِيَمْلِكُنَّ لِوَالِدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَيَتَّقِينَ أَوْلِيَاءَهُمْ لَعَنَ اللَّهُ عَدَابَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ مَن ذَرَأْتُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنُفُ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُوهُمْ لِيَمْلِكُنَّ عَدَابَ اللَّهِ مِنْ رِزْقِ الْبَيْتِ ﴿١٠﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَى فِيهِ بِأَمْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاذْكُرُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَتَّعَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١٢﴾

قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّورَ وَرَفَقْنَا مِنْهُم بِالطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿٩﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٢﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٣﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٥﴾ وَإِن تَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعُوا مِنْ الْأَمْرِ فَمَا يَتَّخِذُوا إِلَّا مِنْ عَدُوِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَنِ إِنَّ اللَّهَ لَأَنزِلُ إِلَيْكُمُ الْوَيْسِقَ وَاللُّغَمَ فَكُلُوا مِنْهُم مَّا أُوتُوا بِهَذَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾

ويعقوب: «تؤمنون»
بالتاء، على معنى قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿٧﴾ ﴿وَلِئَلَّكُمْ أَفَّاكٌ﴾
أي: كذاب صاحب إثم يعني: النضر بن الحارث.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿سَمِعَ آيَاتِ اللَّهِ تَنَزَّلَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُمْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَرَّ يَسْمَعُا فَيُبْرَهُ بِطَابِ أَلِيمٍ﴾
وإذا علم من آياتنا قال مقاتل: من القرآن، ﴿فَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وذكر بلفظ

﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾، فلا تجعلوا لله أنداداً. قال ابن عباس: «جميعاً منه» كل ذلك رحمة منه. قال الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَٰقِبِ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، أي لا يخافون من وقائع الله ولا يباليون بقتمه.

قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وذلك أن رجلاً من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه.

وقال القرظي والسدي: نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أدنى شديد من المشركين، من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها آية القتال.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «لنجزي» بالنون، وقرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر «لنجزي» بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن. قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوماً، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾
ولقد آتينا بنو إسرائيل الكتاب، والحق، ﴿وَأَيَّاتٍ حَدِيثٍ بَدَأَ اللَّهُ﴾، بعد كتاب الله، ﴿وَأَيَّاتٍ يُؤْمَرُونَ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر

الجمع رداً إلى «كل» في قوله: ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿مَنْ وَرَّاهِبَهُمْ﴾، أمامهم، ﴿جَهَنَّمَ﴾، يعني أنهم في الدنيا يمتعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونها، ﴿وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾، من الأموال، ﴿شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾، ولا مما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿هَذَا﴾، يعني هذا القرآن، ﴿هُدًى﴾، بيان من الضلالة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ رِيهَهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ﴾.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْيَمَّ يَتَجَرَّي أَلْفَاكٌ فِيهِ يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ مِنْ فَعَلِهِمْ وَلَكُمُ فِي شُرُوكِهِمْ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾، ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به،

والكسائي ويعقوب «آيات»
«وتصريف الريح آيات» بكسر التاء فيها رداً على قوله: «لآيات» وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعها على الاستئناف على أن العرب تقول إن لي عليك مالا وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، «لِقَوْمٍ يُوقُونَ»، أنه لا إله غيره.

﴿١٩﴾ ﴿وَإِنْ خِلْتُمْ أَلَيْلَ وَالنَّهَارِ وَمَا أَوَّلَ اللَّهُ مِنْ أَلَسَّوْهُ مِنْ رَدْقٍ﴾، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد، ﴿فَأَمَّا يَوْمَ يَدْعُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَاكُمُ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكُمُ بِالْحَقِّ﴾، يريد هذا الذي قصصنا عليكم من آيات الله نفضها عليكم بالحق، ﴿وَأَيَّاتٍ حَدِيثٍ بَدَأَ اللَّهُ﴾، بعد كتاب الله، ﴿وَأَيَّاتٍ يُؤْمَرُونَ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر

المن والسلوى، ﴿وَقَسَلْتُمْ عَلَى
الْعَلْيَيْنِ﴾، أي عالمي زمانهم، قال
ابن عباس: لم يكن أحد من
العالمين في زمانهم أكرم على الله
ولا أحب إليه منهم.

﴿وَأَنْتُمْ بَيْنَتْ وَيَ
الْأَمْرَ﴾، يعني العلم بمبعث
محمد ﷺ وما بين لهم من أمره،
﴿فَمَا تَخْلَقُوا إِلَّا مِنْ بَدَى مَا جَاءَهُمْ
أَلْوَنًا بَيِّنًا يَنْبَهُ إِذْ رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿فَمَا جَعَلْنَاكَ﴾، يا محمد
﴿عَلَى شَرِيحَةٍ﴾، سنة وطريقة بعد
موسى، ﴿فَإِنَّ الْأَمْرَ﴾، من الدين،
﴿فَأَنْبَحَهَا وَلَا تَنْجِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾، يعني مراد الكافرين،
وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع
إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل
منك.

﴿فَقَالَ جَلْ ذَكَرَهُ﴾: ﴿إِنَّهُمْ كَنْ
يَعْتُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لسن
يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن
اتبعت أهواءهم، ﴿فَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿هَذَا﴾، يعني القرآن،
﴿صَبْرٌ﴾، معالم، ﴿لِلنَّاسِ﴾، في
الحدود والأحكام يبصرون بها،
﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿فَلَمْ حَسِبْ﴾، بل حسب،
﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، اكتسبوا
المعاصي والكفر، ﴿أَنْ يَجْمَعَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، نزلت في نفر
من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن
كان ما تقولون حقاً لفضلنا عليكم في
الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.

﴿سُورَةَ يَحْيَىٰ﴾ قرأ حمزة

والكسائي وحفص
ويعقوب «سواء»
بالنصب أي جعلهم
سواء، يعني أحسبوا أن
حياة الكافرين «ومماتهم»
كحياة المؤمنين وموتهم
سواء كلاه، وقرأ الآخرون
بالرفع على الابتداء والخبر
أي محياهم ومماتهم سواء
فالضمير فيها ما يرجع إلى
المؤمنين والكافرين
جميعاً، معناه المؤمن
مؤمن محياه ومماته أي في
الدنيا والآخرة والكافر
كافر محياه ومماته في
الدنيا والآخرة، «سنة ما

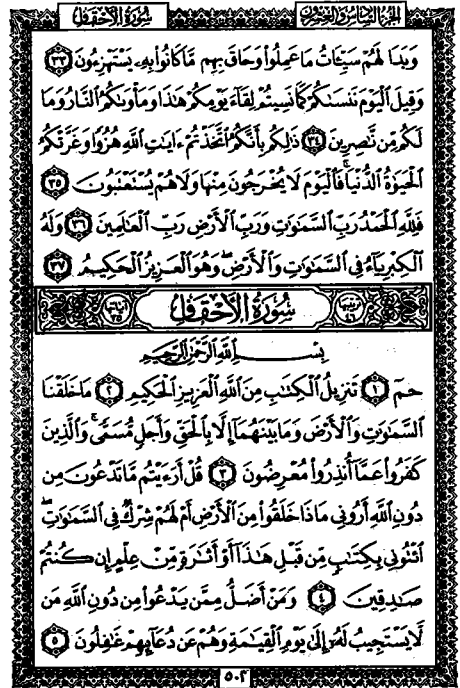
يَحْكُمُونَ»، بئس ما يقضون، قال
مسروق: قال لي رجل من أهل
مكة: هذا مقام أحجك تميم الداري،
لقد رأيت ذات ليلة حتى أصبح أو كاد
أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله
يردها يركع بها ويسجد ويبكي:
﴿لَمْ حَسِبِ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ
يَجْمَعَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ الآية.

﴿وَوَخَّلَىٰ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
يَلْقَىٰ وَيُخْرِجُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾،
قال ابن عباس والحسن وقتادة:
معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما
يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته لأنه
لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم
ما حرم الله. وقال الآخرون: معناه
اتخذ معبوده هواه فيعبده ما تهواه
نفسه. قال سعيد بن جبيرة: كانت

أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَحَمَّ عَلَىٰ سَعِيرٍ
وَقَلْبِهِ رَجَلٌ عَلَىٰ صَعْرٍ غَشْوَةٌ مِّنْ يَّهْيَبُونَ مِنْ صَدِّقِ اللَّهِ أَقْبَلًا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبَدِّلُهَا
إِلَّا الذُّهُورُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٨﴾ وَإِن تَقَطَّعْ
عَنِّيهِمْ مَا يَتَّقُونَ يَسْتَبِطُونَ مَا كَانَ حَقِّهِمْ لِأَنَّ قَالُوا اتَّقُوا إِنَّمَا يَتَّقُونَ
كُتِبَ صِدْقِينَ ﴿١٩﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُ كُتِبَ بِسْمِكُمْ كُتِبَ بِسْمِكُمْ كُتِبَ بِسْمِكُمْ
أَلَيْسَ لَازِمًا بِرَبِّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَخْتَلِفُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوسِّدُ بَصُرَ السَّيِّئَاتِ
﴿٢١﴾ رَبِّي كُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِأَحْسَنُ مِنْ أَشْرَارِكُمْ وَإِلَىٰ كِتَابِ الْغَيْبِ مَا كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَفْسِحِينَ
مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَمَّا الْيَوْمَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ مَأْتِي تَنْتَلِ عَلَيْهِمْ كَمَا تَكُنُّ تَكُونُ وَمَا
تُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِن تَأْقِلُوا مِنْ عِندِ اللَّهِ حَقَّ السَّاعَةِ لِأَنَّ سَاعَةً مَّا قُلْتُمْ
مَأْتِيهِ مَا السَّاعَةُ إِذْ نَظَرُ الْأَعْيُنَ وَمَا عَدَّ السَّاعِيَتِينَ ﴿٢٦﴾

العرب يعبدون الحجارة والذهب
والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من
الأول رموه أو كسروه، وعبدوا
الآخر. قال الشعبي: إنمما سمي
الهوى لأنه يهوى بصاحبه في النار.
﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، منه بعاقبة
أمره، وقيل على ما سبق في علمه
أنه ضال قبل أن يخلقه، ﴿وَحَمَّ﴾،
طبع، ﴿عَلَىٰ سَعِيرٍ﴾، فلم يستمع
الهدى، ﴿وَرَجَلٌ﴾، فلم يعقل
الهدى، ﴿وَجَمَلٌ عَلَىٰ صَعْرٍ غَشْوَةٌ﴾،
قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح
الغين وسكون الشين، والباقون
«غشوة» ظلمة فهو لا يبصر الهدى،
﴿فَكُنْ يَهْدِيهِ رَبُّكَ اللَّهُ﴾، أي فمن
يهديه بعد أن أضله الله، ﴿أَقْبَلًا
تَذَكَّرُونَ﴾
﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري
البعث، ﴿لَا يَمُنُّ إِلَّا جِنَانًا الدُّنْيَا﴾، أي
ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، ﴿فَكُتِبَ



الطاهري، ثنا جدي
عبدالصمد بن عبدالرحمن
البزاز، أنا محمد بن زكريا
العذافري، أنا إسحاق بن
إبراهيم الدبري، ثنا
عبدالرزاق، أنا معمر، عن
أيوب عن ابن سيرين،
عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «لا يسب
أحدكم الدهر فإن الله هو
الدهر، ولا يقولن للعب
الكرم، فإن الكرم هو
الرجل المسلم».

ومعنى الحديث: أن
العرب كان من شأنهم ذم
الدهر، وسبه عند النوازل، لأنهم
كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من
المصائب والمكاره، فيقولون:
أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم
الدهر.

كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا
يُنْبِئُكَ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ فإذا أضافوا إلى
الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا
فاعلها، وكان مرجع سبهم إلى الله
عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة
للأمور التي يضيفونها إلى الدهر،
فنهوا عن سب الدهر.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَأَنهَىٰ تَمَتُّعَهُمْ ۖ يَصْتَبِرُونَ﴾
يَسْتَبِرُ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا
وَقَالُوا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ قُلِ اللَّهُ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعْمِدُكُم بِاللَّيْلِ
بِالْقِيَامَةِ ۗ أَي لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿لَا رَبَّ
عِندَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَرَبِّ
مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَحْسُرُ الْمُبْتَلُونَ﴾، يعني

الكافرين الذين هم أصحاب
الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم
خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿٣٨﴾ ﴿وَرَبِّي كُلُّ أَشْرٍ جَائِلَةٌ﴾، بركة
على الركب، وهي جلسة المخاصم
بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
من الله.

قال سلمان الفارسي: إن في
القيامة ساعة هي عشر سنين، يخر
الناس فيها جثاة على ركبهم حتى
إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: لا
أسألك إلا نفسي. ﴿كُلُّ أَشْرٍ تَدْعُو إِلَيَّ
يَعْقُوبُ كُلُّ أَشْرٍ﴾ بالنصب، ويقال
لهم، ﴿الْيَوْمَ تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، يعني ديوان
الحفظ، ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾،
يشهد عليكم ببيان شاف، كأنه
ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح
المحفوظ. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾، أي نأمر الملائكة بنسخ
أعمالكم، أي بكتبتها وإثباتها عليكم.
وقيل: نستنسخ أي نأخذ نسخته
وذلك أن الملكين يرفعان عمل
الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه
ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب، وقيل:
الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ
الملائكة كل عام ما يكون [من]
أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون
إلا من أصل، فينسخ كتاب من
كتاب. وقال الضحاك: نستنسخ أي
نثبت. وقال السدي: نكتب. وقال
الحسن: نحفظ.

﴿٤٠﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

وَصَحَّحُوا، أي يموت الآباء ويحيا
الأبناء، وقال الزجاج: يعني نموت
ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿وَمَا يُنْبِئُكَ
إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أي وما يفنيننا إلا مر
الزمان وطول العمر واختلاف الليل
والنهار. ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِذَلِكُمْ﴾، أي الذي
قالوه، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾، أي لم يقوله
عن علم، ﴿إِنْ تَمَّ إِلَّا يَطَّوَّرُ﴾.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد
المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن
محمد محمش الزيادي، أنا أبو بكر
محمد بن الحسين القطان، ثنا أبو
الحسن أحمد بن يوسف السلمي، ثنا
عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن
منبه، ثنا أبو هريرة رضي الله عنه،
قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله
تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر،
فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار،
فإذا شئت قبضتهما».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد

الْمَلِيحَاتِ يَدْعَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾، الظفر الظاهر.

﴿وَأَنَا الَّذِينَ كَفَرْنَا﴾، يقال لهم، ﴿فَأَنْتَ تَكُنْ آيَاتِي تَتَلَّى عَلَيْكَ فَأَسْتَكْبِرْهُمْ وَكُنَّ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾، متكبرين كافرين.

﴿وَإِنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ لَهَا﴾، قرأ حمزة: «والساعة» نصب عطفاً على الوعد، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ﴿فَلَمَّا مَا تَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِنَّ قُلُوبًا لِلْآلَاءِ غَافًا﴾، أي ما نعلم ذلك إلا حدساً وتوهماً. ﴿وَمَا عَنَّا بِمُتَّبِعِينَ﴾، أنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ في الآخرة، ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، في الدنيا أي جزاؤها ﴿حَقَّ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَخُكَ﴾، نتركهم في النار، ﴿كَأَنِّي بِلِقَاءِ رَبِّي كُنَّا هَذَا﴾، تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿وَمَا تَنْكُرُونَ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ﴿ذِكْرٌ بِالْكُلِّ مَعْذَرَةٍ لَئِنْ أَرَادَ اللَّهُ هَذَا مَقْرَرًا وَمَرَكًا لَمُتَّيْنَا اللَّهُ﴾، حتى قلت: لا بعث ولاحساب، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الراء، ﴿وَلَا لَهُمْ فِيهَا مُمْسِكِينَ﴾، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبة.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿يَسْأَلُونَ رَبَّ الْأَرْضِ رَبِّ السَّمَاءِ وَبَيْنَهُمَا مَا نُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ حَمِيمٍ﴾، العظمة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

محمد القاضي، حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي، ثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن إبراهيم قالوا، أنا حفص بن عبدالله، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل الكبرياء رذائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما أدخلته النار».

سورة الأحقاف

مكية وهي خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿١﴾ ﴿حَمْدٌ تَبْدِيلُ الْكَلْبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ﴿١﴾ ﴿هَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا﴾ ﴿خُوفُوا بِهِ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ﴾ ﴿مَقْرُورِينَ﴾.

﴿١﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾

سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَجَاهِدٍ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفَرَيْتُمْ فَلَا تَسْلُكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَرُوهَ شَهَادَاتِي وَيَنْتَكِرُوا هُوَ الْعَفْوُ الرَّجِيمُ ﴿٣﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعِمِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِشَرِّ النَّاسِ إِنْ أَرَادُوا بِئْسَ مَا أَنَا مِنَ الْآذِرِينَ مُبِينٌ ﴿٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ بِهِ وَمَشَاهِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ عَلَّمْنَاهُ مِثْلَهُ فَقَامُوا وَاسْتَكْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كُنَّا عَرَفْنَا مَا سَقَوْا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ وَسَيَقُولُونَ هَذَا آيَاتُ قَدِيمَةٍ ﴿٦﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَاطَقًا بِهَا يَنْزِلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

٥٠٣

يُشْرِكُ فِي السَّمَوَاتِ أَتَقُولُ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿أَوْ أَتُكذَّرُونَ مِنْ عِلْمٍ﴾، قال الكلبي: أي بقية من علم يؤثر على الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر ﴿إِنَّ كُنْتُمْ مَسْئُومِينَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿مَنْ أَسْأَلُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَآتِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني أبداً ما دامت الدنيا، ﴿هُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، لأنها جملة لا تسمع ولا تفهم.

﴿١﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن

فَكَانُوا بِبِئَادَتِهِمْ كَفُورِينَ ﴿٦٦﴾ جاحدين، بيانه قوله: ﴿بَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَبْذُرُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿٦٧﴾ وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّا بِتَنَادِكُمْ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ، يسمون القرآن سحراً.

﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنبِئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ، يَا مُحَمَّد، إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبتني على افتراضي، فكيف أفترى على الله من أجلكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾، [أي] الله أعلم ﴿بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿كَلَّا بَدَأَ شَيْئًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿وَهُوَ الْقَفْورُ الرَّحِيمُ﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به.

﴿٦٩﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ، أي بديعاً مثل نصف ونصيف، وجمع البديع أبدع، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتني. ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحداً، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخيره الذي بعثه بما يفعل به،

فأنزل الله ﴿لِيُفَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ الْمُتُؤَمِّنِينَ وَالْمُؤَمِّنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح: ٥] الآية، وأنزل: ﴿وَيَسِّرَ الْمُتُؤَمِّنِينَ﴾ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا [الأحزاب: ٤٧]، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة، قالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديدية، فنسخ ذلك.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيد قال: كانت أم العلاء الأنصارية تقول: لما قدم المهاجرون المدينة: اقرعت الأنصار على سكنتهم، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون في السكنى، فمرض فمرضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي أن قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ «وما يدريك أن الله قد أكرمك؟» فقلت لا والله لا أدري فقال النبي ﷺ «أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» قالت: فوالله لا أزكي بعده أحداً أبداً، قالت: ثم رأيت لعثمان

بعد في النوم عينا تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: «ذاك عمله».

وقالت جماعة: قوله ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سبخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى الأرض التي أريت؟ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾، ألتسرك في مكاني أم أخرج ولياكم إلى الأرض التي رفعت لي؟

وقال بعضهم ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، إما أن أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي، وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم [وما أدري ما يفعل بكم] أيها المكذبون، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أم أي شيء يفعل بكم، مما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩]، وقال في أمته: ﴿وَمَا كَانَتْ

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: ٢٣]، فأخبر الله ما يصنع به وبأمته، هذا قول السدي. ﴿إِنْ أَنْجَى إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، أي ما أتبع إلا القرآن، ولا ابتدع من عندي شيئاً، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، معناه: أخبروني ماذا تقولون، ﴿إِنْ كَانُ﴾، يعني القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾، أيها المشركون، ﴿وَتَشْهَدُ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيَّ وَيُحْلِقُونَ، المثل: صلة، يعني عليه، أي على أنه من عند الله ﴿فَأَمَّنْ﴾، يعني الشاهد، ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾، عن الإيمان به، وجواب قوله: ﴿إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محذوف على تقدير: أليس قد ظلمتم؟ يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقال الحسن: جوابه: ﴿فمن أضل منكم﴾ كما قال في سورة السجدة [١٠]. واختلفوا في هذا الشاهد، قال قتادة والضحاك: هو عبدالله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن منير، سمع عبدالله بن بكير، ثنا حميد، عن أنس قال: «سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو فسي أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا

نبي: فما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آتفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبِيبِي فَإِنَّهُ تَرَكُهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ يَا ذُنَّ اللَّهِ﴾، [البقرة: ٩٧]، فأما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول الطعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني يبهتوني، فجاءت اليهود فقال لهم: أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبدالله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن يوسف قال: سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن عاصم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على

وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَتَشْهَدُ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيَّ وَيُحْلِقُونَ﴾، قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث.

قال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران.

وقال الشعبي: قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبدالله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من اليهود، ﴿لَلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانُ﴾، دين محمد ﷺ، ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، يعني عبدالله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان. وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وخطفان، قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهيم: قال الله تعالى: ﴿وَرَادَ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنَّكَ قَدِيرٌ﴾، كما قالوا أساطير الأولين.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَرَحْمَةً مِنَّا وَفَصَّلَهُ تَلَكُّنًا شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَوَعَلَّ
 آذِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
 ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 تَنفَعُ عَنْهُمْ إِحْسَانًا مَا عَمِلُوا وَنَجَّوْا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لِوَالِدَيْهِ أَفِئ لَكُمْ أَتَدِينِ أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِخِمَانِ اللَّهَ وَنَبِيَّكَ مَا مِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ
 مَا هَذَا إِلَّا اسْتِطَارَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْقَوْلُ فِي أُمُرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 خَافِينَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَنَاصِبُهَا أُعِدَّتْ لَهُمْ وَأَعْتَلَتْهُمْ وَهُمْ
 لَا يُظَاهَرُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَبْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ آثَارِهِمْ طَبَقًا
 فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَعْتَمُّهُمُ بِهَا فَأَلْوِمُ مَن جُرحُوا عَذَابَ الْهَوْنِ
 بِمَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ لِي وَيَا كَذِبًا تَقْسُمُونَ ﴿١٩﴾

بكر الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو.

قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره

أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة وثبت

النبي ﷺ آمن به ودعا ربه - قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي، اللهمني، أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ، بالهداية والإيمان، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ.

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

قال ابن عباس: وأجاب الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي، فأجاب الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿إِنِّي بُنَيْتُ لَكَ وَإِيَّكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ أَحْسَنُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله عز وجل: ﴿١٥﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿١٦﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿١٧﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿١٨﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿١٩﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢٠﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢١﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢٢﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢٣﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢٤﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

قوله عز وجل: ﴿٢٥﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣ والنساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١ والإسراء: ٢٣]، يريد شدة الطلق،

القرآن، ﴿كَيْتُبُ مُوسَى﴾، يعني التوراة، ﴿إِمَامًا﴾، يقتدى به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، من الله لمن آمن به، ونصبا على الحال عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار، أي جعلناه إماماً ورحمة، وفي الكلام محذوف، تقديره: وتقدمه كتاب موسى إماماً ولم يهتدوا به، كما قال في الآية الأولى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، وهذا كَيْتُبُ مُصَدِّقٌ، أي القرآن مصدق للكتب التي قبله، ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، وقيل بلسان عربي، ﴿يُنشِئُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: ﴿لَتُنذِرُ﴾ بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب، ﴿وَنُشِرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وبشرى﴾ في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق وبشرى.

كذا؟ **﴿وَأَسْتَنْتَمُّ بِهَا﴾**، يقول: أذهبتم طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها؟ **﴿كَلَيْتُمْ بُخْرُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ﴾**، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، **﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْكُرُونَ﴾**، تتكبرون، **﴿وَالْأَرْضُ بِمَنِّ الْمَوْتِ وَوَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾**، فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

وروينا عن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: **﴿أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا﴾**.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، [الشاشي] حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المشي ومحمد بن بشار قالنا ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسين [علي بن محمد بن عبدالله] بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصنفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا

القول، الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول، وجب عليهم العذاب، **﴿فِي أَمْرِ﴾**، مع أمم، **﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ أَلَمِينَ وَالْإِنْسِ إِيَّتَهُمْ سَكَاوَاتُ خَيْرِينَ﴾**.

﴿١٧﴾ **﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَنَّا عِلْوًا﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة، قال مقاتل: ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم. وقيل: «ولكل» يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين «درجات»، يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها: قال ابن زيد في هذه الآية: درج أهل النار تذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة تذهب علواً. **﴿وَلِيُؤْتِيَهُمْ﴾**، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء، وقرأ الباقر بالنون. **﴿أَصْنَعْتُمْ﴾**، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، **﴿وَهُمْ لَا يظَنُّونَ﴾**.

﴿١٨﴾ **﴿وَيَوْمَ يَسُرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾**، فيقال لهم، **﴿أَذَقْتُمْ مَلِيئِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾**، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: **﴿أَذَقْتُمْ﴾**، بالاستفهام، ويهزم ابن عامر همزتين، والآخر بلا استفهام على الخبر، كلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت

سَوَاتِيمَهُمْ، فلا نعاقيهم عليها، قرأ حمزة والكسائي وحفص **﴿تَنَقَّلُ﴾** **﴿وَتَنَجَّازُ﴾** بالنون، **﴿أَحْسَنُ﴾** نصب، وقرأ الآخرون بالياء، وضمها **﴿أَحْسَنُ﴾** رفع. **﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾**، مع أصحاب الجنة، **﴿وَقَدْ أَهْبَدُوا﴾** الذي كانوا يؤعدون، وهو قوله عز وجل: **﴿وَقَدْ أَهَّكَ الْمُرُوبَاتِ وَالْمُرُوبَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [التوبة: ١٧٢].

﴿١٩﴾ **﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ﴾**، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، **﴿أَبَى لَكُمْ﴾**، وهي كلمة كراهية، **﴿أَعَدَّ لِلَّذِي أَنْ أَعْرَجَ﴾**، من قبري حياً، **﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾**، فلم يبعث منهم أحد، **﴿وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ﴾**، يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له: **﴿وَتَبْلَغُ مَا بَيْنَ إِنْ وَقَدْ أَهَّكَ حَقَّ فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾**، ما هذا الذي تدعواني إليه، **﴿إِلَّا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾**، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت في عبدالله.

وقيل: في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيوا لي عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبدالرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه، قاله الحسن وقتادة، وقال الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يطله قوله.

﴿٢٠﴾ **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ**

عبدالرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطي بها رجلاه بدا رأسه، قال: وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني. فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسانتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وقال جابر بن عبدالله: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتيت شيئاً يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبَ لِيَبَيِّكُ فِي حَيَاتِكُ الدُّنْيَا﴾.

﴿١١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادًا﴾، يعني هوداً، ﴿إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾، قال ابن عباس: «الأحقاف» وإد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل باليمن في حضر موت بموضع يقال له مهرة، وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

قال قتادة: ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياء باليمن، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر يارض يقال لها «الشُخر» و«الأحقاف» جمع حقف، وهي المستطيل المعوج من الرمال.

قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون

الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن، ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصري، ثنا حماد بن سلمة، أنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال».

أخبرنا عبدالواحد [بن

أحمد] المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يوسف بن عيسى، ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة أنه قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، ثنا أبو طاهر محمد [بن أحمد] بن الحارث، ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن مبارك، عن شعبة بن الحجاج، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن

﴿١١﴾ وَأَذْكُرْنَا عَادًا إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ أَلَا تَصْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتِلْكَ عَنَّا إِلَّا خِيفَاتِنَا يَمَاقِينَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىكُمْ قَوْمًا تَجَافَوْنَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرَبًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسْمَاكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِي مَأْنَمٍ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا وَكَّلُوا مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ فَمَنْ لَّا يَرْهَبِ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن دُونِ اللَّهِ فَرِيضَاتًا أَلِهَةٌ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا بِقَارُونَ ﴿١٩﴾

عبدالرزاق، ثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً وما هو إلا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساء من الأنصار خيراً، كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن.

أخبرنا عبدالله بن الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا عبدالله بن معاوية الجمحي، ثنا ثابت بن يزيد، عن هلال بن خناب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم

جبلًا، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، ﴿وَقَدْ خَلَّتْ أَنْذَرُ﴾، مضت الرسل، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي من قبل هود، ﴿وَمَنْ خَلَّوْهُ﴾، إلى قومهم، ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّكُمْ لَعِنَّا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنَّا نَتَّبِعُ آبَاءَنَا﴾، لتصرفنا، ﴿عَنْ آلِهَاتِنَا﴾، أي عن عبادتها، ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّ كُنْتُمْ مِنَ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾، أن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ﴾، هود، ﴿إِنَّمَا إِلَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ﴾، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ مَا آتَيْتُكُمْ يَدِي﴾، من الوحي إليكم، ﴿وَلَكِنِّي أَرْتَكِرُ قَوْمًا يَجَاهِلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، يعني ما يوعدون به من العذاب، ﴿عَارِضًا﴾، سحاباً يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿مُتَقَبِّلٌ أُولِيَّتَيْهِمْ﴾، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرٌ نَّآءٌ﴾، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجعلت الريح تحمل الفسفاط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جرادة.

﴿تَذَكَّرْتُ كُلَّ قَوْمٍ﴾، مرت به من رجال عاد وأموالها، ﴿يَأْتِرُ رِيحًا﴾، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح

بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأملت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو تميم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس، أنا ابن وهب، أنا عمرو بن الحارث أخبرنا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، وجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأته عرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: «هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنَا»»، الآية.

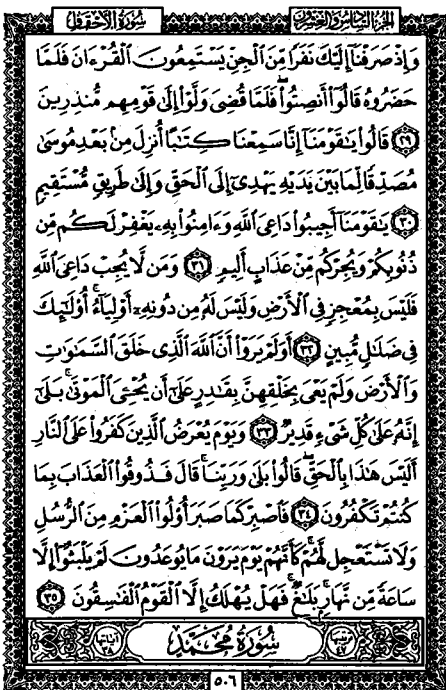
﴿فَأَمْبِعُوا لَا يُرِيحُ إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ﴾، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب ﴿يرى﴾، بضم الياء «مساكينهم» برفع السنون يعني لا يرى شيء إلا مساكينهم، وقرأ الآخرون بالشاء وفتحها، «مساكينهم» نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مساكينهم لأن

السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ كُنْتُمْ فِيهِ﴾، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان، وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: «ما» في قوله «فيما» بمنزلة الذي، وإن بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَصْفًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْفَقَ عَنْتَهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَصْفَرْتَهُمْ وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَصْحُدُونَ بَابِئِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا شَكَّرْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿مِنَ الْقُرَى﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ الحجج والبيانات، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي مكة.

﴿قَالُوا﴾، فهلا ﴿صَرَفْتُمُ الَّذِينَ أَتَيْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَرِيبًا إِلَهًا﴾، يعني الأوثان، التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل، القربان كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وجمعه قرايين، كالرهبان والرهابيين. ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم، ﴿وَذَلِكَ لِيُنْكَرَهُمُ﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون أنها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يكذبون أنها آلهة.



الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله ما أكلحك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أزد عليك الكلام، لئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلحك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير ثقيف، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكموه علي، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيدهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به

سفاهم وعييدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، والجأوه إلى حائط لعنبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه، فعمد إلى ظل حبله من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمان رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات

وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»، فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل ذلك عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوي؛ فقال له رسول الله ﷺ: أمين قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال له رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تُقبل هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، فقال: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه، ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة

﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ»، الآية. قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه.

فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد باليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال

حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمز به نفر من جن أهل نصيبين باليمن، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَكُنْ شَرِكًا بِرَبِّنَا أَسْأَلُ﴾ [الجن: ١]، فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ

أَنَّهُ اسْمٌ مِّن لَّدُنِّي﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجن.

وروي: أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخير، وكان أول بعث بعث ركباً من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة.

وقال أبو حمزة الشمالي: بلغنا أنهم من [بني] الشيبان وهم أكثر الجن عدداً، وهم عامة جنود إبليس، فلما رجعوا قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

وقال جماعة: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفرًا من الجن من أهل نينوي، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فأينكم يتبعني؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فأتبعه عبدالله بن مسعود، قال عبدالله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخط لي خطأ ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق إلي وقال لي: أنمت؟

فقلت: لا والله يا رسول الله ﷺ، وقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا، قال: لو خرجت [والله] لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، ثم قال: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم يا رسول الله رأيت رجلاً سوداً مستشغري ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة. قال فقالوا: يا رسول الله تقدرها الناس [علينا]، فنهى النبي ﷺ أن يستنجي بالعظم والروث، قال فقلت: يا رسول الله وما يعني ذلك عنهم؟ قال: إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، قال فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً؟ فقال: إن الجن تدارت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق، قال: ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم أتاني، فقال: هل معك ماء؟ قلت: يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال: «تمرة طيبة وماء طهور».

وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزط فأفزعه حين رآهم، فقال: اظهروا، فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ، يريد الجن.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغفار بن محمد، ثنا

نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافقوه في البطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً.

قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعاً.

واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وتأولوا قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه. وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تواباً، وهذا مثل البهائم.

وعن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا تواباً فيعودون تواباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَوَّاباً﴾، وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلي.

وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وذكر النقاش في تفسيره حديث أنهم يدخلون الجنة. فقيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسيحه وذكره، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة.

وقال أرطاة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب، هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: ﴿لَوْ يَطَّلِنُ الْإِنْسُ بَلَاءَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦

اختلفوا في عدد ذلك النفر.

فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم.

وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زوية من التسعة الذي استمعوا القرآن. ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِبْ وَأَنْصِبْ﴾، قالوا: صه.

وروي في الحديث: «أن الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظنون».

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾، قال بعضهم لبعض «أَنْصِبُوا» واسكتوا [أي] لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصبتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، ﴿فَلَمَّا قَفَّيْنَا﴾، فرغ من تلاوته، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ قَوْمَهُمْ﴾، انصرفوا إليهم، ﴿مُنذِرِينَ﴾، مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

﴿قَالُوا يَنْقُوتَنَا إِنَّا سَعِيتَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مِثْلِهِ مَوْجِدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِنَّ طَرِيقَهُمْ لَشَدِيدٌ﴾، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى.

﴿يَنْقُوتَنَا أَيُّسُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿وَمَا يُنْزِلُ بِهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، ﴿مَنْ﴾ صلة أي ذنوبكم، ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فاستجاب لهم من قومهم

محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى، ثنا عبد الأعلى، ثنا داود وهو ابن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استظير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبتنا فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم، قال: وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن».

ورواه مسلم [بن الحجاج] عن علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بهذا الإسناد إلى قوله: «أثار نيرانهم».

قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلاً من حديث عبده.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾،

٧٤]، قال فالإنسيات للإنس والجنيات للجن. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة، في رضى ورحاب، وليسوا فيها.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُوْلِيَاءٌ﴾، أنصار يمنعونه من الله، ﴿أُوْلِيَّكَ فِي سَبَلِكُمْ تُبِينُ﴾.

﴿أُوْلَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَحْفَظْهُنَّ يَبْدِرُ﴾، لم يعجز عن إبداعهن، ﴿بِقَادِرٍ﴾، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: ﴿تَلَبَّثُ بِالَّذِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقال الكسائي والفرء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد، فتقول: ما أظنك بقائم، وقرأ يعقوب «يقدر» بالياء على الفعل، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبدالله قادر بغير باء، ﴿أَنْ يَخِيحَ الْمَوْقُ بِكَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ﴾، أي فيقال لهم، ﴿فَدَرَوْهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كُفَرُوا تَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَاصِرٍ كَمَا صَبَرِ أَوْلُوا الْقَرِيرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال ابن عباس: ذوو الحزم. وقال الضحاك: ذوو الجحد والصبر.

واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل. كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم،

ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبويض كما يقال: اشترت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولوا عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا تبرى أنه قيل للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوْبِ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام [٩٠] وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ اللَّهُ صِرَاطًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء.

وقال مقاتل: هم ستة: نوح، صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر، وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، ثنا أبو

ذر محمد بن إبراهيم سببط الصالحاني، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابي الشيخ الحافظ، أنا عبدالرحمن بن أبي حاتم، أنا محمد بن الحجاج، أنا السري بن حيان، أنا عباد بن عباد، ثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، وقال: «قَاصِرٍ كَمَا صَبَرِ أَوْلُوا الْقَرِيرِ مِنَ الرُّسُلِ» وإني والله لا بد لي من طاعته، والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لِمَنْ﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخير عن قرب العذاب فقال: ﴿كُلُّكُمْ يَوْمَ يَوْمِهِ مَا يُوْعَدُونَ﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿لَوْ يَلْمِزُوكَ﴾، في الدنيا، ﴿إِلَّا سَاءَةً مِمَّنْ تَلْمِزُوكَ﴾، أي إذا عابنوا العذاب صار طول ليلتهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن، ثم قال: ﴿بَلِّغْ﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿فَهَلْ يَهْلِكُكُ﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ اللَّهُ عَنْهُمْ ۖ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّهِمْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَأَصْلَحْنَا بِهَلْمٍ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 اتَّبَعُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
 اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى
 إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّقَابَ ۖ وَإِمَامًا مَعْبُودًا مِمَّا نَتَّبِعُ الْحَرْثُ
 أُورَثَهَا ذِكْرًا وَلَوْ نَشَاءُ لَأَنصَرَفْنَا عَنْهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَعْصَمَكُمْ
 مِنْهُمُ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ اللَّهُ عَنْهُمُ ۖ سَيَجْعَلُ اللَّهُ
 وَجْهَهُمْ لِلدِّينِ وَمِنْهُمْ جُفَاءً عَنْهُمْ ۖ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَلِفَةً أَلْفًا
 ءَامِنًا ۖ لِنُصَرِّفَهُمُ اللَّهُ يَضْرِبُهُمْ وَنُفِثَ آفَاتُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 فَتَسْلُبُهُمْ وَأَضَلَّ اللَّهُ عَنْهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 فَأَحْطَ اللَّهُ عَنْهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي الْأَرْضِ فَغَطَّوْا كَيْفَ
 كَانَ حَقِيقَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَرَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالْكَافِرِينَ أَمْثَلَهُمْ ۖ
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿فَمَا تَأْتُوا نَفَقَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرِدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، ويقول: ﴿فَأَقْبَلُوا الشُّرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وهو قول الأوزاعي وأصحاب الرأي، قالوا: لا يجوز المن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الشوري والشافعي وأحمد وإسحاق، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الأسارى ﴿فَمَا مَتَّأ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاةٌ﴾، وهذا هو الأصح والاختيار لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، ﴿وَهُوَ لَقَدْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مشركو مكة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأنصار. ﴿كَفَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَأَصْلَحْنَا بِهَلْمٍ﴾، حالهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ﴾، الشيطان، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾، نصب على الإغراء، أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم. ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾، بالغنم في القتل وقهرتموهم، ﴿فَشُدُّوا الرِّقَابَ﴾، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْبِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُتْرَكُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿فَمَا مَتَّأ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاةٌ﴾، يعني بعد أن تأسروهم فإما أن تمتوا عليهم متاً بإطلاقهم من غير عرض، وإما أن تفادوهم فداء، واختلف العلماء في حكم هذه الآية،

القتيبيون، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: مافي الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية.

سورة محمد
 مدينة وهي ثمان وثلاثون آية.
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، أبطلها فلم يقبلها وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم.
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾، قال سفيان

يا محمد خير إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتیک من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين

قال: أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل فأوثقوه، وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ كُرْسِيُّ أَوْزَارَهَا﴾، أي أقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر، ما يحمله الإنسان فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالسرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقاتلكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثنخونا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال» وقال الكلبي: حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء: حتى لا يبق إلا مسلم أو مسالم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكَ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَنَّ مِنْهُمْ﴾، فأهلكهم وكفاهم أمرهم بغير قتال، ﴿وَلَنْ كُنَّ﴾، أمرهم بالقتال، ﴿يَنْبِئُكَ بِبَعْضِ كَيْفِ بَيْعَتِكُمْ﴾، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾،

قرأ أهل البصرة وحفص: ﴿قَاتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون ﴿قَاتِلُوا﴾ بالالف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿فَلَنْ يُبَيِّلَ أَعْمَالَكُمْ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

﴿سَيَبَيِّنُهُمْ﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿وَيُضَيِّحُ بَالَكُمْ﴾، يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم.

﴿وَيُبَيِّنُ لَهُمْ لَكُمْ عَرَفَهَا لَكُمْ﴾، أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطؤونها ولا يستدلون عليها أحداً كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس: ﴿عَرَفَهَا لَكُمْ﴾ أي طيبها لهم، من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

﴿وَيَكْفُرُ بِالَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصَرُّوا﴾، أي دينه ورسوله، ﴿يَنْصُرَكُمْ﴾، على عدوكم، ﴿وَيَكْفُرُ بِأَقْدَامِكُمْ﴾، عند القتال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلْتُمْ﴾، قال ابن عباس: بُعداً لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم. وقال الضحاك: خيبة لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. قال الفراء: هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة

وَأَنْتُمْ مِنْ حَرِّ لَدُونِهَا، لذيذة
 ﴿لَشَرِّبِينَ﴾، لم تدنسها الأرجل ولم
 تدنسها الأيدي، ﴿وَأَنْتُمْ مِنْ عَسَلٍ
 مُصْقًى﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر،
 أنا عبد الغافر بن محمد، أنا
 محمد بن عيسى الجلودي، ثنا
 إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا
 مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن
 أبي شيبة، أنا أبو أسامة وعبد الله بن
 نمير وعلي بن مسهر، عن
 عبيد الله بن عمر، عن حُبيِّب بن
 عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم،
 عن أبي هريرة قال: قال
 رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان
 والنيل والفرات كل من أنهار الجنة».

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر
 ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر
 لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم،
 ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه
 الأنهار الأربعة تخرج من نهر
 الكوثر، ﴿وَلَمْ يَبَيِّنْ مِنْ كُلِّ النَّهْرَيْنِ
 وَمَمْفِرَةً مِنْ رَبِّهِمْ كَنْهُ هُوَ خَلْدٌ فِي
 النَّارِ﴾، أي من كان في هذا النعيم
 كمن هو خالد في النار، ﴿وَسُقُوا مَاءً
 حَمِيمًا﴾، شديد الحر تسعر عليهم
 جهنم منذ خلقت إذا أدنى منهم
 شوى وجوههم ووقعت فروة
 رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿فَقَطَّعَ
 أَمْعَاءَهُمْ﴾، فخرجت من أديبارهم،
 والأمعاء جميع ما في البطن من
 الحوايا وأحدها معي.

﴿وَيَنْتَعِبُ﴾، يعني من هؤلاء
 الكفار، ﴿مَنْ يَنْتَعِبُ إِلَيْكَ﴾، وهم
 المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه
 ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً، ﴿حَتَّىٰ

الدنيا، ﴿وَيَاكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ﴾، ليس لهم همة
 إلا بطونهم وفروجهم،
 وهم لاهون ساهون عما
 في غد، قيل: المؤمن في
 الدنيا يتزود، والمنافق
 يتزين، والكافر يتمتع،
 ﴿وَالنَّارُ مَتْوًى لَهُمْ﴾.

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ
 أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ﴾، أي
 أشد قوة من أهل مكة،
 ﴿أَلَيْسَ آخِرُ حَرْجِكَ﴾، أي
 أخرجك أهلها، قال ابن
 عباس: كم رجال هم أشد
 من أهل مكة؟ يدل عليه
 قوله: ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾، ولم
 يقل: أهلكتاها، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

قال ابن عباس: لما خرج
 رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار
 التفت إلى مكة وقال: «أنت أحب
 بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ
 ولو أن المشركين لم يخرجوني لم
 أخرج منك» فانزل الله هذه الآية.

﴿أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِي وَبَيْنَ
 رَبِّهِ﴾، يقين من دينه محمد
 والمؤمنون، ﴿كَنْهُ لَكُمْ سُوءَ عَمَلِهِ
 وَابْتِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، يعني عبادة الأوثان،
 وهم أبو جهل والمشركون.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾،
 أي صفتها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ
 آسِنٍ﴾، آجن متغير منتن، قرأ ابن
 كثير ﴿آسن﴾ بالقصر، والآخرون
 بالمد، وهما لغتان يقال: أسن الماء
 يأسن أسناً، وآسن يأسن ويأسن،
 وأجن يأجن أجن، أسوناً وأجوناً إذا
 تغير، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيَسْمَعُونَ نَارًا تَأْكُلُ أَلْسِنَهُمْ
 وَالنَّارُ مَتْوًى لَهُمْ ﴿٩﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
 الَّتِي آخِرُ حَرْجِكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٠﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِي
 وَبَيْنَ رَبِّهِ كَنْهُ لَكُمْ سُوءَ عَمَلِهِ وَابْتِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١١﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ
 الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
 يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَلٍ لَذِيذٍ لِلشَّرْبِ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى
 وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْهُ هُوَ خَلْدٌ فِي النَّارِ
 وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٢﴾ وَنْتَعِبُ مِنْ يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ
 حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ مَا قَالُوا لَإِنَّا
 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا إِذَا ذُكِرُوا بِهَا فِي مَجَالِسِ الْمُسْلِمِينَ لَقَالُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
 أَلَسَاءَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ فَيَقْدِرُ فَرَسٌ شَدِيدٌ فَانْفِخَ بِهِمْ إِذَا جَاءَهُمْ
 ذُكْرُهُمْ ﴿١٤﴾ فَأَعْلَزَ لَهْوًا لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِكُلِّ نَبِيٍّ
 وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُؤْتَمِرِكُمْ ﴿١٥﴾

التردي في النار. ويقال للعاثر: تعساء
 إذا لم يريدوا قيامه، وضده لعا إذا
 أرادوا قيامه، ﴿وَأَسَدٌ أَهْلَكْتَهُمْ﴾، لأنها
 كانت في طاعة الشيطان.

﴿ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال،
 ﴿يَأْتِيَهُمْ كَرْهًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ
 أَعْمَلَهُمْ﴾، ثم خوف الكفار.

﴿فَقَالَ﴾: ﴿اللَّهُ يَبْدُوهُ فِي الْأَرْضِ
 يَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَظِيمَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم،
 ﴿وَاللَّكُونِ أَمْثَلَهَا﴾، أي لم يؤمنوا
 يتوعد مشركي مكة.

﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَأَنَّ
 اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وليهم
 وناصرهم، ﴿وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى
 لَهُمْ﴾، لا ناصر لهم، ثم ذكر مال
 الفريقين فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيَسْمَعُونَ﴾، فسي

إِذَا حَرَّجُوا مِنْ عِنْدِكَ، يعني فإذا خرجوا من عندك، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ﴾، من الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَهُ﴾، محمد، ﴿مَا يَقُولُ﴾، يعني الآن، وهو من الانتاف وإيقال: انتفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوها عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل ﴿أَوْلَيْتَكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فلم يؤمنوا، ﴿وَأَنْبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الكفر والفتاق.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني المؤمنين، ﴿رَادَهُمْ﴾، ما قال الرسول، ﴿هُدًى وَمَأْتَهُمْ قَوْلُهُمْ﴾، وفقهم للعمل بما أمر الله به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق الهاشمي، ثنا الحسين بن الحسن، ثنا ابن المبارك، أنا معمر بن راشد، عن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غش مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمياً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر».

قوله عز وجل: ﴿فَدَجَّجَ آسْرَاهُمْ﴾، أي أماراتها وعلاماتها، واحداً شرط، وكان النبي ﷺ من أسراط الساعة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن المقدم، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا أبو حازم، ثنا سهل بن سعد قال: رأيت النبي ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمر الحوضي، ثنا هشام، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثنكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أسراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن سنان، ثنا فليح، حدثني هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذا جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال

بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال: وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه، قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة»: قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

قوله عز وجل: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَئِن آتَاهُمُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ سَاقِطٌ مِّمَّنْ لَدُنَّ الْكَرُوبِ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَئِن آتَاهُمُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ سَاقِطٌ مِّمَّنْ لَدُنَّ الْكَرُوبِ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فأنذرت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها إلا إلى الله. وقيل فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا لله.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ﴾، أمسر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزباني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي بردة، عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «أنه ليغان على قلبي وإنني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة».

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا وَعَدَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّطْرَ لَنْ سَأُولَ لَهُمْ وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطْرًا مَعَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ بِمَا يَصْنَعُونَ آخِذٌ عَنِ كُلِّ مَكْرَهٍ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ ﴿٢٩﴾

﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴿٢٠﴾، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿يُنظَرُونَ إِلَيْكَ﴾، شزراً بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو، ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾، وهذا ابتداء محذوف الخير تقديره: طاعة، وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله، واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالاجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿فَإِذَا عَزَمَ

الْأَمْرُ﴾، أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾، في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، وقيل جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا لكان خيراً لهم.

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾، فلعلكم قرأ نافع عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها وهما لغتان والفتح أفصح ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن القرآن وفارقتهم أحكامه، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية ففسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. ﴿وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، قرأ يعقوب ﴿وتقطعوا﴾ بفتح التاء خفيف، والآخرين بالتشديد من التقطيع على التكثر لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب ابن شريك والفراء: يقول فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب ﴿توليتهم﴾ بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول: إن وليتكم ولاة جائزة خرجتم معهم في الفتنة وعاونوهم.

﴿٢٣﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ ﴿٢٣﴾، عن الحق.

قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيح المجاب فيهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَلِّيَكُمْ﴾، قال ابن عباس والضحاك: «متقلبكم» متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، و«متشاككم» مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار.

وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومتشاككم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومتشاككم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن ومتشاككم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

المشركون، ﴿سَطِطُكُمْ فِي﴾ المشركون، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، فلا تفهم مواضع القرآن وأحكامه، و﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل).

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عقيل بن محمد، أنا المعافى بن زكريا، أنا محمد بن جرير، ثنا بشر، ثنا يزيد قال: ثنا سعيد قال: ثنا حماد بن زيد، ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَيُنَادِيهِمْ أُولُو الْقُلُوبِ الْغَاطِيَةِ أَلَسُوا بِآيَاتِ اللَّهِ كَذِبًا﴾، قال ابن عباس: بما كنتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، و﴿كَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فَأَحْطَبُ أَصْلَهُمْ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزًا﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ أَصْفَاتِهِمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدوها حتى يعرفوا نفاقهم، واحداها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾، أي لأعلمناكم وعرفناكم، ﴿فَلَقَرْنَاهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾، بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها.

قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، كان يعرفهم بسماهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾، ﴿وَلَسَبُّوكُمْ حَتَّى تَبْغَضُوا الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْغُضُوا أَحْسَبَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُدُّوا عَنْهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كُهُولًا فَلَنْ يُغْنِي عَنْهُمْ كُهُولُهم وَلَا شِعْرُ الْوَالِدِينَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْبِ وَأَنْتُمْ بِالْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَانَ بَيْتُكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا لِلدُّنْيَا دُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُزِيدْكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْخَبَرِ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَوْضِعِهَا فَذَعُوبَةٌ لِيُفِيَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنَ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بَصُرْتُمْ مِنْ وُجُوهِهم وَأَذْبَرْتُمْ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾، أي

الضرب، ﴿يَأْتِيهِمْ أَصْحَابُ السُّورِ﴾، قال ابن عباس: ما أسخط الله،

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَيُنَادِيهِمْ أُولُو الْقُلُوبِ الْغَاطِيَةِ أَلَسُوا بِآيَاتِ اللَّهِ كَذِبًا﴾، قال ابن عباس: بما كنتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، و﴿كَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فَأَحْطَبُ أَصْلَهُمْ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزًا﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ أَصْفَاتِهِمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدوها حتى يعرفوا نفاقهم، واحداها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾، ﴿وَلَسَبُّوكُمْ حَتَّى تَبْغَضُوا الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْغُضُوا أَحْسَبَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُدُّوا عَنْهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كُهُولًا فَلَنْ يُغْنِي عَنْهُمْ كُهُولُهم وَلَا شِعْرُ الْوَالِدِينَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْبِ وَأَنْتُمْ بِالْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَانَ بَيْتُكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا لِلدُّنْيَا دُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُزِيدْكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْخَبَرِ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَوْضِعِهَا فَذَعُوبَةٌ لِيُفِيَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنَ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَيُنَادِيهِمْ أُولُو الْقُلُوبِ الْغَاطِيَةِ أَلَسُوا بِآيَاتِ اللَّهِ كَذِبًا﴾، قال ابن عباس: بما كنتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، و﴿كَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فَأَحْطَبُ أَصْلَهُمْ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزًا﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ أَصْفَاتِهِمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدوها حتى يعرفوا نفاقهم، واحداها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾، ﴿وَلَسَبُّوكُمْ حَتَّى تَبْغَضُوا الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْغُضُوا أَحْسَبَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُدُّوا عَنْهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كُهُولًا فَلَنْ يُغْنِي عَنْهُمْ كُهُولُهم وَلَا شِعْرُ الْوَالِدِينَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْبِ وَأَنْتُمْ بِالْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَانَ بَيْتُكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا لِلدُّنْيَا دُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُزِيدْكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْخَبَرِ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَوْضِعِهَا فَذَعُوبَةٌ لِيُفِيَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنَ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَيُنَادِيهِمْ أُولُو الْقُلُوبِ الْغَاطِيَةِ أَلَسُوا بِآيَاتِ اللَّهِ كَذِبًا﴾، قال ابن عباس: بما كنتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، و﴿كَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فَأَحْطَبُ أَصْلَهُمْ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزًا﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَنْ يَخْضَعُوا لِلَّهِ أَصْفَاتِهِمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدوها حتى يعرفوا نفاقهم، واحداها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾، ﴿وَلَسَبُّوكُمْ حَتَّى تَبْغَضُوا الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْغُضُوا أَحْسَبَكُمْ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُدُّوا عَنْهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كُهُولًا فَلَنْ يُغْنِي عَنْهُمْ كُهُولُهم وَلَا شِعْرُ الْوَالِدِينَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا تَهْتَبُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْبِ وَأَنْتُمْ بِالْآخِلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَانَ بَيْتُكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا لِلدُّنْيَا دُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُزِيدْكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾، ﴿إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْخَبَرِ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَوْضِعِهَا فَذَعُوبَةٌ لِيُفِيَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنَ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

﴿ذَلِكَ﴾، أي الضرب، ﴿يَأْتِيهِمْ أَصْحَابُ السُّورِ﴾، قال ابن عباس: ما أسخط الله،

﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لحن يلحن لحناً فهو لحن إذا فطن للشيء.

ومنه قول النبي ﷺ: ﴿ولعل بعضهم أن يكون اللحن بحجته من بعض﴾.

والفعل من الخطأ لحن يلحن لحناً فهو لحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم حناق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخيلته وعقيدته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

﴿وَلَسَبُّوكُمْ﴾، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد

في الصدقات، إنما يسألانكم غيضاً من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفساً، وأقروا بها عيناً.

والى هذا القول ذهب ابن عيينة، يدل عليه سياق الآية: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلاناً إذا جهدته، وألحف عليه بالمسألة، ﴿يَسْأَلُوهَا﴾، بها فلا تعطوها، ﴿وَيُخْرِجُ أَصْنَافَكُمْ﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

﴿هَكَأَنَّهُ هَكَأَنَّهُ تَدْعُونَ لِيُخْرِجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿فَيُنِصِّكُمْ مِنْ بَيْحَلٍ﴾، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿وَمَنْ يَبْهَلْ فَإِنَّمَا يَبْهَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿وَأَنْتُمْ أَفْقَرُ لَهُ﴾، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عمر، حدثنا إسحاق النجيبى المصرى المعروف بابن النحاس، أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش، ثنا يونس بن عبدالأعلى، ثنا ابن وهب، ثنا مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي

وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، قيل: هم أصحاب القليب وحكمها عام.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى التَّلَايِ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصرة، ﴿وَلَنْ يَزِيدَ أَعْمَالَكُمْ﴾، لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وتراً إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقاتله ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتكم أجورها.

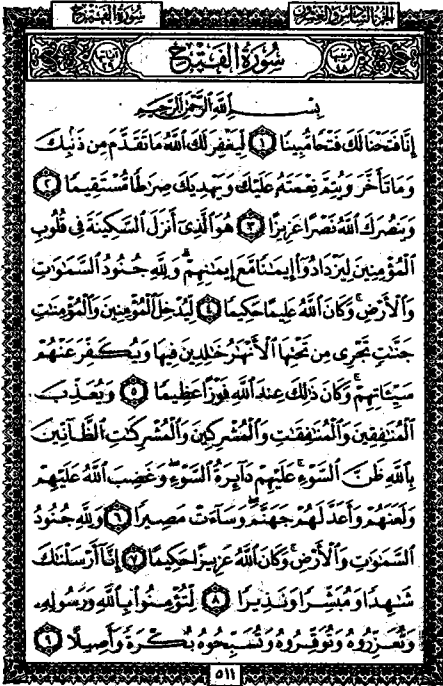
ثم حض على طلب الآخرة فقال: ﴿إِنَّمَا لِلنَّبِيِّ الدُّنْيَا لَيْبٌ وَلَهُمْ﴾، باطل وغرور، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَنْتَفِعُوا بِأُجُورِكُمْ﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة، ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ﴾، ربكم، ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليشيكم عليها الجنة، نظيره قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْكُمْ مِنْ زِينَةٍ﴾ [الذاريات: ٥٧]، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦]، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها

والقتال، ﴿حَتَّى تَقَرَّ الْعَجْهِيذُ بِمَكْرٍ وَالصَّيْدِيُّنَ﴾، أي علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿وَيَتَلَوَّا أَخْبَارَكُمْ﴾، أي نظهرها وتكشفها بإبائه من أبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى تَقَرَّ﴾، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمْتَلِكُ أَعْمَالَكُمْ﴾، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَنُزِقَنَّكُمْ عَذَابًا﴾، وقرأ يعقوب ﴿ونبلوا﴾ ساكنة الواو رداً على قوله: ﴿ولنبلونكم﴾ وقرأ الآخرون بالفتح رداً على قوله ﴿حَتَّى تَقَرَّ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي رسول الله ﷺ، ﴿وَسَأَقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَدْرِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، إنما يضررون أنفسهم، ﴿وَسَيُخْطِئُ أَصْنَافُهُمْ﴾، فلا يرون لها ثواباً في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُضِلُّونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿٣٣﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر.

وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا يضر مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال.



الشمس، ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنِذِرَ بِعَذَابِهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى، أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، ثنا أبو بكر محمد بن عبدالله حفيد العباس بن حمزة، ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا عفان، ثنا همام، ثنا قتادة، ثنا أنس النبسي رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ إلى آخر الآية،

هزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا بِنِبَاتِكُمْ لَمْ يُغْنِكُمْ عَنْهَا وَاللَّهُ غَابِرٌ لِّذُنُوبِكُمْ﴾، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الشريا لتناوله رجال من الفرس».



سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما لبثت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه

مرجعه من الحديدية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة، فقال: «نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً»، فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً لك قد بين الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ أنزل الله هذه الآية التي بعدها: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ ذُنُوبَكَ وَيُنِذِرَ لَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، حتى ختم الآية.

﴿١﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، اختلفوا في هذا الفتح، وروي عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن أنس: أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر، والأكثر على أنه صلح الحديدية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديدية كان متعذراً حتى فتحه الله عز وجل.

وروي شعبة عن قتادة عن أنس: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، قال: صلح الحديدية. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديدية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة، والحديدية بشر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أضرتنا ما شتتا نحن وركابنا. وقال الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
مَنْ كَفَرَ فَأَمَّا بَنُوكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكُمْ
اللَّهُ فَسْيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَمِعْنَا آمْرًا وَآمَلْنَا فَاسْتَفْتَيْنَا بِمَا يَكُونُ
بِالَّذِينَ نَهَىٰ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١٦﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفِلَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ
أَهْلِيهِمْ أَتَاكَ وَرَبِّكَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ لَنْ تَسْتَوُوا
وَكُنْتُمْ قَوْمًا نُورًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٩﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَدَائِنِكُمْ لَتَأْخُذَنَّ بِهَذَا دِينًا لَقَدْ نَبَّيْتُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُسَيِّئُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَسْبِقُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُّرُّوْنَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَفَقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

مردود إلى قوله:
﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا
تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾،
﴿لِيُنزِلَ الثَّوَابَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَمِيعًا﴾ الآية.

وقال محمد بن
جرير: هو راجع إلى
قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ
اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ
الْإِنسَانَ يَدْعُوْنَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفْوَاهًا ﴿١٤﴾ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ
رَبِّكَ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُكَ﴾ [النصر:
١ - ٣]، ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك في

الجاهلية قبل الرسالة، وما تأخر إلى
وقت نزول هذه السورة. وقيل: ما
تأخر مما يكون، وهذا على طريقة
من يجوز الصغائر على الأنبياء.
وقال سفيان الثوري: «ما تقدم» مما
عملت في الجاهلية و«ما تأخر» كل
شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك
على طريق التأكيد، كما يقال: أعطى
من رآه ولم يره، وضرب من لقيه
ومن لم يلقه. وقال عطاء
الخراساني: ما تقدم من ذنبك: يعني
ذنب أبويك آدم وحواء بربك، وما
تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. ﴿رَبُّنَا
يَمْسُرُ عَلَيْكَ﴾، بالنبوة والحكمة،
﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي يثبتك
عليه، والمعنى ليجمع لك مع الفتح
تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى
الصراط المستقيم وهو الإسلام.
وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

﴿وَيَضْرِبُكَ اللَّهُ ضَرْبًا عَرِيزًا﴾

غالبًا. وقيل: معزًا.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾،
الطمأنينة والوقار، ﴿فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾، لثلاث تزج نفوسهم لما
يرد عليهم، قال ابن عباس كل
سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا
التي في سورة البقرة [٢٤٨]،
﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، قال ابن
عباس: بعث الله رسوله بشهادة أن
لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم
الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج
ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم،
فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا
تصديقاً إلى تصديقهم. وقال
الضحاك: يقيناً مع يقينهم. قال
الكلبي: هذا في أمر الحديدية حين
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق،
﴿وَاللَّهُ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لِيُنزِلَ الثَّوَابَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعًا
بِقَرَرٍ مِنْ قَبْلِهَا الْأَتْخَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ
اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾.

وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة
قالوا لما نزل «ليغفر لك الله»: هنيئاً
مريئاً فما يفعل بنا فنزل: ﴿لِيُنزِلَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعًا﴾ الآية.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾، يريد أهل
النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة،
﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ طَرَفَ السَّوْدِ﴾، أن لن
ينصر [الله] محمداً والمؤمنين،
﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْدِ﴾، بالعداب
والهلاك، ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ

لَكَ فَمَا تُؤَيِّنَا﴾، قال: فتح الحديدية،
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر، وأطمعوا نخل خيبر، وبلغ
الهدى محله، وظهرت الروم على
فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل
الكتاب على المجوس.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم
من صلح الحديدية، وذلك أن
المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في
قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق
كثير، وكثر بهم سواد الإسلام.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
كَبِيرًا﴾، أي قضينا لك قضاء بيناً. وقال
الضحاك: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير
قتال، وكان الصلح من الفتح المبين،
قيل: اللام في قوله: ﴿لِيَغْفِرَ﴾ لام
كي، معناه إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي
يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في
الفتح. وقال الحسين بن الفضل: هو

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَمَأْتَمَّتْ مَصِيرًا ﴿٧﴾

﴿٧﴾ ﴿وَلَقَدْ جُئْتُمُ الْمَسْجِدَ وَالْأَرْضِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَيْرًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٩﴾ لَتُؤْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غُرُورًا ﴿١٠﴾ أَي تَعِينُوهُ وَتَنْصُرُوهُ، ﴿وَتُؤْتِرُوهُ﴾، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ وهنا وقف، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، أي تسبحوا الله يريد تصلوا له، ﴿بُكْرَةً وَأَمِيرًا﴾، بالغداة والعشي، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَلِيؤْمِنُوا﴾، ويعززوه، ويوقروه، ويسبحوه ﴿بِالْيَأِ﴾ فيهن لقوله: ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء فيهن.

﴿١١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾، يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن يحيى، ثنا يزيد بن زريع، عن خالد، عن الحكم بن عبدالله بن الأعرج، عن معقل بن يسار، قال

لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر. قال أبو عيسى: معنى الحديبيين صحيح بايعه جماعة على الموت، أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفر.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة. قال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة.

﴿فَمَنْ نَكَكَ﴾، نقض البيعة، ﴿فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾، ثبت على البيعة، ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾، قرأ أهل العراق ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو الجنة.

﴿١١﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾

قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة

وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتشاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ يعني البدين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك.

﴿سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَقْلَابَنَا﴾، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ﴿فَأَسْتَفْزِرُ لَكَ﴾، تخلفنا عنك، فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْسَ بِهِنَّ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾، سوءاً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ضَرًّا﴾ بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالرفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه. ﴿وَلَوْ كَانَ اللَّهُ﴾ بِمَا تَمَلَّوْنَ خَيْرًا ﴿﴾.

﴿١٢﴾ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿وَرَبَّتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿وَوَلَّكْنَاكَ ظَنًّا السُّوءِ﴾، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون

قَالَ لِلْمُحَلِّينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أُولَىٰ بِأَبْنِي شَدِيدٍ
 لِقَائِهِمْ أَوْ يُرْسِلُونَهُمْ فَإِنْ نُطِيعُوا يُؤَيِّدُكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
 وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَيْسَ
 عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ اللَّهُ اللَّهُ أَكْبَرُ ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَعَانِدَ
 كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ
 مَعَانِدَ كَثِيرَةً فَأَخَذْتُمَا فَجَعَلَ لَكُمْ هُدًى وَكَفَىٰ أَيْدِي
 النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
 مُسْتَقِيمًا ۝ وَأُخْرَىٰ لَقَدْ تَدْرَأُ وَعَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوْلَا الْأَذْذِيرَاتُمْ لَاجْتَدَرْتُمْ وَلِيَانُوا لَأَنْصِرُوا ۝ سُنَّةَ
 اللَّهِ الَّتِي فَدَحَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 سَبِيلًا ۝

الله، قرأ حمزة
 والكسائي: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾
 بغير ألف جمع كلمة،
 وقرأ الآخرون: ﴿كَلِمَ
 الله، يريدون أن يغيروا
 مواعيد الله تعالى لأهل
 الحديبية بغنيمة خبير
 خاصة.

وقال مقاتل: يعني
 أمر الله نبيه ﷺ أن لا
 يسير منهم أحد، قال ابن
 زيد: هو قول الله عز
 وجل: فإن رجعت الله
 إلى طائفة منهم ﴿فَأَسْتَدْوِكُ
 لِأَخْرُجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ
 أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]،

وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة
 أصحاب مسيلمة الكذاب. قال
 رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية
 ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر
 إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم
 هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر
 رضي الله عنه إلى قتال فارس. وقال
 أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية
 بعد. ﴿فَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا فَإِنْ طَئِبُوا
 يُؤَيِّدُكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾، يعني
 الجنة، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، تعرضوا ﴿كَمَا
 تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، عام الحديبية،
 ﴿يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وهو النار،
 فلما نزلت هذه الآية قال أهل
 الزمالة: كيف بنا يا رسول الله؟

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى
 الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾، يعني في التخلف عن
 الجهاد، ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ
 يَعْذِبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قرأ أهل المدينة
 والشام ﴿ندخله﴾ و﴿نعذبه﴾، بالنون
 فيهما، وقرأ الآخرون بالياء لقوله:
 ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ﴾، بالحديبية
 على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا،
 ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وكانت سمرة.

قال سعيد ابن المسيب: حدثني
 أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ
 ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، قال: فلما خرجنا
 من العام المقبل نسيناها فلم نقدر
 عليها.

وروي أن عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد
 أن ذهب الشجرة، فقال: أين

والأول أصوب، وعليه عامة أهل
 التأويل، ﴿قُلْ لَنْ نَقِيْمُوكُمْ﴾، إلى
 خبير، ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾،
 أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة
 خبير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم
 فيها نصيب، ﴿فَسَيُؤَلِّقُونَ بَلَّ
 تَحْسُدُونَ﴾، أي يمنعكم الحسد من
 أن نصيب معكم الغنائم، ﴿بَلَّ كَأَوْ
 لَا يَقْفَهُونَ﴾، لا يعلمون عن الله ما
 لهم وعليهم من الدين، ﴿إِلَّا
 قَلِيلًا﴾، منهم وهو من صدق الله
 والرسول.

﴿قُلْ لِلْمُحَلِّينَ مِنَ الْأَعْرَابِ
 سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أُولَىٰ بِأَبْنِي شَدِيدٍ﴾، قال
 ابن عباس ومجاهد وعطاء: هم أهل
 فارس. وقال كعب: هم الروم:
 وقال الحسن: فارس والروم. وقال
 سعيد بن جبيرة: هوازن وثقيف.
 وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم
 حنين. وقال الزهري ومقاتل

معه انتظروا ما يكون من أمرهم.
 ﴿وَكَيْفَ تَنْتَهِ قَوْمًا بَرًّا﴾، هلكى لا
 تصلحون لخير.

﴿١٣﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا
 وَاللَّهُ مَنَّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ
 عَزُومًا تَجِيمًا﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ،
 يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن
 الحديبية، ﴿إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ﴾، سرتم
 وذهبت أيها المؤمنون، ﴿إِلَّا مَعَانِدَ
 لِيَأْخُذُوهَا﴾، يعني غنائم خبير،
 ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، إلى خبير تشهد
 معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما
 انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح
 خبير وجعل غنائمها لمن شهد
 الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل
 مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح
 ولم يصيبوا منهم شيئاً، قال الله
 تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ

كانت؟ فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا، فلما كثر اختلافهم قال سيروا، قد ذهبت الشجرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبدالله قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، ثنا حاتم، ثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختياً تحت بطن بعيره.

وردى سالم عن جابر قال: كنا خمس عشرة مائة.

وقال عبدالله بن أبي أوفى: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثمن المهاجرين.

وكان سبب هذه البيعة - على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم - أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له، يقال له

الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس [بمكة] من بني عدي بن كعب أحد يمنعتني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت بحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أباان بن سعد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى تناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، قال بكر بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: بل على ما استطعتم.

وقال جابر بن عبدالله ومعقل بن يسار: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفره فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بني سلمة، قال جابر: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته مستتراً بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، ثنا علي بن أحمد بن نصرويه، ثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبدالحميد الجوني، ثنا محمد بن رمح، ثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

قوله عز وجل: ﴿فَلْيَمَلِكْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من الصدق والوفاء، ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، الطمانينة والرضا، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَنبَهُمْ فَتَعَا قَرِيْبًا﴾، يعني فتح خبير.

﴿وَمَقَانِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَ﴾، من أموال يهود خبير، وكانت خبير ذات عقبار وأموال، فافتسمها رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَقَانِدَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَ﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿فَنَجِّلْ لَكُمْ هُدًى﴾، يعني خبير، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ الَّذِينَ عَنكُمْ﴾، وذلك أن النبي ﷺ

لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذريتهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿وَلَتَكُونَ﴾، كفهم وسلامتكم، ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، يشبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة و يقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ: كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر إليهم، فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم قال: فخرجنا إلى خيبر فأنهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيمهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد - والله - محمد والخميس، فلجأوا إلى الحصن، فلما رأهم رسول الله ﷺ

قال: «الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، أنا أبو علي الحنفي، ثنا عبيد الله بن عبدالمجيد، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إياس بن سلمة حدثني أبي قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم: «تَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا» فثَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا وَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنْ الْأَلَى قَدْ بَغَا عَلَيْنَا» فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» فقال: أنا عامر [قال] غفر لك ربك، قال وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنأدى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا ما متعتنا بعامر، قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول: «قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب» قال: ويرزله عمي عامر، فقال: «قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر» قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر

يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي رضي الله عنه وهو أرمد، فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فأتيت علياً رضي الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال: قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب فقال علي رضي الله عنه: أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كربه المنظرة أوفيهم بالصاع كيل السندرة قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

وروى حديث خيبر [جماعة] سهل بن سعد، وأنس، وأبو هريرة، يزيدون وينقصون وفيه: أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال

الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»، فدعا علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فأتى مدينة خيبر، فخرج مرحب، صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز، فبرز إليه علي فضربه فعدّ الحجر والبيضة والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بنت عبدالمطلب: أو يقتل ابني يا رسول الله؟ قال: لا بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ويحوز الأموال.

قال محمد بن إسحاق: وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة ألفت عليه اليهود حجراً فقتله، ثم فتح العموص، حصن بن أبي الحقيق، فأصاب منه سبايا، منهم صفية بنت حبي بن أخطب، جاء بلال بها وبأخرى معها، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف

المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرأ وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها، فأتى رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو، فأخبرته هذا الخبر وأتى رسول الله ﷺ بزوجه كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضر فسأله، فحجده أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ إنني قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك؟» قال: نعم.

فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحضرت، فأخرج منها بعض كتزهم، ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن عليه، ثنا عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتى لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذ حتى إنني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، قالها ثلاثاً، قال: وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قال عبدالعزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس يعني الجيش، قال: فأصبنا غنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا نبي الله ﷺ أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حبي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ﷺ أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها.

فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها فتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، وبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء

بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السوق، قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا عبدالواحد ثنا الشيباني قال: سمعت ابن أبي أوفى يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خبير، فلما كان يوم خبير وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرتناها، فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ اكفثوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً. قال عبدالله [ابن أبي أوفى]: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ عنها لأنها لم تخمس.

وقال آخرون: حرمتها البتة. وسألت عنها سعيد بن خبير فقال: حرمتها البتة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن حبيب الحارثي، أنا خالد بن الحارث، ثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت أن أقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك، أو قال علي» قال: قالوا ألا تقتلها يا رسول الله؟ قال: «لا» وتجاوز عنها رسول الله ﷺ، قال:

فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن إسماعيل: قال يونس: عن الزهري قال عروة، قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن بشار، أنا حرمي، أنا شعبة قال أخبرني عمارة، عن عكرمة، عن عائشة قالت: لما فتحت خبير قلنا: الآن نشبع من التمر.

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن المقدم، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خبير أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: نتركهم على ذلك ما شئنا، فأقروا حتى أجلاهم عمر في أمارته إلى تيماء وأريحاء.

قال محمد بن إسحاق: فلما سمع أهل فدك بما صنع

رسول الله ﷺ بخبير بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. ثم إن أهل خبير سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، ففعل على أنا إذا شئنا أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خبير للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسممت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر عنها، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

قال: ودخلت أم بشر [بن] البراء على رسول الله ﷺ تعودته في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «يا أم بشر ما زالت أكلة خبير التي أكلت بخبير مع

ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري.

وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأُخْرِي لَوْ تَقَدَّرُوا عَلَيَّا﴾، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر، وعدّها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة: هي مكة.

وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوها حتى اليوم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّي مَنًّا قَبِيلاً﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَاكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، ﴿لَوَلَّوْا الْأَنْبُرَ﴾، لانهمزوا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِيَاءً وَلَا نَصِيحاً﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الآخرون بالياء،

واختلفوا في هؤلاء.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على

رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، وأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

وقال عبدالله بن مغفل المزني: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، على ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: جئتم في عهد أو جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: اللهم

سورة الفتح

سورة الفتح

﴿٢١﴾ ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَمَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

٥١٤

لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ أَلَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالاً: خرج رسول الله ﷺ من المدينة زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، يريدون زيارة البيت، لا يريدون قتالاً، وساق معه سبعين بدنةً، والناس سبعائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره، وبعث عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطا قريبا من عسفان، أنه عتبة الخزاعي وقال: إن قريشاً جمعوا لك جمعوا وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلونك

وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس، أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه»، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله، فنفروا، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء فقال النبي ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمت الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياه، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتربضه الناس ترئضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكى الناس إلى النبي ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ، فنزل في البئر فغرز في جوفه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما

هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوز المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلو بيني وبين البيت، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا قد جمؤا، وإن هم أبو فول الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره»، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال فقال سفاهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أي قوم أأست بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني بشيء من أمر محمد؟ قالوا: لا، قال: أأستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتمكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا [الرجل] قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: آتته، فاتاه فجعل يكلم

النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: يا محمد أ رأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لا أرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر الصديق: امصص بظر اللات، أنحن نمر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبه قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبه، فقال: أي غدر أأست أسمى في غدرتك، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال:

أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا ترضاً كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحذون إليه النظرة تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتة، فقالوا: آتة، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له»، واستقبله الناس يلبثون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت؟ فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُذُنْ قد قُلِّدَتْ وأشعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدَّوْا عن البيت، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدى في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش إنني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس إنما أنت رجل أعرابي لا علم لك،

فغضب الحليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتة، فقالوا: آتة، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ فيبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال عكرمة فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد سهل لكم من أمركم»، قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ لعلي: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله، فقال رسول الله ﷺ: «والله إنني لرسول الله وإن كذبتهموني، اكتب يا علي محمد بن عبدالله».

قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو واصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض، فقال له النبي ﷺ: وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به، فقال سهيل: والله لا نخلي بينكم وبينه في هذا العام لربما تتحدث العرب إننا أخذنا ضغطة منكم ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك مئاة رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا: لو نعلم إنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبدالله، قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله» ثم قال لعلي رضي الله عنه: «أمح أمح رسول الله»، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: «فأرنيه» فأراه إياها، فمحاها النبي ﷺ بيده وفي رواية فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبدالله، قال البراء: صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين ردّه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردّه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بحلبان السلاح السيف والقوس ونحوه.

وروي ثابت عن أنس: أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فاشترطوا: إن من جاءنا منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: «نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً، ومخرجاً».

رجعنا إلى حديث الزهري قال: فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أفاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجزه لي»، فقال: فما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهل يجره ليرده إلى قريش، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأنا لا نغدر» فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل، فقال: اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به

أباه ففضن الرجل بأبيه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم.

قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ.

قال الزهري في حديثه عن عروة عن مروان والمصور، ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت النبي ﷺ، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نُعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي في البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلم نُعطي الدنية في ديننا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدئك وتدعو حالكك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حلقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضاً غمّاً وحزناً.

قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين». قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: «والمقصرين»، قالوا: يا رسول الله فلم تظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال «لأنهم لم يشكوا».

قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت.

قال ابن عباس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيط المشركين بذلك.

وقال الزهري في حديثه: ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى:

فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجانني الله منهم، فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وبلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعتراضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقدموا عليه بالمدينة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَدَى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَالْيَدِيَّاتُ عَنْهُمْ يُبْطِنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حتى بلغ ﴿حِيَمَةَ الْجَبْهَاتِ﴾، وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقرأوا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت.

﴿٢٥﴾ قال الله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿وَمَدُّكُمْ عَنِ السَّجِدِ الْحَرَامِ﴾، أن تطوفوا به. ﴿وَالْقُدَى﴾، أي وصدوا الهدى وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿مَعَكُوفًا﴾،

محبوساً، يقال: عكفته عكفاً إذا حبسته وعكوفاً للآزم، كما يقال: رجع رجعاً ورجوعاً، ﴿أَنْ يَبْلُغَ بِحَلْمٍ﴾، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿وَلَوْلَا رِيَالٌ مُؤَهَّنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤَمِّنَاتٌ﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿لَرَّ تَلْمُؤُهُمْ﴾، لم تعرفوهم، ﴿أَنْ تَقُولُوهُمْ﴾، بالقتال وتوقعوا بهم، ﴿فَتَضَيَّبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ يَمْتَرِ عَلَيْهِمْ﴾، قال ابن زيد: معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرٌ رِقَبًا مِمَّا مَوْسُوفًا﴾ [النساء: ٩٢]. وقيل: هو أن المشركين يعيبنكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطوا رجلاً مؤمناً ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ نِسَاءٍ﴾، فالسلام في «ليدخل» متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿لَعَدَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل العلم: «لعبنا» جواب لكل من الآيتين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾، حتى بلغ ﴿بِصِيحِّ الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠]، فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان، الأخرى صفوان بن أمية، قال: فنهاهم أن يردوا النساء، وأمر بردة الصداق، قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد، رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهري بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم قدما على رسول الله ﷺ وقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر وإنه الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»، ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الخليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستله الآخر من غمده، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جريت به ثم جريت به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأخذه وعلا به فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: «ويلك مالك؟» قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول،

﴿٢٥﴾ قال الله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿وَمَدُّكُمْ عَنِ السَّجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي وصدوا الهدى وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿مَعَكُوفًا﴾،

أحدهما: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾، والثاني: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، ثم قال: ﴿لِيَتَجَلَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

﴿٢٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَمِيَّةً، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿حِيَّةٌ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، التي دخلت قلوبهم، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعضوا الله في قتالهم، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وابن زيد وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله» وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً.

وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحيم الرحيم. ﴿وَكَانُوا أَعْيُنًا﴾، من كفار مكة، ﴿وَأَهْلَهَا﴾، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِفُ نَفْسَهُ عَلَيْهَا﴾.

﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، وذلك أن النبي ﷺ أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمينين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم دخلوا مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

وروي عن مجمع بن جارية الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباغر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، قال فخرجنا نوجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فقال عمر: أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده.

ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جل ذكره: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾، أخبر أن الرؤية التي أراها

إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق. قوله ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ يعني وقال: لتدخلن.

وقال ابن كيسان: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تادباً بآداب الله، حيث قال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ [الكهف: ٢٣]. وقال أبو عبيدة: ﴿إِنْ﴾ بمعنى إذ مجازة: إذ شاء الله، كقوله ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٩١]، وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك.

كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»، فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إله إلا الله إلى الموت. ﴿مُخْلِطِينَ رُءُوسَكُمْ﴾، كلها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾، بأخذ بعض شعورها، ﴿لَا تَحَاوِرُوا قَوْمًا مَا لَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ رُءُوسَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الآية. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام،



بالذي ترون لكنه سيماء
الإسلام وسجيته وسمته
وخشوعه، وهو قول
مجاهد: والمعنى: أن
السجود أورثهم الخشوع
والسمت الحسن الذي
يعرفون به.

وقال الضحاك: هو
صفرة الوجه من السهر.
قال الحسن: إذا رأيتهم
حسبتهم مرضى وما هو
بمرضى.

قال عكرمة وسعيد بن
جبير: هو أثر التراب على
الجباه. قال أبو العالية
لأنهم يسجدون على

التراب لا على الأثواب. وقال عطاء
الخراساني: دخل في هذه الآية كل
من حافظ عل الصلوات الخمس.
«ذَلِكَ»، الذي ذكرت، «مَنْهُمْ»،
صفتهم «فِي التَّوْبَةِ»، ههنا تم
الكلام ثم ذكر نعمتهم في الإنجيل،
فقال: «وَتَأْتِيَهُمْ»، صفتهم، «فِي
الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطَطَهُمْ».

قرأ ابن كثير وابن عامر: شَطَطَهُ
بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها
وهما لغتان كالنَهْر والنَهْر، وأراد
فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو
مشطى، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو
نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو
شطؤه.

وقال السدي: هو أن يخرج معه
الطاقة الأخرى. قوله: «فَتَأْتِيَهُمْ»،
قرأ ابن عامر: «فَأَزْرَهُ» بالقصر
والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشد
أزره، «فَأَسْتَقْلَطُ»، ذلك الزرع،

﴿فَتَمَّا قَرَيْبًا﴾، وهو صلح الحديبية
عند الأكرين، وقيل: فتح خيبر.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على أنك
نبي صادق صالح فيما تخبر.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، تم
الكلام ههنا، قال ابن عباس، شهد
له بالرسالة، ثم قال مبتدأ «وَالَّذِينَ
مَعَهُ»، قالوا: وفيه واو الاستئناف
أي والذين معه من المؤمنين، «أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ»، غلاظ عليهم كالأسد
على فريسته لا تأخذهم فيهم رافة،
«رَحْمَةً بَيْنَهُمْ»، متعاطفون متوادون
بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد،
كما قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفُ عَلَى
الْكَافِرِينَ» [المائدة: ٥٤]: «تَرْتَبُهُمْ
رُكُوعًا سُجَّدًا»، أخبر عن كثرة صلاتهم
ومداومتهم عليها، «يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنْ
اللَّهِ»، أن يدخلهم الجنة،
«وَرِضْوَانًا»، أن يرضى عنهم،
«سِيمَانًا»، أي علامتهم، «فِي
وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ».
اختلفوا في هذا السيماء.

فقال قوم: هو نور وبياض في
وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم
سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية
العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن
أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت
وجوههم من كثرة ما صلوا.

وقال شهر بن حوشب: تكون
مواضع السجود من وجوههم كالقمر
ليلة البدر.

وقال آخرون: هو سمت الحسن
والخشوع والتواضع. وهو رواية
الواليبي عن ابن عباس قال: ليس

﴿فَأَسْتَوَىٰ﴾، أي تم وتلاحق نياته
وقام، «عَلَى سُوقِهِم»، أصوله «يُصْجِبُ
الزَّرْعَ»، أعجب ذلك زراعه، هذا
مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب
محمد ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون
قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون.

قال قتادة: مثل أصحاب
رسول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب
أنه سيخرج قوم ينتنون نبات الزرع
يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر. وقيل: الزرع محمد والشطء
أصحابه والمؤمنون.

وروي عن مبارك بن فضالة عن
الحسن قال: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ» أبو بكر الصديق رضي الله
عنه، «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، «رَحْمَةً
بَيْنَهُمْ» عثمان بن عفان رضي الله
عنه، «تَرْتَبُهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا» علي بن
أبي طالب رضي الله عنه، «يَتَّبِعُونَ

فَقَبَلًا مِنَ اللَّهِ بِقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ
بِالْجَنَّةِ.

وقيل: ﴿كَرْبَعٌ﴾ محمد ﴿أَخْرَجَ
شَقَطَهُ﴾، أبو بكر ﴿فَأَزَادَهُ﴾ عمر
﴿فَأَسْتَقْلَطَ﴾ عثمان للإسلام
﴿فَأَسْتَوَى عَلَى سُرْوَيْهِ﴾ علي بن أبي
طالب استقام الإسلام بسيفه،
﴿يَجِبُ الزَّرَّاقُ﴾ قال: هم المؤمنون
﴿لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾، قول عمر
لأهل مكة بعدما أسلم: لا
تعبدوا الله سراً بعد اليوم.

حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد
الشجاعى السرخسى املاءً، أنا أبو
بكر عبدالله بن أحمد القفال، ثنا أبو
أحمد عبدالله بن محمد الفضل
السمرقندى، ثنا شيخى أبو عبدالله
محمد بن الفضل البلخى، ثنا أبو
رجاء قتيبة بن سعيد، ثنا
عبدالعزیز بن محمد الدراوردي، عن
عبدالرحمن بن حميد، عن أبيه، عن
عبدالرحمن بن عوف: أن
النبي ﷺ قال: «أبو بكر فى الجنة،
وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة،
وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة،
والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن
عوف فى الجنة، وسعد بن أبى
وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى
الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى
الجنة».

حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد
التميمي، أنا أبو محمد
عبدالرحمن بن عثمان بن قاسم، ثنا
خيشمة بن سليمان بن حيلدة
الطرابلسى، ثنا أحمد بن هاشم
الأنطاكي، ثنا قطبة بن العلاء، ثنا
سفيان الثوري، عن خالد الحذاء،

عن أبى قلابة، عن أنس بن مالك،
عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتى
[بأمتى] أبو بكر، وأشدهم فى
[أمر] الله عمر، وأصدقهم حياة
عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت،
وأقراهم أبى بن كعب، وأعلمهم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل،
ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو
عبيدة بن الجراح».

ورواه معمر عن قتادة مرسلأ
وفيه: «وأفضاهم علي».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا معلى بن
أسد، ثنا عبدالعزيز بن المختار قال
خالد الحذاء، ثنا عن أبى عثمان قال
حدثني عمرو بن العاص أن
النبي ﷺ بعثه على جيش ذات
السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي
الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»،
فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»،
قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن
الخطاب»، فعد رجالاً فسكت مخافة
أن يجعلني فى آخرهم.

أخبرنا أبو منصور عبدالملك وأبو
الفتح نصر بن الحسين، ابنا علي بن
أحمد بن منصور محمد بن
الحسين بن شاذويه الطوسي بها،
قالا: ثنا أبو الحسن محمد بن
يعقوب، نا الحسن بن محمد بن
أحمد بن كيسان النحوي، ثنا أبو
إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدي،
ثنا إبراهيم بن إسماعيل هو
ابن يحيى بن سلمة بن كهيل، ثنا
أبى عن أبيه عن سلمة عن أبى

الزعراف عن ابن مسعود عن النبي ﷺ
أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي
من أصحابي: أبى بكر وعمر،
واقتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بهمد
عبدالله بن مسعود».

أخبرنا أحمد بن عبدالله
الصالحى، أنا أبو الحسين علي بن
محمد بن عبدالله بن بشران، أنا
إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا
أحمد بن منصور الرمادى، ثنا
عبدالرزاق، أنا معمر عن أبى حازم،
عن سهل بن سعد أن أحداً ارتج
وعليه النبي ﷺ وأبو بكر [وعمر]
وعثمان، فقال النبي ﷺ: «أثبت
أحد ما عليك إلا نبى أو صديق أو
شهيد».

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن
محمد الداودي، أنا أبو الحسن
أحمد بن محمد بن موسى بن
الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن
عبدالصمد الهاشمى، ثنا أبو سعيد
الأشج، أنا وكيع، ثنا الأعمش، عن
عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش،
عن علي قال: عهد إلي النبي ﷺ أنه
لا يُحِبُّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا
منافق.

أخبرنا أبو المظفر التميمي، أنا
عبدالرحمن بن عثمان، أنا خيشمة بن
سليمان، ثنا محمد بن عيسى بن
حيان المدائني، ثنا محمد بن
الفضل بن عطية، عن عبدالله بن
مسلم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه
عن النبي ﷺ قال: «من مات من
أصحابي [بأرض] كان نورهم
وقائدهم يوم القيامة».

قوله عز وجل: ﴿لِيَنْظُرَ بِهِمُ
الْكُفَّارُ﴾، أي إنما كثرهم وقواهم
ليكونوا غيظاً للكافرين.

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي، ثنا أبو معمر الفضل بن إسماعيل بن إبراهيم الإسماعيلي أنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ثنا أخيرني الهيثم بن خلف الدوري، ثنا المفضل بن غسان بن المفضل الغلابي، ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، ثنا عبيدة بن أبي رابطة عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

حدثنا أبو المظفر بن محمد بن أحمد بن حامد التميمي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم، أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، ثنا إبراهيم بن عبدالله العبيسي القصار بالكوفة، أنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أبو عبدالله محمد بن الحسين الزعفراني، ثنا أبو محمد عبدالله بن عروة، ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إشكاب، ثنا شيبان بن سوار، ثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خباب عن أبي سليم الهمداني، عن أبيه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سررك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً ينتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، نيزهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»، في إسناد هذا الحديث نظر، قول الله عز وجل: ﴿رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِمَثَلِهِمْ﴾، قال ابن جرير: يعني من الشطاء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم وقول على معنى الشطاء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه ﴿مَفْتَرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني الجنة والله أعلم.



سورة الحجرات

مدنية وهي ثمان عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ يعقوب: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ بفتح التاء والدال، من التقدم أي لا تقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم، مثل بين وتبين، وقيل: هو متعد على ظاهره، والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا

القول والفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين اليدين الأمام، والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما، واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في النبح يوم الأضحى، وهو قول الحسن، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا النبح.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن حرب، ثنا شعبة، عن زبيد، عن الشعبي، عن الجراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فنحرق، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء».

وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام بن يوسف أن ابن جرير أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبدالله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر

القعقاع معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت.

ورواه نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة، قال: فنزلت: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وزاد: قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

ولم يذكر عن أبيه، يعني أبا بكر. وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وُضِعَ في كذا وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله.

﴿وَأَلِّمُوا اللَّهَ﴾، في تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾، لأقوالكم، ﴿عَلِمٌ﴾ بأفعالكم.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿أَنْ تَحْطَ أَعْمَلُكُمْ﴾، لثلاث تحبط حسناتكم، وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل [بن] عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا الحسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ [عنه] سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو وما شأن ثابت أشتكى؟» فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال: فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة».

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون [من] أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، وغلب ثابتاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبدالله بن أبي [ابن] سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي فشدي عليّ الضربة بمسمار [فضرته بمسمار] وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ، فأتى عاصم

رسول الله ﷺ، فأخبره خبره فقال له: اذهب فادعه، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: كسر الضب فكسرها، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» قال: أنا صبيح وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟» فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُفَضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا. فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب، رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم، فقال: أف لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتنا وقانلاً حتى قتلنا.

واستشهد ثابت وعليه درع فرأه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يسير به في طوليه وقد وضع على درعي برمة، فأبى خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي،

لمؤتى له والله ما أدري هذا الأمر
تكلم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن
من خطيبنا قولاً، وتكلم شاعرنا
فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولاً،
ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن
لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال
له النبي ﷺ: «ما يضرك ما كان قبل
هذا»، ثم أعطاهم رسول الله ﷺ
وكساهم، وكان قد تخلف في
ركابهم عمرو بن الأهتم لحدادة
سنه، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما
أعطاهم، وأزرى به بعضهم وارتفعت
الأصوات وكثر اللغط عند
رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ الْآيَاتِ
الْأَرْبَعِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَفْوٌ رَجِيمٌ﴾.

وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من
العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم
لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل
فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به،
وإن يكن ملكاً نعش في جناحه،
فجاؤوا ففعلوا ينادونه: يا محمد يا
محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ
رَجِيمٌ.

قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾،
الآية.

نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي
مُعيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني
المصطلق بعد الوقعة مصدقاً، وكان
بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما
سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر
رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم

يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق
إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني
المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا
قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم
أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه فاتوا
رسول الله ﷺ، وقالوا: يا
رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا
نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من
حق الله عز وجل، فبدا له الرجوع،
فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب
جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا
نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله،
فاتهمهم رسول الله ﷺ، وبعث
خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر
وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه،
وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما
يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة
أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل
فيهم ما تستعمل في الكفار، ففعل
ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان
صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ
منهم صدقاتهم، ولم ير منهم إلا
الطاعة والخير، فانصرف إلى
رسول الله ﷺ وأخبره الخبر،
فأنزل الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يَعْنِي الْوَلِيدَ بْنَ
عُقْبَةَ، ﴿بِنَبَأٍ﴾، بخبر، ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن
فُصِّحُوا﴾، كي لا تصيبوا بالقتل
والقتال، ﴿قَوْمًا﴾، براء، ﴿يَجْهَلُونَ
فُصِّحُوا عَلَيَّ مَا قَلَّمْتُمْ نَوَائِبَ﴾، من
إصابتكم بالخطأ.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو
تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه
أحوالكم فتفتضحوا، ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾،
أي الرسول، ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَرِ﴾،

مما تخبرونه به فيحكم برأيكم،
﴿لَأَمِنتُمْ﴾، لأثمتم وهلكتم، والعنت:
الإثم والهلاك. ﴿وَلَا يَكُنْ اللَّهُ جَبَّ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ﴾، فجعله أحب الأديان
إليكم، ﴿وَوَرَّانَكُمْ﴾، حسنه ﴿فِي
قُلُوبِكُمْ﴾، حتى اخترتموه، وتطيعوا
رسول الله ﷺ، ﴿وَوَرَّانَكُمْ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ﴾، قال ابن عباس: يريد
الكذب، ﴿وَاللِّصْيَانَ﴾، جميع
معاصي الله، ثم عاد من الخطاب
إلى الخبر، وقال: ﴿أَوْلَيْتُكُمْ
الرَّشِدُونَ﴾، المهتدون.

﴿فَضَلَّ﴾، أي كان هذا
فضلاً، ﴿بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِحِكْمِهِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَكُنْ طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آفْتَتَا فَاَصْلَحَا﴾،
الآية.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا
معتمر قال: سمعت أبي يقول: إن
أنساً قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت
عبد الله بن أبي، فانطلق إليه
النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق
المسلمون يمشون معه، وهي أرض
سبخة، فلما أتاهم النبي ﷺ فقال:
إليك عني، والله لقد آذاني نتن
حمارك، فقال رجل من الأنصار:
والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب
ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل
من قومه فتشامتا، فغضب لكل واحد
منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب
بالجريد والأيدي والنعال، فلغنا أنها
نزلت: ﴿وَلَا يَكُنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَفْتَلَرُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمْ .

ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض .

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لأخذن حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن بينهما قتال بالسيف .

وقال سفيان عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى عليه وحيسها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا، وجاء قومه فاقتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَإِن طَلَقْنَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَرُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمْ ﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿ فَإِن بَكَتْ إِمْدَنُهُمْ ﴾، تعدت إحداهما، ﴿ عَلَى الْأَعْرَافِ ﴾، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿ فَفَتَلَرُوا أَلَيْ تَبْقَىٰ فَحَنَ فَعَجْ ﴾، ترجع، ﴿ إِنَّكَ أَمْرٌ أَلَلِي ﴾، في كتابه وحكمه، ﴿ فَإِن فَاءَ ﴾، رجعت إلى الحق، ﴿ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْمَدْلِيِّ ﴾، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿ وَأَقْبَلُوا ﴾، اعدلوا، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، في السدين والولوية، ﴿ فَاصْلِحُوا بَيْنَ لَحْوِكُمْ ﴾، إذا اختلفا واقتتلا، قرأ يعقوب ﴿ بَيْنَ لَحْوِكُمْ ﴾ بالثناء على

الجمع، ﴿ وَارْتَأُوا اللَّهَ ﴾، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿ لَمَلَكُؤُا رُحْمُونَ ﴾ .

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا محمد بن سعيده، ثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة ففرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين .

يدل عليه ما روي عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا من الشرك فرؤا، فقيل: منافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا .

والبغي في الشرع هو الخارج على الإمام العدل، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل، ونصبوا إماماً فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيتهم

قاتلهم الإمام حتى يفيتوا إلى طاعته، ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم، نادي منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل: ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح .

وأتي علي رضي الله عنه يوم صفين بأسير فقال له: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين .

وما أتلفت إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها .

قال ابن شهاب: كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول، وأتلف فيها أموال كثيرة، ثم صار للناس إلى أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم، فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أتلفه .

أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماماً فلا يتعرض لهم إن لم يتصبا قتالاً ولم يتعرضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطاع الطريق .

رؤي أن علياً سمع رجلاً يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلا لله تعالى، فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث: لا نهنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا تمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبذوكم بقتال .

﴿ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾: ﴿ يَكْفُرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُخَفِّرُ قَوْمَهُ ﴾، الآية .

للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر . وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك . قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير .

وروي عن ابن عباس: قال: «التنايز بالألقاب» أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله، ﴿بَشَّ الْأَنْفُسُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، أي بشس الاسم أن يقول يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنيز فهو فاسق، وبشس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَبْشُ﴾، من ذلك، ﴿قَوْلِكَ﴾ مُمُ الظالمون .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ .

قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيئاً، فلما قدما قال له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا غلبتني عيناى، قال له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال

غمز ثابت الرجل، فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان، فقال له ثابت: ابن فلانة، وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذي ذكرناهم، كانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب النبي ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاء حالهم،

فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ﴾ أي رجال من رجال، و«القوم» اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَسَاءَلُونَ عَنْ قَوْلِهِمْ إِنِ بَدَأُوا بِحَدِيثَةٍ فَحَرِّمُوا لَهَا إِلَىٰ يَوْمِ يُحْكَمُ فِيهَا﴾ .

روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيرن أم سلمة بالقِصر .

وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين .

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي لا يعب بعضكم بعضاً، ولا يطعن بعضكم على بعض، ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، التنايز التفاعل من النيز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به . قال عكرمة: وهو قول الرجل

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمَسُوا وَلَكِن قُولُوا آمَنَّا وَلَسْنَا نَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِكُمْ مِّنْ عَمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَصَلِّمُوا اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السُّنُونِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آمَنُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِذْ سَلِمْتُمْ كَيْلَ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ الْإِيمَانُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ الْبَصِيرُ ﴿١٨﴾

قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم، فضع كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً يجلس فيه قام قائماً كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: الرجل تفسح، فقال الرجل: قد أصبت مجلساً فأجلس، فجلس ثابت خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة

له رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد، وقل له: إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك» وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ على رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة طعام ولكن بخل، فبعنا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالوا: لو بعناك إلى بشر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاء إلى رسول الله قال لهما: «مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما» قالوا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: «بل ظلمتم تأكلون لحم سلمان وأسامة» فأنزل الله عز وجل: ﴿تَأْتِيهِمُ اللَّيْلُ نَائِمًا لَمْ يُحَاسِبُوا كَيْفًا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

وأراد أن يظن بأهل الخير سوءاً، ﴿إِنَّكَ بَعْضُ النَّاسِ الْفَاسِقُونَ﴾، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما: إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر: ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوارثهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم

والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً».

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أنا عبدالله بن ناجية، ثنا يحيى بن أكثم، أنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد، عن أوفى بن دلهم، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه، ولا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك.

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيئاً نأخذه به. ﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، يقول: لا يتناول بعضهم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقفي، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا

عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنذرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو الطاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الجلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا: لا يأكل حتى يطعم، ولا يرحل حتى يرحل، فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه»، فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه».

قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ لَكُم مِمَّا كَفَرْتُمْ شِرْكٌ﴾، أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهوه، قال مجاهد: لما قيل لهم ﴿أَلَيْسَ لَكُم مِمَّا كَفَرْتُمْ شِرْكٌ﴾ قالوا: لا، قيل: ﴿تَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً. قال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي،

وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية وتكبرها بأبائها [وفخرها بالآباء وتكبرها]، إنما الناس رجلان برُّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، ثم تلا ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، ثم قال: أقول قولِي هذا واستغفر الله لي ولكم».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن ابن سلام، ثنا عبدة بن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عمرو الناقد، ثنا كثير بن هشام، ثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَا مَنَّا﴾، الآية.

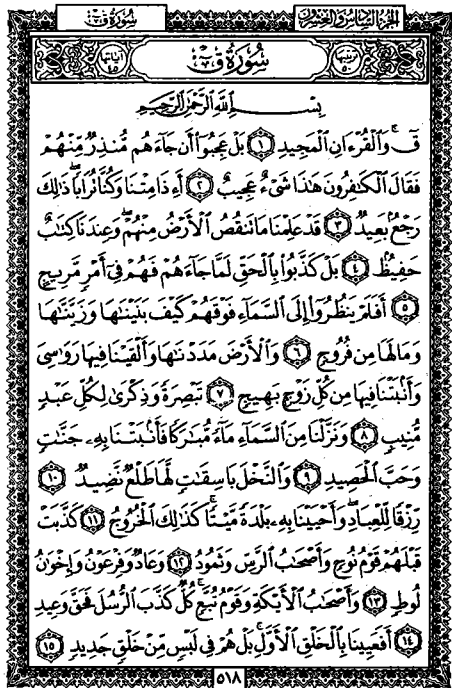
نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعدرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتنتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجنتك بالأنفال والعيال والذري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَا مَنَّا﴾ صدقنا، ﴿قُل لَّمْ نَزِمْنَا وَلَكِنْ قَوْلًا أَسَلْنَا﴾، انقذنا استسلمنا مخافة القتل والسيب، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن غرير الزهري، ثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب أخبرني عامر بن سعد عن أبيه قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطاً

وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ فيهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إلي، فقامت إلى رسول الله فساررتة، فقلت: مالك عن فلان والله إنني لأراه مؤمناً، قال: «أو مسلماً» قال: فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إنني لأراه مؤمناً قال: «أو مسلماً» فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إنني لأراه مؤمناً قال: «أو مسلماً» قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار علي وجهه».

فالإسلام هو الدخول إلى السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأصاف إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان، والأبدان والجنان، كقوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْتُ لِرَبِّي الْعَلِيِّ﴾ [البقرة: ١٣١]، ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ قَوْلًا أَسَلْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانية. قال ابن عباس تخلصوا الإيمان، ﴿لَا يَلْتَكِبُ﴾ قرأ أبو عمرو «يا لتكم» بالالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَمْتُمْ﴾ [الطور: ٢١] والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يالت ألتا ولات يليت ليتاً إذا نقص،



﴿١٧﴾ **يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ**
اسْتَمَوْا قَدْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ
اسْتَمَكْرًا، أي بإسلامكم،
بَلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكَ أَنْ
هَدَيْتَهُمُ لِلْإِيمَانِ، وفي
 مصحف عبدالله **إِذَا**
هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، وإن
كُنْتُمْ صَادِقِينَ، إنكم
 مؤمنون.

﴿١٨﴾ **إِنَّ اللَّهَ يَمَآكَ عَيْبٌ**
السَّنَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرَتِكُمْ
يَمَا تَعْمَلُونَ، قرأ ابن كثير
يَعْمَلُونَ، بالياء وقرأ
 الآخرون بالياء.

سورة ق

مكية وهي خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ **قَ** قال ابن عباس: هو
 قسم، وقيل: هو اسم للسورة،
 وقيل: هو اسم من أسماء القرآن.
 وقال القرظي: هو مفتاح اسمه
«القدِير» و**«القادر»** و**«القاهر»**
والقريب» و**«القابض»**، وقال عكرمة
 والضحاك: هو جبل محيط بالأرض
 من زمردة خضراء، منه خضرة
 السماء، والسماء مقبية [عليه]، عليه
 كتفاهها، ويقال هو وراء الحجاب
 الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة
 سنة، وقيل: معناه قضي الأمر أو
 قضي ما هو كائن كما قالوا في
«حم» [السجدة: ١]. و**«الفرقان»**
الْمَجِيد»، الشريف الكريم على الله
 الكثير الخير واختلفوا في جواب هذا

القسم، فقال أهل الكوفة جوابه بل
 عجبوا وقيل جوابه محذوف،
 مجازة: والقرآن المجيد لتبعثن.
 وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول.
 وقيل: قد علمنا، وجوابات القسم
 سبعة إن الشديدة كقوله: **«وَالْفَجْرِ»**
وَالْيَالِ عَشْرِ» **«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ»**
 [الفجر: ١٤] وما النفي كقوله:
«وَالضُّحَى» **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى»** ما
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» [الضحى: ١
 ٣]، واللام المفتوحة كقوله:
«فَوَيْلٌ لِلْيَكْتَسِبَةِ لَعْنَةُ أَجْمَعِينَ»
 [الحجر: ٩٢] وإن الخفيفة كقوله
 تعالى: **«إِنْ كُنَّا لِنَافِلِي صَلَاتِي مُبِينِينَ»**
 [الشعراء: ٩٧] ولا كقوله:
«وَاقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ
اللَّهُ مِنْ بَعْدِي نَبِيًّا» [النحل: ٣٨]،
 وقد كقوله تعالى: **«وَالشَّمْسِ**
وَضْحَاكُمَا» **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»**
 [الشمس: ١ و ٩]، ويل كقوله:
«وَالْفَرَّانِ الْمَجِيدِ».

﴿٢﴾ **بَلِ عِمْيَٰرَ أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ**
 مخوف، **«وَيَنْهَهُمْ»**، يعرفون نسبه
 وصدقه وأمانته، **«فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا**
شَيْءٌ عَجِيبٌ»، غريب.
 ﴿٣﴾ **«أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا رَبَابًا»**، نبعت
 ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه،
«ذٰلِكَ رَجَعٌ»، أي رد إلى الحياة
«بَعِيدٌ»، وغير كائن أي يبعد أن
 نبعث بعد الموت.

﴿٤﴾ قال الله عز وجل: **«قَدْ عَلِمْنَا**
مَا تَفْقُسُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ»، أي ما تاكل
 من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا
 يعزب عن علمه شيء. قال السدي:
 هو الموت، يقول: قد علمنا من
 يموت منهم ومن يبقى، **«وَعِدْنَا**

مَنْ آمَنَّاكُمْ شَيْئًا»، أي لا ينقص
 من ثواب أعمالكم شيئاً، **«إِنَّ اللَّهَ**
عَفُورٌ رَحِيمٌ»، ثم بين حقيقة الإيمان.
 ﴿٥﴾ **فَقَالَ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ**
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا»،
 لم يشكوا في دينهم، **«وَرَحَهُدُوا**
يَأْمُرِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّالِحُونَ»، في إيمانهم، فلما
 نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب
 رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم
 مؤمنون صادقون، وعرف الله غير
 ذلك منهم.

﴿٦﴾ **فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ**
أَعْلَمْتُمْ أَنَّكُمْ بِدِينِكُمْ»، والتعليم
 ههنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال
 بدينكم وأدخل الباء فيه، يقول:
 أنخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه،
«وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السُّكُوتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُلُّ مَنَ وَعَلَيْكُمْ»، لا
 يحتاج إلى إخباركم.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ قَانُونَٓ بِهِ ۖ فَسَسِّرْهُ وَمُنِ أَرْبَابَ إِلَهِهِ
 مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۖ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدًا
 ١٥ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ ۗ وَمَجَاتَ سَكْرَةً
 الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۗ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيذًا ۗ وَيَفْجُرُ فِي الصُّورِ ذَلِكَ
 يَوْمَ الْوَعِيدِ ۗ وَهَاتَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقًا وَنَجِيدًا ۗ لَقَدْ
 كُنْتَ فِي عَقْلٍ مِّنْ هَذَا ۖ كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فُصِّرْكَ الْيَوْمَ حُوْدًى
 ١٦ ۗ وَقَالَ رَبُّهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كِفْلًا
 عِينِي ۗ مَتَاعٌ لِلْعَذَابِ مُعَذِّبٌ ۗ رَبِّهِ ۗ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 مَا خَرَفَ الْيَقِيْنَ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۗ قَالَ رَبُّهُ رَبَّنَا مَا آخِذُنَا
 وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۗ قَالَ لَا تَخْضَعُوا لِلدِّينِ وَقَدْ كَفَرْتُمْ
 ١٧ إِلَيْكَ يَا رَبُّ عِيدِ ۗ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِّلْعِيدِ ۗ
 يَوْمَ يَقُولُ لِرَبِّهِمْ هَلْ آتَيْنَاكَ مِنْ قَبْلُ مِنْ مَّرْيَدٍ ۗ وَأَلْفَيْتَ
 الْجِنَّةَ الْمُتَفِينِ عَرَبِيْدِ ۗ هَذَا مَا مَوْعِدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيظٍ
 ١٨ ۗ مَنْ حَسِبَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيْبَ وَمَجَاتَ بَلْبٍ مُّبِيْبٍ ۗ أَذْخَلُوْهَا
 ١٩ سَكْرَتِكَ يَوْمَ الْخُلُوْدِ ۗ لَمْ يَأْمَنَّا وَنَافِيَا وَآلِدِيْنَا مَرِيْدِ ۗ

٥١٩

وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي حب النبت الحصيد.

١٥ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوآأ، يقال: بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت. وقال سعيد بن جببر: مستويات. ﴿لَمَّا طَلَعَ﴾ ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع

كُنْتُ حَفِيظًا، محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ، وقيل: حفيظ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم.

١٦ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهَرُجَ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾، مختلط، قال سعيد بن جببر ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط للنبي ﷺ، مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مفترى، فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم، ثم دلهم على قدرته.

١٧ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهَةً كَيْفَ بَيَّنَّنَاهَا﴾، بغير عمد، ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾، بالكواكب، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾، شقوق وفتوح وصدوع واحدها فرج.

١٨ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطناها على وجه الماء، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾، جبألاً ثوابت، ﴿وَأَلْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، حسن كريم يبهج به، أي يسر بنظره.

١٩ ﴿بَصِيرَةً﴾، أي جعلنا ذلك تبصرة، ﴿وَوَدَّوْنَهُ﴾، أي تبصيراً وتذكيراً، ﴿لِكُلِّ عِبْدٍ مُّبِينٍ﴾، أي ليتبصر به ويتذكر به.

٢٠ ﴿وَزَكَّأْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَكَّرًا﴾، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، ﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَجَبَّ الْجَمِيْدُ﴾، يعني البر والشعير

١٥ ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾، يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعيأ بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عيى به. ﴿بَلْ هُرِّ فِي لَيْسَ﴾، أي في شك، ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدًا﴾، وهو البعث.

١٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ قَانُونَٓ مَا تَوْسُوٓسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾، يحدث به قلبه فلا يخفي علينا سرائره وضمائره، ﴿وَمَنْ أَرَبُّ إِلَهِ﴾، أعلم به، ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

١٧ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾، أي يتلقى

أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَفْسِيْدًا﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

١٨ ﴿رَزَقْنَا لِّلْيَاسِدِ﴾، أي جعلناها رزقاً للعباد، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾، أي بالمطر، ﴿بَلَدَةً مَّيْتًا﴾، أنبتنا فيها الكلا، ﴿كَذَلِكَ الْمَرْجُ﴾، من القبور.

١٩ - ٢٠ قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَلْبَهُ قَوْمٌ تُوجِ وَأَحْسَبُ الرَّيْنَ وَنَمُوٓسُ وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَإِخْرُؤَ لُوٓسُ وَأَحْسَبُ الْآيِكَةَ قَوْمٌ نَّبِيْحٌ﴾، وهو تبع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان. ﴿كُلُّ كَذَّبَ أَرْسُلٍ﴾، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿فَخَقَّ وَبَعِدَ﴾، وجب لهم عذابي ثم أنزل جواباً لقولهم ذلك رجع بعيد.

ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿يَنبِئُ الْيَمِينِ وَبِئْنَ الْشِّمَالِ﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿يَعْلَمُ﴾، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً كالرسول يجعل للثنتين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ آلْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

﴿يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، ﴿لَا لَدَيْهِ رُؤْيٌ﴾، حافظ، ﴿عَبِيدٌ﴾، حاضر أيما كان.

قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائظه وعند جماعه. وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أتينه في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه. وقال الضحاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن يتلف عنفته.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا الفضل بن العباس بن مهران، ثنا طلوت، ثنا حماد بن سلمة أنا

جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر».

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿وَأَلْقَى﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءت سكرة الموت، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ حَرِيذًا﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدثت عن الشيء أحياناً جيداً ومجيداً إذا ملت عنه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، يعنني نفخة البعث، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ﴾، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

﴿وَمَوَآتٍ﴾، ذلك اليوم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿وَنَسِيذٌ﴾، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال

الآخرون: هما جميعاً من الملائكة. ﴿فَقَدْ كُتِبَ فِي سَفَرِهِ مِنْ هَذَا﴾، اليوم في الدنيا، ﴿فَكُنْفَتًا عَنْكَ عِظَاءُكَ﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، ﴿فَمَرَكَ الْيَوْمَ حَرِيذًا﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

﴿فَقَالَ قَرِينُهُ﴾، الملك الموكل به، ﴿هَذَا مَا لَدَيْ عَيْدٍ﴾، معد محضر، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

﴿فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِقَرِينِهِ﴾ ﴿أَنفِيًا فِي جَهَنَّمَ﴾، هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلها وازجرها وخذاها وأطلقها، للواحد، قال الفراء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي. وقال الزجاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقين. ﴿كُلُّ كَفَّارٍ يَبِيدٌ﴾، عاص معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانِب للحق معاند لله.

﴿مَتَاعٌ لِلْعَمِيرِ﴾، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، ﴿مُتَمَرِّدٌ﴾، ظالم لا يقر بتوحيد الله، ﴿مُزَيَّبٌ﴾، شاك في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَاتَرَ

حتى ينشئ الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ﴾، قربت وأدנית، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، الشرك، ﴿غَيْرَ بَيِّنٍ﴾، [هل] ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

﴿٢٧﴾ ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾، قرأ ابن كثير بالياء والآخرين بالتاء، يقال لهم: هذا الذي تروونه ما توعدون على السنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿لِكُلِّ أَوْابٍ﴾، رجاع إلى الطاعة عن المعاصي.

قال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد [هو] الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها.

وقال الضحاك: هو التواب. وقال ابن عباس وعطاء: هو المسيح، من قوله: ﴿يَجْعَلُ أَوْيَ مَمَرٍ﴾ [سبأ: ١٠]. وقال قتادة: هو المصلي.

﴿حَفِظَ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي: المراقب، قال سهل بن عبدالله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

﴿٢٨﴾ ﴿مَنْ حَفِظَ الرَّحْمَنَ بِالتَّيْبِ﴾، محل «مَنْ» جر على نعت الأواب. وقيل رفع على الاستئناف، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلو حيث لا يراه أحد، وقال الحسن: إذا أرخى

يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿وَتَقُولُ﴾، جهنم، ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾، قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل ابن سليمان.

وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله: ﴿هَلْ أَمْتَلَأَتِي﴾، قبل دخول جميع أهلها فيها.

وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته ﴿لَأَمْتَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، فلما سبق أعداء الله إليها لا يُلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء، فتقول: ألسنت قد أقسمت لتملأني؟ فيضع قدمه عليها، تعالى عما يقول الظالمون، ثم يقول: هل امتلأت؟ فتقول: قط قط قد امتلأت فليس في مزيد.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، ثنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، أنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، ثنا شيبان بن عبدالرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فتقول قط قط وعزتك، وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل

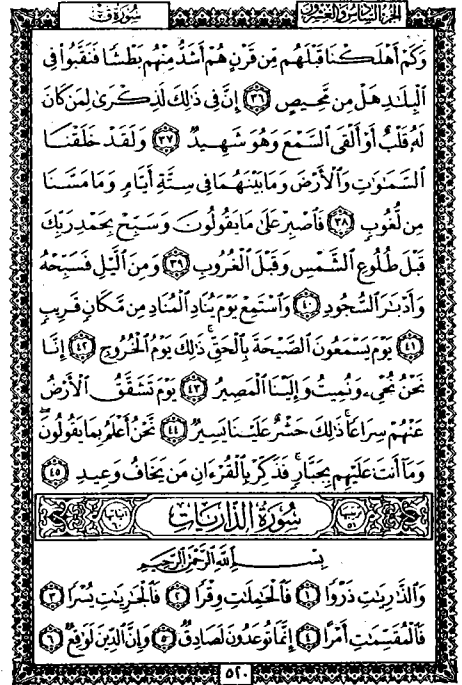
فَأَقْبِيَّاهُ فِي الْمَدَائِبِ الشَّدِيدِ»، وهو النار.

﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ رَبُّنَا﴾، يعني الشيطان الذي قبيض لهذا الكافر، ﴿رَبَّنَا مَا أَكَلْتُمُ﴾، ما أضللته وما أغويته، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا فِي سَلَالٍ يَبِيلٍ﴾، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته، يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ﴾، يعني يقول الله ﴿لَا تَخْضِعُوا لَدَيْهِ وَقَدْ فَدَسْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعْدِ﴾، في القرآن وأندرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاض.

﴿٢٩﴾ ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ﴾، لا تبديل لقولي وهو قوله: ﴿لَأَمْتَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال قوم: معنى قوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ﴾ أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأنني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي، واختيار الفراء، لأنه قال: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ﴾ ولم يقل ما يبدل قولي ﴿وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْبَيْدِ﴾، فأعاقبهم بغير جرم.

﴿٣٠﴾ ﴿بِمَنْ نَقُولُ لِيَجْهَنَّمَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْضِعُوا لَدَيْهِ﴾، وقراً الآخرون بالسنون، ﴿هَلْ أَمْتَلَأَتِي﴾، وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه



بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلْدَانِ،
 ضربوا وساروا وتقلبوا
 وطافوا، وأصله من
 النقب، وهو الطريق كأنهم
 سلكوا كل طريق، ﴿هَلْ
 مِنْ مَّجِيحٍ﴾، فلم يجدوا
 محيصاً من أمر الله.
 وقيل: هل من محيص
 مفر من الموت؟ فلم
 يجدوا فيه، إنذاراً لأهل
 مكة وأنهم على مثل
 سبيلهم لا يجدون مفرأ
 عن الموت يموتون،
 فيصيرون إلى عذاب الله.

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾،

فيما ذكرت من العبر

والعذاب وإهلاك القرى،
 ﴿لَذِكْرٍ﴾، تذكرة وعظة، ﴿لَمَنْ كَانَ
 لَمُ قَلْبٍ﴾، قال ابن عباس: أي عقل.
 قال الفراء: هذا جائز في العربية،
 تقول: مالك قلب وما قلبك معك،
 أي ما عقلك معك. وقيل له: قلب
 حاضر مع الله. ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعِ﴾،
 استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا
 يحدث نفسه بغيره، تقول العرب:
 ألقى إلي سمعك، يعني استمع،
 ﴿وَقَوْ شَهِيدٌ﴾، يعني حاضر القلب
 ليس بغافل ولا ساه.

﴿٣٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ
 خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي
 سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُؤْبٍ﴾، إعياء
 وتعب.

نزلت في اليهود حيث قالوا يا
 محمد: أخبرنا بما خلق الله من
 الخلق في هذه الأيام الستة، فقال:
 «خلق الله الأرض يوم الأحد

الستر وأغلق الباب. ﴿وَمَا يَنْقُوبُ
 ثَنِيْبٍ﴾، مخلص مقبل إلى
 طاعة الله.

﴿٣٩﴾ ﴿أَدْخَلُوهَا﴾، أي يقال لأهل
 هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا
 الجنة. ﴿يَسْكُرُوا﴾، بسلامة من
 العذاب والهموم. وقيل: بسلام
 من الله وملائكته عليهم. وقيل:
 بسلامة من زوال النعم، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ
 الْقُلُوبِ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿لَمْ يَأْتِ بِشَاوِرٍ يَنْبَأُ﴾، وذلك
 أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي
 مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم
 يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه،
 وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، يعني
 الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر
 ببالهم. وقال جابر وأنس هو النظر
 إلى وجه الله الكريم.

﴿٤١﴾ قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ

والاثنتين، والجبال يوم الثلاثاء،
 والمدائن والأنهار والأقوات يوم
 الأربعاء، والسموات والملائكة يوم
 الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم
 الجمعة، وخلق في أول الثلاث
 الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة،
 وفي الثالث آدم قالوا: صدقت إن
 أئمتت، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم
 استراح يوم السبت، واستلقى على
 العرش، فأنزل الله تعالى هذه الآية
 رداً عليهم.

﴿٣٦﴾ ﴿فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾،

من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد،
 وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿وَسَخَّرَ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صل حمداً لله،
 ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة
 الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، يعني
 صلاة العصر. وروي عن ابن عباس
 قال: قبل الغروب الظهر العصر.

﴿٣٧﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ﴾، يعني

صلاة المغرب والعشاء. وقال
 مجاهد: ومن الليل أي صلاة الليل
 أي وقت صلى. ﴿وَأَذْبَرَ الشُّجُورَ﴾
 إخباراً قرأ أهل الحجاز وحمة: ﴿إدبار
 السُّجُودِ﴾ بكسر الهمزة، مصدر أدبر
 إداراً، وقرأ الآخرون بفتحها على
 جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب
 وعلي بن أبي طالب والحسن،
 والشعبي، والنخعي، والأوزاعي:
 أدبار السجود الركعتان بعد صلاة
 المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل
 صلاة الفجر، وهي رواية العوفي عن
 ابن عباس. وروي عنه مرفوعاً، هذا
 قول أكثر المفسرين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

مقاتل: يعني إسرائيل ينادي بالحشر يا أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿بَيْنَ مَكَاوِنَ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض. قال الكلبي: هي أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾، وهي الصيحة الأخيرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ لَئْلَئِن﴾، من القبور.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَآلِهُمُ الْحَيَاةُ يَوْمَ تَنْقَضُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ﴾، جمع سريع أي يخرجون سراعاً، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾، جمع علينا ﴿يَسِيرٌ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿مَنْ أَظْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة في تكذيبك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِبَارِئٍ﴾، بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

سورة الذاريات

مكية وهي ستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾، يعني الرياح التي تذر ذرؤاً، يقال: ذوت الريح التراب وأذرت.

الحسين الروقي الطوسي بها، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أنا محمد بن [محمد بن] يوسف، ثنا محمد بن أيوب، أنا مسدد، ثنا خالد هو ابن عبدالله، ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ سَبَحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ [مَكْتُوبَةٍ] ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، ثُمَّ قَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إسحاق، أنا يزيد، أنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: ﴿كيف ذاك؟﴾ قالوا: صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال، قال: ﴿أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله: تسبحون في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وتحمدون عَشْرًا وتكبرون عَشْرًا﴾.

﴿٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادَى النَّاسُ مِنْ مَكَاوِنَ قَرِيبٍ﴾، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال

المليحي، أنا أبو المنصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو أيوب الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ معاهدةً منه على الركعتين أمام الصبح.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا صالح بن عبدالله، ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها﴾.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المثنى، ثنا بدل بن المجبر، ثنا عبدالملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود أنه قال: ما أحصي ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر: بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

وقال مجاهد: قوله ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُرِ﴾ هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن



الحسن: حبكت بالنجوم.

قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهي جمع حباك وحيكة، وجواب القسم قوله:

﴿أَنْكَرَ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَيْ قَوْلِ تَحْتَلِفِ﴾، في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن سحر وكهانة

وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُيُكُ﴾، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن. وقيل ﴿عن﴾ بمعنى: من أجل، أي: يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف. وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

﴿قِيلَ الْكَلْبُ مَوْحُونٌ﴾، لعن الكذابين، يقال: تخرّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرُسَاهُونَ﴾، غفلة وعمى وجهالة ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكذيباً واستهزاء.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم هـم ﴿عَمَلِ النَّارِ يَنْتَوُونَ﴾، أي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: ﴿على﴾ بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار: ﴿ذُرُوقًا فَنَسَفْتُمْ عَذَابِكُمْ﴾، هذا الذي كُتِبَ بِهِ سَتَعْمَلُونَ، في الدنيا تكذيباً به.

﴿مَلَكِينَ مَاءً لَانَّهُمْ﴾، أعطاهم ﴿رُؤُوسُهُمْ﴾، من الخير والكرامة، ﴿يَوْمَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، قبل دخولهم الجنة، ﴿مُحْسِنِينَ﴾، في الدنيا.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، والهجوم النوم بالليل دون النهار، و«ما» صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً، وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا قلّ ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئاً إما من أولها أو من أوسطها [أو من آخرها].

قال أنس بن مالك: كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء. وقال

﴿فَالْمُحَلِّبَاتِ وَفَرَا﴾، يعني السحاب التي تحمل تقيلاً من الماء.

﴿فَالْمُجْرِيَاتِ يُسْرًا﴾، هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً.

﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

﴿ثُمَّ ذَكَرَ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ فَقَالَ﴾: ﴿إِنَّمَا تَرَعَدُونَ﴾، من الثوب والعقاب، ﴿لَصَادِقٌ﴾.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ﴾، الحساب والجزاء، ﴿لَوْعِينَ﴾، لكائن.

﴿ثُمَّ ابْتَدَأَ قَسماً آخراً فَقَالَ﴾: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْمَلْبُوكِ﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج الثوب فأجاد: ما أحسن حبكه! قال سعيد بن جبير: ذات الزينة. قال

محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة. قال مطرف بن عبدالله بن الشخير قل ليلة أنت عليهم جمعوها كلها. قال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل. ووقف بعضهم على قوله: ﴿قِيلَ أَي كَانُوا مِنَ النَّاسِ قَلِيلًا ثُمَّ ابْتَدَأَ: ﴿يَنْ أَلَيْلَ مَا يَهْمُونَ﴾، وجعله جحداً أي لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة، وهو قول الضحاك ومقاتل.

﴿وَالْأَسْحَارَ مِمَّ يَسْتَفْرِوْنَ﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي، أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، ثنا قتيبة، ثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذي يسألني فأعطيه؟ من الذي يستغفني فأغفر له».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن

عبدالله، ثنا سفيان، ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طائوس سمع ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت - ولا إله غيرك».

قال سفيان: وزاد عبدالكريم أبو أمية: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صدقة، أنا الوليد عن الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم

قال: اللهم اغفر لي، أو دعها استجيب له، فإن توحاً وصلّى قَبِلْتْ صَلَاتِهِ».

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّسَانًا وَاللَّحْرُورِ﴾، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم، ولا يجري عليه من الفياء سهم، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قالوا: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنِع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَنَنْزِلُونَهُ﴾ بَلْ نَحْنُ نَحْمُرُونَهُ [الواقعة: ٦٦].

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّسَانًا وَاللَّحْرُورِ﴾، إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والشمار وأنواع النبات. ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّسَانًا وَاللَّحْرُورِ﴾، آيات إذ كانت نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً إلى أن نفخ فيها الروح، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. وقال ابن الزبير: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين. ﴿أَفَلَا تَنْبَهُرُونَ﴾، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

﴿٢٢﴾ ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِّسَانًا وَاللَّحْرُورِ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر

قَالَ مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ ثَمَرِينَ ﴿٢٤﴾ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٢٥﴾ مَسْمُومَةً بِعَنْدَرِكٍ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٢٦﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَمَا وَدَّعْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَرَكَعًا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَحْفَاؤُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٩﴾ وَفِي مَوْجٍ إِذْ أَنْزَلْنَاهُ لِيَكُونَ لِشَاطِئِنِ سَبِيحٍ ﴿٣٠﴾ فَنُوحٍ بِرُكُودِهِ وَقَالَ سَجَرًا وَمُحْمَرًا ﴿٣١﴾ فَأَخَذْتَهُمْ وَوَجَدُوا فِي نَفْسِهِمْ فِي الْيَمِّ وَهُمْ يَمْلِكُونَ ﴿٣٢﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٣﴾ مَا تَذَرُونَ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيسِ الْغَلِيظِ ﴿٣٤﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴿٣٥﴾ فَمَتَّعُوا عَنْ آمُرِهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَسْتَطْعَمُوا مِنْ قِيَابِهَا وَمَا كَانُوا مُنْتَضِعِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْفَيْصِقِينَ ﴿٣٨﴾ وَالنِّسَاءَ بَيْنَهُنَّ أَبْيَادٌ وَمِنَ الْمَوْسِيِّونَ ﴿٣٩﴾ وَالْأَرْضَ قَرَشْنًا فَغَمَّ الْمَهْدُونَ ﴿٤٠﴾ وَمِنْ كُلِّ نَجْمٍ خَلَقْنَا رَجُلِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ وَفَرَّ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَعْمَلُوا مَعَ اللَّهِ الْهَيْهَاتَ إِحْرَاطِي لَكَرُمَتُهُ نَذِيرٌ ﴿٤٣﴾

﴿٢٣﴾ ﴿فَرَأَى﴾، فعدل ومال، ﴿إِنَّكَ﴾ أهله فجة يعجل سمين، مشوي.
﴿٢٤﴾ ﴿فَرَأَى﴾، ﴿فَرَأَى﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فأوحى إليهم خيفة قالوا لا تخف وبشره بملكهم عليهم ﴿فَأَبْلَقَ أَمْرًا فِي صَرْفٍ﴾، أي صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوْتِلَقِ الْعِلْءُ﴾ [هود: ٧٢]، ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، مجازة: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.
﴿٢٥﴾ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدن غلاما، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.
﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ ثَمَرِينَ﴾، يعني قوم لوط.
﴿٢٧﴾ ﴿لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ مَسْمُومَةً﴾، معلمة، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.
﴿٢٨﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾، أي في قري قوم لوط، ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك قوله: ﴿فَأَشْرَى بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْلِ﴾ [هود: ٨١].
﴿٢٩﴾ ﴿فَمَا يَصَدُّهَا﴾، أي

ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له. ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

﴿٢٤﴾ قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ صَبِيحٌ إِبراهيم﴾، ذكرنا عددهم في سورة هود [٧٨]، ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون. وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليه وطلاقة الوجه. وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعويين. وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

﴿٢٥﴾ ﴿إِذْ نَحَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَكْنَا﴾، إبراهيم، ﴿سَلَّمَ قَوْمٌ مُشْكِرُونَ﴾، أي غريباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وَمَا تُوَعَّدُونَ﴾، قال عطاء: من الشواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿٢٣﴾ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿يُنزَلُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿مثل﴾ برفع اللام بدلا من الحق، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ﴿مَا أَنْكُمُ نَظِيرُونَ﴾، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق آدمي، كما تقول: أنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة: وقال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن

من قبل هؤلاء، وهم عاد وشمود وقوم فرعون. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿وَالنَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيْدِيهِمْ﴾، بقوة وقدرة، ﴿وَأَنَا لَكُونُوتُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله عز وجل: ﴿عَلَى التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال الحسن: المطيقون.

﴿٤٨﴾ ﴿وَالْأَرْضَ قَرَشْنًا﴾، بسطناها ومهدناها لكم، ﴿فَتَمَّ الْمَهْدُونَ﴾، الباسطون نحن: قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي.

﴿٤٩﴾ ﴿زَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر. ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا زَوْجَيْنِ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿نُوحًا إِلَى اللَّهِ﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن عبدالله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُرْبَانُ﴾ ﴿ذِي شُرَيْبٍ﴾ ﴿وَلَا تَجْمَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾

وأموالهم، ﴿إِلَّا جَمَلَتَهُ كَالزَّهِيرِ﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس ويدبس. قال قتادة: مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿٥٢﴾ ﴿وَقِيْلَ لَكُمْ تَمَتُّوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

﴿٥٣﴾ ﴿فَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: ﴿الصَّعْقَةُ﴾، وهي الصوت الذي يكون في الصاعقة، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، يرون ذلك عياناً.

﴿٥٤﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾، منتقمين مثلاً. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

﴿٥٥﴾ ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ﴾، قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي: ﴿وقوم﴾، بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾، معناه: أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾، أي

غير أهل بيت، ﴿مِنْ الْمُنْتَلِينَ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَرَكَّابًا فِيهَا﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿مَائِدَةً﴾، عبرة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

﴿٥٧﴾ ﴿وَقِيْلَ مَوْسَىٰ﴾، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿وَقِيْلَ الْآخِصِ مَا كُنْتَ لِلرَّقِيقِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، وفي موسى، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، بحجة ظاهرة.

﴿٥٨﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿بِرُكُودٍ﴾، أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم، كالركن الذي يتقوى به البناء، نظيره قوله: ﴿أَوْ مَوَاتٍ إِلَىٰ رُكْنٍ شُوْبِرٍ﴾ [هود: ٨٠]، ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ جَحْرٌ﴾، قال أبو عبيدة: ﴿أو﴾، بمعنى الواو.

﴿٥٩﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْرَجُ﴾، فغرقناهم فيه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي أت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

﴿٦٠﴾ ﴿وَقِيْلَ عَادُ﴾، أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلعق شجراً ولا تحمل مطراً.

﴿٦١﴾ ﴿مَا نَدَّرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم

قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فطابت أنفسهم.

قال مقاتل: معناه عظم بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من سبق في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عظم بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، قال الكلبي والضحاك

وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالإِنسَ﴾ من المؤمنين ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال بعضهم:

وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هم على ما جُبلوا عليه من الشقاوة والسعادة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا ليعبدون. أي: إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَسْرَأُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]، وقال مجاهد: إلا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يُعْرَف وجوده

وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقيل: معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق عليه قدر ذرة من نفع وضرر. وقيل: إلا ليعبدوني إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ تَحْصِيصًا لَهُ الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]،

كذالك مَا أَنَّى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ وَإِيجُونُ ﴿٥٢﴾ أَوْ صَوَابٌ يَدَّبُّ بِهِنَّ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلُهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا تَبْلُغُ ذُنُوبَ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلُهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطَّوْرِ ﴿٦١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ تَمَّتُورٌ ﴿٢﴾ فِي رَوْحٍ مِّنْ سُنُوبٍ ﴿٣﴾ وَأَلْيَتِ السَّمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفَ الْمَرْجُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرَ الْمُسْتَوِيَّ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَمْ يَلْمَسْهُمُ دَافِعٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلُهُ يَوْمَ يَمْزِلُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزِ يَأْسُورٍ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى قَارِ حَتَمٍ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا الذِّكْرُ يُؤْتُونَ ﴿١٤﴾

مَآخِرًا إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

﴿كذالك﴾، أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك، ﴿مَا أَنَّى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة، ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ إِيجُونُ﴾.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ قال الله تعالى: ﴿أَوْ صَوَابًا يَدَّبُّ بِهِنَّ﴾، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالكذب وتواطؤا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿جِبَلٌ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك، ﴿قَوْلُهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾، لا لوم عليك فقد أدبت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به.

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي

هذا قول مقاتل: أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾، نازل كائن.

﴿٨﴾ هَا تَكُونُونَ كَانِئِينَ ﴿٨﴾، مانع.

قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أساري بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد فسمعتهم يقرأ ﴿والطور﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هَا تَكُونُونَ كَانِئِينَ ﴿٨﴾، فكانما صدع قلبي حين سمعته، ولم يكن أسلم يومئذ، قال: فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظن أنني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب. ثم بين أنه متى يقع فقال:

﴿٩﴾ يَوْمَ تَمُورُ أَسْمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾، أي تدور كدوران الرحي وتتكفا بأهلها تكفو السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاءها بعضها في بعض: وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهب والمجسي والتردد والدوران والاضطراب.

﴿١٠﴾ وَرَسِيدٌ آلِجَمَالِ سَيْدًا ﴿١٠﴾، فتزول عن أماكنها وتصير هباءً مشوراً.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ نَزِيلٌ ﴿١١﴾، فشدة عذاب، ﴿وَيَوْمَئِذٍ لِّلشَّكَّادِينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لا هين.

﴿١٣﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ ﴿١٣﴾، يدفعون، ﴿إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يفلون

الكعبة يقال له: الصُّراح، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبداً.

﴿١٤﴾ وَالشَّفِيفِ الرَّزْوِغِ ﴿١٤﴾، يعني السماء نظيره قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا أَسْمَاءَ سَقًّا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿١٥﴾ وَالْأَخْرِ الْمَسْجُورِ ﴿١٥﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور، وهو قوله ابن عباس: وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزداد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْبَاغَ سُجْرَتَ﴾ [التكوير: ٦].

وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لا يركبن رجل بحراً إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً».

وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته. وقال الحسن وقتادة وأبو العالية: هو اليايس الذي قد ذهب ماؤه ونضب. وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالمالح. وروي الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان. يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً فينتون في قبورهم.

الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، ﴿فَلَا يَسْتَمْلُونَ﴾، بالعذاب يعني أنهم أخروا إلى يوم القيامة.

﴿١٦﴾ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَزِيلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

سورة الطور

مكية وهي تسع وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّزَّاقِ

﴿١﴾ ﴿وَالطُّورِ﴾، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله تعالى به.

﴿٢﴾ وَرَكَّبِ مَسْجُورٍ ﴿٢﴾، مكتوب.

﴿٣﴾ ﴿رَبِّ مَثُورٍ﴾، الرق: ما يكتب فيه، وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله.

دليله قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْرُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿٤﴾ ﴿وَالْيَتِيمِ الْمَسُورِ﴾، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال

أَفْبَحِرْهُذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَبْحِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
 أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
 إِنَّ السُّؤْفَاءَ فِي جَنَّتٍ وَيَعِيبُ ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ بِنَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمُ
 وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَأَشْرُوا هَنِيئًا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَىٰ سُرُورٍ مَّصْفُوفَةً وَرَضْتَهُمْ
 بِحُجْرٍ عَرِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ لَقَفْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَمَسْتُمْ مِنْ عَيْلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِطَالِكَةٍ وَلَوْ عَرَفْتُمْ مَا لِغْتَنُوا
 فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوفِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُمُرَانٌ
 لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسْتَلُونَ
 ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا نَقْبَلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَنْ لَِلَّهِ
 عَيْنًا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْوَالِدُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ فَذَكَّرْنَا أَنْتَ يَنْعَمْتَ
 رَبُّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا يَحْمُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ مَتَّبِعِيهِ رَبُّهُ
 السَّمُونُ ﴿٢٩﴾ قُلْ تَرِيسُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرِيسِينَ ﴿٣٠﴾

لآبائهم لتقرَّ بذلك أعينهم، وهي
 رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
 رضي الله تعالى عنهم.

وقال آخرون: معناه والذين آمنوا
 واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان
 ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم
 يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. وهو
 قول الضحاك، ورواية العوفي عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما،

أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبد
 المؤمن ذريته في الجنة كما كان
 يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه،
 يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم
 بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص
 الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك
 قوله: ﴿وَمَا أَلْتَمَسْتُمْ﴾، قرأ ابن كثير
 بكسر اللام، والباقون بفتحها أي ما
 نقصناهم يعني الآباء، ﴿يَنْ عَيْلِهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم
 الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي،
 أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله
 الحديثي، ثنا سعيد بن محمد بن
 إسحاق الصيرفي، ثنا محمد بن
 عثمان بن أبي شيبة حدثنا جبارة بن
 المغلس، ثنا قيس بن الربيع، ثنا
 عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير،
 عن ابن عباس رضي الله تعالى
 عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:
 «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
 وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بهم
 عينه»، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَتَّبِعْتَهُمْ
 ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ لَقَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، إلى
 آخر الآية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا
 أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن

رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾
 ويقال لهم:

﴿كَلُوا وَأَشْرُوا هَنِيئًا﴾،
 مأمون العاقبة من التخمة
 والسقم، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مُتَكِبِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ
 مَّصْفُوفَةٍ﴾، موضوعة
 بعضها إلى جنب بعض،
 ﴿وَرَضْتَهُمْ بِحُجْرٍ عَرِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَأَتَّبِعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾، قرأ
 أبو عمرو: ﴿اتَّبِعْنَاهُمْ﴾
 بقطع الألف على
 التعظيم، ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾،
 بالالف وكسر التاء فيهما
 لقوله: ﴿لَقَفْنَا بِهِمْ﴾ ﴿وَمَا

أَلْتَمَسْتُمْ﴾، ليكون الكلام على نسق
 واحد، وقرأ الآخرون ﴿واتبعتهم﴾
 بوصل الألف وتشديد التاء بعدها
 وسكون التاء الأخيرة، ثم اختلفوا
 في ذريتهم، قرأ أهل المدينة الأولى
 بغير ألف وضم التاء، والثانية بالالف
 وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب
 كلاهما بالالف وكسر التاء في
 الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف
 فيهما ورفع التاء في الأولى ونصبها
 في الثانية.

واختلفوا في معنى الآية: فقال
 قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم
 بإيمان يعني أولادهم الصغار
 والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم،
 والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد
 الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد
 الأبوين ﴿لَقَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين
 في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا
 بأعمالهم درجات آبائهم تكرامة

أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون
 نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم
 إلى النار دفعاً على وجوههم، وزجاً
 في أفقيتهم حتى يردوا النار، فإذا
 دنوا منها قال لهم خزنتها.

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
 تَكْفُرُونَ﴾، في الدنيا.

﴿أَفْبَحِرْ هَذَا﴾، وذلك
 أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى
 السحر، وإلى أنه يغطي على
 الأبصار بالسحر، فوُخُوا، به،
 وقيل لهم: ﴿أَفْبَحِرْ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا
 تَبْحِرُونَ﴾.

﴿أَصْلَوْهَا﴾، قاسوا شدتها،
 ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾،
 الصبر والجزع، ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ السُّؤْفَاءَ فِي جَنَّتٍ
 وَيَعِيبُ﴾ فكيفين، معجبين بذلك
 ناعمين، ﴿بِمَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ

فنجويه الدينوري، ثنا أبو بكر مالك القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال: سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ عن ولدبن ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»، فلما رأى الكراهية في وجهها، قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما»، قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلْفَتْهُمُ ذُرِّيَّتُهُمْ»، قال: «كُلُّ أُمَّيِّ بِمَا كَسَبَ زُهَيْنٌ»، قال مقاتل: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتتهن في النار، والمؤمن لا يكون مرتتهناً، لقوله عز وجل: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيَةٌ» [المقدر: ٣٨] و٣٩] ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.

٢٦ فقال: «وَأَمَدَدْتُهُمْ بِفَلَاحِهِمْ»، زيادة على ما كان لهم «وَأَحْرَمْنَا مِنْهُمُ»، من أنواع اللحمين.

٢٧ «يَنْزِعُونَ»، يتعاطون ويتناولون، «فِيهَا كَأَنَّ لَآ لِقَاؤَ فِيهَا»، وهو الباطل، وروي ذلك عن قتادة، وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا رث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها.

وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفشوا، «وَلَا تَأْتِيَهُمْ»، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم. قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر. وقيل: لا يأتون في شربها.

٢٨ «وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمْ»، بالخدمة «وَعَلَّمَائِهِمْ كَاتِبَهُمْ»، في الحسن والبياض والصفاء، «وَلَوْ لَوْ تَكُونُونَ»، مخزون مصون لم تمسه الأيدي.

قال سعيد بن جبيرة: مكنون يعني في الصدف. قال عبدالله بن عمرو: ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه.

وروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال: قالوا يا رسول الله: الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم؟ وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

٢٩ «وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ»، يسأل بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

٣٠ «قَالُوا إِنَّا كُنَّا فِي أَهْلِنَا»، في الدنيا، «مُسْتَفِيقِينَ»، خائفين من العذاب.

٣١ «فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا»، بالمغفرة، «وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ»، قال الكلبي: عذاب النار. وقال

الحسن: «السموم» اسم من أسماء جهنم.

٣٢ «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ»، في الدنيا، «تَدْعُوهُ»، تخلص له العباد، «إِنَّهُمْ»، قرأ أهل المدينة والكسائي «أنه» بفتح الألف، أي لأنه أو بانه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، «هُوَ الْبَرُّ»، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد «الرَّحِيمُ».

٣٣ «فَدَكَّرَ»، يا محمد بالقرآن أهل مكة، «فَمَا أَنْتَ بِتَعْمَتَ رَبِّكَ»، برحمته وعصمته، «يَكَاهِنُ»، تتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي، «وَلَا يَجْتَوِيَنَّ»، نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

٣٤ «أَمْ يَقُولُونَ»، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين، «شَاعِرٌ»، أي هو شاعر، «تَدْرِيضُ بِهِ رَبِّيَ الْمُتَوَنِّينَ»، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، أو يتفرق أصحابه، وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سُمياً بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

٣٥ «قُلْ تَرِيسُوا»، انتظروا بي الموت، «فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْسِيينَ»، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم، فتعذبوا يوم بدر بالسيف.



يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، لأنفسهم وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون؟

وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثاً وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهاون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم الله أمر؟

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكٍ﴾، قال عكرمة: يعني النبوة. قال مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾، المسلمون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، ويفعلون ما شاؤوا، ويجوز بالسسين والصاد جميعاً، قرأ ابن عامر بالسسين ههنا وفي قوله:

﴿بمصيطن﴾، وقرأ حمزة بإشمام آزاي فيهما، وقرأ ابن كثير ههنا بالسين و﴿بمصيطن﴾ [الغاشية: ٢٢] بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد فيها.

﴿أَمْ لَهُمْ سُورٌ﴾، مرقى ومصعد إلى السماء، ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهَا﴾، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: ﴿وَأَصْبَحْنَا فِي يَوْمَئِذٍ فَخْرًا﴾ [طه: ٧١] أي عليها، معناه: ألهم سلم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم مستمكون به كذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ سَمْعَهُمُ﴾، إن ادعوا ذلك، ﴿يَسَاطِنُ شِينٍ﴾، بحجة بينة.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِ الرَّبَّ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾.

﴿أَمْ تَتْلُوهُمُ آخِرًا﴾، جعلاً على ما جنتهم به ودعوتهم إليه من الدين، ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُتَقَلُونَ﴾، أنقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة البعث باطل. وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: ﴿تَرَىٰ مِنْ يَدِ رَبِّبِ الْغَيْبِ﴾، يقول: أعندهم علم الغيب [أي علم ما غاب عنهم] حتى علموا أن محمداً ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾، قال القتيبي: فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم.

قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: «أقضي بينكما بكتاب الله»، أي بحكم الله، وقال

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَانُهمُ﴾، عقولهم، ﴿بئذآءَهمُ﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصَفُونَ بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تميز لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿أَمْ هُمُ﴾، بل هم، ﴿قَوْمَ طَاعُونٍ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ فَقَوْلَهُ﴾، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالقرآن استكباراً.

﴿ثُمَّ الزَّمَهُمُ الْحِجَّةَ فَقَالَ﴾: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾، أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه، ﴿وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ وذلك مما لا يجوز أن

ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

﴿٤٢﴾ **أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا**، مكر أبك ليهلكوك، **فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَتَمَكِيدُونَ**، أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بيدر.

﴿٤٣﴾ **أَمْ لَمْ يَأْتِ اللَّهَ عَنَّا**، يرزقهم وينصرهم، **سُبْحَانَ اللَّهِ عَنَّا يُشْرِكُونَ**، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر «أم» كلمة استفهام وليس بعطف.

﴿٤٤﴾ **وَرَأَى بَرًّا كَنَفًا**، قطعة، **فَمِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا**، هذا جواب لقولهم: **فَأَسْقُطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ** [الشعراء: ١٨٧]، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، **يَقُولُوا**، لمعاندتهم هذا، **سَعَابٌ تَرْكُومٌ**، بعضه على بعض يسقينا.

﴿٤٥﴾ **فَدَرَبَهُمْ حَتَّىٰ يَلَاقُوا**، يعاينوا، **يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت، قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء أي يهلكون.

﴿٤٦﴾ **يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

﴿٤٧﴾ **وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**، كفروا، **عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ**، أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال

البراء بن عازب: هو عذاب القبر. **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**، أن العذاب نازل بهم.

﴿٤٨﴾ **وَأَمِيرٌ يُسْأَرُ بِكَرْبِكَ**، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، **فَأَنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**، أي بمرأى منا، قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**، قال سعيد بن جبير وعطاء: أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً أزددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة له.

أخبرنا أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد القفال، أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البيرونجردي، أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، ثنا أحمد بن عبيد الله النرسي، ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا كان كفارة لما بينهما».

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صل لله حين تقوم من مقامك. وقال الضحاک والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قالوا، ثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال، عن عمرة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان [بن] الأشعث، ثنا محمد بن نافع، ثنا زيد بن حباب، أخبرني معاوية بن صالح، أنا أزهري بن سعيد الحراري عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبر الله عشراً وحمد الله عشراً، وسبح الله عشراً وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة.

﴿٤٩﴾ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**، أي صل له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء، **وَأَذِّنْ لِلنُّجُومِ**، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك



وهوئيه مغيبه، والعرب تسمي الثريا نجماً.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع» وأراد بالنجم الثريا. وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سمي الكوكب نجماً لطلوعه، وكل طالع نجم يقال: نجم السن، والقرن والنبث إذا طلع.

وروي عن عكرمة عن

ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم، يعني ما تُرمى بها الشياطين عند استراقهم السمع. وقال أبو حمزة الثمالي: هي النجوم إذا انثرت يوم القيامة. وقيل: المراد بالنجم القرآن، سمي نجماً لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيماً، والمفروق: منجماً، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وهو قول الكلبي، والهوى: النزول من أعلى إلى أسفل. وقال الأخفش: النجم هو النبات الذي لا ساق له، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، وهو قول سقطه على الأرض.

وقال جعفر الصادق: يعني محمداً ﷺ إذا نزل من السماء إلى الأرض ليلة المعراج، و«الهوي» النزول، يقال: هوى يهوي هويماً إذا نزل، مثل مضى يمضي مضياً.

١ - ﴿وَجَوَابُ الْقِسْمِ﴾ قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾، يعني محمداً ﷺ ما ضل عن طريق الهدى، ﴿وَمَا غَوَى﴾ وما يَطُوقُ عَن الْمَوْتَى، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

٢ - ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن، ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، يعني وحى من الله يوحى إليه.

٣ - ﴿مَلَكُهُ شَيْدُ الْقُرْآنِ﴾، وهو جبريل، والقوى جمع القوة.

٤ - ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل. قال ابن عباس: ذومرة يعني ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

٥ - ﴿فَأَسْتَوَى﴾، يعني جبريل، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقيلما يقولون: استوى فلان، ونظير هذا قوله: ﴿وَدَا كُنَّا نُرَاكُ وَآبَاءُنَا﴾ [النمل: ٦٧]، عطف الآباء على المكنى في كنا من غير إظهار نحن، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، ﴿وَالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضاً، أي قام في صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق الأعلى.

وذلك أن جبريل كان يأتي

حين تدبر النجوم أن تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: هو فريضة صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.

سورة النجم

مكية وهي اثنان وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، قال ابن

عباس في رواية الوالبي والعوفي: يعني الثريا إذا سقطت وغابت،

واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وهو قول ابن مسعود وعائشة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر بن محمد، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زر عن عبدالله قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى جبريل وله ستمائة جناح.

وقال آخرون: هو الله عز وجل. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده، وهو قول ابن عباس.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا وكيع، ثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، قالوا: رأى محمد ربه.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلعة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً بالرؤية.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم ير رسول الله ﷺ ربه.

وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد ذكب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تُدْرِكُ نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن حدثك أنه كتتم شيئاً فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بِبَلِّغٍ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أتى أراه».

﴿أَفْتَمَرْتُمْ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «أفتمرونه» بفتح التاء بلا ألف، أي أفتمجدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقّه إذا جحدته.

وقرأ الآخرون: «أفتمارونه» بالالف وضم التاء، على معنى أفتمجدولونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن غيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به، والمعنى: أفتمجدولونه جдалاً ترومون به دفعه عما رآه وعلمه.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه نازلاً من السماء أخرى، وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألة التخفيف من أهداب الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربه في بعضها.

وروي عنه: «أنه رأى ربه بفؤاده مرتين».

وعنه: «أنه رآه بعينه»، وقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾

وروي عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال:

﴿عِنْدَمَا جَنَّةُ الْكَوْكَبِ﴾ إِذْ يَنْشَى الْبَيْتَةَ مَا يَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ قال: فراش من ذهب.

وروينا في حديث المعراج: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فسلمت عليه، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل أذن الفيلة».

والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق.

قال هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن شيبه، ثنا المسوحي، ثنا عبيد بن يعيش، ثنا يونس بن بكير، أنا محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة عام يستظل في الغصن منها مائة ألف ركب، فيها فراش من ذهب، كأن ثمرها القلال».

وقال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلوى والحلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وهي طوبى التي

ذكرها الله تعالى في سورة الرعد.

﴿عِنْدَمَا جَنَّةُ الْكَوْكَبِ﴾، قال

عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَنْشَى الْبَيْتَةَ مَا يَتَّقُونَ﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب.

وروينا في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسننها، وأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة».

وقال مقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان. وقال السدي: من الطيور.

وروي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال: غشيها نور الخلائق وغشيها الملائكة من حب الله أمثال الغربان، حتى يقعن على الشجرة، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ. وعن الحسن قال: غشيها نور رب العزة فاستنارت.

ويروي في الحديث: «رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى».

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، أي ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

يعني الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده، دليله قوله: ﴿لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١]، وقيل: معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، ثنا أبي، ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبدالله قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمرو، ثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله [قال]: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: «رأى رفقاً أخضر سد أفق السماء».

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمُرَيْسَةَ﴾، هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا: من الله اللات، ومن العزيز العزى. وقيل: العزى تأنيث الأعز، أما اللات قال قتادة: كانت بالطائف، وقال ابن زيد: بيت بنخله كانت قريش تعبده، وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: اللات بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلاً يلت

السويق للحاج، فلما مات عكفوا عن قبره يعبدونه.

وقال مجاهد: كان في رأس جبل له غنيمة يسلاً منها السمن ويأخذ منها الأوط، ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيساً فيطعم منه الحاج، وكان يبطن نخلة، فلما مات عبده، وهو اللات.

وقال الكلبي: كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم، وكان يسلاً السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم، فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدها، فسدره الطائف على موضع اللات. وأما العزى قال مجاهد: هي شجرة يعطفان كانوا يعبدونها.

فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضرها بالفأس ويقول:

يا عز كفرانك لا سبحانك إنني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها. ويقال: إن خالداً رجع إلى النبي ﷺ فقال: قد قلعتها، فقال: ما رأيت؟ قال: ما رأيت شيئاً، فقال النبي ﷺ: ما قلعت، فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة، فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبداً».

وقال الضحاك: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة

يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة، حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة، فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها. وقال ابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف.

﴿وَتَوَّءَ﴾، قرأ ابن كثير بالمد والهمزة، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز، لأن العرب سمت زيد مناة وعبد مناة، ولم يسمع فيها المد. قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد.

قالت عائشة رضي الله عنها في الأنصار: كانوا يهلون لمناة، وكانت حذو قديد. قال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة. وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة، فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء. وقال بعضهم: ما كُتِبَ في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء، وما كُتِبَ بالهاء فيوقف

عليه بالهاء. وأما قوله: ﴿أَتَأْتِيَ الأُخْرَى﴾، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، وأما الأخرى فإن العرب لا تقول للثالثة أخرى، إنما الأخرى ههنا نعت للثانية. قال الخليل: فالياء لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَتَّارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أخر: وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ فقال الله تعالى منكرأ عليهم: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَكَلَةُ الأُنثَى﴾ قال ابن عباس وقاتدة: أي قسمة جائزة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء. وقال الحسن: غير معتدلة. قرأ ابن كثير: «ضئزى» بالهمز، وقرأ الآخرون بغير همز.

قال الكسائي: يقال منه ضاز يضير ضيزاً، وضاز يضور ضوزاً، وضاز يُضاز ضازاً إذا ظلم وتقص، وتقدير ضيزى من الكلام فعلى بضم الفاء، لأنها صفة والصفات لا تكون إلا على فعلى بضم الفاء، نحو حبلى وأنثى وبُشرى، أو فعلى بفتح الفاء، نحو غضبى وسكرى وعطشى، وليس في كلام العرب فعلى بكسر

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
 وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ دِكْرِكُمْ وَرَدَّ بِآلِ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَيْبَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ لَيَجْرِي الَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَجَازِيَ اللَّهُ
 بِالْحَسَنَىٰ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوْحِشُ إِلَّا اللَّهُ
 إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِذِكْرِ آبَائِكَ أَنْشَأَ كَثِيرًا مِنَ الْأَرْضِ
 وَإِذْ أَنْشَأَ جِنَّةً فِي بَطْنِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَرْكَبُوا أُنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ تَقَعُ ﴿٣٢﴾ أَمْرًا رَبِّكَ الَّذِي تَوَكَّلْ ﴿٣٣﴾ وَأَطِيعُوا قَوْلَ اللَّهِ
 وَأَعْبُدُوا مَوْلَى الْقَيْبِ فَهُوَ رَبِّي ﴿٣٤﴾ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَىٰ ﴿٣٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَ ﴿٣٦﴾ الْأَنْزِيلَ وَكَانَ وَرَىٰ لَأُخْرَىٰ
 ﴿٣٧﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ سَعِيَةً سَأَوَتْ
 رُبِّي ﴿٣٩﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الْجَبْرُوتَ الْأُولَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَنَّ رَبَّكَ لَتَلْمِزَ
 الْبَشَرَ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ﴿٤٢﴾ وَأَنَّ هُوَ آمَاتٌ وَآخِيَا ﴿٤٣﴾

٤٢٧

المراد من قوله: ﴿وَكَّرَ مِنْ تَلَكَّ﴾، الكثرة فهو كقولهم: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ لَيْدِ عَتَّةِ حَجْرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾، أي بتسمية الأنثى حين قالوا إنهم بنات الله.

﴿٢٨﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، قال مقاتل: معناه ما يستطيعون أنهم بنات الله، ﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: الحق

الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسماء مثل ذكرى وشعري وكسرى، وبكسر الضاد ههنا لثلاثا تنقلب الياء وأوا وهي من بنات الإله كما قالوا في جمع أبيض بيض، والأصل بوض مثل حُمر وصفير، فأما من قال: صاز يضوز فالاسم منه ضوزي مثل شوري.

﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِذِكْرِ آبَائِكَ أَنْشَأَ كَثِيرًا مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ جِنَّةً فِي بَطْنِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَرْكَبُوا أُنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ تَقَعُ﴾، حجة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿وَمَا تَهْوَى الْأُنفُسُ﴾، وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.

﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْرِي الَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَجَازِيَ اللَّهُ بِالْحَسَنَىٰ﴾، أي بغير شفاعة الأصنام؟

﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوْحِشُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى، لا يملك أحد فيها شيئاً إلا بإذنه.

﴿٣٢﴾ وَأَعْبُدُوا مَوْلَى الْقَيْبِ فَهُوَ رَبِّي﴾، ﴿وَكَّرَ مِنْ تَلَكَّ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿لَا تَتَّقِي شَفَاعَتَهُمْ﴾، ﴿سَبِيلًا إِلَّا مِنْ بَدُو أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾، في الشفاعة، ﴿لَمَنْ يَشَاءُ وَرَوْحٌ﴾، أي من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد، لأن

بمعنى العذاب، أي أن ظنهم لا ينقذهم من العذاب.

﴿٣٣﴾ وَأَطِيعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَأَعْبُدُوا مَوْلَى الْقَيْبِ فَهُوَ رَبِّي﴾، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾.

﴿٣٤﴾ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَ﴾، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن أتوا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

﴿٣٥﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لَيَجْرِي الَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾، فاللام في قوله:

﴿لَيَجْرِي﴾ متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلاً بما يستحقه، الذين أسأوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿لَيَجْرِي الَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا بِالْحَسَنَىٰ﴾، وحدوا ربهم بالحسنى، بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿٣٦﴾ ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوْحِشُ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن، ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبدالله بن عمرو بن

العاص: اللّمم ما دون الشرك. وقال السدي قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللّممّ﴾، فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليهما ملك كريم.

وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا اللّممّ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن تغفر اللهم تغفر جناً وأبي عبد لك إلا ألماً».

وأصل اللّمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة، ولا إقامة عليه.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه: لكن اللّمم، ولم يجعلوا اللّمم من الكبائر والفواحش.

ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي، ورواية طاووس عن ابن عباس.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمود بن غيلان، أنا عبدالرزاق، أنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله

كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وزاد: «والعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش. والرجل زناها الخطي».

وقال الكلبي: «اللمم» على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي خطر. وقال الحسين بن الفضل: اللّمم النظرة من غير عمد فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب. ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَبُّعٌ كَتَمُورٌ﴾، قال ابن عباس: لمن فعل ذلك ثم تاب، تم الكلام ههنا، ثم قال: ﴿هُوَ أَكْبَرُ يَكْرُ إِذْ أَتَاكَ نَبِيٌّ مِنَ الْآلِزِينَ﴾، أي خلق أباك من آدم من التراب، ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ آيَةٌ﴾، جمع جنين، سُمي جنيناً لاجتنانه في البطن، ﴿فِي بَطْنِهَا إِذْ يَتَوَكَّرُونَ مِنْكُمْ﴾، قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، فلا تبرؤوا عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها.

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿هُوَ أَكْبَرُ يَكْرُ يَمِينَ أَتَى﴾، أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنْزَلَتْ أَلْوَىٰ تَوَلَّى﴾﴾، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فغيره بعض المشركين، وقال له: أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن الذي عاتبه إن هو وافقه ورجع إلى شركه أعطاه كذا من ماله أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيَّره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله عز وجل: ﴿أَنْزَلَتْ أَلْوَىٰ تَوَلَّى﴾ أدبر عن الإيمان.

﴿رَأْفَتِي﴾، صاحبه، ﴿قِيلًا وَكَيْفًا﴾، بخل بالباقي، وقال مقاتل: أعطى يعني الوليد قليلاً من الخير بلسانه، ثم أكدى، يعني قطعه وأمسك ولم يبق على العطية.

وقال السدي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور.

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله: ﴿رَأْفَتِي قِيلًا وَكَيْفًا﴾، أي لم يؤمن به، ومعنى أكدى: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب:

أكدى الحافر وأجبل، إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل .

﴿٣٥﴾ وَأَعْنَدُ عِلْمَ الْقَيْبِ فَهَوَ بَرَقٌ ، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه .

﴿٣٦﴾ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ ، لم يخبر ، ﴿يَمَّا فِي سُحُوفٍ مُّوسَى﴾ ، يعني أسفار التوراة .

﴿٣٧﴾ وَإِبْرَاهِيمَ ، وفي صحف إبراهيم عليه السلام ، ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ ، تمم وأكمل ما أمر به . قال الحسن ، وسعيد بن جبير ، وقناة : عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه . قال مجاهد : وفى بما فرض عليه .

قال الربيع : وفى رؤياه وقام بتبنيح ابنه . وقال عطاء الخراساني : استكمل الطاعة . وقال أبو العالية : وفى سهام الإسلام . وهو قوله : ﴿وَلَا يَنْفَكُ مِنْهُ بِرَبِّكَ فَأَتَهُمُ الْبَغْرَةُ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، والتوفية الإتمام . وقال الضحاك : وفي ميثاق المناسك .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى ، أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ، ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهرى ، ثنا إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [قال] «كان يصلي أربع ركعات أول النهار» .

أخبرنا أبو عثمان الضبي ، أنا أبو محمد الجراحي ، ثنا أبو العباس المحبوبي ، ثنا أبو عيسى الترمذي ، ثنا أبو جعفر السمناني ، ثنا أبو

مشهر ، ثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نصير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال : «ابن آدم أركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» .

﴿٣٨﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا فِي صَحْفِهِمَا فَقَالَ : ﴿أَلَا تَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُ يَذَّوْنًا﴾ ، أي لا تحمّل نفس حاملة حمل أخرى ، ومعناه : لا تؤخذ نفس بثأم غيرها ، وفي هذا إبطال قول من ضمنه للوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم . ودوى عكرمة عن ابن عباس قال : كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره ، كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده ، حتى كان إبراهيم فنهاهم عن ذلك ، وبلغهم عن الله ﷻ ﴿أَلَا تَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُ يَذَّوْنًا﴾ .

﴿٣٩﴾ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ، أي عمل كقوله : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا لَيْسَ﴾ [الليل: ٤] ، وهذا أيضاً في صحف إبراهيم وموسى . قال ابن عباس : هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة ، بقوله : ﴿لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [الطور: ٢١] ، فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء . وقال عكرمة : كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى ، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم .

لما زوي أن امرأة رفعت صبيّاً لها فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال : «نعم ولك أجر» .

وقال رجل للنبي ﷺ : إن أمي افتلتت نفسها ، فهل لها أجر إن

تصدقت عنها؟ قال : «نعم» . وقال الربيع بن أنس : ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ يعني الكافر ، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له . قيل : ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو ، فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير .

ويروى أن عبدالله بن أبي كان أعطى العباس قميصاً البسه إياه ، فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفنه فيه .

فلم يبق له حسنة في الآخرة بثاب عليها .

﴿٤٠﴾ وَأَنَّ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرْفَعُ ، في ميزانه يوم القيامة ، من أربته الشيء .

﴿٤١﴾ ثُمَّ يَبْزُغُ الْبَرِّقَةُ الْأَوْفَىٰ ، الأكمل والأتم أي يجزئ الإنسان بسعيه ، يقال : جزيت فلاناً سعيه وسعيه ، قال الشاعر :

إن أجر علقمة ابن سعد سعيه
لم أجره بلاء يوم واحد
فجمع بين اللغتين .

﴿٤٢﴾ وَأَنَّ لَكَ رَبُّكَ النَّهْبُ ، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه ، وهو مجازيهم بأعمالهم . وقيل : منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي ، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخيرني الحسن بن محمد الشيباني ، أنا محمد بن سيماء بن الفتح الحنظلي ، ثنا علي بن محمد المصري ، أنا أبو إسحاق [بن إبراهيم] بن منصور الصعدي ، أنا العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه عن

﴿٤٨﴾ **﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَقْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾**، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال وأقنى أي أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال [وأقنى] بالإيل والبقر والغنم. وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم. وقال ابن عباس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى. قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما أعطى وقنع. وقال ابن زيد: أغنى أكثر وأقنى أقل، وقرأ: **﴿يَسْطُرُ الرَّقَّةَ لِيَن يَشَاكَ وَيَقْدِرُ﴾** [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢]، وقال الأخفش: أقنى أقرر. وقال ابن كيسان: أولد.

﴿٤٩﴾ **﴿وَأَنْتُمْ هُمْ رَبُّ النَّبِيِّينَ﴾**، وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان، يقال لأحدهما العبور وللأخرى الغميصاء، سميت بذلك لأنها أخفى من الأخرى، والمنجرة بينهما. وأراد ههنا الشعري العبور وكانت خزاعة تعبدها، وأول من سن لهم ذلك رجل من أشراهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعري [تقطها] طولاً فهي مخالفة لها، فعبدتها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه بن أبي كبشة لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعري.

﴿٥٠﴾ **﴿وَأَنْتُمْ أَهْلَكُ عَادًا الْأُولَىٰ﴾**، قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال، ويهزم واوه قالون عن نافع، والعرب تفعل ذلك فتقول:

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا قيس هو ابن الربيع الأسدي، ثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا، يعني

النبي ﷺ. وقال معمر عن قتادة: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

﴿٥١﴾ **﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَمَاتٌ وَأَحْيَاءُ﴾**، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحياء الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

﴿٥٢﴾ **﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّبِّينَ الذَّكَّرَ وَالْأُنثَىٰ﴾**، من كل حيوان.

﴿٥٣﴾ **﴿مِنْ نُّفُوسٍ إِذَا تَفَقَّتْ﴾**، أي تصب في الرحم، يقال: منى الرجل وأمنى. قال الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون: [تمنى] تقدر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.

﴿٥٤﴾ **﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ النَّشَأَ الْآخِرَىٰ﴾**، أن الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

سُورَةُ النَّجْمِ

وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّبِّينَ الذَّكَّرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٥٢﴾ مِنْ نُّفُوسٍ إِذَا تَفَقَّتْ ﴿٥١﴾ وَأَنَّ عَلَيْكَ النَّشَأَ الْآخِرَىٰ ﴿٥٤﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ هُوَ أَقْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٠﴾ وَأَنْتُمْ هُمْ رَبُّ النَّبِيِّينَ ﴿٤٩﴾ وَأَنْتُمْ أَهْلَكُ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَتَمُودَ أَمَّا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ﴿٥٠﴾ وَالْمُرْثَفَةَ أَمْوَىٰ ﴿٥٣﴾ تَمَسَّنْهَا مَا غَشِيَ ﴿٥٤﴾ فَأَيُّ الْآرَافِئِكُمْ تَسْمَأُونَ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآرَافَةُ ﴿٥٦﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ ﴿٥٥﴾ أَوْنِ هَذَا الْعَرِيبِ تَعْبُونَ ﴿٥٦﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿٥٦﴾ فَاسْتَجِدُّوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا ﴿٥٦﴾

سُورَةُ النَّبِيِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ بَسُرُوا مَا بِيَعْرَضُوا ﴿١﴾ وَيَقُولُوا بَحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢﴾ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بِلَغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذَرَ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ بَدَأَ الدَّاعِ إِلَىٰ هِيٍّ وَتَكْفُرٍ ﴿٥﴾

٥٢٨

الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: **﴿وَأَنَّ لَكَ رَبُّكَ أَلْتَنْهَن﴾**، قال: «لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ».

وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة».

﴿٤٧﴾ **﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَضْحَكُ وَأَبْكَىٰ﴾**، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فيقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

قم لأن عثا، تريد: قم الآن عثا، ويكون الوقف عندهم عاداً، والابتداء «أولى»، بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة، ويجوز الابتداء: لولى، بحذف الهمزة المفتوحة، وقرأ الآخرون: ﴿عَادَا الْأَرْضِ﴾، وهم قوم هود أهلوكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى.

﴿٥١﴾ ﴿وَتَمُونَا﴾، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، ﴿قَاتِلِينَ﴾، منهم أحداً.

﴿٥٢﴾ ﴿وَقَوْمٌ شُجَّ قَبْلَ نُوحٍ قَبْلَ﴾، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّمِمْ كَانُوا هُمْ أَتْلَمَ وَأَلَمْنَ﴾، لسطول دعوة نوح إياهم وعثوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

﴿٥٣﴾ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾، يعني قرى قوم لوط، ﴿أَقْرَبِينَ﴾، أسقط أي أهواها جبريل بعدما رفعها إلى السماء.

﴿٥٤﴾ ﴿فَنَسْنَاهَا﴾، ألبسها الله، ﴿مَاءً عَقْنِ﴾، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

﴿٥٥﴾ ﴿وَيَأْتِي مَاءَهُ رَيْحٌ﴾، نعم ريك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿نَسْمَارِي﴾، تشك وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

﴿٥٦﴾ ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿مَنْ أَلْتَذِيرَ الْأُولَى﴾، أي رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة يقول: أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله.

﴿٥٧﴾ ﴿أَفَرَأَيْتِ الْأَزْوَاقَ﴾، دنت القيامة واقرت الساعة.

﴿٥٨﴾ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، أي مظهرة مبينة كقولها تعالى: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُؤًا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرأ كالخافية والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها راد يعني: إذا غشيت الخلق أهوالها وشدايدها لم يكشفها ولم يرددها عنهم أحد، وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتَ﴾، يعني القرآن، ﴿تَتَّبِعُونَ وَتَضْحَكُونَ﴾، الاستهزاء، ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾، لما فيه من الوعد والوعيد.

﴿٦١﴾ ﴿وَأَنْتُمْ سَيِّئُونَ﴾، لاهون غافلون، والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عثا سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك: أشرون بطرون. وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض.

﴿٦٢﴾ ﴿فَأَعْبُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾، أي واعبدوه.

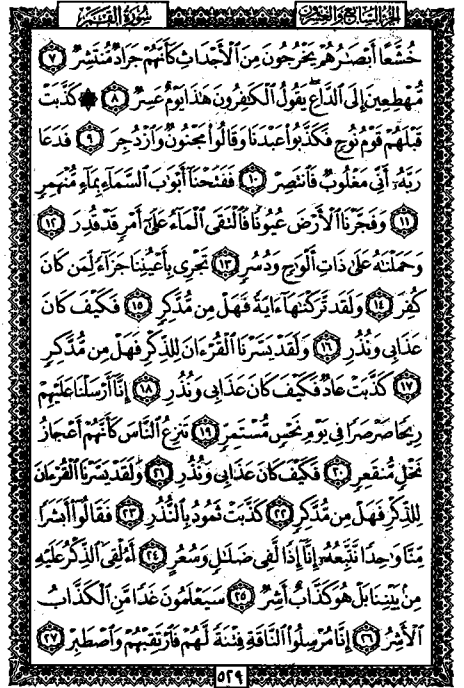
أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبدالوارث، ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد، عن عبدالله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة: النجم، قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيت بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا آدم بن أبي إياس، أنا ابن [أبي] ذئب، أنا يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها.

قلت: هذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء. وهو قول الشافعي وأحمد. وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة على القارئ والمستمع جميعاً، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.



محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله قال: انشق القمر بمكة. وقال مقاتل: انشق القمر ثم التأم بعد ذلك.

وروى أبو الضحى عن

مسروق عن عبدالله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأينا، فانزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ أَفَئِنَّ الْقَمَرَ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُرْسُوا وَيَوَلَّوْا﴾ وسحر مستقر، أي ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قر واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر، أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد، وأمرته إذا أحكمت فئله واستمر الشيء إذا قوي واستحکم.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عز وجل، واتبعوا ما زين لهم

الشیطان من الباطل، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فيسيظهر، وما كان منه في الآخرة فيسعفر.

وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر. وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقر قراره. فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالشواب والعقاب. وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل: كل ما قدر كائن واقع لا محالة. وقرأ أبو جعفر «مستقر»، بجزء الراء، ولا وجه له.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾، يعني أهل مكة، ﴿مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿مَا فِيهِ مَرْجَبٌ﴾، متناهى مصدر بمعنى الازدجار، أي نهى وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهته عن السوء، وأصله مزجج، قلبت التاء دالاً.

﴿حِكْمَةً بَلِيغَةً﴾، يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿فَمَا تَتَنَزَّلُ﴾، يجوز أن تكون ﴿مَا﴾ نفيًا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهامًا، والمعنى: فأني شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿وَمَا تَتَنَزَّلُ الْأَيْكُ وَالنَّذْرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، والنذر جمع نذير.

﴿فَنَزَّلْنَا عَلَيَّمُ﴾، أي أعرض

سورة القمر

مكية وهي خمس وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ﴾، دنست القيامة، ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن عبدالوهاب، أنا بشر بن المفضل، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما. وقال شيبان عن قتادة: فأراهم انشفاق القمر مرتين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن يوسف، ثنا النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا

تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها وقال الضحاك: الألواح جليتهاها، والدرس أصلها وطرفاها.

﴿تَهَيَّأْ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي بمرأى منا. وقال مقاتل بن حيان: يحفظناه ومنه قولهم للسرورج: حين الله عليك. قال سفيان: بأمرنا. ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾، قال مقاتل بن حيان يعني فعلنا به وبهم من انجاء نوح وإغراق قومه ثولياً لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: «من» بمعنى «إما» أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد، جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا﴾، يعني الفعلية التي فعلنا، «كأية»، يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله بياقردى من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله التميمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم، ثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود عن قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، أو مذكر؟ قال: سمعت عبدالله يقرأها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، وقال

أي قبل أهل مكة، ﴿فَرَمْنَا نُوحًا فَاغْرَقْنَا عَبْدًا﴾، نوحاً، ﴿وَقَالُوا كَمْ حَبْرٌ وَآذَانٌ﴾، أي زجروه عن دعوته ومقاتله بالشتيم والوعيد، وقالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ يَنْتُحِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال مجاهد معنى: ازدجر أي استطيع جنونا.

﴿قَدَمًا﴾، نوح، ﴿وَيَدًا﴾، وقال، ﴿أَبَى مَلُوفٍ﴾، مقهور، ﴿فَأَنْتَمِرُ﴾، فانتقم لي منهم.

﴿فَنَنْهَآ أَوْرَثَ السَّمَآءَ مَآءًا مَّيْمِينًا﴾، مُتَّصِبٌ انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً، وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ﴾، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعداً لأن الماء يكون جمعاً وواحداً، وقرأ عاصم الجحدري: فالتقى المآئن. ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدٍ قُدْرٍ﴾، أي قضى عليهم في أم الكتاب. وقال مقاتل: قدر الله أن يكون المآئن سواء فكانا على ما قدر.

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾، يعني نوحاً، ﴿عَلَىٰ ذَاتِ الْأَرْجِحِ وَدُسْرًا﴾، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، ﴿وَدُسْرًا﴾ أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شدتها بالمسامير. وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجوجؤها، أي

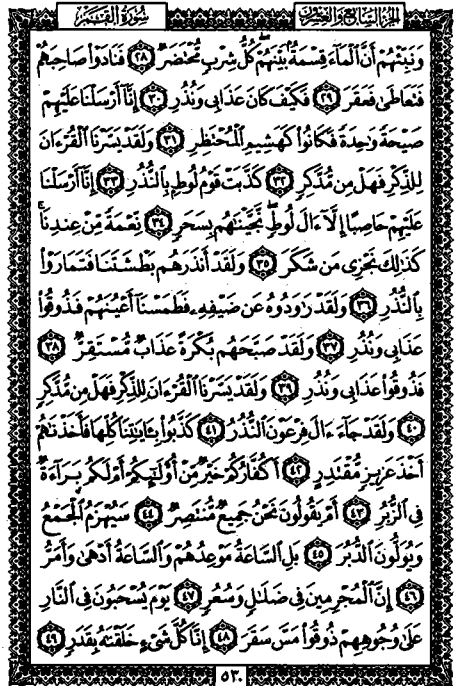
عنهم نسخها آية القتال. قيل: ههنا وقف تام. وقيل: ﴿قَوْلًا مَّعَهُمْ يَوْمَ يَنْفَعُ الدَّالِجَ﴾، أي إلى يوم [ينفع] الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس، ﴿إِلَىٰ شَقْوَىٰ تُكْرِمُ﴾، منكر فظيح لم يروا مثله فينكرونه استعظماً، قرأ ابن كثير: ﴿نُكْرًا﴾ بسكون الكاف، والآخرين بضمها.

﴿حُشْمًا أَمْصَرُهُمْ﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي: ﴿خاشعاً﴾ على الواحد، وقرأ الآخرون: ﴿حُشْمًا﴾ بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتانيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم، قال الشاعر:

من إباد بن نزار بن معبد
وفي قراءة عبدالله: ﴿حَشِيمَةً أَمْصَرُهُمْ﴾، أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿يَتَرَبَّصُّونَ مِنَ الْعَذَابِ﴾، من القبور، ﴿كَلَّهْمُ جَرَادٌ مُتَتَبِّرٌ﴾، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: ﴿كَالْفَرَّاشِ الْمَسْبُوثِ﴾ [الفارعة: ٤]، وأراد أنهم يخرجون فرعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها، تكون مختلطة بعضها في بعض.

﴿مُهَيَّبِينَ﴾، مسرعين مقبلين، ﴿إِلَىٰ الدَّالِجِ﴾، إلى صوت إسرافيل، ﴿يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرَسٌ﴾، صعب شديد.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿كَذَّبَتْ قَبَلَهُمْ﴾،



الأربعاء في آخر الشهر.

﴿تَبَخَّرَ النَّاسُ﴾ (٢١) ثلغهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم: وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، ﴿كَأَنَّهُمْ أَصْنَاءُ تَحَلَّى﴾، قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل. ﴿شَفَعِيرٌ﴾، منقطع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الأعجاز عجز، مثل عضد وأعضاء، وإنما قال: ﴿أَصْنَاءُ تَحَلَّى﴾ وهي أصولها التي قطعت

فروعها لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسام بلا رؤوس.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿كَفَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ يَنْذُرُكَ﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾، بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

﴿٢٣﴾ ﴿فَقَالُوا أَإِتْرَاءُ﴾، آدمياً، ﴿وَتَنَا وَجِدًا تَيْمَمُ﴾، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَلِ﴾، خطأ وذهاب عن الصواب، ﴿ووسع﴾، قال ابن عباس: عذاب، وقال الحسن: شدة عذاب. وقال قتادة: عناء، يقولون: إنا إذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته. قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعير. وقال الفراء: جنون، يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها. وقال وهب: وسعُر: أي بُعد عن الحق.

﴿٢٤﴾ ﴿لَقَدْ لَفَى الذِّكْرُ﴾، أنزل الذكر الرحي، ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بطل متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، و﴿الأسر﴾ المرح والتعجب.

﴿٢٥﴾ ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾، قرأ ابن عامر وحزمة: ﴿ستعلمون﴾، بالباء على معنى قال صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا﴾، حين ينزل بهم العذاب. وقال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غداً، ﴿مَنْ أَلْكَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾، أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوها أن يخرجها منها، وذلك أنهم تعتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشاء، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَتَنَّهُ لَهُمْ﴾، محنة واختباراً لهم، ﴿فَاتَّقَوْهُمْ﴾، فانتظر ما هم صانعون، ﴿وَأَسْمَلُوا﴾ [واصبروا] على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَتَّبِعُهُمُ الْآلَاءُ قِسْمًا يُبْهِمُهُمْ﴾، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال «يبهم» لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم، ﴿كُلُّ شَيْءٍ رِيحٌ﴾، نصيب من الماء، ﴿تَحَضَّرَ﴾ يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شريها، وإذا كان يومهم حضروا شريهم، وحضر واحتضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني

سمعت النبي ﷺ يقرؤها: ﴿فَهَلْ يَنْذُرُكَ﴾، دالاً.

﴿٢٨﴾ ﴿كَفَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾، أي إنذار، قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب أنذرت إنذاراً ونذراً، كقولهم أنفقت إنفاقاً ونفقة، وأيقنت إيقاناً ويقيناً، أقيم الاسم مقام المصدر.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، سهلنا، ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفاظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن. ﴿فَهَلْ يَنْذُرُكَ﴾، متعظ بمواعظه.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ كَذَّبَتْ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، شديدة الهبوب، ﴿فِي يَوْمٍ نَحِيزٌ شَتِيرٌ﴾، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يبق منهم أحد إلا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم

موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

﴿كَذِبُوا بِعَاقِبَاتِنَا كَذِبًا﴾، وهي الآيات التاسع، ﴿فَلَنَذِقَنَّهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿لَعْنَةُ عَزِيزٍ﴾، غالب في انتقامه، ﴿مُقَدِّرٍ﴾، قادر على إهلاكهم، لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

﴿أَكْفَارُكُمْ حَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيِّكُمْ﴾، أشد وأقوى من الذين أحللت بهم تقمى من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، ﴿لَكُم بَرَكَةٌ﴾، من العذاب، ﴿فِي الْآيَاتِ﴾، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿قُلْ يَتُوبُونَ﴾، يعني كفار مكة، ﴿مَنْ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الأبي.

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيُهِمُ الْجَمْعُ﴾، قرأ يعقوب: ﴿سنهزم﴾ بالنون، ﴿الجمع﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها، ﴿الجمع﴾ رفع على غير تسمية الفاعل، يعني كفار مكة، ﴿يَتُوبُونَ الذُّرِّ﴾، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع، أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.

جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما أنعمنا على آل لوط، ﴿يَجْرِي مِّنْ شَكْرٍ﴾، قال مقاتل: من وحده الله لم يعذبه مع المشركين.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾، لوط، ﴿بَطْمَنَاتِنَا﴾، أخذنا إياهم بالعقوبة، ﴿فَتَنَارُوا بِالذُّرِّ﴾، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ حَيْبِهِمْ﴾، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فَلَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خل بينهم وبين الدخول فإنا نرسل ريك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عمياً يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: ﴿فَلَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾، يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الضحاك: لمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروه ثم فرجعوا. ﴿فَدُورُوا عَنَّا وَذُرِّ﴾، أي ما أنذرهم به لوط من العذاب.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾، جاءهم وقت الصبح، ﴿عَدَابٍ مُّشْتَوٍّ﴾، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.

﴿قَدْ دُورُوا عَنَّا وَذُرِّ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّكْرٍ﴾، يعني

يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

﴿فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾، وهو قدار بن سالف، ﴿فَقَطَّعُوا﴾، فقتلوا الناقة بسيفه ﴿فَقَرَّ﴾، أي فعمرها. ﴿نَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَذُرِّ﴾، ثم بين عذابهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَبَيِّنَةً﴾، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿كَثَاثًا كَثِيرًا لِّلْمُنَظِّرِ﴾، قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقال ابن زيد: هو البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح، والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم، والعرب تسمى كل شيء كان رطباً فيبس هشماً، وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

﴿وَلَقَدْ بَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّكْرٍ﴾، كذبت قوم لوط بالذُرِّ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، يعني يرميهم بالجنجارة، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا آلَ لُوطٌ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، ﴿جَبَّتْهُنَّ﴾، من العذاب، ﴿وَسَخَّرَ﴾، يعني



سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يشب في درعه ويقول: ﴿سَيَبْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرَ﴾ بل الكفاة مؤدبهم والكفاة أدهن وأمر، أي أعظم داهية وبليية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

﴿٤٧﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾، المشركين، ﴿لَلَّي سَلَكَ وَسُعْرٌ﴾، قيل: في ضلال بعد عن الحق. قال الضحاك: وسُعر أي نار تسعر عليهم. وقيل: في ضلال ذهب عن طريق الجنة في الآخرة؛ وسُعر:

نار مسخرة، قال الحسين بن فضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة. وقال قتادة: في عناء وعذاب.

﴿٤٨﴾ ثم بين عذابهم فقال: ﴿يَوْمَ يُسْعَوْنَ﴾، يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، ويقال لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ﴾، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي، أنا [أبو] مسلم غالب بن علي الرازي، أنا أبو معشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب، ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أنا أحمد بن نصر النيسابوري، أنا عبد الله بن الوليد العدني، أنا الثوري عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن

محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال: جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ فِي سَلَكَ وَسُعْرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ﴾.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي، أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوريزي، أنا يونس بن عبد الأعلى الصديقي، أنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبيلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر الله»، قال: وسمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء قدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز».

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثني، ثنا عبد الوهاب، ثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ وهو في قبه يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك، [فخرج] وهو في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَبْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿بَلِ الْكَافَّةُ مَأْدُبُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَهَنُ وَأَمْرٌ﴾.

قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما نزلت: ﴿سَيَبْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرَ﴾ كنت لا أدري أي جمع

محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أنا يعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربيعي بن حراش، عن رجل عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» زاد عبيد الله «خيره وشره».

ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال: عن ربيعي عن علي ولم يقل: عن رجل، وهذا أصح.

﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَفِجَ بِأَبْصَرٍ﴾، قوله: «واحدة»، ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾، أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، «فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ»، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾، يعني فعله الأشياء من خير وشر، «فِي الْأَنْزُرِ»، في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، «مُنْتَظَرٌ»، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتبت.

﴿إِنَّ لِلَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾، بساتين، «وَنَهْرٍ»، أي أنهار، ووحده لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة ومنه النهار. وقرا الأعرج: «وَنَهْرٍ» بضمين جمع النهار يعني لا ليل لهم.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾، فسي مجلسي حق لا لغو فيه ولا تأثيم، «عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ»، ملك قادر لا يعجزه شيء. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله التمكن بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.



سورة الرحمن

مكية وقيل مدنية وهي ثمان وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الرَّحْمَنُ﴾ [قيل: نزلت حين قالوا وما الرحمن، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، قال الكلبي علم القرآن محمداً. وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

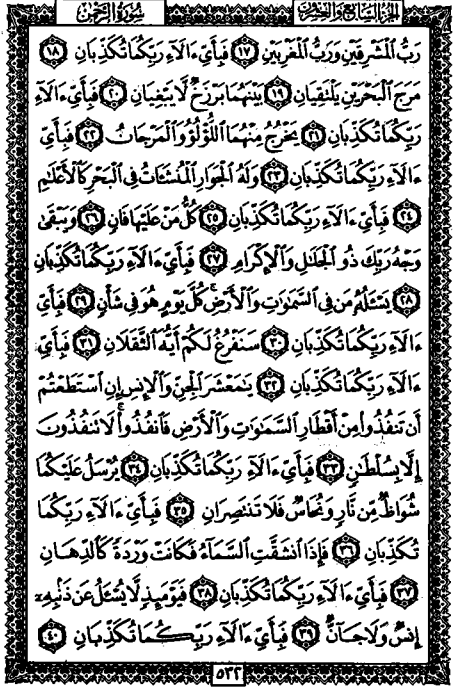
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، يعني آدم عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية. وقال الآخرون:

الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان النطق والكتابة الفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، هذا قول أبي العالية وابن زيد والنحسن وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال ابن كيسان: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعني محمداً ﷺ «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» يعني بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال مجاهد: كحسيان الرحي يدوران في مثل قطب الرحي، قال غيره: معناه أي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها، قاله ابن عباس وقتادة. وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني [أن] بهما تحسب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لثم يدر أحد كيف [يحسب] شيئاً. وقال الضحاك: يجريان بقدر، والحسيان يكون مصدر حسبت حساباً وحسباناً مثل الغفران والكفران، والرجحان والتقصان، وقد يكون «الحسيان» جمعاً كالشبهان والركبان.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، النجم ما ليس له ساق من الثبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: «يَنْقَرُونَ ظِلَّهُنَّ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَرُكُوعًا» [النحل: ٤٨] وقال مجاهد:



﴿١٦﴾ ﴿وَالْأَرْضُ وَمَنْحَمَهَا﴾
 لِلْأَنْبَاءِ، لِلخَلْقِ الَّذِينَ
 بِهِمْ فِيهَا.
 ﴿١٧﴾ ﴿فِيهَا فَكَّهَمُ﴾،
 يَعْنِي أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ، قَالَ
 ابْنُ كَيْسَانَ: [يَعْنِي] مَا
 يَتَفَكَّهُونَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي
 لَا تَحْصَى، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ
 الْأَكْمَامِ﴾ الْأَوْعِيَةِ الَّتِي
 يَكُونُ فِيهَا التَّمْرُ لِأَنَّ التَّمْرَ
 النَّخْلُ يَكُونُ فِي غِلَافِ مَا
 لَمْ يَنْشَقْ، وَاحِدُهَا كَمِ،
 وَكُلُّ مَا سَتَرَ شَيْئًا فَهُوَ
 كَمِ، وَكِمَةٌ، وَمِنْهُ كَمِ
 الْقَمِيصُ، وَيُقَالُ لِلْقَلَنْسُوَةِ
 كِمَةٌ.

قال الضحاك: ذات الأكمام أي
 ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها
 ليفها. وقال ابن زيد: هو الطلع قبل
 أن ينشق.

﴿١٧﴾ ﴿وَالْمَلْبُؤُورُ الْعَصْفُ﴾، أَرَادَ
 بِالْحَبِّ جَمِيعَ الْحَبُوبِ الَّتِي تَحْرَثُ فِي
 الْأَرْضِ [وَالْعَصْفُ]. قَالَ
 مُجَاهِدٌ: هُوَ وَرَقُ الزَّرْعِ. قَالَ ابْنُ
 كَيْسَانَ: ﴿الْعَصْفُ﴾ وَرَقُ كُلِّ شَيْءٍ
 يَخْرُجُ مِنْهُ الْحَبُّ، يَبْدُو أَوَّلًا وَرَقًا
 وَهُوَ الْعَصْفُ ثُمَّ يَكُونُ سَوَاقًا ثُمَّ
 يَحْدُثُ اللَّهُ فِيهِ أَكْمَامًا، ثُمَّ يَحْدُثُ مِنْ
 الْأَكْمَامِ الْحَبُّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي
 رِوَايَةِ الْوَالِي: هُوَ التَّبْنُ. وَهُوَ قَوْلُ
 الضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ. وَقَالَ عَطِيَّةُ عَنْهُ: هُوَ
 وَرَقُ الزَّرْعِ الْأَخْضَرُ إِذَا قَطَعَ رُؤُوسَهُ
 وَيَبَسَ، نَظِيرُهُ: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾
 [الفيل: ٥]. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾، هُوَ
 الرُّزْقُ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ، قَالَ ابْنُ

النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.
 ﴿٧﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، فَوْقَ
 الْأَرْضِ، ﴿وَوَضَعَ الْبَيْرَانَ﴾، قَالَ
 مُجَاهِدٌ: أَرَادَ بِالْمِيزَانِ الْعَدْلَ
 [وَالْإِنْصَافَ] وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَمَرَ
 بِالْعَدْلِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى.

﴿٨﴾ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْبَيْرَانِ﴾، أَي
 لَا تَجَاوِزُوا الْعَدْلَ. وَقَالَ الْحَسَنُ
 وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ أَرَادَ بِهِ الَّذِي يُوْزَنُ
 بِهِ لِيُوَصَلَ بِهِ الْإِنْصَافَ وَالْإِنْصَافُ،
 وَأَصْلُ الْوِزْنِ التَّقْدِيرُ [قَوْلُهُ] «أَلَّا
 تَطْغَوْا» يَعْنِي لِثَلَاثَةِ تَمِيلُوا وَتَظَلَمُوا
 وَتَجَاوَزُوا الْحَقَّ فِي الْمِيزَانِ.

﴿٩﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾،
 بِالْعَدْلِ، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعَطَاءُ:
 مَعْنَاهُ أَقِيمُوا لِسَانَ الْمِيزَانِ بِالْعَدْلِ.
 قَالَ [سفيان] بن عيينة: الإقامة باليد
 والقسط بالقلب، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾، وَلَا
 تَنْقُصُوا [الْبَيْرَانَ]، وَلَا تَطْغَفُوا فِي
 الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ.

عباس: كل ريحان في القرآن فهو
 رزق وقال الحسن وابن زيد هو
 ريحانكم [هذا] الذي يشم، قال
 الضحاك: العصف هو التين
 والريحان ثمرته، وقراءة العامة:
 ﴿وَالْمَلْبُؤُورُ الْعَصْفُ وَالرَّيْحَانُ﴾، كُلُّهَا
 مَرْفُوعَاتُ بِالرَّدِّ عَلَى الْفَاكِهِ، وَقَرَأَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَالْمَلْبُؤُورُ الْعَصْفُ
 وَالرَّيْحَانُ﴾ بِنَسْبِ الْبَاءِ وَالنُّونِ وَ«ذَا»
 بِالْأَلْفِ عَلَى مَعْنَى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 وَخَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَقَرَأَ حَمْزَةً
 وَالْكَسَاةَ [وَالرَّيْحَانَ] بِالْجَرِّ عَطْفًا
 عَلَى الْعَصْفِ فَذَكَرَ قُوَّةَ النَّاسِ
 وَالْأَنْعَامِ ثُمَّ خَاطَبَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَانَ.

﴿١٧﴾ فَقَالَ: ﴿فِي أَيِّ أَلَاءِ رَبِّكَمَا
 تُكْذِبَانِ﴾، أَيُّهَا الثَّقَلَانِ يَرِيدُ مِنْ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ وَكَرَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي
 هَذِهِ السُّورَةِ تَقْرِيرًا لِلنِّعْمَةِ وَتَأَكِيدًا فِي
 التَّذْكِيرِ بِهَا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي
 الْإِبْلَاحِ وَالْإِشْبَاعِ، يَعْذِدُ عَلَى الْخَلْقِ
 آلَاءَهُ [وَنِعْمَاهَا] وَيُفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ
 نِعْمَتَيْنِ بِمَا يَنْبَهُهُمُ عَلَيْهَا، كَقَوْلِ
 الرَّجُلِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَتَابِعَ عَلَيْهِ
 بِالْأَبْيَادِيِّ وَهُوَ يَنْكُرُهَا وَيَكْفُرُهَا: أَلَمْ
 تَكُنْ قَفِيرًا فَاغْنَيْتَكَ أَفْتَنَكَ هَذَا؟ أَلَمْ
 تَكُنْ عَرِيانًا فَكَسَوْتُكَ أَفْتَنَكَ هَذَا؟ أَلَمْ
 تَكُنْ خَامِلًا فَعَزَزْتُكَ أَفْتَنَكَ هَذَا؟
 وَمِثْلُ هَذَا التَّكْرَارِ سَائِغٌ فِي كَلَامِ
 الْعَرَبِ حَسَنٌ تَقْرِيرًا، وَقِيلَ خَاطَبَ
 بِلَفْظِ الثَّنِيَةِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ تَخَاطَبَ
 الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الثَّنِيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿أَلَيْقَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤].

وروي عن محمد بن المنكدر عن
 جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا
 رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى
 ختمها، ثم قال: «مالي أراكم

سكوتاً، للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ .

﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ لَبَنٍ أبيض، وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿وَمِنْ نَّارٍ مِنْ نَّارٍ﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ رَبُّ الشَّمْسِ وَرَبُّ الْمَرْجِ، مشرق الصيف ومشرق الشتاء، ﴿وَرَبُّ الشَّمْسِ﴾، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

﴿١٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ﴿بَلْبَابٍ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿بَلْبَابٍ﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿لَا يَبْيِغِيانِ﴾، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغى أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالفرق. وقال الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما. وعن قتادة أيضاً: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر. وقال مجاهد والضحاك: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام.

﴿٢٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة ﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿الَّذِي يُؤْتِي السَّمَكَ الْمَوْتِ﴾، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئاً ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل: ﴿يَتَمَشَّرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وكانت الرسل من الإنس دون الجن.

وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهاها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة.

واللؤلؤ ما عظم من الدر، والمرجان صغارها. وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا. وقيل: المرجان الخرز الأحمر. وقال عطاء الخراساني: هو اليسر.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿وَلَا تُكْرَهُ﴾، السفن الكبار، ﴿الَّتِي تَنْتَفِئُ﴾، وقرأ حمزة وأبو بكر المنشآت بكسر الشين أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت. وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، كالجبال جمع غلم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر وبالجبال في البر.

﴿٢٤﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿كُلٌّ مِنْ عَنَابٍ﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه ﴿فَان﴾، هالك.

﴿٢٦﴾ ﴿وَوَيْتَنَ يَمَّةٍ رَبِّكَ ذُو الْجَنَّةِ﴾، ذو العظمة والكبرياء، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، من ملك وإنس وجن. وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السموات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتساله الملائكة أيضاً لهم الرزق والمغفرة.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً.

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويفك عانياً، ويفرج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفقر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثة في خلقه ما يشاء.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشغليبي، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي إملاءً أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزار، أنا يحيى بن الربيع المكي، أنا سفيان بن عيينة،

أنا أبو حمزة الشمالي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن مما خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء، دفناه باقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويدر ويضعل ما يشاء، فذلك قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الإخبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب، والشواب والعقاب.

وقيل: شأنه جل ذكره أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر، عسكرياً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكرياً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرياً من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعاً إلى الله عز وجل. وقال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت. وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد بر جديد.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿يَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: سيفرغ بالياء لقوله: ﴿سَنَفَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَيَسْمَعُ وَبِهِ رَبِّي﴾، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾، فأتبع الخبر، وقرأ الآخرون بالنون، وليس المراد منه الفراغ عن شغل، لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة،

كقول القائل لأنفرغن لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن.

وقال آخرون: معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت لي. وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأعد أهل الفجور، ثم قال سيفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فيتم ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾، أي الجن والإنس، سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل.

قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما، وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿يَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿يَتَمَتَّعُ الَّذِينَ الْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَفْتَدُوا﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿وَمِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من جوانبهما وأطرافهما، ﴿فَأَنْفُذُوا﴾، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات

والأرض. فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حيث ما كنتم أدركنم الموت، كما قال جل ذكره: ﴿أَيُّنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا وربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، ﴿لَا تَفْتَدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني.

وروي عن ابن عباس قال: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله عز وجل. وقيل قوله: إلا بسلطان أي إلى سلطان كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْصَيْنَا﴾ [يوسف: ١٠٠] أي إلي.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿يَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾، وفي الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون ﴿يَتَمَتَّعُ الَّذِينَ الْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَفْتَدُوا﴾، الآية. فذلك قوله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ﴾، قرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين والآخرين بضمهما، وهما لغتان مثل صوار من البقر وصور وهو اللهب الذي لا دخان فيه هذا قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، ﴿وَنَحْسٌ﴾، قرأ

يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمَتِهِمْ فَوَعْدُ الْوَعْدِ وَالْأَقْدَامُ ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا
 آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 ﴿٣٨﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ﴿٣٩﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ
 ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ حَافٍ مَقَامٌ رَبِّهِمْ خَشْيَانٌ ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ
 ﴿٤٢﴾ ذَرَانَا أَتَانِي ﴿٤٣﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٤﴾ فِيهَا عِيسَى
 ابْنُ مَرْيَمَ ﴿٤٥﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٦﴾ فِيهَا مَنْ كُلُّ صِلَةٍ
 ذُكِّرَتْ ﴿٤٧﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٨﴾ مَكِينٌ عَلَى عَرْشٍ
 مُلْكِهِمْ مِنْ أَسْفَلِ مِنْ أَسْفَلِ وَحَى الْجَنَّةِ دَلِيلٌ ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا
 تَكْذِبَانِ ﴿٥٠﴾ فَمَنْ قَصِرَتْ أَطْرَافُ أَعْيُنِهِمْ إِذْ يَسْمَعُونَ ﴿٥١﴾ فَتَنْصَرِفُونَ
 وَلَا لِحَافٍ ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٤﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ
 ﴿٥٧﴾ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَانٌ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ
 ﴿٥٩﴾ مَذْمُومَاتَانِ ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ فِيهَا
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَشْيَانٌ ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾

تلون السماء بتلون الورد
 من الخيل وشبه الوردية في
 اختلاف ألوانها بالدهن
 واختلاف ألوانه، وهو
 قول الضحاك ومجاهد
 وقتادة والبربيج، وقال
 عطاء بن أبي رباح:
 كالدهان كعصير الزيت
 يتلون في الساعة ألواناً.
 وقال مقاتل: كدهن الورد
 الصافي. وقال ابن جريج
 تصير السماء كالدهن
 الذائب وذلك حين يصيبها
 حر جهنم. وقال الكلبي:
 كالدهان أي كالأديم

ابن كثير وأبو عمرو ونحاس بجز
 السين عطفاً على النار، وقرأ الباقون
 برفعها عطفاً على الشواظ. قال
 سعيد بن جبيرة والكلبي: النحاس
 الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن
 عباس، ومعنى الرفع يرسل عليكما
 شواظ، ويرسل نحاس هذا مرة وهذا
 مرة، ويجوز أن يرسل معاً من غير
 أن يمتزج أحدهما بالآخر، ومن جر
 بالعطف على النار يكون ضعيفاً لأنه
 يكون شواظ من نحاس، فيجوز أن
 يكون تقديره شواظ من نار وشيء
 من نحاس، على أنه حكى أن
 الشواظ لا يكون إلا من النار
 والدخان جميعاً. قال مجاهد وقتادة:
 النحاس هو الصفر المذاب يصب
 على رؤوسهم وهو رواية العوفي عن
 ابن عباس. وقال عبدالله بن مسعود:
 النحاس هو المهل. ﴿فَلَا تَنْصَرِفُونَ﴾،
 أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا
 يكون لكم ناصر منه.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا
 تَكْذِبَانِ﴾ ﴿إِذَا أَنْشَقَّتْ﴾ انفرجت،
 ﴿السَّمَاءِ﴾ فصارت أبواباً لتزول
 الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي كلون
 الفرس الوردي وهو الأبيض الذي
 يضرب إلى الحمرة والصفرة، قال
 قتادة: إنها اليوم خضراء ويكون لها
 يومئذ لون آخر يضرب إلى الحمرة.
 وقيل: إنها تتلون ألواناً يومئذ كلون
 الفرس الوردي يكون في الربيع أصفر
 وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتد
 الشتاء كان أعبر، فبشبه السماء في
 تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في
 تلونه ﴿كَالْيَحْيَى﴾ جمع دهن، شبه

وعن ابن عباس أيضاً لا يسألون
 سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون
 سؤال تقريع وتوبيخ.
 وقال أبو العالية لا يسأل غير
 المجرم عن فتن المعجم.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا
 تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمَتِهِمْ﴾،
 وهو سواد الوجوه ووزقة العيون،
 كما قال جل ذكره: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ
 وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]،
 ﴿فَوَعْدُ الْوَعْدِ وَالْأَقْدَامُ﴾ تجعل
 الأقدام مضمومة إلى النواصي من
 خلف ويلقون في النار.

﴿٣٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.
 ﴿٣٨﴾ ثم يقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
 يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾، المشركون.
 ﴿٣٩﴾ ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ مَائِنٍ﴾،
 قدر انتهى حره، قال الزجاج: أي يأتي

الأحمر وجمعه أدهنه ودهن
 ﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا
 تَكْذِبَانِ﴾ ﴿فَيُؤَيِّدُ لَا يُقْتَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ إِنْ
 وَلَا جُنَّةَ﴾، قال الحسن وقتادة: لا
 يسألون عن ذنوبهم لتعلم من
 جهتهم، لأن الله عز وجل علمها
 منهم، وكتبت الملائكة عليهم وهي
 رواية العوفي عن ابن عباس.
 وعنه أيضاً لا تسأل الملائكة
 المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم
 دليله ما بعده وهذا قول مجاهد.

وعن ابن عباس في الجمع بين
 هذه الآية وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ
 لَنَسْتَأْتِيَنَّكُمْ أَمِينٌ﴾ [الحجر: ٩٢]،
 قال: لا يسألهم هل عملتم كذا
 وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن
 يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟
 وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن،
 يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.

فهو أن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: ﴿وَأَن يَسْتَيْشُوا بِعَاثُوا يَمَوْ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال كعب الأحبار: «آن» وإد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخل أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، وذلك قوله: ﴿طَرَفُونَ بِهَا وَيَنْ جِيبَ مَاؤُ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾، ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.

﴿٤٦﴾ فقال: ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: ﴿أَفَمَن هُوَ قَاهِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَمَّا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله. وقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾ قال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته.

قال الضحاك: هذا لمن راقب الله

في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله، وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يجب أن يطلع عليه أحد.

وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.

أخبرنا أبو الحسن علي بن [الحسين] القرشي، أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس، أنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، أنا محمد بن حميد الهمداني، أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفى عن يزيد بن سنان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبدالعزيز، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله يقص على المنبر وهو يقول: ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء».

﴿٤٧﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾، ثم وصف الجنتين.

﴿٤٨﴾ فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْئَانِ﴾، أغصان واحدا فنن، وهو الغصن المستقيم طولاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة ظل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان. قال سعيد بن جبيرة والضحاك: ألوان الفواكه، واحدا فنن من قولهم أفن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب. وجمع عطاء بين القولين فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة. وقال قتادة: ذواتاً فضل وسعة على ما سواهما.

﴿٤٩﴾ - ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسيل. وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.

﴿٥٠﴾ - ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾، صفتان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً

وبإسأ. قاله ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَهُمْ كَمَا كَفَرُوا﴾ جمع فراش، ﴿بَلَاءَهُمْ﴾ جمع بطالة وهي التي تحت الظهارة. وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض. ﴿مِنْ إِسْتَوْرٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقيل لسعيد بن جبیر: البطائن من إستبرق. فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وعنه أيضاً قال: بطائنها من إستبرق فظواهرها من نور جامد. وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر.

﴿وَحَقَّ الْجَنَّةِ دَانٍ﴾، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والناثم. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً. قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَهُمْ كَمَا كَفَرُوا﴾ ﴿فِيهِمْ قَصِيرَاتُ الْفَلَاقِ﴾، غاضات العين، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم. قال ابن زيد: تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك. ﴿كَلِمَاتٍ﴾ لم يجامعن ولم يفترعن، وأصله الطمث وهو الدم ومنه قيل

للحائض طامث، كأنه قال لم يدمهن بالجماع، ﴿إِنْ قَبَلْتَهُمْ وَلَا جُنَانَ﴾، قال الزجاج: فيه دليل على أن الجنى يغشى ما يغشى الإنسى. قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يستم انطوى الجان على إحليله فجامع معه. قال مقاتل في قوله: ﴿كَلِمَاتٍ يَطْمِئِنُّنَّ بِهَا﴾، لأنهن خلقن في الجنة. فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة.

قال الشعبي: هن من نساء الدنيا لم يمسن منذ أنشئن خلقاً، وهو قول الكلبي يعني: لم يجامعن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان. وقرأ طلحة بن مصرفه: ﴿لَا يَطْمِئِنُّنَّ﴾ بضم الميم فيهما، وقرأ الكسائي إحداهما بالضم، فإن كسر الأولى ضم الثانية وإن ضم الأولى كسر الثانية.

لما روى أبو إسحاق السبيعي قال: كنت أصلي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فاسمعهم يقرؤون ﴿كَلِمَاتٍ يَطْمِئِنُّنَّ﴾ بالرفع، وكنت أصلي خلف أصحاب عبدالله بن مسعود فاسمعهم يقرؤون بكسر الميم، وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الأخرى لثلاث يخرج عن هذين الآخرين.

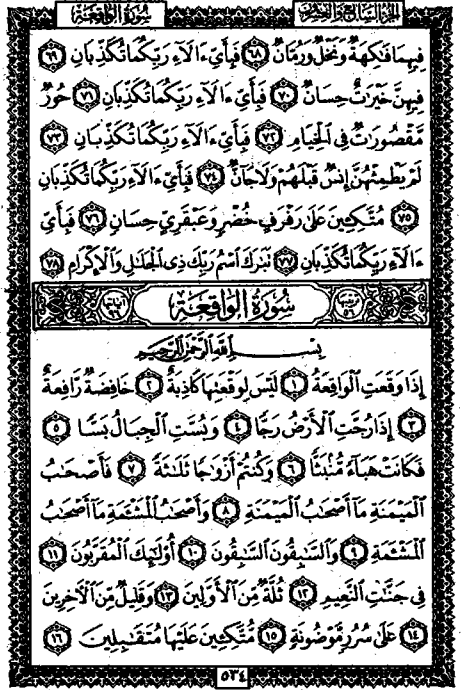
﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَهُمْ كَمَا كَفَرُوا﴾ ﴿كَلِمَاتٍ يَطْمِئِنُّنَّ﴾ ﴿كَلِمَاتٍ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

وزويتا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ: ﴿لكل رجل منهم زوجتان على كل

زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهن دون لحمهما ودمائهما وجلدهما».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان، أنا شعيب، أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كركب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتفلون، آتيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الآلوة ورشحهم المسك».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، أنا هارون بن محمد بن هارون، أنا حازم بن يحيى الحلواني، أنا سهل بن عثمان العسكري، أنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها. إن الله تعالى يقول: ﴿كَلِمَاتٍ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ﴾، فأما الياقوت فإنه حجر



الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فيقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي من دون الجنة الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع: جنتان للمقرنين السابقين فيهما [من] كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَغُلٌّ رِيحَانٌ﴾.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبد الله، أنا عبدالعزيز بن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن

لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه». وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء.

﴿يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه، أنا ابن أبي شيبة، أنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، أنا الحجاج بن يوسف المكتوب، أنا بشر بن

ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن». وقال الكسائي: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾ أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنة الأولى من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت.

﴿يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ناعمتان سوداوان من ربهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد رياً ادهيماً فهو مدهام.

﴿يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي من دون الجنة الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع: جنتان للمقرنين السابقين فيهما [من] كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَغُلٌّ رِيحَانٌ﴾.

قال ابن عباس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله. وقال أنس بن مالك: تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر.

﴿يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل، كما قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فَجَعَلْنَا عَدُوًّا لِلَّهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 98].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن حازم، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا

عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر كربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا نَكْدَابًا﴾ ﴿فِيهِ﴾، يعني في الجنات الأربع، ﴿خَيْرٌ حَسَنًا﴾.

روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله: ﴿خَيْرٌ حَسَنًا﴾؟ قال: «خَيْرَاتِ الْأَخْلَاقِ حَسَانِ الْوَجْهِ».

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا نَكْدَابًا﴾ ﴿حُرٌّ مَّصْرُورٌ فِي الْخِيَارِ﴾، محبوبسات مستورات في الحجاج، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغيثن لهم بدلاً.

وروي عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحاً، ولنصفيها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». ﴿فِي الْخِيَارِ﴾، جمع خيمة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

المشعبي، أنا عبد العزيز بن عبد الصمد، أنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون».

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا نَكْدَابًا﴾ ﴿لَا يَلْبِثُنَّ فِيهَا نِسٌّ فَلَهُمْ وَلَا جَانًا﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا نَكْدَابًا﴾ ﴿مُكْرَبِينَ عَلَى رَقَبٍ حَنْظَرٍ﴾، قال سعيد بن جبير: «الررفرف» رياض الجنة «خضر» مخضبة. ويروى ذلك عن ابن عباس، وأحدتها رفرفة، وقال: الررفرف جمع الجمع، وقيل: الررفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي.

وزوى العوفي عن ابن عباس: الررفرف فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرشن. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن الزوابي: وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفررف. ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَنًا﴾، هي الترابسي والطنافس الشخان، وهي جمع وأحدتها عبقرية، وقال قتادة: العبقرية عناق الزوابي.

وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة [ما هي] وقال القتيبي: كل ثوب موشى عند العرب عبقرية. وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يععمل بها الوشي. قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرية.

ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فريه».

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿يَأْتِي آلَاءَ رَبِّكُمَا نَكْدَابًا﴾ ﴿نِيرًا أَمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْأَكْرَامِ﴾، قرأ أهل الشام ﴿ذُرُّ الْمَلَكِ﴾ بالشواذ وكذلك هو في مصاحفهم إجراء على الاسم.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويشي، أنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، ثنا أبو بكر الجوريزي، أنا أحمد بن حرب، أنا أبو معاوية الضريع عن عاصم الأحول، عن عبدالله بن الحارث عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

سورة الواقعة

مكية وهي ست وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْبِ الرَّحْمَنِ

﴿١﴾ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، إذا

قامت القيامة. وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي الشفخة الأخيرة.

﴿٢﴾ ﴿إِن لَّوَقَعَتْهَا﴾، لمحيشها،

﴿كَذِبَةٌ﴾، كذب، كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَبِيَّةً﴾ [الغاشية: ١١]، أي لغو

يعني أنها تقع صدقاً وحقاً. والكاذبة اسم كالعافية والنازلة.

﴿٣﴾ ﴿حَافِظَةً رَّوَّاسَةً﴾، تخفض

أقواماً إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين.

﴿٤﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا، حركت وزلزلت زلزلاً، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً. قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها. وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتج.

﴿٥﴾ وَئُسِّتِ الْجِبَالُ سُتًا، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: فُتت فتاً فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً. وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييراً. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: ﴿قُلَّ يَلْفَهَا رِيٌّ سَفًا﴾ [طه: ١٠٥] قال ابن كيسان: جعلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شامخة طويلة.

﴿٦﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا، غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.

﴿٧﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا، أصنافاً، ﴿ثَلَاثًا﴾.

﴿٨﴾ ثم فسرها فقال: ﴿فَأَصْحَبُ الْمُئْتَمِنِينَ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال

الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه ﷺ فقال: ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُئْتَمِنِينَ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

﴿٩﴾ وَأَصْحَبُ الْمُشْكَوَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُشْكَوَةِ، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمي، ومنه يسمى الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي، وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم. وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

﴿١٥﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة. وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام. قال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبليتين، دليله قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى. وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات

الخمس. وقال الضحاك: إلى الجهاد.

وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر. قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْقَرَةٍ مِنْ ذِكْرِكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْقَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي لِقَائِي وَهُمْ نَحَابُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنين: ٦١]، وقال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه.

وروي عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة. وقيل: هم أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في الجهاد في سبيل الله. وقال القرظي: إلى كل خير.

﴿١١﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، من الله. ﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿فِي جَنَّاتٍ الْيُسْبِيْرِ﴾ ثلثةٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ، والثلة: جماعة غير محصورة العدد.

﴿١٤﴾ ﴿وَقِيلَ يَا أُولَئِكَ أَنَّى آلَيْتُم مِّنَ الْأُمَّةِ﴾، قال الزجاج [هم] الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ.

﴿١٥﴾ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾، منسوجة كما توضن حلق الدرغ فيدخل بعضها في بعض. قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا تُنْقَلِبُكَ﴾، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، للخدمة، ﴿وَلَدْنَهُ﴾، غلمان، ﴿تُحَلِّدُونَهُ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون.

وقال الفراء: تقول العرب لمن كبير ولم يشمط إنه مخلد. قال ابن كيسان: يعني ولداناً لا يحولون من حالة إلى حالة.

قال سعيد بن جبيرة: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط.

قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.

﴿يَا كُؤَابَ وَيَأْبَرِيقَ﴾، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا أذان لها ولا عرى، والأباريق [جمع إبريق] وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿وَكَايِنَ بَيْنَ يَمِينِ﴾، خمر جارية.

﴿لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يَبْرُؤُونَ﴾ [لا يذهب عقولهم] أي لا يسكرون هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.

﴿وَفَكَهَوُا مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ﴾، يختارون ما يشتهون يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

﴿وَلَطِيْرٌ مُّطَبَّرٌ مِمَّا يَنْتَشِرُونَ﴾، قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما

اشتبهى، ويقال: إنه يقع على صحيفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

﴿وَحُرُورِ عَيْنٍ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون، أي ويحور عين أتبعه قوله: «بأكواب وطير» في الإعراب وإن اختلفا في المعنى لأن الحور لا يظاف بهن.

كقول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوماً

وزججن الحواجب والعيونا
والعين لا تزجج وإنما تكحل
ومثله كثير، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين. وقرأ الباقر بالرفع أي يطوف عليهم حور عين.

وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين ورجاء في تفسيره: «حور عين» بيض ضخام العيون.

﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.

ويروى أنه يسطع نور في الجنة قالوا وما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها.

ويروى: أن الحوراء إذا مشيت ليسمع تقديس الخلاخل من ساقها وتمجيد الإسورة من ساعديها، وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها،

سورة الواقعة

سورة الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدْنَهُ حَلِّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَابَ وَيَأْبَرِيقَ وَكَأَيِّنَ بَيْنَ يَمِينِ
﴿١٨﴾ لَصُدُوعُونَ عَنْهَا وَلَا يَبْرُؤُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَوُا مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَطِيْرٌ مُّطَبَّرٌ مِمَّا يَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ وَحُرُورِ عَيْنٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ حَرَاءَ يَمِينَا كَأَنَّهُ يَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا
تَأْيِماً ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلاً ﴿٢٦﴾ أَي قَوْلًا ﴿٢٧﴾ سَلْتَنَا
سَلْتَنَا ﴿٢٨﴾ نَصَبْنَا اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ قِيلاً أَي
يَسْمَعُونَ قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا. قال
عطاء: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام،
ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من
شأنهم فقال جل ذكره:
﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا
أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُورٍ ﴿٣٠﴾ لَا
شَوْكَ فِيهِ، كأنه خضد شوكه أي قطع
ونزع منه، هذا قول ابن عباس
وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر
الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي
لا أذى فيه. قال: وليس شيء من
ثمرة الجنة في غلف كما يكون في
الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها

وفي رجليها نعلان من ذهب
شراكهما من لؤلؤ يصران بالسيح.

﴿حَرَاءَ يَمِينَا كَأَنَّهُ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا

تَأْيِماً ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلاً ﴿٢٦﴾، أي قولاً: سَلْتَنَا
سَلْتَنَا ﴿٢٨﴾ نَصَبْنَا اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ قِيلاً أَي
يَسْمَعُونَ قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا. قال
عطاء: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام،
ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من
شأنهم فقال جل ذكره:

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا

أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُورٍ ﴿٣٠﴾ لَا
شَوْكَ فِيهِ، كأنه خضد شوكه أي قطع
ونزع منه، هذا قول ابن عباس
وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر
الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي
لا أذى فيه. قال: وليس شيء من
ثمرة الجنة في غلف كما يكون في
الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها

مأكول ومشروب ومشموم ومتنور إليه. قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً. قال سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال. قال أبو العالية والضحاك: ونظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدرها، وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَيْلٍ﴾، أي موز واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال القراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوكة. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: ﴿وَلَيْلٍ مَّضُورٍ﴾، فقال: وما شأن الطلح إنما هو «طلع منضود» ثم قرأ «طلعها هضم»، قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.

والمضود المترام الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة.

قال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.

﴿٣٠﴾ ﴿وَلَيْلٍ مَّذُورٍ﴾، دائس لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا يقطع ممدود.

أخبرنا أبو علي بن حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى، ثنا

عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَيْلٍ مَّذُورٍ﴾ قال: شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا.

﴿٣١﴾ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخذود لا يقطع.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿وَفَكَهْمٍ كَثِيرٍ﴾ لآ مَّقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ، قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها.

وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن. وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.

وجاء في الحديث: «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين».

﴿٣٤﴾ ﴿وَفُرْنٍ مَّرْوَةٍ﴾، قال علي رضي الله عنه: ﴿وَفُرْنٍ مَّرْوَةٍ﴾ على الأسرة. وقال جماعة من المفسرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا ابن حبيش، ثنا أبو عبدالرحمن النسائي، ثنا أبو كريب رشدين بن سعد، عن عمرو بن

الحارث عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرْنٍ مَّرْوَةٍ﴾ قال: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام».

وقيل: أراد بالفرض النساء، والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، «مرفوعة» رفعت بالجمال والفضل على نساء الدنيا، دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾، خلقناهن خلقاً جديداً، قال ابن عباس: يعني آدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقاً آخر.

﴿٣٦﴾ ﴿جَمَلَتَهُنَّ أَكْبَارًا﴾ عذارى.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي عن الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا عبد بن حميد، أنا مصعب بن المقدم، أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، قال: فقلت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ جَمَلَتَهُنَّ أَكْبَارًا».

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم

الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخطيب، أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور، أنا أبو بكر محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد، أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي، ثنا سفيان الثوري [موسى بن عبيدة] عن يزيد بن أبيان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾، قال: «عجائز كن في الدنيا عمشاً رمصاً ﴿جَمَعْتَهُنَّ أَبْكَارًا﴾».

وقال المسيب بن شريك: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً.

وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا.

وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله، لم يقع عليهن ولادة، فجعلناهن أبكاراً عذارى، وليس هناك وجع.

﴿٢٧﴾ ﴿قُرْآنًا﴾ قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر: «عربياً ساكنة الراء، الباقون بضمها وهي جمع عرب أي عواشق متحبيبات إلى أزواجهن. قاله الحسن ومجاهد: وقتادة وسعيد بن جبير. وهي رواية الوالي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: مَلَقَةٌ. وقال عكرمة: غنجة. وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عربا حسان الكلام. ﴿تَرَاوَا﴾، مستويات في السن على سن واحد.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا بن شيبه ثنا الفريابي، عن علي بن أبي شيبه، أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً بيضاً جعاداً فمكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كما بين الجابية إلى صنعاء».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «ينظر إلى وجهه في خداه أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون أبناء ثلاث وثلثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار».

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر الحارثي، أنا محمد بن يعقوب، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنا عبدالله بن المبارك عن محمد بن سليم عن النجاشي عن عتاب العبدى عن عبدالله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال: أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دان - لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه.

﴿٢٨﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَبِ أَلْيَمِينَ﴾، يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين.

﴿٢٩﴾ ﴿ثَلَاثَةَ مِثَالِ الْأَلْيَمِينَ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَاللَّهُ يَنْزِلُ فِي الْأَخْيَرِينَ﴾، من مؤمني هذه الأمة، هذا قول عطاء ومقاتل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد العدل، ثنا عبدالله بن عبدالرحمن اللدق، ثنا محمد بن عبدالعزيز، ثنا عيسى بن المساور، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عيسى بن موسى عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ثَلَاثَةَ مِثَالِ الْأَخْيَرِينَ﴾ وَقِيلَ مِنَ الْأَخْيَرِينَ بكسى عمر رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله إنا برؤسنا رسول الله ﷺ وصدفناه ومن ينجو منا قليل؟ فأنزل الله عز

المنظر. وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم ولا حسن، نظيره ﴿بِئْسَ كُفْرًا كَرِهَ﴾ [الشعراء: ٧]، لقمان: ١٠. وقال مقاتل: طيب.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ ذُكِرُوا﴾، يعني في الدنيا، ﴿مترفين﴾، متعمين.

﴿وَكَانُوا يُعْرَوْنَ﴾، يقيمون ﴿على لَيْثٍ أَعْظَمٍ﴾، على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال الشعبي: الحنث العظيم اليمين الغموس. ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك.

﴿وَكَانُوا يَقُولُوكَ أَيَّدَا بِنَّا وَكَانَا ثُرَاكَا وَعَظْمَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع [والكسائي] ويعقوب ﴿أئذا﴾ مستفهماً ﴿إننا﴾ بتركه، وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما.

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلَادُونَ﴾ قُلْ إِنَّكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَيْكَ يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُتُوبُ لَأَكُونُ بَيْنَ سَجَرَتَيْنِ زُؤْمِرٌ قَاهُونَ بِنَهَا الْبَطُونَ فَتُزَوَّرُونَ عَلَيَّوْنَ مِنَ اللَّصِيمِ فَتُزَوَّرُونَ شَرِبَ اللَّيْمِ، قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة ﴿شرب﴾ بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان، فالفتح على المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف والضعف ﴿والهيم﴾ الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه، ولا تزال تشرب حتى تهلك. يقال: جمل أهيم، وناقاة هيماء، والإبل هيم. وقال الضحاك وابن عيينة: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل.

﴿هَذَا تَزَلُّمٌ﴾، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم

وغذاؤهم وما أعد لهم، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث.

﴿فَقَالَ تَعَالَى﴾: ﴿تَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾، قال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك، ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَصَدَّقُونَ﴾، بالبعث.

﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَأْتُونَ﴾، تصبون في الأرحام من التطف.

﴿مَأْتَرٌ مَخْلُقُونَهُ﴾، يعني أنتم تخلقون ما تمنون بشراً. ﴿أَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿تَحْنُ قَدَرْنَا﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان ﴿بَيْنَكُمُ الْمَوْتُ﴾، قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيّاً وشاباً. وقال الضحاك: تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء فعلى هذا يكون معنى قدرنا قضينا. ﴿وَمَا تَحْنُ بِسَبْرُونَ﴾، بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكُم بأمثالكم.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أُمَّتَكُمْ﴾، يعني نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم، ﴿وَنُنشِئُكُمْ﴾، نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من الصور، قال مجاهد: في أي خلق شئنا. وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني إن أردنا

سورة الواقعة

ثُمَّ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْدُوبُونَ ﴿١٠﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَرِّينَ زُؤْمِرٍ ﴿١١﴾ قَاهُونَ بِنَهَا الْبَطُونَ ﴿١٢﴾ فَتُزَوَّرُونَ عَلَيَّوْنَ مِنَ اللَّصِيمِ ﴿١٣﴾ فَتُزَوَّرُونَ شَرِبَ اللَّيْمِ ﴿١٤﴾ هَذَا تَزَلُّمٌ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ تَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿١٦﴾ أَرَأَيْتُمْ مَا تَأْتُونَ ﴿١٧﴾ مَأْتَرٌ مَخْلُقُونَهُ أَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿١٨﴾ تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتُ وَمَا تَحْنُ بِسَبْرُونَ ﴿١٩﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أُمَّتَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَدْ عَلَّمْنَا النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ ﴿٢٢﴾ مَا أَنتُمْ بِزُرْعُوهُ وَأَمْ تَحْنُ الرَّيْعُونَ ﴿٢٣﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّا لَنَعْرِضُونَ ﴿٢٥﴾ أَبَل تَحْنُ حَرُورُونَ ﴿٢٦﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ حَبًّا فَتَحْرُوثُونَ ﴿٢٧﴾ تَحْنُ الْمُنِشِقُونَ ﴿٢٨﴾ تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذِكْرًا وَمَتَعْنَا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ فَلَا أَمْسِرُ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ الثُّجُورُ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّكُمْ لَقُسرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

أن نعمل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيب وبرهوت واد باليمن.

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾، الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئاً. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أني قادر على إعادتك كما قدرت على إيدانكم.

﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾، يعني تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

﴿مَا أَنتُمْ بِزُرْعُوهُ﴾، تنبتونه، ﴿أَمْ تَحْنُ الرَّيْعُونَ﴾، المنبتون.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾، قال عطاء تبتاً لا يجمع فيه، وقيل: هشيماً لا يتجمع به في مطعم وغذاء ﴿فَقَلَّمْتُمْ﴾، وأصله فظلمتم، حذف إحدى اللامين تخفيفاً. ﴿تَكْفُرُونَ﴾،

تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل: وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: ﴿فَأَسْبَحَ بِقَلْبِكُمْ كَفِّدَ عَلَى مَا أَفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تشلاومون. قال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلفه على ما فات، وهو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أي تنعمت وتفككت أي حزنت.

﴿إِنَّا لَمُرْسِلُونَ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «أنا» بهمزتين وقرأ الآخرون [إنا] على الخبر، ومجاز الآية فظلمت تفكهون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا. وقال ابن عباس وقادة: معذبون، والغرام العذاب. وقال الضحاك وابن كيسان: غرمتنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرماً علينا، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض.

﴿وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، محدودون ممنوعون أي حرمتنا ما كنا نطلبه من الربيع في الزرع.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّامَةَ الَّتِي تَشْرَبُونَ﴾ مَائَتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ أَمْرِئِمْ نَحْنُ الْمَنْزُورُونَ، السحاب واحدها منزنة، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمَنْزُورُونَ﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْلَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ، قال ابن عباس شديد الملوحة، قال الحسن: مرأ. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾، تقدحون وتستخرجون من زندكم.

﴿أَنْتُمْ أَنْتَاهُمْ شَجَرًا﴾، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشُورُونَ﴾ نحن جعلناها، خلقناها يعني نار الدنيا ﴿تَذَكَّرَ﴾، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل. وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها تسعة وستين جزءاً».

﴿وَمَتَّعًا﴾، بلغة ومنفعة، ﴿لِلْمُقْرَبِينَ﴾، المسافرين والمقوي النازل في الأرض والقي والقوا هو القفر الخالية البعيدة من العمران يقال: قوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدون لها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: للمقربين يعني للمستمتعين بها من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة

ويصطلون من البرد، ويتنعمون بها في الطبخ والخبز.

قال الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم، يحملونها في الخرق والجواليق. وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً. قال قطرب: المقوي من الأضداد يقال للمفقر مقو لخلوه من المال، ويقال للغني: مقو لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا

أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم ولا صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: فلا أقسم، على التحقيق. وقيل: قوله ﴿فَلَا﴾ رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال ﴿أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُبُورِ﴾. قرأ حمزة والكسائي «بموقع» على التوحيد. وقرأ الآخرون «بمواقع» على الجمع. قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً. وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ إِنَّهُ، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم. ﴿تَقْرَأُونَ كَرِيمٌ﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله. قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

﴿٧٩﴾ ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ﴾، مصون عند الله في اللوح المحفوظ محفوظ من الشياطين.

﴿٨٠﴾ ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يروى هذا عن أنس، وهو قول سعيد بن جبير، وأبي العالية، وفتادة وابن زيد: أنهم الملائكة.

وروى حسان عن الكلبي قال هم السفرة الكرام البررة، وروى محمد بن فضيل عنه لا يقرؤه إلا الموحدون. قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن. قال الفراء: لا يجد طغمة ونفعه إلا من آمن به. وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات. وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء، وطاوس، وسالم والقاسم، وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم، وحماد، وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق

الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم (أن لا يمسه القرآن إلا طاهر).

والمراد بالقرآن المصحف، سماه قرآناً على قرب الجواز والاتساع.

كما روي أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العنوة».

وأراد به المصحف.

﴿٨١﴾ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر للمخلوق خلق.

﴿٨٢﴾ ﴿أَفَيْدَا لِكُلِّيْنِ﴾، يعني القرآن ﴿أنتم﴾، يا أهل مكة، ﴿مدهنون﴾، قال ابن عباس: مكذبون. قال مقاتل بن حيان: كاسفرون نظيره: ﴿وَوَهُوَ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٩]، والمدمن والمداهن الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب: مدمن، وإن صرح بالتكذيب والكفر.

﴿٨٣﴾ ﴿وَيَعْمَلُونَ رُزُقَكُمْ﴾، حفظكم ونصيبكم من القرآن، ﴿أنكم﴾

﴿٨٤﴾ ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ﴾ لا يمسه إلا المطهرون ﴿٨٥﴾ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أفيدنا اللذين أنتم مدهنون ﴿٨٦﴾ ﴿وَيَعْمَلُونَ رُزُقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ قلوا لا إذا بلغت المقام ﴿٨٧﴾ ﴿وَأَنْتُمْ حَمِيحٌ تَطَّيَّرُونَ﴾ ونحن أقرب إليويناكم ولكن لا نصيرون ﴿٨٨﴾ ﴿قلوا إن كنتم محرمين﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿ترجعوا إن كنتم صدوقين﴾ قلنا إن كان من المصفرين ﴿٩٠﴾ ﴿رُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَسَنٌ يُبَيِّرُ﴾ وأما إن كان من أصعب اليبين ﴿٩١﴾ ﴿سَأَلَهُ مَنْ أَصَابَ الْيَبِينَ﴾ وأما إن كان من المكذبين الضالين ﴿٩٢﴾ ﴿قَوْلٌ مِنْ حَبِيبٍ﴾ وقصة حبيب ﴿٩٣﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ مُبِينٌ﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٩٤﴾

سورة الواقعة
سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿١﴾ ألم تلك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ﴿٢﴾ هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴿٣﴾

﴿٩٤﴾ ﴿تَكْذِبُونَ﴾، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به. وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوة ما رزق فلان، بمعنى ما شكر، وهذا في الاستسقاء بالأنواء، وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، ف قيل لهم: أنجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتهم، يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضافة إليه مقامه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن

مسعود، عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب».

ورواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ وزاد: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَقْسِدُ بَمَهِجَةٍ تُهْجِرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن سلمة المرادي، ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله تعالى الغيث فيقولون: مطرنا بكوكب كذا وكذا».

قوله عز وجل: ﴿تَلَوَّلَا﴾، فهلا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

﴿وَأَنْتُمْ جِيئَ بِكُمْ نَتْرُونَ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت ينظرون إليه متى تخرج نفسه. وقيل: معنى قوله

تنظرون أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا.

﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾، الذين حضروه.

﴿تَلَوَّلَا﴾، فهلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَزَّ مَدِينٌ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: ﴿تَلَوَّلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، وعن قوله: ﴿تَلَوَّلَا إِنْ كُنْتُمْ عَزَّ مَدِينٌ﴾، بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُخَوِّفُوا سُبُوحًا قُدُوسًا﴾.

[البقرة: ٣٨] أجبيا بجواب واحد، معناه إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل فأمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وهم السابقون.

﴿فَرُوحٌ﴾ قرأ يعقوب بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم.

ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبيرة: فرح. وقال الضحاك: مغفرة ورحمة. ﴿وَرِيحَانٌ﴾، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم، قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه. ﴿وَرِحْنَتٌ يُبَيِّرُ﴾، قال أبو بكر الوارق: «الروح» النجاة من النار والريحان» دخول دار القرار.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَوَلَّى﴾، ﴿وَمِنْ أَحْصَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحْصَابِ الْيَمِينِ﴾، أي سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.

وقال الفراء وغيره: فسلم لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلم لك إنك من أصحاب اليمين وألفيت إن كان، كالرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: «سلام لك» أي عليك من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾، بالبعث، ﴿الضَّالِّينَ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

﴿نَزَّلَ مِنْ جِبرِ﴾، فالذي يعدلهم حميم جهنم.

سورة الحديد

مدنية وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١﴾ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ ﴿هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، يعني هو «الأول» قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجوداً، و«الأخر» بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو «الظاهر» الغالب العالي على كل شيء، و«الباطن» العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. وقال يمان: «هو الأول» القديم و«الأخر» الرحيم، و«الظاهر» الحليم، و«الباطن» العليم.

وقال السدي: هو الأول بيره إذ عرفك توحيداً، والأخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذ عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والأخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن يعلم الغيوب. وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿وَهُوَ يَكْلِمُ شَعْرَةَ عِلْمٍ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا محمد بن فضيل، أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجُلُقَرِيُّ، حدثني أبو القاسم تَمَّامُ بن محمد بن عبدالله الرازي بدمشق، ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حذلم وابن راشد قالوا: أخبرنا بكَّارُ بن قتيبة، ثنا روح بن عبادة، ثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، قال أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يونس بن عبدالأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي طيبة عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» [قال] وكان أبو طيبة لا يدعها أبداً.



﴿وَصَلِّ عَلَىٰ جِبْرِيلَ﴾، وإدخال نار عظيمة.

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قصة المنحصرين، ﴿لَوْ حَقَّ الْيَقِينُ﴾، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: «الباء» زائدة ومعناه فسبح اسم ربك العظيم.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا ابن فنجويه، أنا ابن شيبه، ثنا جمزة بن محمد الكاتب، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عبدالله بن المبارك، عن موسى بن أيوب العافقي، عن عمه وهو إياس بن عامر، عن عقبه بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿سَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: [١] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمود بن غيلان، ثنا أبو داود، قال: أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ».

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَجْرُهَا وَمَا يَكْبُرُ مِنْ أَلَمِّهَا وَمَا يَرَىٰ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَمْ يَلِكْ لَكَ الْكِبَرُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ يُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي النَّهَارِ وَيُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ سِتًّا خَلْفَيْكُمْ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرُكُمْ ﴿٧﴾ وَمَا كُنْزُ الْتَوَيْمُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوهُمْ لِيُقِيمُوا رَبِّكُمْ وَكَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْكُمْ كَيْفَ تَمُومِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْوَالُ الَّتِي كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾

والله بما تعملون بصير ﴿٤﴾
 ﴿٥﴾ لَمْ يَلِكْ لَكَ الْكِبَرُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ يُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي النَّهَارِ وَيُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يخاطب كفار مكة، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ سِتًّا خَلْفَيْكُمْ﴾، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشاً فكانوا في ذلك المال خلفاء عنم مضاوا. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرُكُمْ﴾

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
 ﴿٧﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْوَالُ الَّتِي كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، يقول: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق [فيما يقرب] في سبيل الله وبالجهاد فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، ﴿وَقَتْلُوا﴾، يقول لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾.

وروى محمد بن فضيل عن الكلبي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله. وقال عبدالله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، حدثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد بن محمد، أنا أحمد بن محمد بن يوسف، أنا محمد بن يوسف، أنا عمرو الشيباني، ثنا أبو إسحاق الفزاري، ثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال: كنت

حرب، ثنا جرير عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، [و] منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر» وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.
 ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَجْرُهَا وَمَا يَكْبُرُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ

حرب، ثنا جرير عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، [و] منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر» وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.
 ﴿٥﴾ لَمْ يَلِكْ لَكَ الْكِبَرُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ يُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي النَّهَارِ وَيُرِيحُ الْيَلْبُوتَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يخاطب كفار مكة، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ سِتًّا خَلْفَيْكُمْ﴾، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشاً فكانوا في ذلك المال خلفاء عنم مضاوا. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرُكُمْ﴾

عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عبادة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى، أبا بكر عليه عبادة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله علي قبل الفتح» قال: فإن الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام. وقل له أراض أنت عني في فرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت في فرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ إني عن ربي راض إني عن ربي راض.

﴿وَلَا رَدَّ اللَّهُ لِلسُّقِيِّ﴾، أي كلا الفريقين وعدم الله الجنة. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا [من] قبل الفتح في أفضلها. وقرأ ابن عامر «وكل» بالرفع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَرْمِي اللَّهَ قَوْلًا سَكَنًا فَنَنْفِثُوهُ لَهُ وَأَنْهَى كَرِيمًا﴾ يوم تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ، يعني على الصراط، ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ﴾، يعني عين أيمنهم. قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم، فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة.

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي الله ﷺ قال: «إن من المؤمنين من يضيء نوره [يعني: على الصراط]، من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك، حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم: وأدناهم نوراً من نوره أعلى إبهامه فيطفا مرة ويقدم مرة. وقال الضحاک ومقاتل: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمنهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿بَشِّرْهُمْ يَوْمَ حَشَّتْ بِخَبَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

﴿بَشِّرْهُمْ يَوْمَ حَشَّتْ بِخَبَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُفِيكُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا﴾، قرأ الأعمش وحمزة: «انظرونا» بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا. وقيل: انتظرونا. وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انظرني وانظرني يعني انتظرني. ﴿تَقْبَسَ مِنْ نُورِهِمْ﴾، نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، وهو قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيبناهم يمشون إذبعث الله عليهم ريحاً وظلمة فاطفا نور المنافقين، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَخْرَى اللَّهُ لِلَّذِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا

﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُفِيكُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا﴾، قرأ الأعمش وحمزة: «انظرونا» بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا. وقيل: انتظرونا. وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انظرني وانظرني يعني انتظرني. ﴿تَقْبَسَ مِنْ نُورِهِمْ﴾، نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، وهو قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيبناهم يمشون إذبعث الله عليهم ريحاً وظلمة فاطفا نور المنافقين، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَخْرَى اللَّهُ لِلَّذِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا

﴿٢٠﴾ [التحرير: ٨] مخالفة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقبَسَ من نوركم، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَجِعُوا﴾، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، ﴿فَاتَّسَرَّوْا﴾، فاطلبوا هناك لأنفسكم نوراً فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئاً فيصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَضْرِبْ بِيْتَهُمْ سُبُورًا﴾، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائظ بين الجنة والنار، ﴿اللَّهُ﴾ أي لذلك السور،

﴿بَابُ يَأْتِيهِ فِي الرَّحْمَةِ﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة، ﴿وَيُظهِرُ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿الْعَذَابِ﴾، وهو النار.

﴿١٤﴾ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ روي عن عبدالله بن عمر قال: إن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لِمَنْ بَابُهَا﴾ هو سور بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وادي جهنم. وقال شريح: كان كعب يقول: في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله عز وجل: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لِمَنْ بَابُهَا﴾ الآية، «ينادونهم» يعني: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجز بينهم بالسور ويقوا في الظلمة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا نصلي ونصوم؟ ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَيْنَ الْكِتَابَ فَفَتَنَّا أَفْسُكُمُ﴾، أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿وَرَزَقْتُمُ﴾، بالإيمان والتوبة. قال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ الموت وقتلتم يوشك أن يموت فنستريح منه، ﴿وَأَوْرَثْنَاكُمْ﴾، شككتهم في نبوته وفيما أوعدكم به. ﴿وَعَزَّزْتُمُ الْأَمَانَةَ﴾، الأباطيل وما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾، يعني الموت، ﴿وَعَزَّزْتُمُ بِاللَّهِ الْكَرُورُ﴾، يعني الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.

﴿١٥﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤَخِّدُكُمْ وَيَذِيءُ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب

﴿تُؤَخِّدُ﴾ بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿يَذِيءُ﴾ بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، ﴿وَلَا يَمُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، ﴿مَا وَوَدَّكُمْ النَّارُ مِنْ مَوْلَانِكُمْ﴾، صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، ﴿وَيَشَى الْمَصِيرُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة سنة، وذلك أنهم سألو سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿تَخْشَعُ قُلُوبُكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصاً من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية. فعلى هذا تأويل قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، يعني في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين.

قال عبدالله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إلا أربع سنين. وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

﴿١٦﴾ فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾، ألم يحن

للذين آمنوا أن تخشع [قلوبهم] ترق وتلين وتخضع لذكر الله، ﴿وَمَا نَزَّلَ﴾، قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي، وقرأ الآخرون بتشديدها، ﴿مِنْ أَلْفِي﴾، وهو القرآن، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿وَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواضع الله، والمعنى: أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر. روي أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قزاة أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال لهم: أنتم خيار أهل البصرة وقرأهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتفسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم. ﴿وَكَبَّرَ بَيْنَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾، يعني الذين تركوا الإيمان بعبسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ وقوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد، ﴿وَأَنزَلْنَا اللَّهُ قُرْآنًا حَكِيمًا﴾، بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل: ﴿يَضَعُكَ لَهُمْ﴾، ذلك

القرض ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ثواب حسن وهو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، والصادق الكثير الصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية.

قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحزمة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.

﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو والنسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين. وقال الضحاك: هم الذين سميانهم. وقال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية. وقال قوم: تم الكلام عند قوله: ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قالوا والسواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال: قوم هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿وَنُورُهُمْ﴾، على الصراط ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

﴿١٩﴾ قوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْجَنَّةُ الَّتِي﴾، أي أن الحياة الدنيا، ﴿وما﴾ صلة أي إن الحياة في هذه الدار، ﴿فَسَبَّ﴾، بساطل لا حاصل له، ﴿رَفَعُوهُ﴾، فزح ثم ينفضي، ﴿وَرَبَّنَا﴾، منظر يتزينون به، ﴿وَتَقَاعْرُوبِنَا﴾، تفخر به بعضكم على بعض.

﴿وَتَكَافَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال ﴿كَثَلْنَا غَيْثًا﴾.

﴿الْكُفَّارِ﴾، أي الزواجر، ﴿بِاللَّهِ﴾، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿فَمُجِيبٌ﴾، بعد خضرته يبس، ﴿فَمَرَّتْهُ مُصْفَرًا﴾، بعد خضرته ونضرته، ﴿فَمُ يَكُونُ حُلْمًا﴾، يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال مسقاتل: لأعداء الله، لأولياته وأهل طاعته.

﴿وَمَا الْجَنَّةُ الَّتِي إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

﴿٢٠﴾ ﴿سَابِقُوا﴾، سارعوا ﴿إِلَى مَقَرِّو مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّوْا عَنْهَا كَعْرِضِ السَّمَةِ وَالْأَرْضِ﴾، لو وصل بعضها ببعض، ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فبين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله:

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٠﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْجَنَّةُ الَّتِي الدُّنْيَا أَوْبَاقُهَا وَنُورُ رَبَّنَا وَتَقَاعْرُوبِنَا كَعْرِضِ السَّمَةِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا لَكُمْ مَن مَّنَّعُوا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كُتُبٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ تَأْسَوْا عَلَى الَّذِي فَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَتَكَبِّرٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلَيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ الَّذِي لَمْ يَرْجُوا وَالنَّاسُ بِالْخُلُقِ لَمْ يَنْزَلْنَا إِلَهُهُ إِلَّا بِالْحَقِّ عِنْدَ الْحَبِيدِ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ مَنَّعُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: من قحط المطر. وقوله ﴿النبات ونقصن الشمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني الأمراض وفقد الأولاد، ﴿وَلَا فِي كُتُبٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿مَن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. وقال ابن عباس: من قبل أن نبوأ المصيبة، وقال أبو العالية: يعني النسمة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.

﴿٢٢﴾ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾، تحزنوا، ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الدنيا، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، تباطروا بما آتاكم، ﴿قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِقِصْرِ الْأَلْفِ لِقَوْلِهِ ﴿فَاتَكُمْ﴾ فجعل الفعل له، ﴿وَقَرَأَ الْآخَرُونَ ﴿آتَاكُمْ﴾ بمد الألف، أي: أعطاكم. قال عكرمة: ليس

الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما
يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب.
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي في أمره
عزيز في ملكه.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَيَتِمُّنَّ مُهْتَدِينَ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلِيَّ ؑ أَثَرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ؑ، على دينه،

﴿رَأْفَةً﴾، وهي أشد البرقة،
﴿وَرَحْمَةً﴾، كانوا متوادين بعضهم
لبعض، كما قال الله تعالى في
وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ
يَتَّبِعُهُمُ الْفَتْحُ﴾ [٢٩]، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتِغَوْهَا﴾، من قبل أنفسهم وليس
هذا يعطف على ما قبله وانتصابه
بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا
رهبانية أي جاؤوا بها من قبل
أنفسهم، ﴿مَا كَتَبْنَا﴾، أي ما
فرضناها، ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَاتِنَا رِضْوَانِ
اللَّهِ﴾، يعني ولكنهم ابتغوا
رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك
الرهبانية ما حملوا أنفسهم من
المشاق في الامتناع من المطعم
والمشرب والملبس والنكاح والتعبد
في الجبال، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَائِهَا﴾، أي لم يراعوا الرهبانية حق
رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين
عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في
دين ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام
منهم أناس على دين عيسى عليه
الصلاة والسلام حتى أدركوا
محمدًا ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله
تعالى: ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ﴾، يعني العدل.
وقال مقاتل بن سليمان:
هو ما يوزن به أي ووضعنا
الميزان كما قال: ﴿وَالسَّمَاةَ
رَفَعْنَا وَوَضَعْنَا الْمِيزَانَ﴾
[الرحمن: ٧] بأن وضع
﴿وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ﴾، ليتعاملوا بينهم
بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ﴾.

روي عن ابن عمر
يرفعه: إن الله أنزل أربع
بركات من السماء إلى
الأرض: الحديد والنار
والماء والملح، وقال أهل

المعاني معنى قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ﴾، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج
لهم الحديد من المعادن وعلمهم
صنعتة بوجه. وقال قطرب: هذا من
النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان
نزلاً حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك
نزلاً لهم. ومثله قوله، ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكَ
مِنَ الْأَنْعَامِ نَكَبِينَ أَنْزِلَ﴾ [الزمر:
٦]. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، قوة شديدة
يعني السلاح للحرب.

قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني
آلة [الدفع] وآلة الضرب، ﴿وَمَنْفِعٌ
لِلنَّاسِ﴾، مما ينتفعون به في
مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة
ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة،
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، أي أرسلنا رسلنا
وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل
الناس بالحق والعدل وليعلم الله
وليرى الله، ﴿مَنْ يَضُرُّهُ﴾، أي دينه.
﴿وَرُسُلُهُ بِالْقَيْبِ﴾، أي قام بنصرة

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِّلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَضُرُّهُ وَيُؤْتِيهِ
بِالْقَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَيَتِمُّنَّ مُهْتَدِينَ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلِيَّ ؑ أَثَرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتِغَوْهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَاتِنَا رِضْوَانِ اللَّهِ قَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمُوا بِرُسُلِهِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِ مُنْتَحِبِينَ ﴿١٩﴾ لَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ الْأَقْبَرُونَ عَلَىٰ كُلِّ مَن قَبْلِهِ اللَّهُ وَرَأَى
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾

أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن
اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً.
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، متكبر
بما أوتي من الدنيا، ﴿فَخُورٍ﴾،
يفخر به على الناس.

قال جعفر بن محمد الصادق: يا
ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا
يرده إليك الفوت، ومالك تفرح
بموجود لا يتركه في يدك الموت.

﴿٢٠﴾ ﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾، قيل:
هو في محل الخفض على نعت
المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء
وخبره فيما بعده. ﴿وَأَنْزَلْنَا النَّاسَ
بِالْبَحْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾، أي يعرض عن
الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَافِي﴾،
قرأ أهل المدينة والشام: ﴿فإن الله
الغني﴾، بإسقاط «هو» وكذلك هو
في مصاحفهم.

﴿٢١﴾ قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا
رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والحجج،

أَجْرُهُمْ»، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، ﴿وَكَبِيرٌ يَنْتَهُمْ فَيَقُولُونَ﴾، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عبدالله بن حاتم، أنا أحمد بن عبدالله المزني، ثنا محمد بن عبدالله بن سليمان، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا الصعق بن حزن، عن عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهن، فرقة آزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، فأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ فقال النبي: من آمن بي وصدقني واتبعني فقد راعها حتى رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون».

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كتف رديف النبي ﷺ على حماز فقال لي: «يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم» قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون

بالمخاضي، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدهو إليه، فقالوا: تعالوا نشترك في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام، يعنون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية فممنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الآية، ﴿فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾ يعني من ثبتوا عليها أجرهم، ثم قال النبي ﷺ: «يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع».

وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

وروي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت ملوك بني إسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: نحن نكفيكم أنفسنا قتالت طائفة ابنوا لنا أسطوانات، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نرد

عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسبح في الأرض ونهيم وتشررب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنا لنا دوراً في الفيافي نحتفر الآبار ونحترق البقول فلا ترد عليكم ولا نمر بكم، ففعلوا بهم ذلك قمض أولئك على مهاج عيسى عليه الصلاة والسلام، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب، فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان فتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما نسبح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها هؤلاء الضالكون، فما رعوها حق رعايتها، يعني الآخرون الذين جاؤوا من بعدهم، قاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، يعني الذين ابتدعوا ابتغاء رضوان الله ﴿وَكَبِيرٌ يَنْتَهُمْ فَيَقُولُونَ﴾ [هم] الذين جاؤوا من بعدهم، قال: فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سباح من سياحته وصاحب دير من ديره وأمنوا به.

﴿٢٨﴾ فقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ ﴿وَيَا أَيُّهَا رَسُولَا اللَّهِ﴾، محمد ﷺ، ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، نصيبين، ﴿مِن رَّعِيَتِهِ﴾، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم:

انقطع الكلام عند قوله ﴿ورحمة﴾ ثم ابتدأ: ورهبانية ابتدعوها، وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا النوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها يعني الطاعة والملة ﴿حَقٌّ رِضَايَتَهَا﴾ كناية عن غير مذكور ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسبقون، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد، معنى قوله: ﴿إِلَّا آيَاتَهُ رَضَوْا اللَّهُ﴾ على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناه عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرناهم بالترهب. قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِتَابًا﴾ نصيبين من رحمته.

وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فادبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده» ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ تَوَكُّلاً﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني على الصراط، كما قال: ﴿تُؤْتِيهِمْ يَسْرِينَ﴾ [التحریم: ٨] ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النور هو القرآن. وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به. ﴿وَيُعْزِزْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَحِيمٌ﴾، وقيل: لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب

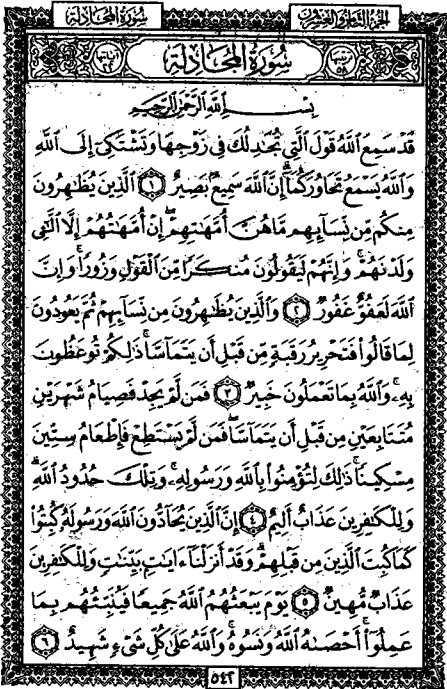
قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] قالوا للمسلمين: أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وبكتابتنا وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِتَابًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فجعل لهم الأجرين إذا آمنوا برسوله محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [و] قال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي ليعلم ولا ﴿قَوْلُ رَبِّ لَقَوْلِ اللَّهِ﴾، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً،

فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى: وقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاء؟ قال الله تعالى: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا قال: فإنه فضلي أعطيه من شئت».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمد بن العلاء، ثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عمالاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجرهم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم، فقال: أكملوا بقية يومكم هذا، ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل



ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فناقني ووحدي فقد طال [معه] صحبتي ونفضت له بطنني، فقال رسول الله ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله

ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال أكملوا بقية عملكم وإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا التور [أي القرآن].

سورة المجادلة

مدنية وهي اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، الآية.

نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، وكانت حسنة الجسم، وكان به لمم فأرادها فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت: والله ما ذلك طلاق، وأنت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفتى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو

وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفي علي بعضه إذ أنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآيات.

ومعنى قوله ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، مراجعتكما الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه، ثم دم الظهار.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾، قرأ عاصم ﴿يُظَاهِرُونَ﴾ فيها بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي: بفتح الياء والهاء، وتشديد الظاء وألف بعدها، وقرأ

فناقني وشدة حالي وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، وكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه [الوحي] أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾، الآيات، قالت عائشة: تبارك الذي

الآخزون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. ﴿مَا هُنَّ﴾ أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات بأمهات وحفض التاء في أمهاتهم على خبر ﴿مَا﴾ ومحل نصب كقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] المعنى ليس هن بأمهاتهم، ﴿إِنَّ أُمَّهَتَهُنَّ﴾ أي ما أمهاتهم، ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْتَهُنَّ وَلِيَتَّهَمْنَ لِيَقُولَنَّ شُكْرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾، لا يعترف في شرع ﴿وزوراً﴾، كذباً، ﴿وَلَيْكَ اللَّهُ لَعْنَةً غَافِرٌ﴾، عفا عنهم وغفر لهم بليجانب الكفارة عليهم، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي، وكذلك لو قال: أنت علي كبطن أمي أو كراس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضواً منها بعضها آخر من أعضاء أمه فيكون ظهاراً.

وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهاراً وإن شبهها بعضو آخر لا يكون ظهاراً. ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي، وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً حتى يريده، ولو شبهها بجذته فقال أنت علي كظهر جدتي يكون ظهاراً، وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر أختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الأصح من الأقاويل.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَابِهِمْ ثُمَّ

يُؤَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، ثم حكم الظهار: أنه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر، والكفارة تجب بالعود بعد الظهار. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَدُّونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، واختلف أهل العلم في العود فقال [جماعة] أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبو العالية، وقال: ﴿ثُمَّ يُؤَدُّونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة أخرى فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري. وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا: لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال: قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زماناً يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل فإن طلقها عقيب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفارة عليه لأن العود للقول هو المخالفة، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه [على] هذا، قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال، وفي بعض ما قال يعني رجع عما قال، وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك أن قصده بالظهار التحريم فإذا أمسكها على النكاح فقد

خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فإن راجعها، صار عائداً ولزمته الكفارة قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَوَطْأَهُمْ سِتْرَيْنِ مَسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤] ولم يقل من قبل أن يتماسا، وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام.

واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالثقب والتلذذ فذهب أكثرهم إلى أنه لا يحرم سوى الوطء وهو قول الحسن، وسفيان الثوري، وأظهر قول الشافعي، كما أن الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاع وذهب بعضهم إلى أنه يحرم لأن اسم «التماس» يتناول الكل ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصي الله تعالى، والكفارة في ذمته. ولا يجوز أن يعود ما لم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة أخرى، وقال بعض أهل العلم: إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان، وكفارة الظهار مرتبة عليه: يجب عليه عتق رقبة مؤمنة،

فإن لم يجد فعلية صيام شهرين متتابعين، فإن أظفر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكيناً، وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين، ﴿ذِكْرُكَ يُحْتَفَرُ بِرَبِّهِ﴾، تزمرون به، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

① ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾، يعني الرقبة، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَأْتِيَ﴾، فإن كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى خدمته، أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لتفثته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم. وقال مالك والأوزاعي: يلزمه الإعتاق إذا كان واحداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه. وقال أبو حنيفة: إن كان واحداً لعين الرقبة يجب عليه إعاقها، وإن كان محتاجاً إليها فأمّا إذا كان واحداً لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم، فلزم شرع المظاهر في صوم شهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة، ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين، وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين. قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْرًا سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾، يعني المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكيناً.

أخبرنا أبو عبدالله بن محمد بن الفضل الخرقفي، أنا أبو الحسن

علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، فظاهر منها وكان به لم، فجات إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً تظاهر مني وذكرت أن به لمأ فقالت: والذي بعثك بالحق ما جنتك إلا رحمة له إن له في منافع، فأنزل الله القرآن فيهما فقال رسول الله ﷺ: «مره فليعتق رقبة» قالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها، قال: مره فليصم شهرين متتابعين، فقالت: والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع، قال: مره فليطعم ستين مسكيناً، قالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: مره فليذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمر صدقة، فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على ستين مسكيناً.

وروي سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرأة أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً فظاهرت منها حتى ينسليخ شهر رمضان فبينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم البث أن وقعت عليها، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته

فقال: أنت بذاك؟ فقلت: أنا بذاك قاله: ثلاثاً، قلت: أنا بذاك وما، أنا ذا فامض في حكمك الله، فإني صابر لذلك، قال: فأعتق رقبة، ففرضت صفحة عتقي بيدي فقلت: والذي بعثك بالحق ما أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، فقلت: يا رسول الله ﷺ وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ قال: فاطعم ستين مسكيناً، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشاً ما لنا عشيماً، قال: لذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك فاطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك، قال: فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة أمرلي بصدقتم فادفعوها إلي، قال: فدفعوها إليه.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل، ﴿وَالَّذَاتُ الْكُفَرَاتِ﴾، يعني ما وصيف من الكفارات في الظهار، ﴿وَاللَّذِينَ عَدَّابُ أَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: لمن جحدته وكذب به.

② ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كُتُوبًا﴾، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿كَانَ كَيْتُ الَّذِينَ بَيْنَ قَلْبِهِمْ وَفِي أَرْبَعًا﴾، إليك، ﴿وَأَيْتُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ جَنَّةٍ لَّنْئِمَّةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَسَمَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُبِّئُوا بِالتَّوْحَىٰ ثُمَّ يُعَدُّونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّسُونَ بِالْأَلْبَانِ وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللَّهُ وَيَتَوَلَّوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُ حَسْبَهُمْ جَهَنَّمَ بَصُورًا فَيَقْسَمُونَ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلُوا بِهَا بَصُورًا فَأَنزَلْنَا بِهِ السَّيْفَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِلَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ تَتَّبِعُوا فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّهِ بِذِمَّتِي فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُبِّئُوا بِالتَّوْحَىٰ ثُمَّ يُعَدُّونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّسُونَ بِالْأَلْبَانِ وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجِسُوا بِالْيَأْسِ وَالنَّفَقِ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا لَكُم مَّا تَشَاءُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا التَّوْحَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْتَضِرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَكِنْ يَصْطَرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا لِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ أُقْبِلَ لَكُمْ تَقْصُوفُ الْجَنَّةِ لَمَّا تَخْرُجُوا مِنَ السَّرَايَا إِنَّ اللَّهَ لَكُمُ وَاذِاقِيلُ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا لِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَرَدَّ حَتَّىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُبِّئُوا بِالتَّوْحَىٰ .

نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك

عليهم وكثر شكواهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُبِّئُوا بِالتَّوْحَىٰ أَي المناجاة﴾ ثُمَّ يُعَدُّونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَجَّسُونَ﴾، قرأ الأعمش وحمزة «ينتجون» على وزن يفتعلون، وقرأ الآخرون «ويتناجون» لقوله: ﴿إِنَّمَا تَنْجِسُكُمْ فَلَا تَنْجِسُوا بِالْأَيْدِي وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللَّهُ﴾، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونهم أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: «عليكم» فإذا خرجوا قالوا: ﴿فِي

يَنْتَبِئُ وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿٧﴾ - ﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْيُئُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ، حفظ الله أعمالهم، ﴿وَسَوْرَهُ وَاللَّهُ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ، قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل، ﴿مِنْ جَنَّةٍ لَّنْئِمَّةٍ﴾، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، بالعلم وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضاً إلا هو رابعهم بالعلم، يعلم نجواهم ﴿وَلَا حَسَمَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من ﴿ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٨﴾ إِنَّمَا التَّوْحَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ، أي من تزئين الشيطان، ﴿لِيَحْتَضِرَ

الَّذِينَ آمَنُوا، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿وَلَيْسَ﴾، التناجي، ﴿بِعَصَائِرِهِمْ شَيْئًا﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئاً، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَيَرْجِعُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه».

﴿قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَخَّرُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَنْسُوا﴾، الآية.

قال مقاتل بن حيان: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية.

وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته.

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقيل: كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَخَّرُوا﴾ أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم في المجلس لأن الكل جالس مجلساً، معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون «في المجلس» على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ ﴿فَأَنْسُوا﴾: أوسعوا، يقال: فسح يفسح فسحاً إذا وسع في المجلس، ﴿يَسِّحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا».

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل أفسحوا».

وقال أبو العالية، والقرظي والحسن: هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال وورغبتهم في الشهادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم.

وقال عكرمة والضحاك: كان رجال يتناقلون عن الصلاة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه: إذا نودي للصلاة فانهضوا لها. وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، ﴿دَرَجَاتٍ﴾، فأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا، وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عملوا من الإكرام، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ خَبِيرٌ﴾.

قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: [يا] أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ دَرَجَاتٍ﴾ المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.

يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنبَجِيهِمُ الرَّسُولَ فَنَبِيٍّ مِّمَّنْ بِيَدِي عَزْمٌ مُّبِينٌ
 صَدَقَ ذَلِكَ حَرْبٌ أُظْهِرَ فَإِنْ تَزِيدُوا وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١٢﴾ مَا أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بِيَدِي عَزْمٌ صَدَقَتْ فَذَلِكُمْ تَقَعَلُوا
 وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا اقْبَلُوا
 غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَمْسَلُونَ ﴿١٥﴾ أَخَذُوا إِلَيْنَهُمْ حَتْمًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَهَلْهُمْ
 عَادَتٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ آتُونَهُمْ وَلَا أَرْزُقَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا أَوْ لِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
 اللَّهُ جَمِيعًا فَيُلْقُونَ لَهُمْ لِكْرًا يَعْلَمُونَ لَكْرًا وَمَحْسُورًا آمَنُوا عَلَى غُرُوبِ
 آيَاتِهِمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ
 اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْزُقُ الشَّيْطَانُ إِلَّا إِنْ جَرَّبَهُ الشَّيْطَانُ فَسَاءَ لَهُمُ الْوَسْوَءُ
 ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَخِيهِ أَنْ آتَا رَسُولُكَ رَبَّكَ اللَّهُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

٥٤٤

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن السموات والأرض والحوت في الماء لتدعوه، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم

الجاهل، فهو لاء أفضل وإنما بعثت معلماً، ثم جلس فيهم». ﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَمُّعَ الرَّسُولَ فَتَقْدِمُوا بِيَدِي عَزْمٌ مُّبِينٌ﴾، أمام مناجاتكم، ﴿صَدَقَ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويشبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ.

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثر من مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة.

قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجيه إلا علي رضي الله عنه تصدق بدينار وناجاه، ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة.

وروي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال: «أما ترى ديناراً قلت: لا يطيقونه، قال:

يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ [به] فقد أخذ بحظ وافر».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج، أنا الحسن بن يعقوب العدل، ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء، ثنا جعفر بن عون، أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، قال: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، ثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبدالله الهروي، أنا محمد بن يونس القرشي، أنا عبدالله بن داود، ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إنني جئتك من مدينة الرسول عليه السلام في حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا رغبة فيه؟ قال: نعم

«فكم» قلت: حبة أو شعيرة، قال: «إنك لزهيد»، فنزلت: ﴿عَسَفْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ عِبْرَتِكُمْ صَلَاتَكُمْ﴾، قال علي رضي الله تعالى عنه: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿وَأَطَهَّرْ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

﴿عَسَفْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا﴾ قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿بَيْنَ يَدَيْ عِبْرَتِكُمْ صَلَاتَكُمْ فَإِذَا لَمْ تَقْعَلُوا﴾، ما أمرتم به، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازة: فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم وتجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة. قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْمُفْرُوضِ﴾، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾، الواجبة، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا قَمَلْتُمْ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم، وأراد بقوله: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ﴾ اليهود، ﴿مَا هُمْ بِبَنِيكُمْ وَلَا بَنِيهِمْ﴾، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ

ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَذِهِ وَلَا إِلَىٰ هَذِهِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله بن نبتل المنافق، كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان»، فدخل عبدالله بن نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبه، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات، فسال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كذبة.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَكُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِذْ هُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾، الكاذبة، ﴿جُنَّةً﴾، يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم، ﴿فَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ ثَوِيلٌ﴾.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿لَنْ تَقِفَ صُنْفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَحَلِيقُونَ لَكُمْ﴾، كاذبين ما كانوا مشركين، ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، في الدنيا، ﴿وَمَصْرُورٌ أَنَّهُمْ عَلَا تَعْتَدُوا﴾ من إيمانهم الكاذبة، ﴿أَلَا إِنَّمَا هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿أَسْتَعْرَبُ﴾، غلب

واستولى، ﴿عَلَيْهِمُ النَّيْلُ فَأَنْتُمْ يُرَىٰ﴾ ﴿اللَّهُ أَوْلَىٰ لَكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ﴾ ﴿إِنَّ جَزْبَ النَّيْلِ مِمَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ أَوْلَىٰ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ رِسَالَتُهُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ بِرِسَالَتِهِ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ﴾، الأسفلين أي هم في جملة من يلحقهم اللذل في الدنيا والآخرة:

﴿٢١﴾ ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾، قضى الله قضاءً ثابتاً، ﴿لَا كَيْفَ لَكَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، نظيره قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الَّذِينَ رَسَلْنَا مِنْهُمْ نُسُورًا﴾ [الصافات: ١٧١ و١٧٢]، قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب، فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَأْتُونَ الْكُفْرَ﴾، وإن كان من عشيرته. قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وسيأتي في سورة الممتحنة، إن شاء الله عز وجل.

وروي مقاتل بن حيان عن مرة الهذلي عن عبدالله بن مسعود في هذه الآية قال: ﴿وَكُفْرًا كَانُوا﴾ يعني أبا عبيلة بن الجراح، قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم أحد أو أبناهم، يعني أبا بكر دعا ابنته يوم بدر إلى البراز، وقال:

العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين: ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فاتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن سلمة - ذكرناه في سورة آل عمران -

وكان النبي ﷺ اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية المسلمين الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري في متصرفه من بئر معونة، فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك - ذكرناه في سورة المائدة - فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال: نعم، قالوا: ذرنا نبكي شجوناً ثم ائتمر أمرك، فقال النبي ﷺ: «أخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال، ودس المنافقون - عبدالله بن أبي سلول

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحْمًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴿١﴾ [الشورى: ٥٢]، وقيل: برحمة منه. وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام. ﴿وَيَذَلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا إِنْ جَرَّبَهُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيَّكَ كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا وَيَدَّعَاهُمْ حَتَّىٰ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَوْلِيكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا إِنْ جَرَّبَهُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

سورة الحشر

مدينة وهي أربع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل سورة النضير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا

يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك يا أبا بكر».

﴿أَزْ إِخْوَانَهُمْ﴾ يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ﴿أَزْ عَشِيرَتِهِمْ﴾ يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلياً وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. «أَوْلِيَّكَ كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ»، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة. وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه. ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنَّا﴾، قواهم بنصر منه. قال الحسن: سمي نصره إياهم روحاً لأن أمرهم يحيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحججه، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ

وقال الكلبي: إنما قال لأول «الحشر» لأنهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم. عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعاء وأريحاء من الشام في أيام عمر. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهَا الْمَدِينَةُ لِعَزَّتْهُمْ وَمَنَعَتْهُمْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ حِصُونٍ وَعَقَارٍ وَنَخِيلٍ كَثِيرَةٍ، وَظَنَرُوا أَنَّهُمْ مَلَائِكَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهَ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿وَمَنْ جِئْتُمْ لَرَّ يَحْتَبِئُوا﴾، وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وَدَفَّتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبُ﴾، يقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿يَحْتَرُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، ومعناهما واحد، ﴿يُؤْتِيَهُمُ الْيُدَيْمُ وَيَأْتِيهِمُ الْكُؤَيْمُ﴾.

قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل، كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إيلهم، ويخرب المؤمنون باقيها.

رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم.

وقال ابن عباس: على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي.

وقال الضحاك: أعطي كل ثلاثة نفر بعيراً وسقاً [من طعام] ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعاء وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة.

﴿فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»﴾، يعني بني النضير، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد وفتح قرظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان. ﴿لَأَوَّلُ الْمُتَكَبِّرِ﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا.

قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية، فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «أخرجوا»، قالوا إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام».

وأصحابه - إليهم: أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فديروا على الأرزقة وحصنوها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان [نصف] بيننا وبينك، فيستمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك أمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبيراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك أمنا كلنا بك وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سزيعاً حتى أدرك النبي ﷺ، فسأزه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان [من] الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فغذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَسْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ عَلَى أَسْوَأِهَا فَيَذَنُ اللَّهُ الْوَيْحَى الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَآلِي الْقُرَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَآلِي السَّبِيلِ لَا يَكُنْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ بَيْنَكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ يَتَعَوَّنُونَ فَضَّلْنَا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرُونَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ تَكُونُ لَهُمْ لِيُفْقَرُوا مِنْ دَارِهِمْ وَالْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِمْ سَيَجِدُونَ مِنْ هَاجِرَاتِهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤِذِنُونَكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وانظروا فيما نزل بهم،
﴿يَتَأُولِي الْأَصْنَرِ﴾، يا
ذوي العقول والبصائر.

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعِقَابَ﴾،
الخروج من الوطن،
﴿لَمَذِبِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل
والسبي كما فعل ببني
قريظة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ النَّارِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾، الذي
لحقهم، ﴿يَأْتُهُمْ شَاقُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٣﴾ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ
لَيْسَةٍ﴾، الآية.

وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل
ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر
بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع
أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد
زعمت أنك تريد الصلاح أفمن
الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟
فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل
عليك الفساد في الأرض، فوجد
المسلمون في أنفسهم من قولهم،
وخشوا أن يكون ذلك فساداً،
واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا
تقطعوا فإنه مما آفأه الله علينا. وقال
بعضهم: بل نغيظهم بقطعها،
فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نبى
عن قطعه وتحليل من قطعه من
الإثم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا

الليث عن نافع عن ابن عمر قال:
حرق رسول الله ﷺ نخل بني
النضير وقطع البويرة: فنزلت: ﴿مَا
قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَسْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ
عَلَى أَسْوَأِهَا فَيَذَنُ اللَّهُ﴾.

أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعه
وما تركوه فبإذن الله، ﴿وَالْيَحْرَى
الْفَاسِقِينَ﴾، واختلفوا في الينة فقال
قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة،
وهو قول عكرمة وقناة.

ورواه زاذان عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ
يقطع نخيلهم إلا العجوة.

وأهل المدينة يسمون ما خلا
العجوة من التمرة: الألوان واحدها
لون ولينة. وقال الزهري: هي ألوان
النخل كلها إلا العجوة والبرنية.
وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها
من غير استثناء. وقال العوفي عن
ابن عباس رضي الله عنهم: هي لون
من النخل. وقال سفیان: هي كرام
النخل. وقال مقاتل: هي ضرب من
النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد
الصفرة يرى نواه من خارج يغيب
فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم
وأعجبها إليهم، وكانت النخلة
الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف،
وأحب إليهم من وصيف، فلما
رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم
وقالوا للمؤمنين: إنكم تكزهون
الفساد في الأرض وأنتم تفسدون
دعوا هذا النخل قائماً هو لمن غلب
عليها، فأخبر الله تعالى أن ذلك
يأذنه.

﴿٤﴾ ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، أي
رده على رسوله، يقال: آفأه يفيء أي

قال ابن زيد: كانوا يقلعون
العمد، وينقضون المسقوف،
وينقبون الجدران، ويقلعون
الخشب حتى الأوتاد يخربونها لثلا
يسكنها المؤمنون حسداً منهم
وبغضاً. قال قناة: كان المسلمون
يخربون ما يليهم من ظاهرها
ويخربها اليهود من داخلها. قال
ابن عباس رضي الله عنهما: كلما
ظهر المسلمون على دار من
دورهم هدموها لتتسع لهم
المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون
دورهم في أديارها فيخرجون إلى
التي بعدها فيتحصنون فيها
ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي
خرجوا منها أصحاب
رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز
وجل: ﴿يُخْرِقُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ فَاصْتَبَرُوا﴾، فاتعظوا

رجع وأفاء الله، ﴿يَتَمَّمْ﴾ أي من يهود بني النضير، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أوضعتهم، ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفاً وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا إليها شقة. ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حرباً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّطَ رُسُلَهُ عَلَيْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحرث بن الصمة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزيبر وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فأدخلهم فلبث يرفأ قليلاً ثم جاء فقال: هل لك في عباس

وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دخل قال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير - فقال الرهط: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر.

قال: اتشدوا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس، فقال: أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر أن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد أعطاكموها وبها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، ففعل بذلك رسول الله ﷺ حياته. ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعمل بها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ، وأنتم حيثئذ جميع، وأقبل على علي وعباس: تذكرا أن أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم أنه فيها صادق

بار راشد فطبع للحق. ثم توفي الله أبا بكر، فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم أنني فيه صادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيهما بما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما؟ أتلتسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعها إلي فإني أكفيكماها.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾﴾، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخبير وقرى عرينة، ﴿فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء، إن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله.

واختلف أهل العلم في مصروف

الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان: أحدهما هو للمقاتلة، والثاني لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم إلى أنه يخمس، فخمسه لأهل الغنمة وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: ﴿مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، وقال: ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيما ناكم. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾، قرأ العمامة بالياء، ﴿دولة﴾ نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر ﴿تكون﴾ بالتاء ﴿دولة﴾ بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحيث لا خبر له، والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿بَيْنَ الْأَعْيَانِ مِنْكُمْ﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء. معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأعيان والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتموا غنمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المربع، ثم يصطفى منها بعد المربع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال: ﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾،

أعطاكم، ﴿الرَّسُولَ﴾، من الفيء والغنمة، ﴿فَحُدُودُهُ وَمَا تَهَنَّكُمُ عَنْهُ﴾، من الغلول وغيره، ﴿فَأَنْتَهُمْ﴾، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك [قد] لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَحُذُّهُ وَمَا تَهَنَّكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ﴾ [الحشر: ٧]؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ثم بين من له الحق في الفيء فقال:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ قَضَاءً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي خرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز وجل، ﴿وَيَضُرُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾، فسي إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار

والأموال والعشائر وخرجوا حياً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها.

أخبرنا محمد بن الحسن المرزوي، أنا أبو العباس الطحان، أنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان، أنا علي بن عبدالعزيز المكي، أنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أمية بن خالد بن عبدالله بن أسيد عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين.

قال أبو عبيد: هكذا قال عبدالرحمن وهو عندي أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد.

وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة».

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، وهم الأنصار تبوؤوا الدار وتوطنوا الدار، أي المدينة، اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بستين. ونظم الآية: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس

بمكان تبوء، ﴿يُجِئُونَ مِّنْ هَاجِرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يُجِدُونَ فِي سُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، حزازة وغيظاً وحسداً، ﴿وَمَعَآ أَوْلَادُهُمْ﴾، أي مما أعطي المهاجرون دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار قطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ﴾، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبدالله بن داود، عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعثت إلى نسائه هل عندكن من شيء؟ فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيني طعامك وأصحبني سراجك ونومي صبيانك، إذا أردوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلها يربانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من أفعالكما، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ وَمِن يَوْمٍ يُؤْتَىٰ شَيْءٌ مِّنْ قَسِيمِ قَوْلِكَ لَهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحكم بن نافع، أنا شعيب، ثنا أبو الهيثم عن الأعمش عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الشجرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن محمد، ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه سيصيبكم أثره بعدي.

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: إن شئتم قسمتكم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله عز وجل:

﴿أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ حَصَاصَةٌ وَمِن يَوْمٍ يُؤْتَىٰ شَيْءٌ مِّنْ قَسِيمِ قَوْلِكَ لَهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾.

والشع في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرق العلماء بين الشح والبخل.

روي أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود: إنني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمِن يَوْمٍ يُؤْتَىٰ شَيْءٌ مِّنْ قَسِيمِ قَوْلِكَ لَهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال عبدالله: ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبس الشيء البخل.

وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل إلى ما ليس له. وقال سعيد بن جبيرة: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم. قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه، ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه.

أخبرنا الإمام [أبو علي] الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو سعيد خلف بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي نزار، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حزاز القهндري، ثنا أبو عبدالله محمد بن

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأُذُنُ شَرَّ لَئِيْضُرُّوكَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتَ أَشَدُّ حَرِيَّةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَخْتَلِفُونَكَ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْتَشِرُونَ وَرَبِّكَ جَدْرٌ بِأَسْمِهِ يَشْتَهُرُ سُدِيدٌ يُحْسَبُهُ جَمِيعًا رُقُوبُهُمْ شَقِيٌّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَتَلَبَّى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتِ أَرْوَاحٍ أَلَمْ تُرْمِهِمْ وَلَمْ يَخُذْ أَلَيْمٌ ﴿١٥﴾ كَتَلَبَّى الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتَ مِنِّي فَكَانَ ابْنًا لِللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

جوف عبد أبلداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدأً.

﴿١٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ غشاً وحسداً وبغضاً، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ﴾، فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا أحمد بن عبدالله بن سليمان، ثنا محمد بن عبدالله بن نمير، ثنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبدالملك بن عمير،

عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسيبتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

وقال مالك بن مغول: قال عامر بن شرحبيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟، فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى من خير من أهل ملتكم، فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم، فقالوا: أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله بسفك دماهم وتفريق شملهم وإدحاض حججهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة.

قال مالك بن أنس: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: ﴿مَّا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: ٨، ٩]، حتى أتى على هذه الآية: ﴿لَلْفَقْرَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِيبُونَ مَنْ﴾ [الحشر: ٨، ٩] إلى قوله: ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، أي اظهروا خلاف ما أضمرنا يعني عبدالله بن أبي بن

إسحاق [بن سعيد] السعدي، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا القعني، ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مِقْسَم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، أنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أنا أبي وشعيب قالا: أنا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع، هو ابن اللجلاج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في

سلول وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير، جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفار مثلهم. ﴿لَنْ أُخْرِجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطُوعَ فِيكُمْ أَحَدًا﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿أَبَدًا وَإِنْ قُوَّتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ أَتَمَّهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوَّتُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقتلوا فلم ينصروهم. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَصْرُوهُمْ لَوْلَاكَ الْأَدَبُ﴾، أي لو قدر وجود نصرهم. قال الزجاج: معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأديبار منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يَصُرُّونَ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

﴿١٨﴾ ﴿لَأَمْتَهُ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، ﴿ذَلِكَ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿وَأَتَمَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عظمة الله.

﴿١٩﴾ ﴿لَا يُنَبِّئُونَكُمْ﴾، يعني اليهود، ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مَحْصَنَةٍ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ دَلَّكَ جُدُرٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿جدار﴾ عل الواحد، وقرأ الآخرون ﴿جدر﴾ يضم الجيم والبدال على الجمع.

﴿بِأَسْهَرِ بَيِّنَتِهِمْ شَدِيدٌ﴾، أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿كَتَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿قَرِيبًا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ذَاتُوا رِزَالًا أَرْمِيهِمْ﴾، يعني القتل بيدر، كان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد: وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في تخادعهم.

﴿٢١﴾ فقال: ﴿كَتَلَّ الشَّيْطَانِ﴾، [أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان] ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مرده

الشياطين فقال: ألا أجد أحداً منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس إليه على جهة الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند، فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا أطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله ندب في نفسه حين لم يجبه، فقال له: إنك تاديتني وكنت مشتغلاً عنك، فما حاجتك؟ قال: حاجتي أنني أحببت أن أكون معك، فأتأدب بك وأتبس من عملك وعلمك، وتجتمع على العبادة فتدعوني وأدعوك، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل ربه قائماً يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فأرتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً

ولا ينفصل عن صلواته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصاً اجتهداه تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصاً: إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصاً أمر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهداه، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون، قال برصيصاً: إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم به الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل، قال: فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطرب فقال لأهله إن بصاحبكم جنوناً أفاعلجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصاً فإن عنده الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجيب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصاً، فيدعو فيعافون، فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات

واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطرب فقال لهم: أتريدون أن أعالجها؟ قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصاً، قالوا: وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعته، ثم قولوا له هي أمانة عندك، فاحتسب فيها، قال: فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها، ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصاً عن صلواته عابن الجارية وما بها من الحسن والجمال، فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، ثم أقبل في صلواته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصاً بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلواته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصاً بتلك الدعوات، ثم أقبل على صلواته فجاءها الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها، فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار للذنوب والخطايا، فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على

ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصاً قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتترب، فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه، فدخل فخنقها ثم انطلق بها [من صومعته] فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ بطرف إزارها فبقي طرف [إزارها] خارجاً من التراب، ثم رجع برصيصاً إلى صومعته فأقبل على صلواته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصاً ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا [من عنده]، فلما أمسوا وهم مكرويون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال: ويحك إن برصيصاً فعل بأختك كذا وكذا وإنه خاف منكم فقتلها ودننها في موضع كذا وكذا فقال الأخ في نفسه: هذا حلم وهو من عمل الشيطان، فإن برصيصاً خير من ذلك، قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر. فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قاله الأكبر فلم يخبر أحداً فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأوسط وأنا والله قد رأيت مثله، وقال الأكبر وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصاً وقالوا: يا برصيصاً ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها؟ فكأنكم اتهمتموني، فقالوا: والله لا نتهمك واستحيوا منه فانصرفوا فجاءهم

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ فَكَانَ عِقَابًا يُنَالُهُمُ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا مَدَدْتُمْ لِعَدُوِّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْبَارِعُونَ ﴿٢١﴾ تَوَارَتْ لَنَا ذُنُوبُهُمْ إِنْ كَانُوا عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُمْ خَبِيثَاتٍ مِثْلَ بَعْضِ عَائِنِ خَشْيَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهُمَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ [أي جزاء من ظلم نفسه بطاعة الشيطان وخالف مولاة واتبع هواه] قال ابن عباس: ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة ففسد المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم فإننا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم

الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وإن طرف إزارها خارج من التراب فانطلقوا فقرأوا أختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا في مواليتهم وغلمايتهم ومعهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران، قتل ومكابرة اعترف، فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشية، فلما صلب أتاه الأبيض فقال: يا برصيصا أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك ما اتقيت الله في أمانتك خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت، فلم يزل يعيره، ثم قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس، فإن مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فأخذ بأعينهم فأخرجك من مكانك؟ قال: وما هي، قال: تسجد لي، قال: ما أستطيع قال: افعل، قال: بطرفك افعل فسجد له فقال: يا برصيصا هذا الذي كنت أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك ﴿إِنَّ أَنَا لَأَنْفَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله، فكان عاقبة الفريقين النار. قال ابن عباس رضي الله عنه: فكان الرهبان بعد ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلا بالتقية والكتمان، وطمع أهل الفسق والفجور في الأبحار [والرهبان] ورموهم بالبهتان والقبیح حتى كان أمر جريج الراهب، فلما برأه الله مما رموا به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس. وكانت قصة جريج على ما:

إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا يزيد بن هارون، أنا جرير بن حازم، ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب يوسف».

وكان جريج رجلاً عبداً قاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغني يتمثل بحسنها،

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا

﴿١٧﴾ يقول الله تعالى: ﴿كَانَ عِقَابًا﴾، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿أَنَّهُمْ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

فقلت: إن شئتم لأتقننه لكم، قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكتته من نفسها فوق وقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنت بهذه البغية فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.

وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقلت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الشدي وأقبل عليه ونظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع، قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبغه السبابة في فمه، فجعل يمصها، قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل، فقلت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعاً الحديث، فقلت: مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله،

فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنت وسرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها.

﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيَا الزَّيْتِ مَأْمُورًا فَقُوا اللَّهَ وَكَتَنُظَّرَ قَسْرًا مَا قَدَّتْ لِحَوِيٍّ﴾، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه، عملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُّوا اللَّهَ، تركوا أمر الله، ﴿فَأَنسَنَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَانِقًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزاقته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿وَيَا لَيْلَ الْأَمْثَلُ فَضَّرِبَهَا لِثَانِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، ﴿السَّلَامُ﴾، الذي سلم من النقائص، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾، قال ابن عباس: هو الذي آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: ﴿وَمَا أَنَّهُمْ مِنْ خَوْفِهِ﴾ [قريش: ٤]، وقيل: معناه الصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب، ﴿الْمُهَيَّبُونَ﴾، الشهيد على عبادته بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل.

يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقط وهرقت، ومعناه المؤمن، قال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ. وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله. ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾، قال ابن عباس: الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة

ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبزت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز. ﴿التَّكْبِيرُ﴾، الذي تكبر عن كل سوء. وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبير والكبرياء الامتناع. وقيل: ذوالكبرياء وهو الملك، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

طهمان حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتي يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قال حين يمسي كان بتلك المتزلة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
 فِيهِمُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَدَّةَ وَبِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ مُخْرَجًا إِنَّ رُسُلَ
 وَآيَاتِكُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْ تُخْرِجُوا فِي سَبِيلِ
 وَآيَاتِكُمْ مِنْ سَبِيلِ رُسُلِكُمْ وَأَنْ تُخْرِجُوا فِي سَبِيلِ
 وَمَا عَلَّمْتُمْ وَمَنْ يَعْمَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
 يَتَّبِعْكُمْ مَثَلًا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيُّدِيهِمْ وَأَنْفُسَهُمْ
 وَالسُّوءَ وَرُودًا لَكُمْ أَكْثَرُونَ ۝ إِنْ تَتَّبِعْكُمْ أَنْصَارَكُمْ وَلَا أُولِيكُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
 كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
 إِنَّا بَرَاءٌ لَكُمْ وَمَا بُدِئْنَا بِكُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَنَّكُمْ أَتَيْنَاكُمْ
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَمَا آمَنَ لَكَ مِنَ الَّذِينَ هَمَزُوا
 رِثَاةَ عَيْتِكَ تَرْثَانَهَا وَإِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تُرِثُونَ ۝ رِثَاةَ مَا جَاءَنَا
 فَسَنَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَوَّغَرْنَا رِثَاةَ آتِ الْغُرَابِ لِنُكَرِ ۝

ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبير بن هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ﴾، المحقِّد والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَدَنِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿الْبَارِئُ﴾، المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿الْمُصَوِّرُ﴾، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض. يقال: هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم براءً ثم تصويراً. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

بعثني رسول الله ﷺ، أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال: فانطلقنا تتعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الشياح، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأةً ملصقةً في قرية، يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب

ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبير بن هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه.

سورة المتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية.
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
 عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، الآية.
 أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا سفيان بن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبدالله بن أبي رافع يقول: سمعت علياً رضي الله عنه يقول:

فيهم أن أتخذ عندهم بدأ يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضيت بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله تعالى هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «أمهاجرة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: «وأين أنت من شيان مكة؟» وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبدالعزى، فكتب معها إلى أهل مكة وأعطها عشرة دنانير، وكساها برداً، على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب

في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذرکم، فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرساناً، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها واخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»، قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب، فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتحوا متاعها [ونبشوها] فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه فقال: أخرجني الكتاب وإلا لأجردتك ولأضرب عنقك، فلما رأته الجدة أخرجته من ذوابتها، وكانت قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم، قال: «فما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله ﷺ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين

ظهرانهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم بدأ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدق رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر؟» فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله عز وجل في شأن حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾، قيل: أي المودة، والباء زائدة كقوله: ﴿وَمَنْ بُرِدَ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلَّرُ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال الزجاج: معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾، الواو للحال أي وحالهم أنهم كفروا، ﴿بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾، يعني القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ﴾، من مكة، ﴿أَنْ تُوْمِتُوا﴾، أي لأن أمنتكم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم، ﴿وَاللَّهُ رِيكُمُ إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ﴾، هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّكُمْ﴾، ﴿جَهَنكَا فِي سَبِيلِ وَيُفَلِّتُ مَرَّاتٍ كَثِيرًا إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾، قال مقاتل بالنصيحة، ﴿وَأَنَا أَظَلُّ بِمَا أَفْعَيْتُمْ﴾، من المودة للكفار، ﴿وَمَا أَظُنُّكُمْ﴾، أظهرتم بالسنتكم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ يَنْكُرْ قَدَّ مَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أخطأ طريق الهدى.

﴿إِنْ يَفْقَهُكُمْ﴾، يظفروا بكم

ويروكم، **يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْتَلُوا**
إِلَيْكُمْ أَيُّدِيَهُمْ، بالضرب والقتل،
وَأَيْدِيَهُمْ يَأْتُونَ، بالشتم، **رُودُوا**
تَوَكَّفَرُونَ، كما كفروا، يقول لا
تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا
يوادونكم.

﴿٢﴾ **إِنْ تَتَعَمَّكُمُ أَرْحَامُكُمْ**، معناه
لا يدعونكم ولا يحملنكم ذور
أرحامكم وقرباتكم وأولادكم التي
بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ
والمؤمنين وترك مناصحتهم ومولاة
أعدائهم فلن تتفعمكم أرحامكم، **وَلَا**
أَوْلَادُكُمْ، الذين عصيتهم الله لأجلهم،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَتَّبِعْكُمْ، فيدخل
أهل طاعته الجنة وأهل معصيته
النار، قرأ عاصم ويعقوب **يَقُولُ**
بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً وقرأ
حمزة والكسائي بضم الياء وكسر
الصاد مشدداً، وقرأ ابن عامر بضم
الياء وفتح الصاد مشدداً، وقرأ
الآخرون بضم الياء وفتح الصاد
مخففاً. **وَأَلَّهِ يَمَا تَعْمَلُونَ بِيَدَيْكُمْ**.

﴿٣﴾ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ**
قدوة، **حَسَنَةٌ فِي الزَّيْبَةِ وَالَّذِينَ**
مَعَهُمْ، من أهل الإيمان **إِذْ قَالُوا**
لِقَوْمِهِمْ، من المشركين، **إِنَّا بَرَاءُ**
مِنْكُمْ، جمع بريء، **وَمَا تَبْتَدُونَ**
من ذنوب الله **كَلَرًا يَكْرَهُ**، جحدنا
وأنكرنا دينكم، **وَبَيْنَا بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ**
الْعُدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَعَدُّهُ، يأمر حاطبياً والمؤمنين
بالافتداء بإبراهيم عليه الصلاة
والسلام، والذين معه من المؤمنين
في التبرؤ من المشركين، **إِلَّا قَوْلَ**
لِقَوْمِهِمْ لَأَبِيدَ لَأَسْتَفِرَّ لَكَ، يعني لكم
أسوة [حسنة] في إبراهيم وأموره إلا

في استغفاره لأبيه المشرك
فإن إبراهيم عليه الصلاة
والسلام كان قد قال لأبيه
لأستغفرن لك، ثم تبرأ
منه على ما ذكرناه في
سورة التوبة، **وَمَا أَمَّاكَ**
لك من الله من شيء، يقول
إبراهيم عليه السلام لأبيه
ما أغنى عنك ولا أذفع
عنك عذاب الله إن عصيته
وأشركت به، **رَبَّنَا عَلَيْكَ**
تَوَكَّلْنَا، يقوله إبراهيم ومن
معه من المؤمنين، **وَأَلَيْكَ**
أُنْتَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

﴿٤﴾ **رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً**
لِلَّذِينَ كَفَرُوا، قال
الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا
أنهم على الحق فيفتنوا.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا
بعذاب من عندك فيقولون لو كان
هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك.
وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ.

﴿٥﴾ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ**، أي في
إبراهيم ومن معه **أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ**
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، هذا بدل من
قوله «لكم» وبيان أن هذه الأسوة لمن
يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة،
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ، يعرض عن الإيمان
ويوال الكفار، **لَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ**،
عن خلقه، **الْمَلِيذُ**، إلى أوليائه،
وأهل طاعته. قال مقاتل: فلما
أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادي
المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا
لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ﴿٥﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾
لَأَيُّهَا اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُوا
مِن دِينِكُمْ أَن تَرَوْهُم وَيَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ حُبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا
مِن دِينِكُمْ وَأظهروا من إخراجكم أَن تَرَوْهُم وَمِن يَوْمِهِمْ فَأُولَئِكَ
هُم الظَّالِمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْحُوهُنَّ اللَّهُ أَفْعَامٌ بَيْنَهُنَّ فَإِنَّ عَلَيْهُنَّ مَوَدَّةَ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّهُنَّ كَلَاحِفٍ لِّإِنِّهِنَّ كَلَامٌ وَأُولَئِكَ
مَا أَعْتَفُوا وَأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُنُوبَهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَخَائِفَاتٌ لِّمَا كُفَرْنَ
وَلَأَسْتَكْرِهِنَّ عَنِ الْكُفَّارِ وَسَوَاءٌ مَا أَقْبَلْتُمْ وَلَسْتُمْ مَا أَقْبَلُوا
ذَلِكَ حَكْمٌ مِّنَ اللَّهِ لِيُخَيِّبَكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ وَإِن فَانَكُم
مِّنْهُ مِّنْ أَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْبَلُوا فَتَاوَى الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَرْجُلُهُمْ بِشَلِّ مَا أَقْبَلُوا وَأَقْبَلُوا اللَّهُ الَّذِينَ أَنَّهُمْ مَوْمِنُونَ ﴿١٠﴾

وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله:
﴿٧﴾ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ**
الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم، أي من كفار
مكة، **مَّوَدَّةً**، ففعل الله ذلك بأن
أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء
وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم،
وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، ثم
رخص الله تعالى في صلة الذين لم
يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:
﴿٨﴾ **لَأَيُّهَا اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ**
يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُوا مِن دِينِكُمْ
تَرَوْهُم، أي لا ينهاكم الله عن بر
الذين لم يقاتلوكم، **وَيَقْسِطُوا**
إِلَيْهِمْ، تعدلوا فيهم بالإحسان
والبر، **لَإِنَّ اللَّهَ حُبُّ الْمُتَّقِينَ**، قال
ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا
قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا
يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً،
فرخص الله في برهم.
وقال عبدالله بن الزبير: نزلت في

أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبدالعزيز قدمت عليها المدينة بهديا، ضباباً وأقطاً وسمناً وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلني على بيتي حتى أستاذن رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة، ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم [مع أبيها] فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفصلها؟ قال: [نعيم] صليها.

وروي عن ابن عيينة قال: فأنزل الله فيها ﴿لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

﴿إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَكُفَرُوا بِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِكْرَامِكُمْ﴾، وهم مشركو مكة، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيَا الدِّينَ ءَامِنًا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاصْلَحْنَ﴾، الآية.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور بن مخزومة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاصْلَحْنَ إِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ بِأَيْسَرٍ﴾ إلى ﴿وَلَا تُمْسِكْنَ﴾.

قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿يَأْتِيَا الدِّينَ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلى قوله ﴿عَفْرٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك [كلماً]

يكلمها به] والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعه ما بايعهن إلا بقوله.

قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - وقال مقاتل: صيفي بن الراهب - في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد رد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيَا الدِّينَ ءَامِنًا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾، من دار الكفر إلى دار الإسلام، ﴿فَاصْلَحْنَ﴾.

قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوج ولا عشقاً لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وجباً لله ولرسوله، قال: فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك فحلفت فلم يرداها، وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن.

﴿اللَّهُ أَكْبَرُ بِأَيْسَرٍ﴾ أي هذا

الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهم، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ جِلِّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿وَمَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾، يعني أزواجهن الكفار، ﴿مَا أَتَقُوا﴾، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا كُنَّ يَتَذَكَّرْنَ لَكُمْ﴾، أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد، والآخرون بالتخفيف من الإمساك، ﴿بِغَيْرِ الْكُفَّارِ﴾، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريية بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنه عبدالله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم، وهما على شركهما، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها،

ففرق الإسلام بينهما فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية.

قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله ﷺ.

﴿وَتَعْلَمُوا﴾، أيها المؤمنون، ﴿مَا أَتَقْتُمْ﴾، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أتفتتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم، ﴿وَلَا تَسْتَأْذِنُوا﴾، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَا أَتَقْتُمْ﴾، من المهر ممن تزوجها منكم، ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَتَكَّمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال الزهري: لولا الهندنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات [المشركين على نساءهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نساءهم].

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ فَانَكْتُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿فَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْكُفَّارِ﴾، فلحقن بهم مرتدات، ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾.

قال المفسرون معناه غنمتم، أي غزوتهم فأصبتهم من الكفار عقيب وهي الغنيمة، وقيل ظهرتم وكانت العاقبة

لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج ﴿فَعَقِبْتُمْ﴾ بالتشديد وقرأ الزهري ﴿فَعَقِبْتُمْ﴾ خفيفة بغير ألف، وقرأ مجاهد ﴿فَعَقِبْتُمْ﴾ أي صنعتهم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب وعقب وعقَّب وأعقبت وتحقَّب وتعاقب واعتقب، إذا غنم، وقيل: التعقيب غزوة بعد غزوة، ﴿فَكَاتَرُوا آلَ بَنِي نَدِيمٍ﴾، أي الكفار منكم، ﴿يَنْتَقِلُ مَا أَتَقُوا﴾، عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار. وقيل: فعاقبتهم المرتدة بالقتل.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين والمهاجرين ست فسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان، كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود، وهند بنت أبي جهل بن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن نائل، وأم كلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر بن الخطاب، فكلهن رجعن عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نساءهم من الغنيمة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ أَلَيْسَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النسالة إلى أزواجهن،



التورية، وإضمار الإيمان، ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية، فعلى هذا كان رد المهر مندوباً. واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاقدة الكفار؟

فقال قوم: لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة، وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة، وقال قوم: هي غير منسوخة ويرد إليهم ما أنفقوا.

قوله عز وجل:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ

الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكَ﴾، الآية.

وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ أبياعهن ﴿عَلَنَ أَنْ لَا يَشْرُكَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، ويباع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «ولا يسرقن»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنت، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك

حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة»؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال: «وَلَا يَرْبِيَنَّ»، فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فقال: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ»، فقالت هند: ربيناهن صغاراً وقتلتموهن كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «وَلَا يَأْتِيَنَّ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ»، وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «وَلَا يَصْطِنِكَ فِي مَعْرُوفٍ»، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعضيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن.

قوله: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ» أراد وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية، قوله: «وَلَا يَأْتِيَنَّ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ»: ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله «وَلَا يَصْطِنِكَ فِي مَعْرُوفٍ»: أي في كل أمر وافق طاعة الله. قال بكر بن عبدالله المزني: في كل أمر فيه رشدهن. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة

كان واجباً أو مندوباً؟ وأصله أن الصلح هل كان وقع على رد النساء؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعاً، لما روينا «أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا» ثم صار الحكم في رد النساء منسوخاً بقوله: «فَلَا تَرْجِعُونَّ إِلَى الْكُفَّارِ»، فعلى هذا كان رد المهر واجباً.

والقول الآخر: أن الصلح لم يقع على رد النساء، لأنه يروى عن علي أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وذلك لأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها، وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوفت، وأكبرهت عليها لضعف قلبها، وقلة هدايتها إلى المخرج منها بإظهار كلمة الكفر مع

بالرجال. وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونشفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو معمر، ثنا عبدالوارث، ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿أَنْ لَا يَشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت وبابها.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا هذبة بن خالد، ثنا أبان بن يزيد، ثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثه، أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة». وقال: «النياحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن حفص، ثنا أبي، أنا الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

قوله: ﴿فَبَايَعْتُمْ﴾، يعني إذا بايعتك فبايعهن، «وَأَسْتَفِرَّ لَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمود بن غيلان، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿لَا يَشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا محمد بن عبدالله بن حمدون، أنا مكى بن عبدان، ثنا عبدالرحمن بن بشر، ثنا سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، سمع أميمة بنت رقية تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال لنا: «فيما استطعتن وأطقتن»، فقلت: رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا - قال سفيان يعني ضافخنا - فقال:

«إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة كقولني لئمة امرأة».

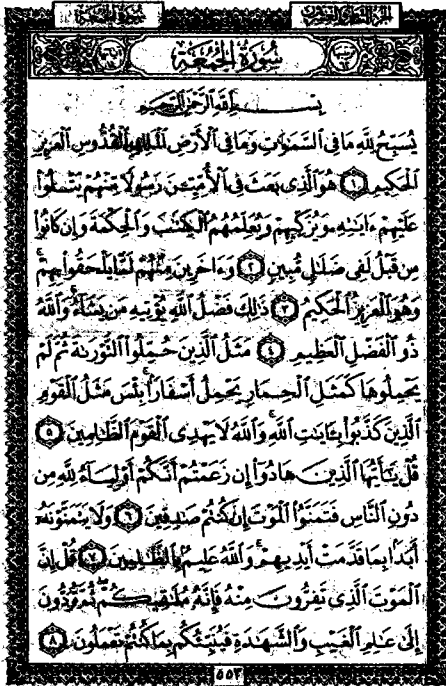
﴿١٣﴾ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا ءَعْصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم اليهود وذلك أن أناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، ﴿قَدْ يَسُؤُا﴾، يعني هؤلاء اليهود، ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَحْسَبِ الْقُبُورِ﴾، أي كما يبس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة. قال مجاهد: الكفار حين دخلوا قبورهم أبسوا من رحمة الله. قال سعيد بن جبير: يبسوا من الآخرة كما يبس الكفار الذين ماتوا فعابنوا الآخرة. وقيل: كما يبس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.

سورة الصف

مدينة [وقال عطاء: مكة وهي أربع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه ولبدلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل:



الْمُتَوَكِّفَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَلَّذِينَ
 الْقُدُوسِ الَّذِينَ لِلْمَكْرِ هُوَ
 الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ،
 يعني العرب كانت أمة أمية
 لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا
 مِنْهُمْ﴾ ، يعني محمداً ﷺ
 نسبة نسبهم ، ولسانه
 لسانهم ليكون أبلغ في
 إقامة الحجة عليهم
 ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعًا
 وَيُقِيمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
 كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ نِي حَسْبُ لِي
 ثَبِينٌ﴾ ، أي ما كانوا قبل
 بعثة الرسول إلا في ضلال
 مبين يعبدون الأوثان .

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ﴾

الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم
 على نصر الدين وجهاد المخالفين .
 ﴿قَالَ﴾ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
 أَصَادِرَ اللَّهِ﴾ ، قرأ أهل الحجاز وأبو
 عمرو «أنصاراً» بالثنتين ﴿لِلَّهِ﴾ بلام
 الإضافة ، وقرأ الآخرون «أَصَادِرَ اللَّهِ»
 بالإضافة كقوله : ﴿يَمُنُّ أَصَادِرَ اللَّهِ﴾ ،
 ﴿كَأَنَّ قَالِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ ، أي
 أنصروا دين الله مثل نصره الحواريين
 لما قال لهم عيسى عليه السلام ،
 ﴿مَنْ أَصَادِرٌ إِلَى اللَّهِ﴾ ، أي من
 يتصبرني مع الله ، ﴿قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ يَمُنُّ
 أَصَادِرَ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ ، قال ابن عباس : يعني
 في زمن عيسى عليه السلام .

وذلك أنه لما رفع تفرق قومه
 ثلاث فرق : فرقة قالوا كان الله
 فارتفع ، وفرقة قالوا كلنا ابن الله
 فرفعه الله إليه ، وفرقة قالوا كان
 عبدالله ورسوله فرفعه إليه وهم
 المؤمنون ، واتبع كل فرقة منهم طائفة
 من الناس ، فاقتلوا فظهرت الفرقتان
 الكافرتان على المؤمنين ، حتى
 بعث الله محمداً ﷺ فظهرت
 [الفرقة] المؤمنة على الكافرة ، فذلك
 قوله تعالى : ﴿فَأَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ
 مَعَكُمْ قَدْ فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، غالبين عالين .

وروى مغيرة عن إبراهيم قال
 فأصبحت حجة من آمن بعيسى
 ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى
 كلمة الله وروحه .

سورة الجمعة

مدنية [وهي إحدى عشرة آية] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْمَعُ اللَّهُ مَا فِي

الشفقي قالوا : حدثنا قتيبة ، ثنا
 عبدالعزیز ، عن ثور ، عن أبي
 الغيث ، عن أبي هريرة قال : كنا
 جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه
 سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿وَأَخْرَجْنَا
 مِنْهُمْ لَنَا يَحْفُوا بِهَمَّ﴾ قال رجل : من
 هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه
 النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثاً ،
 قال : وفينا سلمان الفارسي ؟ قال :
 فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ،
 ثم قال : «لو كان الإيمان عند الثريا
 لنال رجال من هؤلاء» .

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد
 الطاهري ، أنا جدي عبدالصمد بن
 عبدالرحمن البزاز ، أنا محمد بن
 زكريا العذافري ، أنا إسحاق الديري ،
 ثنا عبدالرزاق ، أنا معمر ، عن جعفر
 الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي

وفي آخرين وجهان من الإعراب :
 أحدهما الخفض على الرد إلى
 الأميين مجازة : وفي آخرين . والثاني
 النصب على الرد إلى الهاء والهم
 في قوله «ويعلمهم» أي ويعلم
 آخرين منهم ، أي [من] المؤمنين
 الذين يدينون بدينهم ، لأنهم إذا
 أسلموا صاروا منهم ، فإن المسلمين
 كلهم أمة واحدة .

واختلفوا العلماء فيهم فقال قوم :
 هم التعجم ، وهو قول ابن عمر
 وسعيد بن جبیر ورواية ليث عن
 مجاهد ، والدليل عليه ما :

أخبرنا أبو جعفر محمد بن
 عبدالله بن المعلم الطوسي بهاء ، ثنا
 أبو الحسن محمد بن يعقوب ، أنا
 أبو النضر محمد بن محمد بن
 يوسف ، ثنا الحسن بن سفيان ،
 وعلي بن طيفور ، وأبو العباس

بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء.

قرأ الأعمش: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بسكون الميم، وقرأ العامة بضمها، واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة، منهم من قال: لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام.

وقيل: لأن الله تعالى فرغ من خلق جميع الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات. وقيل: لاجتماع الجماعات فيها. وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة. وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة: أول من قال «أما بعد» كعب بن لؤي، وكان أول من سمى الجمعة جمعة، وكان يقال له: يوم العروية.

عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة وقبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة، قبل أن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة. وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله ونصلي فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم

والعمل بما فيها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَجْعَلُوهَا﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، ﴿كَتَبَ الْجَمْرَ يَحْتَمِلُ أَشْقَارًا﴾، أي كتباً من العلم واحدها سفر، قال الفراء: هي الكتب العظام يعني كما أن الجمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَابِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِٰغِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء عليهم السلام يعني: من سبق في علمه أنه لا يؤمن لا يهديهم.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿فَتَسَوَّوْا الْمَوْتَ﴾، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

﴿وَلَا يَسْتَوِيهِ أَهْدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَكٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَرْوُونَ إِلَىٰ عَالِي الْعَرْشِ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودِيكُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، أي في يوم الجمعة كقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَاذَا خَلَقْنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠] أي في الأرض، وأراد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودِيكُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا فَالْعَمَلُ نَقْلُهُمْ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ مَكْرًا فَانصُرُوا لَهَا وَزُكُورًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ بَيْنِكُمْ يَوْمَ ذَلِكَ طَبَقًا لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا فَطُغِعَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَعْلَمُوا هَلْ يَقِفُهُمْ ﴿٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ مَكْرًا فَانصُرُوا لَهَا وَزُكُورًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ بَيْنِكُمْ يَوْمَ ذَلِكَ طَبَقًا لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾

٥٥١

هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه».

وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ [إلى يوم القيامة] وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد. قوله: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأوا الصحابة. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الْوَعْدَةَ﴾، أي كلفوا القيام بها

العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد.

وروي عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن كعب، أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة، فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة؟ قال: لأنه أول من جمع بنا في هزم النبي من حرة بني بياضة في بقيع يقال له: بقيع الخضعات، قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون.

وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه [على ما] ذكر أهل السير: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً نزل بقاء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، فأقام بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً، فجمع هناك وخطب.

قوله تعالى: ﴿فَأْتَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع، إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، وكان عمر بن الخطاب يقرأ: فامضوا إلى ذكر الله، وكذلك

هي في قراءة عبدالله بن مسعود.

وقال الحسين: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وعن قتادة في هذه الآية: ﴿فَأْتَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها، وكان يتأول قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يقول فلما مشى معه.

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن [أحمد بن] محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن اثنها تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

قوله: ﴿إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: ﴿فَأْتَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال هو موعظة الإمام، ﴿وَدَّرُوا الْبَيْعَ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ﴿ذلكم﴾، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، من المبايع، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،

مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان، فتجب على كل من جمع العقل، والبلوغ، والحرية، والذكورة، والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فروض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا إبراهيم بن محمد، حدثني سلمة بن عبدالله الخطمي عن محمد بن كعب أنه سمع رجلاً من بني وائل يقول: قال النبي ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً».

وذهب أكثرهم إلى أنه لا جمعة على العبيد. وقال الحسن وقاتدة والأوزاعي: تجب على العبد المخارج. ولا تجب على المسافر عند الأكثرين. وقال السنخعي والزهري: تجب على المسافر إذا سمع النداء، وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف، جاز له ترك الجمعة، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل.

أخبرنا عبدالواحد [بن] أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، [حدثنا مسدد] حدثنا إسماعيل أخبرنا عبدالحميد صاحب الزيادي، ثنا عبدالله بن الحارث بن عمر، حدثنا محمد بن

سيرين [قال] قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل صلوا في بيوتكم، فكان الناس استنكروا، فقال: فعله من هو خير مني، إن الجمعة عزيمة، وإني كرهت أن أخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدنص.

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة، فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي، ثنا أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي السمرقندي، أنا يحيى بن حسان، ثنا معاوية بن سلام، أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو على أحواد منبره: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا علي بن خشرم، أنا عيسى بن يونس، عن محمد بن عمرو، عن

عبدة بن سفيان، عن أبي الجعد يعني الضمري قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاثة مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه».

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة، وفي العدد الذي تتعقد بهم الجمعة، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها.

أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلاً من أهل الكمال، بأن يكونوا أحراراً عاقلين بالغين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً إلا ظعن حاجة، يجب عليهم إقامة الجمعة فيها، وهو قول عبدة بن عبد الله وعمر بن عبدالعزيز، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا تتعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً على هذه الصفة وشرط عمر بن عبدالعزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم وإلي، والوالي غير شرط عند الشافعي، وقال علي: لا الجمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي، ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تتعقد بأربعة والوالي شرط، وقال الأوزاعي وأبو يوسف: تتعقد بثلاثة إذا كان فيهم وإلي. وقال الحسن وأبو ثور: تتعقد باثنين كسائر الصلوات. وقال ربيعة: تتعقد باثني عشر رجلاً، والدليل على جواز إقامتها في القرى ما:

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن

المثنى، أنا أبو عامر العقدي، ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين.

وإذا كان الرجل مقيماً في قرية لا تقام فيها الجمعة، أو كان مقيماً في قرية، فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة، فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة.

وقال سعيد بن المسيب: تجب على كل من آواه المبيت. وقال الزهري: تجب على من كان على ستة أميال. وقال ربيعة: على أربعة أميال. وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا جمعة على أهل السواد قرية كانت القرية أو بعيده. وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة، وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت، أما إذا سافر قبل الزوال [أو] قبل طلوع الفجر فيجوز، غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو، وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة

مقيماً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة، والدليل على جوازه ما:

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، أنا أبو العباس المحبوبي، أنا أبو عيسى، ثنا أحمد بن منيع، ثنا [أبو] معاوية، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبدالله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، فغدا أصحابه وقال: أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم الحقه، فلما صلى مع النبي ﷺ رآه فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟» قال: أردت أن أصلي معك ثم الحقه، فقال: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم».

وزوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً عليه هيئة السفر يقول: لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت، فقال عمر: أخرج فإن الجمعة لا تخبئ أحداً عن سفر.

وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضله منها:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد الفقيه، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحمار، فجلست معه فحدثني عن

التوراة، وحدثه عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت له: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حين تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته في يوم الجمعة، قال عبدالله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي فيها» وتلك ساعة لا يصلي فيها؟ فقال عبدالله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها؟ قال أبو هريرة: بلى، قال: فهو ذاك.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبدالله بن وديعة عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أحمد بن خالد، ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعن أبي أمامة يعني ابن سهل بن جنيب حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستن، ومس من طيب إن كان عنده وليس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع، وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها»، وقال أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّبْحِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أخبرنا أبو طاهر حمز بن

عبدالعزیز القاشاني، أنا القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي محمد أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثنا محمد بن حاتم الجزجرائي، ثنا ابن المبارك عن الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني أبو الأشعث الصنعاني، حدثني أوس بن أوس الثقفي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلبغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزیز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول فإذا خرج الإمام طويت الصحف. واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً حتى ذكر الدجاجة والبيضة».

⑤ قوله عز وجل: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾

فَأَصْحَابُكُمْ ﴿المائدة: ٢﴾، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعبادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جببير ومكحول: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ هو طلب العلم. ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا كَبِيرًا﴾ أَلَمْ تَرَ تَقْلِبُونَ ﴿١﴾.

⑥ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الآية.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حفص بن عمر، ثنا خالد بن عبدالله، أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾.

ويحتج بهذا الحديث من يرى الجمعة باثني عشر رجلاً، وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة، لا شرط هذا العدد.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي: لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط.

وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما أراه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع

النبي ﷺ إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو متابعتكم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً».

وقال مقاتل: بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة، وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا آتته، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبُرٍّ وغيره، فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطليل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس ليتاعوا منه، فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامراً، فقال النبي ﷺ: «كم بقي في المسجد؟» فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامراً، فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء»، فأنزل الله هذه الآية.

وأراد باللهو الطبل. وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطليل والتصفيق. وقوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم.

وقال علقمة: سئل عبدالله: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزیز بن أحمد الخلال، ثنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا إبراهيم بن

محمد أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا أبو الأحوص، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس.

وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال: «كنت أصلي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً».

والخطبة فريضة في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن [و] يدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزاء، وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن مامويه، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة، ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني، ثنا

عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة، فصلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى وفي الثانية: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فقال عبيد الله: فلما انصرف مشيت إلى جنبه فقلت له: لقد قرأت بسورتين سمعت علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن ضمرة بن سعيد المازني، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ بهل أتاك حديث الغاشية.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى، ثنا قتيبة، ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وهل أتاك حديث الغاشية.

وربما اجتمع في يوم واحد فيقرأ بهما، ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت وهو: الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر، والعدد، والإمام، والخطبة،

ودار الإقامة، فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهراً، ولا يجوز للإمام أن يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد، وهو عدد الأربعين عند الشافعي، فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة، بل يصلي الظهر، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا، فأصح أقوال الشافعي، أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة، كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة، فلو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقي أن يصلوها أربعاً، وفيه قول آخر إن بقي معه اثنتان أتمها جمعة.

وقيل: إن بقي معه واحد أتمها جمعة، وعند المزني إذا انفضوا بعد ما صلى الإمام بهم ركعة أتمها جمعة، وإن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى أتمها أربعاً وإن انتقص من العدد واحد، وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي يشترطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة فإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوَمِنَ الْبَرِّ﴾، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خيز من اللهور ومن التجارة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الرَّزْقِ﴾، لأنه موجد الأرزاق فلهياه فاسألوا ومنه فاطلبوا فهو موجود على الدوام لا يخيب من سألته لأنه أكرم الأكرمين.

الاستغفار، قرأ نافع ويعقوب ﴿لَوْ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد، لأنهم فعلوها مرة بعد مرة ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾، يعرضون عما دعوا إليه، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَعْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة من أصحاب [السير أن] رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله نبي المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأنفاهم عليهم، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج، على ذلك الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاهم الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جمال، وكان فقيراً، فغضب عبدالله بن أبي ابن

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾، يعني أن لهم أجساماً ومناظر، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾، فتحسب أنه صدق.

قال عبدالله بن عباس: كان عبدالله بن أبي جسيماً فصيحاً ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: ﴿كُلُّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿خشب﴾ بسكون الشين، وقرأ الباقون بضمها، ﴿مسندة﴾

مالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملت، والتثقيب للتكثير، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر، ولكنها خشب مسندة إلى حائط، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم، أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمراً بهتك أstarهم ويبيح دماءهم ثم قال، ﴿هُرُّ الْمُدُوءِ﴾، هذا ابتداء وخبره، ﴿فَأَحْزَمَهُمْ﴾، ولا تأمنهم، ﴿فَتَلَاَّهُمُ اللَّهُ﴾، لعنهم الله ﴿أَنْ يَكُونُوا﴾، يصرفون عن الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَقَالُوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوا رُؤُوسَهُمْ﴾، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة عن

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَقَالُوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَعْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِرُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضِرُوا وَاللَّهُ خَرَابِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة المنافقون

مدنية [وهي إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، يعني عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه، ﴿قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، لأنهم أضمرنا خلاف ما أظهروا.

﴿٢﴾ انْفَضُّوا أَيْسَهُمْ جَنَّةً﴾، ستره، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾، أقسروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾، إذا خلوا إلى المشركين ﴿فَطَلَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، الإيمان.

سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن، فقال ابن أبي: أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولتحولوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى يتفصوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك محمد ﷺ في عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين، فقال عبدالله بن أبي: اسكت فإنما كنت العيب، قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد فراغه من العدو، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس، وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي فأتاه فقال له: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبدالله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيدا لكاذب،

وكان عبدالله في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، فعذره النبي ﷺ وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه، وقال له عمه وكان زيد معه: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ والناس كلهم يقولون إن عبدالله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار مقتوك وكان زيد يسائر النبي ﷺ فاستحيا أن يدنو من النبي ﷺ، فلما استقبل رسول الله ﷺ وسار للقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله لقد رحمت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بلغتك ما قال صاحبكم عبدالله بن أبي؟» قال: وما قال، قال: «زعم إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها والأذل» فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً، وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي، لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها رجل أبرُّ بالديه مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري

فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر. فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا» قالوا: وسار رسول الله ﷺ يوضه ذلك حتى أمسى، وليلته حتى أصبح، وصدر يومه ذلك حتى آذنتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجلوا من الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديد الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبي، ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فوق التقيع، يقال له نفعاء فهاجت ريح شديدة آذنتهم وتحرقوا منها، وضلت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلاً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة»، قيل: من هو؟ قال: رفاعة بن زيد بن التابوت، فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي، فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: «ما أزعم أنني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقته، هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فلما هي كما قال: فجاؤوا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق، فلما قلعوا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَسِخَّرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِمَنْ شَاءَ وَاللَّهُ وَهْدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَكُفُّوا عَنكُمْ أَرْسُلَ رَسُولِكُمْ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَتَّبِعْهُ فَسَوْفَ يَجْعَلُ لَهُ صُورَةً يَتَّبِعُهَا وَكَذَلِكَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقِّيَّ وَصَوْرَةَ أَحْسَنَ صُورَةً وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَلَىٰ مَا نَحْنُ بِعَاظِمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذُوقُوا وَعَالَ أَرْسُلَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ فَيَدَّبُّهُمْ عَلَيْهِمْ فَذُوقُوا وَعَالَ أَرْسُلَهُمْ وَنَاكَرُوا كَمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفْتَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَسْبِيَ ﴿٤﴾ عَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِن كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِرَبِّي لَتُبَيِّنَنَّ لَهُمْ تَلَاتِيئَهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٥﴾ فَأَسْمُوا لِلَّهِ وَسُورَتِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنزِلْنَا وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَمْسُكُونَ كَيْبَهُمْ يَوْمَ يُجْمَعُ كُفْرَهُمْ لِيَوْمِ الْمَعْجَمِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّلَافِينِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْهَهُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿٦﴾

رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يبلك إلا أياماً فلاثل حتى اشتكى ومات، قالوا: فلما نزلت الآية وبان كذب عبدالله بن أبي قيل له: يا أبا حجاب إنه قد نزل فيك آتي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أومن فأمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي، إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا رَسُولَ اللَّهِ قُلُوا قَوْلَهُمْ﴾ الآية.

٧ ﴿يَسْخَرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَنْ شَاءَ وَاللَّهُ وَهْدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا﴾، يتفرقوا، ﴿وَاللَّهُ خَرَّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، من غزوة بني المصطلق، ﴿يُخْرِجَنَا أَعْرَضْنَا الْآذِلَّ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، فعزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة. ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ﴾

﴿أَمَاتُوا لَا تَلْمِزُوا﴾، لا تشغلكم ﴿أَمَلُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ عن ذكر الله ﷻ قال المفسرون يعني الصلوات الخمس نظيره قوله: ﴿لَا تَلْمِزِهِمْ بَعْثَ وَلَا يَبِيعُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

١١ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال، ﴿وَمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِكُمْ أَمْوَالٌ﴾، فيسأل الرجعة، ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ مِّنَ رَبِّي لَأَكْفُرَنَّ بِاللَّهِ﴾، فأتصدق وأزكي مالي، ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي من المؤمنين، نظيره، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنَ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] [غافر: ٨]، هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين. وقيل: نزلت الآية في المؤمنين. والمراد بالصلاح هنا الحج.

وروي الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت. وقرأ هذه الآية. وقال: ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قرأ أبو عمرو «أكون» بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فأصدق، وقال: إنما حذف الواو من المصحف اختصاراً، وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفاً على قوله فأصدق لو لم يكن فيه الغاء لأنه لو لم يكن فيه

اليهود وكهناً للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة، قال زيد بن أرقم: جلست في البيت لما بي من الهم والحياء، فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبدالله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: «يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنتك» وكان عبدالله بن أبي أتى بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدالله بن عبدالله حتى أتاه [راحلته] على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبدالله بن أبي قال: [ما] وراءك، قال: مالك وبيك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل، فشكا عبدالله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر

تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.

﴿عَلَّمَ سَمَوَاتٍ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَنصَحَ مُوسَىٰ وَلِأَيُّهَا الْوَيْسُ يَتْلُمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿وَيَتْلُمَ مَا تَشِيرُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ وَاللَّهُ عِلْمٌ بِمَا تَكْتُمُونَ﴾ الأثر الخالية، يخاطب كفار مكة، ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾، يعني الخالية، ﴿فَذَاهِبُوا وَكَلِّمُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

﴿٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، العذاب، ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ تِلْكَ آيَاتِهِمْ لِيَهْدِيَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾، ولم يقل يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحد فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحد إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، ﴿فَكْفُرُوا وَقَوْلُوا وَآسَفَقْنَا بِاللَّهِ عَنَ إِيمَانِهِمْ﴾، عن خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ﴾: ﴿عَلَّمَ سَمَوَاتٍ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، يا محمد، ﴿لَقَدْ وَدَّعْتَنِي ثُمَّ لَنَبَّيْتَنِي بِمَا عَزَّمْتَنِي وَإِنَّكَ عَلَيَّ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿قَائِلِينَ يَا إِلَهُ رَبِّنَا وَإِلَهُ رَبِّكَ﴾ وهو القرآن، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿٦﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ الْيَوْمَ لِلْحُجَّةِ﴾، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهو تفاعل من الغين وهو فوت الحظ، والمراد بالمغيبون من

حرب، ثنا حماد، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أزداد الله أن يقضي خلقها قال: يا رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب ذلك في بطن أمه».

وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال ﴿فَنَسَخْنَا كَمَا نَنْسَخُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنٍ﴾ [النور: ٤٥] فالله خلقهم والمشى فعلهم ثم اختلفوا في تأويلها.

فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «فمنكم كافر» في حياته «مؤمن» في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة. وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب. وقيل: فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه، وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه. وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيته. فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان، لأن الله تعالى أراد ذلك منه، وقدره عليه وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر، لأن الله

الفاء لكان جزماً يعني إن أخرتني أصدق وأكن ولأنه مكتوب في المصحف. يحذف الواو.

﴿٧﴾ ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالياء.

[والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه]،

سورة التغابن

قال عطاء هي مكية إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ إلى آخرهن، وهي ثماني عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَئِنَّمَكُم مِّنَ الْأَعْدَادِ لَشِدْدَةُ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَمَا يَخْلُقُ رَبُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً.

وروي عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً».

وقال جلَّ ذكره ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سليمان بن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
 الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
 وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ حُدُودٍ مُبِينَةٍ وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ فَأُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
 اللَّهُ وَمَنْ يَعِدْ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَتَذَكَّرُ لِمَلَّ
 اللَّهُ بِهِ حُدُودَهُ أَجْرًا ۗ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ مِنَ الْمُطَافِقِينَ مَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ
 وَلَا يَمُرُّونَ عَلَيْكُمْ بِأَعْيُنِكُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ
 وَلَا يَكُونُوا فِيكُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ يَتَذَكَّرُونَ لِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
 لَكُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا يُجْرِمُكُمْ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ أَنْ
 تَكُونُوا فِي بَيْتِكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَلِيَتَذَكَّرُوا
 وَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ وَالَّذِينَ طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَطَلَقُوا بَعْضَ مَا كَسَبُوا مِنْ قَبْلِ طُلُقِهَا
 فَأُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَالَّذِينَ طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَطَلَقُوا بَعْضَ مَا كَسَبُوا مِنْ قَبْلِ طُلُقِهَا
 فَأُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَالَّذِينَ طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَطَلَقُوا بَعْضَ مَا كَسَبُوا مِنْ قَبْلِ طُلُقِهَا
 فَأُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَالَّذِينَ طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَطَلَقُوا بَعْضَ مَا كَسَبُوا مِنْ قَبْلِ طُلُقِهَا
 فَأُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

هذه الآية في عبدالله بن عمرو كان قد طلق امرأته في حال الحيض - أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد الفقيه، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء. - ورواه سالم عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر بن الخطاب للنبي ﷺ قال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً». - ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر: ولم يقولا: (ثم تحيض ثم تطهر). - أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل

فوضعها بين يديه ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِئْتَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان وبعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما». ﴿١٦﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَلَمْتُمْ﴾، أي أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿وَأَسْمُوا وَأَطِيعُوا﴾، الله ورسوله، ﴿وَأَنِفُوا خَيْرًا لَأَقْبِلَكُمُ﴾، أي أنفقوا من أموالكم خيراً لأنفسكم. ﴿وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿إِنْ قَرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَبْزُوقَهُ لَكُمْ وَيَقْبِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ الْمَرْزُوقَةُ لِلرَّبِّكَ﴾.

سورة الطلاق

مدنية [وهي اثنا عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، نادى النبي ﷺ، ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم، فخاطب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهن، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] أي إذا أردت السقراءة. ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، أي لظهرهن الذي يحصيته من عدتهن، وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن (فطلقوهن في قبْلِ عدتهن)، نزلت

عبدالله بن عمر وأبو الزبير يسمع فقال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال ابن عمر: طلق عبدالله بن عمر امرأته حائضاً؟ فقال النبي ﷺ: «مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك»، قال ابن عمر: وقال الله عز وجل: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن أو لقبيل عدتهن» الشافعي يشك.

ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج، وقال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن». اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة، وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه. لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلق قبل أن يمس». والطلاق السنني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، وهذا في حق

مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء. - ورواه سالم عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر بن الخطاب للنبي ﷺ قال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً». - ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر: ولم يقولا: (ثم تحيض ثم تطهر). - أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز [بن] أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل

امرأة تلزمها العدة بالأقراء، فأما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض، أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط، أو الأيسة بعدما جامعها، أو طلق الحامل بعد ما جامعها، أو في حال رؤية الدم، لا يكون بدعياً، ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء، لأن النبي ﷺ قال: «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعياً لأن النبي ﷺ أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها، ولولا جوازه في جميع الأحوال لأشبه أن يتعرف الحال، ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً يعصي الله تعالى.

ولكن يقع الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس.

كما رواه يونس بن جبير، وأنس بن سيرين، عن ابن عمر، وما رواه نافع عن ابن عمر: «ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» فاستحباب، استحباب تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته إياها للطلاق، كما يكره النكاح للطلاق، ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث، عند بعض أهل العلم، حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعياً، وهو قول الشافعي وأحمد، وذهب بعضهم إلى أنه بدعة، وهو

قول مالك وأصحاب الرأي.

قوله عز وجل: ﴿وَأَحْضُوا أَلَيْدَهُ﴾، أي عدد أقرانها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض عدتها، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أتمت، فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو غرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهائياً ولا يجوز ليلاً.

فإن رجلاً استشهدوا بأحد فقالت نسأؤهم: نستوحش في بيوتنا، فأذن لهن النبي ﷺ أن يتحدثن عند إحداهن، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها.

وأذن النبي ﷺ لخالة جابر حين طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها.

وإذا لزمته العدة في السفر تعدت في أهلها ذاهبة وجائية، والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة، لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَرْحَةٍ مُبِينَةٍ﴾، قال ابن عباس: الفاحشة المبينة أن تبدو على أهل زوجها

فيحل إخراجها، وقال جماعة: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها، فلها أن تتحول من بيت زوجها. والفاحشة: النشوز. وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْرِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمَّرًا﴾، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنه المراجعة.

﴿إِذَا بَلَغَ الْبُهْلَانَ﴾، أي قرين من انقضاء عدتهن، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، أي راجعوهن، ﴿يَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم، ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾، أيها الشهود ﴿اللَّهُ﴾، ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة.

وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابناً له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر

العدو ابني وشكا إليه أيضاً الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتق الله واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلاً وجاء بها إلى أبيه.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾** فسي ابنه.

❶ **﴿وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾**، ما ساق من الغنم.

وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: نعم، فأنزل الله هذه الآية.

قال ابن مسعود: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾** هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه. وقال الربيع بن خيثم: **﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾** من كل شيء ضاق على الناس. وقال أبو العالية: **﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾** من كل شدة. وقال الحسن: **﴿مخرجاً﴾** عما نهاه الله عنه.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، يتق الله فيما نابه كناه ما أمه.

وروي أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾، قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم **﴿بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾** بالإضافة، وقرأ الآخرون **﴿بالغ﴾** بالتثنية **﴿أمره﴾** نصب، أي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه. **﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾**، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه. قال مسروق: في هذه الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾**، توكل عليه أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

❶ قوله عز وجل: **﴿وَالَّذِي يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾**، فلا يرجون أن يحضن، **﴿إِنْ أَرَادْتُمْ﴾**، أي شككتهم فلم تدرؤا ما عدتهن، **﴿فَوَيْدْتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾**، قال مقاتل: لما نزلت: **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾** [البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري: يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى؟ فأنزل الله: **﴿وَالَّذِي يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾** يعني القواعد اللاتي قعدن عن الحيض **﴿إِنْ أَرَادْتُمْ﴾** شككتهم في حكمهن **﴿فَوَيْدْتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾**. **﴿وَالَّذِي لَرَّ يَحْضُنُّ﴾**، يعني الصغائر اللاتي لم يحضن فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر،

وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي، وحكي عن عمر: أنها تربيص تسعة أشهر فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك. وقال الحسن: تربيص سنة فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر. وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى: **﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾**.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع، أنا الشافعي، أنا سفيان، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها أبو السنابل بن بعك فقال: قد تصنعت للأزواج إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنابل - أو: ليس كما قال أبو السنابل - قد حللت فتزوجي».

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

❷ **﴿ذَلِكَ﴾**، يعني ما ذكر من الأحكام، **﴿أَمْرُ اللَّهِ أَرْزَأَهُ الْيَسْرُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُظْمِمْ لَهُ أُجْرًا﴾**.

فقال لها: «ليس لك عليه نفقة» وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فاذنيني» قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد» قالت فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة بن زيد» فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به.

واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عمرو ابن أم مكتوم ولا حجة فيه.

لما روي عن عائشة أنها قالت: كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها.

وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحماتها وكان للسانها ذرابة، أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً، والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملاً كانت أو حائلاً عند أكثر أهل العلم.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أن لها النفقة، إن كانت حاملاً، من التركة حتى تضع، وهو قول شريح، والشعبي، والنخعي، والثوري، واختلفوا في سكنائها، وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان

تسكنها، فأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى، حاملاً كانت أو حائلاً، عند أكثر أهل العلم. يروي ذلك عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلا أن تكون حاملاً وهو قول الحسن وعطاء والشعبي.

واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً يروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبي، وبه قال

الشافعي وأحمد، ومنهم من أوجبها بكل حال يروي ذلك عن ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلا أن تكون حاملاً لأن الله تعالى قال: «وإن كن أولت حملًا فَأَتِفِقُوا عَلَيْهِنَّ» والدليل عليه من جهة السنة ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا مصعب عن مالك عن عبدالله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقالت: والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له،

سورة الطلاق
سورة الطلاق
أَسْكُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْهِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُصَيِّبُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَيْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُوهُنَّ مِنْ أُجُورِهِنَّ وَأَتَمَّ وَرَائِكُمْ مَعْرُوفٌ وَإِنْ نَمَسْتُمْ فَسَرِّحْهُنَّ لِهُنَّ آخَرَى ﴿٦﴾ لِيُتَّفِقُوا ذُو سَعْتَيْنِ سَعِيَّةٍ وَمَنْ قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ تَعْسًا إِلَّا مَاتَ أَوْ مَاتَ سَجَعًا لِلَّهِ بَعْدَ عَشْرَةِ أَشْهُارٍ ﴿٧﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَجُلٍ وَأَوْسَلِيهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّتْهَا عَذَابًا ذَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِيبَ أَمْرِهَا سُورًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ سُوْرًا يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيتَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحْمِلُوا الصَّلَاةَ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى التَّوْبِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِرَبِّرِّهِنَّ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سِتْرَ سَوْدٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْأَمْزِجَاتِ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿أَسْكُونَهُنَّ﴾، يعني مطلقات نسائكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، «من» صلة أي أسكنوهن حيث سكنتم، ﴿مِنْ وَجْهِكُمْ﴾، سعتكم وطاقتم يعني إن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ﴾، لا تؤذوهن، ﴿لِيُصَيِّبُوا عَلَيْهِنَّ﴾، مساكنهن فيخرجن، ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَيْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، فيخرجن من عدتهن.

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة وتعني بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت جارية ورجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً

أحدهما لا سكنى لها بل تعدت حيث تشاء، وهو قول علي وابن عباس وعائشة، وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، والثاني: لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وبه قال مالك، وسفيان الثوري، وأحمد، وإسحاق، واحتج من أوجب لها السكنى بما.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبده له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة، فقالت: قال رسول الله ﷺ: نعم، فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله ﷺ فدعيت له، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت: فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

فمن قال بهذا القول قال: إذنه

لفريعة أولاً بالرجوع إلى أهلها صار منسوخاً بقوله آخراً: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» ومن لم يوجب السكنى قال: أمرها بالمكث في بيتها آخراً استحباباً لا وجوباً.

قوله عز وجل: ﴿إِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أي أرضعن أولادكم، ﴿فَأَنزَلْنَ عَلَيْكُم﴾، على إرضاعهن، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُم بِرُضُوعِكُمْ﴾، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والمخاطب للزوجين جميعاً، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرار، ﴿وَأَن تَمَاسِكْتُمْ﴾، في الرضاع والأجرة، فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبى مرضعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿فَسَتَرْضِعْ لَكُمُ الْأُمَّةَ﴾.

﴿يُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِكُمْ﴾، على قدر غناه، ﴿وَمَن قَدِرْ عَلَيْكَ مِن مَّقْدَرٍ فَؤُودٍ﴾، لا يكفل الله قسماً، في النفقة، ﴿إِلَّا مِمَّا آتَيْنَاهَا﴾، أعطاهما من المال، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، بعد ضيق ومشدة غنى وسعة.

قوله عز وجل: ﴿وَكَيْفَ يَن قَرِيبَةً مِّنكَ﴾، عصت وطغت، ﴿عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهَا﴾، أي وأمر رسله، ﴿فَمَا سَبِّحَتْهَا جَسَابًا سَوِيًّا﴾، بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها يعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب،

وهو قوله ﴿وَلَطَمَهَا غَدَاً لَّكْرًا﴾، فنكراً فظعياً وهو عذاب النار لفظهما ماض ومعناها الاستنبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، جسزاه أمرها، وقيل: نقل عاقبة كفرها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾، خسراناً في الدنيا والآخرة.

﴿أَمَدَ اللَّهُ لِمَن عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

﴿رَسُولًا﴾، بدلاً من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولاً وقيل مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول. وقيل: ذكراً أي شرفاً. ثم بين ما هو فقال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمُ آيَاتِ اللَّهِ وَمُحْكَمَاتٍ تَمَيِّزُ الْبَيْنَ أَمْثَلًا وَبَيِّنَاتٍ لِّمَن لَّا يَتْلُوا وَرِجَالًا مُّؤْتَمِنِينَ مِمَّنْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَاللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ سِتَّةَ مَنَاطِقَ﴾، في العدد ﴿يُنزِّلُ الْأَمْثَلُ بَيِّنَاتٍ﴾، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدير فيهن من عجب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها وينقلها من حال إلى حال. وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه خلق من



الحلواء والعسل، وكان إذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول: لا فقولي له: ما

وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحسن بن محمد [بن] الصَّبَّاح، ثنا الحجاج عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً فتواصيت، أنا وحفصة أن يتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا بأس شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَاتَ أَرْوَاكٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ ذَرِيمٌ ۚ قَدْ فُضِّلَ لَكَ حَاكِمَةُ آيَاتِنَا وَاللَّهُ مَوْلَاكُمُوهُو الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ وَإِذَا أَسْرَأْتِنِي إِلَى بَعْضِ أَرْوَابِي سَدَيْتَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ يَدِي وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ عَرَفْتُ بَعْضَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَا هَادِيَةً قَالَتْ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ إِنْ نَوَيْتَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمُ وَجَمِيلٌ وَصَلِحٌ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۚ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَيِّدَهُ أَوْ يُؤْخَذَ عَمَّا إِنَّكَ تُسَلِّمِينَ مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ بَيْنَكَ عِيْدَاتٍ سَجَّحَتْ نَيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۚ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْأَنْفُسُ كُورًا وَأَقْبَابًا نَارًا وَأَوْقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۚ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جِزْيُونُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ﴾

هذه الريح، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرت نحل العرْفُط، سأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة قالت سودة: والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أباديه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أكلت مغافير، قال: «لا» قالت: فما بال هذه الريح قال: «سقتني حفصة شربة عسل» قالت: جرت نحل العرْفُط، فلما دخل عليّ قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: «لا حاجة لي به» قالت تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها اسكتي.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، أنا إبراهيم بن موسى، أنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء بإسناده وقال: قال: «لا ولكن كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت فلا تخبري بهذا أحداً» يعني بذلك مرضاة أزواجه.

وقال المفسرون: وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جارته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع

خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضاياه. ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ فَيَدْرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فلا يخفى عليه شيء.



سورة التحريم

مدنية وهي اثنتا عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَاتَ أَرْوَاكٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ ذَرِيمٌ ۚ قَدْ فُضِّلَ لَكَ حَاكِمَةُ آيَاتِنَا وَاللَّهُ مَوْلَاكُمُوهُو الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ وَإِذَا أَسْرَأْتِنِي إِلَى بَعْضِ أَرْوَابِي سَدَيْتَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ يَدِي وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ عَرَفْتُ بَعْضَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَا هَادِيَةً قَالَتْ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ إِنْ نَوَيْتَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمُ وَجَمِيلٌ وَصَلِحٌ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۚ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَيِّدَهُ أَوْ يُؤْخَذَ عَمَّا إِنَّكَ تُسَلِّمِينَ مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ بَيْنَكَ عِيْدَاتٍ سَجَّحَتْ نَيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا ۚ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْأَنْفُسُ كُورًا وَأَقْبَابًا نَارًا وَأَوْقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۚ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جِزْيُونُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ﴾

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب

عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: «إنما أذنت لي من أجل هنا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً، ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال رسول الله ﷺ: «أليست هي جاريتي أجلبها الله لي؟ اسكتي فهي حرام عليّ ألتمس بذلك رضاك، فلا تخبري بذلك امرأة منهن» فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية، وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تنزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فانزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني العسل ومارية ﴿تَبَيَّنَ مَرَاتُكَ أَزْوَاجُكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ وأمره أن يكفر يمينه ويراجع أمته، فقال:

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ لِحْمَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة [٨٩] ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْكَلِيمُ﴾.

واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين، فإن قال لزوجته: أنت علي حرام، أو حرمتك، فإن نوى به

طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظهاراً فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريتها فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين، فإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جاريتها فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرم طعاماً فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا معاذ بن فضالة، ثنا هشام بن يحيى، عن ابن حكيم، وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام: يُكْفَرُ، وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حِينَ﴾، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبري بذلك أحداً» وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أسر أمر الخلافة بعده فحدث به حفصة. قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من

بعدي. وقاله ميمون بن مهران: أسر إليهد أن أبا بكر خليفتي من بعدي. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾، أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وَأَلْهَمَهُ اللَّهُ عَيْنَهُ﴾، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبات به، ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾، قرأ [البسوا] عبد الرحمن السلمي والكسائي ﴿عرف﴾ بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازنك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها.

فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخير.

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فاتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من جملة نساءك في الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الآخرون ﴿عرف﴾ بالتشديد، أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ﴾، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به. قال الحسن: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ﴾.

وذلك أن النبي ﷺ لما رأى

الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما، فأخبرت به حفصة عائشة وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض، يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿فَلَمَّا تَبَايَهَا بِهِ﴾، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿فَأَنَّتْ﴾، حفصة، ﴿مَنْ أَبَاكَ هَذَا﴾، أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿فَقَالَ تَبَايَ الْأَلِيمُ الْخَيْرُ﴾.

① ﴿إِنْ نُوِيَ إِلَى اللَّهِ﴾، أي مسن التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء، يخاطب عائشة وحفصة، ﴿فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب [عن] الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبدالله بن أبي ثور، عن عبدالله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما: ﴿إِنْ نُوِيَ إِلَى اللَّهِ فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ﴾، حتى حج فحججت معه وعدل وعدلت معه بإداوة، فبرز ثم

جاء، فسكيت على يديه من الإداوة، فتوضأ فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما: ﴿إِنْ نُوِيَ إِلَى اللَّهِ فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ﴾؟ فقال: واعجباً لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت، أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئت بما حدث من خير، ذلك اليوم من الأمر أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطلق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعتني فقلت خابت من فعلت منهن ذلك، ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة، فقالت: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خبت وخسرت، أفأتمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي، لا تستكثري على النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجره وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة، قال عمر: وكنا تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبني

الأنصاري يوم نويته، فرجع إلينا عشاء فحضر بابي ضرباً شديداً وقال: أنتم هو، ففزعت فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم؟ فقلت: ما هو أجه غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك أولم أكن حذرتك؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري ها هو ذا [معتزل] في المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت للغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلم النبي ﷺ ثم رجع إلي فقال: قد كلمت النبي ﷺ فذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال: قد ذكرت لك له فصمت، فراجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال: قد ذكرت لك له فصمت، فراجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فاستأذن ثم رجع إلي فقال: قد ذكرت لك له فصمت، وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه

متكئاً على وسادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني، وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني، ودخلت على حفصة فقلت لها لا يفرتك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلي رسول الله ﷺ يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأته يتبسم فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أمة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله تعالى فليوسع علي أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله تعالى، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: «أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ، وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسع وعشرين ليلة، وكان يقول: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى، فلما مضت تسعاً وعشرون ليلة، دخل علي عائشة رضي الله عنها فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً فإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة

أعدهما عدداً؟ فقال: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نساءه، فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: «إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بالجواب حتى تستأمرني أبيوك» وقد علم أن أبيي لم يكونا يأمراني بفرقه، قالت: ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ» [الأحزاب: ٢٨ و ٥٩] إلى تمام الآيتين، فقلت: أو في هذا أستأمر أبيي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، ثنا عمر بن يونس الحنفي، ثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن زميل حدثنا عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه وذكر الحديث. وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك

وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا أبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت وأحمد الله تعالى بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولني الذي أقول، ونزلت هذه الآية: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْلُغَهُ أَرْذَلًا بُخْرًا يَنْكُرُ» [التحريم: ٥].

﴿إِنْ طَلَّقَهَا عَلَيْهَا أَنْ يَبْلُغَهُ أَرْذَلًا بُخْرًا يَنْكُرُ﴾
﴿وَجِبْرِيلُ وَمَصْلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. قوله: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا عَلَيْهَا﴾، أي تتظاهرا أو تتعاونتا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَهُ﴾، أي وليه وتناضره قوله: ﴿وَجِبْرِيلُ وَمَصْلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين. قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، قال مقاتل: بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، أي: أعوان النبي ﷺ، وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كقوله: ﴿وَحَسْبُ أَوْلِيَاكَ رَبِّمَا﴾ [النساء: ٦٩].

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾، أي واجب من الله إن طلقكن رسوله، ﴿أَنْ يَبْلُغَهُ أَرْذَلًا بُخْرًا يَنْكُرُ مُسَلِّتِي﴾، خاضعات لله بالطاعة، ﴿مُؤْمِنِي﴾، مصدقات بتوحيد الله، ﴿مُؤْمِنِي﴾، طائعات، وقيل: داعيات وقيل مصليات، ﴿نَكِبَتِي عِيْدَاتِي سَكِينِي﴾، صائمات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات وقيل: يسحن معه حيث ما

﴿يَقُولُونَ﴾، إذ طغى نور المنافقين، ﴿رَبَّنَا آتِنَا نَارَ نُورِنَا وَأَغْرِزْنَا لَنَا نَارَكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ﴾.

﴿١﴾ ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَأَوْرَثَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمُصِيبِينَ﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصالحين والصالحات من النساء.

﴿٢﴾ فقال جل ذكره: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾، واسمها واعلة، ﴿وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾،

واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعة والهة، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾، وهما نوح ووط

عليهما السلام، ﴿فَعَلَتَاهُمَا﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على

غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون وإذا آمن به أحد

أخبرت به الجبابة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار،

وإذا نزل بالنهار دخت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف. وقال الكلبي: أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان، ﴿فَلَمَّا بُعِثْنَا مِنْهُمَا مِنْ رَبِّهِمَا إِذْ تَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تُجْرِمُونَ﴾،

﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ﴾، قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا

تضره إذا كان مطيعاً. ﴿١١﴾ فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ وَهِيَ

آسية بنت مزاحم، قال المفسرون:

الواحد منهم بالدفعه الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لَا يَصْونُ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَتَذَكَّرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَعْرَبُونَ مَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿آمَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ قَوْلَهُ نَصْرًا﴾، قرأ الحسن وأبو بكر عن

عاصم ﴿نصوحاً﴾ بضم النون، وقرأ العامة بفتحها أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه.

واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي

أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجتماً على ألا يعود فيه. قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم

بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم، قال القرظي: يجمعها

أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الإخوان.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أي لا يعذبهم الله

بدخول النار، ﴿يَوْمَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾، على الصراط،

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا آمَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ قَوْلَهُ نَصْرًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَأَغْرِزْنَا لَنَا نَارَكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَأَوْرَثَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمُصِيبِينَ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَفَعَلَتَاهُمَا فَرَفَعْنَا فِي عُنُقَيْهِمَا سَبْعَ مِثْقَالٍ مِنْ الذُّبَابِ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَوِثْقًا مِنْ زَهْرٍ وَعِظِيمًا وَوِثْقًا مِنْ الْقَوَارِ الْفَالِغِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْمٍ بِنْتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَاهُ مِنْ رُحْمِنَا وَوَضَعَتْ بِكَ كِمْتًا رِجَالًا وَكُنُودًا وَكَانَتْ مِنَ الْقَتِيلِينَ ﴿١٢﴾

ساح ﴿ثِيَابٍ وَأُنْكَارًا﴾، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: ﴿إِن تَلَقَّوْنَهُمْ﴾ وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَتَّوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمُ﴾ [محمد: ٣٨]، وهذا إخبار عن القدرة لأن [ليس] في الوجود أمة هي خير من أمة محمد ﷺ.

﴿١﴾ قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته، ﴿وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾، يعني مروهم بالخير وانهموم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ناراً، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾، يعني خزنة النار، ﴿غِلَظًا﴾، فظاظ على أهل النار، ﴿شِدَادًا﴾، أقوياء يدفع



إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام. ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْفَتَنِ﴾، أي من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات. وقال عطاء: من القانتين أي من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

وروينا عن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت

خويلد وفاطمة بنت محمد وأسية امرأة فرعون».



سورة الملك

مكية [وهي ثلاثون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ٢ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة. وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب. وقيل: قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما،

لما غلب موسى السحرة أنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس. قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته. وفي القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد الماء. وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب. ﴿وَيَجْنِي مِن دَرَجَاتٍ وَعَمَلِهِ﴾، قتال مقاتل «وعمله» يعني الشرك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: وعمله، قال: جماعه. ﴿وَيَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

٧ ﴿وَمِمَّنْ آتَتْ عَمْرَأَتٌ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْكِنَايَةَ، ﴿مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقْتِ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، ﴿وكتبه﴾، قرأ أهل البصرة وحفص ﴿وكتبه﴾ على الجمع، وقرأ الآخرون ﴿وكتابه﴾ على التوحيد، والمراد منه الكثرة أيضاً. وأراد «بكتبه» الكتب التي أنزلت على

ثم طرأت عليها الحياة. وقال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فالقى على العجل فحيي ﴿يُبْلِغُكُمُ﴾، فيما بين الحياة إلى الموت، ﴿إِلَىٰ أَحْسَنِ عَمَلٍ﴾.

روي عن ابن عمر مرفوعاً أحسن عملاً: أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص إذا كان الله، والصواب إذا كان على السنة. وقال الحسن: أيكم أزهده في الدنيا وأترك لها. وقال



استوائها، ﴿فَاتَّجِعَ الْبَصَرُ﴾،
 كسر النظر، معناه: انظر
 ثم ارجع، ﴿هَلْ تَرَىٰ مِنْ
 فُطُورٍ﴾، شقوق وصدوع.
 ﴿ثُمَّ أَتَّجِعَ الْبَصَرَ
 كَرِيحًا﴾، قال ابن عباس
 مرة بعد مرة، ﴿يَقْلَبُ﴾،
 ينصرف ويرجع ﴿إِلَيْكَ
 الْبَصَرُ حَايِسًا﴾، صاغراً
 ذليلاً مبعداً لم ير ما
 بهوي، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾،
 كليل منقطع لم يدرك ما
 طلب. وروي عن كعب
 أنه قال: السماء الدنيا
 موج مكشوف، والثانية
 ممررة بيضاء، والثالثة

حديد، والرابعة صفراء، وقال:
 نحاس، والخامسة فضة، والسادسة
 ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، وبين
 السماء السابعة إلى الحجب السبعة
 صحارى [من] نور.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾،
 أراد الأدنى من الأرض وهي التي
 يراها الناس. وقوله ﴿بِصْبَاحٍ﴾
 الكواكب، واحداً مصباح، وهو
 السراج سمي الكوكب مصباحاً
 لإضاءته، ﴿وَجَعَلْنَاهَا دُجُومًا﴾، مرامي،
 ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾، إذا استرقوا السمع،
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابٌ
 السَّعِيرِ﴾، النار الموقدة.

﴿١٧﴾ - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُ
 عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَمَنْ الْمَصِيرُ﴾ إذا أقروا
 فيها بجهنم لما شهبها، وهو أول نهيق
 الحمار وذلك أقيح الأصوات، ﴿وَيَوْمَ
 نُفُوزٍ﴾، تغلي بهم كغلي المرجل.
 وقال مجاهد: نفور بهم كما يفور

الماء الكثير بالحب القليل.
 ﴿٨﴾ ﴿تَكَادُ كَسَمِيرٌ﴾، تنقطع، ﴿مِنْ
 الْقَيْظِ﴾، من تغيطها عليهم، قال ابن
 قتبية: تكاد تنشق غيضاً على الكفار،
 ﴿كَلَّمَآ أَلْفِيٰ فِيمَا فُوجٍ﴾، جماعة منهم،
 ﴿سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا﴾، سؤال توبخ، ﴿أَلَدَّ
 بِأَيْدِي نَذِيرٍ﴾، رسول ينذركم.
 ﴿٩﴾ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَأَنَّمَا
 وَقَلْنَا﴾، للرسول، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.
 ﴿١٠﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾، من
 الرسل ما جاؤونا به، ﴿أَوْ نَعْقُلُ﴾،
 منهم، وقال ابن عباس: لو كنا
 نسمع الهدى أو نقله ففعل به. ﴿مَا
 كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، قال الزجاج:
 لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر أو
 نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من
 أهل النار.

﴿١١﴾ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا﴾،
 بعداً، ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، قرأ أبو
 جعفر والكسائي «فسحقا» بضم
 الحاء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما
 لغتان مثل الربع والرعب والسحت
 والسحت.

﴿١٢﴾ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
 وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ
 يَذَاتُ الشُّدُورِ﴾، قال ابن عباس:
 نزلت في المشركين كانوا ينالون من
 رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه
 السلام بما قالوا، فقال بعضهم
 لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع
 إله محمد.

﴿١٣﴾ فقال الله جل ذكره: ﴿أَلَا
 يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، ألا يعلم ما في
 الصدور من خلقها، ﴿وَهُوَ الْلطِيفُ
 الْخَبِيرُ﴾، لطيف علمه في القلوب

الفراء: لم تقع البلوى على أي إلا
 وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم
 لأنظر أيكم أطوع ومثله ﴿سَأَلْتَهُمْ أَيُّهُم
 بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] أي سلهم
 وانظر أيهم، فدأى، رفع على
 الابتداء وأحسن خبره، ﴿وَهُوَ
 الْكَرِيمُ﴾، في انتقامه ممن عصاه،
 ﴿لِلْغَفُورِ﴾، لمن تاب إليه.

﴿١٤﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
 طِبَاقًا﴾، طباقاً على طبق بعضها فوق
 بعض، ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
 تَفَوتٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي من
 «تفوت» بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ
 الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها،
 وهما لغتان كالتحمل والتحامل،
 والتظهر والتظاهر، ومعناه: ما ترى
 يا ابن آدم في خلق الرحمن من
 اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي
 مستقيمة مستوية وأصله من الفوت
 وهو أن يفوت بعضها بعضاً لقلّة

الخبير بما فيها من السر والوسوسة. وقيل: «من» يرجع إلى المخلوق، أي ألا يعلم الله مخلوقه.

﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾، سهلاً لا يمتنع المشي فيها بالحزونة، «فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا»، قال ابن عباس وقتادة: في جبالها. وقال الضحاك: في آكامها. وقال مجاهد: في طرفها وفجاجها. قال الحسن: في سبلها. وقال الكلبي: في أطرافها. وقال مقاتل: في نواحيها. قال الفراء: في جوانبها. والأصل في الكلمة الجانب، ومنه منكب الرجل، الريح النكباء وتنكب فلان. ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، مما خلقه رزقاً لكم في الأرض، «وَرِأْيِهِ السُّجُودُ»، أي وإليه تبعثون من قبوركم.

﴿ثُمَّ خَوْفَ الْكُفَّارِ فَقَالَ﴾، قال ابن عباس: أي عقاب من في السماء إن عصيته، «أَنْ يَخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَوَزُّوُ»، قال الحسن: تتحرك بأهلها. وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل [والأرض] تعلقو عليهم وتمر فوقهم. يقال: مار يمر، إذا جاء وذهب.

﴿أَمْ أَيْنُمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَامِسَاتٍ﴾، ريحاً ذات حجارة كما فعل بقوم لوط. ﴿فَسَتَمَوْنَّ﴾، في الآخرة وعند الموت، «كَيْفَ تَلِيرُ»، أي إنذاري إذا عايتم العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني كفار الأمم الماضية، «فَكَيْفَ كَانَ

تَكْوِيرُ»، أي إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْفُجْأَةِ قَوْمَهُمْ مَتَكَّبِينَ﴾، تصف أجنحتها في الهواء، «وَيَقْبِضْنَ»، أجنحتها بعد البسط، «مَا يُمَيِّكُهُنَّ»، في حال القبض والبسط أن يسقطن، «إِلَّا الرِّجْمَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ».

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُدُّ لَكُمْ﴾، استفهام إنكار. قال ابن عباس: أي منعة لكم، «يَضْرِبُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ»، يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم.

﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أي في غرور من الشيطان يغرههم بأن العذاب لا ينزل بهم.

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم، «بَلْ لَحُورًا فِي عُتُورٍ»، تمادٍ في الضلال، «وَتُفُورٍ»، تباعد من الحق وقال مجاهد: كفور.

﴿ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ﴾: ﴿أَمَنْ يَتَّبِعُ مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ﴾، راكباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالاً وهو الكافر. قال قتادة: راكباً على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة، «أَهْدَى أَمَنْ يَتَّبِعُ سَوِيًّا»، معتدلاً يبصر الطريق وهو، «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، وهو المؤمن. قال قتادة: يمضي يوم القيامة سوياً.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ

سُورَةُ الْقَائِمَةِ

قُلْنَا رَأَوُوهُ وَقُلْنَا مَنَ هُوَ الَّذِي كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِمُتَدَعُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَسْمَاءُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَاسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَا ذُكِرُوا عَنْ قَوْمٍ أَنْ يُبَيِّنُوا قَوْلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْقَائِمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْقَائِمُ وَمَا يَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَتَى بِعَمَلٍ بَشَرٌ مِثْلُهَا وَلَا لَكَ لِأَعْرَابٍ مَعْتَدُونَ ﴿٣﴾ وَأَنْتَ لَعَلَّ لَاحِظٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْمَعْتَدُونَ ﴿٦﴾ إِنْ رَأَيْتُمْ أَحْطَى أَعْلَامًا مِنْ مَنَ صَلَ عَنْ سَبِيلِهِ فَمِثْلَهُ قَائِمًا ﴿٧﴾ فَتَلَطَّفِمْ بِالْمُكذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُو الْأَرْوَاحِ فَيَقْدُشُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهُمْ ﴿١٠﴾ هَذَا مَثَلٌ بِمِثْلِهِمْ ﴿١١﴾ مَتَاعٌ لِلْغَايِرِ مَعْتَدُونَ ﴿١٢﴾ أُنَبِّئُكُمْ ﴿١٣﴾ عُنُقٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ ﴿١٤﴾ أَنْ كَانُوا ذَا مَالٍ وَوَسِيلِينَ ﴿١٥﴾ إِذْ أَنْتَلَّ عَلَيْنَاهُمْ لَنُنَشِّئَهُنَّ أَكْسَفًا لِلْأُولَى ﴿١٦﴾

السَّعِ وَالْأَصْرَ وَالْآفِئَةَ - قَلِيلًا مَا تَنْتَكِرُونَ»، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هله النعم.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ، يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد:

يعني العذاب ببلو، «رَلَّةٌ»، أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنتان والجمع، «سَيِّتَتْ وَجْهُهُ الْأَبْرَارُ كَفَرُوا»، اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وسيئ يساء إذا قبح، «وقيل» لها أي قال لهم الخزنة، «هذا»، أي هذا العذاب، «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ»، تفتعلون، من

الدعاء [أي: تدعون تتمنون أن يعجل لكم]، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون.

﴿٢٨﴾ **قُلْ**، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك، **﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾**، من المؤمنين، **﴿أَوْ رَحْمَتًا﴾**، فأبقاها إلى منتهى آجالنا، **﴿فَمَنْ يُضِلُّ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾**، فإنه واقع بهم لا محالة. وقيل: معناه أرايتم إن أهلكني الله فعذبني ومن معي أو رحمتنا ففخر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

﴿٢٩﴾ **قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ**، الذي نعبد، **﴿إِنَّمَا يَدْعُو قَوْمَهُ لِيَفْعَلُوا بِاللَّيْلِ﴾**، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال [مننا] نحن أم أنتم.

﴿٣٠﴾ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾**، أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء. قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، **﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ يَمْكُومِعِينَ﴾**، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن الفارسي، ثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد، ثنا أبو يحيى البزاز، ثنا

محمد بن يحيى، ثنا أبو داود، ثنا عمران عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة [من النار] وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك].



سورة القلم

مكية [وهي اثنتان وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ **قُلْ**، اختلفوا فيه فقال ابن عباس: هو الحوت الذي على ظهره الأرض. وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: **﴿تَتَّوَلَّوْا وَنَا يُنظَرُونَ﴾**.

واختلفوا في اسمه، فقال الكلبي ومقاتل: بهموت. وقال الواقدي: ليوثا. وقال كعب: لوثيا. وعن علي: اسمه بلهوث: قالت الرواة: لما خلق الله الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع [فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق الأخرى بالمغرب باسنتين قابضتين على الأرضين السبع]، حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله عليه من الفردوس ثورا له

أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه فأخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخرها في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مذ البحر وأزبد وإذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: **﴿بَنِيَّ إِنَّمَا إِنْ تَكُ وَتَقَالَ حَجَرٌ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي أَسْمَكٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان: ١٦] فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة. يقال: فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار: كوني فكانت. [قال] كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه، فقال له: أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقىتهم عن ظهرك، فهم لويثا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه ففج الحوت إلى الله منها فأذن لها الله فخرجت. قال كعب:

فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت إلى ذلك كما كانت. وقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: [هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة. وقال عطاء: افتتاح اسمه نور وانصر. وقال محمد بن كعب:] أقسم الله بنصرته للمؤمنين. ﴿وَالْقَلَمِ﴾، هو الذي كتب الله به الذكر، وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض.

ويقال: أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق نصفين، ثم قال [له]: أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم.

﴿مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ﴾، بنبوة ﴿رَبِّكَ يَمَجِّنُونَ﴾، هذا جواب لقولهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال: ﴿مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ﴾، بنبوة ربك ﴿يَكَاهِنُونَ﴾، هذا جواب القسم أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة. وقيل: بعصمة ربك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه: ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم ويحمدك أي والحمد لك.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي مقنوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُطِي عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. قال قتادة: هو ما كان ياتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهى الله، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمي الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله: ﴿خُذِ الْقَوْلَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية.

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن سعيد أبو عبدالله، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة بن سعيد،

ثنا جعفر بن سليمان الضبيعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أب قط ما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً وما مسست خزاً قط ولا حبرياً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا [أبو] عبدالله محمد بن عبدالله الصفارة، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرني، ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عبدالله بن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «خياركم أحسانكم أخلاقاً».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن هشام بن ملاس، ثنا مروان الفزاري، ثنا حميد الطويل عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال: يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت اجلس إليك، قال: ففعلت فقعد إليها رسول الله ﷺ، حتى قضى حاجتها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن عيسى، ثنا هشيم، أنا حميد الطويل، ثنا أنس بن مالك قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتقل به حيث شاءت.

وأخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، أخبرنا عمران بن زيد التغلبي عن زيد العمي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له.

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد، أنا أبو القاسم الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، ثنا أبو عيسى، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا عبدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا إسحاق بن عبدالله حدثني مالك عن إسحاق عن

عبدالله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ [وعليه] برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبته بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعباء.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا علي المدني، ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، والله تعالى يبغض الفاحش البذيء».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم، ثنا داود بن يزيد الأودي سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفسم. أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفسم. أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن أكثر ما

يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق».

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أنا أبي وشعيب قالا، ثنا الليث عن ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبدالله عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار».

⑤ قوله عز وجل: ﴿فَسَبِّحْهُ وَيُبِشِّرْهُ﴾، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب.

⑥ ﴿بِأَيْدِيكُمْ الْمَفْتُونُ﴾، قيل معناه بأيكم المجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، كما يقال ما بفلان مجلود ومعقول، أي جلادة وعقل، وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس: وقيل: الباء بمعنى في، مجازة: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريق أو في فريقهم؟ وقيل: الباء بمعنى «مع» و«المفتون» هو الشيطان والمعنى مع أيكم الشيطان مع المؤمنين أم مع الكافرين؟ وهذا معنى قول مجاهد. وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

⑦ - ⑧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِنِينَ﴾، يعني مشركي

الخلق السبيع الخلق. قال
 الفراء: هو الشديد
 الخصومة في الباطل.
 وقال الكلبي: هو الشديد
 في كفره، وكل شديد عند
 العرب عتل، وأصله من
 العتل وهو الدفع بالعرف.
 قال عبيد بن عمير: العتل
 الأكل الشروب القوي
 الشديد في كفره لا يزن
 في الميزان شعيرة، يدفع
 الملك من أولئك سبعين
 ألفاً في الناز دفعة واحدة.
 ﴿بَدَّ ذَلِكَ﴾، أي مع ذلك
 يريد مع ما وصفناه به
 ﴿زَيْبٍ﴾، وهو الدَّعِي

مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آباه
 فنهاه أن يطيعهم.

﴿وَدُّوا لَوْ نَدُّهُمْ فَيَدْرُهُونَ﴾،
 قال الضحاك: لو تكفرو فيكفرون.
 وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون
 لك. قال الحسن: لو تصانهم في
 دينك فيصانعونك في دينهم. قال
 زيد بن أسلم: لو تنافق وتراثي
 فينافقون ويراثون. قال ابن قتيبة:
 أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة
 ويعبدون الله مدة.

﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ دَلَّانٍ﴾، كثير
 الحلف بالباطل. قال مقاتل: يعني
 الوليد بن المغيرة. وقيل:
 الأسود بن عبد يغوث: وقال عطاء:
 الأخنس بن شريق. قوله:
 ﴿مُهَيَّبٍ﴾، ضعيف حقير. قيل: هو
 فعيل من المهانة وهي قلة الرأي
 والتمييز. وقال ابن عباس: كذاب،
 وهو قريب من الأول لأن الإنسان
 إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

﴿هَازٍ﴾، مغتاب يأكل لحوم
 الناس بالطعن والغيبة. وقال الحسن
 هو الذي يغمز بأخيه في المجلس،
 كقوله ﴿همزة﴾ [الهمزة: ١] ﴿مُتَلَّمٍ
 يَتَّبِعُ﴾، قات يسعى بالنميمة بين
 الناس ليفسد بينهم.

﴿مُنْتَلِعٍ لِللَّخِيرِ﴾، بخيل بالمال
 قال ابن عباس: «منتاع للخير» أي
 للإسلام، يمنع ولده وعشيرته عن
 الإسلام، يقول: لئن دخل واحد
 منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء
 أبداً. ﴿مُتَقَدِّسٍ﴾، ظلم يتعدى الحق،
 ﴿أَتِيمٍ﴾، فاجر.

﴿مُتَلَمِّسٍ﴾، العتل: الغليظ
 الجافي. وقال الحسن: هو الفاحش

علي بن الحسن الهلالي، ثنا
 عبدالله بن الوليد العدني عن سفيان،
 حدثني معبد بن خالد القيسي، عن
 حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال
 رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل
 الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم
 على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل
 النار كل عتل جواظ متكبر».

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَوَلِيِّنَ﴾،
 قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو
 بكر ويعقوب ﴿أَنْ﴾ بالاستفهام، ثم
 حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا
 مد، ويمد الهمزة الأولى أبو جعفر
 وابن عامر ويعقوب، ويلينون الثانية،
 وقرأ الآخرون بلا استفهام على
 الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه:
 الآن كان ذا مال ووليين؟

﴿إِذَا تَنَلَّ عَيْتُو مَائِنُنَا قَالَ
 أَسْطِطِرُّ الْأَوْلِيَّةَ﴾، أي: جعل مجازاة
 النعم التي خولها من البنين والمعال

الملصق بالقوم، وليس منهم، قال
 عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا
 هو دعي في قریش وليس منهم. قال
 مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد
 ثماني عشرة سنة. وقيل: الزنيم
 الذي له زئمة كزئمة الشاة. وروى
 عكرمة عن ابن عباس أنه قال في
 هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل
 زنيم فعرف، وكانت له زئمة في عقفه
 يعرف بها. وقال سعيد بن جبیر:
 عن ابن عباس قال: [كان] يعرف
 بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها. قال
 ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف
 أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من
 عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به
 عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

أخبرنا عبدالواحد [ابن أحمد]
 المليحي، أنا أبو منصور محمد بن
 محمد بن سمعان الواقظ، حدثني
 أبو محمد بن زنجويه بن محمد، ثنا

الكفر بآياتنا. وقيل: معناه لأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبير فمعناه: لا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿إِذَا تَنَلَّ عَتِيُوْا ۖ إِنَّا نَا قَالِ اَسْطُرُّ الْاَوَّلِيْنَ﴾.

﴿١٦﴾ ثم أوعده فقال: ﴿سَنِيْمُوْا عَلِ الْخُرطُوْمِ﴾، والخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه. قال الفراء: خص الخرطوم بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله. وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه. قال القتيبي: تقول العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة! قد وسمه ميسم سوء، يريد ألصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا تنمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

﴿١٧﴾ ﴿اِنَّ الْبَلُوْنَةَ﴾، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿كَمَا بَلُوْنَا كَمَا بَلُوْنَا اَصْحَبَ الْاَلَمَةِ﴾. ابتلينا، ﴿اَصْحَبَ الْاَلَمَةِ﴾.

روى محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿اِنَّ الْبَلُوْنَةَ كَمَا بَلُوْنَا اَصْحَبَ الْاَلَمَةِ﴾، قال: كان بستان باليمن يقال له الضروان، دون صنعاء بفرسخين، يطؤه أهل الطريق، كان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورته ثلاثة

بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل [فلم يجزه] فإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضاً، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يفعل إذا كان المال كثيراً والعيال قليلاً فأما إذ قل المال وكثر العيال فإننا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوماً ليغدو غدوة قبل خروج الناس فليصر من نخلهم ولم يستنوا، يقول: يعني لم يقولوا: إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين، فأروها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها، فأصبحت كالصريم فذلك قوله عز وجل: ﴿اِذَا اَقْتَمُوْا﴾، حلفوا، ﴿بِيَمِيْنَتِيْهَا مَّصِيْرِيْنَ﴾. ليجذتها، وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَنُوْنَ﴾، لا يقولون إن شاء الله. ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ ﴿طَائِفٌ عَلَيْهَا لَمَّا ظَنُّوْا﴾، عذاب، ﴿مِنْ زَوْكٍ﴾، ليلاً ولا يكون الطائف إلا بالليل وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَقُرْءَانٍ فَاظْهَرُوْنَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿فَاَصْبَحَتْ كَالصَّرِيْمِ﴾، كالليل المظلم الأسود. وقال الحسن: أي صرم منها الخير فليس فيها شيء.

وقال الأخفش كالصبح الصريم من الليل، وأصل الصريم المصروم، مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. وقال ابن عباس: كالرماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿٢١﴾ ﴿فَتَنَادَا مُصِيْرِيْنَ﴾، نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا.

﴿٢٢﴾ ﴿اِنَّ اَقْدَاوُا عَلٰى حَرْوِكُمْ﴾، يعني الثمار والزروع والأعشاب، ﴿اِنَّ كُتْمَ صَرِيْرِيْنَ﴾، قاطعين للنخل.

﴿٢٣﴾ ﴿فَاَنْطَلَقُوْا﴾، مشوا إليها، ﴿وَقُرْءَانٍ يَنْفَخُوْنَ﴾، يتسارون يقول بعضهم لبعض سراً.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿اِنَّ لَا يَسْتَلْبِثُ اَلْيَوْمَ عَلَيْكَ يَسْكِيْنٌ﴾ ﴿وَقَدْ عَلٰى حَرْرٍ﴾، الحرذ في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو العالية: على جد وجهه. وقال القرظي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسوسه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقتيبي: غدوا ونيتهم على منع المساكين، يقال: حاردت السنة، إذا لم يكن لها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن. وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين. وعن ابن عباس: على قدرة، ﴿قَدِيْرِيْنَ﴾، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

﴿٢٦﴾ ﴿فَلَمَّا رَاَوْهَا قَالُوْا اِنَّهَا لَمَّا لَأُوْنَ﴾، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنها

لمحطون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا.

(٢٧) فقال بعضهم: ﴿لَمْ نَحْنُ عَمْرُؤُونَ﴾، حرمتنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

(٢٨) ﴿قَالَ أَرْسَلْنَاكُمْ﴾، أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم، ﴿أَلَمْ نَأْتِكُمْ لَكُمْ لَوْلَا تُشِيرُونَ﴾، هلا تستنون، أنكروا عليهم ترك الاستثناء في قولهم، «ليصرمنها مصبحين»، وسمي الاستثناء تسيباً لأنه تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته. وقال أبو صالح: كان استثناءؤهم سبحان الله، وقيل: هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم.

(٢٩) ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا﴾، نزهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين.

(٣٠) ﴿تَأْتِيكُم بِبَعْثِهِمْ عَلَيَّ بَعْضٌ يَتَّبِعُونَ﴾، يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

(٣١) ﴿قَالُوا بَرِّئْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغيانا نَعَمَ اللهُ فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

(٣٢) ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا سِيراً مِثْلَهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَبَّيْنَا﴾، قال عبدالله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منه عقوداً واحداً.

(٣٣) ﴿كَلِمَاتٍ آتَيْنَاهُمْ﴾، أي كفعلنا بهم ففعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿وَلَقَاتِبُ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٣٤) ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾، فقال المشركون: إنا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكديماً لهم.

(٣٥) - (٣٧) ﴿أَفَتَجْمَلُ الْكَافِرِينَ﴾، نزل من عند الله، ﴿يَوْمَ﴾، في هذا الكتاب، ﴿تَدْرُسُونَ﴾، تقرأون.

(٣٨) ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿لَا تَحْزَنُونَ﴾، تختارون وتشتنون.

(٣٩) ﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا﴾، عهدود ومواثيق، ﴿عَلَيْتَنَا بَلَدَةٌ﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوثقتم بها منا فلا ينقطع عهدكم، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ﴾، وذلك العهد، ﴿لَا تَحْزَنُونَ﴾، لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله، وكسر ﴿إِنَّ﴾ في الآيتين لدخول اللام في خيرهما.

(٤٠) ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿سَلِّمْهُمُ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ رَبِّهِمْ﴾، كقيل لهم أي: أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

(٤١) ﴿أَمْ لَمْ تُشْرِكُوا﴾، أي عندهم شركاء الله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونونه. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

(٤٢) ﴿يَوْمَ نَكْتَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قيل:

يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم، أي فليأتوا بها في ذلك اليوم لتفهم وتشفع لهم ﴿يَوْمَ نَكْتَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قيل: عن أمر فطيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير: يوم يكشف عن ساق: عن شدة الأمر. وقال ابن قتبية: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجهد ومقاساة الشدة، شمر عن ساقه، ويقال: إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، ثنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفیان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني سويد بن سعيد، حدثني جعفر، حدثني حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، فلا يبقى أحد إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر

وَعَبَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ فَتَدْعَى الْيَهُودَ
 فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا:
 كنا نعبد عزيز ابن الله فيقال: كذبتم
 ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد،
 فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا
 فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟
 فيحشرون إلى النار كأنها سراب
 يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في
 النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم:
 ما كنتم تعبدون، قالوا: كنا نعبد
 المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما
 اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال
 لهم؟ ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا
 يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا
 تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها
 سراب يحطم بعضها بعضاً،
 فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق
 إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر
 أتاهم رب العالمين في أدنى صورة
 من التي رأوه فيها، قال: فماذا
 تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت
 تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في
 الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم
 نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم،
 فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله
 شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم
 ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم
 وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم
 فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان
 يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله
 له بالسجود، فلا يبقى من كان يسجد
 نفاقاً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة
 واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على
 قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول
 في الصورة التي رأوه فيها أول مرة
 فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت

ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم
 وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم
 سلم سلم، قيل: يا رسول الله وما
 الجسر؟ قال: دحض مُزَلَّةٌ فيه
 خطاطيف وكلايب وحسكة يكون
 بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان،
 فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق
 والريح وكالطير وكأجاويد الخيل
 والركاب، فجاج مسلم ومخدوش
 مرسل، ومكرّس في نار جهنم.

حتى إذا خلاص المؤمنون من النار
 فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم
 بأشدّ مناشدة لله في استيفاء الحق من
المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم
 الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا
 يصومون معنا ويصلون ويحجون،
 فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم
 صورهم على النار فيخرجون خلقاً
 كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه
 وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي
 فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول:
 ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
 دينار من خير فأخرجه، فيخرجون
 خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر
 فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول:
 ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
 نصف دينار من خير فأخرجه،
 فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون:
 ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحداً،
 ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
 مثقال ذرة من خير فأخرجه،
 فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون:
 ربنا لم نذر فيها أحداً فيه خير ممن
 أمرتنا به، وكان أبو سعيد الخدري
 يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث
 فارقوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ

يُقَالُ ذَرَّةٌ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَكُفِّرُهَا
 وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:
 ٤٠]، فيقول الله: شفعت النبيون، وشفعت الملائكة،
 ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض
 قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم
 يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً
 فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال
 له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج
 الحبة في حميل السيل، ألا ترونها
 تكون إلى الحجر أو إلى [الشجر] ما
 يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر،
 وما يكون منها إلى الظل يكون
 أبيض؟ قال: فيخرجون كاللؤلؤ في
 رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة
 هؤلاء عتقاء الله من النار الذين
 أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه
 ولا خير قدموه، ثم يقول: «ادخلوا
 الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون
 ربنا: أعطيتنا ما لم تعط أحداً من
 العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل
 من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء
 أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا
 أسخط عليكم بعده أبداً».

وروى محمد بن إسماعيل هذا
 الحديث عن يحيى بن بكير عن
 الليث عن خالد بن يزيد عن
 سعيد بن أبي هلال عن زيد بن
 أسلم بهذا المعنى:

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد]
 المليحي، أنا أحمد بن عبد الله
 النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
 محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا
 الليث، عن خالد بن يزيد، عن
 سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن

أسلم، عن عطاء بن يسان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.

قوله عز وجل: ﴿وَيَتَّبِعُونَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كصيافي البقر فلا يستطيعون السجود.

﴿حَيْثُ أَصْرَمُوا﴾، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الشلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين، ﴿رَمَقَهُمْ ذُلٌّ﴾، يغشاهم ذلة الندامة والحسرة، ﴿رَوَدَّ كَأَنَّهُ يَتَرَفَّعُ إِلَى الشُّجُورِ﴾، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد بن جبيرة: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، ﴿وَمَنْ سَلِمُونَ﴾، أصحاب فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات.

﴿قَدَرُوا مَنَ وَنَ يَكُودُ يَهْدَا لَلْيَبْتِغِي﴾، أي فدعني والمكذبين بالقرآن، وخل بيني وبينهم. قال الزجاج: معناه لا تشغل قلبك بهم وكلهم إلي فإني أكفيكم، قال مثله: ﴿ذَرَفُ وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِدًا﴾ معناه في

اللغة: لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أجازيه. ومثله قول الرجل: ذرني وإياه، ليس أنه منعه منه ولكن تأويله: كله فإني أكفيك أمره ﴿مَسْتَدِينُهُمْ﴾، سناخذهم بالعذاب، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَمْلِكُونَ﴾، فعذبوا يوم بدر.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَأَمَلِ لَمَمٌ إِذْ كِيدِي مَتِينٌ﴾ أم تشاكله أمراً فهد من مقره متقلون ﴿أم عندهم التيب فهم يكدون﴾ أصبر فامر يلك ريك، أصبر على أذاهم لقضاء ريك،

﴿وَلَا تَكُنْ﴾، في الضجر والعجلة، ﴿كصاحب الموت﴾، وهو يونس بن متى، ﴿إذ نادى﴾، ربه وهو في بطن الحوت، ﴿وهو مكطوم﴾، مملوء غماً. ﴿وَلَا أَن تَذَرَكُمْ﴾، أدرسه ﴿يَمَّةٌ مِّن رَّبِي﴾، حين رحمه وتاب عليه، ﴿كئيد بالمرء﴾، لطح بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وهو مدموم﴾، يذم ويلام بالذنب.

﴿فَأَجْنِبَهُ رِيءٌ﴾، اصطفاه، ﴿فَصَلِّ مِنَ الصَّالِينَ﴾.

﴿وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفَعَنَّ بِأَصْرِهِ﴾ وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه. وقيل: كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعائنها ثم يقول: يا جارية خذي المكتل

سورة القلم
حَيْثُ أَصْرَمُوا رَمَقَهُمْ ذُلٌّ وَرَوَدَّ كَأَنَّهُ يَتَرَفَّعُ إِلَى الشُّجُورِ مَنَ وَنَ يَكُودُ يَهْدَا لَلْيَبْتِغِي
قَدَرُوا مَنَ وَنَ يَكُودُ يَهْدَا لَلْيَبْتِغِي
سورة القلم
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمَّا قَدْ أَتَى رَبِّيَ وَأَنزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيَ
لَمَّا قَدْ أَتَى رَبِّيَ وَأَنزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيَ
وَعَادَا لِقَارِعَةٍ فَآتَانَا نَمْرُودًا فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ
عَادَا فَأَمْلِكُوا أَيْ رِيحَ صَرْصَرٍ عَائِيَةٍ سَخِرُوا عَلَيْنَهُمْ
سَخِرَ لِيَالٍ وَتَكْنِيَةُ أَيَّامٍ حُسُومًا قَدَرُوا لَقَوْمٍ فِيهَا صَرَمٌ
كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ نَخْلٍ حَارِيَّةٍ قَدَرُوا لِقَوْمٍ مِّنَ الْبَاقِيَةِ
٥٦٦

والدرهم فأتينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت، فتتحرق. وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل [ولا يشرب] يومين أو ثلاثاً ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله نبيه وأنزل: ﴿وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفَعَنَّ بِأَصْرِهِ﴾، أي ويكاد، ودخلت السلام فسي ﴿ليزلقونك﴾ لمكان إن، وقرأ أهل المدينة ﴿ليزلقونك﴾ بفتح الياء، والآخرين بضمها، وهما لغتان، يقال: زلقه يزلقه زلقاً وأزلقه يزلقه إزلاقاً. قال ابن عباس: معناه

ينفذونك، يقال: زلق السهم إذا أنفذ، قال السدي: يصيبونك بعيونهم. قال النضير بن شمیل: يعينونك. وقيل: يزيلونك. وقال الكلبي: يصرعونك. وقيل: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك.

وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون ينظروهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في كلام العرب يقول القائل: نظر إلي نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿لَنَا سَمْعُ الْإِنِّ﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

﴿٥٢﴾ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَوْءُ﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَّا وَكُرَّ لِمَتَلِّينَ﴾، قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا

أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه، أنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العين حق» ونهى عن الوشم. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، ثنا محمود بن آدم المروزي، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة الزرقني أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن ابني جعفر تصيبهم العين فأستترقي لهم؟ قال: «نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين».

سورة الحاقة

مكية [وهي اثنتان وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿لَمَّا أَتَتْهُ﴾، يعني القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَيْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] قال الكسائي: الحاقة يوم الحق.

﴿١﴾ ﴿مَا لَمَّا أَتَتْهُ﴾ هذا استفهام معناه التفضيم لشأنها، كما يقال: زيد ما زيد، على التعظيم لشأنه.

﴿٢﴾ ﴿وَمَا أَتَتْكَ مَا لَمَّا أَتَتْهُ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعانينها ولم تر ما فيها من الأهوال.

﴿٣﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهُ﴾ قال ابن عباس وقناة: بالقيامة سميت قارعة لأنها تفرق قلوب العباد بالمخافة. وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل فقرع قلوبهم.

﴿٤﴾ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ كَيْفَ هُمْ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد: كما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ﴾ [الشمس: ١١] وقال قناة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصباح فأهلكتهم. وقيل: طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح.

﴿٥﴾ ﴿وَلَمَّا عَادَ أَقْمَلِكُوا بِرِجِّئِهِمْ﴾، عتت على خزائنهم فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

﴿٦﴾ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَلْطَنًا عَلِيًّا﴾، وقال مقاتل: سلطها عليهم. ﴿سَبَّحَ بُرُوقُهَا وَتَمَنَّى آتَاهَا﴾، وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت عجوزاً لأنها في عجز

الشتاء. وقيل: سميت بذلك لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرياً فتبعها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب: ﴿حُسُومًا﴾، قال مجاهد وقشادة: متتابعة ليس فيها فترة، فعلى هذا هو حسم الكي، وهو أن يتابع على موضع الداء بالكموة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسوماً دائمة. وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء. قال الزجاج: أي تحسمهم حسوماً تفنيهم وتذهبهم. وقال عطية [حسوماً] شوماً كأنها حسمت الخير عن أهلها. ﴿قَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾، أي في تلك الليالي والأيام ﴿مَرَجَى﴾، هلكى جمع صريع، ﴿كَأَنَّهُمْ أَجْزَارٌ يَخْتَلَى غَاوِيَةٌ﴾، ساقطة، وقيل: خالية الأجواف.

﴿هَلْ رَزَقَ لَكُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد.

﴿يَوْمَ رُوعُونَ وَمَنْ قَبَّلَهُ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف، وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء، أي ومن قبله من الأمم الكافرة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات. وقيل: يريد الأمم الذين اتفكوا بخطيئتهم، أي أهلكوا بذنوبهم ﴿وَالْمُطَلِّئَةَ﴾، أي بالخطيئة

والمعصية وهي الشرك.

﴿نَعَصُوا رُسُلَهُمْ﴾، يعني لوطاً وموسى، ﴿فَأَخَذَهُمْ لُذَّةٌ رَأِيَةً﴾، نامية، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا لَمَمًا﴾، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام. ﴿مَمْلُوكًا﴾، أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، ﴿هِيَ لِلثَّارِيَةِ﴾، في السفينة التي تجري في الماء.

﴿لِنَجْلَمَهَا﴾، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا، من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿كُلُّ نَذْرَةٍ﴾، عبرة وعظة ﴿وَوَيْبًا﴾، قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة، باختلاس العين، وقرأ الآخرون بكسرهما أي تحفظها ﴿أُذُنٌ رَجِيَّةٌ﴾، أي: حافظة لما جاء من عند الله. قال قتادة: أذن سمعت وعقلت ما سمعت. قال الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد.

﴿وَلَا تَفِيحُ فِي الشَّرِّ قَمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾، وهي النفخة الأولى.

﴿وَجِلَّت الْأَرْضُ وَاللَّيَالِ﴾، رفعت [من] أماكنها، ﴿نَدَكًا﴾، كسرتا، ﴿ذِكَّةٌ﴾ كسرة، ﴿وَجِدَّةٌ﴾، فصارتا هباءً منبثاً.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، قامت القيامة.

﴿يَوْمَ رُوعُونَ وَمَنْ قَبَّلَهُ وَالْمُطَلِّئَةَ﴾ ﴿نَعَصُوا رُسُلَهُمْ﴾ ﴿فَأَخَذَهُمْ لُذَّةٌ رَأِيَةً﴾ ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا لَمَمًا سَلَمًا فِي الْبَارِيَةِ﴾ ﴿لِنَجْلَمَهَا كُذْرًا نَذْرَةً وَقَيْبًا أُذُنٌ رَجِيَّةٌ﴾ ﴿وَلَا تَفِيحُ فِي الشَّرِّ قَمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾ ﴿وَجِلَّت الْأَرْضُ وَاللَّيَالِ فَذُكَاذَكَةٌ وَجِدَّةٌ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْبَابِهِمْ وَجِلَّاتٌ وَمُجَلَّاتٌ﴾ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُرْمَى الَّذِينَ هُمْ يَرْتَابُونَ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَن يَكْتُمِبَ﴾ ﴿فَيَسْتَكْبِرُ بِقَوْلِهِ هَؤُلَاءِ أَقْوَمُ وَرَآكُنِيَّةً﴾ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسِيْبٌ﴾ ﴿فَهَوِّنْ عَيْشَكَ رَأِيَةً﴾ ﴿فِي حَسْبِكَ عَلَايَةُ﴾ ﴿فَطُورُهُمْ دَابِئَةٌ﴾ ﴿كُلًّا وَأَثَرُهَا هَيْبَاتٌ مَا أَشْفَقْتُ فِي الْأَيَّامِ لِلثَّارِيَةِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَن يَكْتُمِبَ﴾ ﴿فَيَسْتَكْبِرُ بِقَوْلِهِ لَيَسِّرَنَّ لِي يَوْمَئِذٍ كِتَابِيَّةً﴾ ﴿وَأَرَادَ أَن يَكْتُمِبَ﴾ ﴿بَلْبَتًا كَانَتْ الْقَارِيَةَ﴾ ﴿مَا أَفْقَى عَنِّي مَالِي﴾ ﴿هَآكِنًا عَنِّي سُلَيْبِي﴾ ﴿شَدِيدُ فَلَاوِيٍّ﴾ ﴿تُرَابٌ لَجِيمٌ صَدْرُهُ﴾ ﴿نُزِّي فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ ﴿وَلَا يَخْشَى عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾

﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، ضعيفة، قال الفراء: وهيما تشققها.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، يعني الملائكة، ﴿عَلَى أَرْبَابِهِمْ﴾، نواحيها وأقطارها ما لم ينشق منها، واحدها رجا [مقصوراً] وتشنيته رجوان. قال الضحاك: تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُرْمَى الَّذِينَ هُمْ يَرْتَابُونَ﴾، أي فسوق رؤوسهم يعني الحملة، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿ثَمَانِيَةً﴾، أي ثمانية أملاك.

جاء في الحديث: [إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أبدىهم الله بأربعة أخرى، فيكونوا ثمانية، على صورة الأوعال، ما بين أظلافهم إلى ربكهم كما بين سماء إلى سماء]. وجاء في الحديث: [الكل ملك

منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه نور ووجه نسر.

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي، أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي، أنا محمد بن يحيى الخالدي، أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا عبد الرزاق، ثنا يحيى بن العلاء النجلي عن عمه شعيب بن خالد، ثنا سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن العباس بن عبد المطلب قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» قلنا: السحاب، قال: و«المزن»، قلنا: والمزن، قال: و«العنان»، فقلنا: والعنان، فسكتنا فقال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله ما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء».

ويروى هذا عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس. وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَقَوْمٌ يُوعَىٰ بُؤْسُهُمْ﴾ أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله.

﴿يَوْمَهُمْ قَرُصُونَ﴾، على الله، ﴿لَا تَحْزَنَ﴾، قرأ [حمزة والكسائي لا يخفى] بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿وَسَكَّرَ حَائِلَهُ﴾، أي فعلة خافية. قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فأخذ بيمينه وأخذ بشماله.

﴿وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْتِبُهُ يُسَبِّحُ يَقُولُ هَذَا مَا آَرَوْهُ﴾﴾، الهاء في «كتابه» هاء الوقف.

﴿إِنِّي عَلَّمْتُهُ﴾ علمت وأيقنت، ﴿أَنِّي مَلَكٌ جَسَائِدٌ﴾، أي أني أحاسب في الآخرة.

﴿فَهُوَ فِي سِتْرٍ﴾، يعني حالة من العيش، ﴿رَأَيْتَهُ﴾، مرضية كقوله: ﴿مَلَأُوهُ دَرَجَاتٍ﴾ يريد برضاها بأن لقي الثواب وأمن العقاب.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، رقيقة. ﴿فَطُورُهَا ذَاتِيَّةٌ﴾، ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائماً وقاعداً ومضطجعاً يقطعون كيف شاؤوا.

﴿وَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ مَا أَسَلْتُمُوهُ﴾﴾، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة، ﴿فِي الْأَيَّامِ لَقَائِهِ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْتِبُهُ يُشَاكِرُ﴾، قال ابن السائب ثلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. ﴿يَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَرَأَيْتُ كَيْتِبِي﴾، يتمنى أنه لم يؤت كتابه

لما يرى فيه من قبائح أعماله.

﴿وَلَرَأَىٰ مَا جَسَائِدُهُ﴾ - ﴿يَلَيِّنُنَا كَأَنَّا الْقَاضِيَةُ﴾، يقول يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية [الفاغرة] من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحي بعدها. والقاضية موت لا حياة بعده، يتمنى أنه لم يبعث للحساب. قال قتادة: يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

﴿مَا أَفْوَىٰ عَنِّي مَا لِي﴾، لسم يدفع عني من عذاب الله شيئاً.

﴿فَلَكَّ عَنِّي سُلَيْمِيَّةٌ﴾، ضلت عني حجتني، عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي. قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك يقول الله لخزنة جهنم:

﴿خَذُوهُ فَتَأْتِيهِمْ﴾، اجتمعوا يده إلى عنقه.

﴿ثُمَّ لَئِيمٌ كَلِمَةٌ﴾، أي أدخلوه الجحيم.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، فأدخلوه فيها. قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك، فتدخل في دبره تخرج من منخره. وقيل: تدخل في فيه وتخرج من دبره. وقال نوف البكالي: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً، كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو

الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبدالله بن عمرو بن الحاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن روضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة التي ذكرها الله في القرآن لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار. قبل أن تبلغ أصلها» أو قرها.

وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

(٣٣) - (٣٤) ﴿إِنَّهَا كَأَن لَّا بُؤْسٌ يَأْكُلُ النَّطِيرُ﴾ وَلَا يَشُوعُ عَلَى طَعْمِ السَّكِينِ، لَا يَطْعَمُ الْمَسْكِينِ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِذَلِكَ.

(٣٥) ﴿فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ مَهَنًا حَمِيمٌ﴾، قَرِيبٌ يَضَعُهُ وَيَشْفَعُ لَهُ.

(٣٦) ﴿وَلَا طَعْمٌ إِلَّا بَيْنَ غِيظَيْنِ﴾، وَهُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْغَسَلِ، كَأَنَّهُ غَسَالَةٌ جَرَوْحِهِمْ وَقَرَوْحِهِمْ. قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ: هُوَ شَجَرٌ يَأْكُلُهُ أَهْلُ النَّارِ.

(٣٧) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفَاطُونَ﴾، أَيِ الْكَافِرُونَ.

(٣٨) - (٣٩) ﴿فَلَا أَقِيمُ﴾، وَلَا رَدَ لِكَلَامِ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ أَقْسَمُ، ﴿وَيَا نُجُورُونَ﴾ وَلَا لَانُجُورُونَ، أَيِ بِمَا تَرُونَ وَيَمَا لَا تَرُونَ. قَالَ قَتَادَةُ: أَقْسَمُ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ

المكونات والموجودات. وقال: أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها. وقيل: ما تبصرون من الأجسام وما لا تبصرون من الأرواح. وقيل: ما تبصرون: الإنس وما لا تبصرون: الملائكة والجن. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. وقيل: ما تبصرون ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً.

(٤٠) ﴿إِنَّهُ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿تَلَوَّ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، أَيِ تَلَاوَهُ رَسُولُ كَرِيمٍ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ.

(٤١) - (٤٢) ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ قَلِيلًا مَّا تُؤْتُونَ﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ حَامِرٍ وَيَعْقُوبُ «يُؤْمِنُونَ وَيَذْكُرُونَ»، بِالْيَاءِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ، وَأَرَادَ بِالْقَلِيلِ نَفِي إِيمَانِهِمْ أَصْلًا كَقَوْلِكَ لِمَنْ لَا يَزُورُكَ: قَلِمَا تَأْتِينَا، وَأَنْتَ تَرِيدُ لَا تَأْتِينَا أَصْلًا.

(٤٣) - (٤٤) ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّنَ﴾ وَهُوَ نَقْلٌ، تَحْرُصُ وَاسْتَلْصَقُ، ﴿عَلَيَّ﴾، مُحَمَّدٌ، ﴿مَقَّصُ الْأَقَاوِيلِ﴾، وَآتَى بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

(٤٥) ﴿لَأَخْذَنَا يَوْمَ الْيَوْمِينَ﴾، قِيلَ «مَنْ» صَلَاةً، مَتَجَازَةً، لِأَخْذِنَاهُ وَانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ أَيِ بِالْحَقِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿كُنْتُمْ تَأْتُرْتَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾

فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ مَهَنًا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعْمٌ إِلَّا بَيْنَ غِيظَيْنِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفَاطُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقِيمُ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَانُجُورُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ قَلِيلًا مَّا تُؤْتُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّنَ ﴿٤٣﴾ قَوْلٌ عَلَنًا عُتْفًا ﴿٤٤﴾ لَأَخْذَنَا يَوْمَ الْيَوْمِينَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا يَوْمَ الْوَيْتِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَقْبَسْنَا عَلَى الْوَيْتِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَمَعَ الْيَقِينِ ﴿٤٨﴾ فَسَجَّ حِمْرًا وَمَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا أَعْْيُنٌ رَأَتْهَا ﴿٤٩﴾ وَأَنَّى لَهُ الْفُتُورُ ﴿٥٠﴾ فَكَيْفَ يُعْذِرُ الْبَاطِلُ إِذَا قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ ﴿٥١﴾ وَسِعَتْ الْجَحِيمُ الْجَهَنَّمَ ﴿٥٢﴾ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٣﴾

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِسَائِلٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِكَلِمَةٍ أَسَاءَ لَهَا دَائِعٍ ﴿٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَى رُوحٍ الْمَسَاجِدِ ﴿٣﴾ تَمْرُجُ الْمَلَكِيَّةِ كَمَنْعَةٍ وَالرُّوحُ الْيَتِيمِ ﴿٤﴾ يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَوْءٍ ﴿٥﴾ فَاتَّقِرْ صُنْفُرًا كَرِيمًا ﴿٦﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَرِيدًا ﴿٧﴾ وَرَوْنَهُ فَرِيدًا ﴿٨﴾ يَوْمَ تَكُونُ النُّسُوءُ كَالْمِغْلَمِ ﴿٩﴾ وَتَكُونُ الْجِهَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٠﴾ وَلَا يَسْتَلُّ جِيدٌ حَمِيمًا ﴿١١﴾

[الصفات: ٢٨]، أي: من قبل الحق. وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة. قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن. إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين أي بالقوة عبر عن القوة باليمين، لأن قوة كل شيء في يمينه. وقيل: معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل معناه: لأذلتنا، وأهناها، كالسلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من يريد، يقول لبعض أعمامه: خذ بيده فأقمه. (١) ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا يَوْمَ الْوَيْتِينَ﴾، قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: أَيِ نِيَابِطِ الْقَلْبِ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمَفْسَرِينَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْجِبَلُ الَّذِي فِي الظُّهْرِ. وَقِيلَ هُوَ عَرَقٌ يَجْرِي فِي الظُّهْرِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْقَلْبِ، فَإِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. (٢) ﴿فَمَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا أَعْْيُنٌ رَأَتْهَا حَمِيرِينَ﴾، مَانِعِينَ يَحْجِزُونَنَا عَنْ

غير الملك وذلك أنها تصعد منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة، لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة. وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسون ألف سنة. وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة. وقال عكرمة وقادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضاً: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، ليس يعني به مقدار طوله هذا دون غيره لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعاً. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، ثنا عبدالله بن سعيد، ثنا أسد بن موسى، ثنا ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا».

«عن» كقوله: ﴿ فَتَكَلَّ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] أي عنه خبيراً، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب، ﴿ دَافِعًا ﴾، نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب.

① فقال الله مبيناً مجيباً لذلك السائل: ﴿ لِكَاذِبِينَ ﴾، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً فسألوه فأنزل الله: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقادة. وقيل: الباء صلة ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين، أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هٰذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، الآية، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً. وهذا قول ابن عباس ومجاهد: ﴿ تَيْسَ لَكَرًا ﴾ أي للعذاب ﴿ دَافِعًا ﴾ أي مانع.

② ﴿ تَيْنَ اَللّٰهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾، قال ابن عباس: أي ذي السموات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة.

③ ﴿ مَنِّجَ الْمَلَكِيَّةِ ﴾، قرأ الكسائي ﴿ يعرج ﴾ بالياء، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الآخرون ﴿ مَنِّجَ ﴾ بالتاء، ﴿ وَالرُّؤْمِ ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿ اَلْيَوْمِ ﴾ أي إلى الله عز وجل: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، من سني الدنيا لو صعد

عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ بالجمع هو فعل واحد رداً على معناه كقوله: ﴿ لَا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

④ ﴿ وَآلِهِ ﴾، يعني القرآن، ﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِّلْعَذَابِ ﴾، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله.

⑤ - ⑥ ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ يَنْكُرُ تُكْذِبِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ لِحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

⑦ ﴿ وَإِنَّ لِحَقَّ الْبَيِّنِ ﴾، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

⑧ ﴿ مَسَّحَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾.

سورة المعارج

مكية [وهي أربع وأربعون آية].

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
① ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ﴿ سأل ﴾ بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقول: سأل يسأل مثل خاف يخاف، يعني سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها ألفاً. وقيل: هو من السيل، وسأل واد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: ﴿ بِعَذَابِي ﴾، قيل: هي بمعنى

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَعْجَمِ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِ يَوْمِ يَسِينِهِ ﴿١١﴾
 وَصَنَجِيتهُ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّمَا لَطْفٌ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشُّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
 مَنْ أَدْبَرَ وُجُوهَهُ ﴿١٧﴾ رَجِعْ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾
 إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ رَجَعَا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنَعَا ﴿٢١﴾ إِلَّا
 الْآخِلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
 بَيْرَاتِ الْيَتِيمِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّهِمْ خَيْرٌ مَأْمُونٌ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَقِّقُونَ ﴿٢٩﴾ الْإِعْلَانَ
 أَوْزَجَهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ آذَى وَرَدَّهُ
 ذَلِكَ فَأُوذِيَكَ هَرُ الْآمَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَهْدِيهِمْ رَدُونَ ﴿٣٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٣٤﴾
 أُولَئِكَ فِي جَهَنَّمَ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَنْ آذَى كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ
 عَنِ الْيَتِيمِ وَعَنِ الْإِنْسَانِ إِذِ احْتَمَلَ عَيْدَهُ ﴿٣٦﴾ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ بِأَمْرِ
 أَنِ يُدْخَلَ جَنَّةً نَجِيماً ﴿٣٧﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ نَسَآءً مَعْلُومَاتٍ ﴿٣٨﴾

الجزى عن ابن كثير ﴿وَلَا يُسأل﴾ بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له أين حميمك؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء، أي لا يسأل قريب قريباً لشغله بشأن نفسه.

﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾،

يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس، فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرباته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه.

وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل. وقال عطاء: ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال: يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها في ساعة من النهار. وقال يمان: هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة. وفيه تقديم وتأخير كأنه قال: ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه.

﴿فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلاً﴾، ياسا محمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَهُ بَيْدًا﴾، يعني العذاب، ﴿وَرَوْنَهُ رِيًّا﴾، لأن ما هوأت قريب وهو يوم القيامة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ النِّسَاءَ كَالهَلِجْلِ﴾، كعكر الزيت. وقال الحسن: كالفضة إذا أذيت.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، كالصفوف المصبوغ. ولا يقال: عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصفوف المنفوش. وقال الحسن: كالصفوف الأحمر وهو أضعف الصفوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهياً ثم عنها منفوشاً ثم تصير هباءً منثوراً.

﴿وَلَا يَنْتَلِ حَيْدٌ جَبِيماً﴾، قرأ

عذاب الله شيء، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا لَطْفٌ﴾، وهي اسم من أسماء جهنم وقيل: هي الدرقة الثانية، سميت بذلك لأنها تلتظي، أي تلهب.

﴿نَزَاعَةٌ لِلشُّوَى﴾، قرأ حفص عن عاصم ﴿نَزَاعَةٌ﴾ نصب على الحال والقطع، وقرأ الآخرون بالرفع أي هي نزاعة للشوى، وهي الأطراف: اليدان، والرجلان، وسائر الأطراف. وقال مجاهد: لجلود الرأس. وروى إبراهيم بن مهاجر عنه: اللحم دون العظام. قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلدأ. وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظم. قال سعيدي بن جبير عن ابن عباس: للعصب والعقب. وقال الكلبي: لأم الرأس تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان، ثم تعود لأكله فتأكله فذلك

قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده. وقيل: «يبصرونهم» يعرفونهم، أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه.

وقال السدي: يعرفونهم أما المؤمن فببياض وجهه، وأما الكافر فبسواد وجهه، ﴿يَوْمَ الْمَعْجَمِ﴾، يتمنى المشرك، ﴿لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِ يَسِينِهِ﴾.

﴿وَصَنَجِيتهُ﴾، زوجته، ﴿وَأَخِيهِ﴾ وفصيلته، عشيرته التي فصل منهم. قال مجاهد: قبيلته وقال غيره: أقربائه الأقربين. ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾، أي تعينه ويأوي إليها.

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، يود لو يفتدى بهم جميعاً، ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، ذلك الفداء من عذاب الله.

﴿كَلَّا﴾، لا يسنجيه من

دأبها. وقال قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه. وقال أبو العالية: لمحاسن وجهه. وقال ابن جرير: الشوى جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمى فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل.

﴿١٧﴾ ﴿تَدْعُوا﴾، النار إلى نفسها، ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَرَوَى﴾، عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي. قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. حكى عن الخليل. أنه قال: تدعو أي تعذب. وقال: قال أعرابي لآخر: دعاك الله أي عذبك الله.

﴿١٨﴾ ﴿رَجَعَ﴾، أي جمع المال، ﴿فَأَرْجَى﴾، أمسكه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهلوع الحريص على ما لا يحل له. وقال سعيد بن جبير: شحيحاً. وقال عكرمة: ضجوراً. وقال الضحاك والحسن: بخيلاً. وقال قتادة: جزوعاً. وقال مقاتل: ضيق القلب. والهلع: شدة الحرص، وقلة الصبر. وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده.

﴿٢٠﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الشَّيْطَانُ لَعْنَهُ﴾، وإذا سألته لعنه الشيطان، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصاب المال لم ينفق. قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره، ثم تعبه

بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره. ﴿٢١﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

﴿٢٢﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب، أن أبا الخير أخبره قال: سألتنا عقبه بن عامر عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، أهم الذين يصلون أبداً؟ قال: لا ولكنهم إذا صلوا لم يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا خلفهم.

﴿٢٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّنْ لَمَّا كَانُوا مِنَ الْوَالِدِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِجِيمٍ﴾، ﴿إِنَّ عَذَابَ رِجِيمٍ عَذَابٌ مَأْمُونٌ﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ كَاذِبُونَ﴾، ﴿إِلَّا عَلَىٰ آثَابِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، ﴿فَأُولَٰئِكَ عَذَابٌ مُّؤْتَمَرٌ﴾، ﴿فَمَنْ أَتَىٰ اللَّهَ بِحَدِيثٍ وَكَذَّبَ بَعْضُهُمْ أَلْحَقَ بِهِ أَجْرَهُمَا﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ كَاذِبُونَ﴾، ﴿قَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ بِشَهَادَاتِهِمْ عَلَى الْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِشَهَادَاتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ.﴾ ﴿قَائِمُونَ﴾ أي يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها ولا يغيرونها.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَخِضُونَ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ﴾. ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي فما بال الذين كفروا، كقوله: ﴿فَمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾، ﴿الْمُدْتَرِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَخِضُونَ﴾، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزؤون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

﴿٢٧﴾ ﴿عَنِ الَّذِينَ رَمَوْا آثَابًا وَغِيْرًا﴾، حلقاً ورفقاً، العزرون: جماعات في تفرقة واحدها عزة.

﴿٢٨﴾ ﴿أَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُم أَن يُدْخَلَ جَنَّاتٍ نَّارِيحُهُمْ فِيهَا يَدْخُلُونَ﴾، قال ابن عباس: معناه أطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي؟

﴿٢٩﴾ ﴿كَلَّا﴾، لا يدخلونها، ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَلْمُونَ﴾، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فتجويه، ثنا موسى بن محمد بن علي، ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا صفوان بن صالح، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا جرير بن عثمان

يُرْسِل السَّمَاءَ عَلَيْكَ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدُ فَرَأَمُولِي وَبَيْنَ وَجَعَلَ
لَكَ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكَ آتِنَارًا ۚ مَا لَكَ لَا تَرْجُو لِلَّهِ وَقَارًا ۖ
وَقَدْ خَلَقَكَ أَطْوَارًا ۗ أَتُزَوُّوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ
طِبَاقًا ۗ وَيَجْعَلُ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا وَيَجْعَلُ الشَّمْسَ بَرَاجِمًا ۗ
وَاللَّهُ أَنْتَ كَرِيمٌ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۚ ثُمَّ يُبَدِّدُهَا وَيُغْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ۗ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكَ الْأَرْضَ سِطًا ۗ أَلَيْسَ لَكَ مِنْهَا
سُلْبًا فِيمَا جَاءَا ۗ قَالَ نُوْحٌ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِأَهْلِي مِنْ أَرْبَابٍ
مَالَهُمْ دِينُهُمْ ۗ الْأَخْصَارُ ۗ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ۗ وَقَالُوا
لَا تَذَرْنَاهُمْ يَا لَكَ الْاَلْاَذَرْنَ وَذَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَهُودَ وَيَعْرُبَ
وَقَسْرًا ۗ وَقَدْ آسَلْنَا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۗ
وَمَا خَطَبْتَنِي أَنُغْرِيوَا فَاذْجَلُوا أَنَا فَالْمُجِدُّوَا لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَصْحَارًا ۗ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ
دِيَارًا ۗ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنَهُمْ يُصَلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَجْرَارًا
كَفَّارًا ۗ رَبِّ انصُرْنِي وَلَوْلَا دَعْوَى لَيْمَنْ دَخَلَ بَيْتُكَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَابَارًا ۗ

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ بِرَاجِمًا﴾، مصباحاً
مضياً.

﴿١٧﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنْتَ كَرِيمٌ مِنَ الْأَرْضِ
نَبَاتًا﴾، أراد مبدأ خلق أبي البشر
آدم، خلقه من الأرض، والناس
ولده، قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ اسم جعل في
موضع المصدر أي إنساناً، قال
الخليل: مجازة فنبت نباتاً.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ يُبَدِّدُهَا﴾، بمد
الموت، ﴿وَيُغْرِجُكُمْ﴾، منها يوم
البعث أحياء، ﴿إِخْرَاجًا﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكَ الْأَرْضَ
سِطًا﴾، فرشها وبسطها لكم.

﴿٢٠﴾ ﴿أَلَيْسَ لَكَ مِنْهَا سُلْبًا فِيمَا جَاءَا﴾،
طرقاً واسعة.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِأَهْلِي مِنْ أَرْبَابٍ
مَالَهُمْ دِينُهُمْ﴾، يعني لم يجيبوا دعوتي، ﴿وَأَنْتُمْ مَن أُرِّدُوهُ
بَزْوَةٍ مَالِهِمْ وَوَلَدِهِمْ إِلَّا خَسَارًا﴾، يعني اتبع
السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين
هم لم يزد لهم كثرة المال والولد إلا
ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا﴾، أي
كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكبار،

بالتخفيف، وكبار بالشديد، شدد
للمبالغة، وكلها بمعنى واحد، كما
يقال: أمر عجيب وعجائب وعجائب
بالتشديد هو أشد في المبالغة.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمَا خَطَبْتَنِي أَنُغْرِيوَا فَاذْجَلُوا أَنَا فَالْمُجِدُّوَا لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَصْحَارًا﴾، قال الحسن: يعني في السماء
الدنيا، كما يقال أتيت بني تميم،
وإنما أتى بعضهم، وفلان متوارٍ في
دور بني فلان وإنما هو في دار
واحدة. وقال عبد الله بن عمرو: إن
الشمس والقمر وجوههما إلى
السماوات وضوء الشمس ونور القمر
فيهن وأقفيتهما إلى الأرض. ويروي
هذا عن ابن عباس.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿لَا تَذَرْنَا
يَا لَكَ الْاَلْاَذَرْنَ﴾، أي لا تتركوا عبادتها،

بها القطر، ثم قرأ: ﴿فَنَقَلْتُ
أَسْتَفْهِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ
عَفَاكَ﴾ يرسل السماء عليك
مِدْرَارًا.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَيُبَدِّدُكَ
بِأَمْوَالِي وَبَيْنَ﴾، قال عطاء:

يكثر أموالكم وأولادكم،
﴿وَيَجْعَلْ لَكَ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ
لَكَ آتِنَارًا مَا لَكَ لَا تَرْجُو لِلَّهِ
وَقَارًا﴾، قال ابن عباس
ومجاهد: لا ترون لله
عظمة. وقال سعيد بن
جبير: مالكم لا
تعظمون الله حق عظمته.

وقال الكلبي: لا تخافون
الله حق عظمته، والرجاء:

بمعنى الخوف، والوقار: العظمة،
اسم من التوقير وهو التعظيم. قال
الحسن: لا تعرفون لله حقاً ولا
تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان:
ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن
يشيكم على توقيركم إياه خيراً.

﴿٢٧﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقَكَ أَطْوَارًا﴾، تارات،
حالا بعد حال، نطفة ثم علقه ثم
مضغة إلى تمام الخلق.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّهُ
سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ويجعل القمر فيهن
نُورًا، قال الحسن: يعني في السماء
الدنيا، كما يقال أتيت بني تميم،
وإنما أتى بعضهم، وفلان متوارٍ في
دور بني فلان وإنما هو في دار
واحدة. وقال عبد الله بن عمرو: إن
الشمس والقمر وجوههما إلى
السماوات وضوء الشمس ونور القمر
فيهن وأقفيتهما إلى الأرض. ويروي
هذا عن ابن عباس.

الدعاء معلناً، ﴿وَأَنْتَ رَبُّنَا لَمْ يَنْتَرَاكَ﴾،
قال ابن عباس: يريد الرجل بعد
الرجل أكلمه سرأ ببني وبينه، أذعه
إلى عبادتك وتوحيدك.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿فَنَقَلْتُ أَسْتَفْهِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ عَفَاكَ﴾ يرسل السماء عليك
مِدْرَارًا، وذلك أن قوم نوح لما كذبوه
زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر
وأعقم أرحام نسايتهم أربعين سنة،
فهلكت أولادهم وأموالهم
ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا
ربكم من الشرك، أي استدعوا
المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء
عليكم مِدْرَارًا. وروى مطرف عن
الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه
خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على
الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما
سمعناك استسقيت؟ فقال: طلبت
الغيث بمجاديع السماء التي يستنزل

في الأرض فيذهب ويحجيء، أصله من الدوران، وقال القتيبي: إن أصله من الدار، أي نازل دار.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾، قال ابن عباس، والكلبي، ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنه، فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِهًا كِفَّارًا﴾، قال محمد بن كعب ومقاتل، والربيع، وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأببس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة، وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَفْرَقْتَهُمْ﴾ [الفرقان: ٢٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال.

﴿يَمَّا خَطَّيْتَهُمْ﴾، أي من خطيئاتهم، و﴿مَّا﴾ صلة، وقرأ أبو عمر و﴿خطاياهم﴾ وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أَفْرُقُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَأَذِلُّوا نَارًا﴾، قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يفرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فادخلوا ناراً في الآخرة، ﴿فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيْارًا﴾، أحداً يدور

الشیطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم غُبِثَتْ.

وروي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب، فلم تنزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام آخر، فاللات كانت لشقيف، والعزى لسليم وغطفان وجشم، ومناة لقديد، وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة.

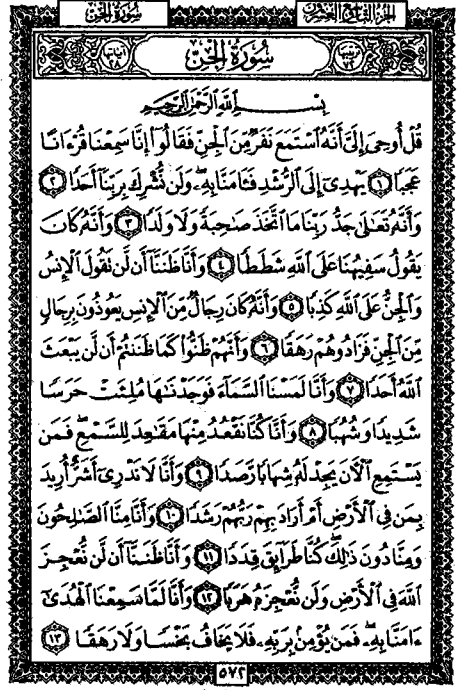
﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل: ﴿رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ كَثِيرًا مِنْ الْبَنَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال مقاتل: أضل كبرائهم كثيراً من الناس. ﴿وَلَا يُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿أَنْتَ لَنْ تُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

﴿يَمَّا خَطَّيْتَهُمْ﴾، أي من خطيئاتهم، و﴿مَّا﴾ صلة، وقرأ أبو عمر و﴿خطاياهم﴾ وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أَفْرُقُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَأَذِلُّوا نَارًا﴾، قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يفرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فادخلوا ناراً في الآخرة، ﴿فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيْارًا﴾، أحداً يدور

﴿وَلَا تَذَرُهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة [وداً] بضم الواو والباقون بفتحها، ﴿وَلَا سَوَآئِلًا وَلَا يُعْرَفُ وَيُعْرَفُ﴾، هذه أسماء آلهتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام بن ابن جريح وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح [تعبد] في العرب بعده، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يعثوث فكانت لمراد ثم لبني غطف بالجرف عند سبأ، وأما يعثوث فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ذكره في تفسيره. وروي سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قوله تعالى: ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يعثوث ويعوق ونسراً قال: كانت وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى



سورة الجن

مكية [وهي ثمان وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ، وكانوا تسعة من جن نصيبين. وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف [٢٩] ﴿فَقَالُوا﴾، لما رجعوا إلى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، قال ابن عباس: بليغا، أي قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته.

﴿٢﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿فَقَاتَلْنَا بِهِ﴾ وَكُنْ شَرِّكًا بِرَبِّنَا عُنَّا،

﴿٣﴾ وَأَنَّهُ قَتَلْنَا جَدَّ رَبِّنَا، قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم ﴿وَأَنَّهُ قَتَلَنَا﴾ بفتح الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَّا السَّلِيمُونَ﴾، وقرأ الآخرون

بكرهن، وفتح أبو جعفر منها ﴿وأنه﴾ وهو ما كان مردوداً على الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجن، والاختيار كسر الكل لأنه من قول الجن لقومهم، فهو معطوف على قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، وقالوا: ﴿وَأَنَّهُ قَتَلَنَا﴾ ومن فتح [رده] على قوله: ﴿فَقَاتَلْنَا بِهِ﴾، وأنا بكل ذلك، ففتح ﴿أن﴾ لوقوع الإيمان عليه، ﴿جَدَّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال:

جد الرجل، أي عظم، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: ﴿جَدَّ رَبِّنَا﴾ أي أمر ربنا: وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿مَا أَخَذَ مَنجِبَةً وَلَا وِلْدَانًا﴾، قيل: تعالي جل جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولداً.

﴿٤﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهَاً، جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، كذباً وعدواناً وهو وصفه بالشريك والولد.

﴿٥﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا، حسبنا، ﴿أَن نَّقُولَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾، قرأ يعقوب

﴿نَقُولُ﴾ بفتح الواو وتشديدها ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي كنا نظنهم في قولهم إن الله صاحبة ولداً حتى سمعنا القرآن.

﴿٦﴾ قَالَ اللَّهُ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ الْآيَاتِ يَوْدُونَ﴾ بِرَبِّكَ مِنَ الْإِنسِ، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في أرض قفرة قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في أمن وجوار منهم حتى يصبح.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أسحاق المروري حدثنا موسى بن سعيد النعمان بن بطرسوس، ثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، ثنا القاسم بن مالك عن عبدالرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي سائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأواتنا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا تراه، يقول: يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ الْآيَاتِ يَوْدُونَ﴾ بِرَبِّكَ مِنَ الْجِنِّ، ﴿فَرَادُوهُمْ﴾، يعني زاد الإنس والجن باستعاذتهم بقادتهم، ﴿رَهَقًا﴾، قال ابن عباس: إثمًا، وقال مجاهد:

طفغياناً. وقال مقاتل: غيياً. قال الحسن: شراً. قال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طفغياناً، يقولون: سدنا الجن والإنس، والرهق في كلا العرب الإثم وغشيان المحارم.

﴿٧﴾ وَأَنْتُمْ ظَنُّوا، يقول الله تعالى إن الجن ظنوا، ﴿كَا ظَنُّنَا﴾، يا معشر الكفار من الإنس، ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، بعد موته.

﴿٨﴾ وَأَنْتَا، يقول الجن، ﴿لَسْنَا السَّمَاءُ﴾، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿فَوَجَدْنَاهَا طَيِّبَةً حَرَمًا شَدِيدًا﴾، من الملائكة ﴿وَشَبَّهَا﴾، من النجوم.

﴿٩﴾ وَأَنْتَا كَمَا تَقَعُدُنَّهَا مِنَ السَّمَاءِ، ﴿مَقْعِدٌ لِّلسَّمْعِ﴾، أي كنا نستمع، ﴿فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهَا شِبَاهًا رَصَدًا﴾، أرصد له ليرمي به، قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل بعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد بعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلاً ثم قالوا:

﴿١٠﴾ وَأَنْتَا لَا تَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمِينِي فِي الْأَرْضِ، برمي الشهب، ﴿أَمْ أَرَادَ يَوْمَ نَزَّيْنَاهُمْ رَسَدًا﴾.

﴿١١﴾ وَأَنْتَا مِمَّا الْقَيْطُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ، دون الصالحين. ﴿كَمَا طَرَفَيْ قَدَاكُ﴾، أي جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قداً إذا اختلفت خالاتهم، وأصلها من القد وهو القطع، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: ذوو أهواء

مختلفة. وقال الحسن والسدي: الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجثة ورافضة. وقال ابن كيسان: شيعاً وفرقاً لكل فرقة هوى كاهواء الناس.

وقال سعيد بن جبير: ألواناً شتى. وقال أبو عبيدة: أصنافاً.

﴿١٢﴾ وَأَنْتَا عَلَّمْنَا، علمنا وأيقنا، ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لن نفوته إن أراد بنا أمراً، ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، إن طلبنا.

﴿١٣﴾ وَأَنْتَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى، القرآن وما أتى به محمد، ﴿ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمَرْ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بَعْضًا﴾، نقصاناً من عمله وثوابه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾، ظمأ. وقيل: مكروهاً يغشاه.

﴿١٤﴾ وَأَنْتَا مِمَّا التَّسْلِيُونَ، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَمِمَّا الْقَيْطُونَ﴾، الجائرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله نداً، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلِيكَ تَحَرَّوْا رَسَدًا﴾، أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْقَيْطُونَ، الذين كفروا، ﴿فَكَانُوا يَجْهَرُونَ حَطَبًا﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ثُمَّ رَجِعَ إِلَى كِفَارِ مَكَّةَ فَقَالَ: ﴿وَأَلُو اسْتَقْبَرُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا

وَأَمَّا التَّسْلِيُونَ وَمِمَّا التَّسْلِيُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلِيكَ تَحَرَّوْا رَسَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَيْطُونَ فَكَانُوا يَجْهَرُونَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلُو اسْتَقْبَرُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْفِينَتِهِمْ مَاءً عَذْبًا ﴿١٦﴾ لِيَقْبَلْتُمْ فِيهِ وَمَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنْ السَّجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ الْإِنْبَاءُ مِنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَهُ ثَابِرًا جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا بُرُوقًا فَسَجِدُوا مِمَّنْ أَصْفَ نَاصِرًا وَأَقْلَ عَدُوًّا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مَا تَقُولُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكَ رَبِّي أَمْدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِنْ لَمْ يَنْزَلْنِي مِنْ رِسُولِهِ فَإِنَّهُ لَسُلْكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿لَأَسْفِينَتِهِمْ مَاءً عَذْبًا﴾، كثيراً، قال مقاتل: وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا توسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيراً أو عيشاً رغداً، وضرب الملاء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَوْهُمُ الْقُرْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أَوَّلَ إِلَهِمُ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَلُوا مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَيْشِ ءَسْمَأُ وَآقْرَبًا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿٧﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَبْتُمْ فِيذِهِ﴾، أي لاختبرهم كيف شكرهم فيما حُولُوا. وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن. وقال آخرون: معناه ما وأن لو

استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيراً ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه، عقوبة لهم واستدراجاً حتى يفتنوا بها فعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: ﴿فَلَمَّا سَوَّا مَّا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية. ﴿وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أَسْلَمَ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿يسلكنه﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، أي ندخله، ﴿هَذَا بَابٌ صَعْدًا﴾، قال ابن عباس: شاقاً، والمعنى ذا صعد، أي ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبیر: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد وأن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾. وروي عن سعيد بن جبیر أيضاً: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان

والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أنا [أبو] عبدالله محمد بن يعقوب، ثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالوا: ثنا معلى بن أسد، ثنا وهيب، عن عبدالله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة - وأشار بيده إليها - ، واليدين والركبتين، وأطراف القدمين، ولا أكف الثوب ولا الشعر».

فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة، فواحدها مسجد، بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.

﴿وَأَنَّ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، يعني النبي ﷺ، ﴿يَدْعُوهُ﴾، يعني يعبه ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿كَأَدْوَا﴾، يعني الجن، ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن، هذا قول الضحاک ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبیر عنه، هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقاتدة وابن زيد: يعني لما

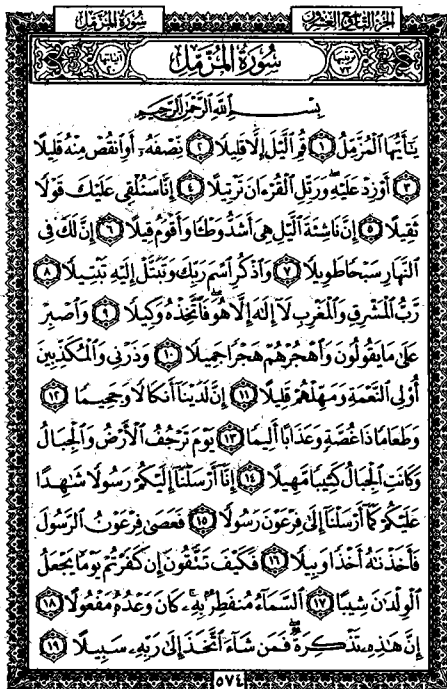
قام عبدالله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليطلبوا الحق الذي جاءهم به، ويطفثوا نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر وينصره على من ناواه. وقرأ هشام عن ابن عامر ﴿لبدأ﴾ بضم اللام، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ أبو جعفر وعاصم وحزمة ﴿قل﴾ على الأمر، وقرأ الآخرون ﴿قال﴾ يعني رسول الله ﷺ: «إنما أَدْعُو رَبِّي»، قال مقاتل: وذلك أن كنفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك، فقال لهم: «إنما أَدْعُو رَبِّي»، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾، لا أقدر أن أَدْفَعْ عنكم ضراً، ﴿وَلَا رَشَدًا﴾، أي لا أسوق لكم أو ليحكم رشداً، أي خيراً يعني أن الله يملكه.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرِيَ مِنِّي اللَّهُ أَحَدًا﴾، لن يمنعني منه أحد إن عصيته. ﴿وَلَنْ أَيْدِي مِن دُونِهِ مَلْتَحَدًا﴾، ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزاً. وقال الكلبي: مدخلاً في الأرض مثل السرب.

﴿وَلَا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله



صورة ملك أخبروه بأنه شيطان، فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

﴿يَعْلَمُ﴾، ﴿قَرَأَ﴾ يعقوب ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس، ﴿أَنْ﴾ الرسل، ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾، قرأ الآخرون بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا، ﴿رَسَلَتْ رِيحَهُمْ﴾ وأحاط بما لديهم، أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، قال ابن

وتوفيقه. وقيل: لا أملك لكم ضراً ولا رشداً لكن أبلغ بلاغاً من الله فإنما، أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت. ﴿وَمَنْ يَصِرْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾، ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، يعني العذاب يوم القيامة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، عند نزول العذاب، ﴿مَنْ أضعَفَ ناصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا﴾، أهم أم المؤمنون.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ﴾، أي ما أدري، ﴿أَقْرَبَ مَا تُوَعَدُونَ﴾، من العذاب وقيل يوم القيامة، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رِيحًا أَمَدًا﴾ أجلاً وغاية تطول مدتها يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله ﴿عَلِيمٌ أَلْفَيْبٍ﴾ رفع على نعت، قوله ﴿رَبِّي﴾، وقيل: عالم الغيب: ﴿فَلَا يَطَّوُّهُ﴾، لا يطلع، ﴿عَلَىٰ عَتِيْقِهِ أَمَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رُسُلِي﴾، إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة بأن نخبر عن الغيب، ﴿فَإِنَّكُمْ بَسَلَةٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلَّوْهُ﴾،

ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها ﴿رَصَدًا﴾ أي يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطرودون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في

عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مشاقيل الدر والخردل، ونصب ﴿عدداً﴾ على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عدّ عدداً.

سورة المزمل

مكية [وهي عشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمِلُ﴾، أي الملتف بثوبه، وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي، ومثله المدثر أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل. قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمِلُ﴾ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمِلُ﴾، أي للصلاة، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمِلُ﴾، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال: ﴿تَضَمُّهُ أَوْ أَقْبَضَ مِنْهُ قِيْلًا﴾، إلى الثالث.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، على النصف إلى الثلثين، خيره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَتَسَّرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوعًا﴾ [المزمل: ٢٠]، فكان بين أول

السورة وآخرها سنة. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو نعيم

عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا يحيى بن بشير، ثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة، ثنا قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعيد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، فقلت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قلت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قلت: ألسنت تقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّزْمِلُ﴾؟ قلت: بلى قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة.

قال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، قال ابن عباس: بينه بياناً. قال الحسن: أقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلاً. قال قتادة: تثبت فيه تثبتاً. وعن ابن عباس أيضاً: أقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن عاصم، ثنا همام عن قتادة قال:

سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مذبذباً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم، ثنا شعبة، ثنا عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، قال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذا الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين من آل حاميم في كل ركعة.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد مثويه، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتبه إليّ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، أنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن حميد الواسطي، ثنا زيد بن أخرم، ثنا محمد بن الفضل، ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله يعني ابن مسعود قال: لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مثويه، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إليّ، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى،

ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن المروزي، ثنا ابن المبارك، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبيد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر والأسود والأبيض اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا أبو بكر محمد بن نافع البصري، ثنا عبدالصمد بن عبدالوارث عن إسماعيل بن مسلم العبدلي عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بأية من القرآن ليلة.

ورواه أبو ذر، قال: قام النبي ﷺ ليلة حتى أصبح بأية، الآية: ﴿إِنَّ مَقَدِّمَهُمْ فَاتِّمُّ عِبَادِكُمْ وَإِنَّ تَقَفِّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيبُ الْمَكِينُ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ لَوْلَا قَيْلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديداً. قال الحسن: إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل. قال

قتادة: ثقيلاً هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين. قال الحسين بن الفضل: قولاً خفيفاً على اللسان ثقيلاً في الميزان. قال الفراء: ثقيل ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهذا أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتصد عرقاً.

① قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾، أي ساعته كلها وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة إذا بدت وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله

ناشئة. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحيش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. يروى عن علي بن الحسين أنه كان يصلّي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾، قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «وطاء» بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطأة والمواقفة، يقال: وطأت فلاناً مواطأة ووطئاً، إذا وافقته، وذلك أن مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار. وقرأ الآخرون يفتح الواو وسكون الطاء، أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة.

ومنه قوله ﷺ: «اللهم اشدّد وطأتك على مضر».

وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأً، يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة. وقال الفراء: أثبت قياماً أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار خلق لتصرف العبادة،

والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشد نشاطاً. وقال ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار لأنه لا تعرض له حوائج. وقال الحسن: أشد وطأً في الخير وأمنع من الشيطان. ﴿وَأَقْرَبُ قِيلاً﴾، وأصوب قراءة وأصح قولاً لهداة الناس وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولاً بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب من عبادة النهار.

② ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، أي تصرفاً وتقليباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء، وقيل: سبحاً طويلاً أي فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل، وقرأ يحيى بن يعمر «سبخاً» بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفاً للبدن.

منه قول النبي ﷺ لعائشة، وقد دعت على سارق: «لا تسبخي عنه بدعائك عليه»، أي لا تخففي.

③ ﴿وَأَذْكُرُ أُمَّتِي رَيْبًا﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿رَبِّتَنِي لِأَيِّ تَبَيُّلًا﴾، قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصاً. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته. وقال سفيان: توكل عليه توكلأً. وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل في التباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته، وصدقة بقة: أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتيل: تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه

وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيئته، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَقْمُولًا﴾، كأننا.

﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ هَذَا﴾، أي آيات القرآن ﴿تَذَكُّرًا﴾، تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَيْنَا سَبِيلًا﴾، بالإيمان والطاعة.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْخَىٰ﴾، أقل من، ﴿تَلْوِي الْأَيْلِ وَيَصْنَعُ الْكُوفَةَ﴾، قرأ أهل مكة والكوفة ﴿وَيَصْنَعُ الْكُوفَةَ﴾، بنصب الفاء والشاء وإشباع الهامين ضمًا، أي تقوم نصفه وثلثه وقرأ الآخرون بجر الفاء والشاء وأشباع الهامين كسرًا، عطفًا على ثلثي، ﴿وَمَا يَأْتِيهِ مِنَ الَّذِينَ يَمُكُّ﴾ يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿وَأَنَّه يُقَدِّرُ الْآئِلَ وَالنَّهَارَ﴾، قال عطاء: لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نَحْضُرَهُ﴾، قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نَحْضُرَهُ﴾ [أي]، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام، فقال ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نَحْضُرَهُ﴾ لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿فَنَابَ عَلَيْكَ﴾، فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَشْتَرِي مِنَ الْفُرْقَانِ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن أبي حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرف

تنفك أبدأ واحدهما نكل. قال الكلبي: أغلا من حديد، ﴿وَجِيحًا﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَطَمًا ذَا عَصْفَرٍ﴾، غير سائغة يأخذ بالحق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضرع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، أي تتزلزل وتتحرك، ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا تَهْبَلًا﴾، رملاً سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هبلاً إذا

حركت أسفله حتى انهال من أعلاه.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

﴿٢١﴾ ﴿فَمَنْ يَفْرُوتِ الرَّسُولَ فَاعْتَدْتَهُ أَثَدًا وَيَلًا﴾، شديدًا ثقيلًا، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

﴿٢٢﴾ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تتحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، شمطاً من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك.

﴿٢٣﴾ ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، متشقق لنزول الملائكة به أي بذلك المكان.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْخَىٰ مِنْ تَلْوِي الْأَيْلِ وَيَصْنَعُ الْكُوفَةَ وَطَافِقَةً مِنَ الَّذِينَ يَمْكُّ وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْآئِلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ نَحْضُرَهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَهُ وَأَمَّا تَبَسُّونَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِيمٌ أَنْ سَبَّحْتُمْ مِنْكُمْ رَبَّكُمْ وَيَسْتَلْذِقُونَ فِي بُطُونِهِمْ فِي الْأَرْضِ يَنْتَوُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَآخَرُونَ يُقْتَابُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَهُ وَأَمَّا تَبَسُّونَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا وَاللَّهُ فَضْلًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِيرُ إِلَّا فَلْيَسْكُرُوا خَيْرَ عَجْدُو عِنْدَ اللَّهِ هُمُورًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْمَعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٢﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٣﴾ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ ﴿٤﴾ وَيَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٥﴾ وَالْأَجْرُ مَا هُوَ بِمُزْمَلٍ ﴿٦﴾ وَلَا تَتَنَّنَ فِتْنَتَكُمْ ﴿٧﴾ وَرَبُّكَ فَاصِدٌ ﴿٨﴾ فَإِذَا تَفَرَّقْنَا نَسُفِّرُ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَ يَوْمٍ عَصِيبٍ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذِيبٍ ﴿١١﴾ ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِدًا ﴿١٢﴾ جَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ﴿١٣﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٤﴾ مَهْدَتْ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيدًا ﴿١٧﴾ سَاءَ هُمْ صَعُودًا ﴿١٨﴾

٥٧٥

نفسك، ولذلك قال: تنبلاً. قال ابن زيد: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

﴿١﴾ ﴿رَبِّي لِلشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص ﴿رب﴾ برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَنْتُمْ رَبَّكَ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ وَكَيْلًا﴾، قِيمًا بأمورك ففوضها إليه.

﴿٢﴾ ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْبِطْهُمْ هَبِيرًا جَبِيلًا﴾، نسختها آية القتال.

﴿٣﴾ ﴿وَذَرِي وَالْمُكَدِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْتِ وَمَهَلِكُمْ قِيَلًا﴾، نزلت في صنديد المستهزئين. وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعميين بيدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا بيدر.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾، عندنا في الآخرة، ﴿أَنْكَالًا﴾، قيوداً عظاماً لا

أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله عز وجل يقول: فاقروا ما تيسر منه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عثمان بن أبي صالح، ثنا ابن لهيعة حدثني حميد بن مخراق، عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قطار من الأجر».

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، حدثني القاسم بن زكريا، عن عبيد الله بن موسى، عن شيان، عن يحيى عن محمد بن عبدالرحمن مولى بني زهرة، عن أبي سلمة عن عبدالله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال قلت: إنني أجد قوة، قال: «فأقرأه في عشرين ليلة»، قال قلت: إنني أجد قوة، قال: «فأقرأه في سبع ولا تزد على ذلك».

قوله عز وجل: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأْخُورٌ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿وَمَأْخُورٌ يَنْتَقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لا يطيقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما

رجل جلب شيئاً ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبدالله: ﴿وَمَأْخُورٌ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَأْخُورٌ يَنْتَقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، أي ما تيسر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف. ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتكم، ﴿وَأَنْظِمُوا أَمْرًا﴾، من الذي أخرجتم، ولم تقدموه، ونصب ﴿خَيْرًا وَأَنْظِمُوا﴾ على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له في الإعراب.

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة، أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل، ثنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو خيثمة، ثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال عبدالله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله، قال:

«ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما آخر». ﴿وَاسْتَقْرَبُوا اللَّهَ﴾، لذنوبكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَجِيمٌ﴾.



سورة المدثر

مكية [وهي ست وخمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى، ثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾، قلت: يقولون: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال لي جابر لا أحدثك إلا بما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «جاءت بحراء شهراً فلما قضيت جواربي هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت من خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأنبئت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: قدثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ ﴿قُرْآنًا نَزَّلْنَا وَرَبِّكَ نَكِيدٌ﴾.

أهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطي أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسرين، قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة. قال الضحاك: هما ربهان من حلال وحرام، فأما الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالربا. قال قتادة: لا تعط شيئاً طمعاً لمجازة الدنيا، يعني أعط لربك وأرد به الله. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكشره، قال الربيع: لا تكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خصيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل متين إذا كان ضعيفاً دليله قراءة ابن مسعود ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْخَيْرِ﴾، وقال ابن زيد معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً أو عرضاً من الدنيا.

﴿وَرَبِّكَ قَاصِرٌ﴾، قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أوديت فيه. وقال ابن زيد: معناه حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

﴿إِنَّمَا نُقِرُّ فِي النَّاقُورِ﴾، أي نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني النفخة الثانية.

﴿وَنَادَى﴾، أي النسخ في

بالصدق والوفاء إنه طاهر الثياب، وتقول لمن غدر إنه للنس الثياب، وقال أبي بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم، البسها وأنت بز طاهر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً إنه لظاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر. وقال الحسن والقرظي: وخلقت فحسناً. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يظهرون ثيابهم. وقال طاوس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها.

﴿وَأَرْجَزَ فَأَهْجُرُ﴾، قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء، وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان ومعناهما واحد. قال مجاهد وعكرمة وقاتدة والزهري وابن زيد وأبو سلمة: المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الْبَرَصَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم. وقال أبو العالية والربيع: الرجز، بضم الراء الصنم، وبالكسر النجاسة والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبدالله بن يوسف، ثنا الليث، عن عقيل قال ابن شهاب: سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبدالله قال: سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال: «فينا، أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري [قبل السماء] فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فخشيت منه رعباً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فزملوني»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَأْتِيَاكَ الْمَلَكُ فَرُّ فَأَنْزِرْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْزِرْ﴾، قال أبو سلمة: والرجز الأوثان، ثم حمي الوحي بعد وتابع.

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ قوله عز وجل: ﴿وَيَأْتِيَاكَ الْمَلَكُ فَرُّ فَأَنْزِرْ﴾، أي أنذر كفار مكة.

﴿٣﴾ ﴿وَرَبِّكَ فَكَّرْ﴾، أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان.

﴿٤﴾ ﴿وَيَأْتِيَاكَ فَطَلِّزْ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكنتي عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَيَأْتِيَاكَ فَطَلِّزْ﴾، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

«وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع»
والعرب تقول في وصف الرجل

انصرف إلى منزله فقالت قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبون قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا، فقال له الوليد: مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك النفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنت تدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة لتنال من فضل. طعامهم، فغضب الوليد، فقال: ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالا وولداً، وهل شيع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ في محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

﴿فَقِيلَ﴾، لعن، وقال الزهري: عذب، ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ. ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، كرهه للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما قال لأضربه كيف صنع أي على أي حال صنع. ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن ويرده. ﴿ثُمَّ عَسَّ وَبَسَّ﴾، كلع وقطب وجهه فنظر بكرامية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء. ﴿ثُمَّ أَتْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾، تكبر حين دعى إليه. ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا﴾، ما هذا الذي يقرؤه محمد، ﴿إِلَّا بَحْرٌ مُّؤْتَرٌ﴾، يروى ويحكى عن السحرة. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، يعني يساراً وجبراً فهو يآثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة. ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأُخَلِّيهِ﴾، سأدخله، ﴿سَقْرَ﴾، وسقر اسم من أسماء جهنم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ﴾ لا تبي ولا تذر، أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئاً إلا أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: لا تميت ولا تحيي يعني لا تبقي من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً كلما احترقوا جُددوا. وقال السدي: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبقي منهم شيئاً وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا لجهنم.

﴿وَأَمَّا لِلْبَشَرِ﴾، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحة السقم والحزن إذا غيره، قال مجاهد: تلعف الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل. وقال ابن عباس: وزيد بن أسلم محرقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً نظيره قوله: ﴿وَوَرِثَ الْجَنَّةَ الْفَارُوقَ﴾ [الشعراء: ٩١]، و﴿وَأَمَّا﴾ رفع على نعت، ﴿سَقْرَ﴾ في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرَ﴾، و﴿الْبَشَرِ﴾ جمع بشرة وجمع البشر أبقار. ﴿عَلَيْهَا رِجَعُ الْعَذَرِ﴾، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر، وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبتي أحدهم مسيرة سنة، نُزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم. قال عمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين.

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكي الأيمن وتسعة بمنكي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة.

﴿٢٦﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلً: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ أَتَارٍ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، لا رجالاً آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾، أي عددهم في القلعة، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا، ﴿لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل إنهم تسعة عشر، ﴿وَرِزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقاً بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم، ﴿وَلَا يَرْجَبُ﴾، لا يشك، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُذْمُومِينَ﴾، في عددهم، ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِرْسًا﴾، شك ونفاق، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾، مشركو مكة ﴿مَا نَأَىٰ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، أي شيء أراد بهذا الحديث؟ وأراد بالمثل الحديث نفسه. ﴿كَذَلِكَ﴾، أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَأْ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَهْدِي جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر؟ قال عطاء: ﴿وَمَا يَهْدِي جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ثم رجع إلى ذكر سفر فقال:

﴿وَمَا هِيَ﴾، يعني النار، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾، إلا تذكرة وموعظة للناس. ﴿٢٧﴾ ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾، هذا قسم يقول حقاً.

﴿٢٨﴾ ﴿وَأَنْتَ إِذْ أَدْبَرُ﴾، قرأ نافع وحزمة وحفص ويعقوب ﴿إِذْ﴾ بغير ألف، ﴿أَدْبَرُ﴾، بالألف، وقرأ الآخرون ﴿إِذَا﴾ بالألف، ﴿دَبِرَ﴾ بلا ألف، لأنه أشد موافقة لما يليه، وهو قوله: ﴿وَالصَّحِّحُ إِذَا أَشْتَرُ﴾، ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه إذ وإنما بجانب الأقسام إذا وكلاهما لغة، يقال: دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهباً. قال أبو عمرو: دبر لغة قريش، وقال قطرب: دبر أي أقبل، تقول العرب: دبرني فلان أي جاء خلفي، فالليل يأتي خلف النهار.

﴿٢٩﴾ ﴿وَالصَّحِّحُ إِذَا أَشْتَرُ﴾، أضواء وتبين.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّمَا لِيَدَىٰ الْكُفْرِ﴾، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكُفْر كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

﴿٣١﴾ ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يعني النار نذيراً للبشر. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله لإحدى الكبر لأنها معرفة، ونذيراً نكرة، قال الخليل: النذير مصدر كالنكير، ولذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه وتعالى، مجازة: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيراً للبشر أي إنذاراً لهم قال أبو رزين يقول: أنا لكم منها نذير،

فاتقوها. وقيل: هو صفة محمد ﷺ معناه: يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر، فأنذر، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿٣٢﴾ ﴿لِيَنْزِلَ﴾، بدل من قوله للبشر: ﴿يَكُرُّ أَنْ يَفْتَدِمَ﴾، في الخير والطاعة، ﴿أَوْ يَنْتَقِرَ﴾، عنها في الشر والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر. ﴿٣٣﴾ ﴿كُلُّ قَسِيٍّ بِنَا كَسِبَتْ رِجْسَهُ﴾، مرتهنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها.

﴿٣٤﴾ ﴿إِلَّا أَحْسَبَ الَّذِينَ﴾، فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة: علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين.

واختلفوا فيهم: روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين. وروي أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وعنه أيضاً: هم الذين أعطوا كتبهم بإيمانهم، وعنه أيضاً: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال القاسم: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ يَسْمَعُونَ﴾، عن النبيين، المشركين.

﴿٣٧﴾ ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، أدخلكم، ﴿فِي سَقَرٍ﴾، فأجابوا.

عباس. وقال سعيد بن جبير: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس. قال زيد بن أسلم: هم رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة. وعن أبي المتوكل قال: هي لفظ القوم وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين. وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء الكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾، قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا الرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتباعك. قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً عند رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب، وهي جمع الصحيفة، ومنشورة منشورة.

﴿فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾، لَا يُؤْتُونَ الصَّحُفَ. وقيل: حقاً وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه بل، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، أي لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

﴿كَلَّا﴾، حقاً، ﴿إِنَّهُمْ﴾،

أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ أَهْلَ النَّارِ فَيُعَذِّبُونَ قَال: فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم: يا فلان قال فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً سفاك شربة ماء يوم كذا وكذا؟ قال فيقول: وإنك لانت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيشفع فيه. قال: ثم يمر بهم

الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم كذا وكذا؟ فيقول: إنك لانت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيشفع فيه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِ مُعْرِضِينَ﴾، عن مواظ القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين. ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾، جمع حمار، ﴿سُتْرِفِرَةٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾، قال مجاهد وقناة والضحاك: القسورة، جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن

سُورَةُ الْمَدْثَرِ

فَأَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٥٤﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِ مُعْرِضِينَ ﴿٥٣﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ ﴿٥٢﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٠﴾ لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٤٩﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ يَرْتَدَّوْنَ عَلٰى أَعْقَابِهِمْ لِيَعْلَمَدُوهُمْ لَمَلًا لَّيِّنًا ﴿٤٨﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْيِ وَأَهْلُ الْعَقْرِ ﴿٤٧﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ نَجْعَ عَظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدَّرِينَ عَلٰى أَنْ سَوَىٰ بِتَابِهِ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَكْبِرُ أَن يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ كَادًّا فِي الْعَصْرِ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْفَعْرُ ﴿٨﴾ وَرَجَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ قَوْلَ الْإِنْسَانِ وَيَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَآ دَرِيءٌ ﴿١١﴾ إِلَيْكَ يَوْمَ يُؤْمَدُ الشُّعْرُ ﴿١٢﴾ يَبْشُرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُؤْمَدُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَادِرُهُ ﴿١٥﴾ لَآخْرَجَكَ يَوْمَ لَسَأَلْنَاكَ لِيَتَّعَلَّ بِرُءُوسِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا لِحْمَةٌ يَوْمَ نَأْتِيهِمْ ﴿١٧﴾ فَإِذَا فَرَأْتَهُ فَنَالِحٌ يَوْمَ نَأْتِيهِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ نَحْنُ عَلَيْهِمْ بِبَاتِكُمْ ﴿١٩﴾

٥٧٧

﴿قَالُوا لَرُبَّكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾، الله. ﴿وَلَرُبَّكَ تَطْمَأَنِّنَ السُّكِينِ﴾، وكُنَّا نَحْمُشُ، في الباطل، ﴿مَعَ الْكَاذِبِينَ﴾، وَكَأَنَّكَ كَذِبٌ يَوْمَ الَّذِينَ حَجَّتْ أُنْتَا الْيَمِينَ، وهو الموت.

﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾. قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: ﴿قَالُوا لَرُبَّكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، قال عمران بن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا محمد بن حماد، ثنا

يعني القرآن، ﴿تَذَكَّرُ﴾، موعظة.

﴿٥٥﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، اتعظ

به.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾، قرأ نافع

ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون

بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَنْهَى اللَّهُ﴾، قال

مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى.

﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَقْتُولَةِ﴾، أي

أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر

لمن اتقاه.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم

الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي،

أنا ابن فنجويه، ثنا عمر بن

الخطاب، ثنا عبدالله بن الفضل، ثنا

هدية بن خالد، ثنا سهيل بن أبي

حزم، عن ثابت، عن أنس أن

رسول الله ﷺ قال في هذه الآية:

﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَقْتُولَةِ﴾ قال:

قال ريكم عز وجل: «أنا أهل أن

أتقى ولا يشرك بي غيري، وأنا أهل

لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له».

وسهيل هو ابن عبدالرحمن

القطعي، أخر حزم القطعي.

سورة القيامة

مكية [وهي أربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قرأ

القواس عن ابن كثير ﴿لأقسم﴾

الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

﴿٢﴾ ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَارِثَةِ﴾،

بالألف وكذلك قرأ عبدالرحمن

الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم

القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة

والصحيح، أنه أقسم بهما جميعاً

﴿وَلَا﴾ صلة فيهما أي أقسم بيوم

القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو

بكر بن عياش: هو تأكيد القسم

كقولك لا والله. وقال الفراء: ﴿لَا﴾

رد لكلام المشركين المنكرين، ثم

ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم

بالنفس اللوامة. وقال المغيرة بن

شعبة: يقولون القيامة وقيامه أحدهم

موته، وشهد علقمة جنازة فلما دفنت

قال: أما هذا فقد قامت قيامته. ﴿وَلَا

أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَارِثَةِ﴾ قال سعيد بن

جبير وعكرمة: تلوم على الخير

والشر ولا تصبر على السراء

والضراء. قال قتادة: اللوامة

الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما

فأت وتقول لو فعلت ولو لم أفعل.

قال الفراء: ليس من نفس برة ولا

فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن

كانت عملت خيراً قالت: هلا

ازددت، وإن عملت شراً قالت:

ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي

النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله

ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت

بكلامي ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر

يمضي قدماً لا يحاسب نفسه ولا

يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس

الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على

ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

﴿٣﴾ ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَّعَ

عِظَامُهُ﴾.

نزلت في عدي بن ربيعة، حليف

بني زهرة، ختن الأخنس بن شريق

الثقفي، وكان النبي ﷺ يقول:

«اللهم اكفني جازي السوء يعني

عدياً والأخنس» وذلك أن عدي بن

ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد

حدثنني عن القيامة متى تكون وكيف

أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ

فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم

أصدقك ولم أؤمن بك أو يجمع الله

العظام؟ فأنزل الله عز وجل:

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر ﴿أَنْ

يُجَمَّعَ عِظَامُهُ﴾ بعد التفرق والبلى

فنحيبه، قيل: ذكر العظام وأراد

نفسه لأن العظام قالب النفس لا

يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل:

هو خارج على قول المنكر أو

يجمع الله العظام كقوله: ﴿قَالَ مَنْ

يُنْعِي الْعَظْمَ وَيُحْيِي رَمِيمَهُ﴾ ليس:

[٧٨].

﴿٤﴾ ﴿لَيْلٌ قَدِيرٌ﴾، أي نقدر

استقبال صرف إلى الحال، قال

الفراء ﴿قادرين﴾ نصب على الخروج

من نجمع كما تقول في الكلام

أتحسب أن لا نقوى عليك؟ بلى

قادرين على أقوى منك، يريد بل

قادرين على أكثر من ذا، مجاز

الآية: بلى نقدر على جمع عظامه

وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو:

﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِأَكْفَمٍ﴾، أنامله، فتجعل

أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً

كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفع

بها بالقبض والنبسط والأعمال اللطيفة

كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول

أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن

قتيبة: معناه ظن الكافر، أنا لا نقدر

على جمع عظامه بلى نقدر على أن

نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف

بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر

على جمع صغار العظام فهو على

جمع كبارها أقدر.

﴿٥﴾ **بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**، يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدماً في الله ما عاش ركباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجراً لميله عن الحق.

﴿٦﴾ **يَسْتَلِئِنَّ مِنَ النَّارِ**، أي متى يكون ذلك تكديماً به.

﴿٧﴾ قال الله تعالى: **﴿فَأَنزَلْنَا الرِّيحَ الْغَمَامَ﴾**، قرأ أهل المدينة **﴿رِيحًا﴾** بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان. قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: وذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلاؤن.

﴿٨﴾ **﴿وَسَخَّفَ الْقَمَرُ﴾**، أظلم وذهب نوره وضوءه.

﴿٩﴾ **﴿وَجِجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾**، أي صاراً أسودين مكورين كأنهما ثوران

عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب.

﴿١٠﴾ **﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾**، أي الكافر المكذب **﴿يَوَدُّ أَنْ الْفَرَّ﴾**، أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

﴿١١﴾ قال الله تعالى: **﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾**، لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به [فقال: قل] لا جبل يومئذ ينعهم.

﴿١٢﴾ **﴿إِنَّكَ رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ تَتَقَبَّرُ﴾**، أي مستقر الخلق. وقال عبدالله بن مسعود: المصير نظيره قوله: **﴿وَأَنَّ**

﴿إِنَّكَ رَبُّكَ أَلْسِنَهُنَّ﴾ [النجم: ٤٢].
﴿١٣﴾ **﴿يَبُوءُ الْإِنْسَانُ بِوَعْدِهِ﴾** بما قدم وأخّر، قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ، وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة. وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعة. وقال مجاهد: بأول عمله وأخره. وقال عطاء بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة.

﴿١٤﴾ **﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾**، قال عكرمة ومقاتل والكلبي: معناه بل الإنسان على

نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه [بما عمله] وهي سمعه وبصره وجوارحه، ودخول الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان ههنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة، يعني لجوارحه، فحذف حرف الجر كقوله: **﴿وَلَنْ أَرَدُّكُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾** [البقرة: ٢٣٣] أي لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتاً لاسم مؤنث أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وقال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس والهاء في بصيرة للمبالغة دليل على التأويل. قوله عز وجل: **﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾** [الإسراء: ١٤].

﴿١٥﴾ **﴿وَلَوْ أَنَّ مَعَاذِرُهُمْ﴾**، يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال: **﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾** [غافر: ٥٢]، وهذا قول مجاهد وقاتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر فعليه [من نفسه من يكذب عذره ومعنى] الإلقاء القول كما قال: **﴿فَأَلْفَوْا الْيَوْمَ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** [النحل: ٨٦]. وقال الضحاك والسدي: **﴿وَلَوْ أَنَّ مَعَاذِرُهُمْ﴾** يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب وأهل اليمن يسمون الستر معذاراً وجمعه معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

﴿١٦﴾ قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه وشفتيه فيشدد عليه، وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال علينا أن نجعله في صدرك ونقرأه.

﴿١٨﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَقَلِّعْ قُرْآنَهُ﴾، فإذا أنزلناه فاستمع.

﴿١٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، علينا أن نبينه بلسانك. قال: وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل.

ورواه محمد بن إسماعيل عن عبدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة بهذا الإسناد. وقال: كان يحرك شفتيه إذا نزل عليه، يخشى أن ينفلت منه، فقليل له: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾، أن نجعله في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أن تقرأه.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿كَلَّا بَلْ عِزُّونَ الْكَلِيمَةَ﴾ وَتَذَكَّرُونَ الْأَجْرَةَ. قرأ أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء فيها، وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون

الدنيا على العقبي ويعملون لها يعني كفار مكة، ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد: بل تحبون وتذرون.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة ﴿تَأْتِيهِ﴾، قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: بيض يعلوها النور. وقال السدي: مضيئة. وقال يمان: مسفرة. وقال الفراء: مشرقة بالنعيم. يقال: نضر الله وجهه

ينضره نضراً، ونضره الله وأنضره ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة. قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أنا عبدالله بن أحمد الحموي، أنا إبراهيم بن خزيم الشاشي، أنا عبدالله بن حميد، ثنا شباية، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»، ثم قرأ

سورة القيامة
 كَلَّا بَلْ عِزُّونَ الْعَالِمَةَ ﴿١٦﴾ وَتَذَكَّرُونَ الْأَجْرَةَ ﴿١٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿١٨﴾
 إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٠﴾ تَطَّارَتْ أَنْ هُمْ عَلَى قَائِرَةٍ ﴿٢١﴾
 كَلَّا إِنَّكَ لَبَدُّنَا الْأَعْيُنَ ﴿٢٢﴾ وَنَحْنُ بِرَبِّكَ أَفْوَنُ ﴿٢٣﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ أَلْفَاظٍ ﴿٢٤﴾
 وَاللَّيْلِ السَّاقِ ﴿٢٥﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ﴿٢٦﴾ تَلَّامِدًا وَلَا حِصْلًا ﴿٢٧﴾
 وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلْنَا نَمُّونَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آهْلِهِ وَمَنْعَتَهُ ﴿٢٩﴾
 أُولَئِكَ لَكَ أَهْلٌ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْدِي السَّيْئَاتِ ﴿٣١﴾
 أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ كَانُوا فِي عَقَدَةٍ مَحَاقٍ ﴿٣٣﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ
 أَلَّا تَوَجَّيْتُمْ إِلَى الذِّكْرِ وَالْأَنْحَاءِ ﴿٣٤﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَوْلِ الْعُقَلَاءِ ﴿٣٥﴾
 إِنَّ الْأَبْرَارَ لَشَرٌّ يَوْمَئِذٍ مِّنْ كَثِيرٍ مَّنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَكِينٌ ﴿٣٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُم كَانُوا لَا يُفْلَكُونَ ﴿٣٧﴾

رسول الله ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ. ﴿٢٠﴾ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾، عابسة كالحة مغبرة مسودة. ﴿٢٥﴾ ﴿تَطَّارَتْ أَنْ هُمْ عَلَى قَائِرَةٍ﴾، تستيقن أن يعمل بها عظيم من العذاب، والفارقة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار وقال الكلبي: هي أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل. ﴿٣١﴾ ﴿كَلَّا إِنْهَا كَلْبَتٌ﴾، يعني النفس كناية عن غير مفكور ﴿الَّذِينَ﴾، فحشرج بها عند الموت والترافي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت. ﴿٣٧﴾ ﴿فَقِيلَ مَنْ لَّكُم﴾، أي قال من

حضره الموت هل من طيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دواؤه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه؟ فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿وَلَقَدْ﴾، أي قن الذي بلغت روحه التراقي، ﴿أَنَّ الْوَرَأَى﴾، من الدنيا.

﴿وَاللَّعْنَةُ لَنَاقِ السَّاقِ﴾، قال قتادة الشدة بالشدة. قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة، قال سعيد بن جبير: تتابعت عليه الشدائد، قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه، قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من [أيام] الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت. وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفتا عند الموت.

﴿إِنَّ رَبَّكَ بِيَوْمِذٍ السَّاقِ﴾، أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

﴿فَلَا سَدَّ وَلَا مَدَّ﴾، يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آخِرِهِ﴾، رجع إليهم، ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾، يتبختر ويختال في

مشيه قيل: أصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد.

﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ ثم ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾، وهذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، يقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى: ﴿فَتَبَيَّلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنْ الْأَكْفَارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ ثم ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وإني لأعز من مشى بين جبلية؟ فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع، وقتله أسوأ قتلة.

وكان النبي ﷺ يقول: «إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل».

﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ بُرِكَ لَهُ﴾، هملاً لا يؤمر ولا ينهى، قال السدي: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع.

﴿أَلَمْ يَكُ لَكَ نَفْلٌ مِّنْ نَّبِيِّينَ﴾، تصف في الرحم، قرأ حفص عن عاصم «يمنى» بالياء وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَلَقٍ سُورَى﴾،

فجعل فيه الروح وسوى خلقه.

﴿يَجْمَلُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ الْكَرَّ وَالْأَمْسَ﴾، خلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾، الذي فعل هذا، ﴿بِقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُخَيِّجَ الْكَلْبَ﴾.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن أشعث، ثنا عبدالله بن محمد الزهري، ثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْفَاتِكِينَ﴾ [التين: ٨] فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أُقِيمُ بِرَبِّهِ أَلَيْسَ﴾ [القيامة: ١] فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُخَيِّجَ الْكَلْبَ﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل: ﴿هَٰمَنَّا بِاللَّهِ﴾.

أخبرنا عمر بن العزيز، أنا أبو علي القاسم بن جعفر، أنا أبو علي اللؤلؤي، أنا أبو داود، ثنا محمد بن المثنى، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُخَيِّجَ الْكَلْبَ﴾ قال: سبحانك بلى، فسألوه

عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

سورة الإنسان

قال عطاء: هي مكية. وقال مجاهد وقتادة: مدنية. وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلا آية وهي قوله: ﴿قَاسِرٌ لِحُمْرٍ رَبَّكَ﴾، ﴿وَلَا تُطْعَمُ يَتَمُّهُمْ مَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [٢٤] وهي إحدى وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَتَى﴾، ﴿قَدْ أَتَى﴾، ﴿عَلَّ الْإِنْسَانَ﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿حِينَ بَنَى الذَّنْبُورَ﴾، أربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح.

روي أن عمر سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ فقال عمر: ليتها تمت يريد ليه بقي على ما كان، قال ابن عباس: ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني ولد آدم، ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾، يعني مني الرجل ومني المرأة، ﴿أَمْشَاجٍ﴾، أخلاط واحدها مشج ومشيج، مثل خدن وخدين، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في

الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وكذلك قال الكلبي قال: الأمشاج البيضاء الحمرة والصفرة. وقال يمان: كل لونين اختلطوا فهو أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة. وقال الحسن: نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبلت ارتفع الحيض. وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظماً ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر. ﴿بِتَلْبِينٍ﴾ نخبته بالأسر والنهي، ﴿فَجَعَلْتَهُ سَمِيحًا بَصِيرًا﴾ قال بعض أهل العربية: فيه تقديم وتأخير، مجازة: فجعلناه سميحاً بصيراً لتبليه، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر. ﴿إِنَّا شَاكِرًا لِمَا كَفُورًا﴾، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيماً. وقيل: معنى الكلام الجزاء، يعني: بينا له الطريق إن شكر أو كفر.

﴿ثُمَّ بَيَّنَّا مَا لِلْفِرْقَيْنِ فَقَالَ﴾، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾، يعني

في جهنم، قرأ أهل المدينة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿سَكِينًا﴾ و﴿قَوَارِيرًا﴾ و﴿قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥] بالالف في الوقف، وبالتنوين في الوصل فيهن جميعاً، وقرأ حمزة ويعقوب بلا الف في الوقف، ولا تنوين في الوصل فيهن، وقرأ ابن كثير ﴿قَوَارِيرٍ﴾ الأولى بالالف في الوقف وبالتنوين في الوصل، و﴿سَلْسَلٍ﴾ و﴿قَوَارِيرٍ﴾ الثانية بلا ألف ولا تنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص ﴿سَكِينًا﴾ و﴿قَوَارِيرًا﴾ الأولى بالالف في الوقف على الخط وبغير تنوين في الوصل، و﴿قَوَارِيرٍ﴾ الثانية بغير ألف ولا تنوين. قوله ﴿وَأَقْبَلْنَا﴾ يعني في أيديهم، تغل في أعناقهم ﴿وَسَوَّيْنَا﴾، وقوداً شديداً.

﴿إِنَّ الْأَبْتَرَاءَ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، واحدهم بتر، مثل شاهد وأشهد وناصر وأنصار، و﴿بِرِّزًا﴾ أيضاً مثل نهر وأنهار، ﴿بِشْرِبُونَ﴾، في الآخرة، ﴿بَيْنَ كَأَيْنَ﴾، فيه شراب ﴿كَانَ مِرْآةً كَاثُورًا﴾، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني أراد بالكافور في بياضه وطيب وريحه ويرد لأن الكافور لا يشرب، وهو كقولهم ﴿حَقَّقْ إِذَا جَمَلَهُ نَأَاكَ﴾ [الكهف: ٩٦] أي كتاره، وهذا معنى قول مجاهد: يمازجه وريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

الآية، قال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكيناً ویتيماً وأسيراً.

وروي مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أنه عمل لليهودي بشيء من شعير، فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطوروا يومهم ذلك.

وهذا قول الحسن وقتادة، أن الأسير كان من أهل الشرك، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حسن يرجى ثوابه.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكَ جُزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾، والشكور مصدر كالعود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبیر. إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم.

﴿ إِنَّا نَحْنُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبَسْنَا ﴾، تعبس فيه الوجوه من هولته وشدته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال يوم صائم وليل قائم. وقيل: وفي اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة، ﴿ قَطْرًا ﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: «القمطير»: الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس. وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، و«القمطير»: الشديد، قال

زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي، أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

﴿ وَيَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، فاشياً ممتداً، يقال: استطار الصبح إذا امتد وانتشر. قال مقاتل: كان شره فاشياً في

السموات فانشتت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض فنسفت الجبال وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾، أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل: على حب الله، ﴿ مَسْكِينًا ﴾، فقيراً لا مال له، ﴿ وَتَيْمًا ﴾، صغيراً لا أب له ﴿ وَأَسِيرًا ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبیر وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل: المرأة.

لقول النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان» أي أسراء.

واختلفوا في سبب نزول هذه

عَيْنَا شَرِبَ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَجْرُونَهَا نَهْرًا ﴿٦﴾ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَتَيْمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكَ جُزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبَسْنَا قَطْرًا ﴿١٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَاكَ الْيَوْمِ وَلَقَدْ هَمَمْنَا فَنَزَرْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١١﴾ فَتُكْفَىٰ بِهَا عَمَلُ الْأَرَابِ لَآيِرُونَ فِيهَا سُنَّاسًا وَلَا زَهْرًا ﴿١٢﴾ وَذَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُا وَذَلَّتْ قَطْرُهَا نَدِيلًا ﴿١٣﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْرَابٍ كَأَنَّ قَوَارِيرًا ﴿١٤﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرًا مَّقْدِيرًا ﴿١٥﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٦﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَنِيًا ﴿١٧﴾ وَطُوفٌ عَلَيْهِمْ وَوَلَدٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ لَوْ أَنَّ سُنُورًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكَاتٍ كَائِمًا ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ يُنَادَىٰ سُمِّيٰ حُسْرًا وَأَسْتَشْفَىٰ وَطَوْرًا أَسَاوِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرِبَاءً طَهُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ شُكْرًا ﴿٢١﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ عَلَيْكَ الْفَرَىٰ نَزِيلًا ﴿٢٢﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنِّيهُمْ إِنَّمَا أَوْكَشْنَا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ بِبُكْرَةٍ وَأَصِيلًا ﴿٢٤﴾

﴿٦﴾ عَيْنًا، نصب تبعاً للكافور. وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿ يَجْرُونَ بِهَا ﴾، قيل: يشربها والباء صلة وقيل بها أي منها، ﴿ عِبَادَ اللَّهِ ﴾، قال ابن عباس أولياء الله، ﴿ يَجْرُونَ بِهَا ﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر فيجرحه ههنا وههنا إلى حيث يريد.

﴿٧﴾ يَوْمًا يَوْمًا يَوْمًا، هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك، قال قتادة: أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب. وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

الأخفش: «القمطير»: أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء، يقال: يوم قمطير وقماطر إذا كان شديداً كريهاً، واقمطر اليوم فهو مقمطر.

﴿وَقَدْهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، الذين يخافون، ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ﴾، حسناً في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، في قلوبهم.

﴿وَسَرَّوْهُمْ بِمَا صَبَّوْا﴾، على طاعة الله واجتباب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿جَنَّةٌ حَرِيرٌ﴾، قال الحسن: أدخلهم الله الجنة والبسم الحرير.

﴿مُنْجِبِينَ﴾، على الحال، ﴿فِيهَا﴾، في الجنة، ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ﴾، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعوا، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا نَهَارًا﴾، أي صيفاً ولا شتاءً. قال مقاتل: يعني شمساً يؤذيهم حرها ولا زمهريراً يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد.

﴿وَدَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ يَلْبَهُا﴾، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب «دائبة»، بالعطف على قوله «متكئين»، وقيل: على موضع قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا نَهَارًا﴾، ويرون «ودائبة»، وقيل: على المدح، ﴿وَوُذِّلَتْ﴾، سخرت وقربت، ﴿فَطُوفُوا﴾، ثمارها، ﴿تَذَلُّوا﴾، يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

﴿وَصَاطُغَاتٌ عَلَيْهِمْ وَيَأْتِيَنِيْنَ يَسْرًا وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ قواريرًا بن

يَسْرًا قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها.

قال الكلبي: إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة، فجعل منها قوارير يشربون فيها، ﴿مَذْرُوعًا قَبِيْرًا﴾، قدروا الكأس على قدر ربهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

﴿وَسُقُونَ فِيهَا كَمَا كَانَ مَرْجَاهَا نَجِيْرًا﴾، يشق ويضطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيه جداً، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكر الله [في] القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عَيْنًا فِيهَا شَمْسٌ سَنِيْلًا﴾، قال قتادة: سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا، قال مجاهد: حديدة شديدة الحجرية.

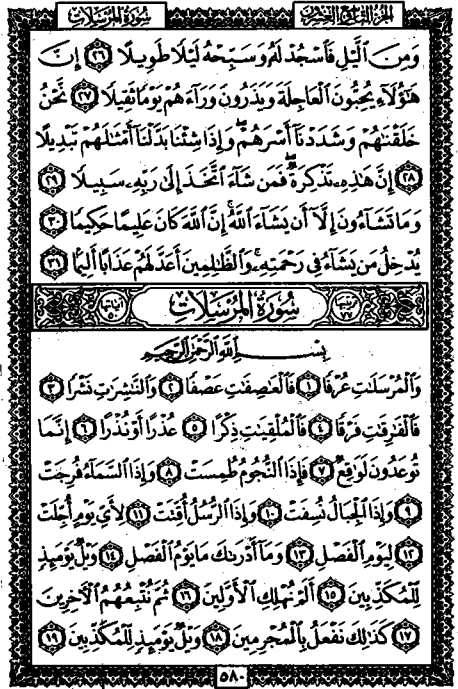
قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت

سلسبيلاً لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: ﴿تسمى﴾ أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم.

﴿سُقُونَ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مَّخْدَرُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِيْرًا تُولُوْا مُتْرِكًا﴾، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نشر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوماً. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَمَّ﴾، أي إذا رأيت بصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿رَأَيْتَ فِيهَا﴾، لا يوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيْرًا﴾، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكاً لا زوال له.

﴿عَلَيْهِمْ يُبَلِّغُ سُنْدِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة «عاليمهم» ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة، أي فوقهم وهو نصب على الظرف، ﴿يُبَلِّغُ سُنْدِينَ﴾. «خَضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ»، قرأ نافع وحفص «خَضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ» مرفوعان عطفاً على الثياب، وقراهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر «خضِر» بالجر «واستبرق» رفع، وقرأ أبو جعفر



كان آخر ذلك أتوا
 بالشراب الطهور،
 فيشربون فتطهر بطونهم
 ويصير ما أكلوا رشحاً
 يخرج من جلودهم ريحاً
 أطيب من المسك الإذفر،
 وتضمض بطونهم وتعود
 شهوتهم. وقال مقاتل:
 هو عين ماء على باب
 الجنة من شرب منها
 نزع الله ما كان في قلبه
 من غل وغش وحسد.

﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءً
 وَكَانَ سَجْرًا مَقْشُورًا، أي ما
 وصف من نعيم الجنة كان
 لكم جزاء بأعمالكم وكان
 سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله
 مشكوراً، قال عطاء: شكرتكم عليه
 فأثيبكم أفضل الثواب.

﴿١٢﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، قال ابن عباس:
 متفرقاً آية بعد آية، ولم ينزل جملة
 واحدة.

﴿١٣﴾ فَأَصْبَرَ لِمُحْرَبِكُوكَ وَلَا تُطِيعُ
 يَتَهُمْ، يعني من مشركي مكة،
 ﴿إِنَّمَا أَرْكُورًا﴾، يعني وكفوراً،
 والألف صلة، قال قتادة: أراد بالآثم
 والكفور أبا جهل وذلك أنه لما
 فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه
 أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت
 محمداً يصلي لأطأن عنقه. وقال
 مقاتل: أراد بالآثم عتبة بن ربيعة،
 وبالكفور الوليد بن المغيرة، قال
 للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما
 صنعت لأجل النساء والمال فأرجع
 عن هذا الأمر، قال عتبة: فإنا

وأهل البصرة والشام على ضده
 فالرفع على نعت الثياب والجر على
 نعت السندس. وإستبرق بالرفع على
 أنه معطوف على ﴿يَابُ سُنَيْنِ خَضِرٌ
 وَاسْتَبْرَقٌ﴾ فحذف المضاف وأقام
 المضاف إليه مقامه كقوله «واسأل
 القرية» أي أهل القرية، ومثله قوله:
 خز أي ثوب خز، وأما جر إستبرق
 فعلى أنه معطوف على سندس وهو
 جر بإضافة الثياب إليه، وهما جنسان
 أضيفت الثياب إليهما كما تقول:
 ثوب خز وكتان فتضيفه إلى الجنس
 ﴿وَعُلُوًّا أَسَاوِرَ مِنْ يَفْعَرٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ
 سَكْرًا طَهُورًا﴾، قيل: طاهرراً من
 الأقدار والأقذاء لم تدنسه الأيدي
 والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو
 قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولاً
 نجساً ولكنه يصير رشحاً في
 أبدانهم، ريحه كريح المسك، وذلك
 أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا

أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بغير
 مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من
 المال حتى ترضى، فأرجع عن هذا
 الأمر، فأنزل الله هذه الآية.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ قوله عز وجل:
 ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٥﴾ وَمِنَ
 الْغُرُبِ وَالْعِشَاءِ، يعني صلاة
 طويلاً، يعني التطوع بعد
 المكتوبة.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾، يعني كفار
 مكة ﴿مُحْيُونَ الْعَالَمِينَ﴾، أي الدار
 العاجلة وهي الدنيا ﴿وَيُؤْتُونَ
 رِزْقَهُمْ﴾، يعني أمامهم، ﴿يَوْمًا
 قَيِّلًا﴾، شديداً وهو يوم القيامة. أي
 يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون
 له.

﴿١٨﴾ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُلُوبَهُمْ﴾،
 قلوبنا وأحكامنا، ﴿أَسْرَهُمْ﴾، قال
 مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي
 خلقهم، يقال رجل حسن الأسر،
 أي الخلق، وقال الحسن: يعني
 أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض
 بالعروق والعصب.

وروي عن مجاهد في تفسير
 الأسر قال: الفرج يعني موضع
 مصرفي البول والغائط إذا خرج
 الأذى تقبضاً. ﴿وَإِذَا شَتْنَا بِذَلِكَ أَسْمَانَهُمْ
 تَبْيِيلًا﴾، أي إذا شتينا أهلكتناهم.
 وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً
 منهم.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ﴾، يعني هذه
 السورة، ﴿تَذَكُّرًا﴾، تذكير وعظة،
 ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾،
 وسيلة للطاعة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَمَا نَشَاءُونَ﴾، قرأ

ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ﴿يشاؤون﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَأَ اللَّهُ﴾ أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يَدْجُلُ مَنْ يَشَأُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَي الْمُشْرِكِينَ. ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

سورة المرسلات

مكية [وهي خمسون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالرَّسُلَ كُرُفًا﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفاً أي كثيراً تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى مجاهد وقتادة. قال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿وَالصَّيْحَاتِ غَمَّاتٍ﴾، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَالنَّيِّرَاتِ نُفُورًا﴾، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

﴿وَالنَّازِلَاتِ نَزْلاً﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي

أي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده.

﴿وَاللَّيْقِنَاتِ ذِكْرًا﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ﴾ [غافر: ١٥].

﴿عَذَابًا أَوْ تَذْكُرًا﴾، أي للإعذار والإنذار، قرأ الحسن ﴿عذراً﴾ بضم الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامة بسكونها، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وحفص [عن عاصم] ﴿نذراً﴾ ساكنة الذال، وقرأ الباقون بضمها، ومن سكن قال لأنهما في موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار وليس بجمع فينقلان وقال ابن كثير ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب برواية رويس بن حسان: «عذراً» سكون الذال و﴿نذراً﴾ بضم الذال، وقرأ روح بالضم في العذر والنذر جميعاً، وهي قراءة الحسن، والوجه فيهما أن العذر والنذر بضمين كالأذن والعُنُق هو الأصل ويجوز التخفيف فيهما كما يجوز التخفيف في العنق والأذن، يقال: عذُر ونذُر، وعذُر ونذُر، كما يقال: عُنُق وعُنُق، وأذن وأذن، والعذر والنذر مصدران بمعنى الإعذار والإنذار كالنكير والعذير والتنذير، ويجوز أن يكونا جمعين لعذير ونذير، ويجوز أن يكون العذر جمع عاذر، كشارف وشرُف، والمعنى في التحريك والتسكين واحد على ما بينا

إلى هنا أقسام ذكرها على قوله:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، من أمر الساعة والبعث، ﴿رَازِقِينَ﴾، لكائن ثم ذكر متى يقع.

﴿فَإِنَّا لِلْجُحُمِ لَمُوسِتٌ﴾، محي نورها.

﴿وَاللَّسَّةَ لَمُجَبَّاتٍ﴾، شقت.

﴿وَاللَّيَالِيَ لَسُفَاتٍ﴾، قلعت من أماكنها.

﴿وَالرَّاسِخَاتِ لَأَسْبَاتٍ﴾، قرأ أهل

البصرة ﴿وقتت﴾ بالواو، وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهما لغتان. والعرب تعاقبت بين الواو والهزمة كقولهم: وكذت وأكندت، ورخت وأرخت، ومعناها جمعاً لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.

﴿لَا فِي يَوْمٍ أُتْبِكَ﴾، أي أخرجت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم.

﴿ثُمَّ بَيِّنَ فَسَالٌ﴾، ثم بيّن فقال: ﴿يَوْمَ الْفُصْلِ﴾، قال ابن عباس: يوم يفصل الرحمن عز وجل بين الخلائق.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ﴾، ﴿يَوْمَ يَفْصِلُ الْمُكذِبِينَ﴾، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.

﴿ثُمَّ تَنْجِيهِمُ الْآخِرِينَ﴾، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب يعني كفار مكة بتكذيبهم محمداً ﷺ.

واحدتها شررة، ﴿كَالْقَصْرِ﴾، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون. وقال عبدالرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله: ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ يَشْكُرُ كَالْقَصْرِ﴾ هي الخشب المقطعة، وكنا نعد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء، فكننا نسميها القصر. وقال سعيد بن جبير، والضحاك: هي أصول النخل والشجر العظام، واحداثها قصرة، مثل تمره وتمر، وجمرة وجمر، وقرأ علي وابن عباس ﴿كَالْقَصْرِ﴾ بفتح الصاد، أي أعناق النخل، والقصرة العنق، وجمعها قصر وقصرات.

﴿كَانَّهُ﴾ رد الكناية إلى اللفظ، ﴿جَمَلًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿جمالة﴾ على جمع الجمل، مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون ﴿جمالات﴾ بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى تكون كأوساط الرجال، ﴿صُفْرًا﴾، جمع الأصفر، يعني لون النار. وقيل: الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث «أن شرر نار جهنم أسود كالقير»، والعرب تسمي سود الإبل صفر لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الطباء: آدم

دورهم ومنازلهم وتكفتمهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ قوله: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ وَجَمَلْنَا فِيهَا رُؤُوسَ ﴿شَيْخَتٍ﴾، عالياً، ﴿وَأَسْفِنَا مَاءَ قَرَارًا﴾، عذبا.

﴿٢٨﴾ ﴿وَيْؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ﴾، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخير أنه يقال لهم يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ ﴿أَنْظِلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾، في الدنيا. ﴿٣٠﴾ ﴿أَنْظِلِقُوا إِلَىٰ طَلِيلٍ ذِي تَلْكَثٍ شَعْبٍ﴾، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب، فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

﴿٣١﴾ ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لَا ظَلِيلٌ﴾ لا يظل من الحر، ﴿وَلَا يَتَّقِي مِنَّ اللَّهَبِ﴾، قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب.

﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّمَا﴾، يعني جهنم، ﴿تَرَىٰ يَشْكُرُ﴾، وهو ما تطاير من النار،

الَّذِي تَخْلُقُ مِّنْ مَّوْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ فَجَعَلْتَهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٣٠﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣١﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٣٢﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٣٣﴾ أَوْ يَجْمَلُ الْأَرْضَ كَمَا تَأْتَىٰ أَحْيَاءَهُ وَأَمْوَاتَهَا ﴿٣٤﴾ وَجَمَعْنَا فِيهَا رُؤُوسَ شَيْخَتٍ وَأَسْفِنَا مَاءَ قَرَارًا ﴿٣٥﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ أَنْظِلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٣٧﴾ أَنْظِلِقُوا إِلَىٰ طَلِيلٍ ذِي تَلْكَثٍ شَعْبٍ ﴿٣٨﴾ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يَتَّقِي مِنَّ اللَّهَبِ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا تَرَىٰ يَشْكُرُ كَالْقَصْرِ ﴿٤٠﴾ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ ﴿٤١﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٤٢﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَظُنُّونَ ﴿٤٣﴾ وَلَا يُؤَدُّونَ لَهُمْ فِي عَنَادِهِمْ ﴿٤٤﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٤٥﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ كَرَاهًا وَالْأُولَىٰ ﴿٤٦﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٤٧﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٤٨﴾ إِنَّ الشَّقِيْنَ فِي ظُلُمٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٩﴾ وَفُؤَادِهِنَّ مَعَاشِمُونَ ﴿٥٠﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَسَمِعُوا أَفْئِدَانَكُمْ يَجْرُسُونَ ﴿٥٤﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥٦﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَإِنِّي حَسِبْتُ أَنَّكُمْ كَرِهْتُمْ ﴿٥٨﴾

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ ﴿٥٩﴾ أَوْ تَخْلُقُ مِّنْ مَّوْمِنِينَ﴾، يعني النطفة.

﴿٦٠﴾ ﴿فَجَعَلْتَهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعني الرحم.

﴿٦١﴾ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، وهو وقت الولادة.

﴿٦٢﴾ ﴿قَدَرْنَا﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي ﴿قَدَرْنَا﴾ بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾، وقيل: معناهما واحد، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾، أي المقدرين.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿وَيُؤَمِّزُ لِلْمَكْذِبِينَ﴾ أَوْ يَجْمَلُ الْأَرْضَ كَمَا تَأْتَىٰ، وعاء، ومعنى الكفت: الضم والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه. وقال الفراء يريد تكفتمهم أحياء على ظهرها في

لأن بياضها يعلوه كدرة.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ، أي في القيامة
لأن فيها مواقف، ففي بعضها
يختصمون ويتكلمون وفي بعضها
يختم على أفواههم فلا ينطقون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾،
رفع عطف على قوله «يؤذن»، قال
الجنيد: أي لا عذر لمن أعرض عن
منعمه وكفر بإياديه ونعمه.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
هَذَا يَوْمُ الْقَسْفِ، هذا يوم
الفصل بين أهل الجنة والنار،
﴿جَمْعَتَكَ وَالْأُولَى﴾، يعني مكذبي هذه
الامة والأولين الذين كذبوا أنبياءهم.

﴿٣٩﴾ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾،
قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة
فاحتاووا لأنفسكم.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
إِنَّ الْكَيْبَانَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، جمع
ظل أي في ظلال الشجر،
﴿وعيون﴾، الماء.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَوَّكُم مِّنَّا يَسْتَحْبُونَ﴾.
﴿٤٣﴾ ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا
وَسَبَّحُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا
بطاعتي.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّا كَذَّبَكَ بِغَيْرِ
الْحُسِينِ﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي دُحُرِ النَّجْمِ
مِمَّا وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِينَ عَرَفُوا
سُجُودَهُمْ وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾،
﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ

﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾، لا يصلون،
وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما: إنما يقال
لهم هذا يوم القيامة حين
يدعون إلى السجود فلا
يستطيعون.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿فِي أَيِّ حَيْثٍ
بَسَدُوا﴾، أي بعد القرآن،
﴿يُؤْمِنُونَ﴾، إذا لم يؤمنوا
به.

سورة النبا

مكية [وهي أربعون

آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿عَمَّ﴾، أصله (عن ما)
فأدغمت النون في الميم وحذفت
ألف ما كقوله: (ميم)، (و بم)،
﴿بِسْمَةِ لُؤْنٍ﴾، أي عن أي شيء يتساءل
هؤلاء المشركون.

وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم
إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد
الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا
يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به
محمد ﷺ، قال الزجاج: اللفظ لفظ
استفهام ومعناه التفضيم، كما تقول:
أي شيء زيد؟ إذا أعظمت أمره
وشأنه.

﴿٢﴾ ثم ذكر أن تسألهم عماذا
فقال: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾، قال
مجاهد والأكثر: هو القرآن، دليله
قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص:
٦٧]، وقال قتادة: هو البعث.

سورة النبا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النبا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسْمَةٌ لُؤْنٍ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَعَلْتُونَ ﴿٤﴾ تُوَكَّلَا سَعَلْتُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾
وَالجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتُمْ ذُرِّيَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سَبَاطًا ﴿٩﴾
﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا الْآيَاتِ لآيَاتٍ لِّبَاطِلٍ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٢﴾ وَبَنَيْنَا
قَوْمَكُمُ سَعْيًا لِّدَارِكُمْ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا بَرَكًا وَفَجَاءًا ﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْتَصِرَاتِ مَاءً تَجْمَأُ ﴿١٥﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَمَاثًا ﴿١٦﴾ وَجَنَّبْنَا
الْأَعْيُنَ ﴿١٧﴾ أَنْ يَوْمَ الْقَضَلِ كَانَ مِيقَاتِنَا ﴿١٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
قَاتُونَ أَوْجَابًا ﴿١٩﴾ وَقِيحَتْ أَسْمَافُ فَكَانَتْ أَوْجَابًا ﴿٢٠﴾ وَسَوَّيْتُ
الْجِبَالَ فَكَانَتْ سُرَادًا ﴿٢١﴾ أَنْ جَمَعْتُمْ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٢﴾ لِلطَّاغِيَتِينَ
مَنَابًا ﴿٢٣﴾ لِيَسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٤﴾ لَا يَذُرُّونَ فِيهَا سِرَّةً وَلَا أَثْرَابًا ﴿٢٥﴾
﴿٢٦﴾ الْأَحْيَامَ وَأَعْسَافًا ﴿٢٧﴾ حَرَآءَ وَفَجَاءًا ﴿٢٨﴾ إِيَّاهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجِعُونَ حِسَابًا ﴿٢٩﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٣٠﴾ وَكُلُّ نَفْسٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣١﴾ فَذُرُّوا قُلُوبَكُمْ تَرِيدَكُمْ لِأَعْدَابًا ﴿٣٢﴾

[٥٨٦]

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ﴾، فمصدق ومكذب، ﴿كَلَّا
سَعَلْتُونَ﴾، كلا نفي لقوله سيعلمون
عاقبة تكذيبهم حتى تنكشف الأمور.

﴿٣﴾ ﴿تُوَكَّلَا سَعَلْتُونَ﴾، وعيد
لهم على أثر وعيد. قال الضحاك:
كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا
سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر
صنائه ليعلموا توحيده.

﴿٤﴾ فقلنا: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ
مَهْدًا﴾، فراشاً.

﴿٥﴾ ﴿وَالجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، لسلارض
حتى تميد.

﴿٦﴾ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، أصنافاً
ذكوراً وإناثاً.

﴿٧﴾ ﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سَبَاطًا﴾، أي
راحة لأبدانكم. قال الزجاج:
السيات أن ينقطع عن الحركة والروح
فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعاً
لأعمالكم لأن أصل السبت القطع.

﴿وَجَعَلْنَا آتِلَ لِبَاسًا﴾، غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا أَتَارَ مَنَاشَا﴾، المعاش العيش، وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سبباً للمعاش والتصرف في المصالح. قال ابن عباس: يريد تبتغون من فضل الله، وما قسم لكم من رزقه.

﴿وَبَيَّنَّا قَوْمَكُمْ سَبَا شِدَادًا﴾، يريد سبع سموات.

﴿وَجَعَلْنَا يَرْبَا﴾، يعنسي الشمس، ﴿وَوَجَّأْنَا﴾، مضيئاً منيراً. قال الزجاج: الوهاج الوقاد. وقال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي: يعني

الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس: قال الأزهري: هي الرياح ذوات الأعاصير، فعلى هذا التأويل تكون «من» بمعنى الباء أي بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدر المطر، وقال

أبو العالية والربيع والضحاك: المعصرات السحاب وهي رواية

الوالي عن ابن عباس، وقال الفراء: المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر

ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض. وقال ابن

كيسان: هي المغيشات من قوله: ﴿فِيهِ يَمَاتُ كَأَنَّ النَّاسَ فِيهِ يَمُوتُونَ﴾.

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان:

من المعصرات أي من السموات. ﴿مَاءً مَّجْجًا﴾، أي صساباً، وقال

مجاهد: مدرأاً. وقال قتادة: متباعاً يتلو بعضه بعضاً. وقال ابن زيد: كثيراً.

﴿وَنُتِجَ بِهِ﴾، أي بذلك الماء، ﴿حَبًّا﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿وَنَبَاتًا﴾، ما تنبت الأرض مما تأكله الأنعام.

﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَاكًا﴾، ملتفة بالشجر واحدها لف لفيف، وقيل: هو جمع الجمع، يقال جنة لفا وجمعها لف، بضم اللام وجمع الجمع ألفاف.

﴿وَإِنَّ يَوْمَ الْقَضَاءِ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿كَأَن يَمُوتُونَ﴾، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ قَاتُونَ﴾، زمرأ زمرأ من كل مكان للحساب.

﴿وَيُحَيِّتُ السَّمَاءَ﴾، قرأ أهل الكوفة فتحت بالتحفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي شقت لنزول الملائكة، ﴿فَكَانَتْ أَوْيَاكًا﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق.

﴿وَسَيَّرَ لَيْلًا﴾، عن وجه الأرض، ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي هباءً منبأً لعين الناظر كالسراب.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، طريقاً وممرأ فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: كانت مرصداً أي معدة لهم، يقال: أرصدت الشيء إذا أعدته له. وقيل: هو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، والمرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو.

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، أي ترصد الكفار.

وروي مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبعة محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع، فيسأل عن الصوم فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فرغ منه انطلق به إلى الجنة.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين، ﴿مَنَابًا﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

﴿لَيْلِينَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب ﴿لَيْلِينَ﴾ بغير ألف، وقرأ العامة ﴿لَيْلِينَ﴾ بالألف وهما لغتان. ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. وروي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال مجاهد: الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً، كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿لَيْلِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد،

فليس للأحقاب عدة إلا الخلود. وروى السدي عن مرة عن عبدالله قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا. وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة. قال: وهذه الآية منسوخة نسختها ﴿لَنْ نُرِيدَكُمُ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠] يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، روي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومنه ما قال الكسائي وأبو عبيدة، تقول العرب: منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم. وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا شراباً ينفعهم من عطش.

﴿إِلَّا حَيْبًا وَغَسَّاقًا﴾، قال: «الغساق»: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار، وقد ذكرناه في سورة ص.

﴿جَزَاءً وَجَاءًا﴾، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم. وقال مقاتل: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي بما جاء

به الأنبياء، ﴿كَذَّبُوا﴾، يعني تكذيباً، قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فَعَالٌ وقال: قال لي أعرابي منهم على المزوة يستفتيني: الحلق أحب إليك أم القصار:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ كِتَابًا﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿فَذُوقُوا﴾، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿لَنْ نُرِيدَكُمُ إِلَّا عَذَابًا﴾.

﴿إِنَّ لِلنَّارِ مَقَازٍ﴾، فوزاً ونجاةً من النار، وقال الضحاك: متزهاً.

﴿حَتَّىٰ وَاعْتَبِرُوا﴾، يريد أشجار الجنة وثمارها.

﴿وَكَايِبًا﴾، جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن، واحدتها كاعب، ﴿أَرْبَابًا﴾، مستويات في السن.

﴿وَأَسْمَاءًا﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾، باطلاً من الكلام، ﴿وَلَا كَذِبًا﴾، تكذيباً، لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي «كذاباً»، بالتخفيف [وهو] مصدر كاذب كالمكاذبة، وقيل: هو

إِنَّ لِلنَّارِ مَقَازٍ ﴿٣٦﴾ حَتَّىٰ وَاعْتَبِرُوا ﴿٣٧﴾ وَكَايِبًا ﴿٣٨﴾ وَكَايِبًا ﴿٣٩﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٠﴾ وَكَايِبًا ﴿٤١﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٢﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٣﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٤﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٥﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٦﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٧﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٨﴾ وَكَايِبًا ﴿٤٩﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٠﴾ وَكَايِبًا ﴿٥١﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٢﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٣﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٤﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٥﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٦﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٧﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٨﴾ وَكَايِبًا ﴿٥٩﴾ وَكَايِبًا ﴿٦٠﴾

سُورَةُ النَّارِ الْاِمْرِي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
 وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٠﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿١٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٠﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٢٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٣٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٠﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٤٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٠﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥١﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٢﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٣﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٤﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٥﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٦﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٧﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٨﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ وَالنَّارِ عَذَابًا ﴿٦٠﴾

الكذب. وقيل: هو بمعنى التكذيب كالمشدد.

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً﴾، أي جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً «حساباً» أي كافيًا وافيًا، يقال: أحسبت فلانًا، أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. وقال ابن قتيبة: عطاءً حساباً أي كثيراً. وقيل: هو جزاء يقدر أعمالهم.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «رب» رفع على الاستئناف والرحمن خيره وقرأ الآخرون بالجر اتباعاً لقوله «من ربك» وقرأ ابن عامر، وعاصم ويعقوب «الرحمن» جراً اتباعاً لقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع، فحمزة والكسائي يقرآن «رب» بالخفض لقرنه من قوله: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً﴾

بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن عودوا تراباً [فيعودون تراباً] فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وبه قال الليث بن أبي سليم، مؤمنو الجن يعودون تراباً.

وقيل: إن الكافر ههنا إبليس، وذلك أنه عاب آدم وأنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشدة والعذاب، قال [إبليس]: يا ليتني كنت تراباً. قال أبو هريرة فيقول التراب لا، ولا كرامة لك من جعلك مثلي؟



سورة النازعات

مكية [وهي ست وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، [بعدما نزعها حتى إذا كادت أن تخرج ردها في جسده فهذا عمله بالكفار] والغرق اسم أقيم مقام الإغراق، أي والنازعات إغراقاً، والمراد بالإغراق المبالغة في المد، وقال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الأظافر وأصول القدمين، ويردها في جسده بعدما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعدما ينزعها، فهذا عمله بالكفار. وقال مقاتل ملك الموت

الملائكة. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، في الدنيا، أي حقاً. وقيل: قال: لا إله إلا الله.

﴿ذَلِكَ أَيُّومُ الْحَقِّ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾، مرجعاً وسبيلاً بطاعته، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ قَرِيبًا﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

قال عبدالله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. ومثله عن مجاهد، وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطيور فيقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم، كونوا تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى، فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم تراباً.

وعن أبي الزناد عبدالله بن ذكوان قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر

رَبِّكَ﴾ ويقرآن ﴿الرحمن﴾ بالرفع لبعده منه على الاستئناف، وقوله: ﴿لَا يَلْكُونَ﴾ في موضع رفع خبره، ومعنى: ﴿لَا يَلْكُونَ مِنِّي حَطَابًا﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعاً إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، أي فسي ذلك اليوم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام [هواً] وحده صفّاً وقامت الملائكة كلهم صفّاً واحداً، فيكون عظم خلقه مثلهم. وعن ابن مسعود [قال]:

الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال، ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة، يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفّاً وحده. وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، هؤلاء جند وهؤلاء جند.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم. وقال الحسن: هم بنو آدم. ورواه قتادة عن ابن عباس، وقال: هذا مما كان يكتبه ابن عباس ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشعبي: هما سماط رب العالمين، يوم يقوم سماط من الروح وسماط من

والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليها، وجواب هذه الأقسام محذوف على تقدير: لتعنين ولتحاسبين. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لعبرة لمن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

① قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّايِفَةُ﴾، يعني النفخة الأولى، ينزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق.

② ﴿تَبَّتْهَا الرّادفة﴾، وهي النفخة الثانية ردت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل. وقال مجاهد: ترجف الراجفة تنزلزل الأرض والجبال، تتبعها الرادفة حين تنشق السماء، وتحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. وقال عطاء: «الراجفة» القيامة، و«الرادفة» البعث. وأصل الراجفة: الصوت والحركة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا عبدالله بن يوسف بن أحمد بن مالك، ثنا محمد بن هارون الحضرمي، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن

تذهب، يقال: نشط من بلد إلى بلد إذا خرج في سرعة، ويقال: حمأ ناشط، ينشط من بلد إلى بلد، وقال عطاء وعكرمة: هي الإزهاق.

③ ﴿وَالنّٰشِطَاتِ سَبًا﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رقيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبو صالح: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابع إذا أسرع في جريه. وقيل: هي خيل الغزاة. وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَالِكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وقال عطاء: هي السفن.

④ ﴿وَالنّٰشِطَاتِ سَبًا﴾، قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

⑤ ﴿وَالنّٰشِطَاتِ سَبًا﴾، قال ابن عباس: هم الملائكة وكلوا بأمر عزفهم الله عز وجل العمل بها. قال عبدالرحمن بن سابط: يدبر الأمر في الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام.

أما جبريل فموكل بالرياح

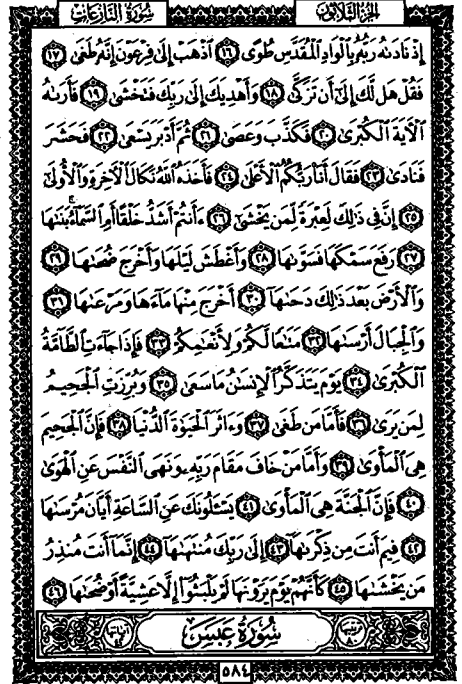
وأعوانه ينزعون أرواح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس. وقال السدي: هي النفس حين تغرق في الصدر. قال الحسن وقتادة وابن كيسان: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب. وقال عطاء وعكرمة: هي القسي. وقيل: هي الغزاة الرماة.

⑥ ﴿وَالنّٰشِطَاتِ نَطًا﴾، هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلاً رقيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق، حكى الفراء هذا القول، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت العقال، إذا حللته ونشطته إذا عقدته بأنشطة.

وفي الحديث: «كأنما أنشط من عقال».

وعن ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت.

وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنشط: الجذب والزرع، يقال: نشطت الدلو نشطاً إذا نزعها. قال الخليل: النشط والإنشاط مدك الشيء إلى نفسك، حتى ينحل. وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس. وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب. وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي



للبعث إذا قيل لهم إنكم
مبعوثون من بعد الموت:
﴿وَأَنَّا لَنُرْزِقُونَهُ فِي لَحْفَافَةٍ؟﴾
أي: إلى أول الحال
وابتداء الأمر، فنصير
أحياء بعد الموت كما كنا؟
تقول العرب: رجع فلان
في حافرته، أي رجع من
حيث جاء، والحافرة
عندهم اسم لابتداء
الشيء، وأول الشيء.
وقال بعضهم: «الحافرة»:
وجه الأرض التي تحفر
فيها قبورهم، سميت
الحافرة بمعنى المحفورة،

كقوله: ﴿بِشَكْرِ رَاضِيَةٍ﴾
[الحاقة: ٢١، القارعة: ٧] أي
مرضية. وقيل: سميت حافرة لأنها
مستقر الحوافر، أي أننا لمرددون
إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً
نمشي عليها؟ وقال ابن زيد: الحافرة
النار.

﴿إِذْ نَادَى كُنَّا عِظَمًا تُخْرَجَةً﴾، قرأ
نافع، وابن عامر، والكسائي،
ويعقوب ﴿أثنا﴾ مستفهم، ﴿إِذَا﴾
بتركه، ضده أبو جعفر، الباقون
بإسفهامها، وقرأ حمزة، والكسائي،
وأبو عمرو ﴿عِظَمًا تُخْرَجَةً﴾، وقرأ
الآخرون ﴿نخره﴾ وهما لغتان، مثل
الطمع والطامع والحذر والحاذر،
ومعناها البالية، وفزق قوم بينهما،
فقالوا: النخرة البالية، والناخرة
المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر،
أي: تصوت.

أبي بن كعب، عن أبي بن كعب
قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب
ربع الليل قام، وقال: «يا أيها
الناس اذكروا الله، اذكروا الله،
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء
الموت بما فيه، جاء الموت بما
فيه».

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ﴾، خائفة
قلقة مضطربة، وسمي الوجيف في
السير لشدة اضطرابه، يقال: وجف
القلب ووجف وجوفاً ووجيفاً
ووجوباً ووجيباً. وقال مجاهد:
وجلة. وقال السدي: زائلة عن
أماكنها، نظيره ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَجَارِ﴾ [غافر: ١٨].

﴿بِأَصْرِكهَا حَاشِيَةٌ﴾، ذليلة
كقوله: ﴿تَحْشِيُونَ مِنَ الدَّلِيلِ﴾
[الشورى: ٤٥] الآية.

﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنكرين

﴿تَأْوَأُ﴾، يعني المنكرين،
﴿إِنَّا كَرَّةٌ خَائِرَةٌ﴾، رجعة
خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت
لننخرن بما يصيبنا بعد الموت.
﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾، ﴿إِنَّمَا
هِيَ﴾، يعني النفخة الأخيرة،
﴿بِجِرَّةٍ﴾، صيحة، ﴿وَبِئْدَةٍ﴾،
يسمعونها.

﴿إِذَا هُمْ بِالنَّاهِرَةِ﴾، يعني
وجه الأرض، أي صاروا على وجه
الأرض بعدما كانوا في جوفها.
والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض:
ساهرة. قال بعض أهل اللغة: تراهم
سموها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان
وسهرهم. قال سفيان: هي أرض
الشام. وقال قتادة: هي جهنم.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾: ﴿هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى﴾، يقول قد جاءك يا
محمد حديث موسى.

﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ يَا آلِهَتِ الْمَلِئِينَ
طُوى﴾.

﴿فَقَالَ يَا مُوسَى﴾: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ
رَبُّونِي﴾، علا وتكبر وكفر بالله.

﴿فَقَالَ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى﴾، قرأ
أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي:
أي تتزكى وتتطهر من الشرك، وقرأ
الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح،
قال ابن عباس: تشهد أن لا إله
إلا الله.

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾، أي
أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده
فتخشى عقابه.

﴿قَارَنَهُ آيَةَ الْكُرْئِيِّ﴾، وهي
العصا واليد البيضاء.

﴿فَكَذَّبَ﴾، بأنهما من الله،
﴿وَعَصَى﴾.

﴿مِمَّ أَذْرَبَ﴾، تولى وأعرض
عن الإيمان ﴿بِئْسَ﴾، يعمل بالفساد
في الأرض.

﴿فَنَحَرَهُمْ﴾، فجمع قومه
وجنوده، ﴿فَنَادَى﴾، لما اجتمعوا.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْغَلِيُّ﴾، فلا
رب فوقي. وقيل: أراد أن الأصنام
أرباب وأنا ربكم وربها.

﴿فَأَعَذَّهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾،
قال الحسن وقتادة: عاقبه الله فجعله
نكال الآخرة والأولى، أي في الدنيا
بالغرق وفي الآخرة بالنار. وقال
مجاهد وجماعة من المفسرين: أراد
بالآخرة والأولى كلمتي فرعون قوله:
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ غَيْرٌ﴾
[القصص: ٣٨] وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ
الْغَلِيُّ﴾، وكان بينهما أربعون سنة.

﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فعل
بفرعون حين كذب وعصى،
﴿لِغَيْبَةٍ﴾، عظة، ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾، الله
عز وجل.

﴿ثُمَّ خَاطَبَ مُنْكَرِي الْبَعثِ﴾
فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُنذِرُونَ نَفْسَكُمْ أَن تَكْفُرُوا﴾،
يعني أخلقكم بعد الموت أشد عنكم
وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في
قدرة الله واحد، كقوله: ﴿لَخَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ثم وصف
من خلق السماء فقال: ﴿بَنِيهَا﴾.

﴿زَجَّ سَكَمًا﴾، سقنها
﴿سَوَّيَهَا﴾، بلا شقوق بلا شطور ولا
فطور.

﴿وَأَغْطَسَ﴾، أظلم، ﴿بِئْتَمَّهَا﴾،
والغطش والغبش الظلمة، ﴿وَأَخْرَجَ
شُعْبَهَا﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها،
وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة
والنور كلاهما ينزل من السماء.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بسعد
خلق السماء، ﴿دَحَاهَا﴾، بسطها،
والدحو: البسط. قال ابن عباس:
خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن
يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى
السماء فسواهن سبع سموات، ثم
دحا الأرض بعد ذلك. وقيل:
معناه: إذ الأرض مع ذلك دحاهها،
كقوله عز وجل: ﴿عَتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ
زَيْبِرٌ﴾ [القلم: ١٢] أي مع ذلك.

﴿أَخْرَجَ بَيْنَهَا مَاءَهَا﴾
﴿وَرَحْمَتَهَا﴾ وَالْبَيَّاتُ أَرْضَهَا ﴿مِنَّا لَكُرُ
وَلَأَنْشِدُكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى،
يعني النفخة الثانية التي فيها البعث
وقامت القيامة، وسميت القيامة
«طامة» لأنها تطم على كل هائلة من
الأمور، فتعلو فوقها وتغمر ما
سواها، والطامة عند العرب: الداهية
التي لا استطاع.

﴿يَوْمَ يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾،
ما عمل في الدنيا من خير وشر.

﴿وَوَرِثَ الْجَحِيمَ لِمَنْ بَرَى﴾،
قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر
إليها الخلق.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾، في كفره.

﴿وَوَارَثَ كَلِيمًا دَلِيلًا﴾، على
الآخرة.

﴿وَإِنَّ الْبَلِيمَ مِنَ الْمَأْمُونِ﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْفُتُونِ، عن المحارم التي تشتهيها،
قال مقاتل: هو الرجل يهجم بالمعصية
فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

﴿وَإِنَّ الْكَلِيمَةَ هِيَ الْمَأْمُونِ﴾
يَتَذَكَّرُ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمًا، متى
ظهورها وثبوتها.

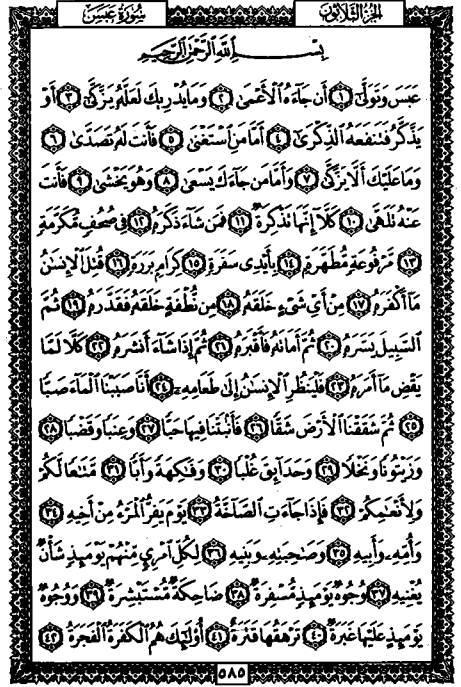
﴿يَوْمَ أَتَى مِنَ الذِّكْرِهَا﴾، لست
في شيء من علمها وذكرها، أي لا
تعلمها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مُنْتَهَبًا﴾، أي انتهى
علمها عند الله.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مِمَّنْ يَتَذَكَّرُ﴾،
قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أي إنما
أنت مخوف من يخاف قيامها، أي
إنما ينفع إنذارك من يخافها.

﴿كَاذِبًا﴾، يعني كفار قريش،
﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿لَوْ
يَسْتَوُونَ﴾، في الدنيا، وقيل: في
قبورهم، ﴿عِشْيَةً أَوْ شَحْمًا﴾، قال
الفراء: ليس للعشبة ضحى، إنما
الضحى اسم لصدر النهار، ولكن هذا
ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: أتيتك
العشبة أو غداتها، إنما معناه آخر يوم
أو أوله، نظيره قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ مَا
يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَمِزُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾
[الأحقاف: ٣٥].





رسول الله ﷺ لقطعه
كلامه، وقال في نفسه:
يقول هؤلاء الصناديد:
إنما أتباعه العميان والعميد
والسفلة، فعبس وجهه
وأعرض عنه. وأقبل على
القوم الذين يكلمهم
فأنزل الله هذه الآية، فكان
رسول الله ﷺ بعد ذلك
يكرمه، وإذا رآه قال:
مرحباً بمن عاتبني فيه
ربي، ويقول له: هل لك
من حاجة؟ واستخلفه على
المدينة مرتين في غزوتين
غزاهما رسول الله ﷺ.

قال أنس بن مالك:
فرايته يوم القادسية عليه درع ومعه
راية سوداء.

﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّم يَزُكُّ﴾، يتطهر
من الذنوب بالعمل الصالح وما
يتعلمه منك، وقال ابن زيد: يسلم.
﴿أَوْ يَذُكُّ﴾، يتعظ، ﴿فَنَنْتَعِمُهُ
الذُّكْرَى﴾، الموعظة قرأ عاصم
(فتنفعه) بنصب العين على جواب
«لعل» بالفاء، وقراءة العامة بالرفع
نسقاً على قوله: ﴿يَذُكُّ﴾.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَنَقَ﴾، قال ابن
عباس عن الله وعن الإيمان بما له
من المال.

﴿فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ﴾، تتعرض له
وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه، قرأ
أهل الحجاز «تصدى» بتشديد
الصاد، أي تصدى، وقرأ الآخرون
بتخفيف الصاد على الحذف.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكُّ﴾، أن لا

يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا
البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعًا﴾، يمشي
يعني: ابن أم مكتوم.

﴿وَهُوَ يَخْتَصِمُ﴾، الله عز وجل.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾، تتشاغل
وتعرض عنه.

﴿كَلَّا﴾، زجر أي لا تفعل
بعدها مثلها، ﴿إِنَّمَا﴾، يعني هذه
الموعظة. وقال مقاتل: آيات
القرآن. ﴿نَذْرَةً﴾، موعظة وتذكير
للخلق.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾، من عباد الله
﴿ذَكَرْهُ﴾، أي اتعظ به. وقال مقاتل:

فمن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ
بمشيئته وتفهمه، والهاء في ﴿ذكره﴾
راجعة إلى القرآن والتنزيل والوعظ.
ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

﴿فِي صُحُفٍ تُكَذِّبُ﴾، يعني
اللوح المحفوظ. وقيل: كتب
الأنبياء عليهم السلام، دليله قوله
تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنَبِيٍّ أُلْحِيفُ
الْأُولَى﴾ ﴿صُحُفٍ إِزْرَاهِمَ وَوُثُنَ﴾
[الأعلى: ١٨ و ١٩].

﴿فَرُوعًا﴾، ربيعة القدر
عند الله عز وجل. وقيل: مرفوعة
يعني في السماء السابعة. ﴿نُطَهَّرَهُمْ﴾،
لا يمسها إلا المطهرون، وهم
الملائكة.

﴿وَأَيُّى سَفَرًا﴾، قال ابن
عباس ومجاهد: كتبه، وهم الملائكة
الكرام الكاتبون، واحدهم سافر،
يقال: سرفت أي كتبت. ومنه قيل
للكتاب: سفر وجمعه أسفار. وقال

سورة عبس

مكية [وهي اثنتان وأربعون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿عَبَسَ﴾، كلس، ﴿وَنَوَى﴾،
أعرض بوجهه.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْيُنُ﴾، وهو ابن
أم مكتوم واسمه عبدالله بن
شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من
بني عامر بن لؤي.

وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ،
وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا
جهل بن هشام، والعباس بن
عبدالمطلب وأبي بن خلف، وأخاه
أمية يدعوهم إلى الله، يرجو
إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا
رسول الله أقرئني وعلمني مما
علمك الله، فجعل يناديه ويكرر
النداء، ولا يدري أنه مقبل على غيره
حتى ظهرت الكراهية في وجه

الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم.

﴿١٦﴾ ثم أثنى عليهم فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أي كرام على الله، بررة مطيعين، جمع بار.

﴿١٧﴾ قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْإِنْسَانُ﴾، أي لعن الكافر.

قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب ﴿أَكْفَرُ﴾، ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب، قال الزجاج: معناه اعجبوا أنتم من كفره. قال الكلبي ومقاتل: هو ﴿ما﴾ الاستفهام، يعني أي شيء حمله على الكفر؟ ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

﴿١٨﴾ فقال: ﴿مِنْ أَيْ قَوْمٍ خَلَقْتَهُ﴾، لفظه استفهام ومعناه التقرير.

﴿١٩﴾ ثم فسره فقال: ﴿مِنْ قَوْمٍ خَلَقَهُ قَدَرٌ﴾، أطواراً: نطفة ثم علقه إلى آخر خلقه. قال الكلبي: قدر خلقه رأسه وعينه ويديه ورجليه.

﴿٢٠﴾ ﴿وَمَنْ السَّبِيلِ يَسَّرَهُ﴾، أي طريق خروجه من بطن أمه. قاله السدي ومقاتل، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به، كما قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] ﴿وَوَقَدَيْنَهُ الْجَنَابِينَ﴾ [البلد: ١٠]، وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه.

﴿٢١﴾ ﴿مِمَّ آتَاهُ مَقَدَرَهُ﴾، جعل له قبراً يوارى فيه. قال الفراء: جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقي كالسباع والطيور. يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله أي صيره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر، كما يقال: طردت فلاناً والله أطرده أي صيره طريداً.

﴿٢٢﴾ ﴿مِمَّ إِذَا سَأَلَ أَشْفَرَهُ﴾، أحياء بعد موته.

﴿٢٣﴾ ﴿وَمَا أَكَلَهُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ وَيظن هذا الكافر، وقال الحسن: حقاً. ﴿لَنَا يَفِضُ مَا أَمْرُهُ﴾، أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر.

﴿٢٤﴾ فقال: ﴿فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، كيف قدره ربه [ودبر له] وجعله سبباً لحياته. وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

﴿٢٥﴾ ثم بين فقال: ﴿أَنَا﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿أنا﴾ بالفتح على تكرير الخافض، مجازة فلينظر إلى أنا، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف. ﴿مَبِينًا لِّلَّهِ مَبِينًا﴾، يعني المطر.

﴿٢٦﴾ ﴿مِمَّ سَقَتْنَا الْاَرْضَ سَقَاتًا﴾، بالنبات.

﴿٢٧﴾ ﴿فَالْيَأْنَىٰ فَيَا حَا﴾، يعني الحبوب التي يتغذى بها.

﴿٢٨﴾ ﴿رَبْعًا وَفَقْبًا﴾، وهو القث

الرطب، سمي بذلك لأن يقضب في كل الأيام أي يقطع. وقال الحسن: القضب العلف للدواب.

﴿٢٩﴾ ﴿وَرَزَوَاتًا﴾، وهو ما يعصر منه الزيت، ﴿وَمَقَاتِلًا﴾، جمع نخلة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَمَدَائِنَ غُلْبًا﴾، غلاظ الأشجار واحداً أغلب، ومنه قيل: الغليظ الرقبة أغلب. وقال مجاهد ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض، قال ابن عباس: طوالاً.

﴿وَوَكَيْهَةً﴾، يريد ألوان الفواكه، ﴿وَأَبًا﴾، يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب. قال عكرمة: «الفاكهة» ما يأكله الناس، والأب ما يأكله الدواب.

ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم والأب لأنعامكم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام.

﴿٣١﴾ وروي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: ﴿وَوَكَيْهَةً وَأَبًا﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وروي ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب؟ ثم رفع عصاً كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه.

سورة التكوير

مكية [وهي تسع وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل السرخسي إملاءً، أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا إبراهيم بن خالد، ثنا عبدالله بن ببحير القاضي، قال: سمعت عبدالرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾».

① قوله عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قال علي بن أبي طلحة [عن ابن عباس]: أظلمت، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: ذهب ضوءها. وقال سعيد بن جبير: غُزرت. وقال مجاهد: اضمحلت. وقال الزجاج: لفت كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً إذا لفتها، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها. قال ابن عباس: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]

إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله، أنا عبدالله بن عبدالرحمن، ثنا محمد بن عبدالعزيز، ثنا ابن أبي أويس، ثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاةً عراةً غرلاً، قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان» فقلت: يا رسول الله، واسواته ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه».

② ﴿يَوْمَ يُؤْمَدُ الشُّعْرَةُ﴾، مشرقة مضببة.

③ ﴿مَلْجَأَكُمُ﴾، بالسرور ﴿مُسْتَشِيرَةً﴾، فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل.

④ ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَدُ عَلَيْهَا فُؤْرَةٌ﴾، سواد وكأبة مما يشاهدونه من الغم والهم.

⑤ ﴿وَتَقَطَّأَ قَرَّةٌ﴾، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف. قال ابن عباس: تغشاها ذلة. قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة: أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.

⑥ ﴿أُولَئِكَ﴾، الذين يصنع بهم هذا، ﴿مُؤَمَّرَةً الْفَعْرَةَ﴾، جمع الكافر والفاجر.



سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ وَجِلَتْ ⑦ وَإِذَا الْبُحُورُ دُمِّيَّتْ ⑧ وَإِذَا لَدُنَّ بُرُوجُهَا أَسْفَلٌ مُنِيَّتْ ⑨ وَإِذَا الْبُحُورُ مُدَّتْ ⑩ وَإِذَا أُلْمُتْ ⑪ وَإِذَا الْأَنْهَارُ كُفِّتْ ⑫ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ⑬ فَلَآ أُقِيمُ لِلنَّاسِ ⑭ الْجُورُ الْكَبِيرُ ⑮ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ⑯ وَالضُّحَىٰ إِذَا انْقَسَ ⑰ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑱ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑲ مُطَّلِعٍ ⑳ تَمَّ الْاُمِينِ ㉑ وَمَا صَاحِبُ كَرِيمٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْاَلْبِينِ ㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ مُضِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉕ فَأَنْ تَذَكَّرُونَ ㉖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉗ لَمَّا نَسَتْ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَوْفِي ㉘ وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ㉙

سورة الانفطار

① ﴿تَمَّ الْاُمِينِ﴾، متناً لكم يعني الفاكهة، ﴿وَالْاُمِينِ﴾، يعني العشب. ثم ذكر القيامة فقال: ﴿إِذَا جَاءَتِ السَّكَنَةُ﴾، يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تنصخ الأسماع، أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمها.

② ﴿يَوْمَ يَرَى الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُدْبُهَا دُيُوبٌ﴾، لا يلتفت إلى أحد منهم لشغله بنفسه، حكى عن قتادة قال في هذه الآية: يفر المرء من أخيه، قال: يفر هابيل من قابيل، ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبتة ونوح عليه السلام من ابنه.

③ ﴿لِكُلِّ أُمَّيٍ يَنْتَهَىٰ يَوْمَئِذٍ شَأْؤُهُ﴾، يشغله عن شأن غيره.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن

المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، ثنا عبدالعزيز بن المختار، ثنا عبدالله الدنانج حدثني أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة».

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، على وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً.

﴿وَإِذَا الْمَسَارُّ عُدِّلَتْ﴾، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدها عسراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب، عُدِّلَتْ تركت هملأً بلا راع أهملها أهلها، وكانوا لازمين لأذنانها، ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها، لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، يعني دواب البر، حُشِرَتْ، جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حشرها موتها. وقال: حشر كل شيء الموت، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. وقال أبي بن كعب: اختلطت.

﴿وَإِذَا الْيَحَاذُ سُيِّرَتْ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، قال ابن عباس:

أوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح، فصارت البحور كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي: ملئت، وهذا أيضاً معناه: ﴿وَالْبَحْرُ الْكَلْبُورُ﴾ [الطور: ٦]، والمسجور: المملوء، وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: بيست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس [فيينا هم كذلك إذ تناثرت النجوم] فيينا هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحش والسياع، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، واختلطت، ﴿وَإِذَا الْمَسَارُّ عُدِّلَتْ﴾، ﴿وَإِذَا الْيَحَاذُ سُيِّرَتْ﴾، قال: قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، قال: فيينا هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فيينا هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم. وعن ابن عباس أيضاً قال: هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وهي ما ذكره بقوله عز وجل:

روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويعرف بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وهذا قول عكرمة، وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، قال الربيع بن خثيم: يحشر الرجل مع صاحب عمله. وقيل: زوجت النفوس بأعمالها. وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالبحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّتَتْ﴾، وهي الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما ي طرح عليها من التراب فيؤدها، أي يقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة، يقال: وأد يتأدو وأداً، فهو وائد والمفعول مؤودة، روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

﴿وَإِذَا ذُنُوبُهُ قُنِيتْ﴾، قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما، وأبو جعفر يقرأ: «قتلت» بالتشديد، ومعناه تسأل المؤودة، فيقال لها

صاح صيحة بشمود فأصبحوا جائمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾، في المنزلة.

﴿١١﴾ ﴿مُطَاعٌ نِّمٌ﴾، أي فسي السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحو أبواب السموات ليلة المعراج، بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، ﴿أَمِينٌ﴾، على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿بِالْأَفُقِ الْكَلْبِيِّ﴾، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق، قاله مجاهد وقادة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي، أخبرني ابن فنجويه، ثنا محمد بن جعفر، ثنا الحسن بن عليوة، ثنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر، أنا ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ﴿إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء﴾، قال: لن

مجاريتها. وقال قوم: هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس في مجراها أي ترجع وراءها وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الأطباء في مغارها. وقال ابن زيد: معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى.

وروي الأعمش عن إبراهيم عن عبدالله أنها هي الوحش، وقال سعيد بن جبير: هي الظباء. وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس أن تأوى إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش.

﴿١٤﴾ ﴿وَأَتَّبِعْ إِذَا سَمَعَسَ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون أدبر. تقول العرب: عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

﴿١٥﴾ ﴿وَأَضْحِجْ إِذَا تَنَسَّ﴾، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع.

﴿١٦﴾ ﴿إِنَّهُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يعني جبريل، أي نزل به جبريل عن الله تعالى.

﴿١٧﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفضه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومعنى سؤالها توييح قاتلها لأنها تقول: قتلت بغير ذنب. وروي أن جابر بن زيد كان يقرأ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُلِّتِ﴾ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومثله قرأ أبو الضحى.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِذَا الضُّفَى شُرَّتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب ﴿نشرت﴾ بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، لقوله: ﴿يُؤَقِّ سُحُفًا مُنْتَشِرَةً﴾ [المذثر: ٥٢]، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

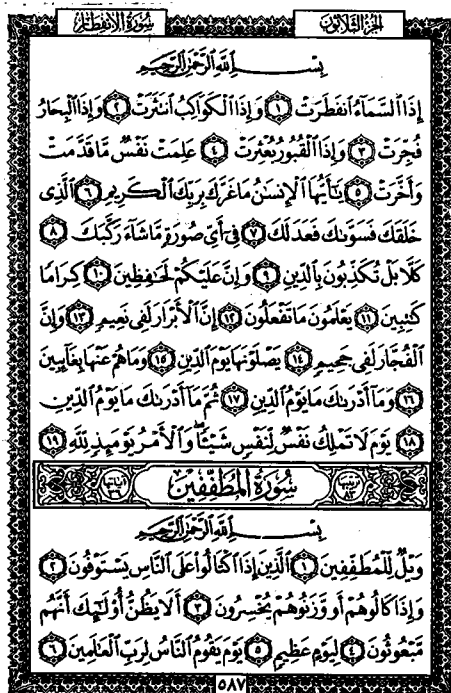
﴿١٩﴾ ﴿وَإِذَا أَنفَاء كُشِفَتْ﴾، قال الفراء: نزعت فطويت. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. وقال مقاتل: تكشف عمن فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

﴿٢٠﴾ ﴿وَإِذَا الْجَبِيمُ سُورَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام، وحفص عن عاصم ﴿سعرت﴾ بالتشديد، وقرأ الباقر بالتخفيف أي: أوقدت لأعداء الله.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾، قربت لأولياء الله.

﴿٢٢﴾ ﴿عَلِمَتْ﴾، عند ذلك ﴿تَنَسَّ﴾ أي كل نفس ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: ﴿إِذَا أَكْتَمَسُ كُوْرَتٌ﴾ وما بعدها.

﴿٢٣﴾ - ﴿١١﴾ قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْقِسْ﴾. ﴿لِجَارِ الْكَلْبِيِّ﴾، ولا زائدة معنا أقسم بالخنس، قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى. وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس بالليل فتأوي إلى



٥٦ ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿يَقُولُ سَيُظَنُّوَنَجِيرٍ﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

٥٧ ﴿فَإِنَّ تَذَهَبِينَ﴾، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان؟ قال الزجاج: أي طريق تسلكون آيين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

٥٨ ثم بين فقال: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، أي ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْمَنِينِ﴾، موعظة للخلق أجمعين.

٥٩ ﴿لَمَنْ شَاءَ يَنْكَمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾، أي يتبع الحق ويقيم عليه.

٦٠ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الَّذِينَ﴾، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرتون على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرأ إلا بخذلانه.

سورة الانفطار

مكية [وهي تسع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، انشقت.

٢ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَرَتْ﴾، تساقطت.

٣ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ فَجُورَتْ﴾، فجر

تقوى على ذلك، قال: بلى، قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: بالأبطح، قال: لا يسعني، قال: فههنا، قال: لا يسعني، قال: فبعرفات، قال: ذلك بالحري أن يسعني فواعده، فخرج النبي ﷺ في الوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ كبر وخر مغشيا عليه. قال: فتحول جبريل في صورته فضمه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف فكيف لك لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاء أحيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور، حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته.

٦١ ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني محمدا ﷺ، ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصص، ﴿بَصِيْرِينَ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالطاء أي بمتهم، يقال: فلان يظن بمال ويزن أي يتهم به والظنة التهمة، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخل، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا، تقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون أضن به ضنا وضننا فانا به ضنين أي ببخل.

بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح، فصارت بحرا واحدا. وقال الربيع: فجرت فاضت.

١ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِظِرَتْ﴾، بحثت وقلب ترابها وبعث ما فيها من الموتى أحياء، يقال: بعشرت الحوض وبعشرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه.

٢ ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قيل ما قدمت من عمل صالح أو سيئ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات، على ما ذكرنا في قوله: ﴿يَوْمَ الْإِنْسَانُ يَوْمَهُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

٣ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ﴾، ما خدعك وسئول لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟ قال

عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله عز وجل، فأنزل الله هذه الآية يقول: ما الذي غرك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلاً بكفرك.

قال قتادة: غره عدوه المسلط عليه يعني الشيطان. قال مقاتل: غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره. وقال السدي: غره رفق الله به.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة.

فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: يا فضيل ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال:

أقول غرني ستورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه فقال: ما غرك بي؟ قلت: غرني بك برك بي سالفاً وآتفاً. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرني بك كرم الكريم. قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لفته الإجابة حتى يقول: غرني كرم الكريم.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿فعدلك﴾ بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسناً وقبيحاً وطويلاً وقصيراً. وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ

رَبِّكَ﴾، قال مجاهد والكلبي ومقاتل: في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم.

وجاء في الحديث: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾»، وذكر الفراء قولاً آخر ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابة، أو حيوان آخر.

﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ﴾، قرأ أبو جعفر بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰكُمْ حَافِظِينَ﴾، ﴿بِالَّذِينَ﴾، بالجزاء والحساب.

﴿وَلَا عَلَىٰكُمْ حَافِظِينَ﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿كِرَامًا﴾ على الله، ﴿كَبِيرِينَ﴾، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾، من خير أو شر.

﴿قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الأبرار الذين برؤا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتنب معاصيه.

﴿وَلَا الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المزني: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله؟ فقال: فأين أجده في كتاب الله؟ فقال عند قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿وَلَا الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. قال سليمان فأين

رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَهَا﴾، يدخلونها، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم القيامة.

﴿وَمَا تُمْ عَنَّا بِقَائِينَ﴾.

﴿ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾، كسر تفخيماً لسانه.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ فقال: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا

يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ﴾، قرأ أهل الكوفة والبصرة «يَوْم» برفع الميم رداً على اليوم الأول، وقرأ الآخرون بنصبها أي في «يوم» يعني هذه الأشياء في يوم لا تملك. ﴿تَنْقَسُ لَيَقِينَ سَيِّئًا﴾، وقال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة، ﴿وَالْأَمْرُ يُؤَمَّرُ لِلَّهِ﴾، أي يوم لا يملك الله في ذلك أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا.

سورة المطففين

[مدنية] [وهي ست وثلاثون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، يعني

الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس. قال الزجاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد

﴿لَا إِذْ كُتِبَ الْعُجْبُ﴾ لَفِي سَبْعِينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَبْعِينَ ﴿٨﴾ كُتِبَ ﴿٩﴾ تَرْوَمُ ﴿١٠﴾ وَقَالَ يَوْمَئِذٍ لِلَّذِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَئِذٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَذَّبُوا بِبُيُوتِهِمْ ﴿١٣﴾ إِذْ أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْبُرْجَانَ فَكَانَ الْبُرْجَانُ ﴿١٤﴾ الْأَرْضَ ﴿١٥﴾ كَلَّابِلَ رَانَ عَلَّافِيهِمْ ﴿١٦﴾ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّابِلَهُمْ ﴿١٨﴾ عَنِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمْ حَسْرُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ رَأَيْتَهُمْ ﴿٢٠﴾ هَذَا الَّذِي كُفُّوا يَوْمَئِذٍ كَفَرُوا ﴿٢١﴾ كَلَّابِلَ رَانَ عَلَّافِيهِمْ ﴿٢٢﴾ تَرَوُّهُمُ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَابِلُونَ ﴿٢٤﴾ كُتِبَ تَرْوَمُ ﴿٢٥﴾ يَنْتَهَى اللَّهُ لَقُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَلَى الْأَبْرَارِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٨﴾ تَعْرِفُ فِي ﴿٢٩﴾ وَجُوهِهِمْ نَضْرَةٌ النَّعِيمِ ﴿٣٠﴾ يَسْعَوْنَ مِنْ رَحْمَةِ مَخْتُومٍ ﴿٣١﴾ خَتْمُهُمْ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَبَّهْ الَّذِينَ الْمُنْفِقِينَ ﴿٣٢﴾ وَرِجَالُهُمْ ﴿٣٣﴾ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٤﴾ عَيْنَا تَسْرِبُهَا الْمَعْرِفُونَ ﴿٣٥﴾ إِذَا الَّذِينَ ﴿٣٦﴾ لَجَرُوا كَأْوَابُنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا أَمْرًا لِيَوْمٍ ﴿٣٨﴾ يَنْقَازُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ ﴿٤٢﴾ حَافِظِينَ ﴿٤٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٤﴾

(كالوا أو وزنوا) بالألف كسائر الأفعال مثل جاؤوا وقالوا: واتفقت المصاحف على إسقاط الألف، ولأنه يقال في اللغة: كلت لك ووزنت كما يقال كلت لك ووزنت لك. وقوله: «يخسرون» أي ينقصون، قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله أوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾

المخلدي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، ثنا عبدالرحمن بن بشر، ثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ فأحسنوا الكيل.

وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية، فإله تعالى جعل الويل للمطففين.

﴿١﴾ ثم بين أن المطففين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، وأراد إذا اکتالوا من الناس أي أخذوا منهم، و(من)، و(على) يتعاقبان. قال الزجاج: المعنى إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وأراد الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن.

﴿٢﴾ ﴿وَأَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس، يقال: وزنتك حقه وكلت لك طعامك، أي وزنت لك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وكسبتك وكسبت لك. قال أبو عبيدة وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على «كالوا ووزنوا» ويتبدئ «هم يخسرون» قال أبو عبيدة: والاختيار الأول، يعني أن كل واحدة كلمة واحدة، لأنهم كتبوهما بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكتب:

الكسائي، ثنا عبدالله بن محمود، ثنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال: حدثني سليم بن عامر، حدثني المنقذ صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين»، قال سليم: لا أدري أي الميلين يعني مسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين، قال: «فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حنقه، ومنهم من يلجمه إجماماً» فأريت رسول الله ﷺ وهو يشير بيده إلى فيه يقول: «الجمه إجماماً» ﴿٧﴾ قوله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾،

يستقن، «أولئك»، الذين يفعلون ذلك، ﴿أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ﴾ يَوْمَ عَظِيمٍ، يعني يوم القيامة.

﴿١﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، من قبورهم، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لأمره ولجزائه ولحسابه.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن المنذر، أنا معن حدثني مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف آذنيه».

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، ثنا محمد بن يعقوب

ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتام الكلام ههنا، وقال الحسن: «كلا» ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾، قال عبدالله بن عمر، وقاتدة، ومجاهد، والضحاك: ﴿سِجِّينَ﴾ هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن فنجويه: ثنا موسى بن محمد، ثنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، ثنا المسيب، ثنا الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «سجين» أسفل سبع أرضين، و«عليون» في السماء السابعة تحت العرش.

وقال شمرة بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾، إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبل فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم، ويوضع تحت جند إبليس، لمعرفة الهلاك بحساب يوم القيامة.

وليه ذهب سعيد بن جبير، قال: سجين تحت جند إبليس. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته، وقال الكلبي:

هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، وخضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها. وروى ابن أبي نجيج عن مجاهد أيضاً قال: سجين صخرة تحت الأرض السفلى، تغلب، فيجعل كتاب الفجار فيها. وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس.

وجاء في الحديث: «الفلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح».

وقال عكرمة: ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فعيل من السجن، كما يقال: فسيق وشريب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سِحِّينَ﴾، قال الزجاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿كِتَابَ مَرْقُومٍ﴾، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: إن كتاب الفجار أي هو كتاب الفجار مرقوم أي هو كتاب مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به. وقال قتادة ومقاتل: رقم عليه بشركائه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر. وقيل: مختوم بلغة حمير.

﴿وَلَمْ يَمِدْ إِلَى الْكُذِبِ﴾ - ﴿أَلَيْسَ بِكُذُوبٍ يَوْمَ الَّذِينَ يَدْعُوكَ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ إذا نزل عليه آياتنا قال أسطير الأثمين.

﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي، ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أنا إبراهيم بن حزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبدالله بن حميد الكشي، ثنا صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان، عن الققعاق بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وأصل «الرين» الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين ريناً وريوناً إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْمُورُونَ﴾، قال ابن عباس: كلا يريد لا يصدقون، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْمُورُونَ﴾، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكهم. وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته. قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا. قال الحسين بن الفضل كما حجبتهم في الدنيا عن

توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وسئل مالك عن هذه الآية فقال: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأولياته حتى رآوه. وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾: دلالة على أن أولياء الله يرون الله عياناً، ثم أخير أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾،
لدخلوا النار.

﴿ثُمَّ يُعَالَى﴾، أي تقول لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكَذَّبُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه، ثم بين محمل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَبِئْسَ عِلَلِيَّ﴾.

روينا عن البراء مرفوعاً: «أن عليين في السماء السابعة تحت العرش». وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال [عطاء عن] ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون. وقال الفراء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾
﴿ثُمَّ تَرْوَاهُ﴾، ليس هذا بتفسير عليين، أي مكتوب أعمالهم، كما

ذكرنا في كتاب الفجار، وقيل: كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول مقاتل، وقيل: رقم لهم يخبر وتقدير الآية على التقديم والتأخير، مجازها: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم في عليين، وهو محل الملائكة، ومثله إن كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿يَهْتَدُ الْقُرُونُ﴾، يعني الملائكة الذين في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، وذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَلْبِئْسَ نَسِيبٌ﴾
﴿عَلَى الْأَعْيُنِ يَنْظُرُونَ﴾، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّاسِ﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض، قال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب، وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿تعرف﴾ بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل ﴿نضرة﴾ رفع، وقرأ الباقر بفتح التاء وكسر الراء ﴿نضرة﴾ نصب.

﴿يَسْتَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي﴾، خمر صافية طيبة قال مقاتل: الخمر البيضاء. ﴿مَخْتَوِينَ﴾، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، قال مجاهد: ﴿مَخْتَوِينَ﴾ أي مطين.

﴿خَتَمُهُ﴾، أي طينته، ﴿مِسْكَ﴾، كأنه ذهب إلى هذا

المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين. [وقال] ابن مسعود: مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه، وعاقبته مسك، فالمختوم الذي له ختام، أي آخر وختم كل شيء الفراغ منه. وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك. وقراءة العامة ﴿خَتَمُهُ مِسْكَ﴾ بتقديم التاء، وقرأ الكسائي ﴿خاتمه﴾ وهي قراءة علي وعلقمة ومعناها واحد كما يقال: فلان كريم الطابع والطابع والخاتم والختام آخر كل شيء. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَبَّأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل. وقال مجاهد: فليعمل العاملون، نظيره قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ لِقَوْمٍ كَذَبُوا﴾، قال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون. وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريد كل أحد لنفسه ويفس به على غيره، أي يظن.

﴿وَرَوَّابَهُمْ مِنْ تَنْبِيئِي﴾، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وقيل: يجري في الهواء متسماً فينصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة، وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير. قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب. قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمقربين يشربونها صرفاً ويمزج

اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالِئِمَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِن الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ .

﴿٢٥﴾ هل الأذآيك ، من الدر والياقوت ، ينظرون ، إليهم في النار .

﴿٢٦﴾ قال الله تعالى: ﴿هل ثوب ، هل جوزي ، الكفار ما كانوا يتعلمون ، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هنا التقرير . ثوب وأثاب بمعنى واحد . * * *

سورة الانشقاق

مكية [وهي خمس وعشرون آية].

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿١﴾ إِذَا النّٰبَاةُ انشَقَّتْ ، انشقاقها

من علامات القيامة .

﴿٢﴾ وَأَذَّتْ رِبَّيَا ، أي سمعت

أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع ، وحققت ، أي وحق لها أن تطيع ربها .

﴿٣﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، مدّ

الأديم العكاظي، وزيد في سعتها . وقال مقاتل: سويت كمد الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل .

﴿٤﴾ وَأَلْقَتْ ، أخرجت ،

فيها ، من الموتى والكنوز ، غلَّتْ ، خلت منها .

﴿٥﴾ وَأَذَّتْ رِبَّيَا وَحَقَّتْ ،

واختلفوا في جواب ﴿إذا﴾ قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الشواب

المؤمنون بالكفار ، ﴿بِنفائرتهم﴾ ، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء .

﴿٢٦﴾ إِذَا انقلبوا ،

يعني الكفار ، ﴿إلآ أهلهم انقلبوا فكبهين﴾ ، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم .

﴿٢٧﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ ،

رأوا أصحاب النبي ﷺ ، ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ ، يأتون محمداً ﷺ يرون أنهم على شيء .

﴿٢٨﴾ وَمَا أُرْسِلُوا ،

يعني المشركين ، ﴿عليهم﴾ ، يعني على المؤمنين ، ﴿حفيظين﴾ ، أعمالهم أي لم يוכלوا بحفظ أعمالهم .

﴿٢٩﴾ قَالِئِمَّ ، يعني في الآخرة ، ﴿الذين ءَامَنُوا بِن الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ،

قال أبو صالح وذلك أنه يفتح للكفار وهم في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يفعل بهم ذلك مراراً والمؤمنون يضحكون .

وقال كعب: بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له، كان في الدنيا، اطلع عليه من تلك الكوى، كما قال: ﴿طأطأ قرآه في سؤآه الجحيم﴾ [الصافات: ٥٥]، فإذا

سورة الانشقاق

عَلَى الْأَرْضِ بِنظُرٍ ﴿١﴾ هَلْ ثُوِبَ الْكَاذِرُ مَا كَانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ ﴿٣٦﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِذَا النّٰبَاةُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذَّتْ رِبَّيَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذَّتْ رِبَّيَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ بِأَيْهَا الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَأَجْحِ الْرَبِّكَ كَمَا صَافَلْتَنِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتِبِي سَبِيهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ نَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقَلِبُ إِلَيْكَ أَهْلَهُ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتِبِي وَرَأَى ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلُ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّكَ كَانَتْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَنْ يُحْمَرُوا ﴿١٤﴾ بَلْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِرُبِّي سِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشَفَقِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقِ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا انشَقَّ ﴿١٨﴾ لَتَرَكُنَّ بَطِيحًا عَن طَبَقِ قَالَهُمْ لَا يُؤْمِرُونَ ﴿١٩﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٢﴾ فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٤﴾

٥٨٩

لسائر أهل الجنة . وهو قوله: ﴿وَمَرَأَتُهُ بِن تَسْبِيحٍ﴾ .

﴿٢٨﴾ حِينَمَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُكْفُرُونَ ،

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿بِن تَسْبِيحٍ﴾ قال هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ، ﴿عيناً﴾ نصب على الحال ، ﴿يشرب بها﴾ أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفاً .

﴿٢٩﴾ قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ ، أشركوا يعني كفار قريش أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة ، ﴿كأثوا بِن الذين ءَامَنُوا﴾ عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين . ﴿يضحكون﴾ ، وبهم يستهزؤون . ﴿إِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ ، يعني مر

والعقاب. وقيل جوابه: ﴿تَأْتِيَا
الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَارِحٌ﴾، ومجازاه: إذا
السماء انشقت لقي كل كادح ما
عمله. وقيل: جوابه وأذنت، وحيث
تكون الرواؤ زائدة ومعنى قوله:
﴿كَادِحٌ إِنَّكَ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، أي ساع إليه
في عملك، والكدح: سعي الإنسان
وجهد في الأمر من الخير والشر
حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر.
وقال قتادة الكلبي والضحاك: عامل
لربك عملاً، ﴿مُتَلَقِّيهِ﴾، أي ملاقي
جزاء عمك خيراً كان أو شراً.
﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾،
ديوان أعماله، ﴿بِصِيْرَةٍ سَوَّافٍ يَحْسَبُ
حِسَابًا بَيْرًا﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد ابن
أبي مریم، أنا نافع، عن ابن عمر
حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج
النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا
تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه،
وإن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ
عُدْبٌ» قالت عائشة رضي الله عنها
فقلت: يا رسول الله أوليس
يقول الله عز وجل: ﴿سَوَّافٍ يَحْسَبُ
حِسَابًا بَيْرًا﴾؟ قالت فقال: «إنما ذلك
العرض، ولكن من نُوقِشَ في
الحساب يهلك».

﴿٩﴾ ﴿وَتَقَلَّبُ إِلَّا أَهْلِيهِ﴾، يعني في
الجنة من الحور العين والأدميات،
﴿مَسْرُورًا﴾، بما أوتي من الخير
والكرامة.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ رَوَّاهُ
ظَهْرِيهِ﴾، فتغل يده اليمنى إلى عنقه

وتجعل يده الشمال وراء ظهره،
فيؤتى كتابه بشماله من رواء ظهره.
وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من
وراء ظهره.

﴿١١﴾ ﴿سَوَّافٍ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، ينادي
بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا
ويلاه يا ثوراه، لقوله تعالى: ﴿عَوًّا
مُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿١٢﴾ ﴿وَتَضَلَّى سَوِيرًا﴾، قرأ أبو
جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة
﴿وتضلى﴾ بفتح الباء خفيفاً كقوله:
﴿يَضَلُّ النَّارُ الْكَبْرَى﴾ [الأعلى: ١٢]،
وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الصاد
وتشديد اللام لقوله: ﴿وَتَضَلَّى جَمِيمٌ﴾
[الواقعة: ٩٤]، ﴿مَرَّ لِلْجَمِّ سَوِيرًا﴾
[الحاقة: ٣١].

﴿١٣﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِيهِ مَسْرُورًا﴾،
يعني في الدنيا، باتباع هواه وركوب
شهوته.

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أن لن
يرجع إلينا ولن يبعث.

﴿١٥﴾ ثم قال: ﴿وَلَنْ﴾، أي ليس
كما ظن بل يحور إلينا ويبعث، ﴿إِنَّ
رَبَّهُ كَانَ يَرَىٰ بَصِيرًا﴾ من يوم خلقه إلى
أن بعثه.

﴿١٦﴾ قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ﴾، قال مجاهد: هو النهار
كله. وقال عكرمة: ما بقي من
النهار. وقال ابن عباس وأكثر
المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في
الأفق بعد غروب الشمس. وقال
قوم: هو البياض الذي يعقب تلك
الحمرة.

﴿١٧﴾ ﴿وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَّوْا﴾، أي
جمع وضم، يقال وسقت أسفه
وسقاً، أي جمعته، واستوسقت

الإبل إذا اجتمعت وانضمت،
والمعنى: والليل وما جمع وضم ما
كان بالنهار منتشراً من الدواب،
وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل
شيء إلى مأواه. روى منصور عن
مجاهد قال: ما لف وضم وأظلم
عليه. وقال مقاتل بن حيان: ما أقبل
من ظلمة أو كوكب. وقال سعيد بن
جبير. وما عمل فيه.

﴿١٨﴾ ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّ﴾، اجتمع
واستوى وتم نوره وهو في الأيام
البيضاء. وقال قتادة: استدار وهو
افتعل من الوسق الذي هو الجمع.

﴿١٩﴾ ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾، قرأ أهل مكة
وحمزة والكسائي ﴿لتركبن﴾ بفتح
الباء، يعني لتركبن يا محمد ﴿طَبَقًا
عَنْ طَبَقٍ﴾، قال الشعبي ومجاهد:
سما بعد سما. قال الكلبي: يعني
تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة
بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب
من الله تعالى والرفعة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد]
المليحي، أنا أحمد بن عبدالله
النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا
محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن
النضر، أنا هشيم، أنا أبو بشر عن
مجاهد قال قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ
طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، قال:
هذا نيكم ﷺ.

وقيل: أزد به السماء تتغير لوناً
بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة
كالمهل، فتتشق بالغمام مرة وتطوى
أخرى. وقرأ الآخرون بضم الباء لأن
المعنى بالناس أشبه، لأنه ذكر من

رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت، فسجد فقلت: ما هذا؟ قال سجدت بها خلف أبي القاسم عليه السلام، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

﴿بِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾،
بِالْقُرْآنِ وَالْبَيْتِ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾. في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتمون.

﴿فَبَيَّنَّاهُمْ يُعَدَّابِ الْيَوْمِ﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، غير مقطوع ولا منقوص.



سورة البروج

مكية وهي اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ - ﴿٢﴾ وَاللَّيْلُ الْوَعُودُ ﴿٣﴾، هو يوم القيامة.
﴿وَسَاهِبِ وَمَشْهُورِ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن موسى، عن عبيدة عن أيوب بن خالد، عن عبدالله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها

النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن عبدالعزیز، أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»

﴿قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، استفهام إنكار.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَجِدُّونَ﴾. قال الكلبي ومقاتل: لا يصلون.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة، ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في «اقرأ باسم ربك» وإذا السماء انشقت».

أخبرنا، عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا مسدد، أنا معمر قال: سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي



قبل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَ بَيْبِئَةٍ﴾، «وشماله» وذكر من بعد ﴿فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وأراد لتركين حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و«عن» بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيراً ومرة غنياً.

وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد وأهوال الموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ. وقال أبو عبيدة: لتركين سنن من كان قبلكم وأحوالهم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله

عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيز من شيء إلا أعاده منه».

وهذا قول ابن عباس والأكثرين: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. وروى عن ابن عمر: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وقال عبدالعزيز بن يحيى «الشاهد» محمد ﷺ، والمشهود الله عز وجل، بيانه قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. وقال عكرمة الشاهد: الإنسان والمشهود يوم القيامة. وعنه أيضاً: الشاهد الملك يشهد على ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وتلا: ﴿وَمَاتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَنَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، و﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقيل: الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم، وقال عطاء بن يسار: الشاهد آدم وذريته، والمشهود يوم القيامة. وروى الوالبي عن ابن عباس: الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة. وقال

الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم. بيانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال سالم بن عبدالله: سألت سعيد بن جبیر عن قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ﴾، فقال: الشاهد هو الله والمشهود نحن، بيانه: ﴿وَكُنْ بِأَلَلِ شَهِيدًا﴾ وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَيْنُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]. وقيل: الشاهد الأنبياء والمشهود محمد، بيانه قوله: ﴿وَرِزْقًا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، أي لعن، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد. واختلفوا فيه.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدالله بن سعدان الخطيب أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم، ثنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم البوشنجي، ثنا هدبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، ففقد إليه وسمع

كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر، فأخذ حجراً ثم قال اللهم: إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقلتها فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبصر الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما [ههنا] لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت أمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي عز وجل، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فنجى بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل كذا وتفعل

مكانها، وفي يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربي الله، فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه.

وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة، وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر، وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر ففكره ذلك الغلام ولم يجد بدأ من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت، فأعجبه ذلك، وذكر قريباً من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول لك، قال: فكيف أتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم الهي، ففعل الملك فقتله، فقال الناس: لا إله إلا الله إله عبدالله بن تامر لا دين إلا دينه، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخذ أخذوداً وملاء ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن قال: ديني دين عبدالله بن تامر ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاث أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت،

سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً فأتى الملك، فقيل له: أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخذت وأضرم بها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقومه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتعاسست أن تقع عليها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة.

وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه فخذ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، ثم غلب أرباط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً فاقتحم البحر بفرسه فغرق، قال الكلبي: وذو نواس قتل عبدالله بن التامر.

وقال محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر، أن خربة احترقت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أميظت يده عنها انبعثت دماً وإذا تركت ارتدت

كذا، قال: إنني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاخذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ

فألقي الثاني في النار، ثم قال لها: ارجعي، فأبت، فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهتت المرأة بالرجوع، فقال الصبي: يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق، ولا بأس عليك، فألقى الصبي في النار، وألقيت أمه على أثره.

وقال سعيد بن جبير وابن أبيزى: لما انهزم أهل إسفندهار قال عمر بن الخطاب: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت، وما المخرج منه قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، وتقول: إن الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته، فقام خطيباً فقال: إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات، فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا، أو نقرّ به، وما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرؤا فجرد فيهم السيف. فأبوا أن يقرؤا. فخذ لهم أخدوداً وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ولم يطعه قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله.

وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالاً ونساء فخذوا لهم أخدوداً ثم أوقدوا

فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: أتكفرون أم تقدفكم في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال أبو الطفيل عن علي رضي الله عنه: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي، بعث من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي رضي الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنهْر مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، الآية، فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم فقتل أصحابه فأخذوا وأوثق من أفلت منهم فخذوا أخدوداً فملؤوها ناراً فمن اتبع النبي رُمي فيها، ومن تابعهم تركوه، فجاؤوا بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت، فقال الصبي: يا أماه مري ولا تتافقي.

وقال عكرمة: كانوا من النبط أحرقوا بالنار.

وقال مقاتل: كانت الأخدود ثلاثة، واحدة بنجران باليمن، وواحدة بالشام، والأخرى بفارس. أما التي بالشام فهو أبطاموس الرومي، وأما التي بفارس فبختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فأما التي بالشام وفارس فلم يُنزل الله فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران، وذلك أن رجلاً مسلماً ممن يقرأ الإنجيل آجر نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام، فتابعه هو وسبعة

وثمانون إنساناً من بين رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخذ لهم في الأرض وأوقد فيها ناراً فعرضهم على الكفر، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه، وإن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت [حتى] ترجع فقال لها ابنها: يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفاً، فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنتها في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنساناً. فذلك قوله عز وجل: ﴿قِيلَ اصْنَبِ الْأَخْدُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

﴿إِذْ هَرَّ عَلَيَّا قُودٌ﴾، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود.

﴿وَقَوْمٌ﴾، يعني التملك وأصحابه الذين خذوا الأخدود، ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿شُهُودٌ﴾، حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون أن المؤمنين في ضلال حين تركوا عبادة الصنم.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كرهوا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، قال مقاتل ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيباً. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله، ﴿الْمَرْبِزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿الَّذِي لَمْ يَمَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِّنْ أَعْمَالِهِمْ﴾، ﴿شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا﴾، عذبوا وأحرقوا، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يقال: فتننت الشيء إذا أحرقته، نظيره: ﴿يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى النَّارِ نُنْتِنُونَ﴾، ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَنْتَرِهُمُ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾، بكفرهم، ﴿وَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

﴿ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَكُنْ جَنَّتْ تَحْتِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، يعني لقد قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. وقال قتادة: جوابه:

﴿إِنَّ يَكْفُرُ رَبُّكَ شَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله: ﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَزِيدٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِنَّ رَبَّهُ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ﴾، أي

يخلقهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾، لذنوب المؤمنين، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، المحب لهم، وقيل: معناه المودود، كالحلوب والركوب، بمعنى المحلوب والمركوب. وقيل: يغفر ويود أن يغفر، وقيل: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿المجيد﴾ بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة «ذو العرش».

﴿فَمَّا لَنَا بُرْدٌ﴾، لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع منه شيء طله.

﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بين من هم.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ فقال: ﴿يَوْمَ نَقُودُ﴾، بل الذين كفروا في تكذيب، من قومك يا محمد، ﴿فِي تَكْذِيبِ﴾، لك وللقرآن كدأب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

﴿وَاللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مُّحِيطٌ﴾، عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾، كريم

شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، قرأ نافع «محفوظ» بالرفع على نعت القرآن فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوحة المحفوظ، وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن فنجويه، أنا مخلد بن جعفر، ثنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعدته واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب وحافته الدر والياقوت ودفاته ياقوتة حمراء، وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك.

قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.



سورة الطارق

مكية [وهي سبع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ﴾ .

قال الكلبي: نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي ﷺ فاتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلا ماء ثم ناراً، ففرغ أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجم رُمي به وهو آية من آيات الله عز وجل»، فعجب أبو طالب، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ﴾ .

وهذا قسم، والطارق النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ .

﴿ ٢ ﴾ ثم فسره قال: ﴿ النَّجْمِ أَتَابُ ﴾، أي المضيء المنير، قال مجاهد: المتوهج، قال ابن زيد: أراد به الثريا، والعرب تسميه النجم. وقيل: هو زحل، سُمي بذلك لارتفاعه، [تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً]: قد ثقب.

﴿ ١ ﴾ ﴿ إِنَّ كُلُّ قَوْمٍ ﴾، جـواب القسم، ﴿ لَمَّا عَلَيَّا حَاطَ ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد يعنون ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون ﴿لَمَّا﴾ بمنزلة ﴿إِلَّا﴾ يقولون: نشدتك الله لما قمت، أي إلا قمت، وقرأ الآخرون بالتخفيف، جعلوا ﴿مَّا﴾ صلة، مجازة: إن كل نفس لعلها حافظ، وتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ

عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر. قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة. قال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم يخلي عنها.

﴿ ٥ ﴾ ﴿ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَمَّ حُفًى ﴾، أي فليفتكر من أي شيء خلقه ربه، أي فلينظر نظر المتفكر.

﴿ ٦ ﴾ ثم بين فقال: ﴿ حُفًى ﴾ من ثَلَو دَافِي، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهو

المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿ عَيْشِكُمْ رَاضِيَةً ﴾ [القارعة: ٧] والحاقة: [٢١]، والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

﴿ ٧ ﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشَّلْبِ وَالرَّأْبِ ﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر.

قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر. وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر: وقال ابن زيد: الصدر.

﴿ ٨ ﴾ ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجِيئٍ لَقَائِدٍ ﴾، قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر.

سورة الطارق

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ ﴿ النَّجْمِ أَتَابُ ﴾ ﴿ إِنَّ كُلَّ قَوْمٍ لَمَّا عَلَيَّا حَاطَ ﴾ ﴿ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَمَّ حُفًى ﴾ ﴿ حُفًى ﴾ ﴿ دَافِي ﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشَّلْبِ وَالرَّأْبِ ﴾ ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجِيئٍ لَقَائِدٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبَىٰ السَّرَائِرُ ﴾ ﴿ قَالَ لَمِنْ قَوْمٍ لَوْلَا نَاصِرٌ ﴾ ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ مَا يَبْحَثُ ﴾ ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْدِجِ ﴾ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾ ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا لَمْلَمٌ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ ﴿ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهم رَجِيئًا ﴾

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحْ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ﴿ الَّذِي خَلَقَ سُبْحَانَ ﴾ ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى ﴾ ﴿ وَالَّذِي أخرج الرِّجَمَ ﴾ ﴿ فَعَمَلُهُ غَشَاةٌ أَعْوَى ﴾ ﴿ سَقَرْتُكَ فَلَا تَسْ ﴾ ﴿ إِنْ أَمْسَاةُ اللَّهِ إِذْ مَعَهُ الْجَهَنَّمَ ﴾ ﴿ وَيَسْبُرُكَ لِلنَّاسِ ﴾ ﴿ فَذَكَرْ إِنْ نَعِمْتَ الْذِكْرَى ﴾ ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَارُ ﴾ ﴿ وَيَسْجُدُهَا الْأَشْقَى ﴾ ﴿ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُورَى ﴾ ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ ﴿ قَدْ أطلع من تَرَكِي ﴾ ﴿ وَذَكَرَ اسْمُ رَبِّهِ فَصَلَّ ﴾

٥١١

وقال مقاتل بن حيان: إن شئت رددته من الكبير إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة.

وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج.

وقال قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر. وهذا أولى الأقاويل.

﴿ ١ ﴾ لقوله: ﴿ يَوْمَ تَبَىٰ السَّرَائِرُ ﴾،

وذلك يوم القيامة تبلى السرائر، تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل: تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمت ولم يصم، وصليت ولم يصل، واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها.

سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، يعني

قل سبحان ربي الأعلى وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد، أنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن أبان، ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: «سبحان ربي الأعلى».

وقال قوم: معناه نزهه ريك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وجعلوا الاسم صلة، ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحداً إلا أن أحداً لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربنا، إنما يقولون: سبحان الله وسبحان ربنا، فكان معنى سبح اسم ريك الأعلى: سبح ريك. وقال آخرون: نزهه تسمية ريك بأن تذكره وأنت معظم ولذكرك محترم، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية.

وقال ابن عباس: سبح أي صل بأمر ريك الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَوَّى﴾، قال الكلبي: خلق كل ذي روح، فسوى اليبدين والرجلين والعينين. قال الزجاج: خلق الإنسان مستوياً، ومعنى سَوَّى: عدل قامته.

قال ابن عمر: يبدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

ثم ذكر قسماً آخر فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا نَارَ الْكَلْبِ﴾، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر. وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْتِ﴾، أي تتصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأهوار.

وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿فَمَوْلَى فَضْلٍ﴾، حق وجد يفضل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالْمَعزُولِ﴾، باللعب والباطل.

ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه.

﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا﴾، وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون.

﴿مَهْلِكِ الْكَافِرِينَ﴾، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عز وجل لهم، ﴿أَنَّهُمْ رَوَّيَا﴾، قليلاً ومعنى مهل وأمهل: انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف.



﴿الَّذِي قَدَّرَ فَهَنَّا﴾، قرأ الكسائي ﴿قَدَّرَ﴾ بتخفيف الدال، وشددها الآخرون، وهما بمعنى واحد.

وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر، والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها.

وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عزفها كيف يأتي الذكر الأثني.

وقيل: قدر الأرزاق وهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش.

وقيل: خلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

وقال السدي: قدر مدة الجنين في الحرم ثم هده للخروج من الرحم.

قال الواسطي: قدر السعادة والشقاوة عليهم، ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر عليه.

﴿الَّذِي أُنزَلَ نَحْرَ النَّعْمِ﴾، أنبت العشب وما ترعاه النعم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

﴿فَجَعَلَهُ﴾، بعد الخضرة، ﴿عُشْبَةً﴾، هشياً بالياً، كالغناء الذي تراه فوق السيل. ﴿أَحْوَى﴾، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلاً إذا جف ويس أسود.

﴿سَنقَرُكَ﴾، سنعلمك بقراءة جبريل عليك، ﴿لَا تَسْقُ إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾، أن تنساه، وما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال: ﴿مَا تَنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والإنساء نوع من النسخ.

وقال مجاهد والكلبي: كان



﴿ وَلَا يُخَيَّرُ ﴾، حياة تنفعه.

﴿ قَدْ أَلْفَحَ مِنْ ﴾

﴿ تَزَكَّى ﴾، تطهر من الشرك

وقال: لا إله إلا الله، هذا

قول عطاء وعكرمة،

ورواية الوالبي وسعيد بن

جبير عن ابن عباس.

وقال الحسن: من كان

عمله زاكياً. وقال

آخرون: هو صدقة الفطر،

روي عن أبي سعيد

الخدري في قوله: ﴿ قَدْ

أَلْفَحَ مِنْ تَزَكَّى ﴾ قال: أعطى

صدقة الفطر.

﴿ وَذَكَرَ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾، قال خرج إلى

العيد فصلى صلاته، وكان ابن

مسعود يقول: رحم الله امرأة تصدق

ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية.

وقال نافع: كان ابن عمر إذا

صلى الغداة يعني من يوم العيد قال:

يا نافع أخرجت الصدقة؟ فإن قلت:

نعم مضى إلى المصلى، وإن قلت لا

قال فالآن فأخرج فإنما نزلت هذه

الآية في هذا ﴿ قَدْ أَلْفَحَ مِنْ تَزَكَّى ﴾ وذكر

أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّى، وهو قول أبي العالية

وابن سيرين.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجه

هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكية،

ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قال الشيخ الإمام محيي السنة

رحمه الله: يجوز أن يكون النزول

سابقاً على الحكم كما قال: ﴿ وَأَنْتَ

رَبُّ يَسَّاءَ الْكَلْبِ ﴾ [البلد: ٢].

فالسورة مكية، وظهر أثر الحل

يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة

النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه

السلام لم يفرغ من آخر الآية حتى

يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة

أن ينساها، فأنزل الله: ﴿ سَتَرْتُكَ فَلَا

تَسْمَعُ ﴾، فلم ينس بعد ذلك شيئاً.

﴿ إِنَّهُ يَمْلِكُ الْجَهَنَّمَ ﴾، من القبول

والفعل، ﴿ وَمَا يَخْفَى ﴾، منهما،

والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية.

﴿ وَيُنِيرُكَ لِلْيَسْرَى ﴾، قال

مقاتل: نهون عليك عمل أهل

الجنة، وهو معنى قول ابن عباس:

نيسرك لأن تعمل خيراً، والبسرى

عمل الخير. وقيل: نوفقك للشرعة

اليسرى وهي الحنيفية السمحة.

وقيل: هو متصل بالكلام الأول

معناه: أنه يعلم الجهر مما تقرأه على

جبريل إذا فرغ من التلاوة، (وما

يخفى) ما تقرأه في نفسك مخافة

النسيان، ثم وعده فقال: ﴿ وَيُنِيرُكَ

لِلْيَسْرَى ﴾، أي نهون عليك الوحي

حتى تحفظه وتعلمه.

﴿ قَدْ كَرَّمَ عِظَ بِالْقُرْآنِ ﴾، إن

تَمَعَّى الْإِكْرَامِ، الموعظة والتذكير،

والمعنى: نفعت أو لم تنفع، ولم

يذكر الحالة الثانية، كقوله: ﴿ سَرَّيْلَ

تَيْبَعُكُمُ الْحَرَى ﴾ [النحل: ٨١]،

وأراد الحر والبرد جميعاً.

﴿ سَيَذَرُكَ، سَيَتَعَطَّ، مِنْ

يَشْفِي، الله عز وجل.

﴿ وَيَنْجِيئُ ﴾، أي يتجنب

الذكرى ويتباعد عنها، ﴿ الْأَشْفَى ﴾،

الشقي في علم الله.

﴿ أَلْوَى يَصَلُّ شَأَةَ النَّارِ الْكُبْرَى ﴾،

العظيمة والفضيلة لأنها أعظم وأشد

حراً من نار الدنيا.

﴿ ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا ﴾، فيستريح،

والسلام: «أحلت لي ساعة من نهار»

وكذلك نزل بمكة: ﴿ سَيَهْرُمُ الْبَطْمُ

وَيُولُونَ الذُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

قال عمر بن الخطاب: كنت لا

أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم

بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع

ويقول: «سيهزم الجمع ويولون

الدبر».

﴿ وَذَكَرَ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾، أي وذكر ربه

فصلى، وقيل: الذكر تكبيرات العيد

والصلاة صلاة العيد، وقيل: الصلاة

ههنا الدعاء.

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ﴾، قرأ أبو عمرو

ويعقوب بالياء يعني الأشقين الذين

ذكروا وقرأ الآخرون بالياء دليله قراءة

أبي بن كعب «بل أنتم تؤثرون الحياة

الدنيا».

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَقْبَلُ ﴾، قال

عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا. قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركتنا الآجل.

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَ﴾، إلى أربع آيات، ﴿لَقَدْ أَنفَخْنَا الْأُولَى﴾، أي: الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

﴿ثُمَّ بَيَّنَّ الصَّحْفَ﴾ فقال: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد [بن محمد] بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيى، ثنا سعيد بن كثير، ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وفي الوتر بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّيَ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّيَ النَّاسِ﴾.

سورة الغاشية

مكية [وهي ست وعشرون آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء بالأهوال.

﴿وَجُوهٌ يَّوَّابِدٌ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿خَاشِعَةٌ﴾، ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومعنى النصب: الدأب في العمل بالتعب.

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار.

وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها.

قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل، والأغلال، وبه قال قتادة: وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، قال الكلبي: يجرون على وجوههم في النار. وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار، والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها.

﴿صَلَآءٌ نَّارًا﴾، قرأ أهل البصرة وأبو بكر ﴿تصلي﴾ بضم التاء اعتباراً بقوله: ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَّآبِيَةٍ﴾، وقرأ الآخرون بفتح التاء، ﴿حَامِيَةٌ﴾، قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله.

﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَّآبِيَةٍ﴾، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها ورداً عطاشاً. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقاتدة: هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض، تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريح، وهو أخبث طعام وأبشعه. وهو رواية العوفي عن ابن عباس. قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا ببس. قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريح: الشوك اليابس الذي يبس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، جاء في الحديث عن ابن عباس: الضريح شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريح، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريثة، كلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود

وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله عز وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريح، وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً تسمى شبرقاً فإذا يبس لا يأكله شيء.

﴿٧﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَا يَسْتِينُ وَلَا يَغْتُنِ﴾ مِنْ جُوعٍ.

﴿٨﴾ ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿وَجُودًا يُؤْمِنُونَ نَاعِمَةً﴾، قال مقاتل في نعمة وكرامة.

﴿٩﴾ ﴿لَسْتِيهَا﴾، في الدنيا، ﴿رَاضِيَةً﴾، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لُيُوءَةً﴾. لغو وباطل قرأ أهل مكة والبصرة لا يسمع بالياء وضمها، لاغية رفع، وقرأ نافع بالياء وضمها لاغية رفع، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها لاغية بالنصب على الخطاب للنبي ﷺ.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ فيها سرد مرسومة، قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها.

﴿١٤﴾ ﴿رَأَاكَاتٍ مَرْمُوسَةٍ﴾، عندهم جمع كوب، وهو إلا بريق الذي لا عروة له.

﴿١٥﴾ ﴿مُتَقَارِفِينَ﴾، وسائد ومرافق، ﴿مَصْفُوفَةً﴾، بعضها بجانب بعض

واحدتها «ثمرقة» بضم النون.

﴿١٦﴾ ﴿وَرَزَاكِينَ﴾، يعني البسط العريضة قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية «مَثُونَةٌ»، مبسوطة، وقيل: متفرقة في المجالس.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكرهم الله تعالى صنعه فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وكانت الإبل من عيش العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات.

فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم.

وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة، وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها، فقالوا: كيف نصعداها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها، ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يُحلب درها، والإبل من أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن. وقيل: إنها مع عظمتها تلين للحمل

الثقيل وتتقاد للقاء الضعيف. حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

﴿١٨﴾ ﴿وَالِ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، عن الأرض بغير عمد حتى لا ينالها شيء غيرها.

﴿١٩﴾ ﴿وَالِ اللَّيْلِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، على وجه الأرض مرسة لا تزول.

﴿٢٠﴾ ﴿وَالِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان بنسختها آية القتال.

﴿٢٣﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾، استثناء منقطع عما قبله، معناه لكن من تولى، وكفر، بعد التذكير.

﴿٢٤﴾ ﴿يَعْبُدُهُ اللَّهُ الْعَدَابَ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يدخله النار وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: أب يؤوب أوباً وإياباً، وقرأ أبو جعفر «إيابهم» بتشديد الياء، وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فإنه قال يقال: أيب إياباً، على فعل فيعلاً.

﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ لَنْ عَئِنَّا جَسَّابُهُمْ﴾، يعني



أبو روق عن الضحاک: هي العشر الأول من شهر رمضان. وروی أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمان بن رباب هي العشر الأول من المحرم التي عاشيرها يوم عاشوراء.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قرأ حمزة والكسائي الوتر يكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في الشفع والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله تعالى:

﴿وَعَلَّمَنَّاكَ أَرْوَامًا﴾ [النبا: ٨] والوتر: هو الله عز وجل. روي ذلك عن أبي سعيد الخدري، وهو قول عطية العوفي، وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجُلَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، الكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروی قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر.

وقال قتادة: هي الصلوات منها شفع ومنها وتر. وروي ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً.

جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل.

سورة الفجر

مكية وهي ثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ وَالْفَجْرِ ﴿٢﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة: وقال عطية عنه: صلاة الفجر. وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم، تفجر منه السنة. وقال الضحاک: فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر.

﴿وَاللَّيْلِ عَشِيرٍ﴾، روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة. وهو قول مجاهد وقاتدة والضحاک والسدي والكلبي: وقال

وروى عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب.

وعن عبدالله بن الزبير قال: الشفع يوم النفر الأول، والوتر يوم النفر الأخير.

روي أن رجلاً سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر، فقال: أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر.

وقال مقاتل بن حيان: الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: الشفع درجات الجنة لأنها ثمان، والوتر دركات النار لأنها سبع، كأنه أقسم بالجنة والنار، وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والحياة والموت، والوتر انفراد صفات الله عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف. وعلم بلا جهل، وحياة بلا ممات.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ﴾، أي إذا سار وذهب كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَذَّبَّرَ﴾ [المدثر: ٣٣]، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل، وأراد كل ليلة. وقال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة، قرأ أهل الحجاز والبصرة

﴿يسري﴾ بالياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والباقون يحذفونها في الحالين، فمن حذف فيلوقاق رؤوس الآي، ومن أثبت فلائها لام الفعل، والفعل لا يحذف منه في الوقف. نحو قوله: هو يقضي وأنا أقضي، وسئل الأحفش عن العلة في سقوط الياء، فقال: الليل لا يسري ولكن يسرى فيه، فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الإعراب، كقوله: ﴿رَمَا كَانَتْ أَثْنُكُ بَيْتًا﴾ [مریم: ٢٨]، ولم يقل بغية لأنها صرفت من باغية.

﴿عَلَّ فِي ذَلِكَ أَي فِيمَا ذَكَرْتَ﴾، أي مقنع ومكتفى في القسم، ﴿لَيْلَى جَمْرٌ﴾، لذي عقل، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القبائح، ونهى لأنه ينهى عما لا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاتِ﴾ [الفجر: ١٤]، واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل:

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿لَمْ تَرَ﴾، قال الفراء: ألم تحبر. وقال الزجاج: ألم تعلم ومعناه التعجب. ﴿كَيْفَ قَمَلَ رَبُّكَ بِمَا تُرِيدُونَ﴾، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكتهم، وهم كانوا أطول أعماراً وأشد قوة من هؤلاء، واختلّفوا في إرم ذات العماد، فقال سعيد بن المسيب: دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة. وقيل: معناها القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد.

قال مقاتل: كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم إليه وهو إرم بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. وقال محمد بن إسحاق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.

وقال الكلبي: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وحمود [وأهل السواد] وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم وحمود إرم، فأهلك الله عاداً ثم حمود وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي يقول الله فيها.

﴿٨﴾ ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي أَلْبَدِ﴾، وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس، وقال بعضهم: سمو ذلك العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً. وقوله: ﴿لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي أَلْبَدِ﴾، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ رِيًّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقيل: سمو ذات العماد لبناء بناء بعضهم فشيء عمد، ورفع بناء، يقال: بناء شداد بن عاد على صفة لم يخلق في الدنيا مثله وسار إليه في قومه، فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صيحة من

السماء فأهلكهم جميعاً.

﴿٩﴾ ﴿وَتَشْوَدُّ﴾، أي ويشمود ﴿الَّذِينَ جَاءُوا أَهْمَحْرًا﴾، قطعوا الحجر، صخرة واحدها ﴿بالواو﴾، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً، وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في التوادي وصلأ ووقفاً على الأصل، وأثبتها ورش وصلأ، والآخرون بحذفها في الحالين على وفق رؤوس الآي.

﴿١٠﴾ ﴿وَرَزَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة ص [١٢].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا ابن فنجويه، ثنا مخلد بن جعفر، ثنا الحسن بن علويه، ثنا إسماعيل بن عيسى، ثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس: أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأنه كانت له امرأة، وهي امرأة خازن فرعون حزيبيل، وكان مؤمناً بكتن إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون.

فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري

بإلهك وأقري بأني إلهك، قالت: لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين، فقالت له: ولو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله، وكان لها ابتتان فجاء بابنتها الكبرى فذبها على قرب منها، وقال لها: اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك، وكانت رضيعاً، فقالت: لو ذبحت من على وجه الأرض على في ما كفرت بالله عز وجل، فأتى بابنتها الصغرى فلما اضطجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، فقالت: يا أمه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة، اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته، فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة.

قال: وبعث في طلب زوجها حزبييل فلم يقدروا عليه، فقبل لفرعون: إنه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا، فبعث رجلين في طلبه فانتها إلى وهو يصلي ويلي صفوف من الوحوش خلفه يصلون، فلما رأيا ذلك انصرفا، فقال حزبييل: اللهم إنك تعلم أنني كتبت إيماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد، فأيما هذان الرجلين كتتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله، وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار، فانصرف الرجلان إلى فرعون

فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملا، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم فلان، فدعا به فقال: أحق ما يقول هذا؟ قال: لا ما رأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله، ثم صلبه، قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها، فقالت: يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فعلل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون، وإن إلهي وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبايها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أن الجنون كان بالماشطة أصابها، قالت: أعوذ بالله من ذلك إنني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له، فقال أبوها: يا آسية ألسنت من خير نساء العالمين وزوجك إله العماليق؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك، إن كان ما يقول حقاً فقولاً له أن يتوجني تاجاً تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله، فقال لهما فرعون: اخرجاني، فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها

فرعون، فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخَيَّرِي بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَصَلِّ لِي عَلَيَّ وَخَيَّرِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، فقبض الله روحها وأسكنها الجنة.

﴿الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْأُتَادِ﴾، يعني عاداً وثمود وفرعون، عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا.

﴿فَاكْتُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَابْرَأَهُ﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممر الناس عليه والمرصاد، والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. المعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد. وقال السدي: أرصد [الله النار] على طريقهم حتى يهلكهم.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، امتحنه، ﴿رَبِّهِ﴾، بالنعمة، ﴿فَاكْرَمَهُ﴾، بالمال، ﴿وَنَمَرَهُ﴾، بما وسع عليه، ﴿فَيَقُولُ زَوَّأْتُ كَرِمِينَ﴾، بما أعطاني.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، بالفقر، ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، قرأ أبو جعفر

وابن عامر «فقدر» بتشديد الدال، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان أي ضيق عليه رزقه. وقيل: قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه. «فَقُولَ رَبِّ أَهْنِي»، أذلني بالفقر. وهذا يعني به الكافر، تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر، فرد الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة.

﴿١٧﴾ فقال: «كَلَّا» لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته وبهيئته بمعصيته. قرأ أهل الحجاز والبصرة «أكرمني وأهانتني»، بإثبات الباء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والآخرون يحذفونها وصلأً ووقفاً. «فَلَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ»، قرأ أهل البصرة (يكرمون، ويحضون، ويأكلون، ويحبون) بالياء فيهن، وقرأ الآخرون بالتاء، «فَلَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» لا تحسنون إليه. وقيل: لا تعطونه حقه. قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه.

﴿١٨﴾ «وَلَا تُحْشَرُونَ عَلَىٰ كَمَاوَ الْيَتِيمِ»، أي لا تأمرن بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة «تحاضون» بفتح الحاء والفاء بعدها، أي لا يحض بعضكم بعضاً عليه.

﴿١٩﴾ «وَتَأْكُلُونَ الْتَرَاتُ»، أي

الميراث، «أَكَلًا لَمًّا»، شديداً وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لمت ما على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته.

﴿٢٠﴾ «وَيُحِبُّونَ الْكَلَّ حِمًّا جَمًّا». أي كثيراً، يعني: تحبون جمع المال

وتولعون به، ويقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر واجتمع.

﴿٢١﴾ «كَلَّا»، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر.

وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلفهم على ما سلف منهم حين لا يضعهم، فقال عز من قائل: «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا»، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء.

﴿٢٢﴾ «وَيَمَاءَ رِيكٍ»، قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه. وقال الكلبي: ينزل حكمه، «وَالْمَلَأَ صَفًا صَفًا»، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبعة صفوف.

سورة البقرة

﴿١﴾ يَقُولُ يَا بَنِيَّ قَدَّمْتُ لِي لِي ﴿٢﴾ قَوْمِيذَ لَا يَعَذِّبُ عَنَابَهُ أَحَدٌ ﴿٣﴾ وَلَا يُوْتِقُونَ وَكَافَّةً أَحَدٌ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٥﴾ أَرِجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَبِتَةً ﴿٦﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٧﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٨﴾

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ لَا أَقِيمُ هَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَأَنْتَ جَلُّ هَذَا الْبَلَدِ ﴿٣﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ ﴿٤﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٥﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيَّ أَحَدٌ ﴿٦﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَأَبَدًا ﴿٧﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَ أَحَدٌ أَلَّا يَرْتَمِلْ لَهْمَ عَيْتِي ﴿٨﴾ وَلَسْنَا نَأْمُرُ بِشَفَقْتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْرَحْ الْعُقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَرِهْتُمَا ﴿١٣﴾ أَوْ لَطَمْتُ فِي بُوْرِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسَّ كِنَاذًا مَرْغَبٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالْحَسَنِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَادَىٰ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّا لَبِئْسَ لِمُ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ ﴿٢٠﴾

سورة البقرة

﴿٢١﴾ «وَيَأْتِيَهُ يَوْمَئِذٍ بِمِجَنَّدَةٍ»، قال عبدالله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: تقاد جهنم سبعين ألف زمام كل زمام [بيد] سبعين ألف ملك، لها تغيط وزفير حتى تنصب على يسار العرش. «يَوْمَئِذٍ» يعني يوم يجاء بجهنم، «يَتَدَكَّرُ الْإِنْسَانُ»، يتعظ ويتوب الكافر، «وَأَنَّ لَهُ الْذُكْرُونَ»، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة؟

﴿٢٢﴾ «يَقُولُ يَا بَنِيَّ قَدَّمْتُ لِي لِي»، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي لأخوتي التي لا موت فيها.

﴿٢٣﴾ «قَوْمِيذَ لَا يَعَذِّبُ عَنَابَهُ أَحَدٌ» - ﴿٢٤﴾ «وَلَا يُوْتِقُونَ وَكَافَّةً أَحَدٌ»، قرأ الكسائي ويعقوب «لَا يَعَذِّبُ»، «وَلَا يُوْتِقُونَ» بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ،

وقيل: هو رجل بعينه. وهو أمية بن خلف. يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء، أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

﴿٢٧﴾ قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله. قال مجاهد: المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربهما وصبرت جاشاً لأمره وطاعته. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة. وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى. وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله. وقيل المطمئنة بذكر الله، بيانه قوله: ﴿وَنَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، واختلفوا في وقت هذه المقالة، فقال قوم: يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها:

﴿٢٨﴾ ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّي﴾ إلى الله، ﴿رَاضِيَةً﴾، بالشوَاب، ﴿رَاضِيَةً﴾، عنك، وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها.

قال عبدالله بن عمرو: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء

يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة. فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له فيه الرحيان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نوره مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل [إليه] قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان.

وقال أبو صالح في قوله: ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّي رَاضِيَةً رَاضِيَةً﴾، قال: هذا عند خروجها من الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل: ﴿قَادِظِي فِي عَيْدِي﴾ و﴿قَادِظِي جَنِّي﴾.

وقال آخرون إنما يقال لها ذلك عند البعث ارجعي إلى ربك، أي إلى صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقال الحسن: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما أعد لك، مرضية رضي عنها ربك.

﴿٢٩﴾ ﴿قَادِظِي فِي عَيْدِي﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين، نظيره: ﴿قَادِظِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٩].

﴿٣٠﴾ ﴿وَأَدْخِلْ جَنَّتِي﴾، وقال بعض أهل الإشارة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة.

وقال سعيد بن جبير: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم ير على صورة خلقه فدخل نعشه، ثم لم يَزْ خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، ولم نذر من قرأها: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّي رَاضِيَةً رَاضِيَةً﴾ ﴿قَادِظِي فِي عَيْدِي﴾ و﴿قَادِظِي جَنِّي﴾.



سورة البلد

مكية وهي عشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لَا أَسْمُ، يعني أَسْم، ﴿يَهْدَا الْبَلَدَا﴾، يعني مكة.

﴿٢﴾ ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ يَهْدَا﴾، أي حلال، ﴿يَهْدَا الْبَلَدَا﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صُبابة وغيرهما، فأحل دماء قوم وحرّم دماء قوم.

فقال: «ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ثم قال: «إن الله حرّم مكة يوم

خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة.

والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له. قال شرحبيل بن سعد: ومعنى قوله وأنت حل بهذا البلد، قال: يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلون إخراجك وقتلك؟

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدًا﴾، يعني آدم عليه السلام وذريته.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا [والآخرة]. وقال سعيد بن جبير: في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفضامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته. وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه. قال يمان: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. وأصل الكبد: الشدة. وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك: يعني منتصباً معتدل القامة، وكل شيء خلق فإنه يمشي مكباً [إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً] وهي رواية مقسم عن ابن عباس: والكبد الاستواء والاستقامة. وقال ابن كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمه فإذا أذن الله

في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي أمه. وقال مقاتل: في كبد أي في قوة نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزاني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه.

﴿أَيْحَسِبُ﴾، يعني أبا الأشدين من قوته، ﴿أَنْ لَنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى. وقيل: هو الوليد بن المغيرة.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾، يعني أنفقت، ﴿مَالًا لَبِئْسَ﴾، أي كثيراً بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ، قرأ أبو جعفر لبدأ بتشديد الباء على جمع لابد، مثل راعع وركع، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع «لبدة»، وقيل على الواحد مثل قِيم وحطم.

﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قال سعيد بن جبير وقاتدة: أظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ وقال الكلبي: إنه كان كاذباً في قوله أنفقت كذا وكذا، ولم يكن أنفق جميع ما قال يقول أظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه ليعتبر.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، قال قتادة: نعم الله متظاهرة يقررك بها كما تشكره.

وجاء في الحديث: «إن الله عز

وجل يقول: ابن آدم إن نازعتك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعتك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعتك عليه بطبقتين، فأطبق، وإن نازعتك فركك إلى ما حرمت عليك فقد أعتك بطبقتين فأطبق».

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قال: أكثر المفسرين طريق الخير والشدة والحق والباطل، الهدى والضلالة، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال الشديد، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك: والنجدة: طريق في ارتفاع.

﴿فَلَا أَقْنَمُ الْقَبِيَّةَ﴾، يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة.

وقيل: ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْقَبِيَّةَ﴾ أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقنم: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعثق الرقبة ولا الإطعام، وهذا معنى قول قتادة وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها.

وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن

محمد بن كثير العبدي، ثنا عيسى بن عبدالرحمن السلمي عن طلحة بن مصرف الياضي عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة»، قال: قلت: أو ليسا واحداً؟ قال: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعقها، وفك الرقبة: أن تعين في ثمنها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير».

وقال عكرمة قوله: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾، يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة ﴿أَوْ إطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَرَةٍ﴾، مجاعة، يقال: سغب يسغب سغباً إذا جاع.

﴿وَيَسْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أي ذا قرابة يريد يتيماً بينك وبينه قرابة.

﴿أَوْ وَسَكِينًا ذَا مَمْرَةٍ﴾، قد لصق بالتراب من فقره وضره. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء، والمرتبة مصدر ترب يترب تراباً ومتربة إذا افتقر.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: ﴿ثم﴾ بمعنى الواو، ﴿وَوَاصُوا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿وَأَعْتَبُ﴾، على فرائض الله

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾، ما اقتحام العقبة، قال سفيان بن عيينة: كل شيء، قال: وما أدراك فإنه أخبر به، وما قال: وما يدريك فإنه لم يخبر به.

﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ - ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك﴾ بفتح الكاف، ﴿رقبة﴾ نصب، ﴿أو اطعم﴾ بفتح الهمزة والميم على الماضي، وقرأ الآخرون ﴿فك﴾ برفع الكاف، ﴿رقبة﴾ جرأ، ﴿أو إطعم﴾ على المصدر، وأراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، ثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني ابن الهاد، عن عمر بن علي بن حسين، عن سعيد بن مرجانة قال: سمعته يحدث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه».

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّرِيمِ وَصَحْهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّكَتَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا ۝
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَدَّلَهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَبَّعَهَا ۝
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ
أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَفْوَيْهَا ۝ إِذْ أَنبَتْ شجرَهَا ۝ فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَصَفَرُوا هَاهُنَا فَذَمَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ يَوْمَ ذُنُوبِهِمْ فَأَنسَدَ لَهُمُ مَفْجَرَهَا ۝
سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝
إِن سَمِعْتُمْ نَفْسًا قَائِمًا مِّنْ عَطْفِ الْوَالِدِ ۝ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ۝
فَسْتَسِيرُوا لِلشَّرِّ ۝ وَأَمَّا مَن يُجَلِّ وَأَسْتَفْتَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۝
فَسْتَسِيرُوا لِلشَّرِّ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا
لِلْهُدَىٰ ۝ وَإِن لَّنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝

٥٩٥

وكتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتموها بطاعة الله تعالى.

وقال مجاهد والضحاك والكلبي: هي صراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً، وإن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فجاج مسلم، وناج متخدوش، ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو، ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم الزالون، ومنهم من يكردس في النار.

قال ابن زيد: يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال:

وأوامره، ﴿وَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾، برحمة الناس.

﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْفُرُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ
﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم، قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة ها هنا، وفي الهمزة وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقت وأطبقته، وقيل: معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة.

سورة الشمس

مكية [هي خمس عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿١﴾ ﴿وَالشَّمْسُ وَرُضْنَهَا﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوؤها، والضحي: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوؤها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقولته في «طه» ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ [١١٩]، يعني لا يؤذيك الحر.

﴿٢﴾ ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾، تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجاج: وذلك حين استدار، يعني كمل ضوؤه فصار تابعاً للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

﴿٣﴾ ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا جَلَها﴾، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً.

﴿٤﴾ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىهَا﴾، يعني

يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

﴿٥﴾ ﴿وَالسَّيِّدَةُ وَمَا يَنْهَى﴾، قال الكلبي ومن بناها وخلقها كقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا مَا نَزَّلْنَا لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾، أي من طاب. قال عطاء: يريد والذي بناها، وقال الفراء والزجاج: ﴿مَا﴾ بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: ﴿يَمَا عَفَّرَ لِي رَيْفِي﴾ [يس: ٢٧].

﴿٦﴾ ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا﴾، بسطها. ﴿٧﴾ ﴿وَتَقْوَى وَمَا سَوَّاهَا﴾، عدل خلقها وسوى أعضائها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

﴿٨﴾ ﴿فَالْمَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عزفها ما تأتي وما تتقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

أنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلي، أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالله، ثنا موسى بن محمد، ثنا علي بن عبدالله، أنا عبدالله بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن إبراهيم، أنا

عروة بن ثابت الأنصاري، ثنا يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: رأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحججة؟ قلت: بل شيء قد قضى عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففرغت منه فرعاً شديداً، وقلت: إنه ليس شيء إلا وهو خلقه ومملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: سدك الله إنما سألتك لأختبر عقلك إن رجلاً من جهينة أو مزينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم [به] نبيهم وأكدت به عليهم الحججة؟ فقال: «لا بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم»، قال قلت: فقيم العمل إذا؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهينه الله لها، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَتَقْوَى وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَاَلْمَمَّا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا زهير بن معاوية عن أبي

ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تعرضوا للماء يوم شربها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني صالحاً، ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾، يعني الناقة.

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. قال المؤرج: الدمدمة الهلاك باستئصال. ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة، ﴿فَسَوَّأْنَا﴾، فسوى الدمدمة عليهم جميعاً، وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد.

وقال الفراء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوى بينهم، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالفاء وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقر بالواو وهكذا في مصاحفهم ﴿عُقْبَاهَا﴾ عاقبتها. قال الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم. وهي رواية [علي بن أبي طلحة] عن ابن عباس: وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.



سورة الليل

مكية وهي إحدى وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، أي يغشى

النهار بظلمة فيذهب بضوئه

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَى﴾، بان وظهر

من بين الظلمة.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، يعني

عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا ما قال رسول الله ﷺ لنا: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهتم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

﴿قوله عز وجل﴾: ﴿كَذَّبَتْ ثَوْدُ بِطُغُونَهَا﴾، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب.

﴿إِذَا أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾، أي

قام، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحاً لما انبعث أشقاها وهو: قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيراً قام لعقر الناقة.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبدالله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة».

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾،

صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾، [أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله، ﴿وسقياها﴾، شربها] أي ذروا

الزبير عن جابر قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، أرأيت عمرتنا هذه ألعامنا هذا أم للابد؟ قال: بل للابد، قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقدام وجرت به المقادير؟ أو فيما يُستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفت به الأقدام وجرت به المقادير»، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: فقال كلمة خفيت علي، فسألت عنها نسيبي بعد، فذكر أنه سمعها، فقال: «اعملوا فإن كلاً ميسر لما خلق له».

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وهذا

موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي

خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها، وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودساها أصله: دسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياء، والمعنى هنا: أخلها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف

الجويني، أنا أبو محمد محمد بن

علي بن محمد بن شريك الشافعي،

أنا عبدالله بن محمد بن مسلم، ثنا

أبو بكر الجوريزي، ثنا أحمد بن

حرب، ثنا أبو معاوية عن عاصم،

ومن خلق، وقيل: هي ﴿مَا﴾ المصدرية أي خلق الذكر والأنثى.

قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء والذكر والأنثى جواب القسم.

قوله: ﴿إِن سَعَى لَشَقَّ﴾، إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها.

روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ماله في سبيل الله، ﴿وَالَّذِينَ﴾، ربه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، هي رواية عطية عن ابن عباس. وقال مجاهد: بالجنة دليله قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى﴾ [يونس: ٢٦] يعني الجنة.

وقيل: صدق بالحسنى أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد الله عز وجل الذي وعده أن يفي به.

﴿فَسَتِيرُوا﴾، فسنتهيه في الدنيا، ﴿لِيَسْتَرِي﴾، أي للخلعة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل:

﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلُّ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَتِيرُوا لِيَسْتَرِي﴾، سنهيه للشر بأن نجزيه على يديه حتى يعمل بما لا

يرضى الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيراً.

وروي عن علي عن النبي ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها في الجنة أو النار»، فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَتِيرُوا لِيَسْتَرِي﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلُّ﴾، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَتِيرُوا لِيَسْتَرِي﴾.

قيل: نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالاً من أمية بن خلف بيرة وعشر أواق، فاعتقه فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَتَتَفَعَّلُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِن سَعَى لَشَقَّ﴾ يعني سعي أبي بكر وأمية.

وروى علي بن خنجر عن إسحاق عن أبي نجيع عن عطاء، قال: كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في داره، وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «بعنيها بنخلة في الجنة فأبى»، فخرج فلقبه أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها بحش، يعني حائطاً له، فقال: هي لك فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنشترتها مني بنخلة في الجنة، قال: «نعم» قال: هي لك، فدعا النبي ﷺ جار الأنصاري فقال: «خذها». فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَتَتَفَعَّلُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِن سَعَى لَشَقَّ﴾ [في أبي] الدحداح والأنصاري

صاحب النخلة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، ﴿فَسَتِيرُوا لِيَسْتَرِي﴾، يعني الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلُّ﴾، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، يعني الأنصاري، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، يعني الشواب، ﴿فَسَتِيرُوا لِيَسْتَرِي﴾، يعني النار.

﴿وَمَا يَتَّقِ اللَّهَ﴾، السذي بخل به، ﴿إِن تَزَكَّى﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم.

﴿إِن عَلَّمْنَا الْهَدَى﴾، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة: قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال الفهرست: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد. وقيل معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: ﴿يَبْذُوكَ الْمَيِّتَ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُم مِّن بَيْنِكُمْ﴾، فمن طلبها من غير مالهما فقد أخطأ الطريق.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾، أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج.

﴿لَا يَصَلُّهَا إِلَّا﴾، ﴿الَّذِينَ كَذَّبَ﴾ الرسول، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، عن الإيمان.

﴿وَسَجَّجْنَاهَا بِاللَّعْنِ﴾، يريد بالأشقى الشقي، وبالأتقى التقى.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾، يعطي ماله، ﴿يَتَرَكُ﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة،

نعم أبيه بنسطاس، وكان نسطاس عبداً لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار، وغلتمان وجوار ومواش، وكان مشركاً حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أمية: أبيعك بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وياعه منه، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله ﴿وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾، أي يجازيه يد يكافئه عليها.

﴿لَا﴾، لكن ﴿إِنْعَاءَ وَيَوْمَ رَبِّهِ﴾، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه.

﴿وَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾، بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

سورة الضحى

مكية [وهي إحدى عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان قال:

اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قريبك منذ ليلتين أو

يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعال! عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه؟ قال: قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فاعتقه، ثم اعتق

معه على الإسلام قبل أن يهاجر ست رقاب، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بداراً واحداً، وقتل

يوم بثر معونة شهيداً، وأم عميس، وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى، وما تنفعان، فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدي وابتنتها، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: كلا يا أم فلان، فقالت: خلا أنت أفسدتهما فاعتقتهما، قال: فيكم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، ومر بجارية بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها.

﴿١١﴾ وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال: أتبيعه؟ قال:

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَصْنَعُنَّ الْإِنسَانُ الْإِنْفَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآلَتَىٰ ﴿٣﴾ الَّذِي يَتُوَّىٰ مَا لَمْ يَمْزُكْ ﴿٤﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿٥﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٦﴾ وَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٧﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَدَّعَكَ ضَالًّا ﴿٧﴾ فَهَدَىٰ ﴿٨﴾ وَوَدَّعَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١١﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّفِيقَ ﴿١﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَسَوَّغْنَا لَكَ زُورَكَ ﴿٣﴾ الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ ﴿٤﴾ وَرَوَّعْنَا لَكَ زُورَكَ ﴿٥﴾ لِيَنْزِعَ مِنَ الْأَرْضِ ﴿٦﴾ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿٧﴾ فَأَسْقَىٰ بِمَاءِهِ الْبَلَاحِقَ ﴿٨﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٩﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿١٠﴾

٥٦٦

يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع.

قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال [له] أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فنزل: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآلَتَىٰ﴾ إلى آخر السورة.

وذكر محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وقال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مر به أبو بكر

ثلاث، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ .

وقيل: إن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب. وقال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال: «سأخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه. كان جرو في بيته، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جريج: اثنا عشر يوماً. وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً. وقال مقاتل: أربعون يوماً.

قال المفسرون: فقال المشركون: إن محمداً ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشد شوقاً إليكم، ولكنني عبد مأمور»، فأنزل: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

① قوله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجد، نظيره قوله ﴿أَوَ أَيْنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٤٩٨]، أي نهاراً. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في

الحر والبرد والصيف والشتاء.

② ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس: وقال الوالي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة، وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكناً.

③ قوله تعالى: ﴿مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، هذا جواب القسم: أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

④ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾. حدثنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالحي، أنا عبدالله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أنا ابن أبي عاصم، أنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختر الله لنا الآخرة على الدنيا».

⑤ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن.

وروينا عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «اللهم أمّتي أمّتي ويكي، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمّتك، ولا نسوءك فيهم». وقال حرب بن شريح: سمعت أبا جعفر محمد بن علي

يقول: إنكم معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَكْبَادُونَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنفُسَهُمْ لَا يَتَّقِنُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله، قيل:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، ﴿فَتَرَىٰ﴾. ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال جل ذكره:

① ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلبي فقال: أنباني عبدالله بن حامد الأصفهاني، أنا محمد بن عبدالله النيسابوري، ثنا محمد بن عيسى، أنا أبو عمرو الحوضي وأبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وودت إنني لم أكن سألته، قلت: يا رب إنك آتيت سليمان بن داود ملكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا وآتيت فلاناً كذا؟ قال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فأوتيتك؟ قلت: بلى أي رب، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى أي رب، قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى أي رب».

وزاد غيره عن حماد قال: «ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك

وزرك؟ قلت: بلى أي رب».

ومعنى الآية: ألم يجدك يتيماً صغيراً فقيراً حين مات أبوك ولم يخلفك لك مالاً ولا ماوئىء، فجعل لك ماوىء تأويء إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفأك المؤنة.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾، يعني ضالاً عما أنت عليه ﴿فَهَدَى﴾ فهداك للتوحيد والنبوة: قال الحسن والضحاك وابن كيسان: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، كما قال: ﴿إِنَّ كُنْتُ مِنَ الْقَلِيلِ لَكِنَ الْفَعْلِيلِ﴾ [يوسف: ٣] وقال: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقيل: ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جدد عبدالمطلب.

روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فرده إلى عبدالمطلب.

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فيبينا هو راكب ذات ليلة ظلماء [على] ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفض إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبيشة، ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك.

وقيل: وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت، فعزفك نفسك وحالك.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أي فقيراً فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما أعطاك من الرزق. واختاره الفراء. وقال: لم يكن غنياً عن كثرة المال ولكن الله رضاء بما آتاه وذلك حقيقة الغنى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

أنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو عبدالله محمد بن الحسين الزغرتاني، أنا أحمد بن سعيد، أنا أبو يحيى محمد بن عبدالله، ثنا أبي حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبدالرحمن الحُبلي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه».

ثم أوصاه باليتامى والفقراء. ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقال الفراء والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

أخبرنا أبو بكر محمد [بن]

عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن [أبي] بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَسَاءُ إِلَيْهِ»، ثم قال بأصبعيه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى».

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيراً، فإما أن تطعمه وإما أن ترده رداً ليناً، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزرجه. قال قتادة: رُدُّ السائل برحمة ولين، قال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم النخعي: السائل يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟ وروى عن الحسن في قوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال طالب العلم.

﴿وَأَمَّا يَتِيمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك. وقال الليث عن مجاهد: يعني

القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل: اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكراً.

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سخته، أنا عبدالله بن محمد بن الحسين النصر آبادي، ثنا علي بن سعيد النسوي، أنا سعيد بن عفير، ثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصاري، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «من صنع إليه معروف فليجز به إن وجد، فإن لم يجد ما يجزي به فليئن عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتبه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا الحسين بن محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، ثنا أبو القاسم بن منيع، ثنا منصور بن أبي مزاحم، ثنا [أبو] وكيع عن أبي عبدالرحمن يعني القاسم بن الوليد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب».

والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول: الله أكبر.

قال الشيخ الإمام محيي السنة ناصر الحديث قدوة الأئمة ناشر الدين ركن الإسلام إمام الأئمة مفتي الشرق أبو محمد الحسن بن مسعود رحمه الله.

كذلك قرأته على الإمام المقرئ أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ، قال: قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال: قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرأ علي أبي الحسن بن أبي بزة وأخبرهما ابن أبي بزة أنه قرأ علي عكرمة بن سليمان بن كثير المكي، وأخبره عكرمة أنه قرأ علي شبل بن عباد وإسماعيل بن قسطنطين، وأخبراه أنهما قرأ علي عبدالله بن كثير، وأخبرهما عبدالله أنه قرأ علي مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ علي ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ علي أبي بن كعب.

وأخبرنا الإمام المقرئ أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو، وقال: أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزبيدي بالتكبير، وقرأت عليه بثغر حران، قال: ثنا أبو بكر محمد بن

الحسن بن زياد الموصللي المعروف بالنقاش، وقرأت عليه بمدينة السلام، ثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربيعي، وقرأت عليه بمكة، قال: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بزة، وقرأت عليه قال لي: قرأته على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ علي إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد قال: فلما يلبت ﴿والضحى﴾ قال لي: كبر حتى تختم، مع خاتمة كل سورة، فإننا قرأنا علي ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ علي مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ علي ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ علي أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي بن كعب النبي ﷺ فأمره بذلك.

وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون هجرة شيطانه، وودعه، فاغتم النبي ﷺ لذلك، فلما نزل ﴿والضحى﴾ كبر رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذوه سنة.



سورة الشرح

مكية وهي ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، أَلَمْ نَفْتَحْ وَنُوسِعْ وَنُلِينْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالنَّبُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؟ ﴿٢﴾ وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ، قَالَ الْحَسَنُ وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ:

حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. وقال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم وقال عبدالعزیز بن یحیی وأبو عبیده: یعنی خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها.

﴿الَّذِي أَنْفَرَ طَهْرَكَ﴾، أثقل ظهره فأوهنه حتى سمع له تقيض، أي صوت.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو القاسم عبدالخالق بن علي المؤذن، ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، ثنا صفوان يعني ابن صالح أبو عبدالملك، ثنا الوليد يعني ابن مسلم، حدثني عبدالله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: قال الله تعالى: «إِذْ دُكِرْتُ ذُكِرْتُ مَعِي».

وعن الحسن قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ إذا دُكِرْتُ ذُكِرْتُ. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً. وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد

ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به، وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تر أن الله أرسل عبده
ببرهانه والله أعلى وأمجّد
أغزّ عليه للنبوة خاتم
من الله مشهودٌ يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي مع اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجلّه

فدو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ
وقيل: [رفع ذكره] بأخذ ميثاقه
على النبيين والزمهم الإيمان به
والإقرار بفضله، ثم وعده اليسر
والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان
بمكة في شدة.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاءً بأن يظهره عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جنتهم به، إن مع العسر يسراً كرهه لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء.

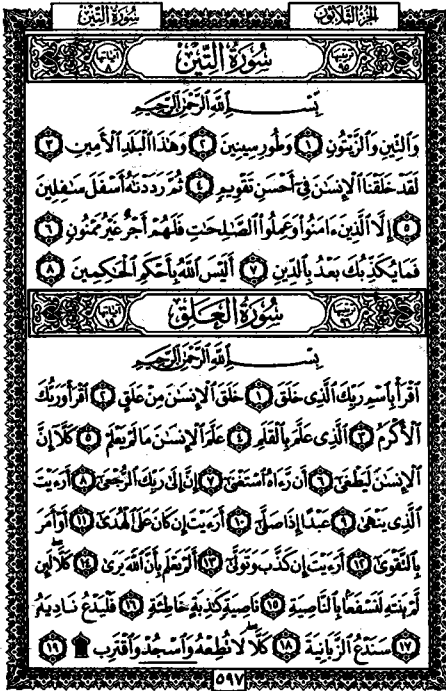
وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسرٌ يسرين».

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل، إنه لن يغلب عسر يسرين.

قال المفسرون: معنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله تعالى كرز

العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرفاً، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبت درهماً أنفقت درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا قلت إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف، فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ النكرة، فكانا يسرين، وكأنه قال: فإن مع العسر يسراً، إن مع ذلك العسر يسراً آخر.

قال أبو علي الحسين بن يحيى بن نضر الجرجاني صاحب النظم: تكلم الناس في قوله: «لن يغلب عسر يسرين»، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة. فوجب أن يكون عسراً واحداً ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً إن مع الفارس سيفاً، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين، فمجاز قوله: لن يغلب عسرٌ يسرين أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مقل مخف، فكانت قریش تعيره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاغتم النبي ﷺ لذلك، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره، فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعده الغنى، يسليه بذلك عما خامرته من الغم، فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، مجازة: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً،



التشهد فادع لدياك
وأخرتك. وقال الحسن
وزيد بن أسلم: إذا فرغت
من جهاد عدوك فانصب
في عبادة ربك. وقال
منصور عن مجاهد: إذا
فرغت من أمر الدنيا
فانصب في عبادة ربك
وصل. وقال حيان عن
الكلبي: إذا فرغت من
تبليغ الرسالة فانصب،
أي: استغفر لذنبك
وللمؤمنين.

قال عطاء: تضرع إليه راهباً
من النار راجباً في الجنة.

وقيل: فارغب إليه في جميع
أحوالك. قال الزجاج: أي اجعل
رغبتك إلى الله وحده.

سورة التين

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، وقال ابن
عباس، والحسن، ومجاهد،
وإبراهيم، وعطاء بن أبي رباح،
ومقاتل، والكلبي: هو تينكم الذي
تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون
منه الزيت. قيل: خص التين بالقسم
لأنها فاكهة مخلص لا عجم لها،
شبيهة بفواكه الجنة. وخص الزيتون
لكثرة منافعه ولأنه شجرة مباركة جاء
بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح
للاصطباغ والاصطباح. وقال

ثم أنجزه ما وعده، وفتح عليه القرى
العربية ووسع عليه ذات يده، حتى
كان يعطي المئين من الإبل، ويهب
الهباب السنية، ثم ابتداءً فضلاً آخر
من أمر الآخرة، فقال: إن مع العسر
يسراً، والدليل على ابتدائه تعريه من
الفناء والواو، وهذا وعد لجميع
المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر
يسراً، أي إن مع العسر في الدنيا
للمؤمن يسراً في الآخرة، فربما
اجتمع له اليسر اليسر في الدنيا وهو ما
ذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة،
وهو ما ذكره في الآية الثانية فقله
عليه السلام: «لن يغلب عسر
يسرين» أي: لن يغلب عسر الدنيا
اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا
واليسر الذي وعدهم في الآخرة،
وإنما يغلب أحدهما، وهو يسر
الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير
زائل أي لا يجمعهما في الغلبة.

كقوله ﷺ: «شهرًا عيدًا لا
ينقصان» أي لا يجتمعان في
التقصان.

﴿وَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾، أي
فاتعب، والنصب: التعب، قال ابن
عباس وقتادة والضحاك ومقاتل
والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة
المكتوبة فانصب إلى ربك في
الدعاء، وارغب إليه في المسألة
يعطك. وروى عبد الوهاب بن
مجاهد عن أبيه قال: إذا صليت
فاجتهد في الدعاء والمسألة. وقال
ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض
فانصب في قيام الليل.

وقال الشعبي: إذا فرغت من

عكرمة: هما جبلان. قال قتادة:
التين الجبل الذي عليه دمشق
والزيتون الجبل الذي عليه بيت
المقدس لأنهما ينبتان التين
والزيتون. وقال الضحاك: هما
مسجدان بالشام. قال ابن زيد: التين
مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت
المقدس. وقال محمد بن كعب:
التين مسجد أصحاب الكهف
والزيتون مسجد إيليا.

﴿رَطَوْنِ يَبِينِ﴾، يعني الجبل
الذي كلم الله عليه موسى عليه
السلام وذكرنا معناه عند قوله:
﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سِينَاءَ﴾
[المؤمنون: ٢٠].

﴿وَمَا كَلَّا الْآمِينِ﴾، أي
الآمن، يعني مكة يأمن فيه الناس في
الجاهلية والإسلام، هذه كلها أقسام
والمقسم عليه قوله:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ

سورة العلق

مكية [وهي تسع عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،

أكثر المفسرين: على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿مَا تَرَىٰ﴾.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، - وهو التعبد -

الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤﴾﴾ فرجع

وروي عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ أَمَّنُوا وَكَلِمَاتِ الْمُنَادِيْنَ﴾ قال: إلا الذين قرؤوا القرآن، وقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزاماً لللحجة.

﴿٧﴾ ﴿مَا يَكْفُرُكَ﴾، أيها الإنسان، ﴿بَعْدُ﴾، أي بعد هذه الحجية والبرهان، ﴿بِالَّذِيْنَ﴾، بالحساب والجزاء والمعنى، أن لا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج؟.

﴿٨﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لِمَنْ يَكْفُرُ﴾، بأقصى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يا محمد.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ والتين والزيتون فانتبهى إلى آخرها: أليس الله بأحكم الحاكمين، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو الوليد، ثنا شعبة عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: سمعت البراء قال: إن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.



تَوْبِيرٍ، أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول ما كوله بيده مزيناً بالعقل والتمييز.

﴿٩﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ﴾، يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير [أسفل] من هؤلاء جميعاً، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم [وإذا عرفت قلت: أكرم القائمين]. وفي مصحف عبدالله «أسفل السافلين» وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. قال أبو العالية: يعني إلى النار في شر صورة، في صورة خنزير.

﴿١٠﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا﴾، فإنهم لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا. ﴿وَيَمْلَأُوا الصَّلَاطِيْنَ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة. وقال ابن عباس: هم نفرٌ ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، فأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.

بها رسول الله ﷺ يرجف فولده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة: مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ، ثم لم ينشب ورقة إلى أن توفي، وفتر الوحي.

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه، عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد، وقال: حدثني عبدالله بن محمد، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر قال الزهري، فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث، وقال: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْرِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا تَرَىٰ فِي يَمِينٍ﴾ وزاد في آخره فقال: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ. فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

أخبرنا أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الوراق، أنا مكى بن عبدان، أنا عبدالرحمن بن بشر، ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول سورة نزلت قوله عز وجل: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْرِ رَبِّكَ﴾.

قال أبو عبيدة مجازة: أقرأ اسم ربك يعني أن الباء زائدة، والمعنى: اذكر اسمه، أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تاديباً، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ قال الكلبي: يعني الخلاق، ثم فسره فقال:

﴿١﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم، ﴿بَيْنَ عَيْنَيْ﴾ جمع علقه.

﴿٢﴾ ﴿أَقْرَأَ﴾، كرره تأكيداً ثم استأنف فقال: ﴿رَبِّكَ الْأَكْرَمَ﴾، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿٣﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، يعنني الخط والكتابة.

﴿٤﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ﴾، من

أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ههنا محمد ﷺ، بيانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

﴿٥﴾ ﴿كَلَّمَكَ﴾، حقاً، ﴿إِنَّا الْإِنْسَانَ لَبَطَيْنَا﴾، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

﴿٦﴾ ﴿أَن﴾، لأن، ﴿وَرَأَاهُ اسْتَشْفَعُ﴾، أن رأى نفسه غنياً، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل كان إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا إِلَهُكَ الرَّحِيمُ﴾، أي المرجع في الآخرة.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿رَأَيْتَ الَّذِي يَعْزُبُ عَنَّا إِذَا صَلَّى﴾، نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن معاذ الحجاج، ثنا عبيد الله بن معاذ ومحمد بن عبدالأعلى القيسي، قالوا ثنا المعتمر عن أبيه، حدثني نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، وعزم ليطأ على رقبته، فما فجأه منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، قال فقيل له: مالك يا أبا الحكم؟

﴿١٦﴾ ثم قال: ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿لَا تَلْمِزُهُمْ﴾، في ترك الصلاة، ﴿وَأَسْتَجِبْ﴾، صل الله، ﴿وَأَقْرِبْ﴾، من الله.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، ثنا علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج، ومحمد بن سلمة قالوا: أخبرنا وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية عن سمي مولى أبي بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».

سورة القدر

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة.

﴿٣﴾ ثم عجب نبيه فقال: ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، سُميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة

والناهي مكذب متولٍ عن الإيمان، فما أعجب من هذا.

﴿٤﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ يَمْلِكُ، يعني أبا جهل، ﴿بِأَنَّهُ أَتَى رَبَّهُ﴾، ذلك فيجازه به.

﴿٥﴾ ﴿كَلَّا﴾، لا يعلم ذلك، ﴿لَيْسَ لَكَ بِشَيْءٍ﴾، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿أَسْتَفْهَمَا بِالْأَسْفَى﴾، لناخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار، كما قال ﴿فَيُخَذُّ بِالْقُرْصِ وَالْأَفْئَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبتة جذباً شديداً، والناصية: شعر

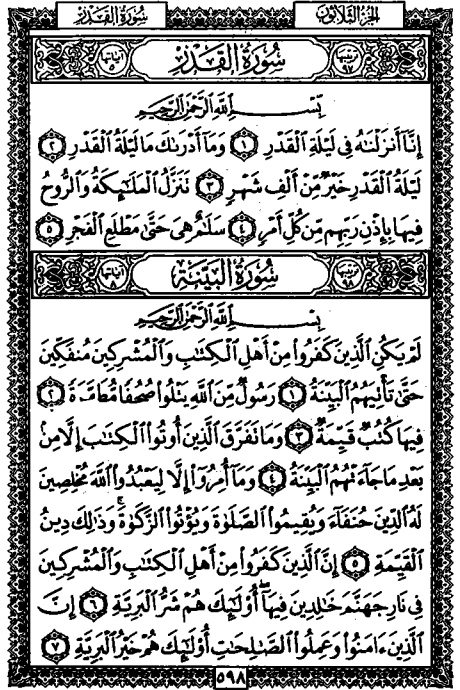
مقدم الرأس.

﴿٦﴾ ثم قال على البديل: ﴿فَأَصْبِرْ كَصَبْرِ جَاسِقَةٍ﴾، أي صاحبها كاذب خاطئ.

قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل أنتنهرني؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً.

﴿٧﴾ قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَتَعَفَى نَادِيَهُمْ﴾، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

﴿٨﴾ ﴿سَتَجِدُنَا رَبَّانِيَةً﴾، جمع زبني مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سما بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.



قال: إن بيني وبينه لخذقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، قال: فانزل الله - لا ندرى في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ﴾، أَن رَأَاهُ اسْتَفْهَمَا ﴿١﴾ إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ ﴿٢﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٣﴾ الْآيَات. ومعنى رأيت ههنا تعجب للمخاطب، وكرر هذه اللفظة للتأكيد.

﴿٤﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْعَذْقِ﴾، يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ.

﴿٥﴾ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوْفِ﴾، يعني بالإخلاص والتوحيد.

﴿٦﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كُتِبَ﴾، يعني أبا جهل، ﴿وَرُؤِيَ﴾، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو على الهدى، أمر بالقوى،

في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وهو مصدر قولهم: قدر الله الشيء بالتخفيف قدرأً وقدرأً، كالنهر والنهر والشعر والشعر، وقدره بالتشديد تقديرأً بمعنى واحد، قيل للحسين بن الفضل: اليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: نعم، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير التي خلقها إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر. وقال الأزهري: وليلة العظمة والشرف من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي جاه ومنزلة، يقال: قدرت فلاناً أي عظمته. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١، الزمر: ٦٧، الحج: ٧٤]، أي: ما عظموه حق تعظيمه. وقيل: لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً.

واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. وروي عن عبدالله بن الحسين مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قد رفعت؟ قال: كذب من قال ذلك، قلت: هي في كل شهر أستقبله؟ قال: نعم. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علّق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف، يروى ذلك عن ابن مسعود، قال: من يقيم

الحول يصيبها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمن أما إنه علم أنها في شهر رمضان، ولكن أراد أن لا يتكل الناس. والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي، ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان».

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أنا أبو محمد الجراحي، ثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا أبو عيسى، ثنا عائشة رضي الله عنها عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليجي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا

محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن عبدالله، ثنا سفيان عن أبي يعقوب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شدّ مثززه وأحيا ليله، وأيقظ أهله.

واختلفوا في أنها في أي ليلة من العشر؟.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا أبو سهل بن مالك، عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا عبدالله بن حامد الوزان، أنا مكّي بن عبدان، ثنا عبدالله بن هاشم بن حيان، ثنا يحيى بن سعيد القطان، ثنا عبيدة بن عبدالرحمن، حدثني أبي قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكر، فقال: ما أنا بطالها بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر من تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة».

فكان أبو بكر إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد.

زنجويه، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «كم مضى من الشهر؟» فقلنا: اثنان وعشرون وبقي سبع، فقال: «مضى اثنان وعشرون وبقي سبع، اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون».

وقال قوم: في ليلة سبع وعشرين، وهو قول علي وأبي وعائشة.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن [ابن أم عبد] يقول: من يقم الحول يصبها، فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتكلموا، هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أتى عملت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظناها وعددناها هي والله لا تنسى، قال قلنا: وما الآية؟ قال: «تطلع الشمس كأنها فاس ليس لها شعاع». ومن علاماتها.

ما روي عن الحسن رفعه «إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها».

وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة

يخرج صبيحتها من اعتكافه، قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر، فقال أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عرش فوكف المسجد، قال أبو سعيد: فبصرت عينا رسول الله ﷺ قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. وقال بعضهم: هي ليلة ثلاث وعشرين.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أحمد بن خالد الحمصي، ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم حدثني [ابن] عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: إني أكون ببادية يقال لها الوطأة، وإني بحمد الله أصلي بهم فمرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه، وإن أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل، وإن أحببت فكف». قال: فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد.

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الرياني، ثنا حميد بن

وأخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن المثني حدثني خالد بن الحارث، ثنا حميد الطويل، ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمران رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر». وروي عن أبي سعيد الخدري: أنها ليلة إحدى وعشرين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان، واعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي

﴿حَتَّىٰ تَطَّلِعَ الْقَبْرِ﴾، أي إلى مطلع الفجر، قرأ الكسائي مطلع بكسر اللام، والآخرين بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى الطلوع، على المصدر، يقال: طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً، والكسر موضع الطلوع.



سورة البينة

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ ﴿لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود النصارى، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾، وهم عبدة الأوثان، ﴿مُنْفِكِينَ﴾ [منتهين عن كفرهم وشركهم وقال أهل اللغة زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفك أي انفصل، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

﴿٢﴾ ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يقرأ، ﴿صُحُفًا﴾، كتاباً يزيد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿تُكَلِّمُهُ﴾، من الباطل والكذب والزور.

أخذ يحظه من ليلة القدر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو بكر بن عبدوس المزكي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن مكرم، ثنا يزيد بن هارون، أنا كهيمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ: إن وافيت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

﴿٣﴾ قوله عز وجل: ﴿نَزَّلَ الْآلِهَةَ وَالرُّوحَ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿فِيهَا﴾، أي في ليلة القدر، ﴿يَأْتِيَنَ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ أَلَّو﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله.

﴿سلام﴾، قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته.

قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر.

﴿٤﴾ وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿يَأْتِيَنَ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿مَلَكُهُمْ﴾، أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شر. قال الضحاك: لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة.

وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، ولا أن يحدث فيها أذى.

ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

﴿٥﴾ قوله عز وجل: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: «يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر». فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك، ولأمتك إلى يوم القيامة.

قال المفسرون: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

حدثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، إملاء، ثنا أبو نعيم الإسفرائيني، أنا أبو عوانة، ثنا أبو إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا الزهري، أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقال سعيد بن المسيب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد

بالمهزة في الحرفين لأنه من قولهم: برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدداً بغير همز، كالذرية، ترك همزها في الاستعمال.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴿٧﴾ جَزَأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ وتناهى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين: رضاً به ورضاً عنه، فالرضا به: ربا ومدبراً، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر. قال السدي رحمه الله: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا محمد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال: النبي ﷺ لأبي: «إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسماني ربي؟ قال: نعم فبكي. وقال همام عن قتادة: «أمرني أن أقرأ عليك القرآن».



سورة الزلزلة

مدنية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ كَرَسًا، حركة الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، ﴿زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، تحريكها.

الكتاب، والأول أصح، ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

﴿١﴾ **وَمَا أُمِرُوا**، يعني هؤلاء الكفار، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين، ﴿حُفَّاءَ﴾، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَيُقيمُوا الصَّلَاةَ﴾، المكتوبة في أوقاتها، ﴿وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، عند محلها، ﴿وذلك﴾،

الذي أمروا به، ﴿وَبَيْنَ الْقَيْمَةِ﴾ [أي الملة والشريعة المستقيمة، أضاف الدين إلى القيمة وهي نعتة لاختلاف اللفظين، وأنت القيمة رداً بها إلى الملة، وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمربه، كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله ﴿وذلك﴾ [بَيْنَ الْقَيْمَةِ] فقال: القيمة جمع القيم، والقيم والقائم واحد، مجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد.

﴿٢﴾ ثم ذكر ما للفریقین فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، قرأ نافع وابن عامر «البرية»

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَزَأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَدِينَتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ وَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَأَلْقَيْتُ مِصْبَايَ ﴿٣﴾ فَأَنْزَلْتُهُمْ نَقْمًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْغَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

٥٩١

﴿٢﴾ ﴿فِيهَا﴾، أي في الصحف، ﴿كُتُبٌ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿قَيْمَةٌ﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

﴿١﴾ ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل. قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فأمن به بعضهم وكفر آخرون. قال بعض أئمة اللغة: معنى قوله ﴿مُنْفَكِينَ﴾ أي هالكين، من قولهم: انفك صلاء المرأة عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتصق فتهلك. ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحججة عليهم بإرسال الرسول وإنزال

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾
موتها وكنوزها فتلقيا على ظهرها.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، ثنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا واصل بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتل، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعوونه فلا يأخذون منه شيئاً».

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فيقول الإنسان: ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

أخبرنا أبو بكر محمد [بن] عبدالله بن أبي توبة، أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنا عبدالله بن محمود، أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب، ثنا يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها،

تقول: عمل يوم كذا وكذا كذا كذا، قال: فهذه أخبارها».

﴿يَأْنُ رَبِّكَ أَزْحَىٰ لَهَا﴾، أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها. قال ابن عباس والقرظي: أوحى إليها، ومجاز الآية: يوحى الله إليها، يقال: أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّهُ النَّاسُ﴾، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، ﴿أَشْنَأُ﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار، كقوله:

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُونَ﴾ [الروم: ١٤]

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّونَ﴾ [الروم: ٤٣].
﴿لِيُرَوْا أَعْمَلْتُمْ﴾، قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرحاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿حَيْرًا يَرَوْهُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، وقال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته.

قال محمد بن كعب: في هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهل وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له

عند الله خير، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزل ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّونَ﴾ ﴿الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها، يقول: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشياء ذلك، ويقول: إنما وعد الله النار على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر، فالإثم الصغير في عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة، وجميع محاسنه أقل من كل شيء.

قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ومن يعمله ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفائزة حين سئل عن زكاة الجمر فقال: «ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفائزة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ومن يعمله ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾».

وتصدق عمر بن الخطاب،

وعائشة بحبة عنب، وقالوا: فيها مثاقيل كثيرة. وقال الربيع بن خيثم: مَرَّ رَجُلٌ بِالْحَسَنِ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ فَلَمَّا بَلَغَ آخِرَهَا قَالَ: حَسْبِي قَدِ انْتَهتِ الْمَوْعِظَةُ.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن القاسم، ثنا أبو بكر محمد [بن] عبدالله، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا علي بن حجر، ثنا يزيد بن هارون، ثنا اليمان بن المغيرة، ثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زُرِّيَتِ الْأَرْضُ تَعْدَلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَقَلٌّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن، و«قَلٌّ يَتَأَيَّبُ الْكَبِيرُونَ» تعدل ربع القرآن.



سورة العاديات

مكية وهي إحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والكلبي، وقتادة، والمقاتلان وأبو العالية وغيرهم: هي الخيل العادية في سبيل الله تضح، والضبح صوت أجوافها إذا عدت.

قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات يضح غير الفرس والكلب والشعلب، وإنما تضح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فزع، وهو من قول العرب: ضححته النار إذا غيرت لونه. وقوله: «ضَبْحًا» نصب على المصدر،

مجازه: والعاديات تضح ضبحاً.

وقال علي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى، وقال: إنها نزلت في وقعة بدر كانت أول غزوة في الإسلام بداراً، وما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون الخيل العاديات؟ وإلى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي. وقال بعض من قال: هي الإبل قوله: «ضَبْحًا» يعني ضباحاً تمد أعناقها في السير.

﴿٢﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا، قال عكرمة، وعطاء، والضحاك، ومقاتل، والكلبي: هي الخيل نواري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحاً يقدحن بحوافرهن. وقال قتادة: هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم.

وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك. وقال محمد بن كعب: هي النيران تجتمع.

﴿٣﴾ فَأَلْمُورِيَّتِ ضَبْحًا، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى

منى، والسنة أن لا تدفع حتى تصبح، والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نغير.

﴿٤﴾ فَأَتَرْنَ بِرِيءٍ، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، «نَقَعًا»، غباراً والنقع الغبار.

﴿٥﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا، أي دخلن به وسط العدو، وهم الكتيبة يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطتهم بالتشديد وتوسطهم بالتشديد كلها بمعنى واحد. قال القرظي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿٦﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لکنود لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعه الكفور، وبلسان كندة وحضر موت العاصي.

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائية مع قومه. وقال أبو عبيدة هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً.

وقال الفضيل بن عياض: الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان والشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة.

﴿٧﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال ابن كيسان:



الْمَبْثُوثِ، الفَرَاشِ الطير التي تراها تنهافت في النار والمبثوث المتفروق.

وقال الفراء: كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَبِهُ﴾ [القمر: ٧].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾، كالصوف المنذوف.

﴿فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت

حسناته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، مرضية في الجنة. قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت سيئاته على حسناته.

﴿فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ﴾، مسكنه

النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهواية اسم من أسماء جهنم، وهو المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية قولها العرب للرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه. وقيل: أراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْبَةٌ﴾، يعني الهواية وأصلها ما هي، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة ثم فسرها.

الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

﴿وَأَنْتُمْ﴾، يعني الإنسان، ﴿لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾، أي لحب المال، ﴿لَشَدِيدٍ﴾ أي لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه إنه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير، أي المال.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾، أثير وأخرج، ﴿مَّا فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَحِصْلٌ مَّا فِي الضُّدْرِ﴾، أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ يَوْمَ مَوْئِدٍ لَّحِيدٍ﴾، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّحِيدٍ﴾، عالم، قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.

سورة القارة

مكية [وقيل مدنية وهي إحدى عشرة آية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْفَارِعَةُ﴾، اسم من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بالفزع.

﴿مَّا الْفَارِعَةُ﴾، تهويل وتعظيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِعَةُ﴾ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ

﴿تَارُ حَائِيَةٌ﴾، أي حارة قد انتهت حرها.

سورة التكاثر

مكية [وهي ثمان آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُ الْكَافُرُ﴾، شغلتمكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى متم ودفنتم في المقابر.

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبني فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في حين من قريش، بني عبد مناف بن

قصي، وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر، فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر عدداً، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدياً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثروهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا، حتى زاروا القبور فعدوهم، فقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثروهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً، فأنزل الله هذه الآية.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا النضر بن شميل، [أنا شعبة] عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟»

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عبد الله [بن] أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنتان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

ثم رد الله عليهم فقال:

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر بالتكاثر، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم ثم تكرره تأكيداً فقال:

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد، والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقال الضحاك ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي علماً يقيناً فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: ﴿لَوْ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف أي لو تعلمون علماً يقيناً لشغلتم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، قرأ ابن عامر والكسائي ﴿لترون﴾ بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم عن بعيد.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾، مشاهدة، ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

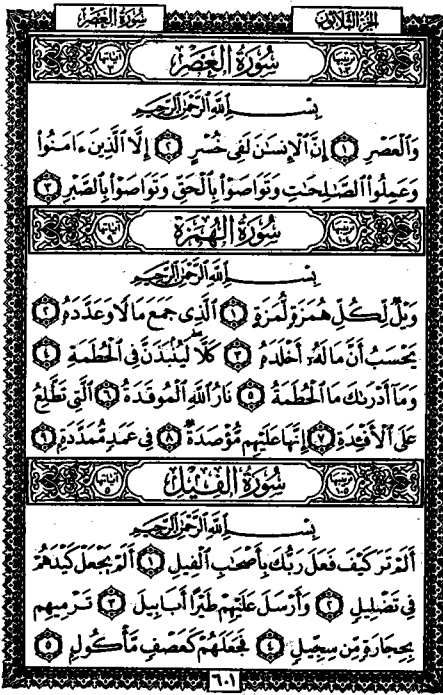
﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْمِ﴾، قال مقاتل: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره، ثم يعذبون على ترك الشكر، هذا قول الحسن. وعن ابن مسعود رفعه قال:

﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْمِ﴾ قال: الأمن والصحة.

وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه.

أخبرنا أبو بكر بن [أبي] الهيثم الترابي، أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، ثنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي، ثنا عبد الله بن حميد، ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عازم الأشعري قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال: ألم نصح جسمك؟ ونروك من الماء البارد».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، أنا محمد بن إسماعيل، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شيبان أبو معاوية، ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاها فيها أحد، فأثاب أبو بكر فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟» فقال: خرجت لألقى رسول الله ﷺ وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: «ما جاء بك يا عمر؟» قال: الجوع يا رسول الله، قال النبي ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخل



وبطانة لا تألوه إلا خبالاً، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي».

وروي عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وذلك قوله: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنَّهُ مَشْهُوَلًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ. وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال.

والشَاء، ولم يكن له خدم، فلم يجده فقلوا لامراته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق ليستعذب لنا الماء، فلم يلثوا أن جاء الهيثم بقرية يزعجها ماء فوضعها، ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديثه فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء يقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنفيت لنا من رطبه ويسره»، فقال: يا رسول الله إني أردت أن تتخيروا من رطبه ويسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ: «لا تذبحن ذات در»، فذبح لهم عناقاً أو جدياً فأتاهم بها، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم؟» قال: لا، قال النبي ﷺ: «فإذا أتانا سبي فأتنا»، فأتى النبي ﷺ برأسين ليس معها ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا، فإنني رأيتك يصلني، واستوص به معروفاً فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالح فيه ما قال رسول الله ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر،

سورة العصر

مكية [وقيل مدنية وهي ثلاث آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَصْرِ ۝ إِذَا الْإِنْسَانُ لَقِي خَيْرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝

والدهر. وقيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقِي خَيْرًا﴾، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي،

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، ثنا الحسين بن الحسن بمكة، ثنا عبدالله بن المبارك والفضل بن موسى قالوا: ثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

قال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

وهما أكبر رأس ماله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم ليسوا في خسران، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿وَالْحَقِّ﴾، بالقرآن قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهمم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٤ و ٥ و ٦].

سورة الهمزة

مكية [وهي تسع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب، ومعناها واحد وهو العياب. وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن بضمه.

وقال سعيد بن جبير وقتادة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم.

وقال ابن زيد: الهمزة الذي يهزم

الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوري: ويهزم بلسانه ويلزم بعينه.

ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤدي جلسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة: للذي يسخر ويضحك من الناس، وأصل الهمز الكسر والعض على الشيء بالعنف. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية.

قال الكلبي: نزلت في الأحنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم.

وقال محمد بن إسحاق: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة في حق كل من هذه صفة.

﴿١﴾ ثم وصفه فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكلبي ﴿جَمَعَ﴾ بتشديد الميم على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿وَعَدَّدَ﴾،

أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتاداً له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

﴿٢﴾ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾،

في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

﴿٣﴾ ﴿كَلَّا﴾، رداً عليه أن لا يخلده ماله، ﴿لِيُبَدَّلَ﴾، ليطرحن،

﴿فِي أَنْطَمَةٍ﴾، في جهنم، والحطمة من أسماء النار، مثل سقر، ولظى، سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

﴿٤﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَنْطَمَةٌ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطلاع والبلوغ بمعنى واحد، يحكى عن العرب: متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قال القرظي والكلبي.

﴿٥﴾ ﴿إِنَّمَا عَلَيْكُمْ فُؤَادُكُمْ﴾، مطبقة مغلقة.

﴿٦﴾ ﴿فِي عَمْرٍ مُّتَدَدٍ﴾، قرأ حمزة والكلبي وأبو بكر في ﴿عمد﴾ بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى: ﴿رَفَعَ الْكُنُوزَ بِفَيْرٍ عَمْرٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وهما جميعاً جمع عمود مثل أديم وأدم وأدم، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: جمع عماد مثل إهاب وأهب وأهب.

قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.

وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبدالله «بعمد» بالباء.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها،

فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم زوح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.



سورة الفيل

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
 بِأَحْسَنِ الْفِيلِ؟

وكانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي:

إن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث «أرباط» إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو يكسوم، فساخط أرباط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع أرباط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرباط.

واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله، ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله، فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها مستخفياً فدخلها ليلاً فقعدها فيها وتغوط بها

ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجترأ عليّ ولطخ كنيسة بالعذرة؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها.

فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلاً لم ير مثله عظماً، وجسماً وقوة، فبعث به إليه فخرج أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وأخرج معه الفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له: ذو نفر، بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذنبا، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خيراً لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه، وخرج معه يده حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثيف فقال: أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يدلك عليه.

فبعثوا أبا رغال، مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات

أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً من الحبشة، يقال له الأسود بن مسعود، على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعيم الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث حياطة الحميري إلى أهل مكة، وقال: سئل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبدالمطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبدالمطلب: ما له عندنا قتال ولا لنا به يد إلا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يدخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا [به] قوة، قال: فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أرفهه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بيته حتى قدم المعسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشياً، ولكن سأبعث إلى أنيس، سائس الفيل، فإنه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرنا ومنزلتنا عنده.

قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال

له: إن هذا سيد قريش صاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي، أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك وأحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً وسيماً فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه.

ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبدالمطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد إلي مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك، قال: لِمَ؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبدالمطلب: أنا رب هذه الإبل وإن لهذا البيت رباً سيمنع عنه من يقصده بسوء، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فردت عليه، فلما ردت الإبل إلى عبدالمطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر الذي وقع بينه وبين أبرهة، وأمرهم أن يتفرقوا في

الشعاب ويتحزروا في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش فيهم، ففعلوا وأتى عبدالمطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك
امنعمهم أن يخربوا قراكا
وقال أيضاً:

لا هُمَّ إن العبد يم
نع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصل
يب وعابديه اليوم ألك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدواً محالك
جروا جموع بلادهم
والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم
جهلوا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعد

بتنا فأمز ما بدالك
ثم ترك عبدالمطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح بأبرهة بالمغمس قد تهاياً للدخول وهياً جيشه وهياً فيله، وكان فيلاً عظيماً لم يُر مثله في العظم والقوة، ويقال كان معه اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضره بالمعول في رأسه فأبى.

فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقه فنزعه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك،

ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتد حتى سعد في أعلا [الجبل] وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجران في رجله وحجر في مقاره أمثال الحمص والعدس.

فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك، وليس كل القوم أصابت وخرجوا هارين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، وهم يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل.

وبعث الله على أبرهة داءً في جسده فجعل تساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة اتبعته مدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى اتصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

قال الواقدي: وأما محمود فيل النجاشي فريض ولم يشجع على الحرم فنجأ، والفيل الآخر شجع فحصب.

وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرأ أصحاب الفيل: أن فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل، فنزلوا فأججوا ناراً

عبدالمطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وبيته.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل.

فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة.

وقال الكلبي: بثلاث وعشرين

سنة.

والأكثر على أنه كان في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿لَا تَرَىٰ تَرَكَيْتَ فَعَلَ رَبِّكَ بِأَحْسَنِ الْأَفْعَالِ﴾؟ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد. وقال الضحاك: كانت القبيلة ثمانية. وقيل: اثنا عشر سوى الفيل الأعظم، وإنما وُحِدَ لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم. وقيل: لِيُفَاقَ رُؤُوسَ الْأَيِّ.

﴿لَا تَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة. وقوله ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ عما أرادوا أضل كيدهم أرادوه بكيدهم. قال مقاتل: في خسارة. وقيل: في بطلان.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً. وقيل: أطاقيع كالإبل المؤبلة.

قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. وقال الفراء: لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحداها إبالة. وقال الكسائي: إنني كنت أسمع النحويين يقولون واحداها أبول، مثل عجول وعجاجيل. وقيل: واحداها من لفظها إيل.

شامية، قال: ما قدها؟ قال: أشباه اليعاسيب، في منقارها حصى كأنها حصى الخذف، قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضاً أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حازت بعكسر القوم ركدت فوق رؤوسهم، فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في منقارها على من تحتها، مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم أنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحت انحطت من ذروة الجبل، فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحداً ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حساً، فقالا: بات القوم سامدين، فأصبحوا نياماً، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون، وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه.

فعمد عبدالمطلب فأخذ فأساً من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض حفرة فملأه من أموالهم من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه حفرة فملأها كذلك، ثم قال لأبي مسعود: هات فاختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معاً، قال أبو مسعود: اختر لي على نفسك، فقال عبدالمطلب: إنني لم أكل أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك، وجلس كل واحد منهما على حفرتة، ونادى عبدالمطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبدالمطلب بذلك قريشاً وأعطته القيادة، فلم يزل

واشتوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الرياح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصغير إلى النجاشي فأسف غضباً للبيعة، واغتاظ غيظاً شديداً، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه: إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبياً نبياً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطلب، فقال له عبدالمطلب: ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلدها نعلاً ثم أرسلها في الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئاً، فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبدالمطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبدالمطلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت رياً يمنع، فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض، وعظمه ونحو له جزوراً. ثم قال أبو مسعود: انظر نحو البحر، فنظرت عبدالمطلب فقال: أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطئ البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: فهل تعرفها؟ قال: فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا

قُرَيْشٍ، وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما ألفوا من رحلة الشتاء الصيف.

وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف. والعامه على أنهما سورتان.

واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: ﴿لإيلاف﴾ قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد وإكرامنا إياه على وجه التعجب، أي اعجبوا لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل منه.

وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال أبو عبيد لنعمتي على قريش، وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبدالله بن [محمد بن] مسلم أبو بكر الجوريدي، ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أنا بشر بن بكر عن الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، ثنا وإثالة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى

كزرع وتبن أكلته الدواب فرائثه فيبس وتفترقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بتفروق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال عكرمة: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.



سورة قريش

مكية [وهي أربع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ليلاف﴾ بغير همز ﴿الإلافهم﴾ طلباً للخفة، وقرأ ابن عامر ﴿لآلاف﴾ بهمزة مختلطة من غير ياء بعدها، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا غير أبي جعفر في ﴿إلئفهم﴾ أنها بياء بعد الهمزة إلا عبدالوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ ﴿إلفهم﴾ ساكنة اللام بغير ياء، وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة؛ منهم أبي بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في ﴿لإيلاف﴾ تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿لإيلاف



قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب.

وقال عكرمة: لها رؤوس كرووس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع. وقال سعيد بن جبير: [طير] خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره لا تصيب شيئاً إلا هشمته.

﴿قُرَيْشِهِمْ بِيحَارَكُ رَيْنِ رِيحِيلٍ﴾، قال ابن مسعود صاحبت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

﴿بِجَمَلِهِمْ كَعْصَفٍ نَأْكُولِ﴾،

كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من [بني] كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وسموا قريشاً من القرش، والقرش، وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب، وهم كانوا تجاراً حراساً على جمع المال والإفضال. وقال أبو ريحانة: سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشاً؟ قال: لداية تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلو، قال: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده شعر الجمحي:

وقريش هي التي تسكن البحر
ر سميت قريش قريشاً
سلطت بالعلو في لجة البحر
ر على سائر البحور جيوشاً
تأكل الغث والسمين ولا تنـ
رك فيه لذي الجناحين ريشاً
هكذا في الكتاب حي قريش
يأكلون البلاد أكلاً كميثاً
ولهم في آخر الزمان نبي
يكثر القتل فيهم والخموشا
قوله تعالى: ﴿إِلَافِهِمْ﴾،
بدل من الإيلاف الأول، ﴿رِسَالَةٌ
أَلِيسَتْهُ وَأَصْفِيْفٌ﴾، «رحلة»، نصب
على المصدر، أي ارتحالهم رحلة
الشتاء والصيف.

وروى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن

يقيموا بالحرم ويعبدوا ربّ هذا البيت.

وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم وادياً جديباً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل من البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحمير، فألقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت.

فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. أي الكعبة.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَبَّنَا﴾، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، ﴿وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَبَّنَا﴾، بالبحر وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم.

وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني

حتى كان فقيرهم كغنيهم.

قال الكلبي: وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل: هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندی
هبلًا مررت ببال عبد مناف
هلاً مررت بهم تريد قراهم
منعوك من ضر ومن أكفاف
الرائشين وليس يوجد رایش
والقائلين هلمّ للأضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يكون فقيره كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق
والراجلين برحلة الإيلاف
عمرو العلاشم الشريد لقومه
ورجال مكة مستنون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه
سفر الشتاء ورحلة الأضياف
وقال الضحاک والربيع
وسفيان: ﴿وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَبَّنَا﴾ من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.



سورة الماعون

مكية [وهي سبع آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، قال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وقال السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان: في الوليد بن المغيرة. قال الضحاک: نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي. وقال عطاء عن ابن عباس: في رجل من المنافقين.

ومعنى يُكذَّب بالدين أي بالجزاء والحساب.

﴿فَذَلَّلْنَا الْقَبِيضَاتِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة.

﴿وَلَا يَخْضَعُونَ عَلَيْهِمْ طَعَامًا إِلَّا شَتَّىٰ﴾، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

٥ أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، أنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبى، ثنا حرمى بن حفص القسملى، ثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي، ثنا عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال: «إضاعة الوقت».

قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا.

٦ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاهِمُونَ﴾، وقال فى وصف

المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاهِمُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل. قيل: لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عقاباً إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها. وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياء، وإن فاتته لم يندم،

وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقبتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

٧ ﴿وَيَسْتَعِينُونَ الْمَاعُونَ﴾، روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة، وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك.

وقال عبدالله بن مسعود: الماعون الفأس، والدلو، والقدر، وأشباه ذلك، وهي رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

قال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع.

وقال محمد بن كعب والكلبي: الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم.

قال قطرب: أصل الماعون من القلة، تقول العرب: ما له سعة ولا منعة، أي شيء قليل، فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً لأنه قليل من كثير.

وقيل: الماعون ما لا يحل منعه، مثل الماء، والملح، والنار.

سورة الكوثر

مكية [وهي ثلاث آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا

مسلم بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مُشهر عن المختار يعني بن قُفُل، عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي أنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ لِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك».

أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عمرو بن محمد، ثنا هشيم، ثنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

قال الحسن: هو القرآن العظيم، قال عكرمة: النبوة والكتاب. وقال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة،

كنوفل فوعل من النفل، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطر: كوثرأ. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسوله ﷺ كما جاء في الحديث:

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن أبي علي الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا حميد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللبن، وأحلى من العسل، وحافتها خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أذفر، فقلت لجبريل: ما هذا؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل».

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد الداودي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أنا أبو سعيد الأشج، ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضاً من الثلج».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا سعيد بن

أبي مریم، ثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منها لم يظم أبداً».

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن الجراز، أنا محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن، إنني لأضربهم بعصاي حتى يرفضوا عنه، وإن ليغث فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والأخر من ذهب، طوله ما بين بصرى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو من مقامي هذا إلى عمان».

قوله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾، قال محمد بن كعب: إن إناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحرف لله عز وجل. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحرف نسكك. وقال سعيد بن جبيرة ومجاهد: فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحرف البدن بمنى وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَأْنُكَ﴾، عدوك ومبغضك، ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، هو الأقل الأذل المنقطع دابره.

نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا، وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له: من [ذا] الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتري يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال دعوه لنا فإنه رجل أبتري، لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش، وذلك أنه لما قدم كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة فتحن خير أم هذا الصنبور المنبر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنُوتِ﴾ [النساء: ٥١] الآية، ونزل في الذين قالوا إنه أبتري: ﴿إِنَّكَ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي المنقطع من كل خير.

﴿وَلِي دِينٍ﴾. الإسلام، قرأ ابن كثير وبنافع وحفص: ﴿ولي﴾ بفتح الياء، والآخرين بإسكانها.



سورة النصر

مدينة وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
 وَالْفَتْحُ، أراد فتح مكة.

وكانت قصته على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشاً عام الحديبية، واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شر قديم، ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له الوثير، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة، فأصابوا منهم رجلاً وتحاربوا واقتتلوا، ورفقت قرش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين: صفوان بن أمية،

نصدقك ونعبد الهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه.

﴿١﴾ ومعنى الآية: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، في الحال.

﴿٢﴾ - ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، في الحال، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، في الاستقبال، ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقوله: ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أي من أعبد، لكنه ذكره لمقابلة ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾. ووجه التكرار.

قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى مجاز خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار، إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز. وقال القتيبي: تكرر الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا: إن شرك أن ندخل في دينك عاماً فادخل في ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة.

﴿٣﴾ ﴿لَكَرُّ دِينِكُمْ﴾، الشرك،

سُورَةُ الْكَافِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكَرُّ دِينِكُمْ وَوَلِي دِينٍ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمَكَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَفْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلُونَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسْمُوسٍ ﴿٥﴾

١٠٢

سورة الكافرون

مكية [وهي ست آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ
 ﴿١﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، إلى آخر السورة.

نزلت في رهط من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي، والمعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، وأمية بن خلف، قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في أمرنا كله، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا

وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إله لي اليوم، أصيبوا نأركم فيه، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس، فقال:

«لا همّ إني ناشد محمداً
جلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا»
الآيات كما ذكرنا في سورة
التوبة.

فقال رسول الله ﷺ: «قد نُصرت يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وهم رهط عمرو بن سالم، ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم وبظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة، ومضى بديل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى

رسول الله ﷺ، ليشدد العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: سرت إلى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى، فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من يعرها ففته فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شيء، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً.

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال ما، أنا بفاعل.

ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أننا لا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الدر لجاهدتكم به.

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة

بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمست القوم بي رحماً وأتربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرني بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله ﷺ أحد، فقال: يا أبا الحسن أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوتر ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته والله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟ قالوا: وماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز لك ذلك

محمد ﷺ؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد علي علي أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بنية أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها» فتجهز الناس.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ذكرناها في سورة الممتحنة.

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ماء - بين عسفان وأمج أظفر -، ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك [الليلة] أبو سفيان بن حرب وحكيم بن

حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبراً.

وقد قال العباس بن عبدالمطلب ليلتئذ: واصباح قريش، والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت وإني - والله - لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً، وقال

بديل: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة الأم من ذلك وأذل، فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبو الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فذاك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبيل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه، فردفني، ورجع صاحبه فخرجت أركض به بغلة رسول الله ﷺ، فكلما مرت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي

وقالوا: هذا عم رسول الله ﷺ [على بغلة رسول الله ﷺ] حتى مرت بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ وقال إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر: فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلاضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا يتناجيه الليلة أحد دوني.

فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، قال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، [وذلك لأنني أعلم أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم]، فقال رسول الله ﷺ: «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به»، قال: فذهبت إلى رحلي فبات عندي.

فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن

ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وإن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، وكانوا قد جمعوا أناساً بالخندمة ليقاتلوا، وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما: «لا تقاتلا إلا من قاتلكم» وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدي، فقال سعد حين توجه داخلاً: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، وما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «أدرکه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها» فلم يكن بأعلى [مكة] من قبل الزبير قتال، وأما خالد بن الوليد فتقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك.

وقتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد، ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل بن الوليد، فشدًا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا في نفر سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم:

هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: والله ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك [الغداة] عظيماً، فقال: ويحك إنها النبوة، قال: نعم إذاً، فقلت: الحق الآن يقومك فحذرهم.

فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، قالوا: فمه؟ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، قال: وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ بمر الظهران فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يذعوانهم إلى الإسلام، ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي ﷺ عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار، وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالبحجون، وقال: «لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى أتيتك» ومن ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك قبتة.

وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف،

تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، قال العباس: قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

قال العباس قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها» قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ، قال: ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول سليم، قال يقول: مالي وللسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء كتبية رسول الله ﷺ. فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله من

عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركاً، ففرّ إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له.

وعبد الله بن خطل، كان رجلاً من بني تميم بن غالب، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وكان له مولى يخدمه وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه.

والحويرث بن نغير بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة.

ومقيس بن صبابه، وإنما أمر بقتله، لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتداً، وسارة مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة.

وعكرمة بن أبي جهل، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

وأما عبدالله بن خطل، فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صبابه، فقتله نميلة بن عبدالله، رجل من قومه. وأما قينتا بن خطل فقتلت

إحدهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمنها، وأما سارة، فتغيبت حتى استؤمن لها فأمنها، فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن أبي طالب.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقف قائماً على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل ماثرة أو دم أو مال في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، لذلك سُمي أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس للبيعة، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفاء، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء.

قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب

الجمحي: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي، وقد خرج هارباً منك ليقدف نفسه في البحر، فأمنه، قال رسول الله ﷺ: هو آمن، قال: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جنتك به، فقال: ويلك اغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان فذاك أبي وأمي، أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك عزّه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتني؟ قال: «صدق»، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: «أنت فيه بالخيار أربعة أشهر».

قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال يقين من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حينئذ.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو نعيم،

ثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير بن أبي كثير عن [أبي] سلمة عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً.

وقال محمد بن إسماعيل: قال عبدالله بن رجاء: ثنا حرب عن يحيى، ثنا أبو سلمة، أنا أبو هريرة أنه قال: عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من بني ليث يقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتى هذه، حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما [أن] يؤدوا وإما [أن] يفادوا، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه»، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلمت، فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي

طالب، قال: «مرحباً بأم هانئ»، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحقاً في ثوب واحد، ثم انصرف فقلت له: يا رسول الله زعم ابن أمي، علي بن أبي طالب، أنه قاتل رجلاً أجرته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ» وذلك ضحى.

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ إذا جاءك نصر الله يا محمد على من عاداك وهم قريش، والفتح فتح مكة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَقْوَابًا﴾، زمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين. وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن.

أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى، أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أنا عبدالله بن عمر الجوهري، ثنا أحمد بن الكشميهني، ثنا علي بن حجر، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فإنك حينئذ لاحق به.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو النعمان، ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أأذكلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذلك علامة أجلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن.

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنا عبدالغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى حدثني عبدالأعلى، ثنا داود عن عامر عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: «أخبرني ربي أنني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فالفتح فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فسبح بحمد ربك واستغفره إنك كان تواباً».

قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعت إليه نفسه.

قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح.

قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبتين يوماً.



سورة المسد

مكية [وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: يا صباحاه، قال: فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: مالك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم [أو ممسبكم] أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها.

قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي خَابِتٍ وَخَسِرْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خابت عن يديه، والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال و«التباب» الخسار والهلاك.

وأبو لهب هو ابن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، واسمه عبدالعزى. قال مقاتل كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه. وقرأ ابن كثير ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ ساكنة الهاء وهي مثل نهر ونهر.

واتفقوا في ذات ﴿لَهَبٍ﴾ أنها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل، ﴿وَتَبَّ﴾ أبو لهب، وقرأ عبدالله: وقد تب. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾

قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عز وجل قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإنني أفتدي نفسي بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾.

أي ما يغني، وقيل: أي شيء يغني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه.

كما جاء في الحديث: «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وإن ولده من كسبه».

ثم أوعده بالنار فقال: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي ناراً تلتهب عليه.

﴿وَأَمْرًا تُرْهِمُ﴾، أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

قال [ابن] زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين



ينبت باليمن يقال له مسد، قال قتادة: قلادة من ودع.

وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها. وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقتها في عداوة محمد ﷺ.

سورة الإخلاص

مكية [وهي أربع

آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

وروى أبو ظبيان، وأبو صالح، عن ابن عباس: أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: لإمام تدعوننا يا محمد؟ قال: «إلى الله»، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة. فأهلك الله أريد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون.

وقد ذكرناه في سورة الرعد [١٣].

وقال الضحاك وقاتدة ومقاتل: جاء ناسٌ من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك يا

الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به. وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا، دليله قوله: ﴿وَهُمْ يَمْجَلُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَى طُهْرِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، قرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم، كقوله: ﴿ملعونين﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان: أحدهما ﴿سَمَلٌ نَارًا﴾ هو، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ والثاني: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في النار أيضاً.

﴿في جديها﴾، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿حَبْلٌ مِّنْ مَّسَلٍ﴾.

واختلفوا فيه.

قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً، تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون ساثرها في عنقها، وأصله من المسد وهو القتل، والمسد ما قتل وأحكم من أي شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلاً محكماً. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد، والمسد: الحديدية التي تكون في البكرة، يقال لها المحور، وقال الشعبي ومقاتل: من ليف. قال الضحاك وغيره: في الدنيا من ليف وفي الآخرة من نار، وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت ففعدت على حجر تستريح فأتاها ملك ف جذبها من خلفها فأهلكها.

قال ابن زيد: حبل من شجر

محمد لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ممن يرث؟ ومن يرث منه؟ فأنزل الله هذه السورة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: قل هو الله الواحد.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: تفسيره ما بعده.

روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده.

وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد. وعن سعيد بن جبير أيضاً: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب. تقول العرب: صمدت فلاناً أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته، والمقصود صمد بفتح الميم. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي. وقال الربيع: الذي لا تعتربه الأفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

﴿٢﴾ - ﴿٣﴾ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ﴾ وَكَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَكُّ، قرأ حمزة وإسماعيل حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزاً، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هو على التقديم والتأخير مجازة: لم يكن له أحداً كفواً أي مثلاً. قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل.

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] المليحي، أنا أحمد بن عبدالله النعمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب عن الزهري، أنا أبو

الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقولته: لن يعيدني كما بدأتي وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقولته: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أنا أبو علي زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَكُّ﴾ ويردها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال له رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أنا أبو إسحاق الشعلي، أنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهاني، أنا عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قلت: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأوا قل هو الله أحد».

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا

زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن عبيد الله بن عبدالرحمن عن عبيد بن حنين مولى زيد بن الخطاب أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَكُّ﴾ اللَّهُ أَضَكُّدُ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ وَكَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَكُّ، فقال رسول الله ﷺ:

«وجبت»، فسألته: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة». فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فأثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، ثنا عبدالرحيم بن منيب، ثنا يزيد بن هارون، ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَكُّ﴾ قال: «حبك إياها أدخلك الجنة»،



سورة الفلق

[مدنية وهي خمس آيات].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، قال ابن عباس وعائشة - رضي الله عنهما -: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فديت إليه اليهود، فلم

يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطة، فأعطاه اليهود فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت السورتان فيه.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ: طُب حتى أنه ليخيل إليه أنه قد صنع شيئاً وما صنعه، وأنه دعا ربه ثم قال: «أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه» فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال الآخر: هو مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال في ذروان، وذروان بئر في بني زريق» قالت عائشة: فأتاه رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة، فقال: «والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين» قالت: فقلت له يا رسول الله فهلا أخرجته؟ قال: «أما، أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أثير على الناس به شراً».

وروي أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها.

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أنا محمد بن إبراهيم الصالحاني، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أنا ابن أبي عاصم، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، قال فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأناه جبريل، فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهود ولا رأوه في وجهه قط.

قال مقاتل والكلبي: كان في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة.

[وقيل: كانت العقدة مغرزة بالإبرة، فأنزل الله هاتين السورتين وهي إحدى عشرة آية] سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وروي: أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال، فنزلت المعوذتان.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى الجلودي، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا بشر بن هلال الصواف، ثنا عبد الوارث، ثنا عبدالعزيز بن صهيب، عن أبي نصر، عن أبي سعيد: أن جبريل

عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، قال: «بسم الله أريك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أريك والله يشفيك».

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّي الْفَلَقِ﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وقتادة، وأكثر المفسرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، والأول المعروف.

① - ② ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾
﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

أخبرنا أبو الحسين السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا جعفر بن محمد بن المغلس، ثنا هارون بن إسحاق الهمداني، ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة استعيني بالله من شر غاسق إذا وقب، هذا غاسق إذا وقب».

فعلى هذا المراد به القمر إذا خسف واسود: وَقَب، أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق

الظلمة، يقال: غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس. قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سمي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد. وقال ابن زيد: يعني الشربا إذا سقطت. ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها.

﴿وَيَنْبَغِي فِي عَقْدِ الْخَيْطِ حِينَ يَرْقِيْنَ عَلَيْهَا﴾. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

﴿وَيَنْبَغِي حَيْدُ إِذَا حَسَدَ﴾، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

سورة الناس

[مدنية].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ - ﴿١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿١﴾ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ ﴿٣﴾ ﴿رَبِّ سَرِّ النَّاسِ﴾ ﴿٤﴾، يعني الشيطان يكون مصدراً واسماً، قال الزجاج: يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاء، وهو الشيطان جائم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. [و] قال [قتادة]: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس،

ويقال: رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمينه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه.

﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَبُوءُ بِرَبِّهِ﴾ ﴿٥﴾ ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

﴿وَيَنْبَغِي فِي عَقْدِ الْخَيْطِ حِينَ يَرْقِيْنَ عَلَيْهَا﴾، يعني يدخل في الجنى كما يدخل في الإنسي، ويوسوس للجنى كما يوسوس للإنسي، قاله الكلبي، وقوله: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس، فسمى الجن ناساً كما سماهم رجالاً، فقال: ﴿وَأَنْتَ كَأَنَّ يَكْفَأَ يَنْ أَلَيْنِ يَبُوءُونَ بِرَبِّكَ﴾ [الجن: ٦]، وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقعوا فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن. وهذا معنى قول

الفراء، قال بعضهم: أثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان، فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعاً، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، كأنه أمر أن يستعبد من شر الجن والإنس جميعاً.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي

حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الفلق: ١].»

أخبرنا أبو سعيد [أحمد بن إبراهيم] الشريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي، ثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن [أبي] كثير حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تتعدون به المتعدون؟» قلت: بلى، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.»

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنا أبو عيسى الترمذي، ثنا قتيبة، ثنا المفضل بن فضالة عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من

جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.
أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه يده رجاء بركتها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي قالا: ثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني،

أنا محمد بن يحيى، ثنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار».

أخبرنا عبدالواحد [بن أحمد] الملبحي، أنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا إبراهيم بن حمزة، حدثني ابن أبي حازم عن يزيد، يعني ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن

عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين. [تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وحسبنا الله ونعم الوكيل].



فهارس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٢٦	أتدرون من المفلس؟	١٣٠٥	أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً
١٠٨٠	أتدري أين تذهب	١٢٤٩	إبراهيم الذي وفي صلى أربع ركعات
١٣٤	أتدري عليه حديثه	٥٨٩	أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك
١٢٧٠	أترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة	٨٩٣	أبشر يا هلال فإن الله قد جعل لك فرجاً
١٢١٩	أترضون أن يكون بيني سبرة بن عمرو؟	١٤٣٩	أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب
٤١٤	أترون هذه طارحة ولدها في النار؟	١٢٩٤	أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور
١١٦٨	أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟	٤٢٢	أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام
١٨٣	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين؟	٨٠٧	أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك
١٣٥	أتريدون أن ترجعي إلى رفاعه؟	٨٦٨	ابعتها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ
٦٩٩	أنضحكون وبين أيديكم النار؟	١٢٤٩	ابن آدم اركع لي أربع ركعات
١١٠٥	أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب	١٧٢	ابن آدم أنفق أنفق عليك
	اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا	١٢١٦	أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة
١٣٢٣	قوة إلا بالله	١٤٤٥	أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق
١١٥٠	أقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله	٣٨٥	أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة
١٢٩٦	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة	١١٩٢	أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن
٢٨٥	اتقوا الله في النساء فإنكم	٥٧٨	أنحب ذلك؟
١٣٧٠	اتقوا الله في النساء فإنهن عندهم	٨٥٨	أتدرون أي يوم ذلك؟
٣١٣	اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم	١٤٢٧	أتدرون ما أخبارها؟
١٢١٦	اثبت أحد ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد	١٢٢٣	أتدرون ما الغيبة؟
٢٩٣	اجتنبوا السبع الموبقات	١١٥٥	أتدرون ما هذان الكتابان؟
١٠٨	اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة	١٣٣٦	أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟
	اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلده		
١٠٦	الهدى		
١٢٧٥	اجعلوها في ركوعكم		

حرف الألف

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٣٠٣	إذا التقى الختانان أو مس الختان الختان ...	١٢٧٥	اجعلوها في سجودكم
١١٢٨	إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفض فراشه ...	٧٦٣	أحب الكلام إلى الله تعالى أربع:
١٣١٣	إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل		احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت
٨٤٢	إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب	٨٢٩	أبونا
١٠٤٩	إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر ..	٥٤٥	أحسستم وأجملتم كذا فاصنعوا
٣٠٠	إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا	٢٧٣	أحق الشروط أن توفوا به ما استحلتم
١١٢٤	إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح	٣٩٩، ٨٢	أحلت لنا ميتتان ودمان
٥٩٩	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...	٥٣٦	أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي ..
٩٣	إذا دخل رمضان صفدت الشياطين	١٣٥٧	أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس
٤٢٠	إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب	٧٥٦	أخبركم بما سألتكم غداً ولم يقل إن شاء الله ..
٥٤٤	إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد	٣٥٣	آخر سورة نزلت كاملة براءة
٣٢٩	إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً	٥٧٥	أخر عني يا عمر
٢٩١	إذا زنت أمة أحدكم فبين زناها	٥٧٩	أخرج يا فلان فإنك منافق
٧٩٥	إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس	٥٥٠	أخرجوا المشركين من جزيرة العرب
٩٠٢	إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع	٢٦٩	أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات
٧٥٣	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول	٦٣٣	أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله
١٤٦	إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٧٩٦	أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
٨٠٣	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار	١٢٦٩	أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم ..
١١٩٧	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	١٢٦٩	أدنى أهل الجنة منزلة لمن يغدو عليه ويروح ..
٦٧٤	إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها ..	١٤١٣	إذ انبعث أشقاها: انبعث لها رجل عزيز
١١	إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا		إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء
٨٧٩	الضالين فقولوا:	٦٩٣	من
٦٨٧	إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى	٨١٣	إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل:
٣٧٥	إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ...	٤٥٤	إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها ..
٢٧	إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا	٧٠٦	إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح
٥١٠	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٠٦٢	إذا أراد الله أن يوحى بالأمير تكلم بالوحي ...
١٠٦٣	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٨٤	إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة
٦٩٥	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة	٣٥٩	إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك
٥٠٩	إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب ...	٣٥٩	إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى
٩٣	إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت	٩٠٢	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ..
	الشياطين	٩٧	إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار
	إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من	١١٢٥، ١١٢٤	إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله
	أبواب المسجد	١٣١١	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون
		٥٣٣	إذا أكثبكم فعليكم بالنبل

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٤٨	اشتد غضب الله على من قتله نبي	١٣٨٩	إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد ..
٥٨٤	أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ..	١٢٨٧	إذا كنتم ثلاثة فلا يتناحى اثنان
١٠٣٢	اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين	١٢٨	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ...
٣٢١	اشفعوا لتؤجروا ليقضي الله على لسان نبيه ..	٧٥	إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: ..
٢٥٨	أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله	٣٠٥	إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ
١٢١٠، ٥١٤	أشيروا علي أيها الناس	٣٤٧	إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف ..
٩٠٣	أصرف بصرك	١٢٨	إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى
١١٠٣	أطت السماء وحق لها أن تئط	٣٠٢	يذهب
٧٤٤	اطلبوا فضلة من ماء	٢٥٥	إذا وجدتم الرجل قد غل
١١٩٥	أطلقوا ثمامة	١١٩٧	إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ..
١٠٧٣	أعذر الله تعالى إليّ امرئ آخر أجله	٤٤١	اذكروا أنتم اسم الله وكلوا
٢٧٩	أعطى ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن	١١٣٥	أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ..
٦٧٩	أعطي يوسف نصف الحسن	١٠٦	أذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك
٨١٣	أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة	٦٣٣	أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه ..
١٥٧	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	٧٨٩	أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة
١٠٧٣	أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين	٢٤٣	أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار
٣٠٤	أعوذ برضاك من سخطك	٤٣٧	أرايتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ..
٧١٤	أعوذ بك من البخل والكسل وأردك العمر ..	١٣٠٧	أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ..
٤٢٥	أعوذ بوجهك	٢١٨	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً:
١١١	أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ	٩٤	أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم
٩٨٧	اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ..	٩٤	أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا
٩٩	اغزوا بسم الله وفي سبيل الله	٤٦٧	غائباً
٦٨١	أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف	١٢١٦	أرحم أمي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله ...
	أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان	٢٩٥	أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله ...
١١٦	جائر	٥٤١	أرفعوا السيف إلا خزاعة من بني بكر
٥٩	أفضل الصلاة طول القنوت	٥٨٥	استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها ...
	أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله	٦٨٧	استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت
١٠١٩	المحرم	٧٧٩	استكثروا من الباقيات الصالحات
٧٧٩	أفضل الكلام أربع كلمات	٢٩٢	استنصت الناس .. لا ترجع بعدي كفاراً ..
١٢٣١	أفلا أخيركم بأمر تدركون من كان قبلكم ...		أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني
٧٥٢	أفلا أكون عبداً شكوراً	١١٩٥	عقيل
٣٢٨	أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً ..	٧٧	اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي
١٣١٤	أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ ..	٥٧٨	أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير ...
٣٣٣	أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا	٣١٣	اسمع وأطع ولو لعبد حبشي

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٩٦	ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم	١٢١٦	اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي:
١٠٣٦	ألا ترضوا يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم	١٣٥٩	اقرأ القرآن في كل شهر
١٠٣٨	الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم	٣٠١	اقرأ عليّ
٢٧٩	ألقوا الفرائض بأهلها	٧٥٥	اقرأوا القرآن قبل أن يرفع
٦٠٤	الذين إذا رؤوا ذكر الله	١٠٨٦	اقرأوا على موتاكم يس
١٨٧	ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا	١٤٢٢	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
١٢٠٦	الله أكبر، الله أكبر، خربت خبير	١٢٤٠	أقضي بينكما بكتاب الله
١١٠٣، ١٢٠٧	الله أكبر خربت خبير	٢٨٥	أقعدني في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله
٤٨٧	الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ..	١٠٨٤	أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ..
٥١٩	الله الذي لا إله غيره؟	٢٩٣	أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله ..
١٢١٧	الله الله في أصحابي	٦٧٦	اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
٢٦٧	اللهم اجعل في بصري نوراً وفي قلبي نوراً ..	٦٨٦	أكرموا عمّتكم .. النخلة
٦٩٦	اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً		أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم
	اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين	٥٦٩	أكل كل ذي ناب من السباع حرام
٨٨٤	اللهم أعم أبصارهم عنا	٤٤٨	أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال:
٥٦١	اللهم أعني عليهم بسبع كسب يوسف	١٢٥٠	ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ المتعوذون؟
١١٧٥	اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث ..	١٤٥٠	ألا أخبرك بأفضل من درجة الصيام والصدقة
٢٤٢	اللهم العن فلاناً، وفلاناً، وفلاناً	٣٣٨	ألا أخبرك بأهل الجنة؟
٢٤٢	اللهم أمتي أمتي وبكى	١٣٣٧	ألا أخبرك بما يمحو الله الخطايا
١٤١٥	اللهم أمتي وبكى	٢٧٠	ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
٤١٠	اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار ..	١٠٨	ألا إن في قتل العمدة الخطأ بالسوط أو العصا مائة
١٠٢٦	اللهم أنجز لي ما وعدتني	٣٢٦	ألا أنبئكم بأكثر الكبائر؟
٥١٤	اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ..	٢٩٣	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
٥٩٦	اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي	٩٩٧	ألا تجيبوه .. قولوا-الله أعلى وأجل
١١٩٠	اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء وأبرأ ..	٢٤٥	ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم
١٠٣٣	اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس	١٠٨٦	ألا تصليان؟ .. وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ..
٤٤٢	اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك	٧٨٢	ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
١٢٥٦	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	١٢٩٥	ألا لا إيمان لمن لا أمانة له
١٢٧٦	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل	٣١٢	ألا لا تغالوا صدقة النساء
١١٢٨	اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا	٢٨٩	ألا لا يحجج بعد هذا العام مشرك
٨٧٨		٥٨	ألا هل من مشمر للجنة
		٢٣	ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة
		٢٣٦	

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٢٥	امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله	٧٧٢	اللهم سلط عليه كلباً من كلابك
٣٣٥	أمتي جبريل عند البيت مرتين	٥٨٠	اللهم صل على آل أبي أوفى
٢٧	إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها . . .	٢٠	اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
١١٣	إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم	٧٥١	اللهم لا تكنني إلى نفسي طرفة عين
	إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث	٢٤٥	اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك
٧٨١	سراياه	١٢٣٣	اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض
١٣٣٦	إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن	٣٤٣	اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني
١١٠٧	إن أحب الصيام إلى الله صيام داود	٥٣٠	اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها وفخرها .
٣١٢	إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة	١٩٠	اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك
١١٤١	إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة	٢٥٤	ألم أعهد إليكم أن لا تركوا المركز
١٠١٩	إن أخأ لكم لا يقول الرفث	٢٩٧	إلى أقربهما منك باباً
	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك	٥٥٣	أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟
٧٩٦، ٦١٥، ١٦٨	الأصفر	٧٠١	أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم . .
١٣٦٧	إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجهه	١٣٢٤	أما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه
١٢٦٨	إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض	٩٨	أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً
١٧٠	إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه	٦٩	أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها
٧٦٣	إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر	٥٢٢	أما إنهم مبخلة مجبنة وإنهم لمن ريحان
١٣٣	إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً	٢٢٨	أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر
٥٨٦	إن للأواه الخاشع المتضرع	١٢١٨	أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً
	إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى	٢٦٩	أما ترضى أن تكون لهم الدنيا
٢٣٦	أدخلها	١٠٤٨	أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل
	إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ	٢١٨	أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلماً
٨٦٢	الجمجمة	٣٦٠	أما ما ذكرت من آية أهل الكتاب فإن وجدتم
١١٤٣	إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً	١١٨٤	أما هو فقد أتاه اليقين من ربه
١١٤٤	إن الدعاء هو العبادة	٢٨٣	أما والذي نفسي بيده لأقضي بينكما
	إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا	١١٦	أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى .
٦٣٢	غلبه	١٢١٧	أمر القعقاع معبد بن زرارة
٧٦٠	إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه	٥٢١	أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر
٨٩	إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة		أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف
٥٥٧	إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق	٨٦٦	باليث
٧٥٤	إن الشمس تندو يوم القيامة حتى يبلغ العرق .	١٣٥٤	أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء
٢٨٤	إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح	٥٤٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٣٠٣	إن الصعيد الطيب وضوء المسلم	٢٧٢	أوصك أربعاً وفارق ساترهن
١١٤٧	إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة	١٠٤٣	أسلك عليك زوجك

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٦١٥	إن الله عزَّ وجلَّ لا يظلم المؤمن حسنة	٦٨٧	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه
٥٥٥	إن الله عزَّ وجلَّ لم يفرض الزكاة إلا ليطيب . . .	إن العبد يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل	
١٥٦	إن الله عزَّ وجلَّ ليدفع بالمسلم الصالح عن	الجنة	
٥٧٣	مائة	٦٥٤	إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر . . .
١٢٣٨	إن الله عزَّ وجلَّ منعني أن أقبل منك صدقتك	٧٨٧	إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً
١٩١	إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته	٦٣٥	إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
٤١٥	إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم	١٦٨	إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد . . .
٨٧	إن الله فرض فرائض فلا تضعوها ونهى عن	١٤٣٦	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
٥٧٤	أشياء	١٣٣٥ ، ٥٠٨	إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق
١٢٤٨	إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية	إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء	
١١٤٣	لوارث	عن الشرك	
٢٩٩	إن الله قد رخص لي فلازيدن على السبعين . . .	٧٩٦	إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل
٥٢١	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	الجنة	
٦٨٠	إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور . . .	١٩٣	إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال
١٨٥	إن الله لا يظلم المؤمن حسنة	٧٠١	إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك
١٢٢٥	إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة	١٤٢٦	إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات . . .
٥٦٥	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٤٠٠	إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة
٦٣٠	إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام	٤١١	إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده:
٩٥٠	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	٨٧٩	إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً
٥٣٣	إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في	٢٣٣	إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة
٥٣٣	الصدقات	١٨٤	إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم
٢٦٨	إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه	ثلاثاً	
٦١٦	إن الله يؤيد حسان بروح القدس	٢٢٩	إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر . . .
٣٠٠	إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة	٢٨٤	إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في
١٣٠	إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر	نفسك	
١٣٩٠	إن الله يدخل قوماً النار	٧٤	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة . . .
١٣٣٦	إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه	٦٩٩	إن الله عزَّ وجلَّ اتخذ إبراهيم خليلاً وإن
٩٥٠	إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس	صاحبكم	
١٢٣٩	الخلائق	٧٥٥	إن الله عزَّ وجلَّ أنزل أربعة أنهار من الجنة . . .
١٣٠	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٨٨٠	إن الله عزَّ وجلَّ أنزل من الجنة خمسة أنهار . . .
١٣٩٠	إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه	٨٨٠	إن الله عزَّ وجلَّ تجاوز عن أمتي ما وسوست
١٣٣٦	إن المؤمن ليدرك بحسن خلق درجة	به أنفسها	
٩٥٠	إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه	١٨٣	إن الله عزَّ وجلَّ جعل بالمغرب باباً مسيرة . . .
١٢٣٩	إن المؤمنين وأولادهم في الجنة	٤٥٣	إن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه
		٤٩٩	إن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٢٣	إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم ..	١٢٦٣	إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها ..
١١٧٢	إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم ..	٦٩٥	إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ..
٨٥٠	أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين ..	١٧٨	إن الملائكة لتلقت روح رجل ..
١٢٥٢	لئن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم ..		إن الميت يسمع حس النعال إذا ولى عنه ..
	إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من ..	٦٨٧	الناس ..
٩٦٩	مغربها ..	٢٣٤	إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه ..
١٣١٢	إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد ..	٤٠٣	إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ..
	إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة ..	٧٢٧	أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة ..
١٢٦٣ ، ٢٢	القمر ..	٨٧٥	أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة ..
٧٤٦	إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب ..	١٠٣٩	أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على ..
١٢١٧	إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي ..	٣٠٧	أن النبي ﷺ أمر رجلا كان جنبا ..
١٤٣٠	إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعم ..	٣٦٢	أن النبي ﷺ توفضا فسمح بناصيته ..
١٠٥١	إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ..	٤٢٥	أن النبي ﷺ دعا في مسجد ..
٦٠٤	إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون ..	١٢٥١	أن النبي ﷺ سجد بالنجم ..
٢٨	إن بالمدينة جنبا قد أسلموا ..	٣٣٣	أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بإحدى ..
٩٦	إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ..	٣٦١	أن النبي ﷺ صلى يوم فتح مكة الصلوات ..
	إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ..	٢٨٣	أن النبي ﷺ ضرب وغرب ..
٤٥٣	فرقة ..	١٤٥١	أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ ..
٧٢٩	إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء ..	٨٣٠	أن النبي ﷺ كان إذا أصاب أهله ضر ..
	إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده ..	٣٦٣	أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل ..
٣٩٢	أحد ..	٣٦٣	أن النبي ﷺ كان إذا ركب ..
١١٤٢	إن بين يديه ثلاث سنين: ..	٧١	أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة ..
٥٠٥	إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة؟ ..	١٤٢٠	أن النبي ﷺ كان في سفر فقرا ..
٢٩٣ ، ٢٢	أن تجعل لله ندا وهو خلقك ..	١٠٠٠	أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئا لغيره ..
٣٩٤	أن ترهب أمي الجلوس في المساجد ..	١٠٨٤	أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت ..
٨٥	أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر ..	٣٣٣	أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس ..
٣٢٢	أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ..	٩٧	أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر ..
١٣٢	أن تطعمها إذا طعمت ..	١٧٧	أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم والكلب ..
	إن تغفر اللهم تغفر جمعا وأي عبد لك لا ..	٣٢٢	أن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم ..
١٢٤٨ ، ١١٣١	أما ..	٣٦٤	إن أمي يدعون يوم القيامة غرا محجلين ..
٧٤	أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله ..		أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة ..
٩٩٧	أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله ..	١٢٠٨	مسمومة ..
	أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على ..	١١٢٤	إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم ..
١٢٠٩	رسول الله ..	٥٩٥	أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح ..

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٢٩٥	إن شتمتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم	١١٣٥	إن جدلاً في القرآن كفر
٥٦٥	إن شتمتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني	١٨٨	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه
٩٩٧	إن صلاته تنهاه يوماً	١١١٠	إن داود النبي عليه السلام حين نظر إلى المرأة
٩٩٧	إن صلاته لتردعه	٢٤٦	إن رأيتُمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا
٢٤٥	إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب	٥٠٨	إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك
٧٦	إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء	٢٦٧	أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله .
١١١٦	إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة	٢١٩	أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف ..
٧٢١	إن عماراً ملئء إيماناً من قرنه إلى قدمه	٨٠٩	أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا
٤١٠	أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في	منان
.....	الضبع بكبش	أن رجلاً ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل
١٠١٩	إن في الجنة غرماً يرى ظاهرها من باطنها	٤٥٦	سجل
٢٣	إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء	٥١٨	أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث
٢٣	إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة	٥٢٧	أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولقرسه
.....	إن في المدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ولا	٣٦١	أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء عند كل
.....	قطعتم	٥٤٥	أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية
٣٢٩	٥٥٢	أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة
٥٦٩	إن في أمي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ..	٩١	أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح ..
١٣٩٨	إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده	١٨٢	أن رسول الله ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم
٧٩	إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم	١٦٢	أن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة
١٢٦	إن كان الدم عبيطاً فليصدق	٣٧٦	أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً في مجن
.....	إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد	١٣٣٦	أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل
١٣٣٦	رسول الله	١٠٦٧	أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة
.....	إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا	٥٢٧	أن رسول الله ﷺ كان ينفل
٣٩٤	وقوموا	١٣٣٥	أن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً
١٢٨١	إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة	١٢٧٣	أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى ..
٢٠٩	إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير	٢٧٣	أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار
٧٥٣	إن لكل نبي دعوة مستجابة	٢٨٩	أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء
١٢٦٥	إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة	٣٠٢	أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر حرقوا
٥٠٣	إن لله تسعة وتسعين اسماً	١٤٠	أن سبعة نفست بعد وفاة زوجها
٦٠٤	إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء	١٢١٧	إن شرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً ..
٤١٣	إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن	١٣٣٤	إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية ..
١٠٥٢	إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني ..	٣٩٤	إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله
٧٨١	إن للوضوء شيطاناً يقال له ولهان	٥٨٤	إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله
١٠٤٥	إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد	٧٦	إن شئت دعوت الله أن يشفيك
٦٧٤	إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٣٥	أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد	١١٣٤	إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد
١٢٠٥	أنتم خير أهل الأرض	١١١١	إن مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماء
١٤٢٤	أنزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها	٥٤٩	إن معي من ترون وأحب الحديث إليّ أصدقه
	أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث	١٢٦٠	إن منّا خلق الله عزّ وجلّ لوحاً من درة بيضاء
٩١	ليال مضيئ	١٣٥	إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق
	أشددك بالذي أنزل التوراة على موسى أما	١١٩٧	إن من أشرط الساعة أن يرفع العلم
٤٣٢، ٣٧٨	تجد	٦٨٦	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
١٢٥٢	انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ	٩٥١	إن من الشعر لحكمة
١١٩١	انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه	١٢٣	إن من العنب خمراً
٧٠٢	انظروا إلى من هو أسفل منكم	٨٦	إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره
٧٠٤	انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه	٧٨٣	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
٨٩٣	انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج		إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من
١٢٦	أنفست؟	١٠٥٤	جلده شيء
١٢٤	أنفق على نفسك	٣٨٩	إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت
١٧٢	أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك	١١٦٩	إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد
٥٦٧	إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى		إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات
٤١٢	إنك تعيش قرناً	٦٢	والأرض
٢٣٦	إنكم تتمعون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها		إن هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين
١٠٧٣	إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفدام	٢٢٩	إن هذه الصحابة لتستهل بنصر بني كعب
٨٣٠	إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	١٤٤١	إن يدخلك الله الجنة لا تشاء أن تركب
٢٧٩	إنكم تقرئون الوصية قبل الدين	١١٧٢	أنا أخشاكم لله
	إنكم قد حرمت أصنافاً من الغنم على غير	١٠٤٣	أنا الله وأنا الرحمن وهي الرحم شققت
٤٤٧	أصل	٦٧٣	إنما أمة أمية لا نكتب ولا نحسب
٤٣٥	إنكم سترون ربكم عياناً	٤٩٤، ٤٥٠	إنما أهل بيت اختار الله لنا الآخرة
٢٩٤	إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم	١٤١٥	أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا
٧٨٠	إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً	٧٥٤	أنا سيد ولدي آدم يوم القيامة
١٢٨٢	إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم	٧٥٥	أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني
٢٤٩	إنما الأعمال بالنيات	٧٤	أنا عند عقر حوضي أود الناس
٤١٦	إنما الولاء لمن أعتق	١٤٣٩	إنما لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا
٩٨	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ	١٢١٠	إنما لم نرده عليك إلا أنا حرم
٨٦٩	إنما أنا رحمة مهداة	٣٩٨	أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
٨٧٦	إنما أنا لكم مثل الوالد لولده	٧٤	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
٥٢٧	إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد	٢٩٧	أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ
٩٦	إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار	١١٩٦	أنت صاحب في الغار وصاحبي على الحوض
		٥٥٨	

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٨٥	إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ...	٧٨٥	إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء
٥٨١	إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله	١١٣٥	إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله
٦٥	إني عند الله مكتوب خاتم النبيين	٣٩٩	إنما هي طعمة أطمعكموها الله تعالى
٢٣٥	إني على الحوض حتى أنظر من يرد	٣٠٦	إنما يكفك هكذا فضرب
٢٨٢	إني لأستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر		إنه جاءني جبريل فقال: إن ربك يقول أما
	إني لا أدري ما بقائي فيكم فافتدوا باللذين من	١٠٥٢	يرضيك
٣١٣	بعدي	٥٧١	إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان .
١٣٠٧	إني لا أصفح النساء	٤٦٧	إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون
٨١٠	إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد	١٢٧٥	أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه .
٨١٠	إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ..	١٢٣	إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء
٤٣	إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ ..	٨٦٦	أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ...
١٢٢٥	إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه	١٢٩٤	أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين
١١٤٣	إني لأنذركموه وما من نبي إلا وأنذر قومه ..	١١٩٧	إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله
٥١٨	إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت عن يميني .	١٣٩	إنه يشب الوجه فلا تجعله إلا في الليل
١٢٣	إني وجدت من فلان ريح شراب	١١٧١	إنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة
٩٥٠	أهجمهم أو هاجهم وجبريل معك	٨٤١	إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس ..
٩٥٠	أهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل .	٣٢٣	إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار
٤٤	اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ..	٨٥٤	إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
٢٣	أهل الجنة جرد مرد كحل	٢٢	أنهار الجنة في غير أخدود
٢٣٦	أهل الجنة عشرون ومائة صف		إنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد
٢٢	أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون		رسول الله
٧٠١	أوتي النبي ﷺ السبع الطوال	٧٠٦	إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم .
	أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح	٨٠١	إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وجهة
٤٢٣	الغيب	٧٦٢	إني أجد في التوراة مكتوباً محمد رسول الله .
٤٥٣	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان	٤٩٤	إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها
١١٧٥	أول الآيات الدخان ونزول عيسى	١٣٨٦	إني أحسن
٢٢	أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة	٩٩	إني أخشى عليهم أهل نجد
١٢٥١	أول سورة أنزلت فيها السجدة: النجم	٢٥٧	إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم
١٤٢١	أول سورة نزلت قوله عز وجل: اقرأ	٥٠٩	إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع
٨٦٦	أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف .	١٤٢٤	إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ..
١٤٢٠	أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي ..	٧١١	إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتي .
٥٨٤	أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة	٥٥٩	إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة
	أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين	١١٩١	إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
٧٦٣	يحمدون	١١٥٩	إني رأيت في منامي بقرأ تذبج

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
حرف الجيم		٩٦٩	تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس
١٢٠٩	جنتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟ ..	٩٦٩	تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
٧٥٦	جاء الحق وزهق الباطل	٣٦٢	تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر سافرنه ..
٢٨٠	جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض	٩٢	تردين عليه حديثه
	جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران فقال	٦٧٤	تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة
٣٧٠	له:	٢٩٨	تعجبون من غيرة سعد؟ والله لانا أغير منه ..
١٢٥٦	جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه	١٢٠١	تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة
٢٠٠	جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم		فتحاً
٥٩٩	جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم		تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده
	جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا	٧٥٢	بخمس وعشرين
١٢٦	النكاح	١٢٥٠	تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق
١٣٥٩	جاورت بحراء فلما قضيت جوارى	١١٧٤	تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان
٨٠٩	جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي	١٤٢٧	تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال
٣٠٦	جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً	٣١٧ ، ٢٥٩	تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه ..
١٢٦٤	جنتان من فضة آتينهما وما فيهما		تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من
١١٩٥	الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل	٥٦٣	بيته
حرف الحاء			تكلم في المهد أربع وهم صغار: ابن ماشطة
	حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا	٦٤٣	ابنة فرعون
٨٦٦	حابستكم	٦٩٢	تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة
٨١٥	حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات	٥٦	تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها
٩٥٢	حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه	٦٠٥	تلك عاجل بشرى المؤمن
١٠٤	حجي واشترطي وقولي	١٠٤ ، ١٠٣	تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع
١٢٩٢	حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير	١٢٩	تنكح المرأة لأربع
	حرمات النار على ثلاث: عين بكت من خشية	حرف الثاء	
٧٦٢	الله	٤٥٣	ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها
١٢٢٣	حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه	١٣٦	ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
١٣٣١	حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ..	٧٥٢	ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم
٢٠٥	حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ..	٦٧٣	ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج ..
	حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حينما	٢١٩	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم
٢٦٠	ألقي في النار	٩٨٤	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية
٢٩٦	حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت	١٢٨٢	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل
١١٣٦	حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون	٨٧	ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل
		١٢٤٥	ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فإذا ورقها ..

الصفحة	الحديث
٧٣٨	خير المال مهرة مأمورة
٢٩٦	خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك
١٤١٦	خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم
٦٩٦	خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها
٢٠٥	خير نساءها مريم بنت عمران
١٣١٣	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
٢٣٥	خيركم قرني ثم الذين يلونهم
١٠٣٩	خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله
٥٣٣	الخيال معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة

حرف الدال

١٤٣٩	دخلت الجنة فإذا أنا بنهر
	دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع
٥٦٤	صلاتهم
٣٦٤	دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين
١٧٩	دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً
١٣٣	دعي الصلاة أيام أقرائك
١٠٩	دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة
١٠٩	دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان
٣٢٧	دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم
٦٩٠	الدعاء مخ العبادة
١١١	الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة

حرف الذال

٧٨١	ذاك شيطان يقال له خنزب
١١٨٤	ذاك عمله
٣٥٤	ذكاة الجنين ذكاة أمه
١٢٤٣	ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل
٩٩٨	الذاكرون الله كثيراً

حرف الراء

٧١٩	رأى النبي ﷺ يصلي
١٢٤٥ ، ١٢٤٤	رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح

الصفحة	الحديث
١٤٣٩	حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن
١٢٢٤	الحسب المال والكرم التقوى
١٢٢٥	الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية
	الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن
٤٢٢	أصبر
٤٢٢	الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن
	الحمد لله الذي لم يمئتي حتى أمرني أن أصبر
٤٢٢	نفسى
٧٦٣	الحمد لله رأس الشكر
١٣٥٦	الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأختيار
٨٠٩	الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء

حرف الخاء

	خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في
٥٠٦	الأرض
١٣٣٥	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال
٢٧٤	خذ من كل حالم ديناراً
٢٨٢	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً
٢٩٢	خرج برجل فيمن كان قبلكم أراب
	خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان
١٤٢٤	وفلان
١٠٢	خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع
٣٠٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره
٤٥١	خط لنا رسول الله ﷺ خطأ ثم قال
	خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح
٩٥٠	النبل
٤١٢	خلق الله آدم عليه السلام من تراب
٦٧٣	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم
٤٤٨	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
٤٠٠	خمس قتلهن حلال في الحرم
١١٧٥	خمس قد مضين للزام الروم والبطشة
	خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن
٤٠٠	جناح
١٢٤	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٩٨	الصلاة وما ملكت إيمانكم		
٢٩٤	الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة		
٦٣٣	الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان		
٩٤	الصيام والقرآن يشفعان للعبد		
حرف الضاد		حرف الشين	
٣٦٠	ضحى رسول الله ﷺ بكشين أملحين	٥٤٧	شاهت الوجوه
١٠٢٦	ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم	٦٧٦	شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة
٣١١	ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد	١٤٤	شغلونا عن الصلاة الوسطى
١٠٣٤	ضعوها مما يلي رأسه واجعلوها على رجليه	٦٣٥ ، ٦٣٢	شيبتي هود وأخواتها
حرف الطاء		٦٣٥	شيبتي هود والواقعة والمرسلات
١٥٦	طريق مظلم لا نسلكه	٢٢٧	الشعث النفل ... العج الشج ... زاد وراحلة
٥٩٢	طلب العلم فريضة على كل مسلم	١٣٨٥	الشمس والقمر يكوران يوم القيامة
٢٧٢	طلق أربعاً وأمسك أربعاً		الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا
٦٧٦	طوبى شجرة غرسها الله بيده	٩٢	الهلل
١٤٥	طول القنوت	٢٥٩	الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم
٤٧٦	الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل	حرف الصاد	
١٧٦	الطعام بالطعام مثلاً بمثل	١٣٥١	صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح
حرف العين			صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت
٣٥٣	عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل	١٣٢١	إلى
١٢٦٩	عاجز كن في الدنيا عمشاً رمصاً	٧١٤	صدق الله وكذب بطن أخيك
١٠٨٧	عجب ربكم من سؤالكم وقنوطكم	١٧٣	صدقة السر تطفئ غضب الرب
١٠٨٧	عجب ربكم من شاب ليست له صبوة	٥١٦	صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة
	عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه	٢٦٨	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً
١٠١٩	ولحافه	٧٤٠	صلاة الأوابين إذا مرضت الفصال من الضحى
٧٦	عجباً للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر	٢٢٦	صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة
٧٨٠	عزاة حفاة ... يا عائشة الأمر أشد من ذلك	٢٥٥	صلوا على صاحبكم
٢٧٤	عرضت على رسول الله ﷺ عام أحد	٣٣٤	صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة
	عرضت على الأمم فجعل يمر النبي ومعه	٣٣٤	صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفتنا
١٢٧٠	الرجل	٣٩٩	صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به
			الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم
		٨٥	ثنان
		١٠	الصراف المستقيم: كتاب الله
			الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر
		٣٠٣	سنتين
			الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة
		٣٣١	السفر

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٩٢	فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن	١٢٧٠	عرضت على الأنبياء الليلة باتباعها
١٢٦٥	فلم أر عقبرياً يفري فريه	٢٦٢	عرضت علي أمتي في صورها في الطين
٨٠٣	فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء	٣٢٢	عشرون .. عشرون .. ثلاثون ..
١٩٦	فهللوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم	٦٩٢	على الصراط
١٢٨	في أي الخمرتين أو في أي الخرزتين	١٢٠٣	على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ
٩٤	في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان	٢٢٣	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ..
١٢٦٨	في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	١٠١٩	عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم
٦٧٦	في الجنة شجرة يقال لها طوبى	٦٧	عم الرجل صنو أبيه
٣٧٧	في السارق يسرق إن سرق فاقطعوا يده	١٢١٦	عهد إلى النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن
١٧٠	فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً	٩٩٦	العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
١٦٩	فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ﴾	٣١٠	العيافة والطرق والطيرة من الحجبت
		١٣٤٢	العين حق
		٢٩٤	العينان تزنيان واليدان تزنيان
	حرف القاف		
٤٤٩	قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها	٢٥٢	غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ...
٣١٧	قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله	٧٩٣	غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم
١٤٤٨	قال الله تعالى: «كذبي ابن آدم ولم يكن» ..		
٥٩	قال الله تعالى: «كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك»		
٧٠٩	قال الله تعالى: «كذبي عبدي ولم يكن ذلك له»		
١١٨٢	قال الله تعالى: «لا يقل ابن آدم يا خيبة»		
١٠٥٢	قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً»		
١٠٥٢	قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»		
١٠٥٢	قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر»		
٣٥٨	قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: «هذا دين ارتضيته»		
١١٣٠	قال رجل - لم يعمل خيراً قط - لأهله إذا مات فحرقوه		
			حرف الغين
		١٣٣	فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان
		١٨٩	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه
		٧٥٤	فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني
		٩٨٨	فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ..
		٤٥٣	فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي
		٣١٧	فأنت مع من أحببت
		١٣٦٠	فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء
		٣٥٥	فقلت فلائد بدن النبي ﷺ بيدي
		٧٢٥	فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ..
		١٤٥	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
		٥٩٢	فضل العالم على العابد كفضلي على أديناكم
		١٥٧	فضلت على الأنبياء بست
		٣٠٥	فضلنا على الناس بثلاث
		٧٢٧	ففرض الله على أمتي خمسين صلاة
		٥٩٢	فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ..
			حرف الفاء
		١٣٣	فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان
		١٨٩	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه
		٧٥٤	فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني
		٩٨٨	فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ..
		٤٥٣	فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي
		٣١٧	فأنت مع من أحببت
		١٣٦٠	فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء
		٣٥٥	فقلت فلائد بدن النبي ﷺ بيدي
		٧٢٥	فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ..
		١٤٥	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
		٥٩٢	فضل العالم على العابد كفضلي على أديناكم
		١٥٧	فضلت على الأنبياء بست
		٣٠٥	فضلنا على الناس بثلاث
		٧٢٧	ففرض الله على أمتي خمسين صلاة
		٥٩٢	فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ..

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
	حرف الكاف		
١٢٢٨ كاتب الحسنات على يمين الرجل	١١١٦	قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين
٤٥٨ كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة	١٣٥٦	قام النبي ﷺ بأية
١٢٤١ كان إذا قام كبر الله عشرأ	٣٨٤	قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك
٣٠٤ كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون العشاء	١١٨٨	قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن
٥٨٠ كان النبي ﷺ إذا أتاه قومه بصدقة	٣٠٣	قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا
١٢٤١ كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال	١٤٤٥	قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ
٣٨٩ كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة	٥٧	قد أصبتما الخير وأفلحتما
١٠٢١ كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تبارك	١٤١٦	قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقتعه الله
٥٨٣ كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت	٨٩٢	قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بهما
١٣٠٧ كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام	١٨٦	قد عفوت عنكم وغفرت لكم
٣٩٤ كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل	قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له في الأرض
١٣١٥ كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين	٥١٩
٧٥٠ كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود	٨٢٨	قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه
١٤٢٤ كان النبي ﷺ يعتكف العشر	١٢٥١	قرأت على النبي ﷺ والنجم
١٤٠٢ كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين	٤٢٧	قرن ينفع فيه
١٠٢١ كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم	٧٠١	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
٧٢٠ كان النبي ﷺ يقرأ غلاماً لبني المغيرة	٩٧٩	قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ
١٢٩٢ كان النبي ﷺ يقطع نخلهم	٧٤٢	قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي
١٠٢٦ كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق	٦٣٢	قل آمنت بالله ثم استقم
١٠٦٣ كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس	٩٨٤ ، ٥٨٥	قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة
 كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام	قلت لعائشة رضي الله عنها: رأيت قول الله تعالى: (أن الصفا
١٣١٠ على المنبر	٧٧	قم يا عبيدة بين الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب
٣٦٨ كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم	٨٦٢
١٣٣٥ كان خلقه القرآن	١٤٥	قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً
١٠٥٧ كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده	١٠٥١	قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه
٢٢٤ كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام	١٠٥١	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
٧٨٩ كان ذهباً وفضة	١٤٢٥	قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني
١٣٦٨ كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ	١٢١٢ ، ١٠٥	قوموا فأنحروا ثم احلقوا
٩٥٧ كان رجلاً له عشرة من البنين يئامن منهم ستة	٣٦	قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً
١٠٦٠ كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد	٢٧٨	القاتل لا يرث
١٣٣٥ كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً	٧٢	القبلة ما بين المشرق والمغرب
		٣٧٦	القطع في ربع دينار فصاعداً
		١٤٨	القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٨	كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية	٨٩٦	كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين ..
٣٣٤	كانت للقوم ركعة واحدة وللنبي	٣٤٣	كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع
١٣١٥	كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما	٩٧	كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلي رأسه
٤٩٠	كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً	١٤٥٠	كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه
٩٩٥	كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون منهم ..	٤٤	كان رسول الله ﷺ إذا خطب استند إلى جذع
١٢٥٦	كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض	١٤٢٣	كان رسول الله ﷺ إذا دخل
١٣٢٣	كذب أبو السنابل	١٢٦٥	كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة
١٣٥	كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر ..	٧٤٣	كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ
٢٦٣	كفل الله لمن جاهد في سبيله	١٣٦٧	كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه جبريل
٣١٨	كفوا أيديكم فاني لم أؤمر بقتالهم	١٣٣٥	كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ..
٣٢١	كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول	١٧٠	كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة ..
٢٠٠	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي	١١٨٨	كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي
٢٠١	كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه	١٤٢٣	كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ..
٣٣١	كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قصر الصلاة ..	٣٣٥	كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ..
٨٨٨	كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي	١٤٤	كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة
١٢٢	كل شراب أسكر فهو حرام	٤٩	كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته
١٢٥٦	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	٧٥٣	كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ ..
٩٤	كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنه بعشر أمثالها	٣٠٣	كان رسول الله ﷺ يقضي الحاجة
٥٥٤	كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كثر ..	١١١	كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ربنا آتنا ..
٣٩٧	كل مسكر حرام إن حتماً على الله أن لا يشربه	٢٨٩	كان صداه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية
١٢٣	كل مسكر خمر وكل مسكر حرام	١١٣٠	كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة
١٠٦٥	كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه	٢٨٧	كان فيهما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات
٢٧٥	كل من مال يتيمك غير مسرف	٣٩١	كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل
٢١٣	كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه	١٣٩٥	كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ..
٢٢١	كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم	١٣١٥	كان يقرأ بـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّصِيَةِ﴾ ﴿١﴾ ..
١٢٨٨	كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه	٨٤٠	كان ينفخ النار على إبراهيم
٢٥٤	كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها ..	٨٩	كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية
٣٨٧	كلتا يديه يمين	٧٨٦	كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى ..
		١٢٧	كانت اليهود تقول في الذي يأتي أهله في دبرها
		٨٤٣	كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٣٥	الكفاءة من المن وماؤها شفاء للعين		كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في
١٤٣٩	الكوثر نهر في الجنة حافظه الذهب	١٢٧٥ ، ١٠٠٥	الميزان
١٤٣٩	الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه	١٠٧١	كلهم من هذه الأمة
٤٩٨	الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت	٤٠٠	كلوا رزقاً أخرجره الله إليكم أطعمونا إن كان
حرف اللام		٣٥٤	كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه
	لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود	٢٠٥	كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا
٥٥٠	والنصارى	١٣	كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ
١٤١٠	لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة	٥٤٧	كنا إذا أحمر البأس نتقي به
٥٧٧	لا أجد ما أحملكم عليه	٨٥	كنا إذا أحمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا
٤٦١	لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش	١٢٠٥	برسول الله
١١٦٩	لا أسأل فقد اكتفيت		كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر أخذ بيده
١٠٣٨	لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده	١٢٠٥	تحت الشجرة
٧٣٨	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب	١٥٢	كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة
٧٤٦	لا إنما هي أربعة أشهر وعشر	٣٦١	أصحاب بدر
٧٤٦	لا بل تستأني بهم	٤٤	كنا عند النبي ﷺ فرجع من الغائط
١٤١١	لا بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم	١٤٥	كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا
١٤١٢	لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير	١٢٦	كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة
١٧٦	لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق	٩٢	كنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نظهر
٥٧٧	لا تجالسوهم ولا تكلموهم	١٢٦	كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا
١٨١	لا تجوز شهادة خائن أو خائنة	١٢٦	كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ
٢٩٥	لا تحدثوا حلفاً في الإسلام	١٣١٥	كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً
١٨٧	لا تحرم المصة من الرضاعة والمصتان	١٢٦	كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد
	لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى	١٣٣٦	كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد
٢٩٨	أخاك	٣٠٤	كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ
٥٦٦	لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة	١٠٢٤	كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث
٧٠١	لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا	٨١١	كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي
١٢٩٦	لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها	٨٠١	عنده
١٢٢٩	لا تزال جهنم تقول هل من مزيد	٥٥٥	كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد
٥٠٤	لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله	١١٧١	كيفة .. كيتان
١٠٨٨	لا تزال قدما ابن آدم يوم القيامة	٤٢٧	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم؟
٤٠١	لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته لكم	٥٠٩	كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه
١٠٣٩	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله	٢٤٢	كيف يا رب والغضب
١٢١٧ ، ٢٣٥	لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن	٢٩٢	كيف يفلح قوم شجروا رأس نبيهم
			الكباثر: الإشرار بالله وعقوق الوالدين

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠١١	لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن .		لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن
٧٤١	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ..	٥٧٩	أحدكم أنفق
٤٥٠	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	١١٧٨ ، ١١٧٧	لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم
١٤٠	لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث .		لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم
١٣٩	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد	٧٦١	الله
٨٠٣	لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من	٦٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
٢٩٨	لا يدخل الجنة سيء الملكة	٩٩٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا .
٦٧٤	لا يدخل الجنة قاطع	٧٠٢	لا تعبطن فاجراً بنعمته فإنك لا تدري
٧٠٧	لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر	٨٦	لا تقام الحدود في المساجد
٧٤٠	لا يدخل الجنة منان ولا عاق	٣٠٤	لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ .
١٢٠٥	لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ..	٣٧٤	لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول
٤٧٦	لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من ..	٩٣	لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين
٥٥٤	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات	٥٨٨	لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا من الصلاة
٢٧٨	لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم	٤٥٣	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
١١٥٢	لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة	١٤٥١	لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن ..
٧٦	لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله	٧٥٠	لا خير في دين لا ركوع فيه
٨٧٧	لا يزال الله مقبلاً على العبد ما كان في صلته	٢٨٦	لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم
١١٦٩	لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان	٢٤٥	لا سواء قتلانا في الجنة
١١٨٢	لا يسب أحدكم الدهر	٩٩٢	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
١٣١٣	لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي	١٠٤٦	لا طلاق قبل النكاح
١٠٣٥	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣٧٧	لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل ..
١٣١٣	لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع	١٢٠٥	لا تبرح حتى نناجز القوم
٣٦١	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	٥٣٩	لا نصرت إن لم أنصركم
١٠٦٩	لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً	١٢٩٣	لا نورث ما تركنا صدقة
٩٩٧	لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة .	٣٣٠	لا هجرة بعد الفتح
١٢٨٧	لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه	١٠٢	لا وأن تعتمروا خير لكم
١٢٨٧	لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة	١٢٥٧	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع
١٧٠	لا يكتب عبد مالاً حراماً فيصدق		لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي
٧٦٢	لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى	٨٨٤	ويتصدق
٩٧	لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال	٥٥٤	لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر
١٢٩	لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد .	٢٧٨	لا يتوارث أهل ملتين
٨٠٨	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار ..	١٢٩٦	لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ..
٦٦	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ..	٢٨٨	لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين
٢٣٩	لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها	٢٨٦	لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٠٥	لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات	٢٩٩	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه
١١٨٨	لقد كان يأتي علينا الشهر وما نوقد فيه نار	٧٥٢	لأمرقن صلاة رسول الله ﷺ
٥٩١	لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة	١٢٠٦	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
١١٣٤	لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم	٧٧٩	لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
٢٨٠	للبنت النصف ولابنة الابن السدس	١٧٤	لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي
٥٣٦	لم تحل الغنائم لأحد من قبلي	٩٥٠	لأن يمتلىء جوف أحدكم فيحاً خيراً له من
٩٨	لم دخلت من الباب وأنت محرم؟	١٠٣	لييك بهج وعمرة
٦٠٤	لم يبق من النبوة إلا المبشرات	٥٧٠	لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر
١٢٤٤	لم ير رسول الله ﷺ ربه	١٣٩٤	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبراً
١١٠	لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة	٤١٩	لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة
٥٠٨	لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً	١٠٨١، ٥٠٥	لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
	لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ	٦٣٣	لجميع أمتي كلهم
٥٥١	الجزية		لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف
٦٢	لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر	٦٩٩	على أمتي
١٨٦	لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى		لحم الصيد لكم في الإحرام حلال ما لم
١٠٢١	لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي	٣٩٩	تصيدوه
٢٦١	لما أصيب أخوانكم يوم أحد جعل الله	٥٨٥	لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة
	لما أغرق الله فرعون قال: أمنت أنه لا إله إلا	٣٩٧	لئن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها
٦٠٨	الذي	٣٨٠	لئن الله الراشي والمرتشي
٧٢٧	لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل	٣٧٧	لئن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده
٧٤٩	لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة	١٣٦	لئن الله المحلل والمحلل له
٧١	لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه	١٢٩٤	لئن الله الواشمات والمستوشمات
١٢٢٤	لما عرج بي مرت بقوم لهم أظفار	١٣٦	لئن المحلل والمحلل له
	لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه	١٧٧	لئن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله
١٠٥٨	ثلاثاً	١٢٩	لغو اليمين قول الإنسان لا والله
١٣٨٩	لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا	١١٨٨	لقد أخفت في الله وما يخاف أحد
	لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق	٥١٧	لقد أعانك عليه ملك كريم
٤١٣	العرش	١٢٠١	لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ
	لمه؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى		لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة
٥١٧	الطائفتين	١٠٣٦	أرقعة
٩٥٨	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	١١٨٨	لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم
٢٩٦	لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة	١٢٠٣	لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبائع
١٣٣	لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد		لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن
١٢٨	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	٧٢٩	مسراي

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٦٣١	ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد	٩٠٣	لو أن امرأة أطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة
٧٩٤	ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج	١٢٦٥، ٢٢	لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت
٤٠٦	ليردن عليّ نابس من أصحابي الحوض	١٣٤٥	لو أن روضة مثل هذه
١٤١٦	ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن	٦٧٠	لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل
١٧٤	ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف	١٣١٣	لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل
٦٧٤	ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل	٢٥٤	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله
٣٣٨	ليس بالكذاب من أصلح بين الناس	١٠٠٠	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
٤٣١	ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون إلى	١٠٧١	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
١٠٧٣	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم	٨٦	لو تمالاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم به
٣٧٧	ليس على خائن ولا منهب ولا مختلس قطع ..	٥٠	لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه
١٧١	ليس في حب ولا تمر صدقة	٨٧٨	لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
١٧١	ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة ..	١٤٢٢	لو دنا منه لاخطفته الملائكة عضواً عضواً ..
٢٥١	ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاة	٣٥١	لو رأيته البارحة وأنا أستمع لقراءتك
٩٢	ليس من البر الصوم في السفر	٩٠٣	لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتبه لطعنت ..
١١٤٣	ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال	٩٤٧	لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي
٣٩٤	ليس منا من خصي ولا اختصى	١٣٠٩	لو كان الإيمان عند الثريا لنال رجل من هؤلاء
١٣٠٧	ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ..	١٣١٠	لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل ..
٧٠٢	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	١١٦٨	لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ..
٦٣١	ليصين أقواماً سفح من النار بذنوب أصابوها	٣٤١	لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر
٧٢٧	ليلة أسري بي لقيت موسى		لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي
١٣١٢	ليتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو	٦٤٩، ١٦٦	
حرف الميم			
٥٤٥	ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج	٤٢	لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد ..
١٢٣١	ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ	٥٣٦	لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر
٢٦٦	ما أخذ الله على أهل الجهل أن تعلموا		لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه
١١٧٨	ما أدري تبع نبياً كان أو غير نبي	٨٦٣	
١٤٥١	ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت ..	١٠١٨	لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ..
١٢٢	ما أسكر كثيره فقليله حرام	٤٣٣، ٣٨٤	لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم
١١٦١	ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء	٤١٩	لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها
٢٤٤	ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم	٣٦	لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام
	ما اصطفي الله لملائكته أو لعباده سبحانه الله	١٣١٤	لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء
٢٥	وبحمده		ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
		٧٩٥	
		٤٥٦	ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٨٧	ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير	١٧٠	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من
١٣٣٦	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط	٣١٩	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم ..
١١٧١	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا	٥٨٠	ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً
٣٩٠	ما ظنك يا نبي الله ﷺ ما ظنك يا نبي الله ﷺ	١٢٧٤	ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح ...
٩٥	ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله	١٤٢٧ ، ٥٣٤	ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية ..
	ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا	٣٥٧	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل
٥٢٨	الفيء		ما أوحى إليّ أن أجمع المال وأكون من
٥٨٨	ما فعل كعب	٧٠٤	التاجرين
٧٢٥	ما فقد جسد النبي ﷺ ولكن الله	١٠٤٤	ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه
١٢٦٨	ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا	١٠٧١	ما بال أقوام ينتزهون عن الشيء أصنعه
	ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل	٨٧٨	ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء؟ ..
١٢٣١	أشد	٢٥٥	ما بال العامل نبهته على بعض أعمالنا
٧٥٣	ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان	٢٨٩	ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى ..
١٢٢	ما كان لنا خمر غير فضيخكم	١٢١٩	ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت
	ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل	١١٣٣	ما بين الفختين أربعون
١٠٢٣	القرآن	٥٨٣	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ..
٥٥٩	ما لك يا أبا بكر		ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب
٣٥٨	ما لم تصطبحو أو تغتبقوا أو تحنثوا	٣١١	المسرع
٥٢٧	ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس	٣٣٦	ما بين هذين الوقتين وقت
١٠٤٨	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء ..	٣٧٨	ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟
٤٦٤	ما من أحد إلا وله منزلة في الجنة		ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
٨٠٣	ما من أحد يموت إلا ندم	٩٩٨	تكذبوهم
	ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين	٨٧	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به
٢٠١	يولد	٥٣٨	ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي ..
	ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه	٧٠١	ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ..
٦٧٣	العقوبة	٥٠٢	ما ذئبان جاععان أرسلنا في غنم بأفسد لها ..
	ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها		ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول
٥٥٤	حقها	٢٥٣	الله
١١٧٦	ما من عبد إلا له في السماء بابان؟	٩٥٥	ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط
	ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على	٧٤٣	ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ
٣٠٩	ذلك	٥٣١	ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا
٢٤٤	ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً	٢٩٨	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى
	ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان		ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي
١٠٦٤	الله	١١٨٥	على الأرض

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٤٥	مثلي ومثل الأنبياء كمثلي قصر أحسن بنيانه ..	٥١٠	ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه
٧٨٦	مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم	٢٥٧	ما من عبد يموت له عند الله خير
	مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك	١٠٢٣	ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا
٧٦٣	مررت على النبي ﷺ وهو يبول فسلمت ...	١٧١	ما من مسلم يفرس غرساً أو يزرع
١٣٢١	مره فليراجعها ثم ليمسك حتى تطهر		ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً
١٣١	مره فليراجعها حتى تطهر	١٠٠٩	على الله
١٣٢١	مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق	٧٥	ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول:
١٢٨٥	مره فليعتق رقبة	١٥٦	ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي
١٠٨٠	مستقرها تحت العرش	٦٣٠	ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها
١٧٩	مطل الغني ظلم	١٤١٣	ما من نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها
١١٤٣	مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي	١٠٦٥	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ..
١٠١٦	مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة	٥٢٠	ما منعك أن تجيبي إذ دعوتك؟
٤٢٣	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	١٠٦٥	ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً ..
١٢٨	ملعون من أتى امرأته في دبرها		ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى
٥٥٥	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته	١٠٠٢	التسع
٢٦٢	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له	٤٢	ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة
١٢٧٠	من آدم إلينا ثلثة ومني إلى يوم القيامة ثلثة ...	٥٩٣	ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء
٣٣٠	من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام ...		ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم
١٤١	من أبغض الحلال إلى الله الطلاق	٤٠١	لوجيت
٣٥٩	من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع	٣٥٨	ما يبكيك يا عمر؟
٦٧٣	من أحب أن ييسط له في رزقه		ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا
٥٦٧	من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل	٧٦	هم
١٠٣٤	من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه	١١٩٧	ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى
١٣٨٤	من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ ..	٣١٣	مثل أصحابي في أمتي كالملاح في الطعام ...
٧١٩	من أحب دنياه أضر بأخرته ومن أحب آخرته ..	١٩٠	مثل القلب كريشة بأرض فلاة
٥٣٣ ، ١٧٥	من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً ..	٧٦	مثل المؤمن كمثلي الزرع
	من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه		مثل المجاهد في سبيل الله كمثلي القانت
١٠٢٣	حرام	٣١٨	الصائم
٣٢٠ ، ٣١٢	من أطاعني فقد أطاع الله	٢٣٤	مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها
٤٤٣	من أعان ظالماً سلطه الله عليه	١٢٨٢	مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثلي رجل
١٤١٠	من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو ...	٣٤٦	مثل المنافق كمثلي الشاة العائرة
٩٦٩	من أعظم المساجد حرمة على الله		مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم
٥٩٠	من اغبرت قدماء في سبيل الله حرمهما الله ..	٢٣٦	آخره
		٤٦٨	مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣٣	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	١٣١٣	من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب
٢٧٠	من رابط يوماً وليلة في سبيل الله	٢١٨	من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله من
٥٦٥	من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ١٧٥، ٥٦٥	الذاكر فلانة؟
٥٦٥	من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ..	٥١٧	من الكبائر الفرار من الزحف
٥٦٦	من سأل وله أوقية أو عدلها فقد	٢٩٣	من الكبائر أن يسب الرجل والديه
٢٦٦	من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة	١٧٩	من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله
١٢٣١	من سبَّح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ...	١٧٨	من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله
١١١٣	من سره أن يقوم له الرجال صفوفاً فليثوراً ...	١٠١	من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة
.....	من سره أن يسكن بحبوحه الجنة فعليه	٥٩١	من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له
٢٣٤	بالجماعة	٥٣٣	من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له
١٢٨٨	من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به ..	٥٤٤	من بنى لله مسجداً بنى الله له
٧٩٦	من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به ..	٤٥٣	من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ...
١٠٧٦	من سن في الإسلام سنة حسنة	١٣١٢	من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها
٢٠٤	من سيدكم يا بني سلمة	٥٥٥	من ترك بيضاء أو حمراء كوي بها
٣٩٧	من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب	١٤٥	من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله
٣٥٢	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..	٢٨	من تركهن خشية أو مخافة نائر فليس منا ...
٩٣	من صام رمضان إيماناً واحتساباً	٩٦	من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه
١٠١٨، ٩٣٢	من صلى العشاء في جماعة كان كقيام	٣٨١	من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره
.....	من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي	١٢٣٣	من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله
١٢	خداج	٣٥٧	من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة تردده
٥٤٢	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا	٣٦١	من توضع على طهر كتب الله له عشر حسنات
١٠٥٢	من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ..	٣٦٤، ٣٦٣	من توضع وضوئي هذا خرجت خطاياها ..
١٠٥٢	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ..	١٢٤١	من جلس مجلساً وكثر فيه لفظه
١٤١٧	من صنع إليه معروف فليجز به فإن لم يجد ..	٥٩١	من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا
٢٦١	من طال عمره وحسن عمله	١١٣، ١٠٨	من حج لله فلم يرفث ولم يفسق
٢٦٦	من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه	٣٨٨	من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل ..
٥٤٤	من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له ..	٧٩٦	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ..
١٣١٤	من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر	١٢٩	من حلف يمين فرأى غيرها خيراً
.....	من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه	٢١٨	من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر ...
٧٥٣	الدعوة التامة	٣٩٦	من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ..
.....	من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله	١٣٩٣	من حوسب عذب
١٣٠١	السميع	١٢٦٢	من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل
.....	من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله	٨٦٤	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
١٠٠٥	ويحمده	٧٠٧	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٢١٦	من مات من أصحابي بأرض كان نورهم ...	١٢٧٥	من قال سبحان الله العظيم ويحمده
١٢٦٩	من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ...		من قال سبحان الله ويحمده في كل يوم مائة
١٢٠	من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ١٠١، ١٢٠	١٠٠٤	مرة
٢٩٧	من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا الله	١١٤٤	من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها
١٣٧٠	من نذر أن يطعم الله فليطعمه	١٤٢٥	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ...
٨١٥	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ٧٧٤، ٧٧٤	٥٢٧	من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه
٧٦	من يرد الله به خيراً يصب منه	٢٩٢	من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب
٥٩٢	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين		من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له
٥١٩	من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟	٧٩٧	نوراً
٢٧١	من يوق شح نفسه ويطع ربه	١١٧٩	من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح
١٠٠٦	من يولد يولد على الفطرة	١٨٥	من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين
	مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف	١٣٥٩	من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة
١٢٨٦	والفحش		من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك
٦٨١	موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء .	٤١١	السبعون
٧٥٠	المؤمن أكرم على الله من الملائكة	١٢٧٥	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم
٢٩٢	المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه	١٤٢٠	من قرأ والتين والزيتون
٣١٧	المرء مع من أحب	١٣٦٨	من قرأ منكم والتين والزيتون
	المستبان ما قالاً فعلى البادئ ما لم يعتد	٥٣٢	من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ...
٣٤٧	المظلوم		من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى
٢٢٥	المسجد الحرام	٢٩٨	جاره
١٢٢١	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ...	٢٩٨	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .
٦٨٦	المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله	١٤٥	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
٣٨٠	المقسطون عند الله على منابر من نور ... ٣١٢، ٣٨٠	١١٢٦	من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو ..
٣٢٣	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه	٣٤٣	من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما
			من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في
		٢٤٩	قلبه
		١٠٤	من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج
		٢٤٣	من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه
		٨٦٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه ..
		٢٢٧	من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس .
		١١٤٤	من لم يدع الله غضب الله عليه
		١٤١٧	من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
		٦٩٧	من مات على شيء بعثه الله عليه
		٣٠٩	من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

حرف النون

١٢٧٢	نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين ...
٣٦٣	نبدأ بما بدأ الله به
٧٧	نبدأ بما بدأ الله تعالى به
	نحرت هاهنا ومنى كلها منحصر فانحروا في
٨٦٨	رحالكم
١٦٦	نحن أحق بالشك من إبراهيم ١٦٥، ١٦٥
٧٢٣	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم
١٢٦٥	نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٠٤	هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها . هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله	١٢٠١	نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا
١٢٧٤	أعلم هل تدرون مما أضحك . . من مخاطبة العبد	٦٨٦	نزلت في عذاب القبر
١٠٨٤	ربه هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟	٥٨٣	نزلت هذه الآية في أهل قباء
٢٩٧	هل ترون قبلي هاهنا فوالله ما يخفى هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه	٢٤٤	نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّالِقَتَانِ﴾
٩٤٩	سحاب هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة . .	٥٣٠	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
٨٠٩	هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس . . هل عندك من شيء تصدقها؟	١٠٢٥	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
١٠٨٣	هل لكم إلى خير مما جئتم له هل نظرت إليها فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم	٤١٥	نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها . .
٤٣٩	هل هو إلا بضعة منك هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا	١٧٩	نعم إلا الدين
٢٩٠	وهكذا هم في الظلمة دون الجسر	٥٥٥	نعم المال الصالح للعبد الصالح
٢٣٠	هن إلى السبعمائة أقرب هو الطهور ماؤه الحل ميتته	٢٨٦	نعم إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة . .
١٠٤٩	هو الغناء والله الذي لا إله غيره هو مسجدكم هذا مسجد المدينة	١٣٤٢	نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين .
٣٠٥	هي اليتيمة تكون في حجر وليها هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله ما أن	١٣٤٢	نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي
٥٥٥	عملتم	١١٢٦	حق
٦٩٢		١٣٣٩	نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة . .
٢٩٣		١٢٤٩	نعم ولك أجر
٩٢٨ ، ٤٠٠		٨٧٥	نعم، من لم يسجدهما فلا يقرأهما
١٠١١		١٤٣١	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
٥٨٢		١٧٩	نفس المؤمن معلقة بدينه
٣٤١ ، ٢٧١		١٢٠٨	نفركم على ذلك ما شئنا
١٠١٥		٧٠٥	نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم
		٤٤٨	نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب
		٧٠٦	نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال
		١٠١١	نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة
		١٢٤٤	نور أني أراه
		٤٤٢	نور قذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له . . .

حرف الواو

٥٣٣	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي
٦٢	وافقت الله في ثلاث
١٠٥٠	وافقتي ربي في ثلاث
١٥٧	والذي نفس محمد بيده أن لهذه الآية لساناً . .
١٣١٤	والذي نفس محمد بيده لو تابعتكم حتى لا يبقى منكم

حرف الهاء

١٠٤١	هؤلاء أهل بيتي
١٠٤٩	هذا أحق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه . .
٥١٥	هذا جبريل أخذ برأس فرسه
٤٣	هذا جبل يحبنا ونحبه
١٤٣١	هذا والذي نفسي بيده من النعم
١٢٠١	هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا
١٠٤	هذه عمرة استمتعنا بها

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٨٨	وهم فيها كالحون قال: تشويه النار	٢١١	والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم
١٢١٣	ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال	١١٦١	والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود .. والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على
٥٦٤	ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل	٢١٢	أهل نجران
٥٥٤	ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ...	١٣٤٦	والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن ..
٧٤٠	الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ	١٤٤٨	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ...
٤٥	الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر	٢٦٠	والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي
حرف الياء		٣٢٢	والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
٨٠٢	يؤتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد ..	٢٥٩	والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ..
٥١٥	يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل	٢٣٣	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
٣٤٠	يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي؟	٨٨٩	والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزل
١٢٧٧	يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ..	٤٧٣	والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم
٥٥٩	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٦٢	والذي نفسي بيده ما من رجل يكون له إبل .. والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة
١٢١٢	يا أبا جندل احتسب	٥٨١	من كسب
٣٢٩	يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ...	٤٩٤	والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته ..
١٩٦	يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين ..	١٢١١	والله إني لرسول الله وإن كذبتوني
٥٤٧	يا أبا عمارة فررتم يوم حنين؟ قال:	١٢٦٢	وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء وجهوا هذه البيوت عن المسجد
٩٦	يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً	١٢٧	وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل
١٥٧	يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟	٣٠٣	وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا ..
٥٦٣	يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر؟ ..	٧٨٤	وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين
١٤٨	يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني	١١٧	وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى
١٢٨١	يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟	٤٩٠	وكل الله بالرحم ملكاً فيقول:
١٢٨١	يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم علي	١٣١٩	ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
٤٠٢	يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة	٥٧٦	وما هي بأعبد الله .. هذه مؤمنة
٥٩٠	يا أم سلمة تيب على كعب	١٢٥	وما يدريك أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً
١٣٣٥	يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت	٥٠٣	وما يدريك أن الله قد أكرمه؟
١٢٦٨	يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز	١١٨٤	وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع
١١٠٧	يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق	١٣٠٢	وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً ..
٩٨٣	يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي	٥٧٥	
٣٥٨	يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا		
٥٧٤	يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا فتابكوا ..		
١٣٨٠	يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة		
٨٢	يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ..		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٨٤	يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق	٩٣	يا أيها الناس إنه قد أظلمكم شهر عظيم
٤٦٠	يبعث كل عبد على ما مات عليه	٢٨٩	يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع
١١٤٣	يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً	٨٦٧	يا أيها الناس عدلت تهادة الزور بالشرك بالله
١٤٣٠	يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى	٥٣٠	يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو
٦٦٩	يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار		يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم
٣٠	يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار	١١٢٠	يعلم
١٩٥	يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ..	٢٥٧	يا جابر ما لي أراك منكسراً
٧٠	يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له:	٧٢٨	يا جبريل إن قومي لا يصدقوني
٧٥٣	يحبس المؤمن يوم القيامة حتى يهتوما بذلك	١٤١٥	يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك
٢٨٦	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة	٨٠٧	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا
٧٨٠	يحشر الناس على ثلاث طرائق	٧٢٠	يا رسول الله المؤمن يزني؟
٦٩٢	يحشو الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ..	٩٨	يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً
٦٣١	يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون	١٢٧	يا رسول الله هلكت قال: «وما الذي أهلكك»
٨٠٨	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه	٥١١	يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي
١٧٠	يخرص كما يخرص النخل	١٤٤٩	يا عائشة استعيزي بالله من شر غاسق
٤٦٣	يخلص المؤمنون من النار فيحسبون	١١٩٣	يا عائشة إن الدنيا لا تبغي لمحمد ولا لآل
٤٥٣	يدا الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار ..	٤٥٣	يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً
	يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في		يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت
٦٧٩، ١٨٨	الرحم	١٢٠٨	بخير
١٢٦٩	يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً	١١٨٩	يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب
٢٥٤	يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب	٣٩٦	يا عبدالرحمن بن سمره لا تسأل الإمارة
١٢١٢	يرحم الله المحلقين	٥٥٣	يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك
٦٨٩	يرحم الله أم إسماعيل لو تركت ماء زمزم	٩٠٣	يا علي لا تتبع النظرة النظرة
١٠٥٤	يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصير	٢٨٣	يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي
٩٥	يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم	١٠٤٩	يا عيينة فأين الاستئذان
١٢٤٥	يسير الراكب في ظل الفتن منها مائة عام	٤١٤	يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده ..
١١٣٢	يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن ..	١١٣٢	يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على
٦٢٧	يغفر الله للوط أن كان ليأوي إلى ركن شديد		يا معشر المسلمين أبعدوا الجاهلية وأنا بين
١١٣٣	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء	٢٢٨	أظهركم
٤٠٠	يقتل المحرم السبع العادي		يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى
١٤٣٠	يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك	١٢٢٣	قلبه
٤٥٤	يقول الله تبارك وتعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ»	٣٠٨	يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا
	يقول الله تبارك وتعالى: «أعددت لعبادي	٥٢٠	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
١٠٢٠	الصالحين»	١١٤٣	يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٨٢٩	يلتمم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه	٢٤٦	يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين» .
٥٨٦	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	٢٢٣	يقول الله تعالى: «لأهون أهل النار عذاباً» . . .
١١٤٣	يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة	١٠٠٧	يقول الله تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء» .
	ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا	١٠٥٢	يقول الله سبحانه وتعالى: «شتمني عبدي» . . .
٤٦٣	أبدأ	١١٨٣	يقول الله عز وجل: «الكبرياء ردائي»
٢٩٣	ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة		يقول الله عز وجل: «من أهان لي وليا فقد
١٩٤	ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا	١١٦٠	بارزني»
١١٧٤	ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان		يقول الله عز وجل لأهل الجنة: «يا أهل الجنة
١٢٣٣	ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة		هل رضيتم»
٦٧٩	ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات	٥٧١	يقول الله عز وجل يوم القيامة: «يا آدم قم
١٢٦٩	ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة		فابعث»
٩٧١	ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن	٨٥٧	
٢٧٢	ينكح العبد امرأتين، ويطلق طلقتين	١٣٨٩	يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم
٣٤٩	يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً	١٣٤١	يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن
١٣٩٤	اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود	٥٢٢	يكفيك الثلث فتصدق به
		٣٠٦	يكفيك الوجه والكفان
		٩٦٩	يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر



الصفحة	الموضوع
٥	ترجمة الإمام البغوي
٧	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
١٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
١٨٦	سورة آل عمران
٢٧٠	سورة النساء
٣٥٤	سورة المائدة
٤١١	سورة الأنعام
٤٥٥	سورة الأعراف
٥١٠	سورة الأنفال
٥٣٨	سورة التوبة
٥٩٣	سورة يونس
٦١٢	سورة هود
٦٣٥	سورة يوسف
٦٦٦	سورة الرعد
٦٨١	سورة إبراهيم
٦٩٣	سورة الحجر
٧٠٤	سورة النحل
٧٢٤	سورة الإسراء
٧٦٣	سورة الكهف
٧٩٧	سورة مريم
٨١٣	سورة طه
٨٣١	سورة الأنبياء

الصفحة	الموضوع
٨٥٧	سورة الحج
٨٧٧	سورة المؤمنون
٨٩٠	سورة النور
٩٢٠	سورة الفرقان
٩٣٥	سورة الشعراء
٩٥١	سورة النمل
٩٧٢	سورة القصص
٩٩١	سورة العنكبوت
١٠٠١	سورة الروم
١٠١١	سورة لقمان
١٠١٦	سورة السجدة
١٠٢٢	سورة الأحزاب
١٠٥٦	سورة سبأ
١٠٦٧	سورة فاطر
١٠٧٥	سورة يس
١٠٨٦	سورة الصافات
١١٠٤	سورة ص
١١٢٠	سورة الزمر
١١٣٤	سورة غافر
١١٤٦	سورة فصلت
١١٥٤	سورة الشورى
١١٦٤	سورة الزخرف
١١٧٤	سورة الدخان
١١٧٩	سورة الجاثية
١١٨٣	سورة الأحقاف
١١٩٤	سورة محمد ﷺ
١٢٠١	سورة الفتح
١٢١٧	سورة الحجرات
١٢٢٦	سورة ق
١٢٣١	سورة الذاريات

الصفحة	الموضوع
١٢٣٧	سورة الطور
١٢٤٢	سورة النجم
١٢٥٢	سورة القمر
١٢٥٧	سورة الرحمن
١٢٦٥	سورة الواقعة
١٢٧٥	سورة الحديد
١٢٨٣	سورة المجادلة
١٢٩١	سورة الحشر
١٣٠١	سورة الممتحنة
١٣٠٧	سورة الصف
١٣٠٩	سورة الجمعة
١٣١٦	سورة المنافقون
١٣١٩	سورة التغابن
١٣٢١	سورة الطلاق
١٣٢٦	سورة التحريم
١٣٣١	سورة الملك
١٣٣٤	سورة القلم
١٣٤٢	سورة الحاقة
١٣٤٦	سورة المعارج
١٣٤٩	سورة نوح
١٣٥٢	سورة الجن
١٣٥٥	سورة المزمل
١٣٥٩	سورة المدثر
١٣٦٥	سورة القيامة
١٣٦٩	سورة الإنسان
١٣٧٣	سورة المرسلات
١٣٧٥	سورة النبأ
١٣٧٨	سورة النازعات
١٣٨٢	سورة عبس
١٣٨٤	سورة التكوير

الصفحة	الموضوع
١٣٨٧	سورة الانفطار
١٣٨٨	سورة المطففين
١٣٩٢	سورة الانشقاق
١٣٩٤	سورة البروج
١٣٩٩	سورة الطارق
١٤٠٠	سورة الأعلى
١٤٠٢	سورة الغاشية
١٤٠٤	سورة الفجر
١٤٠٨	سورة البلد
١٤١١	سورة الشمس
١٤١٢	سورة الليل
١٤١٤	سورة الضحى
١٤١٧	سورة الشرح
١٤١٩	سورة التين
١٤٢٠	سورة العلق
١٤٢٢	سورة القدر
١٤٢٥	سورة البينة
١٤٢٦	سورة الزلزلة
١٤٢٨	سورة العاديات
١٤٢٩	سورة القارعة
١٤٢٩	سورة التكاثر
١٤٣١	سورة العصر
١٤٣٢	سورة الهمزة
١٤٣٣	سورة الفيل
١٤٣٦	سورة قريش
١٤٣٧	سورة الماعون
١٤٣٨	سورة الكوثر
١٤٤٠	سورة الكافرون
١٤٤٠	سورة النصر
١٤٤٦	سورة المسد

الصفحة

الموضوع

١٤٤٧	سورة الإخلاص
١٤٤٨	سورة الفلق
١٤٥٠	سورة الناس
١٤٥٣	فهرس الأحاديث والآثار
١٤٨٣	الفهرس

